تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى . العدد الأول . تشرين الثا



- محمد علي رائد التجديد في العالم العربي
- البحرية العربية ثمرة لتعاون مصر والشام أيام معاوية
- بقايا العصر العباسي أو قصر المأمون في بغداد
- قصة الميثاق الوطني في لبنان

الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقبلة







تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى
العدد الاول
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨
ذو الحجة ١٣٩٨ هـ

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير فاروق البربير — المدير المسؤول محمد مشموشي

ص.ب ٥٩٠٥ ـ بيروت ـ لبنان ـ بناية ابو هليل ـ جرنتر ١١ ـ شارع السادات ـ تلفون ٣٤٦٢٧٦

الاشراف الفني: شركة سيغما للتصميم والطباعة
الانتاج: المطابع التعاونية الصحفية

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات
الاعلانات: يتفق بشأنها مع الادارة

ثمن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل ـ سوريا: ٦ ل.س ـ العراق: ٧٠٠ فلس ـ ليبيا: ٨٠٠ درهم ـ السعودية: ٧ ريال ـ الكويت: ٥٠٠ فلس ـ الاردن: ٥٠٠ فلس ـ ابو ظبي: ٨ درهم ـ دبي: ٨ درهم ـ قطر: ٧ ريال ـ البحرين: ٧٠٠ فلس ـ مسقط: ٨٠٠ بيزة.

الاشتراكات

في لبنان: ٥٠ل.ل ـ المؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ل.ل ـ في الدول العربية: ٧٥ل.ل. في افريقيا واوروبا ١٠٠ل.ل ـ دول العالم الاخرى: ١٥٠ل.ل ـ المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي: ١٥٠ل.ل.

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL 1.
No 1. Oct, 1978
PRICE: 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50 $ IN NON-ARABIC SPEAKING COUNTRIES

بلا قيود

لماذا هذه المجلة...؟

لماذا نطرح امام القارىء العربي مجلة متخصصة تعنى بالتاريخ، عربياً أكان ام عالميا؟..
طرحنا هذا قد يبدو متخلفا عن طروحات الزمن الجاري الذي يرى المتحركون في ساحاته ان المستقبل وحده يستحق الجهد وان علم المستقبلية هو الجدير بالاهتمام.
كم هي خاطئة هذه النظرة الى ما سلف من احداث الماضي.
اذا كان صحيحا - كما يعتّلم بعضهم - ان الانسان كفرد يصنع التاريخ فأن العكس كما يؤكد آخرون - صحيح ايضاً. والاصح ان بين الانسان الفرد وبين البيئة التاريخية تفاعلا يجعل كلا منهما مرتبطا ارتباطا عضويا بمجرى التاريخ، صانعاً ومصنوعاً، منذ الازل والى الابد.
لذلك كان جهل التاريخ ضرباً من ضروب التجاهل للانسان وللجماعة، واسقاطاً لجميع البواعث التي ولدت الحضارات في المكان والزمان ثم جعلت منها تياراً حضارياً شاملا الانسان في جميع مراحل تاريخه حيثما وجد على وجه البسيطة.
فهذه المجلة معنية اذاً باخص خواص الانسان وهي بذلك تسهم بتوفير الوسائل التي تساعد على فهم اعمق لاحداث الماضي العربي ونظرة اشمل واكثر وضوحاً الى احداث المستقبل.

★ ★ ★

التاريخ يكتب بطريقتين: احداهما كناية عن سرد الوقائع ووصف الاحداث سرداً مجرداً عن اي تعليق، او تقويم، او رأي. فيكون ذلك مادة اولية، موضوعية، يترك النظر في عللها ونتائجها للمفكرين الذين يحاولون، بعد زمن يطول او يقصر، ان يسبروا غور البيئة التي وقعت فيها الاحداث، من مختلف النواحي، ليخرجوا بحكم على تصرفات الافراد والشعوب، ثم الافادة من السوابق لاستكناه التطورات المستقبلية. هذه الطريقة السردية هي التي ساد العمل بها في العصور الوسيطة خاصة.
اما الطريقة الاخرى التي كان المؤرخ العربي العظيم، ابن خلدون، رائدها الاول، فهي ما يمارسه المؤرخون المعاصرون: انهم لا يرون في الوقائع الا المظاهر الخارجية للثوابت الفاعلة، الجديرة وحدها بالعناية والتدقيق، وعندهم ان الاحداث الجارية لا تستحق التسجيل الا لأنها تجسد العلل والاسباب وتقدم الامثلة الحسية على الخفي من البواعث الاجتماعية والاقتصادية التي تحرك تاريخ البشر.

★ ★ ★

وقد يكون تعامل المجتمعات القديمة مع الاحداث قريباً من الطريقة المعاصرة اذ ان الوقائع كانت مرتبطة يومئذ، في ضمير الناس واذهانهم بقوى اسطورية تتحكم بتصرفات الانسان وتسيطر على مصيره، ولم يكن ميسوراً الافلات من الاحداث الجارية الا باسترضاء القوى الخفية. وما هذا التعامل مع التاريخ الا طريقة لتفسير ما يجري في الكون يوازي ما يطبقه المؤرخون المعاصرون في الكتابة التاريخية، من حيث ربط الحدث بعلة هي الاساس وهو الشكل: فاساطير الآلهة والخرافات في العالم القديم التي كثيراً ما كانت تتصل بما هو غير مرأي ومحسوس انقلبت في عالمنا الحاضر اسباباً حسية مادية يمكن في نظر الفكر المعاصر معالجتها وتطويرها دون القدرة على التحكم بها.

★ ★ ★

هناك نظرية يطرحها الاستعمار من خلال منطق الاستعلاء باللون او الجنس، تقول ان هناك حضارة عالمية واحدة، وان العرب حلقة من حلقات هذه الحضارة ظهرت على شواطىء البحر الابيض والتي قوامها اليونان والرومان ثم الغرب في العصر الحديث .

والواقع ان الحضارة العربية بالرغم من انها اخذت الخيوط الاولى لما كان معروفا في العالم القديم من علوم فأنها ابدعت حضارة جديدة، لها ذاتيتها الخاصة وطابعها المميز وان العرب قدموا للانسانية مفهوماً جديداً "للتحضر" يختلف عن مفهوم "المدنية" ذي الطابع المادي الصرف المرتبط بالعمارة والصناعة والرياضيات والفلك والجغرافيا.

هذا التميز الخاص بالحضارة العربية يصوره الاستاذ ليوبولد فابس فيقول: "ان الحضارات المختلفة قامت ونشأت رويداً رويداً من تراث الماضي بما حوى من ضروب الرأي وتيارات الفكر التي استغرقت في تبلورها آمادا طويلة من الزمن. وقد انفردت حضارة العرب وحدها بظهورها الى الحياة دون سابق عهد او انتظار وقد جمعت في فجر نشأتها كل المقومات الاساسية لحضارة مكتملة وشاملة. فقامت في مجتمع واضح المعالم له نظرته الخاصة الى الحياة وله نظامه التشريعي الكامل، وله فهمه المحدد لعلاقات الافراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع، ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد زخر بها الماضي ولا وليد تيارات فكرية متوارثة، ولكن هذه الحضارة العربية كانت وليدة احتياجات المواطن العربي تعكس واقعه واحتياجاته وتطلعه نحو مستقبل افضل."

هذا هو "التميز" الواضح الذي يقطع بأن حضارة العرب لم تكن حلقة في حضارة سابقة او لاحقة بل جاءت بمفاهيم جديدة تنبثق من الواقع العربي.

اما الحضارة الغربية التي هي ايضاً حضارة متميزة بخصائصها فقد انحرفت عن طريق اصالتها حينما دخلت مرحلة الازمة مع نفسها ومع بقية الشعوب. ولعل ابرز عناصر هذه الازمة:

اولا: انها جعلت نفسها في خدمة الاستعمار ومن الشعوب مصدراً لثرواتها وسوقا لمنتجاتها وقد جرى ذلك بالعدوان والغزو والسيطرة السياسية والعسكرية.

ثانياً: أنها عزلت نفسها عن المفهوم الانساني الكامل الجامع بين الروح والمادة والارض.

ثالثاً: انها استعلت عنصرياً "صانع الحضارة الذي لا يقهر" وتجاهلت بذلك الدور الذي قامت به بقية الحضارات وفي طليعتها الحضارة العربية.

ويقول "الدوس هكسلي" في هذا المجال: "ان الحضارة الغربية قد دفعت الناس الى التمرد على حياة الروح والاندفاع وراء المادة وقصرت جهودهم على المتع والرغبات واعرضت بهم عن المثل العليا"



واخيراً... اذا طالعتك كلمة "العرب" بخط كوفي عربي قديم على غلاف هذه المجلة: مجلة "تاريخ العرب والعالم" فلأن الصورة التي تنقلها هذه الكلمة الى مخيلتك لن تقتصر على تاريخ الجزيرة موطن العرب الاول، او على مرحلة من مراحل المسيرة العربية العظيمة، بل اكاد اوقن ان الصورة ستضع امامك الشعب العربي ايا كان موطنه من الخليج العربي شرقاً الى المحيط الاطلنطي غرباً، ومن طوروس شمالا الى الهندي وقلب افريقيا جنوباً.

ان هذه المنطقة الشاسعة تضم اكثر من مائة وثلاثين مليوناً.. ورغم بعض الخصائص التي تتمتع بها بعض البلدان العربية فأن العرب يشتركون جميعاً في امرين اساسيين:

اولا: باللسان العربي الواحد وان اختلفت لهجاته اختلافاً قل" او كثر، فلا يرضون بديلا عنه مهما حدث.

ثانياً: بتراث عربي مجيد يؤلف بين قلوبهم ويحفظ ايمانهم وعروبتهم والذي به ينطلقون بثقة وامل وقوة الى المستقبل. ان في راس اهداف هذه المجلة محاولة الكشف بطريقة موضوعية وعلمية عن تاريخ وتراث العرب نتسلح به في نضالنا من اجل استعادة دورنا المجيد في تاريخ الحضارات العالمية..

ان العالم العربي يتعرض في الوقت الحاضر لغزوة فكرية شرسة، لا تستهدف الجيوش والحدود فقط، وانما تستهدف التشكيك بتراثنا العربي، ليكون ذلك التشكيك والهدم، مقدمة لاضعاف مقاومة الشعوب امام الغزو الفكري الجديد..

لذلك، فأن امتنا مدعوة اليوم لبناء نفسها بناء حديثا في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، والطريق الى ذلك هو في تعميق الثقة بالنفس، وابراز الكيان الفكري الذي يعتمد على تراث عربي مجيد. ومجلة "تاريخ العرب والعالم" ما هي الا خطوة متواضعة على هذا الطريق الطويل...

"اسرة التحرير"

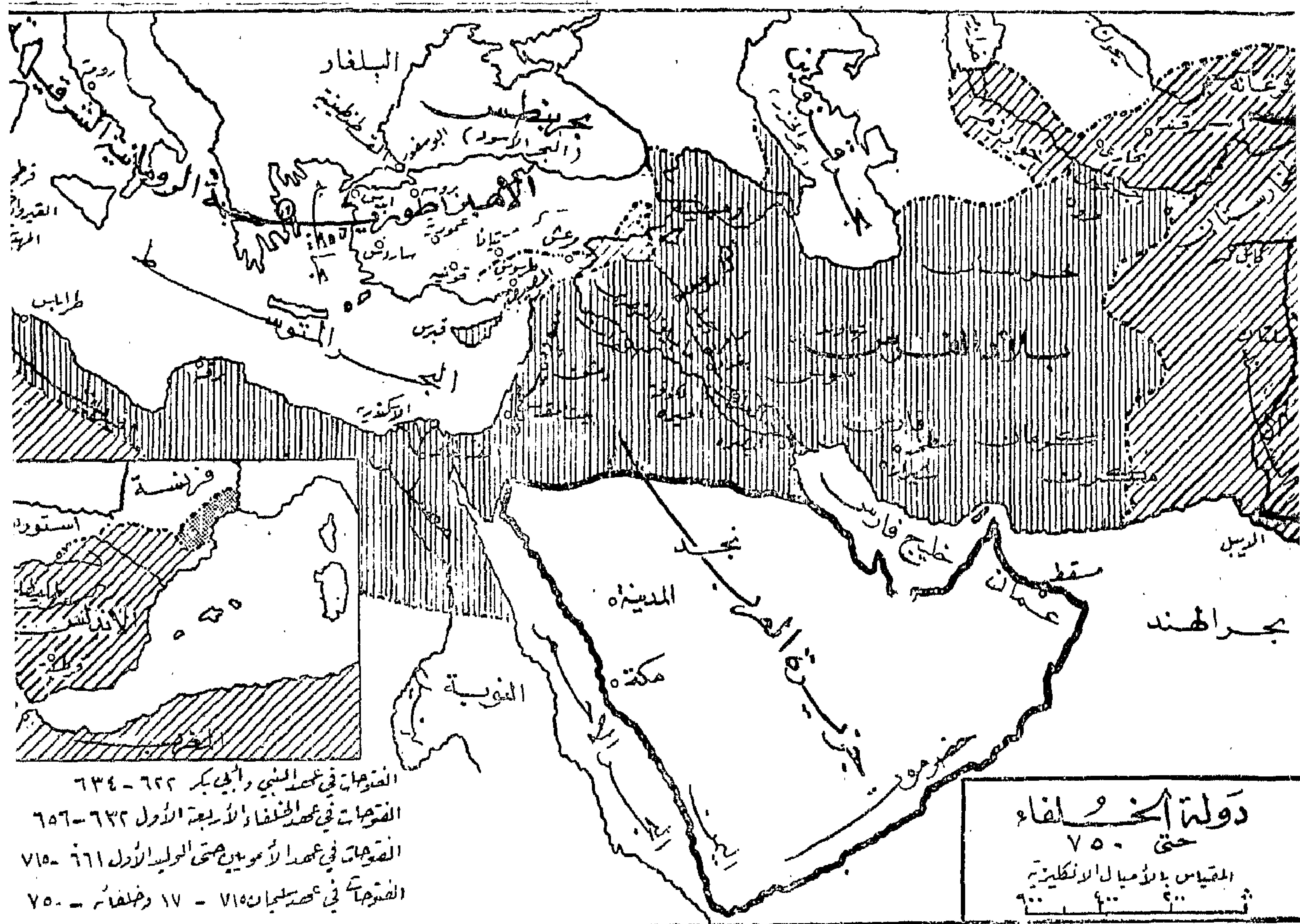
في هذا العدد

□ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.

□ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

□ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

□ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.



نظرة في

تاريخ العرب والعالم

د. قسطنطين زريق

استاذ شرف في التاريخ، الجامعة الاميركية في بيروت؛ تدرج في الجامعة من استاذ مساعد الى استاذ مشارك الى استاذ ممتاز. تولى نيابة رئاسة الجامعة الاميركية في بيروت ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩؛ ورئاستها بالوكالة ١٩٥٤ ـ ٥٧. تولى رئاسة الجامعة السورية ١٩٤٩ ـ ٥٢. تولى رئاسة رابطة الجامعات الدولية ١٩٦٥ ـ ٧٠ وهو الآن رئيس فخري لها. حقق مجلدات من "تاريخ ابن الفرات"؛ وكتاب "تهذيب الاخلاق" لمسكويه ونقله الى الانكليزية.

ومن مؤلفاته: "الوعي القومي"؛ و"معنى المكتبة"
و"اي غد؟" و"هذا العصر المتفجر"؛ و"معنى النكبة مجدداً" و"نحن والتاريخ".

"العالم" في التاريخ

عندما اعلمني رئيس تحرير هذه المجلة الجديدة بعزمه على اصدارها، وشرح لي هدفها ومنهاجها، ذكر في ما ذكر، ان اسمها سيكون: "تاريخ العرب والعالم". وللحال خطر لي ان هذا الاسم بالذات يصلح لان يكون موضوعاً لبضع ملاحظات تتعلق بماضينا وبالماضي الانساني عامة. فهل ثمة تاريخ واحد للعرب وللعالم، أم تاريخان (منفصلان او متصلان)، أم تواريخ متعددة مختلفة؟ ماذا كانت العلاقة بين العرب والعالم في الازمنة السابقة، واستطراداً: ما هي اليوم، وكيف ستتطور في المستقبل القادم؟

لنبدأ بالعالم. ما هو، وما هي حقيقة تاريخه؟ ان الذين يلقون اليوم نظرة شاملة على ميدان الماضي البشري ينقسمون، من حيث اعتبارهم لوحدته، فئتين: فئة ترى فيه تعدداً واختلافاً، وفئة تلقى عناصر وحدة وانسجام وتؤكد عليها. وهاتان النظرتان تبدوان ايضاً عند المؤرخين السابقين. فمن هؤلاء من تناولوا شعوباً او اقطاراً او حضارات معينة، ومنهم من حاولوا كتابة تواريخ بشرية عامة. على اننا نرى ان النظرة التعددية كانت غالبة، وحتى الذين وضعوا تواريخ اعتبروها عامة كانوا في الواقع ذوي نظرة تعددية، او كانت "احديتهم" قائمة على بتر بعض اجزاء التاريخ واخراجها عن نطاقه. وما هذا الا لان "العالم" في الماضي لم يكن في الواقع كياناً موحداً، وبالتالي فان اطلاق هذا اللفظ بصيغة المفرد هو اقرب الى المجاز منه الى الحقيقة.

في عهد الانسان القنصي – في ما يسمى "قبل التاريخ" – كانت ثمة مجتمعات صغيرة عديدة متشابهة، ولكنها مقفلة على ذاتها ومنفصلة جوهرياً بعضاً عن بعض حتى ما كان منها متقارباً متجاوراً. وعندما عمد الناس الى الزراعة وبدأت المجتمعات بالاستقرار، اخذت تظهر القرى ومن بعدها المدن. ومع ان للوعي التاريخي جذوراً تعود الى فجر الانسانية – اذ ان نزعة الانسان التذكرية هي احد مظاهر بروزه كانسان واختلافه عن سائر المخلوقات – فان هذا الوعي لم يتبلور تبلوره الاول الا في المدن. ذلك بأن المدينة، مصرية كانت او بابلية او اغريقية او صينية، كانت اول المجتمعات المنتظمة التي انبثقت فيها بوادر الحضارة. كان لكل مدينة نظام حكمها والهها او آلهتها وشخصيتها وولاء سكانها، وتفاعلها حرباً او سلماً مع المدن الاخرى. وكان العالم المتحضر حينذاك في الواقع عدة عوالم مدينية متقاربة او متباعدة. وهذا الواقع كان طاغياً على النظرة التاريخية في ذلك العهد. ثم قام، في شتى انحاء المعمور الوالجة سبل الحضارة، ملوك وحكام تجاوزوا المدن وبسطوا سلطتهم على اقطار معينة، كما فعل فراعنة مصر وملوك بابل واشور وحكام ميديا وفارس وفيليب المقدوني في اليونان. وصاحب هذا الاتساع في المجتمعات اتساع في النظرة التاريخية، فاذا المؤرخ يتكلم عن المصريين لا عن سكان طيبة فحسب، وعن الاشوريين والفرس واليونان وسواهم. ولكن الواقع ظل ذاته، وهو ان العالم بقي منقسماً وحدات مختلفة، وان تكن هذه الوحدات قد اتسعت واختلفت طبيعتها. واستمر هذا الواقع حتى عندما مضت المجتمعات القديمة في الاتساع، وتكونت الامبراطوريات الرومانية والبيزنطية والساسانية وسواها.

وفي القرون الوسطى سادت الاديان الموحدة في الشرق الاسلامي والغرب المسيحي. والعقيدة الوحدانية تؤدي بطبيعتها الى نظرة تاريخية موحدة. ولكن هذه النظرة كانت بالفعل مزدوجة، لان العالم الذي تشمله كان في الواقع عالمين: عالم المؤمنين المنضوين تحت لواء "الامة الاسلامية" او "الكنيسة المسيحية"، وعالم من كان خارجاً عن هذه او تلك. ولم يهتم المؤرخون بهؤلاء الخارجين الا لاظهار بطلان عقائدهم او تبيان كيفية انضمامهم تلقائياً او ضمهم قسراً الى "مدينة الله". ولم يخرج عن هذه القاعدة المؤرخ والواعظ الشهير جاك بوسييه الذي وضع في القرن السابع عشر كتابه: "خطبة في التاريخ العالمي"، فاننا نجده قد قصر نظرته "العالمية" على المسيحية، فلم يذكر شيئاً عن الشعوب الاسلامية او غيرها من شعوب الشرق، ولم يتناول اليونان وروما الا من حيث كونهما ممهدين لظهور الدعوة التي كان يعتبرها لحمة التاريخ وسداه.

وعندما تضعضعت وحدة الخلافة الاسلامية في الشرق بدأت تظهر تواريخ دول وملوك واقاليم ومدن، كذلك الامر في الغرب عندما برزت مجدداً على مسرحه في عهد التوسع التجاري والنهضة العقلية "المدن الدول" في ايطاليا كفلورنسا وبيزا وجنوى، والمدن التجارية المستقلة او شبه المستقلة في المانيا كهامبورغ وليبك وبرمن، لاتها في فرنسا وغيرها من البلدان الاوروبية. وتلى ذلك قيام الدول القومية ومن بعدها الامبراطوريات الاستعمارية، فامتلأت صفحات التاريخ الحديث باخبار نشوئها وتوسعها وتنافسها وتفاعلها، فاذا هي المحور الاساسي الذي تدور حوله تآليف المؤرخين، واذا الجوانب السياسية والحربية التي اصطخبت بها سير تلك الدول تبرز فيها وتكاد تخفي الجوانب الاخرى.

وقام في القرن الماضي، وفي هذا القرن، من اخذ ينبه الانظار الى ان الدول والامبراطوريات ليست الوحدات التاريخية الحقيقية، وان الاحداث السياسية والحربية التي رافقت ظهورها وامتدادها وتصادمها لاتكون جوهر سيرها. وتحول هؤلاء عن الدول والامبراطوريات الى "الحضارات" معتبرين انها اشمل من الدول واعمق اصالة وان الدول ليست سوى مظاهر لها ونتائج لفعلها. كما اكدوا ان

الجوانب الحضارية من الحياة الماضية هي اشد اهمية وادعى للنظر والتدبر من الجوانب السياسية والحربية. ومع ان جل هؤلاء المؤرخين وغيرهم من رجال الفكر كانوا غربيين، فانهم انتقدوا النظرة الغربية السائدة التي تتركز على الغرب وتتجاهل سواه من الاقاليم والبلدان، وتجعل من تواريخ الشعوب الغربية في مواطنها ومهاجرها تاريخ العالم بأسره، بينما هناك شعوب وحضارات في الشرق الادنى وفي الهند والصين وفي اميركا قبل الفتوح الغربية جديرة بان تنال العناية التي تستحق وبان تدخل نطاق التاريخ فلا تبقى مفصولة عنه او ملقاة على هوامشه.

أخرج من هذا العرض الموجز الى نتيجتين حريتين بالنظر والانتباه: الاولى هي ان النظرة التاريخية التي تبدو في كل عصر من العصور الماضية كانت تعكس الاوضاع والعقائد السائدة فيه وتتطور بتطورها، اما الثانية، وهي المتصلة بموضوعنا مباشرة، فهي ان هذه النظرة كانت في اساسها تعددية، تختلف الوحدات التي ترتكز عليها من عصر الى عصر: من المدن الى الدول القديمة الى الانظمة الدينية الى الدول القومية الحديثة الى الحضارات، او ما سوى ذلك، ولكن مهما تكن الوحدة السائدة في عصر من العصور والغالبة على اهتمام المؤرخين فيه، فانها تبقى ظاهراً او باطناً متعددة. وما ذاك الا لان "العالم" كما قلنا، لم يكن يكون وحدة الا بابسط المعاني (اي بانه يتألف من بشر). اما في الواقع فقد كان مجموعة "عوالم" بدأت منفصلة بعضاً عن بعض ثم اخذت تتواصل، وشرع هذا التواصل يزداد على مرّ العصور الى ان بلغ في هذا العصر درجة قصية من الاتساع والتشابك، بل من الاندماج. وعلى الرغم من امتداد العوالم البشرية المعاصرة وتناقصها ــ بفعل القوى الباعثة على التشابك والاندماج ــ فلا تزال لكل منها شخصيته ووحدته، ولم تؤلف بعد عالماً واحداً موحداً حقاً، وبالتالي لم تتكون بعد نظرة تاريخية احدية جديرة بهذا الوصف.

نظريات المؤرخين

على ان بعض الباحثين يرون ان العالم الانساني في الماضي والحاضر يتضمن، على تعدد وحداته واختلافها، عناصر متماثلة يصح ان تتخذ اساساً لنظرة تاريخية احدية. ومن هذه العناصر التي يستندون اليها الامور التالية:

(١) ان الجماعات والشعوب، وان اختلفت اجناسها واصقاعها ولغاتها وسيرها، تشترك في ما بينها بوحدة ارومتها الانسانية، وبالصفات والنزعات الاصيلة التي تحركها في مجابهة بيئاتها الطبيعية وفي تنظيم شؤونها وفي تعاملها بعضها وبعض. وهكذا نرى مؤرخاً كارنولد توينبي يجد في دراسته للحضارات البشرية تماثلات جوهرية في اسباب نشوئها ونموها وتضعضعها وانحلالها، وفي اشكال الادوار التي تجوزها، ويستخرج "قوانين" لهذه التطورات ولتقلبات التاريخ، كما فعل ابن خلدون من قبل. فكأن هذه "القوانين" هي التي ترسم هيكلية التاريخ، وكأن هذه الهيكلية هي الرابطة التي توحده.

(٢) ومن المؤرخين ــ وجلهم تفاؤليون يأخذون بمذهب التطور التقدمي ــ من يرون في صلب التاريخ خطاً اساسياً يوحد اجزاءه ويسير به من مرحلة الى اخرى. وهم يختلفون في طبيعة هذا الخط، فمنهم من يجده، كاوغست كونت، في تطور العقلية الانسانية في نظرتها للاشياء وفي تصورها للوجود. ومنهم، كهيغل، من يؤكد تقدم الانسان في وعيه لذاته وادراكه لكُنْه حريته، وفي كون كل حضارة من الحضارات تمثل مرحلة من مراحل تطور هذا الوعي واتساعه وارتقائه. ومنهم، كماركس، من يقف اولا عند فعل العوامل الاقتصادية وما تؤدي اليه من تصارع الطبقات الذي سينتهي حتماً بازالة الانقسام الطبقي وبانهاء تحكم الانسان بالانسان. كل خط من هذه الخطوط او غيرها يصلح في نظر اصحابه لان يكون الرابطة التي توحد التاريخ ولان تبرز بالتالي وحدة العالم البشري على اختلاف مظاهره وتعدد خبراته. ومهما تكن طبيعة هذا الخط، فانه يبدو، لدى النظر الممعن، انه يتكون ويتقدم بفعل الابداع الانساني. ولقد يختلف المحللون والمعللون في نوع الابداع الذي يركزون عليه: كالابداع العقلي في التصور والادراك، او الابداع في مجابهة الطبيعة واستثمار مواردها والسيطرة على عوائقها ونوازلها، او الابداع في سلوك سبل التحرر والانتظام وفي تحقيق العدالة والمساواة، او غير هذا وذاك وذلك. ولكن الخط الذي يرسمونه يظل، بحكم تقدميته، موسوماً بهذه السمة الاساسية على اختلاف اشكالها والوانها.

(٣) ومهما يكن من امر، فثمة ظاهرة لا جدال فيها، وقد اشرنا اليها في ما سبق، وهي ازدياد التواصل والتفاعل بين وحدات التاريخ: دولا كانت او شعوباً او حضارات. فلقد بدأت هذه الوحدات، كما قلنا، بأن كانت مقفلة على ذاتها منفصلة بعضها عن بعض، ثم ما لبثت ان اخذت تتواصل وتتفاعل تواصلا وتفاعلا متسعين متواثقين، عبر الفجوات والانتكاسات التي سببتها الحروب او غيرها من الاسباب المفرقة او المباعدة. ولهذه الظاهرة اهميتها من وجهتين: اولاهما انها تمثل خطا مستمراً في مسار التاريخ يضيء على الاقل وجهاً هاماً من وجوهه، والثانية انها تدل على القوى والعوامل الفاعلة في وصل العوالم البشرية بعض ببعض وتوجيهها في سبل التقارب والتشابك، وايقاظ وعيها لضرورة الاندماج والانصهار لتكون اخيراً عالماً موحداً حقاً.

من هذه الاعتبارات التي ذكرنا يمكننا ان نستخرج معيارين لتقييم كل عالم من العوالم التي ظهرت في ساحة التاريخ ولتبيان مكانته واثره. المعيار الاول هو ما ولد من ابداع في الحقول

المختلفة، سواء في تطوير الفعل العقلاني او في استكشاف اسرار الطبيعة لتوطيد امن الانسان وانعاش ازدهاره، او في تنظيم الحياة البشرية، او في بعث قوى التحرر في الافراد والمجتمعات، او في نشر الاخوة والعدالة والمساواة، او في اي وجهآخر من وجوه ترقية الانسان واسعاده. اما المعيار الثاني فهو ما عزز به حركة التواصل والتفاعل بين الشعوب والحضارات. فاذا كان الرقي الانساني لا يتم فعلا الا بقدر ما يحقق الانسان انسانيته، ويعي الرابطة الاصيلة التي تربطه بأخيه الانسان، ويقدم هذه الاخوة على اي اعتبار آخر، فان اي جهد يبذله مجتمع من المجتمعات، او اي اثر يكون له، فيتقارب الشعوب وتعارفها وتفاعلها الايجابي انما هو اسهام في بناء الحضارة وفي اثراء الحياة.

"موقع" تاريخ العرب

لنلتفت الان الى العرب. أين يقع تاريخهم من تاريخ العالم؟ انه يشكل احدى الوحدات التي يتألف منها هذا التاريخ. وقد كان لهذه الوحدة فعلها وعطاؤها في بعض الادوار، وركودها وغيابها في ادوار اخرى. واذا اتخذنا المعيارين اللذين ذكرناهما دليلا لنا، تجلت لنا الخطوط التالية للصورة التي نتوخاها:

(١) في اقدم الازمنة، لا بد انه كان للعرب وللشعوب السامية الشقيقة قبل خروجها من الجزيرة العربية يد في انتقال الحياة في الجزيرة من البدائية الصرف الى بوادر الحضارة الاولى. ولولا هذا التطور الاولي الذي يتضمن في طياته بعض القدرات الابداعية لما استطاع العرب في ما بعد ان يقيموا حضارة سبأ وحمير وسواهما من مراكز العمران في الجزيرة، ولما تهيأ للشعوب السامية، بعد خروجها من الجزيرة الى وادي النيل والى الهلال الخصيب، ان تسهم في انشاء الحضارات المصرية والبابلية والفينيقية والآرامية والعبرية التي جعلت من الشرق الادنى المركز الحضاري المتميز في العصور الاولى. ومن هذا المركز انطلقت، كما نعلم، طلائع العمران والثقافة وانتشرت غرباً وشرقاً، وكان لها ما كان من اثر فعال في قيام الحضارات التي تلتها في الغرب بخاصة، على ان البوادر الحضارية الاولى في الجزيرة العربية، التي سبقت الانجازات السامية الرائدة وامدتها، لا تزال مغمورة في غياهب التاريخ القصي، وان يكن يمكن خمنها وتصورها والاستدلال عليها من نتائجها.

(٢) واذا خرجنا من هذه الغياهب الى فجر التاريخ العربي، الذي اخذت تضيئه الدراسات الحديثة، الاثرية وسواها، فانا نرى في الجزيرة العربية - فيجنوبها اولا ثم في شمالها وغربها - مراكز حضاريةنشأتوازدهرت بسببوقوعها على طرق التجارة الرئيسية في ذلك العهد، وهي الطرق البرية والبحرية الواصلة بين الصينوالهند وفارس من جهةوبلاد البحر الابيض المتوسط من جهة اخرى. وشارك العرب القدماء مشاركة بارزة في هذهالحركة التجارية الواسعة النطاق عبر بلادهم وبازاء سواحلها. ومن المعروف ان حركة التجارةلا تنقل البضائع والسلع المادية فحسب، بل تحمل معها ايضاً آثاراً حضارية غير مادية تتبادلها الشعوب. ومن هنا، فان الدور المهم الذي قام به عرب الجزيرة قبل ظهور الاسلام، كان في مجال تعزيز الاتصالبين الشعوب والحضارات في منطقة من اهم مناطق المعمور - ان لم نقل المنطقة المحورية - في ذلك العهد. ومن هنا ايضاً يبدو ان النظرة التقليديةالتي تجعل الجزيرة العربية في الجاهلية معزولة عن العوالمالاخرى وغارقةفي دياجيرالظلام هي نظرة تنافي الحقيقة، اذ ان العرب القدماء اتصلوا ووصلوا واخذوا واعطوا، فكان لهم نصيب وافر من الانجاز الانساني المتنامي في الربط بين الحضارات - ذلك الانجاز الذي تعاقبتعلى تكوينه وانمائه شعوب مختلفة على مر" العصور، والذي امتد دور العرب فيه على ما يقارب الالفين من السنين من قيام اولى دولهم "معين" الى مجيء الاسلام.

(٣) وجاء الاسلام فكان، من وجوه عدة، مظهراً لابداعية العرب، سواء في التمخض الروحي الذيمهد له،و في القيم الفردية والاجتماعية التي حملها، اوفي الايمان الذي بعثهفي النفوس والذي اطلق العرب من بلادهم لينتشروا في الارض شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً، وليأتوا بحضارة تميزت بعطائها خلال العصور الوسيطة، وليبثوا - هم وغيرهم من الشعوب الاسلامية - دينهم الوحداني الى ابعد مماوصلت اليه فتوحاتهم بحيث غدا يدين به حوالي ١/٧ سكان المعمور.

(٤) وتلى مجيء الاسلام تكو"ن الحضارة العربية الاسلاميةوازدهارها. وتميزت هذه الحضارة تميزاً باهراً بالمقياسين اللذين اشرنا اليهما: بانجازاتها الابداعية في حقول الادب والعلم والعمران والفن، وبما احدثت وعززت من تواصل بين الشعوب والتراثات الحضارية التي ضمتها. فقلما عرف التاريخ حضارة تمازجت فيها اجناس وشعوب وتراثات قدر ما حصل في الحضارة العربية الاسلامية. لقد التقت وتفاعلت في نطاقها العناصر البشرية والحضارية السامية والفارسية واليونانية والهندية والصينية وسواها. وكان لانفتاح هذه الحضارة في دور زهوها - هذا الانفتاح الذي كان لمؤسسي الدولة من العرب فضل كبير في اطلاقه - فعله في بث التواصل وانماء التفاعل، كما كان له اثره ايضاً في ما ولدته هذه الحضارة من ابداع.

(٥) وحدث للحضارة العربية الاسلامية ما حدث لغيرها من الحضارات، فركدت بعد نشاط، وذبلت بعد زهاء، وقل عطاؤها، بل اندثر، فغابت عن العالم. ذلك بأن الوجود الفعلي للشعوب والحضارات انما يكون بالابداع والعطاء. وانتقل



قبة الصخرة في بيت المقدس، من اروع الابداعات العربية

هذا الوجود الى عربي اوروبا التي غدت، من مطلع العصور الحديثة والى اوائل هذا القرن، المنطقة المحورية في العالم. واما الشعوب العربية، فقد انقلب وجودها وجوداً انفعالياً، اي انها اصبحت هدفاً لاطماع الدول الجديدة المتطورة بفعل حركية الحضارة الحديثة وتوسعيتها، ودخلت مع غيرها من الشعوب غير الغربية في نطاق العالم المستعمَر. وتحول "العالم" في القرن التاسع عشر الى عالمين: عالم الدول الغربية المصنعة المتسابقة الى المناطق المتخلفة المتنافسة على تركيز نفوذها فيها والاستيلاء على مواردها واسواقها والتحكم بها بشكل او بآخر من اشكال الاستعمار، والعالم الاوسع مدى والاقل فاعلية الذي يضم هذه المناطق. .

(٢) وبدأ العرب يدخلون العصر الحديث منذ منتصف القرن الماضي. ولم يقتصر هذا التطور عليهم، بل تناول غيرهم من الشعوب المتخلفة المستعمَرة، التي اخذت تكوّن اليوم ما يعرف بـ"العالم الثالث"، تمييزاً عن العالم الغربي (ومعه اليابان) والعالم السوفييتي الشيوعي. ولكن ما لبث ان ظهر للعيان ان هذين العالمين — على اختلاف نظمهما السياسية والاجتماعية — يتماثلان في قدرتهما العلمية والصناعية والعسكرية وفي نموهما الاقتصادي، وان الفارق الاساسي هو بين عالمهما المشترك: عالم "الشمال" المتصنع القادر المتقدم في مجالات النمو، وعالم "الجنوب" الذي ما زال متخلفاً عاجزاً.

أي دور سيلعبه العرب؟

ماذا نستنتج من هذه اللمحة الخاطفة لماضي العرب والعالم، وحاضرهما؟ وماذا تلقي هذه اللمحة من اضواء، او بالاحرى ماذا تثير من تساؤلات، حول المستقبل؟ هناك، على الاقل، تساؤلان اساسيان:

الاول يتعلق بالعرب. لقد رأينا انه كان لهم اثرهم الفعلي، في قديم العصور ووسيطها، في حركة التواصل بين الشعوب وفي الانجاز الحضاري. وقد تميز هذا الفعل بخاصة في الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن الثالث عشر او الرابع عشر للميلاد والتي زهت فيها حضارتهم واغتنى عطاؤهم واغنى، ثم غابوا عن العالم الفاعل. فالتحدي المستقبلي الذي يجابههم الآن هو: هل يظلون غائبين، ام يستعيدون حضورهم؟ قد يقول الكثيرون ان العرب حاضرون، تملأ اخبارهم صحف العالم وتتردد اصداؤها في مختلف الاصقاع. ولكن للحضور اشكالا والوانا، تتراوح بين السلبية الانفعالية والايجابية الفعلية. فقد يكون العرب حاضرين ومالئين اسماع الدنيا بمشكلاتهم وخلافاتهم ومنازعاتهم، وقد يكونون حاضرين بوفرة اعدادهم وامتدادهم على منطقة من اهم المناطق الاستراتيجية في العالم وقد يكونون حاضرين بامتلاكهم الموارد النفطية الوافرة وهي اليوم عصب الصناعة الحديثة بل الحياة الحديثة بمجموعها. ولكن اشكال الحضور هذه وما يماثلها، لا تكوّن حضوراً حقيقياً ينطوي على فعل ايجابي، فهي لا تنقل العرب من "العالم الثالث" او عالم "الجنوب" المتخلف الى عالم القدرة والتطور، بل تبقيهم منفعلين ومسودين، تبقيهم كـ"مشكلة"

للقوى العالمية القادرة: تبقيهم كمجتذب اطماع ومحط تنافس: تبقيهم اتباعاً لتلك القوى تحركهم الى هنا وهناك وتتلاعب بمصائرهم.

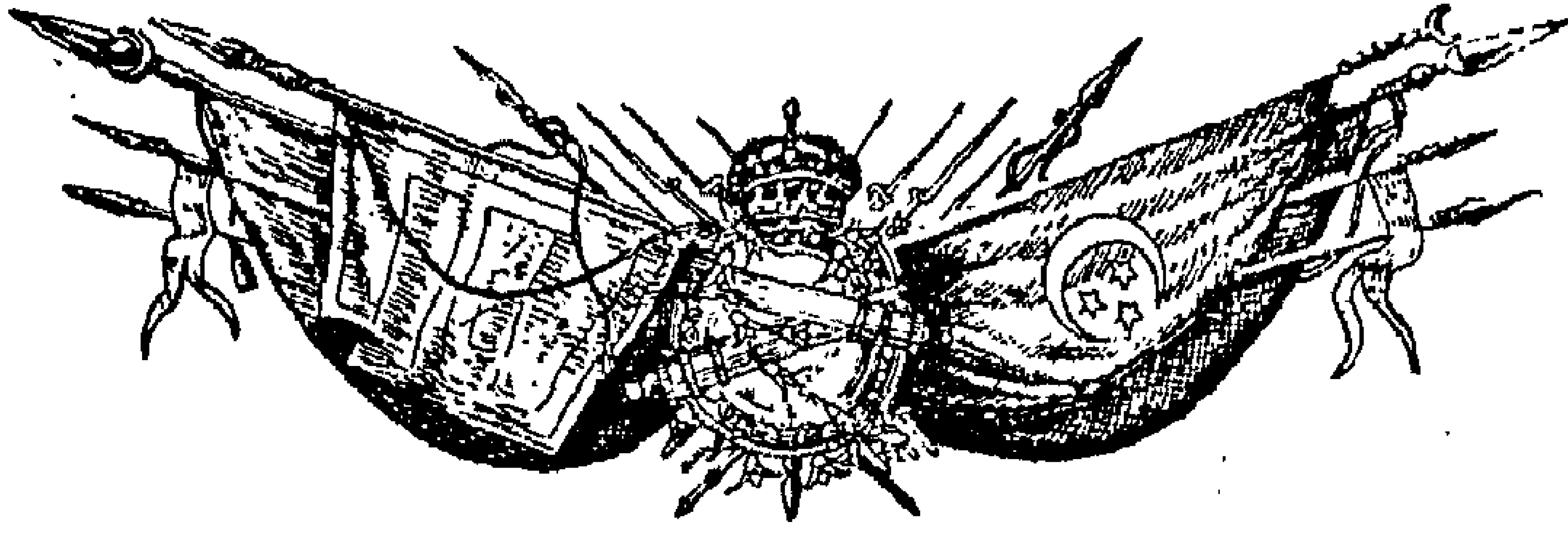
ان الحضور الفعلي الايجابي هو الآن ـ كما كان دوماً على مدى التاريخ ـ حضور القدرة: القدرة الذاتية التي تؤهل الشعوب لصد الاخطار واستثمار الموارد الطبيعية وتنظيم الحياةوالتحكم بالمصير. والمصدر الاساسي لهذه القدرة هو العقل: العقل المتفتح المتطور، المقدم على كشف اسرار الطبيعة والحياة: والعامل في معالجة المشكلات الانسانية باساليب العلم الصحيح. ولعل من اشد الاوهام خطراً في هذه الايام، الوهم الذي يوحد بين العلم والتكنولوجيا،والذي يقصر التكنولوجيا على مظاهرها، فيدفع بالشعوب المتخلفة ـ بضغوط سافرة وخفية من الدول المتقدمة صناعياً ومن مؤسساتها المتفشية ـ الى الاقبال على شراء الادوات واستعارة الاساليب الفنية والصناعية البالغة التطور واستقدام الخبراء بدون حذر او تنظيم، توهماً منها ان هذا هو الطريق للعبور من التخلف الى التقدم. والواقع ان هذا الاقبال المنفلت على المظاهر التكنولوجية يؤدي الى عكس المرتجى: اي الى امعان الشعوب في تخلفها، باهدار مواردها، وتحويل انظارها عن الحاجات الجوهرية الصعبة المنال الى الاعراض الخارجية السهلة والمغرية.

وفي مقدمة الحاجات الجوهرية التجهيز بالعلم. والعلم اسلوب في التفكير ونهج في التصرف، يتمثل في الحياة الفردية والجماعية بمختلف وجوههما. وما التكنولوجيا الا وجه من وجوهه ونتيجة من نتائجه. وهي لا تحصل الا بقدر ما يحصل هو اولا. هذا هو للعرب، ولغيرهم من الشعوب المتخلفة: سبيل تكوين القدرة التي بها يكون الحضور الفعلي في الساحة العالمية. فهل سيستخدم العرب مواردهم الطبيعية الهائلة التي يتفردون بها عن غالب الشعوب المتخلفة ليكونوا لانفسهم هذه القدرة، ويحققوا هذا النوع من الحضور، ام ستكون هذه الموارد ـ على العكس ـ مبعث اخطار جديدة لهم، خارجية وداخلية، وعائقاً من عوائق تقدمهم، يحولهم عن الاختيارات الصحيحة والمطالب الاصيلة التي تجعل لهم كياناً "عالمياً" بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة؟ هذا هو السؤال الاساسي والتحدي الكبير الذي يجابه العرب في حاضرهم ومستقبلهم القريب.

(٢) أما السؤال الاساسي الثاني فيتعلق بالعالم، وبخاصة بالقوى القادرة المتسلطة فيه. لقد رأينا ان العالم كان في مجمل تاريخه وحتى زمننا هذا مجموعة عوالم. غير ان التطور العلمي الذي اخذ يتسارع في الآونة الاخيرة تسارعاً مدهشاً، قد ربط الشعوب بعضها ببعض بروابط محكمة واوثق الصلات بينها علىمختلف الجبهات. فلم يعد ممكناً لأي شعب او أي مجتمع ان يعيش معزولا عن سواه او منفصلا عنه. وغدت كل قضية من القضايا الهامة قضية عالمية. على مدى التاريخ حتى هذا القرن، كانت الحروب تنشب فيمنطقة او مناطق من العالم، فلا تؤثر في المناطق الاخرى او اذا اثرت فبقدر محدود. اما في هذا القرن فقد اندلعت حرب ايقن الناس انها تختلف عن سابقاتها بانها اول حرب "عالمية"، وتلتها الحرب العالمية الثانية فكانت اعم نطاقاً واكثر هولا. واذا نشبت، لا سمح الله، الثالثة، فانها ستفوقهما سعة ونفاذاً، وقتلا وتدميراً. حتى لو لم تندلع الحرب، فان تسلح الدول المتصاعد سنة عن سنة يحدث آثاراً اقتصادية واجتماعية ونفسية لا يقف عند حدود الدول المفردة، بل يلف نطاق العالم اجمع. ومثل قضايا الحرب والتسلح، قضايا الغذاء والمرض والجهل والتخلف وتناقص الموارد الطبيعية وافساد البيئة، وقضايا الاستعمار والتحرر، والصراع بين الطبقات والتناحر على المذاهب والمعتقدات، كل قضية من هذه القضايا غدت قضية "عالمية" لا تقتصر على شعب ولا تقف عند حدود بلد، بل تشمل جميع الشعوب والبلدان، لما عقدته الحضارة الحديثة من اسباب التواصل والتشابك والمصير المشترك بين اطراف العالم قاطبة.

للمرة الاولى في التاريخ البشري المديد تتوفر امكانات توحد العالم، بدلا من توزعه الى عوالم. لكن الحقيقة المؤلمة هي انه بقدر ما تتوفر هذه الامكانات، تحتدمايضاً عواملالانقسام والتناحر بين البشر. وفي هذه الحقيقة المؤلمة تكمن الازمة الاساسية للحضارة الانسانية. ان العالم قد توحد تكنولوجيا وظاهريا. فاينما تكن تستطع ان تتصل بمن تشاء في ادنىالارض واقصاها، واحداث اي بلد تتجاوب اصداؤها في البلدان الاخرى. والشعوب سائرة في سبل التماثل في مآكلها ومشاربها ومساكنها ووسائل انتقالها، وغير ذلك من اساليب عيشها، ولكنها لاتزال متباعدة متنافرة في اهدافها وتوازعها وايديولوجياتها ومطامعها. ومن هنا كانت خطورة تصاعد الامكانات: امكانات التقاربوالتوحد، وامكانات التباعد والتنافر والتناحر. فأيتهما ستتغلب على الاخرى؟ على نوع الاجابة على هذا السؤال ـ التحدي، يتوقف مستقبل الحضارة الانسانية، بل الوجودالبشري ذاته. ذلك بأن القدرة التي كوّنها الانسان المعاصر لذاته قد بلغت من الحجم والخطورة حداً يختلف جذرياً عما كان عليهالامر في الماضي. وهي قدرة قد تستخدم للبناء والتجديد، او للهدمالتبديد.

ان اهمية الماضي لا تنحصر فيه فحسب، وانما تتعداه لتلقي اضواء على الحاضر والمستقبل. فأي دور سيلعبه العرب في العالم المقبل، واي شكل سيتخذه هذا العالم؟ ان هذين السؤالين مترابطان ترابطاً عضوياً، وجميع الجهود المنصبة على تاريخ العرب والعالم يجب ان نبقيهما قبلة النظر كي يسهم ادراك هذا التاريخ في تأهيل العرب والانسانية عامة لتجاوز ما كان وما هو كائن الى ما يجب ان يكون.



محمد علي
رائد التجديد في العالم العربي

د. محمود زايد

المؤرخون ومحمد علي

ربما كان محمد علي باشا (١٧٦٩ ـ ١٨٤٩) هو الحاكم الوحيد من حكام المشرق العربي الذي نال اعترافاً واسعاً بعظمته في الشرق والغرب فقد ذهب معاصره إلفرنسي مانجان الى القول انه "الرجل الذي رفعته العناية الالهية فوق اقدار الرجال". وذهب جان لاكوتير الى القول ايضاً ان وصول سفن محمد علي باشا الى ميناء نافارينو وظهور ابنه ابراهيم في طوروس بآسيا الصغرى كان لهما معنى عميق. "فقد اظهرا ان مصر لم تكد تطل برأسها من وكرها حتى أخذت فجأة تلعب دوراً خطيراً في مداولات الدول العظمى... وقبل أن تنقضي

اربعون سنة على بونابرت، اي على وصول الحملة الفرنسية الى مصر حتى صارت مصر تقف على قدم المساواة مع انجلترا وروسيا والباب العالي. ويقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي:

"لا جدال في أن محمد علي قد سما بأعماله إلى مصاف عظماء الرجال الرجال. وتتمثل لك عظمته من كونه نشأ نشأة متواضعة وتدرج من جندي بسيط إلى أن ارتقى عرش مصر، فأسس ملكاً عريضاً، وغالب دولا كباراً، وأنشأ دولة عظيمة وحكومة ثابتة وطبيعية، وبعث حضارة زاهرة، وانبت ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم والعرفان. فالرجل الذي ينشىء كل ذلك، وكان لم يتلق تعليماً عالياً ولا اولياً، لا بد أن يعد بحق من عظماء الرجال".

ولكن مما يذكر أن محمد علي لم يلق بعد شيئاً من التقدير والتكريم اللذين يلقاهما من هم أقل منه شأناً بكثير وما تفسير هذا بعسير. فمحمد علي تركي ومنشىء سلالة حاكمة اقترن اسمها بعده بالاستبداد والفساد وسلخ المصريون اكثر من ثلاثة ارباع القرن وهم يحاولون التخلص منها. وكان من الطبيعي أن لا يذكر أحد على أثر قيام الثورة المصرية بأسقاطها سوى معايبها. هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى فإن محمد علي ـ كباقي العظماء ـ ليس فوق مستوى النقد في جميع تصرفاته!

■ د. محمود زايد: استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة الاميركية ببيروت، دكتوراه من جامعة ييل، كما علم في جامعة ييل وتكساس.

رجل أحداث
أم صانع تاريخ

من أي نوع من العظماء كان محمد علي؟ يقسم سيدني هوك عظماء التاريخ وأبطاله الى فئتين: فئة رجال الأحداث وفئة صانعي التاريخ. ويرى أن كليهما يوجه الأحداث وجهة ما كانت لتأخذها لولا تدخله. لكن في حين أن رجل الأحداث قد يكون انساناً عادياً في مواهبه وملكاته وأنه يتدخل في أحداث ليست من صنعه؛ وان تدخله قد لا يعدو أن يكون صدفة وعلى شكل قرار او مرسوم فإن صانع التاريخ يتميز بملكات وطاقات غير عادية ويخلق الظروف التي تمكنه من الوصول إلى غايته.

في ضوء هذا ، نجد محمد علي صانعاً للتاريخ مثل معاصره نابليون! لقد ظهر كل منهما عند منعطف من تاريخ بلاده فاستغل مواهبه في سبيل السيطرة على مجرى الأحداث وتوجيهها الوجهة التي أرادها.

ولد محمد علي باشا في قوله بمقدونيا عام ١٧٦٩ وهو العام الذي ولد فيه نابليون ودوق ولنجتون؛ بطل ووترلو؛ وكان واحداً من سبعة عشر ولداً لأبيه لم يعش منهم غيره. وتوفي ابوه وهو صغير فكفله عمه؛ فلما توفي هذا كفله حاكم قولة. وانتظم في سلك الجندية ثم عمل بالتجارة قبل أن ينضم إلى كتيبة من ثلاثمئة جندي توجهت عام ١٨٠١ إلى مصر للاشتراك في الحملة العثمانية لاخراج الفرنسيين منها. وبفضل مواهبه وشجاعته استطاع قبل مضي بضعة أشهر أن يظفر برتبة لواء.

وقد نجح الاتراك بمساعدة الانجليز في حمل الفرنسيين على الجلاء عن مصر. وكانت مصر حتى استيلاء الفرنسيين عليها في عام ١٧٩٨ ولاية تركية يحكمها وال يعينه السلطان العثماني. لكن السلطة الفعلية فيها كانت قبل ذلك بزمن طويل قد صارت بيد المماليك. أما وقد جلا الفرنسيون عنها فقد تطلع الاتراك إلى بسط سلطانهم عليها مرة ثانية وإلى حكمها هذه المرة حكماً مباشراً. أما الانجليز الذين نبهتهم الحملة الفرنسية إلى أهمية مصر الاستراتيجية فقد ألقوا بثقلهم الى جانب الاتراك وأخرجوا الفرنسيين منها؛ ومن ثم؛ حرصوا على أن لا تقوم فيها قوة من شأنها أن تهدد المصالح البريطانية وبخاصة طريق بريطانيا إلى الهند.

دور يبحث عن بطل

لقد ترك جلاء الفرنسيين عن مصر فراغاً لم يكن في مقدور أي من الطامحين الى الحكم أن يملأه. فكل من فريقي الصراع الرئيسيين وهما الاتراك والمماليك انقسم على نفسه وكان المصريون



▲ محمد علي باشا مع السفراء الاجانب (للفنان روبرتس)



■ محمد علي باشا.. والصناعة الحربية (صورة فرنسية)

يكرهون الفريقين لأن أياً من المتنازعين لم يكن يكترث لمصالحهم. وعليه فقد رأى محمد علي بثاقب نظره أن هناك دوراً ينتظر بطلا، وأنه من الممكن لصاحب المواهب أن يقوم بالدور إذا هو تحالف مع قوة لم يكن جرى الاعتراف بها حتى ذلك الوقت وهي الشعب. وصمم محمد علي أن يكون ذلك البطل. فضرب الفرقاء المتنازعين أحدهم بالآخر وتحالف مع القوة الجديدة وهي القوة الشعبية، فاختاره زعماؤها عام ١٨٠٥ والياً عليهم، ولم يسع السلطان العثماني إلا أن يستجيب لارادتهم!

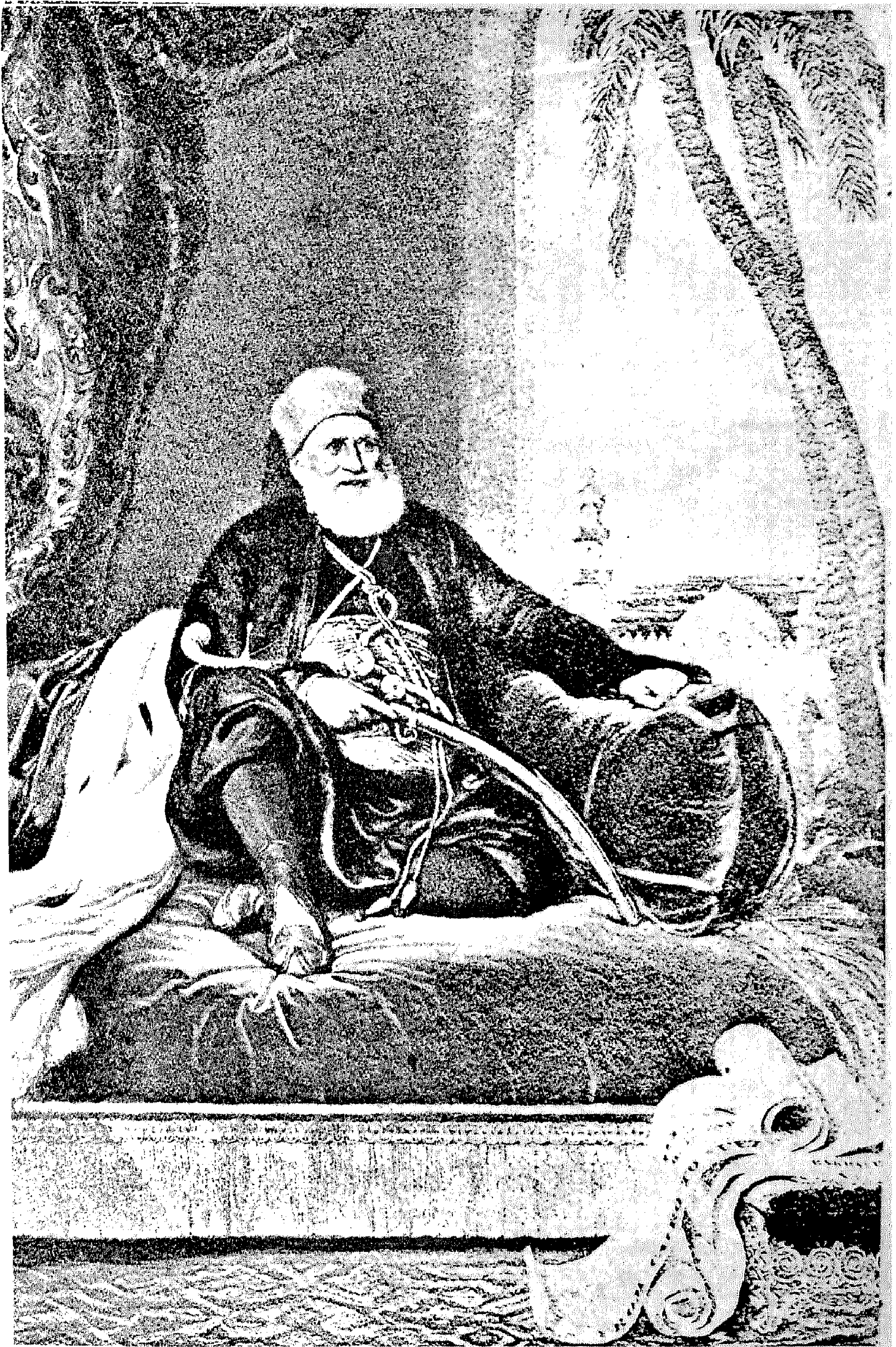
هكذا تمكن محمد علي أن يصبح والياً على مصر. ولكن طريقه الى التمكين لنفسه في منصبه لم يكن مفروشاً بالورود. فقد كانت تتهدده مؤامرات المماليك والأتراك في الداخل ودسائس انجلترا وتقلب تركيا في الخارج. لكنه استطاع بشجاعته ودهائه أن يتغلب عليها جميعاً. فقد استطاع أن يهزم حملة الجنرال فريزر التي جردتها انجلترا على مصر عام ١٨٠٧ لضرب تركيا فيها، لكنه في الوقت نفسه حفظ خط الرجعة مع بريطانيا بمعاملته الطيبة للاسرى البريطانيين وتسليمهم. وحاول إرضاء السلطان بتجريد الحملات على خصومه في بلاد العرب واليونان. وقضى على المماليك عام ١٨١١ بأن دبر لهم مذبحة القلعة! وبذلك تخلص من أعظم الأخطار الداخلية والخارجية.

لماذا السلطة؟

لو اكتفى محمد علي باشا بانجازاته حتى ذلك التاريخ (١٨١١) وتربع مطمئناً على عرش مصر وأخذ يقطف ثمار انتصاراته لما اختلف كثيراً عن غيره من الولاة الذين لم يكونوا يرون في السلطة الا سبيلا للمال والنفوذ، لكنه كان من أصحاب الأحلام العريضة والرؤى الصادقة، فلم ير في السلطة إلا سبيلا إلى خلق دولة حديثة مستقلة . وفي هذا يقول الأستاذ فؤاد شكري:

> "كان الوالي العظيم من أولئك الذين اصطلح المؤرخون على وصفهم بالحكام المستنيرين الذين يأخذون على عواتقهم الاضطلاع بأعباء الحكم وتبعاته لا حباً في اشباع غريزة السيطرة... بل رغبة في الاشراف الجدي على كل ما له مساس بحياة الأفراد من قريب أو بعيد حتى يمكن توجيههم إلى ما فيه إعلاء شأن الدولة".

على أن الطريق إلى الدولة الحديثة لم يكن هو أيضاً مفروشاً بالورود. لقد استطاع أن ينشىء حكومة مركزية تخضع فيها المجالس العليا واهمها المجلس العالي والديوان الخديوي وإدارات (وزارات) الدولة لسلطته في



■ محمد علي باشا

وقت قصير، لكن مسألة خلق دولة حديثة من ولاية فقيرة كمصر لم يكن ليتم بمثل ذلك التيسر، لقد كانت مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن الذي يليه، كما يقول الاستاذ شكري، "أسوأ الممتلكات العثمانية حالا باستثناء العراق". فثلث الأراضي الزراعية في الوجه البحري كان قد طغت عليه الرمال فأصبح غير صالح للزراعة، وزاد الحالة سوءاً ارهاق الفلاحين بمختلف أنواع الضرائب الأمر الذي كان يدفعهم دائماً الى الفرار او الهجرة من قراهم. وبلغ الوضع في مقاطعة الفيوم التي اشتهرت بخصب أرضها من السوء بحيث أقفرت معه من سكانها.

ومن أعظم الصعوبات التي كانت تعترض طريق النهوض بمصر موقف سكانها التقليدي من الدولة، وهو موقف يشوبه العداء الشديد بسبب ما كان لحق بهم من ظلم في ظل الحكومات التي تعاقبت عليهم. فكان الفلاح:

"يعرف كما يعرف أهل البلاد جميعاً أن الظلم أمر عادي، وأن العدالة رهن بما يقدم في سبيلها من رشوة. وقد نجم عن ذلك كله أن صار المصريون لا يعبأون بنوع الحكومة التي تتولى شؤونهم ولا يضيرهم أن يعزل أحد الولاة أو يصل أحد البكوات إلى مرتبة "المشيخة" ولا يسرهم أن يجيء وال جديد أو أن ينتزع المشيخة بيك آخر".

ولا عجب إذن أن خداع الدولة وتعطيل أوامرها والمماطلة في دفع الضرائب لها صار من دواعي الفخر عند عامة المصريين.

ومن العقبات الأخرى التي كانت تعترض طريق الاصلاح معارضة العناصر التركية التي كان افرادها قد اعتبروا استغلال الفلاح وغيره من المصريين امراً طبيعياً. ويذكر جسكيه الذي زار مصر في تلك الفترة أنهم كانوا يلجأون الى كل حيلة لتعطيل أوامر محمد علي وتعليماته والوقوف في طريق الاصلاحات التي يريد إدخالها.

عندما تزول العقبات

لقد أدرك محمد علي خطر تلك الصعوبات. وأيقن أن سبيله إلى الإصلاح يتوقف على أمرين: الأول الحصول على المال والثاني على الخبرة. ولقد حصل على المال بإلغاء الالتزام الذي كان الملتزمون يجمعون بموجبه الضرائب من الفلاحين وصادر الأراضي التي كانوا هم وغيرهم قد اغتصبوها، وأنشأ نظام الاحتكار الذي صارت الدولة بموجبه تشتري المحاصيل من الفلاحين وتصدرها.

وللحصول على الخبرة استعان بطائفة كبيرة من الأجانب وبخاصة من الفرنسيين! وأخذ يرسل البعوث العلمية إلى جامعات أوروبا لاكتساب العلم والخبرة



■ ابراهيم باشا

الفنية والاشتغال بهما وتعليمهما في مصر. وبهذا كان محمد علي الامي رائد التعليم الحديث في العالم العربي!

وكان من الطبيعي أن يبدأ محمد علي بناء الدولة الحديثة بانشاء جيش نظامي يدعم استقلال مصر تحت حكمه. فافتتح مدرسة حربية في أسوان لتدريب ضباط الجيش الجديد الذي عهد بتنظيمه إلى الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوي). وقد بدأ محمد علي بتجنيد السودانيين لكنه لم يلبث ان تبين عدم صلاحيتهم فعمد الى تجنيد المصريين. فكان اول من جنّدهم منذ الفتح العثماني. وعلق على ذلك كاتبان اوروبيان في كتاب لهما بقولهما:

"إن العرب من سكان وادي النيل لم يكن لهم، منذ الفتح العثماني حق الانتظام في الجيش، ولكن محمد علي أعاد اليهم هذا الحق، وهو بتجنيدهم - ولو أن ذلك على كره منهم - قد رفع من شأنهم وانتشلهم من الوحدة التي نزلوا اليها. وقد استردوا سمعتهم بما اظهروه من الشجاعة في ميادين الحروب التي خاضوها".

والواقع أن انجلترا كانت قد تآمرت مع حلفائها عام ١٨٢٧ على تدمير الاسطولين العثماني والمصري اللذين كانا يتعاونان خلال الحرب التركية اليونانية. وبالفعل جرى تدميرهما في ميناء نافارينو عام ١٨٢٧. لكن محمد علي لم يلبث أن أعاد بناء اسطوله!

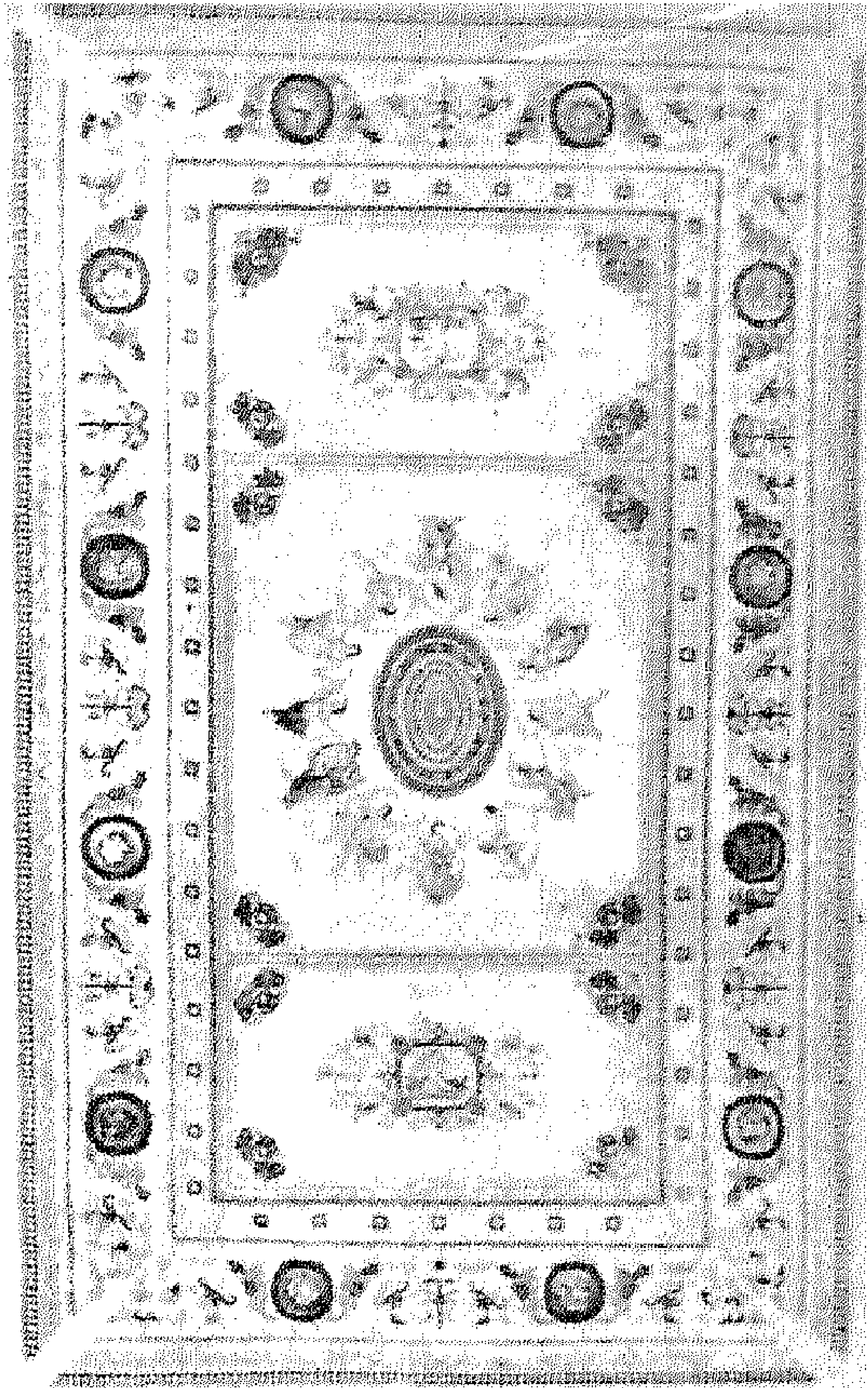
مصر الحديثة

لقد أدرك محمد علي أن أنشاء الجيش والاسطول يستلزمان النهوض بمختلف القطاعات الأخرى وخاصة التعليم والصناعة. وكانت المدارس المصرية الوحيدة في البلاد حتى بداية عهده هي الكتاتيب والكليات الدينية والجامع الازهر. فأنشا محمد علي مدارس حديثة ابتدائية وتجهيزية وخصوصية. وكان الغرض من الابتدائية نشر التعليم الأولي في البلاد واعداد الطلبة لدخول التجهيزية. وكان الغرض من التجهيزية اعداد الطلبة لدخول المدارس الخصوصية التي استهدفت اعداد الموظفين للادارات المختلفة من مدنية وعسكرية. وقد ضمت الخصوصية مدارس للهندسة والمدفعية والفرسان والمشاة والطب البشري والبيطري واللغات.

وقد اعتمد محمد علي في البداية على المدرسين الأجانب وبخاصة الايطاليين والفرنسيين. لكنه في الوقت ذاته أخذ يرسل البعوث إلى الخارج ليحل افرادها متى اتموا تعليمهم محل الأجانب. وقد حرص على أن تتخصص كل فئة من المبعوثين في



■ محمد علي باشا (للفنان هيملي)



■ احد سقوف قصر الجواهر

ومهما يكن من أمر فلم يحل عام ١٨٣٣ حتى كان الجيش المصري البري يضم ١٢٨،٨٩٩ جندياً. ولم يحل عام ١٨٣٩ حتى بلغ عدده ٢٣٥،٨٨٠ جندياً وبذلك أصبح أعظم قوة ضاربة في المشرق العربي.

وفي الوقت ذاته شرع محمد علي في بناء اسطول حديث يؤازر الجيش ويحميه وينقله إلى ساحات القتال! ولم يترك سبيلا الا سلكه في سبيل بنائه فأنشأ الترسانات وأرسل البعوث البحرية الى اوروبا وأنشأ المدارس البحرية لتخريج الضباط، واستعان بالمواهب المصرية والاوروبية وكتب شاهد عيان عن ثمار هذه الجهود يقول:

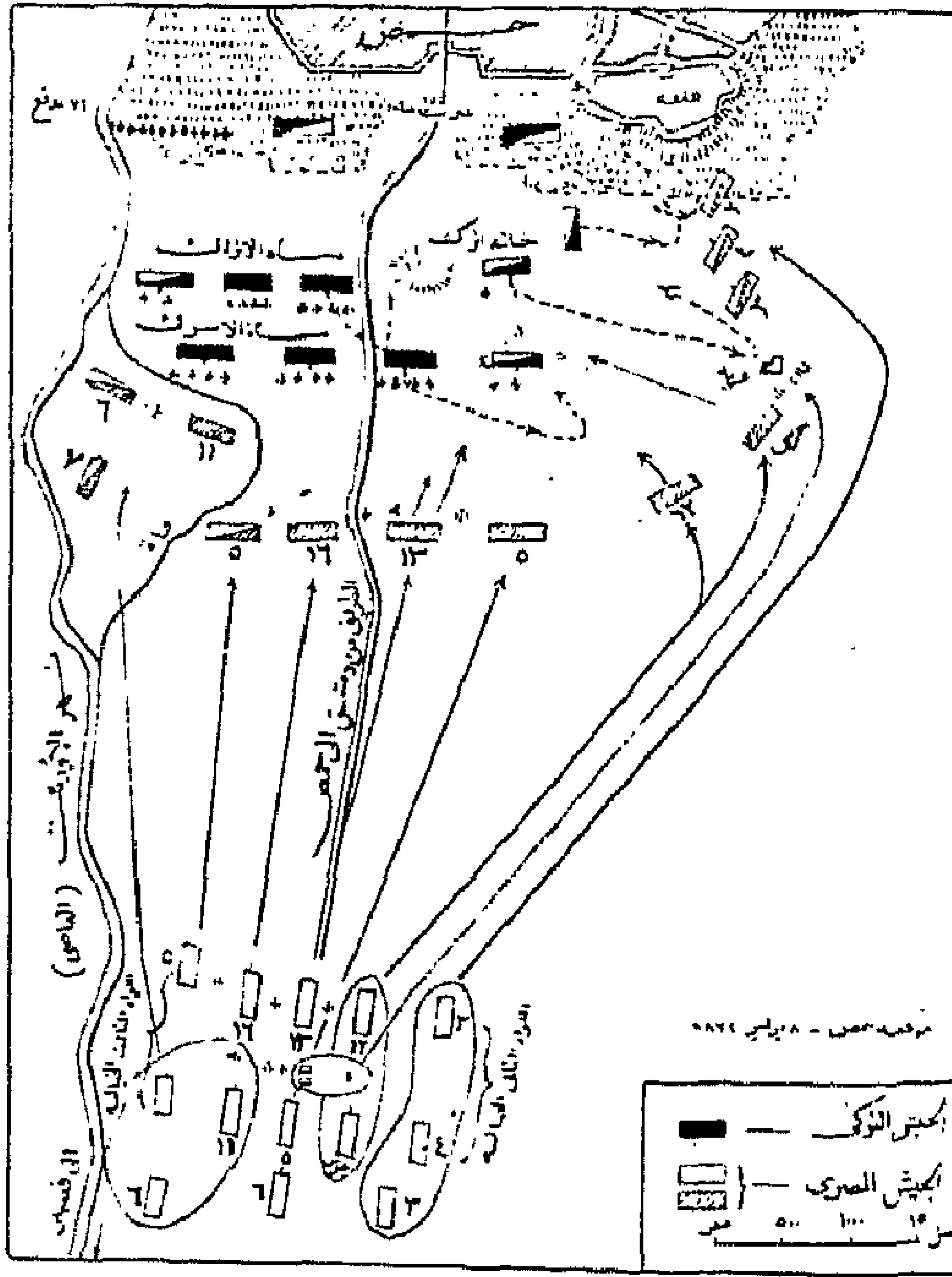
"زرت الترسانة والاسطول... ففي سنة ١٨٢٨ لم يكن بالاسكندرية الا ساحل مقفر. ولكن هذا الساحل أصبح في سنة معموراً بترسانة كاملة بنيت على مساحة واسعة، وأحواض للسفن، ومخازن ومعامل ومصانع لكل نوع.... وهذه الترسانة التي لم يمض على انشائها أكثر من ست سنوات قد صنع فيها عشر بوارج، سلاح كل منها مائة مدفع، وقد تم تسليح سبع منها تمخر العباب الآن، أما الثلاث الاخرى فلا تزال بالحوض على وشك نزولها إلى الماء، هذا عدا السفن التي من نوع الفرقاطة والكورفت والابريق، مما جعل عدد سفن الأسطول يزيد عن ثلاثين سفينة حربية...".

موضوع معين فيكون بينهم المعلمون والأطباء ورجال الادارة والضباط البريون والبحريون والعمال الفنيون والمهندسون وذلك للعمل في الطباعة والصباغة وصناعة الزجاج والاسمنت والتقطير وتكرير السكر وبناء السفن والتعدين.

وقد بدأ محمد علي في إرسال البعوث إلى الخارج في عام ١٨٠٩ عندما أوفد بعثة إلى ايطاليا وفي عام ١٨١٣ أرسل بعثة أخرى ومن أبرز البعثات التي أرسلها بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا وقد ضمت أربعة وأربعين شاباً كان بينهم أرتين بك الذي عين بعد ذلك وكيلا لشورى المدارس وشغل منصب ترجمان الباشا وحسن الاسكندراني الذي قاد الأسطول المصري في حرب القرم، والشيخ رفاعة رافع الطهطاوي الذي عين إماما للبعثة واشتهر بعد ذلك بمؤلفاته والمناصب المدنية العليا التي احتلها، ومظهر باشا مؤسس القناطر الخيرية. وفي عام ١٨٢٩ غادرت الاسكندرية بعثة صناعية تتألف من ثمانية وخمسين عضواً أرسل بعضهم إلى فرنسا وبعضهم إلى انجلترا والباقون الى النمسا. واستمر سيل البعثات بعد ذلك. وقد بلغ عدد أعضاء البعثات بحسب احد التقديرات ٣٥٠ طالباً، وبلغت تكاليفها حوالي ٢٧٣٣٦٠ جنيهاً. ومما يذكر أن بين أعضائها من قضى ثلاث عشرة سنة في الخارج وأن منهم من قضى تسع عشرة سنة. وقضى بعضهم احدى وعشرين سنة.

ومحمد علي صاحب المحاولة الكبرى الثانية في الاسلام لترجمة العلوم الاجنبية الى العربية. وقد حذا حذو السلف في الحصول على الكتب، فكلف عثمان نور الدين، وهو أحد أعضاء البعثة الاولى باحضار كتب فرنسية في العلوم بما فيها الاقتصاد السياسي. وتدفقت الكتب بعد ذلك من كل ناحية. ونظم الباشا امر ترجمتها وتزويد المدارس بها، لتكون مراجع للاساتذة ومواد قراءة للطلبة. وكان من كبار المترجمين الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي قام أيضاً بمراجعة طائفة كبيرة من الكتب المترجمة وتعميمها. ومما يذكر أن الذين اشتغلوا في الترجمة عنوا عناية خاصة بترجمة المصطلحات والحاق قائمة بها بالكتب المترجمة.

وغني عن القول أنه كان لابد لمحمد علي من أن ينشيء مطبعة لطبع الكتب المترجمة. فأوفد نيقولا مسابكي الى ايطاليا للتخصص في فن الطباعة. فلما عاد الى مصر عهد اليه الباشا بانشاء المطبعة الاميرية في بولاق، فأنشئت عام ١٨٢٠، وبدأت عملها بعد ذلك بسنتين. وتلا انشاءها إنشاء مطابع أخرى بلغ عددها ثمانية الحقت واحدة منها بمدرسة الطب في ابي زعبل وكان اول كتاب طبعته هو "كتاب القول الصريح في علم التشريح" وذلك في عام ١٨٣٢. ولا بد لنا من أن نشير الى أن محمد علي كان الرائد الاول لنشر كتب التراث العربي الاسلامي. فقد قامت مطبعة بولاق بنشر عدد كبير من المراجع. وفي عام ١٨٣٨ أحصى القنصل



■ موقعة حمص (٨ يوليو ١٨٣٢)

الروسي الكتب التي صدرت عنها فوجدها ثلاثة وسبعين.

ولم يفت محمد علي ما للصحافة من أهمية كبيرة في حياة الدول المتقدمة فقام في البدء بتشجيع الصحيفة الفرنسية الاسبوعية "المونيتير اجيبسيان" التي كانت تدافع عنه وترد على الاتهامات التي كانت توجهها له "المونيتير اوتومان" في الآستانة، ثم لم يلبث ان أمر باصدار اول صحيفة مصرية وهي "الجورنال الخديوي" وتلتها "الوقائع المصرية" التي قدر لها ان تستمر الى الآن! وقد صدر العدد الاول منها في ٣ ديسمبر (كانون اول) عام ١٨٢٨. واقتصرت في البدء على نشر الاخبار الداخلية حتى اذا اعيد تنظيمها عام ١٨٤١ وسعت قسم الاخبار بحيث شمل الاخبار الخارجية أيضاً. وقد عهد بالاشراف على الوقائع الى الشيخ رفاعة الطهطاوي الذي واصل العمل فيها الى عهد عباس الاول.

الصناعة

كان محمد علي رائد فكرة تصنيع مصر وصاحب اول مشروع من المشاريع الكبرى الثلاثة التي طبقت لتحقيقها والمشروعان الآخران هما مشروع اسماعيل باشا ومشروع الثورة المصرية (١٩٥٢). ومن أهم الاسباب التي دفعت محمد علي الى تصنيع مصر هي اولا إمداد الجيش والبحرية المصرية بما يحتاجانه من أعتدة وثانياً تعديل الميزان التجاري لصالح مصر وثالثاً فكرة الاكتفاء الذاتي التي ترتبط

ارتباطاً وثيقاً بالميزان التجاري. وقد شرح محمد علي هذه الفكرة بقوله للبارون دي بوالكمت.

"لقد أدخلت تغييراً على علاقاتي التجارية لان المصانع التي أنشأتها استطاعت أن تخلصني اليوم من تلك الجزية التي كان على البلاد أن تدفعها للصناعة الاوروبية. وهكذا بقيت في مصر جميع الاموال التي كنت أدفعها ثمناً لأجواخكم وحرائركم".

واتبع محمد علي سياسة الاحتكار بالنسبة للصناعة فوضع يده على المصانع واستخدم الصناع فيها بالأجرة، وأخذ يبيع المنتجات لحساب الدولة. وقد وسع نطاق الصناعات القديمة وفي مقدمتها صناعة النسيج، فأنشأ مصانع كبرى جديدة زودها بأحدث الآلات الاوروبية، واستخدم فيها عمالا اوروبيين وبخاصة من ايطاليا ومالطة الى جانب المصريين. ومما ساعده على التوسع فيها وجود القطن ذي التيلة الطويلة الذي أدخل زراعته بناء على اقتراح من رجل فرنسي يدعى جوميل. وبلغ انتاج مصر منه بين ١٠٠٠٠٠ و١٥٠٠٠٠ بالة سنوياً تزن كل منها ما يقرب من قنطارين. وقد استطاعت المصانع المصرية في عهد محمد علي أن تسد حاجة الاستهلاك المحلي وأن تحقق فائضاً للتصدير وبلغ ما انتجته مصانع نسج الكتان في عام ١٨٣٣ مليون قطعة.

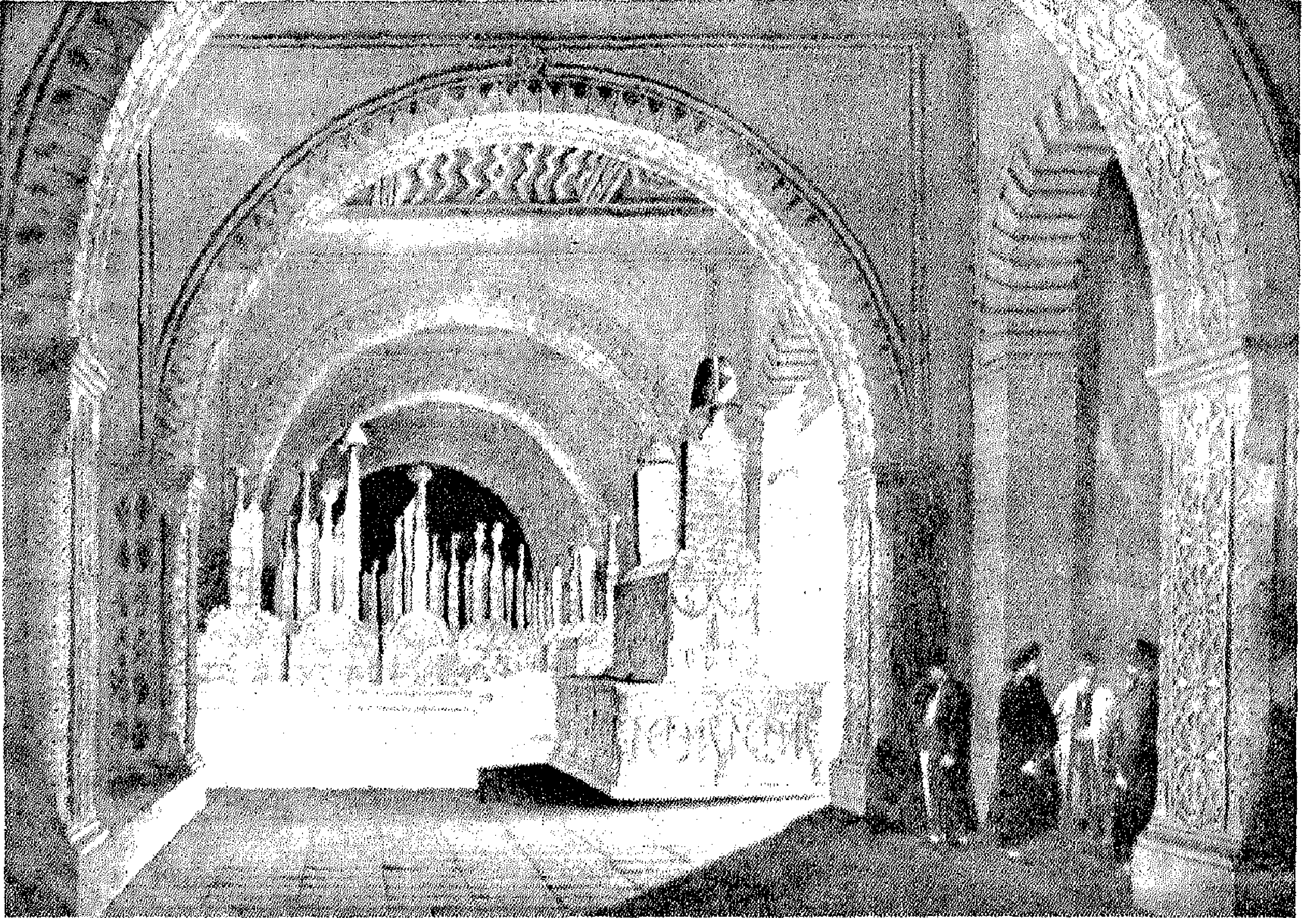


ومن الصناعات التي اولاها محمد علي المزيد من اهتمامه هي الصناعات الحربية. ففي عام ١٨٤٠ أنشأ ترسانة القلعة لصنع المدافع. وقد بلغ عدد عمالها عام ١٨٣٣ ألفاً وخمسمئة، وكانوا ينتجون بين ثلاثة واربعة مدافع في الشهر. وفي عام ١٨٢٩ أنشأ محمد علي الترسانة الكبرى في الاسكندرية لصنع السفن الحربية فأنزلت أول سفينة الى البحر عام ١٨٣١. وفي هذا العام ذاته كان يشتغل فيها ٣٣٦٤ عاملا. وقد ازداد عددهم فيما بعد فبلغ ٩٠٠٠ عامل ومن المصانع الأخرى التي انشأها مصانع لصنع الاسلحة الخفيفة وبخاصة البنادق.

وبالرغم من أن محمد سار شوطاً كبيراً في تصنيع مصر حتى بلغ ما انفقه على المصانع ما يقرب من اثني عشر مليوناً من الجنيهات فان تجربته لم تلاق النجاح الذي توقعه وذلك بسبب منافسة الصناعات الاوروبية وافتقار مصر الى مواد الصناعة وتكاليف الخبراء الباهظة، لكنها دون ريب بقيت حلماً في أذهان خلفائه الذين ساروا في طريقه.



■ محزرة المماليك (للفنان هوراس فرنيه)



■ مقبرة عائلة محمد علي باشا (للفنان باسكال كوسته)

توحيد العرب
تحت لواء مصر

كان محمد علي صاحب اول محاولة بعد وقوع البلاد العربية تحت حكم الاتراك لانتزاع المشرق العربي من الدولة العثمانية. وقد وضح له خلال الحروب التي خاضها بناء على اوامر السلطان ضعف الدولةمن ناحية وضرورة الاستيلاء على المشرق العربي

وما من دولة مصرية قوية أيضاً الا وبسطت نفوذهاعلى اليمن باب البحر الاحمر الجنوبي، او حاولت ذلك.

وكانت اولى الحروب التي خاضها في البلاد العربية حروبه ضد الوهابيين في الجزيرة، وقد تمكن عام ١٨١٨ وبعد حملات استمرت سبع سنوات من اخضاعهم باسم السلطان. وفي عام ١٨٢٠ استولى على السودان. وبعد بضع سنوات وعده السلطان بولاية سوريا، وذلك في مقابل اشتراكه مع الدولة العثمانية في حرب اليونان التي كلفته اسطوله. لكنالسلطان لم يف بوعده فزحف محمد علي عليها في عام ١٨٣١. ولم يكد ينسلخ شهر تموز من العام التالي حتى كانت بلاد الشام كلها في يده. ووجد الطريق أمامه الى القسطنطينيةمفتوحة فواصل زحفه.ولم يتوقف إلا بعد أن اعترف السلطان بولايته على بلاد الشام.

وقد استطاع محمد علي "أن يقيم نظاماً جديداً (في بلاد الشام) يعتمد على المساواة في الحقوق المدنيةوالدينيةوعلى ضمان الأرواح والممتلكات، وهو أمر لم تعرفه بلاد الشام منذ أيام الحكم العربي في دمشق. وبذلك أشرق عهد جديد حقاً وكان ابراهيم باشا يحاول - حين يذكر ما انجز من أعمال - أن يقدم بذلك الدليل الملموس على أن العرب، بعد زوال الحكم التركي، يستطيعون أن ينظروا في ثقة واطمئنان إلى مستقبل زاهر في ظل حكم محمد علي وأسرته".

وكان في استطاعة محمد علي ان يطيح بالسلطان وأن يجدد شباب السلطنة لولا أن الدول الاوروبية على اختلاف سياساتها اتفقت على شيء واحد وهو الحفاظ على "الرجل المريض" أي تركيا. فالرجل المريض يسهل معه تحقيق المطامع وعدم تهديد المصالح الاجنبية. واضطر محمد علي إلى التخلي عن بلاد الشام وحكم مصر تحت سيادة السلطان وذلك طبقاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠.

رجال وافكار

عمر المختار مقاتلاً وشهيداً

هـ. س. ب



كانت الحراسة شديدة جداً، عندما نقلت سيارة من زنزانة في السجن شيخاً غليل اليدين بالحديد، تتقدمها مصفحة مليئة بحملة الرشاشات، وتحيط بها سيارتان فيهما حملة رشاشات، وتمشي وراءهما سيارتان تنقلان ايضاً حملة رشاشات.

ولم يفتح باب السيارة الا بعد ان اصطف جميع الجند المسلحين في صفين امام مدخل العمارة، فأنزل السجين ومشى عالي الرأس كأنه ابن ثلاثين.

وفي داخل المبنى مشى بين صفوف من الجند الى ان بلغ قفص المحكمة. هناك ارتبك جميع من في القاعة. لقد بدا السجين كبيراً كبيراً للناظرين.

لم يكن الشيخ المثقل بالسنين ليبدو سجيناً، وساد صمت رهيب حتى ان القضاة الذين بدأت لغة الموت تدور على السنتهم وفي خواطرهم جلسوا صامتين.

وبعد ان افتتحت الجلسة بدأ الكاتب يقرأ ما في ورقة الاتهام:

عصيان الدولة، اعلان حرب عليها، قتل ضباطها وجنودها، جباية الضرائب من الاهلين الخ...

وترجمت ورقة الاتهام من اللغة الايطالية الى العربية وسأل الرئيس سجينه عن هويته، بصوت جلي، واضح، متماسك الاوتار قال:

ـ اسمي عمر المختار، وامي عائشة بنت محارب، من قبيلة المنفة، عمري ٧٣ سنة، ولدت في موقع دفنه، اقامتي في الجغبوب شيخاً لزاوية القصور.

هل سمعت ما ينسب اليك من تهم خطيرة؟

ـ نعم، وسأجيب عنها كلها، واحدة واحدة مهما كبرت وكبر خطرها.

وانطلق عمر المختار يفضي مأساة ليبيا منذ الاحتلال، والمفاوضات التي دعاه اليها رجال الاحتلال والوعود الكاذبة والنكوث بها.

تكلم عن الظلم والطغيان، عن الاستبداد والاغتصاب وانتهاك الحرمات وتحقير المقدسات. وبقي يتكلم برباطة جأش مذهلة قال: وانا اتحمل جميع التهم التي الصقتها بي النيابة العامة العسكرية الا واحدة.

الرئيس: هل أنت قائد العصيان ضد ايطاليا؟

ـ نعم انا هو.

رئيس المحكمة وهو الكولونيل ماريتوني: هل حاربت الدولة الايطالية

ـ نعم حاربتها.

الرئيس: اني اكرر السؤال عليك فانتبه لنتائجه: هل انت حاربت الدولة الايطالية فتناولت السلاح في وجه قواتها واشتركت في قتالها اشتراكاً فعلياً؟

ـ نعم.. نعم.. نعم..

الرئيس: كم هو عدد المعارك التي اشتركت فيها منذ سنة ١٩١١ حتى اليوم؟

ـ لا اذكر عددها لانها كثيرة لا تحصى!

الرئيس: هل قتلت ضابطين طيارين وقعا في يدك اسيرين؟

ـ وانتفض قائد المجاهدين: اما هذا فلا، ثم لا. فقد قبضت عليهما وابقيتهما في سلنطه، وفاوضت المركز الايطالي بشأنهما. الا ان جنودكم هاجمونا وجرت بيننا معركة ارغمتني على الانسحاب. ولما رجعت عرفت ان الضابطين قتلا. ولم اعرف كيف ومن. ولكني أؤكد انهما قتلا بغير امر مني وبغير مشيئتي ومعرفتي.

الكولونيل: هل انت امرت بقتل الجنود الذي كانوا يحرسون العمال في شق الطرق؟

ـ نعم انا الذي امرت بقتلهم

منذ كم تتولى قيادة العصيان؟

ـ منذ عشر سنوات.

وهكذا وعلى هذا المنوال سارت "المحاكمة" كلها. نعم..نعم.. نعم، ولم ينكر تهمة منها سوى واحدة كاذبة، وهي قتل الضابطين اللذين اسرهما.

وكانت المحكمة قد كلفت ضابطاً ايطالياً بالدفاع عن شيخ المجاهدين، وماذا عساه ان يقول فيما نسب اليه من تهم، وما هو المتهم، عمر

المختار نفسه بلحمه ودمه، يعترف امام المحكمة والجمهور بأنها تهم صحيحة وبأنه هو الذي ارتكبها.

وثبت للمحكمة ان حكومة الاحتلال لم تجد في جميع سجلاتها الرسمية والسرية اي مال دفعته لعمر المختار طوال سنتي الاحتلال. وما كان لعمر ان يقبض مالا او غير مال، او يرضى بمنصب من اعدائه.

وبعد ان انتهت المحكمة، دخل رجال القضاء غرفة الاسرار ولم يطل الوقت حتى رجعوا ليعلنوا الحكم بالاعدام.

لم تستمر المحاكمة اكثر من ساعة وربع وقد ساعد المتهم الذي اسرع في اجوبته الواضحة: نعم.. نعم.. نعم.. انا هو، نعم انا الذي امرت.

وبعد ان سمع المتهم ترجمة الحكم الى العربية، لم تتحرك شعره في جفنيه، بل نظر الى هيئة المحكمة متعإلي الرأس وقال: الحمد لله: الحمد لله!

ويوم الاربعاء ١٦ ايلول عام ١٩٣١ طوي آخر فصل من حياة المجاهد عمر المختار الذي سلم الى الجلاد دون اي مقاومة ...

فقط كلمة واحدة وجهها اليه عمر المختار بهدوء مدهش، ورباطة جأش مطمئناً كأنه في زاوية القصور قال:

"اشهد ان لا اله الا ألله وان محمداً رسول الله"

ومع هذه الشهادة، وبهذا الجلال، انتقل الى بين يدي الله.

وانطوت معه صفحة من تاريخ العرب، في مشرقهم ومغربهم، اذ وحده كان عمر المختار في ايام جهاده الاخيرة حلم الثوريين العرب في جميع امصار العرب.

وقد بدأ الجهاد مع احتلال الاسطول الايطالي لمدينة طرابلس في الخامس من تشرين الاول عام ١٩١١، عندما بدأت جلجلة العذاب العربي في ليبيا.

فقد استولى المستعمر على البلاد، وحكمها حكماً عسكرياً فاشيستياً، فسفك الدماء، وقتل الابرياء، وانتهك الاعراض وسلب الاموال.

كما استولى على مرافق الحياة، فالمسلم لا يستطيع الاشتغال بالزراعة ولا بالتجارة، ولا بأية حرفة.

تلك العذابات والمحن والمظالم والآفات ذاقها عمر المختار ورفاقه ومواطنوه جميعاً، اما مجاهدوه فعطشوا وجاعوا وحرموا ما يضمدون به جراحاتهم وفقدوا حتى العتاد والسلاح، وسيلة الجهاد ولم يبق لهم سوى ايمانهم بالله.

وادرك عمر المختار مصيره فنذر نفسه شهيداً في سبيل دينه ووطنه، وفي آخر كتاب منه الى احد رؤساء السنوسية قال:

"لن ابرح الجبل الاخضر مدة حياتي، ولن يستريح الطليان فيه، حتى يواروا لحيتي في التراب..".

لقد زاره كثيرون مرة اثر مرة راجين ان يقبل عرضاً للتفاوض مع سلطات الاحتلال وقد جارى عمر رغبة رجال الاحتلال وذلك عام ١٩٢٩ وكان من بين المفاوضين واحد يمثل الغطرسة الفاشيستيه اسمه لوبيلو حاول ان يلقي على المختار تبعة الحرب وقال له:

ان الشريعة الاسلامية لا تسمح لكم بهذه الحرب التي لا طاقة لكم عليها وان نبيكم لا يسمح لكم بمقاومة الدولة التي لا تقدرون على مقاومتها والحكومة الايطالية مستعدة الآن لان تتعهد بمعاشات شهرية لكم ولاتباعكم ان انتم سلمتم سلاحكم ودخلتم تحت حكمها.

فانتفض عمر من لهجة لوبيلو وقال له:

ـ اني اعرف عنك اخباراً سيئة واعمالك كلها تدل على انك لا تريد الخير لبلادنا ولا لحكومتك وها انك تهددنا بجيوشكم في مجلس انتم دعوتمونا اليه للتفاهم اي انك تهدد ضيوفك...

واستطرد:

ـ انا حاربناكم ثماني عشرة سنة ولا نزال بعون الله نحاربكم ولن تنالوا منا بالتهديد.

وانفض الاجتماع بدون اتفاق.

وتكررت الاجتماعات والمفاوضات وكانت جميعها تبوء بالفشل.

وكان قبل عام ونيف من استشهاده ان اخذت الصحف الفاشيستيه ومن يدور في فلكها تضلل الرأي العام العالمي ودنيا العرب المسلمين بأن الحالة هدأت في طرابلس وبرقه ولم يبق فيها من معارض للحكم الايطالي وذلك اثر مفاوضات عرض خلالها عمر المختار شروطه لوقف الجهاد.

وقد قبل الوالي مطالب المختار ووعد بتنفيذها وكان من بينها الاتفاق على هدنة تدوم شهرين وقبل انتهاء مدة الشهرين طالب الايطاليون بتمديد الهدنة بدعوى ان الوالي سافر الى روما لعرض الامر على حكومته وطالت الهدنة وتبين ان غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط.

وهكذا قرر عمر المختار مواصلة الحرب وعدم العودة الى اي محادثات او وساطات ولو كانت من العائلة السنوسية وقد جاء ذلك في نداء أذاعه على العالم وانهاه بالقول:

ليشهد العالم اجمع أن مقاصدنا ليست الا المطالبة بالحرية، وأن مقاصد ايطاليا واغراضها ترمي الى القضاء على كل حركة قومية تدعو الى نهوض الشعب الطرابلسي وتقدمه...

وتابع:

و"هيهات ان يصل هؤلاء الى غايتهم ما دامت في صدورنا قلوب تخفق وتعرف ان في سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وقال: ونحن الان ندافع عن كياننا ونبذل دماءنا فداء الوطن وفي سبيل تحقيق امنيتنا المنشودة".

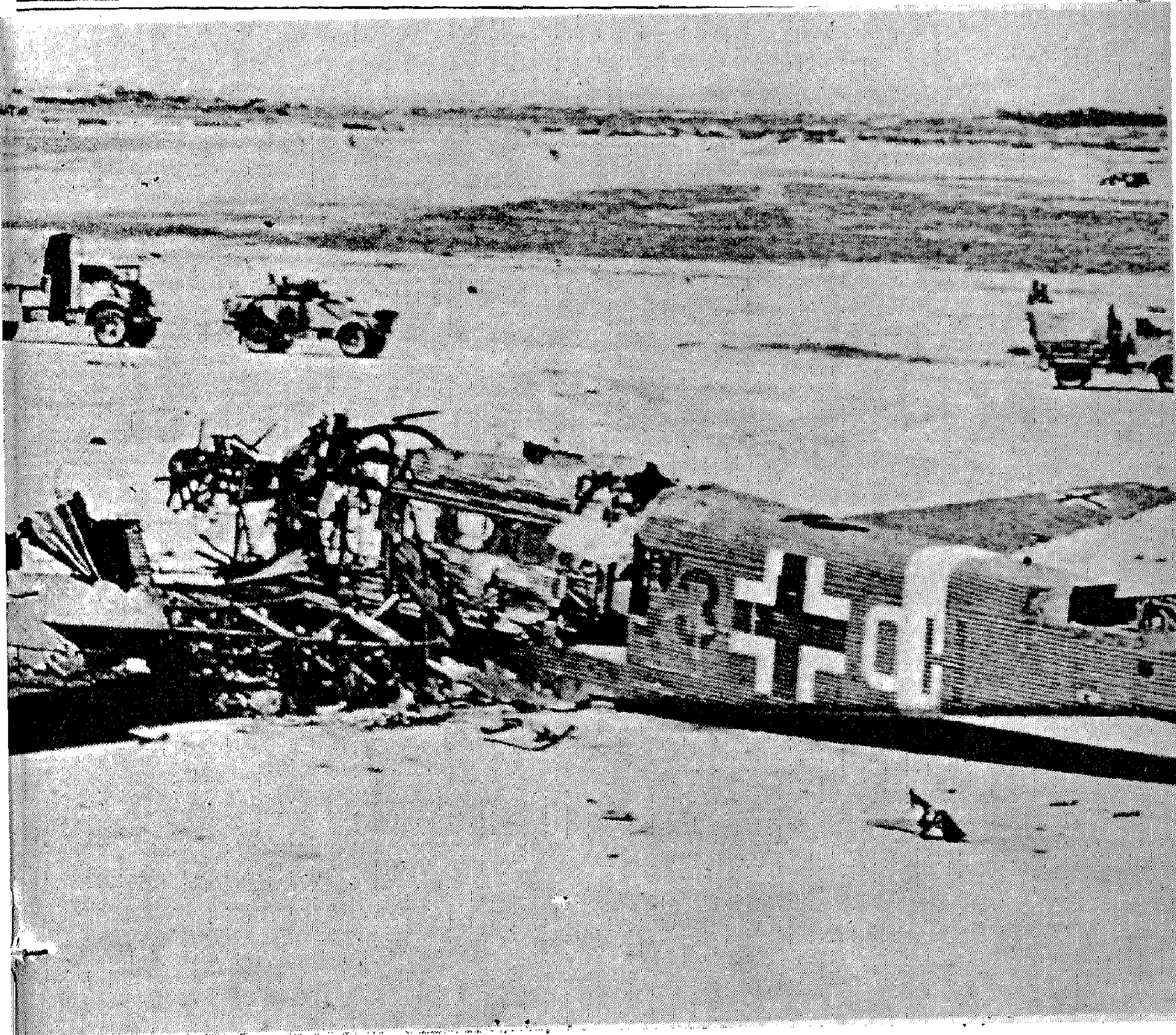
"لهذا نحن غير مسؤولين عن بقاء الحالة الحاضرة على ما هي، ولن نرجع حتى يتوب اولئك الافراد النزاعون الى القضاء علينا الى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع.

والسلام على من اتبع الهدى!".

رومل
ثعلب الصحراء

هكذا مات على يد هتلر

وفضّل أن يقضي بالسم بدل أن يقضي بمشنقة الفوهرر



■ حطام طائرة المانية "يونكرز – ٥٢" في الصحراء الليبية بعد معركة العلمين

في الرابع عشر من شهر تشرين الاول عام ١٩٤٤، وفي تمام الساعة الثانية عشرة اتجهت سيارة صغيرة، خضراء اللون الى الشارع الرئيسي من قرية "هرلينكن" الجميلة والواقعة على مقربة من مدينة "اولم" حيث المنازل البيضاء ذات السقوق المصنوعة من القرميد والمشادة حول كنيسة بيضاء.

وراء المقود، سائق يرتدي البزة السوداء للاستخبارات السرية، والى جانبه جلس الميجور "ايهر ينينكر" وفي المقعد الخلفي جلس ضابطان برتبة لواء "يورغوروف وميزل" كان السائق يقود سيارته بتأن في السفح حيث تتعرج مياه الساقية، الصغيرة ذات المياه الصافية، وحول ذلك كله شريط من التلال بشكل الافق.

توقفت السيارة أمام منزل يظهر من بين الاشجار في حديقة حافلة غنّاء ترجل الضابطان من السيارة ودفعا باب الحديقة بينما ملامح وجهيهما تبدو عليها القوة والهيبة معاً ثم تقدما نحو المنزل وعلى مدخله استقبلهما رجل عنيف، مخيف، قاسي الوجه في الثالثة والخمسين من العمر.

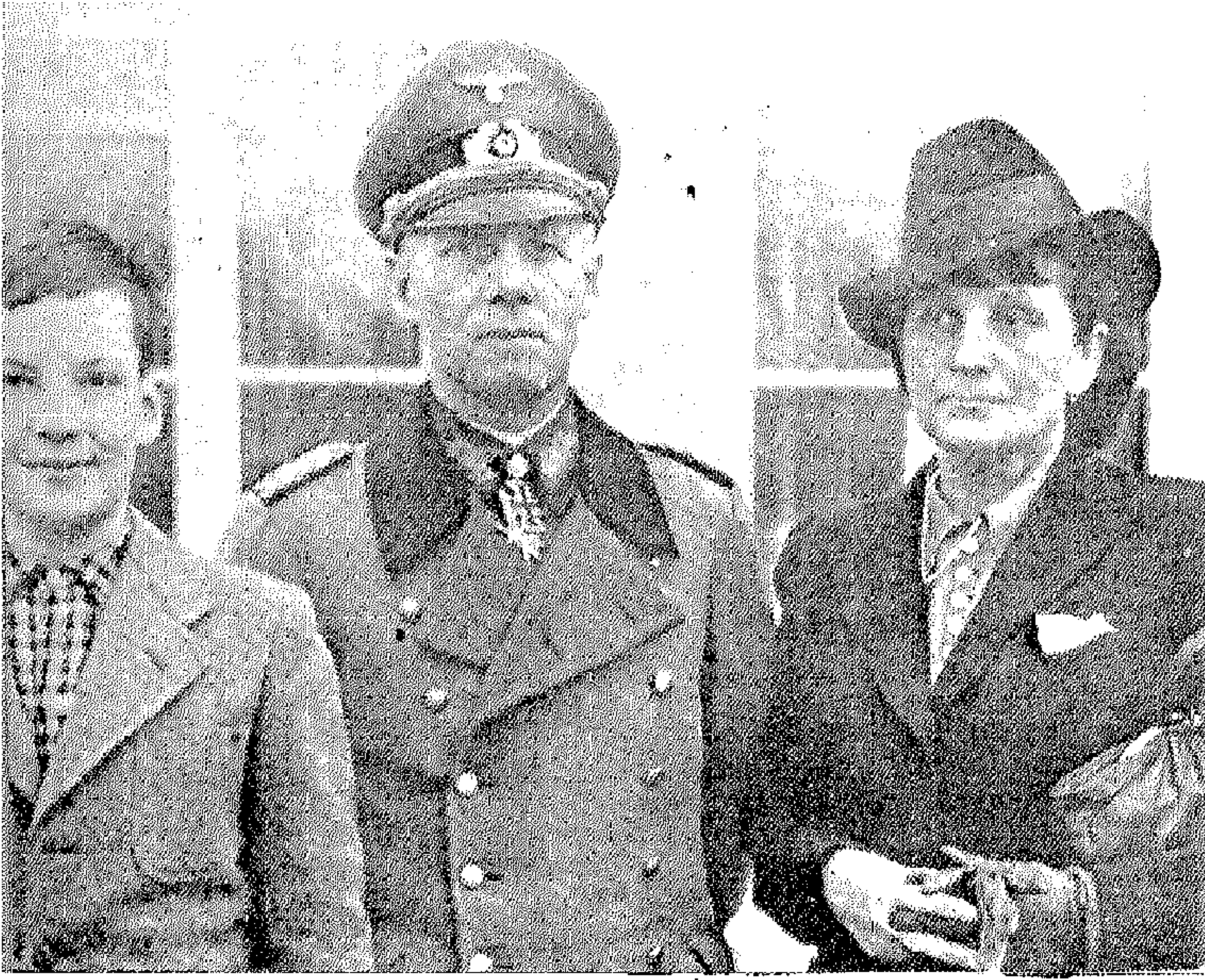
البارز في هذا الرجل هو العنفوان الذي يظهر من خلال شخصيته، وخاصة صلعته المتطاولة بينما يملأ الشعر الكث مؤخرة رأسه. هذه الصلعة شبهها "كورزيو مالابارتي" يوماً باجاصة صفراء كبيرة. كان هذا الرجل هو الماريشال اروين رومل.

حول رومل كانت زوجته، ابنه "مانفريد" وضابطه المساعد الكابتن "الرينكر" وبناء لطلبهما، قاد رومل الضابطين الى غرفة في مدخل المنزل. وهنا بدأ بورغوروف وميزل بالكلام. تحدثا بصراحة ولم يخفيا شيئاً. وكان كلامهما بمثابة قرار اتهام. لقد وجها للماريشال رومل تهمة الاشتراك في محاولة اغتيال هتلر في العشرين من تموز ١٩٤٤ واتهماه بأن عليه ان يدفع الثمن اما بالظهور أمام محكمة الشعب او بتناول السم الذي احضراه معهما.

هذا هو الاختيار الذي عرض في الرابع عشر من تشرين الاول ١٩٤٤ على القائد العسكري الاكثر شعبية في الجيش الالماني، الرجل الذي عرف كيف يكتسب ليس فقط تقدير واعجاب الالمان بل أيضاً التقدير نفسه والاعجاب نفسه لدى اعدائه.

النصر في افريقيا

في شباط ١٩٤٤ وبينما كان الجنرال، الضابط المحترف والمقاتل القدير في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ واحد المنتصرين على راس الفرقة المدرعة السابقة في فرنسا عام ١٩٤٠ يقضي اجازة في منزله "هرلينكن" مع زوجته وابنه مانفريد، جاءه ضابط من القيادة العامة لهتلر طالباً منه الحضور فوراً بين يدي القائد العام للجيش "فون بروشيتش". وبعد ذلك كان عليه المثول أيضاً امام هتلر.



■ رومل مع زوجته وابنه مانفريد

في السادس من شباط ١٩٤٤ ابلغ "فون بروشيتش"، رومل بنبأ تعيينه قائداً للحملة الالمانية في ليبيا، وهذا يعني قيادته لفرقة مدرعة وفرقة خفيفة. اما هو فسيبقى بتصرف الماريشال الايطالي "غرازياني".

وعندما مثل رومل بعد ظهيرة ذلك اليوم امام هتلر اكد له هذا الاخير نبأ التعيين وافهمه انه يعتمد عليه كلياً.

ما هي ملابسات هذا التعيين؟

منذ ايلول ١٩٤٠ كان الايطاليون قد هاجموا القوات البريطانية التي كانت تدافع عن مصر بقيادة الجنرال "ويفل". كان عدد هذه القوات اقل بكثير، ولذلك هزمها الايطاليون واخذ الجيش الايطالي مدينة سيدي براني.

كان الايطاليون يستطيعون التقدم لكنهم فضلوا التريث لتقوية صفوفهم بهدف شن هجوم جديد. لكن الهجوم تم هذه المرة بقيادة "ويفل" القائد البريطاني الذي دفع بالايطاليين الى الانسحاب والتقهقر حتى البردية وطبرق على بعد خمسين كيلو متراً من الحدود المصرية. وانقلب الانسحاب الايطالي، وكان ذلك في كانون الاول، الى كارثة حقيقية.

عندئذ قرر هتلر التدخل واجتمع بموسوليني وحصل على موافقته.

عندما وصل رومل كان ويفل قد انتزع بنغازي. وكان يبدو ان لا احد يمنعه وأمام المعنويات الايطالية المنهارة الى درجة الصفر تخلى "غرازياني" عن مسؤولياته وتولى رئيس اركانه "غاريبالدي" قيادة الجيش الايطالي.

وفوراً بدأ رومل بالهجوم (آذار ـ نيسان ١٩٤١). ... الجيش الالماني يقتحم، يدفع بالبريطانيين الى الوراء، يستعيد بنغازي، يقطع الصحراء ويتقدم باتّجاه طبرق كانت طبرق شديدة التحصين ورغم كل محاولاته لم يستطع رومل اقتحامها، لم

ينتصر كما في معركة الدبابات في السلوم، وحل فصل الصيف بينما بقي الطرفان كل في موقعه.

استبدل "بويغل" "أوشينلك" واستعد هذا لهجوم من نوع جديد، واضطر رومل على اثر ذلك للانسحاب من "السيرينايك". ولكن في كانون الثاني ١٩٤٢ عاود رومل الهجوم ودمر كل شيء في طريقه، انهارت المقاومة البريطانية واستعاد رومل بنغازي وهاجم "سيرينايك" من جديد ثم استعاد طبرق في حزيران ١٩٤٢ وتابع هجومه فاخترق الحدود المصرية وتقدم باتجاه الاسكندرية بالقرب من سيدي براني.

هتلر يلوم نفسه.

معركة بهذا الحجم حملت الانتصار لرومل وجعلته يصل الى امام العلمين، وهنا قرر احدهم ـ مونتغمري ـ ايقافه، ايقاف الذي قام هتلر بترقيته الى رتبة ماريشال لشكره على انتصاراته.

أمضى رومل كل هذه الاشهر وسط تعب مضن، لم يعد يعرف للراحة معنى.

كان جهده الجسدي والنفسي كبيراً، واذا به فجأة ينهار ويقع فريسة المرض، وقد نصحه الاطباء بالذهاب الى اوروبا للمعالجة.

وسافر رومل، قابل موسوليني ثم هتلر، توسل اليه ارسال المساعدة الى الفرقة الافريقية التي كانت تقاتل بجهودها الخاصة، وطلب زيادة وسائل التموين والوقود، ثم تولى متابعة علاج مرضه: الكبد والضغط، ولكن في الرابع والعشرين من تشرين الاول اتصل به هتلر هاتفياً وابلغه بأن المعركة تدور في العلمين، وعاد رومل.

ولم يستطع تحسين الاوضاع، وانتصر البريطانيون مع قوات الكومنولث في معركة العلمين مدعومين بالقوات الفرنسية الحرة، وبدأ رومل بالانسحاب، وقد حاول الاقتراب من طرابلس ولكن دون نتيجة، وشعر بأنه خسر الجولة، وانه من الافضل له الانسحاب من افريقيا وذهب لعرض الامر على هتلر، وطوال الاجتماع حافظ رومل على برودة اعصابه وبينما كان يهم بالخروج لحق به هتلر وقدم له اعتذاره قائلا: سيسير كل شيء على ما يرام.

وللمرة الاولى غير رومل نظرته الى هتلر، لم يعد في نظره ذلك العقل الجبار، ذلك الرجل القادر لكنه، اصبح قائداً غير انساني يتخذ قرارات مستحيلة التنفيذ، وعاد الى افريقيا ليتابع انسحابه حتى تونس ولينتصر في معركة اخيرة ضد



■ رومل يتقدم قواته في الصحراء

الاميركيين وكانت فعلا معركته الاخيرة. لقد اصبح رومل مهزوماً والى الابد.

وعاد الى المانيا يحطمه المرض، ويعيش بحنجرة تلفها الضمادات.

في ايار ١٩٤٣ استسلمت قوات الفرقة الافريقية في تونس. واستدعى رومل لمقابلة هتلر في (ملجأ الذئب). وتوجه رومل لمقابلة هتلر المحطم.:

ـ كان علي الاستماع اليك من قبل. لان افريقيا ضاعت الآن.

وتجرأ رومل على السؤال؟

ـ هل تعتقد حقاً اننا سنرى الانتصار الكامل الذي كنا ننشده؟

ـ كلا

ـ هل تتصور نتائج الهزيمة؟

ـ نعم. اعتقد انه من الضروري اقامة السلام بطريقة او بأخرى ولكن لا احد يريد التفاوض معي.

وما شاهده رومل كان احدى لحظات الضعف، والتخلي النادرة عند هتلر. لقد لاحظ ان هتلر ضعيف ولكنه في الوقت نفسه يرفض التخلي عن مركزه لشخص آخر كما يقتضي المنطق.

اذ انه بين نفسه والشعب الالماني... اختار هتلر نفسه.

... اطلاعه على الجرائم

بعدما أمضى حوالي سبعة اسابيع في مستشفى "سيميرينك" عين رومل قائداً لفرق الجيش في شمال ايطاليا.

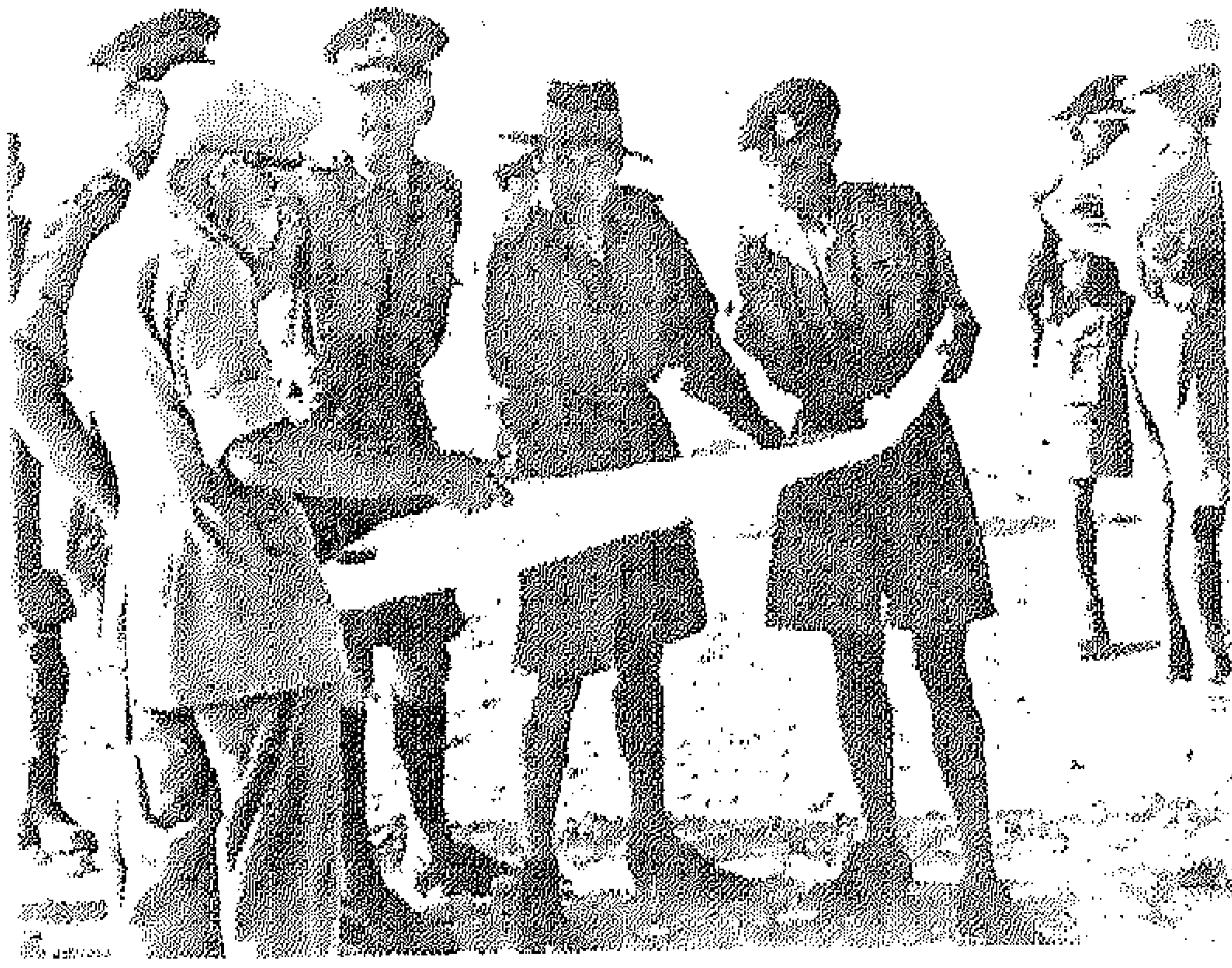
ولكن كيف سيعود "رومل" الى الحياة الالمانية؟ ما هو شعوره؟ ما هي افكاره؟

يعرف بان له عدوين: جودل وكيتل، ويعرف ايضاً بأن الرؤساء في الحزب لا يكنّون له المودة. وكان يعرف ذلك قبل عودته. وخاصة بعد العلمين ويعرف ايضاً ان الامور لا تسير سيراً حسناً في المانيا النازية وذلك بسبب حاشية هتلر لا بسبب هتلر نفسه. ولكنه غير نظرته وبدأ يحكم بأن تصرفات هتلر غير مسؤولة. وكان ذلك قراراً خطيراً في حياة رومل الذي بدأ يتصور بأن المانيا تسير نحو الهاوية.

بدأ هذا التحول عندما كان يتعالج في المانيا. وكان ذلك نتيجة للزيارات التي كان يقوم بها الضباط الالمان والذين كانوا يتكلمون بكل صراحة امامه. شرحوا له مجازر روسيا وبولونيا وعلم منهم للمرة الاولى بعملية ابادة اليهود وبوجود معسكرات الاعتقال وغرف الغاز. واصيب بالصدمة والذهول.

ولكن الرجل لا يغير افكاره بسهولة. وبقى لدى رومل امل. قد يكون هتلر لا يعلم بما يجري؟

فور ابلاله من مرضه اجتمع بهتلر وطالبه بالغاء "الغستابو" وتوزيع عناصر المخابرات السرية على فرق الجيش. وتوسل اليه ايقاف موجة تجنيد الشبان. "ان تحطيم شباب البلاد لجنون".



■ مونتغمري في الجهة المقابلة للقوات الالمانية في العلمين

واستمع اليه هتلر من دون ان يغضب ولكنه اعلن انه ليس على استعداد لتغيير طريقته.

وهكذا فهم رومل أن جرائم النازية هي جرائم هتلر.

في بداية ايلول ١٩٤٤ كلف رومل بمهمة جديدة: تفتيش قوى الدفاع البحرية في الدانمارك ولغاية اسبانيا. لم يتذمر وبدأ عمله في الحال. أمضى عشرة ايام في الدانمارك قبل وصوله الى فرنسا، التي تركها عام ١٩٤٠ ؛ وذهب للاطلاع على جدار الاتلنتيك الشهير.

اربعة ملايين لغم

ومثل كل الالمان كان رومل قد قرأ المقالات الكثيرة التي كتبت عن ذلك الجدار وشاهد افلام الدعاية التي تظهر عظمة هذا العمل الدفاعي الجبار، القادر على اية مقاومة. وكانت مفاجأته كبيرة وكذلك خيبة امله. لم يعد لجدار الاتلنتيك وجود. وكانت المدفعية في اغلب الاحيان دون اي غطاء. لا حقول للالغام. ووسائل الدفاع ضد الدبابات وضد المدفعية كانت دون جدوى.

كيف والحال هذه يمكن التصدي لعملية انزال ستحصل يوماً ويبشر بها الجميع؟ هل نقف عاجزين؟ ليس هذا اسلوب رومل. لم يعد يؤمن بالنصر، ولكنه لا يدخر جهداً في سبيل الحصول عليه. كان يبقى أياماً في السيارة. يصحو مع الفجر ويبقى طيلة النهار يجوب بالسيارة ويقيم مؤتمراً فور عودته.

أمام مركز قيادته في "الروض غويون". ومن هناكان يفتش، ينتقد، يغير ويتخيل. ولكن للاسف لم يكن طليق اليدين. لم يكن يستطيع توجيه الاوامر الى الفرق. كان دوره هو اسداء النصيحة الى القائد الاعلى للجبهة الغربية الماريشال "فون روند شتيد". وما تمناه رومل هو قيادة مستقلة. وحصل عليها في نهاية كانون الثاني ١٩٤٤. اصبح قائداً للقوات الالمانية في هولندا على نهر "اللوار".

وبدأ العمل بنشاطه المعروف. في كتاب عن رومل بقلم الكاتب البريطاني "دسموند يونغ" كتب يقول: كان من حسن حظ الحلفاء انه لم يملك ستة اشهر اكثر، ولو حصل عليها لكانت عملية الانزال قد اصطدمت بعقبات لا يمكن تصورها.

كان في كل مكان وخاصة في المكان الذي لا يتوقع حضوره. كان يتوجه الى الضباط والجنود معاً، وعندما يغادرهم لا يكونون كما التقاهم. ويبدو انه كان موهوباً لذلك، فقد رفع معنويات الجيش ووصلت شعبيته الى ذروتها في الغرب كما وصلت في افريقيا، وذلك بالطبع لم يعجب القيادة العليا.

ومنذ ١٩٤١ تلقى قسم الدعاية في الجيش اوامر "بعدم اعطاء رومل اية اهمية" ولكنه الان وقع في حيرة. فمن الضروري والحيوي الاعلان عن حائط الاتلنتيك وبالتالي فانه في المستحيل اخفاء ذلك عن رومل او السكوت عنه.

صورت عنه الافلام وامتلات الصحف بصوره والمناقشات معه: مما ازعج غيره من القادة. ولكن الاميرال "روج" كتب يقول عنه: "بقي متواضعاً في شخصيته ولم يكن مدعياً وكان بعيداً كل البعد عن محاولات القفز الى الامام".

وبالفعل كان رومل يحاول المستحيل للحصول على المعدات النادرة التي كانت مخصصة لفرق اخرى. كان عليه الاكتفاء بما لديه. ونجح في زرع اربعة ملايين لغم، وكان يريد تحويل كل مواقع الانزال المحتملة الى حقول الغام. والسؤال هو: لو نجح في ذلك هل كان الحلفاء ليتمكنوا من النزول؟

ولكن في السادس من حزيران كان كل ذلك في طور النهاية.

الدوافع الى المؤامرة

قام رومل بواجبه على اكمل وجه. ولكنه كان يتوقع الاسوأ. كان ايمانه يزداد بأن المانيا لا يمكن ان تتفادى اكبر خسارة في تاريخها الا بالتخلص من هتلر. لم يكتف بذلك ولكنه ارتبط بعناصر عدة كانت تحضر فعلالازاحةهتلر عن السلطة. ولاشهر كان بضعة رجال يعملون سراً. وكان هدفهم السلام. ولكن الحلفاء اجابوا بوضوح بأنهم لن يوقعوا اي سلام مع هتلر. اذن كان هو العقبة.

كيف تخليص المانيا؟

أكثر المهتمين كان الدكتور غوردلير، عمدة مدينة ليبزيغ والجنرال "بيك"، رئيس الاركان السابق. وبصبر مشهور لهما كانا يتصلان ويحصلان على تأييد اكبر عدد من المناصرين في انحاء المانيا خاصة بين كبار الضباط. كل شيء كان يجري في الظل وكان هناك حلان.

اما توقيف هتلر او قتله.

ولكن من سيخلف هتلر؟ سؤال أساسي. كان من الضروري اختيار شخصية محبوبة من الجيش والشعب معاً. الجنرال "بيك"؟ مستحيل لكونه غيرمعروف من الالمان انفسهم. وبعكسه كانت انتصارات رومل قد بلغت ذروتها. اذن قرروا الاتصال به.

اختير سترولين كضابط اتصال، وهوعمدة مدينة شتو تغارت. كان نازياً ولكنه تخلى عن هتلر بعد عملية تشيكوسلوفاكيا. وبدأعمله السري عام ١٩٣٩. انقذ الكثير من اليهود ومن رجال المقاومة الفرنسيين المحكومين بالاعدام.



كان سترولينى على معرفة بروميل منذ الحرب العالمية الاولى، وكانا صديقين، في آب ١٩٤٣ وقع سترولينى على مستند نظمه مع غوردلير، كان يطالب بوقف عمليات الابادة، وعدم التعدي على الكنائس، اعادة الحقوق المدنية، وتمنى أن تسحب ادارة العدل من الحزب الاشتراكي الوطني، وقدم هذا المستند الى وزير الداخلية،

وفوراً، افهم "سترولينى" بأنه قد يتعرض للمحاكمة بتهمة "جرائم ضد الدولة" اذا لم يلتزم الهدوء وكان جوابه:

– لقد تأكدت الان بأن لا شيء ممكن بالطرق القانونية ، ولم يتأخر سترولينى عن اعطاء نسخة عن هذا المستند الى زوجة رومل التي سلمته لزوجها، وكان رد فعل الماريشال قوياً فالمستند يتطابق وافكاره الشخصية،

في نهاية ١٩٤٤ استقبل رومل سترولينى في منزله بهيرلينكن، واضطر سترولينى الى الاختباء من أجل اضاعة آثار اية مراقبة، ودامت المقابلة حوالي ست ساعات، كانا على اتفاق تام من ناحية الوضع السياسي والعسكري لالمانيا، عندها قال سترولينى،

– اذا كانت افكارنا متطابقة فيجب ان تصل الى نفس النتيجة التي توصلت انا اليها،

وهنا عرض سترولينى خطة من اعداد كبار الضباط من الجبهة الشرقية تنص باعتقال هتلر وبعد ذلك اجباره على اعلان تخليه عن الحكم بواسطة الاذاعة، وتلاقت نظرات الرجلين، وعم الصمت، ووافق رومل على الخطة واجتاز الخط الاحمر،

قد يكون مجنوناً

وفقاً لما نقل عن "سبيدل" رئيس اركان المارشال رومل، فان هذا الاخير كان على معرفة بخطة لاغتيال هتلر، ولكنه لم يوافق عليها، يجب الان على "سترولينى" ان يشرح اسباب زيارته استمع رومل بصمت كلي الى سترولينى الذي كان يشرح له انه الضابط الالماني الاكثر شعبية والاكثر محبة لدى الالمانيين والاكثر احتراماً لدى الاعداء انفسهم:

– انك الوحيد الذي يستطيع ايقاف حرب اهلية محتملة في المانيا، يجب عليك تبني الحركة،

بقي رومل متردداً، وسأله سترولينى ان كان يؤمن بوجود اسلحة سرية، فنفى ذلك،

وهتلر؟ سأله سترولينى .

أجاب رومل:

– انه يعيش اوهاماً ،

– الا تستطيع مقابلته ولفت نظره الى الحقيقة؟

– حاولت ذلك مراراً دون نجاح،

اتفق عندئذ على أن يقوم رومل بمقابلة هتلر كمحاولة اخيرة لاقناعه، وفي حال فشله قرر رومل ان يبدأ بالتنفيذ فوراً،

– اعتقد ان من واجبي مساعدة المانيا،



■ الاسرى الالمان بالمئات.. بعد انتهاء المعركة..

في نيسان ١٩٤٤ اصبح احد اعضاء المنطقة ضد هتلر: الجنرال سبيدل حلقة الوصل بين رومل وفون ستولبا نجيل حاكم فرنسا العسكري والعنصر الرئيسي في المنظمة ضد هتلر٠

في ١٥ ايار عقد اجتماع في فيلا في "ماريل - مارلي" بين "سبيدل" و"ستولبا نجيل" حيث وضعا الخطوط العريضة لطلب الهدنة التي كانا يأملان مناقشتها مع ايزنهاور ومونتغمري فاذا لم يستطيعا قلب نظام هتلر فسيفاوضان بدون علمه٠

واطلع رومل على كل شيء٠

وفي ٢٧ ايار عقد اجتماع جديد في مقر الجنرال سبيدل في "فرودنستاد" سبب الاجتماع: رومل٠

كان الحاضرون: سبيدل (ممثلا رومل) سترولين وفون نوران وهو وزير خارجية سابق٠ وضع محضر بالاجتماع ارسلت نسخة منه لرومل٠ كان هذا الاخير بدأ التكلم بصراحة دون اخفاء مشاعره وخاصة امام ضباطه المساعدين٠ وكان احد هؤلاء الضباط يتولى تسجيل كل ما يتفوه به الماريشال واثناء اطلاعه على هذا المحضر وجد ما يلي:

"ان اوامر هتلر ليست الا هراء وقد يكون الرجل مجنوناً"

وكان رد فعل الماريشال رهيباً:

- هل تريد ان تقودني الى المشنقة؟

وتم اصلاح عبارات المحضر٠

طوال هذه الاسابيع اظهر رومل قوة ارادة في العمل غير منتظرة٠ فقد جهز الكاتب ارنست جنجر مشروع معاهدة سلام مبنية على ان اوروبا موحدة على اسس الديانة المسيحية٠ وفور اطلاعه على المشروع وافق رومل عليه٠ لكنه يفكر اكثر واكثر في السلام وبنفس الوقت يعمل الى اقصى حد لتقوية الدفاع ضد اي هجوم محتمل؛ كان يعتقد - وكان على حق - بأنه يجب المفاوضة من مركز قوة٠

وفي السادس من حزيران وفيما كان رومل في اجازة في هيرلينجن؛ بدأ الحلفاء بالنزول٠ واستدعى على عجل٠ وكم كانت مفاجأته كبيرة عندما رأى كل ما توقعه يتحقق٠ وفي مساء اليوم نفسه كان الحلفاء قد تمركزوا في رأسي جسر استراجيتين وكان يدرك انه من غير الممكن رميهم في "البحر" بل يجب محاصرتهم٠ وحاول دون جدوى٠ وكان التفوق الجوي للحلفاء كاسحاً٠ هل سيفهم هتلر في النهاية؟ واخلاصاً منه لمبادئه قدم رومل تقريره للفور في ١٢ حزيران٠ واظهر مخاوفه واعلن ان العدو يسيطر على الجبهة كلياً٠ وفي ١٧ حزيران استدعى هتلر كلا من رومل وفون روندستيد الى الاجتماع به قرب "سوامسون"٠

وكان الاثنان متفقين على الانسحاب٠ ورد هتلر بعنف:

- لا انسحاب٠

وحاول رومل اقناعه بمحاولة سلام مع القوى الغربية؛ فلم يقنع وقطع الاجتماع فجأة٠



■ رومل في قلب المعركة٠٠

عليه ان يذهب

وفي ٢٩ حزيران التقى رومل وفون روند ستيد مرة اخرى بهتلر في برستيد فادن٠ وكان هتلر محتداً؛ وتوجه الى رومل قائلا٠

- كل شيء يتحسن لو انك صممت على القتال٠

-وبواسطة سبيدل افهم رومل المتآمرين وضع هتلر النفسي وعند ذاك قرر هؤلاء تصفيته جسدياً؛ واختير الكولونيل فون ستوفنبرغ للتنفيذ٠ ولانه كان يستطيع الدخول الى "مقر الذئب" كان عليه وضع حقيبة متفجرات بين اقدام هتلر٠ وبعد ذلك تبدأ عملية الانقلاب باعتقال او اغتيال الشخصيات النازية٠ثم يتولى المتآمرون السلطة بتشكيل حكومة مؤقتة٠ وعند هذه المرحلة يستدعى رومل الذي كان سيقبل دون شك وستتم العملية في العشرين من تموز٠

في السابع عشر من تموز؛ اتم رومل كعادته يومياً جولته على جبهة النورماندي٠ وتوجه الى القيادة العامة في "سيب ديتديش"٠ وفي الرابعة بعد الظهر غادر القيادة للالتحاق بقيادته الخاصة لان العدو اخترق احد المواقع٠

في السادسة كانت سيارة الماريشال بالقرب من "ليفارو"٠ وفجأة ظهرت طائرتان تتجهان نحو السيارة٠ اسرع السائق وحاول الدخول في شارع صغير لكنه لم يستطع٠ لقد اصبحت الطائرة الاولى التي كانت تحلق على علو منخفض فوق السيارة وفتحت نيرانها فاصابت السيارة من الجهة اليسرى واصيب رومل بجروح في وجهه نتيجة تطاير شظايا الزجاج٠ لقد اصطدم بالحاجز بقوة واصبح خارج السيارة فاغمي عليه على بعد عشرين متراً٠

نقل رومل بعد ٤٥ دقيقة الى مستشفى حيث قام طبيب فرنسي بتضميد جروحه واعلن ان امله بالحياة ضئيل٠ لقد وجدت ثلاثة كسور في دماغه٠ احدها في القاعدة والاثنان الاخران على الجوانب٠

٠٠ ولم تصدق نبوءة الطبيب الفرنسي٠ فبعد ايام كان رومل في وضع صحي لا بأس به٠٠٠ وسمح بنقله الى المستشفى العسكري في /فيستبه/ قرب باريس٠

ومنذ الثالث والعشرين من تموز اصبح بامكان رومل الجلوس على السرير واعلن خسارة الحرب٠ وفي الثاني من آب اصر على الانتقال الى منزل في "هرلينكن"؛ كان لا يريد ان يقع وهو مصاب اسيراً بين يدي العدو٠ وتابع علاجه في المانيا٠ وما أذهل زوجة رومل هو ان احداً من زعماء الرايخ او من القيادة العليا لم يتصل للاطمئنان عن صحة زوجها٠ اذن كانت يد هتلر وراء كل ذلك٠

اما "ستولبانجيل" فقد اشترك في المؤامرة بنشاط ظاهر٠ لقد اعطى اوامره باعتقال افراد

"الجستابو" في باريس وبعد العشرين من تموز، استدعى الى برلين. ولكونه كان يعرف المصير الذي ينتظره، فقد توقف في "فردان" حيث قاتل عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨ واطلق رصاصة في رأسه ولكنها لم تقتله. وعندما استرجع قواه فاقد البصر، تفوه بكلمة "رومل".

وقام الطبيب الجراح بكتابة تقريره الى الجستابو في باريس. وبعدها عذب ستولبانجيل وشنق. وفوق ذلك وجدت لدى بعض المعتقلين اوراق تثبت ان رومل سيصبح قائداً للرايخ فور تصفية هتلر.

علامات الموت.

واشتد الخناق على رومل. اعتقل الجنرال سبيدل. ووجه رومل رسالة احتجاج الى هتلر شخصياً، ولكن دون جواب وبقي ستروليني احد القلائل الذين لم يعتقلوا. وجاء لرؤية رومل. وتكلم الرجلان بصوت منخفض خوفاً من وجود اجهزة تجسس. بعد ايام زاره مايير وهو رئيس قسم الحزب في مقاطعة اولم، وتكلم رومل بصراحة.

في السابع من تشرين الاول اتصل الماريشال "كيتل" برومل طالباً منه التوجه الى برلين في العاشر من الشهر من اجل مقابلة هامة. مساء التاسع سيكون قطاره الخاص بانتظاره. واستشار رومل طبيبه البروفسور "البريخت". الذي أفاد بأنه من غير الممكن القيام برحلة كهذه. واتصل رومل بكيتل ولكن جاءه الرد من الجنرال بورغوروف وهو مسؤول العلاقات الشخصية في الجيش.

تقول زوجة رومل: كنت في الفرقة عندما طلب زوجي من بورغوروف بأن يقول للماريشال كتيل بأن الاطباء يمنعونه من الانتقال بسبب حالته الصحية، وطلب معرفة الامر الهام واذا امكن ارسال ضابط لدراسة الموضوع. وجاء رد الجنرال بورغوروف بأن الفوهرر طلب من الماريشال كيتل الاجتماع به لمعرفة ما سيفعله مستقبلا.

وفي الثالث الثالث عشر من تشرين الاول اتصلت القيادة العامة في شتوتغارت واعلمت رومل بأن الجنرال بورغوروف ومع الجنرال مايزل يصلان ظهر الغد.

في اليوم التالي وصل ابنه "مانفريد" بقطار السادسة صباحاً وكان في اجازة. وجد والده واقفاً، وتناولا الفطور معاً. ثم سارا جنباً الى جنب بين اوراق الشجر المتساقطة. وتكلم رومل عن الزيارة التي ينتظرها.

سأل مانفريد: ـ هل يأتيان من اجل مركز جديد؟

اجاب رومل: هذا ما قالاه لي.

لم يستطع مانفريد اخفاء شعوره بأن والده مهموم. ويبدو ان الماريشال حاول المستحيل



لاخفاء ذلك. وتكلم مع ابنه عن مستقبله. لم يكن يتمن له الاستمرار في الحياة العسكرية. كان يريده طبيباً.

وفي الحادية عشرة دخلا المنزل.

تمام الثانية عشرة، وصل رسولا هتلر، بورغوروف ومايزل. كيف يمكن ان يتجاهل انهما ايضاً رسولا القدر. وبناء لطلبهما البقاء مع رومل دون شهود قادهما الماريشال الى غرفة في مدخل المنزل وهنا بقيا وحدهم حوالي الساعة.

جئت لتوديعكم

عندما انفتح الباب ودخل رومل الى الردهة متوجهاً للاجتماع بزوجته. كانت الزوجة منفعلة ووجدت على وجه زوجها ملامح القسوة والتردد وصرخت:

ـ ما بك؟ ماذا حصل؟ هل انت مريض؟

ونظر اليهما طويلا وصاح:

ـ جئت لتوديعكما. بعد ربع ساعة اكون ميتاً، انهم يتهمونني بالاشتراك بمحاولة اغتيال هتلر، يبدو ان اسمي كان على لائحة "غوروليبر" كرئيس ممثل للرايخ. وانا لم اجتمع "بغوروليبر" طيلة حياتي. الفوهرر يترك لي الخيار بين السم والمثول أمام محكمة الشعب. لقد احضرا السم معهما ويقولان ان مفعوله يسري بعد ثلاث ثوان:

وصاحت زوجته بأن عليه المثول أمام المحكمة. كانت واثقة من مقدرته على انقاذ نفسه.

ـ كلا؛ انني لا اخشى المثول أمام المحكمة لانني استطيع تبرير كل مواقفي. ولكنني متأكد من عدم وصولي الى برلين وانا على قيد الحياة.

وفي هذه اللحظة دخل "مانفريد" الى الغرفة؛ واختصر رومل الموقف واعلن له انه سيموت؛ وودع ولده المنهار. وعندما خرج، استدعى "اولينفر" ضابطه المساعد من الفرقة المجاورة. وعندما حضر وعلم بما ينتظر قائده احتج قائلا.

ـ انني اتوسل اليك بأن تهرب. قد تستطيع بواسطة اسلحتنا النفاذ. لقد وجدنا انفسنا في ظروف اصعب من هذه ونجحنا.

وهزّ رومل رأسه.

ـ لا جدوى من كل ذلك يا صديقي. كل الطرق مقفلة بواسطة سيارات الاستخبارات السرية. لن نستطيع الالتحاق بقواتنا. الهاتف مقطوع. انني لا استطيع حتى الاتصال بمركز قيادتي.

ـ تستطيع على الأقل اغتيال بورغوروف ومايزل.

ـ انهما ينفذان الاوامر. ويجب عليّ التفكير في زوجتي وابني مانفريد.

ويروي بأن الماريشال شرح له كيف انهم وعدوه بعدم المساس بزوجته وولده ان هو اختار السم. سوف يدفع لهما تعويض شهري. اما هو فسيحتفل بجنازته كبطل وطني، وشرحا له حتى تفاصيل الشعائر والاحتفالات..



حادث صحي ...

لقد تكلمت مع زوجتي واتخذت قراري. لن اقبل ابداً بأن يشنقني هذا الهتلر. اني لم اشترك ابداً بمحاولة الاغتيال. لقد حاولت فقط خدمة وطني كما فعلت طيلة حياتي؛ ولكن الان اعرف ماذا عليّ ان افعل. بعد نصف ساعة سيتصلون لابلاغكم بأن حادث اصطدام مريع حصل لي ادى الى وفاتي.

نزل رومل الدرج مع مانفريد والدينكر. كان الضابطان ينتظران في الحديقة أمام المنزل. تقدما باتجاه السيارة بينما توجه الميجور "الديكنر" للقيام ببعض "الترتيبات". صعد رومل في المقعد الخلفي للسيارة ثم تبعه يورغوف ومايزل... وانطلقت السيارة.

بعد ٢٥ دقيقة رن جرس الهاتف. رفع الدينكر السماعة. وكان على الطرف الآخر الميجور ايهرنكر الذي كشفت نبرات صوته انه كان مشدوهاً:

– الدينكر: لقد حلت كارثة. اصيب الماريشال بنزيف في الدماغ وهو في السيارة. لقد مات.

صمت تام من الدينكر.

– هل سمعت ما قلت؟

– نعم؛ سمعت.

– ارجوك اذن ابلاغ السيدة رومل بأنني سأحضر فوراً.

رفضت السيدة رومل استقبال ايهرنكر. اما الدينكر فقد توجه الى مستشفى او لم حيث شاهد الجثة.

بعد الظهر قاد الدينكر السيدة رومل وابنها مانفريد الى المستشفى حيث اخبرهم رئيس الاطباء بأن جثة الماريشال: احضرت الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة.

المنهج التاريخي عند الفقيه ابن العربي

د. احسان عباس

■ ابو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (-٥٤٣هـ/١١٤٨م) اندلسي رحل الى المشرق مع ابيه وهو في السابعة عشرة من عمره، ودرس على ابي حامد الغزالي وغيره من علماء المشرق، ولما عاد الى الاندلس عين قاضياً ببلده اشبيلية، فكان شديداً صارماً في أحكامه، ثم صرف عن القضاء، فأقبل على نشر العلم، وله مؤلفات عديدة قيمة.


د. احسان عباس: استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية ببيروت.

لم يكن ابن العربي - فيما نصب له نفسه وسخر له علمه وكفاياته المتعددة - يدعي انه مؤرخ، ولكنه من موقف الفقيه الاشعري وجد نفسه يحاكم حقبة من التاريخ، تلتبس فيها الاحداث بالاحكام، وتصطرع من حولها التفسيرات المتعددة ليصبح كل تفسير منها منطلقاً لمجموعة من المعتقدات تتبلور من حولها الفرق المختلفة. وبما أن الاشخاص الذين تدور حولهم أحداث تلك الحقبة ذوو "منزلة خاصة" فان الاختلاف حول تفسير تصرفاتهم قد ادى - وما يزال يؤدي - الى تباين، لا في الرؤية التاريخية وحسب بل في المواقف العقائدية أيضاً. وتلك الحقبة تمتد من مقتل عثمان الى مقتل الحسين، وقد ارتبطت اسئلة عديدة من مثل: هل نفى عثمان أباذر الغفاري الى الربذة؟ هل قتل عثمان مظلوماً؟ هل تخلى الصحابة عن نصرته؟ هل كان معاوية "جاداً" في المطالبة بدمه؟ الى عشرات من الاسئلة التي تتناول ما دقّ وما جلّ من احداث تلك الفترة. فماذا يمكن ان يقول فقيه ابتعد عن تلك الاحداث - مكاناً وزماناً - حين يتصدى للاجابة عن تلك الاسئلة، وهو محكوم منذ البداية بمنهج فقهي كلامي صارم في النظر الى التاريخ؟ واسرع الى القول بأن ليس ابن العربي فريداً - في سياق تاريخنا - باتخاذ هذا الموقف، فلعل تاريخ الحقبة المذكورة كتب - وما يزال يكتب - من منظور مسبق، ومن رجحان افراد على سواهم في الميزان الديني والاخلاقي لدى من يكتب ذلك التاريخ، واذن فنحن ازاء حقبة يعسر تناولها من زاوية "الاسباب الفاعلة" و"النتائج" المترتبة على تلك الاسباب. وقد كانت رؤيتها بوضوح عسيرة ايضاً على كثير ممن عاصرها، وما صمت الصامتين عن الحكم على الإشخاص المتصارعين في تلك الحقبة، واعتزال من اعتزل، وجهر جماعات بالارجاء الا تعبير عن تلك الحيرة. ومع كل ما بذله ابن العربي من جهد في بناء منهج صالح - في رأيه - لالقاء الاضواء الكاشفة على تلك الفترة التاريخية فانه يعود في النهاية ليوجه نداءه الى الجماهير قائلا: "عرجوا عن سبيل الناكثين الى سنن المهتدين، واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد هلك من كان اصحاب النبي خصمه، ودعوا ما مضى فقد قضى الله ما قضى". (١). واول ما يدل عليه هذا النداء - وهو دعوة الى الصمت - شك ابن العربي نفسه في قدرة منهجه على أن يحيط بكل المشكلات التي تتصل بتلك الفترة، او أن يجد الاجوبة الحاسمة عنها، ويشفي من الحيرة والقلق ازاء رجالها واحداثها، وهو منهج ان حقق شيئاً جزئياً من ذلك فانه لا يصلح أن يكون اداة في يد كل واحد من الناس.

ينطلق ابن العربي في نظرته الى الروايات التاريخية من انعدام إيمانه بفئتين من الاخباريين هم المؤرخون والادباء "فانهم ينشئون أحاديث فيها استحقار للصحابة والسلف والاستخفاف بهم" ويخص بهجومه من المؤرخين ابن قتيبة ذلك الجاهل الذي "لم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتابه الامامة والسياسة ان صح عنه جميع ما فيه" والمسعودي المبتدع المحتال فان ما رواه متاخم للالحاد، ومن الادباء المبرد في كتابه الادبي (يعني الكامل) والجاحظ الذي يدعوه كلما عرض ذكره بالشيخ المفتري. ومن المستغرب ان نجده يقول: "ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً الا للطبري" (٢). ووجه الغرابة هنا لا يتناول الثقة بالطبري نفسه، وانما لان ابن العربي كان يعرف ان الطبري ينقل عن رواة سابقين، وان في الروايات التي نقلها عن بعضهم ما قد يتعارض والآراء التي يعتقدها ابن العربي نفسه، فكيف يدعو الناس ليستمعوا الى روايات تبدو احياناً متعارضة ان لم نقل متناقضة، وبعض اصحابها لا يرتفعون عن الهوى؟! ذلك غريب حقاً، وهو ما يجيز لنا أن نقول ان منهج ابن العربي منذ البداية، لا يبدو قائماً على نقد سليم او شامل للمصادر. وانما اوقع ابن العربي في هذا المأزق انه حين رفض المؤرخين الكاذبين دعا للعودة الى الاخذ عن العدول، ولما كان الطبري عدلا في ذاته أجاز الاستماع إليه ونسي ان تاريخ الطبري روايات لا يسأل الطبري ازاءها عن مدى صلتها بالواقع التاريخي، وانما قد يسأل عن مدى تحكمه في اختيارها وحسب.

وهذه الدعوة الى الاخذ عن العدول مقنعة من حيث المبدأ، ولكنها مطلب مثالي، اذا كفلت له السلامة النسبية في الحديث، فليس ما يضمن كفالتها في التاريخ. وهي من حيث التطبيق دعوة تحدد مدى انطباق المنهج التاريخي الذي يرسمه ابن العربي، اذ ليست شهادة العدول متوفرة على مرّ الزمن فيما يتعلق بالاحداث، كما أن في عدالة الشخص الواحد خلافاً يصعب معه التوفيق أحياناً بين طرفيه المتباعدين، وهذا الواقدي - وهو الموثق عند المؤرخين - تتعارض فيه الاقوال حتى تكاد لا تلتقي، فهو عند بعض المحدثين متهم او ضعيف او ليس بشيء، وهو عند آخرين "أمين الناس على الاسلام" (اي على الاخبار في العهود الاسلامية) وهو أيضاً "امير المؤمنين في الحديث" (٣).

لهذا وجد ابن العربي انه ليس لديه - لتحقيق دعوته هذه - الا روايات قليلة اوردها البخاري والدارقطني وخليفة بن خياط، فرجحها على ما عداها. ولو كثرت لديه أمثال هذه الروايات لقدرنا أنه كان سيقيم - ولا بدّ - دراسة منهجية للمعارضة والمناقشة والتعليل والترجيح ولكنه لم يفعل - في الاغلب - لانه لم يكن يملك الادوات اللازمة لذلك عند كل قضية. فاختار احدى طريقتين - كلتاهما محفوفة بالخطر - وذلك أنه اما أن يلجأ الى الرفض



■ علبة للحلي والروائع العطرية، من روائع الفن الاسلامي الاندلسي. قرطبة ٩٦٩ ـ ٩٧٠(؟) من متحف فكتوريا والبرت في لندن. من كتاب، الفن الاسلامي ـ دافيد جيمس.

المطلق للرواية دون ابداء الاسباب، واما أن يحتكم الى "منطق الاشياء" او "يستلهم الوجدان". مثال ذلك موقفه حين يدافع عن عثمان نافياً انه ضرب عماراً وابن مسعود، فيقول: "واما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار افك مثله، ولو فتق امعاءه ما عاش ابداً. وقد اعتذر العلماء عن ذلك بوجوه لا ينبغي ان يشتغل بها لانها مبنية على باطل، ولا ينبني حق على باطل، ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال فان ذلك لا آخر له" (٤). وواضح من هذا أن حديثه عن ضرب ابن مسعود رفض للرواية جملة، وان نفيه لضرب عمار مبني على ما سميته "منطق الاشياء"، وقد يكون ما يقوله ابن العربي صحيحاً، ولكنه في نطاق المنهج المرسوم لا بدّ ان يكون مقنعاً حتى تتأكد صحته.

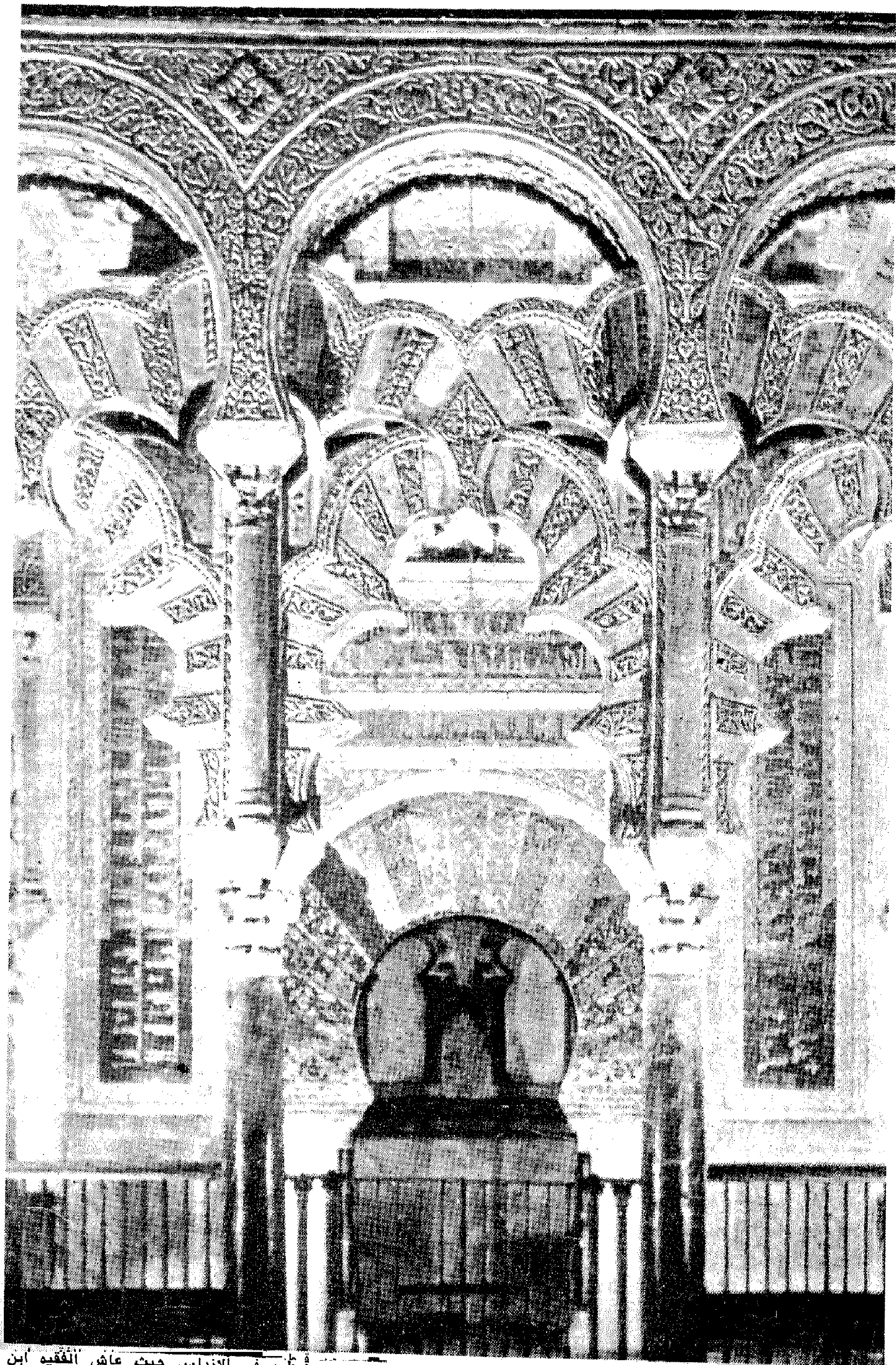
و"منطق الاشياء" هنا قد يعني مثلا ان عثمان كان شيخاً طاعناً في السنّ ليست لديه القوة البدنية التي تمكنه من ان يضرب شخصاً فيفتق امعاءه، وان الحدة التي تنسب اليه في أخريات ايامه لم تظهر لها بوادر في شبابه وكهولته — فالقضية معكوسة — وانه من المستبعد لرجل نشأ في ظل النبوة وتأدب بأدبها ان يعامل اصحابه واصحاب نبيه على هذا النحو الذي ترويه الروايات عن عثمان فتصوره جباراً غليظاً، ثم من المستبعد أن يضرب شيخ كبير أيضاً وتفتق امعاءه ويظل على قيد الحياة — في ظروف ذلك الزمان — الى غير ذلك من تعليلات لا يذكرها ابن العربي جميعاً وانما يوحي بمعظمها اطمئنانه النفسي الحاسم الى أن مثل هذا الفعل لا يمكن ان يصدر عن صحابي جليل كعثمان.

ومعنى ذلك أن "المنزلة الخاصة" — التي اشرت اليها من قبل — هي التي تتحكم في قبول الخبر او رده، وهنا يتسع معنى العدالة فلا يظل قاصراً على ما نقله اشخاص بأعيانهم مثل خليفة والبخاري والدارقطني وانما كل رواية تصبح معدلة، اي مقبولة، ما دامت لا تمسّ تلك المنزلة الخاصة بسوء. وفي مثل هذه الاحوال لا بأس من قبول روايتين هما — رغم تباينهما في الدلالة — اخف مساساً بتلك المنزلة من رواية ثالثة. وموطن الشاهد هنا ذهاب ابي ذر الى الربذة، فقد رفض ابن العربي الرواية التي تقول ان عثمان نفاه اليها، وذكر ان اباذر حين استقدمه عثمان الى المدينة جعل يدعو الى مثل ما كان يدعو اليه في الشام من الحث على عدم كنز الاموال (وما اريت زكاته في رأي ابن العربي لا يعد كنزاً) فقال له عثمان: "لو اعتزلت" اي كأنما قال له: "انك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فان للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها. ومن كان على طريق ابي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، او يخالط ويسلم لكل أحد حاله، مما ليس بحرام في الشريعة" (٥). هذه هي الرواية الاولى التي قبلها ابن العربي اعني قول عثمان لابي ذر "لو اعتزلت" فامتثل ابو ذر اشارته واعتزل، ثم ما لبث ابن العربي ان قبل رواية أخرى وهي أن ابا ذر عاد الى المدينة فاجتمع عليه الناس فقال لعثمان: اريد الربذة، اي اختار هو نفسه العزلة. وهناك فرق اصيل بين أن يوحي عثمان الى ابي ذر بالعزلة ويحضه عليها وبين ان يختارها ابو ذر من تلقاء نفسه، ولكن ابن العربي لا يعير هذا الفرق ادنى اهتمام ما دامت الروايتان تقفان في وجه رواية ثالثة تؤكد ان عثمان نفى ابا ذر الى الربذة.

ومن الانصاف لابن العربي ان اقول — استطراداً — انه كان يدرك اهمية ما يدعو اليه ابو ذر حين يقول: "وحال ابي ذر افضل، ولا تمكن جميع الخلق" وانه لم يأت برواية اختيار ابي ذر للعزلة من عند نفسه، وانما هي رواية اوردتها المصادر التاريخية. جاء في انساب الاشراف: "ويقال ان عثمان قال لابي ذر حين قدم من الشام: قربنا يا ابا ذر خير لك من بعدنا، يُغْدَى عليك باللقاح ويراح، فقال: لا حاجة لي في دنياكم، ولكني آتي الربذة، فأذن له فأتاها" (٦). وتحدث بشر بن حوشب بقصّة نفي ابي ذر الى الربذة الى سعيد بن المسيب، فأنكر سعيد ان يكون عثمان اخرجه وقال: "انما خرج ابو ذر اليها راغباً في سكناها" (٧). الا ان ابن العربي يوحي — لعدم مناقشته الروايات او نسبتها الى مصادرها — بأنه يحتكم الى الترجيح بين حالتين دون اعتماد لبحث او تمحيص.

ومن الطبيعي ان يجعل ابن العربي تلك "المنزلة الخاصة" محوراً في منهجه، لانه مهتم في المقام الاول بأقامة "سنة"، وغايته من وراء التحقيق التاريخي — ان صح ان نسمي عمله تحقيقاً — هو جلاء تلك السنة. فالصحابة لم يتخلوا عن عثمان، ذلك ما يحاول ان يثبته بشهادة النقل والعقل، وانما هو الذي طلب اليهم الكفّ وعزم عليهم الا يشهروا سلاحاً للذود عنه، والقى بيده الى المصيبة واستسلم، "وامر عثمان كله سنة ماضية وسيرة راضية" حتى ان ابن العربي نفسه اختار ذات يوم ان يستسلم اقتداء بعثمان، فقد كان قاضياً شديداً على المنكر، حريصاً على ازالته، مما اغضب بعض الغاصبين والفاسقين، فتألبوا عليه ومشوا الى داره وحاصروه، فأمر كل من حوله ان لا يدافعوا عنه، "وخرجت الى السطوح بنفسي فعاثوا علي، وامسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار" (٨).

ولأهمية الهدف الذي يسعى اليه ابن العربي لم يحس انه يطرح منهجاً ضيقاً تتحدد فيه قدرته على النقد. ومما زاد في بعده عن مثل هذا الاحساس اعتماده على ذكائه. فميزة منهج ابن العربي الكبرى ليست في ذاته — دائماً — وانما في شخصية صاحبه، وهي شخصية تتمتع بشيئين بارزين — الى جانب فضائل اخرى كثيرة — وهما اتساق الموقف والذكاء النافذ.



■ مسجد قرطبه في الاندلس حيث عاش الفقيه ابن العربي .. وهو من آيات الفن الاسلامي في القرن العاشر .

فمن اتساق الموقف ـ وهو موقف سني اصلا لا ينفرد به ابن العربي ـ انه حين تنعقد البيعة لامام ما ـ وان كان مفضولا ـ فكل" ثائر عليه خارج على البيعة، خاضع لقول الرسول ـ كما رواه مسلم ـ: "انها ستكون هنات وهنات، فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان" (٩). وقدوته في هذا السبيل ابن عمر، فانه حين ثار أهل المدينة على يزيد قال ـ فيما رواه البخاري ـ: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، واني لا اعلم غدراً اعظم من ان نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال" (١٠). وهذا الاتساق في الموقف قد وضع ابن العربي في موقف شديد الحرج ـ وخاصة في تفسيره لمقتل الحسين ـ ولكنه لم يبال بذلك لانه كان يؤمن بسلامة الجماعة ايماناً لا يتزعزع.

وأما الذكاء النافذ فانه حاضر في معالجة صغار الامور وكبارها: فالحديث "انت مني بمنزلة هارون من موسى" لا يدل على خلافة، لان العارفين يعلمون ان هارون توفي قبل موسى (١١). وطلحة لا يمكن ان يقول: "بايعت واللج" على قفي" (أي والسيف على قفاي) لان "قفي" لغة هذيل وطلحة قرشي (١٢). ومن كبار الامور قضية التحكيم، وقد ادرك ابن العربي ان الرواية الشائعة حول هذه القضية اشبه بفصل مسرحي مضحك، ولذلك سماها "سخافة"، وان ابا موسى الذي كان موضع ثقة الرسول وثقة عمر في الولاية والقضاء لا يمكن ان يكون ابله ضعيف الرأي، وان المغالاة في وصف عمرو بن العاص بالدهاء انما تمثل طرفاً في تلك المعادلة، والحق الذي لا مرية فيه عند ابن العربي ان عمراً عزل معاوية، وذلك ما تؤكده، رواية للدارقطني عن حصين بن المنذر (١٣).

ان قصة التحكيم تلفتنا الى الحقيقة الاولى في منهج ابن العربي، وهي ان نعيد طرح الاسئلة عن تلك القضايا ـ دون ملل ـ حتى ولو عجزنا عن اجابتها، والا ظل النقد التاريخي لدينا منهزماً أمام الاساطير المسلية. ولا يعيب ابن العربي ان يجانبه التوفيق احياناً في الاجابة عن بعض الاسئلة ، كما حدث له ـ واكتفي بمثال واحد ـ حين القى هذا السؤال: لماذا ذهب طلحة والزبير وعائشة الى البصرة؟ يقول ابن العربي ـ ومقدماته مقدمات المؤرخ الدقيق ـ :"اما خروجهم الى البصرة فصحيح لا اشكال فيه، ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد لان الثقة لم ينقله، وكلام المتعصب غير مقبول، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الاسلام واستنقاص الصحابة" (١٤) ثم يفترض ثلاثة احتمالات لخروجهم:

١ ـ اما انهم خرجوا خلعاً لعلي بعد ان اتضح لهم وجه من الحق لم يكن واضحاً قبل البيعة، وهذا احتمال ضعيف "لان الخلع لا يكون الا بنظر من الجميع وبعد الاثبات والبيان".

٢ ـ واما انهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان، وهو ايضاً احتمال ضعيف، لأنهم لا يستطيعون طلب قتلة عثمان قبل تأليف الكلمة.

٣ ـ ويبقى الاحتمال الثالث المقبول وهو انهم "خرجوا لينظروا في جمع طوائف المسلمين وضم" نشرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا". ولكن مصلحة أهل الاهواء غلبت، وتبادر الناس الى القتال. ولا نريد ان نسأل ابن العربي اي الطوائف التي كانوا يريدون جمعها؟ بل نقول ان هذا التعليل قاصر عن الوفاء بتفسير اختيار البصرة دون سواها، واذا كان تأليف الكلمة هو الغاية من الخروج فلم الخروج اصلا وقد كانت المدينة احسن ساحة من البصرة للاجتماع والائتلاف، واذا كانت نيتهم الحرب فما هي ميزة البصرة على غيرها اهي صلاحية الموقع للقتال أم وجود الاتباع والمساندين أم وفرة المرافق الاقتصادية؟

ان حدة الذكاء تكسب المنهج حيوية وتهجم به على منافذ ومداخل جديدة، ولكنها لا تستطيع ان تنقذ، مما يعانيه من مكبلات اولية، بل لعل" الذكاء كثيراً ما يخضع لقيود المنهج وخاصة حين تكون تلك القيود الزامية وافدة من خارج المنظور التاريخي. فابن العربي المحدث قد يقنعنا بقبول الرواية ذات السندالقوي ورفض ما هو واهي الاسناد مثل الحديث المنسوب الى الرسول "ايتكن صاحبة الجمل الاديب التي تنبحها كلاب الحوأب" ولكنه لا يتصور ابداً ان يتردد في قبول ماصح" عنده من حديث مع انه كان يعلم ان "الصحيح من حديث النبي كنقطة من بحر" (١٥) ولو كان مؤرخاً يملك نظرة شمولية لوجد أن اغراق هذه الفترة ـ رجالا واحداثاً ـ بالنبوءات أمر يحتاج الى تأمل طويل. في مقدور المؤرخ أن يتساءل ـ دون ان يباشر بالقبول او الرفض ـ: لماذا اجتمعت كل هذه الاحاديث مثل: "لتقاتلنه وانت ظالم له" (للزبير)، "تقتلك الفئة الباغية" (لعمار)، "يخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين... (في ذي الثدية) الى غير ذلك من احاديث كثيرة؟ ولماذا سلطت على هذه الفترة دون غيرها؟ ثم يستطيع المؤرخ ـ لا المحدث ـ أن يتساءل: هل من الممكن ان يكتب التاريخ في ظل الاخبار بالمغيبات؟

وفي مثل هذا المنهج الذي يجعل الرواية المعدلة او المحتملة هي الاولى بالاخذ والتصديق لا بد من تقدير ـ باديء ذي بدء ـ لمحتوى الرواية، ثم لا بد من اتخاذ هذا المحتوى شاهداً على العلاقات التاريخية، فقد قبل ابن العربي رواية تقول ان عثمان وقع للثائرين على مطالبيهم وهي: "ان

المنفي يقلب (اي يرد) والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الامانة" (١٦) وهذا هو معنى رواية ابي مخنف كما اوردها البلاذري: "ان لكم ان اعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه: يعطى المحروم ويؤمن الخائف ويرد" المنفي ولا تجمّر البعوث ويوفر الفيء..." (١٧) ويعني هذا الميثاق ان هنالك مطالب محددة للثائرين، وان اقرار عثمان بها اعتراف منه بوجود منفي يحتاج الى رد" ومحروم بحاجة الى عطاء، وحاجة الىالعدل في القسمة وتوفير الفيء، ولو لم تكن هذه مطالب محددة لوسع عثمان ان يقول لهم: "ان ما تطلبونه دعوى لان كل شيء جار بما يؤكد زور مطالبيكم". واقوىتلك المطاليب – كما لا بد ان نلاحظ – تتصل بأمور اقتصادية تجعل للثورة اسباباً مرتبطة بواقع الحياة. وهنا يعترض الفرض المسبق دون ذكاء ابن العربي فيمنعه من التنبه الى ما قد يقع فيه من مغالطة، ذلك انه رغم قبوله لهذه الرواية يجعل اسباب الثورة على عثمان الاحقاد الفردية، "ممن طلب امراً فلم يصل اليه، وحسد حسادة اظهر داءها، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين وايثار للعاجلة على الآجلة (١٨).

وقد يحسن ان يقال في هذا الصدد: ان الاحقاد لا تتولد من ذاتها في فضاء، وانها – ان وجدت – لا تمثل مرحلة اولية – ثم لا تمثل تياراً عاماً – في الخروج على عثمان، الا ان تكون صدى تابعاً لاحقاد قوم آخرين وجهوا "الدعاية" ضده واحكموها، حتى صار الاتباع – الذين يصفهم ابن العربي بدناءة القدر – يرددون ما يقوله سادتهم.

وقد اضاف ابن العربي – من موقف الفقيه – قيداً آخر الى منهجه حين احتكم في رؤية التاريخ الىأحكام فقهية لاحقة مثل: "ان البيعة تتم" بواحد او اثنين" او "انتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه ان يخرج عليه" (كما حدث في مطالبة معاوية بدم عثمان وخروجه عليه)، وغير ذلك منأحكام، فهذه لا تفسر سياق التاريخ ولا تضيف شيئاً الى حركته، واستغلالها في التسويغ والتقليل يحجب عن عيني الدارس الحال الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لدى المشاركين في احتجاج او فتنة او ثورة او منافسة، كما يطمس ارتباط هذه الامور كلها بالمرحلة المدروسة.

هل يمكن ان يقال بعد كل ذلك ان ابن العربي لم يفعل شيئاً سوى انه اضاف الى المواقف الجدلية، موقفاً آخر، وهل يمكن ان يقال ان هذه الفترة بالذات ستظل اعسر من ان يقتحمها المؤرخ، الا ان يكون مسجلا وحسب للاحداث؟

تعليقات

١ – العواصم من القواصم (الجزء الثاني من آراء ابي بكر بن العربي الكلامية، تحقيق عمار طالبي، الجزائر ١٩٧٤): ٤٢١
٢ – العواصم: ٤٧٣ – ٤٧٤
٣ – ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ٩: ٣٦٣ – ٣٦٨
٤ – العواصم: ٣٨١
٥ – العواصم: ٣٨٤ – ٣٨٥
٦ – البلاذري انساب الاشراف (ط. القدس، ١٩٣٦) ٥:٥٣
٧ – انساب الاشراف ٥:٥٥
٨ – العواصم: ٤٠١
٩ – العواصم: ٤٥٥
١٠ – العواصم: ٤٤٩
١١ – العواصم: ٤٣٠
١٢ – العواصم: ٤٠٣
١٣ – العواصم: ٤١٨ – ٤٢٠
١٤ – العواصم: ٤٠٦
١٥ – العواصم: ٤٩٦
١٦ – العواصم: ٣٩٥
١٧ – انساب الاشراف ٥: ٦٤
١٨ – العواصم: ٣٩٣

بقايا القصر العباسي

..أو قصر المأمون

في بغداد

اعداد: قسم الدراسات

منظر جانبي

عهد بناء القصر

الى اي عهد يرجع تاريخ بناء هذا القصر المهم؟

ليس لدينا ـ مع الاسف ـ معلومات اكيدة عن هذه القضية.

لان كتب التاريخ المعلومة، لم توضح مواقع القصور وتقسيماتها بالضبط اللازم. كما انه لا يوجد في القصر كتابة واحدة تدل على تاريخ بنائه، او على واقعة من الوقائع التي حدثت فيه. ولم يظهر بين انقاضه ايضا، شيء مكتوب. سوى قطعة آجر مكسورة، كتب عليها ـ بين زخارف زهرية ـ (ذلك في) ان قسم التاريخ من هذه الكتابة مفقود، كما ان شكل الزخرفة التي عليها تدل على انها متأخرة عن البناء. فلا سبيل لمعرفة تاريخ البناء، سوى الاستدلال من الموقع ومن طراز الزخرفة والبناء.

لقد اصطلح الناس على تسمية القصر، باسم "قصر المأمون" غير انه لا مجال للشك في انه، متأخر عن عهد المأمون كثيرا. لان الاشكال الزخرفية المعلومة في عهد المأمون، وفي العهود التي تليه، بعيدة جدا عن زخارف هذا القصر. فان قصور الخلفاء في سامراء كانت مزينة بزخارف جبسية، مع انها كانت مبنية بالآجر. فلا شك في ان القصر الموجود في القلعة احدث من قصور سامراء باجمعها.

كما انه لا مجال للشك في ان انواع الزخرفة المشهودة هناك مما لا يمكن ان تتكون عن طريقة زخرفة الآجر مباشرة. بل انها من الاشكال التزيينية التي تولدت من استعمال مواد زخرفية اخرى ـ كالاحجار والاخشاب ـ والتي انتقلت منها الى الآجر، بعد تكاملها.

وبهذا الاعتبار، يسوغ لنا ان نجزم بان بناء القصر يعود الى اواخر العهد العباسي، لا اوائله. وانه لا يتقدم على تاريخ بناء المستنصرية بكثير من عقود السنين.

ولا يستبعد ان يكون ـ والحالة هذه ـ من المباني التي شيدت في عهد الخليفة الناصر لدين الله.

داخل قلعة بغداد، في الزاوية الجنوبية الغربية منها، ايوان قديم مزخرف، من بقايا قصر عباسي، يعرف بين الناس باسم "قصر المأمون".

يتصل هذا الايوان من طرفيه بسلسلة من الغرف والقاعات والمجازات. وتتعامد هذه السلسلة، في الجهة اليسرى من الايوان، بسلسلة ثانية، تنتهي بمجاز مزخرف وحجرة مزخرفة، تفوق زخرفتها سائر الزخارف الموجودة في الايوان.

غير ان هذه الحجرة المزخرفة ـ مع مجازها البديع ـ كانت محرومة من المنافذ. وكان لا يدخلها النور الطبيعي الا من الثلمة الحادثة في سقفها المتضعضع. ولهذا السبب، كان الوصول اليها يستلزم اجتياز دهاليز مظلمة طويلة، مجهزة



منظر مأخوذ بعد رفع المباني المستحدثة (الجبهة الشرقية)

ببعض الفوانيس والمصابيح. وأما تمييز انواع الزخارف التي تزين سقوفها والقسم الاعلى من جدرانها، فكان من الامور العسيرة جدا. ولذلك، فان البعض من العلماء القليلين الذين دخلوا اليها، وكتبوا عنها، اعتبروها كـ"سرداب" لا يتم الوصول اليه الا باجتياز بعض الانفاق التي تمتد "تحت الارض".

وبما ان دعامات وجدران هذه الحجرة المزخرفة، كانت متضعضعة جداً. كما ان قسما من سقفها كان قد انهدم فعلا، رأت مديرية الآثار في اواخر سنة ١٩٣٤، ان تقوم بالتعميرات اللازمة لصيانتها، واخذت تهدم بعض الاقسام من الجدران المتصلة بها، بقصد تقويتها. غير انها عندما هدمت احد هذه الجدران. رأت من خلفه بقايا مزخرفة، في منتهى الاتقان والبداعة. وعندما تتبعت اثارها، لاحظت ان سلسلة القبب التي تمتد بين هذه الحجرة والايوان تتصل بجدار مزخرف قديم، كما فهمت ان القبة الكبيرة القائمة في الجهة اليمنى من الايوان ايضا تستند على حيطان مبنية امام جدران مزخرفة قديمة.

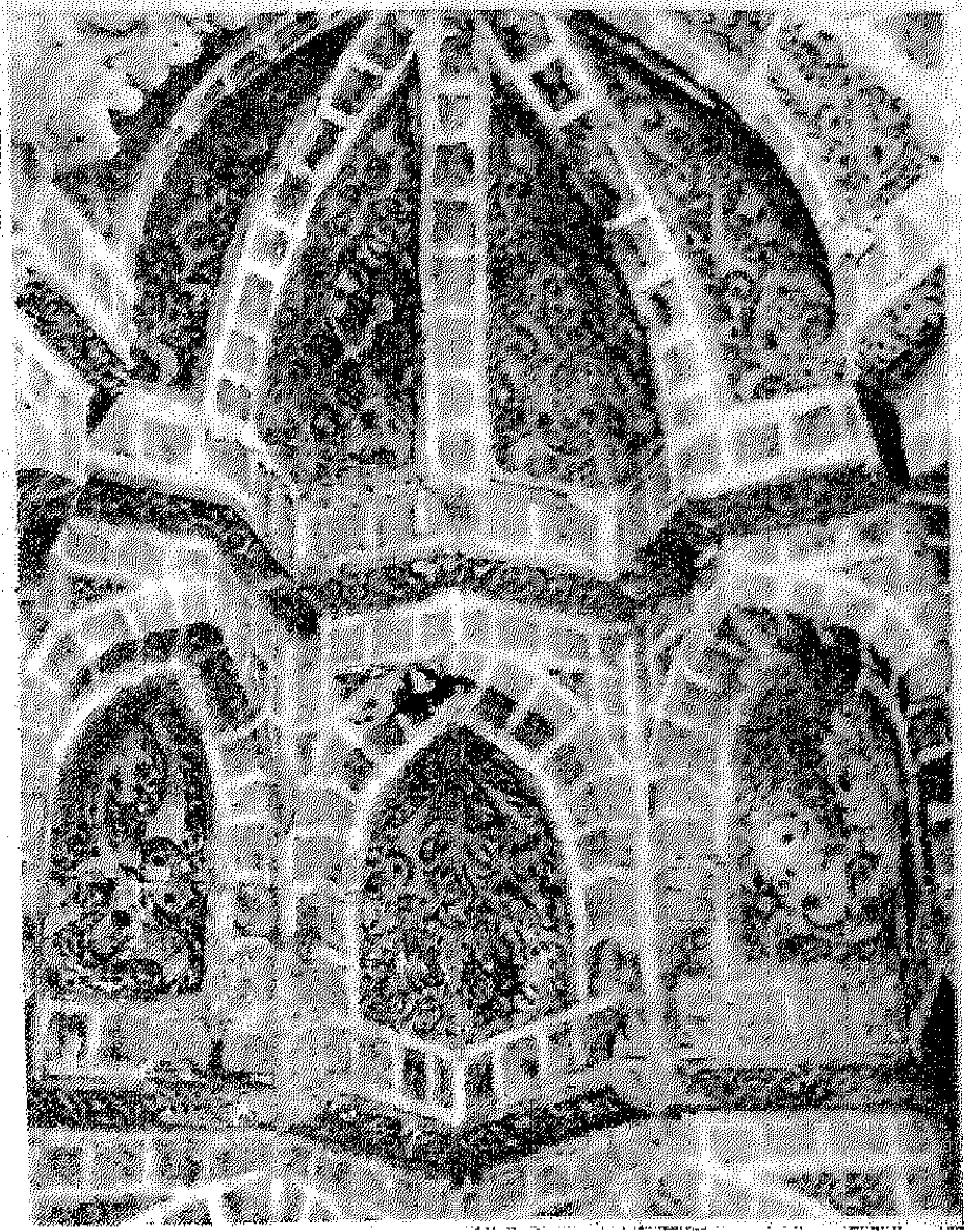
ولذلك، قررت هدم جميع الغرف والجدران المستحدثة، لاظهار الجدران القديمة وتقويتها، وباشرت في تنفيذ هذا القرار من فورها. كما رفعت جميع الانقاض المتراكمة، التي كانت قد كونت طبقة سميكة، لا يقل معدل سمكها عن المتر ونصف المتر في معظم اقسامها. وبعد ذلك حفرت بعض المحلات، فاظهرت بعض الاساسات العائدة الى الاقسام المتهدمة، فتوصلت بهذه الصورة الى معرفة مخطط القصر الاصلي وتقسيماته الداخلية، معرفة اكيدة.

كانت القلعة في العهد العثماني ثكنة للمدفعية، وهذا القسم منها كان مذخرا للعتاد الحربية. ولا شك في ان استعمال البناية لمثل هذه الغاية كان قد استلزم سد بعض الابواب والمنافذ القديمة، تارة بالآجر والجص، وطورا بالآجر والطين، واستحداث بعض الابواب والمنافذ عن طريق ثقب الجدران القديمة، تارة بصورة منتظمة، وطورا بصورة غير منتظمة ـ كما كان استلزم تشييد بعض الجدران والقبب الجديدة ـ بعضها مستند على اساسات قديمة، وبعضها مشيد على اسس جديدة فتشابك "القديم" و"الحديث" في البناية تشابكا عجيبا، فتباعد المجموع عن هيأته الاصلية تباعدا كبيرا.

فقد تبين خلال اعمال الصيانة التي قامت بها دائرة الآثار القديمة، ان المباني الموجودة كانت محصول ثلاثة ادوار اساسية، تفصل بين الاول والاخير منها مدة لا تقل عن سبعة قرون:

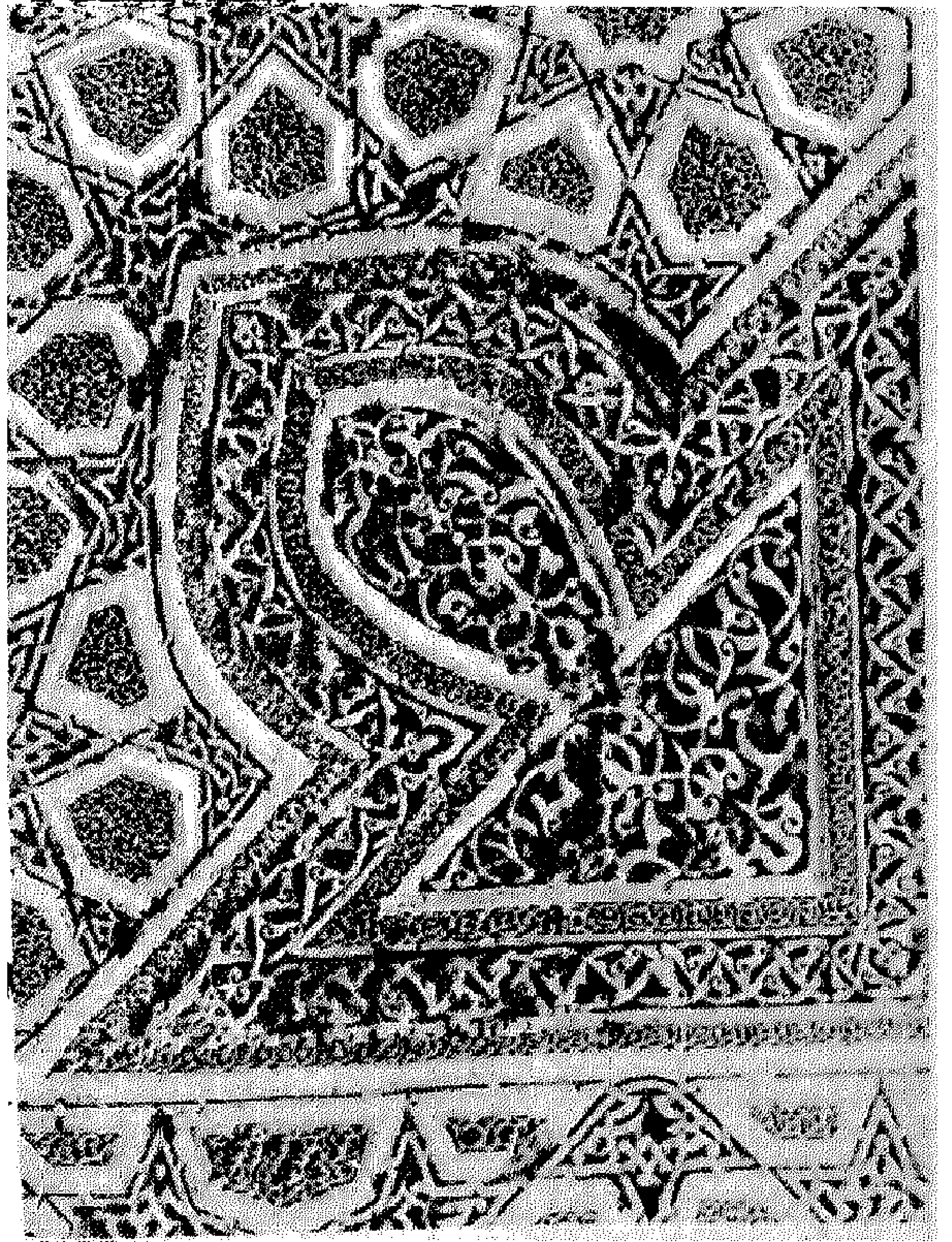
(أ) الايوان وغرف وقاعات القصر الاصلية.

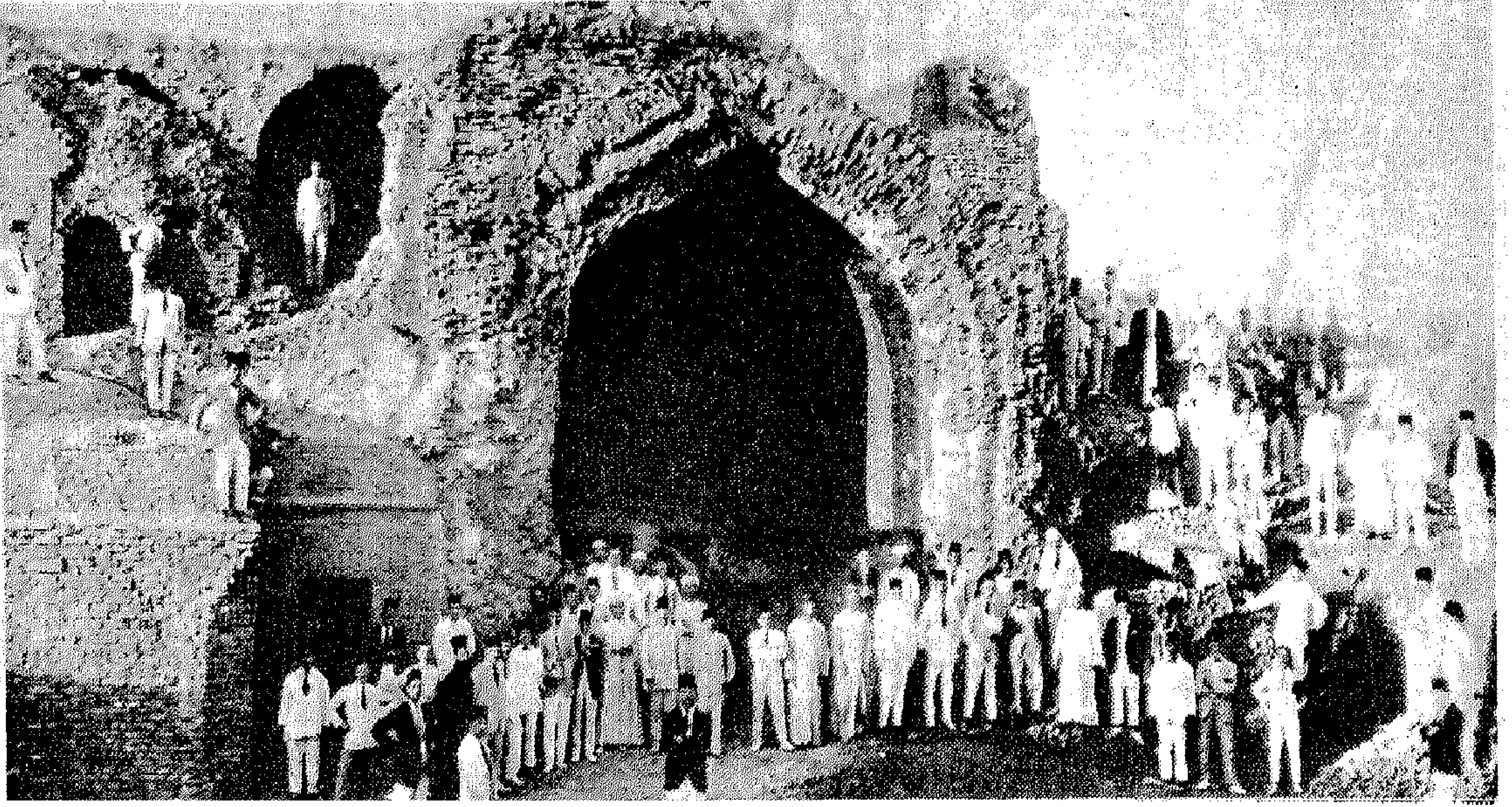
(ب) البرج المستحكم الذي شيد ـ على ما يظهر ـ بعد شيوع استعمال المدافع، والالات النارية.



تفاصيل زخارف الرواق

تفاصيل الزخارف





منظر عام الايوان (سنة ١٩٢٣)

(ج) المخازن والغرف والقبب التي اضيفت الى بقايا القصر في العهد العثماني، بعد التنظيمات العسكرية.

فقد هدمت دائرة الآثار جميع الاقسام المستحدثة في الدور الاخير. غير انها حافظت على البرج المستحكم، لانها تأكدت من ان بنايته قديمة ايضاً، ولو كانت احدث من بناية القصر. كما لاحظت انه مشيد بصورة مستقلة عن القصر، دون ان يغير من تقسيماته واجزائه الاصلية شيئاً.

ان رفع الجدران المستحدثة، وتتبع اساسات الجدران المتهدمة، اظهرا بكل وضوح، ان القسم الامامي من الايوان كان ينتهي ببابين جانبيين، وان هذين البابين كانا يتصلان برواق مزخرف طويل، يدور حول الصحن، وينتهي بالحجرة المزخرفة القائمة الى الآن، والتي كانت تظهر كسرداب مظلم قبلاً.

وخلال ترميم جدران هذه الحجرة المزخرفة ورفع الرقع المستحدثة فيها، ظهر في الجهة الشطية منها بقايا فتحة قديمة، لم يعرف في بادىء الامر فيما اذا كانت في الاصل محل باب او شباك، لانها كانت متصلة بجدار حديث متين، يحمل احدى القبب الكبيرة العائدة الى المباني العسكرية المستحدثة التي كانت لا تزال تحت استعمال الجيش فعلاً.

فقد استحصلت الدائرة على موافقة وزارة الدفاع على هدم القبة مع الجدران التي تسندها، بالرغم من متانتها، واستفادة الجيش منها. وبعد الهدم، تبين لها بان الفتحة المذكورة كانت باباً، وان الباب المذكور كان مدخل القصر، من جهة الشط. فالداخل الى القصر من هذا الباب، كان يجد نفسه امام "ما بين" مزخرف، فكان يستطيع ان ينتقل من الما بين الى القاعات الخلفية، او الى الرواق المحيط بالصحن، كما كان يستطيع ان يصل الى الايوان نفسه، تحت ظلال هذا الرواق.

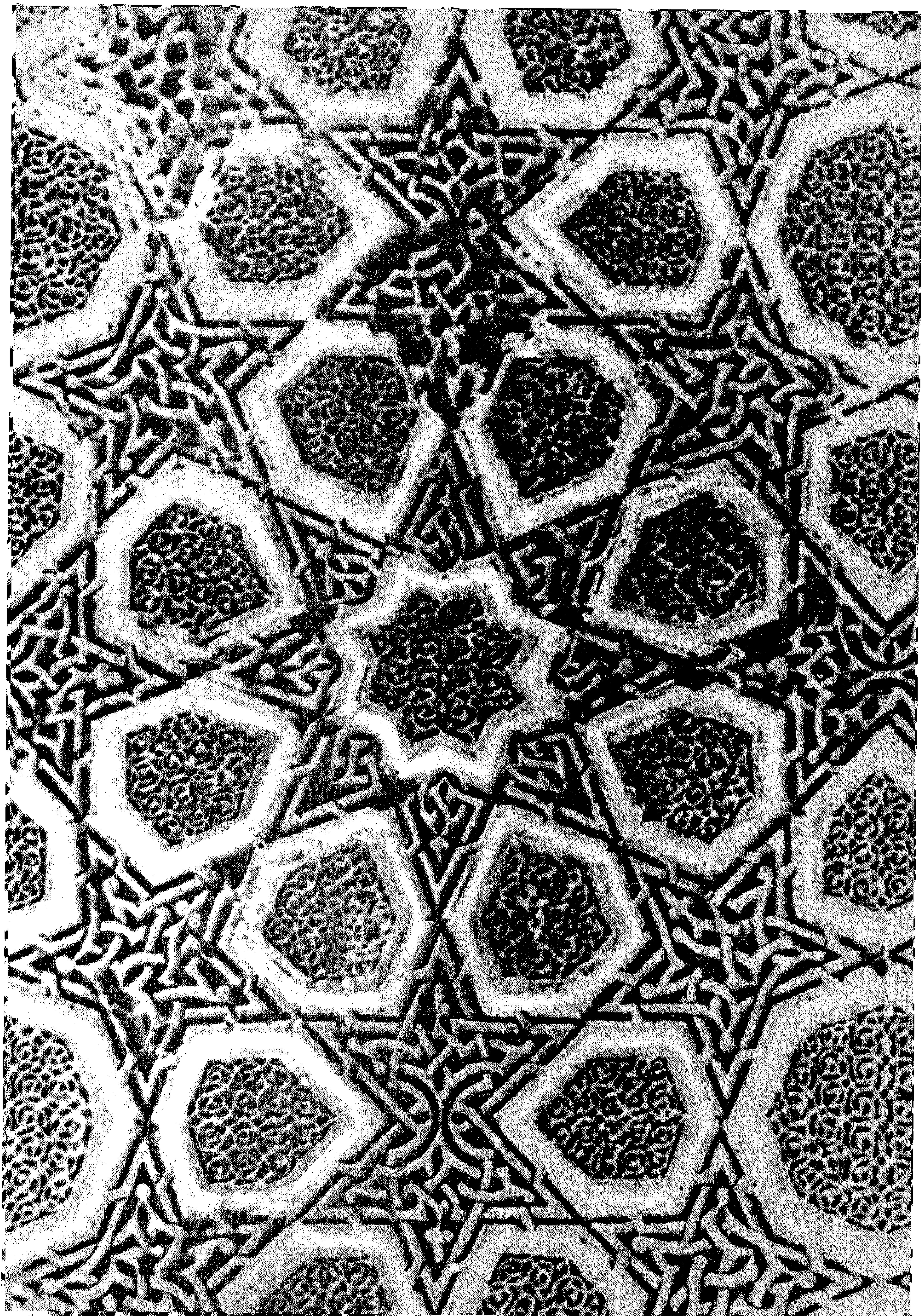
تقسيمات القصر

١ ـ الايوان

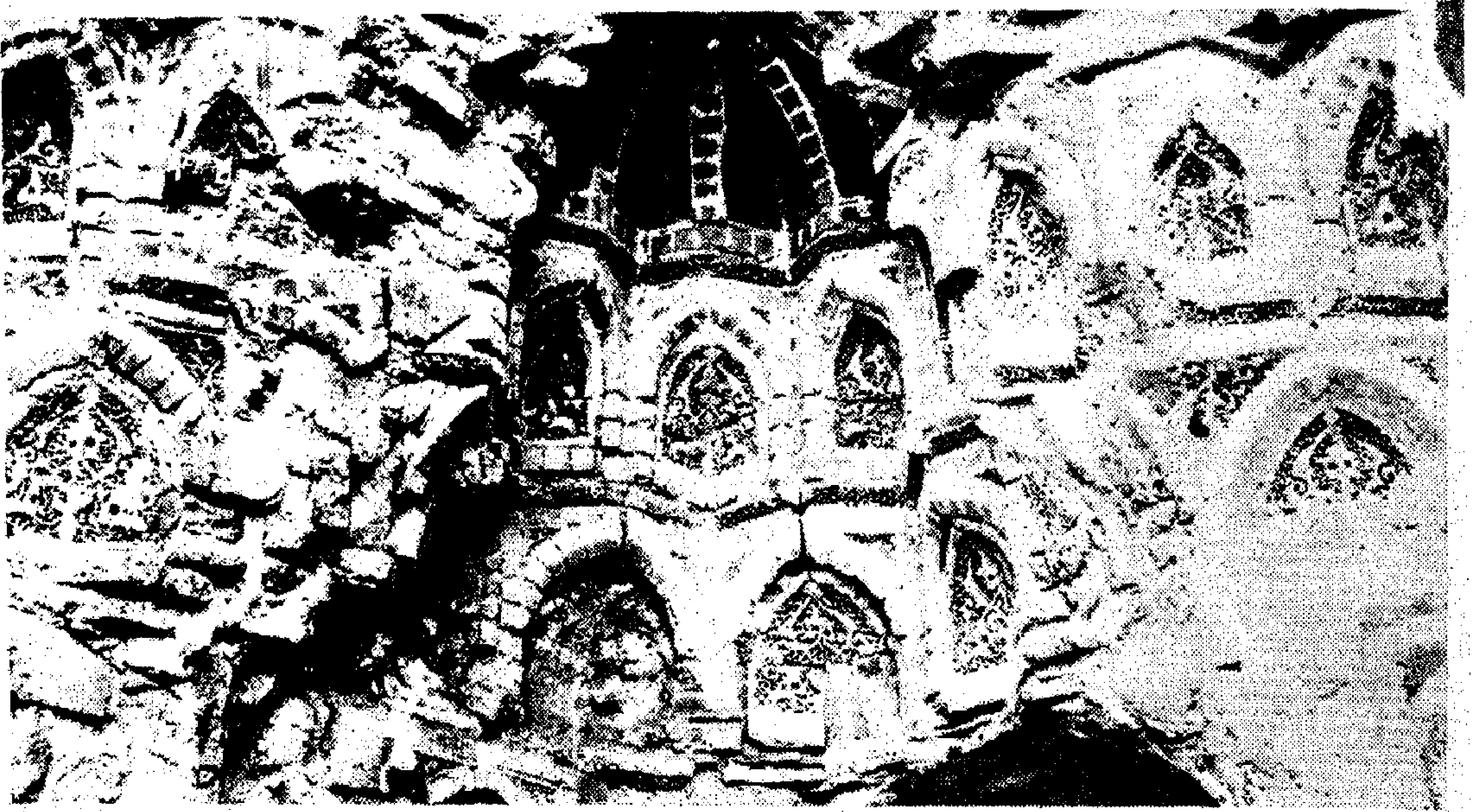
ان ابرز واهم اقسام القصر، هو "الايوان"، وهو بمثابة "قاعة كبيرة" مفتوحة من جهتها الامامية فتحة تامة. يبلغ عرض هذا الايوان نحو خمسة امتار، وطوله ثمانية امتار ونصف، واما سقفه البيضي، فيرتفع عن الارض اكثر من تسعة امتار.

والقسم الاعلى من جدران هذا الايوان مستور بزخارف بديعة، حتى اعلى السقف. غير ان القسم المزخرف من الجدران يبرز عن اسفلها على شكل افريز جميل، يبدأ من علو ثلاثة امتار ونصف.

كما ان القسم الامامي من جداري الايوان يرجع الى الوراء، نحو اربعين سنتمترا على طول متر واحد، وهذا القسم المتراجع يصعد على طول السقف، فيكوّن امام الايوان نطاقا منخفضا، مزخرفا بزخارف خاصة، يزيد في جمال المجموع زيادة بارزة.



تفاصيل الزخارف



بقايا زخارف على جدران الرواق (في الزاوية الشرقية الجنوبية)

والزخرفة التي تستر هذا النطاق الامامي، تنزل الى ما تحت مستوى الافريز الذي ذكرناه آنفا، حتى تتصل بطاقين صغيرين، يعلوان بابين جانبيين، يكونان بمثابة قاعدتين لهذا النطاق المزخرف.

٢ ـ الصحن الرواق

ان فتحة الايوان البديع تتصل بصحن مستطيل قليلا، (طوله ٤١,٥ وعرضه ٤٠ مترا). كان هذا الصحن محاطا برواق ذي طابقين، كانت تنفتح وراء طوق هذا الرواق ابواب الغرف، من ارضية وفوقانية. غير انه في بعض الجهات، يتحد الطابقان لتكوين قاعات مرتفعة، مثل الايوان.

ان اكثر الاقسام القائمة الان تقع في الجهة الجنوبية من القصر وتعود الى الضلع الجنوبي من الصحن، واما البعض منها فتقع في الجهة الشرقية منه.

٣ ـ الضلع الجنوبي

يتالف القسم الجنوبي من سبع غرف صغيرة (عرضها ٣٢,٤ طولها ٣,٨٠م)؛ وكان يعلو كل واحدة من هذه الغرف غرفة فوقانية، جدران وسقوف الاربعة منها لا تزال قائمة الى الآن.

واما الرواق الذي كان يتقدم ابواب هذه الغرف، فكان يستند على ثمانية اعمدة، يبلغ ثخن كل واحدة منها (١,١٥) مترا، والفاصلة بين كل اثنين منها متران، والبعد بينها وبين جدار الغرف الامامي في الطابق الارضي (١,١٠) مترا.

ان سلسلة هذه الغرف السبع، تنتهي في طرفيها بمجازين جانبيين (عرض كل منهما ١,٧٠، طوله وارتفاعه ٤,٨٦ امتار).

وهذان المجازان يتصلان بدهليز طويل ومرتفع، يمتد خلف سلسلة الغرف، متوازيا ومتناظرا للرواق الذي امامها (عرض الدهليز ١,٢٨، طوله ٢٦,٧٠، ارتفاعه امتار).

ويقوم خلف هذا الدهليز الطويل اربع قاعات كلها مرتفعات.

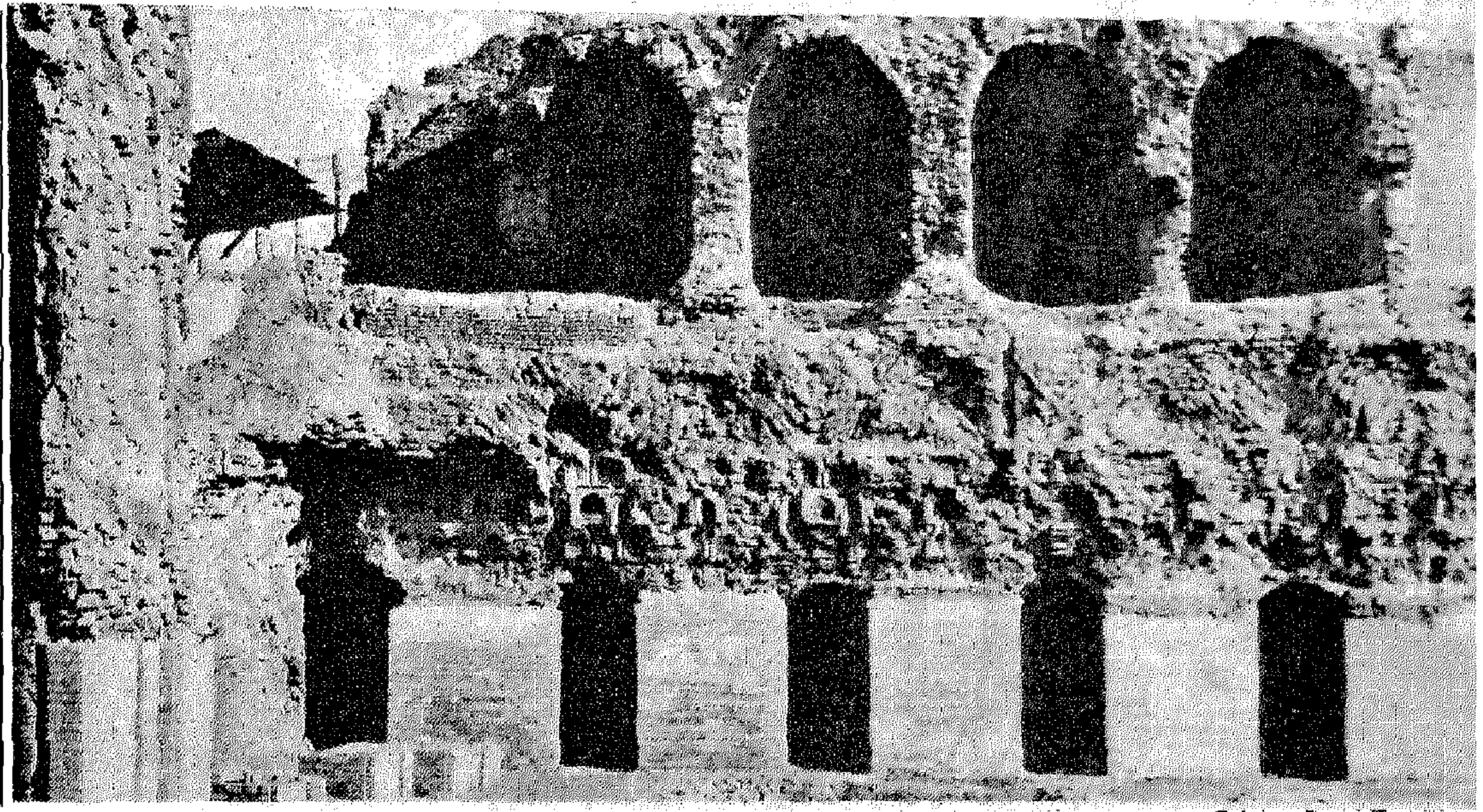
وعدا ذلك كله، فان المجاز الجانبي الذي يقع في الجهة الغربية من هذه الغرف، يتصل بدهليز مزخرف، ذي ثلاثة اضلاع، يحيط بحجرة مزخرفة، من جهاتها الثلاث. ولهذا الدهليز خمسة ابواب.

مواد البناء وطرز البناء

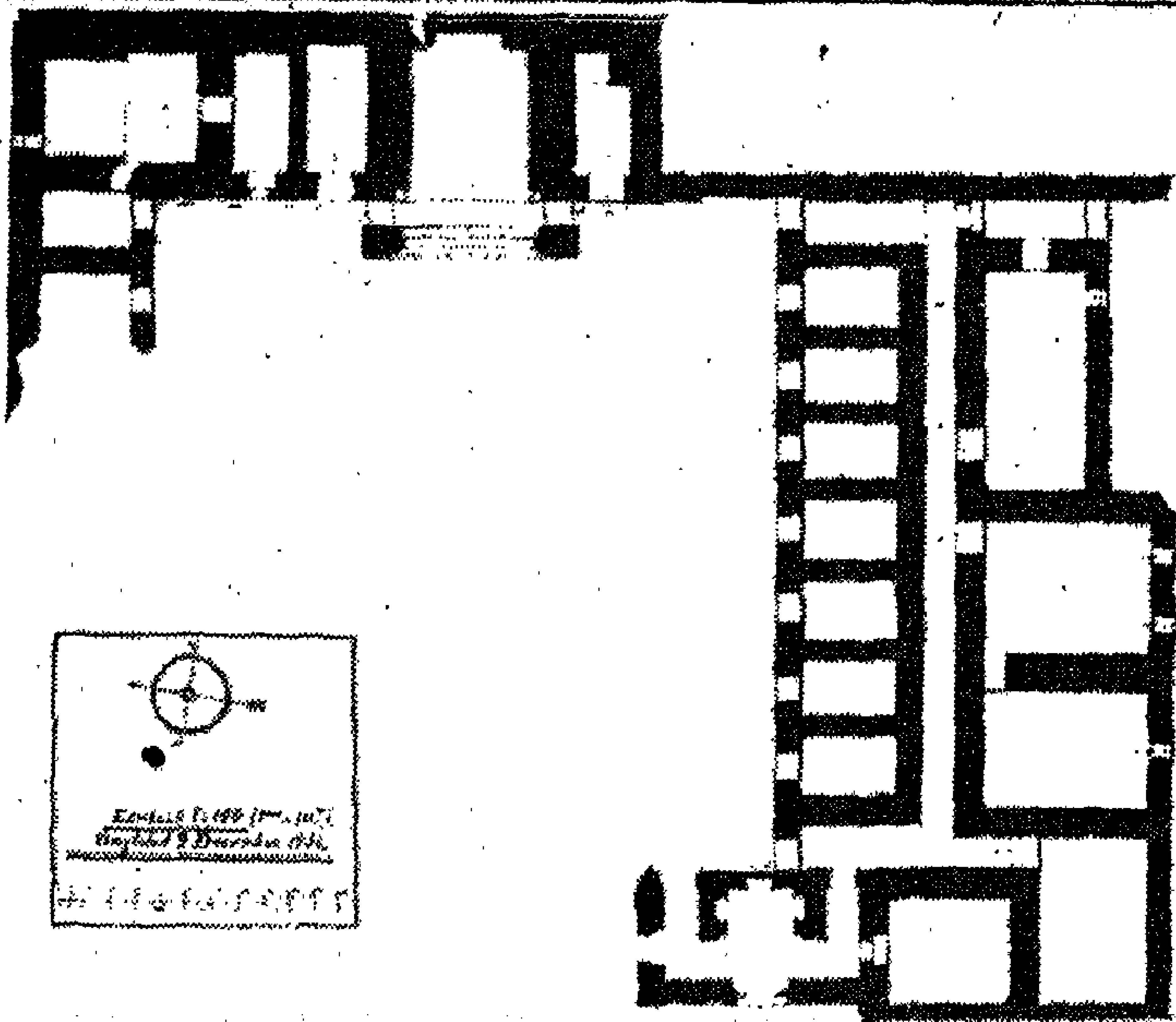
ان جميع اقسام البناء مشيدة بالآجر (الطابوق). حتى ان الطوق والسقوف ايضا معقودة بها.

وهذه العقادات مشيدة على احد الشكلين التاليين بوجه عام:

(أ) الشكل المعروف بين البنائين باسم "الدور"، والذي يشبه مقطع نصف البيضة.



منظر مأخوذ بعد أعمال التقوية والصيانة (الجبهة الجنوبية)



مخطط بقايا القصر بعد رفع المباني المستحدثة

(ب) الشكل المعروف بين البنائين باسم "المدني"، والذي يشبه مقطع سلة مسطحة القعر، مقوسة الجانبين.

ان سقف الايوان وسقوف المجازات كلها من النوع الاول. واما سقوف الغرف والقاعات، فجميعها من النوع الثاني.

ان اكبر الطوق المعقودة على الشكل الاول، يشاهد في الايوان. اذ ان هذا الطاق معقود على جدارين، يبعد احدهما عن الاخر نحو خمسة امتار.

واما اكبر السقوف المعقودة على الشكل الثاني، فيشاهد في قاعة اخرى الى جانبها؛ اذ ان سقف هذه القاعة، يعلو فوق جدارين، يبعد احدهما عن الآخر، نحو (٥ر٤) امتار. واما عقود الابواب، فانها تجمع الشكلين بوجه عام. اذ ان كل باب يتألف من طاقين: الخارجي منهما على شكل "الدور" والداخلي منهما على شكل "المدني".

واما عقادات الرواق، فلا شك في انها ايضا كانت تجمع الشكلين: اذ كان يوجد امام كل باب قبة مقعرة، وكان يمتد بين كل قبتين متواليتين سقف مسطح منخفض. وكانت تتصل هذه القبب والسقوف، بطوق الابواب وجدران الرواق، بواسطة سلسلة من المقرنصات.

الزخارف

ان الزخارف التي كانت ولا تزال تزين جدران وسقوف بعض اقسام البناء ايضا مصنوعة من الآجر.

والدقة والكثرة التي تمتاز بها هذه الزخارف حملت بعض العلماء على الاعتقاد بانها مصنوعة من الجص والستوك، ومصبوبة بواسطة قوالب خاصة. غير ان التدقيقات الواقعة لم تترك مجالا للشك في ان هذه الزخارف كلها من الاجر بدون استثناء.

ان جميع تلك السقوف والسطوح والمقرنصات المزخرفة، تتكون من تلاصق قطع من الآجر، مختلفة الاشكال والحجوم؛ كل واحدة منها محفورة ومنقوشة

ان معظم قطع هذا الآجر الزخرفي مسطّحة. غير انها تلتحم بعضها مع بعض بواسطة قطع رقيقة، تقع زخرفتها على ثخنها لا على سطحها العريض.

وكثيرا ما تبرز حافات هذه القطع الرقيقة عن سطوح القطع التي تقع بينها مما يجعل الزخارف كثيرة النتوء، كأنها محفورة في الخشب الى اعماق مختلفة.

وتكون هذه القطع في بعض الجهات منحنية السطوح، تقع نقوشها على سطوحها المقعرة.

والدقة المبذولة في هذه الزخارف ـ علاوة على تنوعها ـ تكسب هذا القصر، مكانة فنية خاصة، باعتبار زخرفة البناء.

توجد في اقطار العالم المختلفة، قصور كثيرة، عربية وغير عربية، مزدانة بزخارف بديعة، مصنوعة من الحجر او الخشب، مكونة من الجبسين او الزلاج (الكاشاني). غير انه لا يوجد قصر او معبد بلغت فيه "الزخرفة بواسطة الآجر" الى هذا الحد من "التنوع في الفروع مع البداعة في المجموع".

فيمكننا ان نقول: ان ما تبقى من القصر العباسي في بغداد، يمتاز بهذا الاعتبار عن جميع المباني المعلومة، في العراق وفي خارج العراق، فانها تعد من اهم المباني الاثرية، لانها ـ "الدرجة القصوى" التي وصل اليها فن البناء في "زخرفة الآجر".

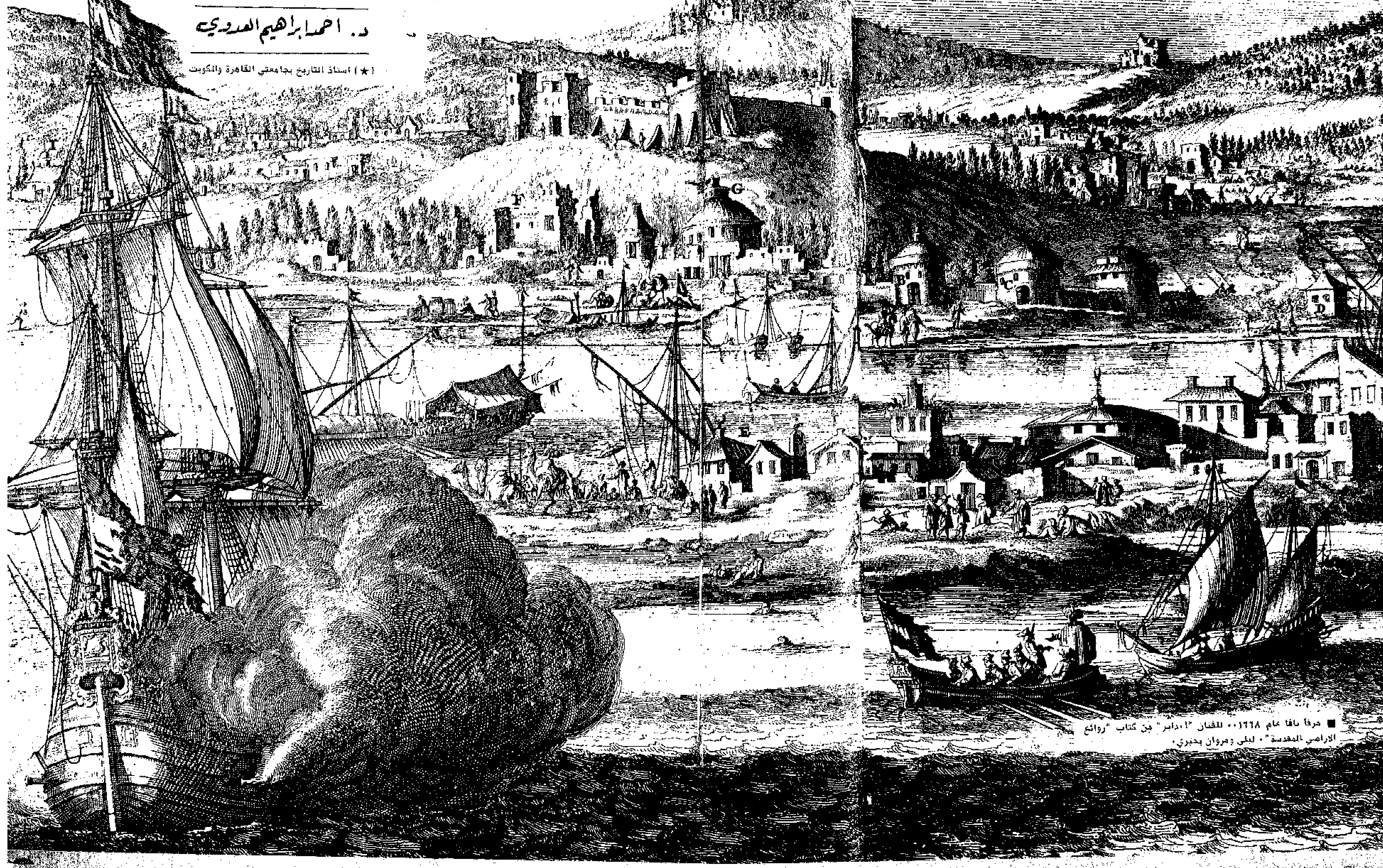
آراء في التاريخ

■ حكاية معارك وأحداث تتعلق بالشعوب، خاصة، وبالانسانية، عامة.................................."ليتريه"
■ هو علم الأشياء المتميزة..................................."ليبنيتز"
■ هو علم الأشياء التي لا تعاد أبداً. ...."ب. فاليري"
■ هو التوفيق بين القوانين والصدفة..................................."أ. شولجين"
■ إن أولى أسس التاريخ كله، هي تلك الحكايات التي تنقل من الآباء الى الأبناء، ومن ثم، من جيل الى جيل آخر..................................."فولتير"
■ التاريخ الحقيقي ليس هو تاريخ وجود الجبهات أو عدمه، بل هو تاريخ الحضارة. ...."ر. كروسيه" كيف نكتب التاريخ.
■ التاريخ ليس فناً، انه علم صرف. ...."فوستل دو كولانج"
■ التاريخ ليس علماً سهلاً. ان الشيء الذي يدرسه معقد جداً: فالمجتمع البشري جسم، لا يمكننا ان نفهم وحدته والتناسق فيه الا بعد ان ندرس، تدريجياً وعن قرب، كل عضو فيه يعطيه الحياة. ...."فوستل دو كولانج"
■ التاريخ فن، وايضاً علم. ...."تين"
■ التاريخ ليس علماً، انه فن، لا ننجح فيه الا بالتخيل. ...."أ. فرانس"
■ التاريخ الحقيقي هو تاريخ العادات والشرائع والفنون وتقدم الفكر البشري... ...."فولتير"

سيادة العرب على البحر المتوسط
ثمرة تعاون مصر والشام أيام معاوية

د. احمد ابراهيم العدوي

(★) استاذ التاريخ بجامعتي القاهرة والكويت



■ مرفأ يافا عام ١٦٦٨.. للفنان "أ. دابر" من كتاب "روائع الاراضي المقدسة". لبلي ومروان بحيري.

البحر المتوسط
خط الدفاع البحري

يعتبر القرن السابع الميلادي نقطة تحول كبرى في تاريخ العرب السياسي والحضاري، اذ خرجوا في ذلك القرن من موطنهم الاصلي في شبه جزيرة العرب حاملين راية الاسلام الى جيرانهم من الامم. وقد بهر العرب أنظار العالم اذ ذاك بحماستهم الشديدة في نشر الدين الجديد، وسرعتهم الخاطفة في الاستيلاء على أهم بقاع العالم القديم، الممتدة من نهر الفرات الى وادي النيل.

على أن الدهشة التي أثارتها موجة الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي لم تلبث أن تضاءلت أمام ما أظهره العرب من وعي بحري ناضج في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي، وقدرتهم على ركوب سفن البحار بنفس المهارة التي قادوا بها سفن الصحراء عبر الكثبان والرمال ولم ينل العرب تلك المكانة في عالم البحار عن طريق الصدفة أو تقدير المقادير، وانما وصلوا الى مصاف الامم البحرية الكبرى التي عرفها البحر المتوسط عن طريق التجارب المضنية وتجنب الاخطاء التي وقع فيها من سبقهم من أصحاب السلطان على شواطىء ذلك البحر.

وكانت تتردد في أذان العرب غداة استيلائهم على الشام ومصر في النصف الاول من القرن السابع الميلادي المحنة القاسية التي نزلت بالفرس بسبب اهمالهم لشؤون الاسطول في البحر المتوسط، ذلك ان الفرس كانوا قد استولوا على الشام ومصر سنة ٦١٤م أي قبل الفتح العربي لهذين القطرين بنحو عشرين سنة تقريباً، وتمادت بهم الآمال الى الاستقرار على شواطىء البحر المتوسط (١).

ولكن غاب عن الفرس أن الروم أصحاب السيادة علي البحر المتوسط لن يغضوا الطرف عن أغنى أقاليمهم وهما الشام ومصر، وأنهم لا بد قائمون بحركة استرداد لمكانتهم في شرق البحر المتوسط. واستطاع الروم فعلا استعادة سيادتهم البحرية بفضل تقوية أسطولهم في البحر المتوسط، والاستفادة من أهمال الفرس لشؤون شواطىء الشام ومصر، وافتقارهم الى أسطول يحمي تلك الشواطىء كذلك.

وتجلت أهمية الأسطول لكل من يرغب في السيادة على البحر المتوسط وتدعيم أقدامه على شواطئه حين ظهر الامبراطور هرقل على مسرح دولة الروم، وأخذ يعبىء قواتها البحرية لطرد الفرس من الشام ومصر. اذ أعد الامبراطور هرقل حملة أقلتها سفن الروم من العاصمة "القسطنطينية"، وأبحرت مباشرة الى شواطىء الشام الشمالية. ثم نزلت قوات الروم في المنطقة الممتدة بين شمال الشام ومنطقة قليقية من آسيا الصغرى لتتجنب الاصطدام المباشر بقوات الفرس البرية، التي انتشرت طلائعها في آسيا الصغرى (٢).

وآتت سياسة هرقل البحرية ثمارها في انقاذ دولة الروم، واسترداد الشام ومصر في سهولة ويسر. اذ ظن الفرس أن نزول قوات الروم في شمال الشام مناورة حربية من هرقل لتطويق جيوشهم في آسيا الصغرى، ثم اندفاع تلك القوات مباشرة الى المدائن عاصمة فارس، والاستيلاء عليها في غيبة القوات الفارسية المبعثرة في بلاد شرق البحر المتوسط. ولذا سحب الفرس قواتهم على عجل من الشام ومصر، وعادوا الى بلادهم للدفاع عن عاصمتهم "المدائن". وسار هرقل في اثر القوات الفارسية مستعيداً سلطان بلاده على هذا الشطر الهام من البحر المتوسط بفضل حملة بحرية واحدة (٣).

ولكن قبل أن يسترد هرقل أنفاسه، وينعم بثمار انتصاره انطلق العرب سنة ٦٣٤م من شبه الجزيرة العربية حاملين راية الاسلام، واستولوا في سهولة وسرعة فائقتين على الشام ومصر. وبهذا الفتح العربي استهل البحر المتوسط صفحة جديدة من تاريخه الطويل. ذلك أن سيادة الروم البحرية وجدت في العرب منافساً خطيرا آذن بانتهاء اسمهم الذي لصق طويلا بالبحر المتوسط، حيث عرف أجيالا وقروناً عدة باسم "بحر الروم".

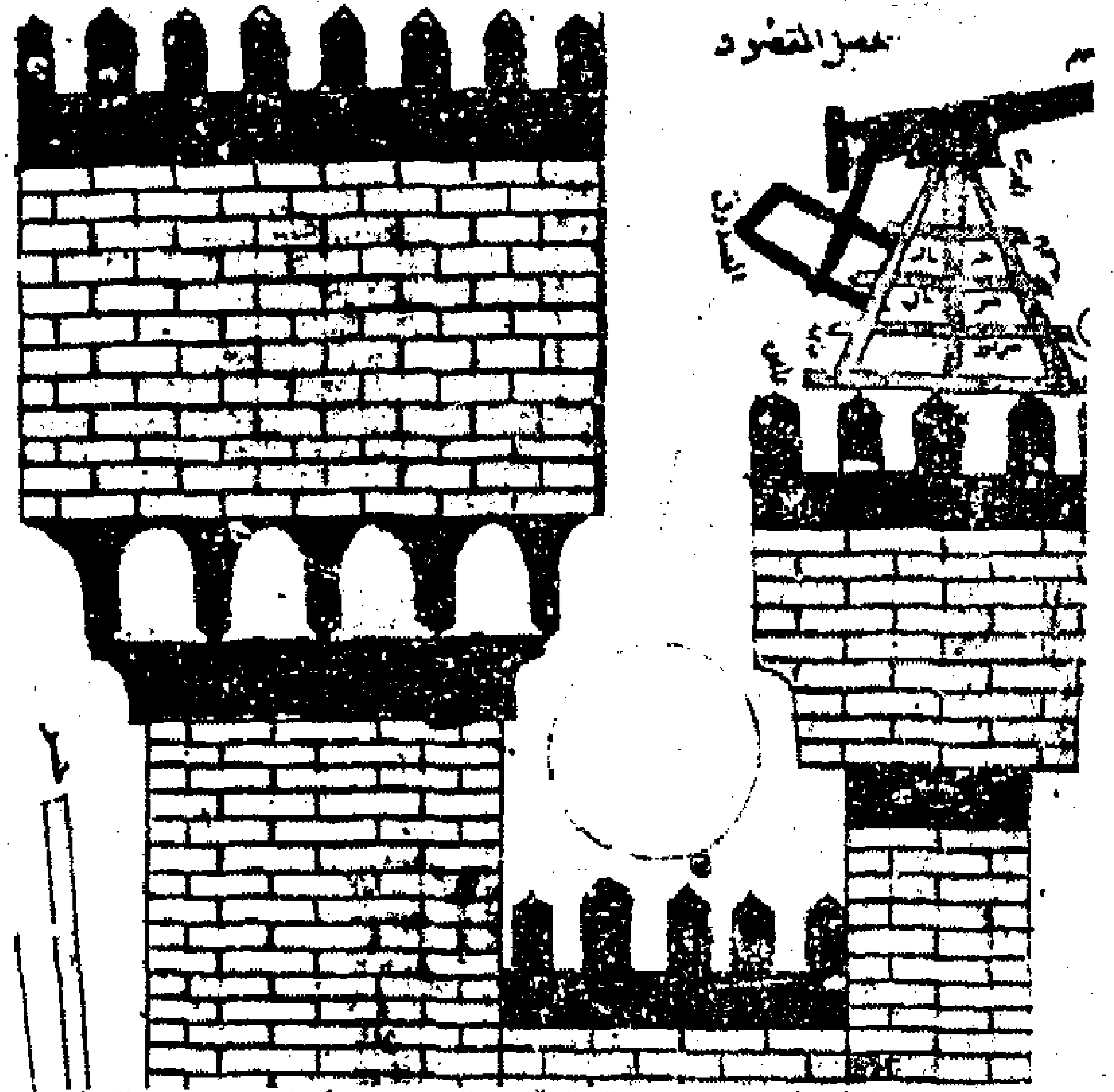
ويرجع الفضل في تجنب العرب للكارثة التي حاقت بالفرس الى سياستهم البحرية الواقعية، التي اتسمت بابتعادها عن الارتجال. ذلك أن العرب ما كادوا يسيطرون على شواطىء البحر المتوسط الممتدة من جبال طوروس شمالا الى حدود برقة غرباً حتى أحسوا عظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وضرورة تأمين تلك السواحل. فعمدوا أولا الى تحصين الثغور البحرية وكذلك الموانىء الهامة وغيرها من المدن الساحلية التي يمكن للعدو التسلل منها الى داخل البلاد.

ويمكن وصف تلك السياسة العربية بأنها سياسة بحرية دفاعية، تستهدف تأمين الفتوحات العربية في الشام ومصر. ذلك ان العرب لم يفكروا في ذلك الوقت المبكر من فتوحاتهم في ركوب البحر المتوسط، والاقدام على المغامرات البحرية التي لا يأمنون مغبتها. ولذا اكتفوا بوضع حاميات قوية في المدن الهامة مثل اللاذقية وطرابلس وصور وصيدا وعرقة وجبيل وبيروت على الشاطىء الشامي، وفي الاسكندرية وتنيس ودمياط والبرلس ورشيد على الشاطىء المصري، وفي ثغور بنطابلس أو المدائن الخمسة، وهي المعروفة اليوم باقليم برقة.

"وظل العرب أمناء على سياستهم البحرية الدفاعية: فكلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها ما تحتاجه من الجند، فان حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الامداد" (٤) وتجلت تلك السياسة البحرية وقدرتها على حماية الشام ومصر حين قام الروم بأشد غارة لهم على هذين الاقليمين سنة ٢٥هـ/٦٤٥م.

وكان الرأس المدبر لتلك الاغارة هو امبراطور الروم قنسطانز الثاني، الذي أراد أن يعيد بحملته البحرية قصة جده هرقل مع الفرس. اذ انتهز افتقار

العرب الى أسطول بحري، وعمد الى مفاجأتهم في الاسكندرية والاستيلاء عليها، وجعلها قاعدة لاخراج العرب من مصر. ثم ان قنسطانز توسع في خطته البحرية بارسال حملة أخرى تغير على شواطىء الشام في نفس الوقت الذي يهجم فيه أسطوله على الاسكندرية، حتى يحول الضغط على العرب دون التعاون فيما بينهم.



■ من المخطوطات العربية القديمة — من كتاب البحرية في مصر الاسلامية — د. سعاد ماهر

واستطاع عمرو بن العاص مطاردة الروم من شمال الدلتا وألجأهم الى الاسكندرية التي تحصنوا بها. واستماتوا في سبيل الاحتفاظ بها. وقد نصب الروم المجانيق على أسوار الاسكندرية، وأخذوا يمطرون العرب بوابل من القذائف. وعانت القوات العربية الكثير من المتاعب في حصارها للاسكندرية، واستبد الحنق بعمرو بن العاص حتى أقسم لئن استولى على المدينة لهدم أسوارها وجعلها كبيت الزانية يؤتى من كل مكان (٦).

وكان السبب في قوة حركة مقاومة الروم بالاسكندرية هو وجود اسطولهم في مياه الاسكندرية، يزود المقاتلين بالعدة والعتاد، ويقف حارساً حامياً لظهورهم. ومن ثم طال حصار عمرو بن العاص للاسكندرية، وكان حصاراً أشق أضنى من حصاره الأول لتلك المدينة. ولم يتمكن من اقتحام المدينة الا بعد أن أرشده أحد المصريين الموالين للعرب الى أحد الابواب الضعيفة الحراسة، واعمل السيف في قوة الروم المقيمة بالاسكندرية، والتي خر قائدها مانويل نفسه قتيلا فيها. واستطاع الجند العرب كذلك مفاجأة سفن الروم في ميناء الاسكندرية وتدمير عدد كبير منها.

وفي نفس الوقت الذي هزم فيه عمرو بن العاص الروم بالاسكندرية كانت حاميات الشام العربية تقاوم اغارات سفن الروم على المدن الساحلية واستطاعت تلك الحاميات برغم قلة عددها أن تصد هجمات الروم وتنزل بها خسائر فادحة. وعندما جاءت الانباء بهزيمة الروم في الاسكندرية اقلعت السفن عائدة، بعد أن فشلت بدورها في مساعدة مانويل على الاستيلاء على مصر. وبذلك استطاع العرب القضاء على حملة الروم البحرية، ولكن بعد عناء وتضحيات جسيمة، جعلتهم يضعون سياسة جديدة لمواجهة أساطيل الروم (٧).

طليعة البحرية العربية

بعد انتصار العرب على الروم في الاسكندرية والشام قام نفر من زعماء العرب يدعو الى نبذ السياسة البحرية الدفاعية، لانها لم تعد كفيلة بالمحافظة على سلامة ممتلكاتهم، وأن مقتضيات الظروف تتطلب بناء أسطول عربي في البحر المتوسط يرد عن الشواطىء العربية غائلة الروم وهي في عرض المياه، قبل مفاجأتها للسواحل. وجاءت تلك الدعوة العربية عنواناً على أن قوة بحرية جديدة حان ميعاد ميلادها، وأن البحر المتوسط يشاهد في أمة العرب مظاهر تختلف تمام الاختلاف عن دولة الفرس.

وكان صاحب الدعوة الأولى الى بناء الأسطول العربي في البحر المتوسط هو معاوية بن أبي سفيان والي الشام، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، ثم آزره في تلك الدعوة والي مصر عبد الله بن أبي سرح، الذي خلف عمرو بن العاص على ولاية تلك البلاد، في عهد الخليفة عثمان بن عفان. ويرجع السبب في سبق معاوية في الدعوة الى ركوب البحر المتوسط، الى التجارب القاسية التي مر بها أثناء فتح اقليم الشام، مما جعل سياسة العرب البحرية الهجومية تستند الى أسس سليمة وليدة الدرس والتمحيص (٨).

وتلقن معاوية الدرس الأول في أهمية البحر المتوسط وضرورة وجود أسطول عربي في مياهه حين اضطلع بعبء فتح مدن الشام الساحلية ذلك أن اخاه يزيداً، أحد قادة العرب في الشام، قد استعصت عليه المدن الساحلية، لانها فضلا عن متانة حصونها ومنعتها كانت متصلة بالبحر مباشرة تتلقى منه الامداد من دولة الروم، وكذلك المؤن التي تضمن لها البقاء والمقاومة. ومن ثم ترك يزيد لاخيه معاوية مهمة اخضاع تلك المدن الساحلية وعاد الى دمشق (٩).

وجد معاوية أن خير طريقة للاستيلاء على مدن الشام الساحلية هو تشديد حلقة الحصار البري عليها، وانتهاز الفرصة المواتية لاقتحام اسوارها، لأن أسطول الروم يقف من خلف تلك المدن ويشد من أزرها. وتجلت سياسة معاوية ازاء المدن الساحلية الشامية حين اتجه الى فتح قيسارية وطرابلس الشام. وكانت المدينة الاولى قد استعصت على عمرو بن العاص نفسه، ذلك القائد الماهر الذي فتح منطقة فلسطين. اذ بعد مغادرة عمرو بن العاص فلسطين متجهاً لفتح مصر، سار معاوية الى هذه المدينة وضرب عليها الحصار.

وظل معاوية مثابراً في حصاره أمام مقاومة المدينة وعنادها، اذ كانت مثل سائر المدن الشامية الاخرى على الساحل تتلقى الامداد وآلات الدفاع من الروم عن طريق البحر، وصدت هجمات الروم

المتوالية. وظل معاوية على حصاره لقيسارية عدة سنوات حتى تمكن أخيراً من اقتحامها سنة ١٩هـ/٦٤٠م بفضل خيانة يهودي يهايدعى يوسف. اذ أتى ذلك الرجل الى العرب ليلا ودلهم على طريق يمكن مهاجمة المدينة منه، بعد أن أخذ منهم أماناً لنفسه وأهله. ونجح معاوية بذلك في اقتحام قيسارية التي كان لسقوطها في يد العرب فرحة كبرى عند الخليفة عمر بن الخطاب (١٠).

وأظهر معاوية مهارة فائقة في فتح مدن الشام الساحلية حين قصد الاستيلاء على طرابلس الشام، اذ كانت تلك المدينة تعد ميناء دمشق ومفتاح حياتها الاقتصادية، ثم انها بزت سائر مدن الشام في حصوتها ومنعتها، حيث تمتعت بميناء عظيم اتسع لعدد كبير من السفن. وامتازت طرابلس كذلك بأن البحر يحيط بها من ثلاث جهات، وتصل أمواجه الى أسوارها، على حين يحيط بسورها خندق عظيم. وزاد في منعة هذه المدينة وسهولة حصولها على الامداد وجود أربع جزر صغيرة تقع أحداها وراء الأخرى في مياه البحر القريبة منها (١١).

وجه معاوية الى طرابلس سفيان بن مجيب الازدي، ووضع خطة محكمة للاستيلاء عليها تتفق وافتقار العرب الى أسطول بحري في ذلك الوقت. وكانت تلك الخطة تهدف الى تضييق الحصار على طرابلس برآ ومحاولة منع وصول الامداد اليها من سفن الروم. فبنى القائد الاموي حصنا في مرج يقع على أميال من طرابلس وضيق على أهلها الخناق. ولما اشتد الحصار كتب سكان المدينة الى امبراطور الروم يطلبون منه ارسال أمداد، أو أيفاد سفن يهربون عليها ولما لم يكن هناك مناص من التسليم، بعث امبراطور الروم بسفن حملت الجند في جنح الليل، وخلت حصون المدينة من المدافعين عن هذا الميناء الهام (١٢).

واذا كان معاوية بن أبي سفيان قد بذل في فتح المنطقة الساحلية من اقليم الشام جهوداً ذات "بلاء حسن وأثر جميل" كما شهد له بذلك قادة العرب في الشام، فانه خرج من تلك العمليات الحربية بنتيجة هامة، كانت السبب الرئيسي في بناء الاسطول العربي في البحر المتوسط. فقد أدرك معاوية أن بقاء العرب واحتفاظهم بممتلكاتهم في الشام ومصر رهن بالاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للروم، والتي كانت قواعد بحرية خرجت منها الامداد الى مدن الشام أثناء حصار العرب لها.

وبدأ معاوية يعمل على تحقيق أهدافه البحرية بعد أن انفرد بولاية الشام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حتى غدت فترة ولايته على الشام الحجر الاساسي في صرح قوات العرب البحرية فيما بعد، وفاتحة المجد البحري العربي وتجلت الخطوط الرئيسية للبرنامج البحري الذي رسمه معاوية حين أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في غزو جزيرة قبرص، مبيناً شدة خطورة هذا المعقل التابع للروم على سلامة مدن الشام، اذجاء في خطابه: "يا أمير المؤمنين في بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص (١٣)"، ثم ختم خطابه بعد هذا الوصف الدقيق المؤثر بطلب الاذن له بغزو تلك الجزيرة.

وأراد الخليفة عمر بن الخطاب ان يعرف آراء قادة المسلمين في طلب معاوية بغزو قبرص، ولاسيما أنه يحمل العرب على اقتحام ميدان البحر، وفيه مخاطرة تستوجب الدرس والروية، فضلا عن أن هذا الموضوع الذي أثاره معاوية موضوع جديد لا بد من عرضه على كبار رجالات العرب. ووقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص، والي مصر اذ ذاك، لما لهذه الولاية من شواطىء على البحر المتوسط مثل الشام، ولأنها كذلك تعرضت للاغارات البحرية التي شنها الروم على السواحل.

وجاء رد عمرو بن العاص وصفاً دقيقاً لطبيعة البحر وركوب مياهه، وما يلاقيه المرء في ذلك من صعاب. فكتب الى الخليفة: "أني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، إن ركن خرق القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول... هم فيه كدود على عود إن مال غرق، وإن نجا برق (١٤)" ولذا لم يكن عجباً أن يؤثر الخليفة عمر بن الخطاب التريث في إجابة طلب معاوية بعد أن وقف على رأي عمرو بن العاص في البحر وراكبه.

وبذلك ظهرت عدة آراء إزاء ركوب البحر المتوسط، أحدها ينادي به معاوية، وهو ضرورة بناء قوة بحرية تدافع عن أرض العرب في الشام ومصر، والثاني ينادي به عمرو بن العاص، وهو تجنب المخاطرات البحرية. واعتنق الخليفة عمر بن الخطاب هذا الرأي الاخير لأنه آثر الوقوف على الحياد إزاء تلك المشكلة الخطيرة. وكان رائد الخليفة في اتخاذ هذا الموقف الحيادى هو الحرص على سلامة المسلمين، حيث قال لمعاوية في الرد على طلبه بغزو قبرص: "تالله لمسلم أحب الى مما حوت الروم (١٥)"

ولكن معاوية لم يكن بأقل من الخليفة حرصاً على سلامة المسلمين، وإنما كان أشد الولاة إحساساً بالخطر الذي يلوح في الأفق مهدداً ولايته بالشام وكذلك مصر، بسبب وجود أسطول الروم قريباً من شواطئهما، وافتقارهما الى وسائل الدفاع. وآثر معاوية أن ينفذ سياسته البحرية تدريجياً، جرياً على ما اتصف به من دهاء وحيلة، ولاسيما إزاء موقف كل من المعارضة والحياد اللذين ظهرا بصدد رغبته في الهجوم على جزيرة قبرص. فكتب معاوية مرة أخرى الى الخليفة عمر بن الخطاب يعرض عليه سوء حال سواحل الشام وما هي عليه من خراب وافتقارها الى وسائل الدفاع القوية.

ولم يتردد الخليفة عمر في أن يطلق يد معاوية لاصلاح حال السواحل بما يراه كفيلا بسلامتها من "مرمة حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها (١٦)". واستغل معاوية هذا التصريح واتخذه خطوة أساسية يبنى عليها مشاريعه البحرية. فآثر أن يحصن المدن الساحلية ويزودها بالقوات المحاربة، بما يجعلها قواعد في المستقبل تنقل منها الجنود بحراً الى أي مكان يشاء.



■ جبل الكرمل ومرفأ حيفا،للفنان "أ.دابر" من كتاب
"روائع الاراضي المقدسة". ليلي ومروان بحيري

ووضع معاوية للمدن الساحلية نظاماً عرف بالرباط، وهو يقصد به الأماكن التي تتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض العدو. واعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد أو الحرب المقدسة. ذلك أن الرباط اجتذب اليه كل الأتقياء المتحمسين، العاملين دائماً على إعزاز الاسلام ونصرته. وكان لهذه الظاهرة السالفة أثر كبير في تكوين القوات الأولى للبحرية العربية في عهدها المبكر.

وجاء اعداد الرباط عملا يتفق مع خطة معاوية البحرية،التي تستهدف تأمين السواحل أولا، واعداد قواعد بحرية للمستقبل ثانياً. فكان الرباط يضم حصوناً يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لاغارات أساطيل الروم، ولتكون ملجأ كذلك يحتمي بها الاهالي في المناطق التي يدهمها العدو. وقد خصصت حاميات الرباط لانذار الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم اذا ما لاح خطر سفن الروم في المياه الاقليمية. فكان الحصن في الرباط يضم حجرات للجند ومساكن لهم ومخازن للأسلحة والمؤن، وبرجاً للمراقبة. غير أن الربط لم تلبث أن اتسعت وازدادت أهميتها،حتى صارت قواعد للهجوم البحري وشن الغارات.

واكتفى معاوية بسياسة تقوية السواحل حتى ولي الخلافة عثمان بن عفان، إذ خطا منذئذ خطوة ثانية في متابعة سياسته البحرية، وتشجيع الناس على النزوح الى المناطق الساحلية، لينمى عندهم ملكة ركوب البحار. وساعد معاوية على تحقيق خطته أن الخليفة أمر بمنح كل راغب في الاقامة بالمدن الساحلية اقطاعات من الأرض يستغلها ويتمتع بخيراتها. فترتب على ذلك ازدياد العمران بالسواحل، وانثيال الناس عليها للتمتع بامتيازات الاقامة بها، دون أن يأبهوا بمخاوف التعرض لاعتداءات سفن الروم. ومما ساعد على طمأنينة سكان السواحل أن معاوية أعد جيشاً ثانياً في المدن الساحلية للدفاع عنها الى جانب قوات الرباط، كما دأب على أخذ ارض من يتخلف عن الغزو، واعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء الخروج للاغارة (١٧).

وتعتبر سياسة منح الاقطاعات بالسواحل الخطوة الاخيرة في سلم السياسة البحرية الدفاعية، التي رسمها معاوية قبل أن يستطيع ركوب البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان. اذ أتم بفضل هذه الامتيازات اعداد القواعد البحرية التي أنشأ فيها أساطيله فيما بعد. وكانت آية ازدهار المدن الساحلية نقل جماعات من اهالي بعلبك وحمص وأنطاكية سنة ٤٢هـ/٦٦٢م الى صور وعكا وغيرها من المدن الساحلية (١٨). وكذلك أصلح معاوية الحصون البحرية، ولاسيما حصون عكا التي خرج منها بأولى حملاته البحرية ضد قبرص.

ومد معاوية اهتمامه الى سائر المدن الساحلية، فمنح الجند أراضي كذلك في أنطرسوس ومرقية وبلنياس، وأهتم اهتماماً خاصاً برباط عسقلان والجند الموكلين بحمايتها (١٩). وأخيراً جدد بعض الحصون في المدن التي خربت معاقلها القديمة، كما فعل في مدينة جبلة. ومن ثم آتت سياسة الاقطاعات ثمارها، فعمرت الثغور البحرية لأن "الناس انتقلوا الى السواحل من كل ناحية (٢٠)"، على حد قول المؤرخين المسلمين.

وجنى معاوية ثمار هذه السياسة التمهيدية حين استطاع أن يظفر من الخليفة عثمان بن عفان بتصريح يبيح له غزو قبرص، إذ سمح له الخليفة بالقيام بالغزو البحري على شرط الا يكره أحداً على ركوب البحر، وأن يعبىء أساطيله من المتطوعة فقط. ولم يلق معاوية عناء في اجتذاب الجند الذي أخذه معه في حملاته البحرية، اذ كانت المدن الساحلية عامرة بالمغامرين وغيرهم ممن ذاقوا ثمار الاقطاعات وامتيازاتها، وتطلعوا الى خوض غمار الميدان البحري تحت راية معاوية، مخلدين اسمهم في طليعة الحملات الاسلامية البحرية.

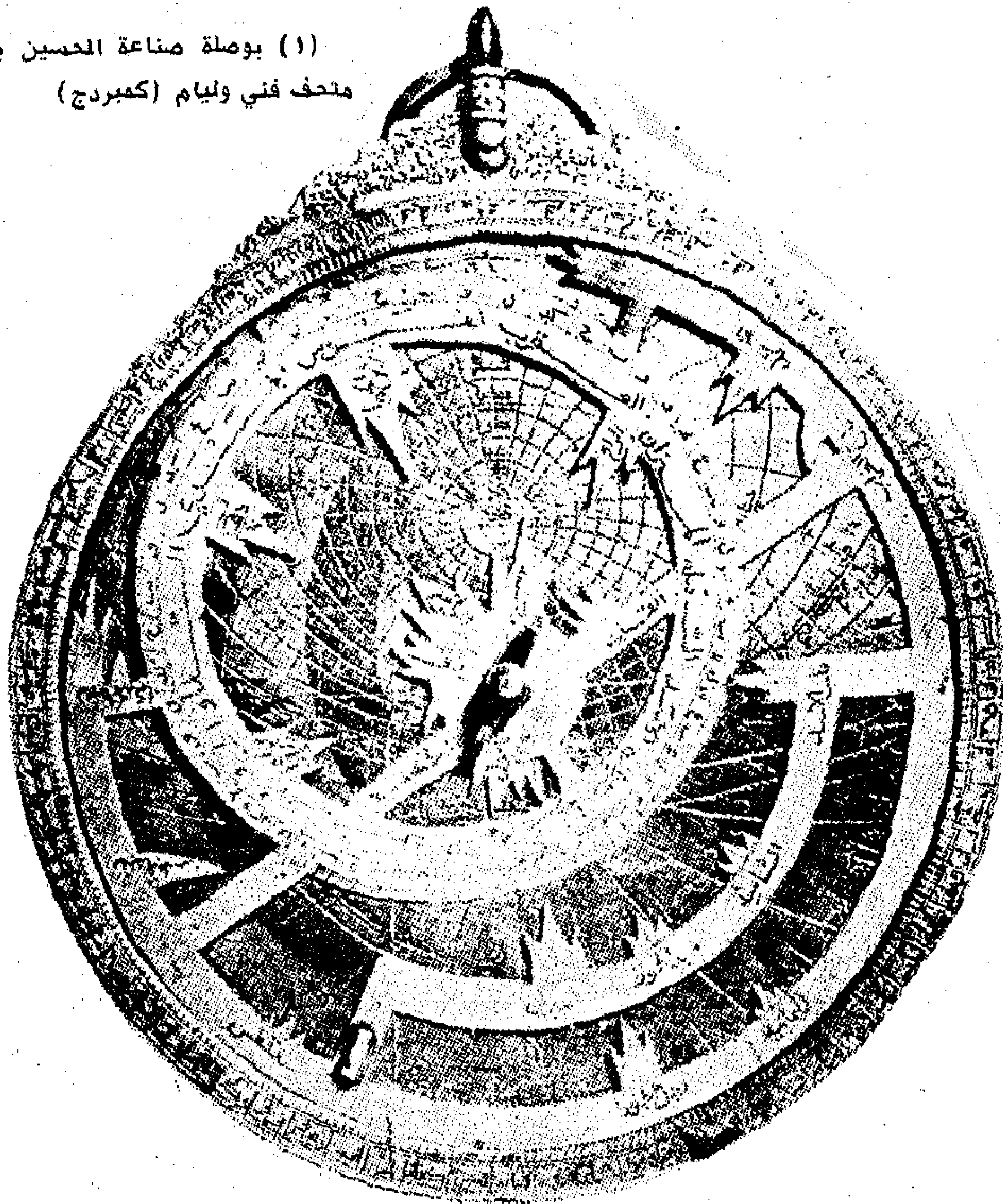
واذا كان لمعاوية الفضل في بناء السياسة البحرية التي غرست نواة القوات العربية في البحر المتوسط، فإن والي مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان، وهو عبد الله بن أبي سرح، يعتبر الساعد الأيمن لمعاوية في مجهوداته لخلق هذه القوة البحرية. ذلك أن عبد الله بن أبي سرح خلف عمرو بن العاص على ولاية مصر، وبذلك اختفت شخصية عمرو الذي عارض في ركوب البحر.

وكان عبد الله بن أبي سرح من المتحمسين لبناء أسطول عربي في البحر الابيض المتوسط، ومن ثم وضع موارد مصر البحرية ورجالها في خدمة معاوية، والمساهمة معه في سائر الحملات البحرية التي أعدها لصد الروم. وبلغ من ايمان عبد الله بن أبي سرح بضرورة إنشاء أسطول عربي، أنه خرج بنفسه في الحملات البحرية، ليضرب المثل الأعلى لسكان ولايته على تفانيه في نصرة البحرية العربية.

وتعتبر مجهودات عبد الله بن أبي سرح الخطوة الايجابية في بناء قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط. فإذا كان معاوية قد نفذ الخطوات التمهيدية لبناء السفن وشحنها بالمقاتلة من العرب وغيرهم، فإن عبد الله بن أبي سرح هو الذي بدأ بناء السفن الأولى التي تكونت منها نواة الاسطول العربي. ذلك أن مصر كانت أيام تبعيتها للروم،بل استيلاء العرب عليها، مشهورة بمهرة صناع السفن فيها، وكثرة دور الصناعة التي أخرجت الأعداد الوافرة من سفن الروم، فتابع عبد الله بن أبي سرح سياسة بناء السفن في مصر، وبعث بها الى الشام التي كانت خالية إذ ذاك من دور الصناعة.

وقد ساعدت العوامل الطبيعية على تعضيد التعاون البحري بين كل من معاوية والي الشام وعبد الله بن أبي سرح والي مصر. ذلك أن مصر فقيرة في أخشابها التي تصلح لبناء السفن على حين تكثر بالشام الاشجار التي تزود مصر ودور صناعتها بما تحتاجه من أجود الاخشاب. ومن ثم كانت مصر تستورد من الشام الاخشاب وتردها سفناً شامخة تعلي من راية العرب في قواعد الشام البحرية.

(١) بوصلة صناعة الحسين بن علي (٧٠٩هـ ١٣٠٩م) عن متحف فني وليام (كمبردج)



وظلت مصر وحدها مصدر بناء السفن العربية حتى سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، إذ شن الروم في تلك السنة غارة شديدة على سواحل الشام. وكانت تلك الاغارة من العنف بحيث جعلت معاوية يفكر في انشاء دور لصناعة السفن بالشام نفسها الى جانب دور الصناعة بمصر، حتى يجد لديه أساطيل على أهبة الاستعداد إذا ما دمر العدو السفن الرابضة في قواعد الشام كذا أمر معاوية في نفس السنة التي حدثت فيها إغارة الروم على الشام بجمع الصناع والنجارين وإرسالهم الى عكاء التي وقع اختياره عليها لينشىء بها أول دار لصناعة السفن بالشام. وكانت عكا تستطيع الحصول على ما يلزمها من أخشاب لبنان، التي أشتهرت بصفة خاصة بصلاحيتها للمجاديف (٤٢).

وبذلك استطاع دعاة الأسطول العربي أن ينجحوا في تحقيق مآربهم بفضل مثابرتهم وتعاونهم، وخرجت طلائع الأسطول العربي الى البحر المتوسط تعلى من شأن العرب، وتعلن ميلاد مجدهم البحري.

القيادة البحرية المشتركة

وعندما قامت في الشام دور الصناعة لبناء سفن الاسطول العربي كذلك، دخل التعاون البحري بين مصر والشام في دور جديد. ذلك ان البحارة والمقاتلة الذين عملوا في الأسطول العربي جاءوا من سكان الشام ومصر، وحاربوا جنباً الى جنب دون أية تفرقة. وكان اعتماد العرب في تلك الفترة المبكرة من نشاط أسطولهم على أقباط مصر وسكان الشام القدامى، الذين مهروا في ركوب البحار وتدربوا على فنون القتال فيه. ولم يسهم من العرب في تلك الحملات البحرية الأولى غير اليمنيين، ولاسيما جماعاتهم وقبائلهم التي استقرت في الشام قبل الفتح العربي، إذ أن لعرب الجنوب ماض بحري تليد، وخبرة بركوب البحار.

وبذلك جمعت العوامل الجغرافية بين الشام ومصر منذ فجر الفتح العربي لهما، وقامتا بدور مجيد في خدمة قوات البحرية العربية (٤٣). وفضلا عن ذلك لم تنفك عرى ذلك التعاون البحري بين الشام ومصر الذي وضع أساسه معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن أبي سرح أيام ولايتهما لهذين الاقليمين على عهد الخليفة عثمان بن عفان.

ويعتبر هذا التعاون البحري بين مصر والشام حجر الزاوية في صرح الأسطول العربي في صدر نشاطه، والسبب في انتصاراته الباهرة التي أحرزها هذا الاسطول منذ أيامه الأولى. ثم إن التعاون البحري المصري الشامي صار كذلك النموذج الذي نهج العرب على منواله كلما اتسعت بهم الفتوح، لأنهم لمسوا فوائده وثماره الطيبة في ميدان البحار.

من كتاب "قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط" للدكتور ابراهيم احمد العدوي

الاستقلال اللبناني
و
الميثاق الوطني

ماذا حدث بالضبط عام ١٩٤٣ ؟
كيف بلغ لبنان استقلاله

د. باسم الجسر

كان مجرى الحرب العالمية الثانية قد بدأ يتغير، في عام ١٩٤٢. فبعد معركة العلمين وستالينغراد كان نجم المانيا قد اخذ في الافول وكفة النصر العسكري ترجح لصالح الحلفاء. اما خطر الحرب على الشرق الاوسط فكان قد زال تماماً.

ازاء هذا التحول فيمجرى الحرب، لم يعد "لفرنسا الحرة" من سبب لتأخير عودة الحياة الدستورية الى سوريا ولبنان. لا سيما وان "حكومة الجزائر" (ديغول) كانت قد وعدت لبنان وسوريا، مرتين، على لسان الجنرال كاترو، بالاستقلال التام.

وهكذا في ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٣، اذاعت "لجنة الجزائر الوطنية"، قراراً يقضي باعادة الحياة الدستورية الى لبنان وكلفت الجنرال كاترو باتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

طلب الجنرال كاترو من الحكومة اللبنانية التي كان يرئسها الفرد نقاش بلقب رئيس للجمهورية ويشاركه الحكم فيها سامي الصلح، بلقب رئيس وزراء، ان تقدم استقالتها. فرفض الرئيسان نقاش والصلح تقديم استقالتيهما متذرعين بالوعود التي كانت فرنسا قد اعترفت بموجبها باستقلال لبنان، ووعدا بأنهما سيقدمان هذه الاستقالة لمجلس النواب الذي سوف ينتخب. الا ان الجنرال كاترو لم يأخذ اعتراضهما بعين الاعتبار، بل اصدر قراراً بأقالتهما وبتعيين حكومة برئاسة الدكتور ايوب تابت، الذي أعطي ايضاً لقب رئيس الدولة.

وصدر قرار آخر باعادة العمل بالدستور الذي كان قد اوقف العمل به منذ عام ١٩٣٩، شرط ان يبدأ العمل به، بعد انتخاب مجلس للنواب ورئيس للجمهورية.

بعد صدور هذين القرارين دخلت البلاد في حمى الاستعداد للانتخابات النيابية، لا سيما وان مصير لبنان الوطني والسياسي وعلاقته بفرنسا كانا مرهونين بنتائجها.

ولعل اهم ما حفلت به تلك الفترة الصراع الخفي، السائر بين اركان البعثة البريطانية في بيروت التي كان يرئسها الجنرال ادوار سبيرس ومساعده فيها الكولونيل فيرلونغ ويقوم بدور بارز فيها المستشار الشرقي، مارون عرب، وبين اركان المندوبية الفرنسية التي كانت تضم اجهزة الانتداب التي كانت لا تزال مسيطرة رسمياً وفعلياً على قطاعات عامة وخاصة هامة.

انقسم السياسيون الى فريقين: فريق استقلالي، عربي الولاء بريطاني الهوى، وفريق استقلالي، ضئيل الانفتاح على العرب وفرنسي الهوى. كان الشيخ بشارة الخوري يتزعم الفريق الاول واميل اده، الفريق الثاني. وبالرغم من ان جميع مرشحي الفريق الاول لم يكونوا اعداء لفرنسا او من دعاة العروبة. ولا جميع مرشحي الفريق الثاني، اعداء لبريطانيا او للعرب، الا ان ظروف المعركة الانتخابية جعلت كل فريق يعتمد على احدى الدولتين المتنافستين ليحقق غايته في الفوز.

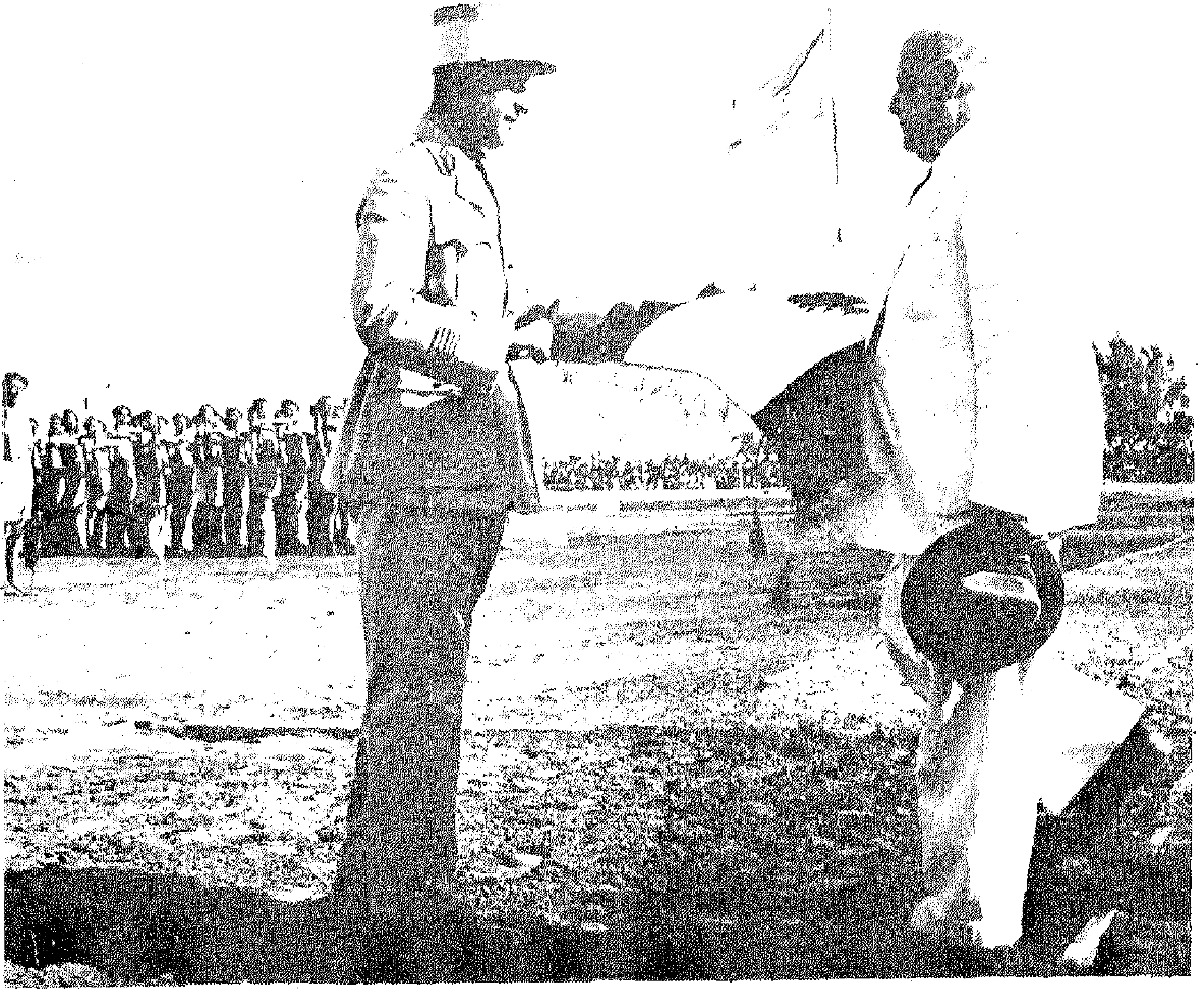
وحقيقة الامر أن الاستقلال كان مطلباً سياسياً عاماً اجماعياً في لبنان منذ عام ١٩٤١، لاسيما بعد اندحار فرنسا عسكرياً امام المانيا. ولكن دخول الجيوش البريطانية مع قوات فرنسية ديغولية الى لبنان وسوريا عام ١٩٤٢، حول هذه الامنية الى تيار سياسي اشترك فيه سياسيون مسلمون ومسيحيون ممن سبق لهم الاشتراك في الحكم ابان عهد الانتداب او عارضوا الانتداب والدولة اللبنانية.

يشهد على ذلك الاجتماع الذي عقد في بكركي في يوم الميلاد (١٩٤١) حين امّت وفود شعبية، على رأسها مسلمون ومسيحيون، مقر البطريرك الماروني في بكركي لتهنئة البطريرك بعيد الميلاد، فتحول الاجتماع الى مؤتمر صدر عنه، بيان يطالب بالاستقلال التام.

السياسة البريطانية

كانت السياسة البريطانية في الشرق الاوسط تقضي بأن تستقل الدول العربية بعد انتهاء الحرب وان تنظم في "رابطة" او "جامعة"! وكان انطوني ايدن، وزير الخارجية البريطاني آنذاك، قد صرح بهذه الخطة في خطاب له في مجلس العموم. ولذلك التقت الحركات الوطنية العربية يومذاك مع السياسة البريطانية. وكان المتحمسون لهذه السياسة الاستقلالية العروبية التي رسمتها بريطانيا، الكتلة الوطنية في دمشق وعلى رأسها شكري القوتلي وسعد الله الجابري وجميل مردم. كذلك كان النحاس باشا وحزب الوفد في مصر، بالاضافة الى نوري السعيد والامير عبدالله في الاردن. وكان من الطبيعي أن يتأثر قادة الحركة الوطنية العربية في لبنان بهذه السياسة وفي مقدمتهم رياض الصلح وعبد الحميد كرامي وغيرهما.

غير ان الامر كان مختلفاً بالنسبة للاوساط المسيحية. ذلك ان الحرب واندحار فرنسا كانا قد احدثا نوعاً من الخلل بالنسبة لموقف المسيحيين من الاستقلال. فمشروع المعاهدة اللبنانية - الفرنسية، عام ١٩٣٧، الذي لم يصدق عليه المجلس النيابي الفرنسي، كان يشكل في نظر المسيحيين، بوجه عام الحل الامثل الذي يوفق بين أمنية الاستقلال وامنية الحماية الفرنسية. اما وقد طويت المعاهدة، تحولت فرنسا بعد انكسارها الى دولة ثانوية بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا، واما وقد برزت الدعوة البريطانية للمناداة باستقلال الدول العربية وتوحيد كلمتها في "جامعة" او "رابطة اقليمية" فأنه بات من الطبيعي ان يبرز في الاوساط المسيحية فريق يرى في هذا التيار الاقليمي الجديد مجالا مصيرياً جديداً يحقق ما لم تحققه المعاهدة اللبنانية -



١ ـ بشارة الخوري يتسلم علم الجيش من قائده الزعيم فؤاد شهاب .

الفرنسية. وكان الشيخ بشارة الخوري هو الزعيم السياسي الذي وقع الاختيار عليه للقيام بهذا التحول السياسي الوطني بأسم المسيحيين.

كان الشيخ بشارة الخوري مهيأ للقيام بهذا الدور. فأبعاده عن الرئاسة مرتين في عهد الانتداب ـ كان قد جعل منه زعيماً معارضاً تتقبله الجماهير الاسلامية. ثم ان البورجوازية التجارية والمالية المسيحية في بيروت (شيحا، حلو، خطار، فرعون بسترس،) كانت قد ادركت اهمية الاسواق العربية بالنسبة لمستقبل الاقتصاد اللبناني، وكان عدد كبير من عائلاتها يرتبط بالشيخ بشارة الخوري، بصلات قربى او صداقة او تحالف سياسي.

الا أن الدور الكبير في اتصال الشيخ بشارة الخوري بالقوى الوطنية العربية، في دمشق والقاهرة ولتجميع البورجوازية المسيحية حوله، كان للجنرال ادوار سبيرس، المندوب البريطاني في بيروت.

وهنا لا بد من الاشارة الى سبب آخر من اسباب حماس الجنرال سبيرس الشخصي للاستقلال اللبناني ولمعاداته للسياسة الفرنسية.

لم يكن الجنرال سبيرس موظفاً ديبلوماسياً عادياً بل كان نائباً بريطانياً وعضواً نافذاً في الحكومة البريطانية، ولقد كان له اجتهاده الخاص في ما يتعلق بخدمة مصالح صاحب الجلالة البريطاني في هذه المنطقة، ولذلك لم يتقيد كثيراً بما نص عليه اتفاق ديغول ـ ليتلتون" الذي تم في القاهرة عام ١٩٤٢ والذي اعترفت فيه الحكومة البريطانية لفرنسا "بمركز خاص" في لبنان وسوريا بعد الحرب.

كان الجنرال سبيرس يرى ان الشعبين السوري واللبناني يريدان الاستقلال والذي اعترفت به الحكومة البريطانية.

كان الجنرال سبيرس يرى أن الشعبين السوري واللبناني يريدان الاستقلال التام الناجز، وانهما يرفضان ان يقيد هذا الاستقلال باي معاهدة مع فرنسا. والواقع ان هذا التقدير كان صحيحاً مائة بالمائة بالنسبة لسوريا، اما بالنسبة للبنان، فان الموضوعية تقضي بالقول بأن قسماً كبيراً من المسيحيين، ومن الموارنة بنوع خاص، كانوا يتمنون استقلالا مرتبطاً بمعاهدة مع فرنسا.

من هنا نشب الخلاف الحاد بين المندوبية الفرنسية والبعثة البريطانية وراحت كل منهما تشجع وتدعم فريقاً من السياسيين المتنافسين على النيابة والحكم.

لم يكن السياسيون والزعماء، باستثناء عدد ضئيل منهم، ليعلنوا موقفهم الصريح من المصير

اللبناني، في برامجهم الانتخابية. فالكل كانوا يطلبون الاستقلال، ولكن من الواضح أن فرنسا كانت تؤيد وتدعم البعض وبريطانيا البعض الآخر. ولقد استطاع عدد من السياسيين ان يلعب على الحبلين، فيخوض المعركة، في لائحة "فرنسية الرعاية" فيما هو مقتنع بالاتجاه الآخر، والعكس بالعكس. الا انه من الثابت ان الحلقة الضيقة من السياسيين والمرشحين، في جبل لبنان بنوع خاص الملتفة حول الشيخ بشارة الخوري كانت واضحة الميول والاتجاهات. اما لوائح الجنوب والشمال والبقاع فقد اختلط الحابل فيها بالنابل، عند تأليفها. ولكن اتجاهها ما لبث ان اتضح قبل الانتخابات، وخصوصاً بعد ظهور النتائج.

وابان احتدام هذا الصراع البريطاني - الفرنسي من جهة واللبناني - اللبناني من جهة اخرى نشبت

رئيس المجلس النيابي سابقاً. لقد جاء هذا القرار اثر تدخل الجنرال سبيرس الشخصي ووساطة النحاس باشا، رئيس وزراءمصر، اللذين توصلا الى اقناع الزعماء المسيحيين والمسلمين بصيغة وسط تقضي بأن تكون نسبة تمثيل المسيحيين في المجلس زائدة علىنسبة تمثيل المسلمين بالسدس (اي نسبة٦ على٥) ولا ريب في أن هذه التسوية ساعدت كثيراً على كسر جدار الحذر بين المسلمين والمسيحيين ومهدت لتبلور فكرة الميثاق الوطني والوصول الى الاستقلال التام.

جرت الانتخابات النيابية في ٢٩ آب ١٩٤٣ ففازت فيها اللوائح التي كانت تساندها السياسة البريطانية ويتفق اعضاؤها مع الشيخ بشارة الخوري والنهج الاستقلالي المنفتح على العرب والملتقي مع السياسة البريطانية: (باستثناء جبل



الخوري مع ممثل الاتحاد السوفياتي سولود

ازمة كان من شأنها التأثير على مصير الاستقلال لو لم يبادر اصحاب الشأن الى تلافيها.

ذلك ان حكومة الدكتور ايوب ثابت وضعت قانوناً للانتخابات ادخلت في حساب عدد النواب فيه وتوزعهم بين الطوائف، المغتربين الذين هم من اصل لبناني مما زاد في نسبة عدد النواب المسيحيين، والموارنة بنوع خاص.

اثار هذا المشروع ردة فعل قوية في الاوساط الاسلامية فتداعى الزعماء السياسيون المسلمون الى مؤتمر انعقد في ٢١ حزيران ١٩٤٣ طالبوا فيه بتعديل قانون الانتخابات واجراء الاحصاء العام للسكان والا قاطعوا الانتخابات (١).

اضطر الجنرال كاترو، تلافياً للازمة، الى اقالة حكومة الدكتور ايوب ثابت، وتعيين حكومة جديدة برئاسة محام ارثوذكسي معتدل، هو بترو طراد،

لبنان حيث فازت لائحة اميل اده بـ ١١ نائباً لقاء ٦نواب في لائحة الشيخ بشارة الخوري). وهكذا تكرس النهج الوطني والسياسي الذي يقضي ببلوغ الاستقلال محرراً من اي ارتباط مع فرنسا.

بشارة الخوري رئيساً

واكتمل الفوز بانتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، رغم كل المناورات التي قامت بها المندوبية الفرنسية للحؤول دون هذا الانتخاب (٢).

وكلف الشيخ بشارة الخوري، رياض الصلح، بتأليف الحكومة. وكان لهذا التكليف معان وابعاد لم تخف على احد. فرياض الصلح امضى القسم الاكبر من حياته مناضلا قومياً عربياً. ولم يكن قد

انتقل الى ميدان النضال الوطني اللبناني الا في السنوات الاخيرة، متبنياً الفكرة التي كان ابن عمه كاظم الصلح قد بلورها مع عدد من المثقفين الشباب، والتي سوف تبرز في صيغة "الميثاق الوطني". وخلاصتها انه لا بد من التقاء الصف الوطني العربي في لبنان مع الوطنيين المسيحيين لبلوغ الاستقلال وللابقاء على وجه لبنان العربي. وكان رياض الصلح معروفاً بخصومته للانتداب الذي نفاه اكثر من مرة وحال دون دخوله المجلس عام ١٩٣٧.

الف رياض الصلح حكومته من ستة وزراء اختارهم مع الشيخ بشارة الخوري، من الطوائف الست الكبرى (ماروني، سني، شيعي، ارثوذكسي، درزي، كاثوليكي)، (٢). وفي الفترة الواقعة بين ٥ ايلول ١٩٤٣، وهو يوم اعلان نتائج الانتخابات و٧ تشرين الاول ١٩٤٣، وهو يوم القاء البيان الوزاري امام مجلس النواب، عرفت البلاد شهراً مليئاً بالاحداث والمناورات السياسية والاتفاقات الوطنية، التي سوف تطبع الحياة الوطنية والسياسية اللبنانية لمدة ربع قرن واكثر.

فخلال هذا الشهر تمت أجتماعات عدة بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح جرى خلالها التفاهم والاتفاق على البرنامج الوطني والسياسي لبلوغ الاستقلال كما جرت خلال هذا الشهر الاتصالات بين العهد الجديد في لبنان والحكومات الوطنية في دمشق والقاهرة. وكان الجنرال سبيرس يلعب في هذه الاتصالات دور المرشد او العراب.

وفي السابع من تشرين الاول ١٩٤٣، القى رياض الصلح بيانه الوزاري الاول امام المجلس النيابي وسط جو من الحماس الشعبي والعنفوان الوطني، لم تعرفه البلاد من قبل. وجاء البيان، الذي يعتبره البعض احدى صيغ الميثاق الوطني والذي ايده المجلس النيابي بالاجماع (لم يتغيب سوى بضعة نواب ممن تضامنوا مع اميل اده). مكرساً للمبادىء التي اتفق عليها المسلمون والمسيحيون، و"اللبنانيون" و"العروبيون" لبلوغ الاستقلال والسيادة الوطنية.

ما تضمنه البيان الوزاري من وعود كان لا بد له من ان يقود عملياً الى تعديل الدستور والغاء كل المواد المتعلقة بالانتداب الفرنسي منه وبالتالي استلام كل السلطات او المراكز التي كان الانتداب يمارس السلطة الفعلية بواسطتها.

وهكذا ابلغت الحكومة اللبنانية المندوب الفرنسي، المسيو "هيللو"، رغبتها "في تسلم المصالح الوطنية وتحويل المندوبية الفرنسية الى تمثيل ديبلوماسي".

رفضت الحكومة الفرنسية المؤقتة، المقيمة في الجزائر آنذاك، تسليم لبنان وسوريا، المصالح والسلطات التي تمارسها فرنسا قبل توقيع اتفاق معها تحدد بموجبه بصورة عامة ونهائية العلاقات الفرنسية ـ اللبنانية والفرنسية ـ السورية. (٣).

كانت الحكومة الفرنسية بهذا الرد الذي يدل على رغبتها في توقيع معاهدة مع لبنان وسوريا تحفظ بموجبها مصالحها ومركزاً لها متميزاً، وتتراجع عن تسليمها بمبدأ الاستقلال التام الذي كانت قد وعدت به مراراً والذي كان لبنان قد بدأ يمارسه بالفعل. وان دل ذلك على شيء فأنما يدل على قصر نظر وخطأ في تقييم الواقع الدولي وتطور الاوضاع السياسية في هذه المنطقة من العالم.

تعديل الدستور

وفي ٥ تشرين الثاني، نشرت الحكومة الفرنسية المؤقتة، بواسطة المندوبية الفرنسية في بيروت، بلاغاً انكرت فيه على الحكومة اللبنانية حق تعديل الدستور، من طرف واحد وبدون موافقة فرنسا.

جاء ردّ الحكومة اللبنانية على هذا البلاغ، عفوياً وسريعاً. ففي اليوم ذاته الذي اذيع فيه البلاغ، عقد مجلس الوزراء اللبناني جلسة استثنائية، بدعوة من رئيس الجمهورية، وقرر احالة مشروع تعديل الدستور الى المجلس النيابي.

وفي الثامن من تشرين الثاني ١٩٤٣ وبالرغم من كل المحاولات والمناورات الفرنسية لتأجيل انعقاد الجلسة، عقد المجلس النيابي اللبناني جلسته التاريخية، كانت شرفات المجلس مليئة بالحضور وآلاف المواطنين محتشدون في ساحة البرلمان، فوافق النواب على تعديل الدستور بالاجماع، والغيت كل المواد التي فيها ذكر للانتداب الفرنسي.

● لم تمض ايام ثلاثة حتى جاءت ردة الفعل الفرنسية على هذا التحدي، عنيفة وغير منتظرة.

ففي الساعات الاولى من فجر الحادي عشر من تشرين الثاني ١٩٤٣، داهمت قوات مسلحة فرنسية منازل رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة وبعض الوزراء فالقت القبض عليهم، وقادتهم نحو معتقل اعد لهم في قلعة "راشيا" بالاضافة الى الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح والوزراء كميل شمعون وسليم تقلا وعادل عسيران اعتقل النائب عبد الحميد كرامي. اما المير مجيد ارسلان وحبيب ابي شهلا فقد نجيا من الاعتقال.

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الفرنسية تقوم بهذه العملية المجنونة، اصدر المندوب السامي الفرنسي قراراً بابطال مفعول قانون تعديل الدستور، وبحل مجلس النواب وتعليق الدستور وتعيين اميل اده رئيساً للدولة والحكومة، كما اذاع المسيو هيللو بياناً حاول فيه تبرير عمله بقوله ان التدابير التي اتخذها انما كانت رداً على تصرفات المسؤولين اللبنانيين الذين حاولوا القضاء على الوجود الفرنسي في المشرق، لمصلحة دولة كبرى اخرى !

فوجىء اللبنانيون بهذا العمل الطائش، وما لبث الانفعال أن اعقب الدهشة. واندفع مئات بل

واخذت الجماهير تهاجم وتعتدي على كل مظاهر الوجود الفرنسي، واشتركت كل الطبقات والفئات في الاعراب عن ثورتها بما في ذلك عدد من رجال الدين المسيحيين؛ وعقد النواب اكثر من جلسة؛ رغم حل المجلس مستنكرين العمل الفرنسي معلنين تأييدهم للحكومة الشرعية، وتحركت العواصم العربية محتجة على ما حدث.

حاول الرئيس المعين تأليف حكومة تساعده فلم يفلح، واعلن المجلس النيابي عن تأليف حكومة موقتة مقرها قرية "بشامون"؛ تضم حبيب ابي شهلا؛ ومجيد ارسلان وصبري حماده، وعقد مؤتمر وطني ضم عدداً كبيراً من السياسيين والوجهاء والمثقفين؛ من مختلف الطوائف؛ اعلن تأييده للحكومة الشرعية، وتوحدت منظمتا "الكتائب" و"النجادة" في حركة واحدة واعلنتا النضال ضد السلطات الفرنسية، (٤).

وصعّدت الحكومة البريطانية ضغطها بحيث ارسلت الى الجنرال كاترو مذكرة تحذّر فيها من استمرار اعتقال الزعماء اللبنانيين؛ على اعتبار ان الازمة "تهدد المواصلات العسكرية البريطانية ومجهود الحلفاء الحربي في الشرق الاوسط".

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ استجابت الحكومة الفرنسية لتوصيات الجنرال كاترو؛ فاستدعت المندوب هللو الى الجزائر، وفي ٢٢ تشرين الثاني افرج عن رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء؛ والوزراء المعتقلين الذين غادروا قلعة راشيا.

وفي موكب شعبي، لم يعرف لبنان مثيلا له؛ عاد الزعماء الى بيروت، وكانت الجماهير تخرج الى الطرقات مواكبة اياهم هازجة ومهللة لهم وللاستقلال، وفي ساحة الشهداء كان هنالك مئات الالوف من اللبنانيين بانتظارهم ليهتفوا لهم وللاستقلال.



ومع ممثل الولايات المتحدة وورسورث.

وبالاضافة الى تظاهرات الاحتجاج واعمال الشغب والعصيان المدني والاصطدام بالسلطات الفرنسية؛ كانت المساعي الديبلوماسية ناشطة لحل الازمة، فالجنرال سبيرس؛ بذل نشاطاً كبيراً ضد العمل الفرنسي ومؤيداً للحكومة الشرعية؛ بحيث انه يجوز القول بأن المندوبية البريطانية تحولت الى مركز قيادة للمقاومة.

وهبت العواصم العربية تؤيد الشعب اللبناني في انتفاضته وتطالب بعودة الحكومة الشرعية، وما لبثت حكومتا واشنطن ولندن ان مارستا الضغط على الحكومة الفرنسية المقيمة الجزائر؛ للافراج عن الزعماء المعتقلين والاستجابة لاماني اللبنانيين؛ مما حمل الجنرال ديغول على ارسال الجنرال كاترو مجدداً؛ الى لبنان مكلفاً بمهمة حل الازمة.

وكان يوماً حافلا بالحماس وموحداً الشعور الوطني؛ كما لم كما لم يعرف لبنان من قبل.

اللقاءات والاتفاقات

تلك هي؛ باختصار اهم الاحداث التي رافقت ولادة الاستقلال اللبناني والتي كان عام ١٩٤٣؛ مسرحاً لها، ويجدر التساؤل: كيف ان هذا العام شهد توتّراً اسلامياً ــ مسيحياً حول نسبة التمثيل الطائفي؛ يدل على الريبة واللاثقة في النوايا؛ ثم شهد صراعاً انتخابياً سياسياً وحزبياً بل وعقائدياً...؛ انتهى بهذا الاجماع الشعبي والوطني العارم الذي كان من نتائجه بلوغ لبنان الاستقلال التام بل ولادة شعور وطني موحد؟

صحيح ان العمل الاحمق الذي اقترفته السلطات

الفرنسية ، في محاولتها تأخير الاستقلال ، كان له اثره في توحيد كلمة اللبنانيين وردة فعلهم ..

وصحيح ان السياسة البريطانية هي التي ساعدت السياسيين الذين وافقوا على مخططاتها، في الوصول الى المجلس والحكم ومن ثم على الصمود في وجه المحاولات الفرنسية للمحافظة على مركز ممتاز لها .

ولكن هذا كله لم يكن ليكفي لو لم يتوصل اللبنانيون عبر زعمائهم واحزابهم ، الى نوع من الاتفاق الاساسي حول صيغة تشمل نظام الحكم وواقع لبنان الوطني وعلاقاته مع جيرانه والعالم .

مما لا ريب فيه ان الانتفاضة الشعبية التي تلت اعتقال الحكومة الشرعية، كانت عفوية وصادقة وان اكثرية الشعب كانت تريد الاستقلال والسيادة. ولكن هل كان الشعب، باجمعه يؤيد هذه الصيغة الوطنية التي تم الاتفاق عليها بين الزعماء السياسيين اي "بالميثاق الوطني" .

المجلس النيابي والمؤتمر الوطني والتظاهرات الشعبية الصاخبة، والاضراب العام في البلاد ثم الاستقبال الشعبي المنقطع النظير للزعماء العائدين من المعتقل، كلها تدل على أن الاستقلال كان شعبياً اجماعياً ،لكن هل كانت هذه التظاهرات تؤيد ابقاء النظام السياسي الذي يرسمه دستور ١٩٢٦؟ هل كانت مطلعة على اتفاق بشارة الخوري ورياض الصلح على "الميثاق"؟

في الواقع، لم يكن الشعب مطلعاً على "الميثاق الوطني" ، بل كان مؤيداً للاستقلال وثائراً لكرامته التي تعرضت للعدوان. الا انه من المؤكد ان عدداً كبيراً من السياسيين والعاملين في الحقل العام، كانوا مطلعين، او على الاقل مؤيدين، للخطوط السياسية الكبرى والمبادىء الوطنية التي توصل الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح الى الاتفاق عليها في صيغة ١٩٤٣. فما هي هذه الخطوط الكبرى والمبادىء وكيف ومتى واين تم ابرازها والاتفاق عليها.

ومن اغرب المفارقات ان الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح اللذين قيض لهما ان يلعبا الدور الرئيسي في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة، لم يكونا قد اتفقا، والبعض يقول لم يكونا قد التقيا قبل صيف ١٩٤٣! فرياض الصلح كان اقرب مودة لاميل اده منه للشيخ بشارة الخوري، ويؤكد الكثيرون من المطلعين ان ادخال رياض الصلح في لائحة احمد الاسعد الانتخابية، جاء بناء على وساطة اميل اده .

الحقيقة هي ان "مبادىء" الميثاق الوطني، التي اقترنت بأسمي بشارة الخوري ورياض الصلح ، لم تكن من ابتكارهما، بل انها تبلورت وتولدت رويداً رويداً في عقول ونفوس اللبنانيين ابتداء من الثلاثينات وانها كانت "ناضجة" في عام ١٩٤٣، عندما اتاحت الظروف الدولية والعربية لبشارة الخوري ورياض الصلح أن يكونا صاحبي الفضل في اخراجها وتكريسها وتطبيقها .

تلك هي الحقيقة التي لا تقلل من اهمية الدور التاريخي الذي لعبه الزعيمان السياسيان. ولكنها تعطي، ايضاً غيرهما ، لاسيما المفكرين والسياسيين الذين لم تمنحهم الحياة او الظروف فرصة البروز الى مقدمة التاريخ، حقهم ايضاً .

اما الحقيقة الثانية فهي أن بشارة الخوري ورياض الصلح رغم تبنّيهما لصيغة كانت قد تبلورت قبل وصولهما الى الحكم، كانا مؤهلين، شخصياً وسياسياً ووطنياً اكثر من غيرهما للقيام بهذا الدور التاريخي وللاتفاق .

(في العدد المقبل: من وضع الميثاق الوطني ؟)

١ ــ نشرت جريدة "الانوار"، محضر هذا المؤتمر المفصل، في عددها الصادر في ١٢/ شباط/ ١٩٧٥. وكان من ابرز الحاضرين فيه: مفتي الجمهورية الجمهورية، رياض الصلح، عبدالله اليافي، عبد الحميد كرامي، جميل بيهم، بهيج تقي الدين، سليمان الضاهر.

٢ ــ من ابرز المناورات الدعوة الى انسحاب كل من بشارة الخوري واميل اده، والاتفاق على مرشح ثالث. وكان ابرز الاسماء كميل شمعون، مجيد ارسلان، حبيب ابي شهلا، عادل عسيران، سليم تقلا .

٣ ــ راجع كتاب الجنرال كاترو "في معركة المتوسط"، باريس ١٩٤٩.

٤ ــ حول الاحداث التي وقعت بين ١١ و٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣، يراجع كتاب "ولادة استقلال" للشيخ منير تقي الدين، ــ دار العلم للملايين .

الانسان موجود في الشرق الاوسط من نصف مليون سنة

العالم العربي في العصر الحجري


(رسم ٢) حفريات اريحا.

د. ديمتري برامكي

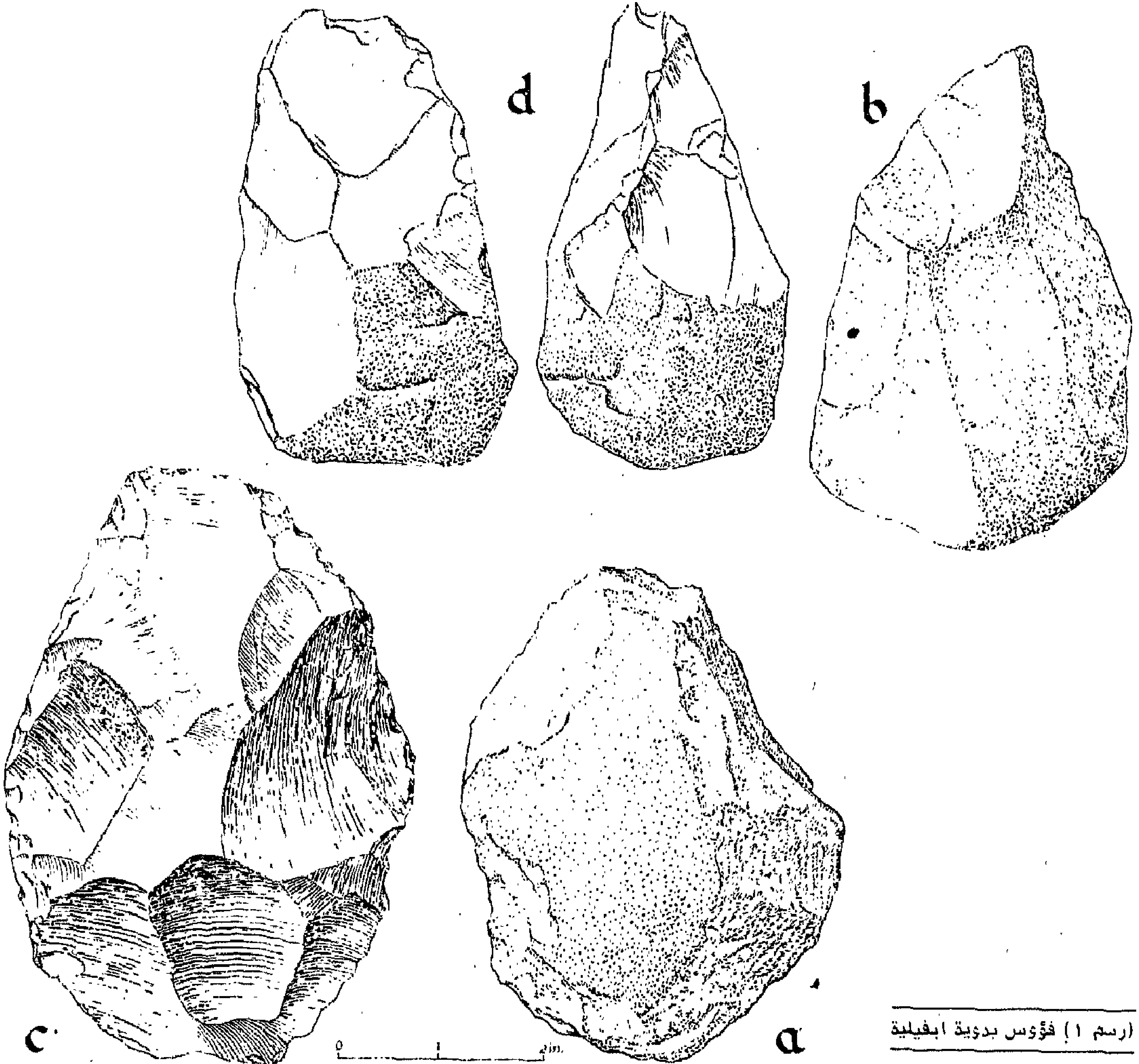
الدكتور ديمتري برامكي: مولود ١٩٠٩ في الاردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت اطروحته بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الاموي"، أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطن، ١٩٤٠ – ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١، مثل الجامعة الأميركية في سبعة مؤتمرات للاثريين، في البلاد العربية وفي العالم، رقي الى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

دلت الابحاث الأخيرة على أن عنصر الانسان ظهر أول ما ظهر على وجه البسيطة في جنوب افريقيا ثم أخذ ينتقل تدريجياً وببطء شديد نحو الشمال ولم يصل إلى الشرق الأوسط الا منذ نصف مليون سنة . فالعناصر البشرية التي ظهرت في جنوب أفريقيا وبعدها في وادي أولدفاي (OLDUVAI) لم يظهر لها أثر في الشرق الأوسط. أما أول إنسان ظهر في الشرق الأوسط فهو HOMO ERECTUS الرجل المنتصب . فكانت سعة دماغه تبلغ ٩٠٠ سنتمتر مكعب وظهرت جماجم هذا الانسان في جاوا وفي مغارة تركوئيني في الصين كما خلف وراءه أدوات صوانية في كلا المكانين .

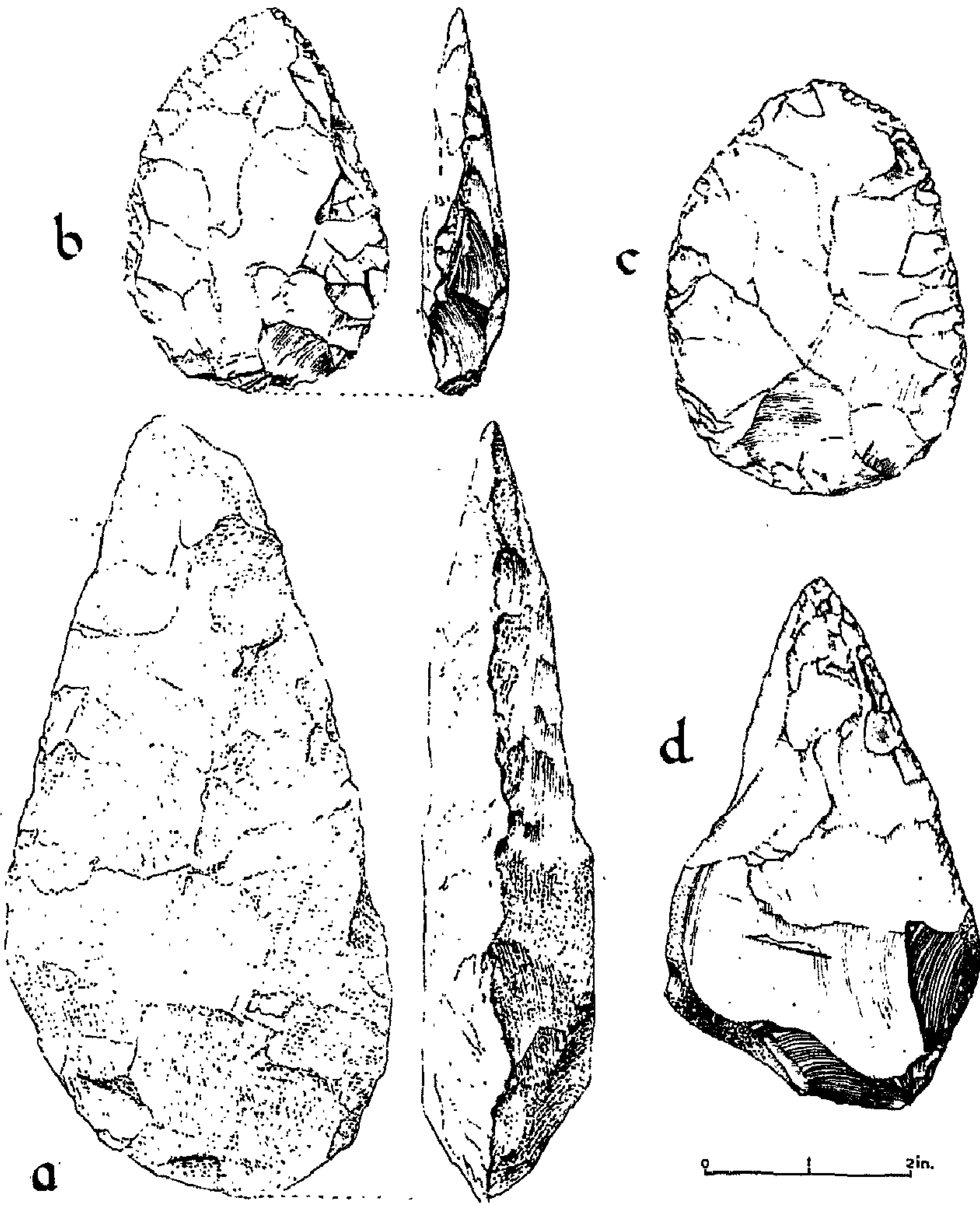
أما في الشرق الاوسط وإن كنا لم نعثر حتى الآن على جماجم هذا الانسان فقد وجدنا أدوات عديدة كان يستعملها هذا العنصر من البشر، إما لمكافحة الحيوانات الضارية التي كانت تحيط به أو لقنص الحيوانات التي كان يقتات بها .

بقي هذا الانسان ردهاً طويلا من الزمن ينتقل من مكان الى آخر طلباً للقوت إذ كان يترصد الفرائس على جوانب السهول حيث تأوى الغزلان والفيلة المنقرضة والمعروفة (MAMMOTH، وصلنا من ادواته الادوات الظرّانية فقط. أما إن كان يستعمل أدوات أخرى مصنوعة من الخشب فهذه تلاشت مع الزمن . أما الأدوات الظرّانية فكانت قطعة كبيرة من الصوان ليس لها شكل معين ورأسها ثلم (رسم ١) . وجدت هذه الأدوات بعدد وافر في ضبية وجزين في لبنان وقرب جبل فُريديس وكولونية اليونان في القدس في فلسطين ، وفي أماكن أخرى من فلسطين وسوريا ولبنان ولكن لا أثر لها في العراق .

تدعى هذه الثقافة (الثقافة الابفيلية) (ABBEVILLIEN نسبة الى "ABBEVILLE في فرنسا حيث عثر عليها لأول مرة . وكانت هذه الثقافة تدعى الثقافة الشلّية (CHELLEEN سابقاً .



(رسم ١) فؤوس بدوية ابفيلية



(رسم ٢) فؤوس يدوية اشولية

إمتد هذا العصر من العصر الجاف الأول (JUNZ-MINDEL) والعصر المطري الثاني MINDEL والعصر الجاف الثاني (MINDEL-RISS) والعصر المطري الثالث (RISS)

تلي هذا العهد العصر الاشولي ACHEULIEN) نسبة الى (ACHEULE) في فرنسا اي المكان الذي عثر فيه على هذه الأدوات لأول مرة ـ وتمتاز الأدوات الأشولية بكونها في بادىء الامر مثلثة الشكل، ومهذبة من جانبين لذلك تدعى BIFACE) ولها طرف حاد مروس بعكس الأدوات السابقة وتطور هذا النوع منها حيث أخذ في ما بعد شكلا يشبه القلب ولذلك دعيت هذه الأدوات CORDLFORME وفي أواخر العصر أصبحت مستديرة الشكل واصبحت تدعى (CIRCULAIRE

طبعا حصل في هذا العصر بعض التطور في شكل الانسان خصوصاً في حجم دماغه ولكن للآن لم نعُثر على أي من جماجمه، رغم عثورنا على عدد كبير من أدواته لنحدد حجم دماغه بالضبط.

وفي العصر الأشولي كان الانسان ما زال يتعاطى القنص ويفترس الحيوانات البرية مثل الغزلان والماعز البري وخصوصاً الفيلة الصغيرة المعروفة بـ MAMMOTH وجدت أدوات هذا القنص في جزين وفرن الشباك وصيدا في لبنان وفي اماكن عديدة في فلسطين وفي لطـَمـْنـَة في سوريا حيث وجدت أيضاً حجارة مقطوعة بجوار الأدوات الأشولية. تدعى هذه الحجارة MANUPORTS ولكن لا ندري الغاية منها.

والثقافتان الأبفيلية والأشولية تنتميان الى العصر الحجري القديم الادنى (LOWER PALAEO LITHIC AGE

ومنذ ثمانين ألف سنة ظهر عنصر بشري جديد على وجه البسيطة، يدعى HOMONEANDER THALENSIS أما الأن فتغير اسمه إلى HOMO SAPIENS نظراً نقربه الى الانسان الحالي الذي اصبح يدعى HOMO SAPIENS SAPIENS

يبلغ حجم دماغ هذا الانسان ١٥٠٠ سنتمتر مكعب، مثل الانسان العاقل عاقل تماماً انما يختلف عنه بميزتين: الأولى ان عظام الجمجمة خلف الحواجب بارزة بروزاً ظاهراً والثانية أن الذقن غير بارزة.

لا ندري تماماً متى اهتدى الانسان الى اشعال النار وربما كان ذلك في العصر الحجري القديم الادنى اي العصر السابق. إنما في هذا العصر أخذ الانسان يتحكم فيها، فيوقدها حين يشاء ويطفئها حين يشاء.

وفي هذا العصر اخذ الانسان يصنع أدوات ظرّانية تختلف كلّ الاختلاف عن العصر السابق. فبدلا من أن يأخذ قطعة كبيرة من الصوان ويهذبها لتصبح فأساً يدوية أخذ يشطب قشرات من امّاية صوانية ثم يهذبها لاستعمالها كرؤوس نبل أو سكاكين (رسم ٣).

وبينما الانسان المنتصب كان يقتات بلحوم الحيوانات التي يقنصها الى حد بعيد فالانسان أصبح يقتات من الثمار والأعشاب البرية أكثر فأكثر وكان يعيش في المغاور والملاجيء الصخرية ويوقد النار أمام مغارته ليصدّ الحيوانات الضارية عنه

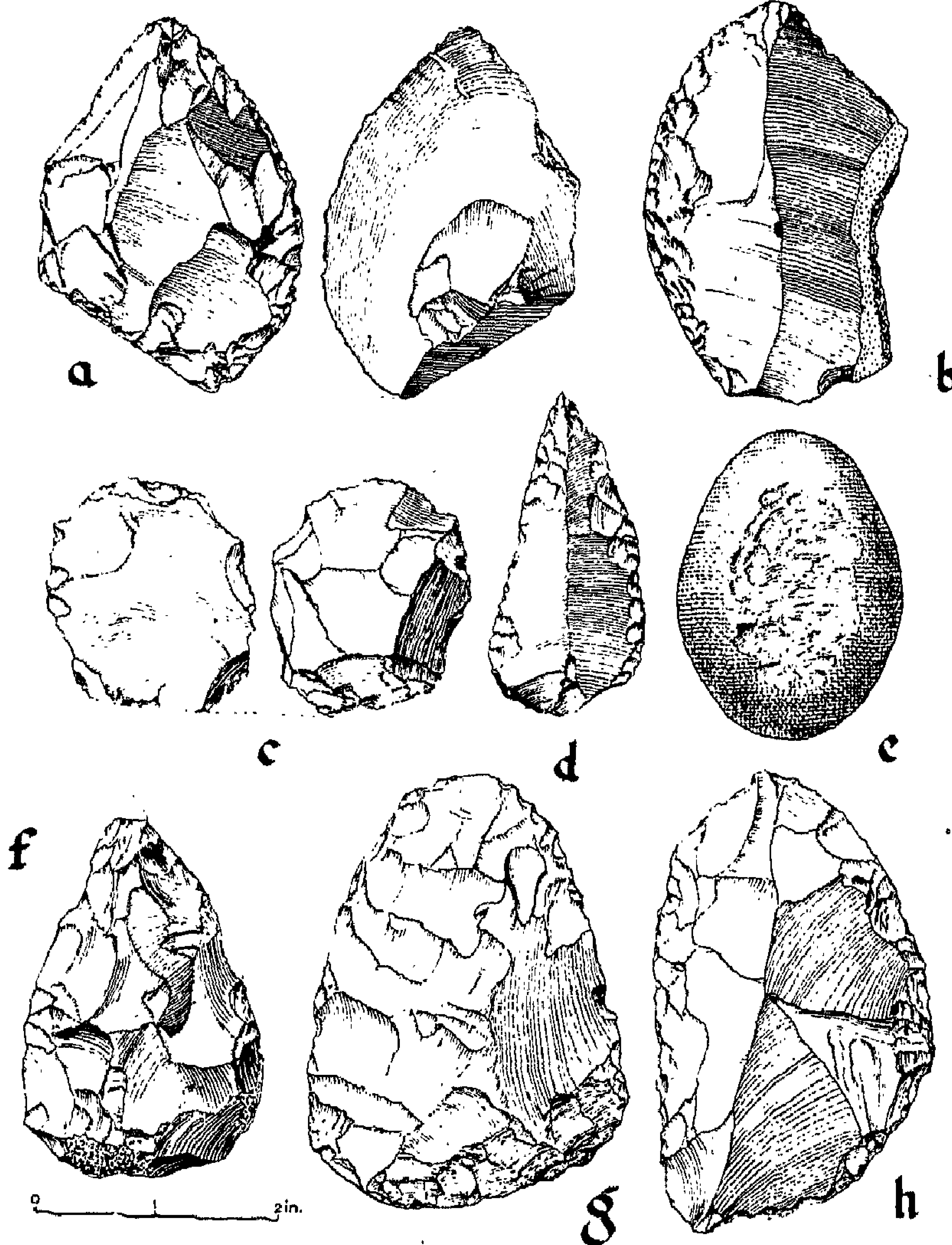
ولقد نبغ الإنسان في صنع الأدوات التي تدعى LEVALLOISO-MOUSTERIEN

نسبة إلى الأماكن التي وجدت فيها لأول مرة في فرنسا، وطريقة صنعها.

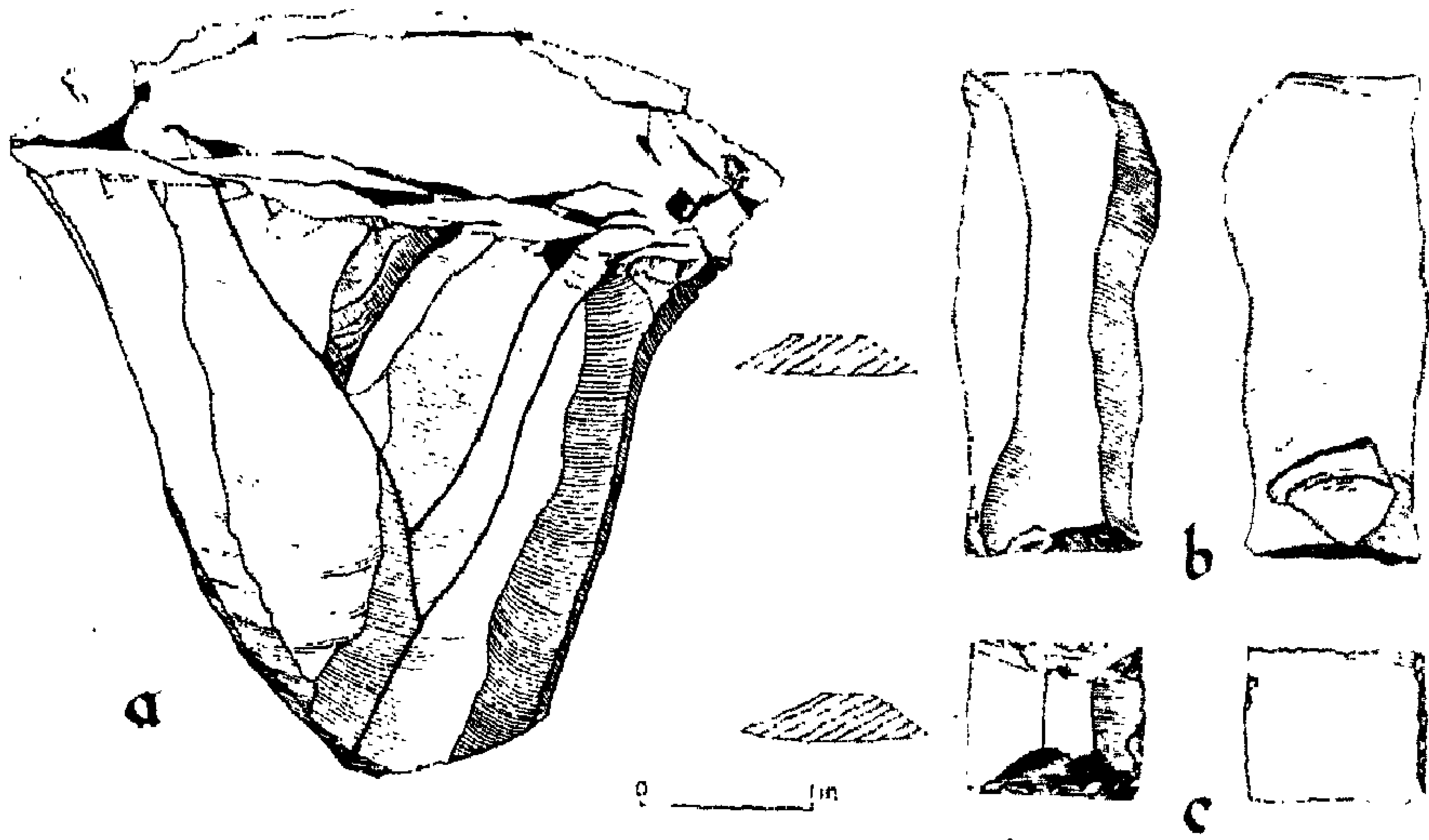
فكان الانسان يأخذ قطعة كبيرة من الظرّان ويهذبها على جوانبها الستة ثم يطرق طرف هذه القطعة ويكسر منها القشرات الصغيرة (رسم ٤) ونقطة الضرب كانت تدعى POINT DE PERCUSSION

ولكن الضربة تكون قوية عادة عند هذه النقطة فانها تشكل نتوءاً على القشرة يدعى BULBE DE PERCUSSION، وبعد ذلك تهذّب أطراف القشرة لتصبح حادة. لا نعرف امتداد هذا العصر بالضبط انما كان بحدود ٨٠ ألفاً الى ٤٠ ألف سنة قبل الميلاد.

وجدت بقايا عديدة لهذا العنصر البشري. ففي مغارة الزطّيّة على ضفاف بحيرة طبرّية في



(رسم ٣) قشرات مستيرية



(رسم ٤) طريقة شطب القشرات اللفلوازية

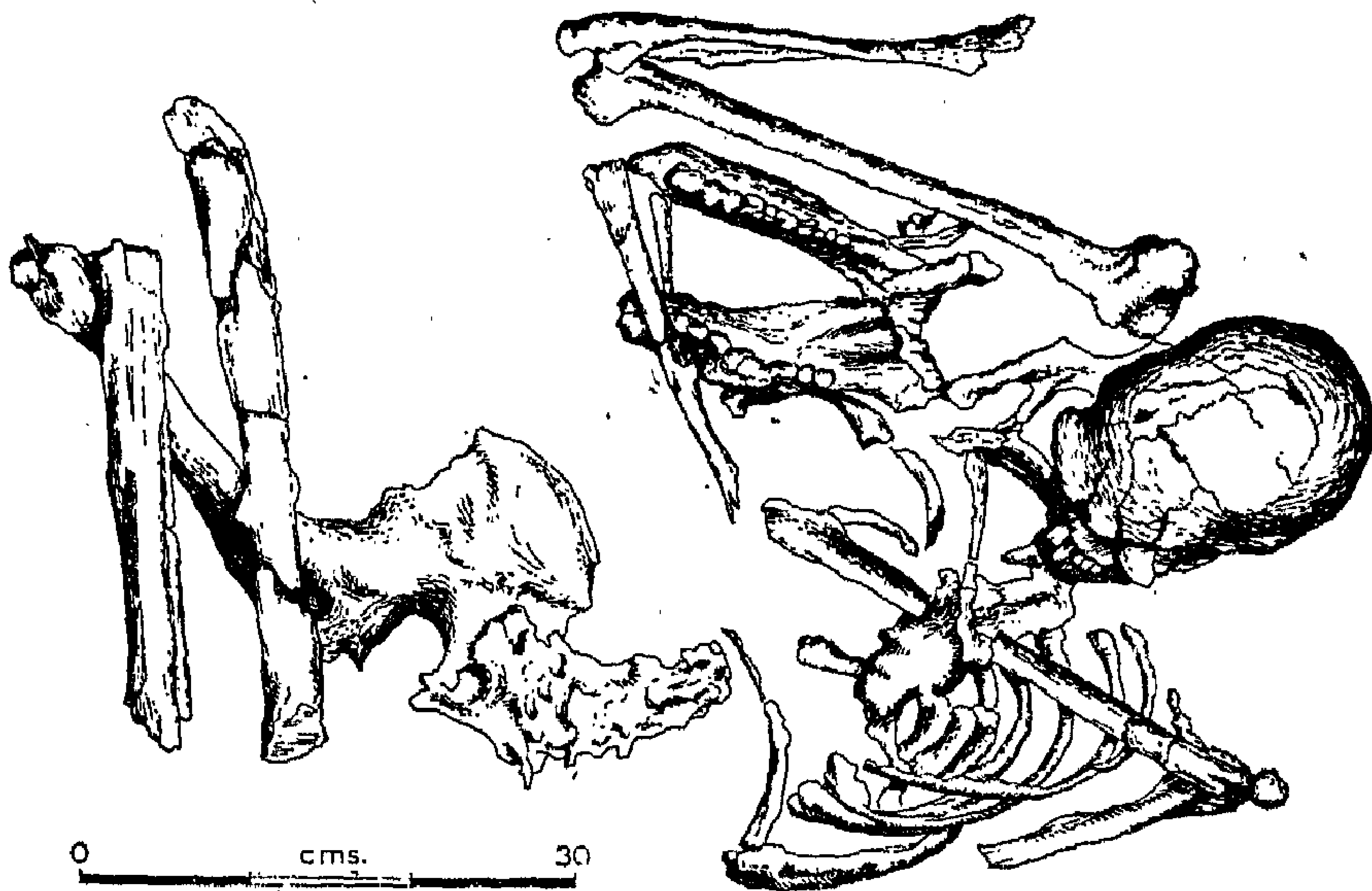
فلسطين عثر على جمجمة شخص وكميات كبيرة من القشرات اللفلوازية – المستيرية؛ كما عثر في مغارة الطابون في جبل الكرمل على عظام متحجرة لهذا الانسان (رسم ٥). عدا ذلك وجدت عدة جماجم في نفس المغارة تدل على تطور الانسان ؛ من الانسان العاقل الى الانسان العاقل عاقل.

أما العصر الذي ينتمي اليه هذا الانسان فهو العصر الحجري القديم الاوسط. ويلي هذا العصر الحجري القديم الاعلى عندما ظهر الانسان الحالي أي الانسان العاقل عاقل. ما فتىء هذا الانسان يعيش في المَغَر والملاجيء الصخرية نظراً لدنو العصر الجليدي الرابع (WURM)

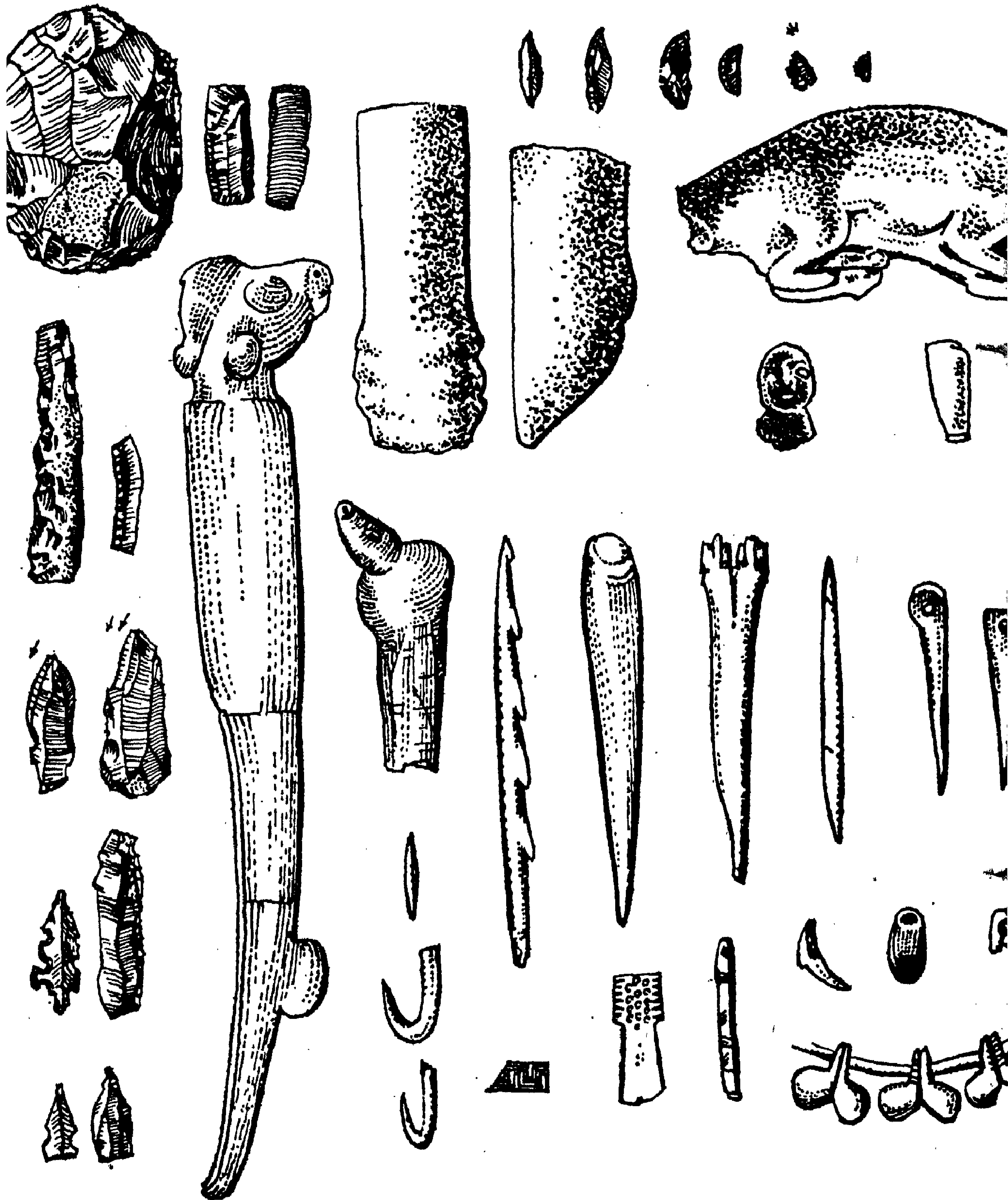
تختلف أدوات هذا العصر عن العصر السابق بشكلها وليس في طريقة صنعها فبينما القشرات اللفلوازو–مستيريّة مثلثة الشكل فشفرات هذا العصر كانت متوازية الاطراف في بادىء الامر رغم التغييرات التي حصلت عليها بعد شطبها. وهذه التغييرات اكسبت الأدوات أشكالا متعددة فهنالك مقاشط طرفية (ENDSCRAPERS) ومقاشط جانبية (SIDESCRAPERS) ومـقـاشط عـالـيـة STEEP SCRAPERS؛ وشفرات منحفة. عدا ذلك هنالك شفرات مروسة وحفارات وهلم جرّا وزيادة على ذلك وصلتنا من هذا العصر الادوات المصنوعة من العظام كالابر والدبابيس.

وفي بعض الأحيان كانت بعض الشفرات تثلم عمداً على ظهرها لتوضع بايد خشبية وتدعى هذه (BACKED BLADIES). وبعض الاحيان الاخرى كانت الشفرات مزودة برؤوس ملتوية ومروسة.

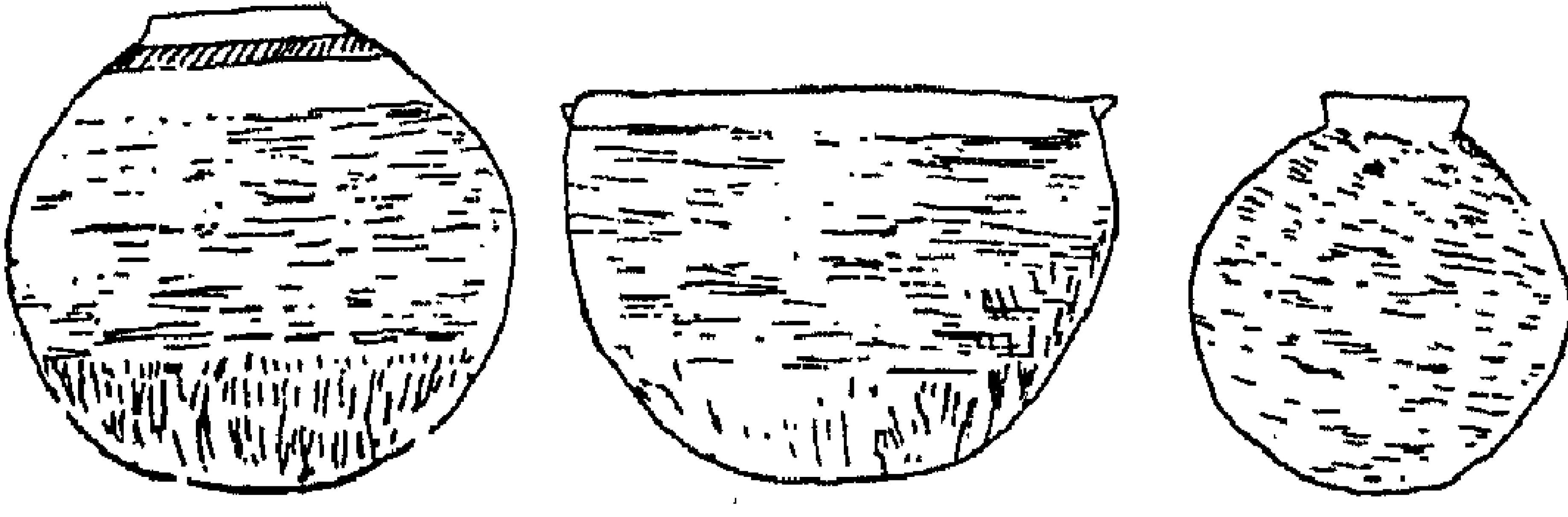
وتوجد عادة في المغائر التي سكنها الانسان في العصر الحجري القديم الاعلى عظام الحيوانات التي كان يقتات بها الانسان مثل ذي القرن الوحيد المنقرض وكان له صوف كثيف كالمموث والغزال.

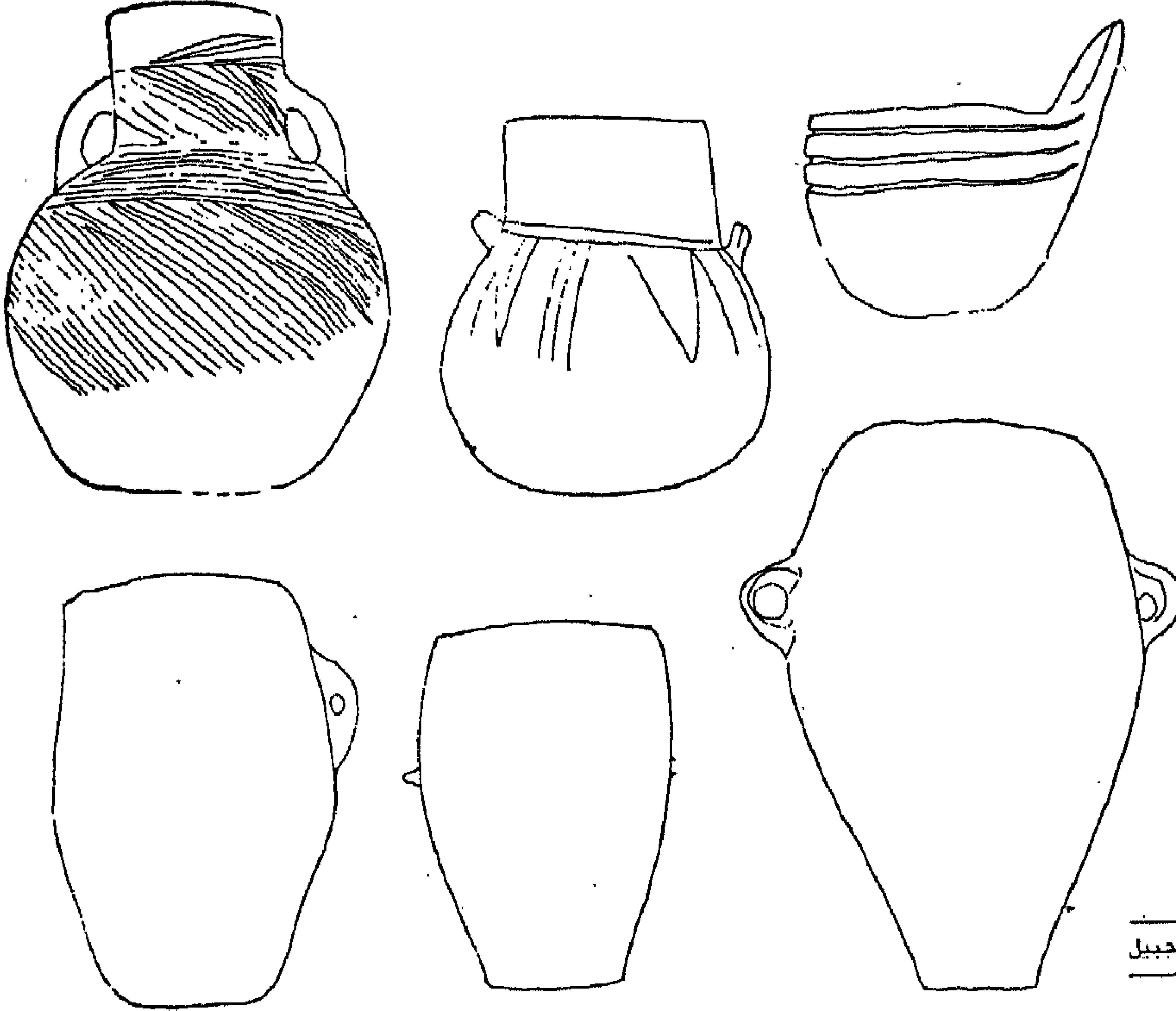


(رسم ٥) هيكل عظمي لانسان الكرمل



(رسم ٦) ادوات ناطوفية من العصر المسوليتي





(رسم ٨) خزف نيوليتي من جبيل

وقبل حوالي ١٠ الاف سنة حصلت معجزة كبرى في حياة الانسان، اذ اهتدى الى الزراعة ووضع بذلك أسس المدنية. ويقال، ولكن هذا غير أكيد، ... ان المرأة هي التي اكتشفت الزراعة، اذ اخذت تغرس بعض الحبوب البرية وترويها اثناء غياب زوجها في القنص. وهذا الاكتشاف ادى الى استيطان الامكنة التي اخذ الانسان يزرع حبوبه فيها. اذ اصبح عليه ان يبقى قرب مزروعاته حتى موسم الحصاد. وهذا ادى الى مضاعفات في شكل حياته.

وهذا العصر الذي يمتد من حوالي ٨٠٠٠ سنة الى ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد يدعى بالعصر الحجري المتوسط او **MESOLITHIC AGE**

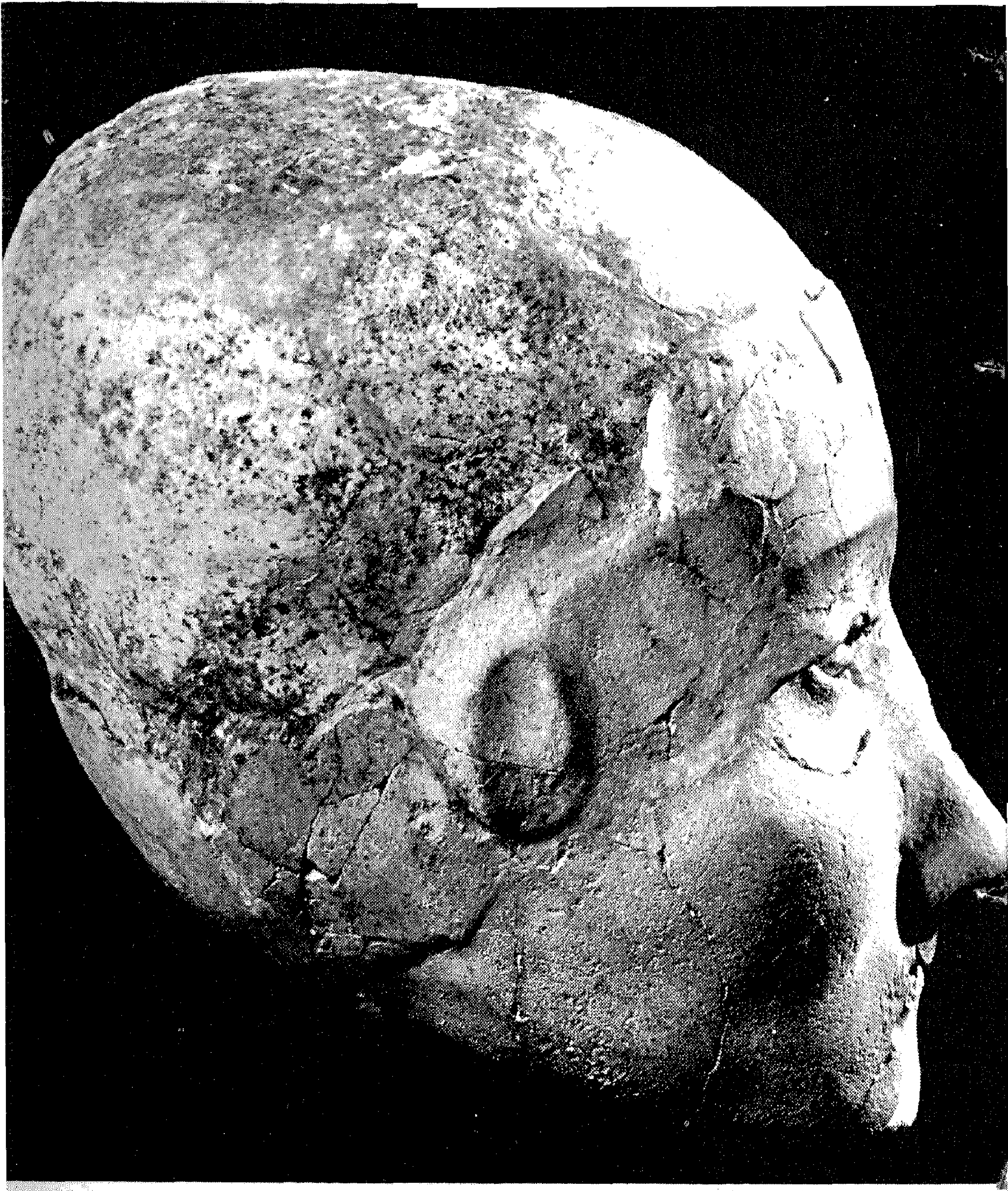
العصر المسوليثي

ما فتىء الانسان فيه يسكن المغاور باديء ذي بدء ثم انتقل بعد اكتشافه الزراعة الى السهول حيث اقام القرى الصغيرة مثل اريحا وعين ملاحة في فلسطين وحسّونة في العراق وجبيل في لبنان.

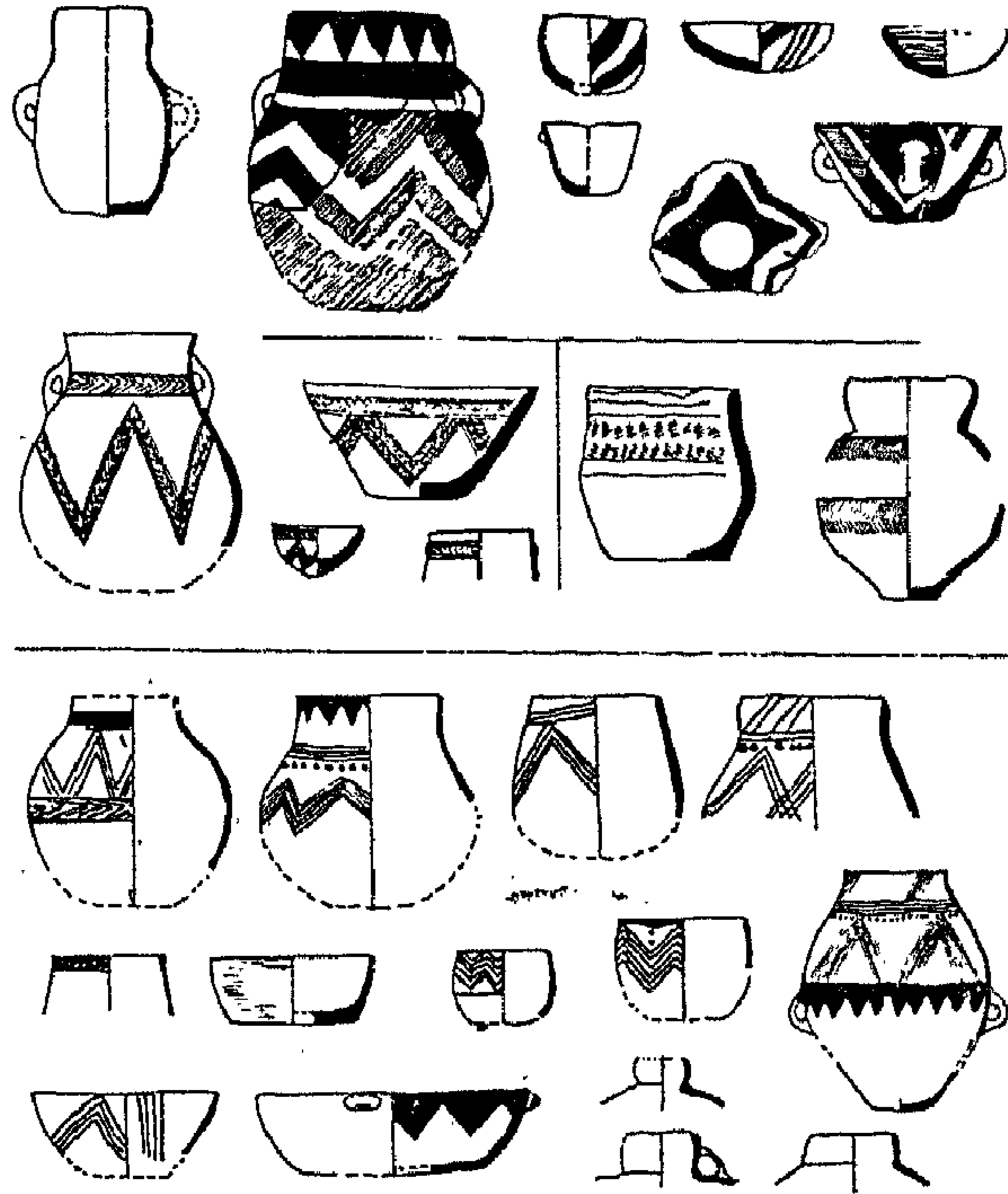
ومن ميزات العصر المسوليثي صغر حجم الادوات الظر"انية التي كانت لا تفوق السنتمترين او الثلاثة على الاكثر وغلب عليها الشكل الهلالي (رسم ٦) فكانت توضع بايد من العظم او الخشب، الواحدة بجانب الاخرى لكي تصنع منجلا او سكيناً او اي أداة اخرى.

اصبح الانسان منتجاً ولم يعد عالة على الطبيعة كما كان الامر في الماضي ونضج حسه الفني في هذا العصر الى حد بعيد. فأخذ يزيّن رأسه بالخرز المصنوع اما من الفيروز او من العظام او من صدفة الدنتاليه.

وكان ينسج ويخيط. فلقد عثر في اريحا وفي وادي الناطوف في فلسطين على ابر ودبابيس مصنوعة من العظم. كما انه كان يجرش القمح والشعير اذ عثر في اماكن عديدة على جواريش وهواوين من حجر البزلْط.



(رسم ١٠) جمجمة مطلية بالجبس من العصر النيولتي



(رسم ٩) خزف نيتوليتي من اريحا

العصر الحجري الحديث

وقد ادت الخطوة التي خطاها الانسان في العصر المسوليثي الى تغير شامل في حياته في العصر التالي، فالبذور التي زرعها الانسان المسوليثي نمت وترعرعت في العصر النيوليثي اي العصر الحجري الحديث، وهذ التقلبات حدت بعلماء الآثار لتسمية هذه التقلبات بالثورة النيوليثية،

من هذه التقلبات بزوغ القرى العديدة التي ظهرت في الشرق الاوسط في العراق ومصر وفلسطين وسورية ولبنان، فعندما هجر الانسان الكهوف والمغاور التي كان يسكنها وهبط الى السهول اضطر الى بناء ملاجىء وهكذا بزغت الهندسة المعمارية (رسم ٧)،

في باديء الامر كان الانسان يسكن الاكواخ المصنوعة من القصب كما هي الحالة في فزان في ليبيا، إلا أن الاعصارات اضطرته ان يبني اكواخاً اقوى، مصنوعة من اللبن، لاتقاء الاعصارات والامطار،

وتعاطي الزراعة ادى بصورة مباشرة الى تدجين الحيوانات، أول حيوان دجن كان الكلب الذي أخذ يقتات في العهد السابق من النفايات حول مساكن الناس، وفي هذا العهد أخذت الماعز تجتذب نحو بقايا الحصيد فأخذ الانسان يقتنصها ويدجنها شيئاً فشيئاً، وتدجين الحيوانات ادى بدوره الى ظهور النسيج والحياكة، ويجدر بالذكر ان صناعتين اخريين ظهرتا في العصر النيوليثي هما صناعة الصفصاف وصناعة الخزف (رسم ٨،٩)

وتختلف صناعة الادوات الظرانية في هذا العصر عن العصور السابقة اولابسبب كبر حجمها وثانياً بسبب صقلها وعدا هذا أخذ الانسان النيوليثي يصنع الادوات والطلاسم من حجارة أخرى صلبة كالديوريت والسربنتين،

وطبعاً فإن الوعي الاقتصادي أدى الى التفنن في صنع الادوات فكانت الفؤوس والمعاول ورؤوس النبل ورؤوس الرماح والسكاكين والمخارز والمناشر والقداديم وما الى ذلك،

كذلك فإن إنتشار الزراعة على نطاق واسع غيّر في معتقدات الانسان وبما ان محصولاته الزراعية ترتهن لتقلبات الجو وتعود الى كثرة الامطار وانحباسها، فقد اخذ الانسان يعبد إله المطر والبرق والرعد وإلهة الخصاب وأخذ يصنع تماثيل لتلك الالهة ويقدم لها القرابين،

وزيادة على ذلك كان الانسان النيوليثي في العالم العربي، في الشرق الادنى يعبد الاسلاف، وقد وجدت في اريحا عدة جماجم مطلية بالجبس لتعيد ملامح وسحنة صاحب الجمجمة (رسم ١٠)،

كما وان وجود عدد كبير من الناس يعيشون بالقرب من بعضهم البعض ادى الى نشوء احوال اجتماعية وسياسية، ونتج عن ذلك قيام نوع من الحكم الديموقراطي مؤلف من حاكم ومجلس شورى ومجلس عامة يضم كافة الرجال الراشدين،

وهكذا وضعت اسس حياة اجتماعية وسياسية أدت في ما بعد الى قيام المدن المستقلة POLIS،

تاريخ الشرق الأوسط

من

العصر الحجري

الدولة العربية

خلال العصر الجليدي كان أصلح جزء من العالم بالنسبة للشعوب التي تعيش على الصيد هو الجزء الواقع في أوروبا وروسيا الجنوبية ، والمنطقة التي تغطيها الصحاري الآن أي الصحراء الكبرى وصحراء العرب وصحراء وسط آسيا كانت أرضاً خضراء ولكنها كانت الى حد ما اقل صلاحية للصيد من الأراضي الواقعة في الشمال ، ولكن بانكماش غطاء الجليد اصبحت الأطراف الجنوبية منه تغطيها الغابات ، وقد اصبحت هذه المنطقة المغطاة بالغابات اليوم منطقة متقدمة الى حد كبير جداً ،

وقد كان أبناء العصر الحجري بأدواتهم الحجرية عاجزين امام الغابات فلم يستطيعوا إزالة الاشجار ، وأصبحت هذه المنطقة غير مجدية بالنسبة لابناء العصر الحجري ، كذلك أصبحت المنطقة التي تغطيها الصحاري الكبرى الآن صحاري جرداء لان الرياح المحملة بالامطار غيرت اتجاهها عندما انكمش غطاء الجليد فتحولت الارض التي كانت خضراء الى صحراء ،

أما الذين كانوا يعيشون في المناطق التي توجد فيها اليوم الصحراء الكبرى وصحراء العرب وصحراء وسط آسيا فقد استطاعوا أن يستفيدوا من جزء من أراضيهم ، وهم لم يكونوا يستطيعون الاستفادة من هذا الجزء الذي تمثل في الواحات المتبقية من عهد الاخضرار إلا باحداث ثورة اقتصادية ضخمة اي بالانتقال من مرحلة الصيد وجمع الطعام الى الزراعة واستئناس الحيوان .

وتلك كانت الثورة الاقتصادية المزدوجة التي يبدو انها حدثت بعد انتهاء آخر مراحل العصر الجليدي في عدد من الواحات التي كانت تمتد في شبه دوائر حول الهلال الخصيب ، مبتدئة من جانبي وادي النيل ومتجاوزة منطقة النيل نفسها التي كانت منطقة غابات ومستنقعات وممتدة خلال فلسطين وسورية وشمال العراق وغرب إيران حتى الخليج العربي مباشرة ، وفي هذه الواحات أمكن ممارسة الزراعة على نطاق ضيق اعتماداً على المطر والري كعامل مساعد ، وكانت هذه المرحلة ضرورية ليمر الانسان بتجربته الحاسمة في الزراعة قبل ان يغامر فينتقل بها الى اودية الانهار الكبرى ،

وكانت هذه الثورة الاقتصادية هي بداية ما يسمى بالعصر الحجري الحديث ، ولكنني اعتقد ان اكتشاف الزراعة وتربية الحيوان في ذلك العصر كانا اكثر اهمية في الواقع من ابتكار ادوات حجرية افضل ،

ولقد سمينا العصر الحجري الجديد باسم ادواته لان الادوات التي يخلفها الانسان هي اطول آثاره بقاء ، ولكن الواقع ان تلك الادوات خادعة براقة ،

وقد كانت هذه التغيرات الاقتصادية في حياة الانسان كما نعتقد هي التي صنعت العالم المتحضر خلال الخمسة آلاف سنة الماضية ، والمعتقد ان هذا العصر الحجري الجديد استمر كما تدل على ذلك آثاره في الشرق الاوسط - من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى ٥٠٠٠ او سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ،

وفي ذلك الوقت كانت الادوات المعدنية والنحاسية تظهر تدريجياً الى جانب الادوات الحجرية ،

والناس الذين زاروا الاردن ومدينة اريحا التي اعتقد انها اقدم مدينة في العالم ونظروا من قمة ذلك الجبل الى منشآت مدينة أريحا وطبقاتها التي ترجع تربتها البكر الى سنة ٨٠٠٠ ق.م لا بد رأوا في أسفل هذا الجبل النبع الذي كان يروي حقول أريحا منذ بدء الزراعة هناك وبمرور الوقت ارتفعت طبقات المساكن البشرية طبقة فوق طبقة حتى بلغ ارتفاع الجبل الآن سبعمائة قدم ، ولكن عندما ينظر المرء الى الطبقة الاصلية فسوف يراها من مستوى النبع ،

وهكذا فان نبعا واحدا وأحيانا واحة واحدة يتوفر فيها الماء للزراعة يمكن ان تعول سكانا مستوطنين لآلاف وآلاف من السنين ويبقى النبع كما هو ،

اما الطبقات من المنشآت والمساكن فهي تتغير بمرور القرون ، والآن فان ابتكار الزراعة وتربية الحيوان في واحات الشرق الاوسط الى جانب الاختراعات المتتابعة للادوات الحجرية المتطورة ثم اختراع الادوات المعدنية بعد ذلك: من البرونز اولا ثم من النحاس ، كل هذا قد اتاح لمبتكري الاقتصاد الزراعي الجديد الاداة التي يمكن ان يوجهوها للتطور في استغلال الموارد الزراعية الاكثر إمكانيات والاكثر غنى ، وأعني بها موارد أحواض الانهار الكبرى ، ولم تكن الادوات الجديدة هي التي يحتاج اليها الانسان للسيطرة على احواض الانهار فقد كان الانسان يملك فعلا الاقتصاد الزراعي ،

التنظيم السياسي

أما ما كان يحتاج اليه فهو شيء اجتماعي وسياسي ، فلكي يسيطر الانسان على أحواض الانهار كان في حاجة الى تنظيم سياسي جديد ،

فقد كانت وديان الانهار على قدر تصورنا لها وهي في حالتها الطبيعية الاولى مغطاة بالغابات والمستنقعات ، ولذلك فهي لم تكن صالحة الى اقصى حد للحياة البشرية كما أنه كان من العسير جداً على بني البشر أن يسيطروا عليها ، ولم يكن يمكن السيطرة عليها الا عن طريق تعاون الجهود البشرية على نطاق واسع ،



ارنولد توينبي

وهي جهود كان لا بد من بذلها لا لتؤتي فوائدها في المدى القريب بل في المدى البعيد . وكان لا بد من إقناع مجموعات كبيرة من الناس أو إغرائهم أو إجبارهم على العمل معا من أجل فوائد تأتي في المدى البعيد . اي أن الأمر كان يحتاج الى زعامة قوية قادرة على تصور المستقبل البعيد .

ونحن نستطيع أن نقول على ما أعتقد، إن سيطرة الانسان الاقتصادية على أحواض الأنهار الكبرى كنهر النيل والدجلة والفرات والسند، لا بد وأن تكون قد تمت على يد مجتمعات غزيرة بالسكان ولديها الطاقة البشرية التي تتيح لها القيام بالأعمال الهائلة للسيطرة على المياه . ولا بد أنها كانت في مجتمعات منظمة بحيث تستطيع أن تعمل معا تحت زعامة واحدة لتحقيق غايات بعيدة . ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك دون أن تكون هناك خطة محكمة للغاية وتوجيه سديد وقيادة حكيمة .

ولم تكن الحاجة تتطلب إنشاء ضفاف الأنهار وحفر القنوات ثم ينتهي الأمر إذ كان لا بد من إصلاحها وصيانتها باستمرار عندما تتعرض للتلف أو التصدع نتيجة للفيضانات . وإن مصر بأكملها إذا كنت على صواب والعراق أو جنوب العراق تعتمد كلية على الري لمد أراضيهما الزراعية بالمياه . بينما يعتمد وادي السند لحسن حظه على الأمطار الموسمية نتيجة لهبوب الرياح القادمة من المحيط الهندي بالاضافة الى اعتماده على الري ولكنه أيضاً لا يمكن أن يستغني عن قنوات الري لتمده بالمياه بالاضافة الى مياه الامطار الموسمية . والآن بعد شق القنوات وتدعيم ضفاف النهر كان لا بد من المحافظة عليها وصيانتها الامر الذى كان يتطلب حكومة دائمة على نطاق أوسع بكثير وتتمتع بسلطات أكبر مما يتطلبه توفير الحياة في الواحات التي كانت تحيط بأودية الأنهار في الهلال الخصيب .

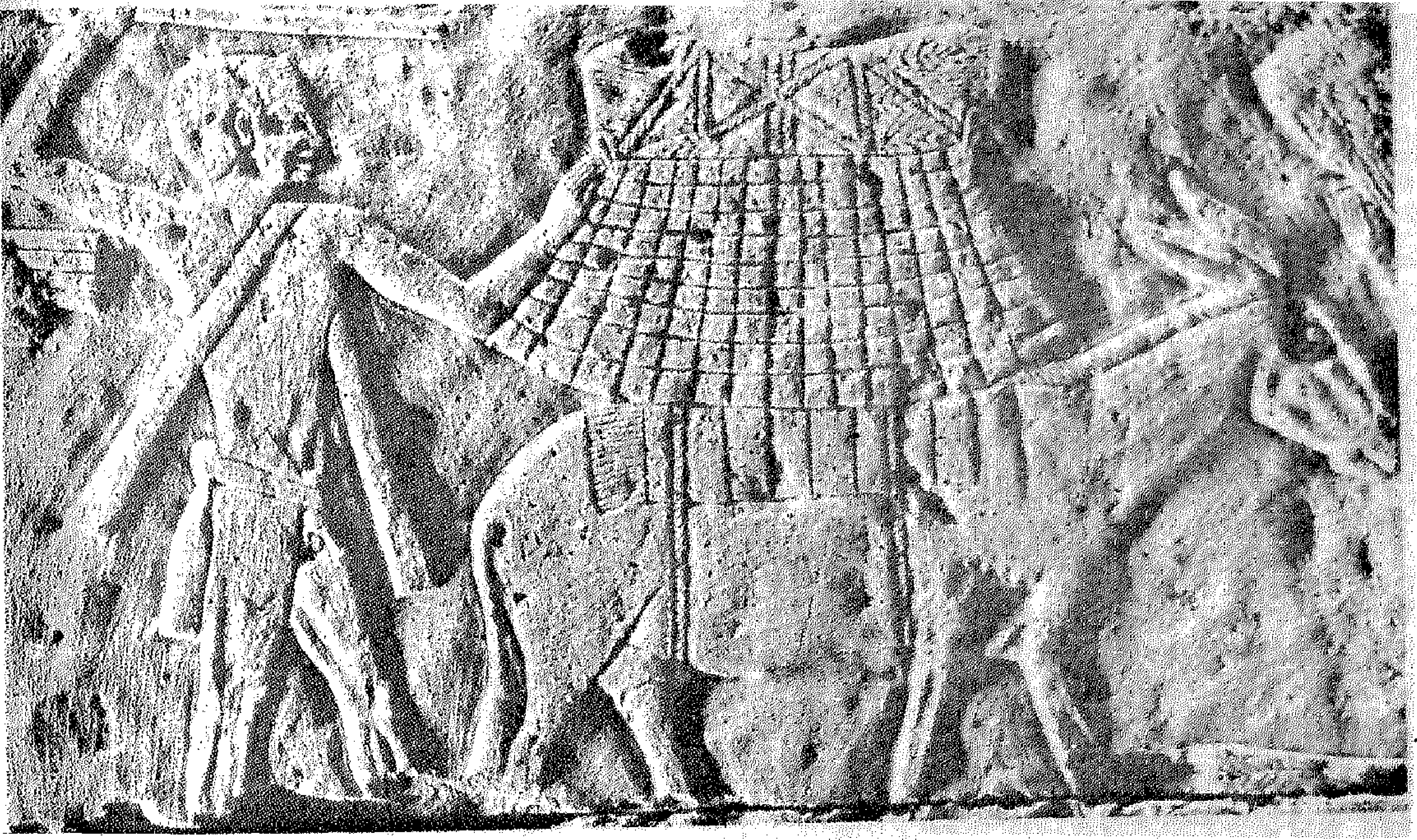
ففي الواحات كان التنظيم من وجهة النظر الاجتماعية غاية في التفكك، والحكومة قليلة الشأن . أما استغلال أودية الأنهار فلم يكن ممكناً بالمرة دون أن تكون هناك حكومة قوية للغاية . ولذلك فان تطويع أودية الأنهار والسيطرة عليها كان في حاجة بدوره الى ثورة جديدة تلي الثورة الزراعية . ولم تكن هذه الثورة ثورة اقتصادية ولكنها كانت ثورة سياسية . إنها لم تكن ثورة اقتصادية ولا ثورة تكنولوجية، ذلك ان الاقتصاد القديم والتكنولوجيا القديمة للعصر الحجري الجديد قد اسفرا بعد تنظيمهما بواسطة حكومات قوية عن احتلال أودية الأنهار وزراعتها .

وكانت الثورة السياسية هي التي حققت هذه الزيادة العظمى في مجال العمل البشري وجعلها ممكنة . واذا استطرد المرء قليلا في الحديث عن النتائج السياسية للسيطرة على أحواض الأنهار فانه واجد هناك تفاوتاً شديداً في المعلومات عن المناطق المختلفة . فنحن مثلا ما زلنا نجهل الوضع السياسي لحضارة حوض نهر السند كلية بينما نعرف الكثير عن حضارة العراق القديمة ومصر القديمة وربما ظهرت حضارة حوض نهر السند من حوالي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد .

ولكن رغم ما لدينا من مخطوطات عن وادي السند، فإننا لم ننجح بعد في حل رموزها ولذلك فإننا لا نعرف شيئا عن التنظيم السياسي أو عن الحياة اليومية للسكان الأول في وادي السند .

وبمقارنة هذه الحضارة مع غيرها من الحضارات في كلٍّ من العالم السومري والعالم المصري القديم فإننا نكون قد فسرنا المخطوطات المتعلقة بهما وأصبحنا نعلم الكثير عن تاريخنا القديم .

ونحن نعرف في كل من مصر والعراق القديم بداية الحضارة وبداية الزمن الذي احتل فيه الانسان حوض النهر بصورة فعالة . وفي الحالتين نجد نظاما سياسياً قوياً ضخماً نسبياً بمقارنته بأي شكل من أشكال الحكم التي كانت قائمة في الواحات المحيطة في العصر الحجري الجديد السابق . وفي الوقت نفسه فان الاوضاع السياسية القديمة في العالم السومري في العراق وفي العالم المصري القديم عند بدء الحضارة يختلف بعضها عن البعض



□ سائق الحمار المصري من السلالة الخامسة.

الآخر اختلافا شديداً بناء على ما استطعنا أن نحققه في ردهما الى أصولهما.

وحينما يرتفع الستار عن السومريين في العراق نجد أن العراق قد تألفت من دويلات مستقلة صغيرة تتكون كل منها من مدينة واحدة ومن المناطق المحيطة بها.

وحينما نرفع الستار عن التاريخ المصري نجد أن أول عمل كان هو توحيد مصر السفلى مع مصر العليا في مملكة متحدة تتكون منهما معاً، وهي التي استمرت في الواقع كوحدة سياسية وقومية واحدة حتى يومنا هذا..

وبينما نجد أن التاريخ السومري في العراق قد بدأ بالدويلات المحلية المتعددة المستقلة عن بعضها البعض، نجد أن التاريخ المصري قد بدأ بالدولة العالمية، لان مصر – من وجهة نظر المصريين – كانت كل العالم.

ففي الوقت الذى كانت فيه العلاقات بين مصر وسومريا نادرة وصعبة، كانت كل من الدولتين – من وجهة ها – تمثل العالم المتحضر كله.

ولذلك نجد أن المملكة ذات التاجين في مصر كانت دولة مصرية عالمية.

وهكذا – فمنذ فجر الحضارة – نرى أن النمطين الرئيسيين للتنظيم السياسي قد وجدا، وهما اللذان ظلا في تنافس مستمر حتى وقتنا هذا وفي عالمنا المتحضر.

وفي خلال الخمسة آلاف عام الأخيرة انتشرت الحضارة من الشرق الاوسط في كل اتجاه حتى أصبحت الحضارة اليوم تغطي وجه هذا الكوكب كله، وها هنا لدينا النمطان الرئيسيان من التنظيم السياسي، فنرى أن الدويلات المحلية ذات السيادة – التي كانت في العراق وبابل في فجر التاريخ – تعبر عن النظام السياسي الذي يكون فيه للحرية المكان الأول، فالحرية فيه لها الأولية على النظام وعلى السلم.

أما الدولة العالمية – التي كانت في مصر عند بداية عصر الأسر فيها فتعبر عن نظام سياسي مختلف، فهو نظام الدولة التي يكون فيها للنظام والسلم المكان الاول.

ولذلك كان لهما المقام الاول قبل الحرية أذا قضت الضرورة بالاختيار بينها.

فشلان كبيران

ولقد أثبتت المآسي الكثيرة التي حدثت في تاريخ الحضارة أن كلا من الدولة المصرية العالمية والمجموعة الكبيرة من الدويلات السومرية قد فشلت.

وأعتقد أن هذا حدث قبل نهاية الألف سنة الثالثة قبل الميلاد، لأنه في خلال الألف سنة الثالثة قبل الميلاد، انهار كل من هذين النظامين السياسيين المختلفين وذلك لأن تقسيم العالم إلى كثير من الدويلات المحلية قد أدى الى ازدياد الحروب والفوضى، تلك الفوضى، التي نتجت عن توحيد العالم السومري بالوسائل العنيفة، في دولة عالمية قائمة بذاتها، وهي ما كانت تسمى بامبراطورية عكا العسكرية الصرفة.

ومن ناحية أخرى نجد أن توحيد مصر في دولة عالمية تحت النظام الملكي القديم قد أدى الى

قيام حكومة مركزية أصبحت فيها السلطة مركزة في القمة تركيزا كبيراً. وأعتقد أيضا أنها كانت ظالمة لرعاياها حتى أن هذه المملكة القديمة اي الدولة المصرية العالمية، قد تفتت كما نعرف جميعا بعض الوقت الى مجموعة من الدويلات المحلية على النحو الذي بدأ به العالم السومري... وهكذا نجد أن هناك فشلين سياسيين أولين قد حدثا في تاريخ الحضارة، وقد جابه المجتمع الانساني الفشل كثيراً منذ ذلك الوقت، وحتى هذه الايام.

وقد أدى كل من هذين الفشلين اللذين حدثا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة الى خيبة أمل نجد آثارها في المقتطفات الباقية من الادب المصري، والسومري... ولكن خيبة الأمل هذه لم تؤد الى ابتكار اشكال جديدة للتنظيم السياسي، وإنما أدت الى تحول عقول الشعب من السياسة الى الدين...

وفي الحقل السياسي، أدى فشل كل من المدن السومرية، التي كانت كل منها بمثابة دولة، وفشل الدولة المصرية العالمية الى تعاقب رتيب في هذين العالمين لفترات من الوحدة وفترات من الانقسام السياسي. وأننا لنجد نفس هذه الوتيرة في الهند في عصر الدولة الاولى. وما لدينا من معلومات عن تاريخ الهند السياسي هي في الواقع معلومات ترجع الى فترة بعد ذلك بكثير فنحن لم نبدأ في العثور على سجلات لتاريخ الهند يمكن مقارنتها في الدقة بالسجلات الخاصة بمصر والعراق إلا منذ عهد بوذا في حوالي القرن السادس أو القرن الخامس قبل الميلاد.

وبديهي أن العصور السياسية في تاريخ مصر أمر معروف جدا. فقد كانت هناك المملكة القديمة، والفترة المتوسطة الاولى، ثم المملكة الوسطى، والفترة المتوسطة الثانية، ثم المملكة الجديدة، وفترات من الغزو والحكم الأجنبيين.

وهناك فترات مقابلة مماثلة لذلك في تاريخ العراق القديم... فقد أعاد مؤسس الاسرة الثامنة عشرة توحيد مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد، كما أعاد حامورابي توحيد الحوض الاسفل لنهري دجلة والفرات في القرن الثامن عشر أو السابع عشر قبل الميلاد

ولقد كان التوحيد في هاتين الحالتين توحيدا دائما. غير أن التحول والتغير والتقلب بين الفرقة والوحدة استمر مع ذلك في هذين العالمين ثم تليها الوحدة مرة أخرى.. ولكن منذ ذلك الحين، كان التغير والتقلب السياسي يحدث بين فترات استطاعت فيها كل من مصر المتحدة ومملكة بابل المتحدة - أحيانا - تهيئة الأساس الاقتصادي وتوفير الحبوب اللازمة لقيام امبراطورية أكبر من مصر أو مملكة بابل نفسها.

والواقع أنه خلال الفترات الأولى للوحدة والفرقة امتدت كل من مصر وسومريا أو ما يسمى بعالم بابل، الى ما وراء حدودها الاصلية.. فقد امتد عالم سومريا الى داخل ايران من جانب والى داخل سوريا حيث تداخل مع عالم بابل، كما امتد أيضا في أعالي وادي النيل الى داخل السودان.

ولقد مرت أوقات استطاعت فيها كل من مصر وبابل وشمال الهند توفير الاسس الاقتصادية، وتموين امبراطورية قائمة بذاتها.

امبراطوريات

وإذا نظرنا الى خريطة العالم القديم حوالي سنة ١٠٠ ميلادية لرأينا انها تمتد من المحيط الاطلنطي الى المحيط الباسيفيكي. وفي ذلك الحين كانت تمتد هناك أربع امبراطوريات لكل منها مخازن الحبوب الخاصة بها.

فقد كانت الامبراطورية الرومانية تحيط بالبحر الابيض المتوسط وكانت مصر تمد الامبراطورية الرومانية بمخازن الحبوب.. والى جوار الامبراطورية الرومانية كانت الامبراطورية الفارسية التي كانت إيران هي السلطة المركزية فيها غير أن مخازن الحبوب اللازمة لها كانت في العراق. وبدون العراق لم يكن في الامكان ان يكون لتلك الامبراطورية أساس اقتصادي.

وفي الهند كانت هناك امبراطورية كوشان التي امتدت عبر جبال الهند وكرش التي تمتد الآن من آسيا السوفييتية الوسطى إلى ما يعتبر الآن شمال غربي الهند، وكانت هذه الامبراطورية تعتمد على الحبوب التي تأتيها من حوض نهر السند. ثم كانت هناك امبراطورية الصين التي تمتد، من وسط آسيا إلى الباسيفيك. وكان مورد حبوبها في ذلك الحين حوض النهر الاصفر وحوض نهر اليانجتسي.

بيد أنه في عصور أخرى حدث أن اتحد بلدان أو حتى ثلاثة بلدان من البلدان العريقة في الحضارة في الشرق الاوسط تحت حكم امبراطورية واحدة كالامبراطورية العثمانية مثلا التي اخضعت كلا من مصر والعراق لحكمها.. وكانت هناك عصور اتحدت فيها مصر والعراق وحوض نهر السند تحت حكم واحد.

وأعتقد أن اتحاد أحواض هذه الأنهار الثلاثة هو الذي خلق أول امبراطورية عالمية حقيقية هي الامبراطورية الفارسية التي أسسها سيروس في القرن السادس قبل الميلاد والتي ضمت مصر في الغرب وحوض نهر السند في الشرق وشملت كل ما يقع بينهما.

وإذا استعرضنا صفحات التاريخ، فإننا سنرى أن الخلافة العربية احتلت أساساً نفس المنطقة.. فهذه المساحات الشاسعة التي احتلتها الامبراطورية الفارسية القديمة إحتلتها بدورها الخلافة العربية التي اشتملت أيضاً على مصر والعراق ووادي السند.



□ المنافسة تتحول الى حرب، من الحرب اليونانية – اليونانية العام ٤٣١ ق٠م٠

ولقد شهدت بنفسي في غرب باكستان بعض عمليات التنقيب في مكان ليس ببعيد عن وادي السند حيث كانوا يزيلون التراب عن واحدة من أقدم المدن التي أسسها الفاتحون العرب في حوض السند في القرن الثامن من التاريخ الميلادي (المسيحي) وفي القرن الثاني من التاريخ الهجري (الاسلامي)٠ ولقد سيطرت بلادي (بريطانيا) على نحو ما ولفترة قصيرة على كل هذه الأحواض الثلاثة للأنهار، وقد حدث ذلك لفترة قصيرة للغاية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى٠

ولكن هذه السيطرة البريطانية كانت قصيرة نوعا، لأنه في الوقت الذي كانت بريطانيا تقيم حكمها الذي لم يدم غير قليل في العراق كانت الحركة الوطنية من أجل الاستقلال في مصر وفي الهند قد بدأت .

ولذلك فإننا إذا قارنا بين الوقت الذي اتحدت فيه هذه الأحواض الثلاثة للأنهار تحت حكم الخلافة العربية أو تحت حكم الامبراطورية الفارسية بالوقت الذي اتحدت فيه تحت الحكم البريطاني، فإننا سنجد أن فترة السيطرة البريطانية كانت قصيرة جداً٠

التاريخ الديني

واذا انتقلت بعد ذلك إلى موضوع ربما يثير اهتماماً أكثر من موضوع التاريخ للشرق الاوسط هو النتائج الدينية للتصدع السياسي في كل من الدول السومرية التي انحصرت في نطاق المدن، والدولة المصرية العالمية للمملكة القديمة في الألف سنة الثالثة قبل الميلاد، نجد ان هذه الأحداث السياسية كان لها تأثير خطير على تجربة الانسان الدينية، وعلى تاريخه الديني٠

وأعتقد أن أول ما عبده الانسان قديما كان يمثل قوى ذات طبيعة غير بشرية، مثل الرياح، والمياه، والجبال، والسحب والنباتات والحيوانات المتوحشة، فقد بدت جميع هذه القوى غير البشرية مقدسة في نظر الانسان الذي كان تحت رحمتها، فلما لم يستطع الانسان السيطرة على هذه القوى الطبيعية غير البشرية٠٠ فقد بدت له غامضة وقوية، فاعتمد على جوانبها الطيبة من أجل بقائه، ومن ثم اتجه إلى عبادتها كاله أو كمجموعة لآلهة مختلفين، ذلك لأن معيشته وحياته اعتمدتا على قوى الطبيعة هذه التي لم يكن يستطيع أن يسيطر عليها٠

ولكن هذه الأشياء التي عبدها الانسان والتي كانت ذات طبيعة غير بشرية لم تستطع أن تصمد في مجال التغير المطرد للعلاقات بين الانسان والطبيعة٠

ففي نهاية العصر الحجري القديم استطاع الانسان أن يسيطر على جميع الحيوانات الأخرى باستثناء البكتيريا٠٠ وفي العصر الحجري الحديث زاد الانسان من سيطرته على جميع الحيوانات الأخرى باستثناء بعضها ومن سيطرته على بعض النباتات بزراعتها٠

وعندما استطاع الانسان السيطرة على أحواض الأنهار الكبرى وعلى الأحراش والمستنقعات ومياه الفيضانات وجعل نفسه سيدا للطبيعة غير البشرية،

ثم عندما استطاع تطويع أحواض الأنهار فالسيطرة على مياهها وتحويلها من براري غير منتجة إلى أكثر المناطق إنتاجا على سطح الأرض لصالح الانسان، كان هذا النصر الاجتماعي نصراً عظيما لقوة بشرية جماعية ومنظمة حتى لقد غير الانسان معبوداته فبدلا من أن يتخذ آلهته الرئيسية من الطبيعة غير البشرية اتخذ له آلهة من قوته وقدرته هو.

ويمكن أن نرى ذلك بوضوح في تاريخ مصر القديمة وذلك لأن فرعون مصر كان ينظر إليه علانية وبوعي كامل على أنه إله تتجسد فيه كل القوى الخيرة في الدولة أي القوى التي وحدت مصر وأخضعت لسيطرة الانسان الواحد جميع أعمال الري في وادي النيل وفي الدلتا.

وفي العراق - أي في سومريا القديمة، وبابل - فإن الانسان كان يعبد الدولة فعلا منذ سخر بعض آلهة الطبيعة القديمة لتكون رمزا للدويلات المحلية.

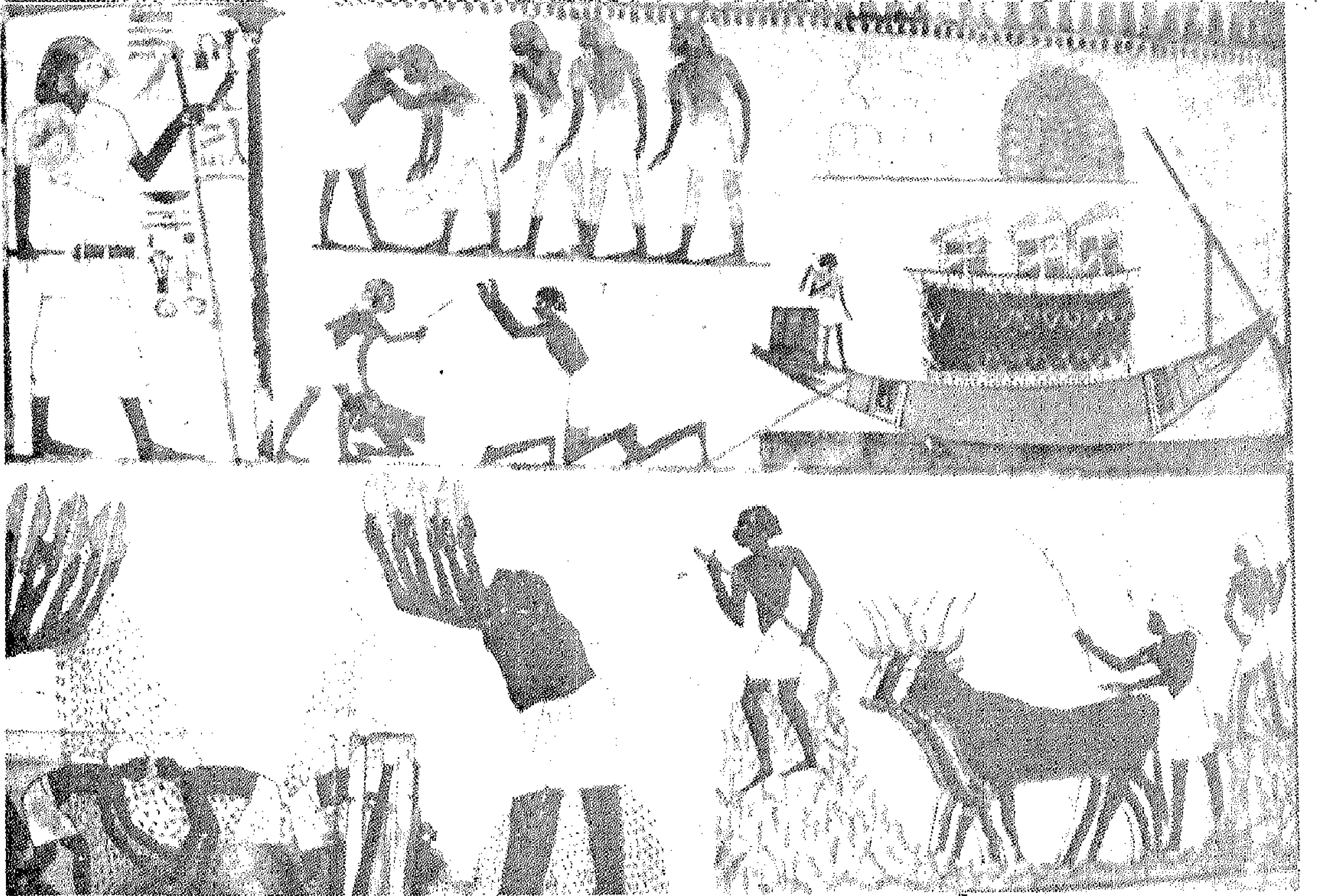
وقد فعل اليونانيون القدماء ذلك في ما بعد، فمثلا كان للاغريق إلهة لشجرة الزيتون وهي "أثينا" وأختار أهالي مدينة أثينا الالهة أثينا لتصبح الهتهم المحلية التي يتمثل فيها قوة ومجد أثينا.

وكان أيضاً عند الاغريق اله البحر "بسيدون"، وقد اختار أهالي مدينة كورينث، وكانت لها قوة بحرية عظيمة، هذا الاله لكي يكون اله مدينتهم.

وهكذا نجد أن الانتقال من عبادة الطبيعة إلى عبادة القوى البشرية - في كل من بابل وبلاد الاغريق - مقنعا، بينهما كان ذلك ظاهراً تماما في مصر. لأن فرعون الاله الحي، الذي تتمثل فيه الدولة كان مميزا تماما عن آلهة الطبيعة القدماء.

وكان هذا التحول من عبادة قوى الطبيعة غير البشرية، إلى عبادة القوى الانسانية الجماعية، كان ثورة دينية، ولكن أحداً لم يدرك أنها ثورة.

لقد كان هناك اعتقاد بأن القوى غير البشرية المقدسة هي جزءان أو مظهران لنظام كوني موحد.. واعتقد أنه كان من الممكن في نظر الانسان، كما كان من المرغوب فيه المحافظة على قوى الطبيعة وقوى المجتمع البشري في حالة انسجام مع بعضهما البعض، فلم يكن فرعون مصر أو امبراطور الصين مجرد ممثلين أو مالكين للمجتمع البشري الذي كانا يرأسانه ولكن كان كل منهما أيضاً المحافظ على القوى الطبيعية التي تعتمد عليها حياة ووجود ذلك المجتمع البشري.. وإذا كنت على صواب فإن أحد الاحتفالات السنوية الهامة التي كان يقيمها فرعون - والتي كان يقيمها، بعد انتهاء التاريخ المصري القديم، حكام مصر اللاحقون حتى الحكام الأجانب منهم فترة طويلة بعد ذلك - هو الاحتفال بالفيضان أو وفاء النيل، وهو على أن سيد المجتمع الانساني مسؤول أيضاً عن التحكم في قوى الطبيعة.



☐ الأقطاعي مينا يرقب أعمال فلاحية، من السلالة الثامنة عشرة.



في الصورة نظام العبيد في مصر الفرعونية .

وفي مرحلة التحول الدينية هذه كانت هناك قوة دينية سياسية وحيدة تحافظ على الانسجام بين عبادة الطبيعة وعبادة الانسان ٠

وقد تزعزع تصور الانسان لطبيعة الكون وما ينبغي أن تكون عليه أهداف الدين من جراء الفشل السياسي الذي بدأت به الحضارة مستقبلها في احواض الأنهار ٠ فقد أصبحت الدول ـ نتيجة لذلك ـ موضوع العبادة الأول ٠

خيبة الأمل

ولذلك لم يكن الفشل السياسي مجرد فشل سياسي ٠ لقد كان أكثر من ذلك ٠ كان فشلا دينيا ٠ وكان الإنسان يشعر بأنه فشل ديني ٠

وهكذا نجد أن فشل الدويلات السومرية ٠ وفشل الدولة المصرية العالمية أدى الى خيبة أمل دينية، كما ادى الى خيبة أمل سياسية، ان لم نقل خيبة أمل سياسية بالاسترداد المؤقت للنظام السياسي السابق ٠

وقد كان من السهل نسبيا بعد فترة قصيرة نوعا ما من الاستبداد اعادة بناء الكيان السياسي القديم ولكن لم يكن من السهل اعادة ثقة بني البشر بكفاية هذه الأنظمة السياسية في مجال الدين أو في مجال السياسة فلم يعد بنو البشر يشعرون بالرضى الكامل لعبادة القوة الجماعية وكذلك لعبادة القوى ذات الطبيعة غير الإنسانية، وعندما بلغت متاعب الإنسان الخاصة وهي المتاعب التي يلقاها كل منا في حياته القصيرة فوق هذه الأرض حد الأزمة ٠ أقول عندما بلغت هذه المتاعب هذا الحد وزادت من جرائها المتاعب العامة المؤقتة شعر الإنسان بحاجته إلى المعونة الإلهية أكثر من ذي قبل ٠

ومن هنا ، لم تكن خيبة أمل البشر بشأن موضوع عبادتهم السابقة هي خيبة أمل بالنسبة للدين نفسه، وأنني أعتقد أن نتيجة ذلك كانت دفع البشر للبحث عن الله ليس خلال القوة البشرية الجماعية كما كان الحال قديما ولا في محاولة التوفيق بين المجتمع البشري والقوى الطبيعية غير البشرية ولكن عن طريق تصور لله" ليس خلال القوة البشرية الجماعية كما كان الحال قديما ولا في محاولة التوفيق بين المجتمع البشري والقوى الطبيعية غير البشرية ولكن عن طريق تصور لله" نفسه ٠ والآن ظهر الزعماء الروحيون والأنبياء، ونفذت بصيرتهم من خلال هذا القناع ووصلت إلى رؤية مباشرة لله" نفسه، الله الذي لا يراه الإنسان من خلال الاقتصاديات أو من خلال السياسة بل بطريقة مباشرة، وفتح هؤلاء الزعماء الجدد أفقا للأرواح البشرية لكي تستطيع الاتصال بالله بطريقة مباشرة، والأتصال به على انفراد كأفراد بسطاء من عامة الناس وليس بطريقة مباشرة من خلال المجتمع الإنساني الذي ينتمون إليه ٠

ارنولد توينبي: ولد البروفسور أرنولد جوزيف توينبي في اليوم الرابع عشر من ابريل عام ١٨٨٩، وتعلم في ونشستر، ثم التحق بكلية باليول بجامعة أكسفورد حتى عام ١٩١٥، ثم عمل بالوظائف الحكومية في أعمال خاصة بالحرب من ١٩١٥ ـ ١٩١٩ وشارك في مؤتمر السلام الذي انعقد في باريس عام ١٩١٩٠ ثم عمل في القسم البريطاني الخاص بالشرق الأوسط ومدرسا للغة البيزنطية والأغريقية الحديثة في جامعة لندن (١٩١٩ ـ ١٩٢٤) ثم مديرا لقسم البحث الأجنبي والصحافة ٠

ثم مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) فمديرا للمكتب الأجنبي من (٤٣ ـ ٤٦) ثم عضوا في بعثة المفاوضات في مؤتمر السلام بباريس عام ١٩٤٦، وعمل أستاذا للبحث في التاريخ العالمي في جامعة لندن واستقال في ١٩٥٥٠


التوأمان السياميان
هكذا
عاشا...
وتزوجا..
وأنجبا..
ثم ماتا معاً!..
د/ أحمد غانشوري

يطلق، طبياً وشعبياً، على كل توأمين اسم "التوأمان السياميان" والاطباء، بشكل عام ينجحون بعملية الفصل عندما يكون التوأمان طفلين. ولكن ماذا نعرف عن السياميين الاصليين اللذين أعطيا اسمهما لهذه الظاهرة؟ لقد أوجدا تعبيراً لغوياً جديداً. ولكن قصتهما نادراً ما عرفت.

لم يكن "التوأمان السياميان"، كما قد يظن، اول مخلوقين انسانيين يولدان ويعيشان ملتصقين. لقد عرفت حالات كثيرة كهذه في القرون الماضية، فكانت أشهرها حالة اليز وماري شولكهرست الخادمتين اللتين ولدتا عام ١١٠٠ في قرية "بيدندن" في مقاطعة "كنت" وكانتا ملتصقتين من الاكتاف وعاشتا حتى الرابعة والثلاثين من العمر وهما تقومان باعمال جيدة وحصلتا على عطف المؤسسات الخيرية. لكن التوأمين السياميين كانا أول "توأم ملتصق" يشتهر كثيراً خارج وطنه...

لم يكونا "سياميين" أصليين فعلاً... لقد ولدا في قرية "كدينك" الصغيرة على ضفة نهر "سيام" قرب "بانكوك" وأمضيا فترة طفولتهما في "سيام" كان والدهما صينياً يمتهن صيد السمك ووالدتهما قروية سيامية" فقيرة أنجبت أطفالا آخرين طبيعيين. قد أطلقت على "توأمها الملتصق" اسم "شانغ" و"انغ"

عند ولادتهما، وجدا ملتصقين من جانب الصدر والخصر على امتداد حوالي أربع بوصات. وفيما غير ذلك كانا انسانين طبيعيين كلياً...

في البداية كان مكان الالتصاق يجعلهما متواجهين ولكن مع نموهما بدأ الطفلان يتمددان جانبياً الى ان أصبحا يتمكنان من التحرك جانبياً والجلوس بصورة شبه عادية. كان الظن في البداية ان الجزء الملتصق الذي جعلهما مختلفين عن باقي البشر في العالم هو جزء مطاطي يسمح لهما بحرية محدودة أحياناً ويحدد هذه الحرية في أغلب الاوقات. ولكن اكتشف انه اذا قام أحد الاشخاص بلمس هذا الجزء كان الولدان يشعران بذلك معاً. واذا فقد أحدهما توازنه أو تأرجح كان الاخير يحميه من السقوط لكونه يمسك به جيداً...

وكالاطفال السياميين الفقراء واجه التوأمان صعوبة الحياة ملتصقين. وبعد عدة محاولات استطاعا المشي والركض شيئاً فشيئاً...

لقد تعلما أيضاً السباحة منذ صغرهما وكان ذلك سبباً في تغيير مجرى حياتهما كلياً. وكانا ضيفي الشرف في القصر الملكي في "بانكوك"، وعاشا حياة طبيعية حتى عام ١٨٣٠ عندما بلغا التاسعة عشرة.

وفي تلك السنة شاهدهما وهما يسبحان القبطان الاميركي "الكابتن كوفين" الذي أطلع تاجراً يدعى "روبرت صنتر" على ما رأته عيناه. وقرر الاثنان محاولة شراء التوأم لعرضه في أوروبا وهما يظنان بأن ذلك سيجلب لهما الثروة.

ولم يكن ذلك ممكناً لولا حادث معين وقع يوماً.

فقد توفي والد التوأمين وفضلت والدتهما النقود على صحبتهما. وقد تم الاتفاق وقام "كوفين وصنتر" بنقل "شانغ" و"انغ" الى انكلترا، حيث عرضا على الناس لسنوات، وكانا يثيران بينهم العجب والانبهار وعدم التصديق. وجمع الشاريان من وراء ذلك ثروة في مدة قصيرة. الى ان قام احد المواطنين بتوجيه رسائل الى الصحف يدعي فيها ان ذلك قد يجعل الاطفال ينحرفون فكرياً. وقد رفضت فرنسا دخولهما بعد أن قررت سلطاتها ان أي امرأة حامل قد تضع شبهاً لهما بعد رؤيتهما.

طبياً يعتبر التوأمان السياميان نتاج عدم الانفصال الكامل للبويضات. وهما دائماً توأمان طبيعيان بالتالي من جنس واحد.

مات الكثير من هذه الحالات في المهد ولكن في حالة "شانغ" و"انغ" فان نقطة الاتصال في الجسم كانت وحيدة وهي تفسر السبب لحياتهما الطويلة

وفي كل حال فقد لعب القدر دوراً كبيراً فيهما، فرغم اتصالهما الجسدي كانا منفصلين في كل شيء آخر. كان "شانغ" التوأم "الشمالي" شرس الاطباع متعجرفاً ويميل كثيراً الى الخمر والنساء. وكان اقصر من شقيقه التوأم "الايمن" الهادىء والمفكر والذي يميل الى الثقافة ولم يكن يحب شيئاً أكثر من سهرة هادئة يقضيها في لعب الشطرنج.

وكما كتبت "المجلة الطبية" الصادرة في فيلادلفيا عام ١٨٧٤:

كان "انغ" يكره ما يحب "شانغ" تناوله من الطعام. وكان شرساً . وعزقاً. كان مرض احدهما لا يؤثر على الآخر فعندما ترتفع حرارة واحد منهما قد يكون الآخر بحالة عادية. كان "شانغ" يشرب بكثرة وأحياناً يسكر ولم يكن ذلك ليؤثر بتاتاً على "انغ" وكثيراً ما كانا متفاهمين وفي بعض الاحيان يكون خصامهما وحشياً وفي احدى المرات وصل الامر بهما الى المحاكمة.

لقد كره أحدهما الآخر طيلة الحياة وكان الانفصام في الشخصية يتملكهما رغم اتحادهما. وعندما يكونان وحدهما كانا يندبان حظهما بصمت. أحياناً كانا يقبلان أن يفعلا أولا ما يطلبه أحدهما ثم يعمدان معاً الى تنفيذ طلبات الآخر! لكن الخلافات تستمر، والعمل المشترك الوحيد الذي أحباه في مراهقتهما كان قطع الأخشاب والصيد البري والبحري، ورغم كل ذلك كانا رجلين ذكيين.

بعد احدى المنازعات العنيفة قررا وجوب انفصالهما، والا فانهما سيصابان بالجنون. كانا قد استشارا عدة أطباء مهرة وفي ذهنهما أن الانفصال ضرورة ملحة. لكن الجواب كان واحداً دائماً، لا يمكن ضمان حياتهما بعد عملية جراحية تفصلهما. هذه المرة ذهبا الى طبيبهما الخاص، الدكتور "هولينغ ورث" وطلبا ان يفصلهما. إدعى "انغ" أن "شانغ" سيء الى درجة لم يعدمعها يستطيع العيش معه. أما "سانغ" فقد طلب ان يحصل على

نفس حظ اخيه وأن يجري الفصل في الوسط تماماً. ولكنهما في النهاية اقتنعا بانه يجب عليهما التروي وأخذ الامور ببساطة خاصة وأن كل المراجعات الطبية في أوروبا وأميركا اثبتت أن هذا الانفصال غير ممكن.

وقرر "كوفين" و"صنتر" أن يعيدا في أميركا عملية العرض التي نجحت في أوروبا فعرضا التوأمين في "بوسطن" أولا حيث اشتهرا بأنهما "عجيبة" ثم في نيويورك ومدن أخرى حيث ظهرت الاعلانات عنهما قائلة "الولدان السياميان المزدوجان"

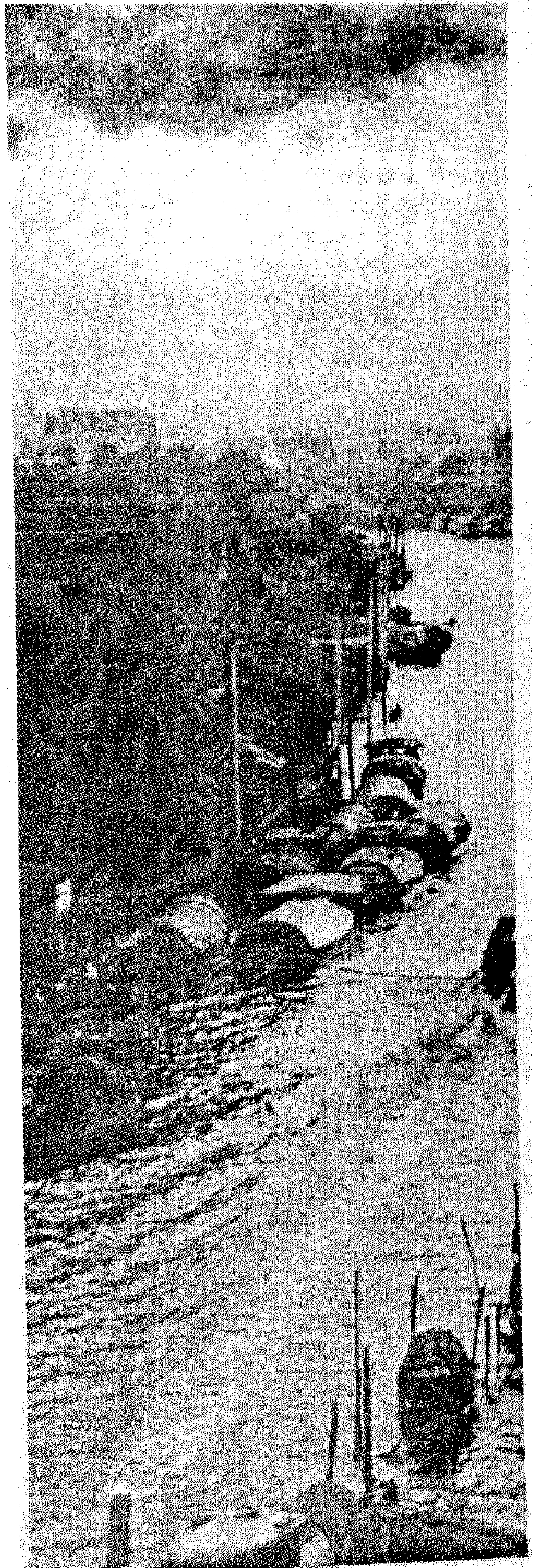
وفي أميركا سرت شائعة بأنهما توأمان لكنهما غير ملتصقين. وقد أثار ذلك اهتمام "فيناس.ت. بارنوم" فقابل التوأمين كليهما على انفراد واستجوبهما واتخذ ترتيباته لفحصهما طبياً. وعندما تأكد من أنهما فعلا ملتصقان؛ قرر ان يتولى هو زمام أمورهما بدلا من مكتشفهما. وتعاقد معهما محتفظاً لنفسه بحق الادارة الوحيدة وقام بعرضهما في متحفه الكبير "المتحف الاميركي للأنواع النادرة" مع كل من "ابهام الجنرال توم" وغيره. ورغم نجاحهما قبل أن يسمع "بارنوم" بهما فان الفضل في شهرتهما العالمية يعود اليه.

وفي هذه المرحلة وصلا الى الاتفاق الوحيد في حياتهما: لقد احتقر كل من "شانغ" و"انغ" صاحب العرض لأنه كان يشكل مذلة كبيرة لهما؛ وحاولا تجنبه كلما استطاعا الى ذلك سبيلا. . رغم ذلك فقد جمعا عن طريقه ثروة مهمة. وأخيراً قررا الانسحاب من هذه الحياة الهامشية التي تجعلهما يواجهان يومياً وجوهاً ترتسم عليها الدهشة. أنذرا "بارنوم" بذلك وخططا للانسحاب من كل عمل دعائي. الا انهما منذ وصولهما الى أميركا التي سمحت لهما بالحصول على الثروة وهما ما زالا في الثلاثينات قررا ان يصبحا "مواطنين اميركيين" وقد حصلا على اسم لعائلاتهما من احد الذين قدموا طلبات يومها الى مكتب التجنيس. وهكذا اصبحا شانغ وانغ بانكر؛ المواطنين الاميركيين.

وقام التوأمان ببناء منزل فخم لهما بالقرب من "مونت ايري" في كارولينا الشمالية واستقرا بين مجموعة من المهاجرين الاوائل. كان العبيد يقومون بالاعمال؛ وكان ذلك مكاناً جيداً لحياة غريبة لا يتمناها أحد. الا انه كان ينقصها شيء واحد... فالتوأمان كانا ما زالا عازبين.

في الثانية والثلاثين تعرفا ووقعا في حب شقيقتين كان والدهما مهاجرا ايرلندياً فقيراً يسكن بالقرب منهما. وفي أحد الايام ركب التوأمان عربة الى الشارع الرئيسي "لمونت ايري" وترجلا وكل منهما يحيط بذراعه احدى الفتاتين؛ سارة وادلايد ياتس. وكانت تلك أول مرة يعلم فيها الجيران بهذه القصة الغرامية. وانطلقت الألسن في الحديث.

كان الكثيرون يعتقدون حتى ذلك الوقت بأن شانغ وانغ لا يمكن تسميتهما بأنهما بشريان. ولكن بمجرد سكنهما بالقرب منهم غير هؤلاء



قرية ميكلونغ في سيام حيث ولدا

فكرتهم، أما ان يتزوجا بفتاتين طبيعيتين فكان ذلك أكثر مما يهضمه الناس الذين حطموا نوافذ مزرعة "ياتس" وهددوا والد الفتاتين بالحرق ان هو سمح باتمام الزواج ، وهكذا فشل غرام الزوجين وسجن كل منهما نفسه في مزرعته ،

لكن الحب الحقيقي لا يعرف الفشل ، فبعد الضجة بقليل كان الأربعة يلتقون سراً في احدى التلال خلف المدينة بعد اجتيازهم جسراً صغيراً، واستمرت هذه العلاقة الغرامية السرية عدة اشهر قرروا بعدها الزواج رغم معارضة الجميع ، أصبح انغ حبيب "سالي" وشانغ حبيب "أدي" ،

وقبل ان يفترقوا اتفق الجميع على انه يجب ان ينفصل الشقيقان لكي يستطيعا ان يعيشا حياة طبيعية ، ذهب "شانغ" و"انغ" الى المعهد الجراحي في فيلادلفيا حيث علما ان هناك أطباء مهرة على استعداد لاجراء العملية لوجه التقدم العلمي ، اذا وافق الشقيقان على تحمل الخطر ، ووافق التوأمان مع علمهما التام بأن يوم العملية قد يكون آخر أيامهما ،

وفي اليوم الموعود جاءا الى المعهد وفيما كانت تجري الترتيبات لاجراء العملية وصلت الفتاتان، وجرى نزاع كبير اختلطت فيه الدموع بالمناقشات والمعارضة ، وانتهى بان يبقى التوأمان "شانغ" و"انغ" كما هما وخرجا مع خطيبتيهما السعيدتين ،

بعد شهرين، في ربيع ١٨٤٣ شهدت كنيسة "مونت ايري" اغرب زواج مزدوج عرف في التاريخ ، ورغم معارضة العائلة واستهجان الناس،كان الاربعة آخر من اهتم بالتعقيدات الجسدية والنفسية التي أثارها الضجيج حول زواجهم ، ورغم ذلك استمر التناقض والخلاف بين الشقيقين عاماً كما استمرت أيضاً المصالحات ،

لقد أنشأ التوأمان منزلا آخر مشابهاً تماماً للمنزل الاول وعلى بعد ميل واحد منه، لقد استعجلا خطتهما ببناء عشين للزوجية ، كان "انغ" مع "سالي" وبوجود "شانغ" يقضيان ثلاثة أيام بلياليها في منزل "انغ" ثم يقوم "شانغ" و"ادي" لقضاء ثلاثة أيام بلياليها في منزل "شانغ" وبحضور "انغ" طبعاً، ويبدو أن هذا الترتيب الفريد في نوعه نجح نجاحاً تاماً ، وكان الزوجان ناجحين ، وانجبت الزوجتان عائلتين كبيرتين ، "سالي" و"انغ" أنجبا أحد عشر طفلا و"شانغ" و"ادي" عشرة ، كان جميع الاطفال طبيعيين وبحالة جيدة ما عدا اثنين كانا أخرسين وأصمين، وعلى مدى ثلاثين عاما عاشت عائلتا التوأمين باتفاق تام ،

عندما اندلعت الحرب الاهلية خسر التوأمان عبيدهما وبالتالي تزعزعت ثروتهما وحياتهما الهانئة، واجبرا أخيراً على العودة الى حياة العرض لكي يتمكنا من العيش،

ورغم خلافهما السابق مع "بارنوم" وشكهما به في هذا المجال فقد طلبا منه العودة الى ادارتهما ، وكانت عودتهما الى نيويورك فاشلة، لان مصائب الحرب اجهضت كل شعور تجاه العجائب ،

وبدون رادع، كما هو حاله دائماً، قام "بارتوم" بارسالهما الى انكلترا حيث لقيا نجاحاً منقطع النظير لمدة سنة ، وكان "بارنوم" قد اعلن ان الهدف الرئيسي لزيارتهما هو جمع المال للانفصال ، وطريقته الخاصة في الاعلان وجدت صدى حسناً لدى الجمهور، أما في الواقع فلم يكن هناك شيء من الصدق في اعلانه اذ لم تعد عملية الانفصال واردة وانتهى البحث فيها بعد أن أصبح التوأمان متزوجين ومسؤولين عن عائلتيهما ،

SIAMESE TWINS.



For Day only.

CHANG-ENG

Very respectfully acquaint the Ladies and Gentlemen of

That they will be in that place, on

And will receive Visitors at the

The HOURS OF ADMISSION, will be from

أحد الاعلانات عن تقديمهما للجمهور في أميركا

عندما تجاوز التوأمان الستين من العمر كانا ثريين بما فيه الكفاية لتأمين تقاعد الى الأبد وانتهى عقدهما مع "بارتوم" بصورة نهائية وعادا مرة ثانية الى الهدوء والسلام في "مونت ايري" ليعيشا مع ابنائهما في منزليهما المتشابهين "واربي" و"جون" ،

بقي "شانغ" مريضاً لفترة من الزمن وكان ذلك بسبب افراطه في تناول الكحول ، وكان أمامهما مستقبل يبشرهما بسعادة اكثر مما نالا في الماضي ، ولكن كانت سعادة قصيرة الاجل ،

وقد حلت النهاية بصورة مفاجئة وغريبة معاً، في أحد الايام القارحة البرد من كانون الثاني ١٨٧٤ ، والسجل السنوي لذلك الوقت يفصل ما حدث كما يأتي:

كانا في منزل "شانغ" وكانت تلك الامسية الوقت المحدد للانتقال الى منزل "انغ" كان النهار بارداً و"شانغ" يشتكي منذ أشهر من أنه مريض جداً، مساء الجمعة دخلا الى غرفة صغيرة فاستراحا ثم ذهبا الى السرير فلم يستطع "شانغ" أن ينام، وفي وقت ما بين منتصف الليل وبزوغ الفجر كانا يقومان ويجلسان أمام المدفأة، وكان "انغ" يعترض قائلا انه يريد الاستلقاء لأن النعاس يغلبه، يرفض "شانغ" ويجيبه بأن الاستلقاء يؤلم صدره.

بعد قليل عادا الى السرير ونام "انغ" نوماً عميقاً.

حوالي الرابعة صباحاً دخل أحد الاولاد الى الغرفة، وفيما كان متوجهاً الى أحد اطراف السرير وجد عمه ميتاً، واستيقظ "انغ" على الضجة فالتفت مذعوراً الى الميت على شماله، وعندها اصيب بنوبة عصبية مميتة.

لم يكن هنالك أي طبيب، وكان يجب قطع ثلاثة أميال للوصول الى مدينة "مونت ايري" كان يموت المرء أحياناً قبل قطعها، ذهب أحدهم الى القرية لاحضار الدكتور "هولينفورت" الذي ارسل شقيقه، وهو الاخر طبيب، ولكن اللحظة الحاسمة حلت قبل وصوله ومات "التوأمان السياميان".

أحد التقارير يروي ما حصل كما يأتي:

بعد تأكده من موت أخيه انفجر "انغ" باكياً وأصيب بالاغماء مع نوبات عصبية أودت بحياته.

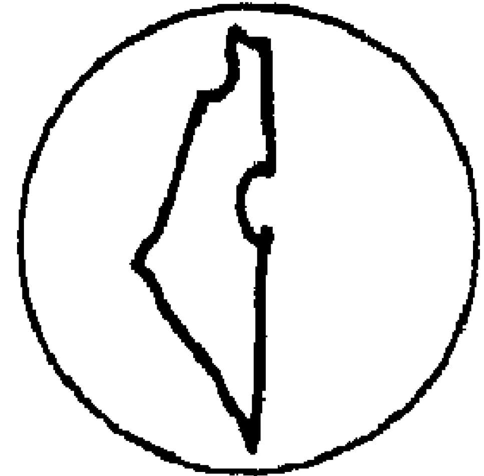
لقد شعر "انغ" قبل وفاته بان شقيقه الشرير القاسي الذي تخاصم معه طيلة ثلاثة وستين عاماً كان جزءاً من نفسه، وهذا الاكتشاف الرهيب والاعتراف القاسي بالواقع سبب له خوفاً رهيباً أودى بحياته.

"سالي" و"ادي" رفضتا عروضاً كثيرة من المبالغ المالية الطائلة لشراء جسدي زوجيهما ومقابل ذلك قاما بتقديم الجثتين الى "المعهد الجراحي في فيلادلفيا"

وأخيراً استطاع الاطباء الاطلاع والتعمق في السبب الذي اثارهم لسنين طويلة، اثبت التشريح ان "شانغ" و"انغ" كانا يملكان جهازاً عصبياً منفصلا، لكنهما كانا يشتركان في الكبد والدورة الدموية، وان أية عملية كانت ستجري لهما كانت ستسبب وفاتهما، وسبب عدم تأثر "انغ" ابداً بكميات الكحول التي كان يتناولها شقيقه هو أن جهازه العصبي كان اكثر حساسية من جهاز أخيه لذلك لم يكن ليحتاج الى الكحول، كانا شخصيتين في جسد واحد.

كان "شانغ" و"انغ" محكومين اما بالعيش سوياً أو بالموت، واذا نظرنا بامعان الى حياتهما نجد الكثير من الاعمال التي قاما بها لينجحا في حياتهما.

ولم يسع العالم الا تقديرهما والاعجاب بهما لكونهما عاشا في ظروف لم تحصل لكائن بشري آخر أهمها... أن لا يكون وحده أبداً.



هل تعلم؟

د. فايز صايغ

١ - انه - عندما خلقت بريطانيا مشكلة فلسطين عام ١٩١٧، كان اكثر من ٩٠٪ من سكان فلسطين عربا؟ وانه لم يكن في فلسطين، في ذلك الوقت، اكثر من ٥٦٠٠٠ يهودي.

٢ - وان اكثر من نصف أولئك اليهود الذين كانوا يعيشون في فلسطين في ذلك الوقت، كانوا من المهاجرين الجدد، الذين قدموا اليها في السنوات الخمس والثلاثين السابقة هرباً من الاضطهاد في أوروبا؟ وان أقل من ٥٪ من سكان فلسطين عام ١٩١٧ كانوا من اليهود الفلسطينيين المواطنين؟

٣ - وإن عرب فلسطين كانوا يمتلكون في ذلك الوقت ٩٧١/٢٪ من الآراضي، بينما لم يكن في حوزة اليهود (المواطن الفلسطيني منهم والمهاجر الجديد) الا ٢١١/٢٪ من الأراضي؟

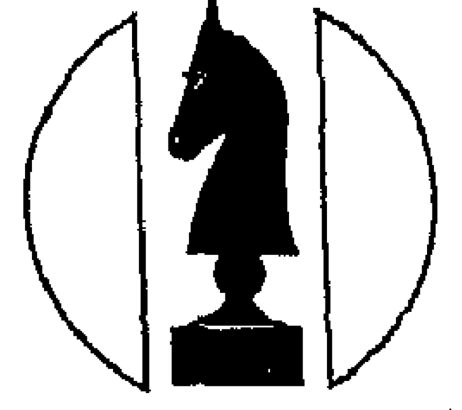
٤ - وإنه، خلال ثلاثين عاما من الاحتلال والحكم البريطاني، لم يستطع الصهيونيون ان يتملكوا سوى٢ ١/ ٣١٪من أرض فلسطين - وذلك على الرغم من تشجيع الحكومة البريطانية؟ وان الحكومة البريطانية هي التي نقلت ملكية معظم هذه الاراضي الى الهيئات الصهيونية ولم يبعها ملاكها العرب؟

- وأنه، لذلك، لم يكن في حوزة الصهيونيين أكثر من ٦٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين عندما نقلت بريطانيا قضية فلسطين الى الامم المتحدة عام ١٩٤٧؟

٦ - وانه، على الرغم من هذه الحقائق، فقد أوصت الجمعية العامة للامم المتحدة بانشاء "دولة يهودية" في فلسطين؟ وان توصية الجمعية العامة منحت هذه "الدولة" المقترحة حوالي ٥٤٪ من مجموع أراضي البلاد؟

٧ - وان اسرائيل استولت أثر ذلك (ولا تزال تستولي) على ٨٠،٤٨٪ من مجموع مساحة أراضي فلسطين؟

٨ - وإن معظم هذا التوسع حدث قبل ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ أي قبل انتهاء الانتداب البريطاني رسمياً وانسحاب القوات البريطانية من فلسطين، وقبل دخول الجيوش العربية الى فلسطين وقيام الحرب بين الدول العربية واسرائيل؟



تاريخ الشطرنج بالقصص

تـــاريخ

اعداد: محمد مراد سكر

رئيس اتحاد الشطرنج اللبناني

من وضع الشطرنج؟ من اخترعه؟ هل في الامكان تحديد تاريخ اختراعه؟ اسئلة كثيرة حيرى، واساطير كثيرة حوله، ويظهر ان اصله تائه في ليالي الزمن وان تكن اغلب الكتب ارجعته الى الهند ومن هناك امتد الى بلاد فارس والى مصر والى الجزيرة العربية، ومن الهند انتقل ايضا الى الصين فاليابان، ومن احد هذه البلدان امتد الى اليونان والى روسيا وسوى ذلك من انحاء العالم، ويكاد يكون من المؤكد كما يذكر كثير من المؤرخين العرب ان الشطرنج امتد الينا من الهند وفارس وانتقل الينا بعد الفتوحات الاسلامية لبلاد الفرس ومن ثم نشره العرب في فتوحاتهم الاخرى، وتقول بعض المصادر ان الشطرنج كان معروفا قبل الاسلام، وحتى لا نخوض كثيرا في التفاصيل التي نجدها في كتب كثيرة سننهج في مقالاتنا الشهرية منهجا جديدا فنذكر ما يقع تحت ايدينا من قصص شطرنجية في مختلف الكتب القديمة ونترك للقارىء الكريم ان يكوّن لنفسه فكرة عامة عن تاريخه ونوادره، آملين ان نكون بهذه الطريقة قد قدمنا مسلسلا قصصيا لا يمله القارىء يختلف عن البحث الجاف التي تقدمه عادة كتب التاريخ، ولن يكون لهذه القصص تسلسل تاريخي اي الاقدم فالاحدث انما سنحاول وفقا للترتيب الابجدي لدول العالم او وفقا لما يقع تحت ايدينا ان نذكر في كل مرة قصصا رويت في تلك الدول عبر التاريخ، بادئين بحرف الالف آملين من القراء الكرام ان يوافونا برأيهم وبما عندهم من القصص

من المانيا

يقول هايد: ان التجار الذين كانوا يشتركون في معارض المانيا في التاريخ القديم، كانوا يقضون اوقات فراغهم اثناء المعارض في لعب الشطرنج، فاذا دهمهم الوقت ولم يبق لهم ما يسمح لهم بانهاء الجولة، كانوا يؤجلونها الى المعرض القادم، وعند ذاك يستدعون كاتب العدل الذي يأخذ علماً بوضع الجولة وبمركز كل قطعة على الرقعة ليكملوها في عامهم المقبل،

اعطى دوق برونسويك احدى مدنه التي يملكها اسم "شاخ ستاد" اي مدينة الشطرنج واعطى اهلها ميزات خاصة شرط ان تكون لدى كل عائلة رقعة من الشطرنج لتحدي اي غريب قد يزور هذه المدينة، ويذكر "ماليه" في كتابه لعبة الداما في الصفحة ٢٧٢ الى ٢٧٤ القصة التالية التي جرت في مدينة دعاها فولفيرغان،

في اوائل القرن الحادي عشر أُرسل الكونت دي كونجيلان سجيناً بأمر من الملك هنري الثاني (الالماني) الى اسقف مدينة ستروبيك مع امر بالتشدد في حراسته، فوضع الكونت في قلعة قديمة محكمة الابواب، وكان الكونت شغوفا بالشطرنج، فقام ليخفف من عناء سجنه ووحدته، بصنع رقعة من الشطرنج مع كافة القطع الضرورية، في البدء اخذ يلعب لوحده ثم رأى ان يبدأ بتعليم الشطرنج الى القرويين الذين كانوا يتناوبون على حراسته، فاحب القرويون اللعبة ونقلوها الى منازلهم يعلمونها الى اهلهم واولادهم، وزاد تعلق القرويين باللعبة حتى اصبحت شيئا مهما في ستراوبورغ، وامست بعد نيف من الزمن قسما من عاداتهم فاخذوا يعلمونها في المدارس ثم تناقلوها جيلا بعد جيل، واخذوا ينظمون في كل عام مباراة في الشطرنج يشترك فيها كل مرّة ٤٨ طالبا من





احسن لاعبي القرية، يعطى الرابح فيها رقعة شطرنج يشترك فيها احسن صناع القرية. وفي مهرجان خاص يحملون الرابح وسط الاهازيج الى منزله حيث يعلقها في صدر المنزل وتصبح بالتالي موضع فخر واعتزاز للعائلة.

واذا زفت احدى بنات هذه القرية الى غريب، كان على العروس قبل مغادرة القرية ان تلاعب القاضي الاول للطائفة جولة واحدة لتبرهن للملأ انها لا تزال تحافظ على تقاليد القرية، ويجري هذا الاحتفال عادة في احدى صالات نزل معروف باسم "الى الشطرنج".

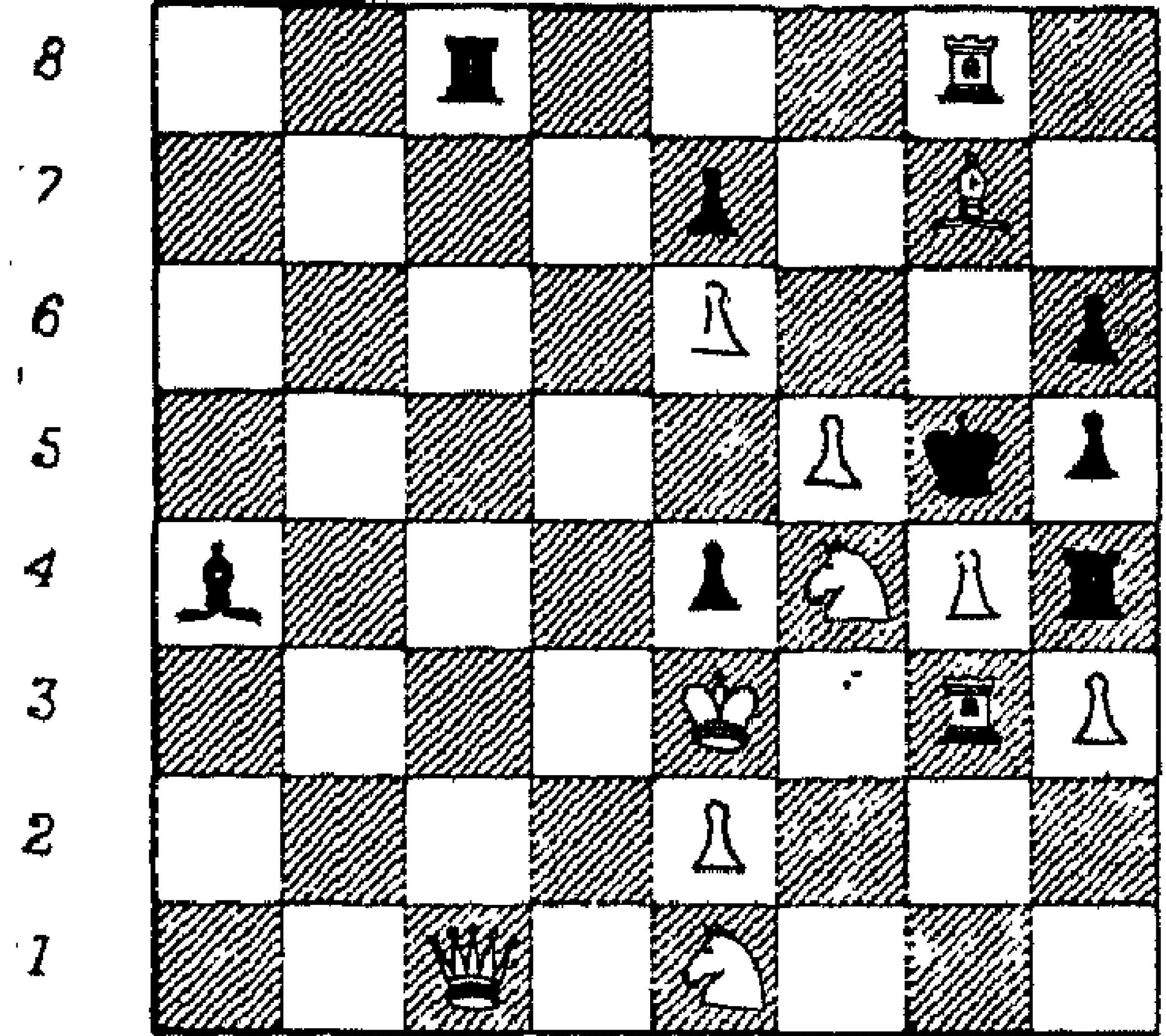
تقع ستراوبورغ هذه، على بعد الف ميل من مدينة هالبرستاد في مقاطعة ماغد يبورغ. (نشرت هذه القصة في البالاميد سنة ١٨٢٦).

وفي كتاب نشر سنة ١٦٤٧ م هذه الاسطورة: كان لاوكاريوس ولد في قصر بيبان يلاعب الامير الصغير الشطرنج وكان الولد امهر من الامير وكان يتغلب عليه كثيرا، ويظهر ان ذلك صعب على الامير فقام بضرب الغلام حتى مات.

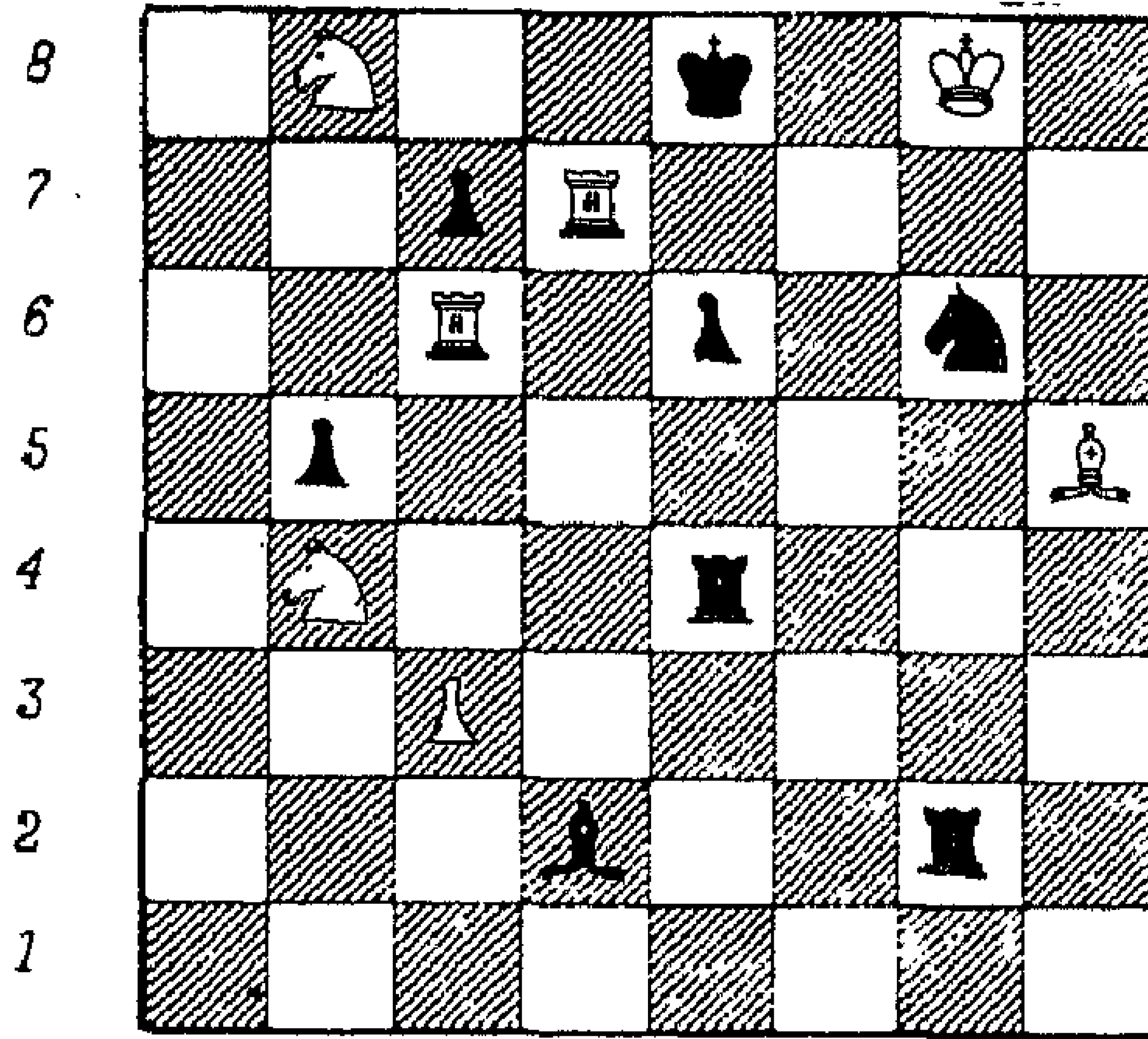
وفي كتاب اخر نشر سنة ١٦٧٤، يقول مؤلفه غوتفريد ان الامبراطور فالاتينيان كان يلعب الشطرنج دائما مع القنصل مكسيم في روما سنة ٤٥٥ م وكانت زوجة القنصل تروق في عيني الامبراطور فاخذ يحاول عبثا الاجتماع بها. وفي احد الايام بعد عدة جولات شطرنجية كانت الغلبة فيها للامبراطور واستطاع فيها ان يربح ما كان يحمله القنصل من المال مضافا اليه خاتمه الخاص، أرسل الامبراطور الخاتم مع رسول خاص الى زوجة القنصل يطلب منها الحضور الى القصر لتلحق بزوجها الموجود هناك والخاتم دليل علم الزوج بذلك. ولم تكد تصل حتى استقبلها الامبراطور بالترحاب وابقاها حتى قضى وطره منها مما اغضب القنصل الذى استطاع القيام بحملة قضى فيها على الامبراطور.



مسابقة الشطرنج



فاز بنقلتين



فاز بثلاث نقلات

سننشر في كل شهر مسألتين في الشطرنج وستخصص جوائز شهرية للفائزين الثلاثة الاول في حل المسألتين معا. اننا سنحتفظ باسماء كل الذين استطاعوا حل هذه المسائل على ان تجري القرعة في ما بينهم آخر العام لاختيار فائز واحد يكون صاحب الحظ ببطاقة سفر من بيروت الى اي بلد عربي يختاره.

وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.

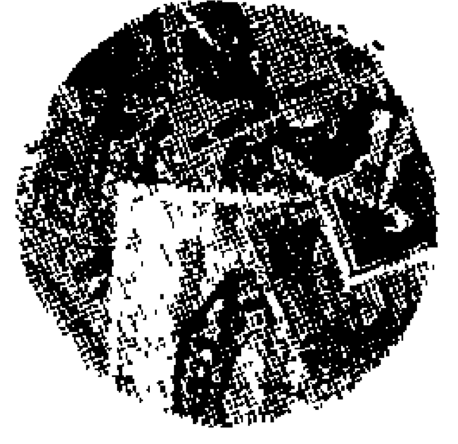
ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

الجوائز هي:

١= مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها للفائز الأول

٢= اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني

٣= اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث



تــاريخ

ماذا تعرف عن الطوابع ؟

اعداد: ميشال اسطفان
الاخصائي في الطوابع

لئن كانت الطوابع البريدية قد وجدت أساساً للتخليص البريدي، فانها ما لبثت ان لفتت انتباه الناس، فاقبلوا على جمعها، واذا هي متعة وتسلية، وحقل خصب لاختبار الذوق والفن، واقتباس المعرفة التاريخية والجغرافية ...

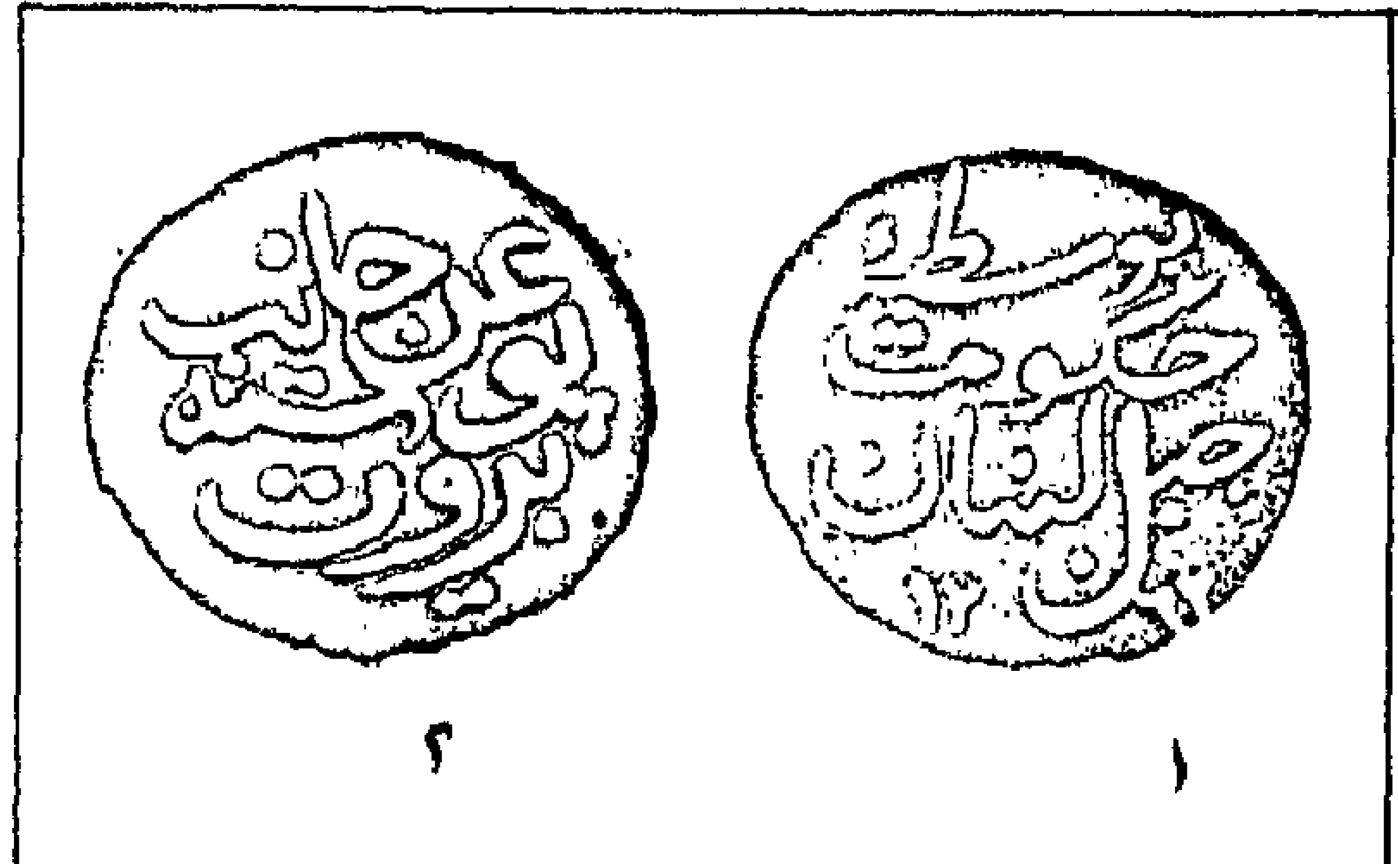
وهذه الطوابع الزهيدة القيمة في الاصل ترتفع اثمانها باضطراد، واذا جُمعت بحسب الاصول، ولو بمبالغ زهيدة فانها تؤمن لصاحبها استثماراً ناجحاً ومستمراً.

وها نحن في خدمتك ايها القارئ لتكوّن من هواة جمع الطوابع الناجحين.

لبنان

بدأ تخليص البريد في لبنان في عهد السلطنة العثمانيةُ، باختام نحاسية صغيرة تمسك بالاصبعين: (الصورة ١،٢،٣) وذلك حتى عام ١٨٦٣ عندما صدرت الطوابع البريدية التركية بفرمان مؤرخ في اول كانون الثاني من العام نفسه. وكانت تُعطّل هذه الطوابع باختام مختلفة بدأت بختم مربع: (الصورة ٤) يحمل اسم مدينة بيروت فقط، ثم بعدة أختام مستديرة مختلفة: (الصورة ٥،٦،٧) تحمل اسم المصدر والتاريخ.

وانتشرت هذه الطوابع التركية في لبنان وجميع الاراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ١٩١٨.



١ ٢

ومع دخول جيوش الحلفاء الى لبنان، دخل معها الطابع الفرنسي الذي جرى توشيحه في مطبعة جدعون في بيروت T.E.O أي (اراضي الاعداء المحتلة) ووضع في الاستعمال البريدي في لبنان ابتداء من ٢١ تشرين الثاني ١٩١٩.

أماّ المجموعة الاولى المؤلفة من عشرة طوابع فهي التالية: ١و٢ و٣ و٤ و٥ مليم - ١و٢ و٥ و٩ و١٠ قروش موشحة بالترتيب على طوابع فرنسية فئة ١ و٢ و٣و٤ و١٥ و٥ و١٠ و٢٥ و٤٠ و٥٠ سنتيم و فرنك (الصورة ٨ - ٩)

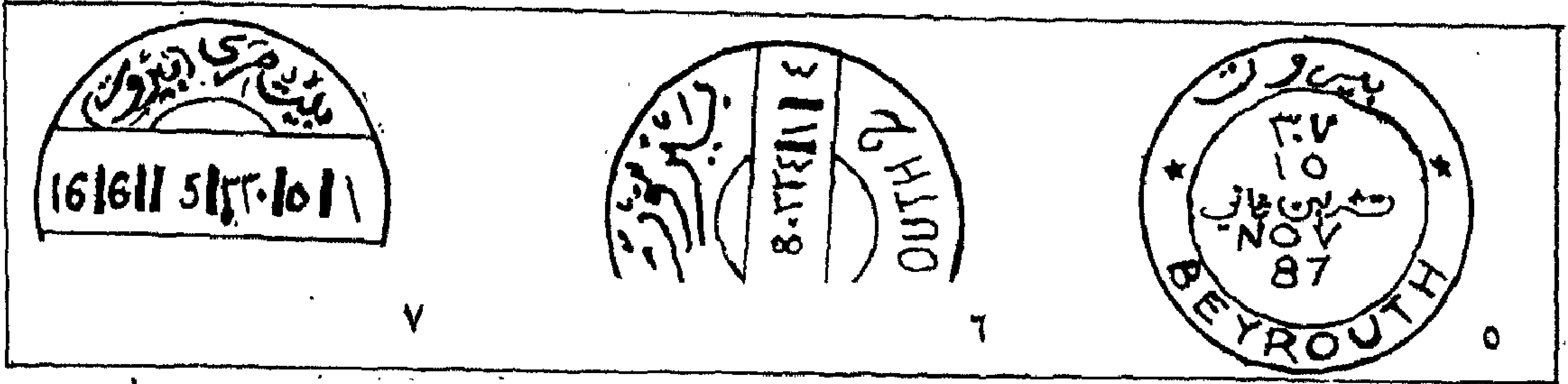


٣ ٤

وهناك خمس مجموعات لاحقة تؤلف ٧١ طابعاً صدرت على التوالي ما بين ١٩١٩ - ١٩٢٣، اولاها تحمل توشيح : T.E.O وثلاث تحمل توشيح O.M.F آي (احتلال فرنسي عسكري) والأخيرة تحمل توشيح Syrie — Grand Liban وكانت تستعمل في سوريا ولبنان على السواء،وقد صنفت كلها مع مجموعة الطوابع السورية.

ويلاحظ أن العملة المستعملة على المجموعات الثلاث الاولى هي المليم والقرش المصريان لان نظام العملة المحلي كان مرتبطاً بالاسترليني على اساس الذهب، ومن ثم - اي عام ١٩٢٠ - استعمل السنتيم والقرش السوريان.

هذه المجموعات وضعت حداً للطوابع الاجنبية التي كانت تستعمل الى جانب الطوابع العثمانية، بواسطة مكاتب لها في لبنان،وكان ذلك بسبب تدخل النفوذ الاجنبي الذي والت الدولة العثمانية الاعتراض عليه حتى احرزت الموافقة على الغاء هذه المكاتب البريدية في جميع الاراضي التابعة للامبراطورية العثمانية بموجب معاهدة "لوزان" فاقفلت تباعاً حتى عام ١٩٢٣.



وكانت المكاتب البريدية الاجنبية في لبنان هي التالية:

البريد الفرنسي – ١٨٤٠ الى ١٩١٤.
البريد الروسي – ١٨٥٧ الى ١٩١٤.
البريد النمساوي – ١٨٢٧ الى ١٩١٤.
البريد البريطاني – ١٨٧٣ الى ١٩١٤.
البريد الالماني – ١٩٠٠ الى ١٩١٤.

قد لا يجد المبتدىء من الهواة لذة في جمع هذه الطوابع لعدم جاذبيتها بالنسبة للاصدارات الحديثة؟ الا أننا ننصح المتقدمين منهم بأن يبادروا الى جمعها لانها جزء أساسي من التراث الطابعي في البلاد، وأثمانها في الاسواق العالمية تسير باضطراد نحو الارتفاع.

اما طريقة الجمع التي ننصح بها فهي اعتماد المختوم منها الذي يظهر فيها اسم المصدر اللبناني؛ ذلك لان هذه المكاتب الاجنبية كانت لها مكاتب بريد ممثالة في معظم بلدان الامبراطورية العثمانية وحتى في اسطنبول واوروبا.


٨

حركة الاصدارات الأخيرة

المملكة الاردنية الهاشمية – حزيران ١٩٧٨ – الحرف – اربعة طوابع بقيمة ٣٦٥ فلساً.

البحرين – ١٧ أيار ١٩٧٨ – اليوم العالمي العاشر للمواصلات السلكية واللاسلكية، طابعان: ٤٠و٨٠ فلساً العدد ١٢٥٠٠٠ مجموعة.

الجمهورية التونسية – ٨ أيار ١٩٧٨ – الهلال الاحمر. طابع واحد: ٥٠+ ١٠ مليم.

الجمهورية الجزائرية – ٢٩ نيسان ١٩٧٨ – سلامة الطرق. طابع واحد: ٠٫٦٠ درهم.

المملكة العربية السعودية – ١٩٧٨ – استثمار البترول في البحر. طابع واحد: ٥٠ هللة.

الجمهورية السودانية – ٨ / تموز ١٩٧٨ – مؤتمر القمة الافريقي الخامس عشر في الخرطوم.
ثلاثة طوابع: ٣و٤و٢/١ ١٠ قروش العدد ٤٠٠٠٠٠ مجموعة.

دولة الكويت – ٧ أيار ١٩٧٨ – اليوم العالمي العاشر للمواصلات السلكية واللاسلكية.
طابعان: ٣٠و٨٠ فلس العدد ٥٠٠٠٠٠ مجموعة.

الجماهيرية الليبية – ١٩٧٨ – التربية: طابعان: ٣٠و ١١٥ مليم.

مصر – ٧ نيسان ١٩٧٨ – السنة العالمية لاستئصال الجدري: طابعان ٤٠و ٢٠ مليم.

المملكة المغربية – ١٤نيسان ١٩٧٨ – المؤتمر العاشر لجمعيتي الهلال الاحمر والصليب الاحمر العربيتين. طابع واحد: ١ درهم.

الجمهورية العراقية – ١٩٧٨ – ١٧ تموز – أعياد تموز طابعان: ٢٥ و ٣٥ فلس وبطاقة ١٠٠ فلس.



٩

هل تعلم؟

انه بالرغم من الاحوال الاقتصادية المتردية هذه الايام فقد جرت في الشهر الماضي في بيروت صفقة بيع خمسة طوابع فرنسية بمبلغ احد عشر الف ليرة لبنانية الى احد كبار الهواة بغية الاستثمار!

وان الطابع اللبناني الاخير "للازياء" من فئة ٥ قروش الذي وشح في السنة الماضية قد فقد من الاسواق واصبح سعره اليوم يزيد على الليرة اللبنانية الواحدة.

وان البيع والشراء بالمقايضة، كما كان في الايام الغابرة، ما زال قائماً حتى الان بالطوابع البريدية! اذ تمت عمليات مقايضة، سجاد عجمي ثمين وقطع أثاث للبيت بطوابع بريدية، وآخر مقايضة جرت كانت في الشهر الماضي لقاء سيارة موريس مستعملة!



١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤

مسابقة الشهر

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
	■								١
		■							٢
				■		■			٣
	■					■	■		٤
					■				٥
■			■						٦
				■					٧
	■		■						٨
						■		■	٩

عمودياً

١ – امير لبناني تراه على طابع لبناني.

٢ – حيوان يشبه الجمل في الشرق الاوسط. بلد شارك لبنان في الطوابع الاولى (معكوس).

٣ – سرق – اسم جنرال فرنسي يطلق على اول مجموعة استعملت في سوريا ولبنان بعد الاحتلال الفرنسي (معكوس).

٤ – ضد اصيل. الاسم الاول لرئيس جمهورية لبناني تراه على طابع لبناني.

٥ – سقي – نصمم مجزومة (معكوس). نعم بالاجنبية.

٦ – نميمة (مبعثرة).

٧ – عالم وفيلسوف عربي تراه على طابع لبناني.

٨ – سحب. عوج في الرجل.

٩ – مدينة لبنانية تراها على طابع لبناني (معكوس). الهي.

أفقياً

١ – اسم رسام لطوابع قلعة جبيل وطرابلس وغيرها (معكوس).

٢ – زوجة امير لبنان تجدها على طابع لبناني. بئر.

٣ – عبودية. الاسم الاول لرئيس جمهورية لبناني.

٤ – الاسم الاخير لمؤسس الكشفية تراه على طابع لبناني (معكوس).

٥ – حاكم (معكوس). اسم قرية لبنانية (معكوس).

٦ – رسام كاريكاتور لبناني. اقترع.

٧ – اسم كتلوج فرنسي للطوابع للطوابع الفرنسية (معكوس). اسم كتلوج فرنسي للطوابع العالمية.

٨ – اول طيار بين مرسيليا وبيروت تراه على طابع لبناني.

٩ – نهر في لبنان تراه على طابع لبناني.

"مسابقة الطوابع".

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف "مسابقة الطوابع". يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها.

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية قيمتها لا تقل ثمنها عن خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها.

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة.

حركة البيع والشراء

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع والراغبين في المبادلة او البيع او الشراء. وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا مجاناً في خدمة القراء.

قسم الطوابع

نرحب بجميع الاسئلة من لدى القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهماً ومفيداً.

ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك الى مجلة "تاريخ العرب والعالم" "قسم الطوابع" ص.ب (٥٩٠٥) بيروت – لبنان –



للطلاب فقط ...

اعداد: سحر بعاصيري

الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة لاختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت، صديقي القارىء، بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. -وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لان المسابقة مخصصة للطلاب... وللطلاب فقط.

مـا هي ؟

■ مجموعة جزر (مساحتها الكلية ٣٠٥ كيلومترا مربعاً ومجموع سكانها ٣٥٠،٠٠٠). خضعت للفينيقيين واليونان والقرطاجيين والرومان والعرب، وفي ١٥٣٠ اعطيت للفرسان الاسبتارية الذين حكموا حتى هزيمتهم امام نابليون في ١٧٩٨. ضمت لبريطانيا ١٨١٤، واصبحت عاصمتها القاعدة البحرية والعسكرية الرئيسية لبريطانيا في البحر المتوسط. وبمقتضى دستور ١٩٤٧ منحت حكما ذاتيا محدوداً. تعتبر احواض السفن التابعة للبحرية البريطانية اهم مصدر للعمل بالنسبة للسكان. وجدت فيها آثار هامة من العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الحديث، والعصر البرونزي. نالت استقلالها في ٢١ ايلول ١٩٦٤.

■ مدينة فرنسية، تشتهر بكثرة قصورها وحدائقها. تقع شرق فرنسا وجنوب غرب باريس. وقعت فيها بعض المعاهدات الهامة. فيها قصر شهير بدأ بتشييده لويس الرابع عشر سنة ١٦٦١، ونقل اليه بلاطه سنة ١٦٨٢، لكن الثورة الفرنسية ارغمته على الانتقال الى قصر التويلري بباريس سنة ١٧٨٩.

حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني. من المعاهدات التي تمت فيها معاهدة عرفت باسمها بعد الحرب الاهلية الاميركية ضد بريطانيا سنة ١٧٨٣، واتفاقية اخرى وقعت في نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٩.

اين .. ومتى؟

■ خلاف دبلوماسي • وقع بين بريطانيا وفرنسا؛ سببه دعوى فرنسا بحقها في السيطرة على اعالي النيل مما اوصل الطرفين الى حافة الحرب المباشرة • نشب الخلاف؛ عندما دخلت حملة فرنسية مشكلة من الجنود السنغاليين بقيادة ج•ب• مرشان الى مدينة (•••) واستيلائها عليها مما حدا بكتشز سردار الجيش المصري الى محاولة رد الحملة الفرنسية بتجهيز حملة انكليزية – مصرية؛ لكن المشكلة سويت بالطرق الدبلوماسية؛ وانسحب مرشان بعد تخلي فرنسا عن دعواها بحق السيطرة على اعالي النيل •

من هي ؟

■ فيزيائية وكيميائية بولونية (١٨٦٧ ١٩٣٤) تعلمت في باريس على يدي بوانتكاريه ولبمان • اشتهرت هي وزوجها لاكتشافها عنصر الراديوم • وتمكنت من عنصر "البولونيوم" • وتسمى باسمها كمية الرادون الموجودة في توازن اشعاعي في غرام من الراديوم (يستعمل الان بمعنى كمية من الاشعاع تساوي ٣٧×١٠ للقوة ١٠ من دقائق الفا في الثانية) •

كانت الشخص الوحيد الذي تلقى جائزة نوبل للعلوم مرتين: فكانت الاولى في الفيزياء سنة ١٩٠٣ بالاشتراك مع زوجها ومع بيكيرل والاخيرة سنة ١٩١١ للكيمياء •

من هو ؟

فلكي ورياضي عربي (٨٣٦ – ٩٠١)

■ ولد في حران على دين الصابئة • اشتهر بعلم الفلك • وقد استخرج حركة الشمس وحسب طول السنة النجمية؛ فكان ٣٦٥ يوما وست ساعات وتسع دقائق وعشر ثوان؛ اي لم يزد عن طول السنة الحقيقي الا بما هو اقل من نصف ثانية • وقد مهد الطريق لايجاد حساب التكامل والتفاضل؛ ويعد من اعظم من كتب بالعربية في علم الهندسة •

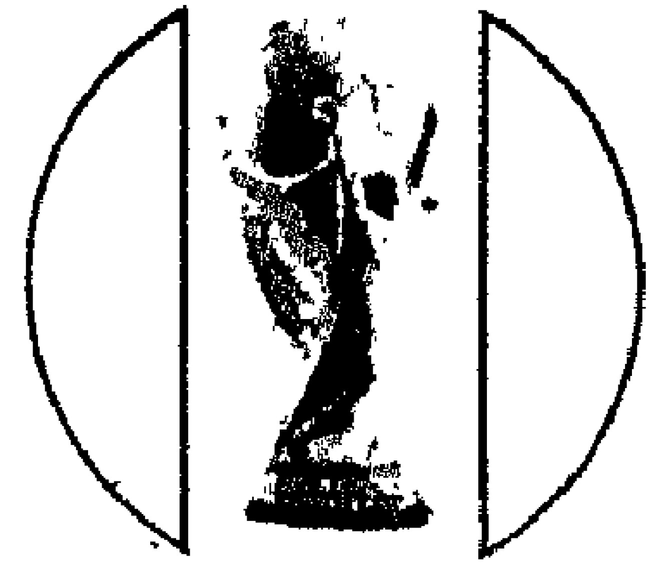
كان ناقلا بارعا ومصنفا قديراً • له كتب متنوعة؛ منها ما هو مترجم عن اليونانية كاختصار كتاب "ما بعد الطبيعة" لارسطو؛ و"جوامع كتاب الادوية المفردة" لجالينوس؛ ومنها ما الفه هو ككتاب "حساب الاهلة" ورسالة في الحصر المتولد في المثانة؛ وكتاب في تشريح بعض اعضاء الطيور •

يعتبر من أشهر ممثلي الثقافة الكلاسيكية في القرون الوسطى

والجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية
الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة
الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

في اولمبياد برلين ١٩٣٦
الزنوج حطموا نظرية هتلر وتفوقوا على الجنس الاوروبي الابيض !



تاريخ

اعداد: وفيق علم الدين
رئيس الدائرة الرياضية في "الانترناشونال كولدج"

كانت الالعاب الاولمبية التي اقيمت في برلين في ٥ آب من عام ١٩٣٦، اضخم مهرجان رياضي عرفه العالم. وكانت ايضاً اكبر عمل دعائي عالمي. لقد حضرها حوالي مئة الف متفرج جاؤوا من جميع انحاء العالم. كانت الترتيبات فخمة وجرى توسيع ستاد برلين الذي استضاف الالعاب الاولمبية لعام ١٩٣٦.

حفلة الافتتاح يوم السبت في الاول من آب كانت مهرجاناً حقيقياً. وأطل ادولف هتلر من فوق ١٥٠ درجة ابتداء من ساحة الملعب ذات الاحجار الضخمة، واتخذ مكانه في المنصة ليشاهد العرض الذي اشترك فيه اربعة الاف رياضي.

في البداية، وافقت اغلبية الفرق على طلب المانيا الرسمي اداء التحية الفاشية... الا انه بعد كل انتصار رياضي، كان هتلر يتلقى صفعة لكون هذه الانتصارات، كانت غالباً لصالح الرياضيين الزنوج واغلبهم من اميركا، بينما كان هتلر يؤمن بتفوق الجنس الاوروبي الابيض.



■ ادولف هتلر داخلا ستاد برلين يوم الافتتاح

اغلب هذه الانتصارات حققها احد اعظم "النجوم" الذين عرفتهم تلك الايام وهو جسي اوينز، ولقد اشتهر جسي اوينز في بداية الثلاثينات وخصوصاً في ايار ١٩٣٥ عندما حطم خمسة ارقام عالمية، ومعادلته رقماً آخر بعد سبعين دقيقة من تحقيقه. ومن انجازات جسي اوينز الرياضية معادلته الرقم العالمي في المائة يارد ٩،٤ ثانية

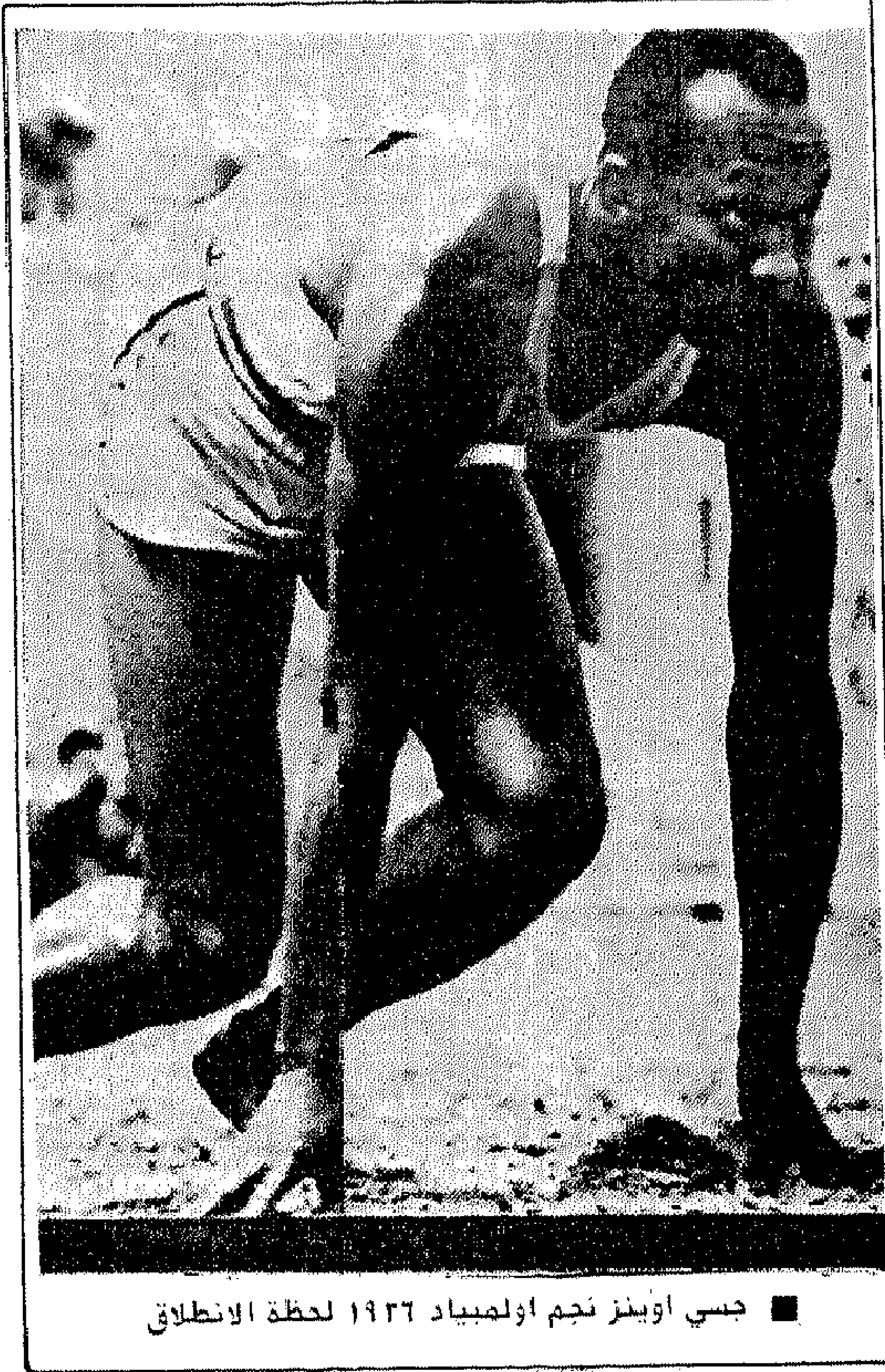


■ التحية الالمانية النازية في حفلة الافتتاح

كما حقق ارقاماً جديدة عالمية في القفز العريض (٢٦ قدماً وثماني بوصات) والذي حطمه "رالف بوسطن" بعد ٢٥ سنة. كما حطم رقم الـ٢٢٠ يارد (٢٠٫٣ ثانية) ورقم ٢٢٠ يارد حواجز (٢٢٫٦ ثانية). والرقمان الاخيران اعتبرا رقمين عالميين.

وفي الالعاب الاولمبية نال جسي اوينز شعبية كبيرة بين اهالي برلين. لم يحقق اي رقم جديد، ولكنه اظهر ارادة كبيرة ففي سبعة ايام اشترك في اثنتي عشرة مباراة واحرز اربع ميداليات ذهبية واثبت انه رياضي من الطراز النادر. فلقد عادل مرتين الرقم الاولمبي في المئة متر (١٠٫٣) ثانية ثم بذل جهداً كبيراً لتحطيمه فيما بعد (١٠٫٢) ثانية وحقق رقما اولمبيا جديداً في القفز العريض (٢٦ قدما وخمس بوصات وربع البوصة). كما حقق رقماً اولمبيا جديداً في المائتي متر في طقس ممطر (٢٠٫٧) ثانية. وفي سباق البدل للاربعمائة متر أمن اوينز لفريقه النصر في المائة متر الاولى وكانت النتيجة النهائية (٣٩٫٨) ثانية.

في القفز العريض كانت آمال الالمان معقودة على "لوز لونغ" وكانت جميع الانظار متجهة لهذه المباراة ولكن جسي اوينز استطاع التغلب على منافسة الالماني بفارق بضعة سنتميرات... فالالماني قفز ٢٥٫٩ قدماً ولكن اونيز قفز ٢٦ قدماً بعد منافسة حامية الهبت عواطف الجماهير...


جسي اوينز نجم اولمبياد ١٩٣٦ لحظة الانطلاق

احرز الزنوج ميداليات ذهبية في سباق الاربعمائة والثمانمائة متر. وميداليات فضية في سباقي المئة متر والمئتي متر. وميداليات ذهبية وفضية في القفز العالي. وكان ذلك، بالطبع كثيراً على قدرة هتلر على الاحتمال. وفي اليوم الاول غادر الملعب عندما نال "كورناليوس جونسون" الميدالية الذهبية في القفز العالي ورفض رفضاً باتا "الاعتراف" بانتصارات اوينز ولم يصافحه لا هو ولا الزنوج الآخرين كما فعل مع باقي المنتصرين!.


"الرياضي المثالي" للمخرجة الالمانية الشهيرة "ليني ريفشتال"

الا ان الالمان نالوا بعض الترقية عندما حصلوا، في المجموع العام، على اكبر عدد من الميداليات الذهبية.

وذاعت انباء انتصارات الرياضيين الالمان والتنظيم الرسمي للالعاب بفضل ماكينة الدعاية الالمانية الجبارة، حتى ان الفيلم الرسمي كان باشراف المخرجة الشهيرة "لينى ريفنشتال".

كانت اولمبياد عام ١٩٣٦ محاولة مدروسة ومنظمة من النظام الالماني لاكتساب احترام العالم. وكان على طوكيو استضافة الدورة الاولمبية التالية، لكن سياسة هتلر اشعلت الحرب وتوقفت الالعاب الاولمبية اثنتي عشرة سنة حيث اقيمت مرة اخرى من جديد بعد انتهاء الحرب في لندن عام ١٩٤٨.

المسابقة





٣ لاعبين

□ ثلاثة لاعبين مثلوا بلادهم في مباريات كأس العالم في الارجنتين. هل تستطيع ذكر اسمائهم؟

٣٠ نقطة

١٠ أسئلة

١ ـ في اي سنة تأسس الاتحاد الدولي لكرة القدم؟ ومن هو الرئيس الحالي؟ ومن كان الرئيس السابق لهذا الاتحاد؟

٢ ـ حارس مرمى عالمي طوله ١،٨٤م، اعتبر اعظم وامهر حارس مرمى في العالم. مثل بلاده في بطولات كأس العالم: اعوام ١٩٥٨و١٩٦٢و١٩٦٦.

٣ ـ من هو الفريق الذي احرز كأس الابطال الاوروبية لعام ١٩٥٦ وعلى من فاز في المباراة النهائية؟ وماذا كانت النتيجة؟

٤ ـ من نظم بطولة كأس العالم عام ١٩٥٠ ومن فاز في هذه البطولة ومن حل ثانيا؟

٥ ـ من سجل اسرع هدف في تاريخ مباريات كأس العالم وفي اية مباراة واي عام؟

٦ ـ ما هي الفرق العربية التي وصلت الى الادوار النهائية لكأس العالم في كرة القدم وفي اية اعوام؟

٧ ـ مصارع لبناني نال ميدالية فضية (المركز الثاني) في اولمبياد لندن عام ١٩٥٢.

٨ ـ من هو اللاعب الذي سجل ٣ اهداف في مباراة نهائية لكأس العالم وفي اي سنة واية مباراة؟

٩ ـ عام ١٩٢٤ فاز فريق عربي لكرة القدم على الفريق المجري في العاب باريس الاولمبية. من هو هذا المنتخب وما هي النتيجة؟

١٠ ـ أربع اشقاء احرز فريقهم بطولة كأس العالم عام ١٩٥٤و١٩٦٦. من هم وما هي فرقهم؟

١٠ نقاط على كل سؤال

□ في اية مباراة التقطت هذه الصورة اثناء بطولة كأس العالم في الارجنتين. من هما الفريقان؟ في اي ملعب؟ وماذا كانت النتيجة؟

٤٠ نقطة



□ ترسل الاجوبة الى ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" ص.ب (٥٩٠٥)، شارع السادات، بناية ابو هليل ـ رقم ١١ ـ بيروت ـ لبنان ويكتب على الظرف "مسابقة الرياضة". يجب ان تصل الردود قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

■ الجوائز ■

□ الفائز الاول: مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها

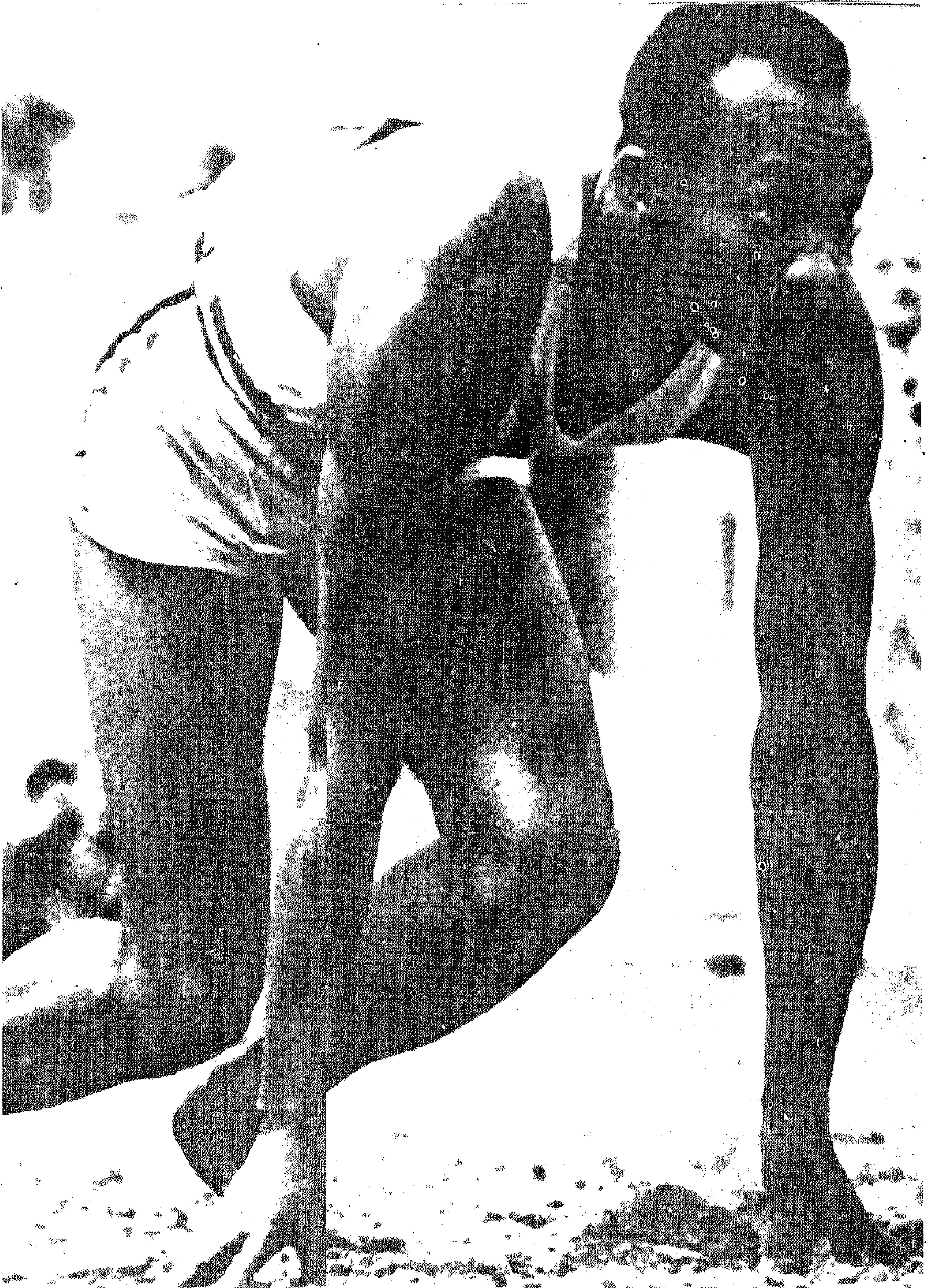
□ الفائز الثاني: هدية من محلات "اطلس سبور" بقيمة خمسين ل.ل

□ الفائز الثالث: اشتراك سنة في المجلة

□ الفائز الرابع: اشتراك نصف سنة في المجلة

في العــدد المقبــل

تاريخ الرياضة في الثلاثينات



جسي اوينز



تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد الثاني - كانون الاول " ديسمبر " ١٩٧٨ - الموافق ذو الحجّة ١٣٩٨



■ الموسيقى الأوتوماتيكية

... من عصر العلب

الى عصر الكهرباء ..



تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الثاني
كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨
محرم ١٣٩٨ هـ

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص. ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني : شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج : المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمجلات
الإعلانات : يتفق بشأنها مع الإدارة

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الأردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	مسقط :	٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL I.
N°2 Nov, 1978
PRICE: 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50 $ IN NON-ARABIC SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع		الصفحة

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.

بلا قيود

شكراً .. ومعاً على الطريق ..

شكراً.. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول اكثر من هذه الكلمات، في مطلع عددها الثاني، للقارىء الذي استقبلها بتجاوب وحب وتشجيع منذ العدد الاول.

شكراً.. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" أن تقول اكثر منها أيضاً، للمفكرين والباحثين العرب والاجانب الذين ساهموا في عددها الاول واعطوا ـ اضافة الى مساهمتهم ـ من افكارهم واقتراحاتهم في عددها الثاني... واعربوا عن ثنائهم وتشجيعهم وتمنياتهم بالنسبة للمستقبل.

شكراً.. ومعاً على الطريق،

لا تستطيع "تاريخ العرب والعالم" ان تقول اكثر منها، لمراكز الابحاث والجامعات والمؤسسات التي غمرتها بالعطف وطلبت الاشتراك فيها منذ العدد الاول.

لكن تبقى كلمة لا بد منها.

فالاعداد الاولى لاي عمل صحافي تبقى اعداد تجربة، فيها من الجهد بقدر ما فيها ايضاً من اخطاء وعيوب... ابتداء من الاخراج الى التصحيح الى المشاكل مع الصورة والمطبعة واللون ونوع الورق.

و"تاريخ العرب والعالم" تريد أن تعترف بأن عددها الاول لم يكن الا جزءاً صغيراً من طموحها الكبير.. وتريد ان تتمنى ان يكون عددها الثاني هذا أقل عيوباً واكثر اكتمالا على الطريق اياه... الى الطموح الكبير.

فغايتنا اعادة كتابة التاريخ العربي ووضعه أمام جماهير هذه الامة العربية، المترامية بين المحيط والخليج.

وهي مهمة صعبة، بل وصعبة جداً... نعترف.

خصوصاً اذا كان المقصود ايضاً هو أن تكون مطبوعة على ورق مصقول، واخراج جيد، والوان جميلة... ومع الصورة التاريخية القيمة التي لا توجد غالباً الا في المتاحف العالمية الكبرى وفي الغرف المقفلة في المكاتب..

المهمة صعبة جداً، ولكن "تاريخ العرب والعالم" نذرت نفسها لها... وكل أملها ان تنجح.

ولعل تجربة العدد الاول والتجاوب معه، دليلان على الطريق.

"اسرة التحرير"

العرب في صقلية

صفحة غامضة من التاريخ العربي



د. هشام نشابة

■ باحة مسجد عقبة في القيروان. تونس. القرن السابع. من كتاب روائع الاسلام. ويلفريد بلنت ـ ص ٣٦

■ د. هشام نشابة: عميد التربية والتعليم في جمعية المقاصد الاسلامية في بيروت، استاذ الفكر الاسلامي في الجامعة الياسوعية والجامعة الاميركية، خريج جامعتي مانحيل وهارفرد

عندما اخترت الكتابة عن هذه الصفحة الغامضة من تاريخ العرب شعرت انني اقدم على مجازفة فكرية قد لا اخرج منها بسلام، فتاريخ الفتوحات البحرية لم يلق من الدارسين للتاريخ العربي والاسلامي اهتماما يذكر. ثم اعترف انني لا افقه من فنون الملاحة وعلومها شيئا وبالتالي لا استطيع ان أبدي رايا في مهارة الملاحين العرب ودرايتهم في فنهم الجليل الذي حملهم الى فتوحات مهمة في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي.

ثم ان فتح الجزر ليس من الاهمية في نظر العديد من المؤرخين بحيث يستهويهم او يشحذ هممهم لبذل جهود خاصة للتعرف اليه. مع ان لكل جهد يبذل في هذا السبيل مبررات جليلة، اولها التعرف الى الماضي... الى دقائق الماضي العربي... اوليس هذا الهدف الاسمى للمؤرخين العرب؟ ثم ان جزر البحر الابيض المتوسط هي ابعد الحدود التي وصلت اليها فتوحات العرب في هذه المنطقة، وبالتالي فهي نقاط الالتقاء والتفاعل بين الحضارة العربية الناشئة والحضارة الاوروبية. ففي المناطق الحدودية هذه تعرّف الاوروبيون عن كثب الى العرب، وتعرف العرب الى الاوروبيين. وتبادلوا السلع والمعارف على اختلافها وتزاوجوا وتشاركوا في إعمار الارض. واكاد اجزم ان هذه النواحي الحضارية والايجابية غلبت على النواحي السلبية واوجه الصراع الحربي الذي غالبا ما يستأثر باهتمام المؤرخين.

لهذه الاسباب، واحياء لصفحة مجيدة من ايام العرب، اسوق هذا الحديث.

يبدو ان العرب منذ مطلع العهد الاموي كانوا يتوقون الى السيطرة على البحر الابيض المتوسط. فقد ادركوا منذ تأسيس ملكهم ان هذا البحر ذا الاهمية التاريخية البالغة كان السبيل الذي يسلكه الفاتحون لاحتلال شواطئه. وبالتالي فأن الجزر المنتشرة في هذا البحر هي القواعد المتقدمة للغزاة الاوروبيين والعرب على حد سواء.

لذلك، نرى معاوية بن ابي سفيان يبادر الى بعث الجيوش والاساطيل لاحتلال جزر البحر الابيض المتوسط ابتداء بجزيرة قبرص حتى رودس وكريت (اقريطش) ثم صقلية وجزر غربي المتوسط.

ويذكر لنا المؤرخون العرب عددا من امراء البحر العرب منهم جنادة بن ابي امية الازدى الذي فتح جزيرة رودس ويقول عنه الواقدي في فتوح الشام، "وجنادة احد من رؤى عنه الحديث، ولقي ابا بكر وعمر ومعاذ بن جبل ومات سنة ٨٠ للهجرة، فتح رودس عنوة.... وأمّره معاوية فأنزلها قوما من المسلمين وكان ذلك في سنة /٥٢/ هجرية /٦٧٣/ ميلادية" ويقول البلاذري في فتوح البلدان: "وحدثني محمد بن سعد، عن الواقدي وغيره، قالوا، اقام المسلمون برودس سبع سنين في حصن اتخذ لهم، فلما مات معاوية كتب يزيد الى جنادة يأمره بهدم الحصن، والقفل - اي الرجوع الى بلاد الشام - وكان مجاهد بن جبر مقيما بها يقرىء الناس القرآن."

وجنادة هذا هو الذي فتح جزيرة كريت ولا ندري ان كان وصل الى ابعد منها.

ويبدو ان هذه الجزر كانت تستعمل كمنفى لغير المرغوب فيهم من رعايا الدولة. فقد ذكر البلاذري ان معاوية "كان يعاقب بين الناس فيها."

اما بالنسبة لصقلية بوجه خاص فقد كان اول اتصال للعرب بها في عهد معاوية بن ابي سفيان اول خلفاء بني امية. غير ان هذا الاتصال لم يرق الى درجة الفتح بل كان مجرد غزوات قصيرة المدة وقليلة الفائدة.

يقول البلاذرى في فتوح البلدان: "غزا معاوية ابن حديج ايام معاوية بن ابي سفيان صقلية (ورد اسمها بالصاد والسين) وكان اول من غزاها، ولم تزل تغزى بعد ذلك..." ويذكر الواقدي ان عبد الله بن مخلد الذرقي "سبى صقلية فأصاب اصنام ذهب وفضة مشكلة بالجوهر فبعث بها الى معاوية ابن ابي سفيان، فوجه بها معاوية الى البصرة لتحمل الى الهند فتباع هناك ليثمن بها."

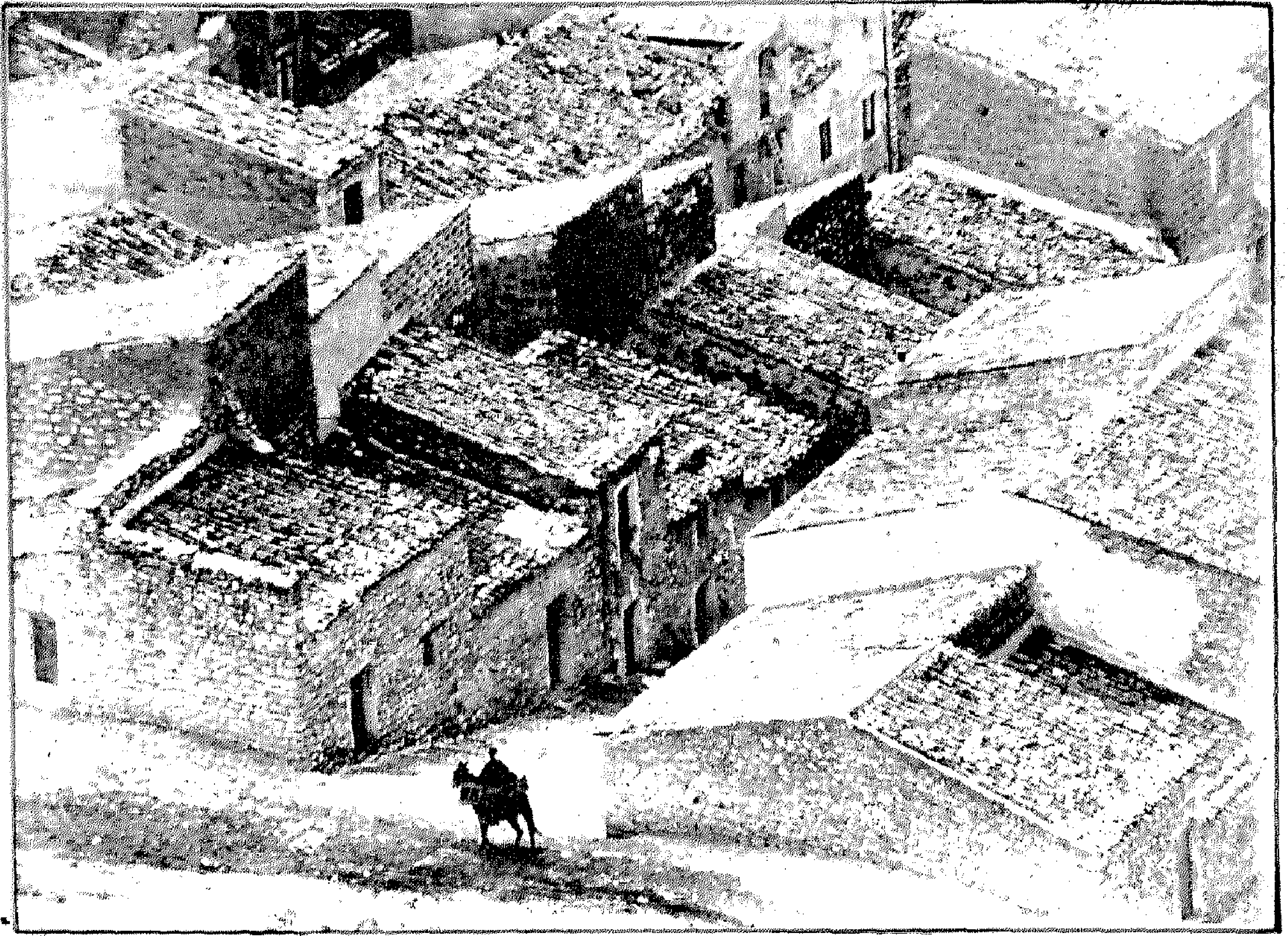
اما فتح صقلية فكان لا بد له ان ينتظر حتى ايام حكم الاغالبة في تونس (١٨٤ - ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٩٠٩م) وكانت عاصمتهم القيروان وقد امتاز عهدهم بالانشاءات المهمة فهم الذين اعادوا بناء جامع عقبة بن نافع المشهور والذي ما يزال الى يومنا هذا من اهم معالم الحضارة الاسلامية في شمال افريقيا. ويقال ان محراب هذا الجامع هو المحراب نفسه الذي بناه عقبة بن نافع فاتح الشمال الافريقي ايام الفتوحات الاسلامية الكبرى. كما بنى الاغالبة الاقنية وبرك المياه الضخمة مما يشهد لعصرهم بالازدهار والتقدم.

ومؤسس سلالة الاغالبة هو ابراهيم الاول (١٨٤ - ١٩٦هـ/ ٨٠٠ - ٨١٢م) وكان شخصية من الطراز الممتاز علما وحنكة وشجاعة، وكان يدين بالولاء للخلافة العباسية في بغداد.

ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان القاضي اسد ابن الفرات هو الذي قاد الحملة الاولى على صقلية



■ قرية الجم – تونس. من كتاب "المتوسط" لفرنان بروديل.



■ [illegible] "المتوسط" [illegible]

وكان يومئذ قاضي القيروان.

يقول البلاذرى ان في عهد الاغلب بن سالم تمّ فتح ما يزيد عن عشرين مدينة في صقلية ثم تابع الفتح من بعده ابو محمد زيادة الله (٢٠١ – ٢٢٣هـ/٨١٧ – ٨٣٨م) ثم تابع الفتح ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب (٢٤٢ – ٢٤٩هـ/٨٥٦ – ٨٦٣م) غير ان هذا الاخير حرص بالدرجة الاولى على تثبيت الحكم الاغلبي والقيام بالاعمال الانشائية وينسب اليه البلاذرى "فتح قصر يانه وحصن غليانه ولعل الاخير تعريب لـ Castrogiovanni غير ان فتح هذين الموقعين وغيرهما قد تم على الارجح في عهد ابو اسحق ابراهيم الثاني بن احمد (٢٦١ – ٢٨٩هـ/٨٧٥ – ٩٠٢م) فالمعروف ان في عهد هذا الامير اتسعت فتوحات الاغالبة في جزيرة صقلية فاستولوا على مدينة "سيركيوز" سنة ٢٦٤/٨٧٨م وفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م عيّن ابراهيم الثاني ابنه عبد الله حاكما على الجزيرة فتمكن من السيطرة على مدينة بالرمو وقصر يانه المذكور آنفا.

يقول بعض المؤرخين ان الغاية من فتح صقلية كانت صرف جهود العرب عن الصراعات الداخلية في افريقيا الى فتح خارجي (راجع دائرة المعارف الاسلامية النسخة الانكليزية الطبعة الجديدة المجلد الاول ص ٢٤٨) غير ان الارجح ان دولة الاغالبة التي كانت حريصة على تثبيت دعائم الاسلام في المجتمع الافريقي والاخذ بالجهاد، وهو ركن من اركان الدين، فوجهت قواها الى جزيرة صقلية حيث كان يكمن خطر الاغارة على السواحل العربية الافريقية من قبل البيزنطيين.

وادراكا لهذا الخطر انصرف الاغالبة الى بناء الرباطات والحصون على طول الساحل الافريقي وما تزال اثارهم في هذا المجال باقية في سوسة ومناستير وخاصة في سفاقس. ويقول ابن خلدون ان الامير ابو ابراهيم احمد بنى /١٠,٠٠٠/ حصن من الحجر في البلاد التي كانت تحت حكمه.

وقد استفادت صقلية اثناء حكم الاغالبة من نشاطهم الاعماري الواسع، فانشئت فيها الجوامع والمدارس وخصصت لها الاوقاف وعرفت نشاطا ثقافيا وتجاريا واسعا؛ لم يكن معروفا في بلاد اوروبا انذاك. فقد كانت صقلية "قليلة العمارة خاملة قبل الاسلام" كما يقول ياقوت الحموي. ويذكر ياقوت العديد من المواقع في صقلية التي تحمل اسماء عربية.

ويضيف بأن "في بَلَرم والخالصة والحارات المحيطة بها ومن ورائها من المساجد نيف وثلاثماية مسجد... وقد رأيت في بعض الشوارع في بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد..." (راجع ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثالث طبعة بيروت ١٩٥٧ ص ٤١٩) ويذكر من رجال القضاء فيها عثمان بن الخزاز وابي ابراهيم اسحق بن المالحي.

كما انتشرت في مدينة بلرم بيوت العلم حتى قال ياقوت "والغالب على اهل المدينة المعلمون، فكان في بلرم ثلاثمائة معلم"

وقدر لصقلية ان تشارك الساحل الافريقي مصيره، ففي مطلع القرن العاشر الميلادي عندما تمكن الفاطميون من السيطرة على شمالي افريقيا وان يقضوا على حكم الاغالبة في تونس صار جزء من الجزيرة تحت الحكم الفاطمي بينما بقي الجزء الاخر يؤيد الامير الاغلبي فيها. ثم ما لبثت ان اصبحت الجزيرة كلها تحت الحكم الفاطمي. ويصعب تحديد تاريخ انتقال الحكم في الجزيرة من الاغالبة الى الفاطميين نظرا لاضطراب الاحداث في هذه الفترة.

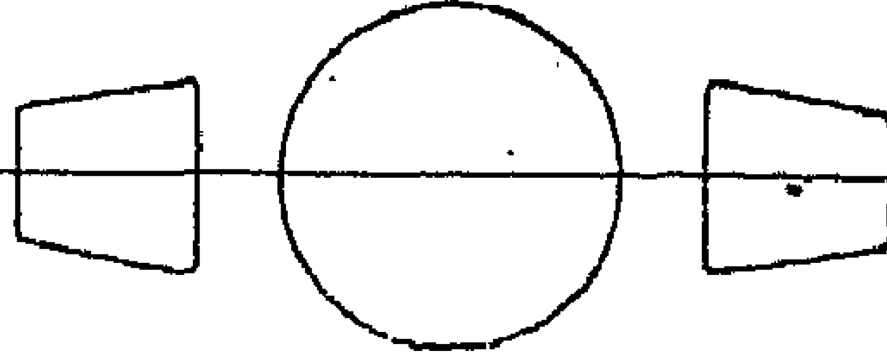
غير ان الثابت تاريخيا ان الحكم الفاطمي في صقلية كان حكما عسيرا تخللته الثورات الداخلية التي كان يمدها البيزنطيون بالمال والعتاد. ففي سنة ٩٤٧م قامت ثورة عارمة ضد الحكم الفاطمي غير ان الحاكم الفاطمي استطاع ان يسيطر على الوضع منزلا بالثوار من اهل البلاد هزيمة منكرة.

وتأييدا للسيطرة الاسلامية في الجزيرة بنى الفاطميون جامعا عظيما في Regio di Colabra وهددوا بهدم كنائس الجزيرة كلها ان هدم حجر واحد من هذا الجامع ـ هكذا ورد في تاريخ ابن الاثير. ولا يستغرب هذا التهديد والوعيد فقد كان الفاطميون قد بلغوا آنذاك اوج مجدهم في شمالي افريقيا.

وبقيت السيطرة الفاطمية في صقلية حتى مطلع القرن الحادي عشر عندما تمكن بعض ملوك النورمان من السيطرة على جنوبي ايطاليا وقسم من صقلية. وهكذا بدأ تقلص سلطة الفاطميين في الجزيرة تدريجيا حتى زال حكمهم عنها تماما.

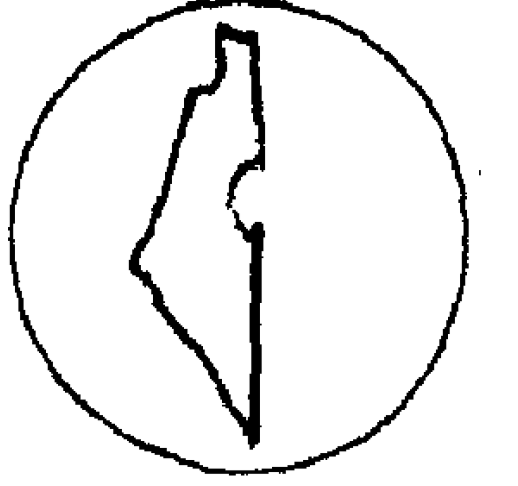
وعادت صقلية تلعب دور القاعدة البحرية المتقدمة التي تستعملها ممالك اوروبا في عهد الصليبيين وبعد ذلك للاغارة على السواحل الافريقية.

هذه صفحة غامضة من تاريخ الفتوحات العربية تذكر على هامش هذه الفتوحات، كما كانت صقلية على هامش الامبراطورية العربية في عهدها الذهبي.



كلمات عاشت

- ليس في حياة الافراد، ولا في حياة الشعوب خطأ لا يمكن اصلاحه. فالرجوع الى الصواب يمحو جميع الاخطاء "غاندي"
- خير الامم، أمة يتأثر فيها جميع الافراد للاهانة التي تقع على واحد منهم "صولون"
- كل شيء في الملكات الانسانية يقوى بالتمرن والاعتياد "لصفي السيد"
- ليس اشرف للرجل من ان يموت وسلاحه في يده "ديموستين"
- اخفى شيء على الانسان نفسه، وليس من السهل عليه ان يعرف دخائلها "الشيخ محمد عبده"
- يا جاهل العلم تعلم العلم، فان قلبا ليس فيه شوق للعلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له "ابو ذر الغفاري".
- من كان لا يبصر غير محاسنه ومساوىء الغير فالضرير خير منه "ميخائيل نعيمه"
- لو لم يكن صواب، لم يكن خطأ، ولو لم يكن برهان، لم يكن شغب مخالف للبرهان "ابن حزم".



هل تعلم؟

د. فايز صايغ

■ ان توصية الجمعية العامة للامم المتحدة الصادرة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ بخلق "دولة يهودية" كانت خارج نطاق صلاحيات الجمعية العامة وسلطاتها المنصوص عليها في ميثاق الامم المتحدة؟

■ وان الجمعية العامة رفضت، او تجاهلت، جميع محاولات الدول العربية والبلدان الاسيوية الاخرى لعرض مسألة دستورية تلك التوصية على محكمة العدل الدولية لابداء "رأي استشاري" بشأنها؟

■ وان الجمعية العامة، عندما بدأت "اعادة النظر" في المسألة في دورتها الخاصة الثانية عام ١٩٤٨، لم تؤكدمرة أخرى توصية عام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين ـ فكان في ذلك القضاء النهائي على اي "شرعية" مزعومة كان يمكن للتوصية بانشاء "دولة يهودية" أن توصف بها؟

■ وان الدول التي وافقت، في جولة التصويت الاولى، على توصية عام ١٩٤٧ الاصلية بانشاء "دولة يهودية" في فلسطين، كانت الدول الاوروبية والاميركية ودول القارة الاسترالية وحدها، بينما صوتت ضد هذه التوصية جميع الدول الاسيوية والافريقية (باستثناء اتحاد جنوب افريقيا).

■ وانه، عندما أخذت الاصوات في الجلسة العامة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧، لم تنجح الضغوط الاميركية الملحة (التي وضعها عضو في وزارة ترومان بأنها "كادت أن تكون فضيحة") الا مع بلد آسيوي واحد (الفلبين) وبلد افريقي واحد (ليبريا) كانا يخضعان ـ بصورة خاصة ـ للضغط الاميركي من أجل التخلي عن معارضتهما التي سبق لهما ان اعلناها؟

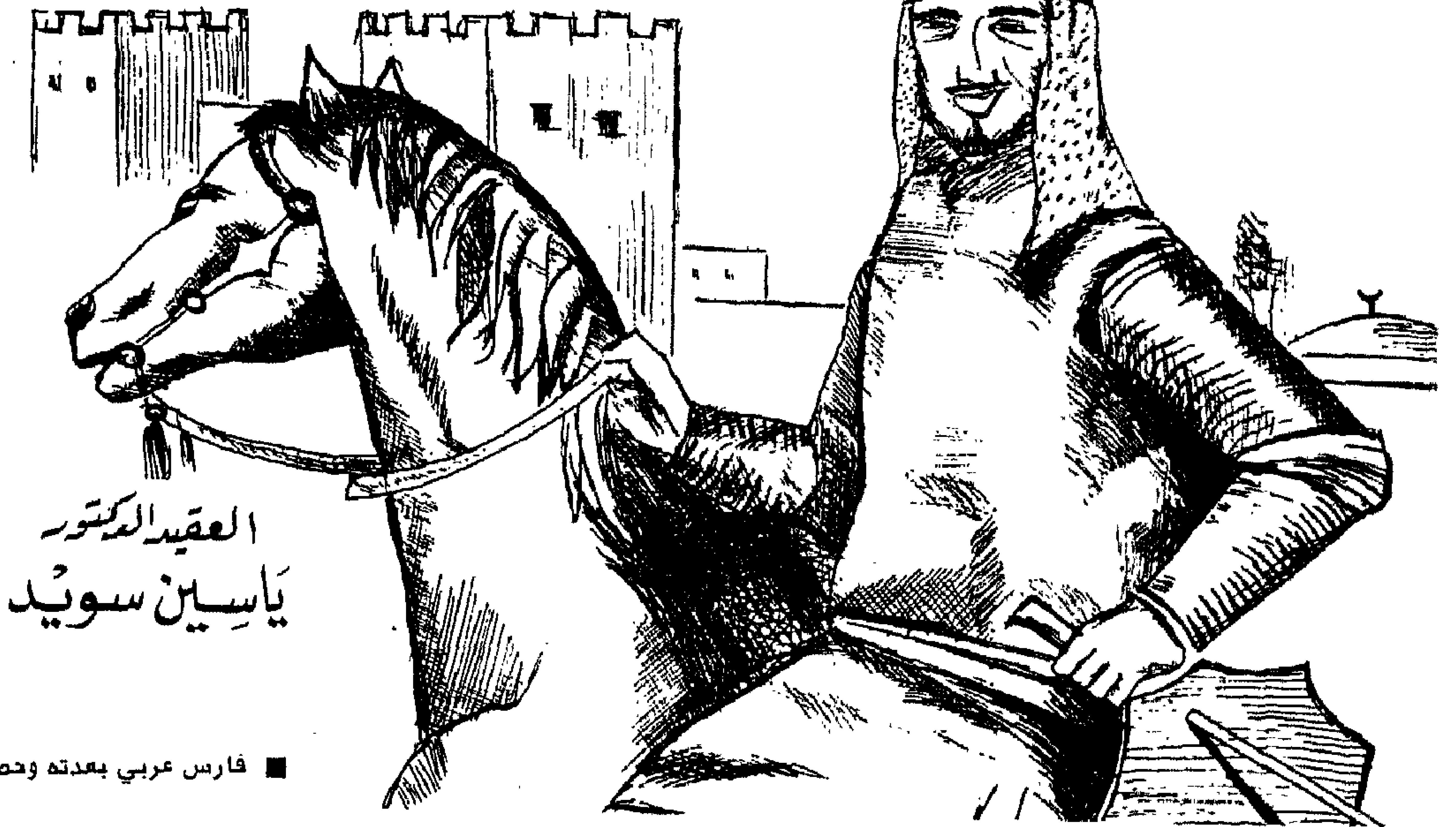
■ وبمعنى آخر، ان "الدولة اليهودية" قد غرست في نقطة التقاء آسيا وافريقيا دون الحصول على تأييد حر من أي بلد في الشرق الاوسط او آسيا او افريقيا، ما عدا اتحاد جنوب افريقيا الذي تحكمه اقلية غريبة؟

■ وان اسرائيل بقيت، منذ بداية نشوئها، غريبة بالمرة في العالم الاسيوي الافريقي الجديد؟ وان اسرائيل لم تقبل في أي مؤتمر دولي لحكومات الدول الآسيوية الافريقية او اي مؤتمر لحكومات الدول غير المنحازة؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة، عام ١٩٤٩، واصلت اسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو اراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

■ وان مجلس الامن والجمعية العامة للأمم المتحدة قد وجها الى اسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوماً او ادانة في احدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الامن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

حروب القدس في التاريخ العربي



العقيد الدكتور
ياسين سويد

■ فارس عربي بعدته وحصانه.

القدس، أو بيت المقدس، أو البيت المقدس، تلك هي بعض اسماء المدينة العريقة في تاريخها الممتد حتى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، والتي هي في نظر المسلمين اولى القبلتين وبها ثالث الحرمين، وفي نظر العالم أجمع موئل كل الديانات السماوية، يهودية ومسيحية واسلامية بنتها القبائل العربية المسماة "قبائل اليبوسيين" لخمسة آلاف عام خلت، وشهدت، بعد ذلك، لاجلها، وفوق حصونها واسوارها، صراعا طاحنا ومريرا بين مختلف الحضارات التي استقرت فوق ارض الشام، وتوالت عليها الحروب والفتوح، فحكمها الكنعانيون (في القرن السادس عشر قبل الميلاد) وسموها اورو ـ سالم او مدينة السلام ومن هذا الاسم اشتق اسم... أورشليم.. الذي يدعي اليهود، زورا، أنهم اول من اطلقوه عليها. ثم حكمها الفراعنة المصريون (في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) فالعبرانيون (في القرن الحادي عشر ق.م)، فالبابليون (٥٩٩ق.م.)، فالفرس (٥٣٨ق.م.) فاليونان (٣٣٢ق.م.) فالرومان، وقد سموها ايلياء (٦٣ق.م.)، ثم العرب المسلمون (٦٣٦م).

وبالاضافة الى موقعها التاريخي والديني المهم في نظر العالم أجمع، تعتبر القدس ذات موقع جغرافي استراتيجي ممتاز، اذ انها قامت بين عدد من الجبال أهمها جبل الزيتون أو الطور الذي ورد ذكره في الاية الكريمة (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) وجبل المشهد وسكوبس، وجبل النبي داود، وجبل المكبّر (حيث كبّر الفاروق عمر بن الخطاب ثلاثا حين رأى المدينة يوم جاء ليشهد فتحها) فكانت ثغر الشام للقادم اليها

■ العقيد ياسين سويد: ـ ضابط في الجيش اللبناني يرأس حاليا احدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية ـ مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد" اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حاليا قيد الاعداد للطبع: ـ التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): جزءان ـ من تاريخنا: معارك

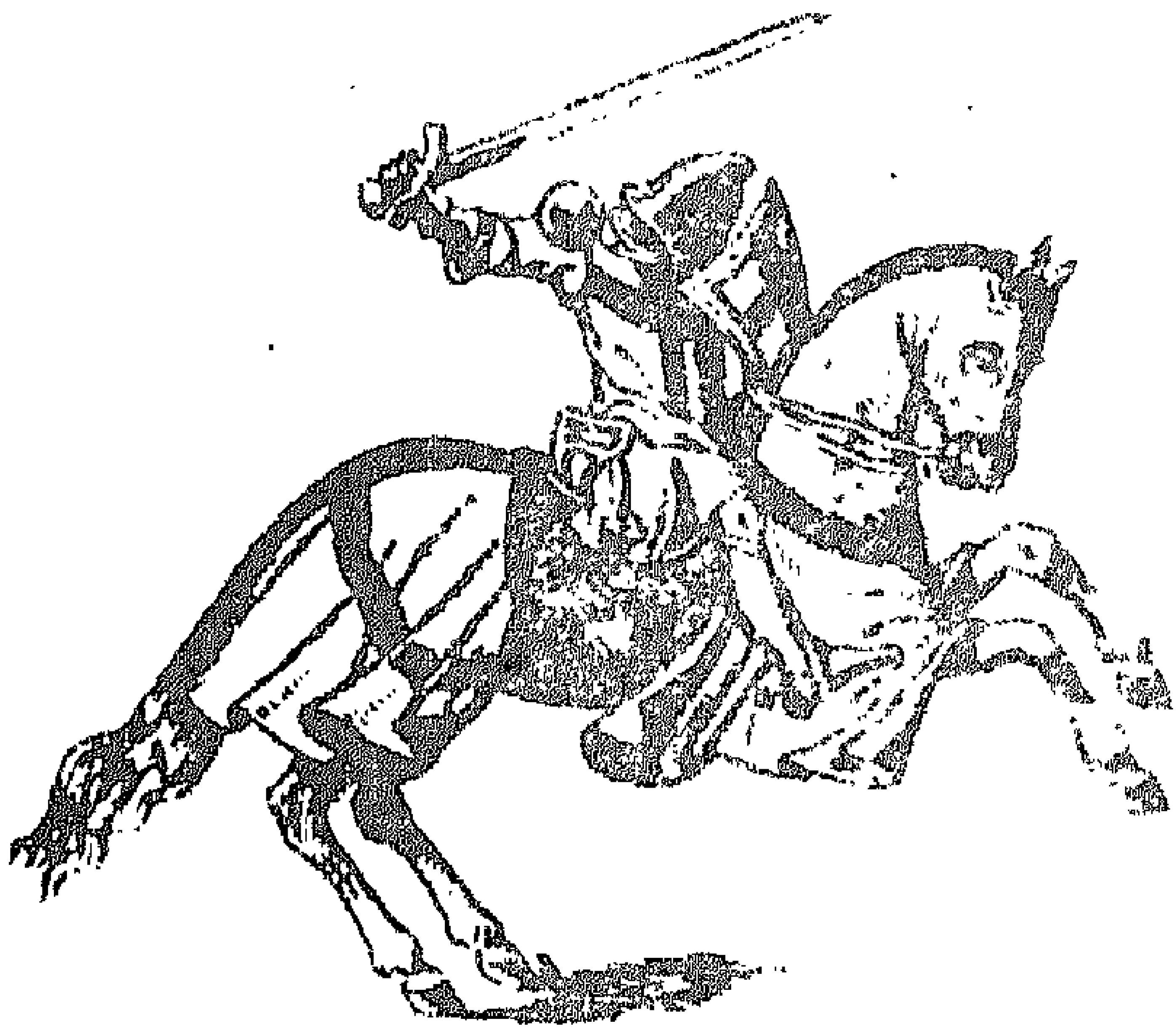
من مصر، وبوابة مصر للقادم اليها من الشام، ومفتاح فلسطين كلها.

الا ان ما يهمنا، في هذا البحث، هو حروب القدس في التاريخ العربي، وأهم هذه الحروب ثلاث هي:

١ ـ تحرير القدس من الروم البيزنطيين على يد عمرو بن العاص في القرن الهجري الاول (١٥هـ)، أو الميلادي السابع (٦٣٦م).

٢ ـ تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الايوبي في القرن الهجري السادس (٥٨٣هـ)، أو الميلادي الثاني عشر (١١٨٧م).

٣ ـ الاحتلال الصهيوني للقدس في القرن الهجري الرابع عشر (١٣٦٨و١٣٨٧هـ)، أو الميلادي العشرين (١٩٤٨و١٩٦٧).



■ فارس صليبي بالدرع.. ويمسك بيده اليمنى رمحا طويلا

تحرير القدس من الروم البيزنطيين (١٥هـ ـ ٦٣٦م)

بعد أن أستتب الامر للمسلمين في الجزيرة العربية وقضى ابو بكر على فتنة الردة قضاء مبرما، قرر ان يتجه بجيوشه لفتح العراق والشام، فارسل خالد بن الوليد والعياض بن غنم والمثنى ابن حارثة الشيباني لفتح العراق، وارسل لفتح الشام يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة وابا عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص.

وكانت مهمة هذا الاخير فتح فلسطين على رأس جيش قوامه نحو سبعة آلاف مقاتل، وقد أوصاه بما يلي: "اذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق التي سار فيها يزيد وشرحبيل، بل اسلك طريق ايلياء (القدس) حتى تنتهي الى أرض فلسطين، وابعث عيونك يأتونك بأخبار ابي عبيدة، فان كان ظافرا بعدوه فكن انت لقتال من في فلسطين، وان كان يريد عسكرا فانفذ اليه جيشا في اثر جيش..."

وكان انطلاق عمرو الى فلسطين في أواخر عام ١٢هـ (٦٣٣م) فسلك الطريق الساحلية بمحاذاة البحر الاحمر حتى العقبة فالبحر الميت، ولاقى في اثناء تقدمه بعض المقاومة من قوات الروم فكان يهزمها في كل مرة حتى تمكن من الاستيلاء على قسم من فلسطين الشرقية والجنوبية واتجه بجيشه نحو القدس، ولكنه علم أن الروم قد اعدوا للقائه جيشا لن يقوى على الظفر به ان هو قاتله، فانحاز الى غور الاردن متجنبا الاشتباك مع العدو، ثم كتب الى الخليفة ابي بكر يستأمره فأمره بالاتصال بزملائه في بصرى، حيث خاض الى جانبهم معركة المسلمين الحاسمة ضد الروم، في بلاد الشام، أعني اليرموك (١٣هـ ـ ٦٣٤م)، بقيادة خالد بن الوليد، وشارك في فتح دمشق وفحل (١٤هـ ـ ٦٣٥م)، بقيادة ابي عبيدة بن الجراح.

ثم عاد بعدها ليتابع مهمته في فلسطين، فابتدأ باجنادين حيث خاض فيها (عام ١٥هـ ـ ٦٣٦م) معركة عنيفة ضد قائد الروم المدعو ارطبون (القريب لكلمة Tribunus الرومانية وهي تعني القائد الاكبر الذي يلي الامبراطور)، فهزمه وارتد أرطبون وجنده ليحتموا باسوار المدينة المقدسة. وتقدم عمرو لحصار القدس فحاصرها نحو اربعة أشهر الا أنه لم يتمكن من فتحها فأرسل الى الخليفة يستشيره ويستأمره (وكان الخليفة في ذلك الحين عمر بن الخطاب)، فقال عمر كلمته الشهيرة عندما وصله كتاب عمرو "قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب، فانظروا عم تنفرج"، وكان يقصد بذلك ان كلا القائدين من ادهى الرجال في قومهما.

وبينما كان عمرو بن العاص يحاصر القدس، كان زملاؤه من قادة المسلمين في الشام يجوبون أرجاء البلاد، غانمين منتصرين، فيحتل ابو عبيدة، ومعه خالد بن الوليد، حمص وحماه وقنسرين وحلب، ثم يسلك طريق الساحل جنوبا فيستولي على طرابلس حتى يصل الى حدود بيروت، ويحتل يزيد بن ابي سفيان الساحل الشامي من بيروت الى صيدا، ويتصل بالقوات الاسلامية التي كانت قد احتلت صور وعكا، ويحتل معاوية بن ابي سفيان قيسارية في أقصى الجنوب من الساحل الشامي.

وتختلف روايات المؤرخين هنا، فمن قائل انه صعب على عمرو فتح بيت المقدس فكتب الى الخليفة عمر يستمده قائلا "اني اعالج حربا كؤودا صدوما، وبلادا ادخرت لك، فرأيك" فكان هو المدد (الطبري). ومن قائل ان اهل ايلياء طلبوا من المسلمين الامان والصلح على أن يتولى العقد الخليفة عمر نفسه (الطبري في رواية اخرى والبلاذري). ومن قائل أن الذي فاوض الروم بشأن الصلح هو ابو عبيدة وليس عمرو بن العاص، يقول البلاذري في ذلك "فكتب ابو عبيدة الى عمر بذلك ـ أي بان يتولى الخليفة بنفسه عقد الصلح ـ فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق، ثم صار الى ايلياء، فأنفذ صلح أهلها". ويقول الطبري "وقيل: (في رواية

اخرى له): ان سبب قدوم عمر الى الشام كان ان ابا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب اهلها منه أن يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب اليه بذلك فسارعن المدينة...

ومع اننا نرجح الرواية الاولى التي اوردها الطبري وهي ان فتح بيت المقدس تم على يد عمرو بن العاص ـ وليس على يد ابي عبيدة لان هذا الاخير كان في ذلك الحين منهمكا بفتح الساحل الشامي، خاصة وان ابا عبيدة لم يكن شاهدا على نص المعاهدة كما يتبين عند الطبري ـ وأن الصلح تم بحضور الخليفة عمر نفسه الذي جاء مع المدد الى فلسطين بناء لطلب من عمرو، الا أننا نتفق مع المؤرخين جميعا على ان عمر بن الخطاب، لما وصل الى الجابية، استقبل وفدا من اهل ايلياء جاؤوا يعرضون عليه الصلح وتسليمه المدينة، وقد تم ذلك بحضوره وحضور كبار القادة المسلمين في الشام (عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن ابي سفيان ـ كما يستدل من نص المعاهدة ـ وابو عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان)، وكان الخليفة قد استدعاهم الى الجابية للتشاور، وكان على القدس آنذاك الارطبون والاسقف صفرونيوس فاستقبلا الخليفة وادخلاه الى المدينة، وكان ذلك في العام ١٥هـ الموافق عام ٦٣٦م.

نص المعاهدة

وفي ما يلي نص المعاهدة كما أوردها الطبري:
"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين اهل ايلياء من الامان، أعطاهم امانا لانفسهم واموالهم، لكنائسهم وصلبانهم وسقمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ احد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود، وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن اقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن احب من أهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن ابي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة" ـ انتهى ـ

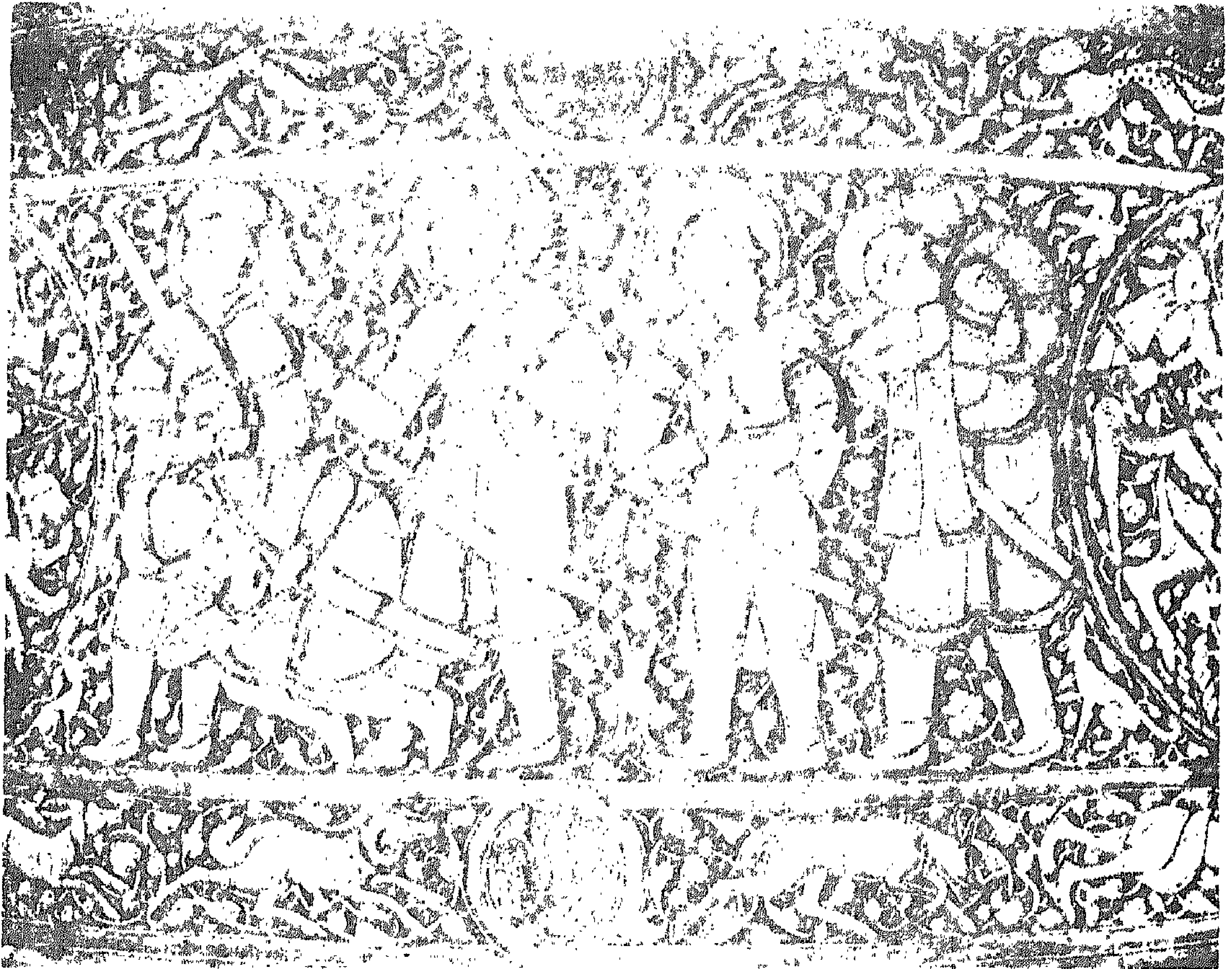


■ فارس صليبي بعدته وحصانه.

تحرير القدس من الصليبيين (٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م)

احتل الصليبيون القدس في حملتهم الاولى على بلاد الشام (١٠٩٧ ـ ١٠٩٩)، وكان دخولهم اليها عام ١٠٩٩ بعد حصار دام شهرا وبعد ان قضوا على الحامية المصرية القليلة العدد التي كانت مرابطة بها، وقد كان عددها نحو الف مقاتل، بينما كان عدد الصليبيين نحو اربعين الفا منهم نحو عشرين الف مقاتل، وقد انشأ الصليبيون فور استيلائهم على بيت المقدس مملكة لاتينية جعلوا القدس عاصمتها ونصبوا عليها ملكا منهم هو "غودفروادي بويون"، الذي اطلق على نفسه لقب (بارون القبر المقدس وحاميه).

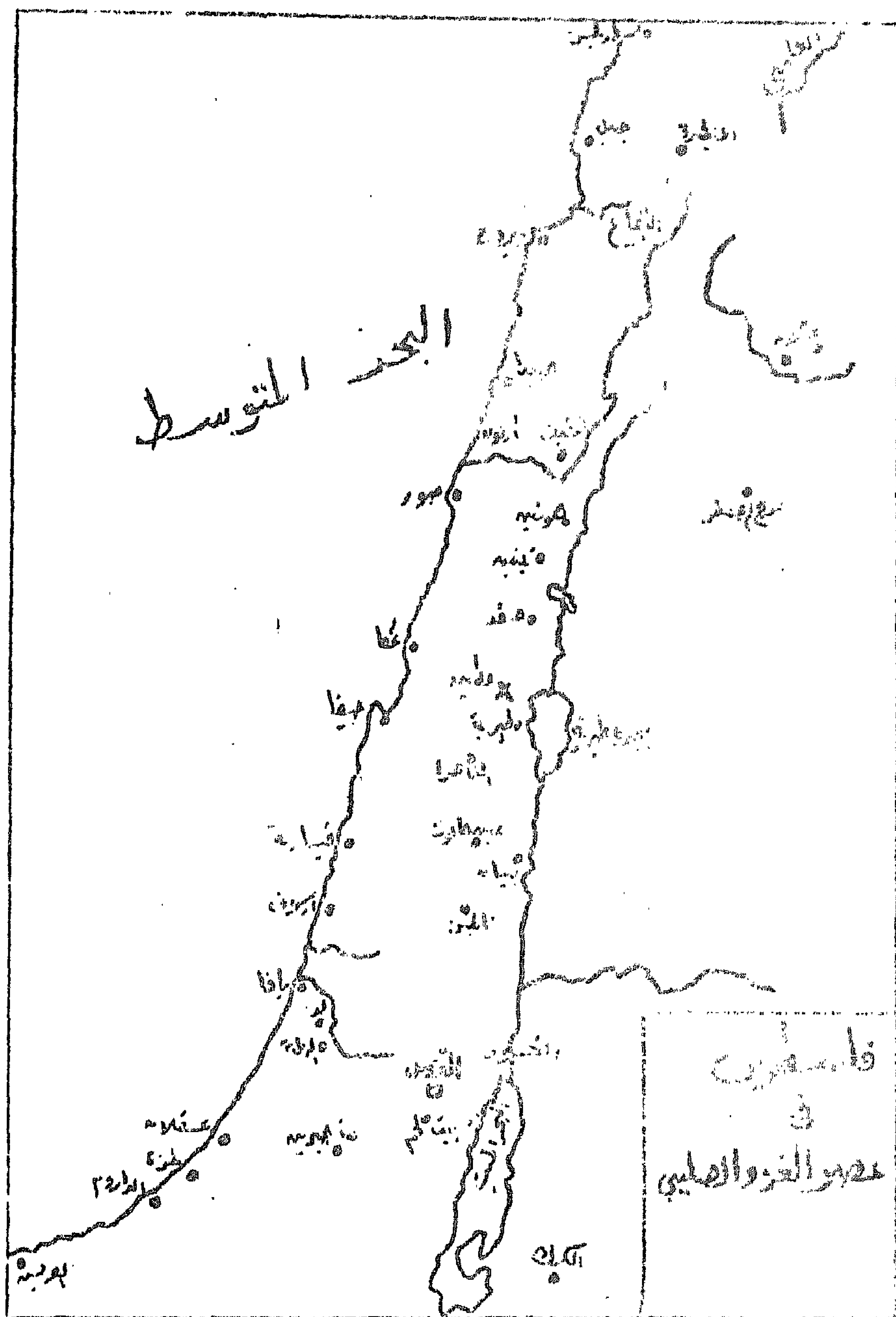
واستمر الصليبيون في حكم بيت المقدس طيلة ثمانية وثمانين عاما الى ان ظهر السلطان صلاح الدين الايوبي (١١٣٦ ـ ١١٩٣م) الذي انتصر على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة (٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م) انتصارا حاسما، حيث اسر في هذه الوقعة معظم قادتهم، ومن اسراه فيها الملك غي دي لوسينيان Guy de Lusignan ملك بيت المقدس. ومن حطين انطلق صلاح الدين ليحرر فلسطين كلها، فاذا به في اواخر ايلول من العام نفسه (١١٨٧م) يدق ابواب المدينة المقدسة، منذرا حاميتها بالاستسلام او الابادة.



■ امراء المماليك حوالي القرن الثالث عشر من كتاب "تاريخ الصليبيين" ، ستيفن رانسيمان ، الجزء الثالث



■ صورة لمصب نهر الكلب (لبنان) ايام الغزو الصليبي



واجتمع بالمدينـة مـن الصليبيين بطريركهـا المعظم (وكان اعظم شأنا من الملك) وباليان بن بيرزان صاحب الرحلة (وكان صلاح الدين قد أسره في حطين ثم أطلق سراحه بناء على وعد قطعه بان يبيت ليلة واحدة في القدس ثم يخرج منها بعائلته، الا انه اخلف وعده) وكانت مرتبته تقارب مرتبة الملك، كما اجتمع بها من نجا من مقاتليهم بعد حطين، ومن خلص من باقي المدن التي فتحها صلاح الدين بعدها، كعكا وحيفا وقيسارية ويافا وعسقلان والرملة وغزة وغيرها، وكانوا قد التجأوا جميعا الى بيت المقدس، فاجتمع في المدينة منهم نحو ستين الفا، بينما بلغ جيش صلاح الدين نحو خمسة وعشرين الفا (١٣ الفا من المشاة و١٢ الفا من الفرسان).

وضرب صلاح الدين حول القدس حصارا شديدا فنصب حولها المجانيق وبدأ بقصفها بينما كان النقابون ينقبون السور لفتح الثغرات فيه، وكذلك نصب الصليبيون المجانيق داخل سور المدينة

وبدأوا يقصفون قوات صلاح الدين، كما كان فرسانهم يخرجون من المدينة يوميا لقتال المسلمين ثم يعودون اليها.

مكث صلاح الدين حول سور المدينة بضعة ايام محاصرا لها، وكان في الوقت نفسه يدرس احوال السور ومواضع الوهن فيه بغية اعداد الهجوم على المدينة، وما ان اتم استطلاع السور حتى بدأ بوضع خطة الهجوم محدداً بالضبط نقاط الاقتحام ومطلعاً قادة جيشه على تلك النقاط.

وفي الوقت المحدد للهجوم انطلقت قواته مقتحمة المدينة من الجهة الشمالية حيث تمكن جنده من فتح ثغرة في السور من ناحية كنيسة صهيون ومن نواح اخرى فدخلت المدينة وازاحت الصليبيين عن مواقعهم ولكن الحامية الصليبية بقيت صامدة داخل المدينة وفي شوارعها، واستمرت مقاومة الصليبيين عنيدة وصلبة، واستمر الهجوم والحصار قاسيين وشديدين، الى ان يئست الحامية من امكان التغلب على المهاجمين فاسقط في ايدي قادتها، وكان الجوع والمرض والارهاق قد بدأ يفتك بجندهم وباهالي المدينة، فطلبوا من صلاح الدين التفاوض بغية الاستسلام.

ولكن صلاح الدين رفض التفاوض واصر على استسلام المدينة بلا شروط، وعندها هدد المحاصَرون بحرق انفسهم وعيالهم وحرق المدينة كلها بمن فيها وما فيها كما هددوا بقتل اسرى المسلمين، وكانوا نحو خمسة الاف اسير، ان لم يرض صلاح الدين بالصلح، فرضي القائد المسلم عندها شرط ان يرحل المحاربون من الاعداء عن المدينة ويبقى فيها الشيوخ والنساء والاطفال لقاء فدية. ودخل المسلمون القدس بعد حصار دام اكثر من اسبوع وكان سقوط القدس عاصمة المملكة اللاتينية في يد صلاح الدين في الثاني من تشرين الاول عام ١١٨٧م. وبسقوطها انهارت امام القائد المسلم معظم المدن والمواقع التي كانت لا تزال تحت سيطرة الصليبيين في معظم انحاء بلاد الشام.

(في العدد المقبل: الاحتلال الصهيوني للقدس).

المراجع

■ فتوح البلدان للبلاذري
■ تاريخ الرسل والملوك للطبري، الجزء الثالث
■ كارثة فلسطين للكولونيل عبد الله التل، الجزء الاول
■ معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
■ تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، الجزء الثاني
■ حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى، الجزء الثاني
■ تاريخ العرب العسكري لمحمود الدره
■ معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
■ قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
■ جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين
■ حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد
■ فلسطين عبر ستين عاما لاميل الغوري الجزءان الاول والثاني
■ صلاح الدين الايوبي لقدري قلعجي
■ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
■ معارك العرب ضد الغزاة لمحمد عماره
■ الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
■ مجلة الهلال، جند الله قادة الانتصارات العربية، ايلول ١٩٧٣
■ مجلة الهلال، عدد خاص عن العواصم العربية، ايلول ١٩٧٤

التاريخ والمؤرخ

(١) التاريخ، للأسف، لا ينفصل عن المؤرخ. "ب. فاليري"

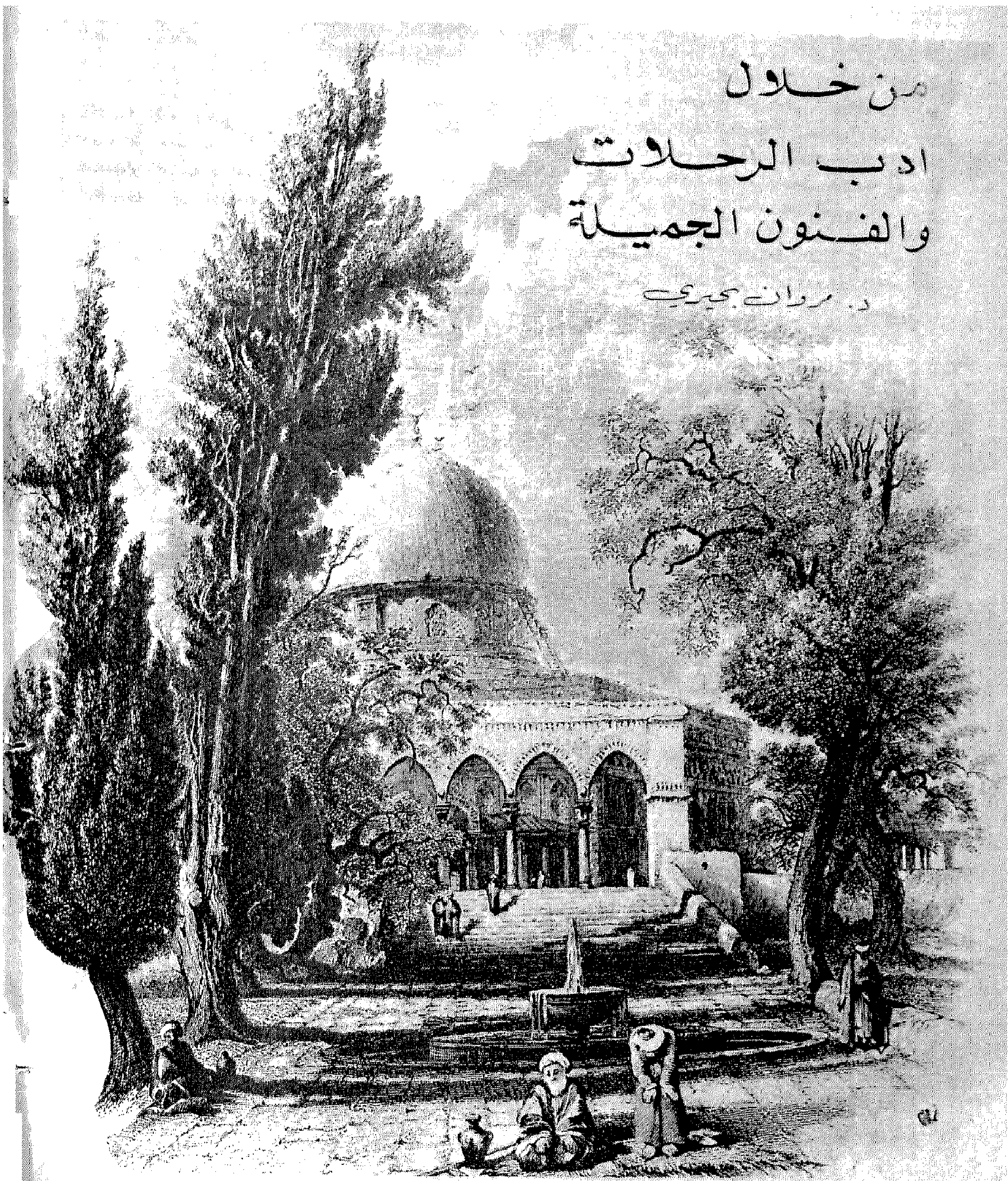
(٢) حتى تكتب جيداً في التاريخ، يجب ان تكون في بلد حر. "فولتير"

(٣) "لتركيب" يوم واحد، نحتاج لسنوات من "التحليل". "فوستل دو كولانج"

مدينة القدس

من خلال ادب الرحلات والفنون الجميلة

د. مروان بحيري



■ قبة الصخرة للفنان ودورد عام ١٨٧٥

نادراً ما نالت بقعة من بقاع الارض من الاهتمام ما نالته القدس على ايدي العلماء والادباء والفنانين ولا غرابة في ذلك إذ ان بهاء فلسطين وروعتها في المجالات الدينية والتاريخية والمعمارية بالاضافة الى موقعها الاستراتيجي البارز كلها امور يصعب على المرء ان يصفها كما تستحق. وقد اشار العديد من الادباء والفنانين الى صعوبة هذا الوصف والى العواطف الجياشة التي تكتنف الموضوع والعمل معاً.

وفي هذه الدراسة المصورة، حاولنا ان نجمع اعمال بعض الفنانين الغربيين من القرنين الثامن والتاسع عشر مع اضافة بعض الاستشهادات المنتقاة مما يزخر به ادب الرحالة من العرب والفرس، الذين زاروا فلسطين بين القرنين العاشر والسابع عشر. والهدف من ذلك هو ابراز صورة عامة عن مدينة لم يتبدل بهاؤها وعن ارض لا تزال قبلة انظار مئة وخمسين مليون عربي ولربما انظار العالم باسره كذلك.

أما الفنانون فمن بينهم بارزون كالفرنسي ل.ف.كساس، مثلا، وهو ينتمي الى المدرسة الكلاسيكية الجديدة والذي رسم العديد من المشاهد في فلسطين وسوريا في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر، والاسكتلندي دافيد روبرتس الذي زار الشرق العربي في الاربعينات من القرن التاسع عشر والذي تعتبر اعماله ذات قيمة خاصة، خصوصاً تصويره الباهر لطراز البناء القديم ومن بينهم ايضاً الاميركيان فن و وودورد اللذان رسما رسوماً تخطيطية في السبعينات من القرن الماضي وكذلك بعض الفنانين المغمورين نسبياً مثل دبدن وردهاردت وهارلي.

وفي ما يتعلق بالكتابات الوصفية التي تمجد الامتياز والقداسة الخاصين للقدس بنوع خاص، ولفلسطين بوجه عام، فانها شاملة تماماً وذات قيمة ادبية وروحية عالية. واحد الامثلة البارزة هو برهان الدين الفزاري، احد مشايخ المسجد الاموي في القرن الرابع عشر الذي وضع دراسة بعنوان "كتاب باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس".

أما في ما يختص بالادب العربي وبالكتب التي تصف فضائل القدس ومكانتها المقدسة بوجه خاص وارض فلسطين بوجه عام، فقد ولينا اهتمامنا شطر ثلاثة علماء ورحالة من العرب وواحد من الفرس. فقد اتحفنا شمس الدين المقدسي حوالي ٣٧٥هـ /٩٧٥م وهو قدسي المنشأ كما تدل نسبته بكتاب عميق الفائدة يجمع بين ثناياه صورة متكاملة عن سوريا وفلسطين في القرن العاشر الميلادي وعما فيهما من تجارة وزراعة وصناعة ومواقع جغرافية.

كما يرد فيه وصف شيق لبناء اسوار مدينة عكا البحرية اسنده المقدسي الى جده. والمقدسي في رأي الكثيرين كان ابرز جغرافي في ذلك العصر وقد اخترنا في ما يلي جملة من اقواله التي يبجل فيها المقدسي مدينة القدس ويقدمها على سائر المدن.

ويلي المقدسي ناصر خسرو البلخي (ولد سنة ١٠٠٣ ميلادية) الذي زار الشرق الادنى في طريقه لاداء فريضة الحج. وكان ناصر خسرو عالماً ثاقب النظر صائب القول كما كان رحالة شيق الاسلوب وقد دون ما رآه في كتاب شهير بعنوان "سفر نامه".

أما محمد بن بطوطه الطنجي (ولد عام ١٣٠٠ للميلاد) فهو غني عن التعريف. فهو في رحلاته المترامية التي لا يكاد المرء ان يصدق اتساعها وفي وصفه الدقيق لكل ما شاهده، يوازي في مقامه واهميته معاصره الاوروبي الذائع الصيت ماركو بولو. وقد زار ابن بطوطه تباعاً نواحي افريقيا الشمالية ثم انتقل الى مصر فسوريا ففلسطين والجزيرة العربية والعراق وبلاد فارس وتركيا وروسيا. والهند والصين واندونيسيا. وفي طريق عودته، قام بزيارة لها اهمية خاصة الى مناطق افريقيا التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى ثم مملكة مالي العظيمة وملكها سليمان.

اما من الناحية التاريخية فان احدث النصوص التي اخترناها هو بقلم عبد الغني النابلسي الذي ولد في دمشق في سنة ١٦٤١ والذي يرجع نسبه الى مدينة نابلس. وقد كان النابلسي شاعراً وعالماً شهيراً له تصانيف عديدة اذ بلغت تصانيفه في رأي البعض ما بين ١٥٠ الى ٢٥٠ مؤلفاً. وقد زار النابلسي مدينة القدس في العام ١١٠١ للهجرة (١٦٨٩ ميلادية) ولقى كتابه "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية" اهتماماً كبيراً في العالم الاسلامي بسبب وصفه للمزارات في فلسطين.

■ د. مروان بحيري: استاذ التاريخ المعاصر في الجامعة الاميركية في بيروت، خريج جامعة برنستون.

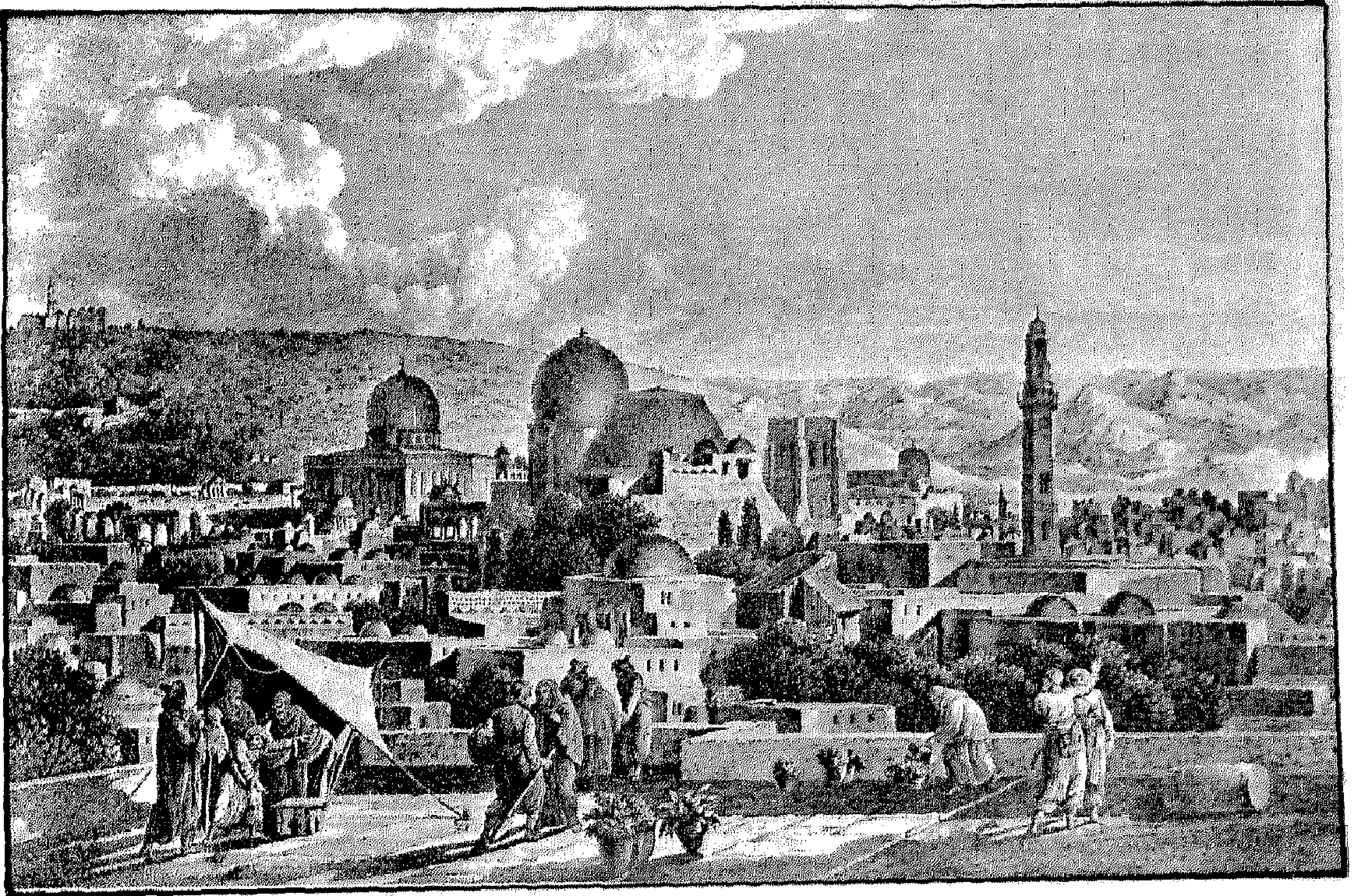
شمس الدين المقدسي

وفي وصف لمدينة القدس للاديب والعالم شمس الدين المقدسي في كتابه "احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" يقول:

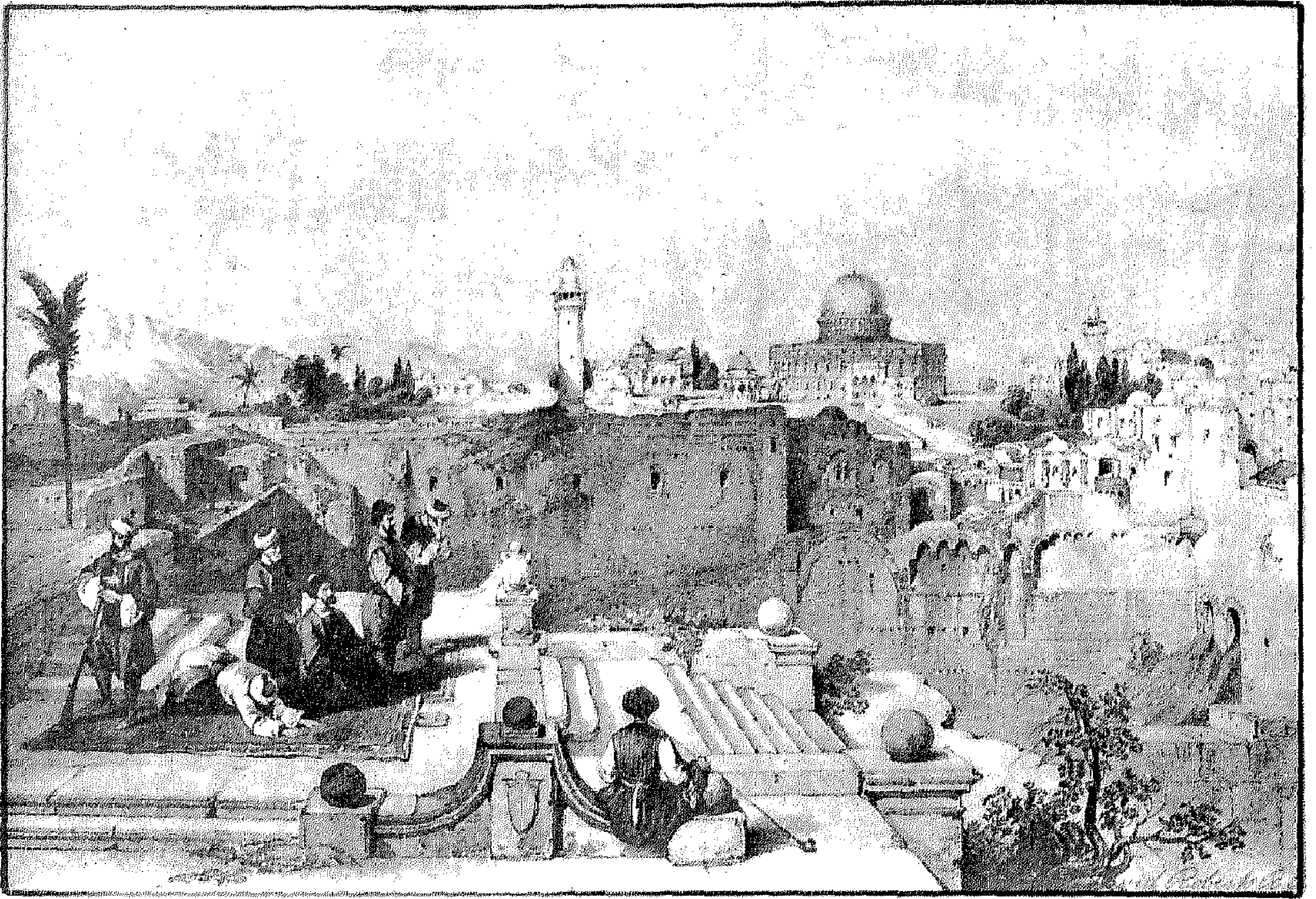
"بَيْتُ المَقْدس ليس في مدائن الكون اكبر منها وقصبات كثيرة اصغر منها ... لا شديدة البرد وليس بها حرّ وقلّ ما يقع بها ثلج وسالني القاضي ابو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت: "سجسجلا حرّ ولا بردشديد" قال: هذا صفة الجنة ، بنيانهم حجر لا ترى احسن منه ولا اتقن من بنائها ، ولا اعفّ من اهلها ولا اطيب من العيش بها ولا انظف من اسواقها ولا اكبر من مسجدها ولا اكثرمن مشاهدها ، عنبها خطير ، وليس لمعنقتها نظير ، وفيها كلّ حاذق وطبيب واليها قلب كلّ لبيب ، ولا تخلو كلّ يوم من غريب وكنتُ يوماً في مجلس القاضي المختار ابي يحيى ابن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر الى ان سئلت اي بلد أجلّ؟ ... قلتُ بلدنا قيل فأيّها اطيب قلتُ بلدنا قيل فايّها افضل قلت بلدنا قيل فأيّها أحسن قلتُ بلدنا قيل فأيّها اكثر خيرات قلتُ بلدنا - قيل فايّها اكبر قلتُ بلدنا فتعجب اهل المجلس من ذلك وقيل انت رجل محصل وقد ادّعيت مالا يقبل منك وما مثلك الاّ كصاحب الناقة مع الحجاج قلتُ اما قولي اجلّ فلانها بلدة جمعت الدنيا والآخرة فمن كان من ابنآء الدنيا واراد الآخرة وجد سوقها ومن كان من ابنآء الآخرة فدعته نفسه الى نعمة الدنيا وجدها واما طيب الهوآء فانه لا سمّ لبردها ولا اذى لحرّها واما للحسن فلا ترى احسن من بنيانها ولا انظف منها ولا انزه من مسجدها واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والاشيآء المتضادّة كالاترجّ واللوز والرطب والجوز والتين والموز واما الفضل فلانها عرصة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر وانما فُضلت مكّة والمدينة بالكعبة والنبيّ صلعم ويوم القيامة يزفان اليها فتحوي الفضل كله واما الكبر فالخلائق كلّهم يحشرون اليها فايّ ارض اوسع منها فاستحسنوا ذلك واقروا به"

ابن بطوطه

أما ابن بطوطه في كتابه "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" فيقول:



■ الاماكن المقدسة للفنان ل.ف.كساس عام ١٧٨٥



■ الحرم الشريف للفنان دافيد روبرتس عام ١٨٤٠

"ثم وصلنا الى بيت المقدس شرفه الله" ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ومعرجه الى السماء والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن ايوب جزاه الله عن الاسلام خيراً، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفاً ان يقصدها الروم فيمتنعوا بها ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الامير سيف الدين تنكيز امير دمشق".

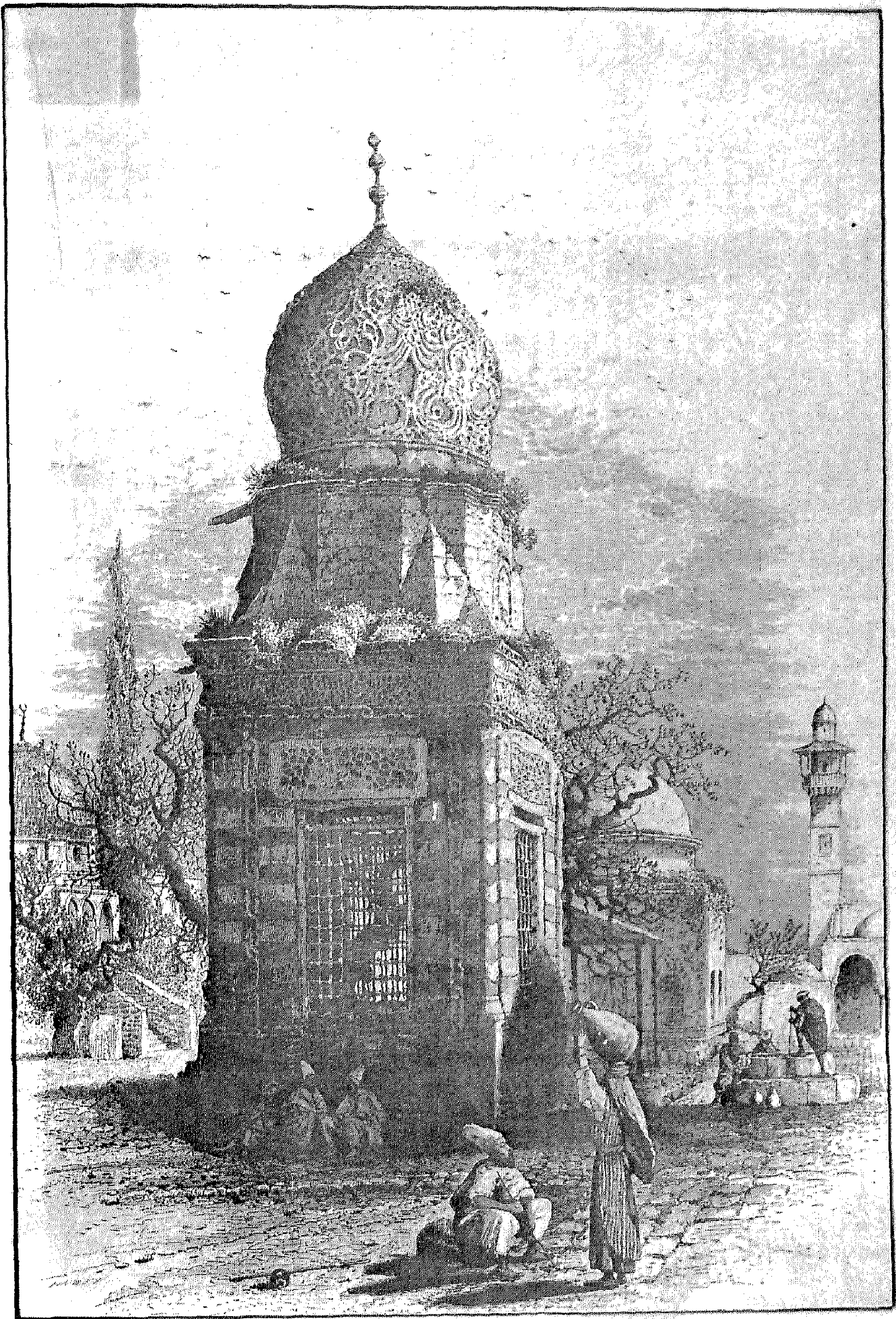
وعن المسجد الاقصى يقول:

"وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن يقال انه ليس على وجه الارض مسجد اكبر منه وان طوله من شرق الى غرب سبعمائة وثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً وله ابواب كثيرة في جهاته الثلاث وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها الا بابا واحداً وهو الذي يدخل منه الامام والمسجد كله فضاء غير مسقف الا المسجد الاقصى فهو مسقف في النهاية من احكام العمل واتقان الصنعة مموه بالذهب والاصبغة الرائقة وفي المسجد مواضع سواه مسقفة".

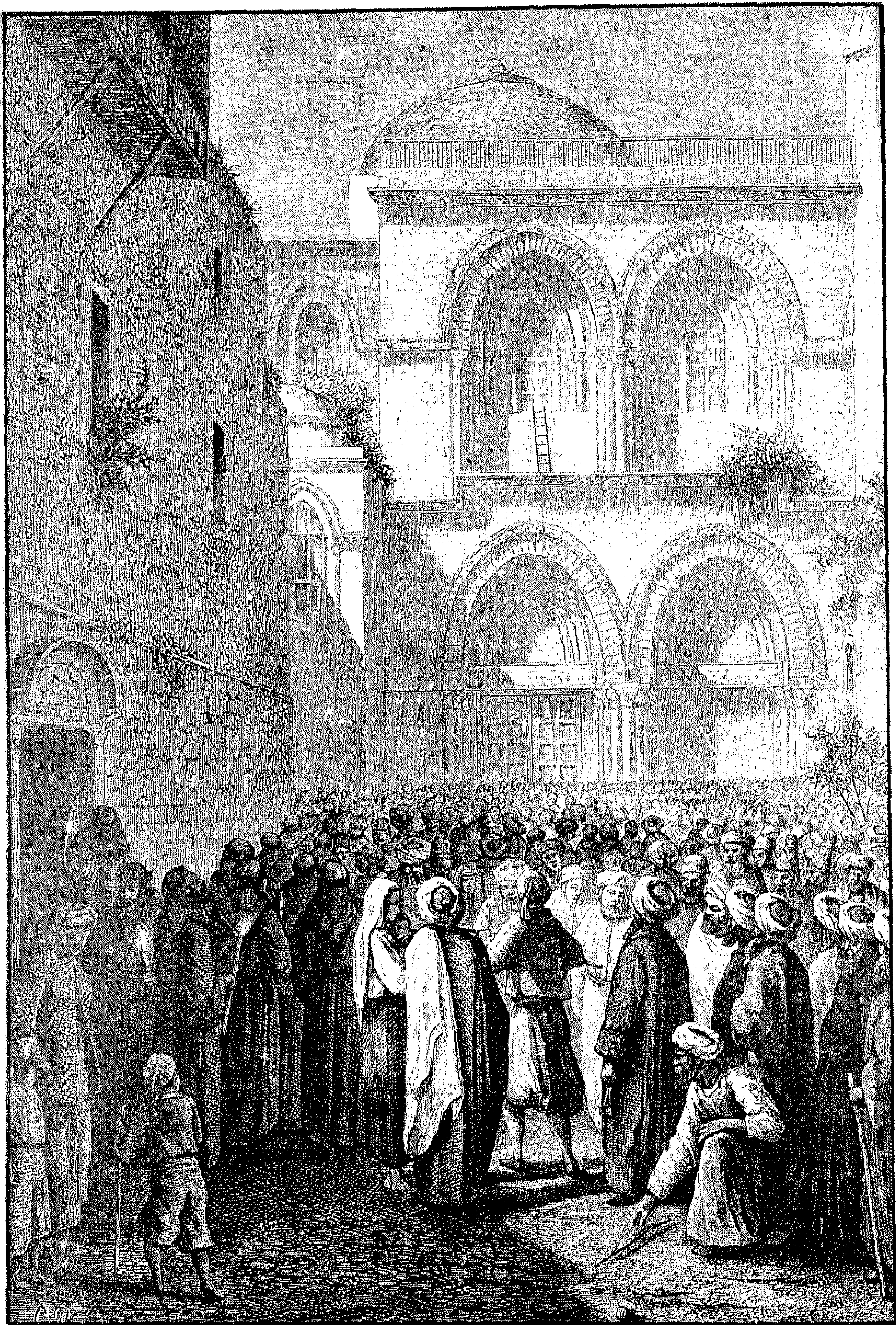
وعن قبة الصخرة يقول:

"هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد اليها في درج رخام ولها اربعة ابواب والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار فان النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها الى السماء وهي صخرة صماء ارتفاعها نحو قامة وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل اليها على درج وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شباكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها احدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك والناس يزعمون انها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه"

ويذكر بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف فيقول:



■ سبيل قائد بيه للفنان هارلى عام ١٨٧٥



■ كنيسة القيامة في عيد الفصح للفنان س. رودهارت عام ١٨٧٠

"فها بعدوة الوادي المعروف بوادي جهنم في شرقي البلد-على تل مرتفع هنالك بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام الى السماء ومنها أيضاً قبر رابعة البدوية منسوبة الى البادية وهي خلاف رابعة العدوية الشهيرة وفي بطن الوادي المذكور كنيسة يعظمها النصارى."

ناصر خسرو

ويقول ناصر خسرو حوالي سنة ٤٣٧هـ (١٠٣٥م) في كتابه (سفر نامه).

"وتحيط ببيت المقدس جبال تنبت فيها الحبوب. وفيها اشجار الزيتون والتين وغيرها وجميع الاراضي خالية من المياه ومع ذلك فأن المأكولات كثيرة ورخيصة، ومن رؤساء البيوت من لا تقل وارداتهم من زيت الزيتون عن خمسة آلاف من" ويجعل هذا الزيت في آبار واحواض وينقل الى اطراف المعمور. ويقال ان المجاعة لم تشتد قط في بلاد الشام. وذكر لي الثقة ان احد الاولياء راى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام فقال له: يا رسول الله اعني على العيش فاجابه الرسول (انا اضمن رزقك من خبز الشام وزيتها).

وهاءنذا اصف لك مدينة القدس فهي قائمة على مرتفع وليس فيها غير ماء المطر ولئن كان في بعض القرى المجاورة عيون فليس لها أثر داخل المدينة ويحيط بها سور وثيق البنيان عمل من الحجر والملاط وابوابه من الحديد. واذا كانت المدينة مبنية على الصخر فليس في جوارها مباشرة شجر. وبيت المقدس بلدة عظيمة وكان فيها عندما زرتها عشرون الف رجل واسواقها جميلة وبيوتها عالية وتربتها ممزوجة بالحجارة وقد نحتت الطرق وعبدت بحيث ان الامطار تنظفها وتغسلها وارباب الصنائع فيها كثار ولكل اهل صنعة في السوق مكان خاص بهم.

والمسجد الاعظم حيث تقام صلاة الجمعة هو الى الشرق من جهة السوق واسوار المدينة عبارة عن حيطانه ومتى خرج المرء من المسجد يرى امامه سهلا عظيماً منبسطاً اسمه ساهرة وفي هذا السهل على ما يزعمون تقوم القيامة وتحسر الاجساد وينصب الميزان وبفضل هذا المعتقد يأتي من جميع اقطار العالم الى القدس جمهور كبير من البشر ينزلونها ليموتوا فيها وليكونوا على مقربة من المكان الذي عينه المولى تعالى وتتحقق فيه ارادته. اللهم يا باريء النسم احفظ عبيدك واغفر لهم خطاياهم آمين يا رب العالمين اهـ."

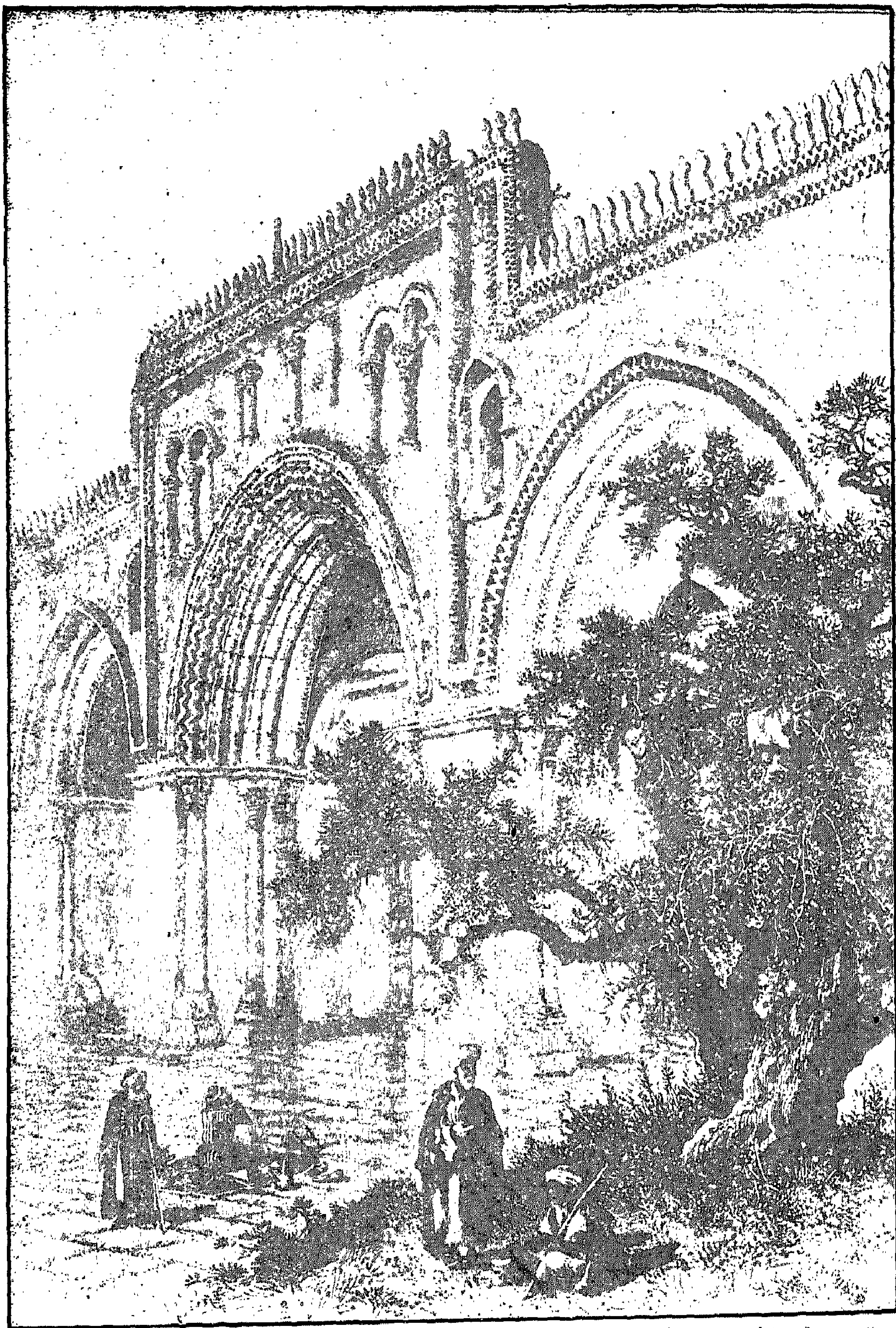
عبد الغني النابلسي

ويقول عبد الغني النابلسي في كتابه "الحضرة الانسية في الرحلة القدسية":

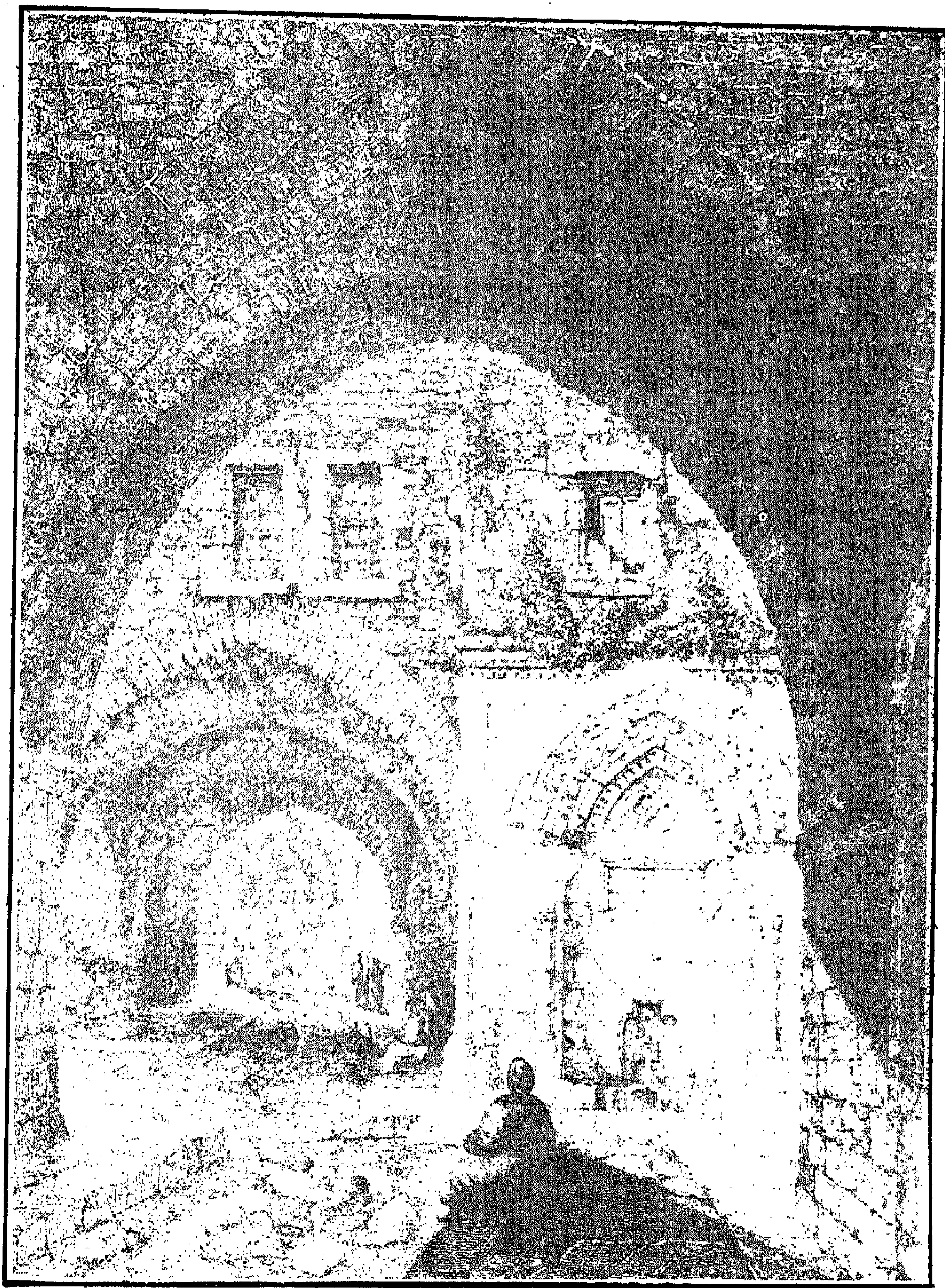
"ولم نزل سايرين وباجنحة الدواب طايرين. حتى صعدنا العقبة واشرفنا على القدس الشريف. فنسينا عند رؤيتنا ذلك ما قطعنا من العقبات والمهالك. ولله" در الحافظ بن حجر العسقلاني حيث قال:

الى بيت المقدس قد اتينا
جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقاباً
وما بعد العقاب سوى النعيم

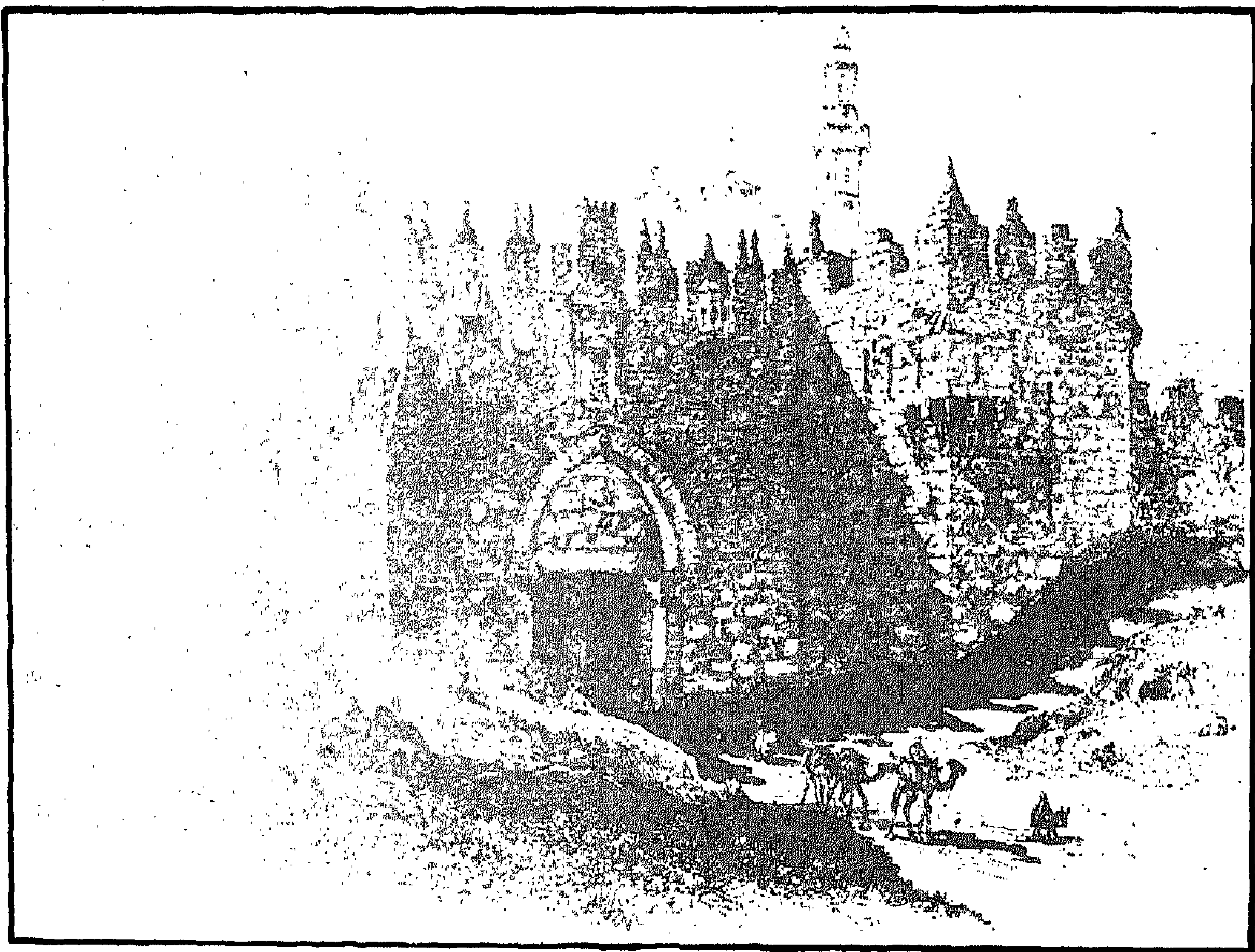
فوصلنا الى مزار الشيخ جراح وهذا في (المدرسة الجراحية). قال الحنبلي وهي بظاهر القدس من جهة الشمال ولها وقف ووظايف مرتبة. نسبتها لواقفها الامير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي. أحد امراء الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب توفي في صفر سنة ٥٩٨ ودفن بزاوية بالمدرسة المذكورة. وقد خرج للقائنا في ذلك المكان جماعة من المشايخ الاعيان. وقد نشروا الاعلام على جهة الافهام بكمال الود والافهام. يتلون البراءة الشريفة والصلوات الى ان اقبلنا على باب المدينة مع هاتيك الجماعات. ثم استقبلنا فقراء الزاوية الادهمية في ذلك الطريق وحصلت لنا البركة في لقائهم فنعم ذلك الفريق حتى دخلنا من باب المدينة الذي يسمى باب العمود. فاذا هو باب كبير عظيم واسع عال كأنه قطعة من جلمود وسور بيت المقدس سور جديد متين مشيد قوي الاركان عظيم البنيان يحيط بالبلد كلها وعرها وسهلها. مبني بالشيد والحجر المنحوت وفي داخله جميع الاماكن والبيوت. وقد اخبرنا انه من بناء السلطان الملك المظفر سليمان خان من ملوك آل عثمان ايدهم الله ونصرهم على ممر الازمان. ولمدينة القدس عشرة ابواب. منها هذا الباب الذي هو باب العمود وهو من جهة الشمال. ومن هذه الجهة باب آخر يسمى باب



■ المسجد الاقصى للفنان وودورد عام ١٨٧٥



■ باب السلسلة للفنان . ت .س .د .د . ب .ن . ١٨٢٠ .

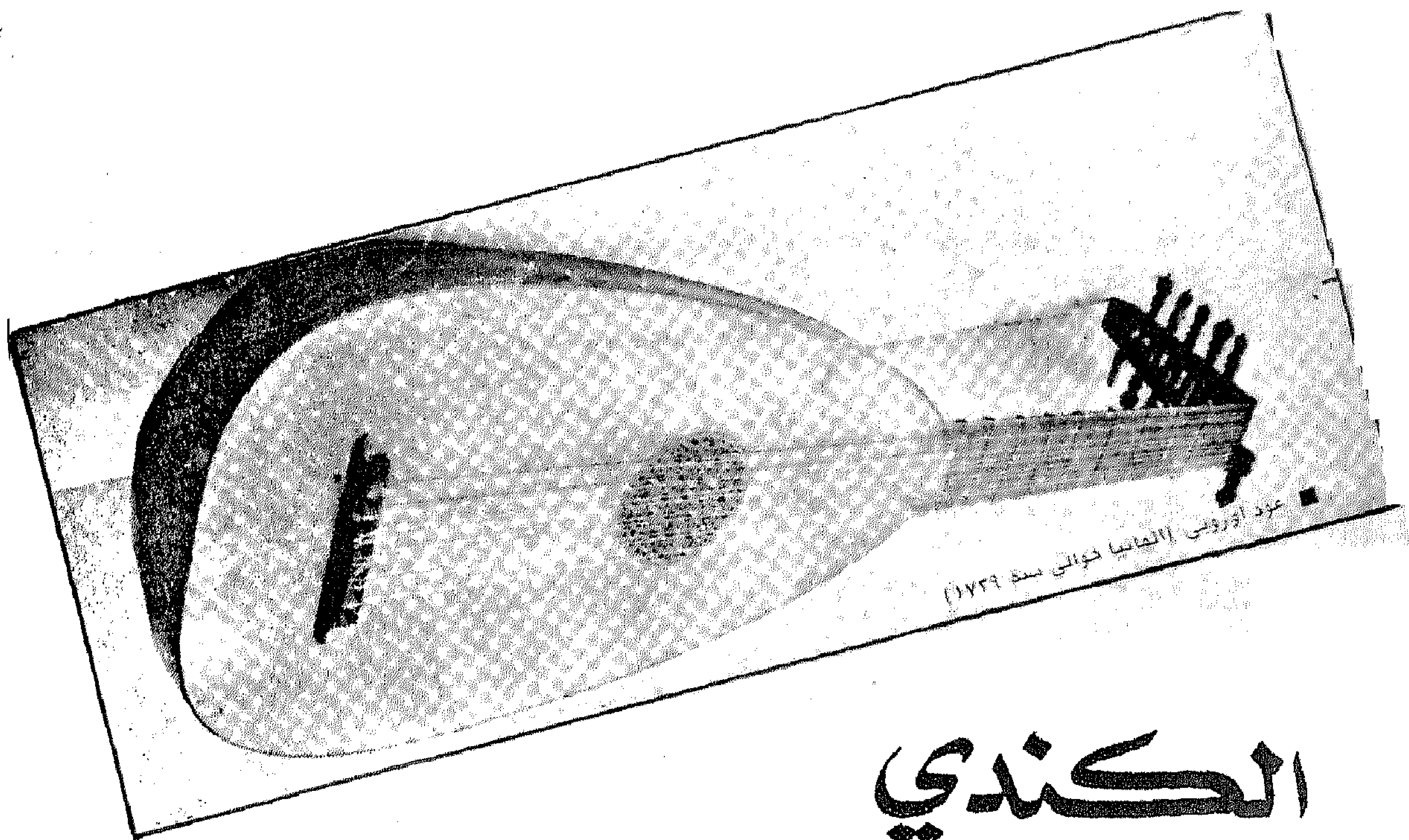


■ باب العامود للفنان هـ. فن عام ١٨٧٥

الداعية المتوصل منه الى حارة بني زيد، وباب يسمى باب دير السرب، وباب المساهرة، ومن جهة القبلة باب المغاربة، وباب داود، ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الارمن وباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحبة الواسعة والحضرة النورانية الشاسعة، وللمسجد الشريف أربعة عشر باباً، منها ثلاثة مسدودة باب التوبة وباب الرحمة وهما بابان متحدان في السور الشرقي من داخل الحايط مما يلي المسجد والباب الاخر بالسور الشرقي بالقرب من البابين المذكورين من جهة القبلة، والاحد عشر من جهة الغرب، باب القطانين الذي دخلنا منه، وباب الفواغة، وباب الناظر، وباب الحديد، وباب المتوضاء، وباب السلسلة، وباب السكينة، وباب المغاربه ويسمى باب النبي، ومن جهة الشمال باب الاسباط، وباب حطه، وباب شرف الانبياء،

ورأينا ذلك الحرم الشريف والمسجد الذي هو غني عن التعريف، وذرعه كما ذكره الحنبلي في التاريخ طولا من حايط السور القبلي عند المحراب المعروف بمحراب داود الى صدر الرواق الشمالي عند باب الاسباط ستماية وستون ذراعاً بذراع العمل غير عرض السورين، وعرضاً من السور الشرقي الى صدر الرواق الغربي اربعماية وستة اذرع غير عرض السورين على التقريب واتفق لنا ان الذين كانوا يقرأون البراءة الشريفة قدامنا في حال دخولنا الى قوله فيها .."

■ جميع هذه اللوحات مأخوذة من كتاب "روائع الاراضي المقدسة" للملي ...


■ عود أوروبي (ألمانيا حوالي سنة ١٧٢٩)

الكندي موسيقيا

ورائد نظرية تأثير الموسيقى على الصحة

د. اسامة عانوتي

يعرف أبو يوسف، يعقوب بن إسحق الكندي (١) بأنه "فيلسوف العرب"، بل لقد طغت شهرته بالفلسفة على معارفه في الطب، والهندسة، والحساب وعلم الهيئة (الفلك)، وقبل هذا كله، الموسيقى، التي أولاها من همه وعنايته وعلمه ما أحلّها محلا منيعاً من مشاركاته الكثيرة.

ولا تعدو هذه العجالة أن تكون تعريفاً مقتضباً ـ أرجو أن يكون شاملا ـ لهذه الناحية من نواحي عبقريته، ومن آياتها أكثر من ثلاثمئة تصنيف في مواضيع متفرقة وضعها أو ترجمها، وكذلك لا تفوتني الاشارة الى أنه ليس من شأن هذه المقالة ـ وليس من حقي ـ أن تعرض إلى جوانب علمية، تقنية في هذا المجال.

■ د. اسامه عانوتي: ب.ع وم.ع في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية في بيروت دكتوراه دولة في الادب العربي من جامعة القديس يوسف، استاذ مساعد للادب العربي في كلية الاداب والعلوم الانسانية في الجامعة اللبنانية من مؤلفاته: ١ ـ الحركة الادبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ٢ ـ الوان من الفكر العربي ٣ ـ هل اكتشف العرب رقاص الساعة؟ ٤ ـ روائع من التراث العربي

لمع من سيرته

اسمه كاملا: يعقوب بن إسحق الصباح بن عمران... بن يعرب بن قحطان. يمت بالنسب الوشيج إلى ملوك كندة. ومن هنا جاء وصفه في الأصول التي حكت سيرته بأنه "فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها": فجده الأشعث بن قيس كان من أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ملكاً على كندة كلها. وقبله كان أبو الأشعث هذا، قيس بن معد يكرب ملكاً على كندة جميعاً، عظيم الشأن، مدحه الأعشى الكبير بقصائد أربع طوال، مثلما كان جدوده الأعلون الآخرون ملوكاً على حضرموت، والمشقّر، واليمامة والبحرين. أما أبوه، إسحق، فولي على الكوفة للخليفتين: المهدي (١٥٨هـ/٧٧٤م - ١٦٩هـ/٧٨٥م)، والرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦م - ١٩٣هـ/٨٠٩م).

وهو - كما ترى - عربي صليبة (أي خالص النسب)، يرقى نسبه إلى يعرب بن قحطان. وفي بعض المصادر أنه "فيلسوف الاسلام" (٥)، "لم يكن في الاسلام فيلسوف غيره حذا في تواليفه حذو أرسطاطاليس" (٣)

نشأته

لم تفض كتب السير والتراجم في أنباء نشأته، وقصارى ما يتجمع لمطالعها: أنه نشأ في البصرة. أما ولادته، عند نفر، ففي الكوفة (واسط عند إبن أبي أصيبعة)، ثم قصد بغداد حيث تعلم فتألق نجمه، وقربه إليه الخلفاء: المأمون (١٩٨هـ/٨١٣م - ٢١٨هـ/٨٣٣م)، الذي أوكل إليه تأديب ابنه أحمد، إلى جانب الترجمة من السريانية واليونانية التي ندبه لها، فالمعتصم (٢١٨هـ/٨٣٣م - ٢٢٧هـ/٨٤١م)، فالمتوكل (٢٣٢هـ/٨٤٦م - ٢٤٧هـ/٨٦١م) (الذي ما لبث أن انتقض عليه إثر وشاية، فضرب، وصودرت كتبه، ثم ردت إليه. وتاريخا مولده ووفاته لم يحدّدا بالدقة المبتغاة. وهناك من المستشرقين والعلماء العرب من حدد السنة ١٨٥هـ/٨٠١م زمناً لمولده، والسنة ٢٥٨هـ/٨٧٣م زمناً لوفاته. ولم يفروا سمعته من إتهامه في دينه (٤)، مثلما عزوا إليه البخل الشديد. وقد روي عنه ما هو أخلق بأن يثبت ويذكر. (٥) من ذلك "أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم، وقد دخل أبو تمام، فأنشده قصيدته السينية، فلما بلغ إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس.

قال الكندي: ما صنعت شيئاً! قال: كيف؟ قال: ما زدت على أن شبهت أبن أمير المؤمنين بصعاليك العرب! وأيضاً إن شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى إلى قول العكوك في أبي دلف حيث قال:

رجل أبر على شجاعة عامر
بأساً وغبر في محيا حاتم.

فأطرق أبو تمام ثم أنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس.

ولم يكن هذا في القصيدة، فتعجب منه (ومن بديهته)، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل، فاستصغر عن ذلك، فقال الكندي: وله، فإنه قصير العمر، لأن ذهنه ينحت من قلبه، فكان كما قال، فلعل الكندي رأى من سجية أبي تمام في ذلك الوقت ما يدل على قرب أجله."

معارفه

شمل علم الكندي الفلسفة، والطب، وعلم الحساب، والمنطق، والهندسة وعلم النجوم والهيئة (الفلك)، ثم الموسيقى، التي [illegible] في هذا المقام. وله في كل فرع من فروع المعرفة هذه تصانيف ذرّفت على ثلاثمئة كما أسلفنا، أورد عناوينها ابن النديم في "فهرسته"، وابن أبي أصيبعة في "طبقاته".

قال عنه المستشرق CARDAN (وهو من فلاسفة عصر النهضة) أنه واحد من اثني عشر وهبوا أثقب العقول وأكبرها، وهو أحد ثمانية يعدون أساطين العلوم الفلكية في العصور الوسطى. (٦)

معرفته الموسيقية

لم يتفق أصحاب كتب السير الذين ذكروا الكندي على عدد تآليفه الموسيقية، وربما اختلفوا إختلافاً يسيراً في تسمية بعضها: فأقدمهم، وهو ابن النديم (٤٣٨هـ؟/١٠٤٧م) يورد له في "الفهرست" سبعة، يليه القفطي (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) يذكر في "إخبار العلماء باخبار الحكماء" أنها ستة. أما عند إبن أبي أصيبعة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م - ١٢٧٠م)، فهي ثمانية، ولعل من الخير إثبات عناوينها هنا:

١ - رسالته الكبرى في التأليف.
٢ - رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التأليف.
٣ - رسالة في المدخل إلى صناعة الموسيقى.
٤ - رسالة في الايقاع.
٥ - رسالة في خبر صناعة الشعراء.
٦ - رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى.
٧ - مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود.



■ صورة من مقامات الحريري تشهد على أصالة الموسيقى عند العرب

٨ ـ رسالة في أجزاء خبرية الموسيقى •

وقد عثر الأستاذ زكريا يوسف على رسالة تاسعة لم يرد ذكرها في مصدرها: "كتاب المصوّتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار"، فنشرها وأربع رسائل أخرى للكندي في كتابه: "مؤلفات الكندي الموسيقية" (سنة ١٩٦٢) وهي:

١ ـ في خبر صناعة التأليف (كان قد نشرها سنة ١٩٣١ الدكتور محمود الحفني وروبرت لخمن الذي ترجمها الى الألمانية • ولكنهما أعتمدا عنواناً آخر: "رسالة في خبر تأليف الألحان" •

٢ ـ في أجزا خبرية في الموسيقى •

٣ ـ مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصنعة العود •

٤ ـ الرسالة الكبرى في التأليف •

ومما يضفي على رسائل الكندي هذه أهمية أنها أقدم ما بلغنا من تآليف موسيقية بالعربية، ولا نقول أقدم ما ألف في هذا الموضوع • وقد اضطلع بتحقيقها تحقيقاً تقنياً (Technical) وأفاض في تبيان القواعد والأسس العلمية التي أنطوت عليها • وهذا كله لا ينهد إليه إلا متخصص ولسنا إياه • وقصارى همنا في هذا المجال أن نبين شيئاً من معرفة الكندي الموسيقية، ونظهر ما كان لها عند المسلمين والعرب من قدر، أو ما حظيت به عندهم من رعاية • فقد كان لها مكان مخصوص ملحوظ في التعليم عندهم • وحسبنا أن نشير في هذا المقام، إلى أن العالم الرياضي، علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن مسافر، المعروف بتعاسيف الأسفوني (٦٤٩هـ/١٢٥١م) درس الموسيقى على الفقيه الشافعي، الرياضي، الموسوعي: كمال الدين موسى بن يونس الموصلي المعروف بابن منعة (٦٣٩هـ/١٢٤٢م) وقد سأل كمال الدين هذا تلميذه: بأي العلوم يريد أن يشرع • فلم يقدم علم الدين على الموسيقى علماً • قد نجد في قول الكندي جماع رأيه في الموسيقى: "الموسيقار الباهر الفيلسوف يعرف ما يشاكل من كل من يلتمس إطرابه من صنوف الأيقاع والنغم والشعر، مثل حاجة الطبيب الفيلسوف إلى أن يعرف من أحوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته" •

الموسيقى والمعرفة

فالموسيقى في نظر الكندي معرفة لا بدّ من إكتسابها بالدرس والتحصيل، وكما يتحتم على الطبيب أن يأخذ بنظر الاعتبار أموراً كثيرة قبل أن يهيىء العلاج، كذلك يتحتم على الموسيقار أن يفعل قبل أن يضع الألحان. لهذا يتناول الكندي موضوع الموسيقى من مختلف النواحي: النغمات ما يتفق منها وما يتنافر عند التأليف، الايقاعات وعدد نقراتها وما يوافق كل منها من الألحان، أثر الموسيقى في النفس وما تبعثه ألحانها فيها من سرور وحزن وشجاعة، أثر الألحان المختلفة في الصحة والأمزجة، المناسبة بين الأوتار والنغمات والأجرام السماوية وغير ذلك فيضع لكل هذه الأمور، الدساتير التي ينبغي أن يسير بموجبها الموسيقار الباهر، مؤيداً أقواله بالبراهين الرياضية، والأدلة المنطقية.

وهكذا يعتبر الكندي أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، فأصبحت من ضمن مناهج الدراسة العلمية، وجزءا من الفلسفة الرياضية. وكان هذا بطبيعة الحال نتيجة التأثّر بالمدرسة الأغريقية، بما نقله العرب من العلوم اليونانية إلى العربية في مختلف نواحي المعرفة ومنها الموسيقى".

وكذلك يرى الكندي إلى أن لكل أمة مذهبها الموسيقي" (٧). وكأنه بذلك يبتغي إقامة البينة على أن موسيقى العرب ليست - كما يزعم بعض الزاعمين - صورة عن موسيقى اليونان أو الروم أو الفرس. يقول: "لكل أمة في هذه الآلة (العود) مذهب ليس هو لغيرهم. وإختلافهم في هذا شبيه باختلافهم في سائر الأشياء. ألا ترى أن بين العرب والروم والفرس والخزر والحبش، وجميع الناس، الاختلاف في خلقهم وعقولهم وآرائهم وشهواتهم وجميع مذاهبهم؟ ذلك لاختلاف بلدانهم واهوائها ومياههم وثمارهم... (٨)"

ويقول أيضاً: "والتعليم فنون كثيرة، أعني: عربي، وفارسي، ورومي، وغير ذلك..." (٩). ومن طريف ما يروى عن الكندي ما أثبته القفطي من أنه كان في جواره "رجل من كبار التجار، موسع عليه في تجارته. وكان له أبن قد كفاه أمر بيعه وشرائه، وضبط دخله وخرجه، وكان ذلك التاجر كثير الاذراء على الكندي، والطعن عليه، مدمناً لتعكيره والاغراء به. فعرض لابنه سكتة فجأة، فورد عليه من ذلك ما أذهله، وبقي لا يدري ما الذي في أيدي الناس، وما لهم عليه مع ما دخله من الجزع على أبنه. فلم يدع بمدينة السلام طبيباً إلا ركب إليه وأستركبه لينظر ابنه، ويشير عليه من أمره بعلاج. فلم يجبه كثير من الأطباء، لكبر العلة وخطرها، إلى الحضور معه. ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء. فقيل له: "انت في جوار فيلسوف زمانه، وأعلم الناس بعلاج هذه العلة، فلو قصدته لوجدت عنده ما تحسب". فدعته الضرورة الى أن تحمل على الكندي بأحد أخوانه، فثقل عليه في الحضور، فأجاب، وصار إلى منزل التاجر، فلما رأى ابنه، وأخذ مجسه (أي قاس نبضه) أمر أن يحضر إليه من تلاميذه في علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود، وعرف الطرائق المحزنة، والمزعجة، والمقوية للقلوب والنفوس. فحضر إليه أربعة نفر، فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه، وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها. فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة، والكندي آخذ مجسّ الغلام، وهو في خلال ذلك يمتد نفسه، ويقوى نبضه، ويراجع إليه نفسه شيئاً بعد شيء، إلى أن تحرك، ثم جلس وتكلم، وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون. فقال الكندي لأبيه: سل أبنك عن علم ما تحتاج إلى علمه. مما لك وعليك وأثبته. فجعل الرجل يسأله وهو يخبره، ويكتب شيئاً بعد شيء. فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها، وفتروا، فعاد الصبي إلى الحال الأولى، وغشيه السكات..." (١٠)

الموسيقى والطب

ومهما يكن من شأن الصنعة في هذه القصة، فالكندي قد أفاض القول، في أثر الموسيقى من الوجهة الطبية، وبيّن "أن الألحان تؤثر في الجسم فتساعد على الهضم، وتبعث في الكيموسات التلطيف والتنظيف".

على أن هذه القصة، الواقعة أو الموضوعة، تلفت إلى الرابطة التي جعلها الكندي بين الموسيقى والصحة. فقد قسم الألحان أقساماً في "كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار" ("المقالة الثانية": في تأليف اللحون") (١١). وقال: إن منها ما يكون للطرب، أو إثارة الحماسة، أو يكون "للبكاء والحزن والنوح والرقاد ويسمى الشجوي"".

ويتناول النغمات والأوتار والايقاعات، فيورد تأثيرها على أعضاء الجسم:

فحركات الزير، مثلا، تورث "أفعال النفس: الفرحية، والعزّية، والغلبية، "وقساوة القلب والجرأة والاقدام والزهو والنخوة والتجبّر والتكبر، وهو مناسب لطبع الماخوري. ويحصل من فعل هذا الوتر (وهذا) الايقاع أن يكونا مقويين للمرة الصفراء، محركين لها، مع إجتماع الزمان الشتوي والنومي، وسن الموسيقاري وطباعه، وإذا قوي هذا

الطبع والمزاج أذاب البلغم وقطعه ورققه وأسخنه.

ومما يلزم المثنى من تلك الأفعال: للسرورية والطربية والفرحية والجودية والكرمية، والتعطف والرأفة والدقة... ويحصل من قوة هذا الوتر وهذين الايقاعين أن يكونا مقويين للدم وطباعه وحركاته ولطافته وسجياته، (١٢) ويكسران عادية السوداء ويقمعانها ويمنعان أفعالها. ومما يلزم المثلث من تلك الأفعال: الجبنية والمراثي والحزن وما يشجي، وذكر الغابر، وأشباه التضرع... ويحصل من هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا محركين للبلغم مطلقين له زائدين في اعتداله - إن كان معتدلا - أو معدلين له مسكنين للصفراء مانعين لتسليطها، مطفيين لحدتها. ومما يلزم البم من تلك الأفعال: الفرحية تارة، والسرورية تارة والتحبب والزهو... ويحصل من هذا الوتر وهذه الايقاعات: أن تكون مقوية للسوداء زائدة في حركاتها مطفية للدم، ولها من الأغاني: النوح والشكوى وذكر حنين الالف والطير والابل، وبكاء الرسوم والآثار والدمن.... ومن طبع البم الحلم والزكانة والرصانة، ومن طباعه أيضاً السرور تارة، والحلم تارة، مع الأفكار الرديئة والكمد وانقطاع الطبع وانخذال النفس".

ثم يقول: "وقد يلزم حركات النفس وانتقالها من حال إلى حال بخواص حركات الأوتار على حسب ما قدمناه من طبعها أو مناسباتها ما يكون ظاهراً للحس، متطبعاً في النفس. فمما يظهر بحركات الزير في أفعال النفس: الأفعال الفرحية والعزية والغلبية، وقساوة القلب والجرأة وما أشبهها، وهو مناسب لطبع الماخوري وما شاكله، ويحصل من قوة هذا الوتر وهذا الايقاع: أن يكونا مقويين للمرار الأصفر محركين له، مسكنين البلغم مطفيين له. ومما يلزم المثنى من ذلك: الأفعال السرورية والطربية والجودية والكرمية والتعطف والرقة وما أشبه ذلك... ويحصل من قوة هذا الوتر وهذين الايقاعيين أن تكون: مقوية للدم، محركة له، مسكنة للسوداء مطفية لها. ومما يلزم المثلث من ذلك: الأفعال الحنينة والمراثي والحزن وأنواع البكاء وأشكال التضرع وما أشبه ذلك، وهو مناسب للثقيل الممتد، ويحصل من هذا الوتر وهذا الأيقاع أن يكونا: مقويين للبلغم محركين له، مسكنين للصفراء ومطفيين لها. ومما يلزم البم من ذلك: الافعال السرورية، تارة والترحية تارة، والحنين والمحبة وما أشبه ذلك. وهو مناسب للأهزاج والأرمال والخفيف وما أشبه ذلك. ويحصل من هذا الوتر وهذه الايقاعات أن تكون: مقوية للسوداء محركة لها، مسكنة للدم مطفية له".

الكندي الأبرز

وليس الكندي، الطبيب المسلم الوحيد الذي جمع بين الطب والموسيقى، وإن كان أبرز هؤلاء وأعظمهم. فالفارابي العظيم (٣٣٩هـ/٩٥٠م)) الذي طغت شهرته بالفلسفة على علمه بالطب، أو بسفره الضخم، الجليل: "كتاب الموسيقى الكبير"، الذي يقول فارمر عن مقدمته: إنها "تضاهي في الواقع، ان لم تبز، كل ما ورد في المصادر اليونانية".

ومن هؤلاء الأطباء - الذين يعنوننا في هذا المقام - مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش (٥٧٤هـ/١١٧٨م)، أحد أطباء البيمارستان النوري بدمشق: كان من أكابر أطباء زمانه، ومن طلابه: الطبيب المشهور رضي الدين الرحبي (٦٣١هـ/١٢٣٣م) . فقد تلقى عنه الطبيب الأندلسي أبو زكريا يحيى بن أسماعيل البياسي (كان حياً ٥٨٩هـ/١١٩٣م). علم الموسيقى. والبياسي هذا، بعد، كان بارع العزف على العود، صنع أرغناً أيضاً.

وبعد، فهذا الذي أهتدى إليه علم المسلمين والعرب قبل أكثر من ألف سنة، هو آخر ما انجاب عنه علم الطب في أواخر القرن العشرين! وانها لحلية من الحلي التي زانت بها الحضارة الاسلامية العربية جيد الانسانية.

الهوامش

(١) التمس سيرته في "الفهرست" لابن النديم، و"عيون الأنباء" لابن أبي أصيبعة، و"اخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطي، و"تاريخ حكماء الاسلام" للبيهقي، و"طبقات الأمم" لصاعد، و"سرح العيون" لابن نباتة، و"دائرة المعارف الاسلامية" إلخ... وانظر:

(٢) ابن نباتة: "سرح العيون" (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٤): ٢٣١.

(٣) ابن جلجل: "طبقات الأطباء والحكماء" (تحقيق: فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥)٧٣.

(٤) قد يكون مناسباً هنا أن نورد أن ما قيل عن نصرانيته قد كفى مؤونة الرد عليه الأب أنستاس الكرملي في مجلة "لغة العرب" (ج٥ من السنة ٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٥)، فاثبت أصالة إسلامه، وانه لم يكن مسيحياً فاسلم.

(٥) ابن نباتة: "سرح العيون": ٢٣١ - ٢٣٢م

(٦) أنظر: -

T.J. De Boer: «AL KINDI». The encyclopaedia of Islam 1927. Sartom (George). Introduction of the history of Science I/559.

(٧) يوسف (زكريا): "موسيقى الكندي": ٣ - ٤

(٨) الكندي: "الرسالة الكبرى في التأليف": ١٣٦ - ١٣٧ (ضمن "مؤلفات الكندي الموسيقية" تحقيق: زكريا يوسف)

(٩) المصدر نفسه: ١٤٢

(١٠) "إخبار الحكماء بأخبار العلماء": ٢٤٦ - ٢٤٧ (ط - السعادة بمصر، ١٣٢٦هـ).

(١١) حققها زكريا يوسف ونشرها ضمن كتابه: "مؤلفات الكندي الموسيقية": ٦٩ - ٩٢

(١٢) كذا في النص والأفعال التالية المعطوفة، وصوابها طبعاً: ويكسرا، الخ...

عبد الرحمن ابن خلدون

هدى سكاكيني بربير

يصف المؤرخ ارنولد توينبي في كتابه "دراسة في التاريخ" ابن خلدون بأنه من العباقرة ويرى في مقدمته "دلائل ساطعة على سعة النظر وعمق البحث وقوة التفكير"، وذلك لان ابن خلدون في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام "قد ادرك وتصور وانشأ فلسفة التاريخ وهي بلا شك أعظم عمل من نوعه، خلقه اي عقل في اي زمان ومكان".

ويقول ماكدونالد "ان مقدمة ابن خلدون اساس التاريخ وحجر الزاوية فيه،وهي مقدمة تاريخية فلسفية لم ينسج احد على منوالها حتى علماء اليونان والرومان وغيرهم".

اما روبرت فلنت فيقول: "من وجهة نظر علم التاريخ وفلسفته يتحلى الادب العربي باسم من ألمع الاسماء، فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيعان ان يقدما اسماً يضاهي في لمعانه اسم ابن خلدون".

وقد اتخذ ابن خلدون من المجتمع كله وما يعرف فيه من الظواهر مادة لدرسه، وحاول ان يفهم هذه الظواهر وان يعللها على ضوء التاريخ، وان يرتب من سيرها وتفاعلها قوانين اجتماعية عامة. وهذا ما جعل الباحثين يقولون بتفوق ابن خلدون على "ميكافللي" تفوقاً عظيماً في التفكير ونوع النتائج وفي نظريات العصبية، واعمار الدول وخواصها ومعالجتها من النواحي الاجتماعية.

ولد عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في تونس وقد تحدر من أسرة اسبانية عربية يرجع نسبها الى قبيلة كندة المشهورة. وكان جد هذه الاسرة الاكبر قد هجر اليمن في القرن التاسع و نزل اسبانيا وقد ازدهرت ذريته في اشبيليه وظلت معروفه حتى القرن الثالث عشر. اما عبد الرحمن نفسه فقد تقلد عدداً من المناصب الرفيعة في فاس ثم غضب عليه ولي الامر فهجرها الى غرناطة حيث انخرط في خدمة السلطان محمد الخامس سنة ١٣٦١. وأوكل اليه السلطان مهمة التوسط في



بريشة جبران خليل جبران

الصلح بينه وبين بلاط الكاستيل. وبعد سنتين عاد ابن خلدون الى المغرب وشغل فيها وظائف مختلفة الى ان اعتزل اخيراً العمل وسكن قلعة ابن سلامة (تسمى اليوم توغزوت وهي شرقي تلسمان بشمالي الجزائر) حيث اخذ يضع مؤلفه في التاريخ. وقد ظل هناك حتى سنة ١٣٧٨. وقصد الحج سنة ١٣٨٢ وبعد سنتين عين لرئاسة القضاء في الازهر في القاهرة بأمر من السلطان المملوكي الظاهر برقوق. وفي سنة ١٤٠١ رافق ابن خلدون الملك الناصر خلف السلطان برقوق الى دمشق في حملته على تيمورلنك. وقد وفد ابن خلدون على تيمورلنك فاكرم وفادته، وهكذا تسنى لهذا المؤرخ ان يلعب دوراً مهماً في الامور السياسية بشمالي افريقية واسبانيا وساعده ذلك على كتابة مؤلفه العظيم.

كتاب "تاريخ العرب" لمؤلفيه: حتي، جبور وجرجي يعتبر أن شهرة ابن خلدون ترتكز على مقدمته اذ وردت فيها لأول مرة نظرية النشوء التاريخي المبنية على الأخذ بعامل المناخ والجغرافية وتأثير العوامل الخلقية والروحية في مجرى حوادث التاريخ.

وقد قال ابن خلدون عن نفسه في مقدمته أنه مخترع طريقة مبتدعة في علم التاريخ والعمران وذلك من حيث سعيه للبحث عن قوانين التقدم والانحلال القومي.

ولقد درس المؤرخ ساطع الحصري المقدمة دراسة وافية وقارنها بمؤلفات "فيكو" و"مونتسكيو" وغيرها فجاء كتابه "دراسات في مقدمة ابن خلدون" من اروع الكتب الحديثة التي

■ هدى سكاكيني بربير: (م ع) في العلوم السياسية والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لمن تنزه بعظمته وكبريائه وتفرد بصفاته
وأسمائه وتنزه عن مشابهة خلقه بعزه وبقائه أحاط
بكل شيء علما فلا يعزب عنه مثقال ذرة في أرضه وسمائه
وشملت قدرته الممكنات فلا تبرح عن اختراعه وإنشائه
ودل حدوثها وتخصيصها بوقت دون وقت على إرادته
وقضائه وأصلي على أول النفوس القدسية المختص
بتشريفه واعتنائه محمد ماحي سيرة الجهل المنطفي
خاتم أنبيائه وعلى آله وأصحابه وعترته وأوليائه صلاة
دائمة أعرفها ليوم لقائه وبعد فإن العلم
كثيرة في المعارف جمة غزيرة وأشرفها العلم

نموذج من مخطوطات ابن خلدون بخط يده.

كشفت نقاطاً كانت غامضة عن ابن خلدون وأنارت قيمته العلمية والتاريخية. ويرى الحصري ان نزعة ابن خلدون الفكرية كانت اقرب من نزعة "فيكو" الى مناحي البحوث العلمية بوجه عام والى اصول علمي التاريخ والاجتماع بوجه خاص.

كما يرى الحصري في القول "ان شرف ادخال عنصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود الى مونتسكيو ما هو الا افتئات على الواقع والحقيقة وان هذا الشرف هو في حقيقة الامر يعود الى ابن خلدون الذي سبق مونتسكيو في هذا الشأن بمدة تزيد على ٣٥٠سنة".

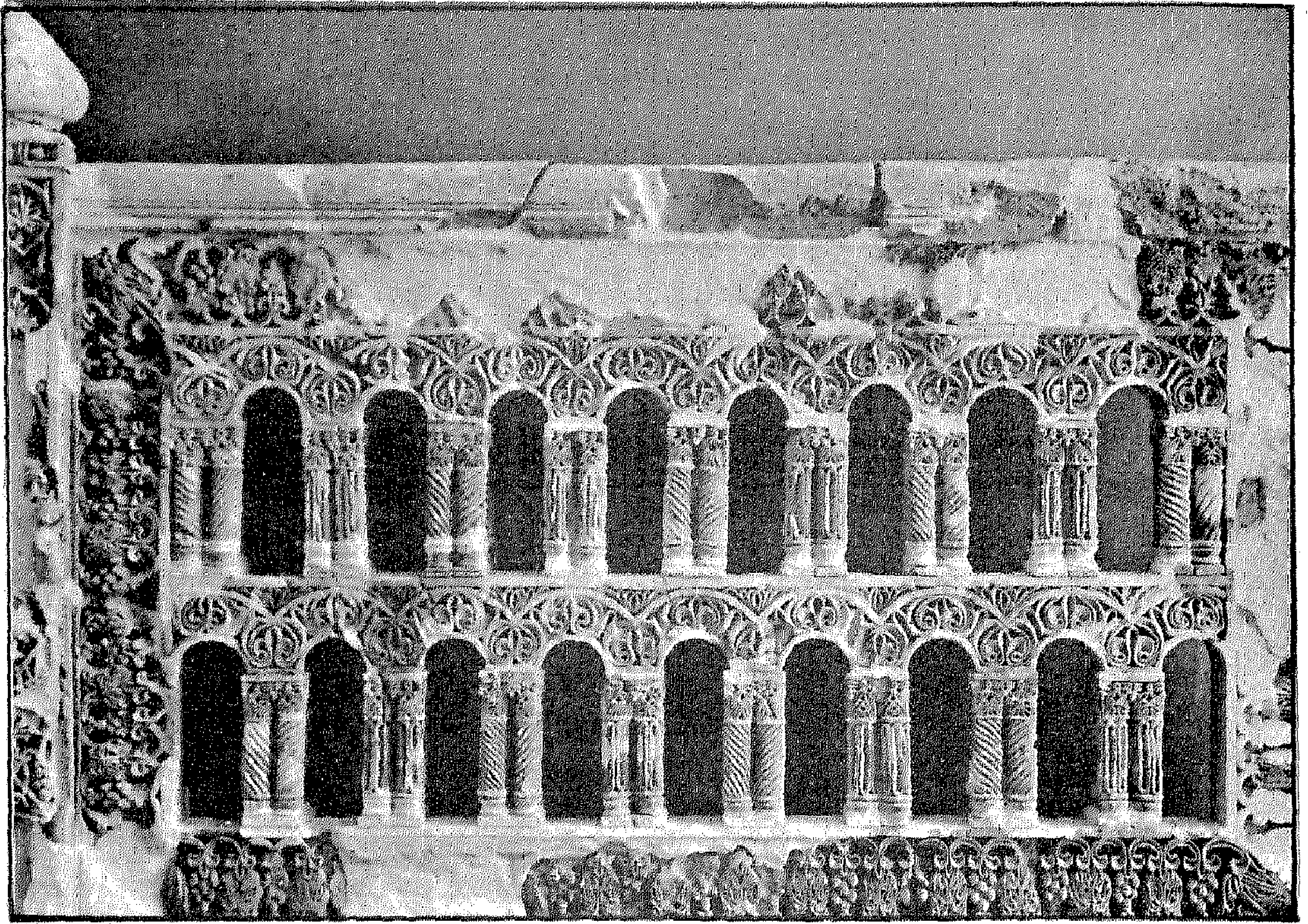
وقد وضع ابن خلدون "الاسلوب التاريخي" Historicai Method وهو يرى ان الاغلاط التيوقع فيها الذين سبقوه ترجع الى أسباب أهمها تشيع المؤلفين وتصديقهم لكل ما يرد دون الفحص، وجهلهم بطبائع العمران واحوال الناس. وهو لا يقف عند هذا الحد بل نراه يضع القوانين لدراسة التاريخ كربط الحوادث بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول وقياس الماضي بمقياس الحاضر ثم مراعاة البيئة واختلاف تأثيرها باختلاف الاقاليم كما سبق وذكرنا.

ويرى "دي بور" ان المؤرخين القدماء لم يورثونا التاريخ علماً من العلوم يقومعلى أساس فلسفي على الرغم من جمال اسلوب بعضهم وان القدماء كانوا يعللون عدم بلوغ الانسانية منذ زمان بعيد درجة أعلى مما بلغته في المدنية بالاستناد الى حوادث اولية كالزلزال والطوفان والىأن المسيحية كانت تعتبر التاريخ بوقائعه تمهيداً لمملكة الله على الارض.

"اما ابن خلدون، والكلام لـ"دي بور"،فكان اول من حاول ان يربط بين تطور المجتمع الانساني من جهة؛ وبين علله القريبة مع حسن الادراك لمسائل البحث وتقريرها مؤيدة بالأدلةالمقنعة.

ويرى ابن خلدون التاريخ "في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول... تنمو فيه الاقوال، وتضرب فيه الامثال"؛.. ولكنه "في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها خليق".

وينتقد ابن خلدون اكثر المؤرخين لانهم يقلدون من سبقهم او يقصرون كتبهم على سرد اسماء الملوكواعمالهم ويرددون اخباراً دخيلة لا يصدقها العقل بل يقوم على فسادها ألبرهان وقد وضع كتابه "كتاب العبر..." ووصفه بقوله: "فأنشأت في التاريخ كتاباً.. أبديت فيه لاولية الدول والعمران عللا وأسباباً وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً وطريقة واسلوباً، وشرحت فيه احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الدراميةما يمتعك بعلل الكوائن واسبابها.. فهو (اي التاريخ) محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر".



القصور الاموية في سوريا وفلسطين

د. ديمتري برامكي



■ **الدكتور ديمتري برامكي:** مولود ١٩٠٩ في الاردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت اطروحته بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الاموي". أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين ١٩٤٦ - ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١. مثل الجامعة الأميركية في سبعة مؤتمرات للاثريين، في البلاد العربية وفي العالم، رقي الى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

عندما استولى معاوية على الخلافة اكتفى بالحياة البسيطة التي نشأ عليها بالحجاز ولم يأبه بحياة الرفاهية التي درج البيزنطيون عليها، والشاهد على ذلك ليس فقط عدم العثور على أبنية رائعة من عهد معاوية ويزيد فحسب وانما هناك القول المأثور لميسوند زوجة معاوية:

لبيت تخفق الارواح فيه

احب الي من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني

احب الي من لبس الشفوف

الا أنه عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة واستقر ملك العرب من الاندلس غرباً حتى نهر الانديس شرقا لم يكتف الامويون ببساطة العيش بل اخذوا يؤثرون رفاهية العيش كما الفوها عند الشعوب التي اصبحت من رعاياهم وشعروا بما للأبنية الفخمة الرائعة من تأثير عند المسيحيين منهم.

وأراد عبد الملك ان يبرهن لرعاياه ان بمقدور الامويين بناء الابنية الرائعة مثل الروم بل وأفضل. فبنى عبد الملك قبة الصخرة المشرفة في القدس مستعينا بمهندسين من الروم والفرس. فكانت هذه القبة من روائع الهندسة القديمة. كما وانه اقام قصراً يدعى الآن قصر "خر"انا" في شرقي الاردن على بعد ٢٨ كيلومتراً شرقي عمان. ومشى في خطاه ابنه الوليد فاقام المسجد الاموي في دمشق والمسجد الاقصى في القدس بجوار قبة الصخرة. كما شيد ايضاً قصراً صغيراً يدعى الآن قصر "عمرا" في شرقي الاردن على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوب شرقي عمان.

اما امهر الخلفاء في البناء فكان هشام بن عبد الملك الذي شيد عدة قصور مثل قصر الحير الغربي في بادية الشام على بعد ستين كيلومتراً جنوب تدمر ووضع تخطيطاً لقصر آخر يدعى الآن قصر الحير الشرقي انما لم يتم بناءه. واقام هشام قصرين في فلسطين احدهما يدعى قصر "المنيه" ويقع بجوار بحيرة طبريه والآخر قصر "المفجر" قرب اريحا. عدا ذلك شيد هشام عدة قصور في شرقي الاردن مثل قصر "المشتى" قرب "مأدبا" وقصر "طوبى" في البادية حوالي ٧٠ كيلومترا جنوب شرقي عمان عدا الحمامات العديدة التي اقيمت في بادية الاردن.

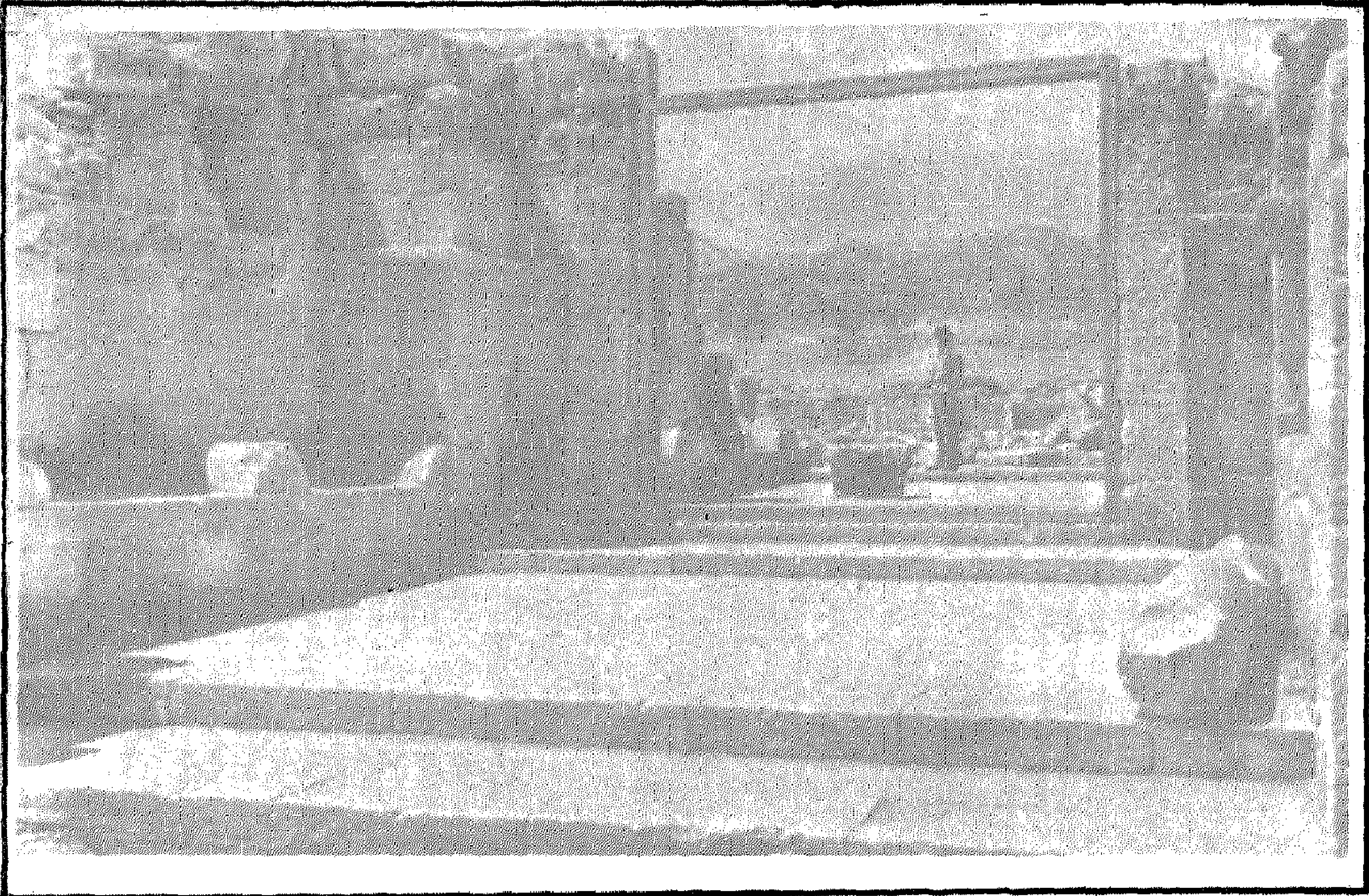
القصور الاموية

والقصور الأموية مبنية كلها على نمط واحد، وفي كثير من اقسامها منقولة عن القلاع البيزنطية التي اقيمت على الحدود بين مملكة الساسانيين والامبراطورية البيزنطية مثل قصر "وردان" بجوار "السلميه" في سوريا. ولكن تصميمها يختلف عن القلاع اذ ان القلاع بنيت محصّنة تحصينا عسكريا بينما القصور الاموية اقيمت للترفيه عن النفس، فكل قصر من القصور اقيم حول صحن واسع شاسع ومفتوح الى الفضاء. وكان الصحن الداخلي هذا محاطا بالاروقة القائمة على اعمدة من الحجر الصلب او المرمر تعلوها الاقواس والعقود المظللة. والاروقة هذه تؤدي بدورها الى غرف وأواوين على طابقين. والقصر محاط بسور عريض تدعمه الابراج المستديرة في زواياه الاربع وابراج نصف مستديرة في وسط كل حائط. اما مدخل القصر فهو في وسط احد الاسوار ومدعم ببرجين اما بشكل نصف دائرة او بشكل ربع دائرة. ومما يسترعى الانتباه الافراط في زخرفة القصر عند المدخل فاما ان يكون مزخرفا بالجبس المنقوش او بحجارة منقوشة بذوق سليم يثلج صدر من يشاهده. ويؤدي المدخل الى قاعة طويلة توجد على جانبيها عادة مقاعد ومتكآت حجرية.

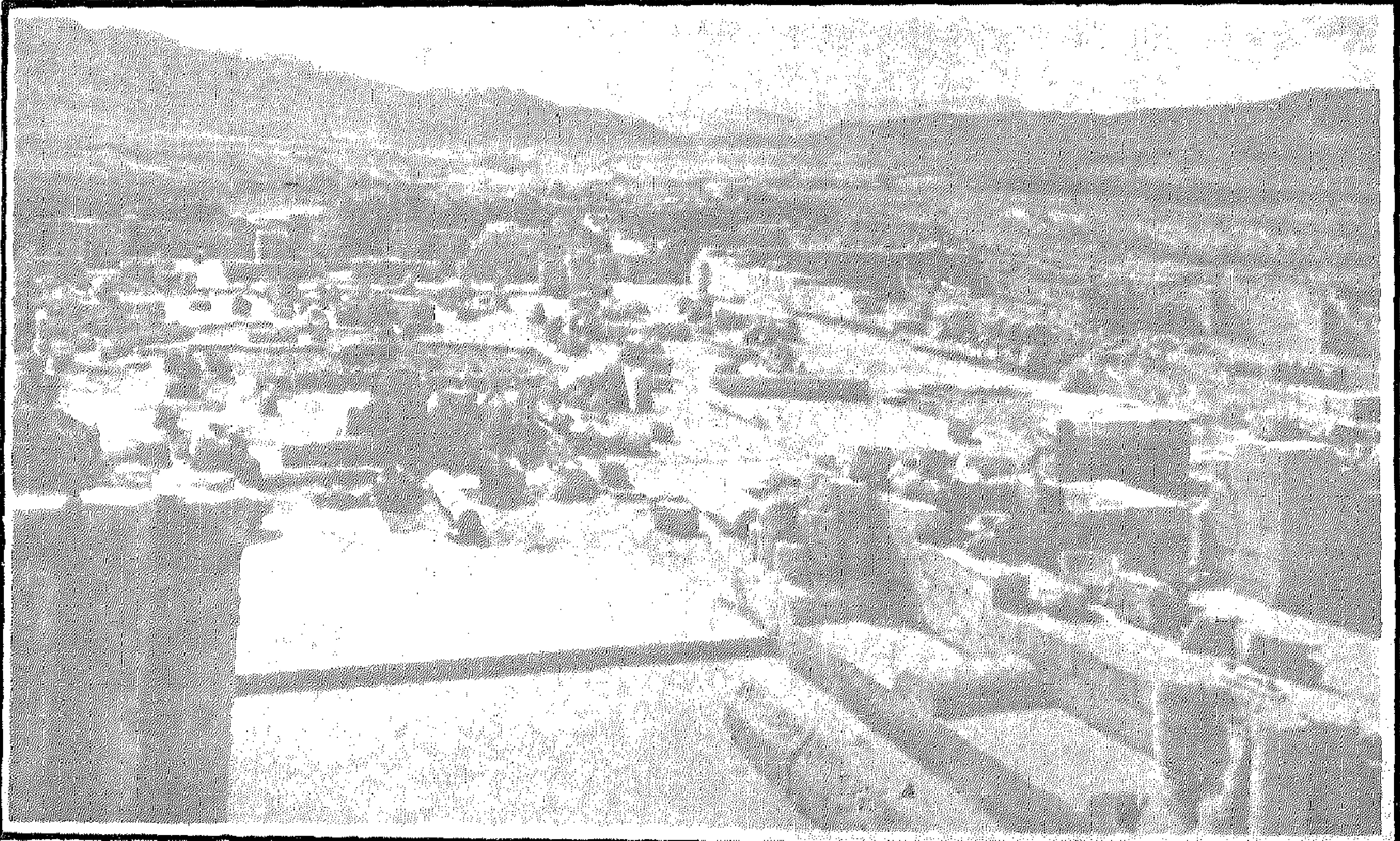
اما قصر "الحير الغربي" فأقيم بجوار حمام بيزنطي قديم دمج بالقصر الجديد. في وسطه صحن كبير واسع محاط بالاروقة على طابقين. وتؤدي هذه الاروقة الى غرف واواوين عديدة. واهمية هذا القصر تعود الى الافراط في زخرفته عند المدخل. فحجارته مغشاة بالجبس المنقوش من اسفله الى اعلاه بالاشكال الهندسية والنباتية التي تتخللها أشخاص وحيوانات. وهذه النقوش آية في دقة الحفر والرونق (شكل ١). وقد نقلت هذه النقوش برمتها واعيد تركيبها في جناح من اجنحة متحف دمشق. عدا ذلك، فجدران الغرف داخل القصر مزدانة بزخارف متعددة الالوان تطفو عليها الاشكال الهندسية ولكن تتخللها الاشكال النباتية وصور اشخاص وحيوانات (شكل ٢).

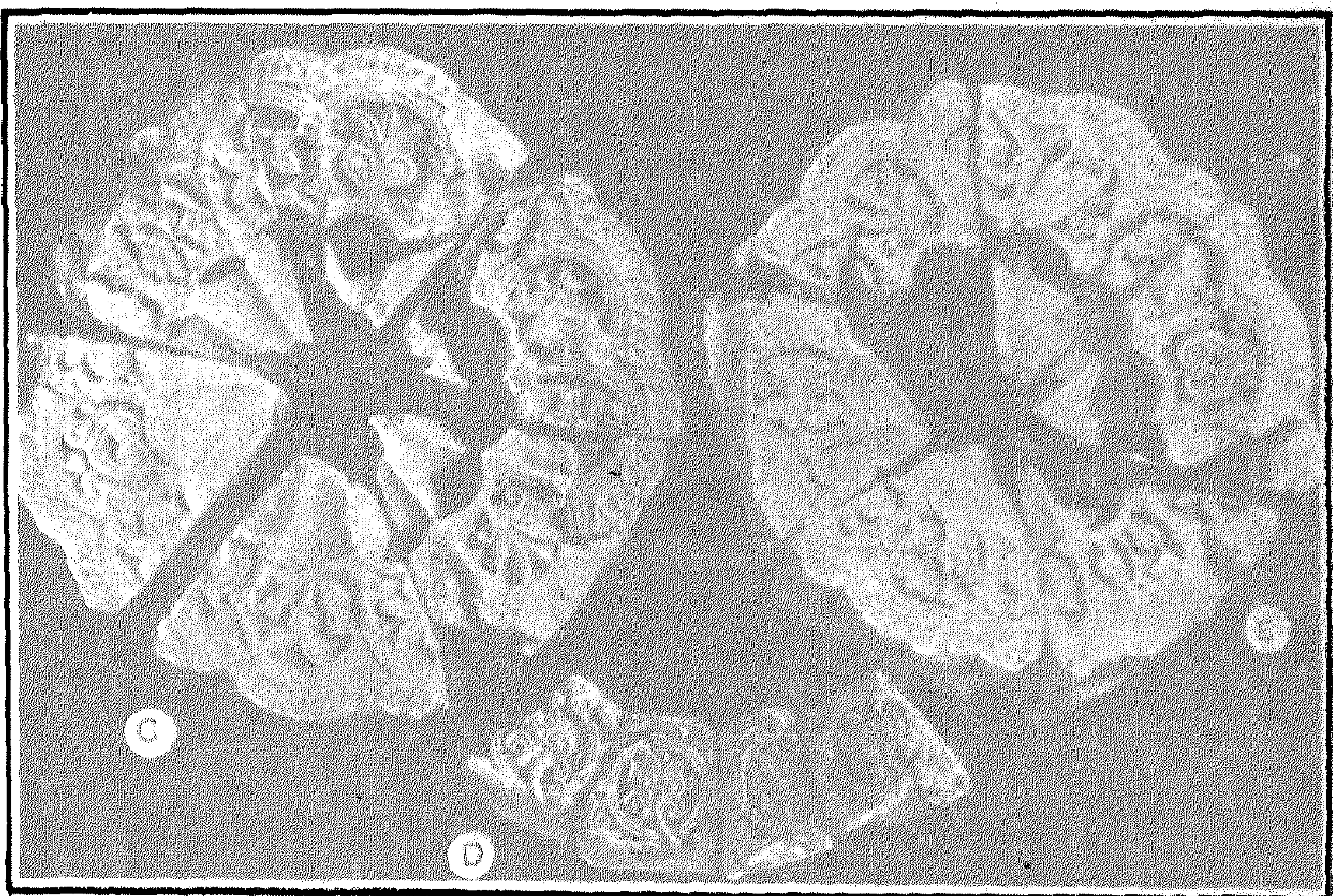
قصر "خربة المفجر"

اما اهم قصر اقامه الخليفة هشام فهو القصر في "خربة المفجر" قرب اريحا. اذ أنه كقصر "الحير الغربي" مبني حول صحن داخلي مربع تقريبا تحيط به الاروقة المظللة بالعقود والمرتكزة على الاعمدة والاقواس على طابقين. انما زيادة على سائر القصور، فقد زود هذا القصر بصحن امامي طويل يبلغ طوله ١٠٠ متر وعرضه ٤٠ متراً. ويصل القصر بالصحن الامامي باب مبني ضمن برج مستطيل هائل. وعلى جانبي البرج اروقة على الطابق الاسفل ترتكز على اعمدة طابقين. والاقواس ضخمة كل منها مؤلف من اربعة اعمدة متلاصقة وفي الطابق الاعلى ترتكز الاقواس على اعمدة من الرخام يصل العمود بالاخر دربزين من الجبس المنقوش (شكل ٣).

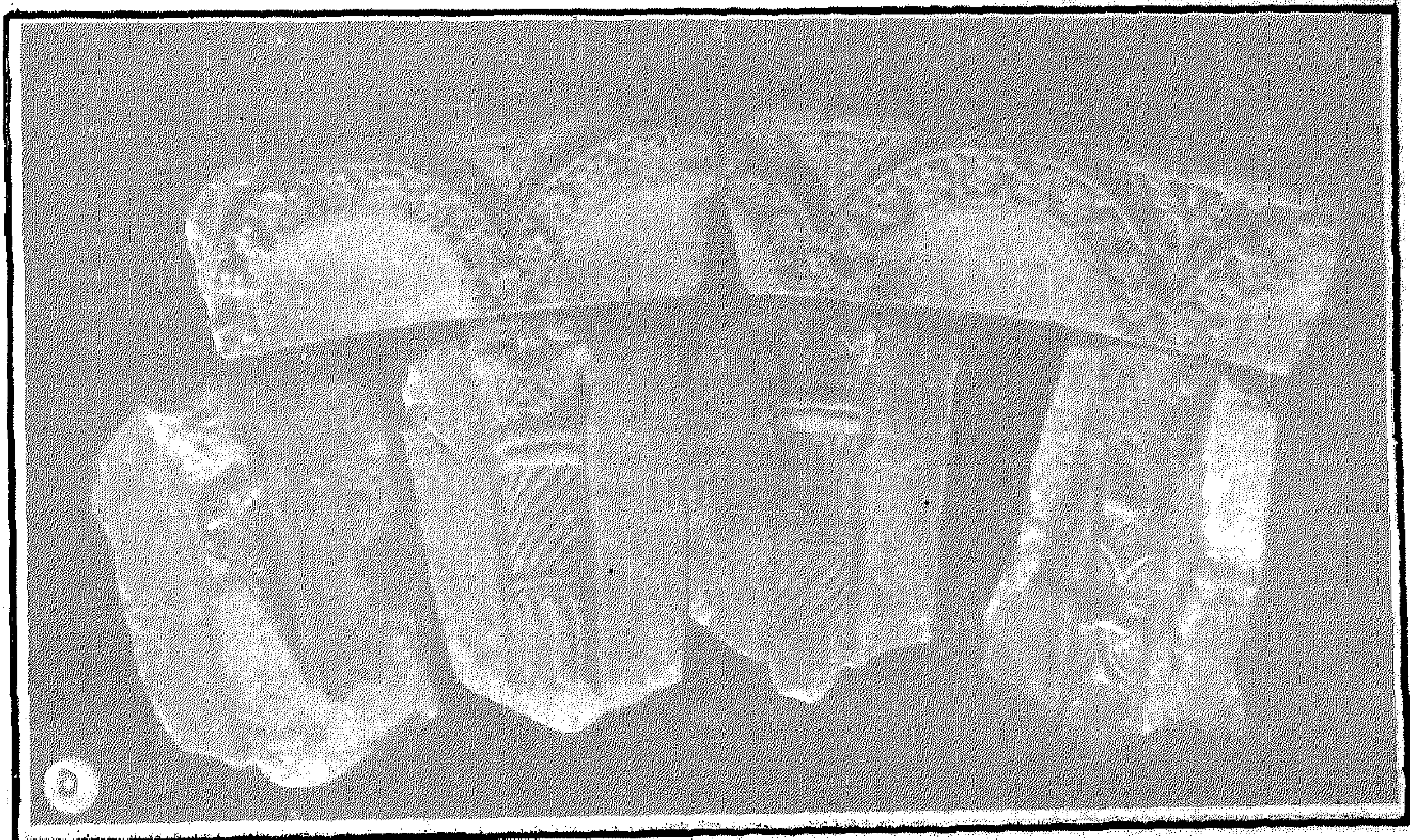


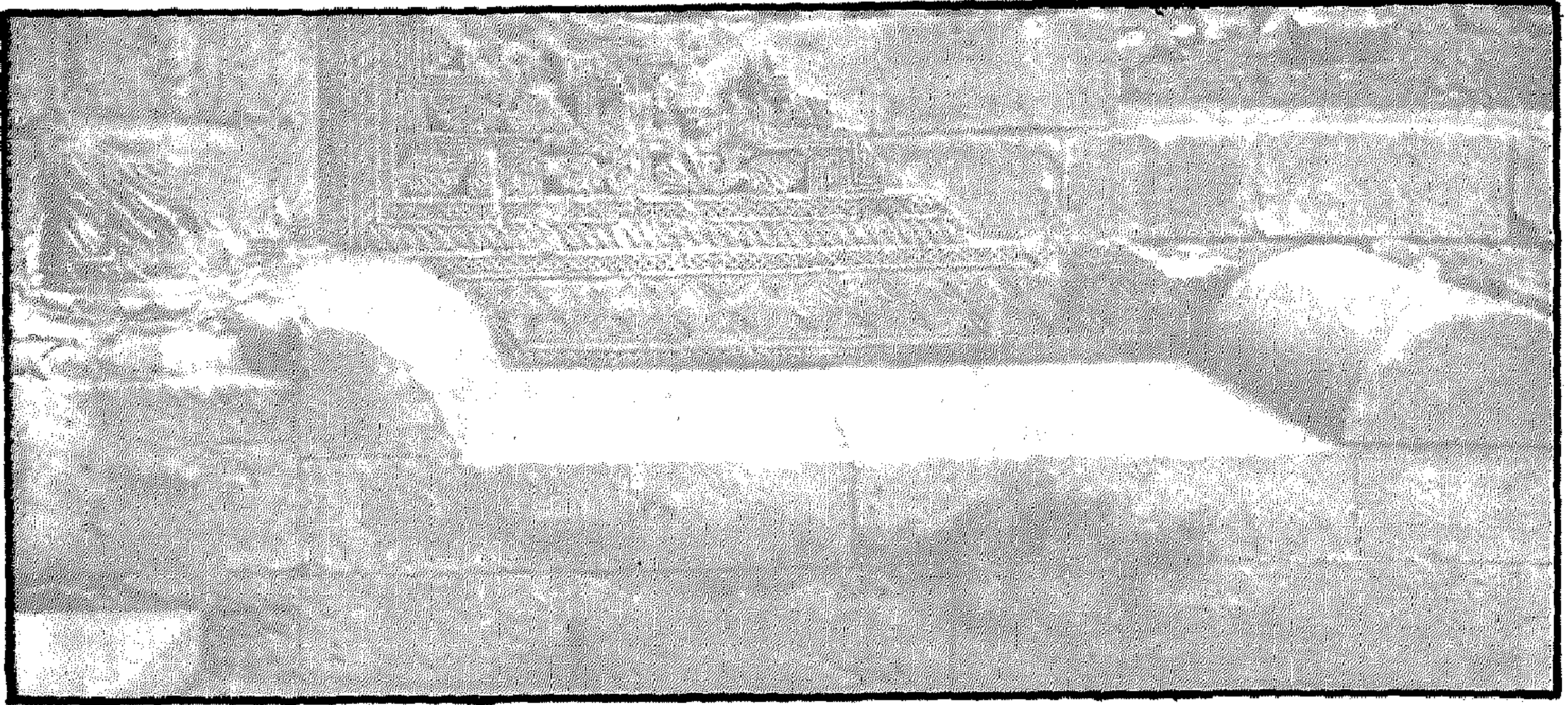
بوابة القصر والمدخل مع الصحن الداخلي

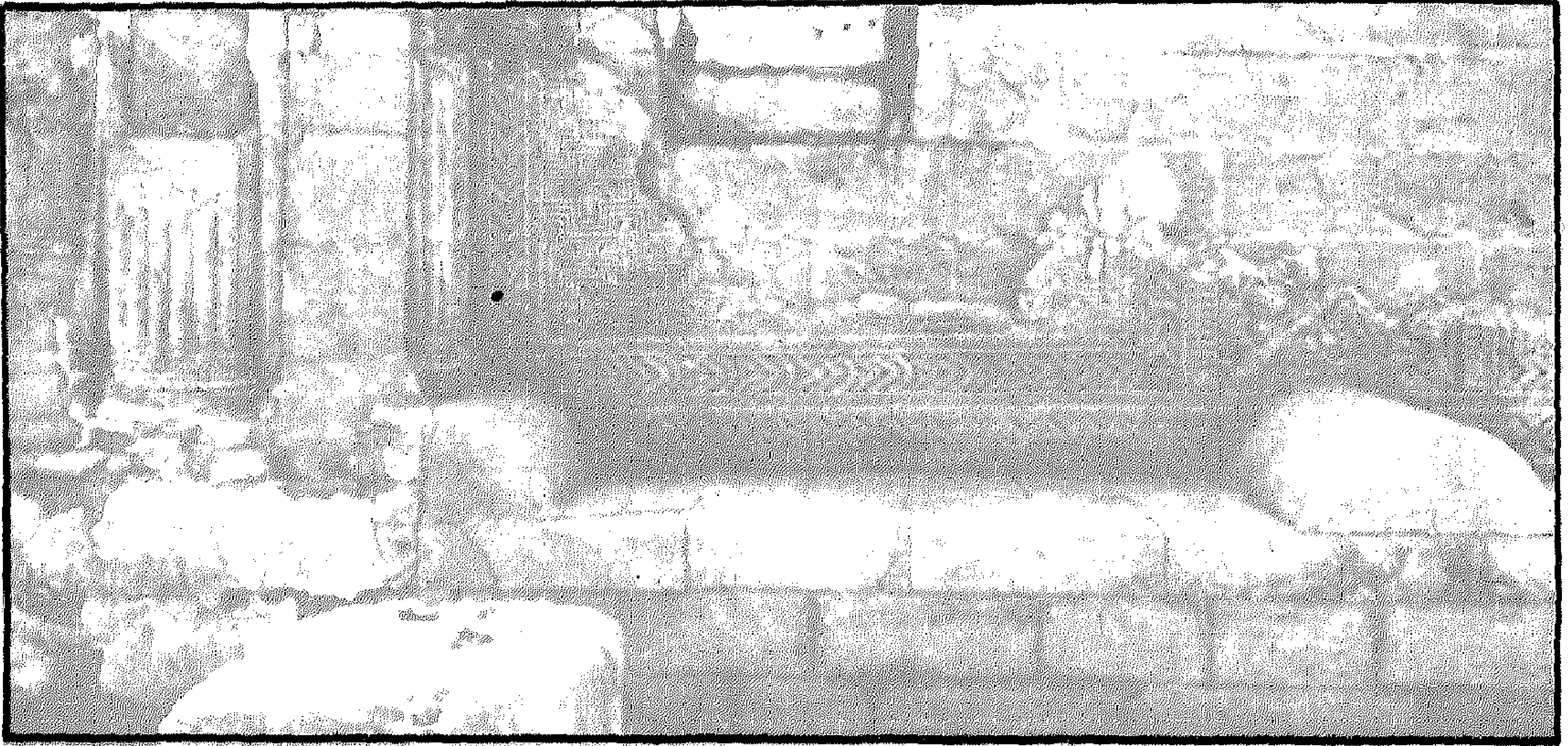


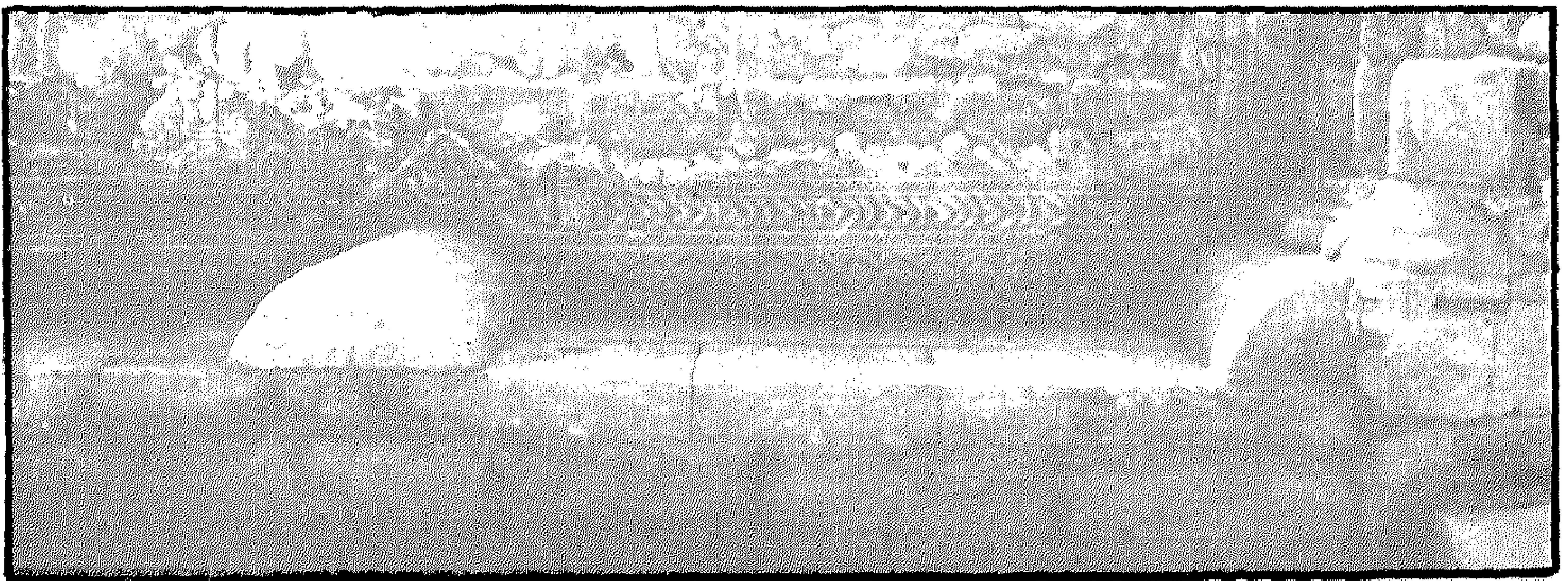


■ زخارف فوق مدخل القصر









■ ايوان مدخل القصر

على الباب رسوم مقاعد جانبية، وفوق المقاعد كنار مزخرف بالاشكال النباتية ترتكز عليه محاريب صغيرة مكللة برؤوس مزخرفة بالاشكال الهندسية والنباتية (شكل ٤)، وعلى جانبي كل محراب عمودان صغيران مزخرفان بالنقوش النباتية، ويعلو المدخل قوس مزخرف بالمحاريب الصغيرة شكله مثل شكل الاقواس الاندلسية أي انه مقسم الى عدة اقواس صغيرة في داخله، (شكل ٥)

وعضادتا الباب مع القبة الفوقية مزخرفة ايضا بالاشكال النباتية والهندسية (شكل ٤)، وداخل الباب ايوان مستطيل على جانبيه مقاعد، وجدرانه مكسوة بالجبس المنقوش باشكال هندسية ونباتية (شكل ٦) ورؤوس رجال وراقصات،

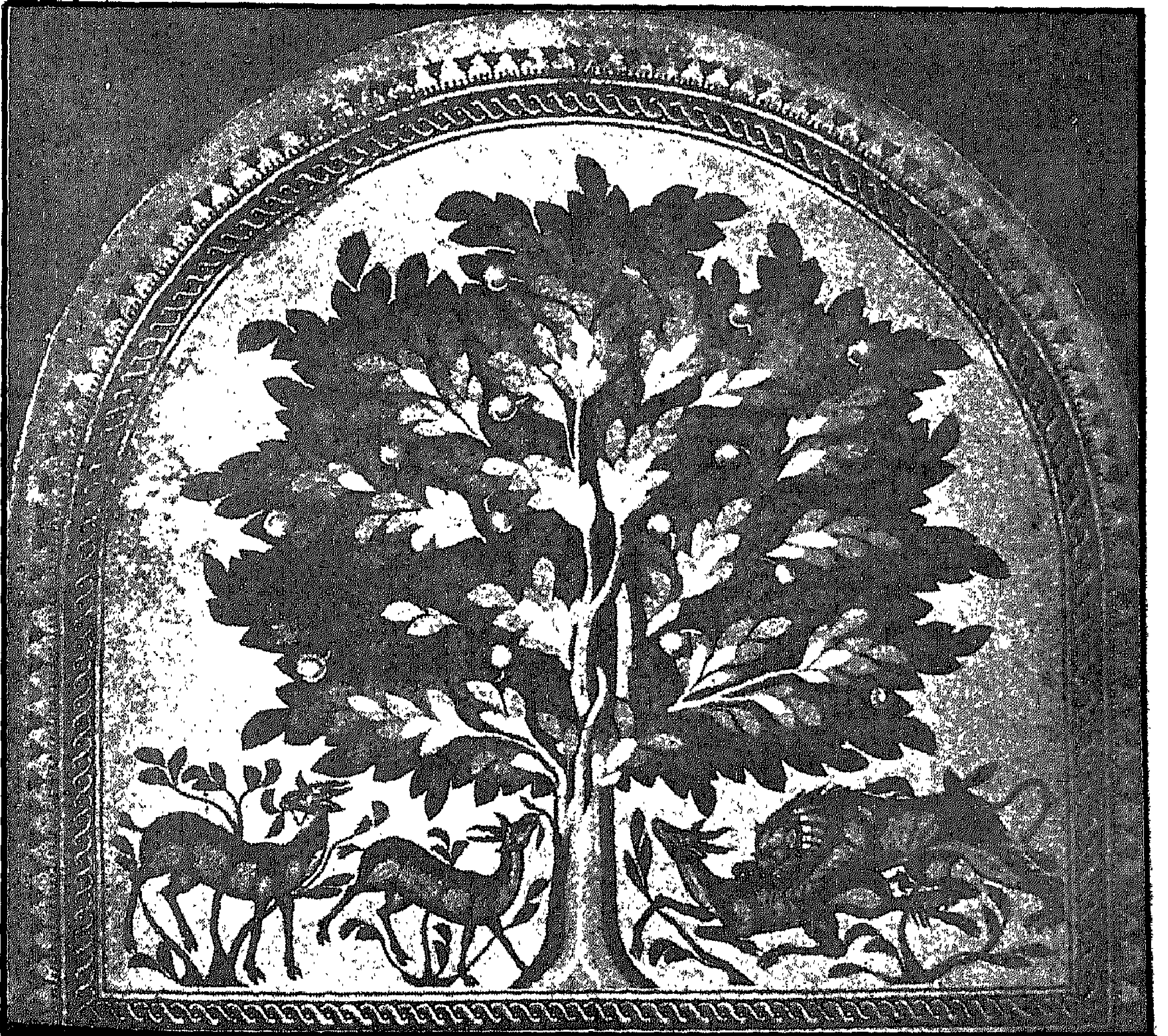
والصحن الداخلي مع الاروقة المحيطة به كلها مرصوفة بالبلاط الاسود، اما الابنية خلف الاروقة فيوجد بينها البناء الغربي حيث ديوان الخليفة تعلوه في الطابق الاعلى غرف سكن الخليفة واسرته، وهو مكون من ايوان في وسطه وايوانان على طرفيه، بينها عدة غرف صغيرة كلها مرصوفة بالمدة الحمراء، اما الاواوين والغرف في الطابق الاعلى فكانت مرصوفة بالفسيفساء (المزاييك)،

وتحت هذا البناء يوجد حمام الخليفة الخاص يمكن الوصول اليه بدرجات تهبط تحت الارض، والحمام مؤلف من غرفة مستطيلة في آخره حاجز للاستحمام ومجهز باقنية لجلب المياه النظيفة واخرى لصرف المياه بعد الاستعمال، والقسم الامامي من الحمام مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان من ابيض واحمر وبرتقالي وزهري واخضر واسود،

والبناء الشمالي مؤلف من ايوان واحد طوله ٣٠ مترا وعرضه ١١ مترا، يظهر انه كان ايوان الولائم فسقفه يرتكز على عدة اقواس، وهذه الطريقة التي كانت متبعة لسقوف الدواوين الكبيرة لدى الامويين اقتبسوها من الرومان،

والبناء الشرقي مكون من ١٦ غرفة تؤدي ثمان منها الى داخل القصر والثماني الاخرى الى خارجه

■ فسيفساء في غرفة الاستراحة في الحمام



فقط اذ ليس هناك اتصال بين الغرف الخارجية والغرف الداخلية • ويظهر ان الغرف الخارجية كانت معدة للخدم •

والطابق الاعلى في هذا البناء يشرف على البحر الميت والجبال خلفه عن طريق الاروقة امامه والتي تكلمنا عنها سابقا • وكانت جدران هذا الرواق والغرف خلفه مزدانة بالصور الملونة التي تمثل ابنية ومناظر قنص وحروباً الخ •

وفي وسط البناء الجنوبي مسجد صغير اعد للخليفة واسرته المقربة فقط وحواليه غرف للخدم والوضوء مجهزة بالاقنية لجلب المياه ومصارف لصرفها • وخلف المسجد مئذنة مربعة •

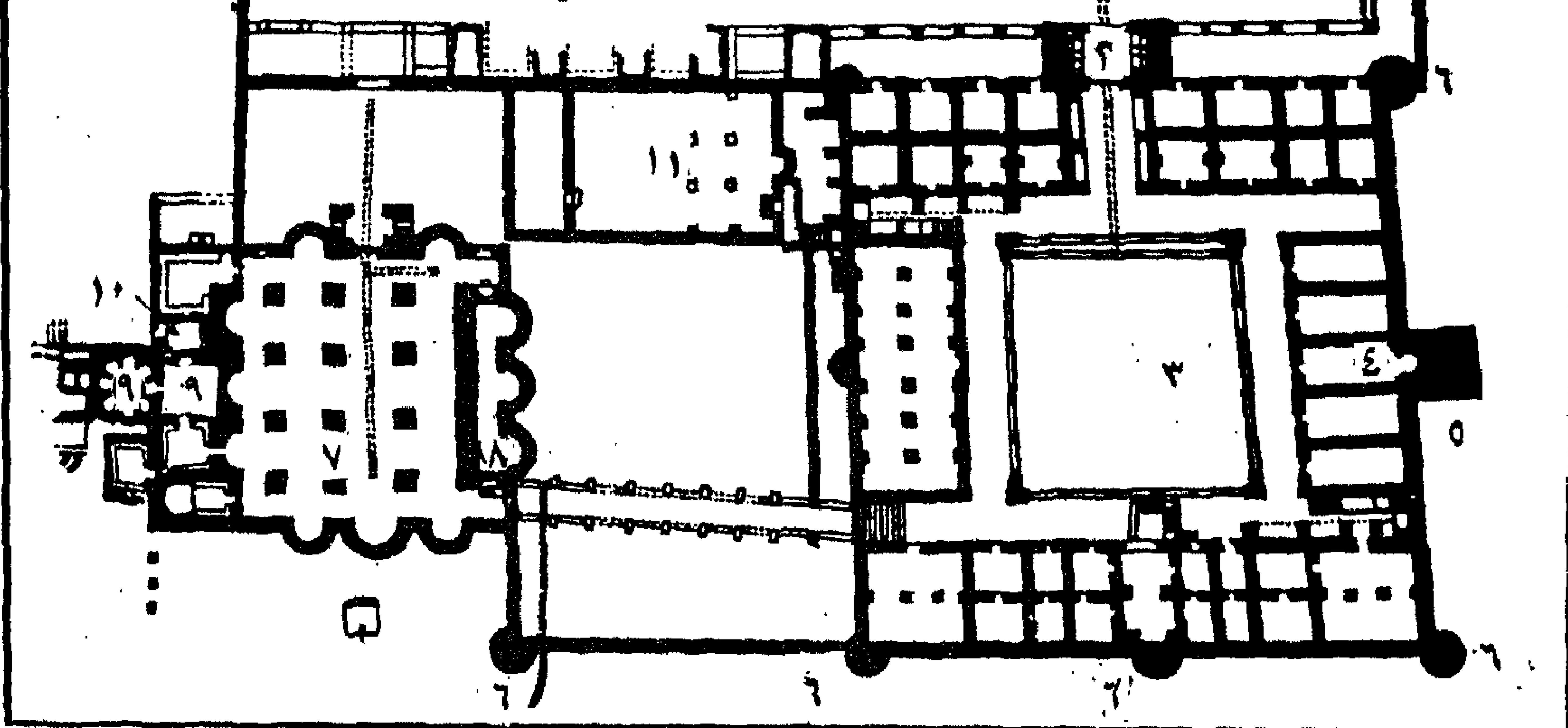
وكانت جدران القصر الخارجية محصنة بابراج مستديرة عند الزوايا ونصف مستديرة في الحائطين الغربي والشمالي •

المسجد الكبير

ويقع المسجد الكبير الى شمال القصر وله عدة ابواب ثلاثة منها في حائطه الشمالي وباب رابع خلف المسجد قرب المحراب لاستعمال الخليفة •



■ زهرة تتخلل اوراقها رؤوس بشرية كانت تزين سقف غرفة الاستراحة في الحمام



والمسجد كأول المساجد في مكة المكرمة والمدينة المنورة كان مسقوفاً نصفه فقط والنصف الاخر مفتوحاً للفضاء ويرتكز سقفه على الاقواس القائمة فوق الاعمدة.

اما الحمام الكبير فيصله بالقصر ممر مسقوف قرب الزاوية الشمالية الغربية من القصر. والحمام عبارة عن بناء مربع طوله ٣٠ مترا مجهز باحد عشر محراباً كبيراً ثلاثة منها في كل جهة من الجانب الجنوبي وثلاثة في الجانب الغربي وثلاثة في الجانب الشمالي واثنان في الجانب الشرقي يتوسطهما المدخل الرئيسي الى الحمام.

وفي آخر الحمام من الجهة الجنوبية حاجز خلفه بركة للاستحمام. وكان الحمام مسقوفا بقبة عالية في الوسط وحوله قبب وعقود ادنى منها جميعها. وهو يرتكز على اقواس ضخمة قائمة على اعمدة مربعة حجم كل منها متران و٣٠ سنتمترا. والحمام مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان. وفي الزاوية الشمالية الغربية من الحمام غرفة مستطيلة مرصوفةبابدعفسيفساء وجدت في الشرق الادنى وهي تمثل شجرة رمان تحتها اسد يفترس ظبيا من جهة وظبيان من الجهة الاخرى (شكل ٧) وجدرانها مكسوة بالجبس المنقوش (شكل ٨).

ومدخل الحمام الرئيسي كان من الشرق وهو عبارة عن برج صغير مسقوف بقبة وجدرانه مزدانة بالمحاريب الصغيرة داخل كل واحدة منها تمثال لجارية شبه عارية او رجل يلبس وزرة في وسطه.

اما طريقة معرفة تاريخ القصر فتمت بالمقارنة مع قصور الامويين المعروفة في شرقي الاردن وسوريا وفلسطين وايضا بالعثور على رقعتين من الرخام وجد اسم هشام امير المؤمنين مكتوباً عليهما.

وفي القسم الشمالي من الصحن الأمامي بركة ذات نافورة ومسقوفة بقبة قائمة على اربعة أعمدة ضخمة تحيط بها منمنمة تماماً مثل قبة الصخرة المشرفة بالقدس.

قصر المنية

و"قصر المنية" اقيم على النمط ذاته انما غلب فيه استعمال المنحدرات بدلا من الادراج، وكثر فيه استعمال الفسيفساء المتعددة الالوان في اغلب الغرف. هناك بيت مؤلف من ايوان واربع غرف كلها مرصوفة بالفسيفساء.

عدا هذه القصور ففي شرقي الاردن عدة قصور اموية اخرى سنتحدث عنها في فرصة اخرى.

ويجدر اختتام هذه الكلمة بترديد ابيات للشاعر الفارسي الشهير عمر الخيام تنطبق على ما حل بهذه القصور من دمار.

وقصور زاهرات زاهية ... عفر الصيد الجباه الحاليه

في ثراها لمليك طاغية ... اصبحت مأوى حمام رتلا

حر في محيل متداع

قصة ورقة التبغ .. وتاريخ التدخين في العالم



د . عزيز قليلات

■ احدث الدعايات الحديثة ضد التدخين ومضاره

د. عزيز قليلات: خريج جامعة شارل الرابع – براغ.

التبغ (كلمة إسبانية "تاباغو" مأخوذة أساساً من لغة مجهولة في أميركا الوسطى) هو اسم لنبتة حشيشية من فصيلة (Solanacées) وهذا الاسم يدل على مجموعة المستحضرات الناتجة عن تجفيف أوراق هذه النبتة، أحضر إلى أوروبا في بداية القرن السادس عشر واصبح احد مصادر تخدير الرجل (التدخين).

احد التقارير الصادرة عن المنظمة العالمية للصحة عام ١٩٧٤ أكد خطر التدخين على الوجه التالي:

"التدخين هو عامل خطر بأهمية كبيرة. فنسبة الوفيات بين المدخنين تتجاوز نسبتها بين غير المدخنين بـ٣٢٪. وهو يتحمل جزءاً كبيراً من مرض سرطان الرئة، النزلة الصدرية وضيق التنفس.

"وتعود للتدخين نسبة كبيرة من الوفيات الـ Foetale ويمكن ان يتسبب في الـ Teratogene ... وبمقدار ما يزداد إنتاج واستهلاك هذه المادة، يجب الاهتمام بوسائل الحد من الانتشار".

يبدأ تاريخ التبغ مع اكتشاف كريستوف كولومبس لأميركا عام ١٤٩٢. وبالفعل فان هنود أميركا كانوا يتوارثون زراعته واستعماله جيلا بعد جيل في كل قطاعات "الارض الجديدة" وذلك إستناداً الى تاريخ الغليون المصنوع من التراب المجفف (الطين).

وتاريخ التبغ هذا وتاريخ استعماله أثارا مناقشات كثيرة. فالمخالفون لهذه النظرة قدموا اثباتين. وجود كتابات يونانية ـ رومانية واكتشاف أشياءكالغليون أثناء الابحاث عن الآثار (في فرنسا وسويسرا وايرلندا وإيطاليا). وبالفعل فقد ثبت الآن ان هذه الأشياء كانت تستعمل لتدخين النباتات ذات الرائحة وأحياناً بهدف علاجي. وهذا النوع من الاستنشاق ينصح به الاطباء اليونانيون.

قبل وصول الأوروبيين إلى الأرض الجديدة، كانت أميركا مأهولة بالهنود الموزعين على شكل قبائل، أكثريتهم قرب الأطلنتيك، والبقية في الوسط وإلى الغرب. أهم هذه القبائل كانت: الايروكوا ـ الهرون ـ الابوا ـ الشيين ـ الاوتار ـ الوهاوكس والسيو.

ولأن التبغ ينبت طبيعياً في السهول، اعتقد الهنود ان هذه النبتة هي هبة للاتصال بالأرواح. وأغلب الطقوس الدينية التي وضعها الهنود انفسهم اعطت التبغ صفة الرمز الديني، ومن الشكل البري انتقل التبغ الى نبتة جديرة بالعناية وذات قيمة مهمة.

ففي قبائل السيو أصبح الرجل الطبيب (أو الساحر) هو "حارس الغليون". وهو مقدس اعطى من روح الزلزال نفسه. وعادة الغليون المقدس انتقلت عند السيو بواسطة الفم من ساحر الى آخر وعلى مدى قرون عدة.

ولعب التبغ دوراً مقدساً ومهماً وجرى استغلاله للاستعمال قبل حالات الولادة. كانت المرأة الحامل تزور الساحر: فاذا أرادت صبياً كان هذا يضع لها سهماً مزيناً بالتبغ، وإذا ارادت فتاة كان يقيم على الارض حلقة من أوراق التبغ مع شعر امرأة معقود.

وكان التبغ ذا أهمية في تقوية معنويات الصبي الذي يريده أهله محارباً. وكانت الطقوس تجري بوضع الغليون المقدس في الوسط وبعدما تجري عملية تطهير الفتى من الأرواح كان عليه اشعال الغليون وتدخينه.

★ ★ ★

لقي التبغ نجاحاً كبيراً في أوروبا عندما احضر إليها بواسطة البحارة البرتغاليين والإسبانيين والهولنديين. وعرف انتشاراً واسعاً مصحوباً بنجاح ملموس لكونه حلّ محل أدوية أكثر تخديراً وجسّد فكرة ان الطبيعة هي التي تساهم في شفاء المرض.

وإذا كان التبغ قد وصل إلى المرافىء البريطانية بواسطة "جاك كارتييه" في سان مالو عام ١٥٣٦ فان ظهوره الرسمي في فرنسا يعود إلى تيفيه وإلى "جان نيكو".

كان تيفيه راهباً. وبعد عودته من رحلة على الشواطىء البرازيلية غرس في حديقته عدة شتلات كان قد أحضرها معه كنوع من الحشرية الزراعية. وبين هذه الشتلات كانت توجد شتلات تبغ. لم يكن يرى في هذه النبتة إلا نوعاً من التجميل ومرّ "اكتشافه" دون معرفة.

أما نبتة "جان نيكو" فقد لقيت اهتماماً أكثر. فقد قرر هذا السفير الفرنسي لدى البرتغال والذي كانت وظيفته تدفعه الى الاهتمام بالتجارة الجديدة القادمة من "العالم الجديد"، وبعد أن شفي أحد المقربين إليه بواسطة التبغ قرر زراعة هذه النبتة وأصبح بستانه مقصداً لكل طالب للشفاء.

أرسل "نيكو" نموذجاً من أوراق التبغ إلى شقيقه كاردينال اللورين. ودون شك كان هو الذي أدخل النبتة إلى القصر الملكي وعالج "كاترين دي مديسيس" وشفاها من أوجاعها وانتشر "النموذج الملكي" واتبع من كل انحاء المملكة ـ استعمل اولا للعلاج وبعد ذلك للذة التدخين. آنذاك صدرت عدة مؤلفات عن التبغ ـ العلاج.

وفي القرن السابع عشر كان الغليون معروفاً في



■ رقصة التبغ التي [illegible]

الاوساط الأرستقراطية والبرجوازية في المدينة وبيع التبغ في البداية في الصيدليات تحت إسم (كليستير بوم نازي) ثم انتقل إلى المؤسسات الرسمية ورغم إنشاء مزرعة التبغ عام ١٧٦٤ فقد بدأ تهريبه ومزجه بأنواع أخرى وبالماء من أجل زيادة وزنه عند البيع.

ولكن رغم كل هذا النجاح عرف التبغ بعض المقاومة. ففي هذه الفترة احتج بعض الأطباء بأنه يسبب أمراضاً ومنعته الكنيسة وبعض الحكومات (وفي تركيا كانوا يقطعون أنف وشفاه المدخنين).

التبغ والسرطان

في القرن الثامن عشر أصبح الغليون أكثر شعبية وأوحى بصناعة مكثفة لعلب التبغ من العادية الى الاكثر إناقة. كان الغليون في البداية يصنع من الطين في دنكرك وسان هومير وروان. وبعد ذلك بدىء بصنعه من الخشب في باريس وسان كلود. وعند إنشاء مزرعة التبغ احتفظ "كولبير" للدولة بحق بيعه (١٦٧٤) وبعد ذلك بصنعه (١٦٨١). وانتاجه كان حراً ولكن بقوانين صارمة.

ورغم قسوة العقوبات ـ الجلد واحياناً الاعدام في عام ١٧٨١ ـ لم تتوقف عمليات الغش والتهريب الا عند اندلاع الثورة.

وفي ١٨١٠ عدّل نابليون مرسوم صنع وبيع التبغ واستحدث "الريجي" التي ما زالت قائمة حتى اليوم.

في هذه الفترة بدأت الأبحاث العلمية. وفي عام ١٨٠٩ اكتشف "نيقولا فوغلان" مواد آزوتية في خلاصة احدى اوراق التبغ. وبعد عشرين عاماً وضحت معالم هذه المواد وعرفت "بالنيكوتين" بواسطة "بوسلت وريمان".

بعد سنوات أعلن أحد أطباء مونبلييه ويدعى بواسون أن بين المصابين بالسرطان عدداً كبيراً من مدخني الغليون.

وهكذا يربط العلماء بين التبغ والسرطان، وابحاث كثيرة تجري منذ عدة سنوات في هذا الاتجاه.

الدراسة الزراعية

لا ينتمي التبغ الى فصيلة النيكوتيانيا (والمعروف منها ستون نوعاً مختلفاً) من عائلة Solanacées والتي تضم البطاطا والبندورة والتوابل...... وأغلب انواع التبغ اميركية وتوجد أيضاً أنواع اوسترالية. وخلاف عدة أنواع تستعمل للزينة فالتبغ المعتنى به نوعان فقط:

(النيكوتيانيا تاباكوم) ويسمى بالتبغ الكبير (والنيكوتيانيا روستيكا) ويسمى بالتبغ الصغير.

التبغ الكبير والذي يسمى احياناً (بالتبغ الذكر) هو نبتة كبيرة سنوية يبلغ طولها مترين أحياناً وهي تحمل اوراقاً كبيرة متفرقة بشكل بيضاوي وتدعى (المتشعبة) ويصل حجمها أحياناً الى ٧٠ سم طولا و٤٥ سم عرضاً وأزهارها ذات لون زهري او احمر وأحياناً اصفر. وتحمل الثمرة عدداً كبيراً من البذور الصغيرة الحجم (من عشرة إلى ثلاثة عشر ألف حبة في الغرام الواحد) وتخرج من النبته رائحة قوية جداً.

التبغ الصغير او (التبغ الانثى) لا يبلغ طوله أكثر من متر واحد. اوراقه بيضاوية وطرية. زهرته صفراء اللون وتحتوي على بذور أقل من صنف التبغ الكبير ولكن بحجم أكبر.

أنتاج التبغ

قفز الانتاج العالمي للتبغ من ٢،٨٤١،٨٠٠ طن عام ١٩٤٨ إلى أكثر من خمسة ملايين في عام ١٩٧٤ ويتوقع أن يزيد عن الستة ملايين طن عام ١٩٨٠. وتأتي آسيا في الطليعة بنسبة ٤٥٪ من الانتاج وهي تتقدم أميركا الشمالية تنتج ٢٣٪ ولكن الولايات المتحدة تعطي الانتاج الاكبر في الهكتار الواحد (٢٣٢٤ كلغ).

ومنتجو التبغ الرئيسيون عام ١٩٧٤ في العالم كما يأتي:

١ ـ الصين	٨٠٣٠٠٠ طن
٢ ـ الولايات المتحدة	٧٩٣٢٢٣ طن
٣ ـ الهند	٤٠٩٢٠٠ طن
٤ ـ البرازيل تقديراً	٢٥٥٠٠٠ طن
٥ ـ الاتحاد السوفياتي	٢٤٠٠٠٠ طن
٦ ـ تركيا	١٤٢٠٠٠ طن
٧ ـ اليابان	١٤٢٠٠٠ طن
٨ ـ بلغاريا	١٤٢٠٠٠ طن
٩ ـ كوريا الجنوبية	٩٣٩٠٠ طن
١٠ ـ الباكستان	٨٦٩٣٠ طن

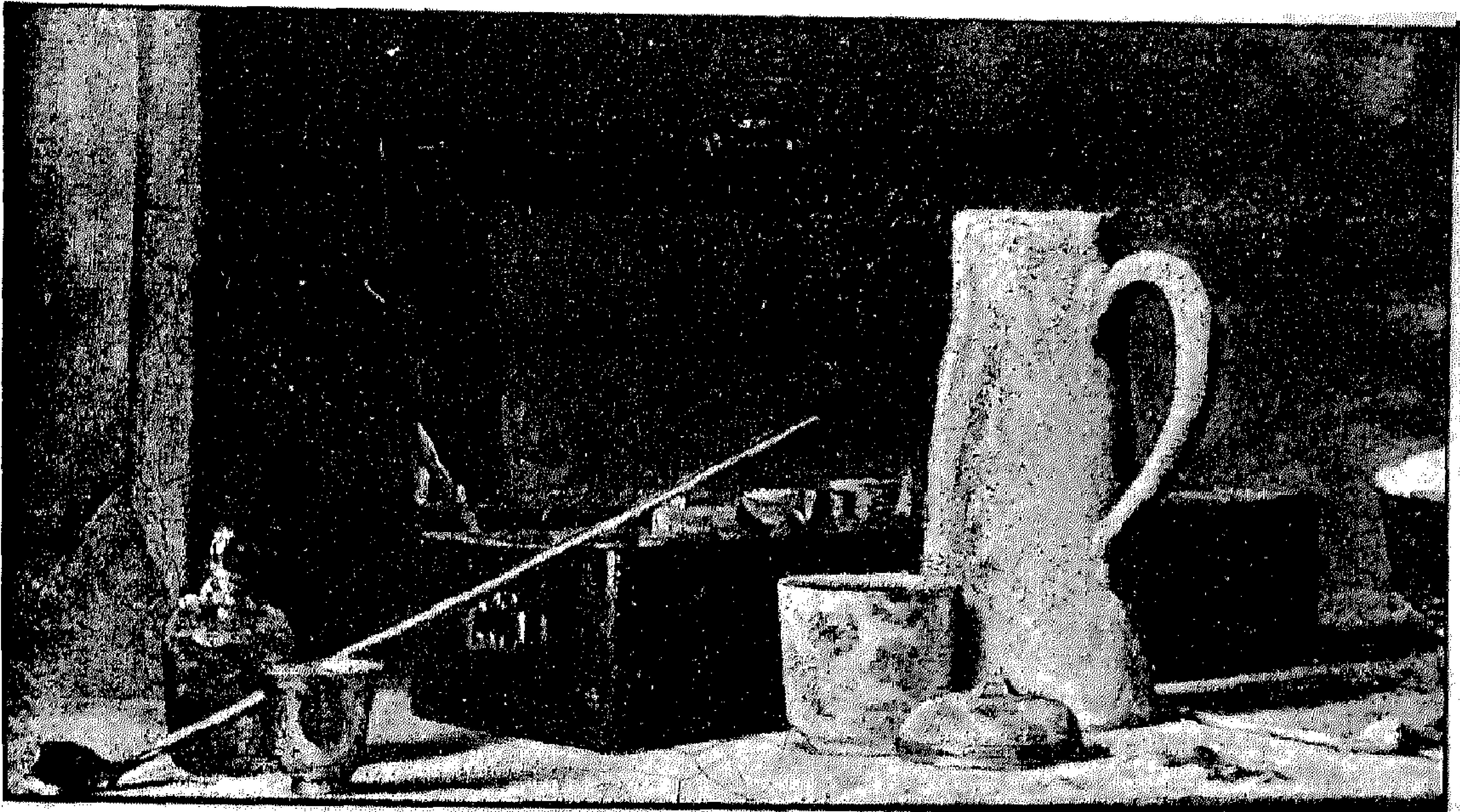
تأتي بعد ذلك اليونان وتنتج ٨٥٠٠٠ طن ثم ايطاليا وبولونيا واندونيسيا والمكسيك وكندا. ولا يتجاوز انتاج فرنسا الخمسين الف طن.

وبالنسبة للمساحات المزروعة فقد تحولت ثلاثة ملايين هكتار عام ١٩٤٨ الى أكثر من أربعة ملايين عام ١٩٧٢.

استهلاك التبغ في العالم

يجب التمييز بين استهلاك التبغ باشكاله المختلفة وعلى شكل لفائف والاستهلاك السنوي للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة هو كما يأتي:

ويأتي في هذه الاحصائية استدراك هو أن نسبة الاستهلاك المذكورة أدناه اعتمدت على كمية المبيعات السنوية وعلى عدد السكان الذين تجاوزوا الخامسةعشرة. ولذلك فان الاحصاءات المتعلقة ببعض البلدان مغلوطة بعض الشيء نسبة الى الكمية المباعة للاجانب المارين بهذه البلدان. (المصدر: لجنة أبحاث التبغ انسكلوبيديا التبغ).



■ في القرن الثامن عشر اتقن المدخنون التدخين الى درجة انه تحول من وسيلة لعلاج الاوجاع الى وتسلية لهو. في الصورة المعدات الضرورية لكل مدخن في ذلك العصر.

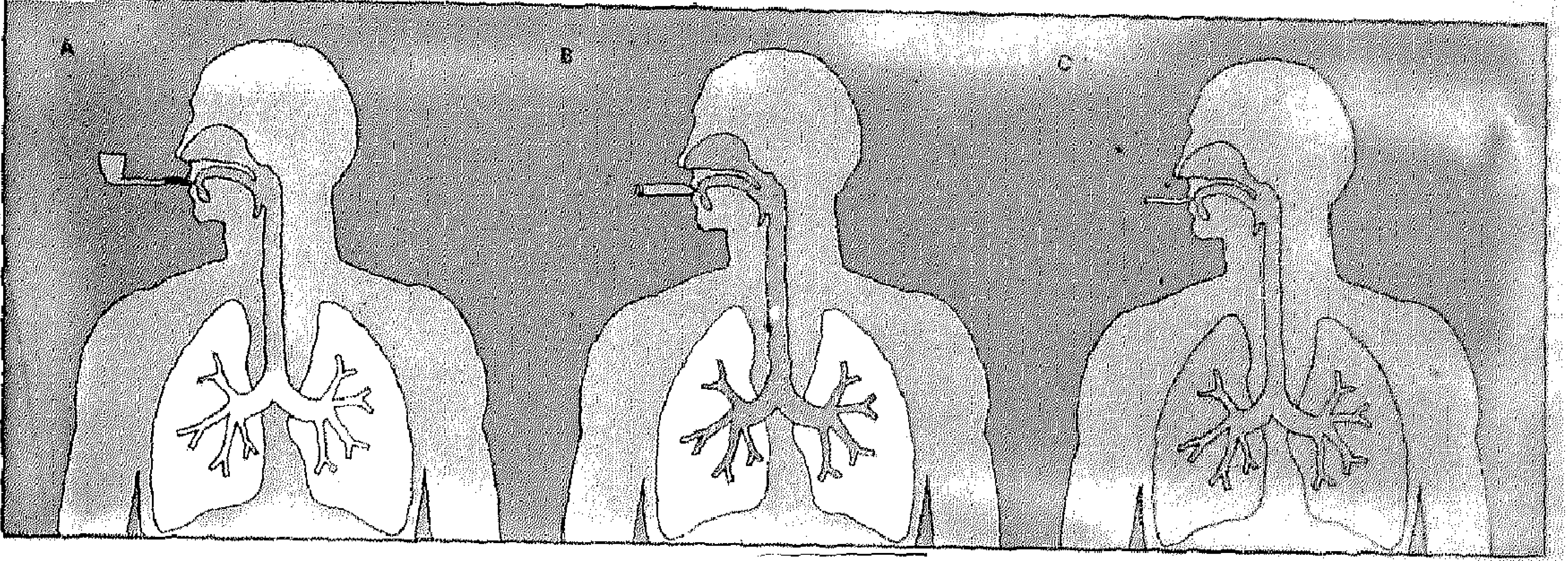
البلد	١٩٣٥	١٩٧٠
أفريقيا الجنوبية	١،٥	٢،٣
المانيا	٢،٢	٢،٣
المانيا الديمقراطية	٢،٢	٣،٠
الارجنتين	٢،٠	٢،١
استراليا	١،٨	٣،٣
النمسا	١،٧	٢،٥
بلجيكا	٣،١	٣،٤
البرازيل	١،٦	١،٧
كندا	٢،٢	٤،٤
اسبانيا	١،٦	٢،٤
الولايات المتحدة	٣،٥	٤،٣
فنلندا	١،٢	٢،٢
فرنسا	١،٧	٢،٦
اليونان	١،١	٢،٦
إيسلندا	١،١	٣،٩
إيطاليا	٠،٩	١،٨
اليابان	١،٤	٢،٨

والاستهلاك السنوي للمواطن الذي تجاوز الخامسة عشرة من اللفائف المصنوعة

البلد	١٩٣٥	١٩٧٠
أفريقيا الجنوبية	٥٢٠	١٣٦٠
المانيا	٧٢٠	١٣٦٠
المانيا الديمقراطية	٧٢٠	٢٥٠٠
الارجنتين	١٠٦٠	١٨٠٠
استراليا	٤٥٠	٢٩١٠
النمسا	٨٦٠	٢٣٣٠
بلجيكا	٧٩٠	٢٣٨٠
البرازيل	٦٠٠	١٣٥٠
كندا	٧٠٠	٢٣٤٠
الدانمارك	٤٧٠	١٦٩٠
اسبانيا	٣٩٠	٢١٠٠
الولايات المتحدة	١٤٥٠	٣٦٧٠
فنلندا	١٣٥٠	١٨٥٠
فرنسا	٥٣٠	١٨٣٠
اليونان	٩٦٠	٢٢٦٠
الهند	٨٠	١٩٠
ايرلندا	١٢١٠	٣٠٤٠
ايسلندا	٤٩٠	١٩٥٠
الهند	٠،٢	٠،٨
المغرب	٠،٤	٠،٨
المكسيك	١،٥	١،٦
النروج	١،٥	٢،٣
زيلندا الجديدة	٢،٠	٣،٥
هولندا	٣،٨	٤،٠
البرتغال	٠،٦	١،٣
المملكة المتحدة	٢،٢	٢،٧
السويد	١،٦	٢،٠
سويسرا	٢،١	٤،٧

٥ بلدان

إن كندا والولايات المتحدة وهولندا وايسلندا والدانمارك هي البلدان الخمسة التي يستهلك المواطن فيها أكبر نسبةمن التبغ ولكن في ايسلندا والدانمارك، يتم التدخين بواسطة الغليون أو السيجار، وذلك بعكس البريطانيين والايرلنديين الذين يعتبرون من أكثر مدخني السجائر،



■ رسم يوضح مدى مخاطر تدخين الغليون (A) والسيكار (B) والسيجارة (C).

وبالنسبة لطريقة استهلاك التبغ تأتي السيجارة في الطليعة وتتقدم على الغليون والسيجار، وتوجد طرق اخرى لاستهلاك التبغ بواسطة المضغ والاستنشاق، وإن عادة التدخين بواسطة السجائر الاكثر اتباعاً والاكثر خطراً في الوقت نفسه ونوع السجائر يختلف بالنسبة للبلد وبالنسبة للجنس، وللمهنة ولنفسية المستهلك:

– إن الفرنسيين يفضلون السجائر السوداء ولكنهم يميلون الى الشقراء اكثر فأكثر، (١٣٪ عام ١٩٧٤).

– الالمان الذين كانوا من أكبر مدخني السيجار، يميلون اكثر فأكثر الى السجائر ذات النكهة الاميركية.

– البريطانيون يفضلون تبغ "فرجينيا" والاميركيون يفضلون مزيج التبغ الاشقر.

ان نسبة السجائر ذات الفلتر تزداد باضطراد وهي الاكثر استهلاكاً في بلاد الانكلو – ساكسون.

نسبة السجائر ذات الفلتر في بعض البلدان عام ١٩٧٣

	٪
سويسرا	٩٦
اليابان	٩٦
المانيا الديمقراطية	٨٥
الولايات المتحدة	٨٥
ايطاليا	٧٤
بلجيكا	٦٨
فرنسا	٥٠
هولندا	٥٠
بولونيا	٤٣
روسيا	٤٠
المملكة المتحدة	٨٣

الفلتر

وفكرة زيادة رأس فلتر الى السيجارة تعود الى حوالي قرن، ففي البداية كانت بشكل اسفنجة أو من القطن لمحاولة امتصاص النيكوتين والنفايات.

والسجائر ذات الفلتر ظهرت للمرة الاولى مع الحرب العالمية الثانية وذلك في سويسرا ثم انكلترا، ولم يتخذ الفلتر الموافقة العلمية إلا عام ١٩٥٠ ومنذ ذلك الوقت تجري الابحاث لمحاولة تحسينه وتطويره.

ففي فرنسا تزداد نسبة إستهلاك السجائر ذات الفلتر بسرعة كبيرة: ١٠،٥٪ عام ١٩٦٠، ٢٥٪ عام ١٩٦٥، ٣٧٪ عام ١٩٧٠، ٥٤٪ عام ١٩٧٤.

وطريقة عمل الفلتر مثلثة وتختلف حسب نوع الفلتر المستعمل: فالمرحلة الاولى تحاول (حصر) بعض الاوساخ التي تذهب مع الدخان، في المرحلة الثانية يقوم الفلتر بايقاف المادة الغازية وهكذا يمتص نفايات اخرى.

وأخيراً فان بعض المواد التي تستطيع ان تتجزأ جزئياً مثل النيكوتين والفينول والتي تتجمع كحبيبات مائية صغيرة جداً يمكن امتصاصها بالفلتر.

التدخين ونتائجه

يقصد بالتدخين كل عملية تسمم او اختناق سببها التبغ إن كانت بشكل صوري اوعملي، وهي عملية تسمم قاتلة للجسد بنسبة ما يكون هذا قد احتوى على كمية من الأوساخ، على مدى السنين، من دخان التبغ، وبالأخص دخان السيجارة، أما الغليون والسيجار فان دخانهما لا يبلغ إلا بنسبة ٤٪. أما السيجارة فدخانها كله تقريباً يبتلع،

وهكذا نرى أن نسبة خطر التدخين هي متساوية مع نسبة تدخين السيجارة ٠

فمن حوالي عدة ملايين عام ١٩٠٠ أصبح بيع السجائر اليوم في فرنسا إلى أكثر من سبعين مليارا: ٦٤٪ من الرجال و٤٣٪ من النساء يدخنون ٠ ولناحية المرض فان التدخين يتسبب بحوالي ٦٠٪ من النـزلات الصدرية وبأغلبية حالات ضيق التنفس وبنصف الذبحات القلبية الخطرة ٠

عوامل التدخين في أسباب الوفاة

إن التجارب المتعددة التي اجريت في انحاء العالم تثبت بدون شك ارتفاع نسبة الوفيات لدى المدخنين ٠ وكل سيجارة تجعل مدخنها يخسر ١٥ دقيقة من عمره وهذا ما يعادل حسب الدراسات ثماني الى تسع سنوات لدى احد كبار المدخنين ٠

واستنادا لذلك فان أمل الحياة لشاب في الخامسة والعشرين يكون كالتالي:

- لغير المدخنين أمل ٤٨ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٧٣) ٠
- لصغار المدخنين أمل ٤٢ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٧) ٠
- لكبار المدخنين (أكثر من علبتين يوميا) أمل ٤٠ سنة في الحياة (أي حتى سنة ٦٥) ٠

إن ارتفاع نسبة الوفاة للمدخنين تزداد مع عمق الابتلاع وأيضا حسب عمق استنشاق الدخان ٠ وهكذا نجد أن نسبة ازدياد الوفاة تبقى معدومة لدى مدخني الغليون والسيجار الذين لا يستنشقون ابدا الدخان تقريبا ٠

وعلى سبيل المثال فان سرطان الرئة وهو احدى نتائج التدخين، يتسبب بوفاة أكثر من ٣٠٠،٠٠٠ إنسان سنويا، وأكثر الدراسات تؤكد أن هذه الوفاة تأتي من السيجارة بنسبة ٩٠٪ وان عملية إستنشاق الدخان هي مهمة مثل عدد السجائر او كمية التبغ الكلية ٠

إن دراسات "هاموند" تثبت الوفاة بسرطان الرئة نتيجة لعدد السجائر المدخنة ولطريقة التدخين، وتظهر النتائج في نسبة الوفيات (عدد الوفيات لدى المدخنين نسبة لغير المدخنين) والنسبة تساوي واحد لدى غير المدخنين ٠

التبغ والحمل

لقد تأكد ان التدخين يزيد من خطر الاجهاض لدى المرأة الحامل ٠ ويوجد أيضا خطر النقص في وزن المولود الجديد ٠ وقد نسب إلى التبغ إنه يتسبب في بعض حالات الوفاة عند الولادة ٠

ان تسمم **Foetus** بدخان السيجارة عند الام الحامل له عدة عوامل بينها:

- ■ انخفاض في حجم البيوضات المنوية للنمو ٠
- ■ على النمو بانخفاض الوزن والطول للمولود الجديد بالنسبة للمتوسط للسنين القادمة ٠
- ■ وفوق ذلك كله هنالك عاهات لدى المدخنات أكثر من غير المدخنات بنسبة الضعفين ٠

لماذا ندخن ؟

إن التبغ ليس بالعلاج، هل هو لذة؟ يبدو أن عاملين أساسيين يدفعان إلى التدخين:

- ■ عوامل نفسية خاصة بالمدخن نفسه، اولا التقليد ثم التحرر لدى الشبان ثم العصبية أو الضيق ٠
- ■ عوامل البيئة التي تؤثر بشدة على العوامل السابقة (الاعلانات المشوقة التي تضع التبغ الى جانب الجمال، القوة، السفر والنجاح، وأسلوب العيش خاصة في المدن الكبيرة الصعبة احيانا والتي تخلق حاجة الى الهروب والى لذة الفرار من الضيق، فتكون السيجارة احد الاعذار لكل هذه الاسباب ٠

مصدر الدراسة:

Encyclopédie alpha de la médecine V. 8. N. 118

الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني

من وضع الميثاق الوطني ؟
وماذا كان يحتوي ؟

في القسم الاول من "الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني" عالج الدكتور باسم الجسر تاريخ النضال من أجل الاستقلال ومحاولات فرنسا لعرقلته ثم لاستبداله بمعاهدة مع سوريا ولبنان . وفي هذا القسم يعالج موضوع الميثاق الوطني والتعايش بين المسلمين والمسيحيين ثم المحاولات المختلفة لتفسيره واعادة عجلة البلد الى الوراء... ليخلص الى احدى صور هذه المحاولات وهي الحرب المستمرة في لبنان منذ عام ١٩٧٥ .

د. باسم الجسر

ان فكرة ايجاد ميثاق وطني بين اللبنانيين يساعدهم على تجاوز التناقض الوطني والطائفي الذي قام بعد اعلان دولة لبنان الكبير (١٩٢٠)، بدأت تظهر منذ السنوات الاولى التي تلت قيام الميثاق الجديد. ولكنها لم تبدأ تبلورها إلا في الثلاثينات، ولم تبين معالمها إلا بعد ١٩٣٦.

ذلك أن انقسام اللبنانيين الى فريقين وطنيين — سياسيين — طائفيين، احدهما "كياني — لبناني" — مسيحي — مؤيد للانتداب والثاني "كياني — عربي" — مسلم — رافض للانتداب، لم يكن أمراً طبيعياً أو منطقياً بالنسبة لشعب واحد يعيش في ظل دولة موحدة ويشترك ممثلوه في مجلس نيابي واحد وحكومة وادارة واحدة..

من هنا كان عدد الوطنيين من سياسيين ومثقفين من الذين يرفضون هذا التناقض، يزداد يوماً بعد يوم، وتبرز محاولات دائمة، حزبية او انتخابية او نقابية أو فكرية، هدفها تجاوز الانقسام الطائفي والتضاد الوطني.

من ابرز تلك المحاولات التي جرت بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٣ نشوء احزاب عقائدية: (الحزب القومي، الشيوعي) حزب الاستقلال الديمقراطي ومنها محاولة انتخاب مسلم — هو الشيخ محمد الجسر — رئيساً للجمهورية اللبنانية (١٩٣٢) ومنها ثورة البطريرك عريضة على الانتداب الفرنسي وتزعمه لحركة مقاومة الاحتكارات الاجنبية ومنها بروز صحافة وطنية مستقلة عن الطائفية (الاحرار، المعرض).

إلا ان الاسباب الحقيقية التي ساعدت على تعجيل بروز الصيغة الوطنية المؤلفة من التناقضات، كانت تتعلق بمصير الكيان اللبناني بعد ان اقتنعت فرنسا باستبدال الانتداب بمعاهدة صداقة تعقد بينها وبين كل من سوريا ولبنان.

فالمسلمون في لبنان أدركوا ان اتفاق الحركة الوطنية في سوريا مع فرنسا على بلوغ الاستقلال سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسيحيين والفرنسيين في لبنان. ولذلك فان بلوغ الاستقلال كان يتطلب الاتفاق مع المسيحيين.

كذلك المسيحيون، بدورهم، ادركوا ان انتهاء الانتداب في سوريا ولبنان سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسلمين، ولذلك فان تدعيم الكيان اللبناني لا بد له من اعتراف المسلمين اللبنانيين والحركة الوطنية السورية به.

ثم ان الاخطاء التي ارتكبتها السلطات الفرنسية المنتدبة كتعليقها للدستور اللبناني وكتسلط موظفيها وكمنحها للامتيازات الاقتصادية الاحتكارية، كل ذلك ادى الى نمو الحركات الوطنية المناهضة للانتداب وبالتالي الى قيام عدة محاولات سياسية وفكرية وعقائدية للتقريب بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين "اللبنانيين" و"العروبيين" من جهة ثانية.

وكانت أبرز المحاولات الفكرية تلك التي قام بها كاظم الصلح، إثر انعقاد مؤتمر الساحل في دار آل سلام في بيروت عام ١٩٣٦، ولخصها اصدقاؤه في كتيب بعنوان "بين الانفصال والاتصال". فلاول مرة ارتفع صوت من صف المسلمين العروبيين في لبنان يقول بأن الاستقلال يجب أن يتقدم على الوحدة وأن الاعتراف بكيان لبناني مستقل، شرط ارتباطه بالعروبة،هو خير من رفض الكيان وابعاد المسيحيين عن العروبة.

ثمة محاولة فكرية ثانية قام بها يوسف السودا وشاركه فيها عدد من الشباب المثقف من بينهم تقي الدين الصلح ونصري المعلوف والدكتور أدريس إذ اصدروا بعد اجتماعات استغرقت عدة اشهر بياناً سمي "بالميثاق الوطني" يتضمن الخطوط الكبرى لصيغة وطنية جديدة تدور حول مبدأين أساسيين هما: استقلال لبنان والاعتراف بكيانه من جهة وتعاونه مع محيطه العربي من جهة ثانية.

واكبر دليل على ان هذه الصيغة الوطنية كانت "في الاجواء" منذ عام ١٩٣٨، ان المؤتمر الوطني الذي اعد في بكركي يوم عيد الميلاد ١٩٤٢ واشترك فيه عدد كبير من السياسيين والزعماء من مختلف الطوائف، قد انتهى باصدار بيان يؤكد فيه على تلك المبادىء التي سبق لميثاق يوسف السودا ورفاقه ولبيان كاظم الصلح ان اشارا إليها..

الصيغة وترجمتها

لا شك ان بشارة الخوري ورياض الصلح كانا مطلعين ومتقبلين لاسس هذه الصيغة عند وصولهما الى الحكم. ولكن كيف تم لقاؤهما وكان اتفاقهما على ترجمة هذه الصيغة إلى مواقف وافعال وسياسة وحكم.

لم يكن رياض الصلح شديد الحماس لانتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. ولعل السبب يعود الى الصداقة الشخصية التي كانت تربطه باميل اده. ولكن زعماء الكتلة الوطنية في سوريا والدبلوماسية البريطانية وفوز اللوائح الانتخابية المدعومة منهما، ما لبثت ان اقنعته بتأييده.

يقول الجنرال كاترو في كتابه "في معركة المتوسط" ان انتخاب الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية، كان ثمرة اتفاقه مع الوطنيين السوريين والعرب، لا نتيجة "لاتفاقه مع الزعماء المسلمين في لبنان".

ويقول كاظم الصلح في حديث اجرته معه جريدة "النهار" في "العدد الخاص الصادر في نهاية عام ١٩٧٤"، ان الاجتماع الاول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح عقد في مكاتب جريدة "النداء" التي كان يديرها وذلك عشية انتخاب

الدكتور باسم الجسر:
دكتور في الحقوق من جامعة باريس (والسوربون)، — محام في الاستئناف في بيروت — استاذ القانون الدستوري وقانون الاعلام في كليتي الاعلام وادارة الاعمال في الجامعة اللبنانية (١٩٧٠ — ١٩٧٤).



الشيخ بشاره الخوري يخطب من على شرفة قصر الرئاسة في القنطاري

الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على الخطوط الكبرى لما سمي، في ما بعد، بالميثاق الوطني.

أما المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك، فانه روى قصة لقاء الرجلين في مقال نشرته مجلة "الاسبوع العربي" عام ١٩٥٩ ووافق عليه الشيخ بشارة الخوري قبل نشره. ولا ريب في ان ما جاء في مقال المؤرخ يزبك يعبر اكثر من أي مرجع آخر عن الروح التي سادت الجو الذي سبق ولادة الإستقلال، يقول يوسف يزبك: عقد اجتماع اول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح في عاليه، خلال صيف ١٩٤٣، بدأه الشيخ بشاره الخوري بقوله:

"أنت يا رياض، تجاهد منذ ثلاثين سنة في سبيل القضية العربية، ولكنك لم تتنكر لوطنك الصغير لبنان. فلقد آمنت بوجوده وكنت فخوراً بالانتماء إليه. وبالدور الذي قام به في خدمة القضية العربية ايام العثمانيين. ولقد صرّحت مراراً بان لبنان قادر أن يصبح وطناً عربياً مستقلاً، له طابعه الخاص، يتمتع المسيحيون فيه بالحرية والاطمئنان والكرامة. واعرف انك قادر، مع رفاق جهادك ان تكتبوا صفحة جديدة من حياتنا الوطنية تمحو الصفحة التي أراد الاجنبي ان يفرضها علينا. فما رأيك في اتفاق بيننا على مبادىء أساسية واضحة ترضي الجميع وتطبق على كل اللبنانيين، وتتفق مع النهضة العربية التي نصبو اليها جميعاً" فأجاب رياض الصلح قائلا:

" ـ ان نضالي من اجل القضية العربية كان نضالا من اجل لبنان ايضاً. وانت تعرف ان بعض رفاق جهادي قد انتقدوني من اجل بعض المواقف واتهموني بان سياستي هي لبنانية واقليمية. ولقد اجبتهم آنذاك بأن من يعمل لحرية لبنان يعمل لحرية العرب كما ان من يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل لبنان. كنت أنت اول من صفق للخطاب الذي القيته وجاء فيه قولي: "افضل ان اكون مواطناً مستقلا من كفرذبيان على أن اكون مواطناً في امبراطورية عربية يحكمها الاستعمار".

"هذا موقفي الذي لم يتغير وآنا سعيد بأن اسمع زعيماً مسيحياً، واعياً لمسؤولياته ومحترماً، كالشيخ بشاره الخوري يوافق على قولي بأن لبنان هو وطن عربي له وضعه الخاص. فهذه يدي امدها واعطني يدك لنتفق".

وهنا طرح الشيخ بشاره الخوري السؤال التالي:

"هل تعتقد يا رياض، ان اتفاقنا يمكن ان يحظى بتأييد المسلمين في لبنان فيعتبروا لبنان وطناً نهائياً لهم لا مرحلة انتقالية؟ هل تعتقد بأنهم لن يتطلعوا من جديد نحو دمشق ليروا فيها محط آمالهم وأمانيهم؟"

وقاطعه رياض الصلح قائلا:

ـ "اذا كان اتفاقنا واضحاً وصريحاً وشريفاً وبدون غبن لاحق بأحد، وضامناً لكرامة المسلمين والمسيحيين معاً ومحترماً لمشاعر الفريقين وموزعاً الحقوق بين الجميع بالمساواة. أي إذا كان النظام الذي نسعى إليه يضمن العدل للمسلمين فانني لا أتعهد بتأييد المسلمين في لبنان له فحسب، بل باقناع كل الحكام العرب ولاسيما السوريين، بالاعتراف باستقلال لبنان وبحدوده الراهنة، اعترافاً أبدياً. وهكذا نطوي صفحة الماضي المرير، ونضع حداً لمعزوفة "الام الحنون" والانضمام الى سوريا وندشن عهداً جديداً من الوطنية".

ويقول يوسف يزبك: ان مضمون هذا الحوار لم يبق سراً، بل اطلع عليه كل رفاق الرجلين، ولاسيما رجال الحركة الوطنية في سوريا (شكري القوتلي، سعد الله الجابري، وجميل مردم) كذلك زعماء المسلمين في لبنان (عمر بيهم، عبد الحميد كرامي وأبو علي سلام).

ثمة اجتماع آخر عقد بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ـ بعد انتخاب الاول لرئاسة الجمهورية وتأليف الثاني للحكومة. يروي يوسف يزبك تفاصيله فيقول: خلال هذا الاجتماع الثاني تم الاتفاق على المبادىء الاساسية لما سمي بالميثاق الوطني وأهمها:

"١ ـ ان لبنان جمهورية مستقلة ـ سيدة، لا ترتبط

بأي معاهدة أو اتفاق مع اي دولة اجنبية.

٢ ـ لبنان ذو وجه عربي لغته هي اللغة العربية، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي. ولكن له وضعه الخاص. كما ان عروبته لا تلزمه بقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب.

٣ ـ يجب توزيع الوظائف العامة بالعدل والتساوي بين الطوائف".

ويعلق يوسف يزبك على ذلك بقوله: ان هذه المبادىء تفترض، ضمناً، ان يتخلى المسيحيون عن مطلب الحماية من الغرب وبنوع خاص من فرنسا وعلى ان يتخلى المسلمون عن مطلب الانضمام الى كيان سياسي عربي.

ويختتم يزبك مقاله بقوله: لقد عرضت هذه الوقائع قبل نشرها على الشيخ بشاره الخوري، فقرأها ووافق عليها واضاف عليها ما يلي:

" ـ أريد ان اضيف عليها أن الغاية من هذا الاتفاق كانت:

ـ بلوغ الاستقلال التام والناجز للبنان، عن الشرق والغرب.

ـ لا حماية ولا وصاية ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً لمصلحة اي دولة.

" ـ التعاون الى اقصى حدود التعاون مع الدول العربية.

ـ الصداقة مع كل الدول التي تعترف باستقلالنا وتحترمه".

واضاف الشيخ بشاره:

" ـ ان الميثاق الوطني لم يكن مجرد مصالحة بين طائفتين فحسب، بل انه صهر عقيدتين في واحدة. عقيدة اولى كانت تدعو الى دمج لبنان في كيان وطني اكبر، وثانية كانت تؤمن بضرورة ابقاء هذا الكيان محمياً من الغرب. جاء الميثاق ليلغي هذين الاتجاهين بالتفهم والتفاهم، وليحل محلهما عقيدة واحدة، وطنية لبنانية،"

وختم الشيخ بشاره الخوري حديثه قائلا:

" ـ حتى اذا افترضنا ان الميثاق الوطني كان تسوية بين طائفتين أو بين بيئتين، أو بين الطوائف اللبنانية، فكيف يمكن تجاوزه قبل ان نجد صيغة جديدة للتعايش والوئام تحل محله؟"

تقييم احداث عام ١٩٣٧

إن من يستعرض الاحداث التي تعاقبت على "جبل لبنان" ثم على لبنان الكبير أو يتبصر في التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تتابعت منذ منتصف القرن التاسع عشر مستكشفاً القوى النابذة التي باعدت أو قربت بين ابناء هذه البقعة من الأرض قبل ان تصبح وطناً موحداً ودولة مستقلة يجد نفسه مضطراً الى التوغل بعيداً في التاريخ، ليصل الى القرن السابع (ظهور الاسلام والفتح العربي) أو إلى القرن السادس (ظهور المارونية وتدرجها الى جبل لبنان).

ولدى استعراض هذه الاحداث والتطورات ومجرى تنابذها يتوصل الانسان الى خلاصة اولى وهي انها أحداث وتطورات، كان من شأنها تبرير ولادة الميثاق الوطني وتبرير نقضه في آن واحد.

فالذين "قدسوا" الميثاق واعتبروه نهائياً يجدون في تاريخ لبنان أكثر من مبرر لموقفهم. كذلك الذين انتقدوا الميثاق أو انكروه.

ان تقييم الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، يمكن ان ينظر اليه من زوايا مختلفة.

١ ـ النظرة التاريخية

يقول اصحاب هذه النظرة ان الميثاق الوطني هو "تجسيد لآمال ومعاناة اللبنانيين خلال قرون. فلقد ناضل اللبنانيون ضد العثمانيين في عهد الامارة المعنية والامارة الشهابية، ثم ناضل موارنة الجبل منذ مطلع القرن التاسع عشر وطوال عهد المتصرفية للحصول على مزيد من الحكم الذاتي والاستقلال كما ناضلوا لايجاد كيان وطني وسياسي. فكانت ولادة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. ولم يكف السياسيون اللبنانيون اثناء عهد الانتداب عن المطالبة بالاستقلال التام. ولذلك فان بلوغ الاستقلال عام ١٩٤٣ جاء تتويجاً لهذا النضال الطويل من اجل انشاء وطن واستقلاله.

والجدير بالذكر ان "القوميين العرب" ايضاً يشاطرون "القوميين اللبنانيين" هذه النظرة التاريخية لاحداث ١٩٤٣ ولكن من منطلق مختلف. إذ يعتبرون الميثاق الوطني تتويجاً لنضالهم طوال ربع قرن ضد الانتداب الفرنسي. ولعل كمال جنبلاط اصاب في قوله: ان"الميثاق الوطني هو محور التأليف بين الفكرة العربية والفكرة اللبنانية".

٢ -النظرة الاقتصادية ـ الاجتماعية

اصحاب هذه النظرة من العقائديين، يقولون بان الميثاق هو النتيجة الطبيعية لتطور البنيات الاجتماعية ولارادة العيش المشترك، فالطائفية السياسية لم تكن موجودة في لبنان قبل القرن التاسع عشر. ولو كانت موجودة لما استطاع الموارنة الانتشار من شمالي لبنان الى جنوبه. ولما تقبل سكان المناطق الدرزية والشيعية الهجرة المسيحية. أما إرادة الاستقلال عن الاجنبي والتحرر السياسي فقد عبرت عنها عامية انطلياس (١٨٤٠) وثورة طانيوس شاهين في كسروان (١٨٥٨). وما اعدام الشهداء اللبنانيين في ٦ أيار ١٩١٧ وانتفاضة الشعب في تشرين ١٩٤٣، إلا دلائل على



■ في الوسط الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ومجيد ارسلان وحولهم بعض الضباط بينهم اللواء فؤاد شهاب واميل بستاني.

وجود الارادة الشعبية الداعية لحقها في الاستقلال.

القائلون بهذه النظرة يرون ان انتشار الوعي بين الفلاحين اللبنانيين في القرن التاسع عشر وتجارة الحرير مع فرنسا هما ما اديا الى خلق طبقة وسطى كان من مصلحتها ازالة حكم الاقطاع. كما ان نضال الطبقات البورجوازية دفاعاً عن مصالحها الاقتصادية ضد الفرنسيين هو ما ولد الضمير الوطني ووحد المسلمين والمسيحيين في جبهة نضال واحدة. كذلك وعي رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة لما يوفره المجال الحيوي العربي من امكانيات هو ما حملهم على الاتفاق مع الحركة الوطنية العربية ضد الانتداب الفرنسي.

٣ ـ النظرة السياسية:

اصحاب هذه النظرة يقولون ان الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، لم يكن الا "تسوية" أو "صيغة سياسية" للتوصل الى الاستقلال، وهو لا يخرج عن كونه "صيغة التعاون" بين سياسيين ينتمون الى ايديولوجيتين مختلفتين.

يدعم اصحاب هذا التفسير السياسي مقولتهم هذه بحجج عديدة منها ان الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح لم يجتمعا ويتفقا الا في صيف ١٩٤٣، وان التباين العقائدي بين المسيحيين والمسلمين وبين "القوميين العرب" و"القوميين اللبنانيين" كان لا يزال قائماً بل ومحتدماً الى حد ما حتى اواسط عام ١٩٤٣.

يقول هؤلاء انه لو لم ينتخب الشيخ بشاره الخوري لرئاسة الجمهورية ويأت رياض الصلح الى رئاسة الوزراء لتغيرت سيرورة الاستقلال فتأخر سنتين او ثلاثاً. ويؤكد هؤلاء ان الاتفاق بحد ذاته، كان أقرب الى التسوية منه الى ايجاد قواعد واضحة. فالميثاق في نظر اصحاب النظرة السياسية كان مجموعة حلول وسطية بين العروبة واللبنانيين، بين الوحدة والحماية، بين الشرق والغرب، بين اماني المسلمين واماني المسيحيين.

إن من يستعرض الاحداث التي عاشها لبنان عام ١٩٤٣ لا يستطيع الا الاعتراف بأن السياسيين كانوا مضطرين الى الاتفاق على تسوية وطنية وسياسية لبلوغ الاستقلال الذي كانت الظروف الاقليمية والدولية مؤاتية له. كما كان من الطبيعي ان تكون التسوية مستوحاة من محاولات تأليفية وطنية جرت قبل ذلك واشترك في صياغتها مسلمون ومسيحيون، عروبيون ولبنانيون.

٤ ـ النظرة الطائفية

اصحاب هذه النظرة سواء كانوا ينتمون الى اليسار الماركسي أو إلى اليمين المسيحي، يقولون أن الميثاق كان "اتفاقاً طائفياً" أو "اتفاقاً يكرس الطائفية". فالشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح اتفقا على ابقاء دستور ١٩٢٦ ولاسيما المادة ٩٥ منه التي تكرس النظام الطائفي. كما انهما الفا أول حكومة استقلالية على أساس توزيع المقاعد الوزارية بين الطوائف الست الكبرى. وإن كل العهود التي تعاقبت بعد الاستقلال سارت على هذا المنوال.

بعض المعلقين على هذه النظرة الطائفية

LE GENERAL D'ARMÉE GEORGES CATROUX.

BEYROUTH, le 20 Novembre 1943

Monsieur le Président,

Mon dessein était de vous rendre à la liberté ainsi que vos compagnons d'internement Dimanche 2I courant.

Une complication subite et indépendante de ma volonté m'empêche, à mon vif regret, de donner suite à ce projet. Je pense cependant que votre libération ne subira qu'un léger retard.

Agréez, je vous prie, Monsieur le Président, l'expression de ma haute considération ./.

Catroux

S.E. le Président Béchara EL KHOURY

-:-

■ رسالة الجنرال كاترو الى الرئيس بشارة الخوري

يقولون ان الغاية الاساسية للميثاق كانت تقضي بتجاوز الطائفية يوماً (يستشهدون ببيان رياض الصلح الوزاري الذي ادان فيه الطائفية وتمنى الغاءها) ولكن رجال السياسة والاقطاع والبورجوازية الذين حكموا، باسم الميثاق، قد طيّفوه باضافة التوازن الطائفي إلى محتواه، وذلك من اجل المحافظة على امتيازاتهم السياسية ومصالحهم الاقتصادية..

٥ ـ النظرة الشخصانية

هنالك اخيراً اصحاب النظرة الشخصانية، اي هؤلاء الذين يقولون بأن ميثاق ١٩٤٣ ليس الاّ اتفاقاً شفوياً شخصياً، تم بين الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح أو "كلمة شرف" اتفقا عليها، بعد وصولهما الى الحكم، واتفاقهما على بلوغ الاستقلال التام.

يستند اصحاب هذه النظرة الى ظروف لقاء الرجلين والاحاديث التي تبودلت بينهما، وإلى فشل الصيغة بعد تركهما الحكم. واستناداً الى تلك اللقاءات والاحاديث يمكن القول بأن سوريا كانت الطرف الثالث في ميثاق ١٩٤٣، باعتبار ان الشيخ بشاره الخوري اتفق مع الزعماء الاستقلاليين السوريين على الصيغة الوطنية للاستقلال اللبناني، وان رياض الصلح والزعماء المسلمين ما كانوا لينضموا الى هذه الصيغة لولا قبول الحركة الوطنية السورية بها.

إستناداً الى هذه النظرة الشخصانية للامور يمكن القول أيضاً بأن بشاره الخوري ورياض الصلح لم يبتكرا ميثاق ١٩٤٣ بل تبنيا صيغة كان قد اشترك في بلورتها واخراجها سياسيون ومفكرون آخرون قبلهم أبرزهم: ميشال زكور، يوسف السودا، عزيز الهاشم، كاظم الصلح.

خلاصة

حتى اواخر عام ١٩٤٣، لم تكن عبارة "الميثاق الوطني" قد لفظت. ولم ترد في الادب الرسمي أو السياسي إلاّ في عام ١٩٤٥ عندما اخذ الشيخ بشاره الخوري يرددها في خطبه اثناء الجولة التي قام بها في المناطق اللبنانية.

إلا ان ما اتفق عليه الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح في صيف ١٩٤٣ لبلوغ الاستقلال التام الناجز والتعاون مع الدول العربية وضع موضع التنفيذ ابتداء من عام ١٩٤٣ عندما عدل الدستور ودخل لبنان في جامعة الدول العربية ورفض عقد معاهدة مع فرنسا.

وفي عهد الشيخ بشاره الخوري، طبق هذا الاتفاق بدقة. فرفضت الدولة اللبنانية دخول الاحلاف العسكرية الغربية وحارب لبنان مع الدول العربية في فلسطين ورفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى.

والحقيقة ان ما حصل عام ١٩٤٣ لم يكن عملا بطولياً قام به رجلان ولا لعبة انكليزية، غايتها اخراج فرنسا من الشرق كما لم يكن تتويجاً لنضال اللبنانيين التاريخي من اجل الاستقلال والتحرر، ولا كان نتيجة طبيعية لتطور البنيات الاجتماعية والاقتصادية بل كان خلاصة كل هذه العوامل مشتركة أو على الاصح لعبت كل هذه العوامل والعناصر في تكوينه أو صيرورته

فبشاره الخوري ورياض الصلح كانا مؤهلين اكثر من غيرهما شخصياً ونفسانياً وسياسياً للقيام بهذا الدور، والسياسة البريطانية لم تكن تعكس آراء الجنرال سبيرس الخاصة بمقدار ما كانت تتلاءم مع مصالح الحلفاء قبيل انتهاء الحرب. ومنها أن تبلغ الدول العربية استقلالها وان توحد كلمتها في جبهة موالية للعرب.

كذلك لا يمكن اهمال التطور الاجتماعي والاقتصادي في لبنان خلال السنوات العشرين التي سبقت الاستقلال. والذي افرز اجيالا جديدة، ليس للاعتبارات الطائفية التأثير الاول على تفكيرها. ولا ريب ايضاً في ان الاستقلال كان امنية اقوى من ان تقاوم أو ترفض.

غير ان شكلية ما حدث عام ١٩٤٣، بدأت بعد الاستقلال. فما ان نعم اللبنانيون بهذا الاستقلال حتى وقع اخطر حدث عرفته هذه المنطقة منذ ٣ آلاف سنة الا وهو قيام دولة اسرائيلية ـ عنصرية، توسعية، يساندها الغرب على حدود لبنان. وتلى ذلك ظهور النفط العربي، كأهم مصدر للطاقة في العالم للنصف الثاني للقرن العشرين، الامر الذي حول الشرق الاوسط الى ميدان للحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية.

إن اسرائيل والنفط والصراع الاميركي ـ السوفياتي، جعلت الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني اشبه بريشتين في مهب المصالح الدولية.

وكان ان تحول الاستقلال والميثاق من قاعدتين لبناء مستقبل الشعب اللبناني، الى وسيلتين لتفكيك وحدة لبنان شعباً وكياناً.

ولسوء الحظ، ساعد السياسيون اللبنانيون تلك القوى الخارجية في بلوغ غاياتها وما الحرب اللبنانية الحالية الا شاهد ودليل على ذلك.



عودة إلى التراث

كتاب الجاحظ البيان والتبيين

د. سيد نوفل

في تاريخ العرب تراث أدبي، خصوصاً في ما يتعلق بالكلام، ضخم وزاخر بكل ما يلقي الضوء على تطور اللغة العربية وآدابها على امتداد العصور.

بين هذه الكتب، كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ "ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ" موجه الفكر والأدب العربيين لعدة قرون منذ نهاية القرن الثاني الهجري. وبينها ايضاً كتب في النحو والصرف والعروض لأئمة في هذه العلوم.

و"تاريخ العرب والعالم" ستحاول أن تقدم عرضاً لبعض كتب هذا التراث في اعدادها المقبلة. وأول مقال في هذا المجال للدكتور سيد نوفل عن كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ.

الجدل وعلم الكلام أوضح ما يكونان في جميع كتب الجاحظ، مع روعتها الفكرية والعلمية والادبية.. فهو يفتتح "البيان والتبيين" بجدل طويل بارع مفيد حول البلاغة والخطابة، والاحتجاج لرأي صاحبهما على رأي صاحب الصمت والسكوت، وايراد واف أمين لما يمكن ان يقال ترجيحا لكلا الرأيين...

وكتاب "الحيوان" يتألف من مناظرات شتى بين صاحب الكلب او صاحبته وصاحب القط، أو بين صاحب الديك وصاحب الكلب، او بين صاحب الحمام وصاحب الديكة، أو بين صاحب الديكة وصاحب الغربان، أو بين غيرهما من كل محتج لحيوان، مفضل له على ما عداه. وكذلك النملة تجد لها صاحبا متحمسا، يؤثرها على غيرها، ويطنب في ذكر مزاياها وفضائلها، ويستشهد بآي الذكر الحكيم من سورة النمل في القرآن الكريم...

وكتاب "المحاسن والاضداد" ابرز كتب الجاحظ دلالة على جدله، يعرض محاسن الشيء ومساوئه... بل ان الجدل، والقصد الى تعليمه للناس، ظاهر في رسائله الادبية. ففي رسالة "التربيع والتدوير" التي يهجو فيها الوزير احمد بن عبد الوهاب يداعبه برفعه وخفضه، وان كان الخفض والرفع معا للسخرية.

ومن فتنة الجاحظ، واقتناعه بطريقة المتكلمين وفكرهم، تمنى اجتماع العلم والكلام عنصرين متكاملين في فكر المتكلم والعالم معا.. وقال: "وما احوجنا واحوج جميع المرضى الى أن يكون الاطباء متكلمين، والى ان يكون المتكلمون علماء. فان الطب لو كان من نتائج حذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له، لم نجد في الاصول التي يبنون عليها من الخلل ما نجد"، ومن هنا صح وصف ابن العميد لكتب الجاحظ بأنها "تعلم العقل اولا والادب ثانيا".

اغراض الكتاب واثره

ومن اواخر مؤلفات الجاحظ الكثيرة كتابه: "البيان والتبيين"، وقد قصد به التعريف بالبيان والبلاغة والخطابة، وذكر محاسنها ومساوئها وشرح فنونها والوانها، وان يعين الوزراء والكتاب وسائر المثقفين لذلك العصر في ما ينشدون من تفوق في فن الادب...

وفي هذا الكتاب عناية بالناحية التطبيقية من عيوب النطق، وارتفاع الصوت وانخفاضه، ومظهر الخطيب والشاعر، ومن الايجاز والتكرار والاطناب، ومن الاشارة والتلميح.. كما عنى بتعريف البيان والبلاغة وفنونهما، واللفظ والمعنى، والنظم والاعجاز. ووجه عنايته الاولى الى ايراد الشواهد والامثال من الادب المعاصر له والسابق لعهده.

ومعاصرو الجاحظ من تلاميذه، وممن اتوا بعده من الكتاب والادباء والمؤلفين، قد تأثروا به وبكتابه: "البيان والتبيين" اعظم تأثير..

ويكفي ان نشير الى كتاب "الكامل" للمبرد، "وأدب الكاتب" لابن قتيبة "وأدب الكتاب" للصولي، و"كتاب الكتاب" لابن دروستويه. ويكفي ان نذكر "الصناعتين" لابي هلال العسكري، و"العمدة" لابن رشيق و"سر الفصاحة" لابن سنان..

وليس أبو هلال الا شارحا للجاحظ، جامعا للمتفرق عنده. وقد تحدث عن كتاب "البيان والتبيين" بعد ان أورد طرفا من تخليط بعض المتحدثين في علم البلاغة فقال: "ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل. ووجدت الحاجة اليه ماسة، والكتب المصنفة فيه قليلة. وكان اكبرها واشهرها كتاب "البيان والتبيين" لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وهو لعمري كثير الفوائد، جم المنافع".

البيان ومسائله عند الجاحظ

وعرف الجاحظ البيان تعريفا عاما فقال: "انه اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته ويلم بما فيه".

وشرح هذا بأن "غاية القائل والسامع، انما هي الفهم والافهام. فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان:"

وعرفه في هذا الموضع نفسه تعريفا اخر، فقال: "انه الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، وان البيان بهذا المعنى هو الذي دعا اليه الله، ونطق به القرآن. وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت وأصناف العجم.."

ومهد لهذا التعريف بذكره "ان المعاني مستورة



كتاب "الحيوان" للجاحظ. زوجة تعيسة تشكو لصديقتها جهل زوجها. بأذن من مكتبة الامبروزيانا بميلانو.

مكنونة وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الانسان ما في ضمير اخيه الانسان منها، وحياتها في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها، وبهذا تقرب من الفهم وتظهر وتؤلف. واقدار المعاني وظهورها متصلة باقدار الدلالات ووضوحها، والاشارات وصوابها، والايراد وحسنه.."

وبعد ان يورد هذا وذاك، يذكر اصناف الدلالات من "لفظ واشارة وعقد وخط وحال، اذ جميعها تدل وجميعها تبين".

وفي هذا، نرى نزعة الجاحظ الى تمام الافهام وحسن التجلية للمعاني كما ان حديث الجاحظ لا ريب عن المعاني وموتها وحياتها، وحظ الالفاظ بخاصة والدلالات بعامة في البيان عنها – فيه تفكير وعمق.

وذكر الجاحظ مسائل بعيدة عن علم البيان المتأخر. فعرض لتنافر الالفاظ والحروف والغرابة وما اليها مما يذكر في باب البلاغة. ومعروف ان هذه المسائل وضعت أخيراً في باب الفصاحة، وجعل البيان علما خاصا ببحوث التشبيه والمجاز والكناية

ويلاحظ كذلك أن الجاحظ جعل عنوان كتابه "البيان والتبيين"، وأورد فيه أمورا متنوعة متصلة بالبلاغة والخطابة، وضمنه نثرا ونظما.. وهذا كله من البيان عنده. وعقد بابا خاصا للبيان تحدث فيه عن البلاغة...

ومن هنا يتأكد ان الفرق بين البلاغة والبيان لم يكن ظاهرا حينئذ بل ان الترادف بينهما ظل موجودا الى العصور المتأخرة. فيسمون العلوم الثلاثة علوم البلاغة أو البيان ويسمون البلاغة براعة وبيانا وفصاحة أيضا.

على أن بعض بحوث البيان بالمعنى الاصطلاحي كانت معروفة عندهم، وكان يطلق عليهم اسم "البديع".

فالجاحظ يقول: وكان العتابي يحتذى حذو بشار في البديع، ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار وابن هرمة. والبديع هنا اسم شامل للمجاز وما اليه من الصور البيانية. ويتبين هذا من ايراد الجاحظ لابيات منها:

هو ساعد الدهر الذي يتقي به
وما خير كف لا تنوء بساعد

وتعليقه عليه بقوله: "قوله هم ساعد الدهر انما هو مثل، وهو الذي يسميه الرواة "البديع"، وقد قال الراعي:

همو كاهل الدهر الذي يتقى به
ومنكبه ان كان للدهر منكب

وقد جاء في الحديث "موسى الله احد، وساعد الله أشد" والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان.. والراعي كثير البديع فى شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب شعره في البديع.

وكذلك تحدث الجاحظ في اسهاب عن التشبيه، والمجاز، والاستعارة، والمثل بمعنى المجاز أو مقابل الحقيقة والكناية بمعنى عام.

الايجاز عند الجاحظ

ورأى الجاحظ في الايجاز يمثل حقا فكره المتطور وعقله الرائد. فقد عنى العرب في الجاهلية بالايجاز واعتبروه البلاغة الحقة. وأتى الاسلام فامتدحه الكتاب وتفننوا فيه، حتى ود بعضهم لو أن الكلام كله توقيعات. واغلب الظن ان الامية في الجاهلية والاعتماد على الذاكرة كان من دواعيه، كما اقتضاه تدوين الرسائل في الاسلام، اذ يتطلب قراطيس كان الحصول عليها شاقاً. يروى ان عمر ابن عبد العزيز كان اذا طلب منه كتابه قراطيس، امرهم بالايجاز والاكتفاء بما عندهم منها، ففي الايجاز بلاغة وقصد. ويضاف الى هذا انقطاع طائفة من الادباء للكتابة، وما يؤدي اليه الانقطاع والتخصص من التفنن في الايجاز المطلوب بل والاسراف فيه احياناً.

اما الجاحظ فقد ورد الايجاز عنده بمعنى حذف الفاضول. واحترز مما قد تدل هذه العبارة عليه من ان الايجاز يعني قلة اللفظ على الاطلاق، فنص على "أنه لا يعني الاختصار ولا قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه في ما يسع بطن طومار فقد أوجز. فالحذف لما لا يكون سببا في اغلاق المعنى وما يحدث التكرار بذكره، والخطل في ايراد ما لا حاجة اليه لوضوحه".

وشرح هذا في صدر الجزء السادس من كتاب الحيوان، فقال بعد ان عدد ما ذكره من انواع الحيوان والطيور والحشرات: "وقد بقيت ابواب توجب الاطالة وتخرج الى الاطناب. وليست باطالة ما لم تجاوز مقدار الحاجة... وانما الالفاظ على اقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى اقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات الملتبسة. ولو جهد جميع اهل البلاغة ان يخبروا من دونهم عن هذه المعاني بكلام وجيز، يغني عن التفسير باللسان والاشارة باليد والرأس، لما قدروا عليه. وقد قال الاول: اذا لم يكن ما تريد

فأرد ما يكون. وليس ينبغي ان يسوم اللغات ما ليس في طاقتها ويسوم النفس ما ليس في جبلتها. ولذلك صار يحتاج صاحب كتاب المنطق الى أن يفسره ممن طلب من قبله علم المنطق، وان كان المتعلم رقيق اللسان حسن البيان. الا أني لا اشك على حال أن النفوس اذا كانت الى الطرائف أحن وبالنوادر اشغف، والى قصار



العبد يطلق الطير من القفص. باذن من مكتبة الامبروزيانا بميلانو.

الاحاديث أميل وبها أصيب، انها خليقة لاستثقال الكثير وان استحقت تلك المعاني الكثيرة، وان كان ذلك الطويل أنفع، وذلك الكثير أود".

ثم فسر الايجاز تفسيرا واسعا بمعنى أداء حاجة المعنى، سواء أكان ذلك الاداء في الفاظ كثيرة أم قليلة. ثم قرر ان هناك معاني مشتركة مبهمة تحتاج الى ايضاح واسهاب في التعبير عنها، كما ان هناك معاني مفردة يكفيها قليل اللفظ، وهو يعتذر عن البسط والاسهاب، ويقول انهما أمر لا مناص منه "ولا سبيل الى ما سوى الرضا عنه"، ثم يتحدث عن اللغة وطبيعتها، والنفس وجبلتها، حديثا يناسب ما عهد فيه من الربط بين الادب وحال النفس.

والاسهاب عنده انما "يكون خطلا وهذرا حين يفضل عن مقدار الاحتمال ويدعو الى الملال، اذ للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية".

وبعد، فان الجاحظ بكتابه "البيان والتبيين" يعتبر مؤسس علم البلاغة العربية وما يتصل بها مما سمي بعد: البيان والمعاني والبديع...

لقد جمع ما ينطق بفنونها من كلام سابقيه ومعاصريه، واضفى عليه من شروحه واضافاته وقدمه في بيانه الفذ البارع...

وقد زالت بعض الموضوعات التي اثارها في هذا الميدان، وعدل بعض ما أورده تعديلا كليا أو جزئيا. لكنه فتح بابا لم يسبق اليه، وظهرت اثاره واضحة في مناهج المؤرخين لهذا العلم من بعده، وظلت المسائل التي تحدث عنها، والامثلة التي اوردها مناط البحث ومدار الشرح والتأويل...

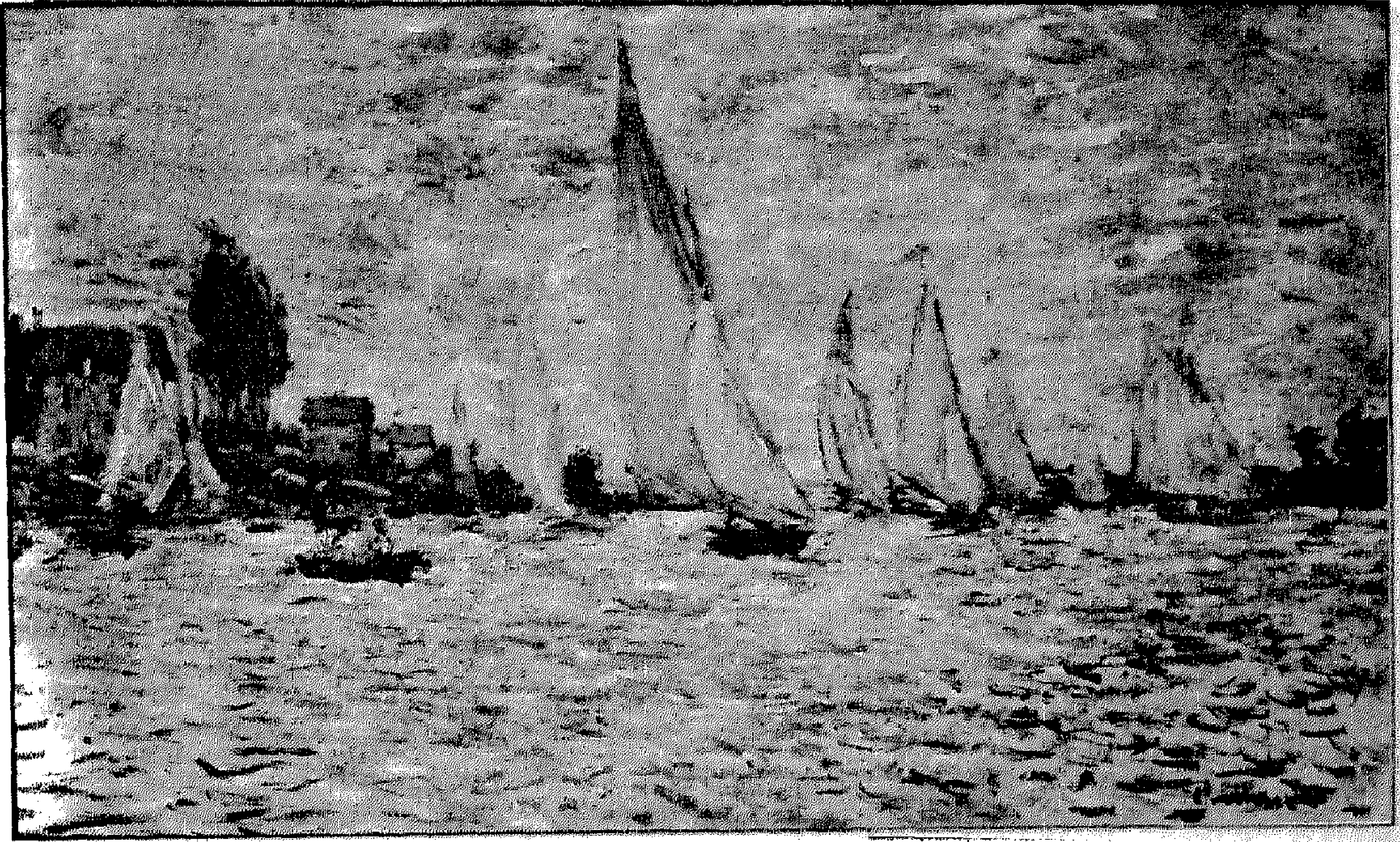
ولو قدر لنهج الجاحظ الادبي أن يسود دون منازع، ما انتكس علم البلاغة العربية على يد السكاكي واضرابه من الاعاجم، الذين اثقلوا كاهله بالفلسفة والايغال في الابواب والاقسام، وجردوه من روحه الوضاءة الملهمة...

ولهذا لم يجد المحدثون بداء حين اتجهوا الى تطوير علوم اللغة، من الرجوع الى الجاحظ، يطلبون منه العون لاحياء علم البلاغة. وقد وجدوا عنده نعم العون، ونعم المصدر الفياض الخصيب.

حضارة الصورة

... في اللوحة والطبيعة والواقع ؟

رينيه هويغ
عضو الاكاديمية الفرنسية



"القارب ـ المعمل" للرسام كلود مونيه ١٨٦٦

"قوة الصورة" هو عنوان كتاب للكاتب الفرنسي رينه هويغ عضو الاكاديمية الفرنسية وهو من كبار الفنانين المعاصرين المختصين وله كتب كثيرة مترجمة الى معظم اللغات الحية اهمها: "حوار مع المرئي"، "الفن والروح"، "الفن والانسان".

في كتابه هذا يعرض خلاصة تجربة حية عاشها سنوات طويلة، كمدير متحف وكأستاذ يدرس الفن. فيحاول ان يقدم تحليلا نفسياً للفن، جديداً واسعاً، فيتوغل في عالم الانسان الداخلي، بدءاً من المرئي الظاهر، وفي هذا يحقق ثلاثة اهداف: الاول تحديد عصرنا ومشكلاته، والثاني تحديد مركز الفن كصلة ضرورية بين الذات المعزولة والكون، والهدف الثالث ايضاح كيفية النظر الى اللوحة الفنية، والنفاذ الى اسرارها، ومعرفة رسالتها.

* رينيه هويغ: عضو الاكاديمية الفرنسية ومؤلف العديد من الكتب الفنية

وفي ما يأتي فصل من الكتاب بعنوان "حضارة الصورة":

اثار الفن اهتمام الانسان في مختلف العصور، لكن هذا الاهتمام صار ولعاً وهياماً في عصرنا الحاضر.

هذا عائد الى اننا لم نعد اليوم اشخاصاً يعيشون في التأمل والعزلة، منقطعين الى عالمهم الداخلي، بين الكتب والموسيقى. ان صدمات العالم الخارجي، المحسوس، الصارخ تهزنا وتسيطر علينا. وتهاجمنا الحياة الحديثة بالعين والاذن وشهوة الجسد.

من هنا سيادة الصورة. تحاصر الانسان، تثير انتباهه وتستولي عليه، تغنيه عن القراءة أو تصرفه عنها.

سمى بعض الباحثين حضارة العصور التي تلت عصر النهضة "حضارة الكتاب"، وقد تخطى الزمن هذه التسمية، وصار من الضروري في هذا القرن أن تستبدل بتسمية جديدة هي "حضارة الصورة".

هذا الولع بالصورة الى درجة الانبهار والعبودية أحياناً هيأ للوحة الفنية مجدها الحالي. فهي كالصورة الفوتوغرافية تخاطب العيون التي تزداد، يوماً بعد يوم، نهماً وشراهة الى غذاء بصري دائم.

لكن اذا كان نجاح اللوحة الفنية يعكس ظاهرة انتشار الصورة، وبات اليوم سبباً ونتيجة، فانه في الوقت نفسه عنصر تعويض وتلطيف.

سرطان اجتماعي

وقد وصف احد الباحثين سيطرة الصورة بأنها "سرطان اجتماعي"، ذلك انها تقود الانسان الحديث الى السلبية والاستسلام، حيث يستعيض عن التأمل الواعي، بآلية الفعل المنعكس.

وعبر عن هذه الحالة، في استفتاء خاص، احد الشبان المأخوذين بالتلفزيون، فقال: "أنا مدمن على الصور، بحاجة دائمة الى جرعة شافية منها. لم اعد اشتري أي كتاب، فقد اغناني التلفزيون عن الكتب، ومنحني، فوق ذلك، الراحة، والكأس، والكرسي... انه وسيلتي للقضاء على الضجر، لقتل الوقت.. لا يهمني شيء في الحياة. لا هدف لي. والتلفزيون يخلص الانسان من الانشغال بالهدف".

غير ان الفن الذي يستخدم الوسيلة ذاتها، أي الصورة، يقدم لنا الترياق ضد ذلك السم التلفزيوني. ذلك ان الصورة في الفن هي، في آن واحد، علامة وخميرة. هي الحرية.

فهي العلامة، لأنها تعكس قدرة الفنان على خلق رؤيا جديدة تغني العالم بتنويعه، بدل ان تفقره بنسخة.

وهي الخميرة لأنها تؤثر في المشاهد وتحركه، على نقيض ما يفعل الاعلان والتلفزيون والسينما، فهذه، جميعاً، تخدر طاقة الرقابة وتوقظ الانفعال ووداعة الانتباه، واستسلامه.

الصورة في الفن توقظ الوعي، وتستلزم الانتباه الحاد، لكي يمكن النفاذ الى اسرارها، ونقدها، وتقييمها. وهذا يتطلب من المشاهد أن يرتفع بحساسيته الى مستوى حماسته.

والاثر الفني يخضع لايقاع الملاحظة الذي يقرره المشاهد، بحيث يطيل النظر والتأمل كما يشاء. هكذا يبقى المشاهد، مهما تأثر وانفعل، سيد نفسه.

والواقع ان الفن يقوي سيطرة الانسان على نفسه وعلى الطبيعة معاً.

فمنذ ما قبل التاريخ، في الحياة البدائية، كان الفن ممارسة للشعور بالسيطرة على العالم الخارجي، وتوكيداً لهذا الشعور. من هنا، كان الفن، منذ نشأته، مرتبطاً بالسحر. ولقد طور السحر علاقة الانسان بالطبيعة. فلم تعد، معه، الصورة اثراً تتركه يد الانسان على الواقع الطبيعي، بل اخذ الفن يهدف الى نسخ صورة هذا الواقع، ليؤلف منها "واقعاً ثانياً" اي ليجعل المفرد مثنى، يمتلك واحداً منهما. في حين ظل المثنى، الاصل والصورة، واحداً. لهذا كان لهما، بالضرورة، مصير واحد. كان التمثال الذي يقيمه النحات امام الله، في المدنيات الاولى، يقوم مقام الشخص الذي يمثله، فيحقق بذلك تأدية الصلاة المستمرة، تأدية العبادة التي لا يسمح الموت باستمرارها، وقد لا تسمح الحياة.

وها نحن، في العصور الحديثة، نسير خطوة ثانية: الرسام القادر على أن ينسخ بريشته المظاهر الانسانية أو الطبيعية، يشعر انه "سيد الطبيعة ومالكها".

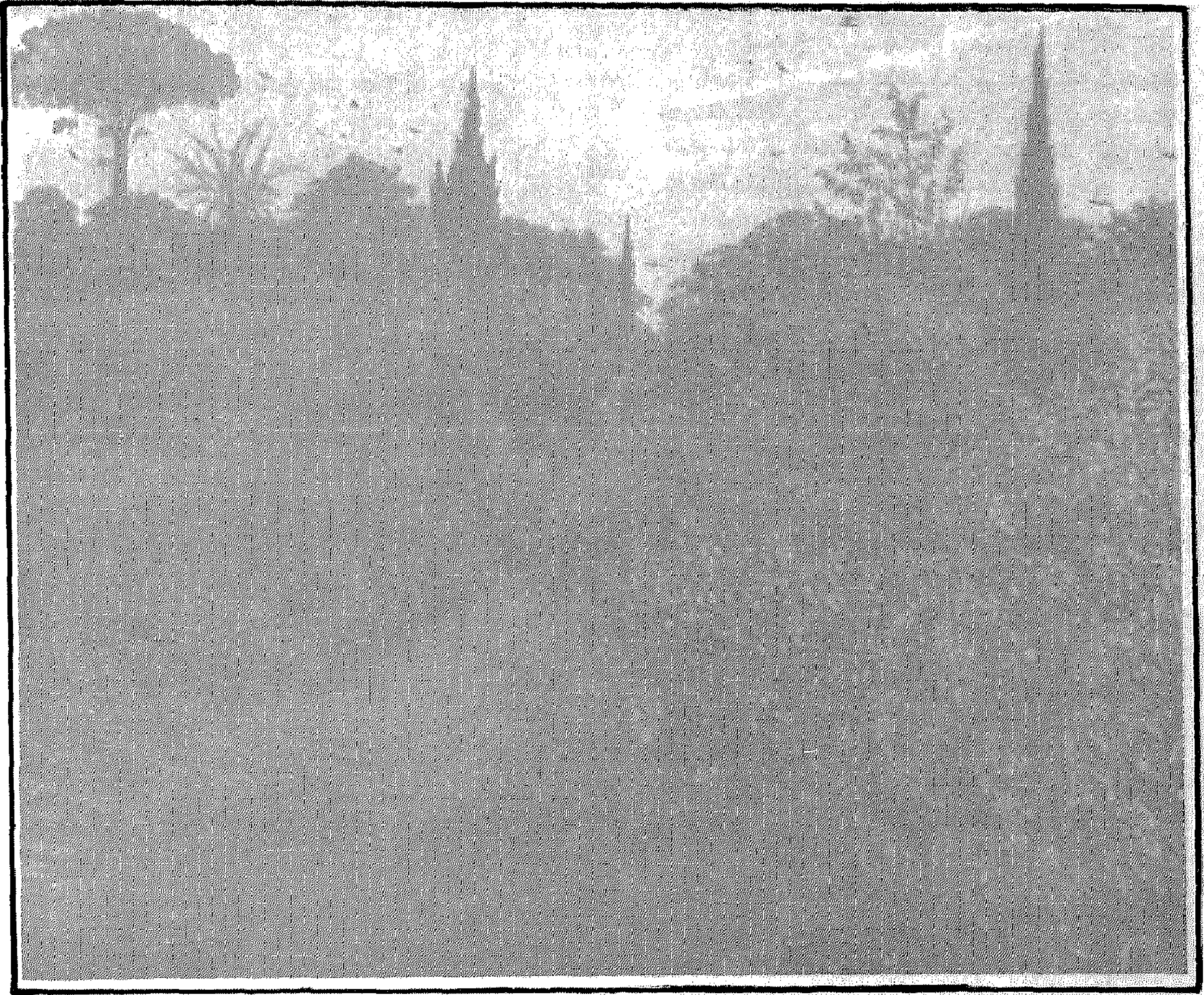
الواقعية والاكتشافات

هكذا لعبت الواقعية التصويرية الدور نفسه الذي لعبته الاكتشافات التي حققها رواد العالم، أو حققها العلماء.

ان صورة العالم المرئي التي يلتقطها الفنان والتي اوصلتها الانطباعية الى حدها الاقصى، تولد في نفسه الشعور بأنه سيد العالم الذي تمرد عليه: فهي لا تؤكد له ازدواجية المظاهر وحسب، وانما تحقق له، كذلك، الانتصار على اعظم قوة يجابه ضغطها وهجومها، والتي تغلبه اخيراً وترميه في هاوية الغياب. هذه القوة هي قوة الزمن.

بالفن يشعر الانسان انه غالب، وان قدرته لا تنحصر في تثبيت ما يراه حوله، وانما تثبت عوالمه الداخلية. والفن يتيح له، ولمن يأتي بعده، أن يستملك الجزء الذي تناوله من العالم، ويربطه الى الابد بالافكار والمشاعر والعواطف التي ايقظها هذا التناول في نفسه.

لقد سجن الفن الحديث في هذا القفص الذي



■ "الطبيعة" للرسام فان أيك

تنسجه خيوط الديمومة اكثر الاشياء افلاتاً: نسجن حتى الاحلام الغامضة، والتلعثمات الاولى على عتبة الشعور، والحركة العصبية التي تفجر خطوط الريشة على القماش.

★ ★ ★

يواجه الفن بديمومته وخلوده، هرب الزمان الهائم، فيما يبدو ان التلفزيون والسينما يزيدان دوامة هذا الهرب تحت أعيننا، وهذا الدوار الهائم فينا. هنا، كذلك، يؤكد الفن قوة الانسان ازاء العالم: يعارض قانون الكون بقانون الانسان، يعيد الى الانسان الثقة التي تهددها الايام الجارية، الى درجة الرعب. واذا كان الفن يمنح انسان اليوم سلاحاً ضد ما يهدده، فانه يمنحه، الى ذلك، التوازن. فهو اذ يسمح للحساسية أن تعبر عن نفسها عفوياً، كما هي، يحول التمزق الداخلي من مأساة الى منظر.

وقد ادرك ارسطو قوة الفن هذه، حين رأى فيه قوته المطهرة، القوة التي تطرح الى الخارج ما يعذب الروح في الداخل.

هذا التأثير المطهر يتلقاه المشاهد كذلك.

فبقدر ما يحركه الاثر الفني ويرى فيه نفسه، يخرج من عزلته، ظافراً، يقاسم الآخر عواطفه ويرى فيها، كما يخيل اليه، سر الفنان وسره في آن واحد.

هذا التوازن الذي يوفره الفن، يتجاوز الى هذا كله، مجال الذات والشخصية الفردية. انه يحل مشكلة اكثر اتساعاً وشبه ميتافيزيقية تضطرب في اعماق كل منا: فنحن، منذ ولادتنا نواجه ثنائية نعيشها بالضرورة. هناك، من جهة، ما نعرفه عن انفسنا، عن طريقة شعورنا، عن كيفية سلوكنا، بفضل الوعي والتأمل. لكن، هناك من جهة ثانية، واقع آخر يحاصرنا. وليس جسمنا وشعورنا واحساسنا الا وسائط له. الاول يسميه الفلاسفة الأنا، والثاني يسمونه اللاأنا، أي الذات من جهة، والعالم من جهة ثانية.

والاثر الفني يقدم لنا واقعاً جديداً يختلف عنهما، في ما يعكسهما، ويمثلهما، ويعبر عنهما. انه واقع ثالث مزيج مركب مما نراه في الخارج وفي نفوسنا. وبفضل هذا الواقع الثالث يبطل التناقض بين العالمين، الداخلي والخارجي.

الاثر الفني

والاثر الفني، بعد هذا كله، يقدم لنا ما هو ابعد واغنى، فالاثر الفني الذي هو توازن دائم من نوع ما، حتى عندما يستلهم القلق والحيرة ويغوص فيهما، هو في الوقت نفسه، علامة الاندفاع الى الامام، الاندفاع الذي يعطي معنى للحياة.

ففيه، وعبره، يحاول الفنان (والمشاهد على مستوى آخر) أن يحول ما يراه وما يحسه في داخله... يخلص الاشياء من وظائفها الطبيعية، لكي يجعلها غاية بحد ذاتها، وهذه الغاية هي الجمال.

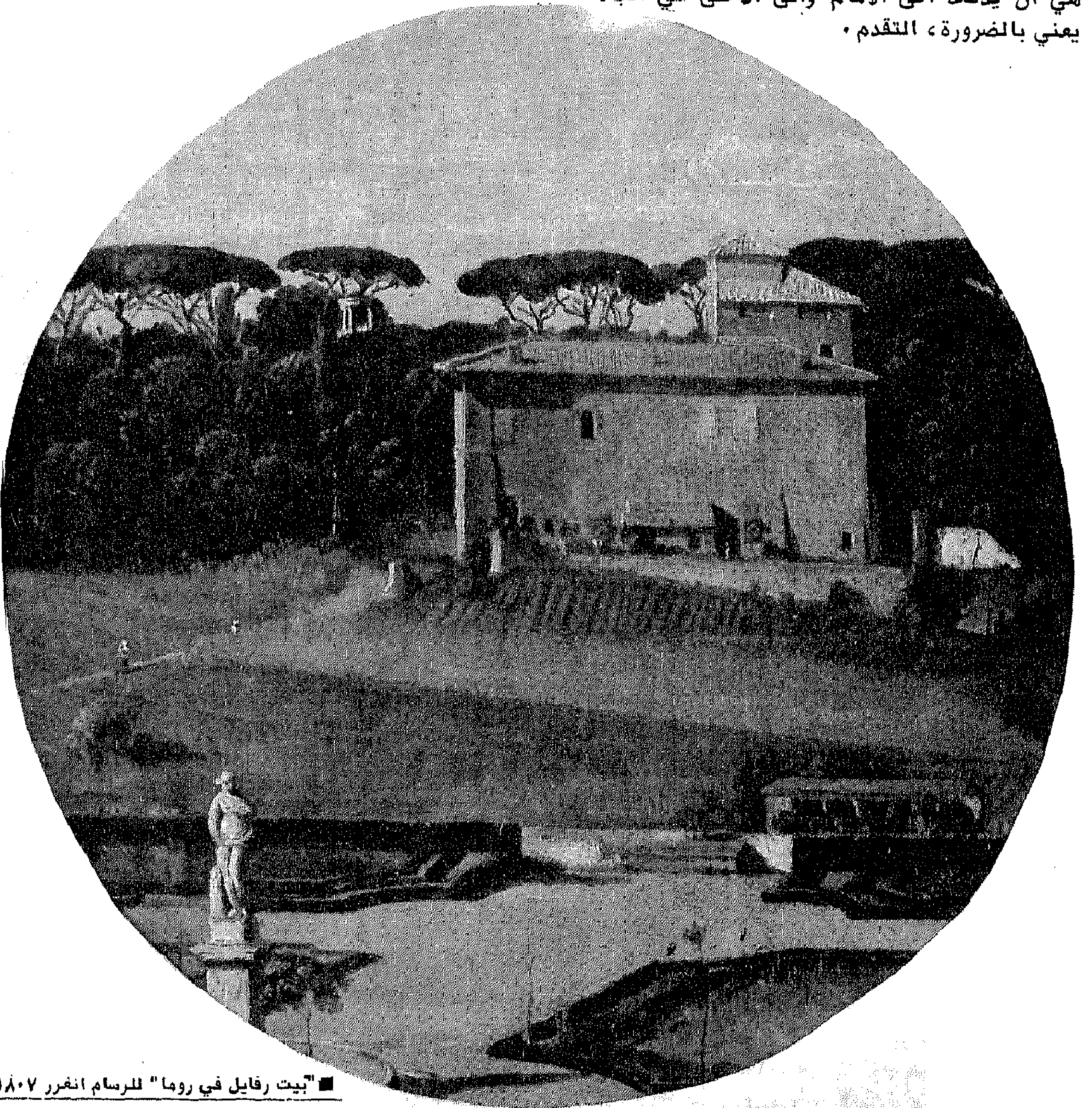
حتى حين يقبض الفن على الحسرة والقبح والرعب، يدلل على أن لهذه أيضاً جمالها الخاص.

فما يتناوله الفن، يتناوله من اجل غاية اساسية هي أن يدفعه الى الامام والى الاعلى في اتجاه يعني بالضرورة، التقدم.

يعرف الانسان، بالتجربة المريرة، أن التوازن الذي ينشده ولا يستغني عنه، يتطلب السير الدائم، لأنه يعرف أن التوقف هنا سقوط. فان شئنا ألا نسقط ونفشل، علينا أن نسير متقدمين، مندفعين حيث يقودنا خيط الوجود.

هذا هو المفهوم الذي يقدمه علم النفس عن الفن ودوره الموقت والأبدي. وهو، في هذا، لا يتعارض مع تاريخ الفن أو علم الجمال، بل انه يكملهما، فيما يستند اليهما. ينطلق من الاول الذي يقدم له المعلومات الضرورية عن الاثر الفني ومبدعه، ويتجه نحو الثاني الذي يقدم له بدوره تجربة حية.

فاذا كان الاثر الفني شهادة الفنان عن واقعه الداخلي والخارجي، فان الناحية النفسية من هذه الشهادة بالغة الاهمية. فهي اذ تتجاوز حدود الفكر الواضح، تكشف عن الطبيعة الانسانية بجميع ابعادها: تكشف عن هذا اللاشعور الذي يشغل القرن



■ "بيت رفايل في روما" للرسام انغرر ١٨٠٧



■ "افطار على الحشيش" للرسام كلود مونيه ١٨٦٥

العشرين، وعن هذه الدعوة التي توجه الانسان، لكي يتكامل ويجابه مصيره، ويتخطى نفسه، حتى ان المغامرة الانسانية قد تتجلى بأوضح مظاهرها، في الصور الكاشفة الموحية التي يقدمها لنا الفن.

هكذا يتيح لنا الفن أن نفهم مصير الانسان وبداياته المستمرة في محاولاته الدائمة. فالفن اكتناه لطاقة التنوع غير المحدودة في الانسان والعالم.

في هذا كله، في فهم دور الفن ووظيفته، تبدو السيكولوجية الفنية الخيط الاوثق الذي يقود من تاريخ الفن، اساسها الوحيد الراسخ، الى نتيجتها: علم الجمال.

★ ★ ★

لم تكن هناك مشكلة أمام الجمهور في الماضي. كانت اللوحة، بالنسبة اليه، تمثل شيئاً ما. وكان هذا كافياً. أما جمهور اليوم فقد تعلم أن من حقه وواجبه أن يطلب من اللوحة شيئاً اخر. وأدى هذا الى اعتقاد البعض أن هناك تعارضاً بين الفن والواقع، يجب أن يبقى.

هذا الاتجاه، شأن الاتجاه في الماضي، تبسيطي الى درجة الافراط. الفن يستحق وجهة نظر أكثر تنزهاً عن الاهواء الحاضرة والبدع التي تنتج عنها. وهو يستلزم نسيان الجدل بين التجريديين واللاتجريديين، فهذا الجدل سيصبح، بعد حين، جدلا باطلا، كالجدل في الماضي بين الرومنطيقيين والكلاسيكيين.

٣ عناصر

هناك ثلاثة عناصر يقوم عليها الفن: الطبيعة، والتشكيل، والفنان.

تقدم الطبيعة المادة الاولية. وهناك من يقلدها تقليداً أعمى بحيث لا يكون فن، بل عمل تقني.

لكن هناك آخرون مثل فان ايك Van Eyck أوصلوا نقل الطبيعة الى كماله، مدفوعين بحاجة كيانية الى القبض على العالم وجعله فريسة بين ايديهم.

العالم يحاول أن يأسر قوانين الطبيعة لتكون طيعة، كذلك الفنان الواقعي يحاول أن يصطادها، كالطريدة، بشباك رؤيته.

وهناك التشكيل، وهو مجموعة الوسائل السلبية والايجابية، بين يدي الفنان. السلبية: القماش، الجدار، اللوح وغيرها. والايجابية: الخطوط والالوان.

بالتشكيل تخطى الفنان الواقعية.

في لوحات انغر Ingres، تلاقى النسخ العالي وغريزة التشكيل، فانتقل التصوير معه من التمثيل الى التشكيل. واخذ البحث البلاستيكي، خطوطاً والواناً، يسيطر على البحث الواقعي.

أما العنصر الثالث الرئيسي الاول فهو الفنان.

الفنان يخضع لمشيئته الواقع ووسائل الابداع معاً. هو الذي يغزو مقلع الطبيعة وراء الحجر الذي سيصير تمثالا.

وهو الذي يوجد، البقع والاشكال، الخط واللون وفق حساسيته وارادته، وذلك من اجل التعبير عن نفسه، ونقل هذا التعبير الى الآخرين.

لغة الفن

فالفن لغة: كما تلجأ الكتابة الى مفردات اللغة، يلجأ الفن الى اشكال الحياة. وكما يستخدم الشاعر اللغة بطريقة تغاير استخدامها العادي، يستخدم الرسام ألوانه وخطوطه بطريقة تغاير الطبيعة، فتخلق الجمال وتجعل منه احياناً غاية كافية ذاتها. وهذه هي طاقة التشكيل.

هذه العناصر الثلاثة تتآلف أو يتراجع بعضها امام الآخر بحسب الزمان والمكان والافراد. وتظهر قوة الابداع في عنصر أو آخر بحسب النتاج. غير ان هذه العناصر كانت متآلفة في الآثار الفنية العظيمة التي تركها لنا الماضي.

فالفن يشبه كياناً إلهياً بثلاثة وجوه ينعكس فيها الواقع الخارجي، والابداع التشكيلي، والواقع الداخلي.

وقد سادت الواقعية الخارجية عصوراً طويلة.

بدأت بالمحاولات الأولى التي قام بها الانسان في ما قبل التاريخ، حين رسم على جدران المغاور والكهوف أشكالا جانبية لبعض الحيوانات. بهذه الجانبية كان يرسم المظاهر التي تهمه. وبقي الفن أجيالا يكتفي برسم هذه الخطوط الجانبية، وكان يتجاوزها احياناً الى الايحاء بكتلة الاحجام التي يرسمها.

وتطورت الخطوط في رسوم الجدران، بتطور النظر الى السطوح. فأخذ الفنان يكتشف ان القسم الاقرب الى عينه من حجم ما، هو الاكثر وضوحاً، وان الاقسام ألاكثر بعداً يغمرها ظل يتكاثف بحسب بعدها. واصبح الظل مرادفاً للعمق. ومن هنا صار بامكان الرسم أن يفيد من النحت.

ثم لاحظ الفنانون ان انعكاس الضوء على المعدن والجلد ليس واحداً وان كل معدن، حديداً، أو فضة، أو ذهباً، يعكس الضوء بطريقة خاصة. واستخدم الزيت الذي اتاح للفنان كشوفاً جديدة في استخدام الضوء الذي يوقظ اللوحة ويحركها، ويثير النظر ويحركه.

لكن قبول الاضاءة أدى الى استبدال قانون المادة بقانون الضوء. وكان هذا القبول بداية لتشويه الشكل، أي بداية التمرد على الواقع.

وفي الانطباعية انتصر الضوء على الواقع المحسوس، واقع الكتل المتينة الصلبة.

وفي بداية القرن العشرين ماتت نهائياً مع مونيه Monet الواقعية القديمة. وصار كل شيء خاضعاً للضوء، شكلا وتعبيراً، وتخلص الرسام من الخط والنموذج، ولم يعد يعرف غير انطباعاته البصرية واهتزازات شبكة عينيه، وصارت المادة الجامدة سائلة بين يديه.

لكن هذا السائل سرعان ما صار ضباباً يرقص في خضوع لآلية التيارات التي تحرك الهواء، ضباباً يغطي الاشياء كلها، يمحوها، ولا تخترقه الا الشمس حيث تجعله شفافاً هنا، رقراقاً هناك، متموجاً هنالك.

هكذا كانت الانطباعيــة ذروة الواقعيــة وكمالهــا الاقصى. لكنها في عنادها للقبض على اكثر الاشياء هرباً وافلاتاً، هيأت للقضاء على المادة الصلبة التي هي، وحدها، نقطة الارتكاز الثابتة. بهذا جردت الواقعية من الفكر الواضح النير الذي تقوم عليــه، وهــو مدلــول الاشيــاء والاجســام، واستبدلته بواقع صوفي، يتبدل كالحلم، وتتحد فيه الرؤية بالتوهم.

الجمال والحقيقة

واذ صار واقع الرؤية متغيراً، يتبدل ويتحول، لم يعد امام الفن الحديث الا ان يتجه نحو اسس أخــرى. فبعــد أن استنفــد التصويــر امكانــيــات الواقعية، اتجه الى اكتشاف الامكانيات الشكلية واللونية، اتجه الى البحث البلاستيكي.

هكذا، حل البحث عن الجمال محل البحث عن الحقيقة، أو، بتعبير آخر، حل الجمال الذي تقدمه وسائل الابداع، محل الجمال الذي تقدمه وسائل الطبيعة.

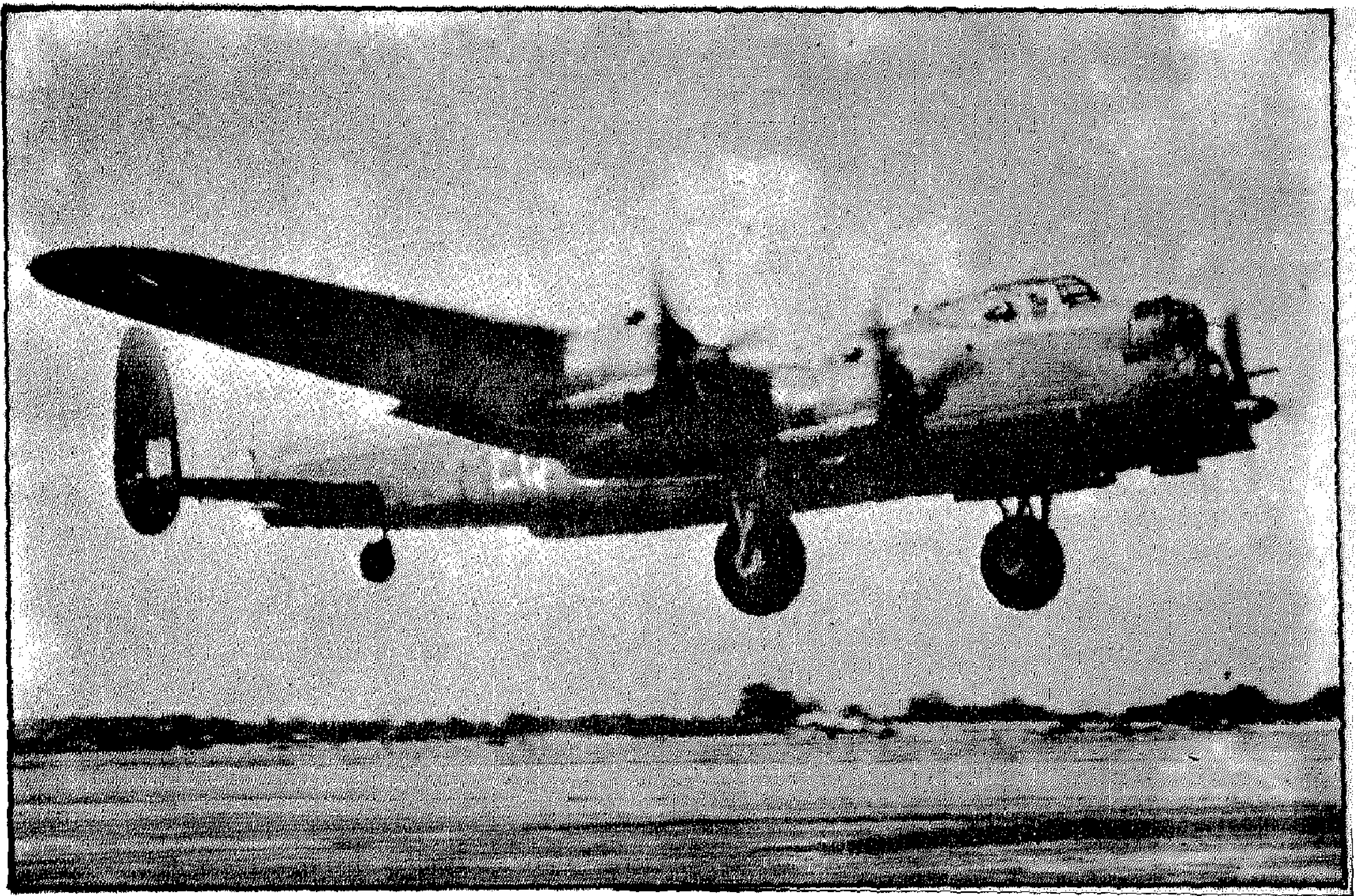
غير ان البحث البلاستيكي يتشعب في طرق كثيرة لولا انه يجد محوره في التكوين. والتكوين يكشف عن طاقة التعبير، فيما هو يؤالف بين عناصر اللوحة.

وسواء كان الاثر الفني واقعياً أو تعبيرياً، فلا يوجد الا حين يستقل عن مصدره، كالثمرة لا تنضج الا حين تترك الغصن الذي غذاها. والتكوين هو الذي يحقق هذا الاستقلال، فبغيره لا تنضج اللوحة. لا تكون.

والتكوين يقود الى الوحدة أبسط المبادىء واقدمها. غير انه لا يؤكد الوحدة وحسب، بل التنوع كذلك.

وقد وجد الفنان الغربي مبادئه التكوينية الأولى في النزعة الهندسية التي تسيطر على الحضارة المتوسطية. وهــذه الــروح الهندسيــة المأخــوذة بالنظام والدقة والثبات والتناسق والتي نشأت في ما بين النهرين ومصر، استمرت في الفن الايطالي الكلاسيكي وقد وصلت اليه بواسطة الفسيفساء البيزنطية.

ولا يجمع التكوين بين الشكل واللون وحسب، وانما يؤكد، الى ذلك، تأليفها التركيبي في وحدة الاثر الفني. لهذا يجيء تكوين اللوحة مركباً معقداً، بقدر ما يكون الفنان كبيراً.



■ طائرة "لنكستر" الانكليزية.

من ارتفاع ١٨ ألف قدم... إلى الارض بدون مظلة!

نيكولاس ستيف الكيماد

من قصص الحروب الغريبة (والحروب هي في الغالب قصص غريبة) هذه القصة التي كتبها نيكولاس ستيفن الكيماد وهو ضابط صف سابق في القوات الجوية الملكية البريطانية عن نفسه.

فقد القى الكيماد نفسه من طائرة "لنكستر" حربية، بعد ان اصيبت الطائرة واحترقت مظلته، من ارتفاع ١٨ الف قدم. وسقط الى الارض من دون ان يصاب بأذى بسبب سقوطه في منطقة حافلة باشجار الشربين... التي شكلت اوراقها المتساقطة على الارض بكثافة مع ندف الثلج نوعاً من العازل بينه وبين الارتطام بعنف بالارض الصلبة.

... وهكذا عاش نيكولاس، بينما مات زملاؤه الآخرون من طاقم الطائرة احتراقاً لانهم لم يستطيعوا القفز مثله من مثل هذا العلو الشاهق.

وفي ما يأتي القصة:

البرج الخلفي لقاذفة القنابل "لنكستر" بارد ومعزول، اذ تفصله عن بقية اعضاء الطاقم مجموعتان من الابواب و١٤ ياردا من جسم الطائرة. انه مكان ضيق لا يكاد يتسع لاكثر من جسم المدفعي بثيابه الضخمة. وليست له حتى فسحة ليلبس مظلته فيها. فحمائل المظلة موضوعة في جسم الطائرة داخل الباب الثاني.

وعلى المدفعي، في اية حالة طارئة، ان يغادر البرج الخلفي ليأتي بحمائل المظلة ويرمي بنفسه آملا بان لا يقطع الهوائي الخلفي للراديو جسده الى قسمين.وهذا العمل ينطوي بلا شك على مخاطرة.

باقتراب طائرتنا فوق برلين في ليلة ٢٤ – ٢٥ آذار ١٩٤٤ رأينا اشعة الانوار الكشافة تلمس السماء. أخذ المستطلعون أمامنا يحددون لنا الاهداف بعلامات حمراء وخضراء لتقوم قاذفة بعد اخرى من سربنا بقصف ادى الى اشعال الحرائق فيها. عندئذ بدأت المدافع المضادة للطائرات توجه نيرانها الى قاذفاتنا، فحولنا اتجاهها نحو قواعدنا ونحن نراقب بيقظة مقاتلات العدو الليلية التي كانت تعمل عن بعد. في هذه الاثناء رأيت وميضاً ينطلق فجأة على شكل كرات نارية تصيب بعض طائراتنا.

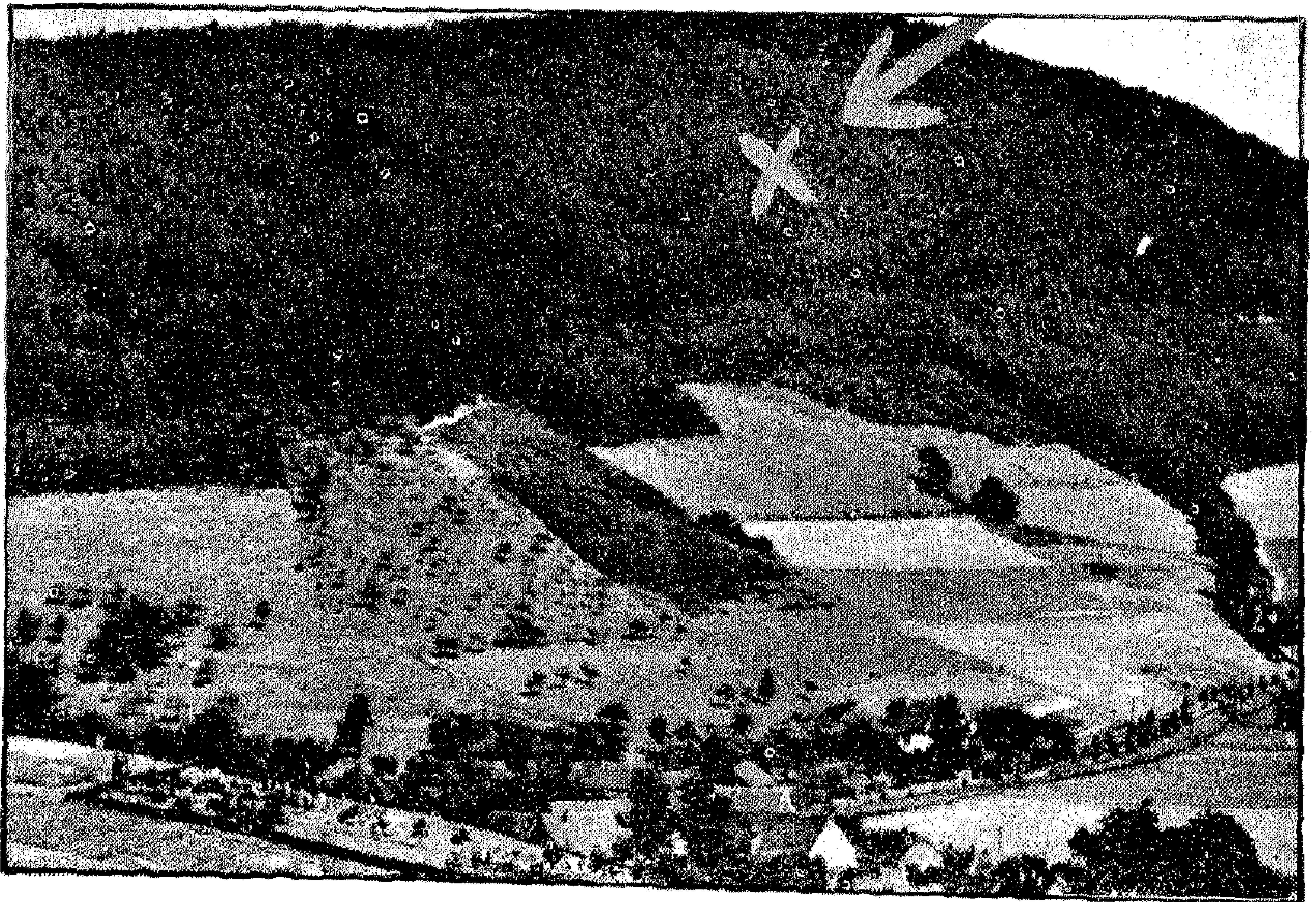
عندما اصبحت قاذفتنا فوق منطقة الرور ارتجت من مقدمتها حتى ذيلها نتيجة لانفجار قنبلتين فوق برجي الخلفي، حطمت شظاياهما الزجاج واصابت شظية ساقي اليمنى.

انزلت مدفعي بسرعة ونظرت الى الخارج لارى عن كثب ظلال مقاتلة (يونكرز ٨٨) تطلق النار بسرعة على طائرتنا المصابة. سددت الى الهدف وضغطت على زناد مدافعي الاربعة، فانطلقت النيران في واقت واحد لتصيب منفذ محرك المقاتلة. لم اكترث لمشاهدة مصيرها لانـي كنـت مهتمـاً بمصيـري الشخصي.

وامامي كانت النار المتقدة تندفع من خزان الوقود في طائرتنا بسرعة البرق. اتصلت بقائد الطائـرة بواسطـة "الانتـركـوم" – وهـو نظـام لتبادل الاتصال الداخلي – وابلغته ان ذيل الطائرة يحترق. ولكنه اختصر الجواب بقوله: "عليك ان تقفز".

ضربت ابواب البرج بقوة لفتحها، ففتحت. ثم فتحت باب جسم الطائرة وكانت النار تشتعل فيه والدخان يعمي عيني.عدت بسرعة الى برجي. ولكن على ان آتي بمظلتي! عاودت الكرة، ففتحت الابواب واندفعت الى الامام نحو حمائل المظلة.

لقدت فات الاوان! الحمائل تحترق وتتحول الى سحابة من دخان. عدت ثانية الى برجي وبدأت اقوم وضعي فهاانذا في الحادية والعشرين من عمري، وهذه هي آخر الطريق.. في هذه اللحظة اخذ الوقود في برجي الخلفي يشتعل واللهيب يصفع وجهي ويدي: وقد تنفجر الطائرة الآن.



■ ... المكان الذي سقط فيه.. غابة من السرو (شجر شبيه بالصنوبر موجود في اوروبا).



■ نيكولاس ستيف الكيماد

كان لابد من ان اتخذ قراراً سريعاً، فاما ان احتمل هذا الجحيم واما ان اقفز من الطائرة، وان كنت ساموتفمن الافضل ان القى حتفي سريعاً وبلا الموذلك بقفزة نحو الارض.

فتحت الباب، وفي حالة من اليأس الشديد القيت بنفسي في الفضاء المظلم. فاستمتعت ببرودته بعد ان كادت حرارة النار في برج الطائرة ان تقضي عليّ. ولم يكن لدي اي احساس بالسقوط، اذ كنت اشعر ان رحلتي من السماء الى الارض هي بمثابة راحة لي. وقبل ثوان من وصولي، الى الارض فكرت: "هل اسقط على رأسي اولا؟ واذا كانت القفزة هي الموت بحد ذاته فيجب الا اخشى شيئاً". ولكني أسفت لعدم توديع اصحابي ورؤية حبيبتي "بيرل" مرة أخرى في "لوفبورو". وكان من المقرر ان تبدأ اجازتي يوم الاحد القادم.

ومن ثم لا شيء ـ فلا بد من ان اكون قد فقدت الوعي.

وخلال مراحل بطيئة استعدت احساسي وشعرت بادىء ذي بدء بان هناك ضوءاً فوقي يتحول تدريجياً الى قطعة من سماء مضاءة بالنجوم. كان الضوء محاطاً باطار تبين لي في النهاية بانه ثقب في اغصان متشابكة من اشجار الشربين. ووجدت نفسي ملقى داخل هضبة عميقة من غابة مغطاة بالثلج.

بدأ قلبي ينبض ورأسي يرتج من شدة البرد. وبعد ان لمست جسمي وجدت بامكاني ان احرك ساقي. حمدت الله على بقائي حياً في قفزة من علو ثلاثة اميال وخمسي الميل.(١٨ الف قدم) بلا مظلة.

حاولت الوقوف فحال بيني وبين الالم الشديد. مددت عنقي فرأيت ثيابي ممزقة وقدمي عاريتين. خفت ان اتجمد من البرد حتى الموت. مددت يدي الى جيب سترتي القصيرة فوجدت فيها علبة مسطحة وملتوية وكنت قد وضعت فيها سجائري وقداحتي التي لم يلحقها اي اذى. وساعة يدي لم تزل تعمل بانتظام وعقاربها المضيئة كانت تشير الى ٣:٢٠ صباحاً. اذن، عند منتصف الليل اصيبت طائرتي.

ووجدت كذلك ان حول ياقة السترة لم تزل صفارتي التي استعملها في حال هبوط الطائرة اضطرارياً فوق سطح الماء من اجل الاتصال باعضاء طاقمها.

قلت لنفسي: "اكون سعيداً ان اصبحت اسير حرب". أخذت اصفر من وقت لآخر لعل احداً يعلم بوجودي هنا. وبعد ساعات قليلة سمعت صوتاً ينادي من بعيد "هولو"!

صفرت بشدة وسمعت الاصوات تقترب. تمكنت من رؤية مشاعل كهربائية تقترب نحوي. وبعد قليل رأيت رجالا واولاداً يقفون فوقي ويقولون لي "راوز" ـ انهض. وعندما تأكدوا بأني غير قادر على النهوض وضعوا قماشاً مشمعاً تحتي وجروني على ارض جليدية الى كوخ صغير حيث قدمت لي سيدة عجوز شراباً لذيذاً من البيض المخفوق مع السكر والقشدة والخمر.

وفي هذه الاثناء سمعت هدير سيارة يقترب ثم يتوقف في الخارج، واذا بشرطيين من التحري يدخلان الى الكوخ ويسوقانني الى داخل السيارة. سارت السيارة بنا في طريق وعرة نحو المستشفى حيث ادخلت الى غرفة العمليات. وعلمت بعد ساعات ان معظم ما لحق بي من حروق في ساقي والتواء في ركبتي اليمنى وجرح في فخذي وارتجاج خفيف في المخ وحروق في وجهي ويدي لم يكن نتيجة للقفزة التي قمت بها.

واخيراً، وضعت على فراش نظيف ولكن لا لانام، لاني فوجئت بقدوم شخص طويل القامة في لباس "فيرماخت". بدأ يستجوبني بواسطة مترجم عسكري: ما هي الاهداف التي هاجمتها؟ اين هي قاعدتك؟ كم عدد الطائرات في قاعدتك؟.. ذكرت له اسمي ورتبتي. وبالنسبة للاسئلة الاخرى قلت له: "لا يجوز ان اجيب".

ثم سألني عن مظلتي، لان الجواسيس عادة ما يخبئون مظلاتهم عندما ينزلون في اراضي العدو. قلت له: "لم استعمل المظلة"!

وقد تواصل التحقيق معي لمدة ثلاثة ايام متتالية. وفي النهاية ابقيت بمفردي.

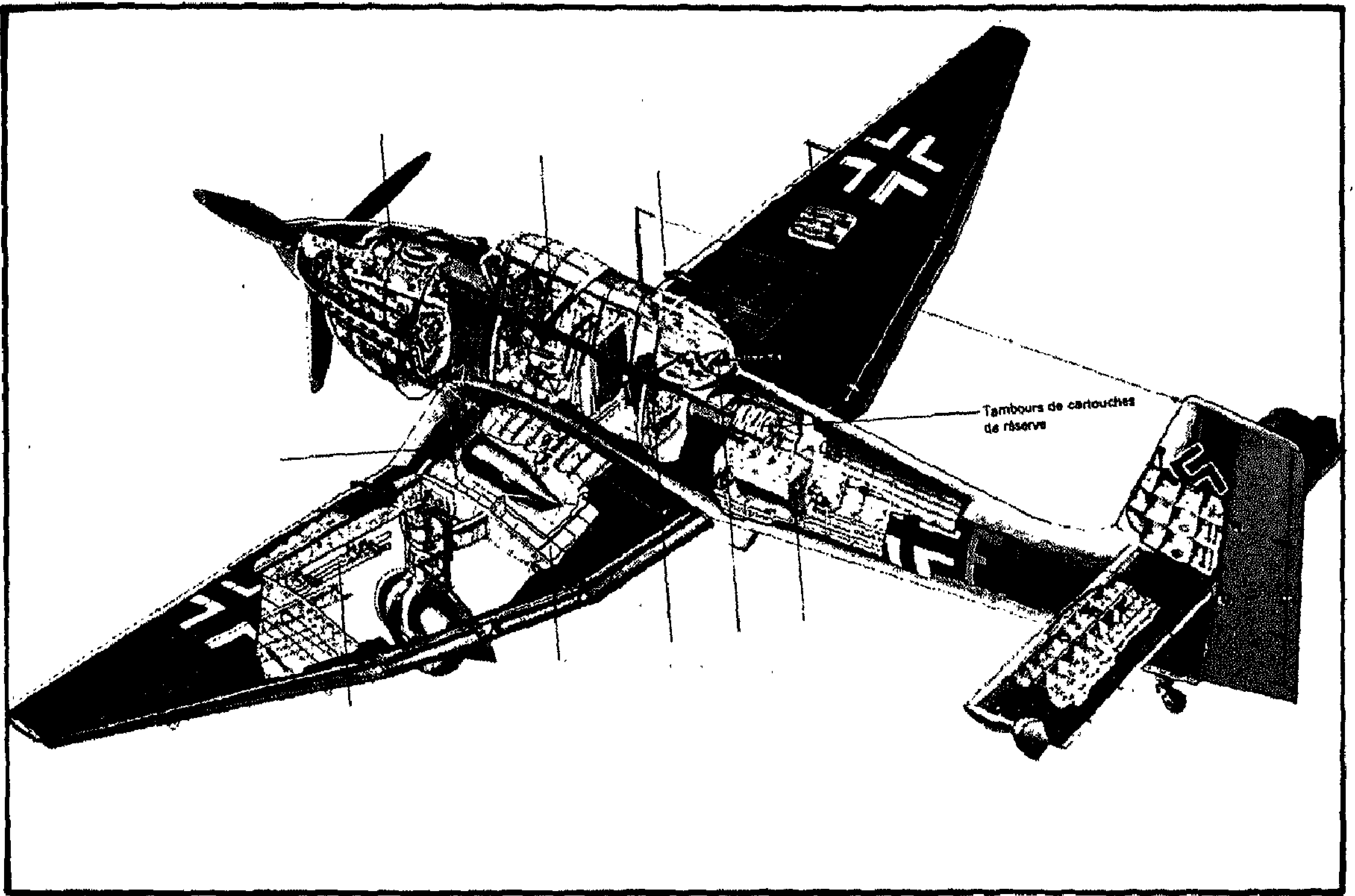
وعندما التأمت جروحي بعد مرور ثلاثة اسابيع على وجودي في المستشفى تم نقلي الى معسكر "دولاك لوفت" بالقرب من فرانكفورت حيث اودعت الحبس الانفرادي. وقد اخذت وقتي فيه للتفكير في كيفية اقناع المستنطقين بحقيقة قصتي التي لا تصدق.

بعد اسبوع، قادني ملازم شاب الى مكتب آمر المعسكر وهو برتبة كوموندون. قال لي بطريقة جافة وبلغة انكليزية "اهنئك". واضاف: "هل لك ان تخبرني عن قصة نجاتك غير العادية، من فضلك. لدي تقرير غير واف من الملازم، واعتقد بانك تدعي بقيامك بقفزة من طائرة ملتهبة من علو ٦٠٠٠ متر بلا مظلة. انها قصة طويلة، حضرة الرقيب، اليس كذلك؟".

قلت له ان باستطاعته اثبات الرواية اذا ما ابدى رغبة في ذلك، الم تقع طائرة من نوع "لنكستر" محطمة في منطقة الرور في ليلة ٢٤ ـ ٢٥ آذار؟ ان كان هذا قد حصل حقاً، فتكون تلك هي الطائرة التي قفزت منها. ان بقايا حمائل مظلتي موجودة أمام باب مؤخرة جسم الطائرة.

استمع الكوموندون الى حديثي بكل هدوء. وقال: "حقاً، انها رواية رائعةواسمع الكثير من الروايات!".

قدّم لي سيجارة وتحادثنا لمدة خمس عشرة دقيقة. ثم اتى الملازم ملوحاً بحمائل المظلة المحروقة وطرحها جانباً على الطاولة أخذ



■ طائرة "يونكرز" الالمانية.

الكوموندون بهذه الحقائق وقال بالانكليزية" انها اعجوبة! ويا لها من قصة ترويها لاحفادك!".

هنأني، ثم اذن لي بالانصراف .وقال: "غداً سيعلم رفاقك كيف اصبحت اسير حرب".

وفي اليوم التالي علمت بان المكان الذي تحطمت فيه طائرتنا يقع على بعد حوالي عشرين كيلومتراً من المكان الذي هبطت فيه، وان اربعة من طاقم الطائرة قد احترقوا حتى الموت ودفنوا في المقبرة العسكرية بالقرب من ميشيدي.

قادني ضابط طيار الماني ومعه ضابطا صف الى رقعة من الارض واسعة مسيجة، تجمع فيها نحو مئتي اسير من الطيارين الحلفاء. اخذت مكاني على كرسي خشبي وبدأ الضابط يسرد قصتي للطيارين المشككين فيها. وبعد ان انهى حديثه، قدمت لي ورقة موقعة من الضابط البريطاني الذي دون التصديق الالماني،ومن ضابطين بريطانيين شاهدين. انها قصاصة باهتة ولكنها ستكون دوماً موضع اعجابي وفخري:

"دولاك لوفت.

بعد التحقق والاثبات تعلن السلطات الالمانية ان الادلاء الذي قدمه الرقيب الكيماد ـ ١٤٣١٥٣٧ ـ في القوات الجوية الملكية هو صحيح، اي انه نزل من علو ١٨٠٠٠ قدم بلا مظلة وبدون ان يصاب بأذى. ولما كانت مظلته تشتعل في الطائرة فانه هبط على ثلج عميق بين اشجار الشربين.

"شهود الاثبات:

الملازم الاول هـ.ج. مور ـ الضابط البريطاني الاعلى

الرقيب الاول ر.ر. لامب ـ ضابط الصف الاعلى

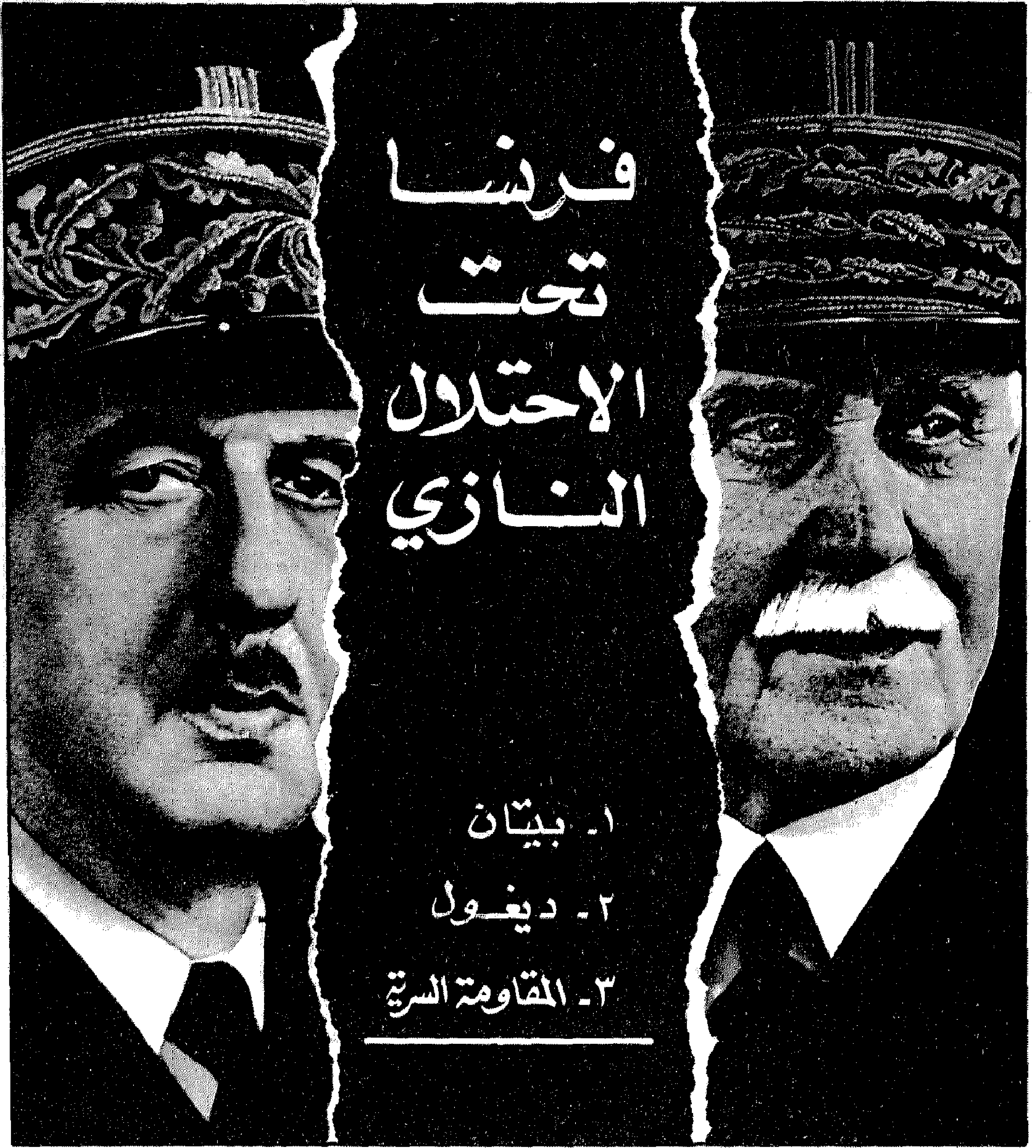
الرقيب الاول ت.١٠. جونز ـ ضابط الصف الاعلى.

"التاريخ ٢٥/٤/٤٤"

في شهر ايار ١٩٤٥، قامت المخابرات التابعة للقوات الجوية الملكية بالتدقيق في سجلات دولاك لوفت، فوجدت ان التقارير عن مغامرتي الغريبة واقعية، فدونتها في السجلات الرسمية للقوات الجوية الملكية.

واليوم، اعيش انا وبيرل بسعادة في لوفبورو. لقد اتخذت الخطوات الاولى نحو اتباع نصيحة الكوموندون الا وهي ان اسرد قصتي لاحفادي. وها انا انتظر حتى ينجب لي اولادي هؤلاء الاحفاد.

وفي نفس الوقت، اتساءل لماذا حصلت هذه الحادثة العجيبة لرجل عادي مثلي.



اعداد قسم الدراسات

عاشت فرنسا، طيلة فترة الاحتلال النازي، بوجهين متناقضين ولكن متكاملين في وقت واحد.

أحد هذين الوجهين، كان وجه التعاون مع المحتل والذي جسده الماريشال بيتان.

والثاني وجه المقاومة الشعبية للاحتلال، وقد جسده رمز هذه المقاومة وبطلها الجنرال شارل ديغول..

ولا يقل أهمية عن هذا الوجه الثاني، العمل السري الذي مارسه عدد من العملاء داخل صفوف العدو والذي كان له فضل مهم في عرقلة خطط العدو وارباك خطوطه الدفاعية.

وهذا الملف يحتوي على ٣ مقالات عن الوجوه الثلاثة: بيتان وديغول والعميل السري جيلبر رينو.

ظاهرة الماريشال بيتان

وتعاونه مع العدو منذ مؤتمر "كاسب مونتوار"...

"التعاون مع العدو" (١) قضية مطروحة في كل وقت على بساط البحث وفي الواقع، ومن الامثلة التاريخية الساطعة في هذا المجال تعاون الماريشال فيليب بيتان الرئيس الفرنسي خلال فترة الاحتلال الالماني النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠ - آب ١٩٤٤). واول ما يتبادر الى الذهن السؤال الجوهري التالي: كيف استطاع بيتان تبرير موقفه المستسلم والى اي مدى كان هذا التعاون متبادلا بين الطرفين؟؟؟

نظريا يمكن للمتعاون مع العدو المحتل لارضه ووطنه ان يبرر تصرفه هذا بحجج شتى ابرزها ثلاث:

١) التعاون التكتيكي: وهي الحجة التي ظل يتذرع بها بيتان طوال فترة الاحتلال النازي لفرنسا للدفاع عن سياسته "السلمية".

٢) التعاون عن اقتناع: وهو مثلا موقف "الحزب الشعبي الفرنسي" الذي اسسه جاك دوريو على نمط الحزب النازي الهتلري. وهذا التيار استمد شرعيته خصوصا من سياسة بيتان نفسها المتخاذلة والمصبوغة بـ"التكتيكية".

٣) التعاون على اساس المصلحة المادية: وهو موقف الطفيليين الذين يحاولون الاصطياد في المياه العكرة تأمينا لمصالحهم الانانية.

٤ أوهام

وقد ساعد بيتان في الاستمرار في هذه السياسة الجو السائد يومها بين صفوف عامة الفرنسيين الذين فوجئوا بوقوع الكارثة الوطنية فتمسكوا بأي شيء للخلاص من "المصير المجهول". ويمكن تلخيص هذا الجو من خلال ذكر القناعات الاربع التالية التي كانت في الواقع مجرد اوهام اكثر منها حقائق:

١) في استطاعة الالمان النازيين ان ينفذوا ما يشاؤون ومتى يشاؤون، وهم يملكون الوسائل لذلك، اذن من الافضل عدم معارضة ومقاومة ما هو "تحصيل حاصل".

٢) ان هتلر هو مجرد محتل كلاسيكي لاراضي الغير، وككل محتل في التاريخ لا بد ان ينسحب من هذه الاراضي عاجلا ام آجلا. (يومها لم تكن ممارسات النازية العنصرية الرهيبة ماثلة لدى الرأي العام بكل حقائقها، ولم تتكشف خطط هتلر الخطيرة على نطاق واسع الا بعد انحسار النازية العسكري وهزيمتها).

٣) كان "الخطر الشيوعي" ماثلا بقوة في هذه الفترة: من تصفيات معارضي ستالين في الاتحاد السوفياتي الى حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا والتي شارك فيها الشيوعيون في شكل رئيسي.

٤) ان مسألة وحدة فرنسا وسلامتها هي القضية الاولى في ظل الاحتلال النازي. لذلك اعتبر بيتان ان العمليات الفدائية للمقاومة الشعبية "تخرب مسيرة السلام والبناء" وتؤدي الى تفاقم خطر الحرب الاهلية، فهي بالتالي غير شرعية ومن واجب الدولة ان تقمعها.

وعلى هذا الاساس النفسي للوضع في فرنسا كما تخيله الماريشال المتعاون، وجه بيتان نداءه الاستسلامي الى الفرنسيين في ١٧ حزيران ١٩٤٠: "بقلب جريح اقول لكم اليوم: اوقفوا القتال...".

ولكن حقيقة الوضع كانت مغايرة تماما، اذ لم تمض ٢٤ ساعة على نداء بيتان حتى وجه الجنرال ديغول صرخته الشهيرة من اذاعة لندن (١٨ حزيران):

"... ان القادة الذين كانوا منذ سنوات طويلة على رأس القوات المسلحة الفرنسية (١) هم الذين شكلوا حكومة تحت الاحتلال (٢). وبررت هذه الحكومة تعاونها مع العدو بحجة الهزيمة التي لحقت بقواتنا المسلحة. ولكن هل انتهى كل شيء؟ هل فقدنا الامل؟ وهل ان الهزيمة هي نهاية كل شيء؟ كلا. ففرنسا ليست وحدها، ليست وحدها، ليست وحدها. وليست هذه الحرب محصورة في الاراضي المقهورة من بلادنا. كما انها لم تحسم من خلال معركة فرنسا. هذه الحرب هي حرب عالمية...

انا الجنرال ديغول الموجود حاليا في لندن ادعو الضباط والجنود الفرنسيين الموجودين فوق

الاراضي البريطانية، كما ادعو المهندسين والعمال المهرة في المصانع الحربية الى الاتصال شخصيا بي. مهما حصل فان شعلة المقاومة الفرنسية يجب ان لا تنطفىء، وهي لن تنطفىء...".

سياستان متعارضتان

وهكذا فمنذ اليوم الاول للاحتلال النازي لفرنسا برزت سياستان متعارضتان: الاولى للماريشال بيتان وجماعته من المتعاونين "الواقعيين" والعملاء المنتفعين، والثانية للجنرال ديغول ورفاقه في المنفى الداعين للمقاومة المسلحة التي تفجرت في وجه الاحتلال منذ اليوم الاول من الهزيمة العسكرية.

ومع أن التاريخ اثبت في ما بعد ان سياسة المقاومة المسلحة المنظمة كانت هي السياسة الصائبة في ذلك الجو السياسي المظلم الذي خيم على اوروبا طوال اربع سنوات، الا انه ما زال هناك في عالمنا اليوم من يصر على تجاهل المصير الاسود الذي ادت اليه سياسة بيتان الانهزامية.

فكيف ابتدأت سياسة التعاون بين بيتان وهتلر؟ وكيف انتهت؟

يوم الخميس في ١٩٤٠/١٠/٢٤ لبى بيتان دعوة هتلر للاجتماع به في "كمب مونتوار". وصدر في ٢٦ تشرين الاول البيان الرسمي التالي عن حكومة فيشي:

"ان الاجتماع الذي جرى في ٢٤ تشرين الاول بين المستشار هتلر والماريشال بيتان بحضور السيدين فون ريبنتروب وبيار لافال، ساده جو من اللياقة الفائقة. وتم استقبال الماريشال بمراسم الشرف التي تناسب مكانته. وتناول الاجتماع بين رئيسي الدولتين الوضع العام في المنطقة وخصوصا مسألة اعادة بناء السلام في اوروبا. واتفق الجانبان على مبدأ التعاون. وسيتم بحث اجراءات التعاون في ما بعد".

وفي ٣٠ تشرين الاول اوضح بيتان بنفسه في حديثه الى الفرنسيين خلفيات اللقاء، فاقه كالآتي:

"... يشكل هذا اللقاء الاول بين المنتصر والمهزوم بداية نهوض بلدنا. لقد لبيت دعوة الفوهرر بملء ارادتي ولم يضغط علي احد ولم يفرض علي اي شيء. فقط طرحوا علي مسألة التعاون بين بلدينا، فوافقت على المبدأ. وسوف نناقش اجراءات التعاون لاحقا... انني اسلك اليوم طريق التعاون على اساس التمسك بشرف فرنسا ومن اجل الحفاظ على الوحدة الفرنسية، هذه



■ عربة القطار التي وقع فيها استسلام فرنسا وقد احضرها هتلر خصيصاً لتوقيع الاتفاق لان الحلفاء جعلوا المانيا توقع فيها وثيقة الاستسلام عام ١٩١٨.



■ الجيش الألماني في ساحة النصر بباريس!



■ الماريشال بعد التعاون.. مع هتلر في مؤتمر "مونتوار" في ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٠

الوحدة التي تعود الى عشرة قرون، وذلك في اطار التوجه البناء لتشييد النظام الاوروبي الجديد. اننا سنعمل خلال فترة قصيرة على تخفيف معاناة بلدنا وتحسين مصير بنائنا وتخفيف اعباء الاحتلال. كما سنعمل على تخفيف القيود على الحدود من اجل تسهيل عمل الادارة الرسمية الفرنسية ومن تسهيل حركة التموين لبلادنا. يجب ان يكون هذا التعاون مخلصا. وعلينا ان نزيل من اذهاننا كل فكرة عدوانية. وبالتالي من الضروري ان نعمل ما في وسعنا لتنفيذ متطلبات هذا التعاون بكل صبر وثقة.

"وعلى كل حال فان اتفاقية الهدنة ليست هي السلام...

"... هذه هي سياستي. من الآن فصاعدا سيكون الوزراء مسؤولين امامي فقط. ان التاريخ سيصدر حكمه عليّ انا وحدي. كنت في السابق اخاطبكم كأب، اما اليوم فانني اخاطبكم كقائد فاتبعوني وضعوا ثقتكم في فرنسا الى الابد..."

محاولة "تطمين" بريطانيا

وكان لهذا اللقاء بين بيتان وهتلر صدى واسع في الاوساط العالمية الرسمية والشعبية مما دفع بالماريشال بيتان الى القيام بسلسلة اتصالات سرية للتخفيف من وقعه. وكان ابرز هذه الاتصالات اجتماعه بسفير البرتغال في فرنسا في ٣٠ تشرين الاول الذي كلف بابلاغ ونستون تشرشل انه بعد "كمب مونتوار" لن تتأثر العلاقات الفرنسية ـ البريطانية وطلب ان ينقل اليه المواقف المبدئية التالية لحكومة فيشي:

١ ـ لن يكون هناك ابدا تعاون عسكري بين فرنسا والمانيا.

٢ ـ لن نسمح ابدا بأي عمل عدواني ضد بريطانيا.

٣ ـ ولكن اذا تعرضت فرنسا الى هجوم فانها ستدافع عن نفسها لوحدها...

وكان هذا الموقف "المبدئي" الثالث مدار سخرية في الاوساط البريطانية شبه الرسمية بسبب ما يحمل من تخبط واضح للماريشال المتعاون الذي لم ترتفع نخوته القتالية عندما تعرضت فرنسا منذ اشهر قليلة فقط الى الهجوم النازي الالماني.

وفي الواقع فان "التعاون" الذي اقترحه هتلر على بيتان في "مونتوار" كان مجرد صفقة شكلية. واظهرت كل الدلائل في ما بعد ان هذا التعاون كان سرابا: فلم يستطع هتلر جرّ الشعب الفرنسي الى تبني سياسة بيتان الاستسلامية، كما لم تستطع حكومة فيشي تبرير خيانتها الوطنية من خلال تصويرها مثل هذا التعاون وكأنه يخفف من آلام الفرنسيين، ذلك لان القمع النازي العنصري كان خارج اطار المساومات التكتيكية.

تنازلات كبيرة

وهكذا كان لقاء "مونتوار" الاطار القانوني للتنازلات الكبيرة التي قام بها بيتان، وأهمها:

+ دعمه المعنوي للقوات الفرنسية العاملة بأمرة الجيش الهتلري على الجبهة السوفياتية.

+ تشجيعه للميليشيا الفرنسية التي شكلها المجتل لتكون جهازا قمعيا رديفا للغيستابو.

+ تجاهله لعمليات الابعاد المتزايدة ضد الفرنسيين.

+ تجاهله لمصير مقاطعة "الالزاس لورين" الفرنسية التي عمل هتلر على ضمها لامبراطوريته.

وككل متعاون كان مصير بيتان مرهونا بقدرة النازيين على استغلال مكانته واصله الريفي الفلاحي المتواضع لخدمة اغراضهم. وعندما استنفدت قوات الاحتلال كل اوراق بيتان خلعته بالقوة من منصبه كرئيس لفرنسا في ١٩٤٤/٨/٢٠ واستبدلته بمتعاون آخر "اكثر حيوية". وبعد اربع سنوات من بدء "تعاون" بيتان مع العدو سقط الماريشال المتعاون قبل سقوط هتلر. وكان هذا يعني في الواقع هزيمة ساحقة لسياسة الامر الواقع القصيرة النظر.

شارل ديغول
بطاقة هوية

اعداد : محي كحالة

هنري ديغول لم يكن شخصاً عادياً، عدا كونه والد الجنرال شارل ديغول، فقد عرف في بداية القرن العشرين بسعة ثقافته: كان يحمل لقب دكتوراه في الاداب وفي العلوم وفي الحقوق.

شارل ديغول ولد في ١٨٩٠ وفتح عينيه على بداية عصر مشحون والتقى فرنسا الجمهورية الثالثة. الاجواء العائلية التي عاشها اثرت كثيراً في قدرته وحياته السياسية. والده المثقف اتخذ مواقف ثابتة وصريحة من القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة في عصره. لكن وطنيته وحبه لفرنسا ترسخا في اعماقه فنقلهما الى اولاده، بحرارة وايمان. هاجس الكرامة الفرنسية لم يفارقه ابداً.

طفولة شارل ديغول تعتبر اهم مراحل حياته قبل تكوين شخصيته الفذة. لم يكن سهل المراس ولا صاحب شخصية بسيطة. كان نكداً ومشاغباً، وغالباً ما كان طبعه لا يحتمل. كان متصلباً ومتسلطاً يريد فرض إرادته على اخوته. وفي المدرسة نصب نفسه محامياً للضعيف. لكن شارل الطيب او المتصلب يبقى شارل البارد. ويمزح اخوانه ووالداه فيقولون: "ربما سقط شارل من جبل ثلج".

حتى بين العاب الاولاد كان ديغول يختار مجموعة رائعة من الجنود. كانوا يتقاسمون الجيوش: كزافييه ملك انكلترا وجاك امبراطور روسيا، ودائماً شارل ملكاً لفرنسا. وكانت الصعوبة الكبرى ايجاد من يحمل تاج بروسيا.

عاش الاولاد دائماً بفضل والدهم الاجواء التاريخية وكانوا لا يمرون في شارع او منطقة دون ان يثير الوالد ذكريات وطنية حدثت فيها او اعطت للشارع اسمه. خلال تناول وجبات الطعام تدور الاحاديث عن قيصر وبومبي، عن كورناي وراسين، عن الشرف والحب. والكاتب المفضل هو كورناي: لان ابطاله ينتصرون دائماً. وكل خميس وأحد يروي هنري ديغول لاولاده المتحلقين حوله الاساطير الشهيرة او يقرأ لامرتين او يخبرهم عن سيرانو دو برجراك.

وكل سنة تحتفل العائلة بعيد القديسة حنة لان السيدة ديغول تحمل اسمها، وللمناسبة يلبس الاولاد ثياب شخصيات مسرحية شهيرة.

كان في الرابعة عشرة من عمره عندما الف كوميديا "اللقاء المزعج"، وبعد نظر والده - الذي تخرج على يديه اكثر من جيل - جعله يكتب يوماً "شارل سيذهب بعيداً... بعيداً، يا الهي، اجعل كل شيء يتم على ما يرام".

كان اعجابه بكل اولاده يمنعه من تمييز ذكاء شارل وصفاته الفذة: قوي ومشاغب، مستبد ومتعصب، لم يكف يوماً عن اظهار عطف فائق تجاه اهله. "انه الولد الاكثر محبة" يردد. ولصغر سنه لم يتمكن من التقدم الى الامتحان الرسمي للبكالوريا فالتحق بصف الفلسفة حتى لا يضيع وقته. ولكنه في النهاية نجح بتفوق في البكالوريا القسم الاول.

لكن "الازمنة الجميلة" لم تمر دون مشاكل سياسية. وفي الاجواء العائلية تتخذ القضايا السياسية الوطنية والعالمية اصداء بعيدة المدى. ورغم القوانين المدرسية للجمهورية الفرنسية تبقى فرنسا ابنة الكنيسة. وتأتي مسألة "دريفوس" وذيولها لتلقي الاضطراب في حلقة العائلة التي ترى في الجيش اداة الانتقام المستقبلية. وعلى الحدود، كانت حرب الترانسفال تثير سخط هنري ديغول.

في العام ١٩٠٧ غادر شارل ديغول باريس. اذ انه بعد طرد اليسوعيين من فرنسا ارسله والده الى معهد القلبين الاقدسين في بلجيكا لدراسة الرياضيات.

واظهر التلميذ براعة في الرياضيات وحثه اساتذته على التحضير لدخول مدرسة البوليتكنيك. انما لا، كان اختياره يتوجه منذ زمان نحو "سان سير" وعلى الاخص سلاح المشاة، وهو يقول "ان ميدان العمل فيه اوسع".

ومن ٢٠ الى ٢٥ ايار ١٩٠٨ اعتكف التلامذة لتحضير دروس نهاية السنة، كان من العادة ان ينال التلميذ اللامع شرف تقديم الشكر الى مدير المعهد الاب اراس. هذا التلميذ كان شارل ديغول، الذي وقف وقال: "يؤخذ على تلامذة اليسوعيين ان



لا شخصية لديهم سنعرف كيف نبرهن على العكس". ويتوقف قليلا ليضيف: " اما المستقبل فكبير لانه سيكون من صنعنا". والغريب انه في السنة ذاتها اعلن انكليزي يدعى ونستون تشرشل ان "باستطاعتي احياناً ان احمل العالم على كتفي".

قبل الحرب الكبرى بأربع سنوات عاد ديغول الى باريس ودخل معهد ستانيسلاس لتحضير دروس "سان سير". وفي الصف، كان اساتذة وطلاب يناقشون في اوقات فراغهم اعمال شارل مورا ويحللون بحماس بدايات "الاعمال الفرنسية" ومبادىء الوطنية البحتة.

وبعدما عبر ديغول حدود عصرين ماذا يكون: ملكياً كوالده او جمهورياً؟ لقد رأى الملكية ظلا ينكفىء وكان الواقع يدل على ان فرنسا وحدها الباقية. وهو تمسك بالديموقراطية وبالجمهورية التي اتخذت طابعاً وطنياً اصيلا. ان الانظمة تمضي ويبقى الوطن، وفي نظره دخلت الجمهورية الثالثة - العابرة كغيرها - في صلب الاشياء.

الدفعة الرابعة والتسعون في"سان سير" استقبلت تلميذاً جديداً يدعى شارل ديغول ما بين ١٩٠٩ و١٩١٢، كان على الطلاب المرور بسنة من الخدمة العسكرية الالزامية، فاختار شارل سلاح المشاة الثالث والثلاثين في "اراس".

في ١٩١٠ يخضع ديغول بشعره الحليق لنظام المدرسة القاسي، وفي ١٩١٢ يخرج منها بلباسه العسكري وسيفه برتبة ملازم فيختار مجدداً سلاح المشاة الثالث والثلاثين في ارتوا.

لقد "تعلم ليغلب" لكنه يهتم كثيراً بالحياة السياسية. وبكلمة يعبر عن اعجابه بزعيم برلماني مثيراً الدهشة في الوسط العائلي: انه جورج كليمنصو، هذا الرجل الذي لم يكن بعد صانع النصر، والذي قبل ١٩١٤ لم ير فيه اليمنيون سوى العدو الرئيسي للرهبان والملوك. انه رئيس المجلس الذي تجادل مع النائب الملكي "راحل" في جلسة عاصفة دارت حول العقاب الواجب انزاله بخمسة ضباط شاركوا في قداس اقيم ضمن ندوة للشبيبة الكاثوليكية.

انما في نظر ديغول كان كليمنصو يجمع الصفات التي ستوصله الى اعلى المستويات. وقد وافقه عندما عارض التوسع الخارجي لفرنسا معتبراً ان المعارك الخارجية في "ما بعد البحار" خيانة كبرى لمبادىء فرنسا.

في احد الايام عين قائد جديد للكتيبة الثالثة والثلاثين. انه بيتان: هذا الفلاح الذي اختار مهنة السلاح بعد هزيمة فرنسا في ١٨٧٠ - ١٨٧١. ومثل ديغول لم تفارقه فكرة محددة هي: الثأر. وبعد هذا التعيين بدأت العلاقات تتوثق بين بيتان وديغول، فاكثر من صفة مشتركة جمعت بينهما. بدأ الاعجاب من طرف واحد، تحمس ديغول لقائده الفذ. ٣٤ عاماً تفصل بين الرجلين. وعندما ولد ديغول كان بيتان يتابع دروس المدرسة العليا للحرب. وفي ١٩٠٠ عين مدرساً في المدرسة الوطنية للرماية، وقد اثار فرنسا بآرائه الحديثة عن الحرب وقال عنه ديغول "انه رجل كبير".

وعشية الحرب الكبرى وضع بيتان خطة عسكرية لم يحد عنها: لا يهاجم قبل استنزاف العدو. انه رجل الدفاع لا الهجوم. لقد كان ينقصه شيء هام: لم يكن يملك فن قيادة الجيوش.

ان شخصية بيتان الذي ضحى بمستقبله من اجل افكاره جذبت ديغول بنفس النسبة لتعاليمه. والاعجاب صار متبادلا. اذ القائد الهرم يعرف قيمة الانسان. وكانت علاماته لديغول كالآتي:

١٩١٢: الفصل الاول، تخرج من "سان سير" في المرتبة ١٣ من اصل ٢١١، برهن منذ البداية على انه ضابط قدير يبشر بمستقبل اكيد.

١٩١٣: الفصل الثاني: ذكاء حاد، يحب عمله الى حد العشق... يستحق كل تقدير.

ورغم كل المظاهر، فان بيتان وديغول خجولان للغاية. انهما متكبران ولكن مختلفين: الاول بكبرياء الفلاح والثاني بكبرياء الارستقراطي. كانا يعرفان جيداً حقيقة قيمتهما واحتقرا الرجال المبتذلين. كانت البلاهة والدونية تثيران قرفهما.

ولم يخف ديغول تعاليه. في"سان سير" كان رفاقه يدعونه "الديك" او "الطاووس" لكن بين بيتان وديغول كانت هناك فوارق بارزة. كان الاول ملحداً منذ الصغر، اعزب، قاسياً، ذا علاقات كثيرة لا تعد. وكان يصرح بقوله: "اكثر ما احب، المشاة والحب". وكان يلهو مع اي امرأة دون النظر الى المستوى او الثقافة. طلب اليه يوماً ان يعطي اسماء الضباط الذين يحضرون القداس فصرح بانه يجلس في الصف الاول وبالتالي لا يمكنه مراقبة الحضور!

كان اسلوبه يعتمد على الكلمة المعبرة التي تلخص الفكرة: "ان الهجوم هو النار المتقدمة والدفاع هو النار التي توقف الهجوم. المدفع يغزو، والمشاة يحتلون".

في ١٩١٤ لعب القدر. لا شيء يوقف الاخطار. الملازم ديغول مستعد للتجربة الكبرى.

المقاومة الفرنسية السرّية اثناء الاحتلال النازي

اعداد قسم الدراسات

اسمه الحقيقي: جيلبير رينو
من اشهر القابه الحركية السرية: ريمي
أول مؤلفاته التي صدرت غداة تحرير فرنسا من الاحتلال النازي: "مذكرات عميل سري لفرنسا الحرة".

ولد رينو سنة ١٩٠٤ وهو ما زال على قيد الحياة حتى اليوم.

اضافة الى المعلومات المثيرة التي تضمنها الكتاب، كشف ريمي للمرة الاولى في مقابلة مهمة (١) جوانب جديدة من حياته السرية والعلنية تستحق التوقف عند اهمها.

★ ★ ★

وريمي ليس بجاسوس محترف كباقي الجواسيس التقليديين، انه مناضل من اجل الحرية والديمقراطية. دخل ميدان العمل السري صدفة ومن غير تدريب مسبق. كان دافعه الرئيسي: مقاومة النازية التي تحتل بلاده.

قبل الاحتلال النازي لفرنسا (حزيران ١٩٤٠) عمل ريمي في قطاع المصارف ثم في قطاع التأمينات. ومن خلال عمله هذا اتصل بعدد كبير من الشخصيات والفعاليات وسافر الى بلاد عدة منها اسبانيا حيث كان يأمل بالعمل في شركة تأمين كانت تمول فيلما سينمائيا عن كريستوف كولومبوس. ولكنه ما لبث ان عاد الى فرنسا اثر نشوب الحرب الاهلية الاسبانية في سنة ١٩٣٩.

فور سماعه بدخول طلائع الجيش الالماني النازي الى فرنسا، هاجر ريمي الى بريطانيا هربا من العنصرية الهتلرية التي لم يعرف الاخبار والروايات عنها في بادىء الامر الا نفر محدود من المحظوظين مثل ريمي الذي استقى المعلومات الحية عن الممارسات النازية من صديقه الالزاسي "اوتو هونتزباخلر"، مراسل وكالة "هافاس" للانباء في براغ. اوضح ريمي هذه النقطة بقوله: "... كنت من بين الفرنسيين القلائل الذين سمعوا في تلك الفترة بمعتقلات "داشو" الرهيبة وباساليب الفيستابو العنصرية. واؤكد انني تركت كل شيء بسبب اولادي وزوجتي...".

ومن لندن كان الجنرال ديغول يبث نداءاته عبر الاذاعة لمقاومة الاحتلال النازي. ومنذ اللحظة الاولى لسماعه برنامج ديغول شعر بواجبه الوطني؛ وفي اليوم التالي ذهب ريمي الى مقر الجنرال في سانت ستيفنس هاوس قرب ويستمنستر. ولكنه لم يحظ بمقابلة الجنرال في البدء فاحيل الى ضابط في المخابرات... وهكذا دخل ريمي في خدمة مخابرات فرنسا الحرة برتبة كولونيل.

★ ★ ★

أخطر عملية تجسس

كانت اخطر عملية تجسس نجح ريمي في تأديتها تحديده للمواقع الاساسية للقواعد العسكرية البحرية الالمانية المنتشرة في مرافىء بحار الشمال والمانش والاطلسي. واهمية هذه العملية انها اتت في وقت كان يستعد فيه النازيون لمهاجمة بريطانيا بحرا بواسطة اسطول ضخم من احدث الطرادات الحربية التي كانت تجهز في اكثر من مكان على طول شواطىء البحار الثلاثة.

قال ريمي: "... كلفوني بالقيام باحصاء للقواعد الالمانية وبتحديد مكانها وتجميع اكبر عدد ممكن من المعلومات حولها... وبدأت العمل... كان ذلك في اواخر صيف ١٩٤٠. سافرت اكثر من مرة الى فرنسا بهويتي الحقيقية. وكان ذلك سهلا بسبب ان الفيستابو لم تكن رتبت جهازها بعد في الاراضي المحتلة.

بدأت اولا بتنظيم الاتصالات وتأمين ارسال البريد بانتظام. وفوجئت بكثرة المتطوعين الراغبين في العمل معي. وفي تلك المرحلة الاولى من عملنا كنا حذرين من المخبرين فقط على رغم انهم لم يتجرأوا بعد على الظهور علنا...

حصلنا على اول خبر مهم بواسطة بائع نبيذ أكد لنا ان الالمان يجهزون قاعدة عسكرية في "سانت نازير" ... وبدأت فورا في البحث عن خبير

(١) نص المقابلة في كتاب خاص اصدرته مجلة "ايستوراما" الفرنسية المتخصصة في التاريخ، وعنوانه "الجواسيس الكبار خلال الحرب العالمية الثانية"، الجزء الاول، ١٩٧٤، صفحة ١٠٢ - ١٥٢ -



■ صورة لريمي في تشرين الاول ١٩٤٢

بالاتصالات اللاسلكية لتشغيل جهاز راديو وزنه ٣٠ كلغ كان الانكليز زودوني به قبل مدة، وكما تلاحظ لم تكن لدى الانكليز الامكانات الكافية لتزويدي بجهاز راديو اخف وزنا وبالتالي اقل مجازفة...

كان علينا العمل بسرعة لان معركة الاطلسي كانت قد بدأت بالفعل...

وتكاثرت المعلومات لدينا: فعلمنا بوجود قاعدة عسكرية بحرية في "لوريان" واخرى في "لاباليس" ... وهكذا عرف الحلفاء بين آذار ١٩٤١ وحزيران ١٩٤٢ كل ما يجري في مرفأ "بوردو" من تجهيزات واستعدادات عسكرية. وشكلت هذه المعلومات التي نقلناها الى لندن المنطلق لتدمير ١٠١ طرادا المانيا اضافة الى اكثر من ٤٠ باخرة شحن مختلفة... ثم انصب جهدنا على الطرادين الالمانيين الخطيرين "غنيزانو" و"شارنهورست" اللذين عرفنا انهما موجودان في "بريست" في احواض "نينون". وحصلنا على هذه المعلومات المهمة والاستراتيجية من الملازم "فيليبون" الذي كان يعمل كخبير تقني في "نينون" لصالح البحرية الالمانية النازية. وكان "فيليبون" يخدم النازيين بسبب كرهه "الوراثي" للانكليز. وعرفنا في ما بعد انه اقسم يمين الولاء للماريشال بيتان يوم تسلمه السلطة تحت الاحتلال. وتطلب اقناعه بصحة المبادىء التي نناضل من اجلها وقتاً غير قصير اضافة الى اتصالات سرية مع رئيسه في العمل الكابتين "الديغولي" كورسون...".

معلومات عن الطراديين

كان هاجس ريمي في كل لحظة تأمين اكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذين الطرادين تسهيلا لشن غارة عليهما من قبل سلاح الجو البريطاني. واظهرت نوعية اتصالاته وعملائه ان الخلايا السرية التي نظمها يومها كانت متينة للغاية ودقيقة في عملها.

واستنادا الى هذه المعلومات استطاع سلاح الجو البريطاني في ١٩٤١/٤/٦ اعطاب الطراد "غنيزانو" لمدة ٦ اشهر على الاقل، ولكن المقاومات الارضية الالمانية حول الموقع، والتي قدرت باكثر من ٣٠٠ مدفع مضاد للطائرات، اسقطت كل الطائرات البريطانية المهاجمة يومها.

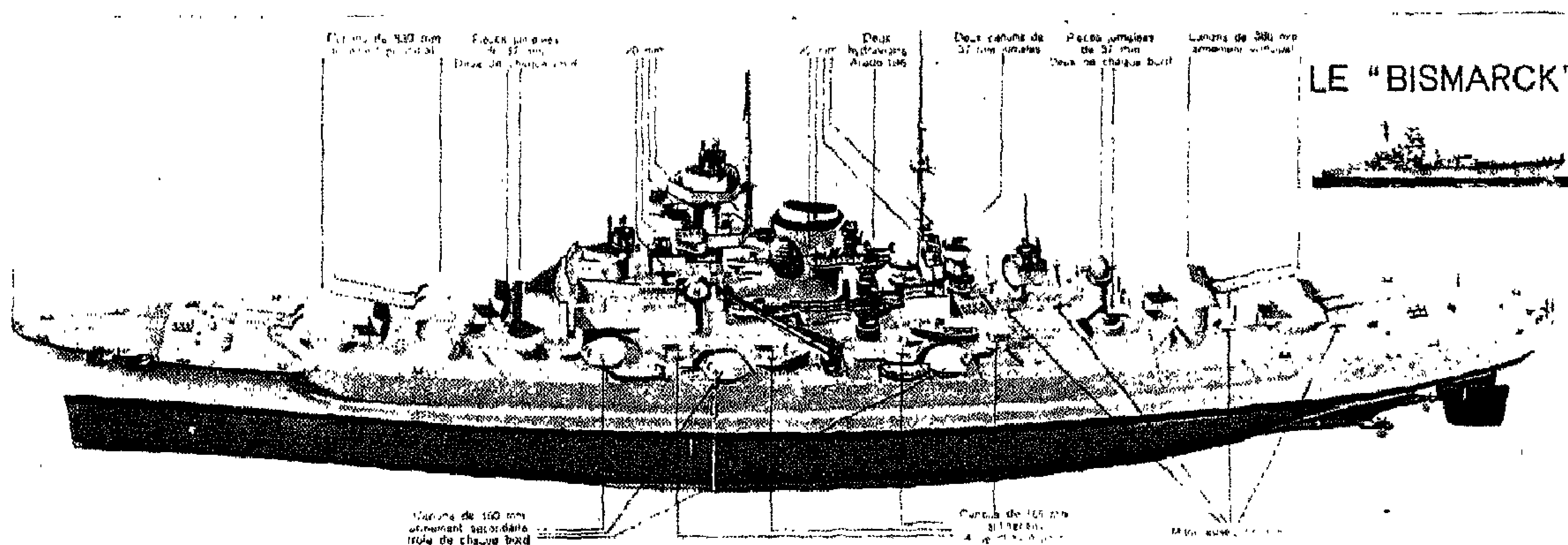
وفي ١٩٤١/٧/١٨ اصيب "غنيزانو" مرة ثانية مما اعطبه لاشهر اضافية اخرى.

اما بالنسبة الى الطراد الآخر "شارنهورست"، فمطاردته كانت اصعب:

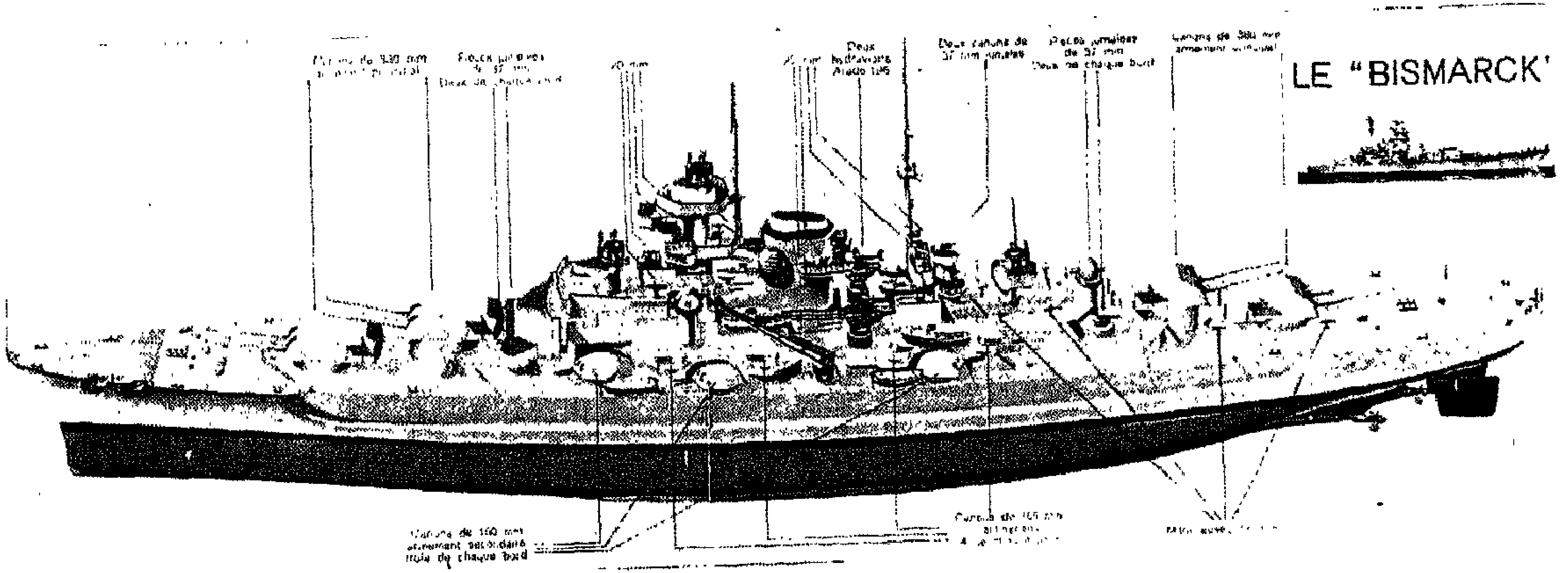
"... ففي ٢٣ تموز ابرقت الى لندن، بناء على معلومات عملائنا، بما يأتي: "غادر "شارنهورست" "بريست" صباح هذا اليوم قبل الفجر بقليل. اعتقد انه يتجه جنوبا". وكان رد سلاح الجو البريطاني سريعا ولكن مأساويا: تمشيط كامل المنطقة بالصواريخ والقنابل مما الحق خسائر جسيمة في صفوف المدنيين. والمهم، مع ذلك، ان "شارنهورست" اصيب صدفة بخمس قنابل على الاقل اعطبته لمدة ٤ اشهر.

وفي اوائل تشرين الثاني ١٩٤١ ارسل "فيليبون" الى ريمي برقية مستعجلة ابلغه فيها بأن الالمان اعادوا اصلاح "غنيزانو" و"شارنهورست" وانهما سيبحران قريبا الى جهة مجهولة. وبعدما تأكد ريمي من الموعد المحتمل لابحار الطراديين ارسل برقية الى القيادة في لندن بتاريخ ١٩٤١/١٢/٦ جاء فيها ان الطرادين المذكورين، اضافة الى طراد ثالث هو الطراد "لوتزو"، ستبحر من "بريست" الاول والخامس عشر من كانون الثاني ١٩٤٢. ولكن مر الوقت المحدد ولم يظهر للطرادات اثر، ويبدو ان الالمان هم الذين سرّبوا هذا الموعد الخاطىء لتضليل الحلفاء مما اوقع جهاز ريمي باكمله في بلبلة لم يكن يتوقعها خصوصا وان الغيستابو كانت حديثة العهد في فرنسا، وهذا يدل على الفعالية الكبيرة للمخابرات النازية في الاشهر الاولى من احتلالها لفرنسا.

ولم يستسلم ريمي لليأس. حاول الاتصال بلندن اكثر من مرة لتحديد موعد محتمل جديد لانطلاق



■ صورة للطراد "بيسمارك" مجلة "ايستوريا"



الطرادات من "بريست" الا انه لم يوفق مما اضطره الى المخاطرة بارسال "برقية مفتوحة" يحدد فيها موعد الاربع والعشرين ساعة المقبلة كموعد محتمل للعملية، ومرة اخرى كان التوقيت غير صحيح.

وكان يوم الحادي عشر من شباط هو اليوم الذي ابحرت فيه الطرادات الالمانية الثلاثة، وعرف ريمي هذا الخبر المفاجىء من صحف الصباح التالي، وتتالت الاخبار الصحفية والمذاعة بعدما كان هو المحرك لها في السابق:

+ الطرادات الالمانية تعبر "كاليه" بنجاح

+ سقوط سنغافورة بيد النازيين

+ اصابة "غنيزانو" و"شارنهورست" بالغام بحرية، رسو الطرادين في "كييل" لتصليحهما.

+ غارة جوية بريطانية في ٢٧ شباط اصابت "غنيزانو" اصابات مدمرة جعلته غير صالح للاستخدام بتاتا.

+ الطراد البريطاني "ديوك اوف يورك" يغرق "شارنهورست" في بحر الشمال...

.. ونكسة في المعلومات

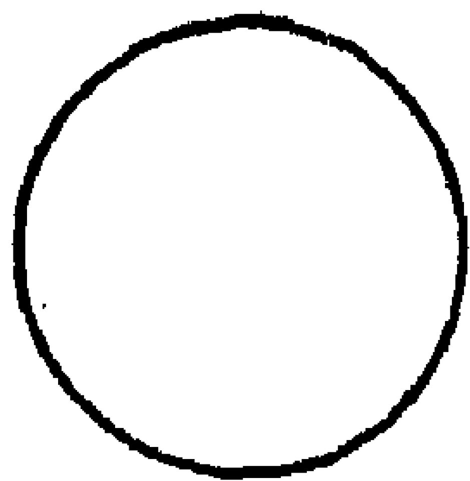
ولكن اذا نجح ريمي في كثير من مهماته فانه كان لا بد من ان يواجه بعض النكسات ليس بسبب سوء تصرف منه او اهمال من قبل رجاله وانما بسبب طبيعة العمل التجسسي نفسه، وابرز فشل واجهه كان في قضية الطراد الالماني "بيسمارك". كانت الاشارة التي لفتت نظر ريمي اكثر من غيرها هي ما تبلغه من احد "عيونه" في جزيرة "لونغ" حيث علم ان استعدادات عسكرية واسعة تبنى في "لانسفيك". فاستنتج ريمي على الفور ان ذلك يعني بالضرورة احتمال رسو طراد كبير في الميناء، وربما كان هذا الطراد "تريبتيز" او "بيسمارك". وصدقت توقعاته، فارسل الى لندن مبرقا في ١٠ ايار ما يأتي: "بيسمارك في بريست بعد حوالي ٣ اسابيع".

ولكن المشكلة ان القيادة في لندن لم تكترث كثيرا الى هذه البرقية التي كان يرد امثالها بالعشرات يوميا من المراكز العديدة في انحاء اوروبا.

وفي ٢٦ ايار ارسل "فيليبون" برقية الى ريمي جاء فيها: "بيسمارك في بريست الاربعاء في ٢٨ ايار"، وللصدف لم تصل البرقية الى ريمي الا في صباح ٢٩ ايار في اللحظة التي كان يتصفح فيها ريمي الصحف حيث قرأ ان "بيسمارك" اغرق الطراد البريطاني "هوود"، وصعق للنبأ وهو الذي كان يعتقد ان معلوماته تلقى العناية اللازمة في العاصمة البريطانية، فلماذا اهملوا ما ارسله اليهم قبل ٣ اسابيع؟

الجواب على ذلك اوضحه ريمي كالآتي: "خلال حرب التجسس تخضع كل اخبارية، مهما تكن صحيحة للوهلة الاولى، الى تمحيص دقيق. ولا يؤخذ بها الا اذا جاءت تعزز التوقعات التي يكون كبار المسؤولين قد وضعوها مسبقا امامهم بمثابة فرضيات". واضاف ريمي:

"واعتقد انه لو ارسلت برقيتي فور ورودها الى الاميرال جون توفيي، قائد سلاح البحرية البريطاني، لاتخذت هذه القضية منحى آخر تماما".





تاريخ الشطرنج بالقصص

يكتبها محمد مراد بكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج .

بريطانيا

يقول باستيرو في كتاب صدر له سنة ١٨٦٣، ان الشطرنج دخل انكلترا حوالي سنة ٩٤٥ ــ ٩٤٠. اما تقاليد الفروسية فعرفتها بريطانيا في القرن الحادي عشر مع النورماند، وكان الشطرنج في ذلك الوقت يحتل مع العاب الزهر مكان الصدارة بل تكاد تكون الالعاب الوحيدة التي كانت تملأ اوقات فراغ كبار القوم، حتى ان اهوال الحرب المدنية لم تستطع ان تخفف من هذه الهوايات (وهذا ما يؤكده ج. اندروز في كتابه "العادات في بلاد الانكلوساكسون"). وكان الانكليز يتناقلون الشطرنج ابا عن جد ولم تكن بعض العائلات تجد اجمل من لعبة الشطرنج تملأ بها فراغها.

وتروي "مركور دي فرانس" في عددها الصادر في تشرين الثاني ١٧٦٨ حكاية قاطع الطرق الانكليزي الذي احتال على اسقف كانتربيري لتشليحه امواله.

وتفصيل القصة، ان قاطع الطرق هذا، وقف يوماً على جانب الطريق الذي يمر منه رجل الدين هذا كل يوم وما ان رأى عربة الاسقف حتى بدأ يقوم ببعض الحركات وكأنما يكلم ربه، فوقف الاسقف ليعرف السبب، وما انرآه قاطع الطرق حتى قال بصوت منكسر حزين: "اني اقود نفسي للخراب". "كيف ذلك" سأله الاسقف فقال: "كما ترى يا سيدي انا العب الشطرنج"، "لوحدك؟" سأله رجل الدين، "كلا" اجاب الرجل - اني الاعب ربي وقد خسرت خمسين جنيهاً، خذها ان سمحت يا سيدي، فانت وكيله على الارض، ووزعها على الفقراء، فهذا هو الاتفاق بيني وبين الرب"، والح في ذلك. فظنه رجل الدين معتوهاً خصوصاً بعد التشدد عليه للموافقة، فاخذ منه المال مكرهاً لاهماد ثورته ثم تابع طريقه.

وفي المساء اثناء عودته وجد الاسقف الرجل في مكانه يتابع نفس الحركات ولما نزل من العربة واقترب منه ليعرف الخبر، صرخ فيه الرجل والمسدس في يده: "هذه سادس مرة اربح بها المولى، لقد خسر الرب معي ٥٠٠ جنيه وعليك التسديد فانت وكيله في الارض". واضطرّ الاسقف امام تهديد المسدس لان يدفع له المبلغ كاملا.

ولم يكن الشطرنج في انكلترا كما هو في فرنسا لملء الفراغ وقتل الوقت، ولكنه كان علماً يعطى (بضم الياء) كل الاهمية، ولا شيء كان يزعج اللاعب الانكليزي مثل سماعه زميله الفرنسي يقول: انه من المستحسن ان نلعب اربع جولات وسط من ان نلعب جولة واحدة مدروسة، اذ لم يكن الانكليزي يلعب الشطرنج لقتل الفراغ بل كان يطبق المثل الانكليزي الذي يقول "اعط عملك كل الاهتمام ولو كان تافهاً" فالاتقان اهم من كل شيء. وهكذا كان الانكليزي يعطي الشطرنج كل تفكيره وتركيزه الذي يعطيه لبقية اعماله.

لذا كانت بريطانيا العظمى (في ذلك الوقت) البلد الاوروبي الذي بلغ عدد لاعبيه في الشطرنج رقماً قياسياً من الذكور والاناث، اذ لم يكن من النادر ان تلتقي باحدى سيدات المجتمع تلعب الشطرنج بمهارة في الصالونات التي كانت منتشرة في ذلك الحين.

وتفنن كثير من الشعراء في وصف الشطرنج وخصص له الكثيرون قصائد منفصلة، فقد نشر روك قصيدة عنوانها "شاه مات فيخمس نقلات" وكان ذلك سنة ١٨٥٦ في مجلة "لاعب الشطرنج"، ونشر ابلاي سنة ١٨١٩ قصيدة تصف جولة في الشطرنج ربحها دونيل كما نشر كيرات غيرهاولعل الطفها قصيدة نشرت سنة ١٧٦٤ يصف فيها هاوكنز معركة او جولة كماتخيلها بين فارس وبين الامازون. واطولها ما نظمه تو ملنسون فيمجلة "ذي تشيس بلاييرز" سنة ١٨٥٨ وهي مؤلفة من اربعة اقسام:

القسم الاول ــ روح الشطرنج
القسم الثاني ــ ممارسة الشطرنج
القسم الثالث ــ ضحية الشطرنج
القسم الرابع ــ توظيف اوقات الفراغ

وقد كانت في لندن وحدها سنة ١٨٥٠ ست مجلات تهتم بالشطرنج وثلاثون اخرى في كافة المملكة البريطانية. هذا بالاضافة الى الصحف العديدة التي كانت تهتم بالشطرنج واخباره. كما

اشتهرت بريطانيا بكثرة نوادي الشطرنج ولعل اولها ما انشيء سنة ١٧٧٠ فيمقهى شارينغ كروس وآخر انشيء سنة ١٧٧٤ في ذاتشد هاوس في شارع سانت جايمس واشتهر بعدد اعضائه المائة (لم يكن يقبل اكثر)، وثالث في مقهى اولد سلوتر في سانتمارتن لاين، وانشأ فيليدور اللاعب الكبير ناديا في لندن سنة ١٨٠٧ وكان اللاعبون يجتمعون في البدء في مقهى (كافي هاوس دي بارسلو) وقد لعب هذا النادي سنة ١٨٤١ مباراة بالمراسلة مؤلفة من خمس جولات مع باريس دامت خمس سنوات، وضم نادي تشس كلوب المؤسس سنة ١٨٤٩ احسن لاعبي العصر مثل ستاوتن، سلون، ستاينيتز وغيرهم كثيرين.

وسنذكر في حلقة اخرى بعض التفاصيل الاخرى.

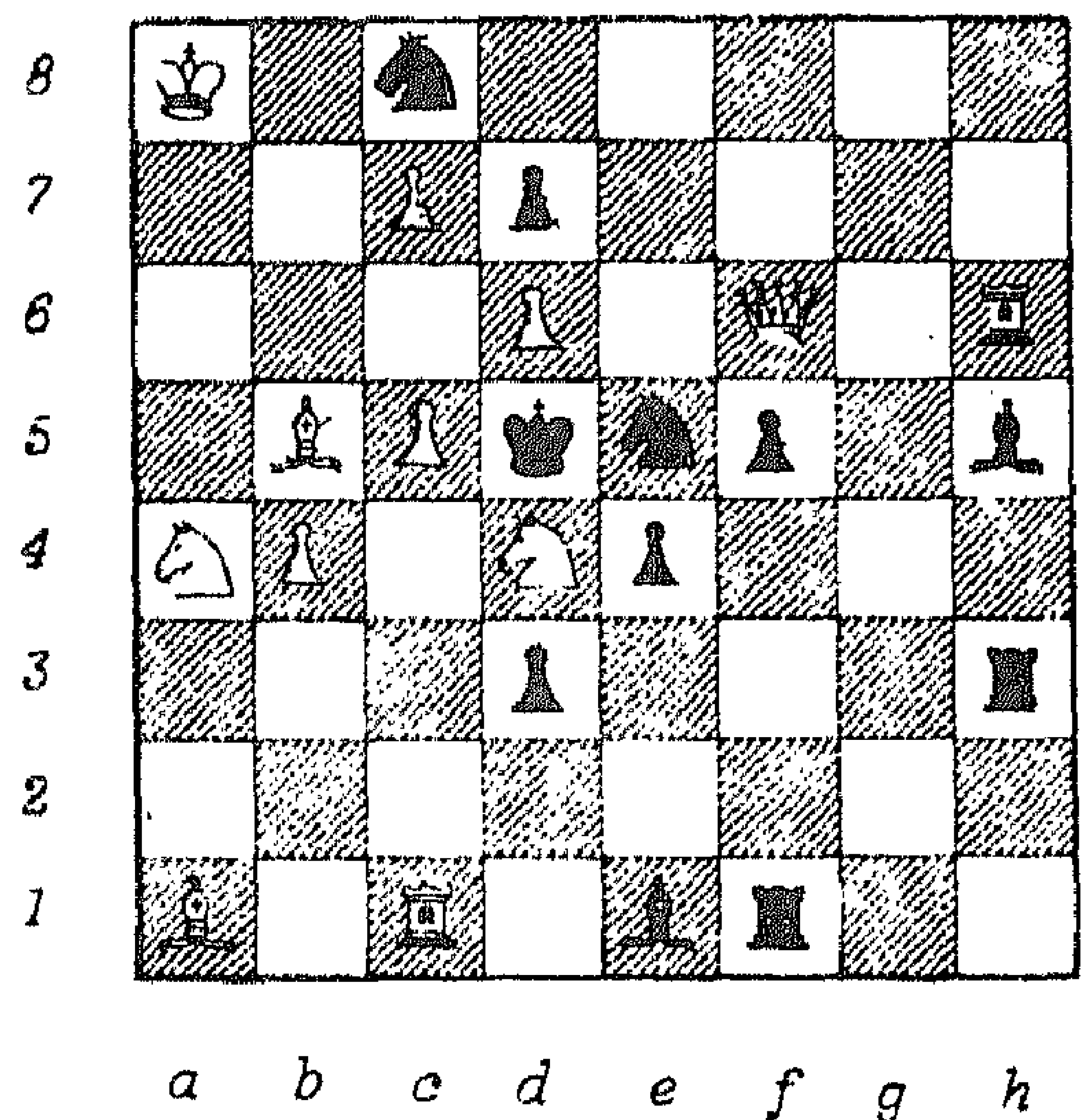
مسابقة الشطرنج

وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.

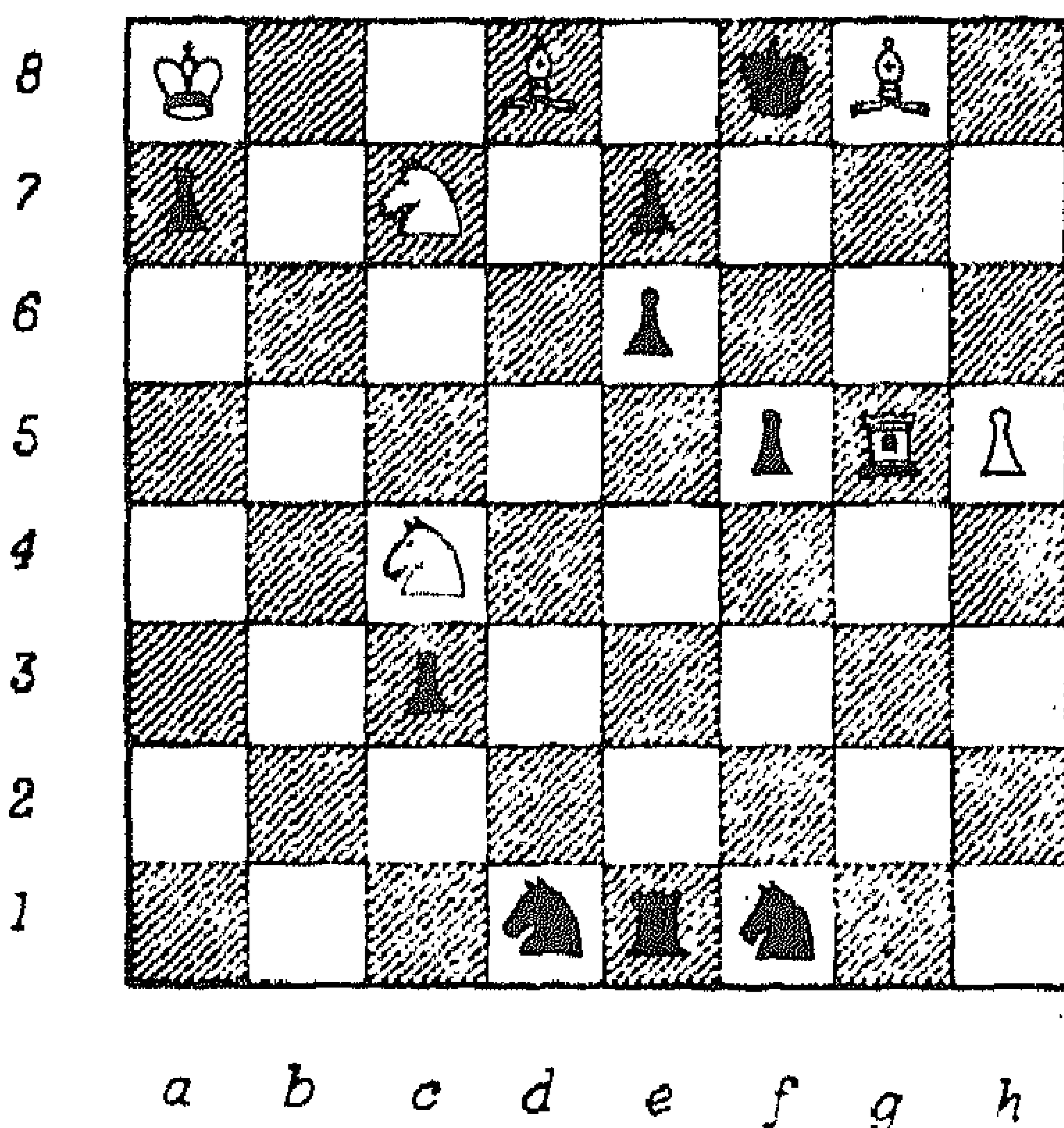
ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

المسابقة رقم ٢

المسألة رقم ٣
ماث بنقلتين



المسألة رقم ٤
مات بثلاث نقلات



الجوائز هي:

الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية للفائز الاول.

الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.

الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث.

حل المسائل المنشورة في العدد رقم ١

المسألة رقم ١ – المفتاح: 1 — Ré 4

المسألة رقم٢ – المفتاح: 1 — Tb 6

وسننشر في العدد المقبل اسماء الذين ارسلوا الحل الصحيح في الوقت المناسب.



ماذا تعرف عن الطوابع ؟

اعداد : ميشال اسطفان
الاخصائي في الطوابع

مصر

بدأ التخليص في مصر بواسطة المكاتب الاجنبية التي كانت قائمة في الاسكندرية وبورسعيد والسويس والقاهرة، فكان كل مكتب يستعمل في البدء طوابع البلاد التي يمثلها مع ختم خاص بمصر ثم صدرت بعدئذ طوابع خاصة بهذه المكاتب.

الى جانب ذلك كانت الطوابع التركية التي بدأت عام ١٨٥٩ تستعمل في جميع البلدان الواقعة تحت السلطة العثمانية، الا ان مصر لم تلبث ان اصدرت مجموعتها الاولى في عهد الخديوي اسماعيل بتاريخ اول كانون الثاني سنة ١٨٦٦، مؤلفة من سبعة طوابع، طبعت لدى مؤسسة بيلاس اخوان في جنوا بايطاليا حسب النماذج المصورة ادناه، ووشحت بالباره والقرش المصري الساريين وقتئذ، وباللغة التركية كالآتي: التوشيح على اليمين "تمغاي" اي طابع ـ فوق "بوسته" اي بريد ـ الشمال "مصرية" ـ الوسط "مصر" ـ اسفل "بش باره" اي ٥ باره ـ "اون باره" اي ١٠ باره ـ "يكرمي باره" اي ٢٠ باره ـ "بر غروش" اي قرش واحد ـ "ايكي غروش" اي قرشان ـ "بش غروش" اي ٥ قروش ـ "اون غروش" اي ١٠ قروش.

وبالنظر الى ارتباط تاريخ الطوابع في البلاد العربية وبلدان حوض المتوسط بالمكاتب الاجنبية التي كانت قائمة فيها، وبسبب ما كان لها من فضل في نشر الطابع عندنا، رأينا ان نعطي في كل حلقة من بحوثنا بعض المعلومات الايضاحية الاساسية عن هذه المكاتب الاجنبية، وخصوصاً انه جاءت في بعض اصداراتها طوابع اصبحت اليوم ذات قيمة مرتفعة، وبنوع خاص ما كان منها على غلافات تحمل اختاماً واضحة.

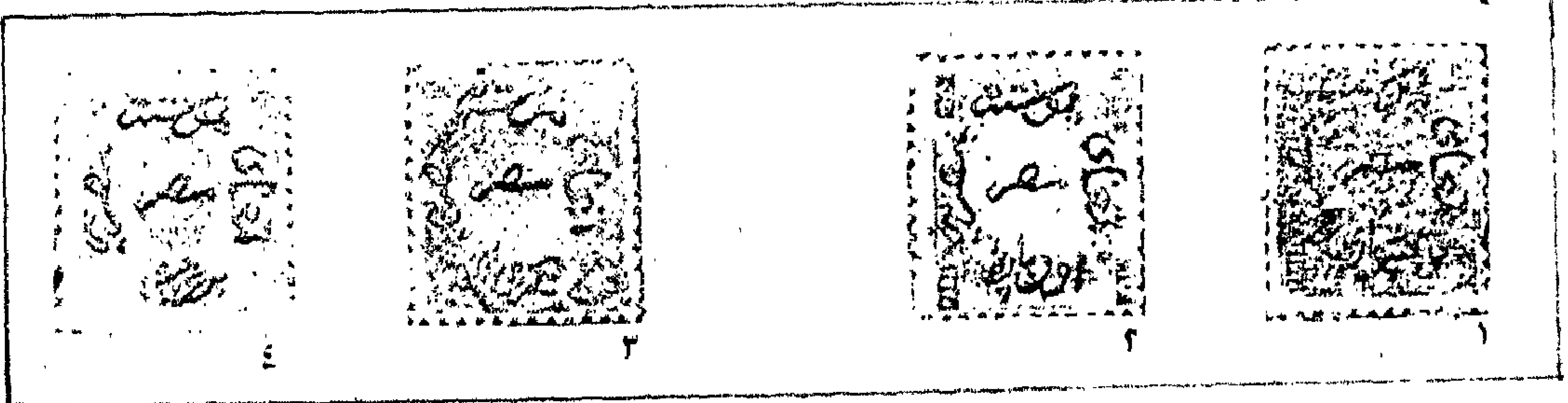
المكتب الفرنسي: باشر المكتب الفرنسي اعماله في عام ١٨٤٠ اي قبل تسعة اعوام من صدور اول طابع فرنسي عام ١٨٤٩ ومن البديهي الا تكون لدى هذا المكتب طوابع يومئذ بل كان يستعمل الاختام الخاصة بكل بلد يعمل فيه، واستمر ذلك حتى اواخر ١٨٤٩ حين صدرت الطوابع الفرنسية العادية فاستعملت في شتى المكاتب الفرنسية وكانت تعطل باختام تحمل ارقاماً خاصة تختلف باختلاف البلدان وهي بهذا الشكل: صورة ٨-٩

فالارقام التي استعملت في الشرق العربي هي: الارقام الصغيرة ـ ٣٧٠٤ (اسكندرية) ٣٧٠٦ (بيروت) ٣٧٦٦ (اسكندرون) ٣٧٦٨ (يافا) ٣٧٦٩ (اللاذقية) ٣٧٧٣ (طرابلس سوريا).

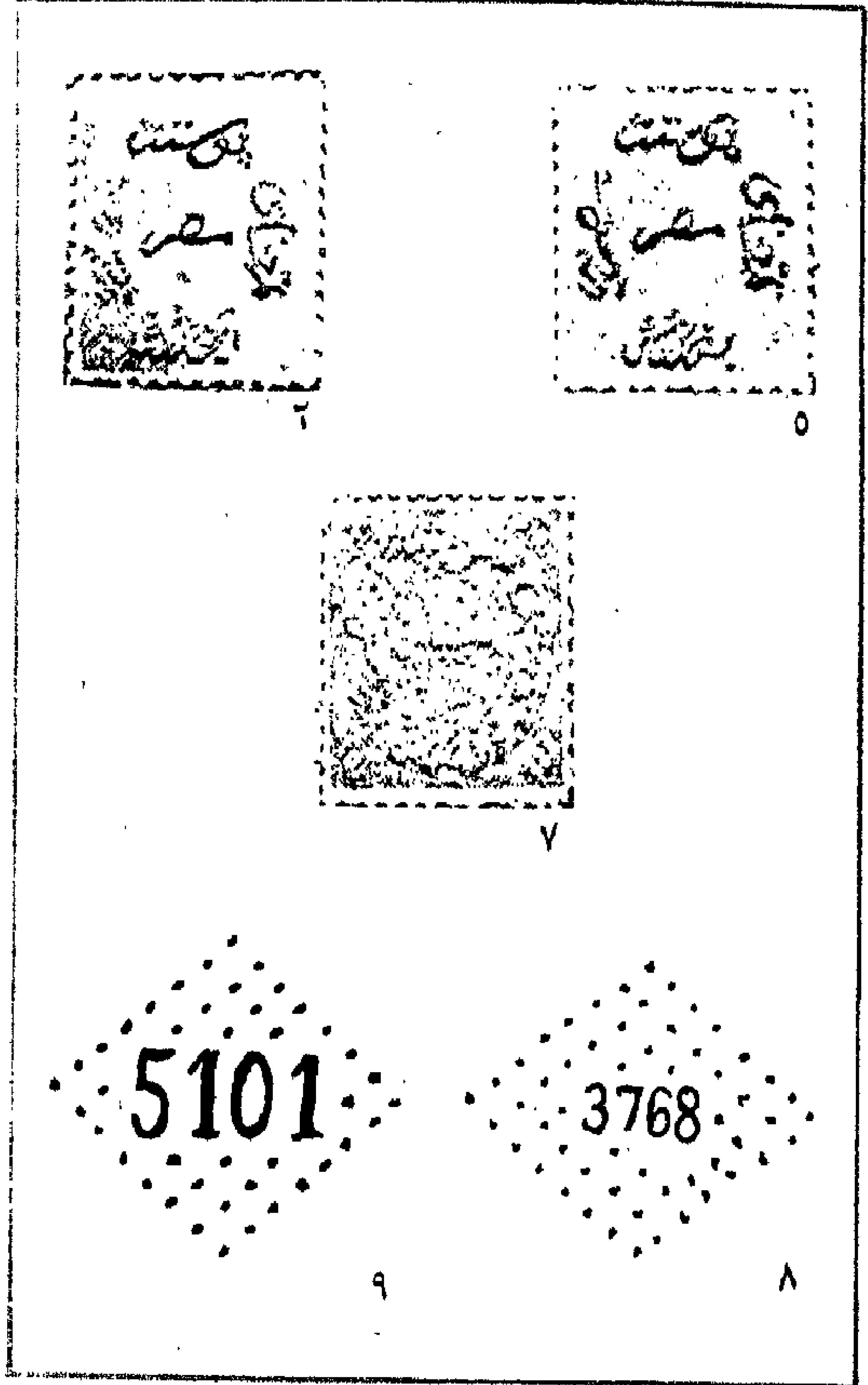
والارقام الكبيرة ـ ٥٠٧٩ (اسكندرون) ٥٠٨٠ (اسكندرية) ٥٠٨٢ (بيروت) ٥٠٨٩ (يافا) ٥٠٩١ (اللاذقية) ٥١٠١ (طرابلس سوريا) ٥١٠٥ (السويس) ٥١٠٧ (تونس) ٥١١٩ (القاهرة) ٥١٢٩ (بورسعيد).

وفي عام ١٨٨٥ استعمل المكتب طوابع فرنسا الصادرة عام ١٨٧٦و١٨٧٧/٩٨ بعد توشيحها بالعملة المصرية اي بالقرش ثم اصدر عام ١٩٠٢ مجموعة خاصة مؤلفة من ١٥ طابعاً تشبه الاصدارات الفرنسية مع اضافة كلمة Levant في اسفل الصورة.

وهناك ايضاً اصدارات اخرى تبعتها عام ١٩٠٥و١٩٠٦و١٩٢١و١٩٢٣ تجمع ١٧ طابعاً مختلفاً. ومن بين هذه الاصدارات طابع يحمل كلمة بيروت قرش واحد:


١ ٢ ٣ ٤

اصدره المكتب احتياطياً، وقد وقع خطأ في الطبع اصاب طابعاً واحداً في كل صفحة فوردت كلمة " Piastre " بدلا من Piastre وقيمة هذا الطابع التجاري اليوم هي: العادي جديد ٣٥٠٠ والمختوم ٤٢٥ فرنكا فرنسياً، والمغلوط جديد ٩٠٠٠ والمختوم ١٥٠٠ فرنك فرنسي.



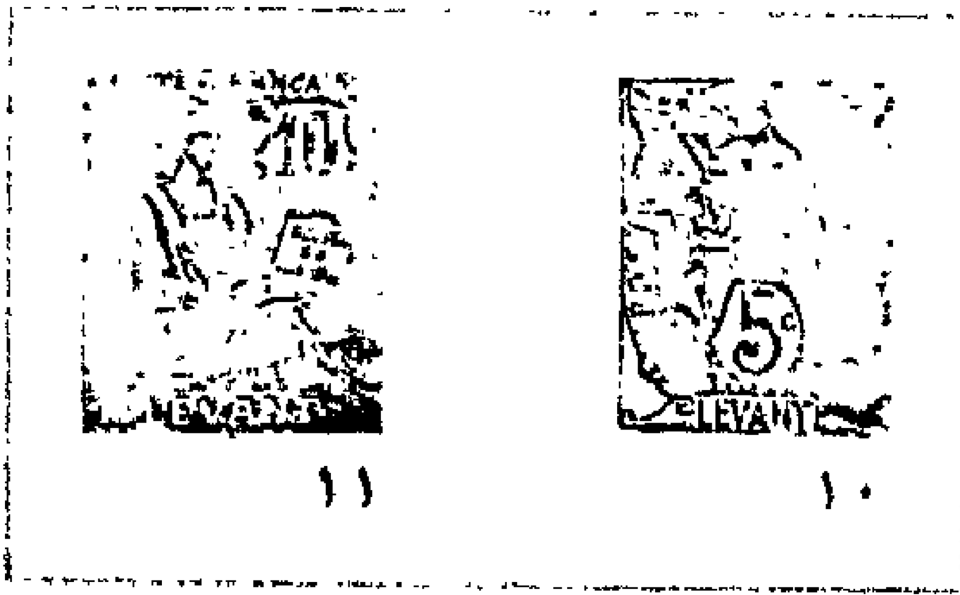
٥ ٦ ٧ ٨ ٩

قسم الطوابع

■ نرحب بجميع الاسئلة من لدن القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهما ومفيداً. ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك الى مجلة "تاريخ العرب والعالم" ـ قسم الطوابع ـ ص.ب (٥٩٠٥) ـ بيروت ـ لبنان

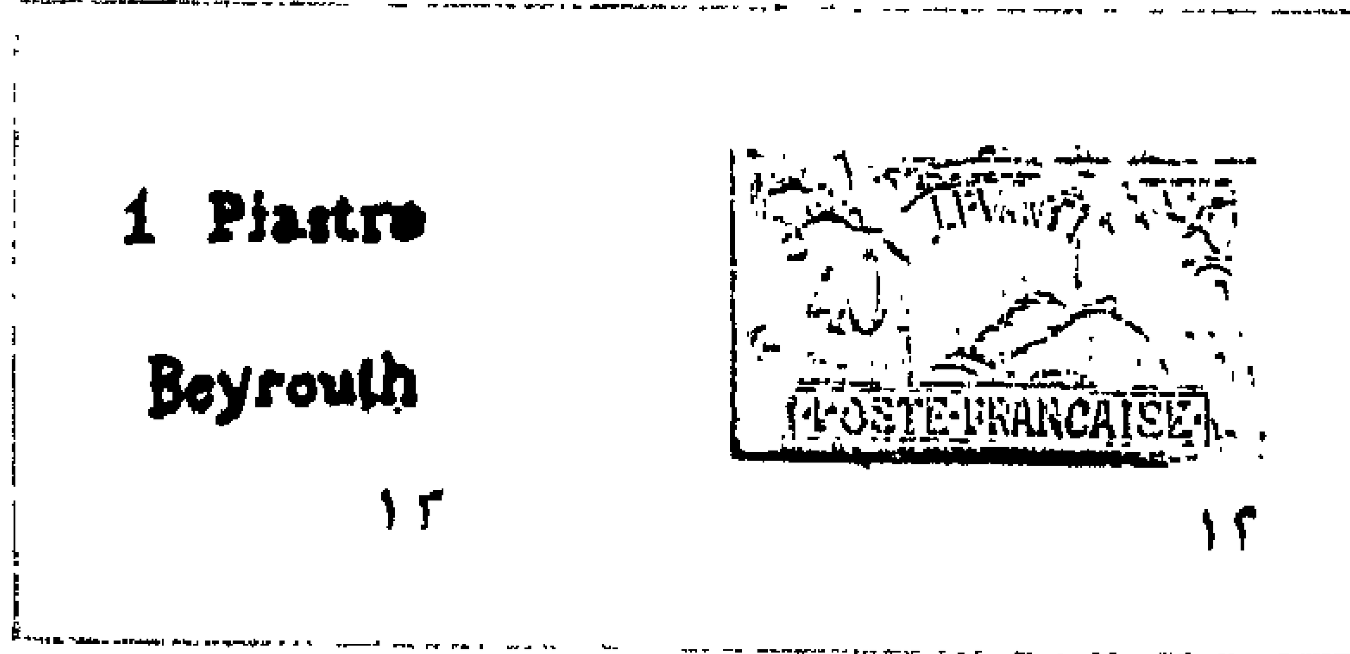
حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء. وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا مجاناً في خدمة القراء.


١٠ ١١

هل تعلم؟

ان الطابع الذي يمثل فلك نوح والذي اصدرته حاضرة الفاتيكان في اواخر ايار ١٩٧٤ فئة ٢٥ لير ايطالي قد رسمته الانسة كارول مناديلي (١٣ سنة) وقتئذ، اللبنانية الجنسية والطالبة في مدرسة الكرمل سان جوزيف في مباراة فابريانو للسنةالعالمية للكتاب وقد اختير رسم الانسة مناديلي من بين ٢٦٥ صورة.



١٢ ١٣

هل تعلم ان اول طابع ظهر في العالم كان عام ١٨٤٠ يحمل صورة امرأة هي الملكة فكتوريا ملكة انكلترا، وكان سبب ابتكار الطوابع ان فتاة اسكتلندية اتفقت مع من يراسلها على علامات تكتب على الغلاف حتى اذا تسلمته اطلعت عليها وعرفت المقصود من الكتاب ثم ترفض تسلم الغلاف فتنجو بذلك من دفع اجرة التخليص. وعرف بذلك احد المدرسين ويدعى "رولاند هل" فتصور الضرر الذي يصيب مصلحة البريد اذا كثر عدد امثال هذه الفتاة، كما شعر بالصعوبة التي يلاقيها الفقراء في دفع اجور التخليص المرتفعة، فابتكر فكرة الطوابع ولاقى كثيراً من الصعوبة لاقناع الدولة بفائدة ابتكاره.

وهل تعلم ان "الفايننشال تايمز" نشرت في عدد حزيران ١٩٧٨ ان الطوابع البريدية الثمينة اصبحت عنصراً استثمارياً في العالم، فمنذ سنتين ولمدة ثلاث سنوات لاحقة على الاقل سيكون الطلب متزايداً لشراء الطوابع العالمية الثمينة، لجعلها من جملة احتياطي المؤسسات التجارية المختلفة.

مسابقة الشهر

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■						١
				■					٢
		■	■						٣
■				■					٤
	■		■						٥
								■	٦
				■					٧
					■	■	■		٨
					■				٩

عمودياً:

١) بلد عربي • بلد عربي •
٢) كانت سيدة البحار •
٣) ملكة سابقة تراها على احد الطوابع •
٤) عصفور مرقط معروف •
٥) قادم (معكوسة) • شتم •
٦) يزيغ •
٧) ثلثا موت • يستخرج من زهر الورد •
٨) مدينة تاريخية • اسم مذكر اجنبي (معكوس) •
٩) ربط اصبعه بخيط كي لا ينسى شيئاً ما • مدينة في ولاية تكساس (معكوسة) •

افقيا:

١) بلد عربي ـ بلد عربي
٢) خالق (معكوس) • بلد عربي
٣) عاصمة بلد عربي • نجيع
٤) يصير طيباً • فقد البصر
٥) اصبع
٦) حرف نداء متكرر • ٤ مرات •
٧) عملة قديمة تساوي سدس الدرهم • قائد الماني يلقب بثعلب الصحراء •
٨) بلد عربي •
٩) بلد عربي • عاصمة بلد عربي •



حل مسابقة العدد الماضي

عمودياً:

١) فخر الدين ١) ياق ـ سوريا ٢) لص ـ غورو ٣) وكيل ـ اميل ٤) ري ـ ننو ٦) وشاية ٧) ابن سينا ٨) جر ـ حنف ٩) بعلبك ـ ربي

افقياً:

١) كوروليف ٢) خاصكية جب ٣) رق ـ شارل ٤) باول ٥) وال ـ بحنين ٦) ديران ـ سن ٧) موري ـ ايفر ٧) نوغيس ٩) ليطاني •





للطلاب فقط...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب فيجامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.
ومن أجل هذهالغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.
والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة علىاختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في أحد الحلول.
اذا رغبت، صديقيالطالب، بالاشتراك في المسابقةفماعليك الا أن ترسل الحلول مع القسيمة الى عنوان المجلة، مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعةاو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتغفل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لان المسابقة مخصصة للطلاب... وللطلاب فقط.

اية معركة ؟

■ المعركة التي نشبت بين المقاومة المغربية وعلى راسها الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والقوات الاسبانية عام ١٩٢١. ففيشهر تموز (يوليو) وبينما كان الامير محمد عبد الكريم الخطابي يحاصر اجربين، وصل القائد العام للقوات الاسبانية سلفستر لنجدة الحامية المحاصرة فلما وجد انها سقطت قرر الانسحاب فتتبعته القوات المراكشية. وفي ١٨ تموز (يوليو) التحمت معهفي معركة (.....) التي تعد من الوقائع الحاسمة في تاريخ مراكش حيث اباد الامير الخطابي الحملة الاسبانية بأسرها بما فيها القائد سلفستر نفسه. على اثر هذه المعركة هبتقبائل الريف وطمرت المراكز الاسبانية المبعثرة في انحاء المنطقة ويعزو الاسبان وقوع هذه الهزيمة الى امرين: طبيعة البلاد الصعبة والفساد الذي كان منتشراً في صفوف جيشهم وإدارته لكنهم يتجاهلون عاملا ثالثاً مهماً وهو ان زعيم المقاومة اتجه الى تأسيسادارة منظمةوالاستفادة من احدث وسائل الحرب فيمقاتلة العدو.

اي اتفاق ؟

■ تفاهم سري بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لاقتسام الامبراطورية العثمانية ولقد امكن التوصل الى اتفاق نهائي بشأن ذلك خلال تبادل ١١ رسالةخلال فصلي الصيف والخريف من عام ١٩١٦. وكانتالاتفاقية تقضي بأنتسيطر فرنسا على المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وان تضع بريطانيا يدها على كل من العراق وفلسطين. اما روسيا فكان المفروض ان يكون نصيبها منطقة الاناضول التركية على ان تقام دولة عربية اتحادية مستقلة في المناطق التي لا تستولي عليها اي من الدول الثلاث السابقة الذكر. وكانت هذه الاتفاقية مناقضة كل التناقض للاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع العربوالوعود التي قطعتها للشريف حسينشريف مكة. كشف لينين اسرار هذه الاتفاقية بعد ثورةاكتوبر.

اي طبيب ؟

■ فيلسوف وطبيب اسلامي (٩٨٠ ـ ١٠٣٧).
ولد في افشنه من قرى بخاري.
يعتبر من عباقرة المسلمين، برع في الطب والفلسفة والطبيعيات، يعتبر منظم الفلسفة والعلم في الاسلام، كتبه كثيرة ومتنوعة الموضوعات، وتمتاز بالوضوح والايجاز.
كتاب "الشفاء" اكبر كتبه الفلسفية، ويشمل المنطق والطبيعيات والرياضيات وقد اخذ بمذهب ارسطو خاصة ويعتبر من اعظم شارحي كتبه. كتابه "القانون في الطب": موسوعة طبية تحتوي على ما ذكره الاطباء اليونان الاقدمون، بالاضافة الى ما ساهم به العرب في هذا المجال. ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية في القرن الثاني عشر، واعيد طبع الترجمة ست عشرة مرة في اواخر القرن الخامس عشر وعشرين مرة في القرن السادس عشر، ويعتقد انه كان من اكثر الكتب الطبية استعمالا في تلك العصور.

من هو ؟

■ محام وسياسي فرنسي، ولد في باريس ١٩٠٧، نائب في الجمعية الوطنية (١٩٣٢ ـ ١٩٤٠ و١٩٤٦ و١٩٥٨). نائب وزير الخزانة ١٩٣٨، تطوع في الطيران الفرنسي اثناء الحرب العالمية الثانية، قومسير الشؤون المالية في اللجنة الفرنسية للتحرر الوطني ١٩٤٣، ثم وزير اقتصاد ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، رئيس وزراء ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥، عقد اتفاقية مع الرئيس الحبيب بورقيبه باستقلال تونس، مشهور بتأييده لسياسة اسرائيل

ما هو ؟

■ اتحاد ضعيف الروابط يجمع بين دول مستقلة تحتفظ فيه كل دولة باستقلالها وسيادتها التامين مع الاتفاق على بعض القطاعات المشتركة بين الدولتين او الدول المشتركة فيه، ويشترط في مثل هذا النوع من الاتحاد عادة ان تكون قراراته بالاجماع بل انها تكون عادة مجرد توصيات ترفع الى السلطات المختصة في كل بلد على حدة لاقرارها نهائيا، ومعنى ذلك ان هذا النوع من الاتحاد هو اقرب الى التنسيق منه الى الاتحاد.

اي عالم ؟

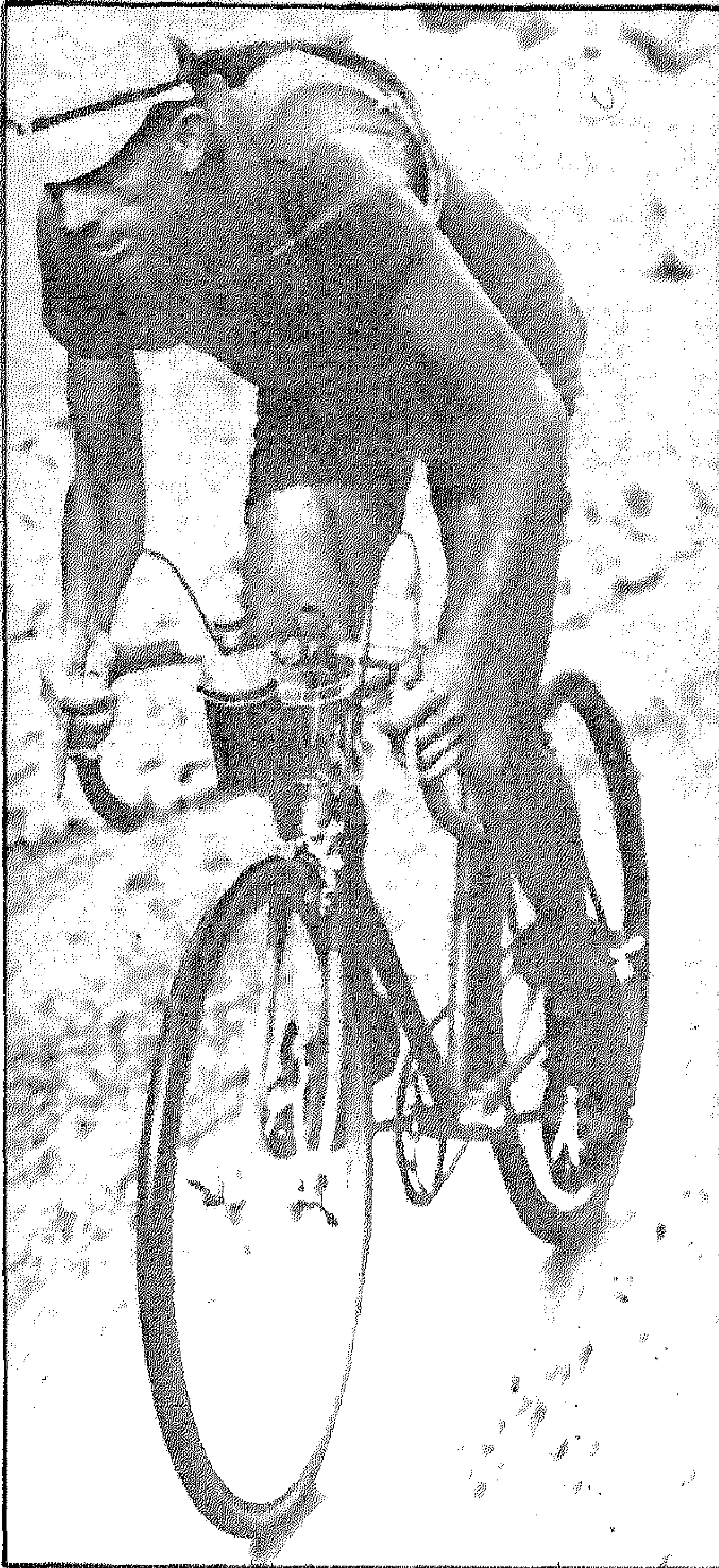
■ عالم نفسي نمساوي (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)
تلقى تعليمه في "فيينا" و"باريس" وعمل استاذاً لعلم امراض الاعصاب في "فيينا" وقد اضطر للهجرة الى انكلترا اثناء الاضطهاد النازي فعاش بقية حياته في لندن، وقد اشتهر بشكل خاص لاعتماده تفسير الاحلام كأسلوب لتشخيص انواع الخلل العقلي كالهستيريا (الهرع).
تعتمد مدرسته في التحليل النفسي على فهم الدوافع البيولوجية الاساسية كالطاقة المرتبطة بالدافع الجنسي في تفسير السلوك، الا ان "يونغ" و"ادلار" نبذا هذه النظرة واصرا على اهمية الدوافع البيولوجية كأساس لارادة الحياة وارادة القوة على التوالي؛ واستبدلا الترابط الحر للافكار كميزة تشخيصية (في الدراسة النفسية)، مارس التنويم المغناطيسي (الايحاء) لمعالجة الحالات العصبية ثم تركه لعدم كفايته وعاد الى الترابط الحر للافكار؛ وقد طور نظريته في ما بعد، من اهم مؤلفاته: "علم الامراض النفسية للحياة اليومية"؛ و"تفسير الاحلام".

الجوائز هي:

■ الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية
■ الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة.
■ الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة



■ ستانلي ماتيوس لاعب كرة القدم الشهير ـ عام ١٩٣٧



■ انطونين ماغني، دورة فرنسا للدراجات عام ١٩٣١.

الرياضة في الثلاثينات

وكيف افسدتها التجارة ؟

اعداد : وفيق علم الدين

رئيس دائرة الرياضة في "الانترناشونال كولدج"

كانت الثلاثينات احدى الحقب التي شهدت أعظم الأيام الرياضية، ورغم أن المصالح التجارية سيطرت فيها على الرياضة، فان النتائج البعيدة كانت مخبأة في المستقبل واعطت الأسماء الكبيرة (أونيز، برادمان، بيري، ولويس) في سني ما قبل الحرب شعوراً بالحنين للانتصارات الكبرى.

وفي الثلاثينات كان الازدياد في الاحتراف الرياضي، والمشاعر الوطنية للرياضيين والمشاهدين والروح الرياضية العالية احدى الميزات التي سيطرت على الحياة الرياضية في أعلى مستوياتها.

لقد حققت الأسماء الكبيرة انتصاراتها بجدارة عالية، وبرز أبطال مثل: جوي لويس، فريد بري، الكس جيمس، هنري كونوف، جيسي أونيز، دون برادمان، ولين هوتون. وبالرغم من الاصطدامات الجسدية، في مباريات التجارب في استراليا باشراف "دوغلاس غاردن" والتمديد الثالث والدفاعي لكرة القدم، وغرابة الأولمبياد النازي عام ١٩٣٦ وتفوق الاميركيين في الملاكمة، يمكن القول ان تلك الحقبة حافظت على براعتها الرياضية.

ففي الألعاب البدنية لم يقم أحد بتدريبات قاسية، الا في فترة ما قبل الحرب. وفي العام ١٩٣٦ كانت الالعاب الاولمبية الألمانية سبباً في ازدياد التدريب وتحسينه. في الكريكيت ظهر "وولي هاوند" كأحسن لاعب اذا استثني "برادمان" الذي يعتبر اكبر آلة، لتحقيق الاهداف على مدى العصور. أما "التنس" فلم يكن يطغى عليه الـ Scrue and Volley كما هو اليوم ولكن كان هناك مكان للاعبين ذوي فن عال مثل "باتي أوستن" من بريطانيا. أما كرة القدم فرغم تحولها الى لعبة دفاعية وازدياد عمليات الدفاع لكسر الهجوم، فقد بقيت Laughably Carefree, ومفتوحة بالنسبة لضربات الجزاء الكثيرة والتعديات الميكيافيلية في الستينات.

بدأت الرياضة الحديثة في انكلترا في العصر الفيكتوري. لكن لعبة الكريكت كانت بالطبع اقدم من ذلك. أما كرة القدم والألعاب البدنية في شكلها الحديث وسباق الدراجات، ونظام "كونيزبري" للملاكمة، والتنس والركبي فقد انتشرت كلها في هذا الظرف الخصب.

ومع هذه الألعاب واعتمادها وتطويرها في المدارس العامة والجامعات ولد شيء آخر: المتفرج الرياضي. كانت المباريات من أجل النصر مفهومة، لكن "الهدف" كان الشيء المتوقع الى أن قام "البارون دو كوبرنين" باحياء الألعاب الأولمبية واحياء فكرة كون خسارة الهدف شيئاً من المشاركة في النصر، كان ذلك مبدأ انكليزياً صرفاً.

وهذا المبدأ يفسر واقع ان الرياضة لم تكن تؤخذ بجدية من قبل اللاعبين والسلطات الانكليزية خلال الثلاثينات كباقي البلدان. وهذا ما أوحى الى اللورد "هوك" رئيس "نادي وركشاير كونتي للكريكت" بالصلاة من أجل ألا يصل أي قائد فريق الى منصب قيادة انكلترا أبداً.

اولمبياد ١٩٣٦

في هذه الأجواء، يمكن النظر الى المباريات الاولمبية عام ١٩٣٦. ومنذ الحرب، كان "البارون دو كوبرنين" يزداد اعجاباً بالمبادىء الرياضية لكن النازيين استغلوا أولمبياد برلين كمهرجان دعائي كبير. كانوا كثيري العدد كمعرض جسماني. ظهرت البزة النازية في كل مكان، من الحراس الذين يشهرون الحراب على طرفي الملعب الى الجسر المشاد فوق الطرق الرئيسية وذلك لجعل المتفرجين يندهشون بعظمتهم. حتى أن اللجنة الاولمبية الدولية التي تنظر الى السياسة نظرة حساسة، تجاهلت كل النداءات وأحتجت على اجراء الألعاب في المانيا وغادرت المكان.

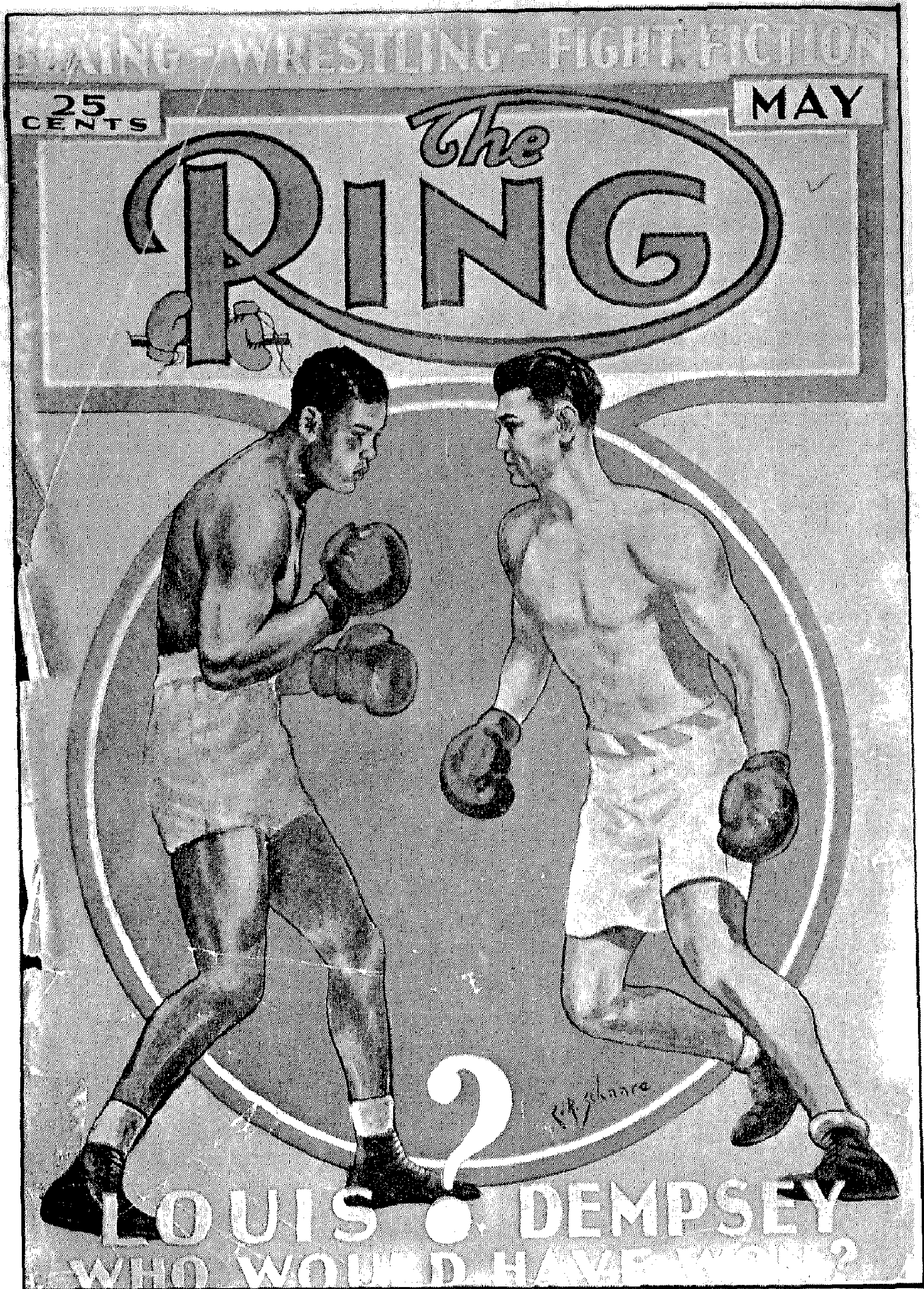
وقد يكون التحدي الالماني وراء قيام الألمان ببناء ملاعب كرتونية سيئة المظهر كتب عليها "القرية الأولمبية – ١٩٣٢" وعرضها في المتاجر خارج مبناهم الأولمبي وذلك لاظهار تفوقهم على الدورة التي جرت في لوس انجلوس في ذلك العام.

لقد قام الفريق الانكليزي بالهزء من النازيين عندما أدى التحية "بنظرة الى اليمين" أثناء مروره أمام هتلر بدلا من التحية النازية. ولكن بعد سنتين وفي نفس الملعب قام الفريق الانكليزي لكرة القدم باداء التحية النازية لهتلر...ولكنه قام في نفس الوقت بالحاق الهزيمة بالألمان بستة اهداف مقابل ثلاثة.

وكانت سيطرة الاميركيين على هذه الالعاب التي نظروا اليها نظرة جديدة، أهم أحداث الثلاثينات، ففي الملاكمة والعاب القوى (لم تتجاوز المسافات الطويلة) والسباحة والغولف وبالطبع التنس وصل هؤلاء الى القمة بسهولة. وفي كل هذه الالعاب أظهروا إرادة كبيرة للنصر مماثلة للارادة الاشتراكية المتصاعدة وارادة بعض الانكليز مثل "كوتون" "وبري" اللذين ربحا مباريات "ويمبلدون"، بجدارة في ١٩٣٤، ١٩٣٥، ١٩٣٦.

الملاكمة

أما في الملاكمة وبصورة اكبر مما في الالعاب البدنية، فقد سيطر الاميركيون السود. والملاكم الذي سيطر على الحلبة في ما قبل حرب ١٩١٤ كان "جاك جونسون"، وبعده "جاك ديمبس" ذو الوجه



■ غلاف مجلة "الحلبة" الامبركية عام ١٩٣٨ يظهر "جو لويس" الذي نال لقب بطل العالم للوزن الثقيل عام ١٩٣٧ و"جاك ديمسي" الذي نال لقب بطل العالم عام ١٩١٩.

القاسي في مرحلة العشرينات. أما الثلاثينات فكانت من حظ "غولديس".

وقد ولد "غولديس" في لكسنيكتون" في الاباما باسم جوزيف لويس بارو. ولفت انتباه الجماهير عندما لاكم للمرة الاولى في "ديترويت" كهاو، حيث قام الثري الاسود "جون روكسبورو" بالاهتمام بامره. أما "عرابه" الثاني فكان المدرب "شابي بلاكبورن" وهو رجل قصير القامة لم يكن هناك شك في صداقته للملاكم. ولم يشبه لويس بجونسون، فلم يتغير مجرى حياته الى حياة ناعمة بعد ان انتصر على "جيم برادوك" بالضربة القاضية ونال لقبه كبطل للعالم للوزن الثقيل عام ١٩٣٧، بل بقي بسيطاً صادقاً وأميناً وربما ساذجاً بعض الشيء. وانتشر صدى "فضيحة الضرائب" الخاصة به واضطر الى العودة الى الحلبة في الخمسينات. احتفظ بلقبه احد عشر عاماً وخسر مرة واحدة فقط في المباريات الست والسبعين التي لعبها كمحترف. وكانت خسارته تلك أمام الالماني، "ماكس شملينغ".

وفي ذلك الوقت برز ايضاً "يرميمو كارنيرا" العملاق بطول ٦٫٥ ٣/٤ أقدام وهو ايطالي من "سيكولز" والذي قام "رجال العصابات" بالاهتمام به وكان يلعب ست مباريات شهرياً وقد كشف أمره عندما أطاح بالضربة القاضية بخصمه "جاك شارلي" لكي ينال اللقب العالمي. ويبدو ان "شارلي" كان متواطئاً اذ أنه بعد احدى اللكمات "جاهد" للوقوع على وجهه.

يعتقد البعض ان "لويس" هو أعظم ملاكم عرفته الحلبة. والبعض الآخر يعتقد انه بالرغم من "لكمته اليسرى الجبارة" كان شديد الاستقامة وينبئ بانتصاره. وقد هزمه "شميلنغ" بلكمة مباشرة من يمينه وأوقعه "أرنوروغوري" بطريقة الكروشينغ.

في بريطانيا ظهرت عدة مواهب، وعلى الاخص "بيني لينش" الهادئ. كما انتصر "لين هارفي" في بطولة العالم للوزن الخفيف ـ الثقيل وكان ملاكما في زمن "مصارعين".

وأخيراً جاء "تومي فار" الذي لاكم "لويس" بجدارة في نيويورك عام ١٩٣٧ واعتقد الكثيرون انه سينتصر عليه لكن النصر كان من حظ "لويس".

الغولف

كان عام ١٩٣٠ هو العام الذي انتصر فيه "بوبي جونز"، هاوي الغولف الاميركي، في المباريات الاربع المفتوحة التي جرت في ذلك العام، لكن جونز، الذي كان يلعب بطريقة مركزة كان أحد وجوه العشرينات. وكان في الثامنة والعشرين عندما انتصر. ويبدو ان ذلك كان دافعاً له للانتصار في عام ١٩٣٠ ولذلك لم يعد بعد ذلك من مجال لانتصار هاو على محترف.

فالغولف، في الثلاثينات أصبح رياضة كاملة يحتاجها المجتمع الصناعي جسدياً وتجارياً وكان يمكن التجارة بالغولف وبمبارياته لكن نوادي الغولف في كل من بريطانيا وأميركا بقيت خاصة بطبقة اجتماعية محدودة وببعض المحظوظين.

وقد حافظ لاعبو الغولف البريطانيون على انتصاراتهم في الثلاثينات، وباستثناء "كوتون" كان هناك "ديك بورتون" الذي أصبح في ١٩٣٩ أول لاعب بريطاني يربح مباريات سان اندروس المفتوحة منذ ان ربحها "جيمس بيرد" عام ١٩١٠. ومرة أخرى تحولت الرياضة عن هدفها وأصبحت تجارة.

ففي أميركا خصصت رواتب للمحترفين ولم يكونوا، كالبريطانيين مضطرين لاعطاء الدروس أو للعمل في متجر النادي.



■ هنري كوتون، المحترف الانكليزي في لعبة "الغولف"

"كأس العالم"

لكن كرة القدم نالت اكبر مساندة شعبية في كل من أوروبا وأميركا الجنوبية. وفي الثلاثينات أقيمت ثلاث مباريات لنيل ما دعي "كأس العالم" كانت أولاها في الاوروغواي عام ١٩٣٠. لم يشترك فيها اي من الدول البريطانية التي انسحبت من "المنظمة الدولية لكرة القدم" عام ١٩٢٥ بسبب خلاف حول جعل المتفرجين يدفعون ثمن الدخول الى المباريات ذات "الوقت الممدد".

أما الاوروغواي التي ربحت بجدارة مباراتين في العشرينات بفريقين محترفين فقد فازت بأول "كأس عالمي" لعدم وجود منافسين أقوياء كون المسافة عن أوروبا بعيدة (لم يكن الطيران كما هو اليوم) وفازت على منافستها المحلية الارجنتين.

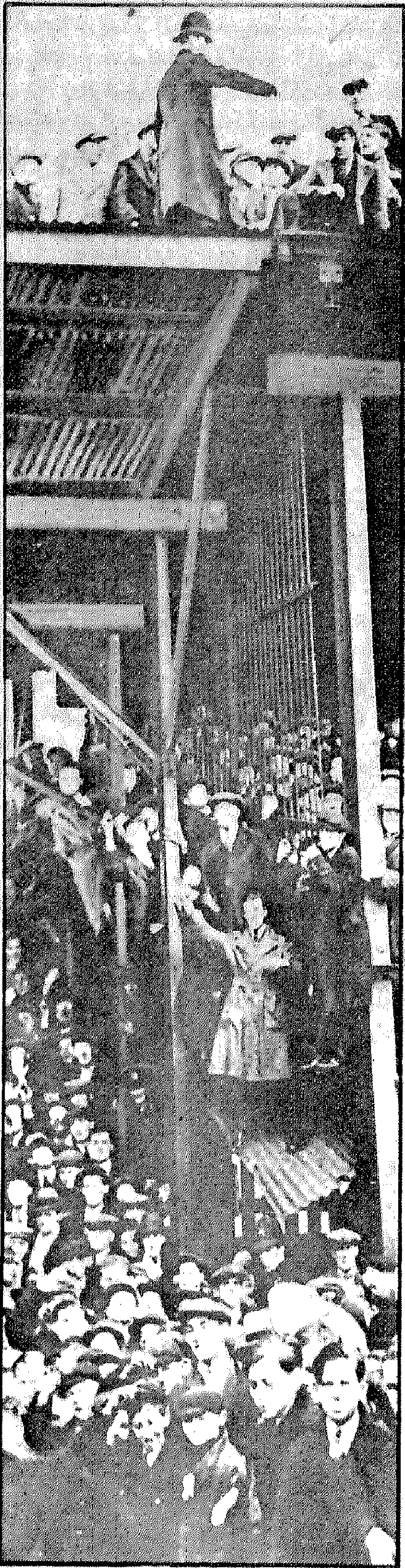
في عام ١٩٣٤ فازت ايطاليا بالكأس وجعلت منه شيئاً كثير الاهمية كما قال المراقب البلجيكي "جون لانجينوس" وكان السبب الذي دفعها الى الانتصار هو الدعاية للنازية. وكما قال أحد السياسيين: "أن الرياضة الفاشية هي جزء من مبادئها"

وبالتأكيد كان هنالك القليل من المبادىء الفاشية في الطريقة التي اتبعها الفريق الايطالي بقيادة مدربه "فيتورو بوزو" ورغم عدم كونه فاشياً - اذ كان يسير على خطى الانكليز - فقد استغل بخجل حرارة المبادىء في تلك الأيام لاهدافه الشخصية.

وفي ذلك كان أثناء التدريب يقول "ان اللاعبين سيلعبون من أجل المبادىء الشرعية" وكان باستطاعته أن يسير على رأس فريق منهم يتقدمهم العلم وينشد معهم نشيد "لن يمروا". كانوا يلعبون بخشونة وبطريقة غير مألوفة كما فعلوا عندما لعبوا ضد تشيكوسلوفاكيا في "الوقت الممدد" بعد تعادلهم بهدف سجله "أورسي" أحد لاعبي الارجنتين الثلاثة في الفريق.

أما النمسا التي خسرت في المباريات نصف النهائية فقد تجاوزت الحدود بفريقها الجبار الذي أسسه "هوغومايزل" في بداية الثلاثينات وكان جديراً بأن يشاهده الانسان.

أما كرة القدم البريطانية والتي لم يهزم أحد فرقها الانكليزية والسكوتلندية في بلادها فقد تطورت بقوة مع فريق "أرسنال". وكانت فترة الاصابة من الوسط بعد تجاوز المدافع بلعب غير جميل لكنه قوي بقيادة "هربرت شابمان". وكانت الجماهير التي شاهدت مباريات "الكأس النهائية" في ويمبلي قليلة العدد بالنسبة لمباريات "القصر الكريستالي" حيث شاهدها أكبر عدد من المشاهدين عرفته المباريات.

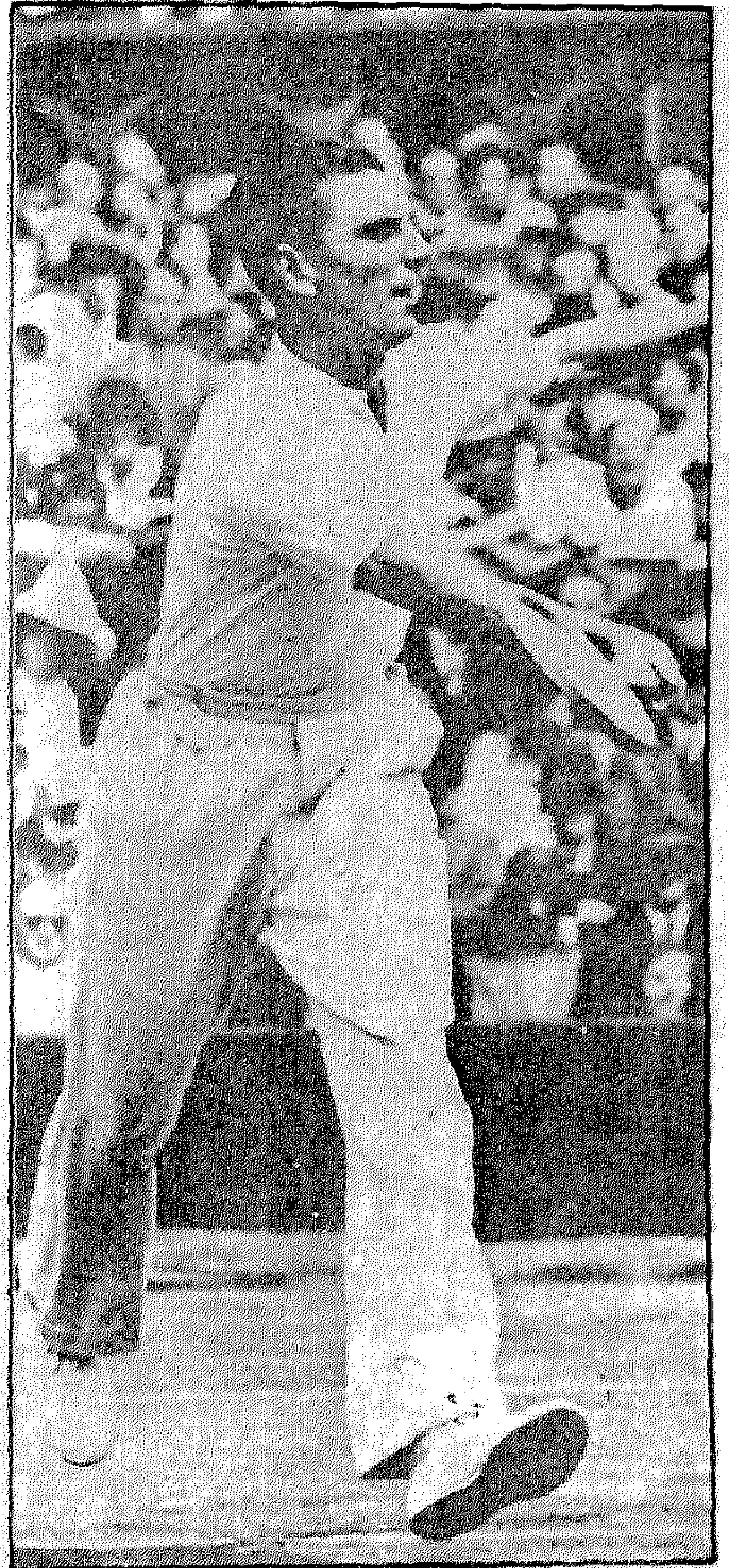


■ جماهير "أوبن بارك" في ملعب ويست هام عام ١٩٢٣

ومعظم الارقام الجماهيرية عرفت في الثلاثينات: ٨٤٠٠٠ لمشاهدة فريق "أرسنال" في شلساي، ٧٥٠٠٠ في الارسنال لمشاهدتهم يلعبون ضد "السندرلند" ونفس العدد لمشاهدتهم يلعبون في "وايت هارت" ضد "سيارز".

الاصطدامات الجسدية

للتعبير عن الروح الرياضية كان يقال "ليست كريكيت" لكن ذلك سقط نتيجة المباريات التجريبية لهذه اللعبة التي جرت في استراليا عامي ١٩٣٣،١٩٣٤ ولم يعد من الممكن تمييز هذه اللعبة من عدمها.



■ فريد بري لاعب التنس الشهير، فاز بثلاث دورات متتالية بدوره ويمبلدون ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦

كانت استراليا قد ربحت المباريات السابقة في انكلترا نتيجة للهجمات الوحشية. وقد قرر "دوغلاس جاردن" قائد الفريق الانكليزي الجديد وهو رجل قوة وتصميم، مجابهة الشيء بمثله، وكان ذلك الشيء أكثر حدة. لذلك أخذ معه إلى استراليا أقوى لاعبي جناح: "هارولد لاروود" للجناح الايمن و"بيل فوس" للايسر.

كانت طريقة لعبهما سهلة ولكنها مميتة. كانا يهاجمان بعنف ويوجهان الكرة الى رأس اللاعب أو أسفل جسده أحياناً. وكانت الضربات هذه تجعل اللاعب المقابل يشتبك معهما لأن همه الأساسي هو الدفاع عن نفسه. واحتج الاستراليون حتى على المستوى الحكومي وسرت شائعات بأن استراليا قد تنسحب من الكومنولث. وأصبح "لاروود" مكروهاً في استراليا بقدر ما كان محبوباً في إنكلترا. ولم تعرف لعبة الكريكت الانكليزية مثيلا لم أبداً.

ويعود لـ "فريد بري" الفضل الأكبر في عدم سيطرة الاميركيين على مباريات التنس وذلك بفوزه بثلاث مباريات متتالية في "ويمبلدون" ونيله "كأس دايفيس" لتفوقه في اللعب.

والفرنسيون أيضاً كانوا مجليّن في اوائل الثلاثينات بفضل "فرسانهم الثلاثة: لاكوست، بوروترا، وكوستيه". فقد فازوا بجميع مباريات "كأس دايفيس" بين ١٩٢٧و١٩٣٤ وبعد ذلك وحتى ١٩٣٦ سيطر عليه البريطانيون.

اما الأميركيون فقد حصلوا عليه في ١٩٣٧و١٩٣٨. وبدأ دورهم في الفوز مع الاستراليين. ويبدو واضحاً الان ان بلاداً كفرنسا وبريطانيا ذات الطقس غير المشجع والعدد القليل من محترفي هذه اللعبة وبالمقارنة مع مستوى التدريب الاميركي، لم يكن يمكنها مجاراتهم في الفوز.

الاحتراف

وفي نهاية الثلاثينات بدأ الاحتراف، وازدادت شيئاً فشيئاً العروض المالية السخية. وقد اعترف اللاعب الأميركي "بوبي ريغس" الذي فاز بمباريات "ويمبلدون عام ١٩٣٩" بأنه عاش حياته من مدخوله الرياضي. كان ريغس من كاليفورنيا، وطريقة العيش هناك والشمس والهواء أنبتت عدداً من الأبطال في التنس. كان أكثرهم شهرة "اليس ماريل" التي فازت بسهولة في المباريات النسائية في ويمبلدون عام ١٩٣٩ على الانكليزية "كاي سنامروز" في نهاية اللعب.

كان للنساء دور متصاعد في الرياضة. وقد انجبت أميركا أيضاً اللاعبة بيبي ديدريكسون ـ "زاهارياس" في ما بعد. وهي احدى البطلات الخارقات في اولمبياد ١٩٣٦ التي كانت تستطيع

اليوغاني، والمازاراتي، وفي أواخر الثلاثينات بسيارة الفراري. أما سائقو السيارات الانكليزية فقد فعلوا أحسن من ذلك بتصديهم للرقم العالمي في السرعة: كان هناك جورج ايستون الذي قطع بسيارته العريضة مقاطعة "أوتا" و"جون كوب" والذي فاز بالرقم العالمي بسيارته "ريلتون".

ونالت "دورة فرنسا" شهرتها في الثلاثينات كأكبر سباق للدراجات وأكثرها شعبية وحماسة ودعاية في كل أنحاء العالم. كان المتسابقون الفرنسيون والايطاليــون فــي المقدمــة يزاحمهــم البلجيكيون والهولنديــون والاسبانيــون وأحيانــاً الالمان. ولم يكن في السباق بريطاني واحد، رغم ان السباق على الطرقات هو من أصل بريطاني ولكنه لم ينجح. واشتهرت "دورة فرنسا في سباق الدراجات" بانها سباق عنيف حيث من المحتمل ان يتعرض المتسابقون لحوادث خطرة، بينما استغل المعلنون ذلك للقول انه يعود لوعورة الطريق.

وفي كل حال، فقد كان لذلك شهرة كافية جعلت السباق يعود ثانية وبقوة بعد انتهاء الحرب.

الركبي

بقي "الركبي" كالكريكت لعبة الامبراطورية البريطانية. ولكن مرة ثانية أصبح البلد الام لهذه اللعبة في الظل بتفوق انيوزيلنديين وكلهم من السود والجنوب أفريقيين المختلطين.

لم تكنهاتان الدولتان تملكان الحس الاقتصادي للاحتراف ولكن تعلق مواطنيهما "الديني" باللعب جعلهم يلعبون بنشاط للحصول علىالاهداف الذي كان المحترفون البريطانيون يكسبونها باحترافهم. ومرة أخيرة كان ذلك شيئاً أكثر أو أقل من ربح جولة.

وفي هذه الفترة كان من الصعب معرفة مكان الحكام ومراقبتهم الالعاب، باستثناء الرياضة البدنية والسباحة. كانت العادة في الثلاثينات هي الاحتجاج على ما يحصل في كرة القدم وفي الكريكت وكان ذلك بسبب صعوبة المراقبة. وكان فن اللعب وطريقته يخضعان كثيراً للمناقشة، أما الملاكمة فهي الرياضة التي تسمح باطلاع على مستوى اللاعبين.

هل كــان "لويــس" بمستــوى "ديمسي" أو "توني" أو "جونسون"!. أغلب ناقدي تلك الأيام كانوا يساوونه بهؤلاء الثلاثة.

وقد جعل شيوع تناول المقويات الالعاب البدنية تزداد وتتسع. لكن الدقائق الاربع في الميل الواحد كانت ما تزال حلماً والتمرين على رفع الاثقال وتجاوز "الحاجز" الخطر كانت كلها آمالا معلقة على المستقبل.

ويبقى انه لو لم تكن الثلاثينات الرياضية حقبة البراءة، لما استطاعت التجارة والصناعة استغلالها وافسادها كما حدث فعلاً.



جو لويس وزوجته عام ١٩٣٥

الجري والقفز بجدارتها في رمي الرمح. وفي سني ما قبل الحرب أصبحت لاعبة غولف ماهرة.

بعد الحرب بدأت الالعاب المخصصة للرجال على ما يبدو كلعبة الـ Shot Putt والاربعماية متر والثمانماية متر. كــان النساء يقمن بقطع المضائق سباحة كالاميركية "غرترود أديرل" بينما لعبة التنس "لكأس وايتمان" والتي جرت بين بريطانيا وأميركا فقد ربحتها بريطانيا مرة واحدة فقط عام ١٩٣٠ في دورات ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩.

الرياضة الآلية

تقدمت الرياضة الآلية نتيجة للتقدم في عالم الالات. وكانت سباقات "المحرك" تشهد اقبالا منقطع النظير في بريطانيا. وسيطرت المانيا وايطاليــا علــى سباقــات الســيارات. الاولــى بالمرسيدس بونز والثانية بسيارات الالفاروميو،

المسابقة الرياضية

١ ـ في اي عام ابصرت لعبة كرة السلة النور، وفي اية مدينة؟

٢ ـ محمد علي فاز على خصمه كين نورثون في مباراة الثأر في اية سنة واين اقيمت المباراة؟

٣ ـ من هو بطل دورة ويمبلدون لكرة المضرب عام ١٩٣٩

٤ ـ متى فاز النادي الرياضي بطل لبنان في كرة السلة في اول بطولة رسمية؟

٥ ـ من ترأس الاتحاد اللبناني للسلاح عام ١٩٦٩؟

٦ ـ بطل لبناني حاز على المرتبة الرابعة في بطولة العالم في كمال الاجسام عام ١٩٥٧

٧ ـ من فاز ببطولة لبنان لكرة القدم عام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤؟

٨ ـ بطلة مصرية في السباحة اشتركت في الدورة العربية المدرسية في لبنان عام ١٩٧٣ ومثلت مصر في سباقات دولية؟

٩ ـ من فاز ببطولة العالم في الرياضة على حمام العلب عام ١٩٥٦؟

١٠ ـ للعبة كرة الطاولة اتحاد عربي، اين يوجد مقره ومن هو رئيسه الحالي؟

١٠ نقاط لكل سؤال

اختبر معلوماتك

■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو اللاعب الذي يحمل الكأس، في أي ملعب؟ وأية سنة؟

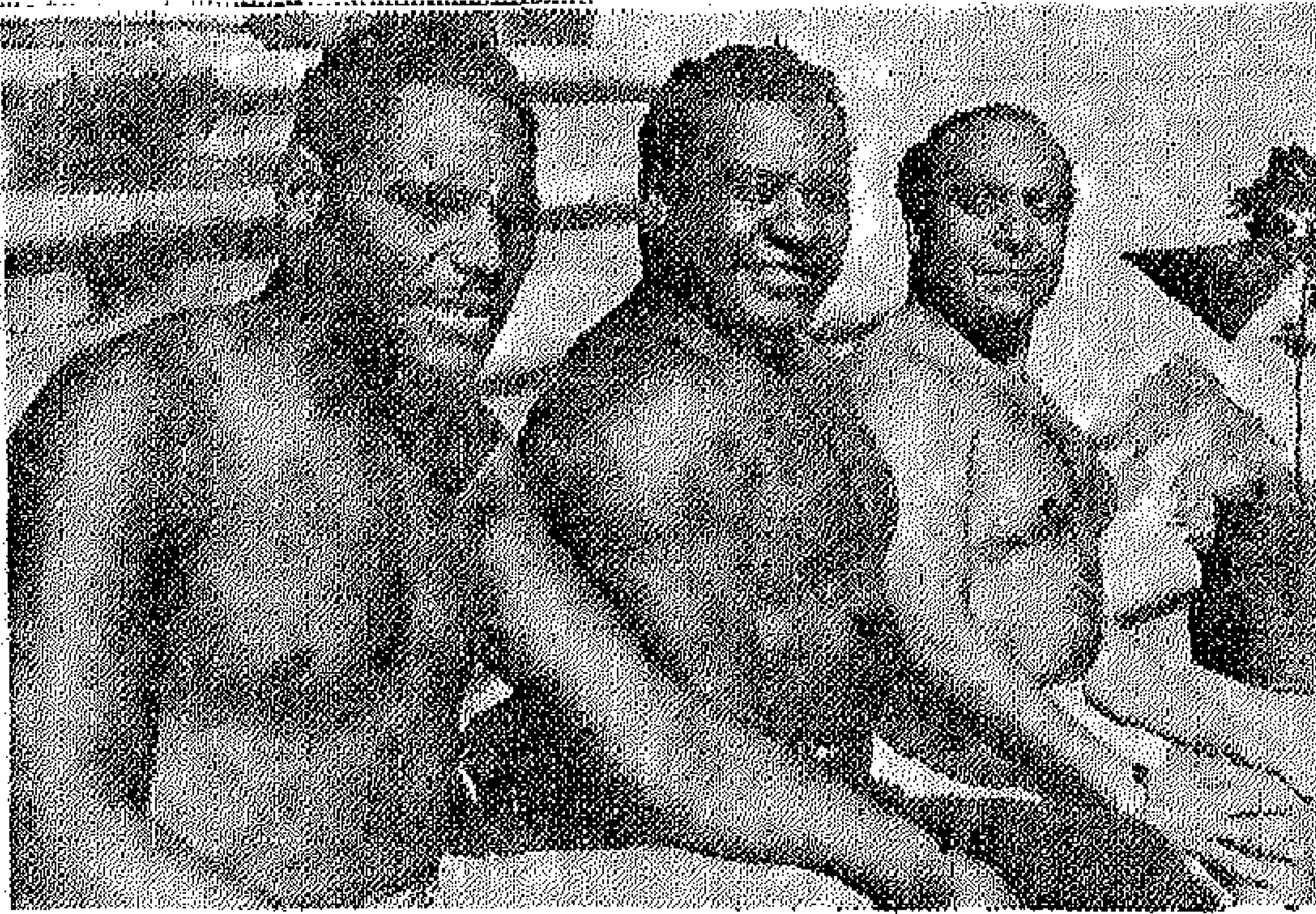
٢٥ نقطة



هل تعرفهم؟

■ ثلاثة من عمالقة السباحة في العالم العربي؟

٣٠ نقطة



الجوائز

■ الفائز الاول: مائة ليرة لبنانية

■ الفائز الثاني: هدية بقيمة خمسين ليرة من محلات "اطلس سبور"

■ الفائز الثالث: اشتراك سنة في المجلة


■ الفائز الرابع: اشتراك نصف سنة في المجلة

● ترسل الاجوبة الى ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" ص.ب (٥٩٠٥) شارع السادات، بناية ابو هليل ـ رقم ١١ ـ بيروت ـ لبنان. ويكتب على الظرف "المسابقة الرياضية". يجب ان تصل الردود قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم بريد البلد الذي ارسلت منه بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.



الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقتبلة





القدس - صورة للفنان دافيد روبرتس - ١٨٣٩

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الثالث - كانون الثاني "يناير" ١٩٧٩ - الموافق صفر ١٣٩٩

- المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام
- العرب والمردة في تاريخ قسطنطين
- الدعوة العبيدية الاسماعيلية المسلحة
- الهروب المسلح من معسكر ستالاغ لافت -٣
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
- الموسيقى الأوتوماتيكية من عصر العلب الى عصر الكهرباء

في العـــدد المقبـــل



الأسطورة الحقيقية لروكفلر
أغنى أغنياء العالم

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الثالث
كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩
صفر ١٣٩٩ هـ.

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°3 Jan, 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هـذا العـدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط.

■ المقالات والدراسات ترسل بأسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.

العرب والمردة

في تاريخ قسطنطين المولود في الارجوان

د. احسان عباس

١ ـ تعريف بالمؤلف والكتاب:

■ عندما توفي الامبراطور ليون (لاون) (١) السادس ابن بسيل سنة ٩١٢م، لم يكن عمر ابنه قسطنطين يزيد على سبع سنوات، وقد لقي هذا الطفل مصاعب جمة من عمه الاسكندر (الكصندرس) ثم من أمه ثم من أمير البحر (بطريق البحر) رومانس (ارمانس) وهذا الاخير اغتصب السلطة، وسمى نفسه ملكاً ولبس التاج والثياب الارجوان (الفرفير) التي لا يلبسها الا الملوك، وحجر على قسطنطين ثم زوّجه من بنته هلانة (إلنا)، وهكذا ظل قسطنطين غير ذي سيطرة حقيقية على الملك حتى سنة ٩٤٥م حين استطاع التخلص من ابن رومانس، فانفرد بالملك وبقي فيه اربع عشرة سنة، فكأنه من بداية حكمه الاسمي حتى وفاته عاصر جانباً من ايام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع وجانباً من عهد الطائع (٣٠٠ ـ ٣٤٣هـ).

وكان قسطنطين السابع المولود في الأرجوان من الاباطرة المتحمسين للنواحي العلمية وتشجيع التعليم في بلاده كما كان هو نفسه مثقفاً واسع الاطلاع جماعة للكتب، حريصاً على إنشاء المكتبات، وقد وجه اهتماماً خاصاً الى التاريخ، لما كان يعتقده له من قيمة عملية في سياسة الناس وتدبير شئون الحكم. ولهذا رأى أن خير ما يمكن أن يقدمه لابنه رومانس الذي كان يتوقع له أن يتولى الامور بعده كتاب يعلّمه كيف يكون حاكماً عاقلا: بالاطلاع على سير الغابرين، وتجارب الحكام، فجاء هذا الكتاب أشبه شيء بما يسمى "مرايا الأمراء" اذ احتوى على ما يهم الحاكم أن يعرفه في شئون السياسة الخارجية وفن الدبلوماسية، ودراسة موسعة حول الأمور التاريخية والجغرافية المتعلقة بالامم التي تحيط بالدولة البيزنطية. ويفتتح قسطنطين كتابه بقوله: "الابن العاقل مصدر سعادة لأبيه والأب العطوف يغتبط كثيراً بالابن الحصيف... لذا أصغ الي يا بني، حتى اذا حذقت ما أقوله لك أصبحت عاقلا بين ذوي الفطنة، وعددت فطناً بين العقلاء، فمجّدك الناس وسمّتك الشعوب الكثيرة مباركاً، تعلم ما يجدر بك ان تعلمه قبل أي انسان آخر، واقبض على دفة الحكم بمهارة. ادرس ما هو جار اليوم وتعلم ما يفيدك حول الأمور التي ستجدّ، حتى تحتقب التجربة مجتمعة الى رصانة الرأي، وتصبح أكفأ اقرانك في شئونك. وها أنا اضع بين يديك مجموعة من التعاليم، حتى إذا أصبحت بها نافذاً في ميداني التجربة والمعرفة لم تجد عقبة في اختيار الخطة المثلى ومراعاة الصالح العام".

وخطة قسطنطين في كتابه ان يبين لابنه ما يتمتع به كل شعب من الشعوب ـ ما عدا الروم ـ من مظاهر القوة، وكيف تتم مواجهتهم بالسلاح والتغلب عليهم، ثم يحدّثه عن طباع الشعوب وجشعها ورغبتها في التحف والألطاف، وعن الفروق فيما بينها: في أصولها وعاداتها وطريقة عيشها ومناخ بلادها، وجغرافية تلك البلاد ومساحاتها وعما جرى من أحداث بين تلك الشعوب وبين الروم.

٢ ـ العرب عند قسطنطين:

ومن الطبيعي أن يأخذ العرب في كتاب قسطنطين حيزاً واسعاً، لطول العلاقات بين العرب

(١) ما يوضع بين قوسين في هذه الفقرة هو ما يستعمله المسعودي من مصطلح.

■ د. احسان عباس: استاذ الادب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت

والروم ابتداء من الفتوحات الاسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ورغم تقارب الحدود، وتبادل الوفود، وتساجل الحروب، وقيام الأفدية، وعقد المعاهدات والمهادنات، فان معلومات قسطنطين عن العرب بعد أربعة قرون من ظهور الاسلام، لا تزال في تفاوت واضح، ولئن وصف ذلك الامبراطور بأنه كان من أعمق الناس اطلاعاً، وتلك هي حال معارفه عن العرب، فكيف تكون معارف غيره ممن لم يتح لهم نصيب من التعمق والاطلاع؟!

ترى على أي شيء يدل الرضا بذلك القدر من الجهل والقعود عن طلب الحقيقة؟ هل يمكن أن يُعزى الى الخوف من تصحيح الخطأ الشائع أو الى العجز عنه؟ أو للاستنامة المريحة الى المعروف المتداول؟ او لانعدام المصادر التي تنقل الحقائق؟ حين نبحث الأمر فيما يتعلق بمعارف قسطنطين عن العرب أو عن المسلمين عامة نجد ندرة في المصادر إذ ليس لديه في هذه الناحية الا تاريخ ثيوفانس وبعض ما التقطه مما شاع "خارج بلاد العرب"، وهذا في ذاته ربما دلّ على استخفاف مبعثه الوضع السياسي حينئذ، إذ لم تعد الدولة العباسية قوية مرهوبة الجانب، واصبحت الحال كما يقول ثيوفانس، رغم مجانبته الدقة في بعض ما يقول: "واليوم بسبب عجز أمير المؤمنين في بغداد قد استقل امير فارس او خراسان واتخذ لنفسه لقب امير المؤمنين وجعل القرآن على ألواح يلبسها كالعقد حول عنقه، وهو يقول إنه من آل عليّ، كذلك فان أمير اليمن الذي كان دائماً تابعاً لأمير مصر أصبح اليوم مستقلا واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين وهو يقول إنه من نسل عليّ ايضا". فما دام كتاب قسطنطين تعليمياً فلا بأس من إدراج معلومات عامة عن دولة لم تعد خطراً كبيراً على الامبراطورية البيزنطية. على ان مقارنة سريعة بين معلومات قسطنطين عن العرب وأخبار المسعودي عن الدولة البيزنطية تدل – رغم وجود أخطاء في الناحيتين – على أن المؤرخ المتفرغ لكتابة التاريخ بالاطلاع والرحلة والتمحيص، لا يبلغ شأوه واحد من "الهواة" لا يملك الوقت الكافي للقيام بذلك كله.

ويطلق قسطنطين على العرب أحد لفظين – إذا لم يكن ينقل عن ثيوفانس – فهم اما هاجريون (اي ابناء هاجر) إما سراقينوس (Saracens)، ورغم الاختلاف في ردّ هذه اللفظة إلى أصلها فاني أرى المسعودي لا يعدو الصواب حين يقول: "تفسير ذلك عبيد سارة، طعناً منهم على هاجر وابنها اسماعيل وأنها كانت أمة لسارة" (التنبيه والاشراف: قيون سارة). ورغم أن الامبراطور نقفور من بين أباطرة بيزنطية أنكر صواب هذه التسمية فاننا نراها ما تزال مستعملة لدى قسطنطين.

ويعرف قسطنطين ان العرب ينقسمون الى نزاريين وحميرين وأن نزاراً أعقب ولدين هما ربيعة ومضر (مندارس)، وان مضر ولد قريشاً (كوساروس) وقيساً وتميماً وأسداً (أسندس) وآخرين كثيرين لم تعرف اسماؤهم. ولكن معلوماته عن النبي محمد ما تزال ترداداً لذلك الخلط الذي ظلت تتناقله المصادر الغربية الى عهد قريب، ممزوجاً ببعض الشتائم. فالنبي محمد نشأ يتيماً فقيراً ثم عمل عند أمرأة غنية تسمى خديجة، راعياً لابلها ومتاجراً بأموالها في مصر وفلسطين، ثم سما به نظره الى الزواج من تلك المرأة، ولما كان مُصاباً بالصرّع – وتلك تهمة ظل بعض المستشرقين الحاقدين يلوكها الى عهد غير بعيد – فقد زعم أنه يرى جبريل، وشهد له بذلك راهب مزيف اسمه "آريان" (وليس بحيرا)، ثم توفيت المرأة فورثها زوجها واصبح غنياً مشهوراً، وجازت دعوته على أهل مقاطعة يثرب، إلى هلم جرّاً من هذا الهراء الذي يصرّح قسطنطين أنه مبني على مقولة ذائعة.

والشيء المضحك حقا هو مدى اطلاع قسطنطين على الدين الاسلامي، اذ يذكر ان المسلمين يتوجهون بصلاتهم الى كوكب الزهرة ويسمونها "كُبَر" ولذلك تجدهم يصرخون في الصلاة قائلين: "الله وكُبَر" (الله اكبر) مشيرين بذلك الى الاله والزهرة معاً. ومن الغريب أن يغيب معنى "التوحيد" الدقيق عن أذن حاكم مجاور، كما غاب عن ناظم أنشودة رولان الذي زعم أن المسلمين يعبدون أصناماً ثلاثة يجعلونها أمام الجيش كلما ذهبوا في معركة ويهيبون بها لنصرهم وهي: ما هوند (محمد؟) وطرمغان وأبوليون. وناظم الانشودة متسق مع نفسه في الجهل فانه يطلق على المسلمين اسم الوثنيين، اما قسطنطين فانه بعد ان يفضح جهله من هذه الناحية، يستعمل تعبير ثيوفانس في تسميته الخليفة باسم أمير المؤمنين.

ولدى قسطنطين معلومات لا تقل غرابة، حول الفاطميين، فهم أبناء فاطمة بنت الرسول، ويسكنون منطقة تقع الى الشمال من مكة وراء قبر محمد، مجربون في المعارك والحروب، وبهم استعان النبي في حروبه واستولى على عدة مدن وأخضع بلاداً كثيرة، ذلك أنهم معروفون بالبسالة، بحيث لو وجد منهم ألف في أحد الجيوش فذلك الجيش لا تحلّ به هزيمة. وهم يركبون الجمال لا الخيول، ولا يلبسون الدروع في الحرب، وانما يلبسون عباءات قرنفلية اللون، ويحملون رماحاً طويلة وتروساً بطول قامة الرجل وسهاماً خشبية كثيرة لا يستطيع حَنْيَها – بمشقة فائقة – إلا قليلون، وهو على وعي بأن هؤلاء الفاطميين هم غير الفاطميين الذين ظهروا في ليبيا (يعني افريقية) إذ ينقل بعد قليل عن ثيوفانس أن هناك ثلاثة يدعون أمراء المؤمنين في كل سوريا – يعني في كلّ امبراطورية العرب – أولهم في بغداد وهو من أسرة محمد، والثاني في أفريقية وهو من اسرة عليّ وفاطمة، والثالث في أسبانيا وهو من نسل معاوية. ووصف قسطنطين لمن يسميهم فاطميي



■ رسم بالاسلوب البيزنطي لكتاب عن الطب العربي (متحف توبكابو ـ استانبول من العام ١٢٢٩م)

الجزيرة العربية ينطبق ـ في مجمله ـ على العرب جملة، وليس من الواضح كيف انساق الى هذه التسمية وذلك التصوّر، ولو قلنا إنه خلط بين الفاطميين والهاشميين لما كان ذلك مما يسوغ إفراد الهاشميين ـ دون سائر العرب ـ بالأوصاف التي أطلقها.

ويعد تاريخ ثيوفانس أهمّ مصدر لدى قسطنطين في أخبار الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين فاذا تحدث عن الأمم الأخرى اعتمد على معلوماته الخاصة ولم يصرّح بذكر أي مصدر آخر، وذلك قد يعني أحد شيئين: جهله بحال العرب بالنسبة لحال الأمم الأخرى، أو محاولته إلقاء المسؤولية فيما يورده من معلومات على عاتق شخص آخر. ولكن ثيوفانس يجمع جمعاً غريباً أيضاً بين الأخبار الدقيقة والمكاذبة، ورغم أن تاريخه ليس موضوع هذا المقال، فلا بدّ من إيراد بعض الامثلة على أخطائه التي أصبحت بالتالي أخطاء لقسطنطين حين نقلها مصدقاً بها: من ذلك زعمه أن اليهود خُدعوا بمحمد وظنوا لأول وهلة أنه المسيح الذي ينتظرونه فأسلموا على يديه وفارقوا شريعة موسى الكليم، ولكنهم لما رأوا محمداً يأكل لحم الجمل تيقنوا أنهم كانوا على خطأ، إلا انهم علّموه كيف يرتكب الجرائم البشعة ضد المسيحيين وبقوا منضوين تحت لوائه.

ومن أمثلة هذا الخلط أيضاً عند ثيوفانس ـ حسب نقل قسطنطين ـ أن عمر بن الخطاب غزا فلسطين وحاصر القدس مدة سنتين وأخذها خدعة. وان صفرونيوس أسقف القدس ـ وهو رجل متميز في حسن التقدير مندفع بحماسة سماوية ـ تلقى منه وعداً أكيداً فيما يتصل بالكنائس في فلسطين بحيث لا تخرب ولا تنهب.... إلا أن عمر طلب هيكل اليهود الذي بناه سليمان ليجعله مكاناً لعبادته، وما يزال كذلك الى اليوم. ويكفينا هذان المثلان، ففيهما نموذج لمن شاء دراسة تاريخ ثيوفانس على نحو من التقييم الدقيق.

٣ ـ المردة في تاريخ قسطنطين:

(١) المردة أيام معاوية:

يعتمد قسطنطين في أخبار المردة أثناء العهد الاسلامي الأول على ثيوفانس أيضاً، ولدى ثيوفانس ـ أو في النقل عنه ـ اضطراب، إذ يذكر أن أول اجتياح قام به المردة للمناطق الشامية، تمّ في آخر أيام معاوية، ثم يعود فيذكر أن ذلك كان اثناء الحرب بينه وبين عليّ، والثاني هو الصواب. ورغم أن نص ثيوفانس قد استغله الدارسون (انظر مثلا تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لحتي ٢:٥٣ ـ ٥٤ ولا منس: تسريح الأبصار ٢: ٤١ ـ ٤٨) فلا بأس من إيراده هنا كاملا ليكون في سياق مع ما يأتي بعده:

يقول ثيوفانس: "وعند أواخر حياة معاوية (الصواب: إمرة معاوية) سيد العرب، دخل المردة لبنان واستولوا عليه من الجبل الأسود حتى المدينة المقدسة وجعلوا أنفسهم سادة على قمم لبنان، وهرع اليهم كثير من العبيد والمواطنين لائذين بهم باعداد ما لبثت إلا يسيراً حتى بلغت عدة آلاف. ولما علم معاوية بذلك خاف هو ومستشاروه خوفاً شديداً فأرسل الى الامبراطور قسطنطين رسلا يطلبون السلام، لهذا بعث الامير قسطنطين ابن فوغوناطس شخصاً اسمه يوحنا ويعرف بالفتز قودي فلما وصل الى سورية تلقاه معاوية بترحيب عظيم، واتفق الجانبان على عقد صلح مكتوب مؤكد بالأيمان على أن يدفع "ابناء هاجر" فريضة سنوية الى إمبراطور الروم مقدارها ثلاثة آلاف قطعة ذهبية (دينار) وثمانمائة من الأسرى وخمسون فرساً عتيقاً. في ذلك الوقت كانت دولة العرب منقسمة في قسمين، فعليّ يحكم في يثرب ومعاوية يسيطر على مصر وفلسطين ودمشق... الخ"، وليس في معاهدة الصلح كما وردت هنا أية اشارة الى المردة، ولكن من حقنا ان نستنتج ان تلك الضريبة الباهظة لم تكن لتدفع لو لم تكن المعاهدة تضمن عدم لجوء المردة إلى ازعاج معاوية في الشام.

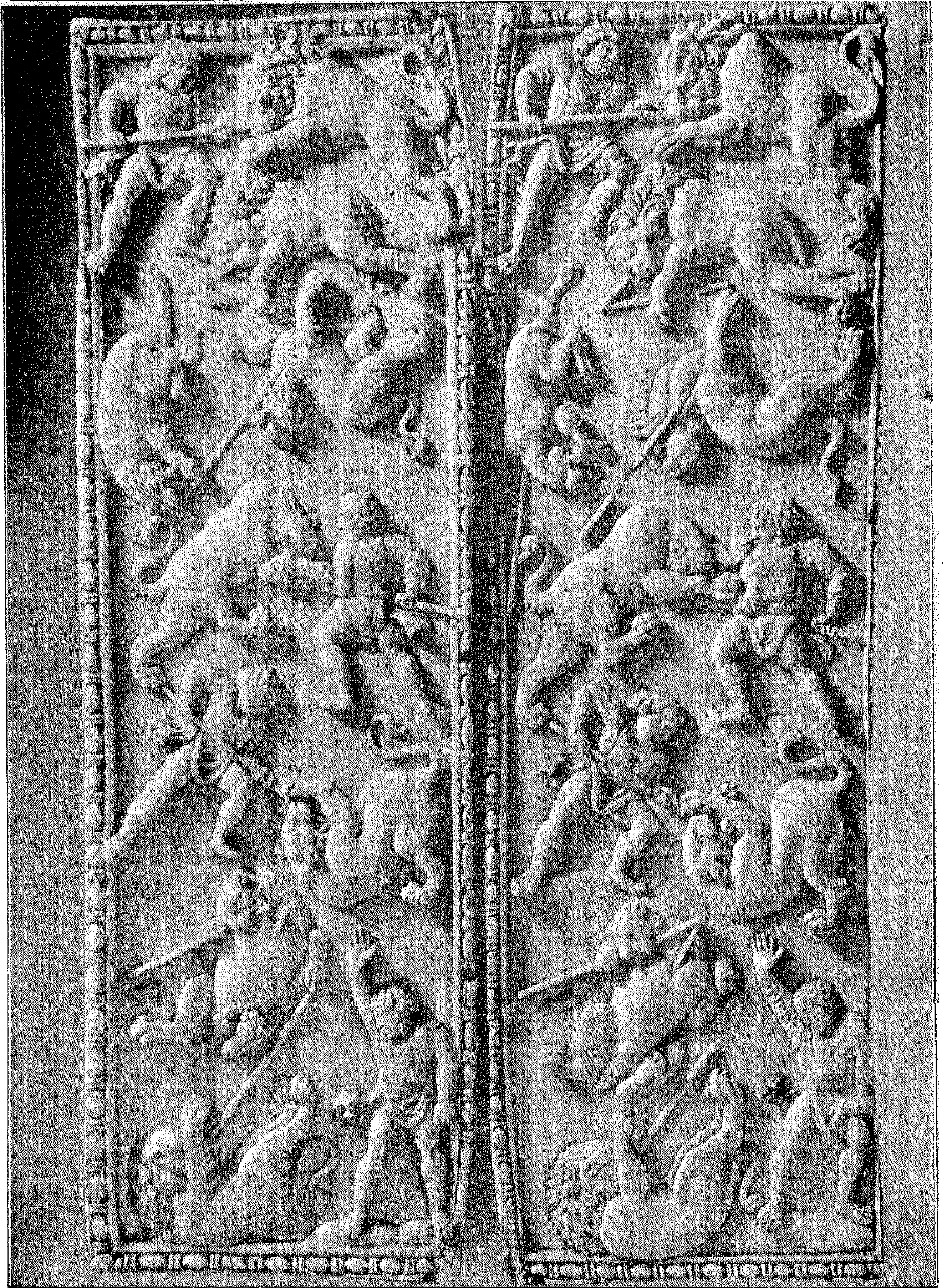
(٢) المردة أيام عبد الملك:

إن الدوافع الى تحرك المردة أيام عبد الملك تشبه إلى حدّ كبير تحركهم أيام معاوية؛ ففي كلتا الحالتين كان الأمير العربي مشغولا بحروب داخلية، وكان ذلك يتيح للامبراطور البيزنطي استغلال الاوضاع غير المستقرة، بما يتفق ومصلحته، ونعود مرة اخرى الى رواية ثيوفانس اذ يقول: "وفي هذه السنة (حوالي ٦٧/٦٨٦) أرسل عبد الملك (يسميه المؤرخ أبي ملك) الى يوستنيان (الثاني) يطلب اليه أن يقرّ السلم على الشروط الآتية: أن يسحب الامبراطور جيش المردة من لبنان ويكبح جماح تعدياتهم على أن يدفع عبد الملك الى الروم يومياً ألف دينار وفرساً عتيقاً أسود وأن يقتسم الفريقان جباية قبرص وأرمينية وايبرية (٢) بالتساوي فيما بينهما، وارسل الامبراطور بولس الموفد الامبراطوري الى عبد الملك لتوثيق الشروط المتفق عليها، وكُتب بذلك عقد موثق بالأيمان. وقدمت للموفد الامبراطوري هدايا، وارسل الامبراطور الى المردة فاستردّهم وكانوا اثني عشر الفاً، وبذلك شلّ قوة الروم، ذلك أن مدن الثغور التي يسكنها العرب اليوم امتداداً من مويسوستيا حتى أرمينية كانت غير محمية ولا سكان فيها بسبب غارات المردة، وباستردادهم أصاب بلاد الروم وما زال يصيبها أضرار بالغة على يد العرب. وفي السنة نفسها ذهب الامبراطور الى أرمينية وأسكن فيها مردة لبنان وبذلك حطّم سوره النحاسي".

(٣) مقارنة رواية ثيوفانس بالروايات العربية:

لدينا روايتان هامتان عن حركة المردة أيام عبد الملك إحداهما أوردها البلاذري (أنساب الأشراف

(٢) لا ادري الى أي شيء تشير ايبرية هنا، لأن الاندلس لم تكن قد فتحت بعد.



■ لوحة مزدوجة من العاج تمثل مشاهد من السيرك البيزنطي. (٣٣×٠٥،٠٠ س.م) متحف "ارميتاج" بموسكو

٥: ٢٩٩ ـ ٣٠٠) والثانية ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق (تهذيب ٦: ٦٥ ـ ٦٦) وبين الرواة اختلاف حول تاريخ تلك الأحداث، فمنهم من يجعلها إثر تولي عبد الملك الخلافة (حوالي ٦٦هـ) ومنهم من يجعلها عند توجهه لمحاربة مصعب بن الزبير (حوالي سنة ٧٠)، ويرجح البلاذري الرواية الاولى. وفي الروايتين العربيتين تفصيلات هامة عن طبيعة تلك الحركة وتطوراتها: فيذهب البلاذري



■ تلميذا طب عربيان واللوحة مرسومة بالاسلوب البيزنطي وتعود للعام ١٢٢٩م (متحف توبكابو - استانبول)

الى أن يوستنيان أقبل يريد مهاجمة الشام، وان قائدا من قواد الضواحي خرج في جبل اللكام فاتبعه خلق من الجراجمة والأنباط (السكان الاصليين) ومن التف حولهم من عبيد المسلمين وغيرهم، وصار هذا الحشد كله الى جبل لبنان. أما رواية ابن عساكر فتقول ان امبراطور الروم عندما رأى أخذ المسلمين لمدن الساحل كاتب أنباط جبل لبنان واللكام، فخرجوا فعسكروا بالجبل، ثم وجه الامبراطور قلقيط (لعله فليط: Palytes) البطريق في جماعة من الروم في البحر، فسار بهم حتى نزل بوجه الحجر، وخرج بمن معه حتى علا بهم جبل لبنان ووثب بقواته حتى بلغ أنطاكية وغيرها من الجبل الاسود، واستفحل امر الروم حتى غلبوا على الجبال كلها من لبنان وسنير وجبل الثلج وجبال الجولان، أي أن القوة التي قامت بتلك الحركة كانت من الروم والمردة ومن انضم اليهم من العبيد. عندئذ عاد عبد الملك عن وجهته التي كان يقصدها الى دمشق ووجه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي بهدايا وألطاف الى ملك الروم وأرسل معه كتاباً يسأله فيه الموادعة على إتاوة معينة — ولم تذكر الروايات العربية مقدارها — فقبل الامبراطور الهدايا وما بذل له عبد الملك من الاتاوة، وفي مقابل ذلك أعطاه رهناً من أبناء الروم صيّرهم ببعلبك. أما الثائرون بلبنان فجعل لهم عبد الملك ألف دينار في كل جمعة (لا في كل يوم كما يقول ثيوفانس)، فهدأت ثائرتهم.

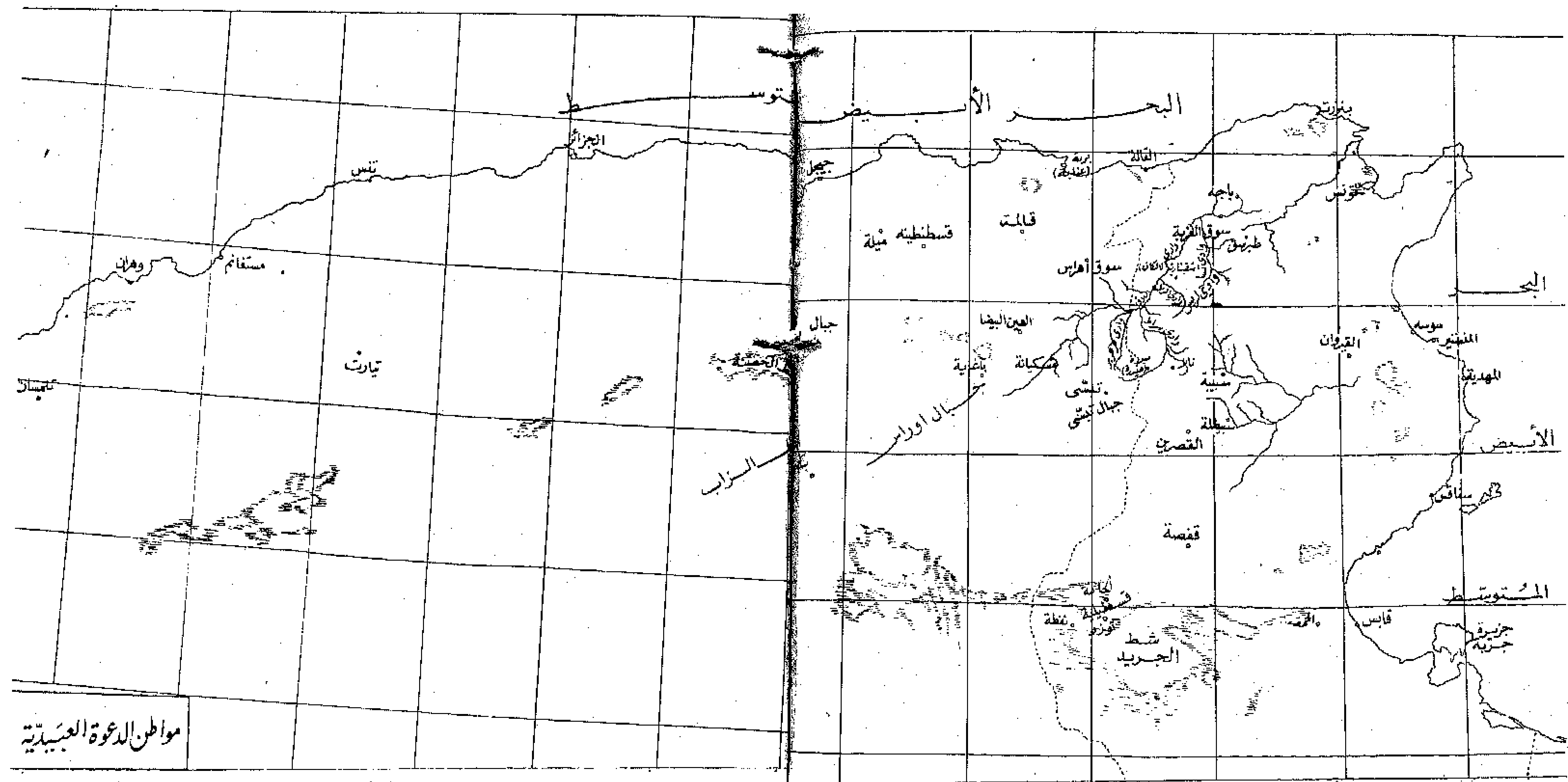
تلك هي المرحلة الاولى من الاجراءات، ولكن هذه شفعت بمرحلة ثانية، أولا لأن عبد الملك لم يكن ليقر دفع تلك الضريبة الباهظة إلى الأبد، كما أن المعاهدة بينه وبين الامبراطور لم تتضمن النص على انسحاب القوات الرومية التي دخلت بلاد الشام — ولهذا نراه يوعز الى سحيم بن المهاجر واليه على طرابلس — بل يتوعده — إذا هو لم يقم بعمل حاسم للقضاء على العناصر التي ما تزال تكبده تلك الضريبة الباهظة. ومن أجل ذلك عمّم نداء بأنّ كل عبد يرجع عن ممالأة الروم والجراجمة فهو حرّ يُكتب اسمه في الديوان وينال عطاء، فعاد عدد كبير منهم جعلوا في ربع على حدة وسُمّوا "الفتيان". ويجب أن نفهم من نصّ ابن عساكر الشديد التصحيف أن سحيماً تنكّر في هيئة بطريق من بطارقة الروم في لباسه وهيئته وشعره وسلاحه، وانه ركب متن المغامرة في التقرب إلى قلقيط (أو فليط)، وأنه استطاع بالحيلة واستعمال الكمين ومساعدة العبيد المحررين أن يقضي على عدد من الروم والجراجمة، ففرّ من تبقى من الروم إلى سفنهم فركبوها ولحقوا ببلادهم، ثم نادى بالأمان في من تبقى من جراجمة وغيرهم فتفرقوا في قراهم.

(٤) المردة بعد عهد الدولة الاموية:

يبدو أن نقل يوستنيان الثاني للمردة الى أرمينية كان خطوة حاسمة في تقرير دورهم رغم أن ثيوفانس يومىء الى أن ذلك كان سياسة قصيرة النظر بالنسبة لمصالح الروم، ولكن غاب عن ثيوفانس أن الانحسارات المترتبة على الفتن الداخلية في الدولة الاموية قد تحولت الى مدّ عات بعضه يبلغ القسطنطينية، وبعضه ينتزع من الدولة البيزنطية المغربّ كله. وحين تحولت الدولة الى بغداد فقد ذلك "السور النحاسي" قيمته، حين تغيرت منافذ الحدود الى بلاد الروم، وكانت الدولة العباسية في ذروة قوتها تستطيع أن تحرك مواقع مدن الثغور بحيث تصبح في قلب بلاد الاناضول.

ولعله لهذا السبب نفسه أصبحنا نسمع عن وجود مردة في منطقة اضالية (Attalia) ويحدثنا الإمبراطور المؤرخ قسطنطين السابع عن المردة في تلك المنطقة، وانه جرت العادة — منذ عهد بعيد — ان يتولى الامبراطور البيزنطي تعيين القائد العام للمردة في تلك الولاية. وفي أيام جده ليون (لاون) — الطيب الذكر — كان القائد العام هو اسطوراخيوس فتصرف في الأمور تصرفاً حسناً في أول الأمر ثم ساء تدبيره في الختام. وبسبب المنافسات الحادة بين هذا القائد العام وبعض خصومه عزل اسطوراخيوس من منصبه وولي بدله خصمه يوسطاطيوس، ثم لما اصبح الاسكندر (الكصندروس) عم قسطنطين امبراطوراً بعد ليون نحّى ذلك القائد وولى شخصاً آخر بسعى من رجل اسمه قيس (Chase) وهو امرؤ "عربي في أصله، وبقي عربياً خالصاً في فكره وعاداته ودينه" وقد أثر في الامبراطور (ألكصندرس) بمعونة من أخيه نيكيتاس الذي قال للامبراطور: "بما اني صديقك القديم فمن اللائق أن تسدي الي يداً، ولديّ مطلب أرفعه الى جلالتك ومن الحري بك أن تحققه" وفوجىء الامبراطور بذلك وسأله: ما هو مطلبك؟ فقال: "أرجو من جلالتك أن تجعل ابني قائداً عاماً للمردة" فاستجاب الملك لطلبه. ذلك أن تعيين القائد العام للمردة كان — كما تقدم القول — أمراً منوطاً بالامبراطور (تاريخ قسطنطين، الفقرة: ٥٠).

ترى من هو "قيس" هذا الذي يذكره الامبراطور المؤرخ؟ انه يذكّرنا بقيس آخر ذكره المسعودي، اعني (قيس) الماروني المؤرخ الذي كتب كتاباً حسناً في التاريخ يبدأ من بداية الخليقة حتى عهد المكتفي (التنبيه: ١٥٤) أترى الأمر مجرد تشابه عارض بين اسمين؟ أم هما شخص واحد؟ علينا ألاّ نفاجأ بقول المؤرخ: إن قيساً كان عربياً في دينه، فان المارونية في تلك الايام كانت عقيدة مختلفة في طبيعتها عن المذهب الملكاني — مذهب الدولة البيزنطية — وليس ثمة ما يمنع ان يكون فعل الزمن قد صهر ما بين المارونيين والمردة، و"عرب" الأولين — بل عرّب جميع من كانوا وراء الحدود الرومية، و"دجن" المردة حتى أصبحوا جزءاً أصيلا في بناء الدولة العربية. ■



الدّعوة العبيديّة الاسماعيليّة في افريقيا والمغرب

نموذج للحركة الثوريّة المسلّحة

د. وداد القاضي

من النظرات التاريخية التي تستوقف دارس التاريخ كثيراً، نظرة المؤرخ اليوناني القديم ثوكيذيذس ـ كاتب كتاب "الحرب البلوبونيزية" ـ الى التاريخ البشري، فهو في نظره ـ في اطاره العام الكبير ـ لا يخرج عن كونه حلقات متسلسلة من الاحداث، يتكرر حدوثها بشكل شبه دائري، على اختلاف الأزمنة والأمكنة والأمم، ولا يتغير هذا الحدوث الا بمقادير ضئيلة تابعة لبعض الاختلاف البسيط في الظروف الخاصة المحيطة بكل حدث على حدة، والسبب في ذلك ـ كما يقول ثوكيذيذس ـ أن صانعي التاريخ هم البشر، والطبيعة البشرية ذات سمات ثابتة لا تتغير، مهما يتغيّر المكان والزمان والأمة، ومن ثمّ فان من الطبيعي ان يكون التاريخ يعيد نفسه ـ بأشكال متشابهة ـ على مرّ العصور.

تلك نظرة يختلف المؤرخون وفلاسفة التاريخ حول سلامتها وصحتها، ولكنهم دون شك يجدونها نظرة جديرة بالتفحص الدقيق. فترى هل يختلف المؤرخون على ان التاريخ يحتوي دروساً وعبراً، كما يعتقد ابن خلدون؟ وهلاّ يجدون انفسهم ينزعون ـ في كثير من الاحيان ـ الى رصد المشابه بين حادثة وقعت في الماضي وأخرى تقع في الحاضر؟

* د. وداد القاضي استاذة الأدب العربي في الجامعة الاميركية في بيروت.

■ من هذه الزاوية بالذات أود هنا ان اتناول بالعرض والتحليل الدعوة العبيدية الاسماعيلية، تلك الحركة الثورية المنظمة المسلحة، في افريقية والمغرب في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، لعل إلقاء الضوء عليها يثير فينا التأمل في مدى صحة نظرية ثوكيذيذس، وخاصة لاننا نعيش في عصر تكثر فيه الحركات الثورية المسلحة في شتى انحاء العالم، وعدد منها - دون شك - لا يرغب في الاعتراض - او الثورة - على النظام السياسي القائم وحسب، وانما يهدف الى الاطاحة بهذا النظام والحلول محله، تماماً كما كان شأن الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب.

وليست الدعوة العبيدية الاسماعيلية الحركة الثورية الوحيدة التي عرفها تاريخنا في العصور الاسلامية، فان هذا التاريخ حافل بالعديد من الثورات ذات الحوافز الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية او المذهبية او السياسية، غير ان ما يميز الدعوة العبيدية كونها - مثل الدعوة العباسية - قد قامت على اسس مدروسة دقيقة ونجحت في الاطاحة بالنظام القائم وفي بناء دولةقوية قادرة. ولكن في حين جاءت الاخبار عن الدعوة العباسية متفرقة متوزعة بعيدة في الزمن عن زمان حدوث الدعوة. في مصادرنا التاريخية الأصلية، جاءت أخبار الدعوة العبيدية الاسماعيلية مضموماً بعضها الى بعض في كتاب كامل مستقل كتب بعد نجاح الدعوة بنصف قرن فقط، كتبه رجل عايش أولى فترات النجاح هذه، وذلك هو كتاب "افتتاح الدعوة" (دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، الشركة التونسية للتوزيع والنشر، تونس، ١٩٧٦) للقاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هجرية. فان هذا الكتاب، بتبكيره النسبي، وبتخصصه في موضوع الدعوة، يعطينا صورة واضحة كثيفة التفاصيل شديدة الايحاء عن تنظيم الدعوة وخط سيرها حتى استيلاء اصحابها على الحكم، ومن ثمّ يعتبر هذا الكتاب المصدر الاساسي لدراسة هذه الحركة، يتقدم غيره من المصادر التاريخية التي تعرضت لها مثل "الكامل في التاريخ" لابن الأثير و"البيان المغرب" لابن عذاري و"تاريخ ابن خلدون" وكتابي "اتعاظ الحنفا" و"الخطط"، وكلاهما للمقريزي.

التطور التاريخي

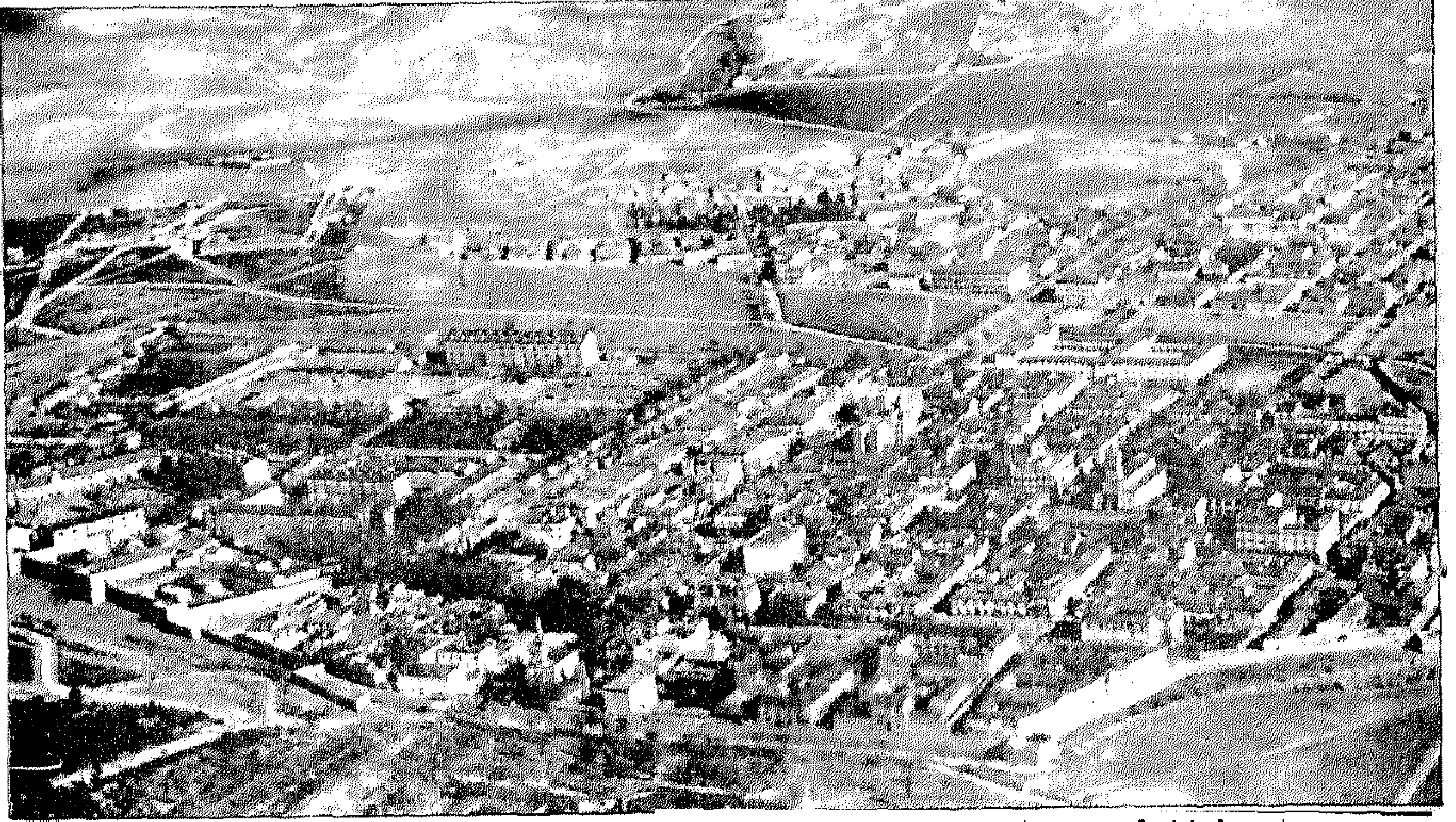
وقبل أن اتناول الدعوة العبيدية الاسماعيلية بالتحليل، أرى أن استعرض تطوّرها التاريخي، حتى تكون مقدمات التحليل موجودة بين يدي القارىء، غير خافية عليه.

في سنة ٢٨٠ هجرية دخل افريقية ثم المغرب الأوسط رجل باسم أبي عبد الله الحسين بن أحمد آتياً من المشرق في صحبةجماعةمن قبيلة كتامة البربرية. وكان هذا الرجل شيعياً اثني عشرياً في الاصل، من سكان الكوفة على الأرجح، قد تمكن من الاتصال به أحد دعاة الاسماعيلية، واكتشف مدى إخلاصه في تشيّعه، فلقنه مبادىء التشيّع على الطريقة الاسماعيلية، وما إن ثقف هذه المبادىء حتى أرسله هذا الداعي - او الامام نفسه - الى اليمن، اذ كانت اجزاء كبيرة من اليمن قد اصبحت منذ سنة ٢٦٨ معقلا من معاقل الاسماعيلية على يد أحد كبار دعاتهم هناك هو الداعي أبو القاسم بن حوشب المعروف بمنصور اليمن. وقضى أبو عبد الله هذا مدة تقرب من السنة في اليمن، درس فيها على أبي القاسم الداعي أحسن السبل لاقامة دعوة ناجحة، واحسن السبل لتحويل الدعوة الى دولة تستطيع ان تفرض السلطان السياسي على الارض بعد ان تكون قد فرضت المذهب الديني على الناس.

وبعد انقضاء السنة غادر أبو عبد الله الشيعي اليمن مزوّداً بتعليمات واضحة من الامام في ان يذهب الى المغرب فينشر الدعوة هناك. وكان الموسم موسم حج، فمضى أبو عبد الله الى مكة، وهناك اتصل بجماعة من الحجاج المغاربة من قبيلة كتامة، وسمع من يتحدث بفضائل علي بن أبي طالب، فانضم اليهم وأخذ يحدّثهم حديثاً ضافياً جذاباً في فضائل اهل البيت، وما تركهم إلا وقد سحرهم او كاد، فمشوا وراءه للاستدلال على مكان إقامته وخدمته إن شاء. وفي اليوم التالي مضى أبو عبد الله فحدّث الكتاميين بأزيد مما كان حدّثهم به بالامس، فازدادوا تعلقاً به، وسألوه عن وجهته بعد الحج، فاظهر لهم أنه يريد مصر، فقالوا: اذن نمشي معاً حتى مصر.

وطول الطريق من مكة الى مصر عامل الكتاميون أبا عبد الله معاملة الضيف العزيز الكريم، يذبحون له الشياه ويحملون عنه الأثقال، وهو في هذه الأثناء يتلطف اليهم، ويعطيهم ما يريدون سماعه من حديث الفضائل الدينية، وفي الوقت نفسه يأخذ بلطف كل ما يحتاج اليه من معلومات عن بلادهم المغربية: مدنها، حواضرها الاخرى، قبائلها، اتساعها، مناخها، سكانها، حكامها، علاقة الحكام بالسكان في المدن، علاقتهم بالقبائل، العلاقات فيما بين القبائل نفسها، مدى انتشار العلم في القبائل.... وغير ذلك مما كان أبو عبد الله يرى معرفته ضرورية لأنه كان يؤمّل ان يقيم الدعوة بالمغرب.

وعندما وصل الركب الى مصر، اظهر ابو عبد الله الرغبة في الانفصال عن الكتاميين والاقامة بمصر. فزاد هذا من تمسك الكتاميين به وسألوه: ماذا تريد من بقائك بمصر؟ فقال: التعليم، فسرّهم ذلك وقالوا له: ان مهنة التعليم نافقة في بلادنا



■ مدينة سطيف "١٩٤٤"

نفاقاً لا مثيل له، والمعلمون معظمون عندنا، وأنت بعلمك تصلح أن تكون معلماً لشيوخنا فضلا عن صبياننا، ونحن نبذل لك من المال ما يفي بحقك ويزيد، واذا قبلت دفعنا لك مكافأتك عن سنة وسنتين مقدماً. فاعتذر أبو عبد الله عن قبول عرضهم اعتذاراً رفيقاً، فاشتد تمسكهم به، والحوا عليه بالقبول، وهو يظهر التمنّع والحياء، وكلما تمنع زادت رغبتهم فيه. وفي نهاية المطاف وافق أبو عبد الله على المضيّ معهم الى بلادهم، مظهراً ان ذلك من باب الارضاء لهم والنزول عند رغبتهم.

في كتامة بالمغرب

وهكذا دخل أبو عبد الله بلاد افريقية وبلد كتامة من المغرب الاوسط في سنة ٢٨٠، وعاش أول الأمر ضيفاً على عدد من مشايخ كتامة، يجلس للشيوخ وللشباب، ويحضهم على الصلاة والصيام وأفعال الخير وأعمال البرّ وتجنب المعاصي، ويلقنهم في الوقت نفسه علوم الدعوة درجة درجة، فاذا أتمّ أحدهم العلوم كلها أخذ عليه أبو عبد الله عهداً بالسرّية والكتمان، فاذا سأله احد الناس عن علمه، وضع اصبعه على فمه وقال: "ابلغ توقن"، وكانت تلك كلمة علّمهم اياها أبو عبد الله فكانت على لسان كل واحد منهم. كذلك أشاع ابو عبد الله نمطاً معيناً من الخطاب بين المنضمين الى الدعوة – نمطاً قائماً على المساواة الاجتماعية، بحيث يقول الرجل للرجل "يا اخانا" – بمن فيهم ابو عبد الله نفسه – مهما اختلف الوضع الاجتماعي للواحد منهم عن الآخر. واطلق أبو عبد الله على من قبلوا دعوته اسم "المؤمنين" وعاد فسماهم فيما بعد "الاولياء".

وبعد انتهاء فترة "الضيافة" الأولى، انتقل أبو عبد الله من جماعة "المؤمنين" الى حصن حصين ومعقل منيع في جبل يسمى جبل ايكجان بمنطقة سطيف، ومن هنا بدأت الدعوة تتخذ ملامح أكثر تحديداً.

ووصل خبر الدعوة وتحركات أبي عبد الله الى والي مدينة ميلة من قِبَل الأغالبة، أمراء افريقية وشرق المغرب التابعين للخلافة العباسية. فخاف صاحب ميلة ان تتهدد الدعوة الجديدة سلطانه، فحاول حيناً بالحيلة وحيناً بالوعيد ان ينزع حماية بعض كتامة عن أبي عبد الله، الا أنه أخفق في ذلك، إذ لم يرضَ هؤلاء بتسليم أبي عبد الله وهو – في أدنى الاعتبارات – ضيفهم، والعرف يقضي بحماية الضيف حماية تامة.

وما لبث خبر الدعوة ان بلغ الأمير الأغلبي ابراهيم بن أحمد، فأرسل الى أبي عبد الله رسولا قرأ عليه رسالة من ابراهيم تعده بالأمان والدنيا العريضة ان هو تنصّل من دعوته، وتهدّده بالويل والثبور ان هو اصرّ عليها. وقد ردّ أبو عبد الله على رسالة ابراهيم برسالة اشدّ منها، أعلن فيها رفضه لعرض ابراهيم، وتمسكه بدعوته، وإيمانه بحتمية النصر له ولأصحابه "المؤمنين الصابرين"، بل انه زاد فدعا ابراهيم نفسه الى الدخول في الدعوة "الى الله عز وجل والى كتابه والى الامام المهدي من ذرّية رسوله". وملأ رسالته هذه بالآيات القرآنية، وصرف رسول ابراهيم مكرماً، فكان موقف أبي عبد الله هذا معززاً لمكانه بين أنصاره ومقوياً لايمانهم بصحة الدعوة.

ولما سمع ولاة المدن والأمصار بجواب أبي عبد الله لابراهيم بن أحمد، ورأوا ان ابراهيم لم يحرك ساكناً ضده، خافوا على زوال رياستهم من ايديهم، فاجتمعوا معاً، وهم ولاة سطيف وميلة وبلزمة، وانضم اليهم رؤساء بعض بطون كتامة، ممن رأوا في دعوة ابي عبد الله تهديداً لسلطانهم هم ايضاً، وقرروا مجتمعين ان يقضوا على أبي عبد الله. وفعلا تمكّن هؤلاء "الحلفاء" غير مرة من فتح ثغرة في صفوف اصحاب ابي عبد الله، الا ان تسرّعهم دوماً لنيل بغيتهم قلب الامور ضدهم، وورّطهم في الدخول في معارك عسكرية مع أصحاب ابي عبد الله، فحمل اصحاب أبي عبد الله السلاح، ونظم ابو عبد الله صفوفهم، ولاقوا تحالف ولاة المدن ورؤساء الكتاميين بشجاعة فائقة، وأبو عبد الله يحارب معهم ويرفض ان يتركهم، الى ان اسفرت سلسلة المعارك التي خاضوها عن نصر عظيم لهم، وهزيمة منكرة للتحالف المدني ـ الكتامي، وغنم "المؤمنون" من الغنائم والاموال والخيل والسروج والسلاح والخلع وغير ذلك ما لا يحصى عدده كثرة، فأبقى أبو عبد الله هذه الغنائم لأصحابه.

من المعلم الى المنظم

ومنذ ذلك الوقت بدأت صفحة جديدة في تاريخ دعوة أبي عبد الله، إذ تحوّل من دور "المعلم" الى دور "المنظم"، فاستقر ببلدة تازروت واتخذها "دار هجرة" على غرار المدينة زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وابتنى فيها قصراً، وأقطع كبار رجال دعوته قطائع فيها، وفيها استقبل الأعداد العظيمة من ابناء القبائل الذين اتوا اليه من كتامة وغيرها طالبين الدخول في الدعوة رغبة او رهبة، وقد بدا ظاهراً للعيان أن مقادير الأمور تسير في اتجاهات جديدة في المغرب.

وانصرف أبو عبد الله لتنظيم المجتمع الكبير الجديد، فقسم أنصاره "الأولياء" في سبعة أقسام، على رأس كل قسم رئيس يلقب بالشيخ، هو مسؤول عن جميع قضايا مجموعته، وخاصة من الناحيتين التعليمية والعسكرية، وان ظل ابو عبد الله المرجع الاخير في هاتين الناحيتين وفي غيرهما أيضاً، فظل يعقد مجالس الوعظ والتعليم، ويحضّ "الاولياء" على الصلاة والصيام وإتيان الفضائل واجتناب الرذائل، فاذا قصّر أحدهم في واجباته، أو ارتكب معصية، عاقبه عقاباً شديداً قد يصل الى حدّ النبذ والعزل والاقصاء عن المجتمع، بل قد يبلغ حد القتل. وكان أبو عبد الله يتعمد ان يقوم الاخ او الاب بقتل أخيه او ابنه اذا أجرما، فيكون ذلك أشدّ لهما، وأقوى عبرة لمن شهدهما من هنا عمّ الأمن بلد تازروت وانتشرت روح التعاون بين "الاولياء". وكان أبو عبد الله نفسه في تصرّفه قدوة لكل "الأولياء"، اذ ظل على تواضعه وبساطة ملبسه ومشربه ومركبه، ورفض أن يأخذ شيئاً من الغنائم والسبي، ولم يتزوج سوى أمرأة واحدة، ولم يعرف عنه أي مخالفة للقواعد التي سنّها لأصحابه.

وبعد أن استقر أبو عبد الله وأصحابه بتازروت، اخذوا يشنون الغارات على كل من لم يوالهم من القبائل والمدن، وذلك ابتداء من سنة ٢٨٩. ففي تلك السنة فتحوا مدينة ميلة، وبعد ذلك هزموا جيشين أرسلهما الأمير الاغلبي، ثم فتحوا مدينة سطيف، وهزموا جيشاً ثالثاً أرسله الأغلبي، وبعد ذلك توالت الانتصارات فسقطت طبنة ثم بلّزمة ثم تيجس ثم باغاية ثم قسطيلية ثم قفصة بأيديهم وإزاء هذا وجد آخر الأغالبة، واسمه زيادة الله بن الأغلب، نفسه مجبراً على الانطلاق لمحاربة هذه الجماعة، فنزل بالأربس، وفيها بعد وقعات عديدة كانت الهزيمة النهائية للأغالبة والنصر النهائي لجماعة أبي عبد الله. اما زيادة الله فانه هرب من افريقية الى المشرق، وأما أبو عبد الله فانه دخل رقادة ثم القيروان في شهر رجب من عام ٢٩٦، وبعدها سافر الى سملجاسة حيث كان الامام الاسماعيلي عبيد الله المهدي مسجوناً، فاخرجه من سجنه، وأتى به الى القيروان في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧، وأعلنه الامام المهدي الحق من اهل البيت، وبهذا التاريخ بدأ تاريخ دولة جديدة في افريقية والمغرب (ثم مصر) هي الدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية.

نموذج تاريخي

تلك كانت الخطوات التي سارت بها الحركة الثورية الاسماعيلية منذ بدء انطلاقها حتى نجاحها في تأسيس الدولة البديل للنظام القائم في افريقية والمغرب. ولا يهمنا في هذا المقام كون "الامام" قد تخلص من "الداعي" أبي عبد الله بأن قتله بعد عام واحد من جلوسه في سدّة "الخلافة"، وإنما يهمنا ان الدارس يمكنه ان يرى في مسار الدعوة "نموذجاً" تاريخياً لعله قابل للتكرار ـ بحسب نظرية ثوكيذيذس ـ نموذجاً يطرح عدداً من "القواعد" للحركة الثورية المسلحة بشكل عام.

فمن القواعد الاساسية التي تطرحها الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان الركن الأساسي الذي يضمن للتحرك الثوري نجاحه وجود القائد الملائم على رأسه. هذا القائد يجب ان تتوفر فيه صفات عديدة، أهمها الايمان التام بما يدعو اليه عقلا وروحاً، وقولا وعملاً، والتفرّغ الكامل للدعوة، بحيث لا يشغله عنها اي شاغل، بما في ذلك مصلحته الشخصية. ويوحي الى تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية ان قيادة الدعوة تعتمد الى حد بعيد على كون القائد مؤهلا بالطبيعة لتسلّم



■ موكب في شارع بالقيروان

مهام القيادة، يتوفر فيه الذكاء الحاد والقدرة على اجتذاب الناس وسحرهم وشدّهم اليه، إلا انه لا بد ان ينضاف الى هذه "الموهبة الطبيعية" "تربية" على القيادة و"تدريب" عليها، وذانك أمران يؤتيان خير ثمارهما عندما يتعلم القائد المنتظر أساليب قيادة الدعوة بشكل عملي – لا نظري – لدى احد من سبقه من الناجحين في "المهنة" نفسها، كما فعل أبو عبد الله الشيعي في الفترة التي قضاها باليمن لدى الداعي المنصور ابي القاسم بن حوشب.

على ان الداعي المتوقع – شأنه شأن أبي عبد الله – عليه أن يتخذ من فترة التدريب العملي "منظاراً" للعمل الدعاوي المنظم، يفيده في تحديد "الاطار" الذي يمكنه ان يمارس عمله داخله دون ان "يقيده" بصيغ ضيقة جامدة للعمل في المستقبل، اذ عليه – أيضاً شأنه شأن أبي عبد الله – ان يظل محتفظاً بحرية الحركة والقدرة الفائقة على التكيف مع ظروف المجتمع الذي سيقيم دعوته فيه، تلك الظروف التي قد تكون مخالفة لظروف المجتمع الذي نال تدريبه فيه.

ويـدل تاريـخ الحركـة الاسماعيليـة العبيديـة بالمغرب أنه لا بدّ من توفر ركن أساسي ثان يضمن للحركة النجاح، وذلك هو وحدة العقيدة التي تدعو اليها، فان هذه الوحدة هي التي تشكل "الرابط" الرئيسي بين الأفراد المنضمين للدعوة – بعد رابط القائد – وتشدّهم بعضهم الى بعض، وتميزهم عن غيرهم ممن يعايشونهم في مجتمعهم. وقد كان أبو عبد الله على وعي بأهمية هذا الركن، وحيث انه بنى دعوته على عقيدة دينية معينة، فانه صرف الجزء الأكبر من وقته خلال الدعوة، وخاصة في السنوات الاولى منها، يعلّم الناس أسس هذه العقيدةالدينية، ويبين لهـم حدودهـا، ويحضهـم على التعامل فيما بينهم بمبادئها، ويتصرّف هو نفسه أيضاً على ضوء ما تمليه هذه المبادىء نفسها. وبهذه الطريقة استطاع ابو عبد الله ان ينشيء نوعاً عميقاً من "التجانس" بين افراد الدعوة، وتلك حال زادها رسوخاً قيام أبي عبد الله بمنحها "رموزاً" لفظية ذات وظيفة معنوية هامة، مثل قيامه بتسمية المنضمين للدعوة بألفاظ مميزة كـ"المؤمنين" و"الأولياء"، وفرضه ان يخاطب الواحد منهم الآخر بتعبير "يا أخانا" بغضّ النظر عن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الواحد منهم دون الآخر، وكأن الانضمام للدعوة يشكل "نَسَباً" جديداً، "هوية" جديدة تربط أفرادها بعضهم ببعض بقدر ما تفصلهم عن سائر الافراد في مجتمعهم.

سرية الحركة

وعلى الحركة التي تبغي النجاح في خاتم المطاف ان تعتمد الكتمان او السرية في تحركاتها الأولى وذلك خدمة لهدف أساسي هو عدم انكشاف أمرها من قبل النظام القائم ومن ثَمّ القضاء عليها وهي بعد في المهد. ويمكن الوصول الى الحرص على هذه السرية لدى الافراد المنضمين للحركة عن طريقين، الأول: إثارة غريزة الفضول والتشوّق الى المعرفة في الناس، والثاني: تغذية احساس الناس بالتفرّد. ولا شك ان هذه الامور كلها كانت مما وضعه أبو عبد الله في حسبانه، فانه بدأ بنشر دعوته ضمن حدود ضيقة للغاية لا تتجاوز عدداً معيناً من رجال العائلات الكتامية، وعندما باشر تعليم هؤلاء الرجال، اخذ بعين الاعتبار اختلافهم الطبيعي في الاستعداد لتلقي العلم وكتمانه معاً، فأقام لديهم ما يشبه "السلـم التدريجي" في العلم، يكشف لبعضهم جانباً من علوم الدعوة، ويكشف لغيرهم قدراً أكبر من هذه العلوم، وهكذا. فاذا وصل أحدهم الى أقصى ما يمكن الوصول اليه في العلوم، اخذ عليه عهداً بالكتمان، ورمز له بوضع الاصبع على الفم، فاذا سأله بعضهم عما تلقاه من العلوم أجابه: "ابلغ توقن"، وذلك ليس تدريباً على السرية وحسب وإنما فيه ايضاً حثّ للآخرين على الوصول الى نفس الدرجة العلمية، اذ إن مثل هذا التعبير يثير غريزة الفضول لدى الناس ويشوّقهم الى المعرفة أكثر. كذلك كان أبو عبد الله يرسل افراد دعوته في مهمات خارج بلده، وفي تلك الحال يلحّ على ضرورة محافظتهم على سرّية مهمتهم، فلا يعرف عنها أي شيء لا أهلهم ولا أصحابهم ولا أولادهم، فكان أصحابه يطيعونه في ذلك طاعة عجيبة، وما ذلك الا لاحساسهم بتفرّدهم بين إخوانهم في الدعوة، وكأن في إيكال مهمة خارجية معينة لهم تقديراً خاصاً لهم من جانب الداعي. وبهذه الطريقة استطاع أبو عبد الله أن يعمل في الخفاء مدة سنوات، فلم يهتد اليه احد من أعوان النظام القائم إلا بعد أن اشتدت شوكته وقويت دعوته.

على أن عاملا آخر ساعد أبا عبد الله على العمل بمنأى عن أعوان الدولة القائمة وذلك هو اختياره الريف لا المدينة منطلقاً لدعوته. ولا شـك ان هـذا الاختيار لم يحدث بشكل عشوائي وانما كان أمراً خطط له أبو عبد الله وهو بعد يسير مع قافلة الحجاج الكتاميين من مكة الى مصر، ثم من مصر الى افريقية. وعلى هذا الضوء يجب ان يفهم الدارس اسئلته عن بلاد كتامة للكتاميين، وقد فهم أبو عبد الله من أجوبة هؤلاء الكتاميين ان سلطان الدولة المركزية (دولة الاغالبة) أشدّ في المدن منه خارج المدن، فكان أن قرّر ان ينشر دعوته في الريف وأن لا يتقدم الى المدن إلا بعد ان تكون دعوته قد اشتدت. وقد برهنت الأحداث على أن أبا عبد الله كان مصيباً في تصوّره، ولقد أتاه الخطر الكبير الأول من أقرب المدن الى ريف دعوته، من مدينة ميلة.

على أن الريف كان يحتوي على طاقة جيدة اخرى مناسبة لدعوة أبي عبد الله وتلك هي الطاقة البشرية. فسكان الريف يختلفون عن سكان المدن في أنهم غير مرتبطين ارتباطاً مباشراً – من حيث المصلحة ووسائل الحياة – بالدولة القائمة، ومن ثَمّ فان سيطرة الدولة عليهم تكون سيطرة ضعيفة – نسبياً – ونشر الدعوة بينهم قد يطول أمره قبل ان تكتشف الدولة مدى خطره عليها. كذلك يحتوي الريف على عدد من السكان أكبر من عدد السكان في المدن مجموعة معاً، رغم كون الكثافة السكانية في المدن أعلى منها في الريف، وذلك لان الريف يشكل القسم الاكبر من البلاد بينما عدد المدن فيها قليل نسبياً. فاذا أضفنا الى ذلك كون اهل الريف القبليين أكثر شجاعة وإقداماً وقدرة على القتال من اهل المدن، نظراً لاعتيادهم الدفاع عن أنفسهم بأنفسهم مقابل اعتياد أهل المدينة الاعتماد على الشرطة للدفاع عن أنفسهم – إذا أضفنا ذلك الى صورة الريف وضح لنا لماذا اختار أبو عبد الله الريف الكتامي من دون المدينة للانطلاق بدعوته، منذ ان تسمّع الى وصف الكتاميين له وهم معه في الطريق اليه.

ولعل هناك سبباً آخر دعا أبا عبد الله الى الاتجاه للريف بدلا من المدينة، وذلك هو كون أهل الريف - على وجه الاجمال - أقل رسوخاً في العلم من أهل المدينة، فالمدن كانت على مرّ الزمان - ولم تزل - المراكز الاساسية للعلم، يعمل كثير من أهلها في مختلف فروعه، وبعضهم يبلغ فيه درجات عالية، ومنهم تأخذ الدولة موظفيها، وكانت الدعوة العبيدية الاسماعيلية تقوم على لون من ألوان العلوم الدينية، تلك العلوم التي كان لها شأو كبير في مدائن أفريقية والمغرب وعلى رأسها القيروان وميلة. فكان على صاحب الدعوة - أبي عبد الله - ان يأخذ بعين الاعتبار مدى رسوخ من يدعوهم الى الدعوة في العلوم الدينية، ومن هذه الناحية يشكل سكّان الارياف عنصراً أصلح للدعوة من سكان المدن، إذ يمكن للداعي - القائد - أن يزرع في نفوسهم أي شيء من العلم شاء، لخلوّ تلك النفوس تقريباً مما يمكن ان يواجه به الداعي من رفض، على العكس من سكان المدن. ومن هذه الناحية بالذات كان الريف أنسب لأبي عبد الله في دعوته من المدينة، وهذا أمر يؤكده قول ابراهيم ابن أحمد الأغلبي لأبي عبد الله مع رسوله انه لجأ الى "برابرة جهال طغام"، وقول رؤساء كتامة من المعادين لأبي عبد الله انهم لا يستطيعون أن يغلبوه في المناظرة لأن اصحابهم من الكتاميين الريفيين لا يرقون الى معرفته بالجدل والمناظرة. كذلك يؤكد هذا الأمر كون أبي عبد الله قد قرر نهائياً القبول بالذهاب الى المغرب مع حجيج كتامة بعد أن أخبروه أنه - بعمله - يستطيع أن يعلّم شيوخ كتامة فضلا عن صبيانهم. فاذا تذكرنا قول القاضي النعمان - وهو اسماعيلي حريص على سُمعة الدعوة - ان أبا عبد الله كان يأخذ من علم الظاهر بقليل - يعني الفقه - وتذكرنا بساطة الحياة الريفية لدى كتامة - من فلاحة وزرع ورعي وإغارة - وعدم حاجتها الى التشريع المعقد حاجة المدن الى ذلك - إذا تذكرنا هذا كله قدّرنا أن أبا عبد الله كان على وعي تام بمدى النقص في "العلم" لدى من توجه اليهم بدعوته من سكان الريف، فاستغل هذا النقص، وقرّر أن الريف أخصب تربة لدعوته، وكان محقاً فيما قدّره دون ريب.

كذلك يلحظ من يتتبع تطوّر الدعوة على يد أبي عبد الله انه بدأ بها ومعه فريق صغير من رؤساء كتامة صادف وجوده في الحج اثناء وجود أبي عبد الله فيه. أما فيما بعد، فان أبا عبد الله ركز جهوده على استمالة عامة كتامة على وجه الخصوص، وهذا يدل على وعي أبي عبد الله بالأبعاد الاجتماعية الاقتصادية لدعوته، بمعنى أنه كان على وعي بأن دعوته تشكل عنصراً "خطراً" على "سيادة" مشايخ القبائل الريفية، وهنا أيضاً كان أبو عبد الله محقاً في تصوّره، إذ أدرك أن المصالح الاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء الرؤساء لا تلبث أن تجد في مصالح موظفي الدولة من الامراء والولاة، الاقتصادية والاجتماعية ما يوحدها، فتنبو عن تأييد الدعوة، وعلى هذا الأساس يجب أن نفسر اجتماع ولاة ميلة وسطيف وغيرهما مع رؤساء كتامة ضد دعوة أبي عبد الله. ان الحركة الثورية يجب ان تصل الى بسطاء الناس ممن هم ذوو مصالح مختلفة عن مصالح أصحاب الدولة لكي تنجح في تقويض دعائم الدولة القائمة.

بقي أن نذكر ان تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية يدلنا على ان "التوقيت" أمر هام في الحركة الثورية، توقيت خروجها من السرية الى العلن، ومن التحرك الخفي الى التحرك الظاهر، ومن التحرك السلمي الى التحرك العسكري. ولذلك فان كل حركة ثورية تود ان تنتصر يجب ان يتميز قادتها بالصبر وحسن التقدير فلا يقدمون على التحرك المسلح قبل الأوان، وانما ينتظرون حلول الظروف المناسبة، لدى اعدائهم ولدى المنضمين اليهم، قبل ان يباشروا الصدام المسلح. ولم يقم أبو عبد الله بتحويل الدعوة الى حركة عسكرية الا بعد أن ضمن كثرة المحاربين لديه، وضمن حسن تسلحهم، وحسن تنظيمهم، وتأكد لديه تشرّبهم بالدعوة ومبادئها، واستقتالهم بالدفاع عنها حتى الموت. ان هذا الأمر قد يحتاج الى صبر طويل، ولكن الصبر هو اضعف الايمان بالنسبة لأي قائد لأي حركة ثورية. ولنذكر ان أول فتوحات أبي عبد الله - فتح ميلة - تم بعد تسع سنوات كاملة من العمل المضني الجاد الصبور (من ٢٨٠ الى ٢٨٩).

ان قيادة الحركة الثورية التي تريد تغيير نظام الحكم القائم بنظام بديل موال لها ليس بالامر البسيط السهل، والكثير يعتمد على حسن تصوّر قائدها للموقع الذي يحتله. ويستنتج من تاريخ الدعوة العبيدية الاسماعيلية في افريقية والمغرب ان قائد الحركة الثورية يجب أن يكون مؤمناً بمبادىء دعوته، متفرغاً لها، موهوباً مدرّباً معاً لقيادتها، كما سبقت الاشارة، الا انه يجب ان يتميز ايضاً بذكاء شديد، وفراسة خارقة، يقدّر بهما الظروف، ويفهم النفسيات، ويعرف متى يتحرك بصمت ومتى يتحرك بجلبة، والى أين يتوجه بدعوته، وكيف يستجلب الناس اليها، وكيف يصبر الصبر الطويل قبل أن تؤاتية الفرصة للهجوم. إن هذا عمل شاق للغاية، ولا يكاد يقدر عليه غير الأفذاذ من الرجال، وكان ابو عبد الله احد هؤلاء الأفذاذ، وفي تاريخه عبرة لمن يريد ان يعتبر، ولمن يريد أيضاً ان يرى صورة من التاريخ الحديث في لباس التاريخ القديم. ■

كيف كانوا منذ مئات السنين يرصدون النجوم صورة للفنان Thevet

"الشرق الاوسط"

هكذا اسموه في اوروبا الغربية

و"مركز العالم"

هو اسمه الحقيقي

د. ارنولد توينبي

■ ارنولد توينبي: ولد البروفسور أرنولد جوزيف توينبي في اليوم الرابع عشر من ابريل عام ١٨٨٩، وتعلم في ونشستر، ثم التحق بكلية باليول بجامعة أكسفورد حتى عام ١٩١٥، ثم عمل بالوظائف الحكومية في أعمال خاصة بالحرب من ١٩١٥ - ١٩١٩ وشارك في مؤتمر السلام الذي انعقد باريس عام ١٩١٩، ثم عمل في القسم البريطاني الخاص بالشرق الأوسط ومدرسا للغة البيزنطية والأغريقية الحديثة في جامعة لندن (١٩١٩ - ١٩٣٤) ثم مديرا لقسم البحث الأجنبي والصحافة.

ثم مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية (١٩٣٩ - ١٩٤٣) فمديرا للمكتب الأجنبي من (٤٣ - ٤٦) ثم عضوا في بعثة المفاوضات في مؤتمر السلام بباريس عام ١٩٤٦، وعمل أستاذاً للبحث في التاريخ العالمي في جامعة لندن واستقال في ١٩٥٥.

■ منذ ابتكار الزراعة كان المكان الطبيعي للشرق الأوسط في العالم مكاناً مركزيا ٠

فجميع الزراعات ابتكرت في الشرق الأوسط، ومنه انتشرت إلى جميع أطراف العالم القديم، ويجب، دون شك ألا نجاوز الحدود في ما يتعلق بأهمية الشرق الأوسط أو العالم القديم على السواء ٠

فمن المحتمل أنهم في العالم الجديد وفي حضارته السابقة على كولمبس قد ابتكروا الزراعة ابتكاراً مستقلا تماما عنا في العالم القديم ٠

وحتى في العالم القديم كانت هناك بعض المحاصيل مثل الأرز وبعض الفاكهة التي ربما لم تنشأ في الشرق الأوسط، غير أن جميع محاصيل العالم القديم من الحبوب، في ما عدا الأرز، قد زرعت أول ما زرعت في الشرق الأوسط،

وعلى هذه المحاصيل عاش الملايين ومئات الملايين من بني البشر ونشأ ما أسفرت عنه زراعتها من ظروف اقتصادية واجتماعية بالغة الأهمية عظيمة الخطر، ولقد أتاح هذا للشرق الأوسط أن يتقدم على بقية العالم القديم ويسبقه بزمن طويل ٠

وهذه البداية التي حققها الشرق الأوسط بابتكاره الزراعة قبل أي جزء آخر من أجزاء العالم القديم عجل بها حدث هائل مفاجيء في التاريخ الجيولوجي، فكوكبنا، وهو انتهاء العصر الجليدي ٠ وإني أقول انتهاء العصر الجليدي وربما كان يجب أن أكون أكثر حذراً فأقول: آخر فترة من العصر الجليدي ٠ ذلك أن العصر الجليدي ظاهرة متكررة ٠ وربما كنا نعيش الآن في فترة قصيرة دافئة بين مرحلتين من العصر الجليدي ٠ ولو أن العصر الجليدي عاد ثانية إلى الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية ووسط آسيا فسوف تصبح هذه الاراضي خضراء مرة أخرى وبدلا من أن تكون مصر مجرد شريط أخضر منعزل تحيط به الصحراء من كل جانب فسوف تصبح محاطة بالأشجار والعشب مرة أخرى ٠

دور مهم

وهذه البداية الاجتماعية والاقتصادية التي حصل عليها الشرق الأوسط عن طريق ابتكاره للزراعة أعطته دورا بالغ الأهمية في تاريخ العالم القديم منذ انتهاء آخر فترة من فترات العصر الجليدي التي يرجع تاريخها على ما اعتقد إلى حوالي تسعة آلاف أو عشرة آلاف سنة مضت ٠ وإذا كان المرء يفكر على أساس عمر الفرد من بني البشر فإن أي حقبة تاريخية من أي قرن تقريباً تكون طويلة لأن فترة نضوج عمر الفرد قصيرة للأسف ٠ ولكننا إذا فكرنا على أساس عمر الجنس البشري كله فإن تسعة أو عشرة آلاف سنة حتى الآن تعتبر فترة أقرب

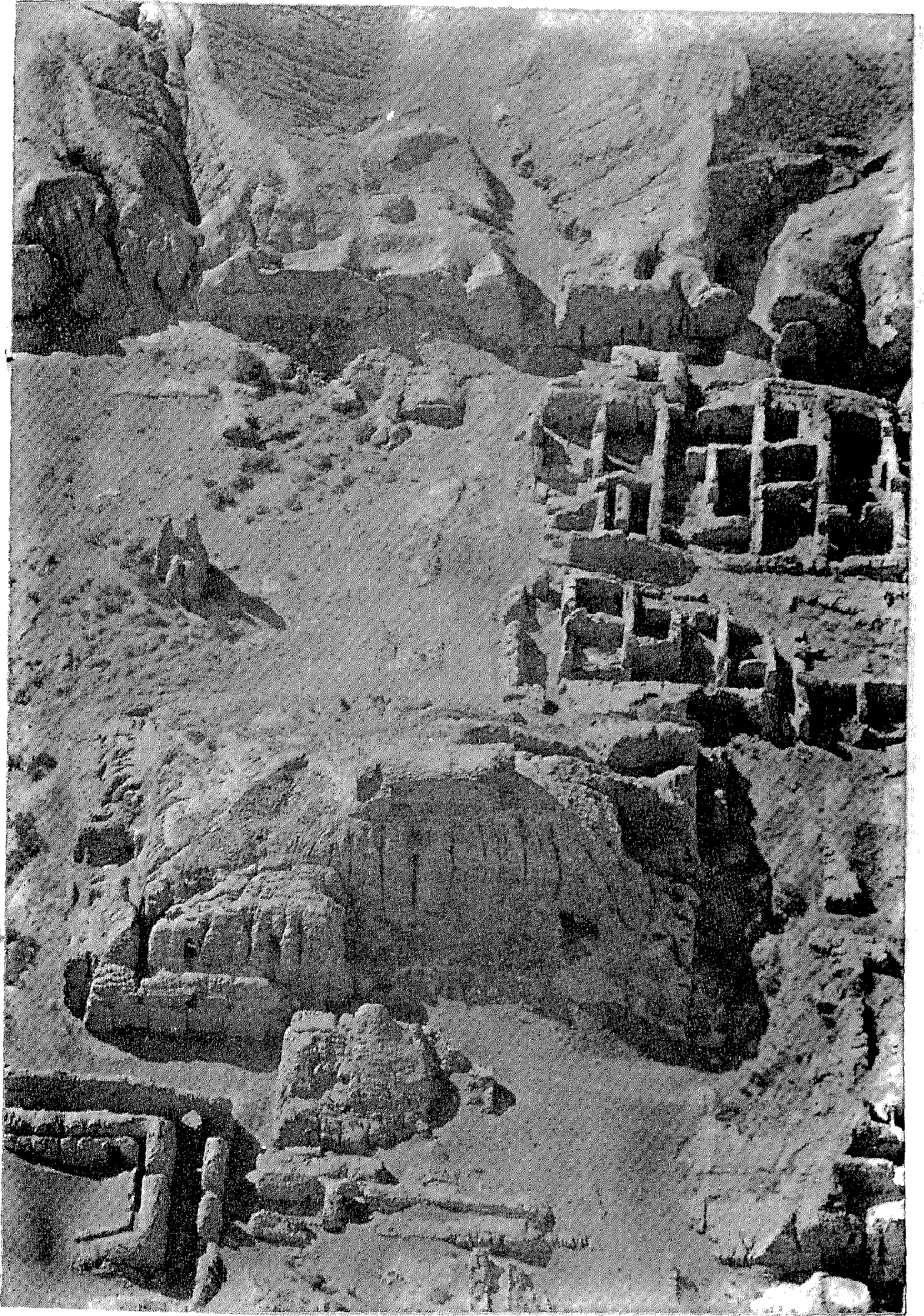


إلى أن تكون قصيرة ٠ ويختلف العلماء اختلافاً شديداً في تقديراتهم لعمر الجنس البشري ٠ فأقل التقديرات يصل إلى حوالي مائتي الف عام بينما يصل أكبر التقديرات إلى حوالي مليون عام ٠ فهل لنا أن نأخذ بتقدير وسط بين الاثنين فنقول إن الجنس البشري وجد منذ نصف مليون عام على الأقل؟

وبالمقارنة فإن نسبة عشرة آلاف سنة إلى خمسمائة ألف سنة هي ٢٪ فقط من طول المدة التي وجد فيها الجنس البشري فوق هذا الكوكب حتى الآن ٠ ويقول لنا العلماء أيضاً أننا إذا لم نقض على الجنس البشري في عصرنا الحاضر ـ ونحن نعلم أننا نواجه خطر وضع نهاية للتاريخ عن طريق تدمير أنفسنا ـ إذا نحن لم نفعل ذلك فإن العلماء يقولون لنا إن مستقبل بقاء الجنس البشري على هذا الكوكب أطول بكثير جداً من الفترة التي عاشها فوقه حتى الآن ٠ وأظن أن من رأي العلماء أن هذا الكوكب يمكن أن يستمر مأهولا بالجنس البشري مدة ألفي مليون سنة أخرى إذا نحن لم تدمر أنفسنا ٠

وأخشى إذا أردت أن أحول هذا إلى نسب عشرية مفهومة أن تخذلني قدرتي على الحساب ٠ ولكنني أعتقد أن العشرة آلاف سنة التي مضت منذ ابتكار الشرق الأوسط للزراعة تساوي فقط نحو ١٠٠٠٠٥ من الدقيقة بالنسبة لمستقبل الجنس البشري ومع ذلك فإن العشرة آلاف سنة وخاصة الخمسة آلاف سنة الماضية لها أهميتها البارزة بالقياس الى الأهمية العظمى لما حققته الانسانية حتى يومنا الحاضر وإن الخمسة آلاف سنة الماضية خاصة تعتبر الفترة الطبيعية التي لعب فيها الشرق الأوسط دوراً له أهميته الأولى العظمى في تاريخ الجنس البشري ٠

وربما لم يكن الشرق الأوسط هو المنطقة الأولى بالنسبة لمجالات النشاط والاكتشافات الانسانية في الفترة السابقة علينا مباشرة أي في آخر فترة من



□ حفريات مدينة "ينبور" القديمة في بلاد ما بين النهرين في الالف الثاني والثالث قبل الميلاد.

العصر الجليدي · وربما كانت أفضل منطقة للحياة الانسانية في الوقت الذي كانت منطقة شبه جزيرة اسكندناوه وشمال روسيا ترزح فيه تحت غطاء الجليد··· ربما كانت أفضل منطقة للحياة الانسانية إذ ذاك هي شمال أوروبا ووسط روسيا ·

ذلك أن تلك المنطقة هي التي كانت توجد بها معظم الحيوانات الصالحة لصيد الانسان ·

وربما يكون الانسان الذي عاش على الصيد في أوروبا وروسيا في العصر الحجري التالي قد تقدم على الانسان الذي عاش على الصيد في شمال افريقيا وجنوب غرب آسيا ·

ولكن مهما يكن من أمر ففي تقديرنا أن العصر الحجري والعصر الحجري المتأخر بما خلفه لنا من نقوش رائعة في كهوف أوروبا وكهوف شمال أفريقيا وجنوبها، يعتبر فصلا أقل أهمية في التاريخ البشري من وجهة نظرنا بالنسبة للعصر الحجري الجديد وما بعد العصر الحجري الجديد. وهو العصر الذي نعيش نحن انفسنا فيه الآن · وربما نعطى النظرة الشخصية من وجهة النظر الفنية لا العصر الحجري المتأخر تقديراً أعظم من التقدير الذي تعطيه للعصور اللاحقة · ونحن قد نعتبر بالمقارنة الى العصر الحجري عصراً يتميز بتفوق التكنولوجيا ولكنه ربما يكون أقل تفوقا من ناحية الفنون · ومهما يكن من أمر فإن هذا هو العصر الذي نعيش فيه الآن ·

الشرق الاوسط

وكلمتا "الشرق الأوسط" مشحونتان بالتاريخ والأهمية، ونحن نقصد بالشرق الأوسط طبعا الهلال الخصيب الذي يمتد من مصر الى جنوب غرب آسيا حتى العراق والخليج العربي ·

ولقد مر الاقليم الذي يلقى عليه هذا الاسم بمرحلة أخيرة مؤقتة لم يكن فيها بمثابة المركز الذي هو موضعه الطبيعي بالنسبة للعالم ·

ذلك أن كلمة الشرق الأوسط لا تحمل معنى إلا بالنسبة لغرب أوروبا · فهي بمعناها الحالي تعني أن غرب أوروبا في موضع مركزي بالنسبة للعالم وأن الاقاليم الأخرى يجب أن يحدد موضعها على هذا الاساس · فالشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الاقصى كلها أقاليم حدد موضعها وسميت هكذا بالنسبة لأوروبا وليس بالنسبة لمركز العالم أي الشرق الأوسط ·

ولقد جاء الوقت الذي تمتع فيه أخيراً غرب



رسم لأول انسان [illegible] عرفه التاريخ · [illegible]

أوروبا على المحيط الأطلنطي بمركز ذي اهمية بارزة مؤقتة. وقد نتجت هذه الأهمية من ابتكار توصل اليه البرتغاليون هو فن الملاحة في المحيط: توصل إليه بناة السفن البرتغاليون والأسبانيون في القرن الخامس عشر الميلادي.

وقد صح هذا الغزو للمحيط الذي شاركت فيه بقية الشعوب الأوربية غرب أوروبا تفوقا على العالم ككل لأنه إذا ما استطاع الانسان أن يغزو المحيط فإن ذلك يفتح أمامه السبل للكشف عن وجه هذا الكوكب جميعه. وحتى مدة متأخرة بدا ان تحول القوة هذا مما يسمى بالشرق الأوسط إلى غرب أوروبا هو تحول دائم مثل التحول الثوري للقوة في الفترة الأخيرة من العصر الجليدي من أوروبا وروسيا إلى الشرق الأوسط. ومع ذلك فإن التقدم التكنولوجي يمضي بخطى سريعة، ونتيجة لهذا التقدم التكنولوجي فقد ثبت أن صعود غرب أوروبا وتفوقها في العالم لم يستغرق فترة أطول مما استغرقه عصر السفينة الشراعية وقد انتهى من الوجود في أوائل القرن التاسع عشر عهد السفينة ذات الأشرعة الثلاثة التي اخترعها البرتغاليون في القرن الخامس عشر والتي أبحر بها سكان غرب أوروبا إلى الأمريكتين وحول جنوب أفريقيا في رحلة متصلة إلى الهند، وحدث انتهاء عهد السفينة الشراعية بسبب منافسة وسائل النقل الميكانيكية الجديدة لها.

ومنذ انتهاء عصر السفينة الشراعية بدأ تفوق أوروبا يكتسب وزنه، وقد حلت محل السفينة الشراعية خلال القرن الأخير مخترعات ميكانيكية جديدة عديدة مثل السكك الحديدية والسيارة وأخيراً الطائرة ومن الواضح أن وسائل النقل الحديثة هذه أسرع وأقوى من السفينة الشراعية ولكن هذه الوسائل للنقل كلها تعتبر أقل شأناً من السفينة الشراعية نظراً لنقطة على أقصى درجة من الأهمية وبمعنى تكنولوجي غاية في الأهمية أيضاً. فالسبب الذي من أجله استطاع سكان غرب اوروبا أن يكونوا سادة على المحيط هو أن السفينة الشراعية كانت تستطيع أن تمخر عباب البحار شهوراً عديدة دون ان تحتاج للعودة إلى الميناء.

ومقابل هذه الصفة للسفينة الشراعية فإن جميع وسائل المواصلات والنقل التي تسير بقوة الدفع الميكانيكي في البحر أو البر لا بد لها من التزود بالوقود على فترات قصيرة.

وأعتقد أن آخر وسائل المواصلات هذه وهي الطائرة بخلاف القطار والسفينة لا تستطيع أن تعتمد على نفسها ولا بد لها من قدر عظيم من التوازن حين لا تكون على الارض ومعنى ذلك أن وسائل المواصلات الميكانيكية هذه قد دعمت الميزة التي كانت تتمتع بها السفينة الشراعية وهي ميزة الاستقلال نسبيا في اعتمادها على الأرض. وعلى هذا الأساس فإن ذلك يعني أيضاً أن السيادة على المحيط لم تعد هي مفتاح السيادة على العالم لأنه من الضروري أن تتزود القطارات والسيارات والطائرات بالوقود على فترات من محطات في البر.

عودة من جديد

ومعنى ذلك مرة أخرى: أن التفوق في العالم كما أعتقد يرتد الآن من غرب أوروبا إلى الشرق الأوسط. ونتيجة لذلك فإن اسم (الشرق الأوسط) يقل استخدامه أكثر فاكثر. ثم إن عادة تحديد أماكن أقاليم العالم بالنسبة إلى غرب أوروبا تندثر الآن بشدة بعد أن رحل الأمريكيون شرقا واستخدموا اسم (الشرق الأدنى) ليعبروا به عن غرب أوروبا، وإن كانوا في الواقع حين يستخدمون اسم الشرق الأدنى إنما تنصرف الأذهان إلى الشام شرق البحر الأبيض المتوسط. ويتندر الاستراليون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فيقولون: إننا حين نقول الشرق الأقصى إنما نقصد الشمال القريب بالنسبة لنا. ذلك أنه من خلال الحرب العالمية الثانية وصلت الجيوش اليابانية حتى مسافة قريبة من شاطىء استراليا.

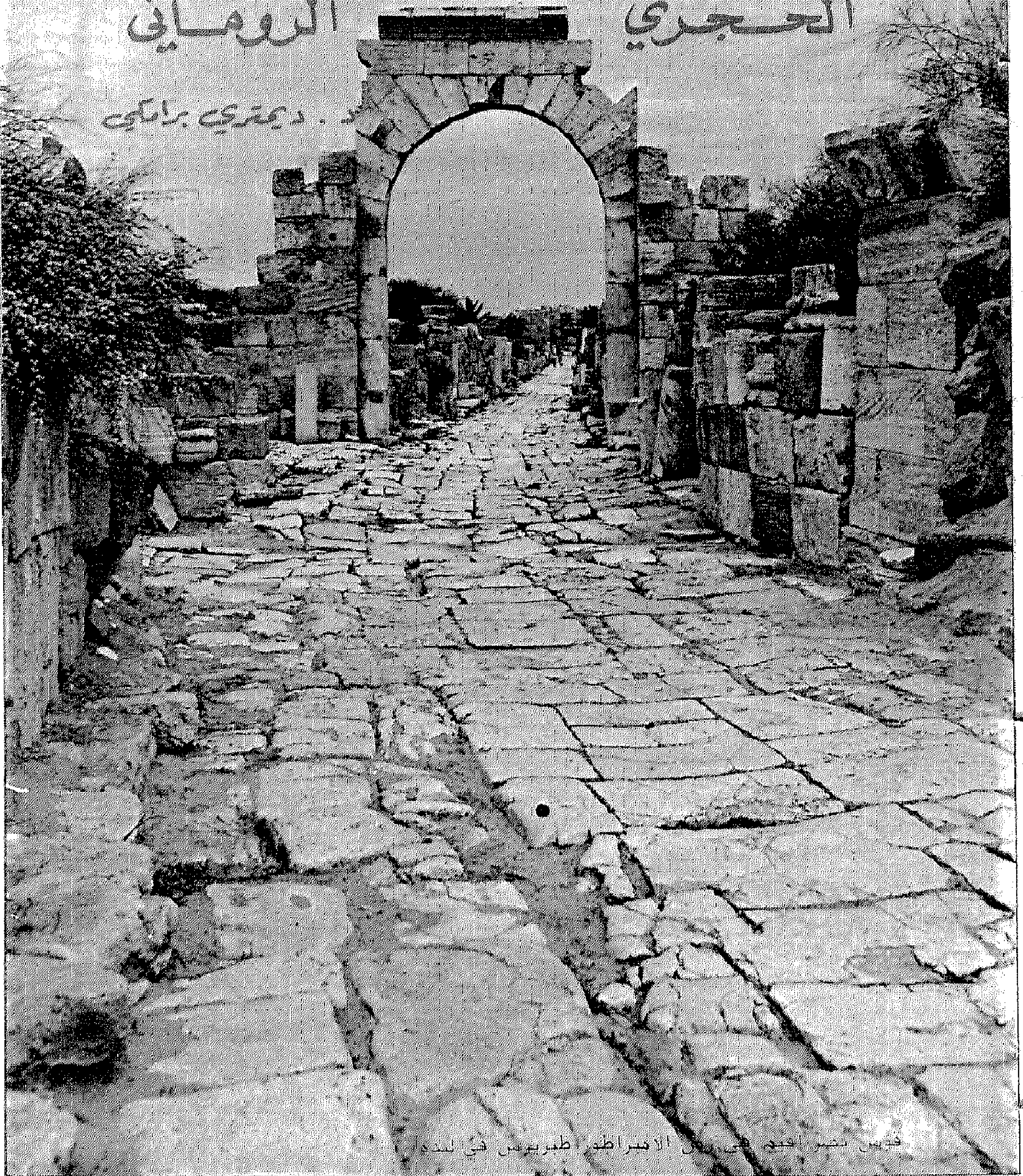
وجعل هذا الاستراليين يدركون إلى أي حد هم قريبون من آسيا. غير أنهم لما كانوا قد قدموا من انكلترا فإنهم لا يزالون يتحدثون بلغة غرب أوروبا. وهم حين يتحدثون عن الشمال الأدنى بالنسبة لهم يقولون الشرق الأقصى قاصدين الصين واليابان، ولكنهم يرون أن هذا أمر أقرب إلى السخف.

بين القاهرة وبيروت!

وقبل أن يبتكر البرتغاليون السفن الشراعية عابرة المحيط في القرن الخامس عشر الميلادي: كانت لدى شعوب العالم القديم فكرة صحيحة: كما اعتقد عن مركز العالم القديم أي المركز الحقيقي للعالم في الواقع.

وفي العصور الوسطى كان الناس يفكرون على أساس ديني. فالمسلمون كانوا ولا يزالون يشعرون أن مركز العالم يقع عند مكة في الحجاز. بينما يعتقد المسيحيون رغم كل شيء أن مركز العالم يقع في مدينة أخرى معروفة للمسلمين مثلما هي معروفة للمسيحيين وهي بيت المقدس. وهذه هي خريطة العالم ومركزها الحجاز أو فلسطين.

وعلى الرغم من أن هذا المركز قد تحدد على أساس ديني فالذي حدث هو أن تحديده كان علميا. وإن هذه الخريطة خريطة صحيحة وصادقة تماما. وهي أكثر صحة وصدقاً بدرجة كبيرة بالنسبة لطبيعة الأمور في العالم من الخريطة التي تجعل غرب أوروبا مركز العالم. ولا يزال مركز العالم اليوم في المستوى نفسه. ويجدر بي أن أقدر أن المركز الحقيقي للعالم يتأرجح بين القاهرة وبيروت. ■



■ **الدكتور ديمتري برامكي:** مولود ١٩٠٩ في الاردن، حامل شهادة بكالوريوس آداب من جامعة لندن ١٩٣٤ ودكتوراه بالآثار من جامعة لندن ١٩٥٣، وكانت اطروحته بعنوان "ثقافة وهندسة العهد الاموي"، أمين متحف الآثار بالوكالة في فلسطين ١٩٤٢ ـ ١٩٤٩ وأمين متاحف الجامعة الأميركية في بيروت منذ ١٩٥١. مثل الجامعة الأميركية في سبعة مؤتمرات للاثريين، في البلاد العربية وفي العالم. رقي الى درجة استاذ آثار في تموز ١٩٥٨.

■ قال سترابو المؤرخ الشهير وواضع اول كتاب عن جغرافية الدنيا ان افريقيا (وهو يعني هنا افريقيا الشمالية التي كانت معروفة لديه) تشبه جلد الفهد المرقط اذ توجد فيها بقاع سوداء مسكونة على ارضية صحراوية بيضاء تماما مثل جلد الفهد. وينطبق هذا التعبير على ليبيا تماما فهناك بقع مأهولة تتخللها مساحات واسعة شاسعة من الصحراء الرملية البيضاء.

في عصور ما قبل التاريخ كانت الفزان مأهولة الى حد ما من قبل جماعات من البشر كما تشهد بذلك الادوات الظرانية او الصوانية التي وجدت بجوار مدينة سبها والتي ترقى الى العصر البليوليثي الادنى. وهذه الادوات من الصناعة المعروفة بالصناعة الاشولية. كما أنه وجدت بعض الادوات التي ترقى الى العصر البليوليثي الاوسط في منطقة سيدي زين ومنطقة بئر قان ووجدت جنبا الى جنب مع الادوات المعروفة بالادوات العاترية نسبة الى بئر عاتر في تونس حيث عثر عليها لاول مرة. وعدا الادوات الظرانية فلقد عثر على بقايا اخرى ترقى الى ما قبل التاريخ وهي العصور المدهونة او المنحوتة على جدران المغاور والصخور في وادي برجوج على بعد ١٥٠ كيلومترا غربي مدينة مرزق وفي جبل بوغنيمة.

على بعد مئتي كيلو متر شرقي مرزق وفي اراكني على بعد خمسين كيلومتراً جنوبي شرقي غات. وفي بوزوما وزنككرا قرب مدينة جرمة وفي زقزا ووادي مسعودة المتفرع من وادي الشاطي على بعد ١٢٠ كيلومتراً شمالي سبها. ويمكن تقسيم هذه الصور الى خمس مراحل تاريخية. ففي المرحلة الاولى وترقى الى ما قبل عشرة الاف سنة تحتوي على صور حيوانات منقرضة مثل الثور القديم بوبالوس انتيكووس والفيلة وذوي القرن الوحيد وحصان البحر (هبوبوتوم المعروف بسيد قشطة عند العامة) وتماسيح وقردة وغزلان وحيوانات برية اخرى ضارية. والمرحلة الثانية وترقى الى ما قبل سبعة الاف سنة هي مرحلة الحيوانات الداجنة مثل الماعز والبقر والخرفان. والمرحلة الثالثة هي مرحلة صور العربات الحربية. وتظهر هذه العربات تجرها الخيول المطاردة. يقول هيرودوت المؤرخ الشهير ان الحرمنتيين كانوا يطاردون العبيد السود على هذه العربات للاستيلاء عليهم وبيعهم في اسواق الرقيق بين القرن الثامن والقرن الثالث قبل الميلاد. والاقوام المعروفة بالتبو حاليا منحدرون من اولئك العبيد. ولا يزالون يعيشون حياة بدائية رغم كل المحاولات التي اجريت حديثا لتحضيرهم او حتى لتعليمهم



السوق في لبدة



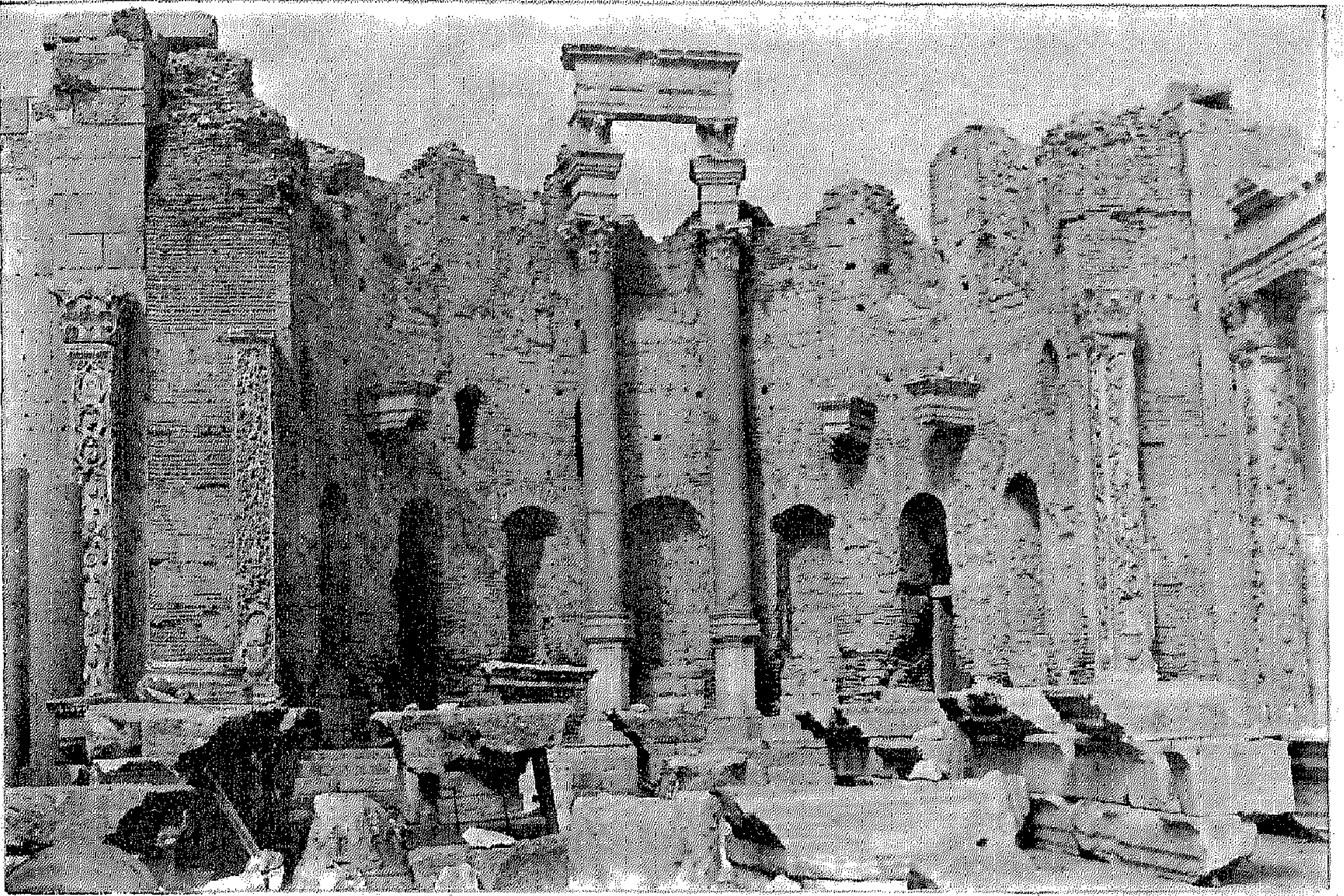
الفورم في لبدة

الزراعة. والمرحلة الرابعة هي مرحلة صور الرجال بشكل مثلثات وزيادة الارجل والايدي. وترقى هذه الصور الى العصر الروماني القديم اي الى ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الاول بعد الميلاد. والمرحلة الخامسة والاخيرة هي مرحلة صور الجمال وترقى هذه الى عهد الامبراطور سبتميوس سفيروس الذي ادخل الجمال الى شمال افريقيا في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث الميلادي.

العصر النيولوثي

والعصر النيولوثي في ليبيا دام مدة طويلة من الزمن ولم تتبعه العصور المعروفة في الشرق بالعصر البرونزي او العصر الحديدي. بقي الانسان الليبي في الفزان يعيش في العصر النيولوثي الى القرن الاول قبل الميلاد عندما توغل الرومان في اواسط افريقيا ونشروا حضارتهم فيها الى حد ما.

اما في برقة فالحالة تختلف تماما. وتشير الدلائل الاثرية الى ان اليونانيين اسسوا مدنا تجارية في توكره حيث عثر على كمية كبيرة من الخزف الذي انتشر من القرن العاشر حتى القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان. وفي العهد الهلنستي اقام البطالسة وحلفاؤهم المدن في تولميتا (تبولميس قديما) وبن غازي (برنيقة قديماً). عثر في تولميتا على قصر هلنستي مزود بالاعمدة كما عثر على ابنية اخرى متاخرة ترقى الى العصر الروماني والعصر البيزنطي ولكن اهم موقع في برقة هو مدينة شحات (سيرينا او كيرينا قديما). جرت في شحات حفريات اثرية منذ اكثر من اربعين سنة اسفرت عن اكتشاف سور مدينة سيرينا ومعبد ابولون في داخلها وكلاهما يرقى الى القرن الخامس قبل الميلاد كما عثر على فورم روماني وعلى عدة مبان مبنية حواليه اغلبها مرصوف بالفسيفساء المتعددة الالوان. كما عثر كذلك على عدد كبير من التماثيل المنحوتة من يونانية ورومانية بما فيها تمثال الثلاث نعم واغلبها آية في دقة الصنع والجمال. وعثر في جوار مدينة شحات على معبد الاله زيوس الذي أحرقه اليهود عندما ثاروا على الرومان في سنة ١١٦ ميلادية.



[illegible]

تقع شحات في الجبل الاخضر على هضبة مرتفعة وتبعد عن البحر حوالي ١٩ كيلومتراً وكانت لها ميناء على شاطىء البحر دعيت ابولونيا قديما وسوسة حديثا. وجدت في هذا المرفأ عنابر لتخزين البضائع هبطت مع الزمن واصبح نصفها تحت مياه البحر. كما وجد مسرح لتمثيل الروايات اليونانية وكلاهما يرقى الى العصر اليوناني. ولكن عثر ايضا على بقايا قصر وبقايا كنيسة يرقيان الى العصر البيزنطي.

اما في منطقة طرابلس فالتراث الروماني اغنى بكثير. اشتهرت في العصر الروماني ثلاثة مدن تجارية هي لبدة (لبقي قديما) وصبراتا وطرابلس (اويا او ايعات قديما) واطلق اسم طريبوليس على المدن الثلاث باسرها ولكن في ما بعد عندما انقرضت مدينتا لبدة وصبراتا اكتسبت مدينة ايعات اسم طرابلس وحدها وتلاشى اسمها الحقيقي القديم ايعات او اويا.

في بادىء الامر كانت هذه المدن الثلاث تابعة لقرطاجة ولكن بعد معركة زاماريجيا وانتصار الرومان على المدينة الفينيقية تشجع حليف روما القائد الليبي مسنسا على نزع هذه المدن الثلاث من قرطاجة وضمها الى مملكة كبيرة اسسها هو تضم اغلب افريقيا الشمالية عدا مدينة قرطاجة. وما زال مسنسا يشد الخناق حول عنق مدينة قرطاجة حتى اضطرت للدفاع عن نفسها وبهذا العمل جلبت الدمار لنفسها اذ استعرت الحرب للمرة الثالثة بينها وبين روما حليفة مسنسا وكان النصر من نصيب روما. وفي هذه المرة دمرت قرطاجة واحتلت المدن الثلاث التي بقيت تحت حكمها حتى الفتح الاسلامي عدا فترة قصيرة عندما احتلها الوندل.

تأسست هذه المدن بين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد من قبل جماعة من التجار الفينيقيين ولكن رغم هذا لم توجد في اي منهن اثار فينيقية تذكر لانه في العهد الروماني عندما اعيد بناء هذه المدن الثلاث انطمست آثار ومعالم المدن الفينيقية كليا.

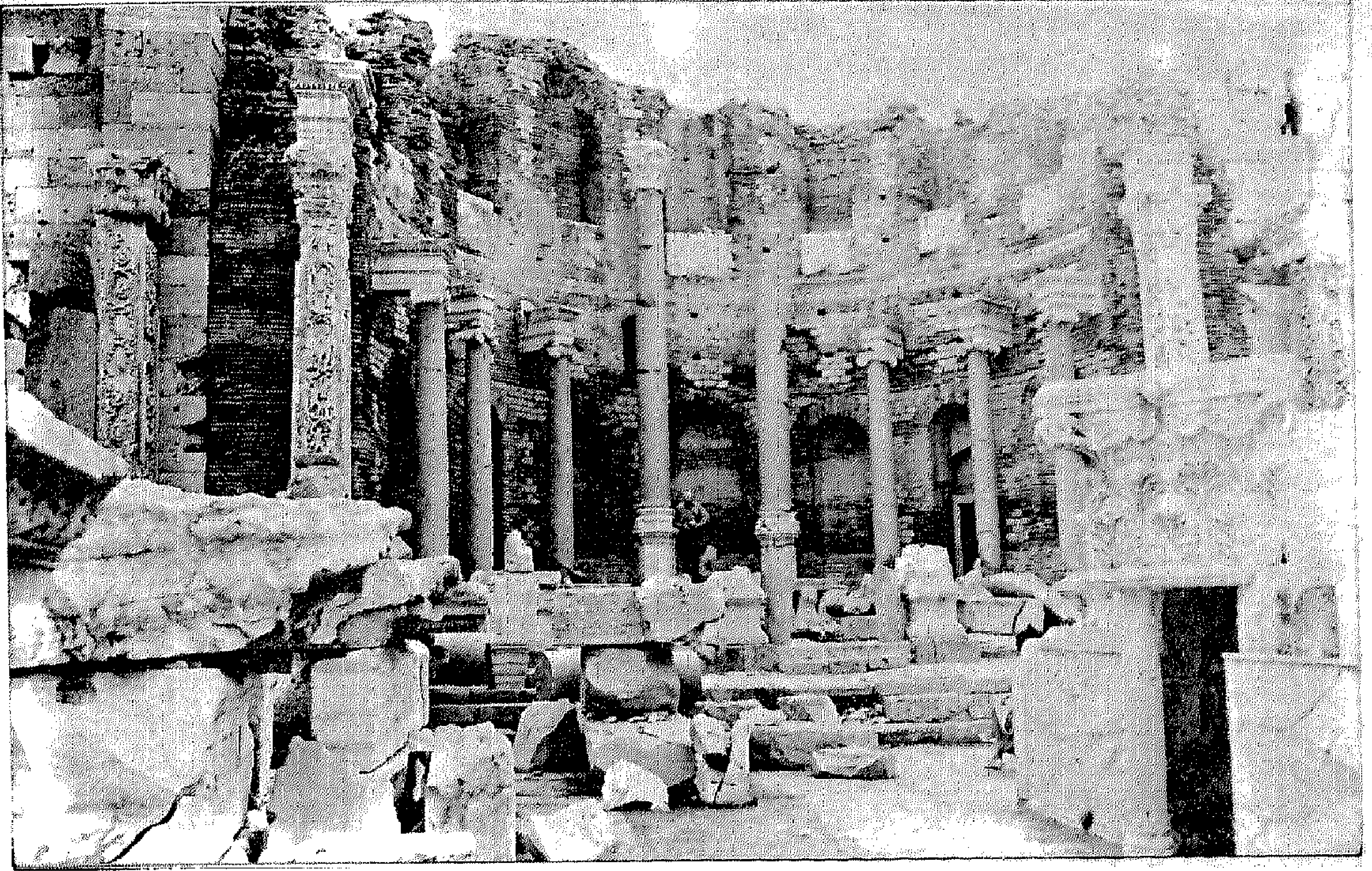
مدينة لبدة

ان اهم مدينة في هذا المثلث كانت مدينة لبدة وتدعى باللاتينية Lepcis Magna أو Leptis Magna وهي تبعد عن طرابلس نحو ١٢٠ كيلومتراً الى الشرق: وقد اعيد تأسيسها في القرن الاول الميلادي ولكنها كبرت وازدهرت في القرنين الثاني والثالث وخصوصا في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس الذي ولد فيها.

اقيم في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس قوس نصر عند مدخل المدينة في الشارع الرئيسي المعروف بالكاردو. يرتكز هذا القوس على اربع



المحكمة في لبدة وهي منحوتة في الاعمدة الرخامية



مشهد في معبد شرقي غربي

دعائم ضخمة ر . اعلاه افريز منحوت لموكب يظهر فيه الامبراطور وولداه كركلا وجيتا. يزين هذا الشارع قوسان آخران الاول بني في زمن الامبراطور تريانوس في اوائل القرن الثاني والاخر في زمن الامبراطور طبريوس (شكل ١). يقع على الجانب الشمالي من القوس الاول معبد يدعى كلكدكوم وخلفه تقع سوق فيها دكاكين عديدة وخلف هذه يقع مسرح المدينة المكون من منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين.

وامام منصة الممثلين اقيم تمثالان للتوأمين كاستور وبولكسي. كما اقيم تمثال اخر للالهة سيرس- الهة الحنطة في اعلى المقاعد. واقيمت الى شمال قوس طبريوس سوق المدينة (شكل ٤) وهي عبارة عن ساحة كبيرة محاطة باروقة ودكاكين على جوانبها الاربعة وفي وسطها سرادقان احدهما للباعة والاخر لحاكم السوق.

وفي نهاية الشارع الرئيسي اقيم الفورم الروماني القديم حيث كان يجتمع اهل المدينة للمداولة والمساومة والحوار. في داخل هذا الفورم معبد مهدوم كرس لعبادة الالهة روما والاله اوغسطوس ومعبد آخر كرس لعبادة الاله المفضل عند الافريقيين ديونيسوس. وفي طرف الفورم الشرقي اقيمت المحكمة او الباسيلكا وهي كناية عن ايوان مستطيل مزدان في داخله بصفين من الاعمدة وفي الجانب الشمالي منه ثلاث غرف صغيرة للقضاة. والى الشمال الشرقي منها بناء مجلس الشورى وهو بناء مزدان داخليا بالاعمدة ومزود بمقاعد لاعضاء المجلس. وفي الطرف الشمالي من الفورم اقيمت كنيسة بيزنطية. يحيط بالفورم سور بيزنطي اقيم في زمن الامبراطور يوستنيانوس عندما صغر حجم المدينة. يقع هذا شمالي الكنيسة البيزنطية مباشرة.

وفي الجهة الشرقية من المدينة على الشارع الثانوي المعروف بالدكومانوس بقايا اخرى من مدينة لبدة منها ملعب للالعاب الرياضية ويدعى بالسترا وبركة كبيرة للسباحة وتدعى نتاتيو وخلفها حمام كبير.

اقيمت جميع هذه الابنية في زمن الامبراطور هدريانوس ١١٨ – ١٣٩م. يحتوي الحمام على برك للاستحمام بالماء البارد (فريجداريوم) مزدان بتماثيل للاله ابولون وللالهة فينوس ومغاطس للاستحمام بالماء الساخن (تبداريوم) وغرف للاستحمام بالهواء الحامي (كالداريوم) والهواء الحار (لاكونيكوم). أعيد تزيين هذا الحمام في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس في اواخر القرن الثاني الميلادي عندما كسيت جميع حيطانه بالمرمر الاخضر المعروف بالسبولين. واقيم في الوقت نفسه معبد لارواح الماء (نمفيوم) شرق الحمام فتح شارع جديد يؤدي من البالسترا رأسا الى المرفأ. اقيمت على كل من طرفي هذا الشارع اعمدة من المرمر الاخضر تزينه. والمرفأ يقع شرقي الفورم القديم مباشرة واقيم على كل من طرفيه برج لارشاد السفن الى داخل الميناء كما اقيم معبد في الطرف الغربي من المرفأ.

وعلى الجانب الشمالي الغربي من الشارع ذاته اقيمت في زمن الامبراطور سبتميوس سفيروس

محكمة (باسيلكا) وفورم كبير في وسطه معبد للاله جوبتر. والفورم عبارة عن باحة كبيرة محاطة باروقة مظللة بالعقود القائمة على الاقواس (شكل ٣). اما الباسيلكا فعبارة عن ايوان مستطيل في كل من طرفيه حنية مستديرة مزينة بالاعمدة. وهناك عمودان مغشيان بالمرمر الابيض ومحفوران بمشاهد من اعمال ديونيسوس وهرقل (شكل ٤ و ٥ ٦). والى جانب الباسيلكا رواق مزدان بالاعمدة الخضراء المصنوعة من السبولين (شكل ٧). وقد تحول قسم من الباسيلكا الى كنيسة في القرن الرابع الميلادي.

وكان اهالي مدينة لبدة في العهد الروماني يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين في الامفتياترو الموجود شرقي الميناء كما وانهم كانوا يتلهون ايضا بالمشاركة في سباق الخيل والرهان على الخيول الفائزة بالسبق؛ اذ وجد بالقرب من الامفتياترو هبودروم او ميدان لسباق الخيل يبلغ طوله ٤٥٠ مترا وعرضه ١٠٠ متر.

طرابلس صبراتا

والمدينة الثانية في المثلث اويا او ايعات (طرابلس حاليا) لم يبق منها اثر من العهد الروماني سوى قوس نصر اقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس وبعض القبور الرومانية التي تقع غرب طرابلس في الحي المعروف بقرقارش.

اما صبراتا فما زالت تعج بالاثار الرومانية القيمة. وهي تقع على بعد زهاء ٦٨ كيلو متراً غربي طرابلس. ففي وسط المدينة في الفورم عدد من المعابد والابنية القيمة. اقيم في الجهة الشرقية من الفورم معبدان احدهما مكرس لعبادة الاله ديونيسوس والثاني للاباطرة الانطونيين وقد اقيم في زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس. وفي الطرف الجنوبي من الفورم اقيمت الباسيلكا او المحكمة وهي عبارة عن ايوان طويل في كل من طرفيه الشرقي والغربي حنية حيث كان يجلس القاضي. والايوان مقسم الى ثلاثة اقسام بصفين من الاعمدة التي تقطعه من الشرق الى الغرب. وفي زمن الامبراطور يوستنيانوس تحول القسم الشرقي من الباسيلكا الى كنيسة بيزنطية. وعلى الجهة الغربية من الفورم معبدان آخران احدهما مكرس لعبادة الالهة جوبتر وجونو وميترفا والاخر للاله سرابيس. والى شمال الفورم تقع بناية مجلس الشورى وتدعى كوريا باللاتيني وهي عبارة عن بناء مستطيل مزين داخله بالاعمدة على جوانبه الاربعة. وعلى الجانب الشمالي حنية صغيرة حيث كان يجلس رئيس المجلس. وشمالي هذه اقيمت كنيسة في زمن الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس الميلادي وكانت مرصوفة بالفسيفساء الذي اعيد تركيبه في المتحف بجوار الاثار. ويقع جنوب الباسيلكا معبد آخر كبير الحجم داخله مزدان بالاعمدة والحنايا.

واقيمت حمامات رومانية في الزاوية الشمالية الشرقية من الفورم خلف معبد ديونيسوس؛ وكانت هذه مزودة ببركة للسباحة ومغاطس للماء الساخن وغرف للاستحمام بالهواء الحامي وهي مزودة ايضا بمراحيض احدهما خاص بالرجال والاخر بالنساء.

وفي القسم الشرقي من المدينة خارج السور البيزنطي الذي اقيم في زمن الامبراطور يوستنيانوس بعدما صغر حجم المدينة معبد مكرس لعبادة الاله هرقل. وهو عبارة عن ايوان مزود باعمدة من المرمر الاخضر وقائم على بناء مرتفع يدعى بوديوم. والى الشمال الشرقي من هذا كنيستان بيزنطيتان اقيمتا في القرن الرابع الميلادي. يلي هاتين الكنيستين حمام آخر مبني على الطراز الروماني. سمى علماء الآثار هذا الحمام بحمام اوقيانوس اذ ان احد مغاطسه مزخرف بالفسيفساء بصورة الاله اوقيانوس.

من اهم المباني في صبراتا معبد الالهة ازيس الذي يقع في الطرف الشرقي من المدينة الرومانية. يرقى هذا المعبد الى القرن الاول الميلادي حينما انتشرت عبادة الالهة ازيس في جميع ارجاء الامبراطورية الرومانية. والمعبد عبارة عن بناء مستطيل قريب جدا الى المربع. مدخل المعبد من الشرق حيث توجد سبع درجات عريضة بعرض الهيكل تماما يصعد بها الى رواق مزدان بالاعمدة المتراصة ويحف بالرواق برجان برج من كل جانب. هنالك ثلاثة ابواب تؤدي من الرواق الى الباحة التي اقيم هيكل المعبد في وسطها. في الطرف الغربي من الباحة ثماني غرف صغيرة اعدت لخدم المعبد من كهنة وكاهنات. وفي وسط الباحة صحن كبير محاط بالاعمدة من كل جانب وداخله اربع درجات يصعد بها الى الصحن الذي يحيط بالهيكل. يصعد الى الهيكل بتسع درجات اخرى في طرفه الشرقي وهو مقسم الى غرفتين مستطيلتين ودهليزين في طرفيهما تبعاً للطقوس الدينية المتبعة بعبادة الالهة ازيس.

وفي الجانب الجنوبي من المدينة الرومانية كان هناك المسرح؛ وهو كسائر المسارح الرومانية يحتوي على منصة الممثلين وقاعة الاوركسترا ومقاعد المشاهدين بشكل نصف دوائر مشتركة المركز. أعيد بناء هذا المسرح حديثا وطالما اقيمت فيه حفلات موسيقية.

وكان اهالي مدينة صبراتا في العهد الروماني مثل اهالي مدينة لبدة يتلهون بمشاهدة مصارعة الحيوانات الضارية مع المجرمين اذ وجد امفتياترو بقرب المدينة ولكن بحالة سيئة. وان لم يعثر حتى الان على امفتياترو في طرابلس فمن المحتمل جدا ان يكون فيها امفتياترو كما هي الحالة في لبدة وصبراتا. ■

الحرب الفرنسية البروسية

(١٨٧٠-١٨٧١)

... ونشوء الامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسية الثالثة

اعداد هلا طبارة



■ بسمارك يؤاسي نابوليون الثالث بعد هزيمته

■ هلا طبارة: استاذة اللغة العربية في كلية بيروت الجامعية (١٩٥٦ـ ١٩٦٠) وامينة المكتبة فيها لعدة سنوات، اجازة في التربية وعلم النفس وعضوة نشيطة في اتحاد الجامعيات اللبنانيات، اشتركت في اعداد الموسوعة العسكرية الصادرة عام ١٩٧٧ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

اهمية الحرب الفرنسية ـ البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) أنها أدت الى تغيرات أساسية في القارة الاوروبية بينها ظهور الامبراطورية الالمانية (الرايخ الثاني) واعلان الجمهورية الفرنسية الثالثة فضلا عن بدء عهد جديد من الحرب والالة الحربية نفسها انبثق عنه اول جيش الماني بكل معنى الكلمة في التاريخ.

وهي، من هنا، تستحق الدراسة والبحث... خاصة حول اسبابها وتطورها والنتائج التي ادت اليها.

وكما يحدث كثيراً وغالباً في التاريخ، فان ذرائع اعلان الحرب تكون واهية.ولم تشذ حرب ١٨٧٠ عن هذه القاعدة ايضاً.

اهدافها واسبابها:

■ لقد اعلنت الامبراطورية الفرنسية الثانية في ١٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ والتي كان يحكمها الامبراطور نابوليون الثالث، الحرب على الامبراطورية البروسية التي كان يحكمها الامبراطور غليوم لاسباب عديدة اهمها:

اولا: لان الامير "ليوبولد هوهن زولارن" ترشح لعرش اسبانيا وهو من الاسرة التي حملت التاج الامبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ و ١٩١٨ بعد ثورة اسبانيا عام ١٨٦٨.

وفي فترة عام ١٨٧٠ كانت السياسة الفرنسية ترى ضرورة ابقاء ألمانيا مجزأة حتى تتمكن من فرض سيطرتها على اوروبا. ولم تكن فرنسا وحدها تقف موقف العداء من الوحدة الالمانية بزعامة بروسيا، بل كانت النمسا ايضاً ترى ضرورة ذلك، غير ان بروسيا استطاعت ان تحل نزاعها مع النمسا بانتصارها في ٣تموز (يوليو) ١٨٦٦ في معركة "سادوفا".

وعلى الضفة الاخرى من الراين اعتبر "اوتوفون بسمارك" (رئيس وزراء بروسيا ووزير خارجيتها) ان الحرب ضرورة تاريخية لتشييد الامبراطورية الالمانية. فكانت حرب محدودة، حرب اسر مالكة تريد أقامة الاستبداد على احدى ضفتي نهر الراين. وكان "لبرقية امز الشهيرة "التي اعدها بسمارك للنشر ان دفعت نابوليون الثالث، امبراطور فرنسا الى اعلان الحرب على بروسيا التي انضمت اليها فوراً الولايات الجنوبية الالمانية "بافاريا" و"ورتمبورغ" و"بادن" لمساعدة بسمارك حربياً.

ثانيا: المنافسة في اوروبا اثر وصول الثورة الصناعية الى ذروتها في كل من انكلترا، وفرنسا، خاصة في مجال المخترعات المتعلقة باستخدام الطاقة والبخار وا اتسعت فتعاظم السباق للحصول على المواد الخام وبدأت المنافسة في مجال التجارة والاستيراد والتصدير.

ولما كانت مناجم الحديد والفحم متوفرة في انحاء المانيا فان الجو كان صالحاً لقيام الصناعة فاقيمت المصانع، وتحولت برلين الى مركز صناعي صاخب لبناء الآلات. وهكذا اندفعت في طريق التطور الرأسمالي. كما كان للانقلاب الصناعي الذي طرأ على كل من ايطاليا والنمسا عام ١٨٧٠، وتطور الرأسمالية في الولايات المتحدة الاميركية بعد الحرب الاهلية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) ان بدأت المنافسة في اوروبا بسبب هذه التطورات مع ما رافقها من تطورات اجتماعية وظهور نزعات قومية اوجدت الدوافع الايديولوجية لهذا الصراع.

"برقية امز الشهيرة"

في ٩ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ طلب السفير الفرنسي "فنسنت بنديتي"،وكان قد لحق بالملك وليم الاول، ملك بروسيا في "امز" حيث كان الملك يعالج،اصدار الامر لليوبولد بالانسحاب، فرفض الملك ولكنه ارسل رسولا سرياً ينصح ليوبولد بأن يفعل ذلك. وفي ١٢ تموز (يوليو) سحب والد ليوبولد الترشيح بالنيابة عن ابنه. وفي ١٣ تموز (يوليو) تقابل بسمارك والبرخت تيودور اميل "رون" وزير الحربية وهلموت كارل برنهارد"مولتكه" في برلين. وعندما تسلم بسمارك البرقية من الملك حول ما حدث في "امز" اعدها للنشر بطريقة اوحت بأن المفاوضات في "امز" ادت الى قطع العلاقات. واتضح ان البلاط الفرنسي كان مصمماً على اذلال بروسيا حتى ولو كان الثمن الحرب.

المعارك العسكرية ونتائجها

في ١٦ تموز (يوليو) عام ١٨٧٠ بدأت تعبئة القوات البروسية في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب حيث تمكنت القيادة البروسية في خلال ١٨ يوماً من جمع وحشد قوات الهجوم الضخمة المؤلفة من ثلاثة جيوش قوامها (٣٨٠،٠٠٠ جندي) وتوجيهها الى الحدود الفرنسية ـ البروسية. وقد تم ذلك بفضل كفاءة السكك الحديدية. وكانت خطة هجوم الجيش البروسي الاساسية تهدف الى تدمير التجمع الفرنسي الرئيسي بالقوى المتفوقة ودحر ما تبقى منه الى الشمال نحو الحدود البلجيكية ثم التقدم نحو



باريس. وهكذا اجتاحت فرنسا ثلاثة جيوش المانية على النحو التالي: دخل الجيشان الاول والثاني مقاطعة "اللورين" والجيش الثالث مقاطعة "الالزاس" ومن ثم تابعت الجيوش الثلاثة تقدمها نحو باريس.

بدأت المعارك الاولى بين القوات البروسية والقوات الفرنسية في ٦ آب (اغسطس) عام ١٨٧٠ بالقرب من مدينة "ميتز" الواقعة على ضفاف نهر "موزيل" حيث دارت معارك ثلاث: الاولى على الشاطىء الشرقي لنهر "موزيل" في ١٤ آب (اغسطس) والثانية على الشاطىء الغربي لنهر "موزيل" في ١٦ آب (اغسطس) والثالثة في منطقة "سان برفا" في ١٨ آب (اغسطس). وكانت المعركة الاخيرة من المعارك الحاسمة اذ هاجمت القوات البروسية المواقع الفرنسية فور وصولها ودون اي توقف. وكانت المدفعية البروسية قد احتلت مراكز مكنتها من سبق العدو في فتح النار، فسقطت "سان بريفا". وقدرت خسائر القوات البروسية بعشرين الف مقاتل (٢٠،٠٠٠) في حين كانت خسائر القوات الفرنسية تقدر بثلاثة عشر الفاً (١٢،٠٠٠).

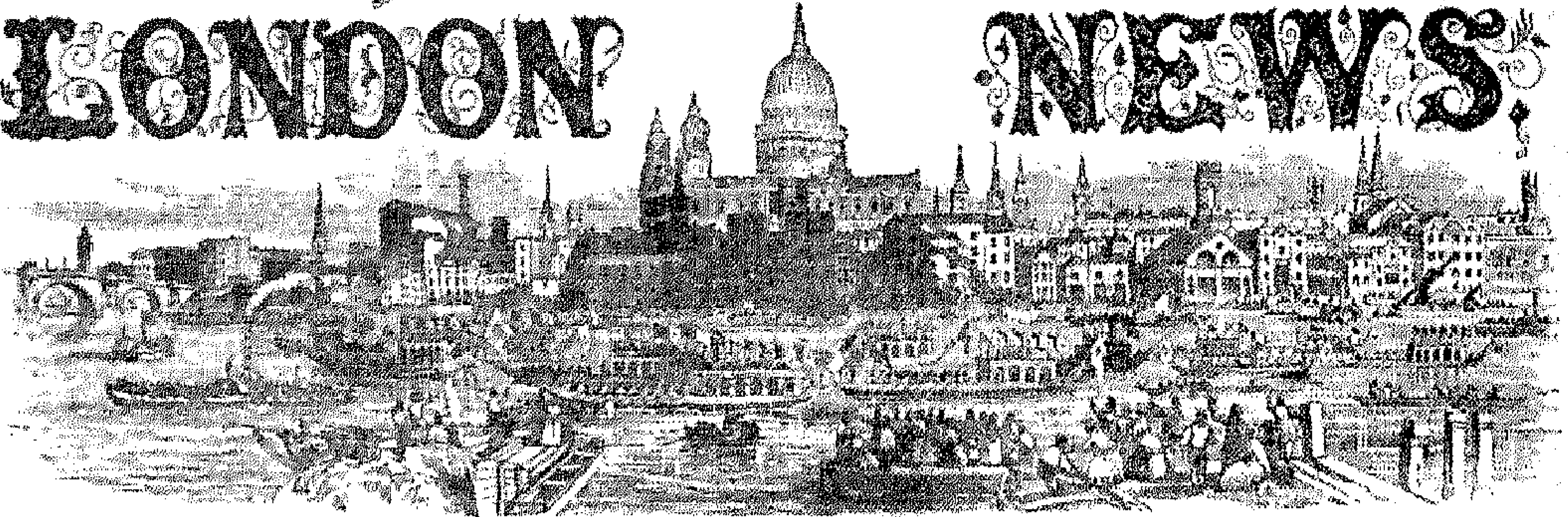
وبعد سقوط "سان - بريفا"، قرر القائد الفرنسي الماريشال "أشيل بازين" الانسحاب الى مدينة "ميتز" المحصنة. وعندما شعرت القيادة البروسية العليا بعجزها عن تنفيذ مخططها الاساسي الرامي الى تدمير الجيش الفرنسي او دحره نحو الشمال عمدت الى تشكيل جيش خاص من الجيشين الاول والثاني قوامه مائتا الف مقاتل (٢٠٠،٠٠٠) لحصار مدينة "ميتز"، كما عمدت الى تشكيل جيش آخر دعته بالجيش الثالث وقوامه ٢٢٤ الف مقاتل (٢٢٤،٠٠٠) كلف بالهجوم على القوات الفرنسية المتمركزة في منطقة "شالون" والبالغ عددها مئة واربعين الفاً (١٤٠،٠٠٠). وارسلت فرنسا جيشها المتمركز في "شالون" الى "ميتز" لمساندة جيش الماريشال "بازين".

وفي ٣١ آب (اغسطس) اتخذت القوات الفرنسية الاتية من "شالون" مراكزها حول مدينة "سيدان". وفي الاول من ايلول (سبتمبر) هاجم الجيش البروسي الثالث مدينة "سيدان" من الشمال والغرب معاً وطوقها بعد معركة حاسمة دامت يوماً واحداً استسلمت في نهايتها القوات الفرنسية في "شالون" في ٢ ايلول (سبتمبر) وقدرت خسائرها العامة بنصف مليون جندي. كما بلغ عدد الاسرى مئة واربعة الاف اسير (١٠٤،٠٠٠) وفي مقدمتهم الامبراطور نابوليون الثالث وماكماهون. وفي ٣٠ ايلول (سبتمبر) اعلن نابوليون وهو أسير قائلا: "لقد هزم الجيش وأنا نفسي اخذت اسيراً".

وكان ذلك نهاية الامبراطورية الثانية في فرنسا.

اسباب هزيمة "سيدان"

تعود هزيمة سيدان الساحقة الى فشل سياسة الامبراطورية الفرنسية الثانية لاسباب عديدة منها:



No. 1635.—VOL. LVIII. SATURDAY, FEBRUARY 4, 1871. PRICE FIVEPENCE

■ ملك بروسيا، ويليام الاول، في "صالة المرايا" في قصر "فرساي" بعد تتويجه قيصراً لالمانيا في ١٨ كانون الثاني ١٨٧١.

اولا: ان فرنسا لم تكن جاهزة للحرب عندما اعلنتها على بروسيا وذلك خلافاً لما اعلنه وزير حربيتها حين قال: "كل شيء جاهز حتى آخر لفافة". في حين سبقتها بروسيا وقامت بالتعبئة السريعة في مرحلة التوتر التي سبقت اعلان الحرب. وهذا ما كبد الجيش الفرنسي اولى هزائمه واكثرها عمقاً.

ثانياً: السياسة التعسفية التي كان يتبعها نابوليون الثالث ومحاولته صرف نظر الشعب عن المشاكل الداخلية وذلك بانغماسه في الحروب الخارجية التي فتحت عهداً جديداً من الحروب في الفترة التي امتدت ما بين عامي ١٨٥٠ – ١٨٧٠.

لقد شاركت الامبراطورية الفرنسية الثانية في حرب القرم (١٨٥٤ – ١٨٥٥) واعلنت الحرب على النمسا في العام ١٨٥٩ وارسلت جيشاً الى سوريا في العام ١٨٦٠، وشاركت في غزو الهند الصينية (كمبوديا وفيتنام) عام ١٨٦٠، وغزو المكسيك عام ١٨٦٢. اما آخر حروبها فكانت تلك التي شنتها على بروسيا في العام ١٨٧٠ ولاقت فيها نهايتها.

ثالثاً: تخلف الجيش الفرنسي عن الجيش البروسي لاسباب عدة منها: تدخل السلطة السياسية في قيادة العمليات، الغياب الكامل للخطة، الفوضى واللانظام اللذان سبقا التجنيد، وتغيير رئيس الاركان ثلاث مرات في خلال شهر.

رابعاً: المغامرة التي اقدمت عليها فرنسا بتكليفها القيادة العسكرية الفرنسية القيام بمهام استراتيجية كبرى لم يكن بامكانها تنفيذها وهي ارسال جيش "شالون" الصغير لمساندة جيش الراين بقيادة الماريشال بازين المحاصر في "ميتز". وكانت تلك من افدح واكبر اخطائها.

خامساً: خوف فرنسا من اندلاع الثورة.

الجمهورية الفرنسية الثالثة

نتج عن هذه الهزيمة – هزيمة "سيدان" واستسلام نابوليون الثالث – ان اندلعت الثورة في باريس في ٤ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ وهاجم الثوار قصر "البوربون" واجبروا اعضاء الجمعية التشريعية على اعلان سقوط الامبراطورية. وطبقاً للتقاليد الثورية اعلنت الجمهورية الفرنسية الثالثة في مبنى البلدية، وشكلت حكومة بورجوازية مؤقتة للدفاع الوطني مؤلفة من "اورليانيين" ومن جمهوريين بورجوازيين، ساندتها فرنسا بما يشبه الاجماع برئاسة الجنرال "لويس جول تروشو" وكان العضو البارز فيها "ليون جمبتا". وكان الاجراء الاول الذي اتخذته الحكومة الفرنسية المؤقتة ارسال "ادولف تيير" رئيس اللجنة التنفيذية في جولة يطوف بها على بلاطات اوروبا طالباً وساطتها مع العدو. غير ان المساعي باءت بالفشل، فتقدمت الحكومة المؤقتة بشروط الصلح لبسمارك فرفضها وفرض شروطاً قاسية رفضتها الحكومة الفرنسية وآثرت مواصلة القتال مما حمل القيادة البروسية على ضرب حصار على باريس.

سقوط باريس

وفي ١٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٠ اكتسح جيشان بروسيان باريس وحاصراها (حتى سقطت في ٢٨ كانون الثاني عام ١٨٧١) وقد حشدت الحكومة كل قواها في محاولة يائسة للدفاع عن البلاد، فأوفدت مندوبين الى "تور" لتنظيم المقاومة في الاقاليم، وقد انضم اليها "جمبتا"



■ [illegible] هيلموت فون مولتكه



■ أمير بروسيا فريدريك شارل



■ الجنرال الفرنسي بوزباني [illegible]

الذي فر في "بالون" من باريس المحاصرة وتولى حكم فرنسا.

وفي ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) سلم الماريشال "بازين" مدينة "ميتز" للقوات البروسية، واستسلم معه ١٧٣ الف جندي (١٧٣،٠٠٠) بعد حصار دام ٧٢ يوماً. وكانت هذه الهزائم بالاضافة الى اقامة الجيوش البروسية في "فرساي" وما يحيط بها، ووقوفها موقف المتفرج واستسلام باريس بعد ان انهكتها المجاعة، صدمة عنيفة للجمهورية الفرنسية، الامر الذي دفعها الى طلب عقد صلح في ٢٨ كانون الثاني (يناير) عام ١٨٧١ مع بروسيا شريطة "عدم التفريط بشبر واحد من الارض ولا بحجر واحد من الحصون" (تصريحات "تروشو و"فافر"وزير الخارجية).

وفي ٢٦ شباط (فبراير) عام ١٨٧١ تم التوقيع على وثيقة الاستسلام بين "تيير" و"فافر" و"بسمارك" تنازلت بمقتضاها فرنسا عن "الالزاس" و"اللورين" اللتين كانتا جزءاً من فرنسا لمدة ٢٠٠ عام. وقبلت بشروط "بسمارك" القاسية بدفع تعويض قدره خمسة مليارات فرنك (٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) على ان يبقى جيش الاحتلال حتى يتم دفع التعويض. وقد قوبلت هذه الشروط بالرفض التام من ممثلي "الالزاس واللورين" ومن "جمبتا" و"كليمنصو" ولكنها قبلت بأغلبية ٥٤٦ صوتاً ضد ١٠٧ في اول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وكان من نتائج هذه المعاهدة ان قامت البروليتاريا المسلحة (التي كانت تخشاها الحكومة الفرنسية البورجوازية) بثورتها في ١٨ آذار (مارس) وشكلت "كومونة باريس".

ولقد كانت ثورة "الكومونة" التي لم يكتب لها البقاء، اول ثورة اشتراكية من نوعها في اوروبا حملت في طياتها مظاهر الثورة الديمقراطية والثورة الاقتصادية، غير ان سوء العناصر التي تسللت الى قيادتها العسكرية ولجوءها الى الدفاع السلبي بدل الهجوم كانا من اكبر اخطائها لذلك فقد خسرت المعركة.

في ١٠ ايار (مايو) عام ١٨٧١ تم التوقيع على معاهدة السلام غير المشروطة في مدينة "فرانكفورت" بين فرنسا وبروسيا، وتضمنت كافة الشروط التي تمت الموافقة عليها في اول آذار (مارس) عام ١٨٧١. وفي ١٨ أيار (مايو) صادقت جمعية فرساي عليها.

وفي ٣١ آب (اغسطس) عام ١٨٧١ اصبح "تيير" رئيساً للجمهورية الفرنسية الثالثة وكان من الاورليانيين المخلصين. فعمد الى جمع صفوف الجمهوريين المحافظين.

وفي ١٦ ايلول (سبتمبر) عام ١٨٧٣ غادر آخر جندي بروسي الحدود الفرنسية.

اسباب الانتصار البروسي

الاسباب وراء انتصار الجيوش البروسية كثيرة وهذه بعضها:

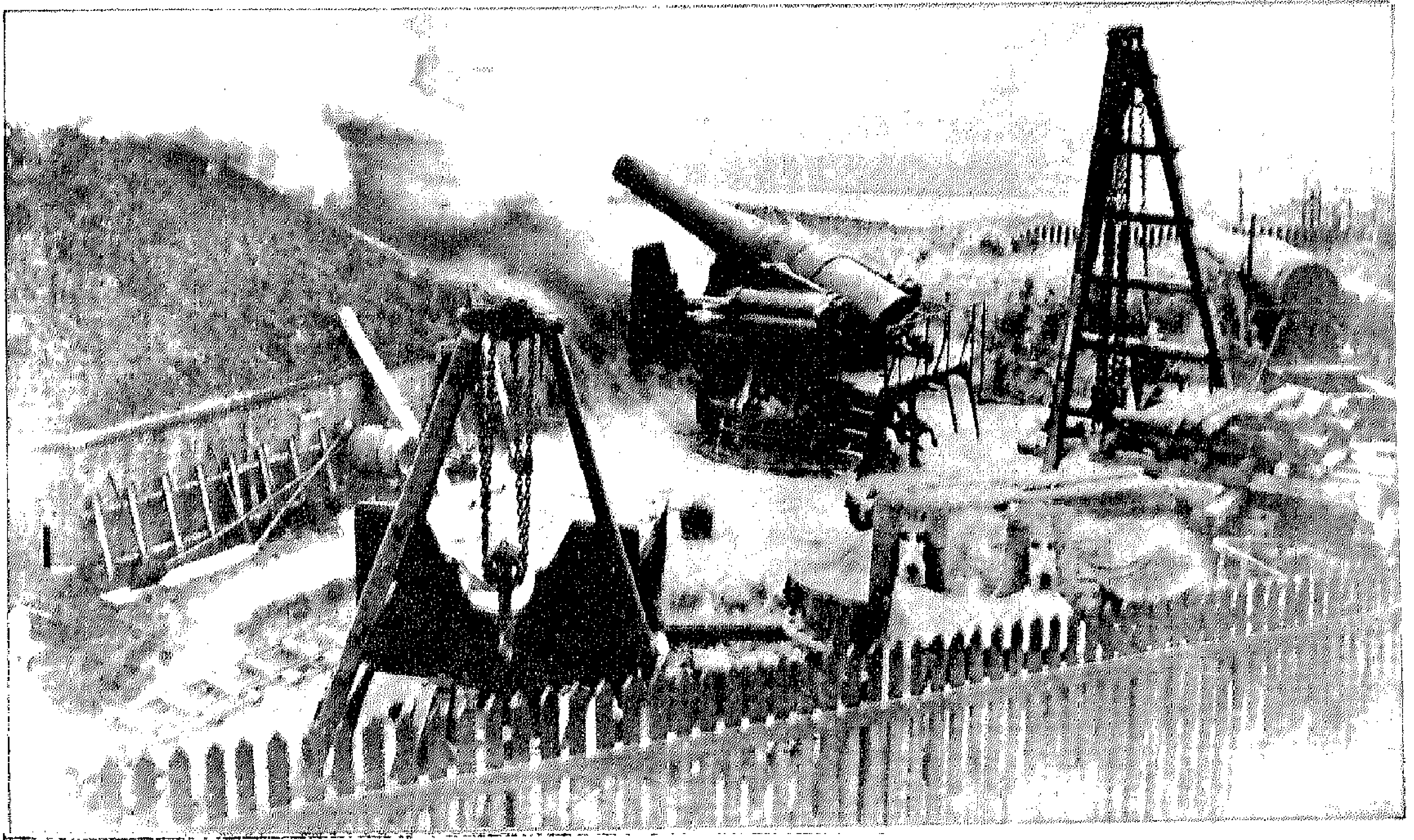
اولا: تفوق الجيش العسكري البروسي (قوة وقيادة وتكتيكا) وتنظيمه هيئة اركان حرب عامة فعلية نظمت لاول مرة في التاريخ وضمت ثلاثة اقسام: قسم الاستراتيجية والتكتيك، قسم



■ [illegible]



■ معركة شرسة بين خيول الفرنسيين والألمان في مارس لاتور في ١٦ آب ١٨٧٠



العمليات، قسم الاستخبارات، كما ضمت التشكيلات العسكرية الاخرى بدورها هيئات للاركان مشابهة بتنظيمها لهيئة الاركان العامة لكن على نطاق محدود.

ثانياً: التفوق السياسي وذلك بفضل مخطط "بسمارك" الحديدي وحنكته السياسية وتحديده بكل دقة لهدف الحرب الذي ضمن في نهايته لبروسيا وضعاً مسيطراً في اوروبا كلها.

ولقد لعب "بسمارك" بسياسة المانيا واوروبا مدة طويلة من الزمن اتسمت بالتخطيط المركز والحنكة، ومما قاله بعد تعيينه رئيساً لوزراء بروسيا باسبوع: "ان المشاكل الكبرى اليوم لا يمكن حلها بالخطابات وقرارات الاغلبية وانما بالحديد والدم".

وكانت سياسة "الحديدوالدم" هي السياسة التي كرس "بسمارك" لها كل طاقاته وجهده وحنكته فجعل منألمانيا دولة اخرى تعتمد على الدم والحديد والمهارة الحربية، وكان هدفه ان يجعل المانيا تحتل مكان الصدارة في القارة الاوروبية وقد سعى الى تحقيق هدفه بثبات وعزم فكان له ما سعى اليه، ولقي نجاحاً باهراً، كما كان للدور الذي لعبه في الايقاع بين الدول الواحدة تلو الاخرى ان اثبت اسلوباً رائعاً في السياسة والديبلوماسية الدولية، وكان "بسمارك" قد وضع هدفين اساسيين أمامه:

الاول :وضع حد نهائي للتنافس القائم بين بروسيا والنمسا على زعامة المانيا واعطاء الزعامة لبروسيا ومن ثم القضاء على منافسة فرنسا في اوروبا، وهذا ما حمله للانصراف الى تقوية بلاده عسكرياً في الوقت الذي قام نابوليون الثالث بمهاجمة النمسا وانزال الهزيمة بها، وقد كانت هذه الهزيمة لصالح بسمارك اذ اتجه هذا الاخير لمصادقة قيصر روسيا ضد بولندا فضمن من جراء ذلك تغاضي القيصر وسكوته عن اعماله في اوروبا، ثم اتجه الى الدانمارك فاخضعها بتحالفه مع النمسا ومن ثم اتجه الى النمسا فحالف فرنسا وايطاليا ضدها وهزمها في العام ١٨٦٦ وهكذا تمكن من ازالة عقبة النمسا، كما تمكن بالتالي من اقامة اتحاد ألماني شمالي بزعامة بروسيا، وهكذا تم لـ"بسمارك" تحقيق هدفه الاول الاساسي.

اما هدفه الثاني فكان تحقيق الوحدة الالمانية واعلاء شأن المانيا في اوروبا وذلك باخضاع فرنسا التي كانت تعد الدولة الاوروبية الاولى والمنافسة الوحيدة لالمانيا.

تعتبر الحرب الفرنسية ـ البروسية (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) من الحروب التي اثرت في مجرى التاريخ الى حد كبير، وكان من اهم نتائجها السياسية:

اولا: قيام الامبراطوريةوالالمانية: وذلك بتتويج وليم الاول، ملك بروسيا امبراطوراً لالمانيا الموحدة، وهو ما اعلن في "فرساي" في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٧١ في بهو المرايا في قاعة لويس الرابع عشر الفخمة، وبذلك اصبحت اسرة "هوهن زولارن" الملكية البروسية اسرة امبراطورية لالمانيا الموحدة.

ثانياً: ظهور الرايخ الثاني الذي ضم ٢٥ ولاية، وظهور ٤ ملكيات (بروسيا، بافاريا، ساكسونيا، وتمبرغ) و٥ دوقيات عظمى، و١٣ دوقية وبلدية، وثلاث مدن حرة (هامبورغ، بريمين، لوبيك) واعتبرت الالزاس واللورين اللتان ضمتا نتيجة للحرب ارضاً ضمن الرايخ وعين لهما محافظ امبراطوري، وبذلك اصبحت مُلكاً مشتركا لجميع الولايات الالمانية.

ثالثاً: :تأسيس اول جيش حمل اسم "الجيش الالماني" في العام ١٨٧١.

يبقى، ايضاً، ان من اهم ميزات هذه الحرب انها حملت في مضمونها نواة حرب الانصار (وكانت النجاحات الاولى لحرب الانصار هذه استخدام القطارات لنقل الجيوش البروسية)، كما انها استطاعت استنفار امكانات الامة كلها وتمكنت من الربط بين الطاقات البشرية والطاقات الاقتصادية والقوى الانتاجية. ■

ماذا ينفع التاريخ ؟

١ ـ للمؤرخ مهمة خاصة، وهي أن يشرح لنا ما يبدو معجزة. — "ميشليه"

٢ ـ التاريخ يثبت لنا كل ما نريد، يعطينا الأمثلة على كل شيء، ويبرهن عليه. — "ب. فاليري"

٣ ـ ان الهدف والفائدة من التاريخ يجب الا" يفتش عنهما أبداً خارج التاريخ. — "ج. مونو"

٤ ـ ان التاريخ ليس ابداً منصفاً، ولكنه دائماً مبر"ر. — "ب. كروس"

حروبُ القدس في التاريخ العربي

الاحتلال الصهيوني للقدس

العقيد الدكتور ياسين سويد

تحدثنا في العدد السابق عن حربين من حروب القدس في التاريخ العربي هما:

١) تحرير القدس من البيزنطيين في القرن الميلادي السابع (الهجري الاول).

٢) تحريرها من الصليبيين في القرن الميلادي الثاني عشر (الهجري السادس).

اما الحرب الثالثة التي شهدتها هذه المدينة المقدسة في التاريخ العربي فهي اهمها واقساها لانها كانت السبب في خروج القدس وبالتالي فلسطين كلها، من ايدي العرب، وهذه الحرب هي: ٣) الاحتلال الصهيوني للقدس (١٩٤٨ = ١٣٦٨هـ، و١٩٦٧ = ١٣٨٧هـ).



■ **العقيد ياسين سويد**:ـ ضابط في الجيش اللبناني يرأس حالياً احدى هيئات المحكمة العسكرية اللبنانية ـ مجاز في الحقوق من الجامعة اللبنانية، دكتور في التاريخ من جامعة ليون، مؤلف كتاب "معارك خالد بن الوليد" اسهم في وضع "الموسوعة العسكرية العربية"، ولديه حالياً قيد الاعداد للطبع: ـ التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في عهد الامارتين (المعنية والشهابية): حزءان ـ من تاريخنا: معارك وقادة.

تقسم القدس جغرافياً الى منطقتين مميزتين هما:

القدس القديمة: يحيط بها سور قديم كبير رافق المدينة منذ انشائها وكان يهدم في الحروب المتتالية ثم يعاد بناؤه، وقد اعيد بناؤه للمرة الاخيرة في عهد السلطان سليمان القانوني في اواخر العقد الرابع من القرن السادس عشر، وتقع ضمن هذا السور الاماكن المقدسة للديانات الاسلامية والمسيحية واليهودية، معظم سكانها من العرب الفلسطينيين وقد بلغ عددهم، بعد نشوب الحرب العربية ـ الصهيونية عام ١٩٤٨ ونزوح عدد كبير من السكان العرب من القدس الجديدة الى القدس القديمة، نحو ستين الفاً. وكان في القدس القديمة حي لليهود تبلغ مساحته ربع مساحة القدس القديمة الا ان عدد سكانه لا يزيد عن الف وثمانماية فقط منهم نحو ثلاثماية من مقاتلي البالماخ والهاغانا الذين دخلوا ذلك الحي سواء قبل جلاء البريطانيين عن فلسطين او بعده.

وللقدس القديمة احد عشر بابا اهمها : باب العمود (او باب دمشق)، وباب الخليل، وباب النبي داود، والباب الجديد، وباب الاسباط، وبوابة مندلبوم الشهيرة.

القدس الجديدة: تقع خارج سور القدس القديمة، وقد بنيت في عهود حديثة، وكان يقطنها عدد لا يستهان به من العرب الفلسطينيين الا ان معظم هؤلاء نزحوا عنها الى القدس القديمة منذ بدء القتال بينهم وبين الصهيونيين عام ١٩٤٨، وكان عدد سكان القدس القديمة من اليهود في ذلك الحين نحو ماية الف نسمة منهم عشرة الاف مقاتل.

الاحتلال على مرحلتين

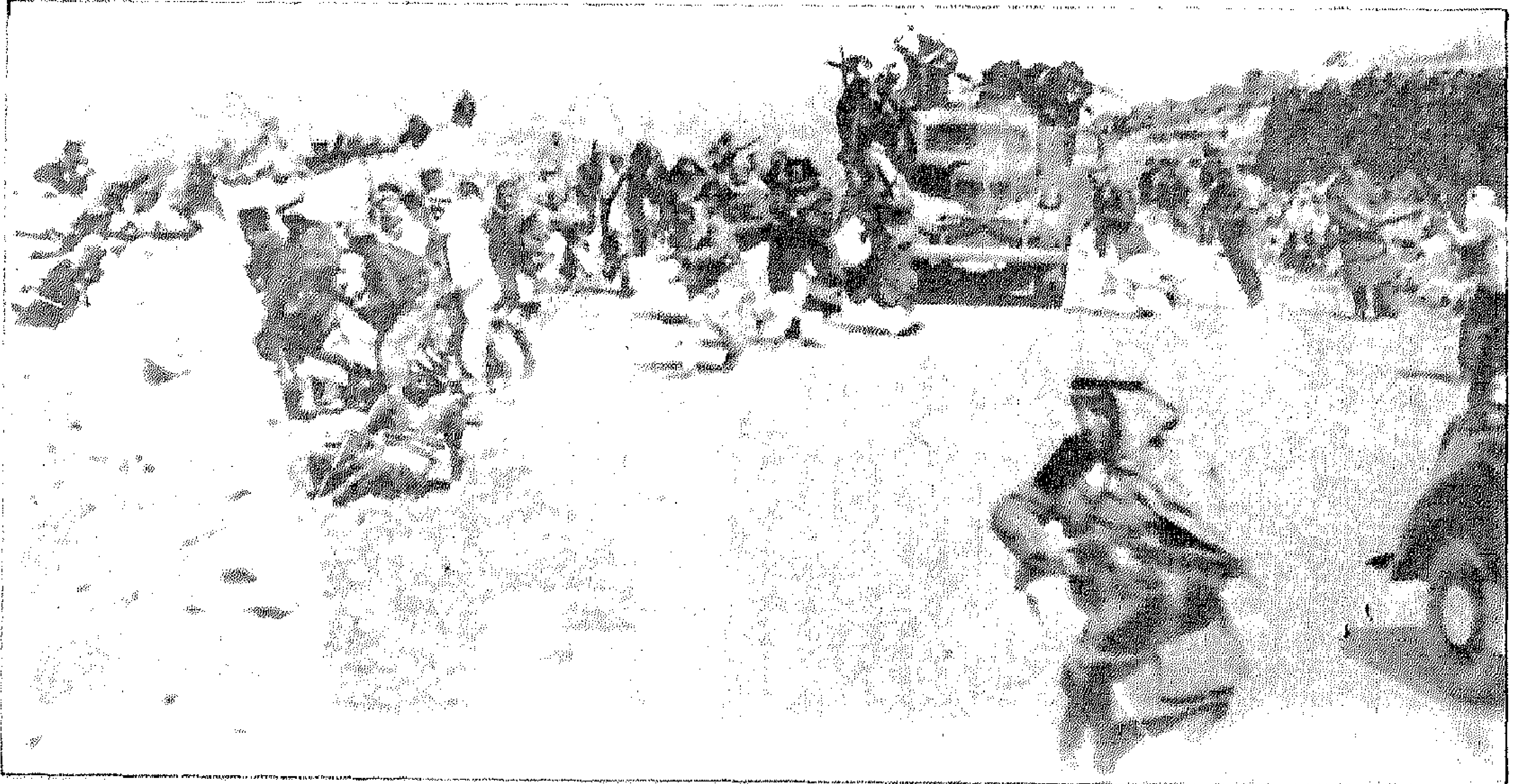
وقد تم الاحتلال الصهيوني للقدس على مرحلتين:

المرحلة الاولى: احتلال القدس الجديدة (عام ١٩٤٨م ـ ١٣٦٨هـ)

المرحلة الثانية: احتلال القدس بكاملها (القدس القديمة عام ١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ).

١ ـ المرحلة الاولى (١٩٤٨): رضخت المنظمة الدولية المنشأة حديثاً (الامم المتحدة) للضغوط الصهيونية والاميركية المتعاونة مع الدولة البريطانية المنتدبة على فلسطين يومذاك فأقرت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ مشروعاً انتزعت بموجبه جزءاً من فلسطين العربية لتقيم عليه دولة يهودية بينما ابقت الجزء الاخر للفلسطينيين يتدبرون فيه امر دولة لهم، ووضعت القدس تحت اشراف دولي. فوافق اليهود على قرار التقسيم هذا ولكنهم رفضوا تدويل القدس. اما العرب، فرفضوا القرار الدولي كله جملة وتفصيلا، وهكذا بدأ الفريقان العربي واليهودي يستعدان لحرب شرسة وطويلة الامد لا تزال تستعر تارة وتخبو اخرى.

والقدس، بما يجاورها من مواقع، ذات موقع استراتيجي وحربي ممتاز، ذلك انها محاطة بالتلال، فاذا امكن الاحتفاظ بهذه التلال فان القدس لا تسقط، واذا سقطت فان الضفة الغربية معرضة كلها للسقوط بسهولة، فهي في الواقع "رقبة الضفة الغربية، وبقية المنطقة غربي النهر، هي الجسر، فاذا استطاع الاسرائيليون ان يطوقوا



المدرعات تدخل القدس الجديدة من باب



باصابعهم هذه الرقبة فان بقية الجسر تنهار بعد وقت قليل" (الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧) .

كانت المناوشات بين العرب واليهود في فلسطين قد بدأت منذ زمن بعيد، اي منذ ان بدأت اطماع الصهيونية تظهر في فلسطين، ثم اخذت هذه المناوشات تتطور وتتسع حتى تصبح قتالا فعلياً كلما اقترب موعد جلاء الانتداب البريطاني عن هذا القطر العربي وكان قد حدد هذا الموعد ليل ١٤ ـ ١٥ ايار ١٩٤٨، ولكن البريطانيين، متذرعين بقرار التقسيم، اصروا على ان لا يبقى اي جندي اردني في فلسطين العربية منها او اليهودية، فانسحب الجيش الاردني بكامله الى الضفة الشرقية من نهر الاردن قبل الرابع عشر من ايار.

وهكذا ما ان حل منتصف ليل الخامس عشر من ايار، موعد جلاء الجيش البريطاني، حتى كانت القدس خالية من المقاتلين العرب سوى قلة من قوات (الجهاد المقدس) الذين كانوا يفتقرون الى كل شيء: الى السلاح والذخيرة والى الخبرة القتالية، ومع ذلك صمدوا خلال قتال عنيف في الشوارع استمر من ٢٦ كانون الثاني الى ٢٨ ايار سنة ١٩٤٨.

واغتنم اليهود هذه الفرصة، فتسللوا الى القدس القديمة واحتشدوا في الحي اليهودي بعد ان كانت قواتهم قد استولت نهائياً على القدس الجديدة وهرب سكانها العرب الى داخل القدس القديمة، وما ان مضت ساعات على مغادرة المفوض السامي البريطاني للقدس في صباح الرابع عشر من ايار مع آخر جندي بريطاني حتى نشب القتال بين الطرفين، وبدأت صرخات الاستغاثة تتوالى من العرب المقيمين في القدس القديمة، وكان الهاتف يرن دوماً في عمان ينقل هذه الصرخات (اليهود يتقدمون في كل مكان... جميع العرب معرضون للذبح، تعالوا اكراماً لله وانقذونا، تعالوا، تعالوا، اسرعوا).

وكان ضباط الهاغانا يطوفون شوارع القدس بمكبرات الصوت يخاطبون اهلها بالعربية قائلين "طريق اريحا لا تزال مفتوحة، طيروا من القدس قبل ان تقتلوا" (جندي بين العرب للجنرال غلوب رئيس اركان الجيش الاردني سابقاً).

وفي السابع عشر من ايار، كانت كتيبة من كتائب الجيش الاردني تقدر بستمائة مقاتل "الكتيبة السادسة بقيادة الكولونيل عبدالله التل" تتقدم نحو القدس القديمة لانقاذ اهلها وحماية المقدسات الاسلامية والمسيحية فيها، وفي هذا

الوقت كانت قوات "الجهاد المقدس" تقاتل ببسالة في المدينة القديمة، وما ان اصبح يوم الثامن عشر من ايار حتى كانت هذه الكتيبة تحتل مشارف القدس القديمة وتحاصرها مانعة يهود القدس الجديدة من اقتحام ابوابها وكان هؤلاء قد احتلوا الاحياء المحيطة باسوار القدس القديمة كالشيخ جراح ومدرسة الشرطة وسواهما، بينما كانت قوات الجهاد المقدس تحاصر الحي اليهودي في القدس القديمة وقد عززت هذه القوات بعناصر من الجيش الاردني.

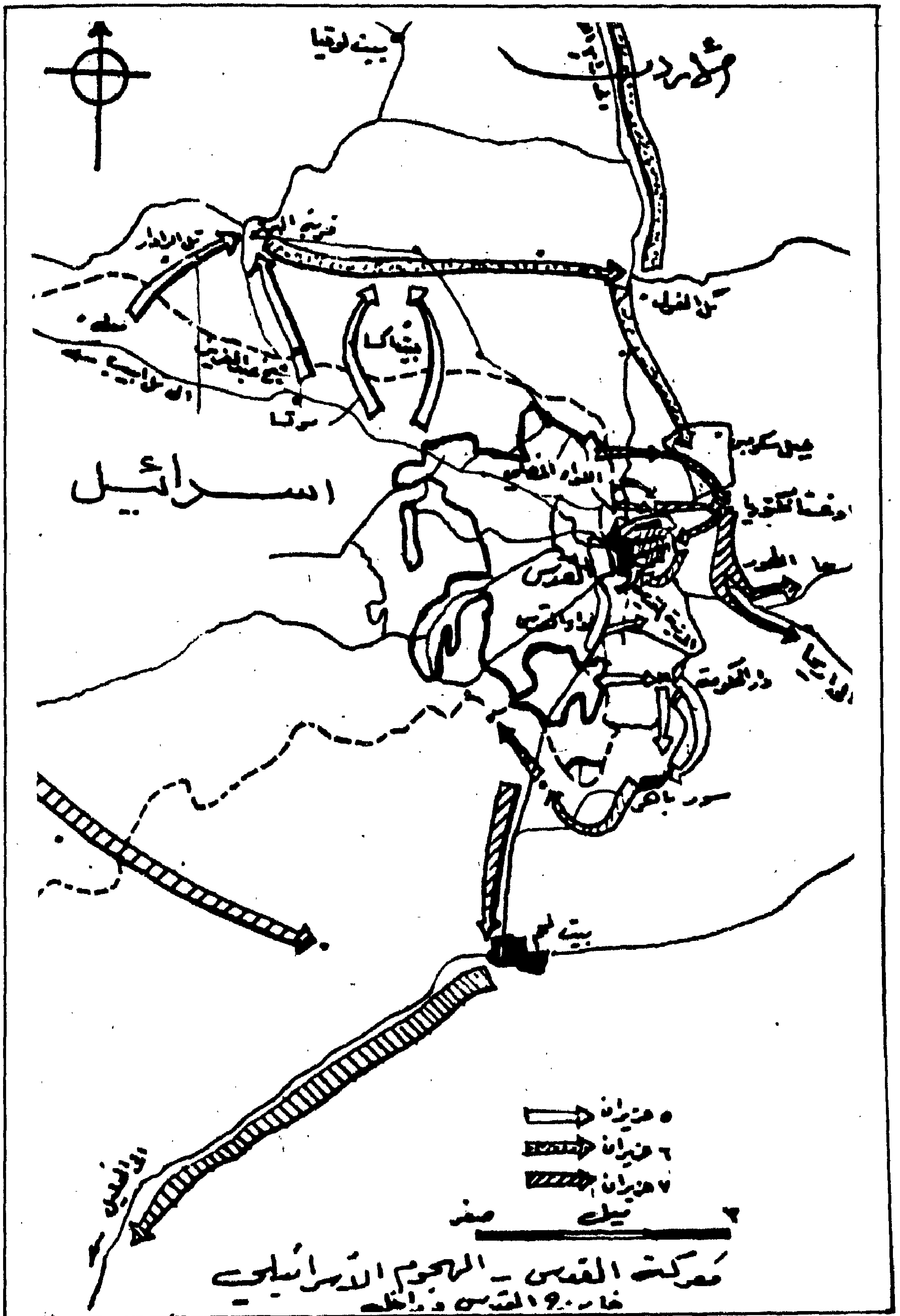
وبدأ ضغط الحصار يشتد على يهود الحي القديم، وقطع اي اتصال بينهم وبين اليهود الذين هم خارج الاسوار (سوى الاتصال اللاسلكي). ثم ادخل قائد القوة الاردنية المحاصرة دباباته الى الحي اليهودي مع فرقة من الهندسة تابعة لقوات الجهاد اخذت تنسف كل اوكار المقاومة، وفي الوقت الذي كانت الكتيبة السادسة الاردنية تهاجم الحي اليهودي في المدينة القديمة، كانت قوات اردنية اخرى تهاجم الاحياء القائمة خارج اسوارها والتي سبق للعدو ان احتلها، وهي، على الميمنة: الشيخ جراح وباب الساهرة ووادي الجوز وباب العمود وعلى الميسرة: النبي داود والثوري وبيت لحم وبيت صفا وبعد عشرة ايام من الحصار المضني، اي في صباح الثامن والعشرين من الشهر نفسه اقبل حاخامان من الحي اليهودي نحو القيادة العربية وهما يحملان علماً ابيض وعرضا استسلام الحي للكتيبة الاردنية، وتمت الموافقة على ذلك بالشروط التي وضعها قائد هذه الكتيبة وهي ان يؤخذ المقاتلون اسرى حرب، وان يرحل النساء والشيوخ والاطفال والجرحى خارج اسوار المدينة المقدسة، وان يتم تسليم السلاح والعتاد الحربي والذخيرة، ووقعت وثيقة التسليم من قبل الكولونيل عبدالله التل قائد الكتيبة عن الجانب العربي، وموشه روزنك قائد الهاغانا عن الجانب اليهودي وذلك في ٢٨ ايار ١٩٤٨.

وقد حشد اليهود في ساحة من ساحات الحي حيث افرز المقاتلون منهم واخذوا اسرى الى عمان، اما باقي الاهالي فقد نقلوا الى الاحياء اليهودية في القدس الجديدة.

وقد بلغت خسائر العدو في هذه المعركة ثلاثمائة قتيل وثمانين جريحاً واربعين اسيراً، اما خسائر العرب فكانت اربعة وعشرين شهيداً (اربعة عشر جندياً نظامياً وعشرة من قوات الجهاد المقدس) وخمسة وعشرين جريحاً.



فريق من اسرى اليهود في القدس القديمة


اسرائيل
القدس
٥ حزيران
٦ حزيران
٧ حزيران
٢ ميل صفر
معركة القدس ـ الهجوم الاسرائيلي

اما اهم نتائج هذه المعركة فهي تطهير القدس القديمة من اليهود بحيث لم يبق فيها يهودي واحد، وذلك لاول مرة منذ اكثر من الف عام. (الكولونيل عبدالله التل - كارثة فلسطين) ولكن القسم الثاني من القدس (القدس الجديدة) ظل تحت سيطرة الدولة اليهودية التي ضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة كافة وبقرار تدويل القدس خاصة.

المرحلة الثانية (١٩٦٧)

في الخامس عشر من ايار عام ١٩٤٨، اعلن قيام الدولة العبرية على ارض فلسطين المحتلة، واصبح الشعب الفلسطيني هو (شعب الشتات) ولم تكتف الدولة الصهيونية بما منحتها اياه - دون وجه حق - هيئة الامم، بل اخذت بالاضافة الى نصيبها من قرار التقسيم، معظم ما خصصته هذه المنظمة الدولية للعرب في ارض فلسطين من نصيب، دون ان تتمكن هذه المنظمة، او ايةارادة اخرى في العالم، من صد اطماعها في المزيد من الارض العربية.

وبعد حوالي عشرين عاماً من الاحتلال الصهيوني الاول لفلسطين وبالتحديد فيالخامس من حزيران عام ١٩٦٧، اندلعت الحرب من جديد بين الدول العربية (مصر وسوريا والاردن) من جهة، واسرائيل من جهة اخرى، لتكون نتيجتها ان تلتهم اسرائيل ما تبقى من القدس، او بالاحرى، المدينة المقدسة بالذات، فتضمها اليها، وتجعل منأورشليم القدس عاصمة لها.

هاجمت اسرائيل، في البدء، مصر، فضربت سلاحها الجوي ضربة قاصمة شلته شللا تاماً، وبعد ان اطمأنت الى انتصارها على الجبهة المصرية قررت اجتياح الضفة الغربية من المملكة الاردنية الهاشمية، وكانت اسرائيل قد حشدت لاحتلال القدس، في المنطقة الوسطى من جبهتها الجنوبية تجاه الاردن ثلاثة الوية: "لواء مشاة"، كانت مهمته احتلال مقر الامم المتحدة على جبل المكبر". "ولواء مدرع" كانت مهمته مهاجمة المواقع الاردنية شماليغربي مدينة القدس. "ولواء مظلي"، كانت مهمته اقتحام المنطقة المحصنة في محلة الشيخ جراح والاتصال بجبل سكوبس ثم مهاجمة المدينة القديمة واحتلالها.

ويتبين من المهمات الثلاث ان الهم الاول لدى اسرائيل كان احتلال الضواحي المحيطة بالقدس القديمة ثم احتلال القدس القديمة بعدها.

لواء المشاة:

كانت القوات الاردنية قد احتلت في صباح ٥ حزيران دار الحكومة القديمة على جبل المكبر في المنطقة المحرمة جنوبي القدس، ولكن القوة الاردنية التي قامت بهذه المهمة كانت عبارة عن مفرزة من المشاة فقط، وبعد ظهر اليوم نفسه قام لواء المشاة الاسرائيلي بهجوم على هذه الدار فاحتلها، وفي مساء اليوم الاول من القتال كان هذا اللواء قد احتل جميع الاهداف التي حددت له، وطوقالقدس العربية (القديمة) من الجنوب كما قطع اتصالها ببيت لحم والخليل.

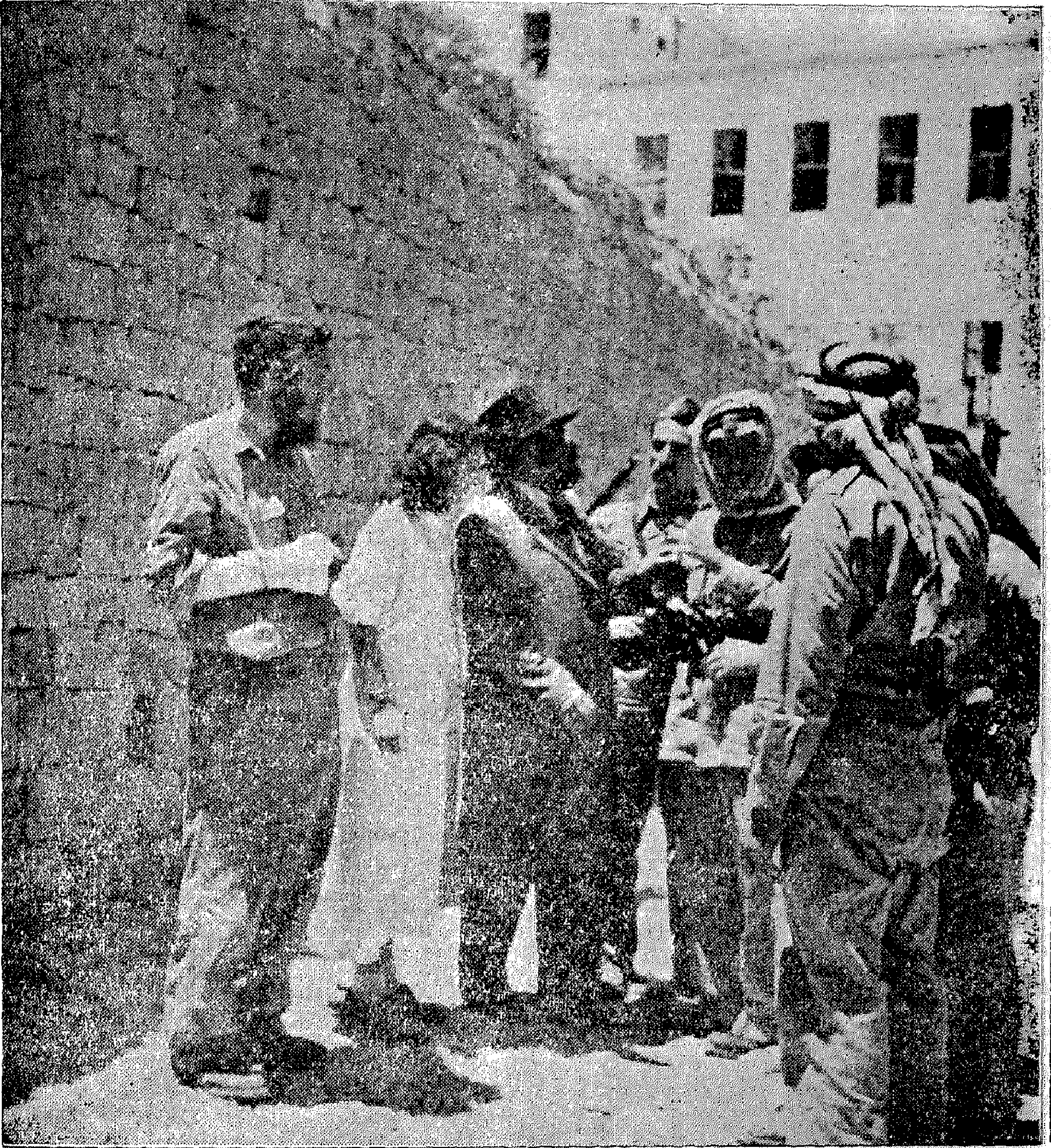
اللواء المدرع:

قام هذا اللواء في اليوم الاول من القتال بالهجوم على المواقع الاردنية الحصينة في تل الشيخ عبد العزيز وتل الرادار وقرية البدو وقرية بيت اكسا، وكانت تحتل هذه المواقع جميعها كتيبة مشاة اردنية، وقد بدأ العدو هجومه عليها عند حلول الظلام من مساء ٥ حزيران حيث بدأت القوات المدرعة الاسرائيلية بازالة المراكز الدفاعية التي كانت تعترضها للوصول الى اهدافها ممهدة لذلك بقصف جوي دقيق على تلك المراكز، وفي مساء ٥ حزيران سقط تل الشيخ عبد العزيز بيد العدو ودار قتال عنيف على تل الرادار انتهى بسقوطه كذلك، ثم استولى العدو على قريتي البدو وبيت اكسا في منتصف الليل.

وما ان اصبح نهار ٦ حزيران حتى كانت المدرعات الاسرائيلية قد أنهت مهمتها في ذلك القطاع وانطلقت قوة منها لتحتل بيت لقيا في الساعة الرابعة من صباح اليوم المذكور كما انطلقت قوة اخرى لتحتل تل الفول على طريق القدس - رام الله. وهكذا تمكن العدو من ان يقطع



■ الكويت "فولك برنادوت" ١٣ تموز ١٩٤٨



ـ الحاخام اليهودي حاملا العلم الابيض

الطريق الذي يربط القدس بوادي الاردن مانعاً عن الجيش الاردني وصول الامدادات عن تلك الطريق، فاصبحت القدس بذلك محاصرة من الشمال والجنوب.

اللواء المظلي: هو اللواء المظلي الوحيد الذي كان لدى اسرائيل في ذلك الحين، ويتألف من النخبة من ضباط الجيش الاسرائيلي وجنوده وقد انيطت به مهمة احتلال الشيخ جراح والقدس القديمة، وكان مركزه بالقرب من مطار اللد.

وكان هذا اللواء يتألف من ٣ كتائب مظليين وكتيبة مدفعية وسرية استطلاع وسرية لاسلكي وخدمات ادارية مع كتيبة دبابات (٥٤ دبابة) فكان فيه اذن زهاء ٣٧٠٠ ضابط وجندي بالاضافة الى المساندة المؤمنة له بالمدفعية والطيران.

اما القوة الاردنية المقابلة له فكانت كتيبة واحدة اي نحو ٧٠٠ ضابط وجندي مع ١٢ مدفعاً و٦ رشاشات (الكتيبة الثانية) هذا بالاضافة الى ان الكتيبة المذكورة كانت محرومة من المساندة الجوية لافتقار الجيش الاردني كله لذلك.

بدأ هذا اللواء هجومه على المواقع الاردنية (التل المدور والشيخ جراح) صباح ٦ حزيران فتقدمت وحداته الى اهدافها بمساندة المدفعية

والدبابات ولكن المقاومة كانت عنيفة وضارية حتى ان قائد اللواء المظلي للعدو اعترف بان خسائره كانت جسيمة في هذا الهجوم اذ وصل احد آمري سراياه الى هدفه مع اربعة جنود فقط، ووصل آمر سرية اخرى مع سبعة جنود فقط، كذلك كانت خسائر القوات الاردنية المدافعة جسيمة اذ خسرت السرية المدافعة عن مدرسة الشرطة ١٢٣ قتيلا من اصل ١٤٠ مقاتلا، وخسرت السرية المدافعة عن التل المدور (١٧ قتيلا) والسرية المدافعة عن الشيخ جراح (٢٤) قتيلا، ورغم كل ذلك فقد توصل العدو الى احتلال هذه المواقع كما احتل مناطق المندلبوم والمصراره وباب العمود ومدرسة المطران وغيرها ووصل الى باب الساهرة كما احتل المرتفعات الواقعة شرقي المدينة.

وما ان انتصف ليل ٦ - ٧ حزيران حتى كان العدو يدق اسوار المدينة المقدسة بجنده ومدرعاته، وكان على اللواء المظلي ان يحتل تل (اوغست فيكتوريا) و(جبل الزيتون) تمهيداً لمهاجمة المدينة القديمة.

وفي الساعة ٨،٣٠ من صباح ٧ حزيران تقدم هذا اللواء، مسنوداً بفوجي مدرعات، الى اهدافه، فوجدها خالية من اية مقاومة اذ انسحبت القوات الاردنية منها قبل الهجوم، وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه اصدر قائد اللواء المظلي امره الى اللواء بالهجوم على المدينة المقدسة، قائلا:

"ايها المظليون، نحن اليوم على ابواب المدينة القديمة، ان حلمنا ستحقق ويحق لكم ان تفتخروا بما ستفعلونه" (حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى)، ثم تقدم العدو ليدخل المدينة المقدسة بدباباته وجنده من ابوابها التاريخية القديمة (باب الاسباط وباب الساهرة) دون مقاومة تذكر، وبعد ذلك بدقائق وصل الحاخام الاكبر لجيش العدو وتقدم من حائط المبكى فقبله ثم نفخ في بوق من قرن الثور معلناً لليهود السقوط التاريخي للمدينة المقدسة.

وبعد، هل تعتقد الصهيونية انها مالكة فلسطين والقدس الى الابد؟ وان حرب العرب معها على ارض فلسطين هي آخر حروب بيت المقدس؟ اشك في ذلك، فليس الصهاينة اغبياء ولا مضللين، بل هم يفقهون جيداً منطق التاريخ، ويعرفون جيداً ان صراعهم مع الامة العربية هو صراع وجود لا صراع حدود، وان العرب، مهما طال الزمن، وقسا عليهم وجار، لا بد، الى القدس، وفلسطين، عائدون. انذلك ليس ادعاء ولا تبجحا، انه منطق التاريخ، فالصهيونية، في المشرق العربي، صليبية جديدة، بل انها خلية غريبة في جسمنا القومي المترامي الاطراف، ولابد لهذا الجسم من ان يلفظ تلك الخلية عاجلا ام اجلا.

المراجع

- فتوح البلدان للبلاذري
- تاريخ الرسل والملوك للطبري: الجزء الثالث
- كارثة فلسطين للكولونيل عبدالله التل: الجزء الاول
- معارك العرب الحاسمة لصبحي عبد الحميد
- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي: الجزء الثاني
- حرب حزيران للعميد الركن حسن مصطفى، الجزء الثاني
- تاريخ العرب العسكري لمحمود الدره
- معارك خالد بن الوليد للمقدم ياسين سويد
- قادة فتح الشام ومصر للواء الركن محمود شيت خطاب
- جندي بين العرب للجنرال جون فلوب تعريب دار العلم للملايين
- حروب الاسلام والامبراطورية الرومية لامين سعيد
- فلسطين عبر ستين عاماً لاميل الغوري الجزءان الاول والثاني
- صلاح الدين الايوبي لقدري قلعجي
- الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت
- معارك العرب ضد الغزاة لمحمد عماره
- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب لمحمد العروسي المطوي
- مجلة الهلال: جندالله قادة الانتصارات العربية: ايلول ١٩٧٣
- مجلة الهلال: عدد خاص عن العواصم العربية: ايلول ١٩٧٤



المؤتمر الدولي الثاني
لتاريخ بلاد الشام ١٥١٦ - ١٩٣٩

د. نقولا زيادة

١ ـ مقدمة

■ نشأنا في شبابنا والكتاب العربي الذي يكاد يكون وحيداً عن تاريخ العرب هو "محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية" للمرحوم محمد الخضري (بك). وهذه المحاضرات كان قد القاها المؤلف على طلبة الجامعة المصرية (الاهلية) التي انشئت في القاهرة في مطلع هذا القرن. صحيح انه كان ثمة كتب تناولت بعض الشخصيات الكبرى في التاريخ العربي الاسلامي مثل الجزء الاول من "اشهر مشاهير الاسلام" لرفيق العظم، ولكن الذي نقصده هو الكتاب الذي يتناول التاريخ العربي بكامله، او باطول فترة منه على الاقل.

وبعد فترة طويلة طلع علينا كتاب المرحوم حسن ابرهيم حسن وهو المعروف بتاريخ الاسلام السياسي، والذي طبع طبعات مختلفة ووسع وزيد فيه. واظن ان الاربعينات (ان لم تكن الخمسينات) من هذا القرن شهدت آخر طبعاته.

والطابع الرئيسي لهذين الكتابين ولعدد من الكتب التي ظهرت بينهما او حتى بعد الثاني هو الاهتمام بالناحية السياسية والحربية للتاريخ.

ولكن منذ الحرب العالمية الثانية، دون تحديد السنة، اخذ الباحثون انفسهم بالاهتمام بنواح اخرى من التاريخ العربي الاسلامي. وكان التركيز الاول على الناحية الاقتصادية. وان لم تكن دراسة الدكتور عبد العزيز الدوري عن تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري الدراسة الرائدة في هذه الناحية، فهي من الدراسات الرائدة.

ثم عني الدارسون بالنواحي الاجتماعية والثقافية والفكرية، وظهرت دراسات خاصة ومتخصصة. ومع ان الامر لا يزال في دوره الاول؛ فان الطلائع تبشر بالخير.

على ان الامر الذي يلفت النظر هو هذا الاهتمام الذي تبديه مؤسسات مختلفة في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي. وقد عقدت اجتماعات مختلفة وكونت لجان كثيرة للبحث في هذه القضية. ولسنا نريد ان نتحدث عن هذه الناحية لسببين: الاول ان المجال هنا لا يتسع لذلك، والثاني هو اننا لا نريد ان نضرب مثلا او اثنين حتى لا نسيء الى المؤسسات الاخرى. ولعل الموضوع يحتاج الى بحث واف، وقد يعالج في المستقبل.

هذا الى الاهتمام بالتأريخ لمناطق خاصة من البلاد العربية، والمؤتمرات لذلك كثيرة:

٢ ـ المؤتمر الدولي الاول لتاريخ بلاد الشام

وقد جاء دور بلاد الشام لتكون موضوعا لمؤتمر او اكثر. وكان من ذلك ان عقد هذا المؤتمر (الاول) في الجامعة الاردنية بعمان في المدة بين ٢٠و٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٤، وتناول القرون العشرة الاولى منذ ظهور الاسلام.

والفكرة بحد ذاتها وليدة تفاهم بين قسمي التاريخ في جامعة دمشق والجامعة الاردنية على اساس تعاون مشترك. وكان المؤتمر ناجحا الامر الذي حدا بالمسؤولين الى الاستمرار في عقده.

وكان الاتفاق ان يعقد المؤتمر مرة كل سنتين، ولكن بداء عندما وضع الامر موضع البحث الجدي، ان المدة غير كافية، فضلا عن امور اخرى اخرت انعقاد المؤتمر الثاني.

ولما بدىء بالتفكير في عقد المؤتمر الثاني، وكان ذلك في عام ١٩٧٦، كانت ثمة اقتراحات متعددة، منها ان يكون المؤتمر في عمان ودمشق - ثلاثة ايام لكل منهما. واخيرا رؤي ان التنظيم والترتيب والتنفيذ تقتضي ان يكون المؤتمر في مكان واحد. وكان ذلك من حق دمشق وجامعتها.

وكما كانت الجامعة الاردنية المؤسسة المضيفة للمؤتمر الاول، كانت جامعة دمشق المؤسسة المضيفة للمؤتمر الثاني.

٣ - الترتيب لعقد المؤتمر الثاني

مما يسر كل عربي ان يأتي عقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام تعبيرا عن الاتفاق بين القطرين الشقيقين (سورية والاردن) على توثيق التعاون بينهما، بحيث ان المؤتمر جاء ترجمة عملية عن اتفاق توأمة بين جامعة دمشق والجامعة الاردنية.

وقد اتخذ الاعداد لعقد المؤتمر خطوات يجدر بنا ان نشير اليها هنا.

١ - الاتفاق نهائيا على ان يعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق - كلية الآداب - في المدة بين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) و٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ (٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨ - ٣ المحرم ١٣٩٩).

٢ - حددت الاطر العامة لموضوعات المؤتمر كما يلي:

أ - الفترة التي يتناولها المؤتمر هي ١٥١٦ - ١٩٣٩.

ب - تدرس في المؤتمر مصادر تاريخ بلاد الشام الحديث والمعاصر وبخاصة غير المنشورة من مخطوطات ووثائق ومذكرات.

ج - توجه العناية الى دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لبلاد الشام.

د - يعنى بالعلاقات الدولية لبلاد الشام.

٣ - سمي اعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بموجب قرار السيد وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية ذي الرقم (١٦/د) تاريخ ١٩٧٨/١/١٦ وهي مؤلفة من السادة

السيد الدكتور مصطفى حداد
رئيس جامعة دمشق - رئيسا
السيد الدكتور اسعد لطفي
وكيل جامعة دمشق - نائبا للرئيس



منظر عام لجلسة الافتتاح

السيد الدكتور احسان النص
عميد كلية الآداب – عضوا
السيد الدكتور احمد طربين
رئيس قسم التاريخ – عضوا
السيد الدكتور محمد خير فارس
الاستاذ في قسم التاريخ – عضوا
السيدة الدكتورة ليلى الصباغ
الاستاذة في قسم التاريخ – عضوا
السيد الدكتور نبيل المرابط
الاستاذ في قسم التاريخ – عضوا
السيدة الاستاذة دعد طائع
مديرة الدراسات في وزارة التعليم العالي – عضوا
السيدة الاستاذة عفاف سكر
مديرة الشؤون الثقافية بجامعة دمشق – عضوا
السيد الاستاذ عدنان الرفاعي
امين المجلس الاعلى للعلوم – عضوا

وقد مثل الجامعة الاردنية في اللجنة التحضيرية الدكتور علي محافظة

وجدير بالذكر ان الدكتور احمد طربين كان في الواقع الامين العام للمؤتمر، ولولبه الفعال.

٤ – وجهت الدعوات لحضور المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام على اساس الاختصاص والاهتمام ببلاد الشام. وكانت الدعوات شخصية. فالذين حضروا المؤتمر لم يكونوا يمثلون بلادهم ولا المؤسسات التي يعملون فيها.

٥ – عمل الذين قاموا بترتيب واعداد البرامج وتنفيذها جهدهم لانجاح المؤتمر. ويتمثل هذا في الامور التالية (على سبيل المثال)

ا – ترجمة الدراسات والبحوث التي قدمت باللغتين الانكليزية والفرنسية الى اللغة العربية.

ب – بذل الجهد في توزيع البحوث قبل يوم من تقديم اصحابها لها.

ج – نقلت بعض البحوث التي وضعت بالعربية ونحسب ان الباقي قد نقل اوسينقل الى اللغة الانكليزية، تيسيرا للعلماء الاجانب، الذين لا يعرفون العربية، لمتابعة المناقشة.

٤ – المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (١٥١٦ – ١٩٣٩)

لبى دعوة اللجنة التحضيرية للمؤتمر نيف وسبعون عالما وعالمة من مختلف اقطار العرب والعالم. ان بعض هؤلاء لم يقدموا دراسات، (والبعض لم يتمكن من المجيء في آخر لحظة) ولكن اللجنة "استوحت في جميع الدعوات التي وجهتها تحقيق لقاء فكري وعلمي مع الدارسين المتخصصين العرب وغير العرب بصدد ما يطرح



د. شاكر الفحام

على بساط البحث التاريخي من قضايا ومشكلات تهدف في النهاية الى جلاء صفحات مجهولة من تاريخ بلاد الشام". والواقع ان حتى الذين لم يقدموا بحوثا قد اسهموا في المناقشات. ولا يقل عن ذلك اهمية في رأينا القضايا التي كانت تثار على موائد الطعام او في صالات الفنادق. فما اكثر ما جلت هذه اللقاءات غامضا، واوضحت فكرة، واثارت جدلا.

اما البحوث التي قدمها اصحابها ونوقشت فعلا فقد زاد عددها عن الخمسين. واذا نحن استثنينا بحثا واحدا فجميع البحوث والدراسات التي قدمت كانت ضمن الاطر التي رسمتها اللجنة التحضيرية. (الموضوع المستثنى كان عن علاقة الاندلس بسورية في القرن الثاني الهجري، ويبدو ان تسمية المؤتمر بالثاني ادى الى هذا اللبس!)

وقد امكننا ان نقسم الموضوعات على النحو التالي، وان كنا واثقين من انه من الصعب ان يصل المرء الى تقسيم دقيق لمثل هذا العدد من الموضوعات والدراسات.

١ – الموضوعات الاقتصادية	١٠
٢ – البحوث الاجتماعية	١٠
٣ – الدراسات الثقافية	٩
٤ – الدراسات السياسية	١٨
٥ – متفرقات	٤
المجموع	٥١

والمتفرقات كان فيها شيء طريف، منها فلم "ضمت فيه صور قديمة لبلاد الشام تعود في تصويرها الى النصف الثاني من القرن الماضي.



د. مصطفى حداد

وقد عرض الفلم مع وصف ناطق للاستاذ كارني غافن من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة. والصور تمثل البتراء وجرش وبعض مناظر مدينة دمشق. والصور مختارة من نحو ٣٠٠٠٠٠ موجودة تحت تصرف الاستاذ غافن.

٥ ـ برنامج المؤتمر

كانت حفلة الافتتاح في صباح يوم الاثنين ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨، التي القيت فيها كلمات للسيد رئيس الجمهورية العربية السورية، حافظ الاسد، وكلمة للسيد وزير التعليم العالي (الدكتور شاكر الفحام) وكلمة لممثل رئيس المؤتمر الاول (وقد كان رئيس المؤتمر الاول في عمان سمو الامير حسن، ولي عهد الاردن) والقى الكلمة الدكتور ناصر الدين الاسد رئيس الجامعة الاردنية، وكلمة رئيس اللجنة التحضيرية الدكتور مصطفى حداد.

وعقدت بعد ذلك احدى عشرة جلسة علمية، وكانت البحوث تقدم في قاعة واحدة، مما ادى الى ضرورة تقديم عدد كبير من البحوث في وقت قصير. وكان ثمة جلسة ختامية.

وكان لكل جلسة رئيس ومقرر.

وقد رتبت زيارات ذات قيمة ثقافية ووطنية شملت الاماكن التالية (نذكرها حسب ورودها في البرنامج)

١ ـ المتحف الوطني (حيث عقدت جلسة الافتتاح)
٢ ـ المتحف الحربي وسوق المهن اليدوية
٣ ـ كلية السلطان سليم
٤ ـ الجامع الاموي
٥ ـ متحف التقاليد الشعبية
٦ ـ ضريح صلاح الدين
٧ ـ متحف الخط العربي
٨ ـ المدرسة العادلية الكبرى.
٩ ـ مدينة القنيطرة
١٠ ـ دير صيد نايا ومنطقة معلولا
١١ ـ كنيسة حنانيا ونافذة القديس بولس
١٢ ـ مقام السيدة زينب
١٣ ـ زيارة لعمان بدعوة من الجامعة الاردنية

وكان ثمة دعوة كريمة للعشاء يوم الافتتاح وهي دعوة السيد رئيس الجمهورية. كما دعا وزير التعليم العالي الى حفلة عشاء ختامية (٢ كانون الاول ـ ديسمبر ـ ١٩٧٨) وزعت فيها شهادات تقدير وهدايا دمشقية على الاعضاء.

وقد استمتع الاعضاء بحضور حفلة فنية اقامتها فرقة امية. وكانت الدعوة من السيدة وزيرة الثقافة والارشاد القومي.

٦ ـ المقررات والتوصيات

وفي ما يأتي نص المقررات والتوصيات التي اصدرها المؤتمر:

انعقد المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام بمدينة (دمشق) من ٢٧ ذي الحجة ١٣٩٨هـ ـ الثالث من محرم ١٣٩٩هـ الموافق لـ٢٧ من تشرين الثاني حتى ٣ كانون الأول ١٩٧٨. وقد شارك في المؤتمر خمسة وسبعون مؤرخا وباحثا، من بلاد الشام، ومن المؤسسات العلمية العربية والعالمية.

وقد عقد المؤتمر اثنتي عشرة جلسة، استمع خلالها للبحوث التي قدمت له، والتي تربو على خمسة وخمسين بحثا. وقد عالجت تاريخ بلاد الشام في الحقبة الممتدة بين دخول العثمانيين الى بلاد الشام (٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م)، وبدء الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م) وقد بحثت بصفة خاصة، الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، وعلاقات بلاد الشام مع الأقطار العربية، ومع بلدان العالم، ولاسيما الأوروبية منها، وتعرضت لبعض القضايا السياسية وربطها مع جذورها الاجتماعية والاقتصادية، المحلية والعالمية، كما خصت بعض مصادر البحث بالدراسة مع بيان قيمتها في ايضاح صورة الماضي. وقد ناقش المؤتمرون تلك البحوث بروح علمية وموضوعية، كما تداولوا في شؤون المؤتمر بعامة، وفي نتائج تلك البحوث، وتوصل المؤتمر بعد المناقشة والمداولة الى المقررات الآتية:

١ ـ كانت البحوث المقدمة للمؤتمر، والمناقشات التي رافقتها، خصبة ومفيدة: فقد كشفت عن جوانب غامضة من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والدولي لبلاد الشام، وأثارت قضايا هامة تتطلب بحثا واستقصاء أعمق للوصول الى حقيقة وقائعها.



براءة تقدير

بناء على قرار اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثاني
لتاريخ بلاد الشام يمنح السيد
هذه البراءة تقديراً لجهوده في البحث الذي قدمه للمؤتمر
دمشق في ٢ / ١٢ / ١٩٧٨

رئيس المؤتمر
وزير التعليم العالي
الدكتور شاكر الفحام

☐ صورة من "براءة تقدير" قدمتها وزارة التعليم العالي وجامعة دمشق لجميع الذين قدموا دراسات للمؤتمر

٢ ـ أثبتت تلك البحوث التاريخية بمنهجية علمية دقيقة، ان بلاد الشام حتى عام ١٩٢٠ وقبل تمزيقها الى وحدات سياسية منفصلة وتسلل العنصر الصهيوني الدخيل الى جنوبها (فلسطين) انها وحدة تاريخية مثلما كانت وحدة طبيعية عبر جميع العصور العربية الاسلامية ·

٣ ـ اكدت ان علاقات بلاد الشام مع بقية البلاد العربية، هي علاقات وحدة حضارة عربية واحدة واصيلة، لم تنفصم عبر العصور، وانها علاقات امة عربية واحدة، بل وحدة سياسية موحدة ·

٤ ـ ابرزت ان الشعب العربي في بلاد الشام، على الرغم من بعض الصراعات الاجتماعية بين فئاته في بعض فترات تلك المرحلة، وشأنها كشأن أية صراعات داخلية في اي مجتمع من المجتمعات، هو وحدة ملتحمة واحدة، تسود صلات افراده وفئاته، روح اخاء وحب وسلام، طالما أن العناصر الاجنبية لا تتدخل في شؤونه ·

٥ ـ اوضحت ان صلات بلاد الشام مع مختلف اجزاء العالم الاوروبي كانت صلات تجارة وسلام واخذ حضاري وعطاء، طالما ان ذلك العالم الاوربي، بدوله المختلفة، كان يريد السلام والحضارة، وعدم التسلط والاستغلال ·

٦ ـ أكدت ان الصهيونية عنصر دخيل على بلاد الشام، اتخذ لنفسه مكانا غير شرعي فيها، ويعلن المؤتمر عن تضامنه مع الشعب العربي الفلسطيني وعن تمسكه بتنفيذ قرارات الامم المتحدة في الجلاء عن الأراضي العربية المحتلة، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الوطنية بما في ذلك حقه في اقامة دولته المستقلة ·

٧ ـ يتوجه المؤتمر بنداء حارّ الى اليونيسكو والهيئات التاريخية العالمية، ويناشدها حماية التراث العربي والحفاظ على الطابع العربي في المعالم التاريخية والدينية في فلسطين والقدس ·

التوصيات

١ ـ يقدم اعضاء المؤتمر خالص شكرهم وتقديرهم باسم جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية وبلدانهم الى سيادة الرئيس حافظ الاسد، على رعايته لهذا المؤتمر، ويعربون عن شكرهم للحكومة العربية السورية وكافة مؤسساتها على ما قدمته من عون ومساعدة ويشكرون جامعة دمشق لكل ما بذلته من جهد لانجاح هذا المؤتمر ·

٢ ـ يقترح المؤتمر ان يكون التركيز في المؤتمرات القادمة لتاريخ بلاد الشام على بحث فترة زمنية محددة لا تجاوز القرن او القرنين، حتى يكون البحث أدنى الى الوفاء بمتطلبات البحث العلمي المجدي، أو علىّ بلد من بلاد الشام يدرس تاريخه في نواحيه المختلفة السياسية والحضارية على امتداد عصور التاريخ ·

٣ ـ ان توجه البحوث التاريخية توجيها اكبر نحو دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية وبالطرق العلمية الدقيقة، المعتمدة على الأصول الاولى، والمدعمة بالاحصاءات والخطوط البيانية، والخرائط، وان يفرد للمرأة دراسات خاصة ·

٤ ـ أن تسلط أضواء أقوى على بحث علاقات بلاد الشام مع بلدان العالم المختلفة، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ·

٥ ـ أن تكون المظاهر الثقافية، وتطور العلوم والمعارف المختلفة، في بلاد الشام، محورا من محاور البحوث التاريخية وكذلك تطور عمران المدن فيها ·

٦ ـ أن ينمى الاعتماد في مختلف البحوث التاريخية على الاصول الوثائقية في دور المحفوظات العربية والعثمانية والأوروبية، وعلى المخطوطات العربية المعاصرة للحقبة المدروسة، التاريخية منها وغير التاريخية ·

٧ ـ ان يتعاون المؤرخون والبحاثة العرب العاملون في تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة، على تكوين مركز توثيق لهذا التاريخ، ويرجو المؤتمر أن يحظى هذا المشروع بدعم مالي كاف من الحكومات المعنية ·

مهام المركز

ويكون من مهام هذا المركز الامور التالية:

آ ـ جمع نسخ مصورة من مختلف الوثائق المخطوطة المتعلقة بتاريخ بلاد الشام خلال العصور الحديثة والمبعثرة في مختلف دور المحفوظات، والمكتبات العربية والأجنبية، وكذلك جمع نسخ من المنشور منها ·

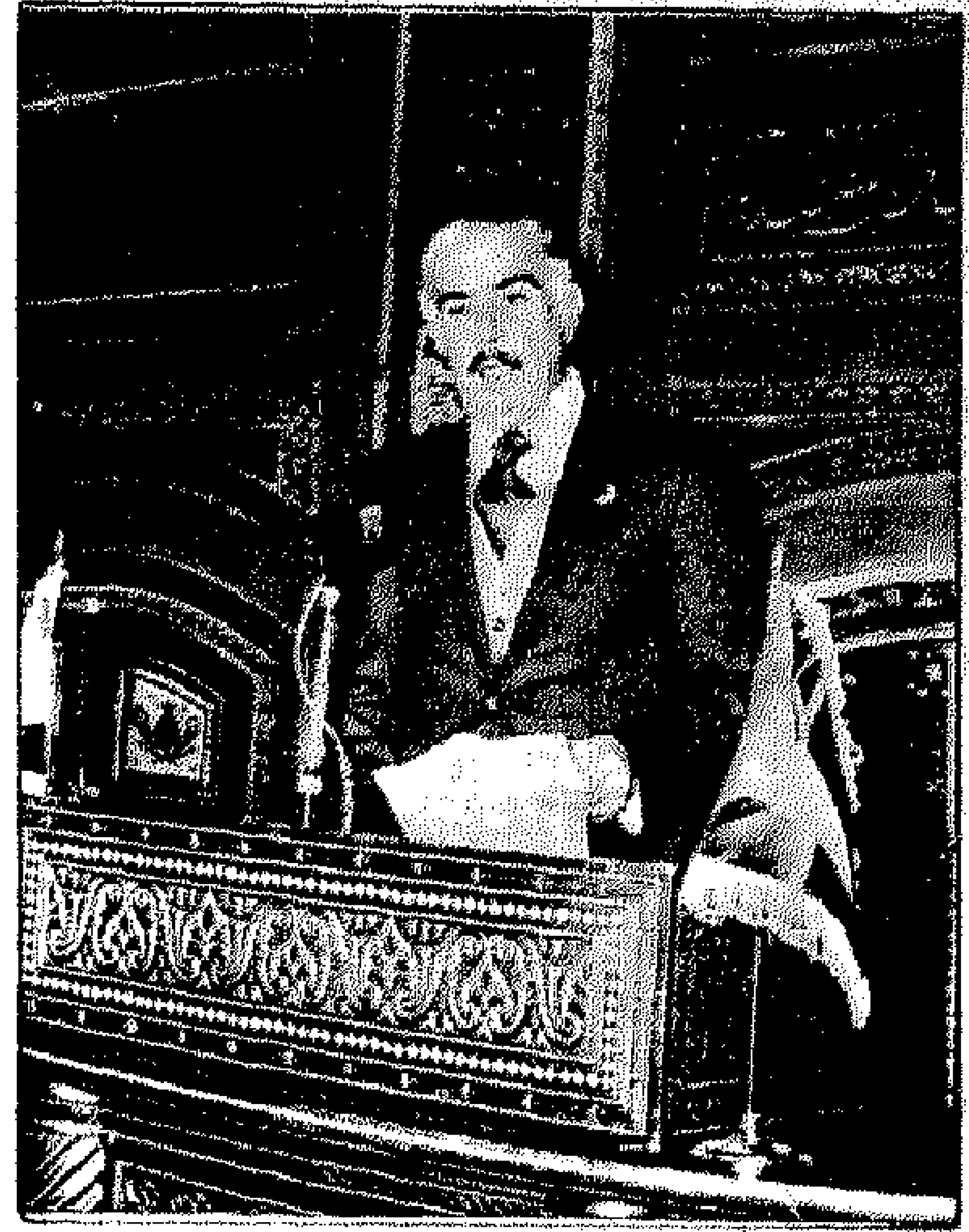
ب ـ تأسيس مركز خاص للتوثيق في عاصمة من عواصم بلاد الشام، لتسهيل سبل البحث في تاريخ هذه البلاد ·

جـ ـ اصدار "بيبليوغرافيا" (فهرس عام) لجميع مصادر تاريخ بلاد الشام في العصور الحديثة: من وثائق في دور المحفوظات المختلفة، ومخطوطات عربية موزعة في مكتبات العالم، ومطبوعات عربية واجنبية قديمة وحديثة، وصور متنوعة، وأشرطة تسجيل، وأفلام وغيرها · وان تصنف تلك البيبليوغرافيا العامة التصنيفات المتنوعة التي تساعد على تسهيل البحث في جميع نواحي تاريخ بلاد الشام ·

د ـ السعي لنشر أكبر قدر من تلك المصادر المحفوظة مرفقة بالشروح ·

هـ ـ وضع أطلس تاريخي جغرافي مفصل لبلاد الشام ·

و ـ تشجيع ترجمة الوثائق الأجنبية الهامة الى العربية ونشرها ·



د. شاكر فحام

ز ـ التعاون مع مختلف هيئات التوثيق في العالم، والسعي لديها لتسهيل سبل الحصول على وثائقها بشروط مشجعة للباحث في تاريخ بلاد الشام.

ح ـ السعي لدى اليونيسكو كي يتم الحصول على صور من الوثائق المحلية في فلسطين، أكانت وثائق المحاكم الشرعية فيها أو أرشيفات الدولة ما بين الحربين العالميتين وحتى ١٩٤٨.

ط ـ القيام باتصالات مع جميع الهيئات التاريخية العالمية، والمؤرخين العاملين في حقل تاريخ بلاد الشام لتزويد مكتبة مركز التوثيق المقترح بجميع منشوراتهم، حتى تبقى الصلة قائمة بين العاملين في هذا الحقل الواحد، ومعرفتهم بالجديد فيه.

ي ـ تنمية الوعي التوثيقي التاريخي لدى الطلاب في جميع مراحل التعليم، ولدى مجموع الشعب، بشتى الوسائل الاعلامية.

٨ ـ أن تتم طباعة بحوث هذا المؤتمر ونشرها. ومن شاء من الباحثين أن ينقح بحثه، يتوجب عليه أن يرسله الى أمانة سر المؤتمر بتاريخ أقصاه ١٩٧٩/٤/١٥ والا اعتبر البحث المقدّم للمؤتمر صالحاً للطباعة والنشر.

٧ ـ البحوث التي قدمت ونوقشت

١ ـ د. خليل ساحلي (جامعة استانبول)
تغير طرق التجارة والتنافس بين ميناءي طرابلس والاسكندرونة في القرن السابع عشر

٢ ـ د. ظافر القاسمي (الجامعة اللبنانية)
المظاهر الاجتماعية في كتاب قاموس الصناعات الشامية.

٣ ـ د. مصطفى محمد رمضان (جامعة الأزهر ـ القاهرة)
رواق الشام بالأزهر أبان العصر العثماني.

٤ ـ أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (جامعة الكويت)
المجتمع الشامي في العصر العثماني بين العصور الوسطى والجديثة.

٥ ـ د. نشأة حمارنة (جامعة دمشق)
الاطباء العرب في القرن السادس عشر

٦ ـ أ ـ أ.د ليلى الصباغ (جامعة دمشق)
وثيقة عربية شامية من القرن التاسع الهجري حول الصناعة النسيجية والنساج.

٦ ـ ب ـ أ.د ليلى الصباغ
المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الاثر

٧ ـ د. عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم (جامعة قطر)
علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)

٨ ـ د. ناصر الدين سعيدوني (جامعة الجزائر)
نظرة في اراضي الميري ببلاد الشام اثناء العهد العثماني

٩ ـ د. عبد الله حنا (دمشق)
تحركات العامة في دمشق وحلب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

١٠ ـ د. أحمد عوني ماضي (الجامعة الأردنية)
الملامح الاساسية لفلسفة شبلي شميل المادية.

١١ ـ د. تاج السر أحمد حران (جامعة الخرطوم)
دور السوريين في الحركة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩١٤

١٢ ـ د. علي محافظة (الجامعة الأردنية)
التيارات السياسية في فلسطين في القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٢٥

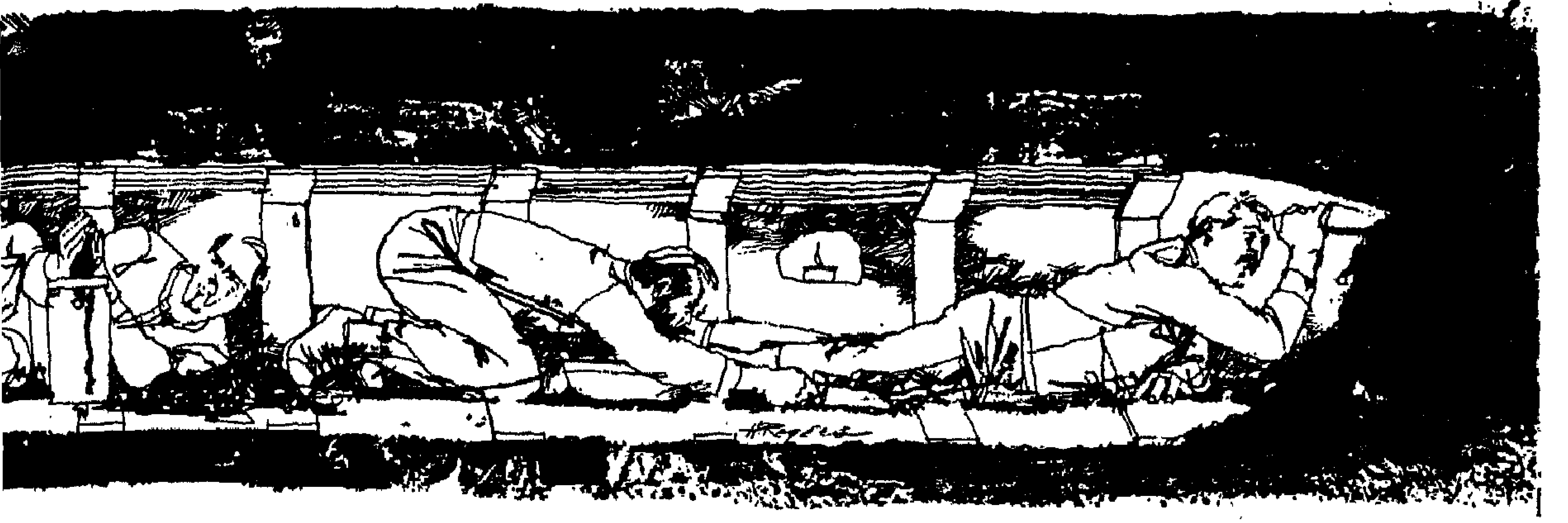
١٣ ـ د. عصام الصفدي (الجامعة الاردنية)
رسائل الى الغرب. الرحالة الانكليز في بلاد الشام

١٤ ـ أ.د. أحمد طربين (الجامعة السورية)
الحياة العلمية والثقافية في بلاد الشام ابان القرن التاسع عشر من خلال "حلية البشر"

١٥ ـ السيد سليمان موسى (الاردن)
محب الدين الخطيب

١٦ ـ أ.د. عبد الجليل التميمي (الجامعة التونسية)
الامير عبد القادر في السنوات الاربع الاولى من اقامته في دمشق (١٨٥٦ ـ ١٨٦٠)
١٧ ـ د. مصطفى كريم (الجامعة التونسية)
المنافسة الامبريالية الفرنسية الانكليزية والاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان
١٨ ـ أ.د. نقولا زيادة (استاذ شرف، قسم التاريخ، الجامعة الاميركية، بيروت)
لبنانيون درسوا بالأزهر في القرن التاسع عشر
١٩ ـ د. ذوقان قرقوط (جامعة دمشق)
الوثائق الفرنسية عن سوريا (١٨٩٠ ـ ١٩٢٩).
٢٠ ـ خيرية قاسمية (جامعة دمشق ومعهد البحوث والدراسات في القاهرة)
قضية الحدود بين فلسطين ومصر (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) وآثرها في جذور الصراع العربي الصهيوني
٢١ ـ د. وجيه كوثراني (الجامعة اللبنانية)
مشاريع السيطرة والتجزئة في بلاد الشام من خلال أرشيف الخارجية الفرنسية
٢٢ ـ د. محمد الشعفي (الرياض)
علاقة الدولة السعودية الاولى بالشام (لم يحضر)

٢٣ ـ د. سامي حمارنه (معهد سمستونيان ـ وشنطن ـ الولايات المتحدة)
الزراعة من خلال مخطوطة الغزى
٢٤ ـ د. كمال عبد الفتاح (جامعة بيرزيت)
التنظيم المالي والانتاجية الاقتصادية لألوية بلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر
٢٥ ـ د. مسعود ضاهر (الجامعة اللبنانية)
التطور التاريخي للمسألة الطائفية في لبنان
٢٦ ـ د. جهاد مجيد محي الدين
المقاومة العربية في بلاد الشام وجمال باشا
٢٧ ـ أ.د. اندريه ريمون
تطور مدينة حلب في القرن السادس عشر
٢٨ ـ د. بدرو شالميتا
السوريون والاندلس
٢٩ ـ د. ضحى شطي
توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم
٣٠ ـ د. مانولا مارين، المعهد الاسباني العربي للثقافة في مدريد
العلاقات بين اسبانيا والمشرق خلال القرن الثامن عشر
٣١ ـ أ.د. ارجمند كوران جامعة (هاجي تايه انقره)
ساطع الحصري كمثقف عثماني.
٣٢ ـ أ.د. كارني غافان (جامعة هارفارد)
مشاهد من الصور في الماضي القريب لبلاد الشام (١٨٠٠ ـ ١٩٤٠)
٣٤ ـ أ.د. الكسندر شولش (جامعة اسن، المانية الاتحادية)
التطور الاقتصادي لفلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
٣٥ ـ أ.د. ستيفن وايلد (جامعة بون)
دمشق في القرن الثامن عشر من خلال مذكرات البديري
٣٦ ـ أ.د. بيتر غران. (جامعة اوستن، تكساس)
الاسس الاجتماعية للثقافة في دمشق
٣٧ ـ أ.د. ماريو غرينياشي (السمنار العربي ـ البندقية)
الاقطاع التركماني. في دول ـ قادرية
٣٨ ـ د. جورج خوري (جامعة مينذوتا ـ الولايات المتحدة)
المصادر العربية لتاريخ دمشق في اوائل القرن التاسع عشر
٣٩ ـ أ.د. نجاة غوينك (جامعة استانبول)
بعض الوثائق عن بلاد الشام في الارشيفات العثمانية
٤٠ ـ أ.د. روبرت مانتران (جامعة بروفانس، فرنسة)
حول النقوش العثمانية لدمشق
٤١ ـ أ.د. فريتز شتيبات (جامعة برلين الحرة)
تغلغل المفاهيم السياسية والاجتماعية الدنيوية (العلمانية) في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
٤٢ ـ د. ليندا شيلشر (معهد التاريخ الاوروبي، ماينز)
جوانب الوضع العام في أواخر القرنين الثامن عشر والتاسع عشر
٤٣ ـ شيري فاتر (مرشحة دكتوراه ـ جامعة كليفورنيا)
فائدة وثائق البيع في كتابة تاريخ دمشق في القرن التاسع عشر.
٤٤ ـ أ.د. دور.
تواح من التفسيرات الحديثة لتاريخ الشرق الاوسط
٤٥ ـ السيد ميشال سورات (المعهد الفرنسي في دمشق)
دور مدينة ليون في اقرار الانتداب الفرنسي في سوريا
٤٦ ـ أ.د. قيصر فرج (جامعة مينذوتا)
أثر التحالف الرباعي على الاصلاحات الادارية المقترحة في سوريا
٤٧ ـ د. وولف هاتروت (جامعة ارلانغن ـ المانية الاتحادية)
التنظيم المالي للمناطق المتاخمة للصحراء في القرن السادس عشر
٤٨ ـ د. أحمد عبد الرحيم مصطفى (جامعة الكويت)
لجنة ـ كينغ ترين
٤٩ ـ د. رياح ابو حيدر (الجامعة اللبنانية)
اهمية الاوراق الخاصة في البحث التاريخي ■



شهادة من الحرب العالمية الثانية

الهروب من معسكر (ستالاغ لافت ٣)

ترجمة واعداد "قسم الدراسات"

■ شكلت عملية الهروب الكبير من معسكر الاعتقال النازي "ستالاغ لافت ٣" خلال الحرب العالمية الثانية ملحمة رائعة من ملاحم العمل السري المناهض للهتلرية.

وقد دخلت هذه العملية التاريخ من بابه الواسع، فمجدتها ادبيات الكتاب في انحاء عديدة من العالم وصورت عنها افلام كان اشهرها فيلم "الهروب الكبير" «The Great Escape» الذي كان الصورة الاقرب الى الحقيقة عما جرى في مكان ما من المانيا الهتلرية خلال الفترة بين ربيع ١٩٤٣ وربيع ١٩٤٥.

لكن لم يتسن لجيلنا العربي الحالي الاطلاع الكامل على هذه الملحمة البطولية التي نشرت تفاصيلها بالصور والرسوم والوثائق بعد سنة واحدة فقط من انتهاء الحرب، لذلك كان لابد من العودة الى الملفات القديمة لنقل وقائع هذه العملية في اطارها التاريخي واسلوبها العفوي الحي.

الضابط بول بريكهيل من سلاح الجو الاسترالي كان احد هؤلاء الابطال، روى تفاصيل ما حصل الى مندوب مجلة "ريدرز دايجست" في العام ١٩٤٦، ومن يومها اصبح بريكهيل اديباً معروفاً على نطاق واسع في العالم مما شجعه على تأليف اكثر من قصة حول الموضوع نفسه نذكر منها: "الانطلاق نحو السماء" و"اهرب او مت"...

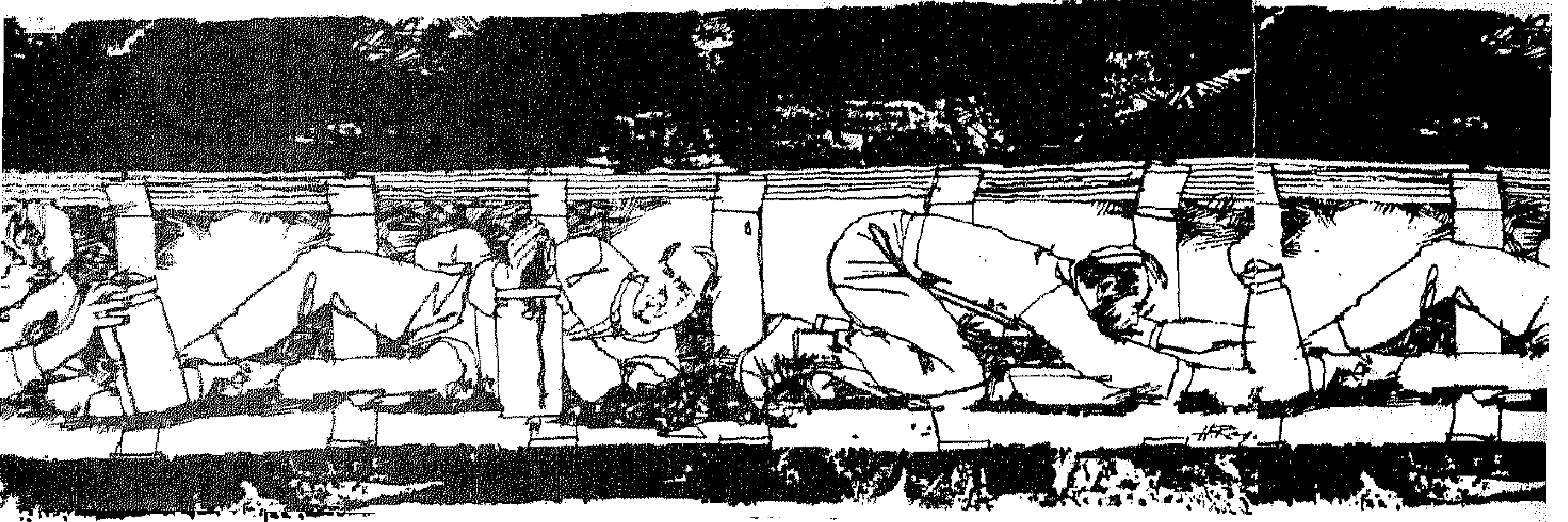
واعادت المجلة نشر مذكرات بريكهيل هذه ضمن كتاب ضخم احتوى على مختارات من اهم مقالات المجلة وتحقيقاتها خلال سنوات الحرب، صدر الكتاب في العام ١٩٦٣ بعنوان: "اسرار وقصص من الحرب".

★ ★ ★

يقع معسكر "ستالاغ لافت ٣" في منطقة ساغان، في الطريق الوسط بين برلين وبريسلو. واحتجز فيه في الفترة بين ربيع ١٩٤٣ وربيع ١٩٤٥ عشرة آلاف طيار حربي من عدة جنسيات اوروبية واميركية، لكن معظمهم كان يومها من سلاح الجو البريطاني.

في نيسان ١٩٤٣ جرى توسيع المعسكر باضافة ثكنة جديدة نقل اليها ٧٠٠ من افرادنا. وكان المعتقلون الذين عملوا في ورشة الثكنة الجديدة درسوا في عناية موقعها الطوبوغرافي وحددوا المساحات في كل الاتجاهات.

من اهم مميزات الموقع الجديد انه محاط من



الجهات الاربع بالغابات الكثيفة من شجر الصنوبر مما يسهل عملياً الفرار عبر الانفاق الذي كان يومها مجرد مشروع قيد التحضير في اذهاننا.

منذ الايام الاولى لانتقالنا الى المعسكر الجديد أنشأنا تنظيماً سرياً عرف بـ X هدفه تأمين الفرار لاكبر عدد ممكن منا. ترأس التنظيم الطيار روجر بوشيل الذي عمل محامياً في لندن قبل التحاقه بسلاح الجو البريطاني. وكان بوشيل خبيراً في مجال الانفاق، فهو نظم عمليتي فرار رائعتين في السابق استطاع خلال احداهما ان يصل الى حدود سويسرا حيث اعتقل من جديد.

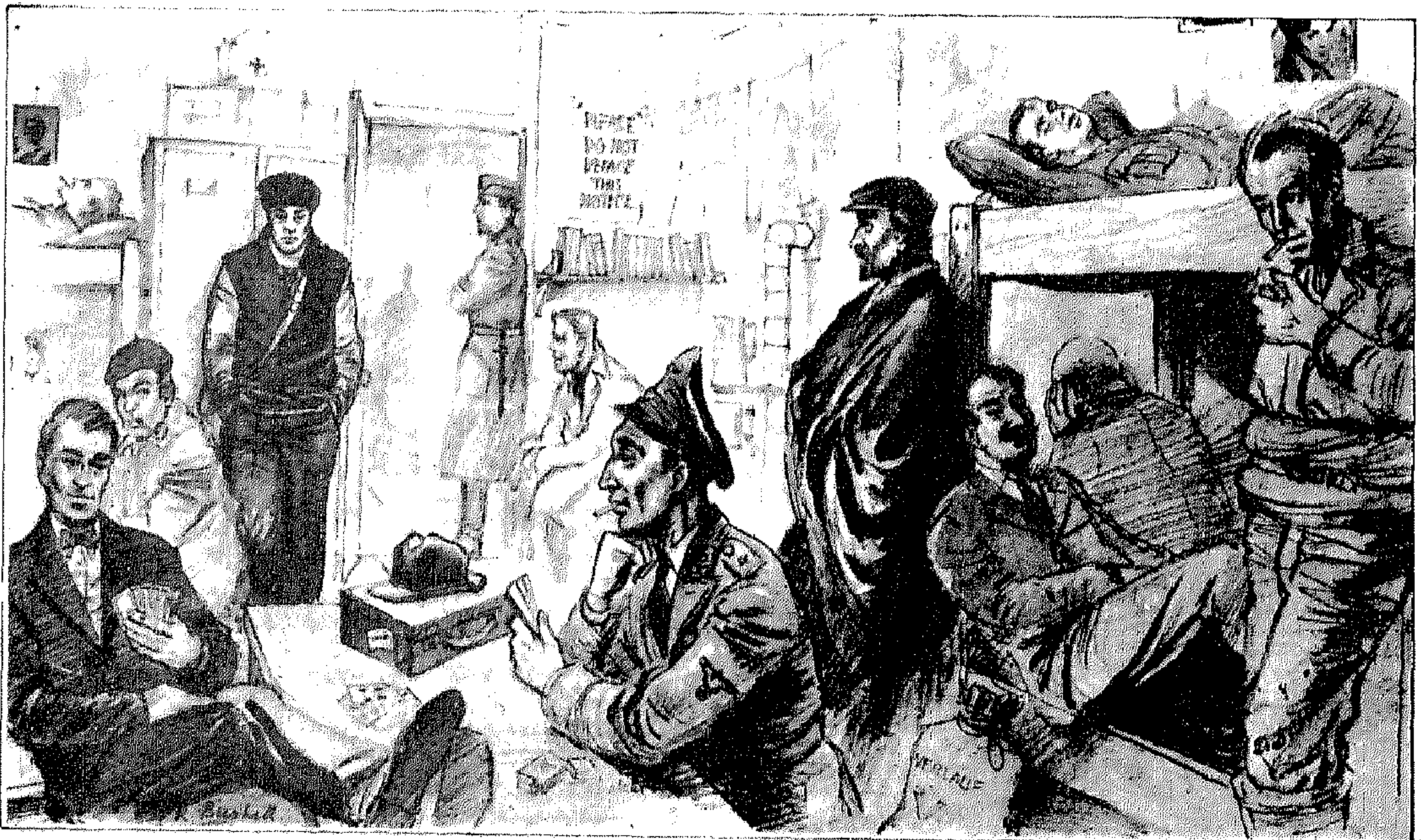
فرقة رياضية.. وانفاق

في بادىء الامر بدأنا بتوزيع نشرات تدعو لانشاء فرقة رياضية. وكانت النشرات التي كتبت باليد ممهورة بشعار "X الكبير". ففهم الجميع هدف الدعوة ووافق فوراً ٥٠٠ معتقل على النداء.

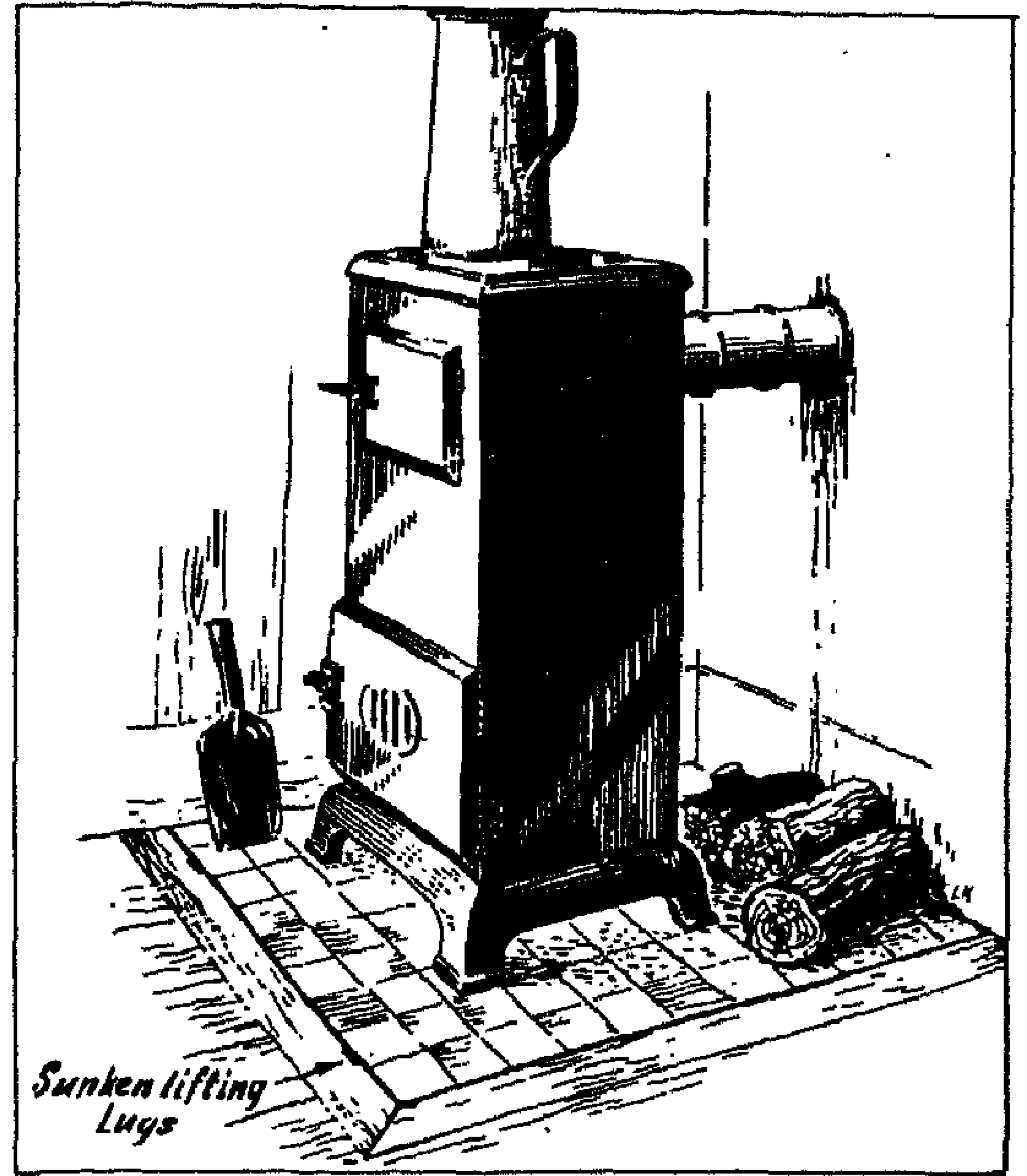
قررنا حفر ٣ انفاق "توم" و"ديك" و"هاري" تحسباً لاكتشاف احدها. كما تجنبنا استخدام تعبير "نفق" في احاديثنا اليومية خوفاً من لفت انتباه السجانين وخصوصاً الذين يتنصتون خلسة من خلف الابواب.

كان نفق "ديك" يشكل احتياطاً لنا في حال اكتشاف "توم"، او في احسن الاحوال يؤمن رديفاً لهذا الاخير في حال نجاحنا من خلاله.

نقطة بدء الحفر كانت انطلاقاً من داخل تخشيباتنا التي كانت الواحدة منها بطول ١٠٠ قدم وتحتوي على زوايا ضيقة للنوم وحمام ومطبخ صغير. وكان النازيون قد بنوها مرتفعة حوالي قدم عن الارض بهدف تأمين مراقبة مستمرة علينا من تحت، اضافة الى المراقبة العادية، وذلك لمنعنا حتى من التفكير بحفر الانفاق التي كانت عملية رائجة في كل معسكر الماني للاعتقال.



■ الاستعداد لساعة الصفر



■ المدخل السري لنفق "هاري": تحت الموقد
ص٢٩٣ - فوق

شكلنا ٣ فرق، كل واحدة منها بقيادة احد الضباط المتخصصين في حفر انفاق الحرية. وشارك في الاعمال المساندة والمكملة لها الخياطون لحياكة ثياب الحفر وملابس الفرار على انواعها، والفنيون والخطاطون لتزوير المستندات واوراق الهوية اضافة الى الخرائط المختلفة. كما وظفنا كل من يتكلم الالمانية بمهمة استمالة الحراس السذج لصرفهم عن تشديد مراقبتنا اثناء الحفر او استخدامهم، عند الحاجة، لجلب ما كان ينقصنا من معدات واغراض لا يمكننا توفيرها بوسائلنا الخاصة. وكان اسلوبنا في استقطاب بعض الحراس الذين كانوا في الواقع يساعدوننا رغماً عنهم، يتلخص في تقديم بعض الهدايا التي تأتينا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لهم. وكلما حصل الحارس على هدية جديدة، مخالفاً بالطبع قوانين المعسكر الصارمة في هذا المجال، كلما كانت طلباتنا تزداد. وهو لا يستطيع ان يرفض تلبية اي منها لئلا نفضح مخالفته تلك.

اما المعتقلون الآخرون فكانوا يقومون اما بتصريف التراب المتجمع من عمليات الحفر او بمراقبة تحركات الحراس مراقبة دقيقة الى درجة كنا نحسب انفسنا نحن السجانين وهم المسجونون.

وهكذا، وبعدما تأكدنا من سلامة جهازنا الامني والخدماتي، كان لابد من السير حثيثاً في الحفر. ولكن من اين ننطلق؟ ثغرة صغيرة أهملها العدو كانت مفتاح العملية بأكملها: ففي كل تخشيبة كانت التجهيزات الخاصة بالموقد على احتكاك مباشر بالارض مما يسمح لنا بالحفر من غير ان نلفت انتباه من يراقبنا من تحت.

ويبدو ان العدو عندما بنى المعسكر لم يتصور أن بمقدور ارادة بشرية صنع المعجزات من خلال ثغرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها قدمين مربعين.

كانت الخطوة الاولى في مسيرة الالف ميل انشاء مداخل سرية للانفاق يسهل فتحها واغلاقها وتكون مموهة في شكل لا يرقى اليه الشك، منعاً لاكتشافها في فترات غارات التفتيش المفاجئة والمتواصلة ليلا نهاراً.

ادق مهمة واجهتنا كانت مسألة تحديد الاتجاهات والمسافات والزوايا وقياسها في صورة أقرب ما تكون الى الواقع لئلا يوصلنا النفق في نهاية المطاف الى منفذ مكشوف للعدو. وبما ان جهازنا الامني كشف عن امتلاك العدو لمعدات تنصت تستطيع ذبذباتها ان تلتقط عن عمق ٢٥ قدماً، لذلك كان لابد من حفر حفرة عمقها ٣٠ قدماً على الاقل قبل التوجه افقياً في اتجاه غابات الصنوبر.

وببدء اول ضربة رفش - صنعناه من مشواة الموقد نفسها - في اوائل ايار ١٩٤٣ بدأت الصعوبات تتراكم دفعة واحدة: فبقدر ما كان تراب المعسكر خفيفاً وسهل الحفر بقدر ما كان النفق بحاجة الى مساند قوية منعاً للانهيارات. ثم ان مسألة تصريف هذه الكمية الهائلة من التراب التي تخرج يومياً من النفق كانت من اعقد الامور في بادىء الامر، خصوصاً وان تراب النفق كان ذا لون اصفر فاتح بينما لون سطح ارض المعسكر كان غامقاً.

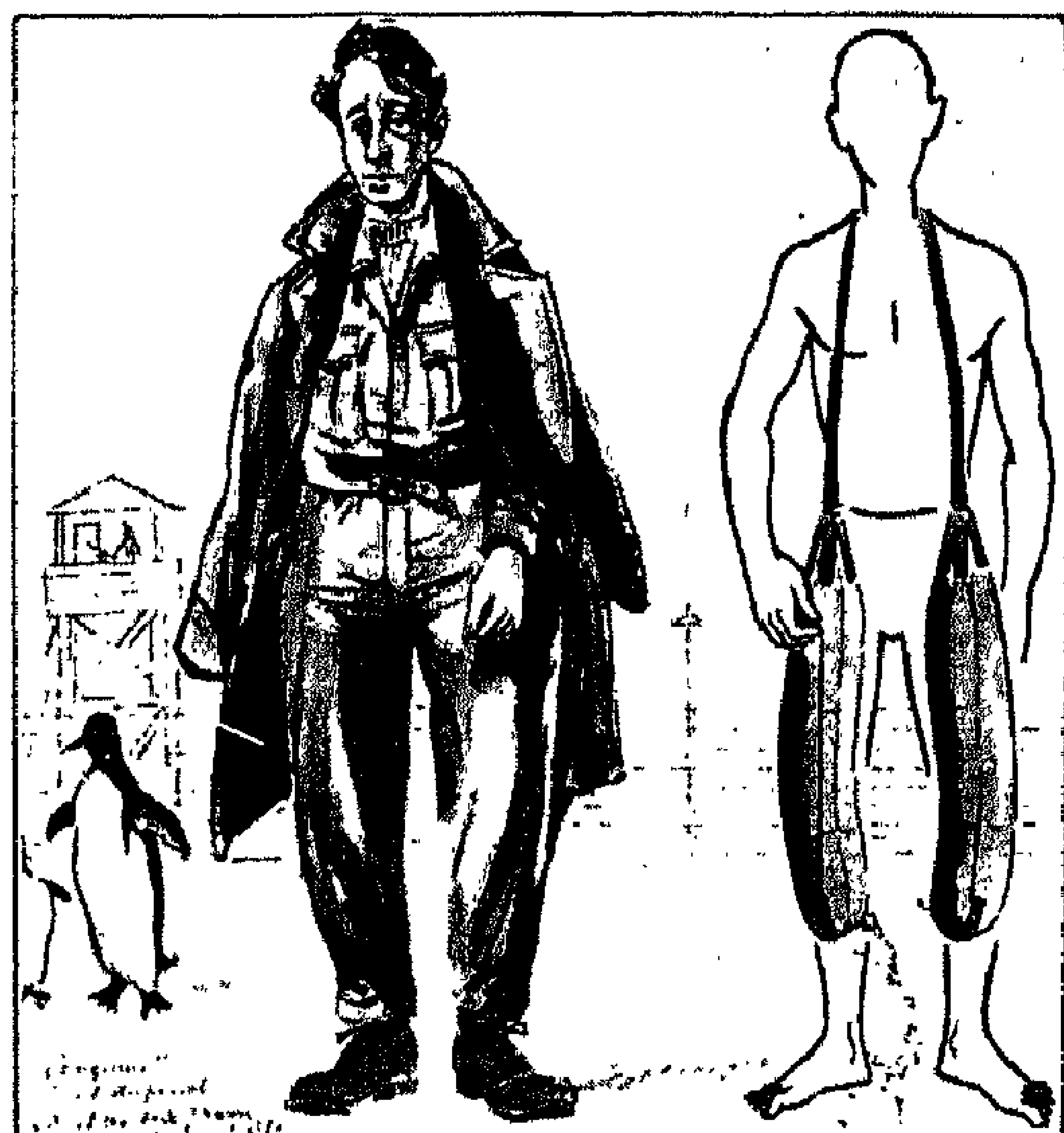
٣ حلول

بعد التداول في اقتراحات حل" هذه المشكلة اعتمدنا ثلاثة حلول:

● اولا - الاعتناء بعدد من الحدائق الصغيرة حول تخشيباتنا مما يساعدنا على اضافة أية كمية وأي نوع من التراب فوقها من غير ان تثير شكوك الحراس الذين يبدو انهم فسروا سر اهتمامنا المفاجيء بالزراعة شتى التفسيرات ما عدا التفسير الوحيد الصحيح.

● ثانياً - الاكثار من الالعاب الرياضية الجماعية التي تتطلب حركة دائمة كالمصارعة الحرة وكرة السلة الخ... وفي اوقات اللعب كان عدد من زملائنا الذين يرتدون لباساً خاصاً من انتاجنا المحلي (راجع الرسم) يجوبون الملاعب مفرغين كميات إثر كميات من التراب بين أرجل اللاعبين الذين كانوا يلعبون بحماس قل نظيره تماماً كما لو انهم امام آلاف المشاهدين.

● ثالثاً - عندما كانت كميات التراب تزداد اكثر من المعتاد لسبب او لآخر كنا نفتعل المشاجرات بين المعتقلين في وسط الملاعب مما يسهل علينا تصريف اطنان اضافية في سرعة. لكن مع ترحيب العدو الضمني بهذه المشاكسات



■ اللباس الخاص لتسهيل تفريغ التراب المحمول في شكل خفي

الداخلية ظناً منه انها تفسخ الوحدة بيننا؛ الا ان الهدف الرئيسي لقائد المعسكر كان في تأمين الاستقرار في الداخل؛ لذلك كان لا يسمح باستمرار المنازعات دوما.

كانت هذه الاساليب المبتكرة الثلاثة تجعلنا نجيش اكثر من ١٥٠ زميلا يفرغون اطناناً من التراب في آن واحد في وضح النهار وامام انظار الحراس التائهة في غير موضعها.

حوالي منتصف ايار ١٩٤٣، وبينما كان العمل جارياً على احسن ما يرام، حصل تشقق في نفق "ديك" سرعان ما تطور في ثوان الى انهيار كبير. هذه الثواني المعدودات كانت كافية لانقاذ الحفارين الثلاثة الذين كانوا يواجهون خطر الاختناق.

وفي الواقع لم نكتشف دقة التنظيم الذي انشأناه وفعاليته الا بعدما نجحنا في انقاذ زملائنا وبعدما استطعنا اعادة ترتيب اوضاعنا كما كانت قبل حادثة الانهيار من غير ان يلحظ الحراس من فوق او من تحت اي شيء. وهذا ما شجعنا على اعادة حفر "ديك" من جديد ومن غير كلل.

وكلما كان العمل يتقدم تحت الارض كنا نحس بأهمية ابتكار اسلوب تنقية هواء الانفاق بفعالية اكبر من السابق. ولحسن حظنا استطعنا الحصول على مجلة متخصصة في الميكانيك والكهرباء بواسطة احد الحراس السذج. وكم كانت فرحتنا عظيمة عندما قرأنا مقالا يوضح الاساليب الحديثة يومها لابتكار انابيب تنقية هواء المنازل بالوسائل المتوفرة. حبذا لو عرف صاحب هذا المقال الخدمة الجلى التي اسداها لمئات المسجونين في احد معسكرات النازيين.

كانت وسائلنا نحن معلبات الحليب المجفف التي كان يرسلها الصليب الاحمر الدولي.

فجمعناها مع بعضها البعض وأوصلناها الى داخل النفق من خلال فتحة الموقد نفسها.

وبعدما نجحت العملية في صورة افضل مما كنا نتصور عممنا الابتكار على النفقين الآخرين.

وكانت لهذا الاختراع فائدة اخرى تتلخص في تأمين استمرار العمل داخل الانفاق من غير حاجة لابقاء المداخل السرية مفتوحة.

منذ ذلك الحين بدأ العمل يسير بوتيرة متسارعة؛ خصوصاً بعدما أضأنا الانفاق اما بخطوط كهربائية مسروقة ومتصلة خلسة بالتيار العمومي للمعسكر، او، في حال انقطاع الكهرباء؛ بواسطة اناء من التنك مليء بكمية من السمن يطفو عليها فتيل من القماش المتوفر لدينا.

في الشهر الثاني

في نهاية ايار دخل العمل شهره الثاني. وقد انجزنا خلاله حوالي ٧٠ قدماً في كل من الانفاق الثلاثة. وفي هذه المناسبة عقدنا اجتماعاً خاصاً تم البحث فيه في المراحل التي قطعنا والخطوات المقبلة. فقررنا التركيز على نفق "توم" لانه اصبح الاقرب الى الغابات. اثر تعميم القرار دب الحماس بين المعتقلين الى حد ان الحفارين كانوا يعملون ساعات اضافية من غير ان يشكوا التعب او التذمر. لكن هذا الحماس لزيادة وتيرة الحفر اعاد طرح مشكلة تصريف التراب الاضافي المستخرج من النفق. ومما عقد الامور اكثر بدء الالمان في بناء ثكنة جديدة؛ قيل انها ستخصص للمعتقلين الاميركيين وحدهم؛ وذلك في الموقع نفسه الذي كان من المفروض ان يتنفس منه "توم" عندما تدق ساعة الحرية. وهكذا تشاء الصدف ان يشهد هذا المكان بالذات في آن واحد عمليات قطع اشجار الصنوبر من جهة وعمليات حفر نفق من جهة اخرى.

اذن كنا في سباق مع الزمن... ولكن اين نضع التراب الاضافي؟

في هذه الساعات القليلة كان لا بد لنا من المخاطرة مهما تكن النتائج: لذلك اوقفنا تماماً عملية حفر "ديك" وقررنا تحويل النفق الى مستودع مؤقت للتراب المستخرج من "توم".

وعلى رغم ذلك الاجراء كان التراب يتدفق بلا انقطاع. عندها تمادينا في المجازفة: فأخذنا نخزن التراب في العلب الفارغة العائدة للصليب الاحمر الدولي والتي كانت متناثرة تحت أسرتنا.

اصبح "توم" على وشك التنفس. لم تبق الا اقدام معدودات؛ لكن قررنا التمهل في انجاز المراحل النهائية من الحفر للتأكد من وضع اللمسات الاخيرة على كافة الترتيبات الاخرى المتعلقة بمراحل الفرار واجتياز الحدود...

... وفي هذه الساعات التي اقتربنا فيها من

قطف ثمار جهدنا اكتشف الحراس في احدى غاراتهم؛ وبالصدفة، سر العلب الفارغة.

جن جنون قادة المعسكر: اعلنت حال الطوارئ؛ وبدأت عملية البحث عن "توم".

شاحنات ضخمة محملة بمعدات ثقيلة احضرت خصيصاً للمعسكر اخذت تجوب كل ارجائه بهدف احداث انهيار في النفق الذي لم يكتشفوه بعد، لكن دون جدوى. وكل ما نجحت هذه الشاحنات في عمله كان تخريب حدائقنا التي كانت تتغذى من "توم".

وكالعادة لم ييأس العدو. وبعد يومين من البحث عن النفق في كل زاوية من زوايا تخشيباتنا اصطدم احد الحراس صدفة بالمدخل السري للنفق. كان ذلك نهاية "توم".

ومن غرائب الامور ان فرحة قادة المعسكر الكبرى في اكتشاف النفق، هذه الفرحة التي لم تكن تعادلها الا فرحة تجنب استجوابات الغيستابو، منعتهم بل وأنستهم اتخاذ اي عقاب ضدنا.

اما عزاؤنا نحن فكان "ديك" و"هاري". لهذا قررنا تكثيف نشاطنا في اتجاههما. لكن تريثنا في المباشرة بالحفر حتى الخريف لتخفيف المراقبة على تحركاتنا والتقليل من غارات التفتيش.

فترة انتظار

في اثناء انتظار الخريف كان هاجسنا استعادة معنويات المعتلقين التي تأثرت كثيراً بهذه الصدمة الاولى. فاستنفدنا من انتقال الاميركيين الى معسكرهم الجديد (كان ذلك في اواخر آب ١٩٤٣) لاقامة حفلة وداع عارمة كان سيدها "شبه النبيذ" الذي صنعناه بالوسائل المتوفرة داخل المعسكر.

وعادت حياة السجن الرتيبة تؤرقنا. بقي شهر واكثر على قدوم الخريف. هل تصمد معنويات الشباب حتى ذلك الوقت؟ كان لابد من القيام بعمل ما لابقاء جذوة الامل فيهم رغم كل الظروف.

وبعد البحث والتداول في الوضع قررنا تنظيم محاولة فرار فوق الارض هذه المرة. وبسبب صعوبة هذه المحاولة كان من الضروري التحضير الدقيق لها.

وكان الشكل المناسب للعملية يستند الى هذه الفرصة الوحيدة التي كانت تتوفر لنا: فبين الحين والآخر كان الحراس يواكبون مجموعة صغيرة من المعتقلين خارج اسوار المعسكر للقيام ببعض اعمال التنظيف.

وبدأنا التخطيط للتنفيذ.

خلال فترة قصيرة استطعنا تقليد بعض البنادق التي تستعمل في المعسكر وصنعناها من خشب مع تمويه الاجزاء التي من المفترض ان تكون من حديد ب"دهن اللوز" المخصص لاحذيتنا. حقا لم يكن يميزها شيء عن البنادق الحقيقية. وفي هذا الوقت كان الخياطون ينجزون ٣ بدلات عسكرية لضباط المان على قياس ٣ من زملائنا الذين كان من المقرر ان يقودوا عملية اخراج مجموعة من المعتقلين خارج المعسكر.

في اليوم المحدد تمت المرحلة الاولى من العملية بنجاح: خرج الضباط الثلاثة مع ٢٤ معتقلا من الباب الرئيسي للمعسكر من غير ان يشك الحراس في امرهم مطلقاً. بعد دقائق من القيام بالاعمال التي يجريها عادة الطابور الحقيقي، نجح ٣ من زملائنا في التسلل داخل الغابة من غير ان يلفتوا انتباه حراس الابراج. واستمرت اعمال التنظيفات الاعتيادية. مرت فترة قصيرة اخرى قبل ان يحاول ٦ معتقلين آخرين الفرار، الا ان محاولتهم اكتشفت.

مرة اخرى اعلنت حال الطوارىء داخل المعسكر وابلغت كافة مراكز الحدود بفرار المعتقلين الثلاثة. ولم تمض ايام قليلة حتى اعيدوا الى المعسكر.

وعلمنا منهم ان احدهم كاد ان يصل الى الحدود السويسرية، بل انه دخل الحدود ثم ضل طريقه وعاد في طريق فرعي ووقع بين ايدي النازيين. اما الاثنان الآخران فاستطاعا الوصول الى مطار صغير للتدريب وصعدا على متن احدى الطائرات وادارا المحرك لكن مجيء قبطان الطائرة في هذه اللحظة بالذات افسد العملية كلها.

والان... بقي كل املنا في "ديك" و"هاري".

عمل يومي متواصل

بدأ الحفر من جديد في اوائل ١٩٤٤.

وبما ان "ديك" كان مليئاً بالتراب المستخرج سابقاً من "توم"، وبما ان إتجاهه اصبح غير مناسب بعد بناء المعسكر الجديد، لذلك تركز جهدنا على النفق الوحيد الذي ما زال صالحاً: "هاري".

للمرة الاولى منذ تصميمنا على حفر الانفاق خصصنا ٣ فرق للحفر تضم كل واحدة منها ١٠ من افضل الحفارين يعملون ٢٤ ساعة في اليوم. وعلى هذا الاساس كان "هاري" يكبر كل يوم ١٢ قدماً.

في اواخر كانون الثاني وصلنا الى ثلث الطريق اي حوالي ١٠٠ قدم.

كان الحفر يجري بسرعة على رغم الصعوبات الجمة التي كنا نواجهها في ايام الخريف الطويلة هذه: فالانهيارات الجزئية كانت تحصل تقريباً كل يوم او يومين وحالة الحفارين الصحية كانت تزداد سوءاً بسبب الرطوبة الزائدة. انابيب تنقية الهواء لم تكن تلبي على اكمل وجه متطلبات هذا النفق الطويل، خصوصاً بعدما اضفنا الى شبكة الانارة

To all Prisoners of War!

The escape from prison camps is no longer a sport!

Germany has always kept to the Hague Convention and only punished recaptured prisoners of war with minor disciplinary punishment.

Germany will still maintain these principles of international law.

But England has besides fighting at the front in an honest manner instituted an illegal warfare in non combat zones in the form of gangster commandos, terror bandits and sabotage troops even up to the frontiers of Germany.

They say in a captured secret and confidential English military pamphlet,

THE HANDBOOK OF MODERN IRREGULAR WARFARE:

"... the days when we could practise the rules of sportsmanship are over. For the time being, every soldier must be a potential gangster and must be prepared to adopt their methods whenever necessary."

"The sphere of operations should always include the enemy's own country, any occupied territory, and in certain circumstances, such neutral countries as he is using as a source of supply."

England has with these instructions opened up a non military form of gangster war!

Germany is determined to safeguard her homeland, and especially her war industry and provisional centres for the fighting fronts. Therefore it has become necessary to create strictly forbidden zones, called death zones, in which all unauthorised trespassers will be immediately shot on sight.

Escaping prisoners of war, entering such death zones, will certainly lose their lives. They are therefore in constant danger of being mistaken for enemy agents or sabotage groups.

Urgent warning is given against making future escapes!

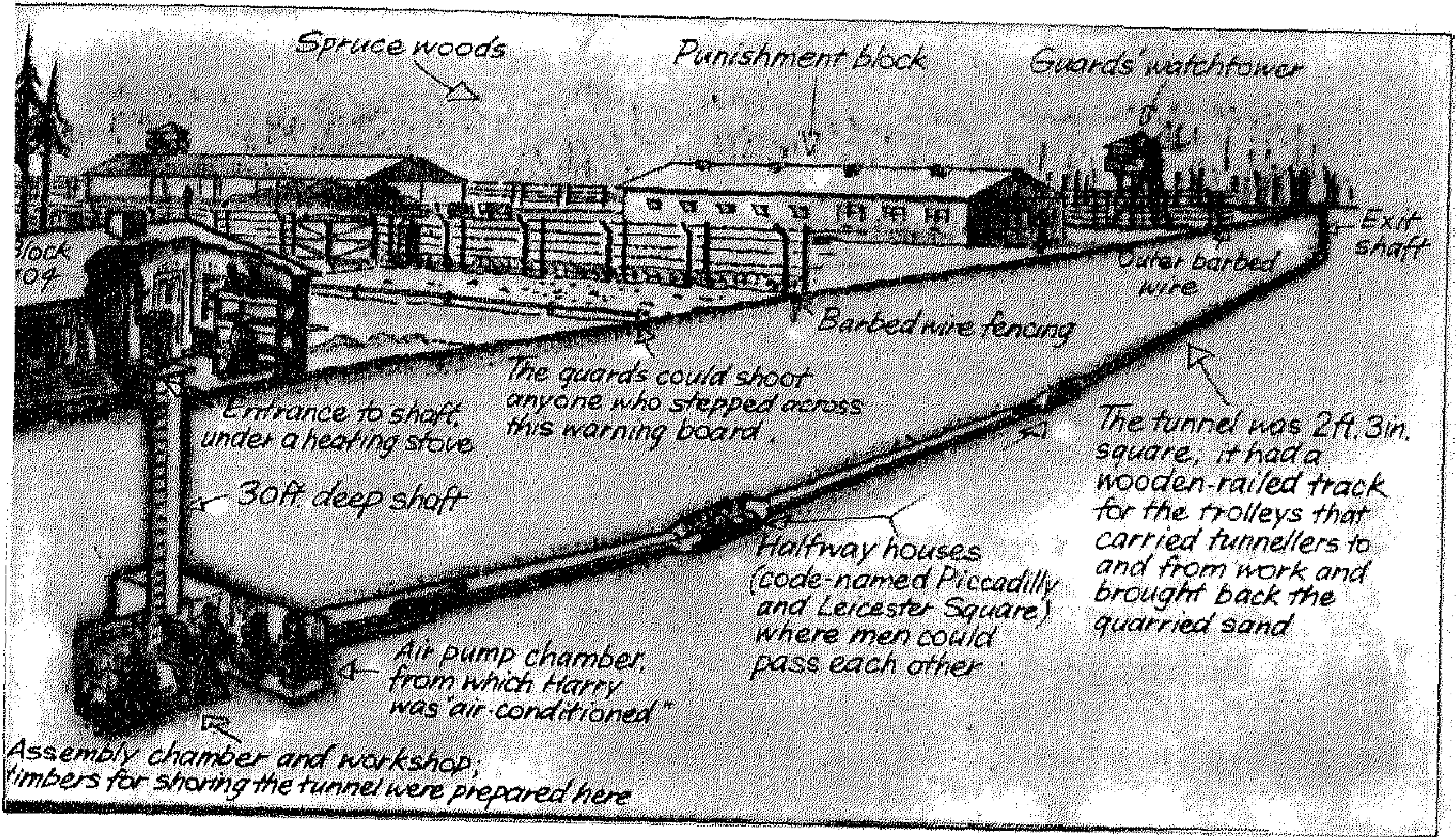
In plain English: Stay in the camp where you will be safe! Breaking out of it is now a damned dangerous act.

The chances of preserving your life are almost nil!

All police and military guards have been given the most strict orders to shoot on sight all suspected persons.

Escaping from prison camps has ceased to be a sport!

■ نص البيان الذي وزعه العدو اثر فشل عملية "هاري" وذلك في اطار الحرب النفسية التي كان يشهنا ضد من تبقى على قيد الحياة في المعسكر • ونقرأ في البيان: "الهرب من معسكرات الاعتقال



■ نفق "هاري" بعد الانتهاء من حفره، وكان بشهادة الجميع في ما بعد اطول نفق للحرية تم حفره خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية.

الكهربائية، بسبب النقص في الإسلاك، معدات الاضاءة البدائية التي كانت تزيد من تسميم جو النفق برائحة السمن المشتعل.

في منتصف شباط انهينا ١٠٠ قدم اخرى. ولحسن حظنا استطعنا يومها الحصول على حوالي ٦٠٠ قدم من الاسلاك الكهربائية من ورشة البناء الجديدة بفضل همة زملائنا العمال.

كنا نقترب شيئاً فشيئاً من النهاية. فازداد حماسنا ونشطت همتنا واخذ صبرنا ينفذ في بعض الفترات الى درجة ان الحراس بدأوا يشعرون بحصول شيء غير عادي في المعسكر. لذا لم يتوان قائد المعسكر عن القيام باجراء احترازي: فأمر بنقل عدد من زملائنا الى تخاشيب بعيدة عنا. كان ذلك ضربة قاسية بالنسبة الينا لان الاجراء تناول بالصدفة العديد من رؤساء فرق العمل والامن والتنظيم وبعضاً من انشط الحفارين واقواهم، مما اوجد فراغاً لم نكن نتوقعه.

المهم ان العدو ضرب ضربة عشواء ولم يكتشف حتى الان "هاري" العزيز.

في الثامن من آذار ١٩٤٤ انهينا حفر المئة والعشرين قدماً الاخيرة. وفي ١٤ آذار كان "هاري" جاهزاً لاستقبال ضيوفه.

واستناداً الى حساباتنا المتعلقة بعدد الاشخاص الذين يمكنهم قطع مسافة النفق والخروج منه خلال فترات الليل اخترنا بالقرعة ٢٢٠ سجيناً من بين الخمسماية معتقل الذين شاركوا مباشرة في عمليات الانفاق.

وبدأ المحظوظون استعداداتهم ليوم الحرية: منهم من سيكون عاملا اجنبياً او مدنياً وآخرون سيكونون ضباطاً المان او جنوداً...

حدد خبيرنا في الرصد الجوي ليل ٢٤ آذار موعداً للانطلاق وذلك بسبب غياب القمر ووجود رياح قوية في هذا اليوم مما سيسهل عملية الخروج من النفق من جهة، ومن جهة ثانية سيغطي على عملية التنقل داخل "هاري"، هذه العملية التي ربما احدثت بعض الضجيج.

في اليوم المحدد وزعنا المؤن على الفارين تجنباً لاي نقص في التغذية قد يواجهونه في مسيرتهم الطويلة نحو حدود الحرية. وكانت هذه المؤن عبارة عن معلبات من صنعنا تحتوي على خليط مطبوخ من الشوكولا والطحين والبسكويت المدقوق وحبوب الفيتامين المطحونة والشعير والحليب المجفف اضافة الى بعض انواع الفواكه المجففة. طبعاً لم تكن للنكهة اية اهمية لان الاساس كان في توفير قيمة غذائية عالية.

بدء عملية الهروب

دقت الساعة الثامنة والنصف مساء. فبدأت دقات قلوب المحظوظين تتسارع.

نزل اولهم الى النفق وتبعه الثاني والثالث والرابع... وكرت المسبحة. بعد دقائق توقف الطابور. ماذا جرى؟

كان القلق يزداد داخل النفق وخارجه كلما تأخر الجواب. الصمت كان سيد الموقف. فصدر الامر من قائد التنظيم بالابلاغ فوراً عن سبب توقف الطابور. وجاء الجواب، بعدما تناقلته الالسن وكأن صاعقة ضربت الجميع: ثغرة "هاري" في موقع مكشوف على بعد ١٠ اقدام من الغابة.

ما العمل؟

الدقائق تحولت الى ساعات مثقلة بهموم لا توصف. الرياح تعصف فوق الارض والهواء يزداد تلوثاً داخل جوفها وسط عشرات من الرجال بلا حراك بين طبقتين سميكتين من التراب. كان الجميع مدهوشاً مذعوراً مضطرباً. كيف يمكن تأجيل العملية وكل شيء وصل الى نقطة اللارجوع؟ كيف يمكن اعادة صنع المستندات واوراق الهوية التي ختمت بالتاريخ المناسب ليوم الهروب الكبير؟

اسئلة كثيرة ولا جواب. عندها كان لابد من المجازفة مرة اخرى. وصدر الامر بالتقدم بعد تأمين المراقبة خارج الثغرة واتخاذ جانب الحذر الشديد والتنقل بالسرعة اللازمة.

مرت ساعة كاملة ولم يخرج من جوف "هاري" سوى عشرون شخصاً فقط. ولم تكن تنقصنا خلال تلك الدقائق الرهيبة الا انهيارات جزئية كانت تحصل هنا وهناك مما كان يسبب لنا تأخيراً اضافياً في كل مرة.

في منتصف الليل تماماً دقت صفارات الانذار داخل المعسكر واطفئت الانوار. كان ذلك انذاراً بحصول غارات جوية من قبل الحلفاء على المدن الالمانية. كنا نسمع من بعيد هدير القنابل المتساقطة فوق برلين. للمرة الاولى لم يفرحنا ذلك كثيراً لانه كان يعيق عملية استراتيجية ربما كانت بالاهمية نفسها لعمليات الاغارة تلك. على رغم ذلك استمر "هاري" في ابتلاع ضيوفه ولفظهم الى الخارج.

في الخامسة بدأ الفجر يلوح في الافق. حينئذ قررنا قطع عملية الفرار لافساح المجال امام المحظوظين الذين يقطعون الآن الاميال بعيداً عن المعسكر وللاقتراب اكثر فأكثر من حدود الحرية قبل ان يكتشف امرهم عند التعداد الصباحي الروتيني.

لم يبق داخل النفق الا ٣ فارين ينتظرون دورهم قبل ان نحيل "هاري" على التقاعد. خرج واحد منهم، لكن الثاني لم ينجح في تجنب انظار الحراس. وبقي الثالث داخل النفق وكأنه استقر فيه الى الابد لا يستطيع حراكاً.

... وهكذا اكتشف امرنا وامر "هاري" في اللحظة الاخيرة التي كان سيسجل فيها التاريخ اروع عملية فرار من معسكر اعتقال حربي نازي وادقها تنظيماً وتنفيذاً... في هذه الدقائق الحرجة لم نكن نأسف الا على شيء واحد: عدم تمكننا من اعطاء زملائنا في الخارج وقتاً اكبر للابتعاد ما امكن عن المعسكر. وكان اسفنا في محله اذ انه لم يمض يومان الا وكان معظم الفارين قد اعيدوا الى المعسكر بعد اكبر حملة مطاردة جرت في المانيا النازية خلال ايام الحرب العالمية الثانية.

مصير الفارين

في كل يوم يمر – وكم كانت الساعات طويلة ومثقلة حينها، خصوصاً في اوقات العقوبات القاسية بحقنا باشراف خبراء الغيستابو – كانت تردنا اخبار اعتقال المزيد من زملائنا الفارين واعدام البعض منهم، وذلك كان يشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقيات جنيف حول معاملة اسرى الحرب.

وحين كنا نجلس نتذكر ايام "توم" و"ديك" و"هاري" التاريخية كانت اخبار اعدام المزيد من الزملاء تنغص علينا حتى جو الذكريات المستعادة بصعوبة هرباً من ضغط الحاضر المرير. وكان البريد الذي يصلنا بواسطة الصليب الاحمر الدولي لا يحمل الا اخبار الفواجع التي حلت برفاقنا مصحوبة في الوقت نفسه بالانباء السارة عن تراجع الجيش الهتلري من هذه الجبهة او تلك.

وفي احد ايام حزيران ١٩٤٤ وصلتنا رسالة مكتوبة باللغة الاسبانية بتوقيع لم نعرفه في بادىء الامر. لكن سرعان ما علت الابتسامة التي كدنا ان ننساها. فجمعنا الزملاء جماعات جماعات واخبرناهم بالنبأ السعيد: ان احد الفارين وهو طيار هولندي استطاع الوصول سالماً الى بريطانيا.

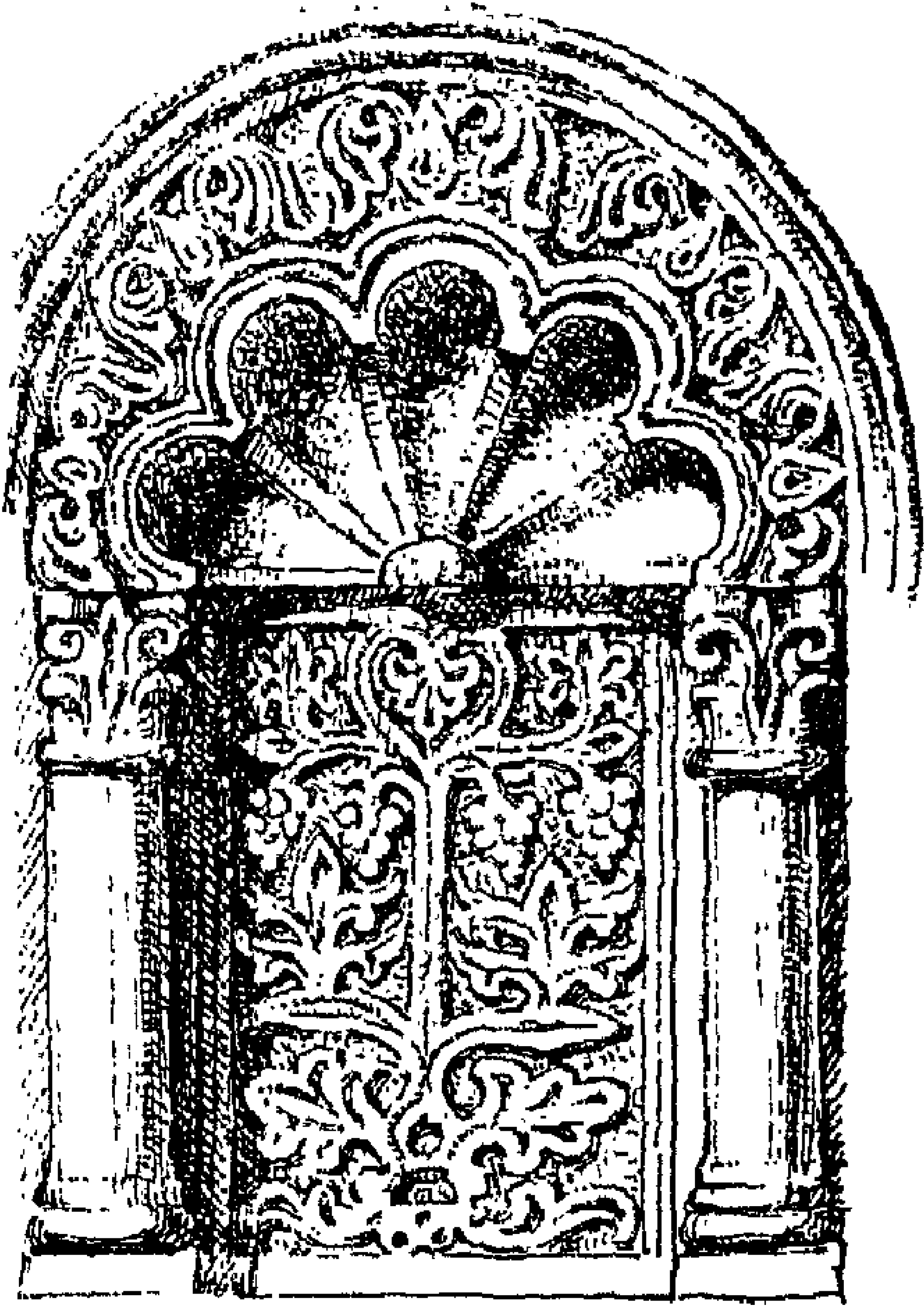
بعد ايام وصلتنا رسالة اخرى من السويد كتبها اثنان من الضباط النروجيين الذين شاركوا في عملية "هاري".

هذا كل ما علمناه ونحن داخل المعسكر: فقط ٣ محظوظين كانوا حقاً محظوظين.

... وعاد النشاط يدب فينا من جديد.

اعدنا تنظيم «X» وبدأنا فوراً العمل بنفق "جورج". التكتيك نفسه والحيل نفسها والروتين نفسه.

ولم تمض اسابيع قليلة الا وكنا قد خرجنا كلنا من المعسكر سالمين، هذه المرة من الباب الرئيسي الكبير وفي وضح النهار: فالجيش الاحمر لم يكن يبعد عن المعسكر اكثر من ٣٠ ميلاً. لذلك تم نقلنا مشياً على الاقدام وبحراسة مشددة داخل المانيا حتى وصلنا منهكين بعد اسابيع عديدة الى معسكر في لوبيك، وهو مرفأ قرب بحر البلطيق. وفي الثاني من ايار ١٩٤٥ دخلت دبابات الجيش البريطاني الثاني مدينة لوبيك. فاطلق سراحنا ■



عودة إلى التراث

كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني

د. محمد أبو الأنوار

■ يعجب مؤرخ الحياة الفكرية والثقافية في تاريخ العربية كيف انها تميزت بهذا الصبر المعجب وتلك الاحاطة الواسعة عندما عرضت لتراثها تجمعه وتقدمه لقرائها.

ولا ينفد عجبه من كثرة ما يرى من صبر على الجمع والتقصي تارة، وعلى التحقيق والتدقيق أخرى..

والكتاب موضوع هذا المقال يعد اضخم موسوعة "خبرية" روى فيها مؤلفها من الاخبار ما لا يدخل تحت حصر في ما قصد اليه من موضوع كتابه، وشغل هذا الرجل بموسوعته تاريخ اداب العربية ربما على نحو لا يشاركه فيه انسان اخر..

وحسبنا قبل البحث والدرس ان نقدم شذرات مما حفظه التاريخ لنا عن هذا الكتاب القيم:

يقال ان أبا الفرج اهدى نسخة كتابه "الاغاني" الى سيف الدولة بن حمدان فكافأه سيف الدولة عنها بألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب بن عباد فقال: "لقد قصر سيف الدولة، وأنه ليستحق اضعافها اذ كان مشحونا بالمحاسن المنتجة والفقر الغريبة، فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب والمتأدب بضاعة وتجارة.. ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سميرى غيره، ولقد عنيت بامتحانه في أخبار العرب وغيرهم..ففاز بالسبق في جمعه وحسن وضعه وتأليفه".

وابن خلكان يحكي أن الصاحب بن عباد كان يستصحب في أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الادب فلما وصل اليه كتاب "الاغاني" لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عما سواه.

ويقول أبو القاسم عبد العزيز يوسف كاتب عضد الدولة: "لم يكن كتاب "الاغاني" يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره".

ويقول ياقوت الحموي: "ولعمرى ان هذا الكتاب جم الفوائد عظيم العلم جامع بين الجد والبحث والهزل والنحت ومن أدراك قيمة هذا الكتاب، رغبُ بل تسابق القادرين من أهل العلم والحكام في اقتنائه ونسخه".

يقول ياقوت الحموي: "قرأت على ظهر جزء من نسخة لكتاب "الاغاني" لابي فرج.حدث ابن عروس الموصلي وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة وكان يخلف ابا تغلب بالحضرة قال: كتب أبو تغلب يأمر بابتياع كتاب "الاغاني" لابي الفرج الاصفهاني، فابتعته بعشرة الاف درهم، فلما حملته اليه وقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين وانه ليساوى عندى عشرة الاف دينار، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك الا بالرغائب..وأمر أن تكتب له نسخة اخرى يخلد عليها اسمه".

من هو ابو الفرج؟! (١)

الكلام عن المؤلف هنا هو المدخل الهام للتعرف على الكتاب في مادته وطريقته. وهذا الرجل هو: علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي.

ومن هذه السلسلة نرى ان نسبه ينتهي الى مروان بن محمد اخر خلفاء بني أمية. وقد ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤، وتوفى على ارجح الاراء سنة نيف وستين وثلاثمائة. ويذهب كثرة من الباحثين والدراسين الى انه ولد بأصبهان ونشأ وتربى ببغداد ولكن مولده بأصبهان ليس موضع اتفاق...

وتعجبني في هذا السياق المناقشة التاريخية الدقيقة العالمة التي قدمها الدكتور محمد احمد خلف الله في كتابه "صاحب الاغاني" وهي تكشف بوضوح أن أسرتي ابي الفرج من جهة أبيه وأمه كانتا تقيمان بمدينة "سر من رأى" وهناك أخبار تعارض القول بأن الاسرتين كانتا معا في أصبهان.

أما لقب الاصبهاني في أسم الرجل فمرجعه أن أبا الفرج قد ورث هذا اللقب عن الاسرة، خاصة وان هذا اللقب كان يعرف به عمه وأبن عمه وجده وكذلك والده. ومرجع علاقة الاسرة بأصبهان يتبينه الباحث عندما يعرف أن أصبهان كانت من المواطن التي استقر فيها بعض الامويين من نسل الخلفاء عند اضمحلال الدولة وبعد انحلالها، وأنها أيضا كانت من المواطن التي لاهلها تعلق بالامويين ومحبة لهم.

أما مدينة "سر من رأى" فكانت أسرة أبيه من أوائل الاسر التي عمرتها، وكان يحيى بن محمد بن ثوابه جد أبي الفرج لامه واحداً من الكتاب بها، وهكذا كانت أسرتا الاب والام معا في "سر من رأى" وقد جاءت أسرة الاب من أصبهان، ولكن أسرة الام جاءت من قرية النيل التي ذكرها البحتري في هجائه لآل ثوابه. وفي "سر من رأى" كانت المصاهرة وكان ميلاد أبي الفرج...

ولا عجب في أن المولود الجديد "سر من رأى" يكون مؤرخ الغناء في كتابه "الاغاني" فقد كانت هذه المدينة تزخر بحركة غنائية شديدة حتى كان الناس بها أحزابا في هوى الغناء وأهله فمنهم من يتعصب "لعريب" ومنهم من يفضل "شاريه" ولكن الغناء في عصر أبي الفرج كان قد تحول مع الخلفاء والوزراء والكتاب الى بغداد.

أما موطن النشأة والتربية الاولى فكان الكوفة، وفيها كان محمد بن الحسين الكندي خطيب مسجد القادسية كما يصفه أبو الفرج في كتابه "الاغاني" مؤدباً ومعلماً له، ومما تبغي العناية بالاشارة اليه هنا ان كتاب أبي الفرج



■ كتاب "الاغاني" لابي الفرج الاصفهاني امير في جلسة طرب. مكتبة فيض الله باستنبول. كتاب تاريخ .فن التصوير الاسلامي الديني والعربي للدكتور ثروت عكاشة ص. ٣١٠.

"مقاتل الطالبيين" انما يعتمد على ثقافته الكوفية، وأبو الفرج يأخذ فيه عن شيوخ الكوفيين من أمثال احمد بن محمد بن سعيد الهمذاني، ومحمد بن الحسين الكندي وعلي بن العباس المقافعي، والبلخي وغيرهم.

واذا عرفنا ان ابا الفرج قد اخرج كتابه "مقاتل الطالبيين" سنة ٣١٣هـ كما ينص هو في مقدمته، عرفنا ان تحوله عن الكوفة الى بغداد ربما كان بعد ذلك وربما كان بين سنة ٣٠٠ وسنة ٣١٣ كما يستفاد من سياق آخر، ولا عجب ان نجد هذا الاموي يؤلف عن الطالبيين كتابه ويتعاطف معهم، لان الحب نشأ بين الامويين والطالبيين بفعل المحن السياسية التي جمعت بينهما بما فيها كراهية العباسيين ومظالمهم للاسرتين. مع ملاحظة ان أبا الفرج كان قد ورث تشيعه عن أسرته لامه تلك الاسرة التي ذللها الاضطهاد. وعلى أية حال فان تشيعه تشيع العقائدي المناضل،بل تشيع الميل الموروث في أسرة أبيه والهوى الغالب في أسرة أمه.

وينبغي الا يغيب عن الذهن هنا ان الكوفة كانت آنذاك بيئة المجان والخلعاء من المغنين والشعراء وأن الغناء قد استقر بها قبل أن يستقر ببغداد، والكوفة قامت في موقع تلم به الاديرة من كل جانب ومن ثم كان الخمارون والخمارات وما الى ذلك من لهو وعبث وزندقه وقد عنى اسحق الموصلي في كتابه عن الموسيقى بأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وكان عمر بن أبي ربيعة يلم بها ليسمع غناء جاريتين ممتازتين في الغناء، والقصد من توضيح هذه الناحية عن بيئة الكوفة القول بأن أبا الفرج قد تأثر بهذه البيئة تأثراً كبيراً في ما يتصل بالمجانة والعناية بفن الغناء.

أما حياته ببغداد فكانت كما يشير هو في "الاغاني" أنها كانت بعد سنة ثلاثمائة حيث يقول في ترجمته لابي شراعة: "وأبو فياض بن أبي شراعة أحد الشعراء والرواة قدم علينا بمدينة السلام بعد سنة ثلاثمائة فكتب عنه أصحابنا... وفاتني فلم القه..." وكما سبق القول لعل الرحلة اليها بعد سنة ٣١٣ أو قبلها.

والى جانب الحياة العلمية المتنوعة ببغداد التي أمدت أبا الفرج بثقافة واسعة تأخذ من كل فن بطرف حيث نراه يتردد على شيوخ المحدثين واللغويين والكتاب والشعراء والاخباريين والوراقين يهمنا بصفة خاصة النص على أنه تأثر كثيرا بما يجري في مدارس المغنين والندماء والجلساء، و أي مدارس تلك التي تأثر بها، انها ساحات الدور والقصور لدى الخلفاء، والوزراء والاثرياء، وكذلك بيوت من اتخذ تربية المغنين والمغنيات والقيان صناعة وتجارة أو فناً وهواية وصاحب "الاغاني" يروي لنا طرفا من ذلك في مواطن شتى.

من هذه الصلة الوثيقة لابي الفرج بفن الغناء وما يتصل به من لهو ومتعة كانت ثقافته الموسيقية الواسعة وكانت عنايته بالتأليف عن الغناء والمغنين وكان من اعظم ثماره في هذا السبيل كتابه "الاغاني".

الكتاب ونظرات حوله

(١) موضوع الكتاب

يؤرخ هذا الكتاب عن طريق الرواية وحشد الاخبار للشعر العربي الذي غناه المغنون قديما وحديثا مع العناية بنسبة كل شعر الى صاحبه وصانع لحنه وبيان طريقته من الايقاع والاصبع الذي نسب اليه ولون الطريقة ونوع الصوت، وما يتصل بذلك كله من اشتراك المغنين.

وأساس الغناء المختار هو المائة صوت التي اختارها ابراهيم الموصلي للخليفة هارون الرشيد، وزاد أبو الفرج من باب الاستطراد في العرض غيرها مما ليس منها منبها الى ذلك بذكر الاصوات وما عرض لها، وشرح أبعادها شرحا يعتمد فيه على الاصطلاح الفني المعروف في عصره بما يدل دلالة واضحة على أن أبا الفرج متبحر في دراسة أصوات الموسيقى عالم بطرائقها القديمة والحديثة.

ثم حشد تبعا لذكر الاصوات كل ما يتصل بأخبار المغنين والشعراء والملوك والسوقة دون الوقوف عند أبعاد الموسيقى والغناء، ولذا جاء كتابه حافلا بأخبار الشعراء والادباء والكتاب والوزراء والعلماء والسوقة، موضحا من خلال الاخبار المتنوعة أبعاد الحيوات الاجتماعية والسياسية والثقافية على كل مستوى ارتفع أو هبط.

ولذا كان كتاب الاغاني موسوعة في اخبار الادب العربي، والحياة العربية، وان كان الباحث دائما يتحرى الصواب في ما يأخذ ويدع، ولكن أبا الفرج أمده بالاخبار كلها حتى ما كان يراه هو نفسه مكذوبا.

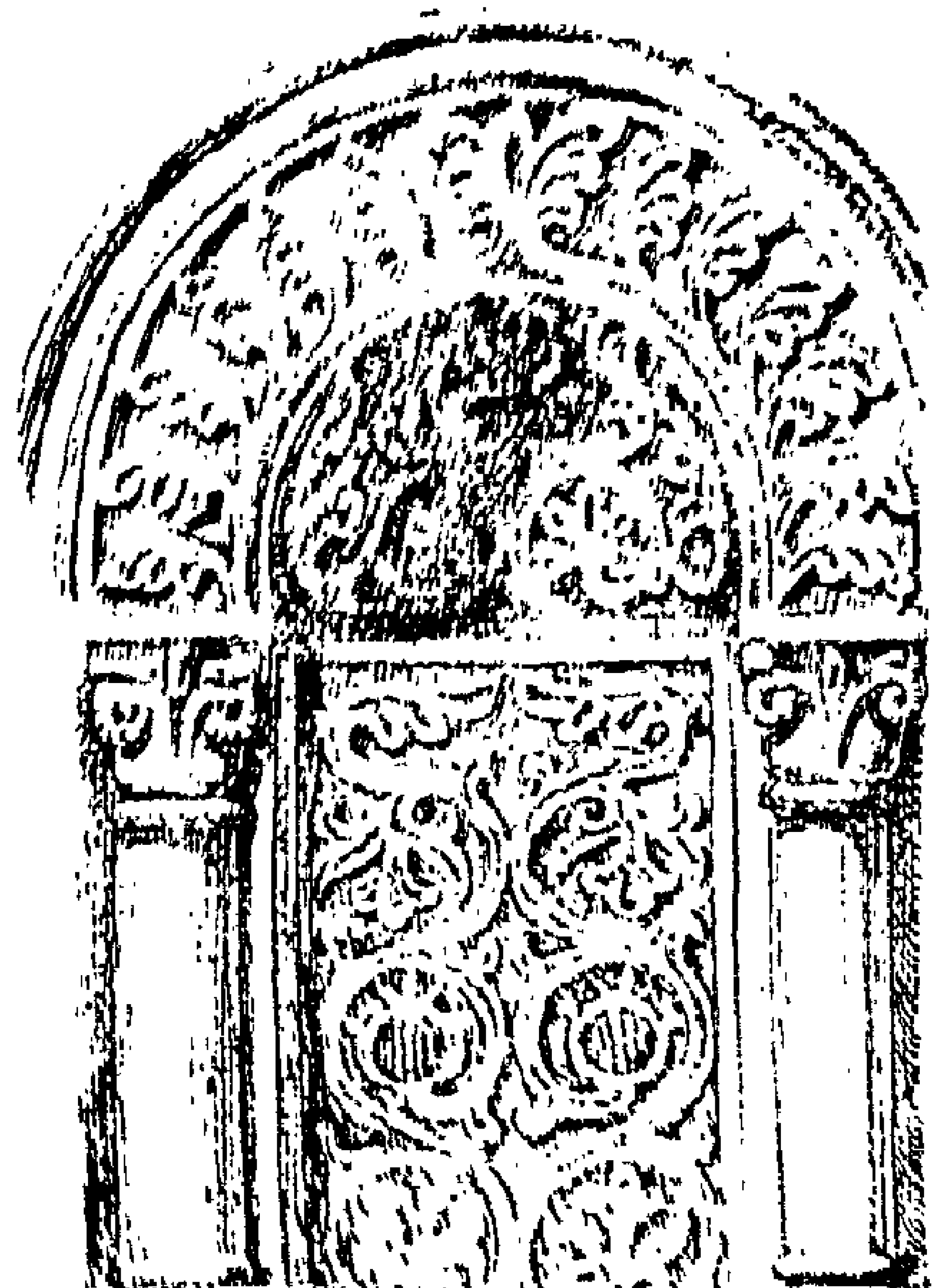
وأساس التقسيم عند أبي الفرج يقوم على الاصوات وليس على الاشخاص ولكنه بعد الكلام عن الاصوات يتبع ذلك اخبار الشاعر الذي قال الشعر والمغني الذي غنى الصوت أو الملحن المختار دون قاعدة فنية أو تاريخية في عرض وتصنيف الغناء أو الاصوات.

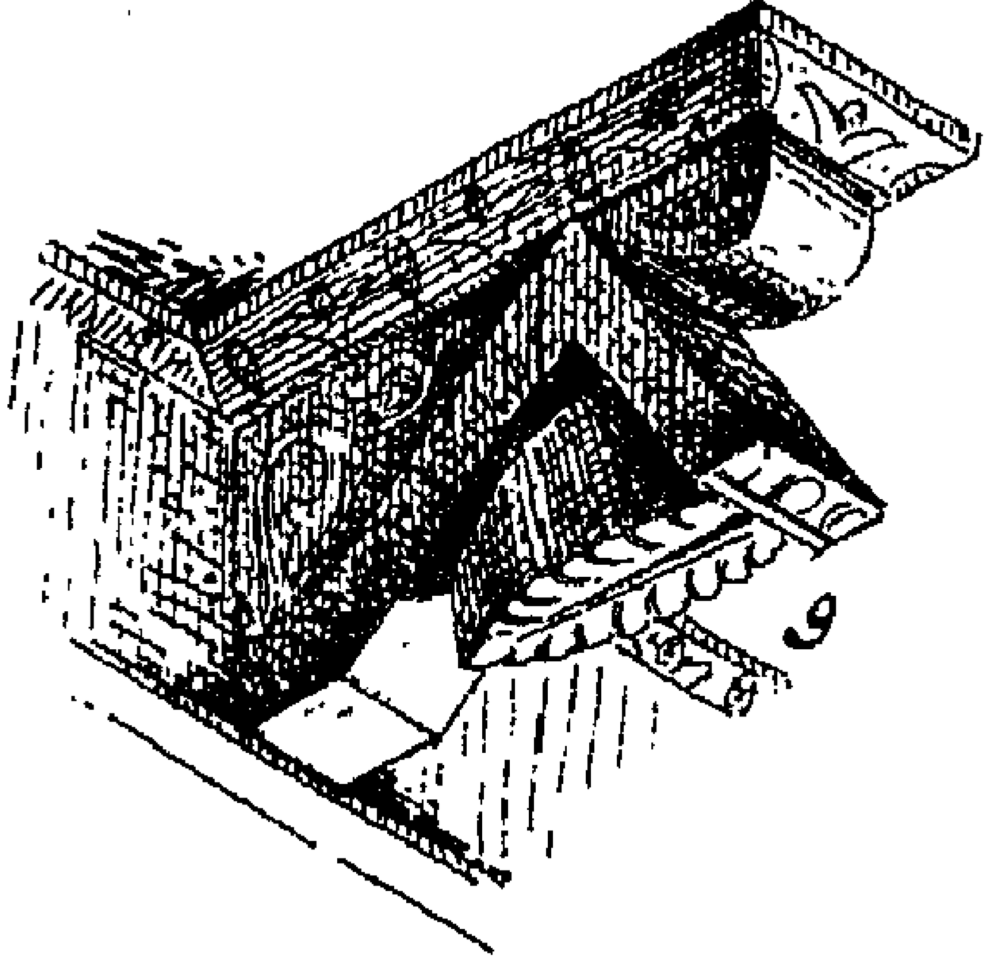
وأبو الفرج يدرك منذ البداية منزعه في ترتيب الكتاب وأنه على غير قاعدة فنية أو تاريخية، ويشرح هذا المسلك ويدافع عنه حيث يقول: "ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه ابوابا على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غنى به من شعر شاعر والباعث على ما نحوناه علل".

وأخذ في تعداد بعضها، وأهمها: أن الاصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين وحينئذ فلا مفهوم للعرض التاريخي الذي يحفظ للسابق سبقه، ومنها ان "الاغاني" قلما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق أو الاسس الفنية، وهو يرى في الوقت نفسه لو انه التزم أخبار الصوت الواحد وما غنى فيه وما يتعلق به من أخبار لطال الموقف وسئم منه القارىء، وكذلك لو وقف عند جميع ما غنى به من شعر الشاعر الواحد السياق الواحد، أو كما تقول عبارته: "فلو أتينا بما غنى به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نفرغ منه لجرى هذا المجرى، وكانت للنفس عنه نبوة، وللقلب منه ملة وفي طبع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء...واذا كان هذا فما رتبناه أحلى وأحسن ليكون القارىء له بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن أخبار قديمة الى محدثه ومليك الى سوقه وجد الى هزل أنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه لا سيما والذي ضمناه اياه أحسن جنسه وصفو ما ألف في بابه ولباب ما جمع في معناه".

علاقة الكتاب بمكان مؤلفه في مجتمعه

يحدد أبو الفرج الباعث له على تأليف هذا الكتاب فيقول: "والذي بعثني على تأليفه ان رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه، وعرفني أن الكتاب المنسوب الى أسحاق مدفوع أن يكون من تأليفه وهو مع ذلك قليل الفائدة.." ويروي ابو الفرج في ذلك اسانيد وروايات تؤكد أن للكتاب المنسوب الى أسحاق الموصلي ليس له."





ويبدو هنا أمران: اولهما ان الوزير المهلبي هو ذلك الرئيس الذي طلب الى أبي الفرج تأليف ذلك الكتاب فاذا أضيف الى ذلك عناية أبي الفرج بذكر أخبار المجانة والاسراف فيها فان ذلك بغير شك مما يرضي ذوق المهلبي ومزاجه، وكذلك أذواق أصحاب أبي الفرج من بطانة المهلبي كالقاضي الايذجي والقاضي التنوخي، وهو في الوقت نفسه يرضى أذواق الطبقة المترفة التي دانت بحياة اللهو والمتعة وهكذا تكشف لنا مادة الكتاب صلته بمزاج مؤلفه ومزاج من يجزونه عنه ويثيبونه عليه، وتلك ظاهرة لا يخلو منها عصر من العصور.

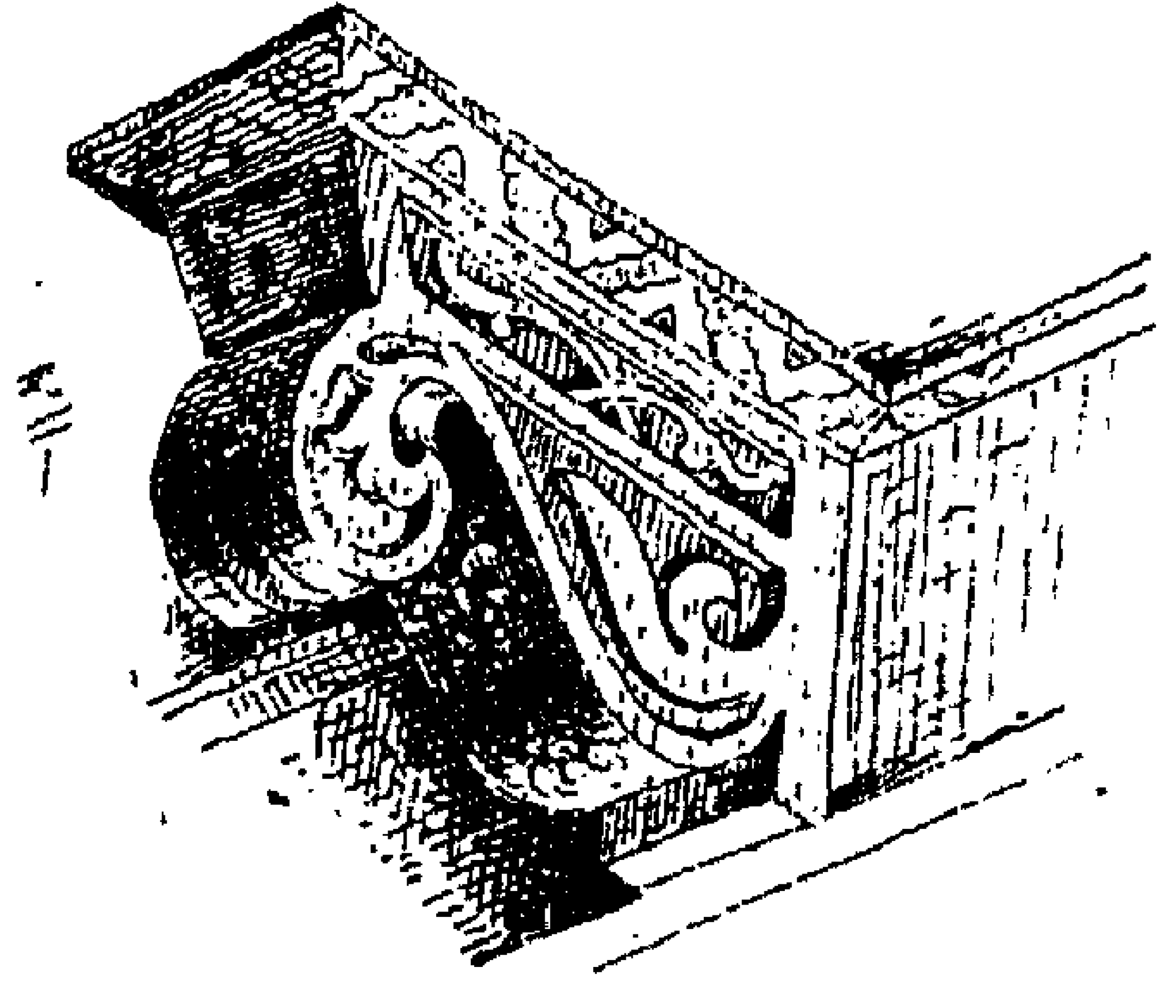
وثاني الامرين: ان نوع المادة وطريقة عرضها يوضحان طبيعة المزاج الثقافي والعلمي الذي غلب على شخصية ابي الفرج وهي شخصية الراوي وليست المؤرخ. الراوي الذي يجمع لك ما يتصل بالموقف أو الشخص أو المناسبة، وهو يقص عليك كل ما قيل حتى لو كان يرى أو يعتقد كذب ما يرويه وقد ينبهك اليه أو يقيم الدليل على فساده، ولكنه في النهاية يذكر لك كل شيء لتعرف وتمحص وتختار ولتكون على علم بكل مكذوب على الموقف أو المناسبة أو الشخص، وهذه الظاهرة ظاهرة الرواية والتجميع تدلنا على المزاج العلمي واللون الثقافي الغالب على شخصية أبي الفرج.

(٣) ابرز الملاحظات حول الكتاب

(آ) لقد نص أبو الفرج عندما حدثنا عن الاسباب التي جعلته يعرض الكتاب على اساس الاصوات دون اساس فني في التقديم والتأخير، ودون أساس تاريخي بالنسبة للشعراء والمغنين، على ان ذلك انسب وايسر واشهى للقارىء حتى لا يسأم الاطالة وكثرة الحشو في الكلام عن الشخص الواحد أو الصوت الواحد.



■ الصورة نفسها ولكن وجه الامير يبدو بارزاً.



ويلزم من هذا بالضرورة ان أبا الفرج يعرض حياة الاشخاص في مناسبات مبعثرة فهو يجزىء ما يروي عن الشخص الواحد لان الشاعر الواحد قد يؤخذ من شعره اكثر من قطعة للغناء واكثر من صوت، وما دامت الاصوات هي الاساس في العرض فأن ابا الفرج بالضرورة سيذكر مع كل صوت ما يلائمه من الاخبار ولذا نراه ترجم لبعض الشعراء في اكثر من مناسبةواكثر من موضع.

ويلزم من هذا العيب التكرار بالضرورة لان الصوت الواحد تتصل أخباره بكثير من المغنين والشعراء والامراء وغيرهم، وبالتالي فأن أبا الفرج يعود الى الكلام عن الشخص او الموقف كلما جاءت مناسبة مع كل صوت.

(ب) هناك ملاحظة تتصل بطبيعة المادة التي قدمها أبو الفرج وهذا امر يكثر الحديث حوله والتعليق عليه بل التمسك به عند ارادة أهدار قيمة الرواية أو الخبر الذي يقدمه أبو الفرج، وهذه مسألة تحتاج الى تفصيل وتركيز:

أولا: يبدو ابو الفرج أمام القارىء ـ لا سيما المحقق للاخبار والناقد لها والمؤرخ على نحو خاص ـ وهو يجمع بين الغث والسمين والصادق والكاذب. والحق ان المسألة كما سبقت الاشارة اليها راجعة عنده الى انه حريص على ان يذكر كل ما قيل ولو كان باطلا وجميع ما ذكر ولو كان كذبا، وهو كثيرا ما يورد الخبر ولا يصدقه ويرويه ويرده، وكثيرا ما يدل على ما ينقضه أو ينقصه، ولكنه من وجهة نظر تاريخية يجمع القارىء كل ما قيل حقاً كان او باطلا، وكأنما يرى ان هذا مفيد لمن يدرس تواريخ الامم في "عاداتها وافكارها ولمن يدرس الحياة الفكرية والاخلاقية والاجتماعية، لان الكذب والتزوير في ما يحكي ويقال يحمل امارات وسمات ودلالات لا تفلت من يد المؤرخ الذي يعني برصد الفلسفات والدلالات المتشعبة حول الموقف او الحادثة: فهذه الظاهرة عنده مع انها غير محمودة من جانب الا انها ذات دلالة وفائدة من جانب اخر لان المادة التي يقدمها تصور كل شيء حقا كان أو باطلا حول الخبر أو الموقف أو الشخص فتكشف عن حظه مما كان ومما قيل.

ثانيا: بلغ من ولع ابي الفرج بالحرص على تسجيل كل ما يتعلق بالخبر من روايات وأخبار وتعليقات أنه طلب الى النساخ اكمال او اثبات ما وصل اليهم ان لم يكن قد وصل اليه، وهو في ذلك حريص على دعم مادة الكتاب طبقا لمنهجه وخطته، ولكن خطر هذه الفكرة انه ربما زور النساخ او أخطأوا عند الاضافة ولم يفعلوا ما يطابق مراده، وقد يضيفون بغير اشارة منهم الى ان هذا من صنعهم، ويبدو ان الذي تعرض له الكتاب من هذا القبيل قليل غير مؤثر.

ثالثا: طبيعة التوثيق عند ابي الفرج وكذلك التعليقات التي يدلي بها حول الخبر او النص تجعل أبا الفرج صاحب منهج في التوثيق والنقد والبصر العلمي بما يقوله ويرويه.

وهنا نلاحظ جملة امور تلفت نظر القارىء للكتاب:

كان أبو الفرج يروي النصوص الشعرية بالفاظها اذا لم تكن غناء فاذا كانت غناء رواها كما غنيت حيث كان المغني يغير بعض الكلمات او تغير له.

كان أبو الفرج اذا نقل من كتاب يحرص على الالفاظ والمعاني، وفي روايته عن الشيوخ أو في روايته خبرا مفردا كان يلتزم نفس القاعدة، وقد راجع عليه الدكتور محمد احمد خلف الله ـ في بحثه القيم "صاحب الاغاني" ـ كثيرا من النصوص المنقولة او المنسوبة الى الشيوخ فوجده يلتزم اللفظ والمعنى، وهو في احايين اخرى كان يذكر الاخبار مختصرة وبألفاظ من عنده وينص على كمال المعنى وينبه القارىء الى ذلك كله.

ويتصل بما نحن فيه تعليقات أبي الفرج على خطأ الفكرة او الخبر او الرواية بالدليل التاريخي فضلا عن جانب الثقة بالرواة او الشك فيهم، وكثيرا ما يعتمد على وسائل البحث والنظر العقلي، ومقتضيات العصر والبيئة، وكل ذلك يدل على انه صاحب بصر بالنقد التاريخي، وذلك أمر ليس بالكثير على رجل اتسعت حياته لهذه الموسوعة الضخمة في تراث العربية فضلا عن غيرها من المؤلفات الاخرى.

وكثيرا ما يعتمد في النقد التارخي على الدراسة الفنية وهذا موقف لا يستغرب من اديب ذواقة اذ الاعتماد عليه في اثبات الخبر او النص او رده تقدم يحسب له في ميزان البصر الفني والتحليل التاريخي ايضا ولكن كل هذه السمات لا تنقل الرجل من مصاف الرواة الى مصاف المؤرخين بل هي حقه يضاف اليه ويعرف به مكانه بين الرواة. ■

(١) راجع في الكلام عنه: "معجم الادباء" لياقوت، "وفيات الاعيان" لابن خلكان، "عيون التواريخ" لابن شاكر، "الفهرست" لابن النديم، "الكامل" لابن الاثير، "نفح الطيب" للمقري، "مقدمة ابن خلدون"، "الجمهرة" لابن حزم، "المنتظم في تاريخ الامم" لابن الجوزي، "يتيمة الدهر" للثعالبي، "صاحب الاغاني" للدكتور محمد احمد خلف الله، "منهج ابي الفرج الاصفهاني" في كتاب الاغاني" داود سلوم...

غزالة قاهرة الحجّاج

★ هي غزالة زوجة شبيب بن يزيد وأن كان بعض الرواة يقولون انها أمه ولكن الراجح انها زوجته.

★ يجمع المؤرخون على أنها من ربات الفروسية ومن أشجع النساء وكانت براعتها في الضرب بالسيف لا تجارى وكان يخشاها أقوى الرجال.

★ ثارت هي وزوجها على جبروت الحجاج بن يوسف في العراق وذلك في عصر عبد الملك بن مروان فأرسل اليها الحجاج خمسة من أقوى قواده وكانوا مسلحين بالسيوف فطلبت منهم غزالة أن ينازلوها واحداً واحداً ولكنهم رفضوا ذلك وهجم عليها الخمسة بسيوفهم فاستلت سيفها وبارزتهم جميعاً وقتلتهم الواحد تلو الآخر دون أن تصاب بخدش واحد...

★ كانت غزالة قد نذرت أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين لله تقرأ فيهما سورة البقرة بأكملها وعلم الحجاج ذلك فأرسل اليها هذه المرة سبعين رجلا مسلحاً وأحست بهم غزالة فأنهت صلاتها بالتسليم وأخذت سيفها وبرزت لهم فهرب نصفهم وحاول النصف الآخر التصدي لها ولكنها قتلت رجلين بضربة سيف واحدة فأطلقوا سيقانهم للريح ولا سيما عندما لاحظوا تحمس الشعب للفارسة العربية.

★ صمم الحجاج بن يوسف على مجابهتها بنفسه فسار على رأس قوة من مائة فارس والتقى بها هي وزوجها وبعض رجالها فحملت غزالة عليه حملة قوية وقتلت حارسه بأن أطاحت برأسه بضربة سيف فأطلق الحجاج ساقيه للريح وامتطى جواده وهرب. وانتشر الخبر فعيره الناس بذلك وقيلت فيه قصيدة طويلة نختار منها هذين البيتين:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت الى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

★ قتلها أحد قواد الحجاج غيلة بأن طعنها في ظهرها وهو (سفيان بن الابرد) وبمقتلها انفض من حولها من الرجال.

★ تحدث عنها وعن شجاعتها النادرة الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) كما افرد لها ابن عماد فصلا في مصنفه (شذرات الذهب) وعبد القادر البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) وابن خلكان في (تاريخ ابن خلكان)

عن كتاب "سطور مع العظيمات" محمد كامل حسن

الموسيقى الاوتوماتيكية

من عصر العلب الى عصر الكهرباء

اعداد: اليان ماغجر

■ قبل اختراع الفونوغراف، كانت الموسيقى الآلية وقفاً على بعض المحظوظين. والذين لم يسعدهم الحظ في تعلم العزف على آلة كانوا يفتشون عن الفرص النادرة للاستماع إليها.

وقد بقيت الاجراس وعمليات القرع اليدوية، لمدة طويلة، الوسيلة الوحيدة للحصول على أنغام. وكان من الطبيعي ان يبحث العلماء، عن إمكانية اختراع آلات موسيقية بدون عازفين. وكان ذلك ضرورياً في القرن الثامن عشر الذي اشتهر بعملية توسيع واستغلال الفكر الانساني. واشتهرت تلك الحقبة من الزمن بهذه الآلات العاملة ذاتياً، وكانت التجربة الاولى لمحاولة "سجن" الموسيقى والتي امتدت حتى ايامنا على "الالكتروفون".

انها قصة تمثل احدى مراحل النجاح في تاريخ التمدن البشري.

والقرن الثامن عشر يعتبر نقطة الانطلاق الرائعة بالنسبة للموسيقى الآلية، وكذلك بالنسبة لعدة اكتشافات اخرى قام بها العقل البشري.

يومها سطعت في أوروبا اضواء "قرن النور" الذي امتلأ بالعلماء والمكتشفين، وأيضاً بالدجالين والمنافقين الذين كانوا يحيطون بهم وهم يحملون علب التبغ في احدى ايديهم ويضعون ساعتين في جيبي صداريهم.

ومنذ أن اخترع بعض اللاجئين الالمان الذين هاجروا من بلادهم إثر حرب الثلاثين عاماً وويلاتها اجهزة الموسيقى الآلية لم يظهر شيء جديد لمدة طويلة. وفجأة أصاب النجاح كلا من "فوكانسون" والأب "انغراميل" و"جاكسي - دروز" و"بيار كينتزنيك"

ورغم معارضة التقويم التاريخي فاننا نرى أن الاب "انجراميل" هو الاجدر بأن نتحدث عن اختراعه كونه ذا اهمية خاصة.

"ماري دومينيك جوزيف انجراميل" هو أحد الاتقياء الذين يقضون نصف اعمارهم في الصلاة ولا يفكرون باغضاب الله إن هم امضوا النصف الآخر من العمر في ابحاث زمنية.

ولد في "نيدوشيل" عام عام ١٧٣١ (توفي عام ١٧٨٠) وكان على المذهب الطبيعي مثل جان - جاك وميكانيكياً كعادة رجال ذلك القرن. وكأحد اتباع المذهب الطبيعي الف كتاباً عن الفراشات لم يجلب له الشهرة. وكميكانيكي اخترع تقنية جديدة، جعلته من المشهورين. وقد اشتمل كتاب صدر عام ١٧٧٥ موجزاً لهذه التقنية كما يأتي:

إن "التونوتيكنية" هي فن الضرب على الاسطوانات أو كل ما هو صالح لالتقاط "الاصوات في المجال الميكانيكي".

ويكفي القول ان الاب "انجراميل" وهو الموسيقي الحساس الذي صُدم من عدم دقة النتائج التي توصل إليها، اخترع "طريقة الساعة" التي ما زالت مستعملة كمبدأ عام حتى يومنا هذا و ذلك بعد ادخال بعض التعديلات عليها. ولم يكن في نية الاب "انجراميل" استخدام الموسيقى انما خدمتها. ويظهر ذلك جلياً في بعض مقاطع كتابه ذي الاسلوب الشيق: "... ولكن، كم هي الاماكن في فرنسا، التي تقام فيها الشعائر لغوياً فقط وذلك لعدم وجود موسيقى واحياناً لخلل في اسطوانات الآلة المبتاعة بثمن زهيد، والتي كان من الممكن ان تعطي انغاماً أفضل لو جرى ضبطها،

وأحياناً بسبب بعض الموسيقيين غير الاكفاء الذين كانوا يضللون الكورس بدلا من مساعدته"، وكتاب "انجراميل" من بعض نواحيه ملخص لكل الحياة الموسيقية الميكانيكية في عصره: ففيه يذكر موسيقيي: الارغن والسنطير Tympanon) وقارع الاجراس ولاعب الناي، وبالنسبة للاعب الناي فلا شك أنه كان يعني "فوكانسون"

فوكانسون ودماه المتحركة

اشتهر "فوكانسون" بدماه المتحركة وبعبقريته الميكانيكية اكثر من شهرته بثقافته الطبية وبعلمه في التشريح، ولد في "غرونوبل" عام "١٧٠٩" بذاكرة ضعيفة خصص لها "سان سيمون" مقطعاً في كتابه "مذكرات"، كان "فوكانسون" في الخامسة والعشرين عندما قرر صنع "دماه المتحركة" وكان اثناء ذلك يعيش حياة رغيدة في مجتمع سعيد لدى المزارع العام المشهور "روبرتس دولا بوپالينيار"، وأصبح مريضاً ومديناً لمحاولته ايجاد "اجساد متحركة تحت التشريح" تقوم بالوظائف الرئيسية للاعضاء الجسدية، وكان ذلك حلماً فقرر التوقف عن ابحاثه وتصحيح وضعه الحالي،

وبهذه الاخلاق العاقلة والمتواضعة بدأ بصنع "لاعب الناي" وكنموذج له اتخذ لوحة "سوبسيغوكس" وهي تمثل نصف إنسان ونصف سمكة يلعب الناي، واعطى لدميته نفس الطول ونفس المسلك، مستغلا علمه في التشريح الانساني، ثم قدم إلى جمهوره دمية تقوم بنفس حركات الموسيقي الحقيقي الذي يلعب على آلة ناي حقيقية ذات تغييرات داخلية، وقد تقبل الجمهور ذلك برضى تام،

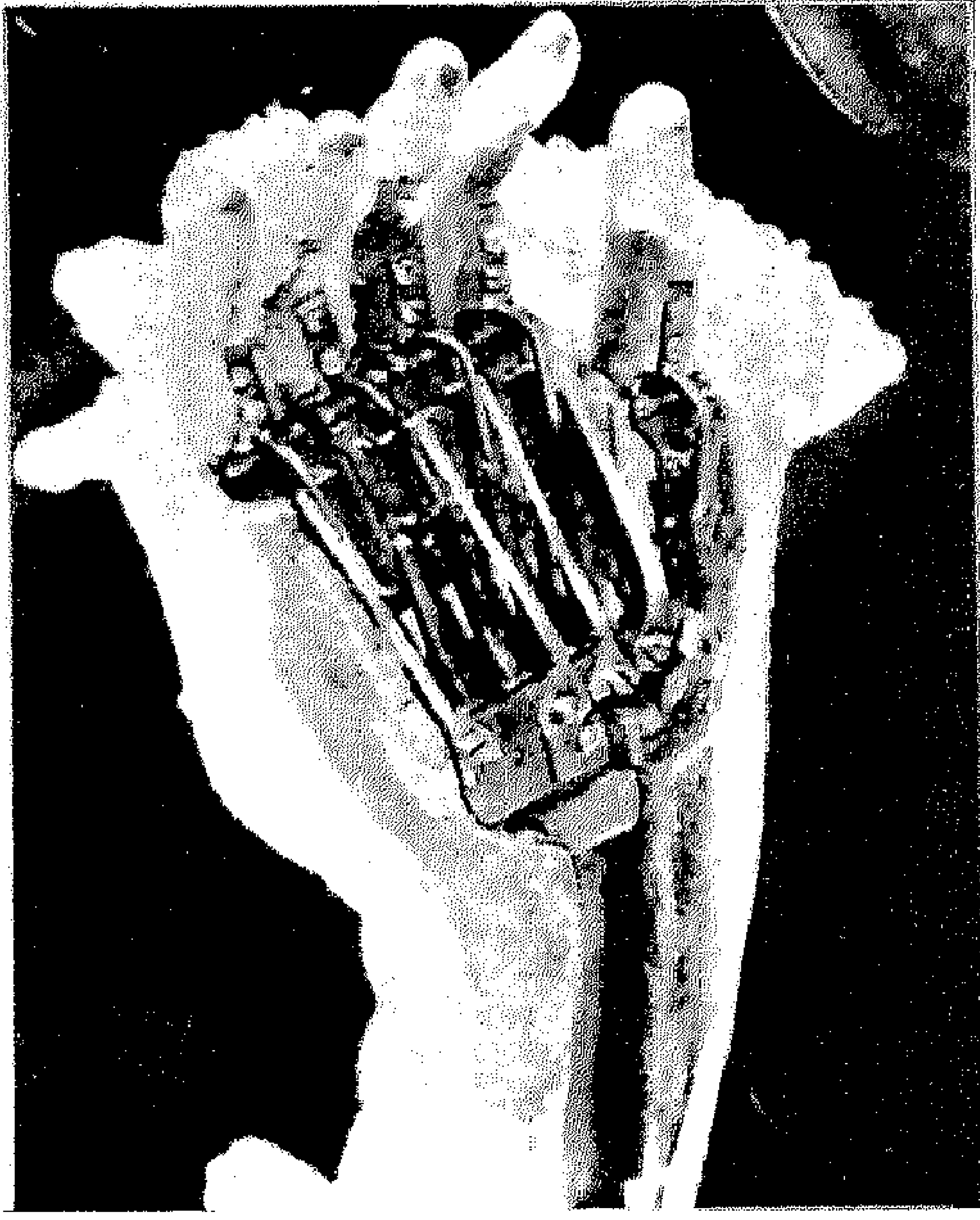
لاعب الناي

وكان ذلك حدثاً جديداً، فالفكرة وتنفيذها جديدان، وكان النجاح فورياً وكبيراً ومدهشاً،

وبعد عرضه لمدة قصيرة في معرض "سان جيرمان" وضع "عازف الناي" في منزل "فوكانسون" الجديد في "لونكفيل" في كانون الثاني ١٧٣٨، حيث تقاطرت الشخصيات أمام "هذا العمل الرائع للفكر الانساني"، بين الزائرين كان "فولتير، دوق دي لوين، دوق بيكيني بالاضافة الى ذواقي الفن وأعضاء اكاديمية الفن بكامل عددهم"، وأظهر الجميع دهشتهم واعجابهم "بهذا الرجل ذي الحجم الطبيعي الذي يرتدي ملابس ويلعب أحد عشر نغماً على ناي عرضي بنفس حركات الشفاه والاصابع وبنفس النفثات من الفم لانسان حقيقي."

وجاء في مذكرات دوق دي لوين:

"١٤ كانون الثاني ١٧٣٨:



— سر اليد الحديدي الدمي.

ما يميز هذه الالة، هو ان النغمات تكون عالية أو منخفضة وتستطيع تغيير الناي بآخر..."

وبعد أن يشاهد "لاعب الناي" يضيف:

"أن النغم يخرج فعلا من الفم، والاصابع هي التي تلعب، الاصابع من خشب مع قطعة من الجلد في الثقوب، كما ان الوجه من الخشب، أما الايدي فهي من الورق المقوى"،

اختفاء الدميتين

واذا كان الشكل الخارجي رائعاً، فان هذه الآلة تبقى مدعاة للتأمل، ففي الثلاثين من نيسان ١٧٣٨ لم يتردد "فوكانسون" في تقديم مذكرة الى "اكاديمية العلوم الملكية" التي قام سكرتيرها الدائم "فونتنيل" بالاحتفاظ بها، قال فيها:

"إن الاكاديمية قد أقرت بان هذه الآلة هي خلاصة تفكير عبقري، وبأن المخترع عرف كيف يستعمل ادوات سهلة وجديدة لمساعدة أصابع هذه الدمية على الحركات الضرورية والتحكم بسرعة الهواء الداخل الى الآلة، وذلك حسب النغمات المنتظرة وكذلك وضع الشفاه، وقام بوضع صمامة متحركة مكان اللسان وباختصار تقليد كل ما يضطر الانسان الطبيعي للقيام به..."

في العام نفسه انجز "فوكانسون" آلته الجديدة (Canard) وهي آلة تصدر أصواتاً، وكان هذا الموسيقي الجديد بشكل إنسان طبيعي يرتدي لباس راع ويقوم باخراج عشرين نغماً مختلفاً على "ناي قروي" من احدى يديه وبالضرب على الطبلة

بالأخرى وذلك بنفس دقة وجودة لاعب ماهر.
ولكن "فوكانسون" سرعان ما تخلى عن اختراعاته التي لم تمثل له سوى اشلاء حلم ضائع ووسيلة لتركيز واستعادة وضعه الحالي المنهار. وفي عام ١٧٤٣ قام ببيعهما إلى مجهول يدعى "دومولان" الذي جاب بهما أوروبا بنجاح كبير وفجأة اختفيا من الوجود... وبدأ البحث عنهما في كل مكان.

تحليل فني

من الوجهة الفنية يمكن اعتبار "لاعب الناي" ثورة في عالم الموسيقى الميكانيكية، لقد كانت بالفعل المرة الاولى التي اظهرت فيها قطعة ميكانيكية مهارتها بطريقة آلية باخراج مقاطع موسيقية.

وبينما لم تعد دمى "فوكانسون" سوى ذكرى مجيدة، فقد بقيت دميتان موسيقيتان بين أجمل وأدق ما اخترع ابدا. ولم تزالا، فوق ذلك، في حالة جيدة وتقومان باخراج الموسيقى ذاتها التي استمع اليها اجدادنا ومن دون شك استمع إليها أيضاً الذين الفوها.

ونعني هذه المرة "السيدتين"

الاولى وهي الاقدم، تعود إلى عام ١٧٧٤. وهي تحفة "جاكي - دروز" الميكانيكيين السويسريين المشهورين. وبعد عدة رحلات قاما بها، أحدهما كان كاتباً والثاني رساماً، لزمت هذه "السيدة" منزلهما في قرية "نيوشاتل" في سويسرا. وفي عام ١٧٨٣ ظهر منشور دعائي وصفها كالتالي:

"هذه الدمية التي يقوم راسها وجسدها وعيناها ويداها وأصابعها بمختلف الحركات الطبيعية، تقوم من تلقاء نفسها ومن على مقعدها بتقديم عدة قطع موسيقية بكثير من الدقة: رأسها وعيناها تتحرك في كل الاتجاهات وهي تتنقّل بصرها على النوته الموسيقية وعلى أصابعها، وبنهاية كل مقطع تقوم بتحية الجمهور بانحناءة من جسدها وبحركة من رأسها وتتحرك حنجرتها صعوداً وهبوطاً بطريقة منظمة مما يجعلنا نعتقد بأنها تتنفس".

يجدر بالذكر ان القطع الخمس التي تلعبها هذه "الموسيقية" لم تكن بالطبع من تأليف موسيقي مشهور انما من هاو موهوب، هو "والدها" هنري - لويس وجاكي دروز.

والسيدة الثانية هي تلك السيدة الشابة، التي تحل ضيفة على متحف "الكونسرفاتوار الوطني للفنون" منذ قرن. وهي تستطيع أن تقدم ثماني قطع موسيقية من "الأرميديا" على الـ Tympanon الذي لم يعد له وجود في أيامنا هذه والذي اطلق عليه العبرانيون اسم "توف".

وهي آلة غريبة نوعاً ما حيث يجري لمس حبالها بواسطة خشبتين صغيرتين. وكما في الدمى السابقة، فإن هذه "الموسيقية" تؤدي دورها بواسطة حركة آلية معقدة.

وقصة هذه السيدة غريبة نوعاً ما. لقد ظهرت عام ١٧٨٠ نتيجة الموهبة المشتركة "لبيار كينتزنيك" و"دايفيد رونتجن" ذوي الأصل الألماني واشترتها الملكة ماري - انطوانيت عام ١٧٨٥ وشغفت بها جداً. ومن خزانة الملك فصّل لها ثوب مطرز بالدانتيل. ويقال أن شعرها الناعم من شعر الملكة نفسها. أما "كلوك" الموسيقي الذي الف الانغام التي كانت تلعبها فقد جعلت منه ماري - انطوانيت ملحنها المقرّب. ويقول "روبير هودين" الذي قام في عام ١٨٦٤ بترميم وجهها الرائع ان تقاسيم هذا الوجه تشبه وجه الملكة. ومهما كانت الأسباب فان الملكة تخلت بسرعة عن نزوتها الجديدة وقامت بعد أشهر قليلة باعطاء هذه الدمية إلى "اكاديمية الفنون" التي حفظتها من ويلات الثورة. وبسبب اهمالها تأثرت بعامل الزمن ثم اعطيت للكونسرفاتوار الوطني للفنون بعد ترميمها واستمرت، رغم تقدمها في السن بتقديم نفس النغمات الصادرة عنها منذ ١٨٠ عاماً.

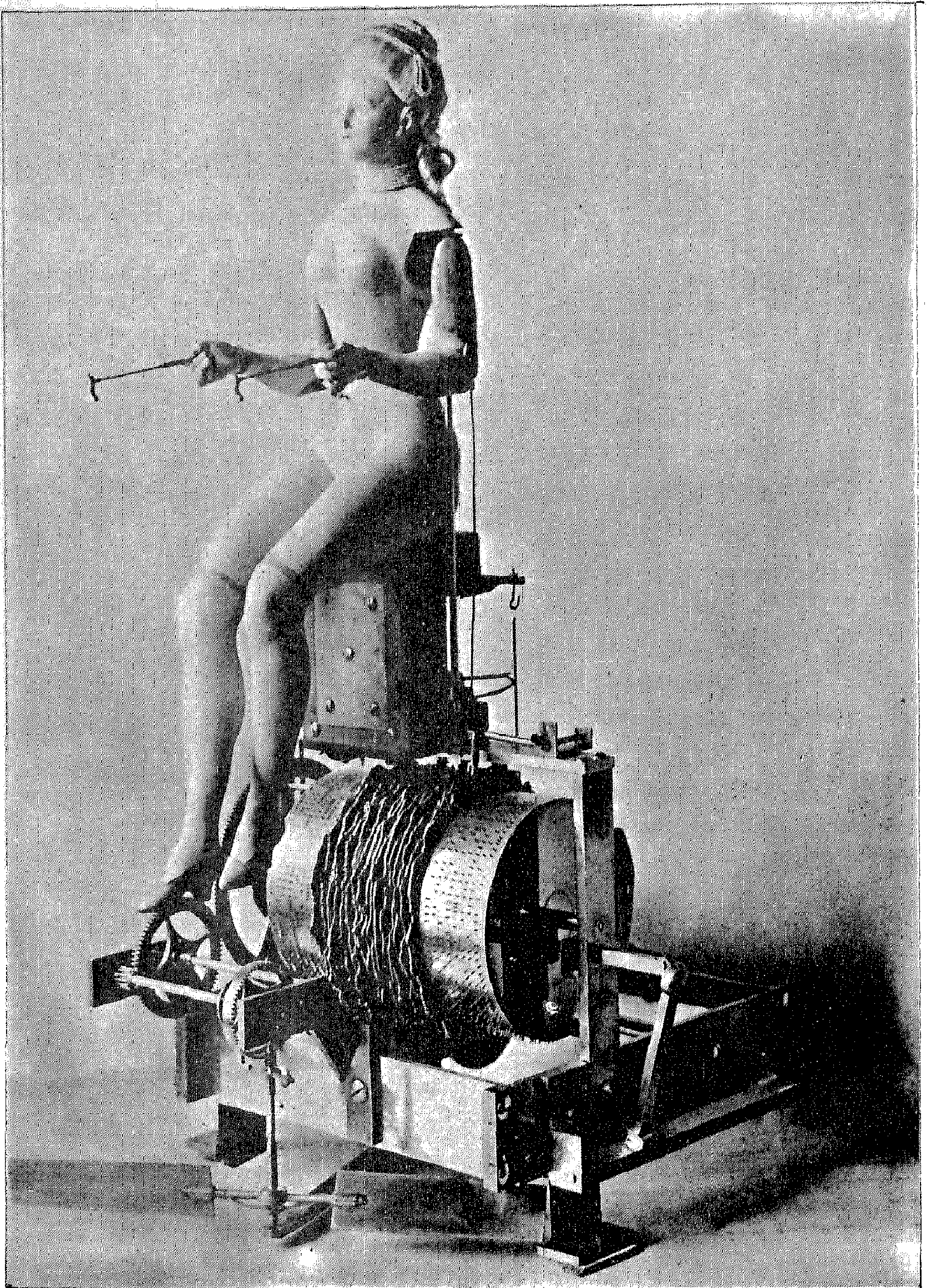
علبة الموسيقى

وجاءت الثورة واستعرت وانتهت... ثم انقضى القرن الثامن عشر وهدأت العاصفة. وانتشرت حفلات الباليه. ولم يعد للنساء هم سوى ارتداء الربطة الحمراء حول العنق "كذكرى للشهداء".. وبدأ نجم نابليون بونابرت بالصعود. ولكن على الحدود القريبة لم تكن الامور حسنة. فجنيف وهي أقدم جمهورية أوروبية تعيش اللحظات الاخيرة من حريتها. وهذه المدينة التي تضم ثلاث فئات مختلفة ومتعادية (الأرستقراطية، والبرجوازية التجارية والصناعيين) كانت مشغولة بصناعة الساعات. هذه المدينة ذات الخمسة والعشرين ألف نسمة كانت تضم حوالي ٦٠٠٠ نسمة يعملون في هذه الصناعة ذات التأثير الكلي على الجمهورية كلها. ولكن في عام ١٧٩٦، ونتيجة للثورة الفرنسية، انتشرت البطالة في جنيف وكان تسعة أعشار العمال بدون عمل فضلا عن الكثير من الصناعيين الذين تركوا هذه المهنة.

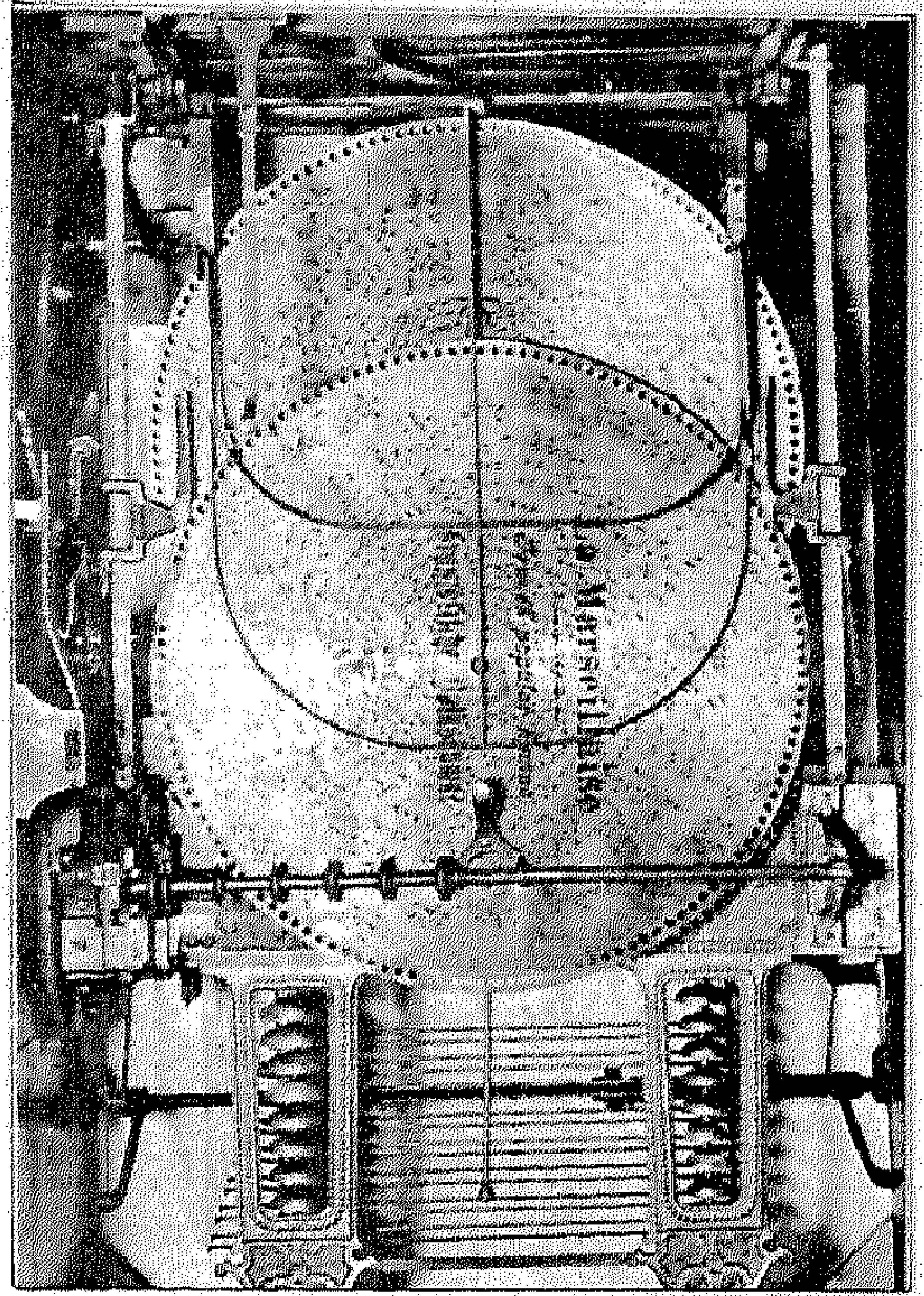
رغم كل ذلك فان البعض حاول تجاوز المحنة ولم ييأس. واحدهم كان "انطوان فافر" الذي غامر باختراع جهاز جديد. ففي الخامس عشر من شباط ١٧٩٦ اصدرت جمعية الفنون تقريراً جاء فيه:

"يقول السيد فافر انه وجد الوسيلة لاقامة رقاص Carillow داخل علبة صغيرة. وكون هذا الاختراع ذا فائدة لصناعة الساعات فاننا ندعو كل المراقبين الى فحص هذا الاختراع الجديد وابداء الملاحظات".

ويبدو أن هذا الاختراع جاء في ظروف سيئة جداً وأطلق عليه لقب "موسيقى المشط" وما زال هذا الاسم سارياً حتى الان.



آلات لاعبة **Tympanon**
قطعة ذات أوراق مع تغيير آلي للاسطوانات.
والاسطوانة العليا تبث نشيد "المارسيلياز" وهو
النشيد الشعبي الفرنسي باللغة الانكليزية والالمانية



قطعة موسيقية مع ناقوس تتغير فيها الاسطوانات بصورة آلية

في عام ١٧٩٨ خسرت جنيف استقلالها، فبعد عدة اضطرابات دخلها الجيش الفرنسي وضمها الى فرنسا، وكان المحتل يغدق الوعود دون تنفيذها وساءت حالة المصنع يوماً بعد يوم، وبالقوة اجبرت جنيف على اتباع النظام الثوري واصبحت أقدم مدينة اوروبية تدعى "مقاطعة ليمان الفرنسية".

في ١٥ ايار ١٧٩٩ صدرت مذكرة ثانية واخيرة لاعطاء بعض التفاصيل عن اختراع انطوان فافر الذي كان يجاهد في ظروف صعبة، ورفضت الجمعية بعد مناقشات عقيمة مساعدته مالياً، وكان قد طلب ٣٢ قطعة ذهبية لمدة شهرين، وعند وفاته في كاريتين عام ١٨٢٠ لم يذكر احد انه مخترع "علبة الموسيقى" التي كانت رائجة آنذاك.

في ١٨٠٢ أصبح نابليون بونابرت القنصل الاول، ووقعت فرنسا مع انكلترا صلح "اميان" وفي جنيف حاول شاب يدعى ايزان بيجو تطبيق نظرية انطوان فافر على الخواتم والساعات وعلب السجائر، ودهش الجمهور بهذا الاختراع، وبفضله استعادت جنيف مجدها الاقتصادي، وبدأ صنع علب موسيقية تناسب كل الاذواق وكل الأسعار، وقام نابليون باهداء علب مذهبة إلى كبار ضباطه وازدهرت هذه الصناعة بين السجناء النمساويين المعتقلين في باريس.

جنيف مقاطعة سويسرية.

وعندما اسقطت الامبراطورية تنفست أوروبا الصعداء. وكان ذلك بداية فك الحصار عن جنيف التي استعادت حريتها واصبحت "كانتون" سويسرياً.

وبفضل شهرتها وجمال طبيعتها وموقعها الحساس أصبحت جنيف عاصمة سياحية. فمنذ ١٨١٥ بدأ المسافرون وخاصة الانكليز يمضون إجازاتهم هناك، وكانوا يقصدونها أيضاً لقراءة "جان جاك روسو". وللذهاب إلى جبال الألب أو الى ايطاليا كان يجب التوقف في جنيف.

هذه الحركة السياحية شجعت التجارة. وكما هو الحال اليوم كانت المتاجر تعرض كل أنواع السلع كذكرى للرحلة. وكانت علبة الموسيقى هي الهدية المشتراة بكل طيبة خاطر.

وكان مراهقو ذلك الزمن يضعون علباً موسيقية على عصيهم المذهبة وساعاتهم وعلب التبغ التي يحملونها وكان كبار القوم يتباهون بهذه التحفة، فحوالي عام ١٨٢٠ أوصت ماري - تيريز ملكة سردينيا على علبة مطرزة مصنوعة من العاج والذهب وذلك لاهدائها الى حفيدتها الأميرة "ماري كلوتيلد" وكانت العلبة تحتوي على عصفور يصدر انغاماً وثلاثة عصافير صغار تساعده في النغم، وكانت الموسيقى تخرج من اسطوانتين تصدر كل واحدة منهما انغاماً مختلفة، ولم تعد جنيف وحدها كافية لتلبية الطلبات وامتدت هذه الصناعة الى مناطق اخرى وفتحت لها فروع كثيرة في الخارج.

ولكن شيئاً فشيئاً بدأت هذه الصناعة بالابتعاد عن هدفها الرئيسي واتجهت نحو انتاج "العلب الموسيقية" بانغام مختلفة، وكانت بعض هذه الانغام من تأليف روسستي وفاغنر وأوفنباخ، وبعض هذه العلب كانت تضم عدة أنغام مما يسمح إما بترديدها أو بالانتقال من نغم لآخر، واحدى كبريات هذه العلب صنعت لنابليون الثالث، وكانت مقامة على أرجل وبحجم خزانة وتحوي على عشر اسطوانات كل واحدة تصدر ثمانية انغام أي حوالي ساعتين من الموسيقى.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر انتشرت هذه الحركة انتشاراً واسعاً، وكان بعض المسافرين يحرصون على امتلاك علب موسيقية في تنقلاتهم، وكتب "لويس بوقيه":

"وفي الايام الممطرة كانت العلب الموسيقية تسلينا وكنا نديرها حتى الثمالة"

وفي العام ١٨٦٧ بلغ إنتاج علب التبغ الموسيقية حوالي ٦٠٠٠ في جنيف وحدها وباسعار تتراوح بين الأربعين والخمسماية فرنك ولم يخل معرض في أوروبا من هذه العلب.



■ "السيدة الموسيقية" لعبة "كينتزيك"
التي اعجبت بها واشترتها ماري انطوانيت عام ١٧٨٥



■ علبة موسيقى مبتكرة ـ صنع جنيف

وإلى جانب هذه العلب تطورت الصناعة الموسيقية بأشكال مختلفة، وأحد اغرب اختراع كان لـ"وينكل" الذي ما زال في الكونسرفاتوار الملكي في بروكسل، انه يستطيع ليس فقط القيام مقام فرقة موسيقية بل أيضاً تقديم ثمانين نغماً مختلفاً، وفي القرن التاسع عشر ايضاً انتشر الأرغن الذي ألف له بيتهوفن قطعة موسيقية خاصة، أما "ارغن بارباري" فمأخوذ من مخترعه نفسه... وجاء في أحد القواميس:

"أن ارغن بارباري المتوحش هو فعلا متوحش كونه يصدر انغاماً شاذة في أغلب الأوقات".

الفونوغراف والفونوتوغراف

وللحقيقة لم يستطع الفونوغراف اثبات وجوده الثوري، الا بعد جهد جهيد مثلهفيذلك مثل اختراع ليليانتهال وآدر والأخوين رايت أبطال صناعة الطيران، والسبب ان الجمهور لم يستوعب ما مكن ان يقدمه هذا الاختراع مستقبلا...

ويجب العودة الى عام ١٨٥٧ للحصول على أول براءة اختراع فرنسية للفونوغراف، انه يحمل الرقم ٣١٤٧٠ ومخترعه هو عامل "التوبوغراف" "ليون سكوت" وهو من مدينة "مارتينغيل" وقد اطلق عليه في البداية اسم "الفونوتوغراف".

بعد عشرين عاماً حصل "شارل كروس" على مغلف مختوم من "اكاديمية العلوم" وكان ذلك في ٣٠ نيسان ١٨٧٧، كان المغلف يحتوي على اختراع نقل وتسجيل الانغام المنتجة بواسطة الفونوتوغراف على الفونوغراف، وفي ١٩ كانون الاول من العام نفسه قام الاميركي "توماس أديسون" بتقديم براءة اختراع لمختلف أنواع نقل وتسجيل الانغام على اسطوانات.

وانتشرت الفكرة بسرعة الرياح

وفي الاول من آب ١٨٧٨ قدم "شارل كروس" براءة اختراع تحمل الرقم ١٢٤٢١٣ والتي كانت خطوة إلى الامام في مجال التسجيل، ولفقره لم يستطع كروس تحقيق اختراعه ومات بعد عشر سنوات في التاسع من آب ١٨٨٨.

وفي عشر سنوات سجل فونوغراف "اديسون" تقدماً ملحوظاً، واستناداً الى ذلك قام "تينتر" و"بيل" في العام ١٨٨٥ باختراع جديد اطلقا عليه اسم "الغرافوفون" وفي ١٨٨٧ قام "برلينير" وهو الماني هاجر إلى أميركا باختراع الاسطوانة واسماها "الغراموفون".

وبدأت حرب الاختراعات في هذا المجال تشتهر في أميركا، وانشئت الشركات لذلك في ولاية "كولومبيا".

ولم يدرك "اديسون" ان اختراعه موجه للعامة، بينما في فرنسا كان "شارل واميل باتيه" يقومان باستدعاء الناس إلى المقاهي ويديران الفونوغراف" حيث نالا نجاحاً دفعهما إلى تأسيس مصنع لانتاجه في "بيلفيل" وبتسجيل اسطوانات مصنوعة في معملهما في "شاتو"، وكانت مكاتبهما في باريس نفسها وفي شارع "ريشيليو" رقم ٩٨ حيث كانا يقومان بعملية التسجيل، ولم يكن في الامكان تسجيل أكثر من ٣٥ اسطوانة، ويذكر ان الفنان، "شارلوس" كان يردد النغم الواحد أربعين مرة في الصباح وأربعين مرة في فترة بعد الظهر، وكان ثمن الاسطوانة يتراوح بين الفرنك والفرنكين، وتطور الامر إلى أن أصبح الديك شعاراً للعمل.

أما بالنسبة "للكلب الجالس" الذي يستمع إلى صوت سيده والذي لم يقل شهرة عن الديك فكان من انتاج الرسام الانكليزي بارولت الذي رسمه عام ١٨٨٩ وباعه الى "شركة الفراموفون".

في فرنسا اخرجت "باتيه" اولى اسطواناتها في عام ١٩٠٨، وكان ذلك مفاجأة ضخمة حلت محل الاسطوانة المتداولة، وكانت اهمية الاختراع تزداد يوماً بعد يوم، وبدون توقف ازدادت الشركات في كل انحاء العالم ولكن خف الانتاج بسبب الحرب العالمية عام ١٩١٤، ونستطيع القول أن المرحلة العظيمة للاسطوانة توقفت عام ١٩٢٤، لان الناس كانت تملك عدة انواع من الانغام لا يمكن لأية علبة موسيقية تقديمها.

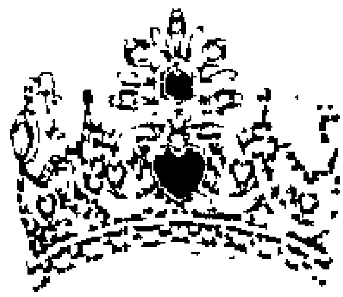
وكانت الشركات تقدم لجمهورها وبكل اخلاص كل ما يقدمه المغنون والموسيقيون.

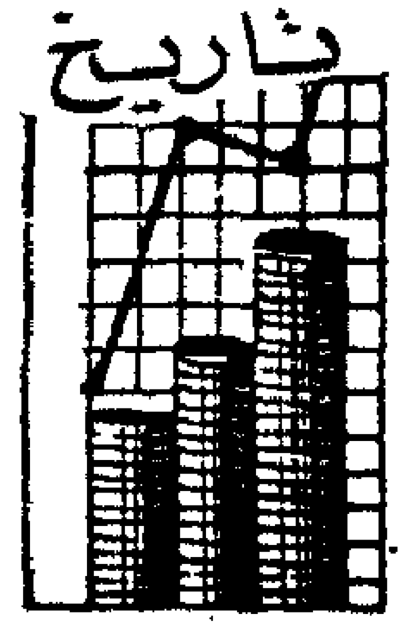
حتى العام ١٩٤٧ لم يطرأ أي جديد في المجال الفونوغرافي، ولم تتغير الاسطوانات الكبيرة والثقيلة ذات ٧٨ دورة في الدقيقة والتي كان وقت ادارتها محدوداً، وكان يجب ادارتها باليد كلما توقفت.

وفي عام ١٩٤٧ ادخل (ادي باركلي) إلى فرنسا اختراعاً جديداً احضره من الولايات المتحدة وكان الميكروسيلون ثورة جديدة في عالم الموسيقى.

وخف وزن الاسطوانة وحجمها إذ كانت ذات ٤٥ دورة ووصلت مدة الدورة إلى نصف ساعة إذا كانت ذات ٣٣ دورة، وبطلت عادة الادارة باليد وبدىء باستعمال الكهرباء.

... وما بعد هذا التاريخ هو قصة اخرى طويلة، وطويلة جداً، وان تكن حدثت في فترة زمنية قصيرة. ■





اصلاح زراعي

■ المقصود بالاصلاح الزراعي هو اجراء تعديلات وتغييرات في النظام الزراعي للبلد المعين بقصد زيادة الانتاج الزراعي، وتوفير موارد داخلية للتنمية القومية، وتحقيق نوع من العدالة الاجتماعية للفلاحين، ورفع مستوى الريف الى مستوى المدينة .

وهذه التعديلات والتغييرات قد تكون شاملة لكافة نواحي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والادارية والفنية والعلمية في الزراعة، فيكون الاصلاح الزراعي في هذه الحالة اصلاحاً زراعياً جذرياً، وقد تقتصر التعديلات والتغييرات على بعض نواحي الجانب الاقتصادي في الزراعة وعلى بعض جوانب نظام حيازة الارض والتصرف فيها . ومن الممكن ان يؤدي الاصلاح الزراعي المحدود الى الاصلاح الزراعي الشامل في ظروف الانتقال الدؤوب الى الاشتراكية .

وفي الاشتراكية يعتبر تحقيق اصلاح زراعي جذري هدفاً رئيسياً، وان كانت وسيلة تنفيذه قد تختلف من بلد الى بلد وفقاً لظروفه . وغاية الاصلاح الزراعي الاشتراكي ليست هي تعديل نظام الانتفاع بالارض من نظام فردي اقطاعي الى نظام فردي رأسمالي، وانما هدفه هو تحويل نظام الانتفاع بالاراضي الزراعية الى شكل من أشكال الانتفاع الاجتماعي بها، وأشكال الانتفاع الاجتماعي تحدد في شكل "مزرعة الدولة"، أو "المزرعة الجماعية"، او "المزرعة التعاونية" .

ومن اهم المسائل المتعلقة بمدى ثورية الاصلاح الزراعي، مسألة الموقف من مدى دور الفرد في التصرف في الارض الزراعية وفي منتجاتها، ومدى استغلاله للارض بوصفها غرض انتفاع وبالمحاصيل بوصفها سلعة . وتطرح هذه المسألة قضية مصير الملكية الفردية في الارض سواء من ناحية استمرار وجودها بشكل مطلق، أو من ناحية شروط مثل هذا الوجود ومداه . كما نطرح قضية المستفيد الاول من عائد العمل الزراعي

وتعتبر سلسلة القوانين التي صدرت منذ ٩ ايلول (ستمبر) ١٩٥٢ في مصر المتعلقة بالارض والفلاح اول تجربة من نوعها في العالم العربي . وهي القوانين التي حددت الملكية والايجار وحلت الاوقاف الاهلية واعادت تنظيم الاوقاف الخيرية، وصادرت اراضي أفراد الاسرة المالكة، وحددت اجر العامل الزراعي وكفلت للعمال الزراعيين حق تكوين النقابات .

وقد نص ميثاق العمل الوطني على اخترام الملكية الفردية في الارض الزراعية، وان كان قد تضمن في الوقت ذاته شروطاً هامة من أبرزها الا تكون هذه الملكية اقطاعية او تفتح الباب للاقطاع، وألا تكون هذه المكلية مستغلة أو تفتح الباب للاستغلال، وان تكون ملكية منتظمة في نظام تعاوني يمتد على طول العملية الزراعية من الحرث والبذر الى التسويق، وان تخضع هذه الملكية الفردية لتخطيط منظم يكفل ان تؤدي هذه الملكية من الخدمة للمجتمع قدر ما تؤديه من خدمة لاصحابها .

ومنذ صدور قوانين الاصلاح الزراعي في مصر، تمت اصلاحات زراعية في عدد من البلاد العربية: كان منها الاصلاح الزراعي الذي تم في سوريا عقب الوحدة في اوائل عام ١٩٥٨، والذي تم في العراق عقب ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، ثم الاصلاح الزراعي في الجزائر الذي بدأ تنفيذه عام ١٩٦٧ .

ومن الواضح ان قضية الاصلاح الزراعي لا تزال مطروحة في سوريا والعراق حتى الآن . أما في الجزائر، فان تجربة الاصلاح الزراعي تسير قدماً على أسس واضحة . ■

١٠ع "عن موسوعة الهلال عام ١٩٧٠



تاريخ حركة الطوابع الاردنيــــة

اعداد: ميشال اسطفان الاخصائي في الطوابع

نشرنا في العددين السابقين تاريخ بدء استعمال الطوابع في لبنان ومصر، ولمحة عن المكتب الفرنسي في الشرق، وها نحن نقدم في هذا العدد تاريخ حركة الطوابع البريدية في الاردن، ولمحة عن المكتب الروسي في الشرق.

المملكة الاردنية الهاشمية المعروفة سابقاً بشرق الاردن، كانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية، وكانت تستعمل الطوابع العثمانية، ولكن باختام مختلفة تحمل اسماء المدن الاردنية. ولدى دخول الحلفاء في ٢٨ ايلول ١٩١٨ استعملت الطوابع الفلسطينية (خالص الاجرة) (صورة ١).

ولما انشئت الدولة العربية برئاسة الملك فيصل سنة ١٩٢٠ جعلت من الاردن جزءاً من الحكومة السورية العربية، وانتشر استعمال طوابعها الى جانب ما تبقى من الطوابع الفلسطينية الآنفة الذكر.

وفي ٢٤ تموز ١٩٢٠ انسحب الامير فيصل من دمشق عاصمة سوريا التي استولى عليها الفرنسيون.

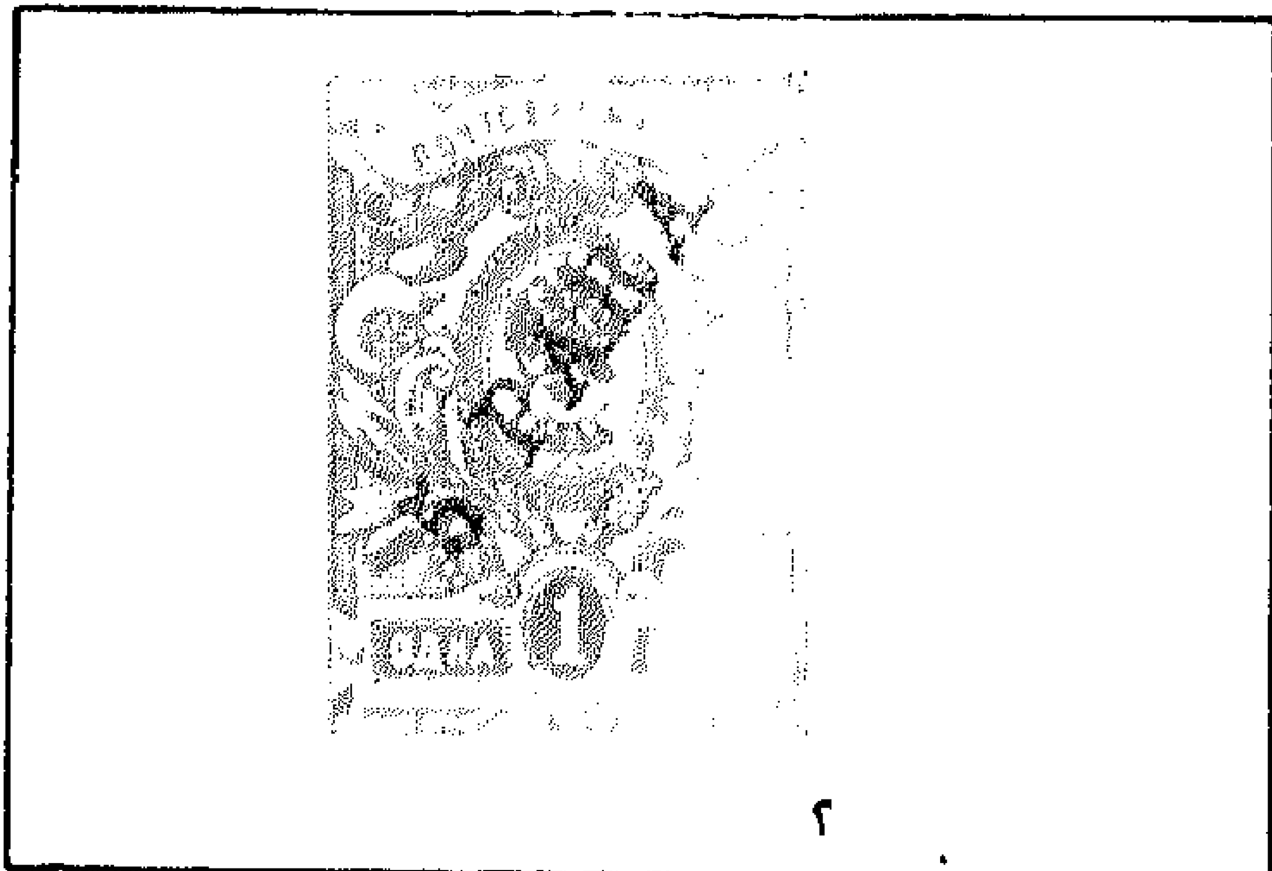
وفي شهر آب ١٩٢٠ توجه المندوب السامي في فلسطين الى السلط التي كانت اكبر مدينة مهمة في الاردن، واعلن باسم حكومة صاحب الجلالة البريطاني تأسيس نظام حكم مركزي في الكرك وعمان والسلط واربد. اما مقاطعة معان فقد بقيت تحت ادارة الملك حسين ملك الحجاز.



وبالرغم من مرور اكثر من شهر على النظام الجديد في الاردن بقيت طوابع الملك فيصل هي المستعملة، الى ان نفذت الكمية فحلت محلها في تشرين الثاني ١٩٢٠ مجموعة طوابع فلسطينية (خالص الاجره) موشحة "شرقي الاردن (صورة ٢).

المستشار البريطاني يتصرف على هواه!

ونذكر بالمناسبة ان المستشار السياسي البريطاني السير الك كيركبرايد Sir Alec Kirkbride المعين لمدينة الكرك عاصمة اراضي مؤآب لم يتمكن من الحصول على الطوابع الموشحة المذكورة اعلاه لاعتقاد السلطة المركزية في القدس بأنه لا حاجة الى الطوابع في تلك المنطقة النائية مما اضطره لصنع طابع بقرش واحد للاستعمال البريدي والمالي، فأخذ دفتراً من الورق الابيض وسطره مربعات بقلم الرصاص وبقياس ٣٥مليمتراً تقريباً ثم ختم بخاتم المجلس البيضاوي قياس ٤/٢١ × ٤/٢٣ مليمتراً داخل كل مربع بالحبر الاخضر ومهر اسمه بالاسفل على الشمال AK بالحبر البنفسجي الذي كان يستعمله للكتابة. اما الكمية التي صنعها فتراوح بين ٢٠٠٠و٣٠٠٠ طابع استعملت من اواخر سنة ١٩٢٠ الى آخر آذار ١٩٢١. وهذا العمل الجريء غير رأي السلطة في القدس فارسلت له حاجته من الطوابع المتداولة. ثم ما لبثت الاردن ان اعلنت امارة



٢

مستقلة برئاسة الامير عبدالله بن الحسين، وذلك في اول نيسان ١٩٢١ واخذت تصدر مجموعاتها المتتالية، بتوشيحات مختلفة "حكومة الشرق العربية" فوق طوابع المجموعة الاولى الموشحة اصلا "شرقي الاردن". ومن ثم على مجموعة الطوابع الحجازية لعام ١٩٢٢، وايضاً على مجموعة طوابع الملك علي بن الحسين لعام ١٩٢٥.

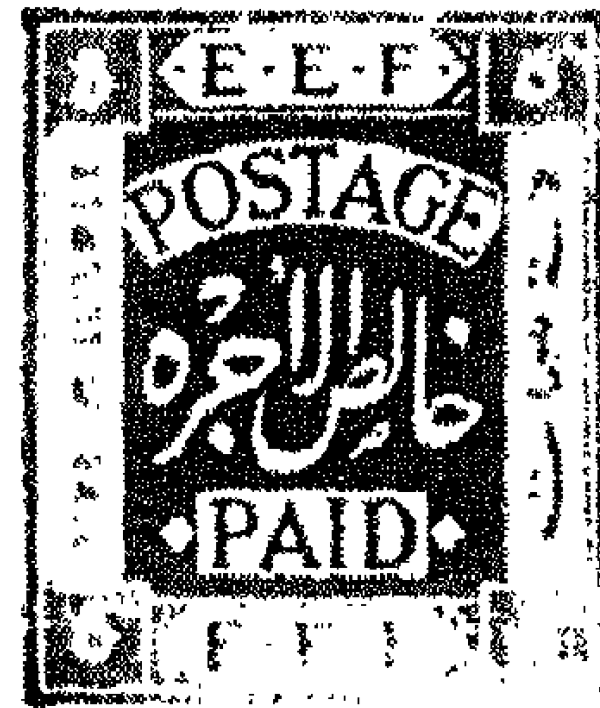
المكاتب الاجنبية

باشر المكتب الروسي اعماله في عام ١٨٥٧ بادارة شركة روسية للملاحة والتجارة اسمها "دوبيت"؟ وبدأ استعمال الطوابع الروسية العادية عام ١٨٦٣ بختم يحمل رقم 783 للدلالة على انها للمكاتب البريدية التي تعمل خارج البلاد.

اما طوابع "دوبيت" التي صدرت باسم الشركة فكانت محدودة جداً واستعملت من عام ١٨٦٥ الى ١٨٢٨. ومن ١٨٦٨ حتى ١٩١٤ استعملت الاصدارات الخاصة والاصدارات الموشحة لدى جميع المكاتب الروسية في الامبراطورية العثمانية والخارج (صورة ٣،٤) مع تواشيح اخرى كثيرة لمدن مختلفة منها:

Constantinople	Salonique
Beyrouth	Rizeh
Kerassunde	Mont Athos
Jaffa	Metelin
Jerusalem	Trebizonde
Dardanelles	Smyrne

الى ان اقفلت جميع هذه المكاتب سنة ١٩٢٣ مع باقي المكاتب الاجنبية بناء على احتجاج الدولة العثمانية وبموجب فرمان سلطاني صدر سنداً لمعاهدة لوزان.



٣

هل تعلم ؟

● هل تعلم ان اثمن طابع في العالم هو طابع غينيا البريطانية لعام ١٨٦٠ فئة سنت واحد الذي بيع بالمزاد العلني في الولايات المتحدة مؤخراً بمبلغ ٤٨٠ الف دولار، وان الكاتالوغ الانكليزي جيبونز قد سعره بـ٣٥٠ الف جنيه استرليني؟

اسئلة القراء

● السيد فارس زلزل ـ برمانا.

١ ـ ضخامة المبلغ الاسمي على الطابع الالماني يرجع الى سقوط قيمة المارك الالماني في اعقاب الحرب العظمى الاولى، اما قيمته التجارية الحالية فعشرون قرشاً لبنانياً.

٢ ـ الطوابع غير المختومة هي في الغالب اعلى سعراً ولكن ثمة طوابع مختومة تخالف هذه القاعدة كما هي حالة الطابع المسؤول عنه اعلاه.

٣ ـ تتوقف قيمة الطابع العثماني على نوعية الختم الذي يحمله والبلد الذي استعمل فيه.

■ نرحب بجميع الاسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسننشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها. ارسل اقتراحاتك وملاحظاتك الى مجلة تاريخ "العرب والعالم" قسم الطوابع ـ ص.ب (٥٩٠٥) بيروت ـ لبنان

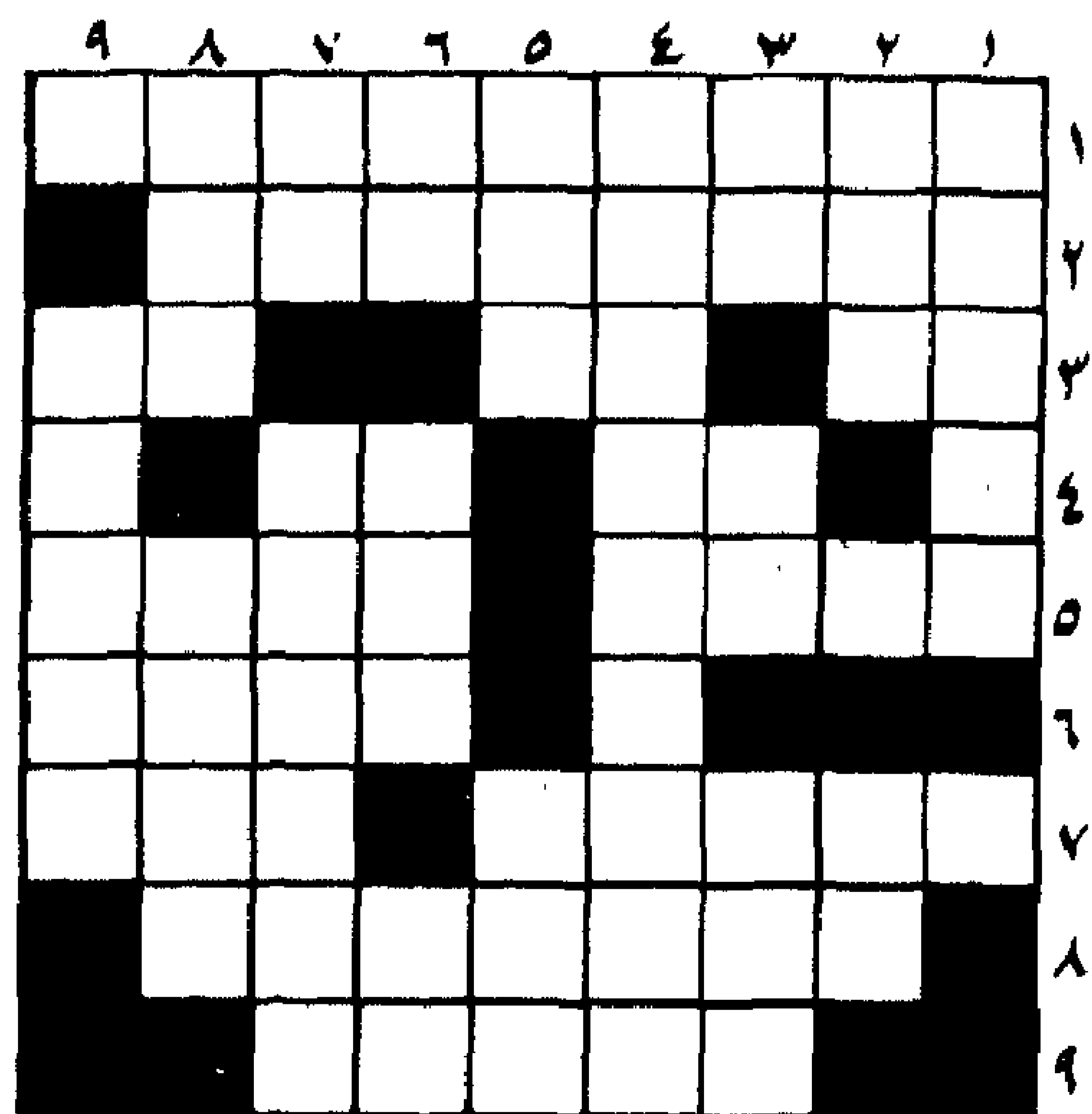
حركة البيع والشراء

■ هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة او البيع او الشراء. وقد درسنا احسن الاسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.



٤

مسابقة الشهر



افقياً: ١ - رئيس لبناني راحل - رئيس لبناني راحل (معكوسة) ٣ - من اقرب الاهل. للتأوه. حرف نصب ٤ - عبر. حرف جر. ٥ - طلب. الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل (معكوسة). ٦ - الاسم الاول لرئيس لبناني. ٧ - الاسم الاول لنائب راحل. يتحتم ٨ - رئيس لبناني ٩ - الاسم الثاني لرئيس لبناني (معكوسة).

عمودياً:

١ - سراج الليل ٢ - موسيقي عالمي. وكر ٣ - ضمير منفصل (معكوسة). معظم البحر (معكوسة). هامة ٤ - رئيس لبناني راحل ٥ - الاسم الثاني لرئيس لبناني راحل. سفينة ٦ - للنهي. مادة عطرية. اذهب (معكوسة) ٧ - توجد في السوق. الاسم الاول لرئيس لبناني (معكوسة) ٨ - صفح. خفقان القلب (معكوسة) ٩ اصقاع (معكوسة).

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة لبنانية

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في مجلة "تاريخ العرب والعالم".

حل مسابقة العدد الماضي

افقياً:

لبنان. مصر

باري. كويت.

بيروت. دم.

يطيب. عما.

انملة. ا. س.

ياياياياي

دانق. رومل.

ب. سوريا.

يمن. بغداد.

عمودياً:

ليبيا. دبي.

بريطانيا. م.

تاريمان. ن.

ابو بليق.

ن. ت. آة. سب.

ك. ج. يروغ.

مو. ما اورد.

صيدا. ايمي.

رتم. دالاس

ملاحظة: الكلمة المشطوب تحتها (معكوسة في المربع).

قسيمة الطوابع رقم ٣	الاسم : ----------------
	المهنة : ----------------
	العنوان : ----------------

هل تعلم؟

■ انه، منذ تم توقيع اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩، واصلت اسرائيل ممارسة سياسة عدوانية: بشن هجمات عسكرية عبر خطوط الهدنة، وبغزو اراضي الدول العربية المجاورة، بصورة متكررة؟

وان مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة قد وجها الى اسرائيل، بسبب هذه الهجمات العسكرية، لوما او ادانة في احدى عشرة مناسبة: خمس مرات من قبل مجلس الامن، وست مرات من قبل الجمعية العامة؟

■ وانه ليس هناك من بلد آخر في العالم (سواء أكان عضواً في المنظمة الدولية او لم يكن) قد ادين بمثل هذا التكرار من قبل الامم المتحدة؟

■ وانه ليس هناك من بلد عربي واحد قد ادين من قبل هيئة من هيئات الامم المتحدة بسبب قيامه بهجمات عسكرية على اسرائيل (او على اي دولة اخرى)؟

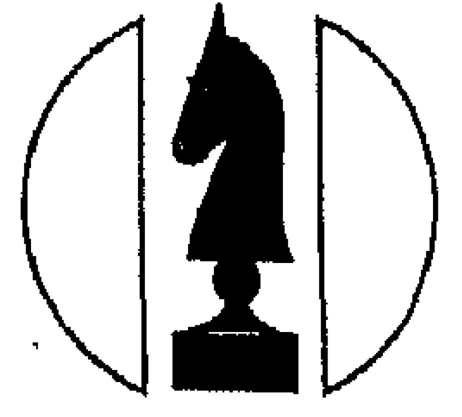
■ وانه، الى جانب طرد معظم سكان فلسطين العرب، والى جانب مهاجمة الدول العربية المجاورة باستمرار، فان اسرائيل واصلت مضايقة مراقبي الامم المتحدة وموظفيها الاخرين على امتداد خطوط الهدنة، واغتالت الوسيط الدولي الاول ومساعده العسكري، واحتجزت بعض مراقبي الهدنة، واحتلت عسكرياً، وفتشت بصورة غير شرعية، المقر العام لموظفي الامم المتحدة، وقاطعت اجتماعات لجان الهدنة المشتركة بقصد شلها عن العمل والتخلص من رقابة الامم المتحدة؟

■ وان اسرائيل، اضافة الى ذلك كله، قد فرضت نظام تمييز عنصري ضد العرب الذين بقوا في وطنهم؟ وان اكثر من ٩٠٪ من هؤلاء العرب يعيشون في "مناطق محظورة"؟ وانهم وحدهم يعيشون في ظل حكم عسكري يقيد حرية تنقلهم من قرية الى قرية او من مدينة الى مدينة؟ وان اطفالهم محرومون من فرص التعليم المتكافئة؟ وانهم محرومون من الامكانات المناسبة للعمل، ومن حق "الاجر المتكافىء مع العمل"؟

■ وانه، على الرغم من جميع الحقائق المذكورة، آنفاً، فان اسرائيل كانت دوماً وما زالت توصف في الصحف الغربية بانها "حصن الديمقراطية" و "بطلة السلام" في الشرق الاوسط؟

■ وان الدول الغربية تلح باستمرار على اعلان تصميمها على ضمان ما يدعى "بتوازن التسلح" في المنطقة — اي بين اسرائيل من جانب، والمئة مليون مواطن في الثلاث عشرة دولة عربية من جانب آخر؟

وان هذا المبدأ الغربي، القائم من جانب واحد حول ما يدعى "بتوازن التسلح"، ليس معقولا — الا بقدر ما هو معقول الاقتراح المتعلق بالنزاع الكوبي الامريكي بايجاد "توازن التسلح" بين كوبا والولايات المتحدة، او الاقتراح بالا يسمح للقارة الافريقية كلها بامتلاك سلاح اكثر من الذي تمتلكه جنوب افريقيا، او الاقتراح بعدم السماح للصين الشعبية بامتلاك اسلحة اكثر من التي تمتلكها تايوان (الصين الوطنية)، وانه بهذا فقط تمكن صيانة السلم في نصف الكرة الغربي، او في افريقيا، او في آسيا؟



تاريخ

سقطت النورماندي بايدي الفرنسيين لان الاميركان يلعب جولة خاسرة

يكتبها محمد مراد بكر

بريطانيا

(القسم الثاني)

■عرفت انكلترا نوادي عديدة بين اواخر القرن الثاني عشر واوائل القرن التاسع عشر نذكر منها:

بريستول - كان يفتح ابوابه يوميا في العاشرة مساء وكان يرئسه كابتن كندي يساعده بصفة نائب رئيس تومبسون وكان جورج فيلبس امينا للسر.

كوفنتري - قاعة الاجتماعات في هذا النادي كانت تستقبل لاعبي الشطرنج ايام الثلاثاء والجمعة مساء. وهو برئاسة ج. الكر.

كارديف - وكان مركزه في المعهد الادبي في شارع سانت ماري ويستقبل اللاعبين مساء الاثنين والخميس من كل اسبوع برئاسة ر.ف. لانكلي

دوبلن - في دولير ستربت - يفتح ابوابه مساء الاربعاء والسبت من الثامنة حتى الحادية عشرة برئاسة ج. سلمون.

وفي دوبلن ايضا نادي فكتوريا للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ايام الاثنين والجمعة ابتداء من السابعة مساء.

ولن نسترسل في تعداد النوادي فهي كثيرة جدا ولكن لعل اهمها في ذلك العصر نادي سان جورج للشطرنج الذي كان يستقبل اللاعبين ابتداء من الساعة الحادية عشرة صباحا وكان برئاسة اللورد كريمورن، فقد جاء في دعوة قام بها النادي سنة ١٨٥١ تحضيرا لعقد جمعية عامة ما يلي: اعضاء اللجنة الادارية الانكليز هم: الدوق دي مارلبورو، الفيكونت دي كريمورن، اللورد والدن، السادة تالبوت، مارمادوك، ج. ميلفس، السير مارشال، ليدل، لويس فونبلانك، كاتلي، ستاونتن، ينغ سميث، هـ. بوكل، جيرار ميلز، الكابتن كندي.

اللجنة الفرنسية مؤلفة من السادة: دوق دي كارامان، دوفينك، الجنرال البارون دي فاريني، الكونت دي بونتاليا، الفيكونت دي فوفرلند، شامويبه، سازباس، كراميل، سيفان، جورنود، ديسكيز، بورلي، ديلانو، كييزيرتزكي.

هدف الاجتماع: تاسيس امبراطورية دولية للشطرنج (هكذا سميت في الدعوة)، تأسيس برلمان شطرنجي، انتخاب امبراطور للشطرنج، توحيد الاصطلاحات والترقيم في الشطرنج، خلق قوانين ومحكمة عليا لامبراطورية الشطرنج هذه.

ولعل ذلك كان التفكير الاول الذي ادى في ما بعد سنة ١٩٢٤ لخلق الاتحاد الدولي للشطرنج الذي ينظم الشطرنج في العالم اليوم.

وقد بلغ عدد النوادي في ذلك الحين اي حوالي سنة ١٨٤٢ في انكلترا وحدها ما يزيد قليلا عن ٢٥ ناديا وجدنا اسماءها في المستندات التي وقعت تحت ايدينا. اما المؤلفون والناشرون واللاعبون البارزون في انكلترا في ذلك الوقت فقد كانوا عديدين ايضا مما يدل على ازدهار الشطرنج في انكلترا نذكر منهم على سبيل العد لا الحصر السادة:

برنار وقد نشر عدة رسائل شطرنجية.

بودن، لاعب قوى له مؤلفات عديدة وقد كتبت عنه مجلة لا ريجانس سنة ١٨٥١

بلاك، وكان قد نال من ملك انكلترا بناء على توصية من دوك ميريوا سفير فرنسا في لندن منحة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه استرليني (وهذا يدل على مدى اهتمام الملك في الشطرنج).

بوهن. ناشر مشهور، نشر كتاب "ذي تشس بلايرز كومبانيون"، لستاونتن اشهر لاعب في ذلك العصر والذي يعزى اليه شكل كل احجار الشطرنج المعروفة اليوم، كما نشر كتاب "هاند بوك اوف غايم" سنة ١٨٥٠

بوزويل. (السيد الكسندر) وهو ناشر ايضا لكتاب "ذي بوك اوف ذي تشس" من القرن السادس عشر والذي اعيد طبعه على اربعين نسخة فقط من قبل سلون سنة ١٨١٨.

بوكل. (هنري توماس) لاعب من الدرجة الاولى توفي في دمشق سنة ١٨٦٢ وهو مؤلف كتاب نال شهرة كبيرة اسمه تاريخ المدينة في انكلترا.

وليم كاكستون. الذي طبع كتاب "ذي غايم اوف تشيس" وهو منقول عن اللاتينية لصاحبه جاك دي سيسول وهو اول كتاب طبع في انكلترا.

لورد شاتان • الذي القى خطابا شهيرا في مجلس اللوردات في ١٧٧٥/١/٢٠ شبه به لعبة الشطرنج بحكومة تأسيسية، حيث ان الملك وان كان اهم قطعة في الشطرنج يبقى لا حول له ولا طول دون تواجد بقية القطع •

وغيرهم كثيرون مثل جون شكران، كراميل، فولك، والملكة اليزابيت نفسها التي كانت من هواة الشطرنج • ويروى عن غييوم دي كران الذي كان يقود جيوش ادوارد الثالث ملك انكلترا ما يلي: عندما اراد السيطرة على قلعة (افرو) وكانت منيعة جداً، دعا حاكمها الذي كان شغوفا في الشطرنج للاطلاع على لعبة جميلة، فلبى الدعوة شاكرا وما ان حضر حتى احتجزه سجينا واستولى على القلعة التي اعتبرت من الغنائم •

جاك الاول • في خطاب القاه في مجلس العموم سنة ١٦٠٩ قال ان للملوك القدرة على رفع وخفض رعاياهم مثل لاعب الشطرنج الذي يجعل من البيدق فيلا او حصانا •

ويروي عن الامير جان سان تير سنة ١٢٠٤ انه بينما كان الفرنسيون يحوزون على تقدم يومي في مقاطعة النورماندي، كان جان منغمسا في ملذاته فاذا راجعه احد قال له لندع الفرنسيين يتقدمون فاني استطيع ان اربح في يوم واحد ما يغنمونه خلال عام، ولما ابلغ عن سقوط قلعة غايار هرب الى لندن، فذهب اليه نواب "روان" يطلبون منه نجدة خلال شهر على الاكثر والا اضطروا لتسليم المدينة الى الفرنسيين، ويظهر انهم اتوا في وقت غير مناسب اذ كان جان يلعب الشطرنج وكان مركزه حرجا في الجولة يتطلب انتباها كليا، فاجابهم بلهجة حزينة: "ما كان لكم ان تقاطعوني وانا في هذا الموقف، اذهبوا فلن ارسل لكم اية نجدة، افعلوا ما تجدونه مناسباً" • وهكذا خسر هذا الامير مقاطعة النورماندي التي بقيت تحت حكم الفرنسيين ٢٩٤ عاما •

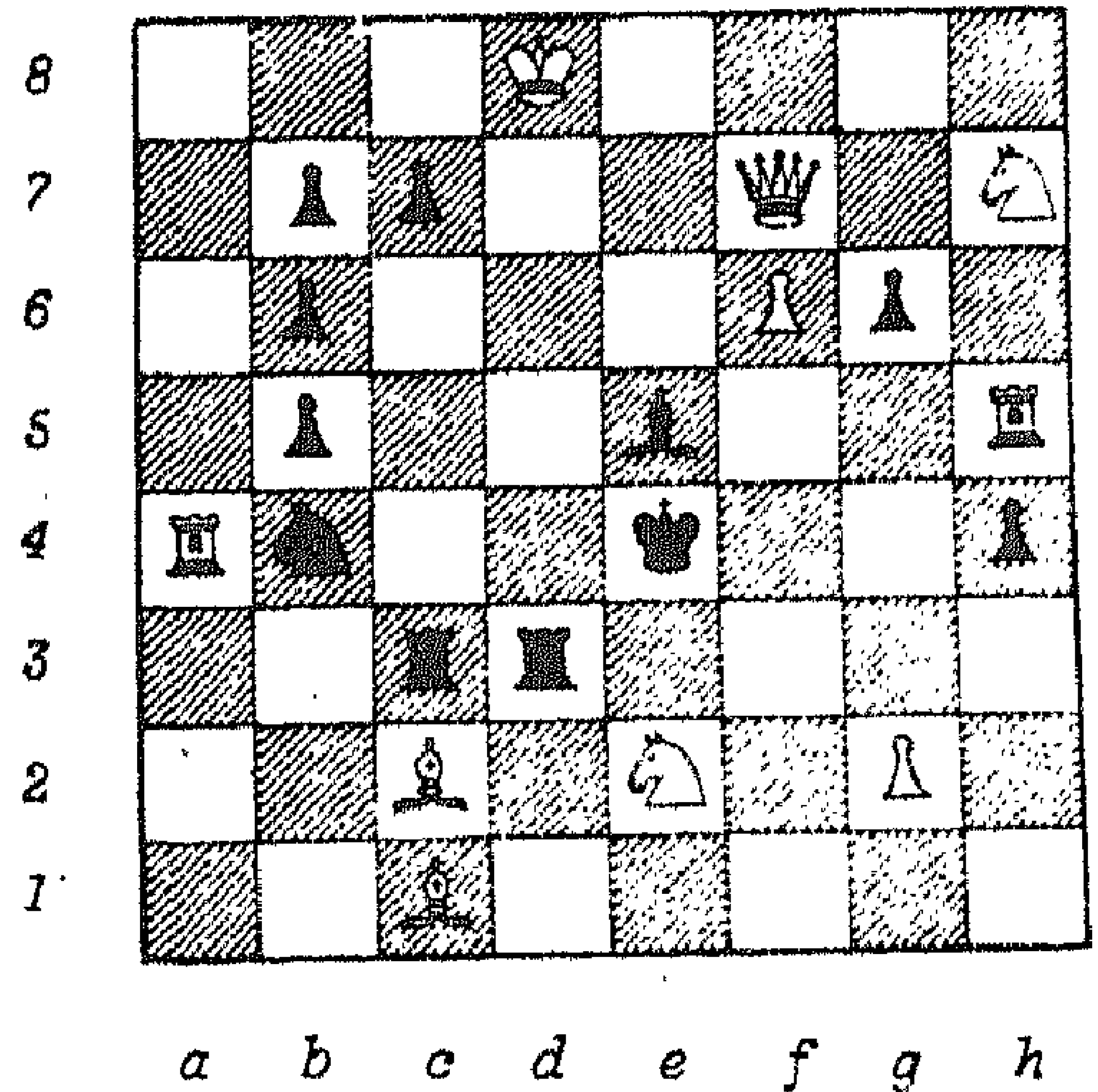
والمؤلفات الشطرنجية التي ظهرت في انكلترا في اوائل القرن التاسع عشر كثيرة جدا يضيق المجال في هذه الصفحات عن حصرها وقد يكون اهمها ما نشره ستاوتن ويعتبر اقوى لاعب في ذلك العصر كما اسلفنا فقد بلغت مؤلفاته ومنشوراته في الشطرنج ما يزيد عن خمسة عشر كتابا، هذا الى جانب الكتب المؤلفة عن فيليدور وعن الاوتومات (اللاعب الالي) الذي سنفرد له مقالا خاصا، وعن الشطرنج في القرنين الثاني والثالث عشر •• ■

مسابقة الشطرنج

المسابقة الثالثة

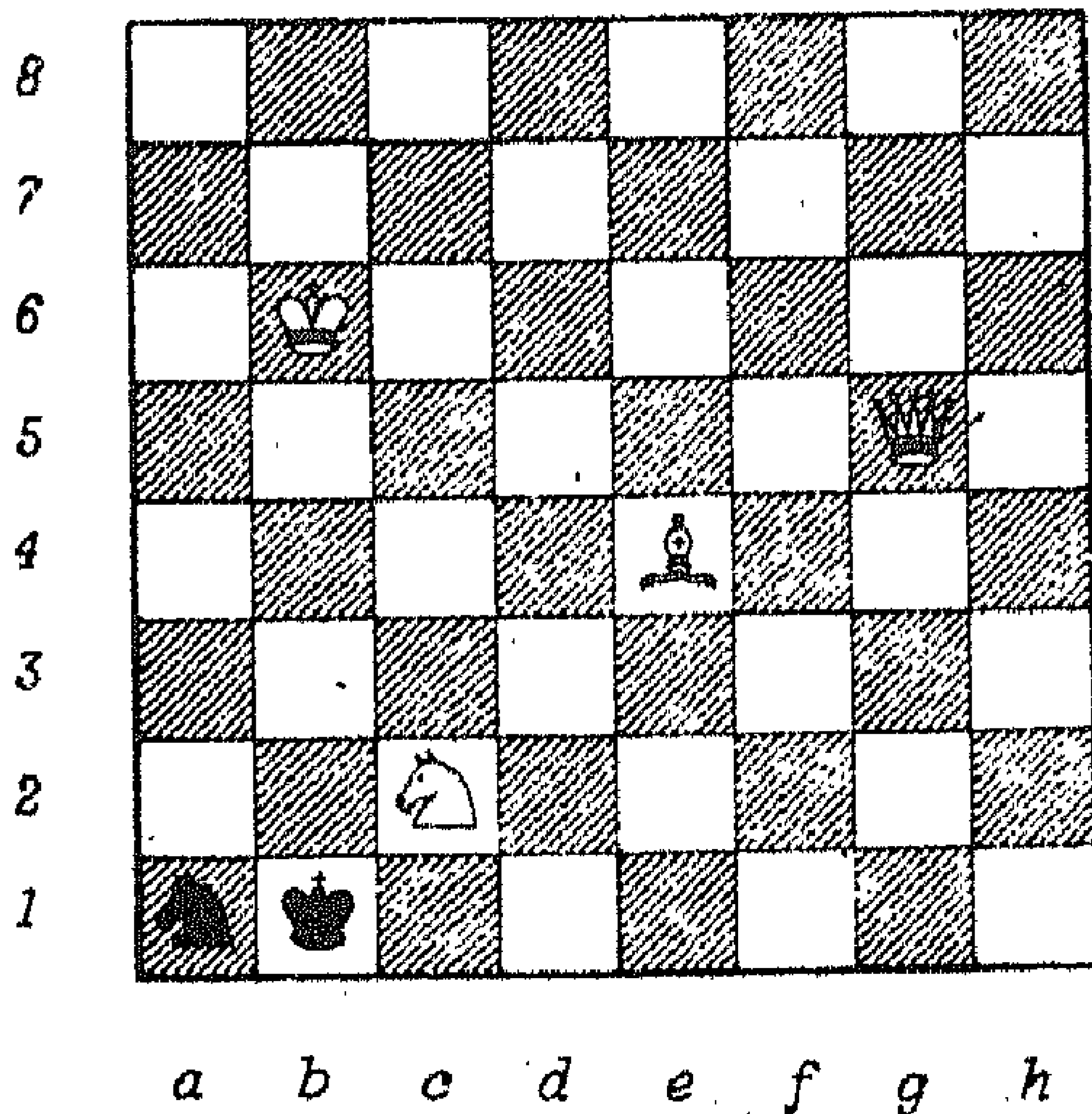
المسألة رقم ٥

مات بنقلتين



المسألة رقم ٦

مات بثلاث نقلات



■ وسننشر في كل عدد مع الحل الصحيح للمسائل المنشورة اسماء الذين توصلوا الى الحل الصحيح في المدة المحددة والذين سيكون لهم الحق بالاشتراك في الجائزة السنوية.

ترسل الحلول الى ادارة المجلة ص.ب. ٥٩٠٥ ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج. يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال.

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية للفائز الاول.

الجائزة الثانية: اشتراك لمدة سنة في "تاريخ العرب والعالم" للفائز الثاني.

الجائزة الثالثة: اشتراك لمدة نصف سنة للفائز الثالث.

حل المسابقة الاولى

المسألة الاولى: المفتاح 1 — Ré4 والنقلة الثانية واضحة

المسألة الثانية: المفتاح: 1 — Tb6

الحل:

1 — Tb6
2 — Cb — Ç6... Fg5
3 — F×g6

الرموز: R تعني الشاه اي Roi باللغة الفرنسية يقابلها بالانكليزية K اي King

T تعني الرخ اي Tour بالفرنسية يقابلها بالانكليزية R اي Rook

C تعني الحصان اي Cavalier بالفرنسية يقابلها بالانكليزية N اي Knight

F تعني الفيل اي Fou بالفرنسية يقابلها بالانكليزية B اي Bishop

D تعني الوزير اي Dame بالفرنسية يقابلها بالانكليزية Q اي Queen

الحلول الواردة

وصلتنا حلول عديدة للمسابقة الاولى من كافة المناطق اللبنانية ومن بعض الدول العربية وكل مشترك كتب الحل على طريقته الخاصة، لذا فاننا نلفت النظر الى ان الاتحاد الدولي للشطرنج اقر في السنة الماضية الترقيم الجبري باللغة اللاتينية (انكليزي او فرنسي). وهي الطريقة الوحيدة التي يجب على لاعبي الشطرنج في العالم الكتابة بها اعتبارا من سنة ١٩٨١ — لذا فاننا نرجو الجميع التقيد بهذه الطريقة في الحلول المرسلة خصوصا وان اللجنة التنفيذية للاتحاد العربي للشطرنج اقرت استعمال هذه الطريقة في جلستها المنعقدة في تموز (يوليو) ١٩٧٧

الحلول الواردة كما اسلفنا عديدة ولكن احدا باستثناء السيد اندره طويل من بيت مري لبنان لم يعط الحلول الكاملة صحيحة لذا فقد استحق الجائزة الشهرية.

ملاحظة: اخذنا بالحلول التي وردت ضمن المهلة المحددة

الفائز بالجائزة الاولى: اندره طويل — بيت مري "الحي الشرقي" ١٠٠ ل.ل.

قسيمة الشطرنج رقم ٣	الاسم : ------------------
	المهنة : ------------------
	العنوان : ------------------



للطلاب فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة مخصصة للطلاب...وللطلاب فقط

من هي ؟

■ دولة اسلامية قامت بالمغرب والاندلس ما بين (١٠٥٣ - ١١٤٧) نشأت في صنهاجة بالمغرب، وارتكز مذهبها الديني على صرامة الاخذ بتعاليم السلف. اسسها ابو بكر بن عمر اللمتوني الذي توفى ١٠٨٧. وبرز فيها يوسف بن تاشفين، مؤسس مدينة مراكش التي جعل منها قاعدته استعان به ملوك الطوائف في الاندلس، بعد استيلاء الفونصو السادس ملك قشتالة على طليطلة، فهب على راس جيشه لنجدتهم. وانتصر على الافرنج في معركة الزلاقة (١٠٨٦)، ولما وقف على ضعف ملوك الطوائف، الحق بلادهم بمملكته، وعاد الى فاس، واتخذها عاصمة ملكه. وبموته عام ١١٠٦ خلف دولة امتدت من السنغال الى نهر الايبر، ومن الاطلنطي الى الجزائر. ومن ملوك هذه الدولة على بن يوسف، الذي اسس في فاس، ومراكش، وتلمسان، عمائر رائعة من بدائع الفن الاسلامي. وملك من بعده: تاشفين ابن علي، وابراهيم بن تاشفين، واسحق بن علي، وكان آخر الولاة في الاندلس: يحيى بن غانية (١١٤٨). ويعزى الى هذه الدولة نشر الاسلام في مملكة غانا القديمة بغربي افريقيا، بفضل المصلح البربري عبدالله بن ياسين، وتنظيمه المحكم للدعوة الاسلامية، باقامته الرباطات للعبادة في الاماكن البعيدة عن المدن.

من هو ؟

■ كان من ابرز المناضلين السياسيين في معسكر للاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة في الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٦٠.

كان في طليعة قيادة المظاهرات الجماهيرية التي هبت لاحباط مشروع التوطين في شمال سيناء عام ١٩٥٥ التي حاولت (وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) فرضه لتوطين اللاجئين في شبه جزيرة سيناء. ورفعت الجماهير آنذاك شعار لقد وقعوا مشروع التوطين بالحبر وسنمحوه بالدم" مشيرين بذلك الى التوقيع بالاحرف الاولى على المشروع. في ٥ آذار (مارس) ١٩٥٥ القى القبض عليه مع عدد من المناضلين الفلسطينيين في قطاع غزة ونقلوا الى احد السجون العربية. من الرواد الاوائل الذين ساهموا في صنع الانطلاقة الاولى للحركة. واكب مسيرة الثورة الفلسطينية باذلا من اجلها كل جهد وكان ان انتخب عضواً باللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وعضواً باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيساً للدائرة السياسية فيها ورئيساً للجنة السياسة استشهد في العاشر من نيسان ١٩٧٣ في منزله في شارع فردان على اثر الهجوم الاسرائيلي على بيروت.

ماهي ؟

■ جمهورية صغيرة تقع شمال شرق ايطالياوتبلغ مساحتها ميلامربعاً وعدد سكانها حوالي ٢٠،٠٠٠ نسمة يتكلمون الايطالية، اما العاصمة فهي مدينة سان مارينو، وتقوم وحدة جمركية بين ايطاليا وهذه الجمهورية الصغيرة التي يحكمها وصيان يعينان مرة كل ستة اشهر بواسطة المجلس العام،

تعرف هذه الجمهورية بأنها اقدم واصغر جمهورية فيالعالم وتحدها ايطاليا من كل الجهاتالبرية وقد انشئتهذه الجمهورية عام ٣٥٠م، تعتمد على السياحة فياقتصادها بالاضافة الى عائداتها من بيع الطوابعوانتاجها من الخمور،

مـن هــو ؟

■ فيلسوف ورياضي اسلامي (٩٧٣ ـ ١٠٥٠) وهو المعروف "بالاستاذ". اصله من فارس ومولده في عاصمة خوارزم،

كان من بين الاسرى العديدين الذين حملهم معه السلطان محمود الغزنوي، تعلم السنسكريتية وعدداً من لغات الهند كما درس الديانات والفلسفة الهندية بلغات اهلها، كذلك درس الفلسفة اليونانية وشيئاً من اللغة العبرية والسريانية،

يعد من اعاظم علماء الدولة الاسلاميّة، كان فيلسوفاً ورياضياً، وفلكياً وجغرافياً ورحالة وجماعة،

اهم ما خدم به العلم انه اوضح استعمال الارقام الهندية، مع استعمال الاصفار لمقام الخانات، كما حل مسائل معروفة باسمه، ولا تحل بالمسطرة والفرجار، منها: قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية، وحساب قطر الارض،

ذكر ان سرعة النور اعظم من سرعة الارض كثيراً، وكان له بحث في الوزن النوعي واستخراج الاوزان النوعية لثماني عشر مادة من المعادن والحجارة الثمينة بدقة بالغة،

اشهر كتاب له هو "تاريخ الامم الشرقية"،

الجوائز هي:

■ الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانة

■ الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

اجوبة مسابقة العدد الاول

■ حادث فاشودا (عام ١٨٩٨)
■ جزيرة مالطه ـ دولة مستقلة في البحر الابيض المتوسط تتكون من عدة جزر
■ مدام ماري كوري
■ مدينة فرساي في فرنسا
■ ثابت بن قرة، ابو الحسن الحراني

■ الفائزون

● الفائز الاول: مازن حمود ـ جامعة القديس يوسف ـ كلية الهندسة ـ صيدا خمسون ليرة لبنانية،
● الفائز الثاني: سلطان اسعد ـ المدرسة البطريركية ـ بيروت، اشتراك سنة في "تاريخ العرب والعالم"
● الفائز الثالث: عبد الغني محمود ـ معهد المعلمين ـ وكالة الغوث ص،ب، ٤٨٤ ـ عمان ـ الاردن، اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم"،

قسيمة للطلاب فقط
رقم
٣

الاسم : ---------------------------
المهنة : ---------------------------
العنوان : ---------------------------

الاهتمام الذي استقبلت به " تاريخ العرب والعالم" من الصحافة في لبنان والوطن العربي، هو وسام تتمنى ان تكون أهلا له٠

هذا الاهتمام وضع على كاهل أسرة تحرير المجلة مسؤوليات ومهاماً جساماً في اطار الدور الذي نذرت نفسها له، الا وهو اعادة كتابة التاريخ العربي واعادة اكتشاف ما عفا منه الزمن عليه٠ والوسام، اذن، في منظار "تاريخ العرب والعالم" لا يعني غير المزيد من الجهد والعرق والبحث املا في الوفاء بالمهمة، او بالجزء الكبير منها، وباطلاع القارىء العربي على ما خفي عليه، أو أخفي عليه، من التراث الانساني الضخم على مدى التاريخ٠

الكفاح العربي

وكتبت الزميلة "الكفاح العربي"

● "تاريخ العرب والعالم" مع ما في هذا الاسم من تشويق وتوق، يجيء اسماً لمجلة تصدر في بيروت، من عددها الاول، يشعر القاريء انه ازاء مجلة من نوع جديد٠ والامل كبير في أن تستطيع هذه المجلة سد فراغ طالما عانينا منه٠

يرأس تحرير المجلة الجديدة ناشرها فاروق البربير٠

النهار الدولي والعربي٠

٠ ● في باريس كتبت الزميلة "النهار العربي والدولي" تقول:

مجلة جديدة تاريخية تصدر في بيروت بعنوان "تاريخ العرب والعالم"٠ في افتتاحية العدد الأول تعرف المجلة بنفسها بقولها: "اذا طالعتك كلمة "العرب" بخط كوفي على غلاف هذه المجلة، فلا يعني هذا اننا سنقتصر على تاريخ الجزيرة العربية، او على تاريخ الجزيرة العربية، او على مرحلة٠ بل ان الصورة ستضع امامك الشعب العربي أياً كان موطنه من الخليج الى المحيط"٠

من كتاب العدد الأول: قسطنطين زريق، ارنولد توينبي، محمود زايد، دافيد لويس، باسم الجسر، ديمتري برامكي٠

الاوريان ـ لوجور

مجلة على غرار "هيستوريا"!٠٠٠

وكتبت الزميلة ايرين موصللي في "الاوريان لوجور"٠

لبنان يعيش اليوم اياماً حزينة انسته ماضيه٠٠٠

ولكن مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي ظهرت في الاسواق في بداية هذا الشهر وضعتنا مرة أخرى في الماضي الحي٠ مجلة "تاريخ العرب والعالم" صدرت عن "دار السياسة للصحافة والنشر" ويرأس تحريرها فاروق البربير٠

من خلال مراجعتنا للعدد الاول الذي يبدو رصيناً في مقالاته علمياً في معالجته للاحداث التاريخية المختلفة يتأكد لنا ان هذه المجلة جاءت لتبقى٠

الشرق الاوسط

"تاريخ العرب والعالم"
اول مجلة تاريخية
عربية للقارىء العام

● في لندن كتب الدكتور محمود زايد في الزميلة "الشرق الاوسط"

على الرغم من ان الصحافة العربية شهدت خلال السنوات العشر الاخيرة ظهور عشرات المجلات الاسبوعية والشهرية والفصلية٠ فانه من الملاحظ انها كانت تفتقر الى مجلة تاريخية تستهدف القارىء العادي مثل مجلة "هيستوريا" الفرنسية، ومجلة "انترناشينال هستوري" التي تصدر في سويسرا باللغة الانكليزية٠ ومجلة "هستوري تودي" التي تصدر في انكلترا٠

ومجلة "تاريخ العرب والعالم" الشهرية التي ظهر العدد الأول منها في بيروت قبل ايام تسد بعض الحاجة الى هذا النوع من المجلات٠ فمادتها غنية بالمقالات المتنوعة التي لابد وان تستهوي مختلف القراء٠ ففيها مقالات عن الفكر والمنهج التاريخيين احدهما بقلم الدكتور زريق والاخر بقلم الدكتور احسان عباس٠ كما أن فيها بضع دراسات لجوانب معينة من تاريخ العرب وترجمة لعمر المختار ووصفا مثيراً لموت رومل ثعلب الصحراء ومقالات في تاريخ الشطرنج والرياضة والطوابع٠

النهار

مجلة "تاريخ العرب والعالم" ان قرأت العدد الاول اخذتك مواضيع وتمنيت معالجة اختبارية

كتب الزميل نزيه خاطر في "النهار" يقول في سياق مقال طويل:

ليست صدفة مجانية ان تنزل "مجلة شهرية تبحث في التاريخ العربي" الى السوق الثقافية ٠ فنحن نمر بأيام حادة جداً ٠ وجديدة جداً ٠ وحاسمة الى اخر الحسم في ما يتعلق بحاضرنا ٠ وقد تقيد بعض الاختيارات المتداولة حالياً مستقبل مجتمعاتنا لحقبة غير قصيرة من تاريخنا ٠ كما ينتظر وقوع تعديلات في بعض "جغرافيا المنطقة" على حسب تعليقات الذين يصنفون بين العارفين ٠ وهي جميعها من الاحداث والتنبؤات التي تلفت مباشرة الى الاهتمام بها من زاوية ارتباطها القريب او البعيد بتاريخنا القديم والحديث ٠

مجلة من "تاريخ العرب والعالم" تسد فراغاً، طبعاً ٠ خاصة اذا هي ارتبطت بالتيار العلمي ذي التطلعات الحديثة في ثقافتنا العربية ٠ فليس مهماً صدور منشورة ، بل ما يساعد القارىء العربي على توضيح علاقته الموضوعية بهذا الشيء المقفل اعلامياً الذي يختصر دائماً بعبارة "التاريخ" والذي يبقى امراً غير متداول بين الناس ٠ لكنه يرزح تحت كمية من غبار الزمن وجهد انسان كل يوم بمضمونه ٠ اذ ان التاريخ العربي اما حكايات شعبيةواما مجلدات ضخمة من فعل متخصصين واما مختصرات مدرسية سطحية وشبه مضجرة ٠ وفي جميع الحالات انه موضوع كلام واستشهاد وذكريات وحجج تعين في الساعات الحرجة ٠

النداء

مجلة جديدة تختص: "بتاريخ العرب والعالم"

كتبت الزميلة "النداء":

"تاريخ العرب والعالم"، مجلة جديدة، صدر منها العدد الاول، في بيروت، طموحاً الى اختصاص تتبعه مجلة شهرية، وهو التاريخ ٠ من غلاف المجلة، يتراءى لك الطابع التاريخي الكلاسيكي ٠ المادة الكتابية التي تحتويها المجلة، مرفقه بالصور وببعض الدوريات ،من نشاطات التسلية" كلمات متقاطعة وغيرها"، ربما في محاولة للافادة من التسلية، ببعض المعلومات التاريخية ٠

المستقبل

وكتبت الزميلة "المستقبل"

■ صدر العدد الاول من مجلة " تاريخ العرب والعالم" ٠ وهي مجلة شهرية تعنى بالتاريخ العربي ٠ وتتضمن دراسات ومقالات متعددة حول تاريخ العرب والعالم، وقضايا فكرية وانسانية ٠ وقد تصدر العدد الاول عدد من الاسماء اللامعة في الفكر والسياسة ٠ من بينها الدكتور قسطنطين زريق ٠ والدكتور الزميل باسم الجسر والمؤرخ ارنولد توينبي، والدكتور محمود زايد وغيرهم ٠

الاخبار الاردنية

اول مجلة عربية في التاريخ

● في عمان كتبت الزميلة "الاخبار":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب ـ اوراق لبنانية ـ ليوسف ابراهيم يزبك ٠ ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها ٠

اسم المجلة الجديدة ـ تاريخ العرب والعالم ـ تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية ٠

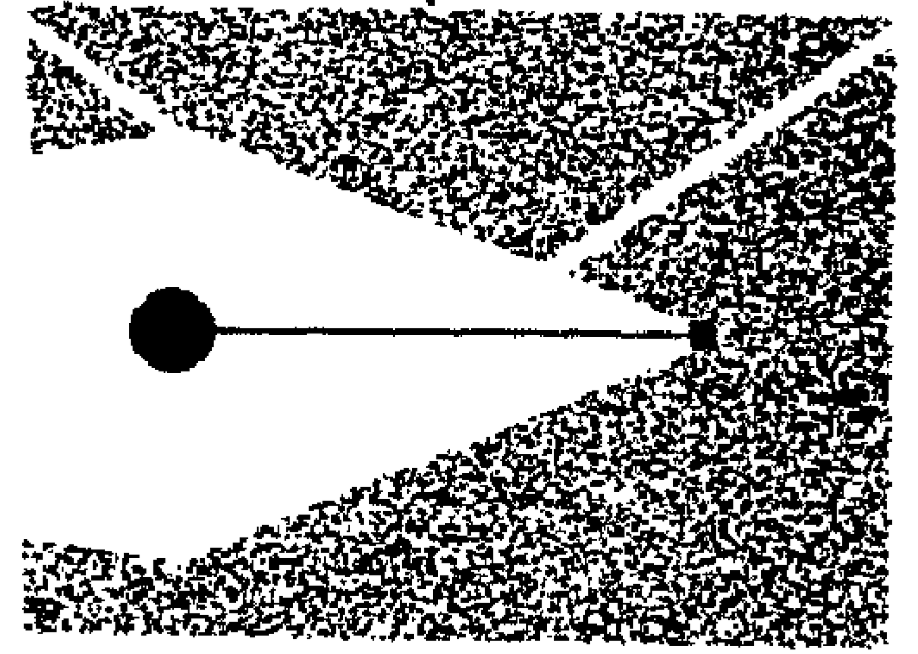
السفير

مجلة لبنانية جديدة تضع التاريخ في متناول الجميع: قسطنطين زريق: أي حضور للعرب في العالم؟

كتبت الزميلة "السفير":

اصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت، فبعد سنوات طويلة من احتجاب "اوراق لبنانية" ليوسف ابراهيم يزبك ٠ ومسلسلات عمر ابو النصر المشوقة، ها هو فاروق البربير يحاول على طريقته اخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين ايدي الناس، دون ان تفقد رصانتها ومصداقيتها ٠

اسم المجلة الجديدة "تاريخ العرب والعالم" تصدر شهرياً عن دار السياسة للصحافة والنشر عدد صفحاتها مائة من المقياس المتوسط ومقالاتها مصحوبة بالصور والرسوم الايضاحية ٠



بريد القراء

وصلت ادارة مجلة "تاريخ العرب والعالم" رسائل عديدة تبدي اعجابها وتشجع اسرة التحرير على المضي قدما •

ونظرا لكثرة الرسائل الواردة نقتطف في مايلي بعضا مما كتبه اصدقاء المجلة واعدين جميع الذين لم ننشر رسائلهم في هذا العدد بذكر اسمائهم في اعداد لاحقة •

وتشكر المجلة جميع من ارسل اليها مشجعا وترغب في ان تكرر انها ترحب بأية رسائل وتعد اصحابها بأن تأخذ بعين الاعتبار جميع الاقتراحات التي ترد •

اقتراح قيد الدرس

● داخلني فرح وامتنان، اولا عندما سمعت عن صدور هذه المجلة الرائدة، وثانيا عندما تصفحتها واطلعت على محتواها••وامتناني لكم بالذات، كونكم ساهمتم في نشر الشطرنج – لعبتي وهوايتي الصعبة المنال – على صفحات مجلتكم، وهو ما عرضته من قبل على المسؤولين عن ابواب التسلية في مجلات هذا البلد وقد اعتذروا عنه، كونه "غير شعبي" ولا يجد محبذا بين اغلبية القراء – كأن هدف المجلة المبيع فقط، لا التوعية والتثقيف •

اما وقد لاحظتم هذا النقص وسارعتم الى سده فاني اتوجه الى اسرة التحرير بالشكر، لمبادرتهم المباركة ولكونهم لم ينسوا ان للطلاب حقا وواجبا، في الرعاية والتشجيع والمناصرة، في محيط لم ينتبه بعد لأثر العلم والمعرفة – معرفة الذات ماضيا وحاضرا ومعرفة الآخرين – في توجيه سير الاوطان والحضارات •

واود لو تسمحون لي بابداء اقتراح ونحن في اول الطريق معكم، يتعلق بدراسة تاريخ العلوم عند العرب خاصة، والشعوب المشرقية القديمة اذا كان ذلك ممكنا •

مخايل الهاشم – سرجبال – الشوف /لبنان/

● اقتراحك قيد الدرس •

● لقد وجدت ان العدد الاول من "تاريخ العرب والعالم" يسعى بجدية لنشر الوعي الثقافي بين ابناء الامة العربية انها مجلة حاوية وشاملة اظن انها تثرى الصحافة العربية الان وفي المستقبل •

عندما تصفحت هذه المجلة بدا لي ان القارىء العربي عموما وفي هذه الفترة بالذات يحتاج الى مثل هذه المجلة لانها تقدم ثقافة اصيلة وباسلوب يرتفع عن الاسفاف الذي تمتلىء به صفحات كثير من الصحف والمجلات العربية، واقول لكم ان ظهور مجلتكم "تاريخ العرب والعالم" هو نبأ سعيد لكل باحث عن الثقافة الصافية الغنية في الوطن العربي• وهي مفيدة لتنمية عقل شبابنا العربي وللقضاء على اسباب التخلف الذي نعانيه •

ارجو اخيرا ان تحافظوا على هذا المستوى الممتاز الذي طالعناه في العدد الاول كما انني اشكر اسرة التحرير ومنهم الطالبة سحر بعاصيري التي اعدت مسابقة "للطلاب فقط" لما تحتويه من معلومات مهمة يجب ان يعرفها كل طالب •

بشر ابراهيم رمضان – الجامعة العربية سنة ثانية

فراغ ثقافي

● تحية طيبة الى جميع العاملين في مجلة "تاريخ العرب والعالم" التي سدت فراغا ثقافيا في لبنان عند صدورها نأمل ان تستمر في الظهور بصورة دائمة معرفة الشباب العربي على تاريخهم وتاريخ العالم•

سلطان اسعد – المدرسة البطريركية بيروت

الشطرنج والطوابع

● لقد سرني ان اقرأ مجلة مثل مجلتكم• وقد سرتني مواضيعها المثيرة العربية منها والدولية وقد سررت لاهتمامكم بالثروات الفنية ومنها الشطرنج والطوابع •

جان آبي فرح – شملان – لبنان

● تهنئة حارة من كل الذين قرأوا معي مواد العدد الاول من المجلة ، ان الميزة التي اتفقنا على ملاحظتها في مجلتكم الرائدة هي توجهكم منذ البدء الى ربط التاريخ القديم بالواقع المعاصر في منطقتنا العربية خصوصا ما جاء تلميحا في المقال المهم للدكتور احمد ابراهيم العدوى حول "سيادة العرب على البحر المتوسط ثمرة لتعاون مصر والشام في ايام معاوية" ، فالى الامام ،

الطالب مؤيد عزيز واصدقاؤه/بغداد العراق

● تحية مودة وتقدير وعربونا لمودتكم يسعدني ان انتهز هذه الفرصة لابعث لكم بتقديري ومودتي لجهودكم الكبيرة في العمل على اصدار مجلة رائدة تبحث في الثقافة التاريخية لاول مرة في العالم العربي ،

ملاحظة: وصلتنا من الصديق ايضا بطاقة بريدية يتمنى فيها لاسرة التحرير التوفيق والنجاح ،

عبد الغني محمود ـ عمان/معهد المعلمين

المشروع الصعب

● منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعا للكتابة اليكم معبرا عن تقديري لهذا الجهد الكبير في اصدار مجلة مخصصة للابحاث وللثقافة التاريخية وهو موضوع تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير ، ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمثل هذا المشروع الصعب الذي نرجو ان يستمر ، ولكم التوفيق ،

د ، منير كزما ـ بيروت ـ لبنان

البحث التاريخي

● فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها برصانة ومن غير اي ضجيج اعلامي سبقها ، وعندما تصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون ، فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في البحث التاريخي لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها بحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية ، وفقكم الله ،

احمد محمد رضوان ـ حلب/سوريا
العدد الاول ،

الصور التاريخية

● لقد وصلتنا مجلتكم الغراء "تاريخ العرب والعالم"، وقرأنا ما فيها من مواضيع مثيرة وشيقة، كما سعدت جدا لأني وجدت اخيرا مجلة تهتم بتاريخ العرب الذين اضاؤوا العالم بعلمهم الذي لا يستطيع احد نكرانه، كما أعجبني ايضا الخط الذي هو اسم المجلة وكذلك الصور التاريخية القيمة التي زادت المجلة بهاء وقيمة في نفوس القراء ، لذا اتمنى للمجلة كل تقدم وازدهار، وان تكون على رأس المجلات العربية والاجنبية مقاما ،

عبد الرحمن محمد السنيدي ـ قطر
ص ، ب ٤٣٦٠

● انه العدد الاول وسيكون وراءه عشرات الاعداد، لا بل المئات حافلة بكل جديد ومشوق وجميل ، اننا نقدر لكم هذا المجهود الكبير ،

جان بطرس الخوري ـ جونيه

الثمن والالوان

١ ـ ان ثمن المجلة مرتفع قياساً لثمن مجلات علمية مشابهة، "فالعربي" مثلا ليست بحاجة لتعريف، ثم مجلة "الفيصل" هي الاخرى غنية عن البيان ،

٢ ـ من ناحية الطباعة والألوان ، المجلة ككل ، خطوة رائدة لكن حبذا لو امكن تلوين الصور وتكبير الحرف ،

اعتقد انكم ستقولون ان الكويت والسعودية هما وراء المجلتين المذكورتين ... حسناً لكن القارىء واحد وصدقوني لو لم اكن احمل الليسانس في التاريخ من جامعة بيروت العربية وتهمني مجلة كهذه ما كنت لاشتريها فاذا كنتم تحرصون على نفاد كل الاعداد ولتصل الى ايدي الطلاب ...فرجاؤنا مراعاة ذلك ،

٣ ـ كل شيء صعب في بدايته والكمال لله وحده لكن الحقيقة ان الفكرة ممتازة وشكراً ،

حسن ابو نعسه ـ بيروت

● **شكراً للملاحظات وسنعمل على تنفيذ ما يمكن منها ،**



تاريخ نشوء لعبة الدراجات

فؤاد حبيب

ابصرت رياضة "الدراجات" النور في ٣١ ايار ١٨٦٨ عندما نظم الاخوان "اوليفي" مديرا مصانع "ميشو" الفرنسية، سباقا في بارك سان كلود ـ فرنسا ـ فاز به الدراج الانكليزي جيمس مور، الذي فاز ايضا باول سباق نظم من مدينة الى اخرى بين باريس وروان عام ١٨٦٩ وكان معدل سرعته في تلك السنة ١٢ كيلو متراً و٤٨٠ في الساعة..

بعد ذلك تطورت "الدراجة" وغزت رياضة سباق الدراجات اوروبا بكاملها وانطلقت الى اليابان كما غزت اوستراليا وبرزت في فرنسا وايطاليا وبلجيكا واسبانيا حيث لمعت في سماء هذه الدول نخبة من نجوم هذه الرياضة.

ومرت "الدراجة" باشكال مختلفة قبل ان تصبح في شكلها اليوم.

وفي عام ١٨٨٨ افتتح "جون بويد دنلوب" عالم الدراجات باختراعه الدولاب الذي وصل ثمنه الى حوالي ١٥ الف فرنك فرنسي قديم. لا توجد لرياضة الدراجات قوانين بالمعنى الصحيح للعبة، بل قواعد تقام على اساسها سباقات محلية واقليمية ودولية. ويمكن تعديل هذه القواعد طبقا للسباقات..

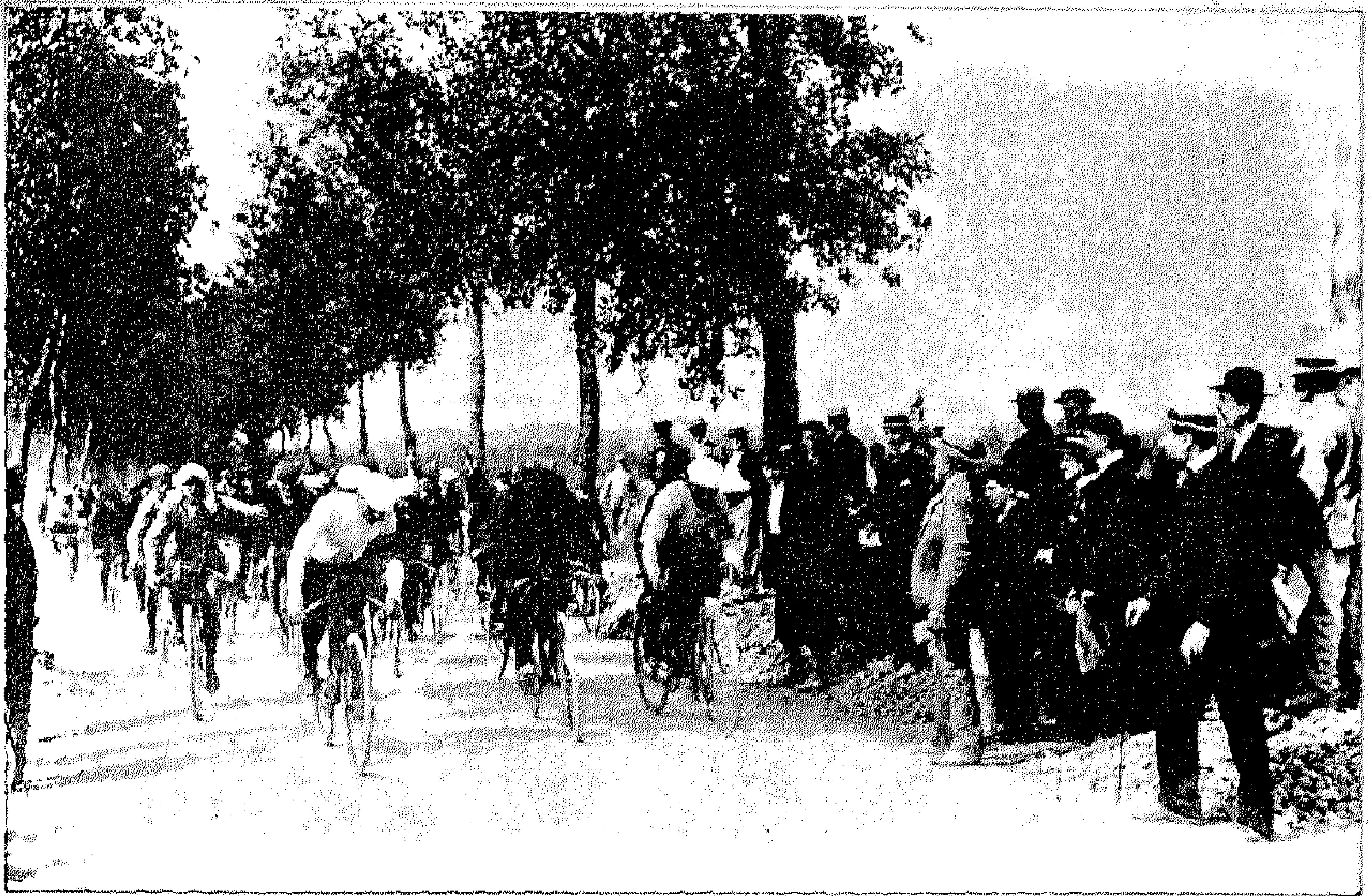
وباستثناء البطولات الرسمية والدولية فان المسابقات تنظم وتمول من قبل مؤسسات خاصة أو صحف تغطي النفقات المترتبة على اقامة السباقات.



□ دراجة بثلاثة دواليب



□ مسابقة للسيدات جرت في فرنسا عام ١٨٥٩



الانطلاق في دورة فرنسا الاولى. الدراج رودولف موللر الذي فاز بالسباق. استكشف الطريق قبل عشرين يوما من السباق واستطاع الفوز.

وفي فرنسا حيث برزت رياضة الدراجات انشئت لجان خاصة تعني بهذه اللعبة بالاضافة الى الاتحاد الفرنسي للدراجات.

وفي عام ١٩٠٠ تأسس "الاتحاد الدولي للدراجات" ولم يزل حتى الان انما انقسم عام ١٩٦٥ ليتيح للاعبين الاشتراك في الالعاب الاولمبية وهم بطبيعة الحال هواة، والآخرين الاشتراك في سباقات دولية وعالمية وهم محترفون. وعليه اصبح للعبة اتحاد دولي للمحترفين واتحاد دولي للهواة.

دورة فرنسا

في هذه المناسبة لا بد من التحدث عن اشهر دورة دولية في الدراجات تقام في العالم منذ عام ١٩٠٣ وهي "دورة فرنسا" التي اصبحت تاريخية نظراً لاستمراريتها منذ ذلك التاريخ ولم تتوقف الا ابان الحرب العالمية من ١٩٤٠ الى ١٩٤٦.

وقد انجبت "المملكة الصغيرة" كما تسمى رياضة الدراجات ابطالا عالميين امثال الايطالي فوستو كوبي الذي فاز عدة مرات ببطولة العالم وبدورة فرنسا وبسباقات دولية اخرى. وجاك انكتيل بطل فرنسا الدولي الذي حطم الارقام القياسية العالمية والبطل البلجيكي ادي ميركس الفائز ايضا بعدة مرات ببطولة العالم وبدورات محلية ودولية. وغيرهم من الابطال الذين اشتركوا بسباقات عالمية ونالوا الشهرة.

ولا بد هنا من ان نذكر ان لبنان ايضا انجب ابطالا دوليين في هذه الرياضة امثال جاك نلتشيان وغارو موراديان وطارق وطلال ابو الذهب وكمال غلاييني وغيرهم من الابطال والبطلات...



دراجة عصرية بعد اعادة الملكية في فرنسا



☐ الدراج البلجيكي "كيرف" محاطا بانصاره قبل بدء دورة فرنسا الاولى التي اشترك فيها ٦٠ متسابقا وصل منهم ٢٠ فقط.



☐ عند بداية "الدورة الاولى" عام ١٩٠٣ يبدو جان فيشر الذي لقب "بالمتسلق" وبعد سباق دام ٧٢ ساعة اصبح نصف مجنون واصطدم بشجرة...

المسابقة

١ ـ بطل فرنسي فاز بدورة فرنسا في الدراجات خلال ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ و ١٩٦٤.

٢ ـ بطل عالمي في القفز العالي فاز بدورة ميونيخ الاولمبية سنة ١٩٧٢.

٣ ـ عداء تونسي سجل عدة ارقام قياسية في سباقات المسافات الطويلة وفاز باولمبياد مكسيكو وطوكيو.

٤ ـ منتخب عالمي في كرة السلة فاز ببطولة العالم عام ١٩٧٠.

٥ ـ لاعبة سوفياتية عملاقة في كرة السلة طولها ٢،١٠ متراً لقبت باللاعبة رقم ١ في العالم عام ١٩٧١.

٦ ـ في أي سنة فاز الملاكم العالمي جو لويس بلقب البطولة؟

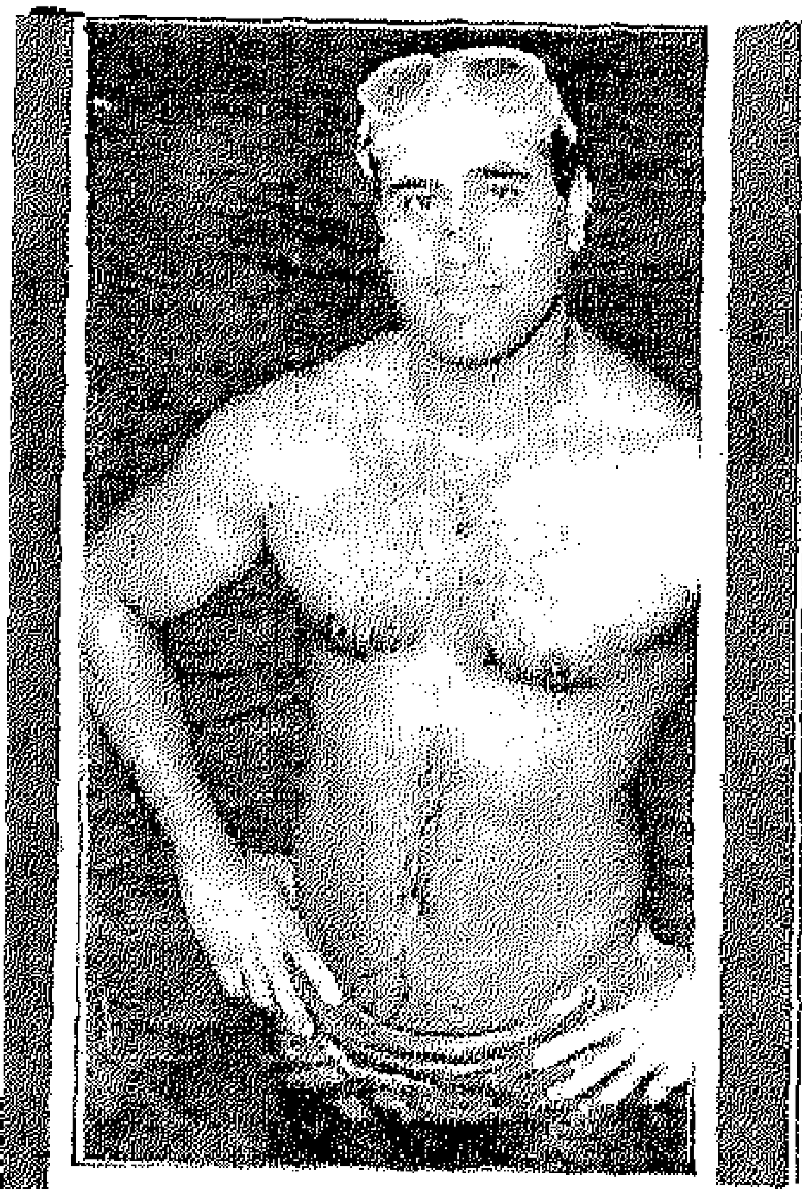
٧ ـ في اية مدينة ولد البطل محمد علي وما هو تاريخ الولادة؟

٨ ـ فريق انكليزي فاز ببطولة اوروبا بكرة القدم موسمي ٧٦ و ١٩٧٧ من هو وما اسمه؟

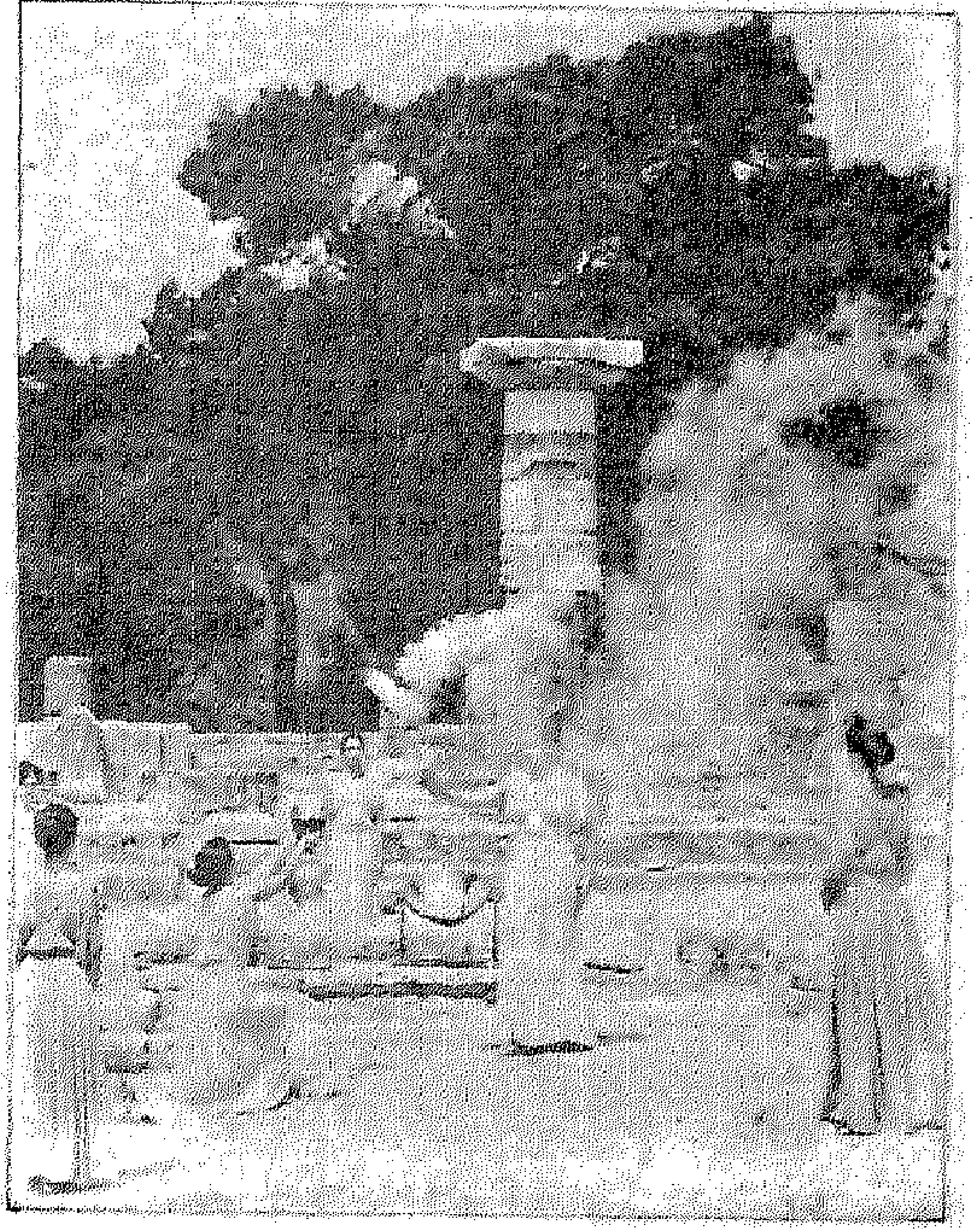
٩ ـ لاعب انكليزي دولي في كرة القدم لعب أخر مبارياته وكان عمره ٥٠ عاما؟

١٠ ـ اصغر بطلة عالمية لمع اسمها في رياضة الجمباز.

■ اختبر معلوماتك:



■ سباح لبناني قطع المانش.



■ الى ماذا ترمز هذه الصورة وأين احدث وما هي المناسبة العالمية ؟

اجوبة مسابقة العدد الاول:

١ ـ سنة ١٩٠١ ـ جوهافلانج ـ ستانلي راوس .
٢ ـ ليف ياشين حارس مرمى منتخب الاتحاد السوفياتي .
٣ ـ ريال مدريد ـ فاز على ريمس ٤ـ٣ .
٤ ـ البرازيل ـ فازت الاورغواي وحلت ثانيا البرازيل .
٥ ـ اللاعب الالماني ليز ـ المانيا والنمسا عام ١٩٣٤ في نابولي ـ سجل الهدف بعد ٢٤ ثانية في بدء المباراة .
٦ ـ مصر ١٩٣٤ ـ ١٩٥٤ ـ المغرب ١٩٧٠ تونس ١٩٧٨ .
٧ ـ زكريا شهاب أولمبياد لندن وزن Bantam ١٩٥٢ .
٨ ـ اللاعب الانكليزي "جيوف هيرست" عام ١٩٦٦ في المباراة النهائية بين انكلترا والمانيا الغربية .
٩ ـ منتخب مصر ـ فاز على المجر ٣ ـ صفر .
١٠ ـ فريتز واوتمار فالتر ـ المانيا الغربية ـ ١٩٥٤ بوبي وجاك شارلتون ـ انكلترا ـ ١٩٦٦ .

قسيمة الرياضة
رقم
٣



■ لاعب كرة عالمي اسباني .



■ بطل لساني عالمي في التزلج على الماء .

في اية مباراة ؟

■ مباراة تونس ـ المكسيك والنتيجة كانت ١ـ٣ لصالح تونس على ملعب روزاريو في الارجنتين .

٣ لاعبين

■ كمبس ـ الارجنتين .
■ فوجتس ـ المانيا الغربية .
■ ريب ـ هولندا .

الفائزون بمسابقة "تاريخ العرب والعالم" للرياضة:

● الفائز الاول: بسام ديب ـ برج البراجنة ـ بيروت فاز بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية .

● الفائز الثاني: سمير اسطفان ـ صيدا ـ لبنان جائزة بقيمة خمسين ليرة من محلات "سبور" .

● الفائز الثالث: سالم محمد سعد الشروقي الدوحة ـ قطر ص.ب ٥٦٣٨: اشتراك سنة في "تاريخ العرب والعالم"

● الفائز الرابع: جان بطرس الخوري ـ جونية ـ مركز الهاتف اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم" .



الماضي الذي سيأتي في اعدادنا المقبلة





الجامع الأموي في دمشق . بُني في القرن الثامن الميلادي

الغلاف الخارجي

دُمية تشرب النرجيلة على أنغام الموسيقى

السنة الأولى - العدد الرابع - شباط "فبراير" ١٩٧٩ - الموافق ربيع الأول ١٣٩٩

■ المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي
■ الآثار العراقية من أقدم الأزمنة حتى العصر الحجري
■ أسرار اتفاقية سايكس - بيكو

بطل وطني ... أم حاكم أراد البقاء ؟

■ ليلة الأمواس الطويلة
■ زوايا تاريخية
ساعة تحكّمت بمصير العالم
الرياضة - الشطرنج - الطوابع - البروج - المسابقات


الجامع الكبير في قرطبة (اسبانيا) بُني عام ٧٨٥ م.

دُمية تشرب الأرجيلة على أنغام الموسيقى

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الرابع
شباط (فبراير) ١٩٧٩
ربيع الأول ١٣٩٩ هـ.

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°4 Feb. 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعي في الالقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع — الصفحة

■ المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت

■ المواد الواردة الى المجلة لا ترد اذا لم تنشر

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبر بالضرورة عن اراء المجلة.

عندما يكون احتلال
... تكون مقاومة

المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨-١٨٠١)

د. احمد عبد الرحيم مصطفى

لعل مقاومة الاحتلال الجاثم على صدر الامة منذ العام ١٩٤٨، ثم بعد العام ١٩٦٧، هي ابرز معارك هذه المرحلة من التاريخ العربي.

ولم يقصر العرب، على امتداد تاريخهم النضالي، كما لم تقصر شعوب العالم الاخرى في مقاومة احتلال قوات غريبة لاراضيها او جزء من اراضيها... وحتى في مقاومة الاحتلال السياسي والاقتصادي والمعنوي لفكر وسياسات وموارد هذه الشعوب المستعمرة.

ومن مقاومة الشعب العربي في مصر للاحتلال الفرنسي (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى مقاومة الشعب الفيتنامي من ديان بيان فو الى سايغون، الى مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الصهيوني... تاريخ طويل يجدر التوقف عنده بالدراسة والتعمق لاكتساب الخبرات.

ومن اجل ذلك كانت هذه السلسلة من تاريخ الشعوب في مقاومة انواع الاحتلال التي تعرض لها.

جاء الفرنسيون الى مصر بقيادة نابليون بونابرت جرياً وراء اهداف عسكرية استعمارية ترتبط بكفاح فرنسا الثورة ضد انكلترا ارتباطها بالاتجاهات الاستعمارية التي عبر عنها كثير من المفكرين والساسة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، جاؤوا اليها مزودين ليس فقط بجيش يستعمل الاسلحة الحديثة التي تطورت في اوروبا، بل بقائد محنك وبمجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين .

وكانت مصر حينئذ لم تخرج كثيراً في وسائل دفاعها عما كانت عليه الحال في العصور الوسطى حين تغلب المصريون والمماليك على الحملة الفرنسية في اواسط القرن الثالث عشر واسروا ملكها القديس لويس التاسع، وبذلك كانت القوى غير متكافئة من البداية الى النهاية.

ورغم ذلك، ورغم ادراك المصريين قوة خصمهم لم ينوا لحظة عن مقاتلة الفرنسيين منذ نزولهم الى الاسكندرية (اواخر حزيران ١٧٩٨) حتى جلائهم عن البلاد (ايلول ١٨٠١) . قاتلوهم في المدن الكبرى، ورفعوا لواء العصيان في ساحات الدلتا جميعاً، وقاوموا مقاومة اعنف في الصعيد حيث الرجال اشد بأساً، وحيث الطبيعة الجغرافية تساعد على حرب الكر والفر، وحيث المسافة بعيدة عن العاصمة والمواصلات صعبة.

وقامت القاهرة قومتين عنيفتين (تشرين الاول ١٧٩٨ واذار ١٨٠٠) كان لهما اثرهما في احراج مركز الفرنسيين على الرغم من المحاولات المتكررة التي لجأ اليها هؤلاء لاسترضاء القاهريين بوجه عام والمصريين بوجه خاص. فعبثاً حاول نابليون ان يخاطب المصريين بلغة الحرية والاخاء والمساواة التي خرجت بها الثورة الفرنسية، مثيراً فيهم امجاد مصر القديمة التي تقطعت بها الاسباب. وعبثاً تظاهر باحترام تقاليدهم وعقائدهم وتقريب زعمائهم والتلويح لهم بالاستقلال الذاتي. ذلك ان النظام الاداري الصارم الذي وضعه الفرنسيون، وما اضطروا الى فرضه من الضرائب وتدخلهم في صميم حياة الناس، واتضاح مخالفة سلوكهم للتقاليد الشرقية وبعض اصول التقاليد الاسلامية – كل ذلك قد اوجد هوة بين المصريين والفرنسيين.

وقد بدأت الاسكندرية الكفاح فلقد حصن اهلها اسوار مدينتهم وشحنوا القلاع بالامداد والذخائر جهد طاقتهم، وفزعوا الى السلاح، وركبوا المدافع الثقيلة على اسوار المدينة استعداداً للكفاح، وعهدوا الى جماعة من الفرسان بمناوشة الفرنسيين قبل اقترابهم من المدينة.

الاسكندرية تقاوم

وفي الاسكندرية ذاتها احتشد الناس على الاسوار وفي الابراج مسلحين بالبنادق والرماح. وحين حدث الهجوم الفرنسي العام اخذ الاهالي يطلقون النار من مدافعهم اطلاقاً غير محكم. وقاومت المدينة مقاومة شديدة ولكنها كانت غير مجدية امام الاسلحة الفرنسية، فاقتحمها الفرنسيون وهاجموا الناس في بيوتهم. ولم يكف اهل المدينة عن المقاومة حتى اقنعهم قائد السفينة العثمانية التي كانت بالميناء، ان الفرنسيين انما جاؤوا لقتال المماليك ...

في القاهرة

وبعد وقت قصير من احتلال القاهرة، قامت فيها أول ثورة ضد الحكم الفرنسي. ذلك ان الفرنسيين فرضوا ضريبة فادحة على الاهالي وصادروا الاملاك وابتزوا الاموال وهدموا المباني والاثار والمساجد وابواب الحارات بدعوى تحصين المدينة، واسرفوا في القتل ارهاباً للناس. وبلغ هياج النفوس اشده، وتكونت لجان للثورة تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها واتخذت الازهر مقراً لها. ونظم الشعب ديواناً للثورة، فنظم المتطوعين للقتال واستخرج الاسلحة المخبوءة.

وحين بدأت الثورة احتشدت الجموع في الازهر، وامتلأت الطرقات بالناس حاملي السلاح من بنادق ورماح وسيوف وعصى قاصدين الاحياء التي يقطنها الفرنسيون. وهرع الجنرال ديبوي قومندان القاهرة وبعض رجاله الى منطقة بدء الثورة، فقتل هو وافراد من رجاله مما كان له اثره في تشجيع الثوار الذين استولوا على المواقع المحيطة بمعظم احياء القاهرة، واتخذوا من مصاطب الحوانيت متاريس اقاموها في الشوارع والحارات، اخذوا يطلقون من ورائها النيران.

وازدادت جموع الثوار بمن انضم اليهم من الضواحي، واخذ الناس يتجمعون بالازهر حتى اجتمع فيه وحده ١٥٠٠٠٠ من اشد الثوار حماسة. واستعد الفرنسيون واخذوا يضربون المدينة بالمدافع، واخذت القنابل تتساقط على حي الازهر وما حوله في الوقت الذي شرع فيه الثوار بالهجوم على موقع الازبكية مواجهين نيران العدو الحامية، مما ادى الى تسلقهم المنازل والاسطح المشرفة على الموقع، واحتلوا جامعاً صغيراً هناك، واصلوا الازبكية ناراً حامية قتلت الكثير من الفرنسيين. ورغم ذلك اخمدت ثورة القاهرة الاولى ازاء تفوق الاسلحة الفرنسية.

في الدلتا

ولقد بدأت المقاومة الشعبية في الدلتا على اثر نزول الفرنسيين الى البلاد، ثم ما لبثت ان امتدت الى مدن الوجه البحري وريفه جميعاً بشكل منتظم مستمر. بل ان الاهالي قد امتنعوا عن تموين الفرنسيين، وكانوا كلما قدم العدو الى قرية من القرى طلباً للمؤونة وجد اهلها قد حملوا متاعهم واخذوا مواشيهم وتركوها الى القرى البعيدة.

وما ان قامت القاهرة بثورتها الاولى حتى كان لها صدى واسع في شتى اطراف البلاد، فقامت البلاد كلها وكأنها على موعد، لدرجة ان الفرنسيين ظنوا ان الامر متفق عليه بين المصريين جميعاً.



□ رفع العلم

حقاً لقد قاتلت القرى المجاورة وارسلت متطوعيها الى القاهرة، مما جعلها موضعاً لانتقام الفرنسيين الذين ارسلوا اليها الكتائب بعد اخماد الثورة لتجوبها بحثاً عن اعيانها ومشايخها الذين اشتركوا في الثورة ، فقبض عليهم وحوكموا واعدم بعضهم.

هذا وقد نشط المصريون في مهاجمة المراكب الفرنسية بين القاهرة ورشيد والاسكندرية، وفتكوا بمن فيها. واستمرت المقاومة في الوجه البحري، وبخاصة في طنطا والمنصورة ومن دمياط الى الاسكندرية وازدادت اشتعالا بعد توجه نابليون الى الشام (١٧٩٩). وما كاد الاهالي يشعرون بقلة عدد الجند الفرنسيين حتى بدأت تقوم الثورات في الدلتا من جديد: فبدأت في الشرقية، وامتدت الى وسط الدلتا وغربيها حيث حدثت عدة معارك في كفر نجم وسنهور ودمنهور، ولم تهدأ الحال حتى عاد الفرنسيون من الشام.

موقعة امبابا

وبعد هزيمة المماليك في موقعة امبابة على ايدي الفرنسيين اعتقد مراد بك ان بامكانه التحصن بالوجه القبلي ومقاتلة الفرنسيين اذا انضمّ اليه الاهالي وعضدوه، وان بمقدوره ان يقطع الغلال عن القاهرة والوجه البحري لهذا قرر نابليون ان يبعث قوة فرنسية لتحطيم قوة مراد واخضاع الصعيد ضماناً لوصول الغلال والاغذية الى القاهرة والوجه البحري حتى لا تقع بهما المجاعة.

وسارت قوات الفرنسيين قاصدة الاستيلاء على سفن مراد التي استطاعت الافلات الى اسيوط، على حين التقت القوة المملوكية مع الفرنسيين عند سدمنت، وكانت قد انضمت الى قوات مراد اعداد كبيرة من الاهالي فرساناً ومشاة، وكادت الدائرة تدور على الفرنسيين لولا تفوق مدفعيتهم وحسن قيادتهم.

وكانت معركة سدمنت آخر المعارك المنظمة التي قادها مراد، ثم تحولت بعد ذلك الى حرب عصابات يقوم بها الاهالي في طول الصعيد، ومعهم بعض الاعراب الذين اتوا من الحجاز الى القصير. وفي ابان هذه المعارك نجح الفرنسيون في تحطيم قوة مراد دون ان يقضوا عليها تماماً، ولكنهم لم ينجحوا في اخضاع الاهالي، فحدثت معارك في البلاد الاتية: المنيا، ابو جرج، بني عدى، طنطا، جهينة، سوهاج، الصوامعة، برديس، جرجا، سمهود، الروسية، قنا، ابو مناع، اسنا، قفط، ابنود، واسوان.

ثورة القاهرة الثانية

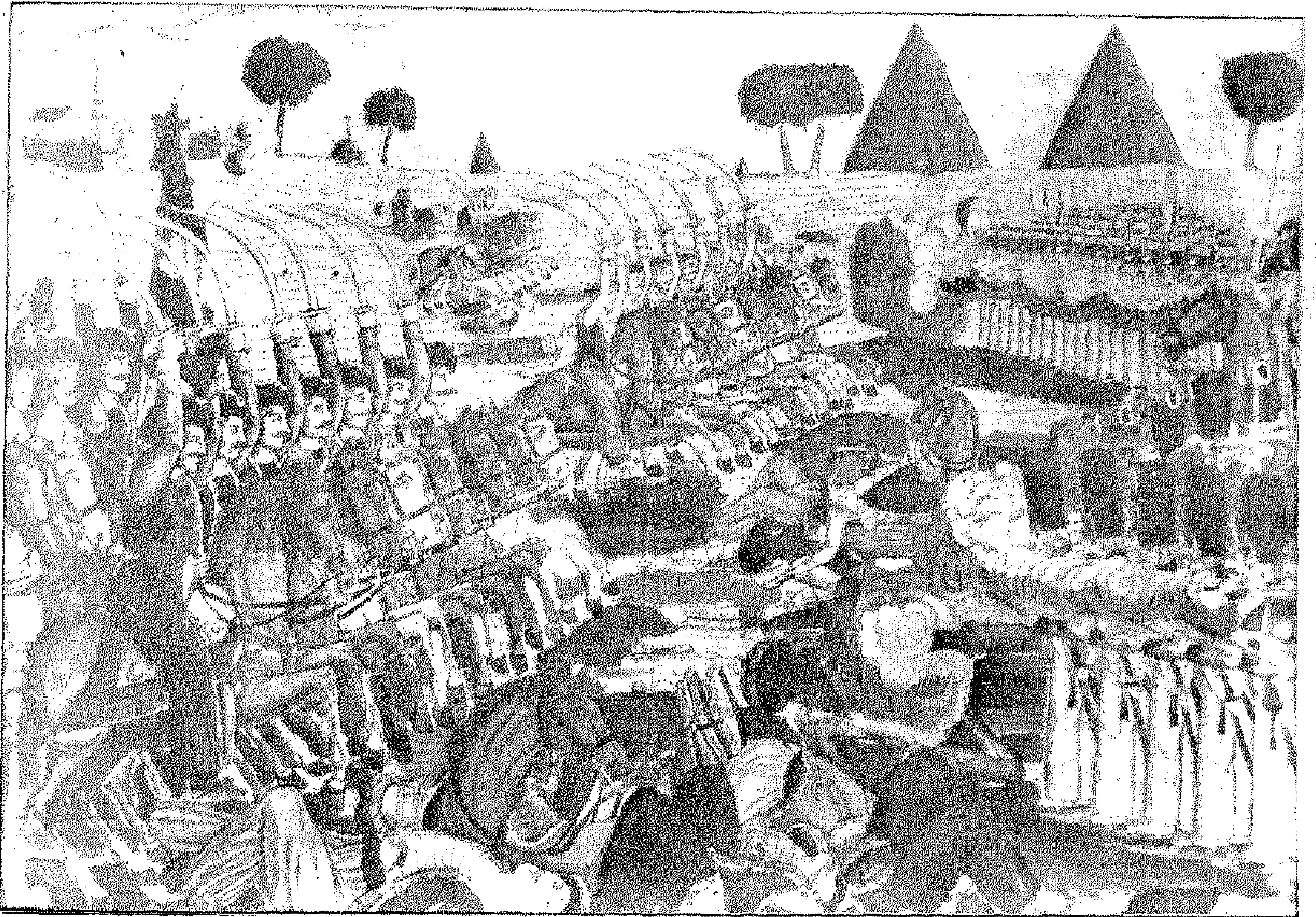
ولعل ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين تستحق منا وقفة خاصة لما سجله الشعب المصري خلالها من بطولات جماعية وفردية. ففي اواخر عهد الحملة الفرنسية كان السلطان العثماني قد اتفق مع الانكليز على التعاون بقصد اخراج الفرنسيين. وكان الجنرال كليبر ـ خليفة نابليون ـ يائساً من مصير الحملة تواقاً الى الرجوع برجاله الى فرنسا ـ ففتح باب المفاوضات مع الاتراك والانكليز للجلاء عن مصر طبقا لاتفاقية العريش ((كانون الثاني ١٨٠٠)). ولكن الحكومة الانكليزية لم توافق على الاتفاق برغم تقدم القوات العثمانية صوب القاهرة تنفيذاً للاتفاقية. ولما علم كليبر برفض انكلترا تصدى للاتراك واوقع بهم هزيمة كبيرة في عين شمس (٢٠ آذار ١٨٠٠). غير ان فريقاً من الاتراك والمماليك استطاع دخول القاهرة مما شجع الشعب على رفع لواء الثورة من جديد. وكانت الاشاعات قد راجت في المدينة بانهزام الفرنسيين، واتخذ مروجوها من وجود الكتيبة العثمانية دليلا على ذلك، فهاج الشعب واستعد للمقاومة.

وقد بدأت هذه الثورة في حي بولاق بزعامة الحاج مصطفى البشتيلي، وكان الفرنسيون قد اعتقلوه من قبل لوجود بارود مخزون في قدور في وكالته، ثم اطلقوا سراحه بعد توقيع اتفاقية العريش، ثم انضم اليه عمر مكرم واحمد المحروقي كبير تجار القاهرة.

وقد بدأ الاهالي بمهاجمة مواقع الفرنسيين، ولما ردتهم المدافع عنها احتلوا البيوت المشرفة عليها مستخدمين المدافع المطمورة وثلاثة مدافع جاء بها الاتراك، واستطاعوا حصر الفرنسيين في معسكرهم بالازبكية.

غير أن القلاع ظلت تقصف المدينة بقذائفها، وما أن مرت على اندلاع الثورة ثلاثة أيام حتى كانت قد عمت القاهرة. وكان الاهالي قد انشأوا في اربع وعشرين ساعة مصنعاً للبارود، وآخر لاصلاح الاسلحة والمدافع، وثالثاً لصنع القنابل وصب المدافع وجمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت، وتطوع الصناع للعمل فيه وقدموا ما لديهم من الحديد والالات والموازين بل اخذوا يجمعون بقايا القنابل المتساقطة من المدافع الفرنسية ويستعملونها في صنع قذائف جديدة.

وتطوع الاهالي لامداد الثوار بكل ما يلزمهم من مؤن، وتولى المحروقي وباقي التجار النفقات والمآكل والمشارب. كما عاونهم في ذلك كل سكان القاهرة وأهل الارياف القريبة. وأقام الثوار في بولاق ومصر القديمة حصوناً واضحت جميع الوكالات والمخازن والبيوت على النيل قلاعاً يخندقون فيها حتى سيطروا على الملاحة في النيل.



ـ معركة الاهرام ١٧٩٨ ويبدو الجنود المصريين يهاجمون الجيوش الفرنسية، من كتاب "دراسة في التاريخ" للدكتور ارنولد توينبي.



□ نابليون بونابرت عام ١٨١٠ رسم "غروندون"

ماذا يقول الجبرتي ؟

ويصف لنا الجبرتي بعض احداث الثورة كالآتي:

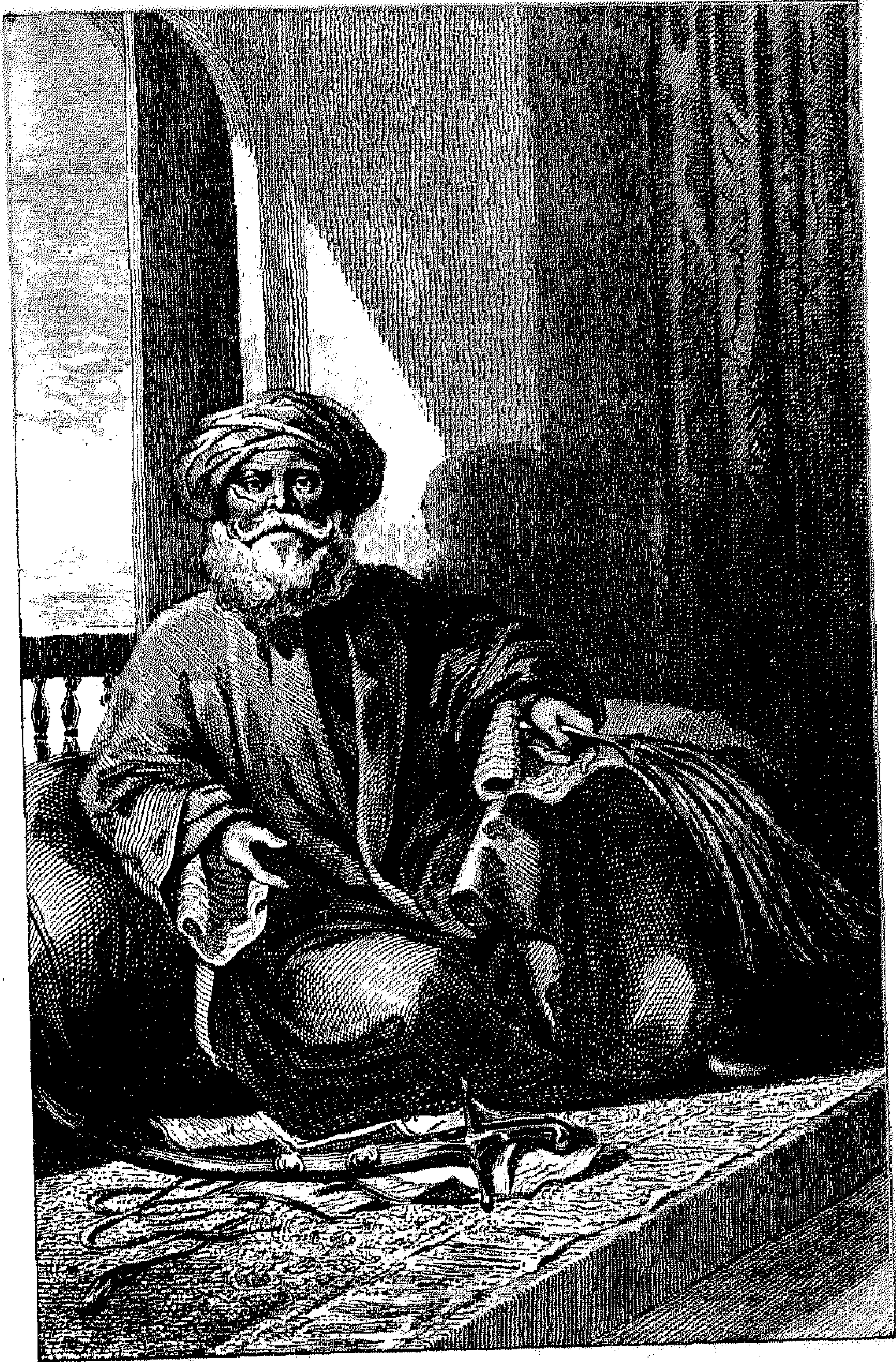
"في الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر، ما عدا الضعيف الذي لا قوة له للحرب، وذهب المعظم الى جهة الازبكية، وسكن الكثير في البيوت الخالية، والبعض خلف المتاريس، واخذوا عدة مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الامراء، واحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع، من حديد واحجار، واستعملوها عوضاً عن الجلل (القنابل) للمدافع... وبعد ايام اغلقوا باب القرافة (المقبرة) وباب البرقية وباقي الابواب التي في اطراف البلد، وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس... وصار جميع اهل مصر اما بالازقة ليلا ونهاراً وهو من لا يمكنه القتال، واما بالاطراف وراء المتاريس – وهو من عنده اقدام وتمكن من الحرب ولم ينم احد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف..

"وأنشأ عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قائد اغا بخط الخرنفش، واحضر الفندقجية والعربجية والحدادين والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت وعمل العربات والجلل وغيرذلك من المهمات، واحضروا ما يحتاجون اليه من الاخشاب وفروع الاشجار والحديد، وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وارباب الصنائع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني.. وباشر السيد احمد المحروقي وباقي التجار وسائر الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب، وكذلك جميع اهل مصر: كل انسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضاً وفعلوا ما في وسعهم وطاقتهم من المعونة.. واما اهل بولاق فانها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وامثاله وهيجوا العامة وهيأوا عصيهم واسلحتهم ورمحوا وصفحوا"

وبعد ان عاد الجيش الفرنسي على اثر انتصاره على الاتراك، رأي كليبر ان احسن وسيلة لقمع الثورة هي اخضاع الوجه البحري والبلاد المجاورة للقاهرة بقصد تطويقها، محاولا في الوقت نفسه ان يفرق بين العناصر الثلاثة في المدينة: الاتراك والمماليك والشعب. ففاوض الاتراك ان يخرجوا



□ [illegible] قتل على يد [illegible] سوري.



□ لوحة لمراد بك

منها بسلاحهم، كما أرسل الى المماليك من يطلب منهم الكف عن القتال بعد ان كان قد صالح مراد بك على ان يعينه حاكماً على الصعيد تحت الحماية الفرنسية بعد ان تقدم مراد بقواته حتى مشارف القاهرة.

وما كاد يتفق مع كل من الطرفين وينجح في اخضاع الوجه البحري وتطويق القاهرة حتى دك المدينة بالمدافع من كل جانب وعندئذ - على حد قول الجبرتي:

"اشتد الحرب وعظم الكرب. واكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع، واكثروا واوصلوا وقع القنابل والبنبات،من أعالي التلول والقلعات، خصوصاً البنبات الكبار على الدوام والاستمرار، آناء الليل واطراف النهار.. في الغدو والبكور والاسحار. وعدمت الاقوات وغلت اسعار المبيعات، وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات، وارتفع وجود الخبز من الاسواق، وامتنع الطوافون به على الاطباق. وسارت العساكر الذين مع الناس في البلد يخطفون ما يجدونه بأيدي الناس من المآكل والمشارب... واستمر ضرب المدافع والقنابل والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً، حتى كان الناس لايهنأ لهم نوم ولا راحة، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن"

"واستمر القتال على اشده في كل حي وفي كل

شارع، وكان أعنف قتال في حي بولاق: "وقاتل اهل بولاق جهدهم ورموا بانفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والازقة واحترقت الابنية والدور والقصور".

وهكذا فان قوة السلاح وافتقار الاهالي الى المدافع والمواقع الحصينة انهى القتال الى جانب الفرنسيين الذين استعملوا منتهى الوحشية في الانتقام:فقد كانوا يشعلون النيران في كل حي يدخلونه وفي كل بيت ليحرقوه على من فيه من النساء والاطفال حتى صارت بعض الاحياء مثل بولاق والازبكية وبركة الرطلي خراباً واكواماً من التراب والرماد.

واخيراً اضطر الاهالي الى التسليم، وتولى العلماء الوساطة واخذوا من كليبر العفو الشامل والامان ولكنه ما لبث ان تنكر لهما بعد ان خضعت له المدينة.

وهكذا كانت الحرب ضد الفرنسيين مستمرة بانتظام في طول القطر وعرضه حتى تم جلاؤهم عنه، هذا برغم كل ما سبق ان اشرنا اليه من ان القوى لم تكن متكافئة بين الطرفين: فالجيش الفرنسي الذي حاول اخضاع مصر هو الذي قيض له في ما بعد ان يدوخ اوروباوان يخضع معظمها للسيطرة الفرنسية، هذا في الوقت الذي لم تكن مصر تمتلك فيه جيشاً اهلياً ثابتاً بامكانه ان ينظم الدفاع عن البلاد.

فالمماليك الذين كانوا يحكمون البلاد وهم يمثلون فروسية العصور الوسطى، قد شغلوا حين بدت بوادر الهزيمة بنفائسهم واموالهم التي اهتموا بها اكثر من اهتمامهم بشؤون الدفاع، فأخذوا في نقل ما في قصورهم الى بيوت صغيرة غير معروفة، كما ارسلوا كنوزهم الى الاقاليم او اودعوها ثقاتهم ومعارفهم حتى لا تصل الى ايدي المغيرين.

أما الشعب فقد ظهر في وقت الشدة ارقى نفساً وانبل مقصداً: فلم يتوان عن البذل والفداء بالنفس والنفيس حتى اقض مضاجع الفرنسيين، وكان من العوامل الاساسية في فشل الحملة الفرنسية. ■

□ عن مجلة "الهلال"، العدد الثامن، أوغسطس (آب) ١٩٦٧

آراء في التاريخ

■ كان السلطان العثماني محمود الثاني مولعاً باللغة العربية وآدابها، ومن الصدف العجيبة أنه بينما كان في نزهة بحرية اذ أبصر شيخاً جرفه تيار البحر وكاد أن يغرق، فأمر حاشيته بانقاذه، ولما وضع الشيخ يده على حافة الزورق انشد السلطان:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه
وانت تكفيك منه مصة الوشل

فأجابه الشيخ:

اريد بسطة كف إستعين بها
على قضاء حقوق للعلي قبلي

والبيتان من لامية الطغرائي المشهورة ومطلعها:

اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

فسر السلطان من الشيخ واجازه.

★ ★ ★

■ رأى الفيلسوف اليوناني المشهور ديوجين لافتة عـُلقت على احد البيوت كتب عليها: لا يدخل نجس هذا الباب

فكتب تحت هذه الجملة ما يأتي: إذن من أين يدخل صاحب البيت:

★ ★ ★

الشيخ المناضل

حسن سلامة

... ومعركة رأس العين

العقيد الدكتور ياسين سويد

■ الشيخ حسن سلامة (١٩٠٣ ـ ١٩٤٨) واحد من أبرز المناضلين العرب الفلسطينيين في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولد الشيخ حسن بن علي سلامة (ابو علي) عام ١٩٠٣ في قرية قولة قضاء اللد، من عائلة عربية عريقة، فنشأ نشأة وطنية خالصة وبدأ يعمل، منذ نعومة اظافره، بالقضايا الوطنية والقومية. ثم برز نشاطه في التحرك الوطني الشامل الذي بدأ ينفذه، منذ مطلع الثلاثينات، وضد الانتداب الانكليزي والمخطط البريطاني لتنفيذ وعد بلفور وانشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، نفر من الشباب العربي الفلسطيني، على رأسهم المجاهد الشهيد عبد القادر الحسيني، ومن أبرزهم الشيخ المناضل حسن سلامة.

وقد انشأ هؤلاء الشباب في العام ١٩٣١ تنظيماً سريـا شبـه عسكـري لتجهيـز الشبـاب العربـي الفلسطيني وتدريبه وتسليحه واعداده للقتال، وقد سمي هذا التنظيم في البدء بأسم "منظمة المقاومة والجهاد" ثم استبدل به اسم "الجهاد المقدس". وقد بدأ النشاط الفعلي لهذا التنظيم منذ الاضراب العام والشامل في فلسطين عام ١٩٣٣. ثم استمر يتصاعد شاملا القطر الفلسطيني كله. فكان الشيخ حسن سلامة، مع المناضل شحادة حسونة يمثلان قضاء اللد في هذا التنظيم، وكانت أهم قرارات هذا التنظيم تلك التي اتخذت في الاجتماع السري الذي عقد في "عقبة جبر" (أريحا) في آذار (مارس) عام ١٩٣٤ ومن بينها: اعادة بناء التنظيم السري على اساس الخلايا، وتكليف قائد التنظيم عبد القادر الحسيني مهمة انشاء هذه الخلايا، ثم تعيين "لجنة عليا للتنظيم" مؤلفة من حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الفارسي وصالح الريماوي واميل الغوري، لمعاونة عبد القادر في أعماله ومهامه، وتنمية موارد التنظيم من المال والسلاح".



■ المناضل الشيخ حسن سلامة

وفيّ عام ١٩٣٥ انضم هذا التنظيم الى مجموعة التنظيمات السرية التي كانت تعمل على الارض الفلسطينية ضد اليهود وحليفتهم دولة الانتداب البريطاني، وشكلت جميعها ـ باستثناء تنظيم القسام ـ "منظمة فلسطينية عسكرية عامة" اسمها "الجهاد المقـدس" ظلـت تعمـل علـى الساحـة الفلسطينيـة بزعامـة الحـاج اميـن الحسينـي السياسية، وقيادة عبد القادر الحسيني العسكرية، حتى حدوث النكبة الكبرى عام ١٩٤٨. وقد لعب الشيخ حسن سلامة في هذه المنظمة دورا بارزا وبخاصة في حوادث عام ١٩٣٦ حين تقرر، في اجتماع عقدته المنظمة في اللد في ٥ نيسان (ابريل) من العام نفسه، تشكيل فصائل من "الجهاد المقدس" للرد على الاعتداءات اليهودية

ووضع حد لها، والتنسيق مع ثورة القسام التي بقيت ـ برضى الجميع ـ خارج المنظمات السرية، ومهمة كل من هذه الفصائل، "قطع طرق المواصلات بين تل ابيب والمستعمرات اليهودية على الساحل، ومنع السيارات اليهودية من المرور في المناطق العربية باتجاه تل ابيب والساحل، والقيام بغارات على ثكنات الجيش البريطاني ومخافر الشرطة للاستيلاء على الاسلحة والاعتدة والذخائر". وقد اسندت قيادة احدى هذه الفصائل الى الشيخ حسن سلامة الذي نشط في هذا الميدان ايما نشاط. وقد بلغ العمل الوطني الفلسطيني ذروته في هذه الاثناء على اثر الاضراب العام الذي اعلنه عرب فلسطين في فجر العشرين من نيسان (ابريل) ١٩٣٦ والذي تصاعد من الاضراب السلمي العام الى التظاهرات الصاخبة فالثورة العارمة. اذ انه في اول ايار (مايو) وبعد مرور عشرة أيام على بدء الاضراب، دعا عبد القادر الحسيني مجلس قيادة المنظمة الى اجتماع سري عقد في القدس، واتخذ على الاثر قرار سري باعلان "التمرد والعصيان على الحكم البريطاني والقيام بثورة مسلحة عامة تستمر حتى النصر". وكان الشيخ حسن سلامة، في هذا الاجتماع التاريخي الخطير، بالاضافة الى شحادة حسونة وحسين خليل وأسكندر حبش، ممثلين لقضاء اللد. وما لبث ان وضع القرار السري باعلان الثورة موضع التنفيذ في السابع من ايار (مايو) نفسه. وهكذا ظهر التنظيم السري الى العلن، وكشف المناضلون الفلسطينيون القناع، وبدأت الثورة العربية الفلسطينية الكبرى التي اطلق عبد القادر الحسيني، في منتصف ليل ٦ ـ ٧ ايار (مايو)، اولى رصاصاتها.

مناطق عسكرية

وقد قسمت قيادة الثورة فلسطين الى عدة مناطق لكل منها قيادة عسكرية محلية ترتبط مباشرة بالقيادة العامة للثورة التي كان مركزها بلدة بير زيت في قضاء رام الله. وكان الشيخ حسن سلامة قائدا لمنطقة يافا التي تشمل أقضية يافا واللد والرملة. ولكن هذه الثورة توقفت في صبيحة يوم ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه (١٩٣٦) اي بعد مرور خمسة اشهر واسبوع واحد على اندلاعها، وذلك تلبية لنداء اصدرته اللجنة العربية العليا لفلسطين (التي كان يرئسها الحاج امين الحسيني)، وبعد مداخلات دولية وعربية لا مجال لذكرها في هذا البحث.

وقررت الحكومة البريطانية ايفاد "لجنة ملكية بريطانية" للتحقيق بالقضية الفلسطينية. ووصلت هذه اللجنة الى فلسطين في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٦، وباشرت أعمالها في الخامس عشر منه، لتنشر بعد ذلك، وفي ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٧، تقريرا توصي فيه بانشاء دولة



■ الشهيد علي حسن سلامة ابن الشهيد الشيخ حسن سلامة.

هذا البحث المتواضع...

□ قبل أيام من استشهادك، يا ابا حسن، كنت اعلل النفس بلقاء معك، لأتحدث، من خلالك، الى والدك الشيخ المناضل، الذي سبقك الى الشهادة منذ ثلاثين عاماً، وما كنت ادري، ونحن نتفق على الموعد، أن يد الغدر ستكون أسبق مني اليك، وأن موعدك مع والدك البطل، في رحاب الله، سيلغي، من مفكرتك، كل المواعيد.

وأني، اذ أقدم الى روحيكما الطاهرتين، هذا البحث المتواضع، العابق بعبير شهادتيكما، أقر انه يفتقر الى الكثير الكثير من وهج البطولة التي عرفتها فيك، ولمستها من خلال درسي لسيرة ابيك، وهو ما كنت آمل أن تبوح لي بومضات منه قبل أن تطبق عليه أجفانك، وشغاف قلبك، الى الابد.

وستظل سيرتكما النضالية، واستشهادكما، البطولي، أبا وأبناً، حافزاً لكل المناضلين، ونصراً للقضية.

بيروت/٢٢/١/١٩٧٩

ع. سويد



■ الشيخ حسن سلامة يشرح للمجاهدين على خارطة، خططه العسكرية.

يهودية في جزء من فلسطين، مما الهب مشاعر الغضب والرفض في نفوس الفلسطينيين والعرب جميعا، وعلى رأسهم الحاج امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، الذي نشر في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ وفي بيروت، وكان منفيا فيها، بيانا رفض فيه قرارات اللجنة الملكية البريطانية رفضا قاطعا. وفي ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) نفسه، اجتمع مجلس قيادة منظمة "الجهاد المقدس" سرا في مقره السابق في بير زيت، وبرئاسة المجاهد عبد القادر الحسيني، وتقرر في هذا الاجتماع استئناف الثورة. وابلغ المجلس قراره هذا الى مختلف قيادات الجهاد المقدس في سائر المناطق الفلسطينية، محددا، ساعة الصفر للبدء بالتنفيذ، وكانت ساعة الصفر هذه فجر اليوم الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٧.

وخاض الشيخ حسن في هذه الثورة عدة معارك في منطقة يافا (التي كان قائدا لها) وقام بنفسه بعدة عمليات ناجحة ضد الجيش البريطاني، واهمها عملية "ويلهلمة" (بين اللد ويافا) التي أدت الى نسف قطار عسكري يعمل على الخط الحديدي بين حيفا واللد، ومصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين كان يقلهم هذا القطار. وقد لحق الجنود البريطانيون الناجون برفيقه المناضل محمد سمحان فقتلوه، اما هو فقد تمكن من الافلات من قبضتهم.

الشيخ حسن في العراق

وما أن تمكن البريطانيون من أخماد الثورة عام ١٩٣٨ حتى لجأ الشيخ حسن سلامة الى العراق والتحق بالجيش العراقي. ثم اشترك مع عدد من المناضلين الفلسطينيين، الذين كانوا قد لجأوا ايضا الى العراق، بثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز عام ١٩٤١. ولما فشلت ثورة الكيلاني غادر الشيخ حسن العراق الى المانيا حيث تدرب على فنون القتال وزرع الالغام وحرب العصابات. وعاد الى فلسطين مع مناضل آخر من رفاقه هو ذو الكفل عبد اللطيف، وثلاثة من المغامرين الالمان المتحمسين للقتال ضد الصهيونية. وحطت الطائرة بهؤلاء الخمسة في سهل اريحا عام ١٩٤٥ حيث حاولوا اشعال نار الثورة ضد الانكليز واليهود. الا انهم لم يوفقوا اذ علمت السلطات الانكليزية بأمرهم فاعتقلت ثلاثة منهم هم ذو الكفل واثنان من رفاقه الالمان. اما الشيخ حسن فقد تمكن من اللجوء الى بلدة العباسية في سوريا، حيث بقي الى ان صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٧. فعهدت اليه قيادة الجهاد المقدس بقيادة المجاهدين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى، اي القطاع الواقع بين يافا ووادي الصرار واضعة تحت قيادته: ٣ سرايا متحركة و٤ سرايا تدمير ونحو ٣٥ مفرزة دفاعية ووحدتين طبيتين تتمركز جميعها على خمس جبهات هي:

ـ جبهة مدينة يافا ٠
ـ جبهة القرى الواقعة شرقي يافا ٠
ـ جبهة اللد وقراها ٠
ـ جبهة الرملة وقراها ٠
ـ جبهة المجدل وقراها ٠ (انظر الخارطة)

وفي ٦ آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقى الشيخ حسن سلامة، من امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا رئيس اللجنة العسكرية المشكلة بموجب قرار من مجلس الجامعة العربية بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧، مذكرة يثبته بموجبها، بأسم اللجنة العسكرية، في قيادة القطاع، ويحدد له مهماته على الوجه التالي:

اولا ـ منطقة العمليات التابعة للشيخ حسن سلامة: منطقة اللد (القطاع الغربي للمنطقة الوسطى سابقا)
ـ شمالا: خط يمتد من هرتسليا الى حوارة ٠
ـ جنوبا: خط يمتد من المجدل وجورة عسقلان الى الفالوجة ٠
ـ شرقا: خط مواز للطريق العام المار من نابلس الى رام الله فالقدس فبيت لحم فالخليل ٠
غربا: البحر الابيض المتوسط٠
ثانيا ـ القوى الموضوعة بتصرفه:

الموقع	آمر الموقع	متطوع نظامي	مجاهد
يافا	١	١٠٠	٤٠٠
سلمة	١	ـ	١٠٠
ابو كبير	١	ـ	١٠٠
يازور	١	ـ	٥٠
القوة الضاربة	٣	١٢٨	٣٠٠
	٧	٢٢٨	٩٥٠

فيكون مجموع المقاتلين، ما عدا القادة: ١١٧٨ مقاتلا ٠

وقد عثر في اضبارة الشيخ حسن سلامة بعد استشهاده، أنه كان في يافا، لدى العرب، من السلاح، بتاريخ ٦ آذار (مارس): ٧٢٥ بندقية و ٣٠ رشاشا (تومي أو ستين) و ١٥ رشاشا خفيفا و ٤ مدافع هاون٠ وان عدد المقاتلين العرب الذين كانوا في مختلف المراكز في يافا بتاريخ ٣ آذار ـ مارس ـ (في الجبالية وابو كبير وكرم التوت والمسلخ وتل الريش الشمالي وطاسو وتل الريش الجنوبي الغربي) هو نحو خمسمائة مقاتل٠

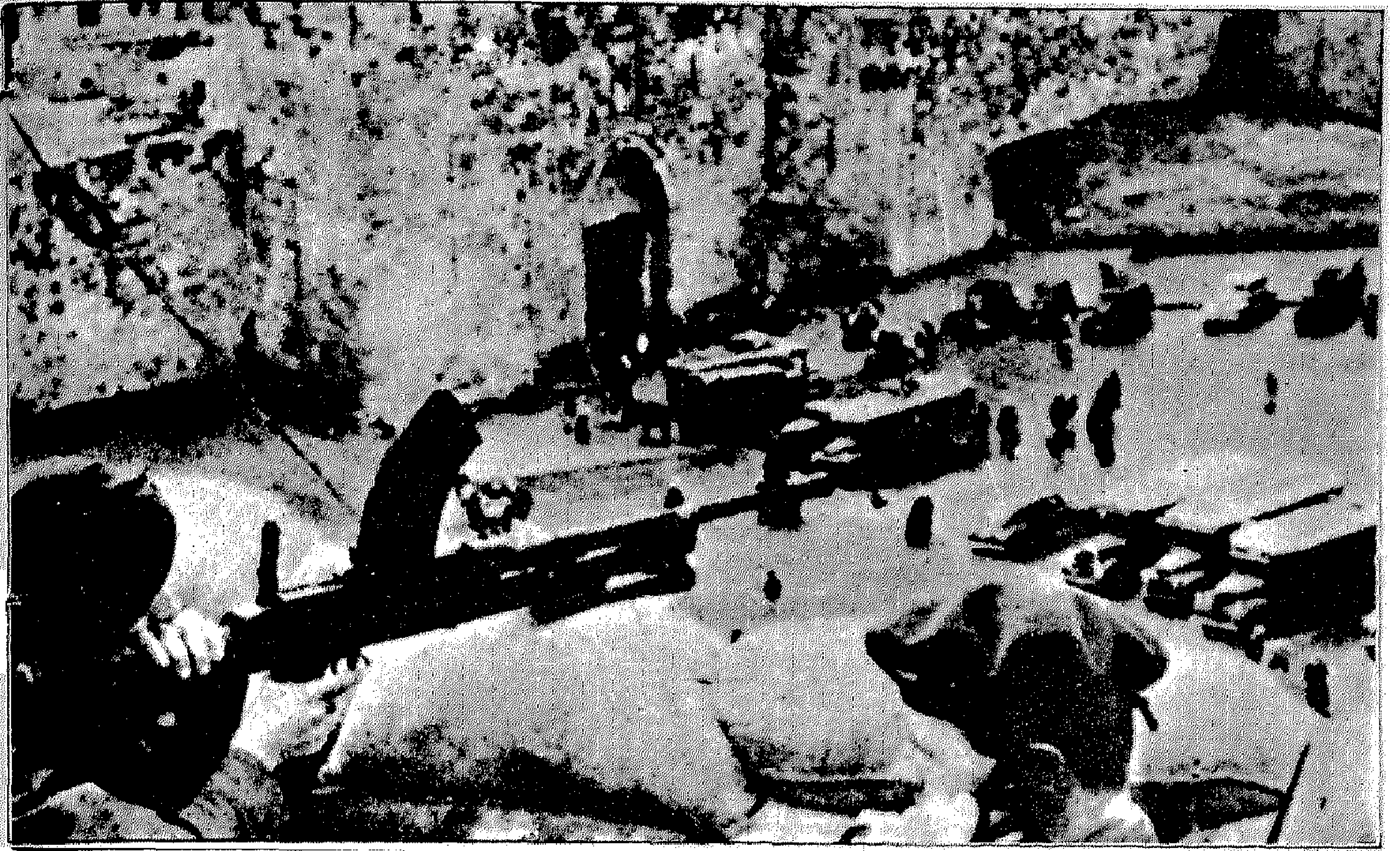
ثالثا ـ المهمة: موقتا، وبانتظار حشد القوى، تكون المهمة كما يلي:
١ ـ الدفاع عن المدن والقرى ضمن منطقة العمليات المحددة، وخاصة عن مراكز المواقع ةيافا وسلمة وابو كبير ويازور) ٠
٢ ـ اشغال العدو وانهاكه بشن غارات على مراكزه بهدف تعطيلها وشلها وعدم تمكينه من استخدامها ٠
٣ ـ عرقلة مواصلات العدو وضرب قوافله٠
٤ ـ تأمين المواصلات بين يافا والمدن العربية ٠
٥ ـ تجنب الاصطدام ما أمكن بالقوات البريطانية٠

رابعا ـ الاتصال: بالقيادة العامة، اساسا، ثم بقائد منطقة القدس عبد القادر الحسيني، وقائد الجبهة الشمالية فوزي القاوقجي، لتبادل المعلومات فقط٠

"ملجأ الرجاء"

وقد أتخذ الشيخ حسن "ملجأ الرجاء" الواقع على طريق يافا ـ الرملة، مركزا لقيادته ، نسف اليهود هذا المركز بتاريخ ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ بواسطة عميلين من جنود الانتداب البريطاني، مما أدى الى خلاف بين الشيخ حسن وبين زملائه القادة العراقيين والسوريين الذين اتهموه بالاهمال، فنقل مركز قيادته الى بلدة العباسية شرقي يافا، ولكن لم يتمكن الشيخ حسن من القيام بالمهام الموكولة اليه فقد سبق ان طلب، في كتاب منه الى اللجنة العسكرية بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨، تعزيز حامية يافا وجميع الحاميات الداخلة في قطاعه العسكري، وذكر في كتابه هذا ان حامية يافا لا تتعدى الخمسمائة مقاتل، طالباً من اللجنة العسكرية (وكان اللواء طه باشا الهاشمي هو المفتش العام للمتطوعين في اللجنة والموجه الاول لها) أن ترسل اليه ٣٦٠٠ متطوع يتم توزيعهم على الحاميات في قطاعه كما يلي: ١٥٠٠ في يافا، ٥٠٠ في سلمة، و ٥٠٠ في بيناء والباقي ١١٠٠ في اللد والرملة ويازور وصرفند وقلقيلية٠ الا أن جواب طه باشا الهاشمي للشيخ حسن كان سلبا، معتبرا ان مهمته في ذلك القطاع هي مهمة دفاع ومشاغلة فقط الى أن يتم حشد قوات الانقاذ فيها٠

وفي ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ انسحب الشيخ حسن سلامة من يافا بعد ان سلم مهمة حمايتها والدفاع عنها الى فوج (كتيبة) من جيش الانقاذ بقيادة المقدم عادل نجم الدين (عراقي)٠ ولكن هذا الاخير استبدل به بعد ايام فقط، الرئيس ميشال العيسى قائد فوج اجنادين من الجيش نفسه وفي اثناء عملية الاستبدال بين القائدين تعرضت حيفا لهجوم يهودي كاسح من ناحيتين: تل الريش من الناحية الجنوبية، ومنشية الفوقا، فصد العرب اليهود من ناحية تل الريش، ولكن هؤلاء تمكنوا من دخول، حي المنشية واحتلوه وقضوا على الكثير من سكانه العرب٠ ولم تصمد حيفا بعد ذلك طويلا فسقطت في أيدي اليهود بعد هدنة بينهم وبين حاميتها استمرت حتى الخامس عشر من ايار (مايو)، يوم اعلان ولادة الدولة اليهودية٠ وكانت سلمة قد سقطت قبل ذلك وكذلك يازو (٣٠ نيسان ـ ابريل)٠ وقاتل من نجا من أهل سلمة وحاميتها الى جانب الشيخ حسن سلامة في المعارك التي جرت بعدئذ في العباسية واللد والرملة، وآخرها معركة "رأس العين" التي جرت يومي ٣٠ و ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨، والتي جرح على أثرها الشيخ المناضل جرحا بليغا ادى الى استشهاده في الاول من حزيران (يونيو) عن عمر يناهز الخامسة



■ بوابة دمشق في سور القدس القديمة تحت رحمة موقع بريطاني.

والاربعين، مخلفاً بعده ولدين هما ابنه علي (ابو حسن) وابنته نضال.

معركة رأس العين:
(٣٠-٣١ايار-مايو-١٩٤٨)

"رأس العين" قرية صغيرة، كانت عربية، تقع على بعد سبعة وثلاثين ميلا شمالي غربي القدس، وتكمن أهميتها بالنسبة الى المدينة المقدسة أنها تزود هذه المدينة بمياهها العذبة والغزيرة، وذلك منذ عام ١٩٣٥، اذ ان القدس كانت تستهلك يوميا من مياه رأس العين، نحو ثلاثة ملايين غالون، مما يجعل المدينة المقدسة، ولا شك، تحت رحمة القوة المسيطرة على منابع المياه في هذه القرية.

وقد تنبه المجاهدون العرب لهذا الامر منذ بدء القتال العربي الصهيوني في فلسطين بعد اعلان قرار التقسيم. فنسفوا، في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧، خط الانابيب الذي ينقل المياه من رأس العين الى القدس بالقرب من مدينة اللد، مما أدى الى انقطاع المياه عن هذه المدينة طيلة خمسة ايام، وتعريض حياة الالاف من سكان الحي اليهودي والجنود البريطانيين في القدس لخطر الموت عطشا. وقد تمكن سكان القطاع العربي في المدينة من الاستعاضة عن مياه رأس العين في هذه الفترة بمياه عين فارة التي كانت تسقي في السابق المدينة المقدسة. كما استعمل اليهود في القدس الجديدة مياه الآبار التي كانت قليلة العدد، مما اضطرهم الى تقنين المياه بمقدار نصف صفيحة من الماء للفرد يوميا. وقد جرت حول هذه المنابع، ولأجل الاستيلاء عليها، عدة معارك كانت معركة ٣٠ - ٣١ ايار (مايو) اهمها.

كان العرب قد استولوا على هذه القرية، عسكريا، منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩/١١/١٩٤٧ وفي ٨ اذار (مارس) ١٩٤٨ تمركز في قطاع رأس العين نحو خمسمائة من جيش الانقاذ وسيطروا على القرية ومنابع المياه. الا انهم لم يقطعوا الماء عن القدس كي لا يوقعوا الضرر بالسكان العرب في المدينة، ولكنهم طردوا الموظفين اليهود من محطات الضخ واستبدلوا بهم موظفين عرباً. فتمت لهم بذلك السيطرة التامة على المنابع. الا ان حامية هذا الموقع عادت وقطعت المياه عن الاحياء اليهودية في القدس وعن المؤسسات العبرية في جبل الزيتون كالجامعة العبرية وهداسا، وذلك بعد ان رأت اليهود يعززون مواقعهم في المدينة ويضاعفون عدد قواتهم فيها، وفي كل مرة كان العرب يقطعون مياه رأس العين عن القدس كان اليهود يعودون، بمساعدة البريطانيين، لمدها بعد اصلاح الانابيب. وقد نسف العرب هذه الانابيب مرات عديدة (في ١ نيسان و ١٠ نيسان - إبريل - و ٧ ايار - مايو -). وحاول



■ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨: نسف المجاهدين العرب الفلسطينيون شارع ابن يهودا في القدس.

اليهود عدة مرات الاستيلاء على البلدة ومنابع المياه فيها فلم يفلحوا في البدء، الا انهم، في النهاية، تمكنوا من احتلالها بعد ان تغلبوا على حاميتها واخرجوها من المراكز التي كانت متحصنة فيها. وكان ذلك يوم ٣٠ ايار (مايو) ولكن اليهود لم يبيتوا اكثر من ليلة واحدة في تلك المواقع، اذ تحرك قائد المنطقة، الشيخ حسن سلامة بقوة من مقاتليه لتحرير هذه البلدة، وكانت رأس العين من ضمن التزاماته العسكرية وفقا للحدود الجغرافية للمنطقة، كما بيناها آنفا.

وقد تداعى العديد من الرجال من قرى دير طريف وبيت نبالا وغيرهما من القرى المجاورة في القطاع، فانضموا الى القوة الزاحفة نحو رأس العين بقيادة الشيخ حسن، الذي وصل الى مشارف القرية فجر اليوم التالي أي ٣١ ايار (مايو) ودارت بين الفريقين معركة استمرت من الفجر الى ضحى ذلك اليوم، تمكن المناضلون العرب في نهايتها من الاستيلاء على ذلك الموقع بعد ان جرح القائد حسن سلامة من جراء شظية أصابت صدره ودخلت رئته اليسرى. فنقل للمعالجة في مستشفى ميداني قريب. أما اليهود فاستجمعوا قواهم وأعادوا الكرة في اليوم التالي أي في ١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ محاولين احتلال موقع رأس العين من جديد. الا ان محاولتهم هذه صادفت وصول سرية من الجيش العراقي الى ذلك الموقع بقيادة المقدم الركن علي غالب عزيز وبدء تمركزها فيه وتسلم مهمة حمايته. فعاد اليهود أدراجهم دون أن يحاولوا الاشتباك مع هذه القوة. وأما الشيخ المناضل، فقد أسلم الروح في اليوم نفسه، أي في الاول من حزيران (يونيو) بعد ان اطمأن الى ان مقاتليه قد سلموا الامانة، عربية، الى فرقة من الجيش العراقي.

ولكن الامانة لن تظل طويلا بيد العرب بعد ذلك، اذ انه لما أخلت القوات العربية اللد والرملة في ١١ و ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٨، رأى الجيش العراقي المتمركز في رأس العين أن جناحه الايسر أضحى مكشوفا بعد سقوط اللد والرملة في أيدي اليهود. وخشي من حركة التفاف جانبية عليه من اليهود من تلك الناحية، فأخلى مواقعه في رأس العين، وامكن لليهود أن يثبوا الى هذا الموقع الاستراتيجي المهم فيستولوا عليه ليحموا مياه القدس ووجود اليهود فيها.

وبعد مرور عامين فقط على النكبة الكبرى في فلسطين عام ١٩٤٨، اصبحت "رأس العين" مستوطنة يهودية تعرف باسم "روش هاعين" او "أفق" وارتفع عدد سكانها حتى اصبح عام ١٩٦٤ نحو عشرة الآف نسمة معظمهم من يهود اليمن الذين هاجروا الى فلسطين خلال عامي ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠، والذين يشتغلون في الزراعة وفي المصانع (مصانع مقاطعة بتاحتكفا في سهل اليهودية الساحلي قرب نهر العوجا).

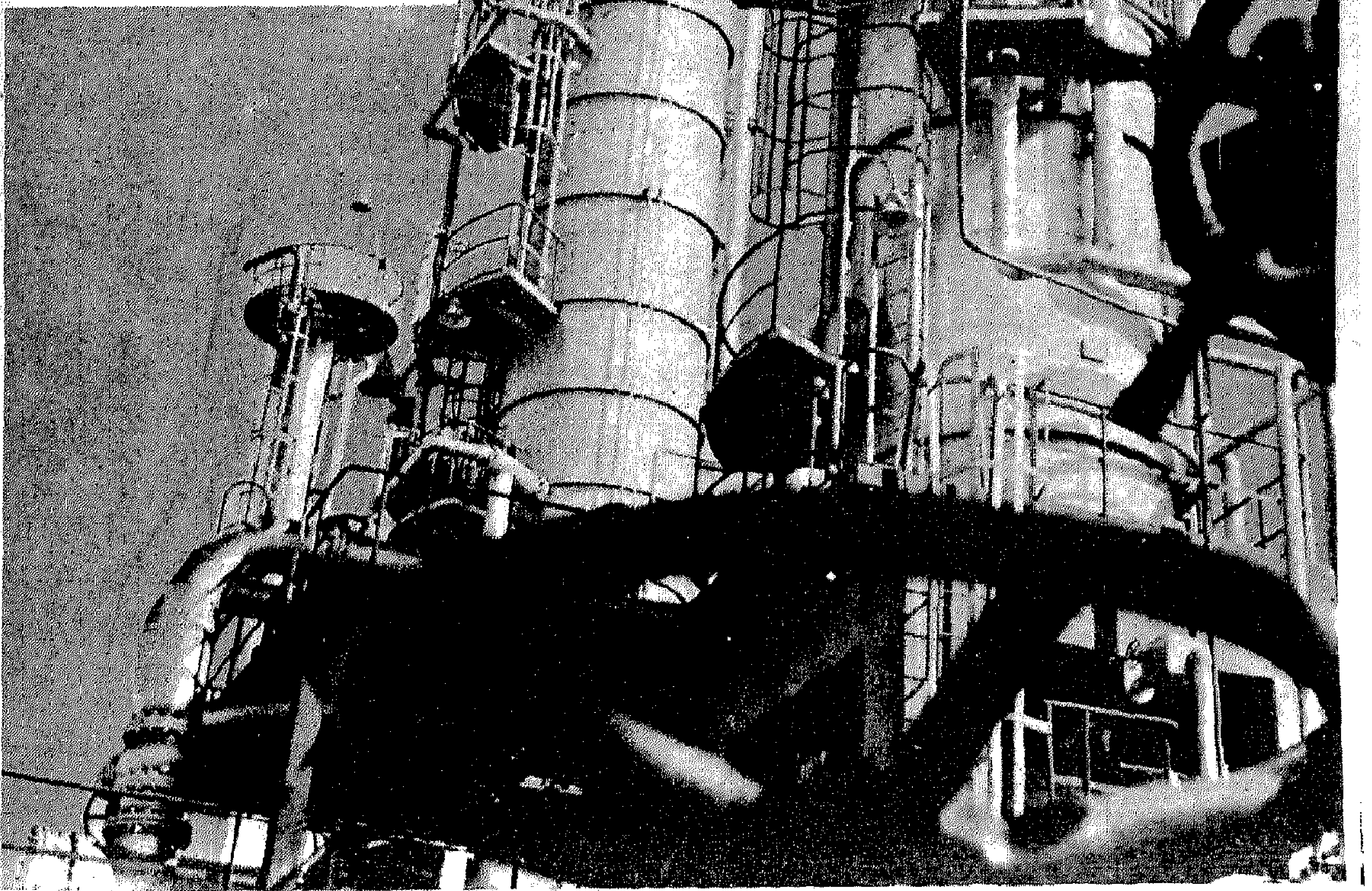
ولم يبق للعرب بعد ذلك في "رأس العين"، أو "روش هاعين" سوى ذكرى المناضلين الذين رووا بدمائهم، أرض "رأس العين"، على أمل ان تبقى، كما كانت عربية، وعلى رأسهم الشيخ المناضل، حسن سلامة. ■

مراجع البحث

ـ "خارطة فلسطين" نشر مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية: بيروت.
ـ "النكبة": لعارف العارف، جزء ١ ـ ٤.
ـ "بلداننا فلسطين المحتلة" للدكتور انيس صايغ.
ـ "الحرب الفدائية في فلسطين" للمقدم محمد الشاعر.
ـ "فلسطين عبر ستين عاما" لاميل الغوري جزء ١و٢.
ـ "فلسطين والانتداب البريطاني" للدكتور كامل محمود خلة.
"القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني" لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.
ـ "جهاد شعب فلسطين" لصالح ابو يصير.
ـ "كارثة فلسطين" لعبدالله التل جزء اول.

تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي

د. يوسف شبل



مستشار اقتصادي سابق لدى وزارة المالية في السعودية وأستاذ اقتصاد في الجامعة الاميركية سابقا
ويشغل حاليا منصب كبير الاقتصاديين في دار الهندسة للاستشارات والتصميم في بيروت.

■ النفط العربي يحتل حالياً مركز الصدارة في العالم. فهو المصدر الأهم في ميدان الطاقة العالمية، وهو مفتاح الرخاء او الشقاء لكثير من بلدان العالم، وهو العامل الأكثر تأثيراً في نظام النقد الدولي، وهو في رأي الخبراء الماليين وراء التذبذب في قيمة الدولار بالنسبة لباقي عملات العالم في سوق القطع الاجنبي كما انه وراء كثير من التطورات السياسية والاقتصادية في العالم الصناعي والبلدان النامية.

غير ان هذا الحاضر العريق لا يمكن ان تستوعب أبعاده دون العودة الى الماضي لمعرفة كيف واين وباية شروط بدأ انتاج النفط العربي في مطلع هذا القرن. انها قصة طويلة لا يمكن كتابة تاريخها بمقال عابر.

والتاريخ النفطي العربي يعكس جملة من الأمور الرئيسية. فهو يعكس البنية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في الوطن العربي و يعكس طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت قائمة بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان الصناعية التي كانت تقوم باستغلال النفط عن طريق انتاجه وتكريره ثم شحنه الى الاسواق العالمية خصوصا في اوروبة الغربية. لذلك فان الكتابة عن تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي توضح كثيرا من خصائص البلدان المنتجة للنفط في مختلف مجالات الحياة وتعكس درجة تطورها الاقتصادي والاجتماعي وكيف بدأت تكتسب معرفة متزايدة في حقل التقنية والأدارة حتى وصلت الى مشارف السيطرة الكاملة على هذه الثروة النادرة. وسنعرض في هذا المقال تاريخ الاتفاقات البترولية في العراق والمملكة السعودية بصفتهما اقدم وأعرق الدول النفطية.

والملاحظ في هذا الشأن انه خلال الفترة التي سبقت عام ١٩٥١ كانت جميع الاتفاقات البترولية المعقودة بين البلدان العربية المنتجة للنفط وبين الشركات الأجنبية العاملة في اراضيها تستند على اساس اعطاء ريع عن كل برميل منتج بالاضافة الى هبات معينة وكمية محدودة من الانتاج دون مقابل. وقد أتاح ذلك للشركات الأجنبية تحقيق ارباح خيالية في مدة قصيرة من الزمن خصوصا وان تكاليف انتاج البرميل الواحد كانت منخفضة بالنسبة "للاسعار المعلنة" Posted Price واسعار المبيع الفعلية في اسواق النفط في العالم.

وفي تقرير مالي حول وضع شركات النفط نشر في الولايات المتحدة جاء ان ارباح بعض الشركات وصل إلى ٨٧ سنتاً للبرميل الواحد مما يعني تحقيق معدل أرباح قدره ٤٠٪ على صافي موجودات الشركة، ثم ارتفعت هذه النسبة حتى ٦٨٪.

الاتفاقات في العراق

يعتبر العراق تاريخياً اول بلد عربي منتج ومصدر للنفط. كما انه يعتبر ثاني بلد، بعد ايران، في منطقة الشرق الاوسط قام باستخراج وتطوير النفط في أراضيه.

تبدأ قصة النفط في العراق في العام ١٨٩٥. ففي ذلك العام حصل البنك الالماني على امتياز اقامة سكة حديد بغداد ومن بين شروط الامتياز حق التنقيب عن المعادن على امتداد ٢٠ كيلومتراً على جانب الشريط الحديدي. وفي العام ١٩٠١ قام احد الأثرياء الانكليز واسمه "آرسي" D'Arcy بمفاوضة السلطات التركية التي كانت تحكم العراق للحصول على امتياز في العراق. ثم تدخلت جماعات مالية من الولايات المتحدة ابتداء من العام ١٩٠٨ بمفاوضة السلطات التركية للحصول على امتيازات معدنية، بما فيها النفط، في العراق.

وفي آذار من عام ١٩١٤ تم تأليف "الشركة البترولية التركية" بين الانكليز والألمان والهولنديين. وقد لعب الثري الأرمني المعروف "غالبنكيان" دوراً هاماً في اتمام الصفقة ونال لقاء اتعابه نسبة ٥٪. وفي حزيران من نفس العام قامت السلطات التركية التي كانت تحكم العراق بمنح "الشركة البترولية التركية" حق التنقيب عن النفط في مقاطعتي بغداد والموصل.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى واندحار الاتراك ودخول القوات البريطانية الى معظم بلدان الشرق الاوسط قوي نفوذ الشركات البريطانية. وخلال هذه الفترة اكتسب النفط اهمية متزايدة كمصدر طاقة الى جانب الفحم والكهرباء. وبدأت شركات الاستثمار في البلدان الصناعية تهتم به.

اول ميثاق

وفي عام ١٩٢٥ تم التوقيع على ميثاق خاص بين الحكومة العراقية وكل من شركة "بريتش بتروليوم"، "شل"، "جيرزي ستادرد" "سوكوني" و C.F.P. و"غالبنكيان"، الثري الأرمني.

ويمكن تلخيص أهم نصوص هذا الاتفاق بالتالي:

١ ـ مدة الامتياز: ٧٥ سنة

٢ ـ المساحة المشمولة بالامتياز: ٣٥٢،١٤٢ ميلا مربعاً

٣ ـ الشروط المالية:

أ ـ "ريع" Royalty قدره ٤ شلنات (ذهب) لكل طن لفترة تمتد عشرين عاماً بعد انتهاء العمل في انبوب النفط الى احد موانىء التصدير

ب - بعد انتهاء الفترة المشار اليها في (أ) ومرور عشرة اعوام على العمل بالريع المشار اليه يزاد بنسبة سنوية تساوي الزيادة في الارباح التي تحققت خلال الخمس سنوات الأخيرة من مدة العشرين سنة المشار اليها في البند (أ) على أن لا يزيد الريع عن ٦ شلنات ذهب للطن الواحد.

جـ - تدفع ضريبة قدرها ٦٠٠،٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن أول اربعة ملايين طن و٤٠٠،٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن كل مليون طن اضافي.

د - يدفع ريع Royalty سنوي لا يقل عن ٤٠٠،٠٠٠ استرليني (تدفع بما يعادلها من الذهب)

هـ - عند انتهاء فترة الامتياز يتم تسليم الموجودات الثابتة العائدة للشركة الى الحكومة العراقية دون مقابل.

وفي عام ١٩٤٩ بدأت "شركة نفط العراق" I.P.C. مفاوضات مع الحكومة العراقية لتعديل اسس اتفاقية عام ١٩٢٥. وفي آذار من عام ١٩٣١ حيث منحت الشركة حق التنقيب في مساحة شاسعة من الاراضي العراقية بلغت ٣٥،١٣٦ ميلا مربعاً. وقد شمل الامتياز جميع مناطق بغداد والموصل الواقعة الى الشرق من نهر دجلة. وفي عام ١٩٣٨ استطاعت شركة I.P.C. ان تسيطر على كافة انحاء العراق باستثناء منطقة صغيرة في "خانقين" بقيت في يد شركة "آرسي". ومع أن اتفاقية آذار من عام ١٩٣١ اعطت للحكومة العراقية حق الحصول على معلومات مفصلة عن مبيعات ونفقات الشركة وعن أسعار المبيع، فان الشركة كانت تمتنع عن اعطاء اية معلومات ذات قيمة للحكومة العراقية.

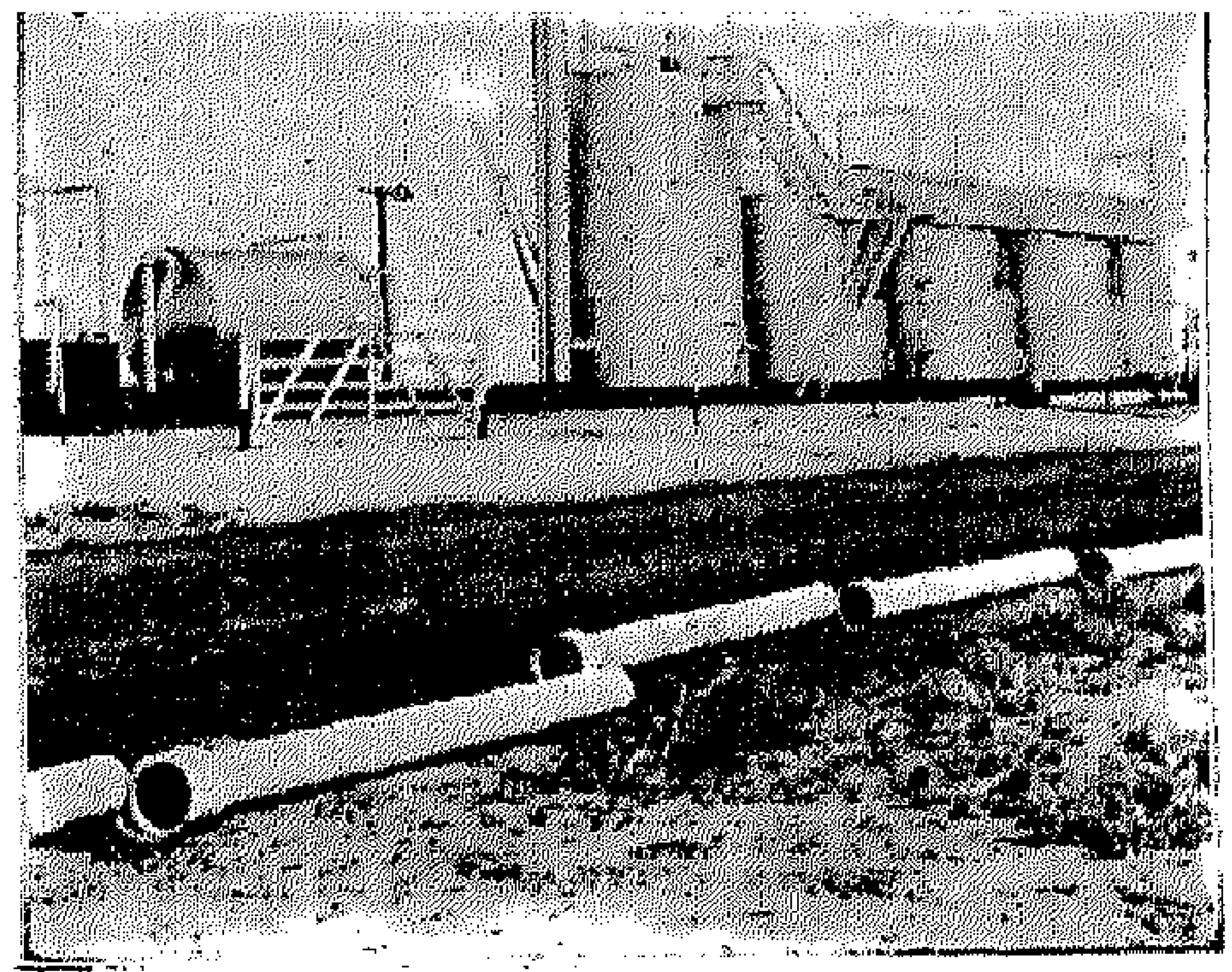
وقد ظل الوضع على حاله الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت مفاوضات طويلة انتهت الى اتفاق في شباط من عام ١٩٥٢ على ان تكون الاتفاقية ذات مفعول رجعي ابتداء من ١ كانون الثاني، ١٩٥١. وقد استطاعت الحكومة العراقية ان تحصل على ٥٠٪ من ارباح الشركة الصافية في العراق. وقد تم تعريف الارباح الصافية على أنها تساوي الفرق بين قيمة النفط في موانىء ومواقع التصدير في الاراضي العراقية وبين القيمة الحقيقية للطن الواحد مضروباً بحجم الكمية المصدرة من النفط معبراً عنها بالطن. ونظراً لأن شركة نفط العراق تملك مصفاة في طرابلس - لبنان فقد تم اعتماد سعرين الأول تسليم الجرود العراقية - السورية والآخر تسليم ميناء البصرة على الخليج العربي. وقد تعهدت الشركة بتحقيق حد" ادنى من صادرات النفط وبالتالي من العائدات على أن لا تقل عن ٢٥ مليون جنيه استرليني في مدة اقصاها عام ١٩٥٥. كما تعهدت الشركة باعطاء العراق كامل حاجته من النفط للاستهلاك المحلي.

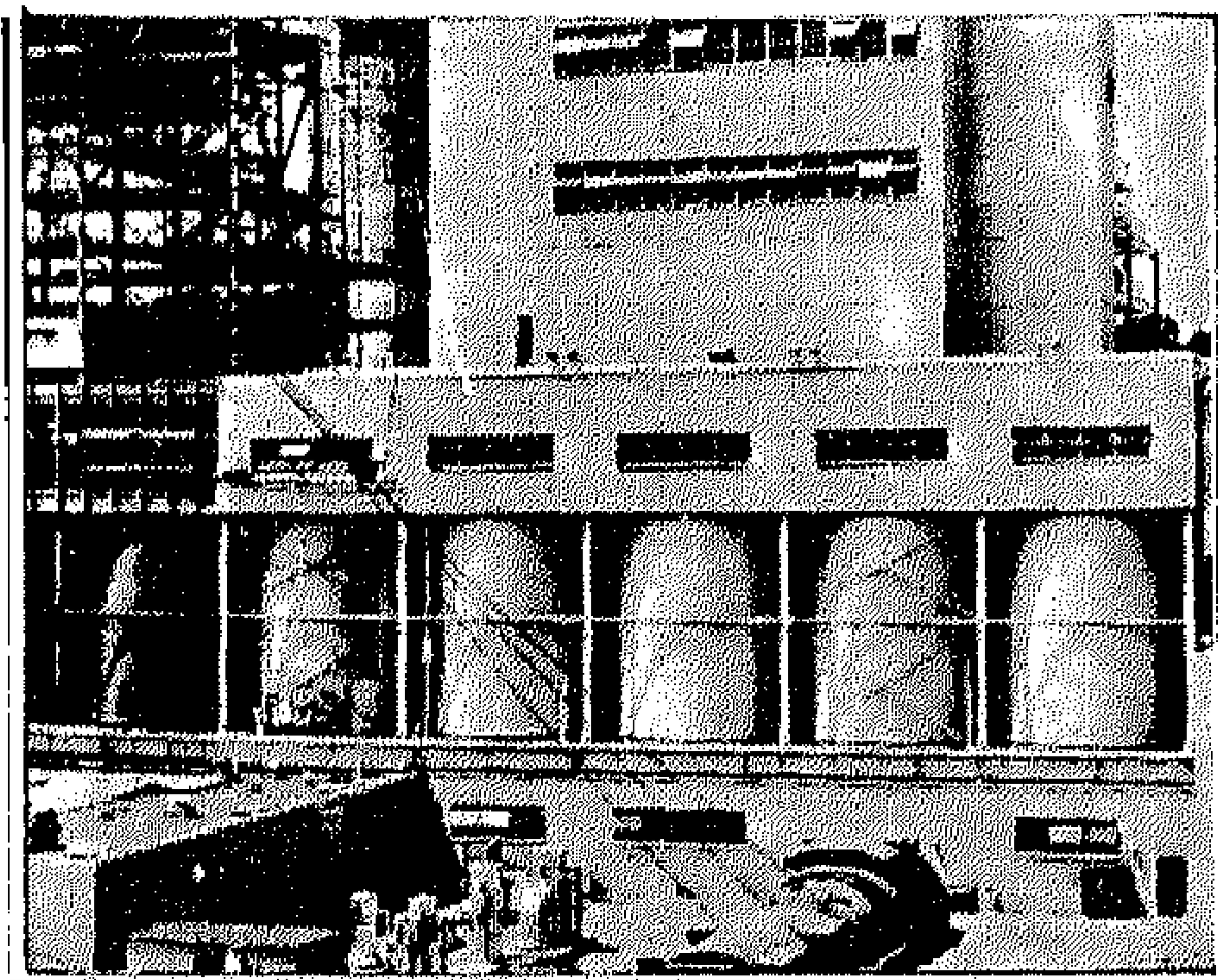
الاتفاقات السعودية

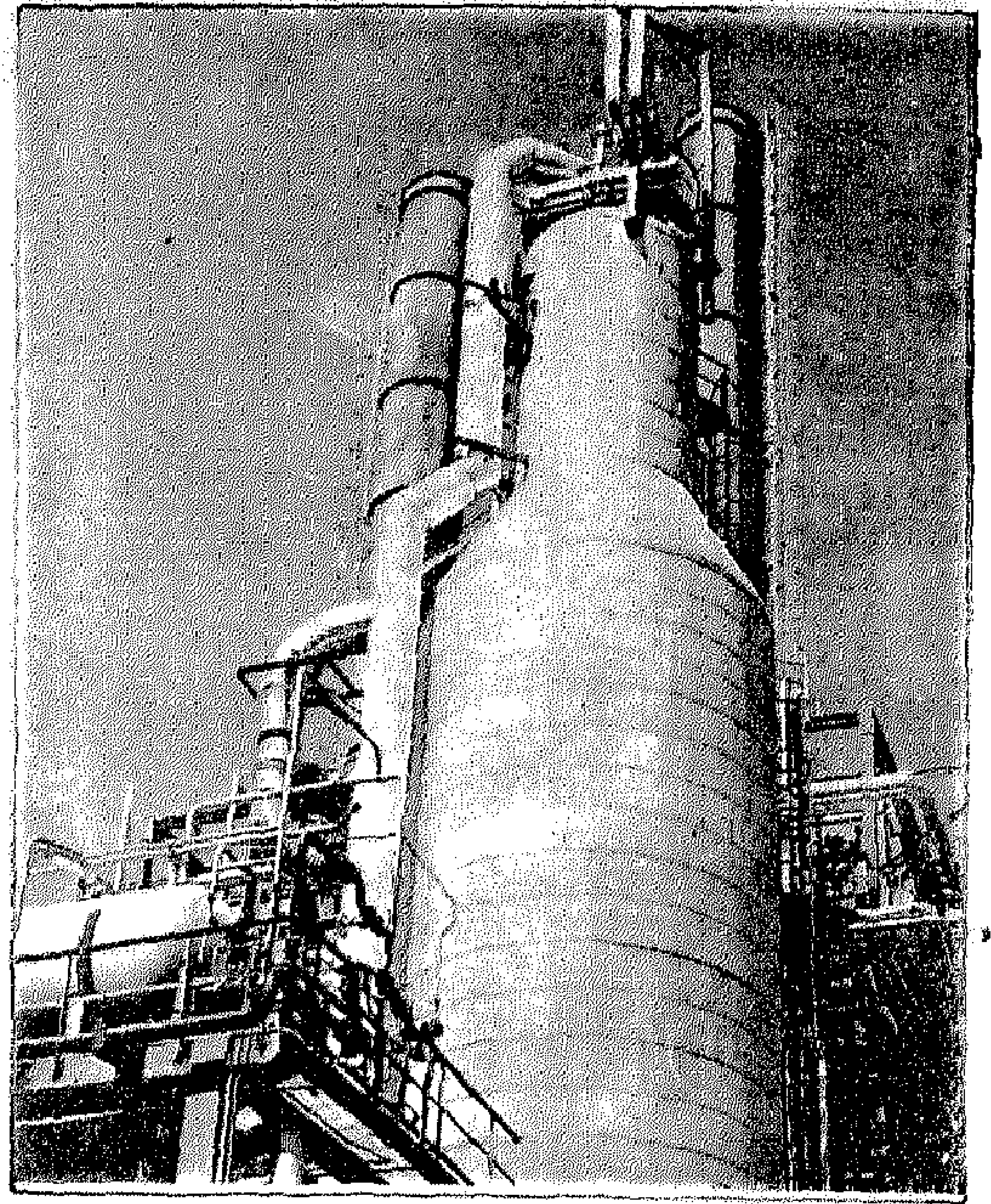
تم منح اول امتياز للتنقيب عن النفط في السعودية في العام ١٩٣٣. والمعروف أن فترة الأربعة أعوام بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣ كانت تعرف بفترة الكساد الكبير حيث ظهرت البطالة على نطاق واسع وانهارت كثير من المؤسسات الاقتصادية في الدول الصناعية.

ففي ذلك العام، اي عام ١٩٣٣، تم اتصال بين الحكومة السعودية وكل من شركة نفط العراق I.P.C. وشركة "سوكال". والمعروف ان "شركة نفط العراق" هي بريطانية في حين ان شركة "سوكال" هي امريكية ومعروفة اكثر باسم "شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا". وكانت هذه الشركة التي لا يزال مقرها الرئيسي في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قد باشرت نشاطها في البحرين التي تقع على مسافة قريبة جداً من الشاطىء الشرقي للسعودية والتي تقع فيها مدينة الظهران التي اصبحت فيما بعد المركز الأهم لانتاج النفط في منطقة الشرق الاوسط.

وقد عرضت الشركة الاميركية ان تدفع مبلغ ٣٥،٠٠٠ جنيه استرليني فوراً الى الملك عبد العزيز آل سعود في حين أن الشركة البريطانية عرضت دفع ٣٠،٠٠٠ استرليني. ولكي تجعل







الشركة الاميركية عرضها مغرياً فقد تعهدت للملك عبد العزيز بأن تدفع القيمة بما يساويها من الذهب ·

اما الشروط التي تم التوصل اليها فهي لا تختلف كثيراً عن شروط "الشركة البترولية التركية" والحكومة العراقية والتي اشرنا اليها سابقاً· وقد تم التوقيع على الاتفاقية في ٢٩ أيار من عام ١٩٣٣· وفي عام ١٩٣٦ انضمت شركة "تيكساكو" الى "سوكال" لكي تؤلف الشركتان ما عرف فيما بعد باسم "ارامكو" وهو الاسم الشائع حتى الآن ·

اهم النصوص

اما اهم نصوص اتفاقية عام ١٩٣٣ فهي الآتية:

١ ـ مساحة الامتياز ٣٢٠،٠٠٠ ميل مربع يضاف اليها مساحة قدرها ١٤٠،٠٠٠ ميل مربع في ٣١ أيار من عام ١٩٣٩

٢ ـ مدة الامتياز: ٦٠ سنة

٣ ـ الشروط المالية:

(أ) ربع قدره ٤ شلنات (من الذهب) للطن الواحد

(ب) قرض أولي قدره ٣٠،٠٠٠ استرليني على ان يحسم هذا القرض من الريع المستحق في المستقبل

(جـ) قرض ثان في عام ١٩٣٥ قدره ٢٠،٠٠٠ استرليني

(د) إيجار سنوي قدره ٥٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٣ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية·

(هـ) عند اكتشاف النفط يدفع مقدماً مبلغ قدره ١٠٠،٠٠٠ استرليني على امتداد فترة عامين على ان يتم الدفع مناصفة، اي ٥٠،٠٠٠ استرليني كل عام· وجميع الدفعات تدفع بالذهب

(و) تقديم منحة قدرها (١٤٠،٠٠٠) استرليني في العام ١٩٣٩

(ز) دفع ايجار سنوي قدره ٢٠،٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٩ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية ضمن الاراضي الداخلة حديثا في المنطقة المشمولة بالامتياز·

(ح) منحة قدرها ١٠٠،٠٠٠ استرليني عند اكتشاف النفط بكميات تجارية في المناطق الجديدة·

(ط) يحق لحكومة المملكة السعودية الحصول على ٢،٣ مليون غالون من البنزين و١٠٠،٠٠٠ غالون من الكاز كل سنة بعد اكتشاف النفط·

(ي) تعود ملكية الموجودات غير الثابتة الى حكومة المملكة السعودية عند انتهاء مدة الامتياز· اما الموجودات المتحركة فيحق للحكومة السعودية شراؤها بقيمة الاستبدال مطروحاً منها قيمة الاستهلاك·

اتفاقية جديدة

هذه هي اهم شروط اتفاقية عام ١٩٣٣· وقد ظلت سارية المفعول حتى ٣٠ ايلول من عام ١٩٥٠ حيث تم عقد اتفاق جديد بين الحكومة السعودية وشركة "ارامكو"· ومع ان الاتفاقية الجديدة تدخل ضمن نطاق اتفاق الامتيازات التقليدية فانها حققت قفزة الى الامام فيما يتعلق بحصة المملكة من العائدات· ويمكن القول ان أهم ما حققته هذه الاتفاقية هو تعديل في ميزان المساومة بين الطرفين لصالح البلد المنتج للنفط بعد ان كانت الاتفاقات السابقة تعكس قوة شركات الانتاج الأجنبية عن طريق حصولها على حصة الأسد من الثروة النفطية·

وقد جاءت الاتفاقية الجديدة استباقاً لما كان يجري في إيران بين الحكومة الايرانية والشركات الأجنبية المنتجة للنفط من خلافات عميقة ادت في نهاية الأمر إلى تأميم مصادر النفط على يد الدكتور محمد مصدّق رئيس الحكومة الايرانية آنذاك· ومع ان تجربة التأميم لم يكتب لها النجاح وأدت الى سقوط حكومة مصدّق، الا انها فتحت آفاقاً جديدة وفرصة نادرة لجميع البلدان العربية المنتجة للنفط لتحسين شروط التعامل مع الشركات الأجنبية

العاملة في اراضيها. وقبل تجربة التأميم في ايران كانت حكومة فنزويلا قد أصدرت تشريعاً في عام ١٩٤٨ مهد الطريق الى اقتسام الارباح مع الشركات الاجنبية بنسبة ٥٠٪ لكل فريق، كما ان الحكومة السعودية عقدت اتفاقاً في عام ١٩٤٩ مع شركة "باسفيك كوربوريشن" التي اصبحت تعرف فيما بعد باسم "مجموعة جيتي" حصلت بموجبه على شروط في حدود ٥٠٪ لكل من الطرفين.

ان التغيير الذي احدثته اتفاقية ٣٠ ايلول من عام ١٩٥٠ فيما يتعلق بعائدات الحكومة السعودية يمكن تلخيصها بما يلي:

أ ـ ريع قدره ٢١ سنتاً امريكياً للبرميل الواحد من النفط المنتج من الحقول الداخلية وريع قدره ٢٦ سنتاً للبرميل من الحقول البحرية.

ب ـ الحصول على ٢،٦٥ مليون غالون من البنزين و٢٠٠،٠٠٠ غالون من الكاز و٧٥٠٠ طن من الاسفلت سنوياً دون مقابل.

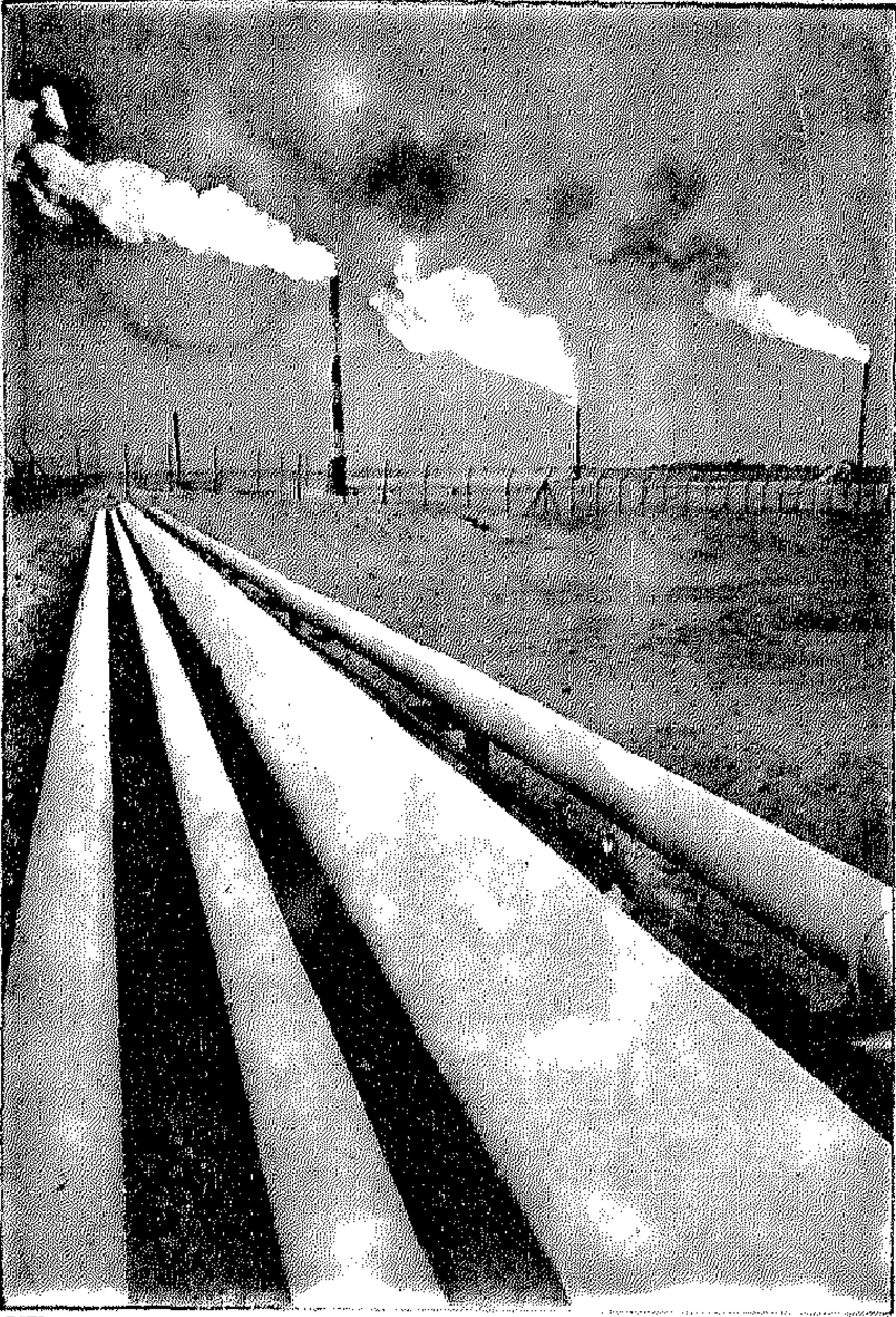
جـ ـ دفعة اضافية بموجب قانون ضريبة الدخل السعودي والذي ينص على ان تكون جميع المدفوعات تساوي ٥٠٪ من اجمالي دخل "ارامكو" بعد حسم تكاليف الانتاج، واستهلاك المعدات والموجودات الثابتة واية ضرائب دخل أخرى تدفعها "ارامكو" للحكومات الأجنبية خصوصا حكومة الولايات المتحدة الامريكية.

اتفاقيات المشاركة

ظلت اتفاقيات الامتيازات التقليدية سائدة فترة لا تقل عن عشرين عاماً، وعندما كانت هذه الاتفاقيات سارية المفعول كان سوق النفط العالمي يعكس طبيعة العرض والطلب على النفط كأحد مصادر الطاقة. وقد كان المستهلك في البلدان الصناعية هو سيد الموقف مما اعطى شركات النفط الأجنبية العاملة قوة تفاوضية مكنتها من تجميد الاتفاقات البترولية مدة طويلة من الزمن.

ومع مطلع السبعينات بدأت الصورة في اسواق الطاقة العالمية تتغير. فقد بدأ الطلب على النفط يتزايد بصورة كبيرة نتيجة لنمو اقتصاديات البلدان الصناعية والبلدان النامية معاً مما أدى الى ارتفاع في "سعر النفط المعلن Posted Price". فمثلا ارتفع سعر البرميل الواحد في المملكة السعودية من ١،٨٠ دولاراً في عام ١٩٧٠ الى ٣ دولارات في عام ١٩٧٣.

إزاء هذه التطورات بادرت منظمة "اوبيك" التي تضم بلدان العالم المصدرة للنفط الى اتخاذ قرار في مؤتمرها الذي عقد في فيينا في ٨ ـ ٩ تموز ١٩٦٩ الى دراسة موضوع "المشاركة" في

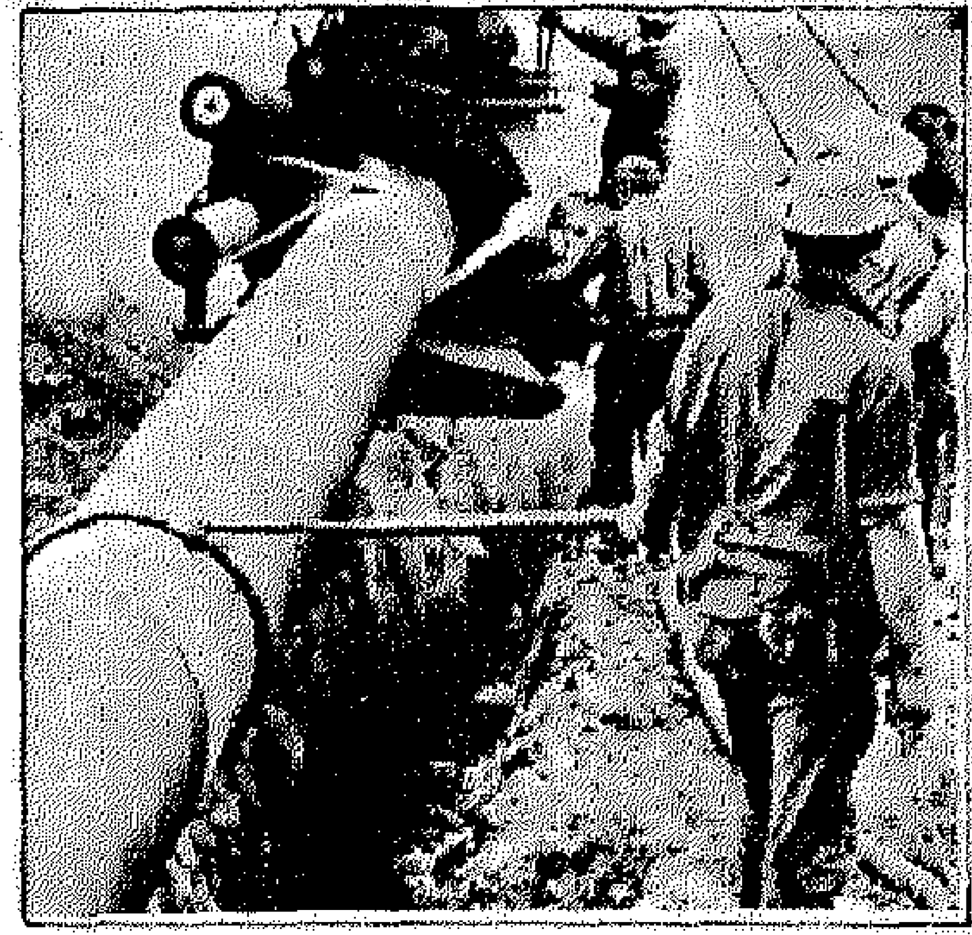


الامتيازات النفطية القائمة. وبعد دراسة استمرت عامين صدر في ١٣ تموز من عام ١٩٧١ قرار عن منظمة "اوبيك"

يدعو الدول الاعضاء الى اتخاذ القرارات العاجلة لتحقيق مبدأ المشاركة والدخول في مفاوضات مع شركات النفط، اما فردياً او جماعياً، لتحقيق هذا الهدف. وفي ٥ تشرين الاول من عام ١٩٧٢ اعلن أحمد زكي اليماني، وزير النفط السعودي، الوصول الى اتفاق مع شركات النفط العاملة حول المبادىء العامة للمشاركة.

وفي ٢٠ كانون الاول من عام ١٩٧٢ وقعت المملكة العربية السعودية وابو ظبي على الاتفاقية المذكورة على ان تكون نافذة المفعول ابتداء من ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ثم وقعت قطر الاتفاقية في ٤ كانون الثاني ١٩٧٣.

أما العراق فانه لم يكن متحمساً للتوقيع على الاتفاقية أصلا. كذلك ان وزير المالية والنفط الكويتي قد وقّع على الاتفاقية الا ان البرلمان لم يقبل الاتفاقية بالشكل الذي وقعت عليه السعودية وقطر وابو ظبي وطلب تعديل نسبة المشاركة وبعض الشروط الأخرى المتعلقة بأسس التعويض على الشركات.



أما اهم بنود "اتفاقية المشاركة" فتتلخص بالآتي:

اولا: تحصل كل دولة على حصة قدرها ٢٥٪ من "القيمة الدفترية" Book value لوسائل انتاج النفط في اراضيها ابتداء من العام ١٩٧٣. وتبقى هذه النسبة حتى العام ١٩٧٧. ثم ترتفع إلى ٣٠٪ في عام ١٩٧٨ ٣٥٪ في عام ١٩٧٩، ٤٠٪ في عام ١٩٨٠، ٤٥٪عام ١٩٨١ وأخيراً ٥١٪ في عام ١٩٨٢.

ثانياً: يحق للدول الموقعة على الاتفاقية أن لا تشتري نسبة الـ ٥١٪، كما يحق لها ان تتأخر عن الشراء لمدة اطول من العام ١٩٨٢.

ثالثاً: تشترك الدول المصدرة للنفط مع الشركات العاملة في اراضيها في نفقات التنقيب عن النفط وكذلك في نفقات التطوير لزيادة الانتاج او الحفاظ على المستوى الحالي لزيادة استثمارات أخرى.

رابعاً: تقوم الشركات بشراء جزء يحدد سلفاً من حصة الدولة من النفط. وتبلغ هذه الحصة ٧٥٪ في السنة الاولى ثم ٥٠٪ في السنة الثانية و٢٥٪ في السنة الثالثة.

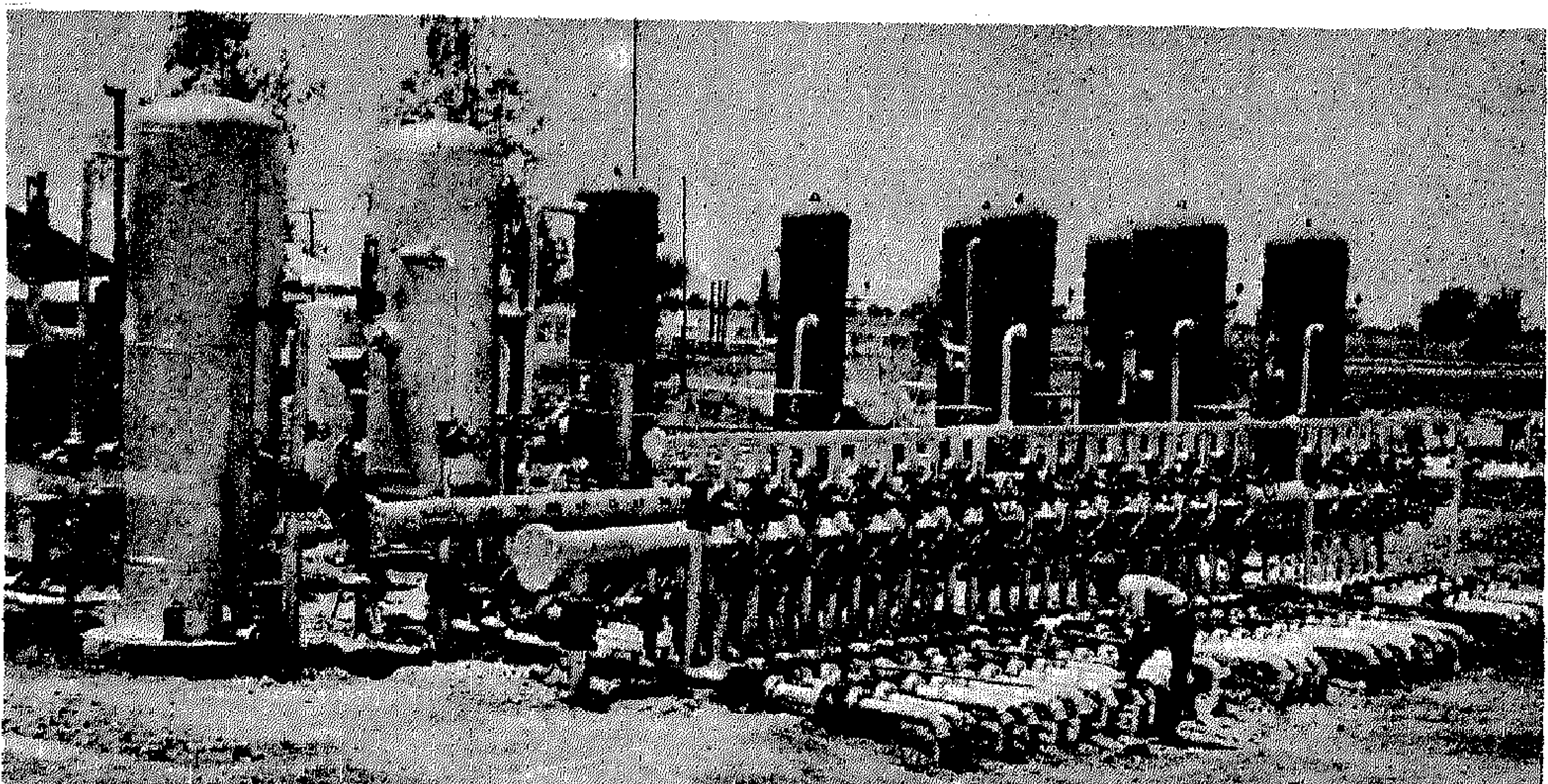
خامساً: اذا وجدت الدولة نفسها غير قادرة على تسويق حصتها فانها تستطيع بيع جزء من انتاجها الى الشركات العاملة حسب جدول محدد في هذا الصدد.

سادساً: تحدد معادلة معينة لتحديد سعر مبيع النفط الى الشركات سواء تلك التي تلتزم الشركة بشرائها او التي تلتزم الدولة ببيعها.

سابعاً: تقوم الدولة بتعويض الشركة العاملة باراضيها عن الحصة التي قامت بشرائها على اساس القيمة الدفترية لموجودات الشركة على أن يطبق "مضاعف تضخمي" Multiplier-Inflationary لكي يؤخذ بعين الاعتبار ارتفاع مستوى الأسعار بالنسبة لمواد البناء في منطقة الشرق الأوسط.

هذه هي اهم بنود "اتفاقية المشاركة" بايجاز شديد نظرا لأن هنالك تفاصيل فنية لا تهم القارئ العربي وإن كانت تهم العاملين في ميدان النفط.

لقد مضى اكثر من خمسة أعوام على توقيع أتفاقية المشاركة مع بعض الدول العربية المصدرة للنفط. ولا شك ان التطورات النفطية التي حدثت بعد تاريخ بدء العمل بالأتفاقية المشار اليها قد جعلت هذه الاتفاقية عديمة الجدوى بدليل أن السعودية تفاوض الآن على إمتلاك كامل شركة "آرامكو" بدلا من الاكتفاء بتملك ٥١٪ من الشركة المذكورة في عام ١٩٨٢ كما تنص على ذلك الاتفاقية. لذلك يمكن القول بأن "اتفاقية المشاركة" قد اصبحت جزءاً من التاريخ الاقتصادي العربي تماماً كاتفاقيات "الامتيازات التقليدية" التي نظمت العلاقة بين الدول المنتجة للنفط والشركات الاجنبية التي كانت تملك امتيازات بترولية ردحاً طويلا من الزمن. ■



مارو... وعلميّة التاريخ

د. جمال بدران



■من شائع القول ما هو معروف منذ اواخر القرن السابع عشر باسم فلسفة التاريخ، اذ صار هذا المصطلح – لكثرة ما تقاذفته مباحث الفلسفة والتاريخ والاجتماع – علما على هلامية الموضوع ··يفتقد التحديد، ويحتاج الى التنقيب، ويتطلب التقليب والنقاش··ومن ثم يحتم على الباحث المعاصر تنظيم خطوات بحثه فيه، أو بالاصح يلزمه باستخدام منهج لا ترقى اليه شبهات التقول والتأويل·

وهنري ايرني مارو من هؤلاء الباحثين المعاصرين في فرنسا الذين اخذوا على عاتقهم تطهير المعرفة التارخية من شوائب عديدة··مستهدفا في ذلك غرض الوصول الى وسيلة علمية، تعين عالم التاريخ في الحاضر والمستقبل، وتؤدي به الى الحقيقة التاريخيةالتي لا مطعن فيها· وهو في محاولته الجادة··يعدد الشوائب التي عابت البحوث الماضية، ويتتبع مواضع الصواب التي تتضمنها، فيجمعها ليقارن بينها في موضوعية علمية، ويفترض من بينها احتمالات قد يتململ العقل في قبولها، فلا يلبث ان يساندها بشواهد من التاريخ ثابتة، حتى اذا ما كاد العقل أن يسلم بها، بادر الى تأمين العقل بنظرية البحث العلمي في التاريخ·

وأستاذ السوربون ثالث ثلاثةعلى قيد الحياة أخذوا بيد التاريخ ليخلصوه من ربقة التفلسف في طريقه الطويل بين الماضي والحاضر، ويسلموه عصا العلم يتوكأ عليهاالى المستقبل· لكنه هو وزميليه توينبي وبرتراند رسل لا يقفون من الفلسفة موقف المعاداة في سيرها مع التاريخ، وأنما نراه يرجو ان تفسح الفلسفة طريق الحضارة – ولو الى حين – حتى تكتمل للتاريخ مقومات العلم، ويمكنه ان يرتقي الى مستوىاليقين·· ولا ضير بعدئذ من تطوير علم التاريخ الكامل الى مرحلة من التفلسف شأنها شأن مرحلة العلوم المتقدمة كافة··

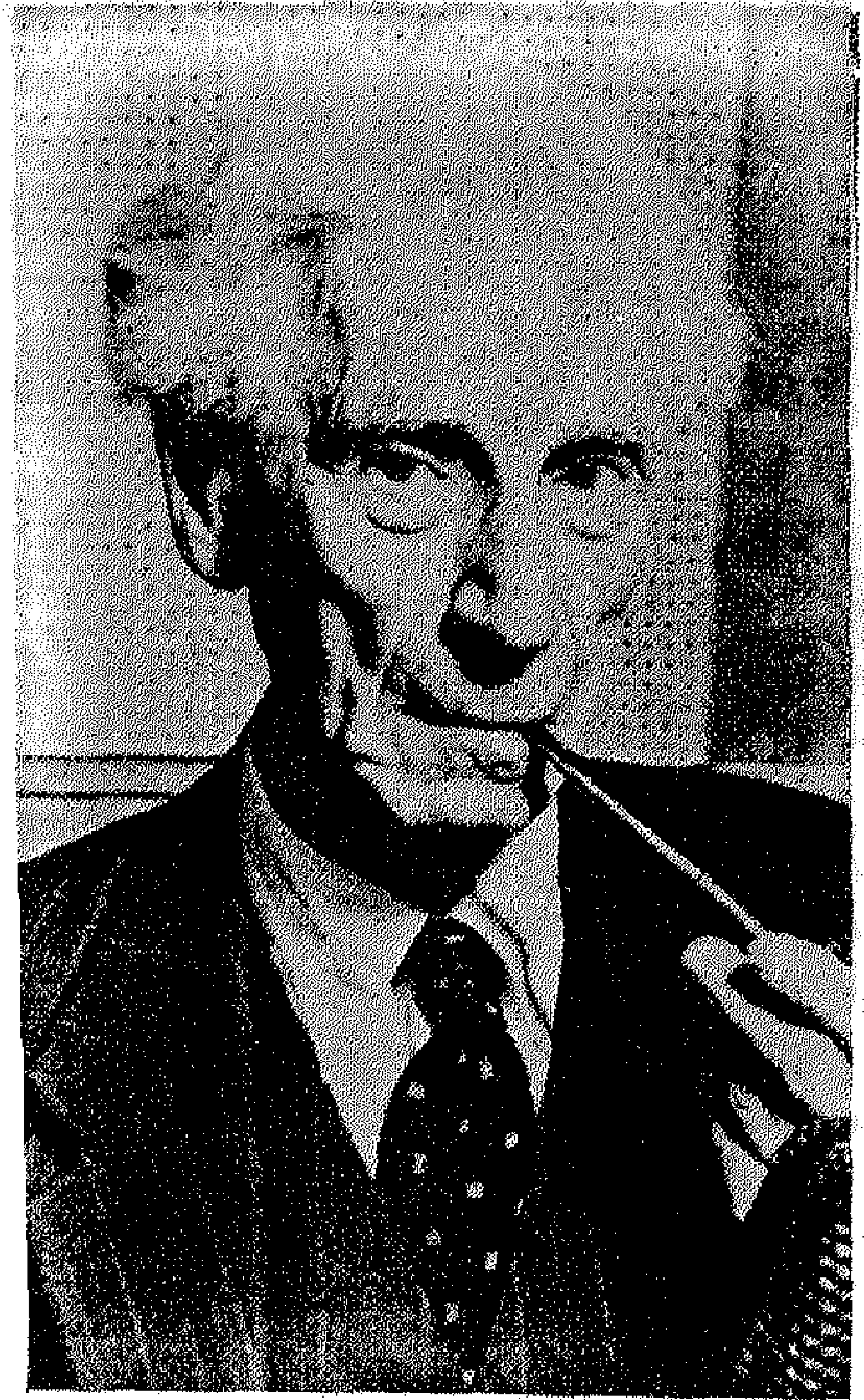
لكن المعادلة الصعبة تكمن في طبيعة المجتمعات الانسانية وفي كيفية اخضاعها لدراسة في التاريخ علمية·· كيف نبلغ بالتاريخ درجة السيطرة العلمية التي تجعل من مجتمع انساني حقلا لتجاربه؟!

وهنا يجدر بنا ان نستحضر تجارب من سبقونا في هذا المضمار، ونستهديها رؤاها حتى نحقق رؤية على المستوى المحسوس··

ان مائدة في السماء نتمثلها··اذ يجلس اليها الخالدون ممن لاكوا سيرة الانسان وفلسفوا تطوره··لأجدر بأن يكون طعام هذه المائدة عظاما آدمية تعرف من قشورها اللحمية، حتى اذا ما استقى واحد منهم طعمها··ملأ فمه هواء الحفريات المتربة··فيزفره كلمات تملأ العيون والاسماع·

استقراء فلاسفة التاريخ

فها هو أفلاطون ممثل الفكر الهليني··يتردد صدى كلماته عن حياة الناس··انها كالبحر الهائج الذي تنتابه حركتا المد والجزر، تاريخهم خاضع للفعل ولرد الفعل، تاريخ الناس يدور دورات لا بد ان تنتهي كل واحدة منها بالانحلال والكوارث··انها دورات محدودة ومحددة، محدودة لانها لا تغير فيها ولا تعديل··فهي تكرر نفسها، ومحددة لان كل واحدة منها لا يزيد عن عشرة آلاف سنة شمسية، ومن ثم فأن تطور البشرية يزداد بين دورتين متناوبتين، يفصل بين كل نوبة منهما طوفان يمحو آثار الاولى من بشر، ويسوي الارض ممهدا لما سوف يدب فوقها من جديد البشر··وهكذا دواليك· بل ان كل دورة منهما··تمر الانسانية خلالها بخمس حالات··الفطرة أو الهمجية، الزراعة الجبلية، حياة المدن الجبلية، حياة المدن السهلية، ثم حياة المدن الساحلية التي يطغى بعدها الطوفان!!



■ راسل

وها هو بوليبوس الميجالويولي لسان حال الفكر الروماني‥تنطلق كلماته مؤيدة شطحة أفلاطون، فتبين لنا كيف ان الدولة في أصلها تعتمد على القوة، وكيف أنها في تطورها تتخذ مسار الانجذاب الشعوري الى خلق فاضل يشيع بين أهلها، ويعتمد في شيوعه على عادات وعرف وتقاليد مرعية. فهو في حديثه عن سر انتصار روما وتكوينها الامبراطورية الرومانية، مطيحة في ذلك بالامبراطوريات التي سبقتها كافة‥يؤكد ان القوة الكامنة في صمودها هي شمولها كل أنحاء المعمورة، بمعنى أنها لم تقع في أخطاء مؤسسي امبرطوريات الفرس والاسبرطيين والمقدونيين‥

التاريخ وطبيعة الاجتماع البشري

وها هو ابن خلدون مفكر العرب في التاريخ وفلسفة حدوثه، يصيح مناديا بأن التاريخ ملىء بالاغلاط، كتابة التاريخ يجب أن تصوب، التاريخ يجب أن يمنهج، كما أن المنطق مدخل لدراسة الفلسفة فلا بد أن يكون للتاريخ مدخل‥يضيء الطريق للباحثين في أقتفاء آثار الشعوب منذ الأزل حتى الابد‥ان اقتفاء خطاهم يتطلب الماما بواقعات العمران‥"فللعمران طبائع في أحواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار‥" ومن ثم فان تاريخ البشرية لا يسير اعتباطا، بل يخضع لاصول ونواميس تشتق من طبيعة الاجتماع البشري.

كلمات انطلقت فأطاحت بحاجز يحجب طريقا جديدا‥لكن أحجار هذا الحاجز استطاعت أن تشتت هذه الانطلاقات‥فانحرفت عن ولوج هذا الطريق، بل ارتدت لتطن‥فنسمع لها صدى ما سبقها من كلمات‥مظاهر الحياة كلها لدى الناس تتدرج من البساطة الى التعقيد‥تفكير الناس، عقيدتهم، نظامهم العمراني والسياسي، حتى شرفهم وحسبهم‥كل هذا يمر بمراحل أربع متعاقبة‥البداوة، ثم الملك، ثم الحضارة، وبعدئذ الاضمحلال والخراب والفناء‥لكن ـ والحق يقال ـ قانون المراحل الاربع هذا لا يشبه تماما الدورة الافلاطونية، ولا يمثل نظرية للتقدم المطلق المستمر لدى البشرية على مسار التاريخ‥بل هو تقدم محدود‥يحده في النهاية الهرم والفساد، ثم ينقله الى حقبة ثانية وثالثة ورابعة‥الخ فقد يرمز بعضها للتقدم، ويرمز الآخر للتأخر والانحلال‥وهكذا.

ها هو المفكر الايطالي فيكو يسير على الدرب في فلسفة التاريخ‥فيجد ان مظاهر الحضارة لا تخرج عن الدين والاسرة ودفن الموتى، ويجد أن تاريخ الانسانية وحدة متماسكة، تتطور شعوبها ومظاهر حضاراتها بنوع من الحتمية، ولكن بسرعات متفاوتة‥فتنتقل من الهمجية الى حياة اجتماعية منظمة من خلال مراحل ثلاث: ١ ـ دينية يسودها الخوف من الآلهة، فتصطبغ أفكار الناس بالخرافات والاساطير، وتنتابها نظم من الحكم استبدادية يحتكرها رجال الدين، ومن ثم ينسبون كل تصرفاتهم الى الآلهة وحقوقها المقدسة. ٢ ـ بطولية يتأله فيها بعض البشر ويسيطرون على ما عداهم، فتكسو هذه النظرة كل القيم السائدة مثل الشرف والحق واللغة وكيفية الحكم، ومن ثم يظهر نظام الطبقات وتسود نزعات القوة والمخاطرة‥وثالثة المراحل هي مرحلة الانسانية، حيث تحترم فيها الطبيعة البشرية، وتراعى فيها الواجبات والحقوق، وتسود فيها نظم من الحكم تدعو الى المساواة والحرية في النقد، وتعم لغة شعبية سهلة الكتابة والتداول.

لكن المهم في هذه المراحل الا اتصال بينها، بل مجرد تعاقب بين دورات مستقلة تنتهي ثالثتها الى الترف والميل الى جمع المال وضعف الاديان وسيادة روح الانانية، ومن ثم ينشأ البغض بين الفقراء والاغنياء، وتخرب ذمم الحكام فتفسد الحكومات، ويتدهور موقفها الى الحد الذي لا يصلح معه اي علاج‥فينتهي الامر الى احتلال عدو قوي لمثل تلك المجتمعات المفككة.

لكن فيكو يشرع في تدعيم نظريته الفلسفية بتطبيقها على الواقع التاريخي‥فيتخذ من عهد هوميروس مثالا للمرحلة الدينية، ومن مدينة



■ هيجل

أسبرطة عهد البطولة، ومن أثينا عهد الانسانية، ثم يطبقها على الرومان فيجعل من خضوعهم لرؤساء الاسر مرحلة دينية، ومن صراع الخاصة منهم "الباقريشيانز" مع عامتهم "البليبانز" حول حقوق العامة مرحلة بطولية، ومن عهد الجمهورية الذي أقرت فيه حقوق العامة ومساواتها بالخاصة مرحلة انسانية. كذلك يطبقه على العصور الوسطى في اوروبا، ثم على الامم المعاصرة له..

أما المفكر الثائر فولتير.. فقد غلى الدم في عروقه من سماعه لهذه الآراء، وانبرى معترضا على هذه المراحل أو الدورات، لكن أعتراضه لم يكن على مبدأ وجودها أو الاعتراف بها أصلا، وانما كان منصبا على عددها.. فلم يعترف الا بعهدين فقط. عهد الفطرة الخالصة وعهد المدنية. لكنهما حالتان مثاليتان كان على الانسانية أن تمر بهما، لان عهد الفطرة الخالصة لديه فطرة فكرية يسود فيها حكم العقل وفضائل الاخلاق وتعاليم الايمان الغريزي، أي عهد توازن اجتماعي لا عهد صراع أو حروب. أما عهد المدنية فهو حالة - في رأيه - لم نصل اليها بعد.. لانها تنتج عن تعاقد بين الشعوب والحكام على ان يرعى الحكام حياة الشعوب واحترام القوانين وسيادة الاديان العقلية، ومن حق الشعوب أن تثور عليهم ان اخلوا بالتعاقدات المبرمة.

ولهذا تفتق ذهن فولتير عن اكتشاف حالتين منحرفتين في الواقع، وتمهدان الى عهد المدنية المنتظر، هما.. حالة الهمجية لدى الامم المتأخرة، وحالة المدنية الناقصة لدى الامم المتقدمة في عصره. وظن فولتير أنه قضى على الخلاف بين فلاسفة التاريخ بهذا القانون الحاسم.. لكنه مضى وظل الخلاف على حدته.

كذلك الامر مع جان جاك روسو.. انه حزين دائما على الماضي، يتباكى على عهد الفطرة، يجعلها منبعا لمجرى تاريخ البشر.. ولما كان المنبع دائما على مرتفع من المرتفعات.. فان روسو قد استمد رأيه من تلك الصورة التضاريسية.. فقال بأن الانسان أخذ في الانحدار تماما كانحدار الماء من المورد المرتفع الى السهل المنخفض.. حتى يتبدد في النهاية بين الوديان وبين المصب لابد ان يخترق عهودا أربعة.. أولها هذا العهد الفطري الذي عاش فيه الانسان لاشباع حاجاته الضرورية وابتعد عن كل صنعة بشرية، وثانيها عهد الاستقرار والحياة الجماعية وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة فبدأت في ذلك العهد ظاهرة التملك والصراع، وثالثها عهد استخدام المعادن والزراعة وامتلاك الارض.. ومن ثم ظهر الفرد القوي الذي يضع يده على ارض فيؤمن على ادعائه القوم البسطاء، فنشأت الجرائم والحروب، ورابع العهود عهد محاولة التخفيف من حدة ما سبقه من آثار الملكية الفردية.. وذلك بتنظيم عقد اجتماعي تنظيما عقليا خالصا.. تنشأ فيه الدولة والقوانين والحكومات.. ومع ذلك فهي محاولة فاشلة لانها تقضي على الحرية الطبيعية، وتزيد من ضعف الفقير، وتضاعف من أطماع الغني.. فتضيع معالم المساواة.. ولا علاج غير العودة الى العهد الطبيعي..

ومعنى هذا ان روسو لم يكتف بأن تدور الانسانية في بدعة الحلقات او الدورات، بل افترض عهدا لا سند له من الواقع.. ينظم به الصلة بين الحاكم والمحكومين.. وذلك مما يزيد ظلمات الطريق الذي نسير فيه الى فلسفة التاريخ.

فكرة التاريخ الكلي

ويكاد مارو أن يمل آراء الدورات هذه، فيلقى بها جانبا، ويبحث عن مفكر في الماضي مثلها مثله.. فيصطدم بفكرة عن التاريخ الكلي من وجهة نظر عالمية.. للفيلسوف الالماني عمانويل كانط.. فالتاريخ عنده يصبح ذا معنى، لو نظر اليه كمسيرة مستمرة بلا هدف للتقدم أو للتأخر، فلا يهمه غير ربط أحداث هذه المسيرة التاريخية بالنوع الانساني عامة لا بفرد معين. ولهذا.. ففي الامكان أن يتبع التاريخ خطة طويلة المدى



■ ابن خلدون

تستهدف النوع الانساني ككل ولو على حساب منفعة الفرد وخيره.. وشأن التاريخ في هذا شأن العناية الالهية او الطبيعة تماما. ومن ثم فعلينا ان نتخيل ان للطبيعة او العناية الالهية وسيلة ما نتأكد بها من مواصلة هذه المسيرة التاريخية في فترة زمنية طويلة يمكن ادراكها من خلال النوع الانساني.

يقصد كانط بهذه الوسيلة التي علينا تخيلها..ما لدى الانسان من ميول اجتماعية ولا اجتماعية، وبالتالي فان تزداد الانسان بينها هو الذي يشكل او يوجه مجرى التاريخ.

ومن هذا المنطق يمر الناس من حالة الهمجية الى الحضارة بمرحلتين..أولاهما انتقال من حالة الطبيعة الى حالة مجتمع متحضر يجمع بين أعلى الحريات الممكنة وبين أقصى تصميم وضمان لتحديد هذه الحرية بطريقة تسمح بتعايش كل فرد مع الاخرين، وثانيتهما اقامة اتحاد فيدرالي لهذه الامم المتحضرة يتمتع بسلطات على جميع اعضائه.

وبهذا لا يقنع كانط بالتاريخ في الماضي، وانما يقفز به متنبئا له بمستقبل..على ضوء ما ارتآه واجبا أن يكون..ومن ثم يعرض مارو عن كلماته لانه يعيش حاضرا يختلف تماما عما تنبأ به الفيلسوف.

كذلك الامر مع ترجو في قوله عن التاريخ بأنه دستور لتجارب الامم..حلوها ومرها، وأن الجنس البشري ما هو الا مجتمع واحد، وأنه دائم السير الى الرقى باحدى وسيلتين..عمل وانتاج في هدوء، أو وثبة الى مستوى أرقى في ثورة باعتبارها من طبائع الاشياء..ومن ثم يتحقق عن ذلك ارتقاء عقلي وآخر اجتماعي وعدالة في التشريع. الا انه يلتزم أيضا بفكرة المراحل التدرجية، لكنه يحصرها في ثلاث..تغلب على أولاها السمة الدينية، وعلى ثانيتها المسحة الفلسفية، وعلى ثالثتها روح التجربة..ومن ثم يقع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون.

العقل يحكم العالم

فهل نهج مفكر عقلي مثل هيجل منهج العلم في فلسفته للتاريخ؟.. ها هو يقول: ... "الفكرة الوحيدة المصاحبة للفلسفة عند تأمل التاريخ هي الفكرة البسيطة للعقل، اي ان العقل يحكم العالم.. ومن ثم فان تاريخ العالم هو عملية عقلية".

وذلك معناه انه يمكننا حبك رواية ذات اهمية لوقائع تتكون منها، وانه يمكننا كذلك ذكر اسس ودوافع هذه الوقائع..حتى نخرج بصورة عقلية لتاريخ هذا العالم. فالمؤرخ الفلسفي - على اساس هذا المفهوم - ينظر الى اكتشاف اسرار معنى ومغزى التاريخ بأكمله، وأظهار كيف يعمل العقل في مجال التاريخ، ومن اجل ذلك، عليه ان يعتمد على نتائج التاريخ التجريبي كمادة اولى، وعليه أن يوضح التاريخ "بالسعي وراء رفع المضمون التجريبي الى مرتبة الحقيقة الضرورية"، ذلك التاريخ الذي يتركز مفتاحه في فكرة الحرية وتطورها في الواقع..فيحاول هيجل ان يستمد من هذا الواقع سندا لفكره..فيجد ان حضارات الصين وبابل ومصر كان الطغيان والعبودية فيها هما القانون...اما الحرية فكانت مقتصرة على فرد واحد هو الملك، ثم يجد ان العالم اليوناني الروماني قد احتفظ بتنظيمات العبودية..لكنه مد نطاق الحرية كحق للمواطنين..الا انه كان مجرد ادعاء لانها لم تكن حقا لجميع الافراد، كذلك يجد ان الشعوب الالمانية لاوروبا الحديثة قد اتخذت صراحة فكرة الحرية..ومع ذلك لم تتحقق كاملة في نظمهم. ومعنى ذلك انها فكرة آخذة في التقدم. وهذا هو المسار العقلي للتاريخ الا وهو التقدم، ولذلك فانه يكمل نظريته عن القوى المحركة للتغير التاريخي بقوله..في الامكان تنفيذ الخطة الكبرى للعقل بمعاونة العواطف الانسانية فقط.



■ ارنولد توينبي

حتمية النتائج الانسانية

لذا فاننا نجد ان مارو يناقش كلا من كولنجوود وتوينبي وبرتراند رسل مناقشة هادئة٠٠حول ضرورة النظرةالعلمية التاريخية التي يمكن بمقتضاهـا ان نقول بحتمية نتائج انسانية على ضوئها في ظل شروط وظروف محددة٠٠

فهو يتناول شعار كولنجوود لفكرته عن التاريخ ، المعروف بعبارة "كل التاريخ تاريخ فكر" ، ويسلم معه بأن المؤرخ لا يشاهد الوقائع التاريخية ، ولكنه يشاهد وثائقها وآثارها ٠٠ومن ثم فانه في محاولتـه فهم هذه الاحداث والوقائع بنفاذه الى اعماقها والى الخيط الذي يسلسل ترابطها وتعاقبها٠٠لا يعتمد على فكره وحده او افكار من سبقوه من المؤرخين والمعاصرين له، وانما يستعين بمنجزات العلوم الاخرى مثل الزراعة والكيمياء والعمارة وطبيعة الارض ومكونات المناخ ، بل يستعين بحفريات تفصح عن معتقدات الانسان وتقاليده في فهم التطور التاريخي لها ٠٠ومن ذلك يستطيع أن يتحقق من بعض الوقائع التي تستعصى على الفهم٠٠مثل الحجم السكاني للمجتمعات التاريخية وتطورها من الاتساع الى الضيق او العكس ، وما اثر

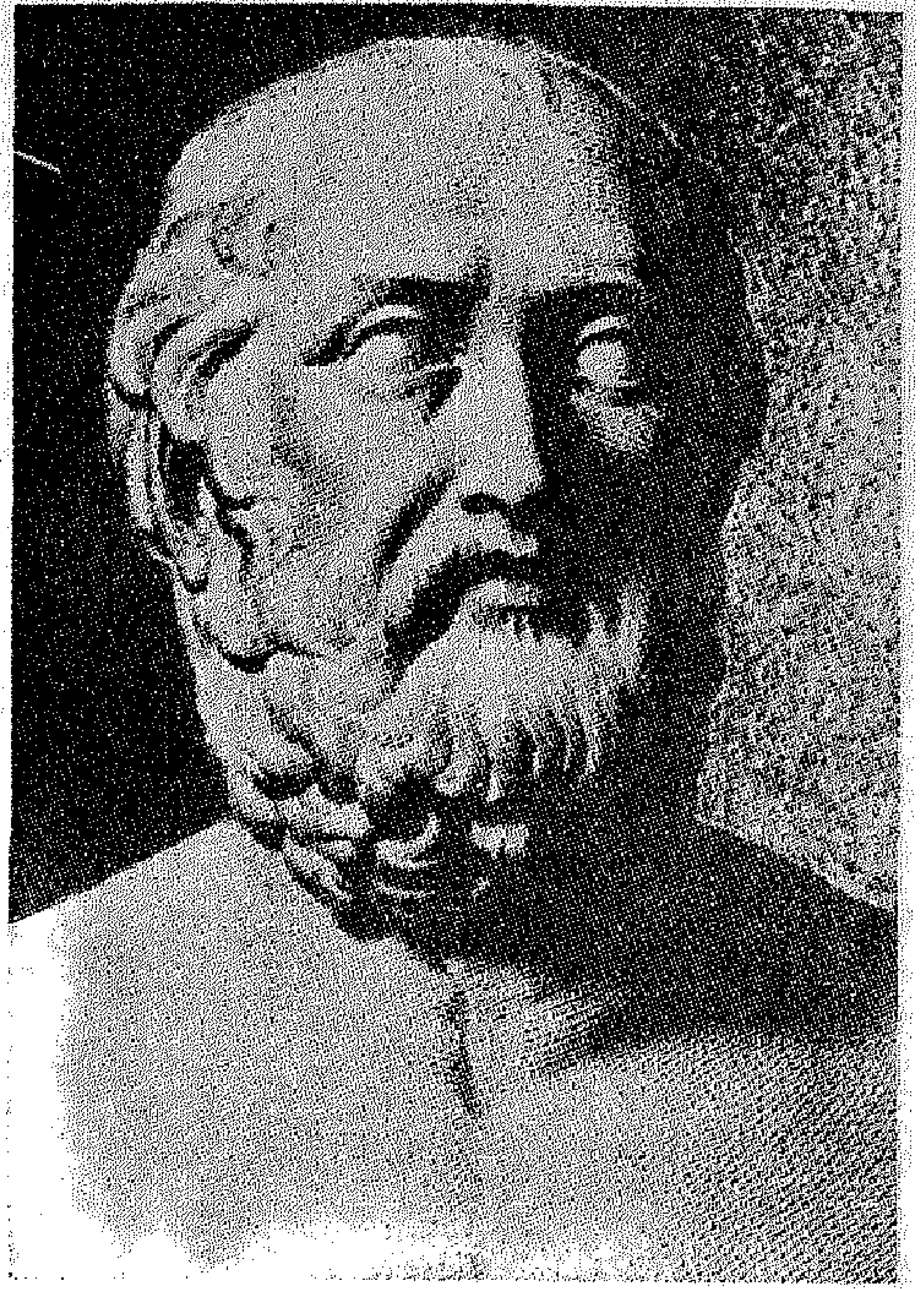


■

المؤرخ في سبل ذلك الا في القصور والعجز عن استحضار ادلة مندثـرة، تمـلأ الكتابـة التاريخيـة بالثغرات ، لكن علاج هذه العقبة لا يتمثل في ملكة التخيل التي يشترطها كولنجوود في عالم التاريخ ، وانما العلاج يتركز في توسيع لافاق معلوماته العلمية في البحوث الاكثر اكتمالا وتقدما ٠٠والا ظل الامر وقفـا علـى الشطحـات الخياليـة وذاتيـات المؤرخيـن ٠٠وهـذا هـو عـيـن مـا وقـع فـيـه كولنجوود٠٠اذ لم يستطع الاعتماد على الخيال القبلي الـذي نـادى بـه ، فانزلـق الـى تجربتـه الشخصية المحدودة والى عموميات التاريخ٠

ولهذا فان مارو لا يريد ان يغمط كولنجوود حقه٠٠فيقول ان نظريته ممكنة بالنسبة للسير وتاريخ السياسـات والحـروب ، لانهـا قـد تكـون مقصـودة ومدبـرة فيبـرز فيهـا عنصـر التفكيـر المرسوم٠٠اما ما عدا ذلك فخاضع حتما لتلقائية المجتمعات وتعدد مجالات نشاطاتها٠

وبهذا المستوى الفكري يناقش مارو فلسفة توينبي التاريخية٠٠ ويبـدأ مـن مسلمتـه القائلـة "الاسبقية والتبعية الزمنيتان لهما دلالة ذاتية تافهة ، او بالاصح لا دلالة لهما الا في محيط حضارة واحدة محددة، اما عند مقارنة حضارات مختلفة ببعضها٠٠فالعنصر الزمني لا علاقة له بموضوعاتها في غالب الاحيان٠٠وعادة ما يكون مضللا ، اما في المعنى الفلسفي٠٠فستظل الحضارات كمـا كانـت من قبل معاصرة لبعضها البعض٠٠لانها جميعا من نبع الاسرة الانسانية بأجيالها المتعاقبة ، وما الفروق في الاعمار بينها غير فروق تتناهى في الضآلة اذا ما قورنت بالعهد الطويل الذي عاشته هذه الاسرة الانسانية الخالدة"٠



■افلاطون

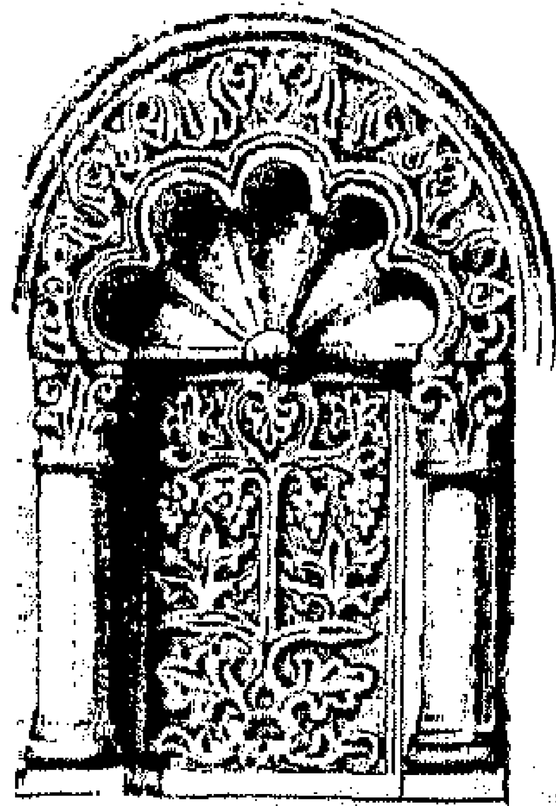
معنى هذا ان الحضارة عند توينبي هي الوحدة الوحيدة الصالحة للدراسة التاريخية، وبهذا شرع في مؤلفه "دراسة التاريخ" ذي العشرة أجزاء، في تحديد معالم احدى وعشرين حضارة في الماضي والحاضر، وعزل من ملامحها ما اعتقد انه متكرر في تاريخها..لكنه من الملاحظ ان توينبي في أجزاء مؤلفه الاولى قد قام بدور عالم الاجتماع الذي ينهج المنهج التجريبي في بحثه عن عوامل نشأة وتدهور الحضارات، لكنه في الاجزاء الاخيرة منه يخضعها للاجابة عن سؤال واحد تردد من قبل بين فلاسفة التاريخ..هو ما معنى التاريخ ان كان له معنى؟..لذلك فان اجاباته طوال هذه الاجزاء تتركز حول اكتشافه لهذا المعنى الذي تمثل في الغاية والمبرر الكامنين في العديد من الكوارث لا تستهدف غير اعداد الناس وتهيئتهم لتقبل اوضاع ونظم دينية علوية قد تكون في عالم الغيب. ومن ثم فإن هذه الحضارات تمر بأطوار أربعة هي التحدي والاستجابة ثم الانسحاب والعودة، وهذا ما مرت به حضارات بائدة مثل الحضارات اليونانية والرومانية وحضارات امريكا الوسطى والجنوبية، وما سوف ينتظر الحضارة الغربية أيضا..ومن ذلك نلمس أن توينبي بنى من قانونه عن التفسير التاريخي للحضارات قوة التنبؤ بالمستقبل..

وهنا الخطأ المنهجي في وجهة نظر توينبي..فهو بدأ بالنظرية كعالم اجتماع، وبحث عن اسانيد مؤيدة لها من شواهد حضارية في التاريخ..فجاء استشهاده ذاتيا..تتضح فيه شخصيته التي تخضع بعض الوقائع لها. فيتناولها بالتعبير احيانا وبالتجاهل احيانا اخرى..

تقويم علمية التاريخ

وما علينا بعد ذلك كله – في رأي مارو – الا ان نطرح فلسفة التاريخ جانبا الى حين، ولنأخذ على عاتقنا تقويم علمية التاريخ..ومع ذلك فهو يدرك تماما تميز مادة البحث التاريخي عما عداها من بحوث علمية، فهو – كما يقول – "يعالج معدنا شديد الصلابة صعب المراس يحتاج الى أعلى درجات الحرارة الصادقة..للتخلص في تطويعه للدراسة، أو اخضاعه لنظرية من النظريات..ذلك هو الانسان الذي حير أعظم العقول، وخطأ أرجح الآراء"...

لكن مارو يتركنا بعد موقفه النقدي هذا في موقف الحيرة المنهجية..فهو يعترف بل يوصي كل باحث في تقويم تاريخ الانسان بأن يعتنق الديالكتيك والحتمية التاريخية لانهما أقرب الى التفسير العلمي لمسار التاريخ، حتى لا ينجرف الى متاهات التأمل والشطط. ■



محاضرة الاب لوبريه عام ١٩٦٠

انفجار لبنان

١٩٧٥ - ١٩٧٩

حذرت منه بعثة "ايرفد" قبل ١٩ عاماً !

الاب جوزيف لوبريه

صادر في ايار ٨١

مقدمة

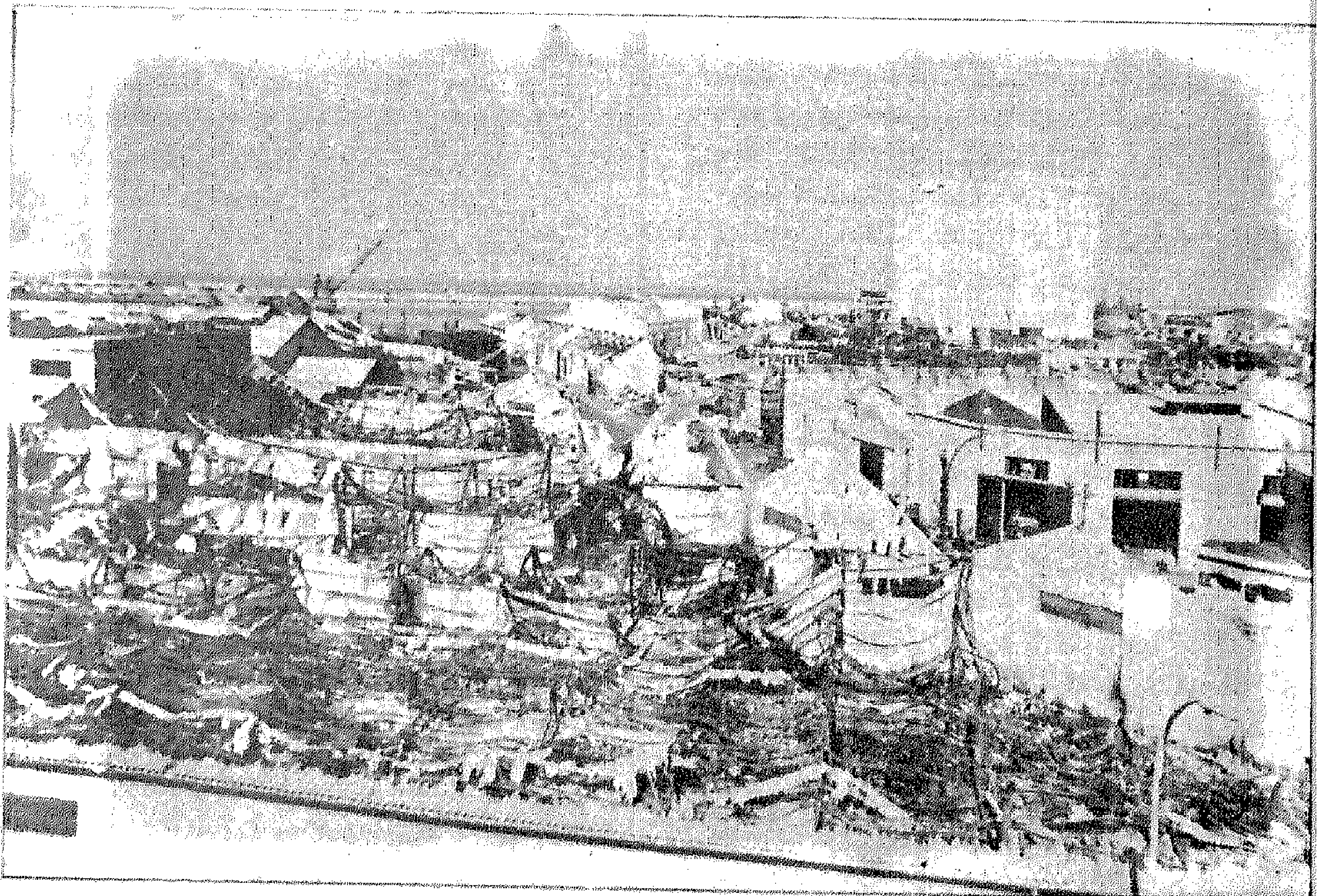
تقدم مجلة "تاريخ العرب والعالم" للقارىء العربي على حلقتين وثيقة هامة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي. وهذه الوثيقة هي محاضرة القاها الأب جوزيف لوبريه رئيس بعثة "إيرفد" الفرنسية (١) الى لبنان في ١٩ تشرين الثاني من عام ١٩٦٠ وقد القى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور اركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب. وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة، بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية، لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الاسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً.

وقد ادرك الرئيس شهاب ان عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مضطردة في حجم الناتج القومي وانما هنالك بعداً اجتماعياً يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخيل والانتاج. كما أيقن أن تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تعزز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي الى خلق حالة عدم استقرار في البلاد فيما اذا تركت دون معالجة جذرية. ولعل في بعض أحداث لبنان الأخيرة وما أفرزته تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل.

ونظرا لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي فقد عمدت ادارة تحرير المجلة الى نشر الاجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك على سياق المحاضرة أو على المعنى الذي هدف اليه الأب "لوبريه".

والمحاضرة بعنوان "لبنان يواجه قضية تنميته":

(١) المعهد الدولي للابحاث والاعداد للتنمية المنسقة



○ مرفأ بيروت الشهير.. اصبح ركاماً..

١ ـ مفهوم التنمية:

■ منذ مائة عام كان علماء الاقتصاد الأولون يتحدثون اكثر ما يتحدثون عن "الثروة" (Richesse). وكان همهم الاول ايجاد "الثروة". وكان من الامور المسلم بها أن هذه الثروة توزع نفسها بنفسها لخير البشرية العام، دون ان يعنى احد بتوزيعها. غير ان النتائج التي ترتبت على ذلك كانت غير ما قدروا وانتظروا، اذ كان أن نشأت المشكلات الاجتماعية.

وبعد اصطلاح "الثروة" هذا جاء اصطلاح "التقدم" (Progrès). غير أن "التقدم" الذي كانوا يفكرون به كان مقتصراً على التقدم العلمي والفني. أما الانسان من حيث هو انسان له امكانياته، فقد أهمل كلياً واسقط من حساب هذا التقدم.

فالتقدم الاداري والتقدم الحضري والتقدم السلالي (الاثنولوجي) والتقدم الروحي، كانت كلها اموراً غير واردة في حسابهم. وقد كان من اثر هذا التشديد على التقدم العلمي والفني نشوء بعض الاختلال في توازن المجتمع مما لا زلنا نعاني منه حتى يومنا هذا.

وبعد ذلك ظهر اصطلاح "النمو" (Croissance) ومعنى هذا "النمو" بحسب النظريات الاقتصادية الحديثة النمو أو الارتفاع في الكميات الاجمالية، ولاسيما النمو في الدخل الوطني.

ومن الواضح ان النمو يصبح امراً ضرورياً إذا ما أردنا ان نلبي حاجات الانسان بصورة أفضل. على ان الأمر قد يلتبس علينا اذا علمنا ـ عندما نتبين من هو الذي يستفيد من هذا النمو ـ ان هذا النمو في الواقع يقترن بتقهقر نسبي لقسم كبير من الشعب، وان هذا هو ما يجري اكثر الأحيان في البلدان السائرة في طريق التنمية. فلقد يحدث ان يستفيد ٢٠ في المائة تقريباً من الأهلين من هذا النمو، بينما تعاني الكثرة الساحقة من الركود ان لم نقل من التقهقر الفعلي.

وبعد اصطلاح النمو جاء اصطلاح "التوسع" (Expansion). والتوسع هو سرعة "النمو". إذ لا يكفي للاقتصاد ان يأخذ في النمو حتى نقول انه آخذ في التوسع، بل يجب كذلك ان يتميز بتسارع في النمو. بيد اننا الآن حيث كنا من قبل، فاصطلاح "التوسع" هذا انما يعبر عنه بالارقام أو بمعدل النمو. وليس ينبغي لنا ان نستبعد اياً من هذه المفاهيم الثمينة، وانما ينبغي ان ندرك انها تتركنا في حدود دائرة المقاييس الكمية أو العددية.

ثم هنالك اصطلاح "الافادة القصوى" (Maximation) الذي يتعلق اما بربح رأس المال وأما بانتاج العمل. وهذا يعني في حقيقته زيادة الكفاية الانتاجية في اطار من الاستخدام الكامل للموارد. وهذا الاصطلاح بدوره عرضة لأن يؤدي الى تضييق نطاق القيم البشرية. وحتى نصلح من نقائص اصطلاح "الافادة القصوى" هذا نميل الآن الى استعمال اصطلاح "الافادة المثلى" أو "الفضلى" (Optimation) أو (Optimisation). وانما نقترب من مفهوم التنمية الصحيح، من حيث نقوم بالتفتيش عن الفائدة المثلى وفي الوقت الذي نقدم فيه على ذلك. وفي الواقع ان الحصول على الفائدة المثلى لا يمكن ان يتم إذا لم يكن هناك تحسن في أحوال البشر من الناحية الانسانية.

★ ★ ★

ولذا فإنه سوف يتعين علينا ـ في مجال التنمية ـ أن نكيف الوسائل للوصول إلى الأهداف التي وضعناها نصب أعيننا. ولكي تكون التنمية تنمية حقيقية بالفعل يجب أن تكون متناسقة ومنسجمة بعضها مع البعض الآخر. وبعبارة اخرى لا يكفي أن نقوم بالتنمية في قطاع ما من قطاعات الاقتصاد، فلا يكفي أن نحسن الطرق، ولا يكفي أن نحسّن سكك الحديد، ولا يكفي ان نحسن الارض، ولا يكفي أن نحسّن الزراعة ولا يكفي أن نحسن قطاع الخدمات، ولا يكفي أن نحسّن التعليم الأبتدائي أو التعليم الثانوي أو التعليم العالي، ولا يكفي أن نحسّن مراكز البحوث العلمية الأساسية أو مراكز البحوث التطبيقية حتى تكون هناك تنمية. بل يجب أن نحقق كل هذه الأشياء في آن واحد.

فإذا تخلف سير التنمية في أحد هذه القطاعات، فسوف ينتهي الامر بالتنمية الى مواجهة ما لا يمكن اجتيازه من العراقيل والعقبات فينتج عن ذلك تباطؤ التنمية وربما توقفها تماماً. ولذلك يجب أن تتقدم التنمية في جميع القطاعات، بما فيها من القطاعات الفنية ومناحي الحياة العامة، وذلك في تناسق وانسجام مما ينشأ وينمو على مر الزمن. ويجب أن يعتمد هذا التناسق على الامور القيمة التي ثبت صلاحها في الماضي بشرط التفتيش عن امور افضل في المستقبل. وعندئذ يمكن القول بان هنالك بعض الانسجام بين الوضع الراهن والأوضاع الماضية. ولن تكون التنمية ذات أثر باق أو تنمية حقيقية بالفعل إذا هي اقتصرت على وجود قوة دافعة من فوق، وانما يجب ان تكون نتيجة جهود المجتمع بكامله وأن يكون في تكوين هذا المجتمع ما يضمن استمرار التنمية باندفاع ذاتي. فاذا ما حددنا القضايا المنشودة وهيأنا الوسائل اللازمة أمكن لهذا المجتمع بكامله أن يتطور من نفسه ويسير قدماً بصورة متناسقة. ثم ان قوة الاندفاع الذاتي هذه يجب أن تصبح ـ عندما نصل الى مرحلة معينة ـ قوة للاصلاح الذاتي. وانه ليجب أن يكون في ردود الفعل التي تبدر من كل جماعة في وجه الجماعات الاخرى، وردود الفعل التي تبدر عن طبقات المجتمع فيما بينها، وردود الفعل التي

تصدر عن القوى المختلفة التي يواجهها المرء في المجتمع، ما يكفي لتصحيح الاخطاء التي ترتكب في سياق التنمية والتي لا مفر من ارتكابها.

★ ★ ★

٢ ـ الوضع في لبنان

لبنان بلد يكثر فيه عدد السكان وتتنوع فيه المناظر الطبيعية ايما تنوع. ولقد حدثتنا نفوسنا عندما بدأنا عملنا بأن "مساحة لبنان من الصغر بحيث يكون العمل يسيراً". ولكننا وجدنا انفسنا في الواقع نواجه من التعقيد المادي والبشري ما يحملني على الاعتقاد بأن لبنان اكثر تعقيداً من مجموع البرازيل حيث عملت عدة سنوات وحيث تبلغ المساحة ١٧ ضعفاً مساحة فرنسا. وهذا امر مهم للغاية لأن هذا التنوع يشكل ثروة في حد ذاته وهو أيضاً يعقد كثيراً من بعض المشكلات وخصوصاً مشكلات التنمية. ولبنان الذي يستمد تنوعه البالغ أيضاً من تعدد فئاته، هو احد الاقطار المعدودة في العالم قاطبة التي يمكن لأكبر عدد من النزعات المختلفة ان تعبر عن نفسها فيها، كما يشهد على ذلك تاريخه. فإذا نشأت فيه أمة واحدة بالرغم من الاختلاف الأساسي في العقائد السائدة وفي التقاليد، فإن ذلك من أعظم التجارب التي يمكن أن يمر بها هذا العالم. وان لبنان ليجد نفسه لذلك في مكانة فريدة، إذ ان هذا يجعل لنجاحه صدى عظيماً في العالم. ولبنان بلد لا يمكنه أن يعيش في ظل نظام الاكتفاء الذاتي (Autarcie). فان لبنان، بما هو عليه من مساحة وسكان، لا يمكنه إذا أراد أن يكتفي بانتاج موارده الحالية أن يتطور وينمو، ولذلك يجب بالضرورة أن ينفتح على العالم. ومن هنا أصبح لبنان احدى النقاط التي تركز فيها التوتر العالمي.

وهذا هو السبب في انه قد أصبح لقطاع الخدمات هذه الأهمية الكبرى في لبنان، ولقد اكتسب لبنان، بفضل انفتاحه على البحر المتوسط وكذلك على البحار جميعها، مكانة فريدة تماماً في مجموع التوازن العالمي لا تتناسب مع أهميته من حيث عدد السكان. ولبنان بلد حديث الاستقلال وهو في ممارسته لهذا الاستقلال قد لا يزال من بعض النواحي في طور التحسن. ولكنه يسعى إلى الاهتداء إلى الاجهزة الحكومية والأجهزة الادارية التي تضمن باطراد إمكان وجود هذا التعدد في فئاته وتحقيق تنميته في نفس الوقت.

ولبنان هو بوابة الشرق الاوسط بالنسبة الى الغرب وبوابة الغرب بالنسبة الى آسيا. فهو يقع بصورة مواتية في نقطة الاختلاط ـ إذا جاز التعبير ـ لأقسام هامة من سكان العالم.

يواجه قضية تنميته

هذه لبنان بعد المقدمة التي قد تكون طويلة بعض الشيء ولكنها بدت لي من الضرورة بمكان. سوف اتبع الخطة التي رسمتها لي وزارة التصميم، ولا أقول فرضتها علي لأنني تقبلتها طائعاً مختاراً ومن الامور الطبيعية أن تقوم وزارة التصميم بتخطيط ما ينبغي أن يتحدث عنه الخبراء تاركة لهم في نفس الوقت قسطاً عظيماً من الحرية. ولقد فرضت علينا ثلاث كلمات أو بالاحرى ثلاثة تعابير: "مستلزمات التنمية" و"امكانيات التنمية" و"احتمالات التنمية"، وقد وجدت أن هذه الخطة وافية بالغاية المنشودة ولذلك قبلت بهذا التقسيم.

أ ـ المستلزمات

ان مستلزمات التنمية جد عديدة، ولا يسعني الا ان اختار منها عدداً محدوداً ثم احاول ان اضعها في ترتيبها المنطقي.

١ ـ في رأيي ان اول مستلزمات التنمية هو انها يجب ان تتجاوب مع نمو عدد السكان. ولا يمكن ان نعبر عن معدل تزايد عدد السكان بارقام دقيقة، غير ان الخبراء الذين عنوا بهذه المسألة قدروا انها تتراوح بين ١،٧ و٢،٥ في المائة في السنة.

والدراسات التي تمكنا من القيام بها بالاستعانة بالمعلومات المتيسرة تجعلنا نميل الى الظن بان معدل الزيادة يبلغ ٢،٣ في المائة في السنة، وهو معدل مساو لنظيره في اميركا اللاتينية. وهو ايضاً معدل مرتفع سوف ينتهي بلبنان الى تزايد متعاظم في عدد سكانه، بحيث يصبح عدد السكان بعد ١٥ سنة ٢،٤٠٠،٠٠٠ نتيجة للاسباب الطبيعية لتزايد السكان، بدلا من ١،٦٠٠،٠٠٠ نسمة هم سكانه الآن. ان واجبنا في مواجهة مثل هذه الزيادة في عدد السكان في خلال مثل هذا الوقت القصير هو احد هذه المستلزمات، ولا اقول انه يدعو الى الجزع ولكنه من المستلزمات الشاقة للغاية، لاسيما وانه لا يكفي ان نهيء للسكان المتزايدين مستوى الحياة الذي يعيش به السكان الحاليون، يجب ان ننجح في رفع مستوى حياة السواد الاعظم من السكان.

★ ★ ★

٢ ـ ولا يكفي ان نزيد الانتاج بمعدل ٢،٣ في المائة في السنة، اذ ان ذلك من شأنه ان يبقى السكان على حالتهم الراهنة. ان النتائج التي توصلنا اليها ـ وهي نتائج قابلة للتعديل ـ تهيء لنا منهجاً مثمراً نتتبعه. وانكم لتعرفون ان متوسط الدخل الوطني للفرد اللبناني يبلغ نحو ٣٠٠ دولار في السنة، وهو مستوى من الارتفاع بمكان، وهو في الواقع المستوى الصالح للبدء في التنمية. فالتنمية في العرف العام تبتدىء عندما يكون



متوسط الدخل الفردي ما بين ٢٥٠ ٣٠٠ دولار وهو رقم يدل على ان بلداً ما قد دخل في مرحلة التنمية. ولهذا فان لبنان الذي يبلغ متوسط دخل الفرد فيه الف ليرة لبنانية في السنة يجد نفسه في مكان ملائم. واننا اذا رحنا ننظر في توزيع مجموع الدخل الوطني بين فئات السكان المختلفة فاننا نتوصل تقريباً الى النتائج التالية التي نوردها هنا على أساس العائلة: حوالي ٩ في المائة من السكان يحصلون على أقل من ١٢٠٠ ليرة في السنة للعائلة الواحدة، وحوالي ٤١ في المائة من السكان يحصلون على ما بين ١٢٠٠و ٢٥٠٠ ليرة، وبذلك نتبين دخل ٥٠ في المائة من السكان.

ومن هنا نعلم أن نصف عدد السكان يتصرف بـ١٨،١ في المائة من الدخل الوطني. تذكروا هذه الارقام: ٥٠٪ من عدد السكان و١٨،١٪ من الدخل الوطني. وفي القسم الآخر نجد ان ٣٢٪ من السكان يحصلون على ما بين ٢،٥٠٠ و٥،٠٠٠ ليرة، وان ١٤٪ من السكان يحصلون على ما بين ٥،٠٠٠ و١٥،٠٠٠ ليرة وان ٤٪ يحصلون على ما يزيد على ١٥،٠٠٠ ليرة، وبعبارة اخرى أن النصف الآخر من السكان يتصرف بـ٧١،٩ في المائة من الدخل الوطني. ومن هنا نجد انفسنا وجهاً لوجه أمام قضية في غاية الخطورة لا نستطيع أن نغمض اعيننا عنها. وانه لمن الجلي الواضح أنه لا غنى عن القيام بمجهود ضخم بالنسبة الى ذلك النصف من السكان الذي لا يتصرف الا بـ١٨،١٪ من الدخل الوطني. فاذا لم نفعل، يصبح من الواضح انه لا مفر من أن يؤدي انتشار التعليم إلى رد فعل بين السكان ينقلب الى عداء ومن ثم الى اضطرابات اجتماعية في غاية الخطورة.

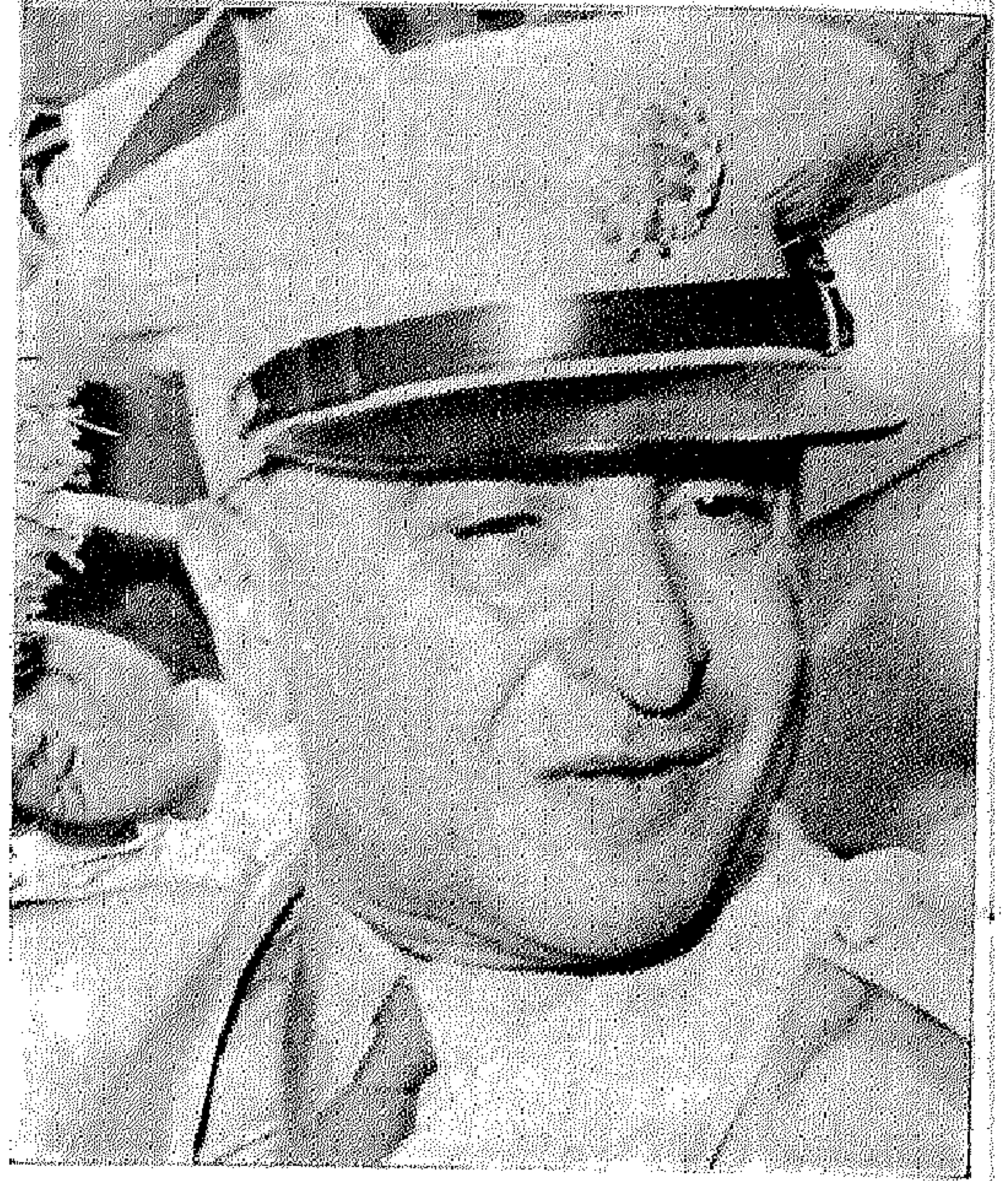
ولقد حاولنا ونحن ننظر في هذا التباين في ظروف المعيشة ومستوياتها أن نحدد مكان فئات السكان المختلفة، الحضري.

ومن الواضح أنكم قد باعدتم في الشقة من حيث مستوى المعيشة بين الطبقات الاجتماعية، مما يمكن أن يصبح أمراً خطراً للغاية وغير إنساني في الوقت ذاته. ولذلك فان من الخطأ أن تقنعوا بزيادة الدخل الوطني بنسبة ٣،٢٪ في السنة. فان من الضروري الحصول على زيادة محسوسة في الدخل الوطني بحيث يمكن بالتأكيد لجميع طبقات السكان، وعلى الأخص المحرومة أن تستفيد وتجد لنفسها مستوى يليق حقاً بالانسان.

★ ★ ★

٣ ـ وحتى يزيد دخل الفرد (في خلال ١٥ سنة) نحو ٤٠ في المائة يجب ان يكون الحد الادنى للنمو في الدخل الوطني ٤،٧٥ في المائة في السنة. وهذا الحد الادنى قريب من النمو الحالي في لبنان ولقد كان النمو في لبنان في السنوات العشر الماضية في الواقع ٤،٤٪، فليس هذا أذن بالهدف الخيالي. غير ان النظر في هذا النمو في السنوات الأخيرة يبعث في النفس بعض القلق وذلك لان معدل النمو في الزراعة لم يتجاوز ١٪ وفي الصناعة ٣،٦ في المائة. فلقد جاء هذا النمو في معظمه من قطاع الخدمات حيث بلغ معدله ٧٪ ومن الادارة حيث كان ٨٪ ومن النقل حيث كان ١٠٪. وبعبارة أخرى، إن بنيان نموكم ـ وهو بنيان تجهيزي في جزء كبير منه ـ بنيان يمكن ان أقول أنه غير سليم. فهو ليس بذلك البنيان الذي يساعد على تحقيق هذا الارتفاع في مستوى معيشة الفئات المحرومة والطبقات المتوسطة من السكان.

ومن الواضح أننا إذ نقترح تحقيق هذا خلال خمس عشرة سنة فان علينا في الواقع ان نبحث في الامر على اساس ١٨ سنة، وذلك لاننا اذا ما بدأنا باعداد الوسائل اللازمة للوصول الى هذه الغاية المقترحة فسوف نحتاج الى فترة انطلاق يمكن تقديرها على وجه التقريب بثلاث سنوات. ولهذا فان البرنامج الذي يجب ان تضعوه امامكم لتحقيق هذه الزيادة يجب ان يمتد على ١٨ سنة. وعلى اساس ان عامل (Coefficient) رأس المال ربما كان ثلاثة ـ وهو ايضاً ما يجب ان نستعمله بمنتهى الحذر ـ فان ذلك يتطلب ان تستثمروا ١٤٪ من دخلكم. وليست نسبة ١٤٪ بالنسبة الهائلة. واذا كنتم تودون مضاعفة دخل الفرد خلال هذه المدة، فانه يجب عليكم ان تتوصلوا الى استثمار ٢٢٪ من دخلكم والى نمو بنسبة ٧،٣٪ في السنة. واني اعتقد انه يجب ان تضعوا اهدافكم ما بين هذين الحدين. اي انكم ما بين ٤،٧٥٪ و٧،٣٪ ـ حسب ما تكون الظروف اكثر او اقل مواتاة ـ تستطيعون في هذه الحالة ان تتوصلوا الى زيادة في دخل الفرد تتراوح بين ٤٠و٧٠ في المائة، وهذا يبدو



ممكناً اذا أحسن تصميم التنمية الفعلية واحسنت ادارتها • ويجب ان نستنتج من هذه الارقام ــ وهي ارقام تقريبية ولكنها تعطينا فكرة عما هو واقع وعما هو ممكن ــ ان من الضروري ان نعنى في نفس الوقت بالزراعة والصناعة ومجموع الخدمات ، لا الخدمات التجارية فحسب ، بل الخدمات التي تستهدف رفعة الانسان بصورة مباشرة ، الا وهي الخدمات الفكرية والثقافية والروحية • ولذلك فأن من الضروري أن ننظر الى جميع الحاجات العاجلة وجهاً لوجه •

★ ★ ★

٤ ــ وأولى هذه الحاجات العاجلة هي ان نواجه النمو في عدد السكان ، والثانية هي ان نقلل من التفاوت بين مستويات المعيشة ، والثالثة هي ان نسعى الى تعيين حد ادنى للنمو السنوي بقصد التوصل الى هذا الارتفاع في مستويات المعيشة بالنسبة الى السكان المتزايدين والرابعة هي تلك التي تختص باعطاء جميع موارد البلد قيمتها (mise en valeur) ، بما في ذلك الموارد الطبيعية وموارد التربة والموارد الجوفية والموارد البشرية • ولا يمكن لهذا أن يتحقق بطريقة ما في التوفيق بين هذين الاقتصادين المتباينين اللذين يتألف منهما الاقتصاد اللبناني في الوقت الحاضر •

★ ★ ★

٥ ــ ان النشاطات اللبنانية يوجهها الى حد كبير اقتصاد يتناهى وراء الحدود الوطنية ، اقتصاد يقوم على الخدمات وعلى زراعة الفواكه وتصديرها • وأنتم هنا في الطليعة بالنسبة الى سائر العالم فكنتم بذلك السباقين • وهذا اقتصاد يتميز بصورة جلية واضحة عن الاقتصاد التقليدي • أما الاقتصاد الداخلي التقليدي في لبنان فهو مقصّر كثيراً من عدة نواح بالنسبة الى ما يمكن الوصول اليه وهذان الاقتصادان لم ينسق الواحد منهما مع الآخر حتى الآن ، ولذلك فان عليكم ان تبحثوا عن كيفية اقامة بنيان اقتصادي يسمح باصلاح اوجه الاختلال هذه التي تؤدي الى البون الشاسع في مستويات المعيشة والى عجز في القوة الشرائية لدى الطبقات المحرومة • وان من هذا النقص في القوة الشرائية لدى الفئات الشعبية ان يؤدي الى تضاؤل التنمية الصناعية وانكماشها مما قد يعرض للخطر في يوم من الايام تنمية قطاع الخدمات أيضاً •

★ ★ ★

٦ ــ والسادس من المستلزمات هو الحد من نزوح السكان الى العاصمة • ان النمو الضخم في بيروت ، وتعدد الخدمات التي يمكن الحصول عليها فيها ، والسهولة التي تهيئها وسائل النقل للوصول اليها ، كل هذه الامور جعلت من بيروت لا مجرد عاصمة فحسب بل كذلك مركز الحياة بأسرها بالنسبة الى السكان • فبدلا من أن يتوقف السكان في المدن التي كانت فيما مضى صغيرة ، اصبحوا يؤمون المدينة الكبيرة الزاهية حيث اخذوا يستقرون شيئاً فشيئاً • ومن الواضح اننا هنا أمام ظاهرة اجتماعية واقتصادية في منتهى الخطورة ، اذ تصبح تكاليف المعيشة باهظة للغاية ، وتنشأ طبقات اضافية من السكان يصعب تيسير التعليم لها كما يصعب توفير المستوى الانساني اللائق لها الذي وضعناه من قبل هدفاً لنا • وتترتب على ذلك مشكلات اجتماعية خطيرة • وسوف نرى بعد دقائق معدودة كيف يمكننا جزئياً على الاقل ان نعالج أمر هذا الاحتشاد من جانب سكان لبنان في العاصمة •

وانه ليجب أن ننظم هذين الاقتصادين بحيث يتم تأمين عمالة لمجموع السكان في قطاعي الزراعة والصناعة ، وفي قطاع الخدمات أيضاً •

★ ★ ★

٧ ــ ايجاد عدد كبير من الاشغال: بالنظر الى نمو عدد السكان الذي سيتحول في خلال ١٥ او ١٦ سنة من ١،٦٠٠،٠٠٠ نسمة الى نحو ٢،٤٠٠،٠٠٠ نسمة ، فانكم اذا لم تتخذوا من الآن الاحتياطات الضرورية التي تسمح بايجاد عمالة في الزراعة لعدد اكبر من الايدي العاملة وذلك عن طريق زيادة كثافة الزراعة (اي زيادة الاستفادة من نفس المساحة) ، وكذلك ايجاد شغل في الصناعة لعدد اكبر من الأيدي العاملة وذلك عن طريق زيادة عدد المؤسسات الصناعية ــ إذ حيث تكون التنمية يكون نمو في الخدمات ، وهو نمو قد يكون طفيلياً وقد يكون على النقيض من ذلك نافعاً في حد ذاته ــ



فإن الأمر سينتهي بلبنان إلى كارثة. فإنه إذا لم يكن هناك في هذه القطاعات الثلاثة امكانية لتشغيل عدد أكبر من الأيدي العاملة، فإنه سوف يتعين على السكان الذين تزايد عددهم أن يتقاسموا فيما بينهم موارد لم تنمُ بما فيه الكفاية، وبدلا من أن نقبل على فترة تنمية سوف ينتهي بنا الامر إلى التقهقر. والعمالة أو فرص العمل شيء لا يمكن ايجاده في التو او اللحظة، بل يجب أن يكون لدينا مخطط بعيد المدى يمكننا من أن نجد أشغالا للناشئة بمجرد بلوغهم سن العمل بحيث يستطيعون أن يعيشوا وأن يؤسسوا لأنفسهم اسراً جديدة.

وهذه مسألة يجب علينا أن نتصدى لها وجها غلا نسحب بالاحتياطات والتدابير التي لا نتخذ حتما منذ الآن. ولقد كانت الهجرة الى الخارج حتى الآن بمثابة صمام، ولكن تزايد السكان لم يكن اذ ذاك بهذه السرعة. ولبنان قد حقق منذ ذلك الوقت تقدماً باهراً: فإني، وقد عشت فيه قبل اربعين سنة خلت، لأشهد بأن لبنان قد حقق هذا التقدم. لقد وثب لبنان في مضمار الصحة العامة وثبة كبيرة. وهذا هو السبب الذي أدى الى هذا النمو البالغ السرعة في عدد السكان.

★ ★ ★

٨ ــ التأهل الفني للمهاجرين: ستظل الهجرة من لبنان ضرورية ولكنه ليس من المحتم أن تبقى شروط الهجرة سهلة كما كانت عليه من قبل. وفي الايام الخالية كان في وسع أي لبناني على قسط من الذكاء، وإن كان غير متعلم، أن يذهب إلى أي جزء من العالم لينشيء لنفسه حياة جديدة هناك. وكان يجد استقبالا حسناً: كما انه بفضل حاسته التجارية غالباً ما كان ينجح في أن يوجد لنفسه وضعاً لا مقبولا فحسب بل ممتازاً.

ولذلك فأن هناك واجباً يقضي باعداد الافراد للهجرة التي هي من خصائصكم والتي تتلاءم مع طبائعكم الانسانية وهذا أمر جميل. فأنه أفضل بكثير أن يكون لدينا رجال يقدمون على ركوب المخاطر من أن يكون لدينا رجال يصرفون وقتهم بالتفكير في سلامتهم. وأن من شأن اتجاه جديد يقوم على اعداد المهاجرين فكرياً وثقافياً وفنياً أن يمكنهم من أن يسدوا الى البلاد التي يكونون فيها أقصى قدر ممكن من الخدمات، والا أصبحوا أشخاصاً غير مرغوب فيهم.

★ ★ ★

٩ ــ التعليم اللازم لهذه التنمية: وأخيراً، وعندما نتكلم عن التنمية فنحن انما نتكلم عن عدد من الاعمال التي يجب أن توضع موضع التنفيذ او من المشاريع التي يجب أن تحقق، مما يحتاج الى تدريب عدد من الناس واعدادهم لهذا الغرض. وسواء كان الامر يتعلق باعداد الناس أو باعدادهم للقيام بمشاريع داخل البلاد، فأن من المستحسن ان يوجه التعليم في مراحله الثلاث، وعلى صعيد التعليم العام وصعيد التعليم الفني على السواء، نحو المهمات الفعلية التي ينتظر من الناشئة في لبنان تحقيقها في مجرى حياتهم.

هذه هي مستلزمات التنمية مطروحة امامنا. وهي بحق مستلزمات جسام. فلا ينبغي لنا بحال من الاحوال ان نخطيء في تقديرها. إذ أن ما هو امامنا الآن ليس بالمشكلة السهلة، بل اننا نواجه مشكلة عسيرة. فما هي الامكانيات التي نواجه بها هذه المستلزمات؟ لكي نجيب على هذا السؤال دون الدخول في جميع التفصيلات، سوف نتفحص بسرعة امكانيات الزراعة وامكانيات الصناعة ثم مسألة الخدمات...

نحو تاريخ بدون تزييف...

الأمير فخر الدين الثاني بطلٌ وطني.. أم حاكم أراد البقاء؟!



■ الامير فخر الدين بحسب المتخيلين في توسكانا.

رسالة من قارئ ورد من مدرّس تاريخ عليها

من هو الامير فخر الدين الثاني المعني؟ هل هو وطني أم هو مجرد حاكم كان يريد أن يحافظ على حكمه ولو بالتعاون مع الاجنبي؟

هذا السؤال طرحوما يزال، وقد تعددت وجهات النظر في الاجابة عليه. واخيراً اثارته رسالة وردت الى "تاريخ العرب والعالم" تسأل عن التباين في النظرة الى الامير فخر الدين الثاني المعني بين كتب التاريخ التي تدرس في المدارس اللبنانية وبعض البحوث التاريخية التي تناولت تلك الفترة من تاريخ لبنان.

ولأن صورة الامير فخر الدين مشوهة الى هذا الحد في اذهان المواطن اللبناني والعربي، فقد عرضت "تاريخ العرب والعالم" الرسالة على أحد مدرسي التاريخ طالبة رأيه في الموضوع.

وهي هنا تنشر نص رسالة القارئ سامي الشامي ـ النبطية (لبنان الجنوبي) ورد مدرس التاريخ في ثانوية عمر بن الخطاب ـ بيروت الاستاذ محيي الدين قدورة ـ ماجستير في التاريخ.

وتفتح "تاريخ العرب والعالم " صفحاتها لكل وجهة نظر او واقعة تاريخية تزيل اللبس عن شخصية الامير فخر الدين، وصولا الى اعادة كتابة التاريخ ـ شعار المجلة ـ وتنقيته من كل الشوائب التي تعتريه.

نص الرسالة

ترتسم في أذهاننا ومنذ الصغر، صورة للامير فخر الدين الثاني كبطل وطني حاول أن يوحد لبنان ويخلصه من ربقة الاستعمار والتبعية العثمانية، صورة ما كانت لتتزعزع لولا قراءتي لاحد المصادر التي كتبها احد العامليين بعدها ارجو محاكمة هذا الامير الشوفي، فاما أن يكون ويظل بطلا، واما ان يكون متعاملا مع الاجنبي؟

واليكم مقاطع من كتاب "للبحث عن تاريخنافي لبنان" للمؤلف الشيخ علي الزين - الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م عدد صفحاته ٦٠٧ تحت عنوان "الظروف الدولية" صفحة ٢٣٨ - ٢٣٩ يورد ما يأتي:

"ومما يشعرنا بملاءمةالظروف لمحاولاتفخر الدين ما تضمنته رسالة محفوظة منه الى البابا يحثه فيها على السعي للاستيلاء على الاراضي المقدسة، ويؤكد له ان الوقت مناسب لان الفوضى ضاربة اطنابها في البلاد العثمانية والضعف باد عليها، وعرض فيها الامير على البابا أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة".

ثم في رسالة الى نائب ملك اسبانيا يقول "وان سألتم عنا فاننا لا نتغير لان قلبنا واحد ونيتنا واحدة". تحت عنوان "ماذا وراء المساعدات الغربية لامير الشوف" يورد في ص ٢٤٢ :

"أمن الصحيح ان حكام الغرب وملوكه قد عضدوا الامير فخر الدين وامدوه بالمساعدات المعنوية والمادية وبالسلاح والعتاد، وبالخبراء والقادة لمجرد انه كان ضد الدولة العثمانية؟ او لانه كان يسعى لتحرير لبنان من النفوذ الاجنبي؟ ام انهم عضدوه وساعدوه بكل ما يستطاع لكي يعيد الاراضي المقدسة الى الصليبيين ويستبدل مستعمراً بمستعمر ثم يكون بالتالي تحت حماية الاسياد الجدد ؟؟".

ثم يورد مقطعاً "أمن الوطنية اعادة الحروب الصليبية الى البلاد؟" ص٢٤٤

ثم يشكك ببطولته في معركة عنجر ويتهم فخر الدين بالتآمر والمراوغة (ص ٢٤٥) وما يليها.

هذا بعض من كثير من الاتهامات، وان كان كما يورد المؤرخ الزين حال فخر الدين فنكون في مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية العالية نصنع التاريخ وننسج صوراً لابطال غير حقيقيين، ارجو الرد ولكم الشكر.

سامي الشامي - النبطية

نص الرد

لقد قرأت رسالتك وشغفت بما جاء فيها من تساؤل يدور حول تشككك بوطنية الامير فخر الدين الثاني بعد اطلاعك على كتاب للشيخ علي الزين يحمل العنوان التالي: "للبحث عن تاريخنا في لبنان".

بناء على ذلك اخبرك بأنني قد تمعنت بقراءة مقتطفات ذلك الكتاب من خلال ما ورد منها في سياق رسالتك وتوصلت الى اقتناع يؤكد بأن شكك كان في محله مستنداً في ذلك الى ما عندي من حقائق تاريخية بالاضافة الى ما جاء في كتاب، الشيخ علي الزين السالف الذكر.

اما بالنسبة لمطالبتك بمحاكمة هذا الامير الشوفي فهذا حق لك كما هو واجب علينا في الوقت نفسه كممثلين للطليعة العربية المثقفة ان نميط اللثام عن المخفي من سياسة الامير فخر الدين الثاني كي يتسنى للقارئ العربي بصفة عامة واللبناني بصفة خاصة تكوين فكرة صحيحة عن تلك الشخصية، خالية من التبجيل والتعظيم الزائفين.

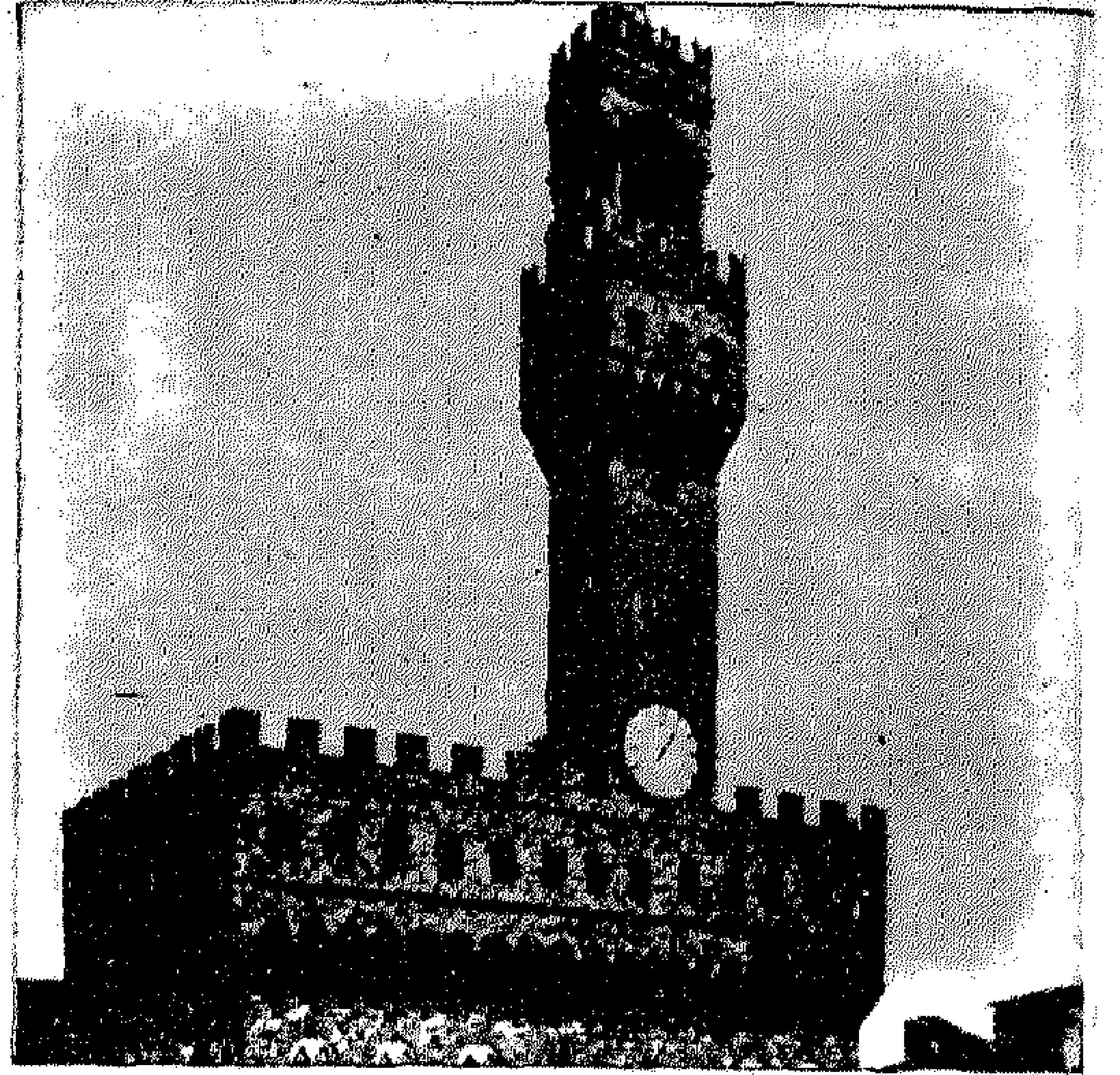
ان هذه المنطقة العربية قد نكبت بزعامات اقطاعية - منذ القرون الوسطى - كان همها الاول والاخير التفرد بالسلطة والجاه والتضحية في سبيلهما بكل غال ورخيص.

كما ان المحافظة على تلك الامتيازات المتوارثة كانت تدفع بتلك الزعامات للتعامل مع الشيطان متخذة من فلسفة "الغاية تبرر الوسيلة" مبدأ اساسياً تعتمد عليه لتحقيق مآربها.

هذه الاشياء تظهر لنا بوضوح في الصراع الدموي الذي حدث بين الامير فخر الدين الثاني وزعامات الحزب اليمني بالاضافة الى الصراعات التي حدثت فيما بعد بين الامراء الشهابيين وخصومهم من اليمنيين والقيسيين.

لكن الصراع عندما كان يحصل بين اي امير اقطاعي والدولة العثمانية كان هذا الامير او الوالي يستعين بقوى خارجية او اجنبية لتدعمه ضد الاستانة، لكن الدعم الاجنبي لم يكن ليتحقق الا اذا حصل توافق في المصلحة بين الفريقين الداعم منهما والمدعوم كي يتسنى لكل منهما تحقيق غاياته المرجوه متكافلين متضامنين حتى اتمام الصفقة.

اما الشواهد التاريخية على ذلك فكثيرة ومنها: تحالف الامير بشير الثاني مع محمد علي والي مصر وتعاون محمد علي مع فرنسا ضد الدولة العثمانية لقاء تحقيق منافع مشتركة لا يسمح لنا المجال بذكرها.



كما ان ظاهر العمر تعاون مع الاسطول الروسي ضد العثمانيين متمثلين بولاتهم في صيدا وبيروت...

اما فخر الدين الثاني فقد اختلف عن بشير الشهابي الثاني ومحمد علي وظاهر العمر في هذا الامر حيث انه كان على استعداد لتقديم الدعم اللازم لاية حملة تقوم بها الدول الاوروبية لاسترجاع بيت المقدس بعد ان تكون تلك الدول قد بادرت بمساعدة الامير في تثبيت حكمه وسلطانه في امارته.

بالاضافة الى ذلك فان الامير فخر الدين لم يكن يكتفي بتقديم المساعدة اللازمة للدول الاوروبية كيما تحقق اطماعها في المشرق العربي فحسب بل قد كان يقوم بتحريض اوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول الى الاهداف المشتركة كي يأمن الامير على نفسه وسلطانه من دسائس الدولة العثمانية وولاتها في المشرق العربي ودليلنا على ذلك ايفاد فخر الدين ١٦١١م "للمطران جرجس بن مارون الاهدني" الى قورما الثاني امير توسكانة والى البابا بولس الخامس وذلك لتجديد التحالف مع كل منهما ولحثهما على الاسراع في خطى المؤامرة الآنفة الذكر ولو ادى به الامر الى مقايضة السيطرة العثمانية باستعمار اوروبي صليبي جديد ضارباً بعرض الحائط مصالح ابناء قومه ووطنه، وهناك امثلة حية لا زالت احداثها جارية الى يومنا هذا وتمثل صورة قريبة للاحداث البعيدة التي عاشتها منطقتنا العربية.

ان عقلية الحاكم الاقطاعي هي عقلية السياسي والتاجر نفسها حيث ان كلا منهم يزايد ويتاجر بمصالح ابناء قومه وعشيرته واهته تأميناً لمصلحته الذاتية، فلا عجب اذن ان يفعل فخر الدين ما فعله، ولكن الشيء الذي يثيرنا هو تغاضي المؤرخين عن ذلك ورفع فئة من المؤرخين اللبنانيين لهذه الشخصية المعنية الى مصاف رجالات العالم العظماء والمشهورين في التاريخ، كما ان معظم المراجع التاريخية واللبنانية منها على وجه الخصوص اعتبرت فخر الدين "مثالا" للوطنية والبطولة والرجولة يحتذى به.

ان النفوذ الاجنبي بدأ يتغلغل عميقاً في تربة منطقتنا منذ عهد فخر الدين الثاني وذلك عن طريق الجواسيس الاوروبيين المتخفين بثياب التجار والبعثات التبشيرية والتعليمية والقنصلية التي اتت لدراسة احوال المشرق العربي واصطناع العملاء – مستخدمين مختلف الطرق والوسائل المغرية – تمهيداً للانقضاض على المنطقة وابتلاعها طمعاً بموقعها الاستراتيجي وغناها المادي.

وعلينا الا ننسى المحالفة التي عقدت ١٦٠٨م بين الامير فخر الدين الثاني وامارة توسكانة والتي كان القصد منها التآمر على اقتسام المشرق العربي بين الدول الاوروبية المتمثلة بالتحالف التوسكاني – الاسباني – البابوي نظير تثبيت فخر الدين في امارته التي طرد منها فيما بعد على ايدي العثمانيين وذلك بعد انكشاف تحالفه واتصاله بدول اوروبا ضد الباب العالي، هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دول اوروبا ضد الدولة العثمانية استمرت نيرانها متأججة فترة امتدت منذ عقد المحالفة المعنية – التوسكانية ١٦٠٨م الى عام ١٦٥٣ حين اعدم الامير فخر الدين في الاستانة بسبب استمراره في الاتصال بدول اوروبا الآنفة الذكر كيما تنفذ ما اتفق عليه بين الفرقاء المعنيين منذ اكثر من ربع قرن.

منها:

أ – كانت الدولة العثمانية تتمتع بقوة عسكريةلا بأس بها.

ب – تغير موازين القوى الدولية.

جـ – صدور العفو العثماني عن الامير فخر الدين وعودته.

د – تخوف التحالف الاوروبي السالف الذكر من ردات فعل تؤدي الى نشوب حروب دينية شبيهة بسابقتها التي حدثت بين اواخر القرنين الحادي عشر والثالث عشر.

هـ – ضعف قوة البابا العسكرية والسياسية كان له الاثر الكبير في عدم محاولته استعادة الاراضي المقدسة.

ارجو ن اكون قد اجبت على التساؤلات التي طرحت والتي لآمل ان نقوم في المستقبل بالتعاون مع بعض الاخوة المطلعين على تاريخ منطقتنا بمحاكمة هذا الامير الشوفي على صفحات "تاريخ العرب والعالم" خدمة للحقيقة التاريخية المجردة عن كل غاية تمهيداً لاصدار حكم عادل بحق الامير فخر الدين الثاني.

محي الدين قدورة



■ ـ اناء الوركاء (شكل ـ ١)

الآثار العراقية

من اقدم الازمنة حتى العهد الكلداني

د . ديمتري براميكي

يقول المؤرخ الشهير هيرودوت نقلا عن العالم هيكناتيوس ان مصر هبة من النيل ، وهذا التعبير ينطبق تماما على العراق ، فالعراق هبة من الفرات ودجلة اذ لولا هذين النهرين لكان العراق خليجا ومستنقعات ، فالرواسب التي كان يحملها الرافدان كونت العراق وما فتىء هذان النهران بعد ذلك يرويان ارضها ويجددان تربتها الخصبة سنويا ،

■ في العصر الحجري القديم لم يكن العراق مأهولا سوى من بعض المغاور في سفوح الجبال في منطقة شاندار ، وفي الالف السادس قبل الميلاد عندما بدأ جفاف مستنقعات العراق الشمالي نشأت بعض القرى مثل جارمو وحسونة وسامرا وتل حلف وتل أربجية واخذت هذه القرى تتعاطى الزراعة وتدجين الحيوانات وتصنع الخزف بالايدي كما أن اهلها كانوا يسكنون الاكواخ المبنية من اللبن على اساسات من حجارة الحقول ،

وفي اوائل الألف الرابع قبل الميلاد عندما جفت بعض المستنقعات في جنوب العراق هبطت اقوام من اعالي الجبال وحطت في سهول جنوب العراق في اماكن مثل تل العبيد والوركاء وجمدة نصر حيث اقاموا اكواخا من القصب والطين وتعاطوا الزراعة وتدجين الحيوانات وصناعة النسيج وسلال القصب وصناعة الخزف اولا على الايدي ثم على الدولاب ، وفي عهد الوركاء اي حوالي ٣٢٠٠ق٠م٠ ظهرت الاختام الاسطوانية المصنوعة من الحجارة لاول مرة في العراق وبقيت تستعمل حتى العصر الكلداني ، كانت هذه الاختام مزخرفة بالاشخاص في بادىء الامر ولكن في اواخر عهد جمدة نصر اي حوالي ٢٨٠٠ق٠م٠ ظهرت الاختام المزخرفة باشكال نباتية أو هندسية متكررة والتي اصبحت معروفة ببروكاد ،

وفجأة في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد ظهرت المدن المحصنة باسوار منيعة واقيمت المعابد والقصور الفخمة ،من هذه المدن مدينة اوروك (الوركاء حاليا) ومدينة اور ومدينة اريدو ومدينة لبحش وغيرها من المدن السومرية ، وكان الاهلون يعتقدون ان الالهة هي التي أسست هذه المدن وانها جعلت من الكهنة وكلاء عنها ، فاستغل الكهنة هذا الاعتقاد واخذوا يحكمون المدن السومرية باسم الآله ويتحكمون فيها كما يشاؤون ،

العصر السومري

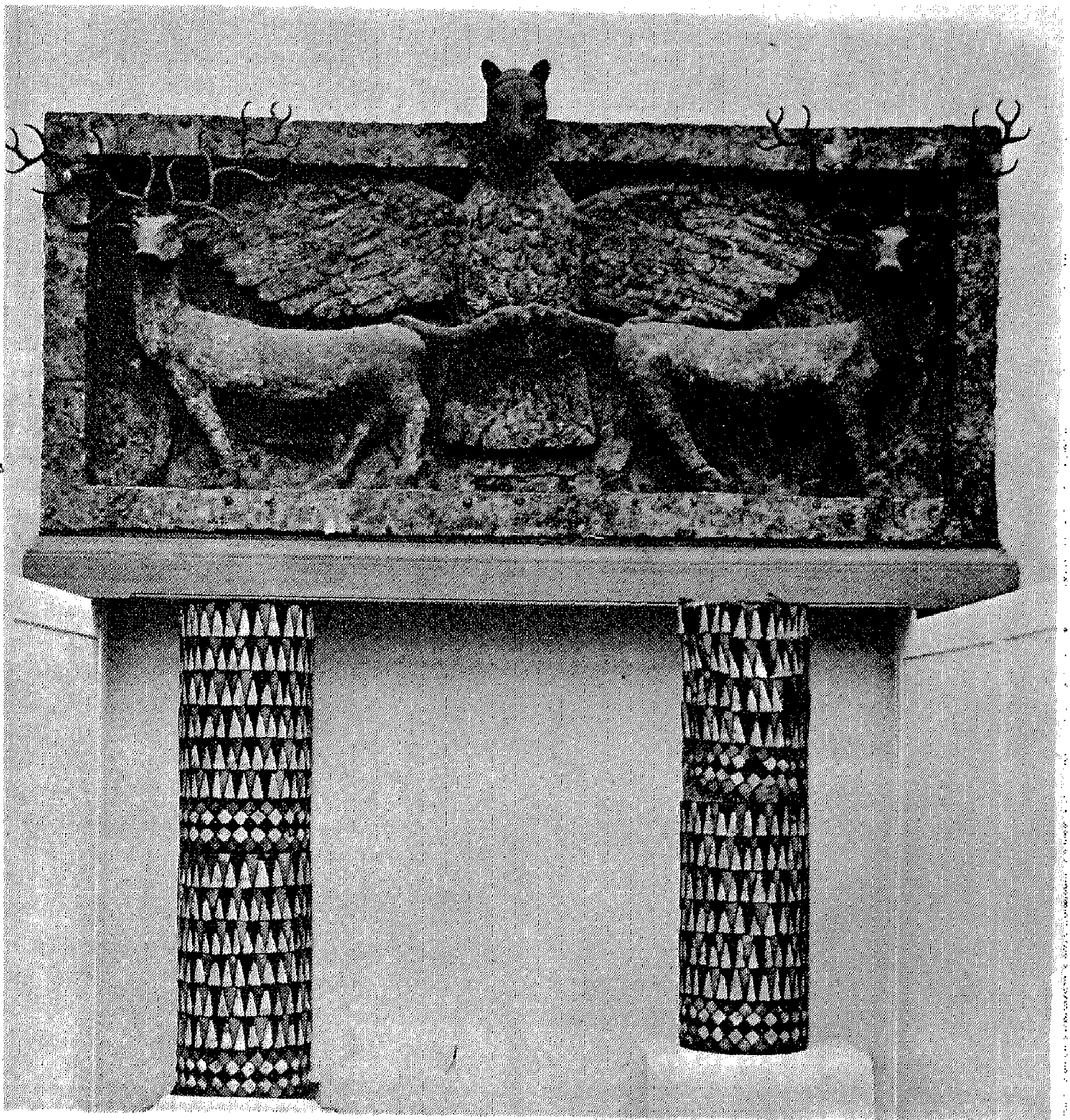
من ميزات العصر السومري (٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ق٠م٠) ازدهار الفن بتشجيع من الكهنة ، فمعتقدات السومريين وطقوسهم الدينية حفزتهم لممارسة الفن التمثيلي ، مثال على ذلك الجرة المصنوعة من الالبسطر والتي وجدت في اوروك ،



■ - رأس امرأة من الالف الثالث (شكل - ٢)

فهذه منحوتة برموز دينية تمثل الآلهة اننا اوشتار تتقبل القرابين من كهنة عراة (شكل ١) كما وجد ايضا رأس امرأة منحوت بالمرمر الشفاف (شكل ٢) ،

وقد تفنن السومريون بصنع الاختام الاسطوانية وحفرها حفرا دقيقا ناعماً بمشاهد ولائم او مشاهد صراع بين البطل جلجامش ورفيقه انكيدو من جهة والاسود والثيران البرية من جهة اخرى بدلا من الاختام الاسطوانية التي الفناها في عهد جمدة نصر ، وكذلك ابدع السومريون في صناعة التماثيل من المعادن وجعل المعادن اداة لفنهم ، ومثالا على ذلك وجد في معبد نينخور ساج تمثال نسر مزود برأس اسد فارشا جناحيه فوق غزالين ويقبض عليهما بمخالبه (شكل ٣) ، ووجد في تل اسمر وفي خفاجه وفي ماري عدد كبير من التماثيل المصنوعة من الالبسطر تمثل اشخاصا بلحى او بدونها مكتوفي الايدي وهم يقفون وقفة وقار تقليدية (شكل ٤) ،



■ – م دوجود (شكل – ٣)

ومن اهم الانصاب التي ترقى الى هذا العهد نصب اقامة اينادو ملك لبحش تذكارا لانتصاره على مدينة اما. وهذا النصب محفور على الوجه والخلف. اما الوجه فمقسم الى ثلاثة اقسام. فالقسم الاعلى مشهد للملك اينادو ماشيا على رهط من رجاله المدججين بالسلاح يمشون فوق جثث القتلى من الاعداء وامامه عقبان تنهش جثث القتلى من مدينة اما. وفي القسم الثاني يسير الملك في عربة حربية وهو يقود جنوده الى الامام بينما الاعداء ينهزمون ويرجعون متقهقرين. والقسم الثالث والاخير منقوش بمشاهد لدفن الموتى من جنود لبحش بحفاوة بالغة بينما الملك اينادو يصب فوقهم العطور ويقدم ثورا قربانا عن أرواحهم. وعلى الجانب الخلفي من النصب نشاهد في القسم الاعلى الآله نين خورساج اله مدينة لبحش يمسك بشبكة تحتوي على الاسرى من جيوش مدينة اما (شكل ٥) وعلى القسم الادنى من النصب يظهر الآله ذاته راكبا عربة حربية يؤازر جيوش مدينة لبحش.

مقبرة الملوك

ومن آثار العهد تمثال جميل للملك انتمينا ملك مدينة لبحش يلبس ثوبا قصيرا ويداه مكتوفتان على صدره بحالة من الورع والتقى كما عثر على

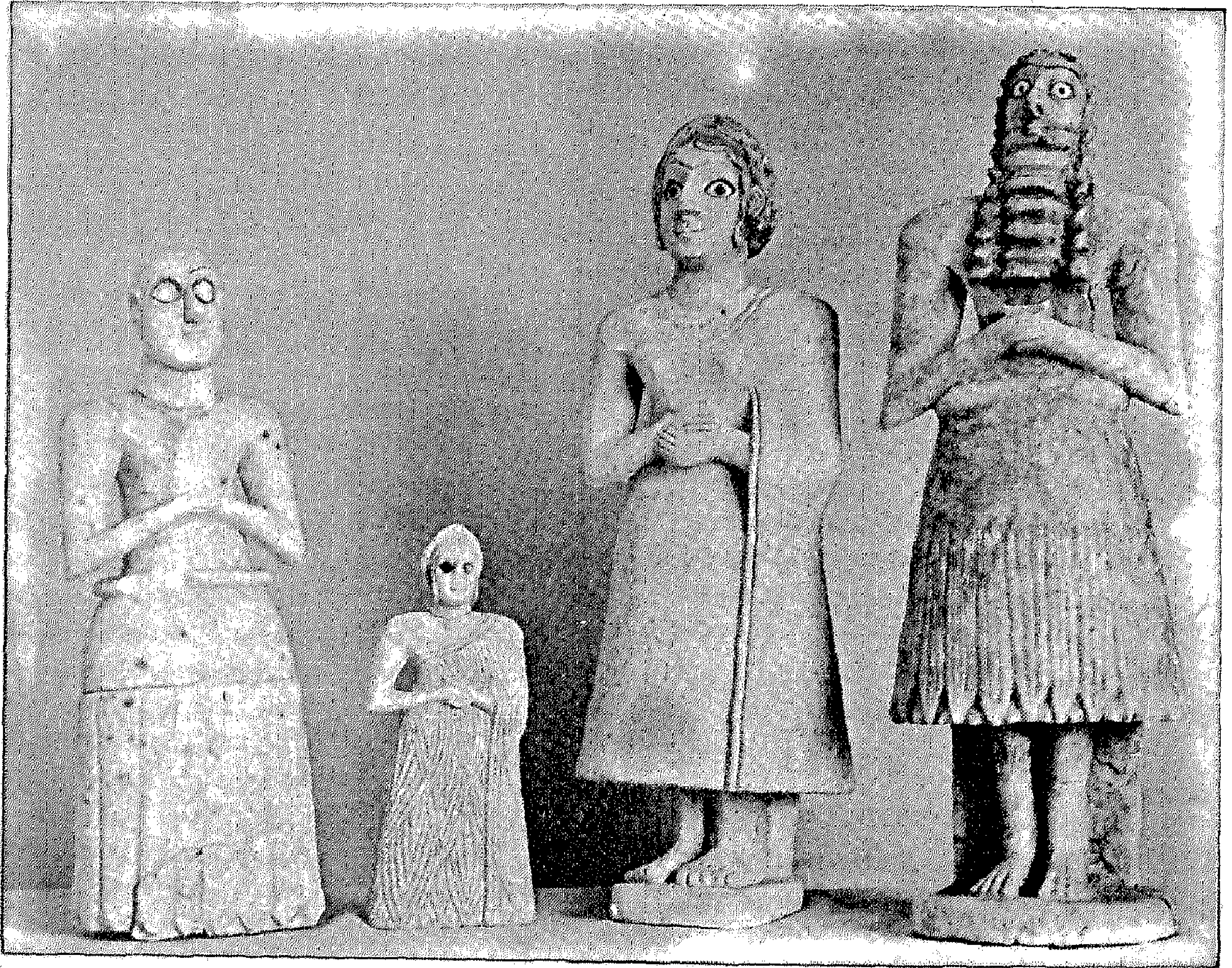
اناء فضي فوق قاعدة من النحاس ترقى الى العصر نفسه. والاناء محفور بنسر له رأس اسد في وسطه وتحت اجنحته غزالان. يذكرنا هذا الرسم بالنحت الذي وجد في معبد نين خورساج في تل العبيد والذي ذكرناه آنفا. والكتابة في اعلى الاناء تذكر ان الاناء تقدمة من الملك انتمينا الى الآله نين خورساج اله المدينة.

وفي مقبرة الملوك التي وجدت في مدينة اور عثر على اثار مدهشة منها رأس ثور مصنوع من الذهب والحجر اللازردي والخشب الذي يزين قيثارة موسيقية كما عثر ايضا على خنجر مصنوع من الذهب له بيت مزخرف بثقوب تصنع اشكالا هندسية بالطريقة المعروفة بالفلجري كما أن هناك حراباً وطاسات مصنوعة من الذهب الخالص وعثر في ذات المكان على خوذة الملك مس كلام دوج المزخرفة باشكال تشبه جلد السمك. ومن اهم محتويات هذه المقبرة جدي مصنوع من الذهب والحجر اللازردي وهو يتسلق على شجرة صغيرة ويقف فوق قاعدة مزخرفة بالمربعات على شكل الفسيفساء (شكل ٦).

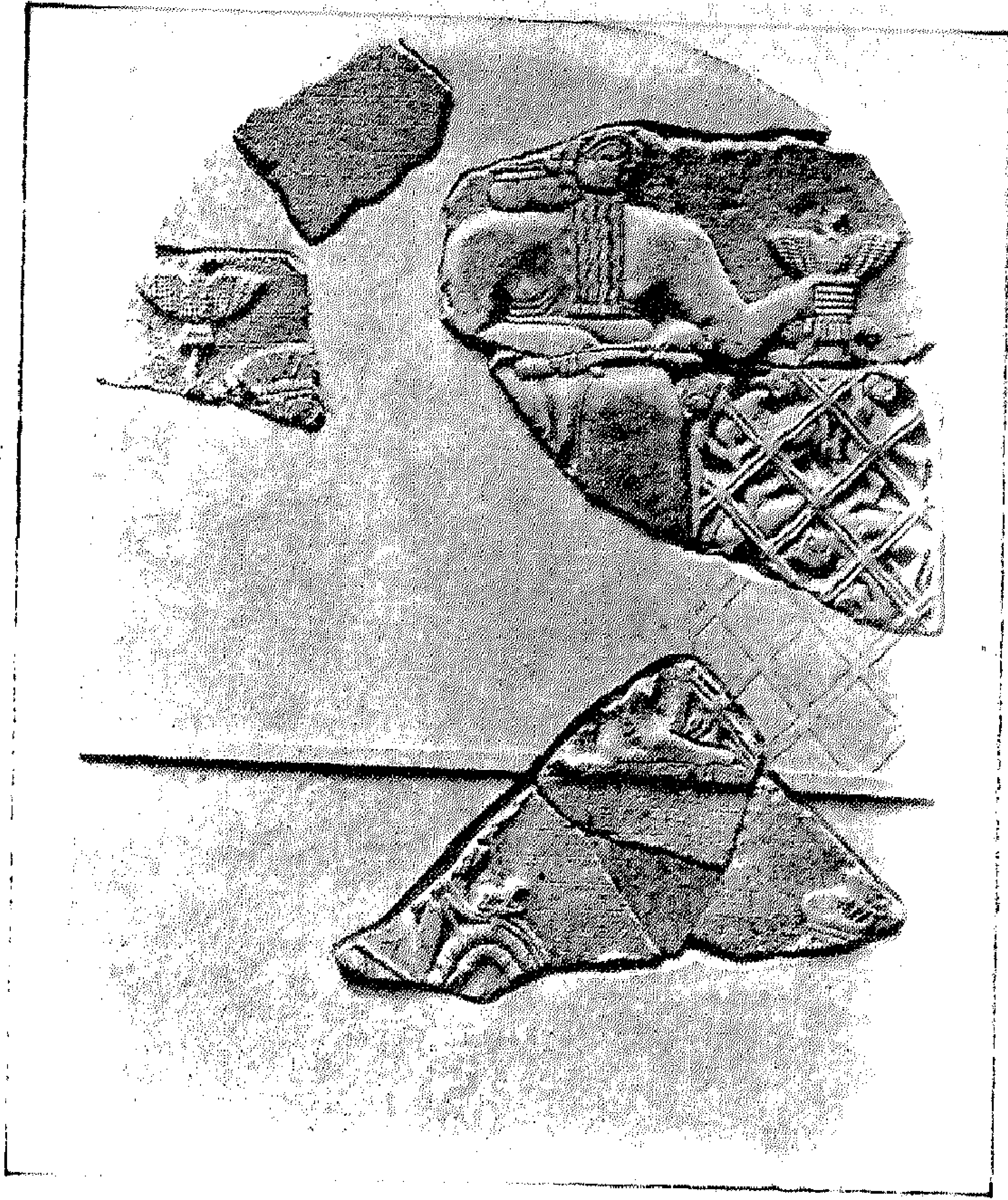
واقام السومريون الزاقورات التى كانت تستعمل كمعابد ومراصد في الوقت اذ برع الكهنة السومريون في علم الفلك ورصد الكواكب واستعملوا هذا الالمام للسيطرة على الشعب الجاهل. وفي فن البناء استعمل السومريون القوس والعقد والقبة كما ظهر جليا في المقبرة الملكية في مدينة اور كما أنهم استعملوا الاعمدة المبنية من اللبن والمغشاة بالفسيفساء المتعددة الالوان كما حصل في المعبد الابيض الذي وجد في مدينة الوركاء.

انواع الطوب

وفي زمن الاسر القديمة ما بين ٣٠٠٠و٢٤٠٠ق.م. درج استعمال الطوب المحدودب وكانوا يطلون الحيطان من الداخل بالالوان المتعددة ويستعملون صور الحيوانات كما نشاهد في تل عقير.



■ ـ تماثيل من تل اسمر ـ ١٤



وفي معبد اقامه آني بدا ملك مدينة اور استعمل الطوب المشوي في المداميك السفلى واللبن في المداميك العليا وكانت جدران المعبد من الخارج مدعمة بالركائز المائلة .

اقيم هذا المعبد فوق مصطبة يصعد اليه بدرجات من الحجر الكلسي وجدرانه مغشاة بالخشب . يؤدي الدرج الى مدخل المعبد وامامه رواق يرتكز سقفه على اعمدة من جذوع النخيل المكسوة بالنحاس . والباب قائم وسط مقدمتي اسود واقيمت على عضادتي الباب اعمدة من جذوع النخيل يكسوها موزاييك بالحجارة السوداء والحمراء وبالصدف ملصّقة كلها بعضها ببعض بالقار . وفوق الباب النسر ام دوجود الذي ذكرناه آنفا . وفي اسفل حائط المعبد صف من تماثيل الثيران بشكل اسود مصنوعة من الخشب ومكسوة بالنحاس وملصقة بالقار . وخلف صف الثيران كان الحائط مزخرفا بالمخاريط المصنوعة من الطين المشوي ومرصوصة باللبن . وهذه المخاريط مصفوفة بشكل الازهار ومزخرفة بالحجارة الحمراء والبيضاء والسوداء ومربوطة بالمخاريط باسلاك النحاس وملصوقة بالقار . وفوق الازهار يوجد افريز من العجول مصنوع من النحاس وفوقه افريز آخر يمثل ماشية الآلهة نين خورساج من بقر وعجول وماعز . ومشهد لحلب البقر وكهنة يجمعون الحليب وثور برأس رجل واله الطيور زو . والتماثيل مصورة على ارضية من الموزاييك من الحجر الاسود . ويعلو كل هذا افريز آخر مزخرف بالعصافير والحمام كلها مصنوعة من الحجر الكلسي على ارضية سوداء ضمن اطار من النحاس .

اساليب جديدة

وفي اواخر عصر الاسر القديمة اي حوالي سنة ٢٤٠٠ق.م. حاول الفنانون السومريون التخلص من التقاليد القديمة وابداع اساليب جديدة في الفن . ففي مدينة ماري ابتدعت اساليب حيوية في النقش فتمثال ابي هيل (شكل ٧) مثلا يرمز الى رجل ذي جلال ووقار كما أن تمثال أورنفشه الخادم يوحي

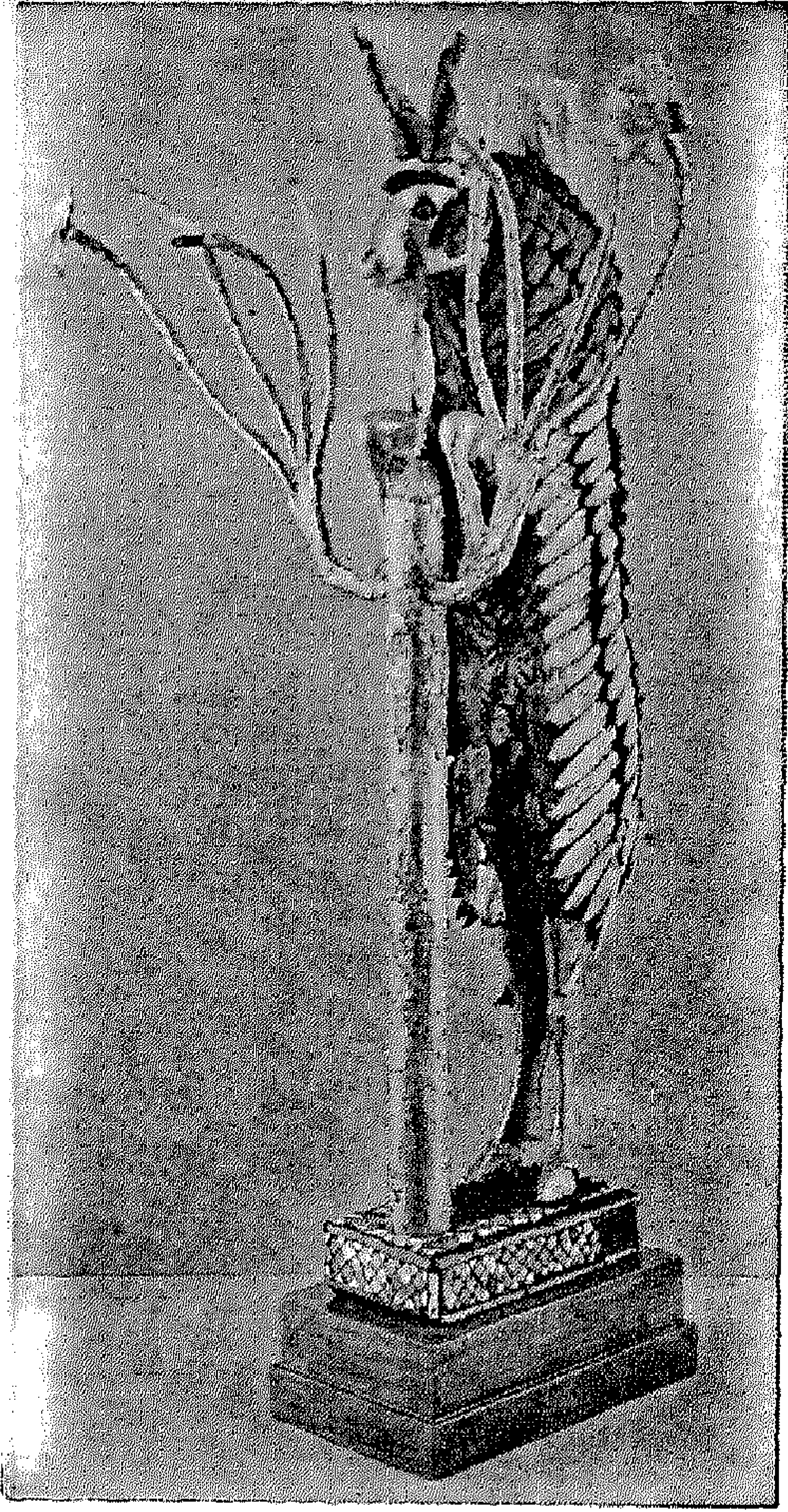
بالحيوية والواقعية. ويمكن قول الشيء ذاته عن التماثيل المصنوعة من البرونز. وقد وجد في تل اسمر تمثال امرأة عارية يبرز فيه تناسق اعضاء جسمها كما وجد في خفاجه تمثال مزدوج يمثل متصارعين يحملان الجرار على رأسيهما.

كما أن الفنان السومري ابدع بصنع تماثيل الحيوانات واستعمل طرقا عديدة في هذا المضمار مثل الضرب بالمطرقة والصنع في القوالب وطريقة الشمع المفقود. كما ابدع في صنع الحلي والمجوهرات بذات الطرق وترصيعها بالحجارة الكريمة واستعمال الحبات الصغيرة من الذهب وطريقة الفلجري. وبرع السومريون باستخدام الصدف كآلة للزينة فحضروه وملأوه بالمعجون الاحمر والاسود. واللوحات المصنوعة على هذا الشكل كانت تستعمل في صنع العلب والصناديق الصغيرة وعلى موائد اللعب وعلى الآت الموسيقى كالقيثارة وغيرها.

علم أور الشهير

ومن اهم دروب هذا اللون من الفن علم اور الشهير. وهو كناية عن لوح من الخشب يبلغ طوله ٥٤ سنتمترا وعلوه ٢٣ سنتمتراً وهو مرصع بالفسيفساء على الجانبين ربما رفع هذا العلم في الحفلات والمواكب الدينية. اما الخشب فاندثر وتلاشى ولكن القطع المرصعة وجدت في مكانها الاصلي واقعة على الارض وهكذا تمكن العلماء من اعادة تركيبها. فالعلم مصور على الجهتين: جهة تمثل الحرب وجهة تمثل السلم. وكل جهة مكونة من ثلاثة صفوف الواحد فوق الآخر. والاشخاص على الصور مصنوعة من الصدف ومرصعة فوق ارضية من الحجر اللازردي. ففي الصف الاول من الجانب الذي يمثل الحرب يقف الملك نازلا من عربته الحربية امام جنوده الذين يجلبون الاسرى العراة من الاعداء وايديهم مقيدة خلف ظهورهم. وفي الصف الثاني يسير رهط من الجيش الملكي وهم يعتمرون الخوذ النحاسة ويلبسون الاثواب الطويلة ويحملون البلطات الحربية تسير امامهم المشاة بدون اثواب ويحاربون بالفؤوس والرماح القصيرة.

وفي الصف الثالث العربات الحربية وفيها حملة الرماح الطويلة يجرون العربات والحيوانات المطاردة فوق جثث قتلى الحرب من الاعداء. وعلى الوجه الآخر من العلم مشهد وليمة يظهر فيها الملك وحاشيته جالسين في وليمة بينما يعزف لهم الموسيقيون على الاتهم النافخة. وفي الصف الثاني الخدم يجلبون الطعام والشراب وفي الصف الثالث خدم آخرون يحملون الغنيمة التي غنمها الملك في الحرب من اعدائه.



[illegible]

وفي زمن الاسرة الاكديه اخذ النحت لونا واقعيا اكثر فاكثر كما نرى في النصب الذي اقامه الملك نارام سين ذكرى لانتصاره على اعدائه من سكان الجبال بمؤازرة اله الشمس. (شكل ٨) ومن اهم الاثار التي ترقي الى هذه الاسرة راس الملك سرجون المصنوع من البرونز (شكل ٩).

وعند ظهور اسرة مدينة اور الثالثة السومرية تعود الاساليب الى ما كانت عليه قبل الاسرة الاكدية انما تتأثر بحيوية وواقعية الفن الاكدي. ففي نصب اقامة الملك اورغو يظهر الملك وهو يقدم القرابين السائلة الى آله القمر ننار (شكل ١٠). ومن عصر الكاهن جوديا وصلنا عدد كبير من التماثيل (شكل ١١) يضع فيها الكاهن يديه على صدره وهما مكتوفتان بحالة الورع بدلا من الحيوية التي عهدناها من قبل.

وفي زمن الاسرة البابلية ازدهر الفن ثانية وعادت اليه حيويته ففي رأس الملك حمورابي (شكل ١٢) تعود الانطباعية الى سابق عهدها في



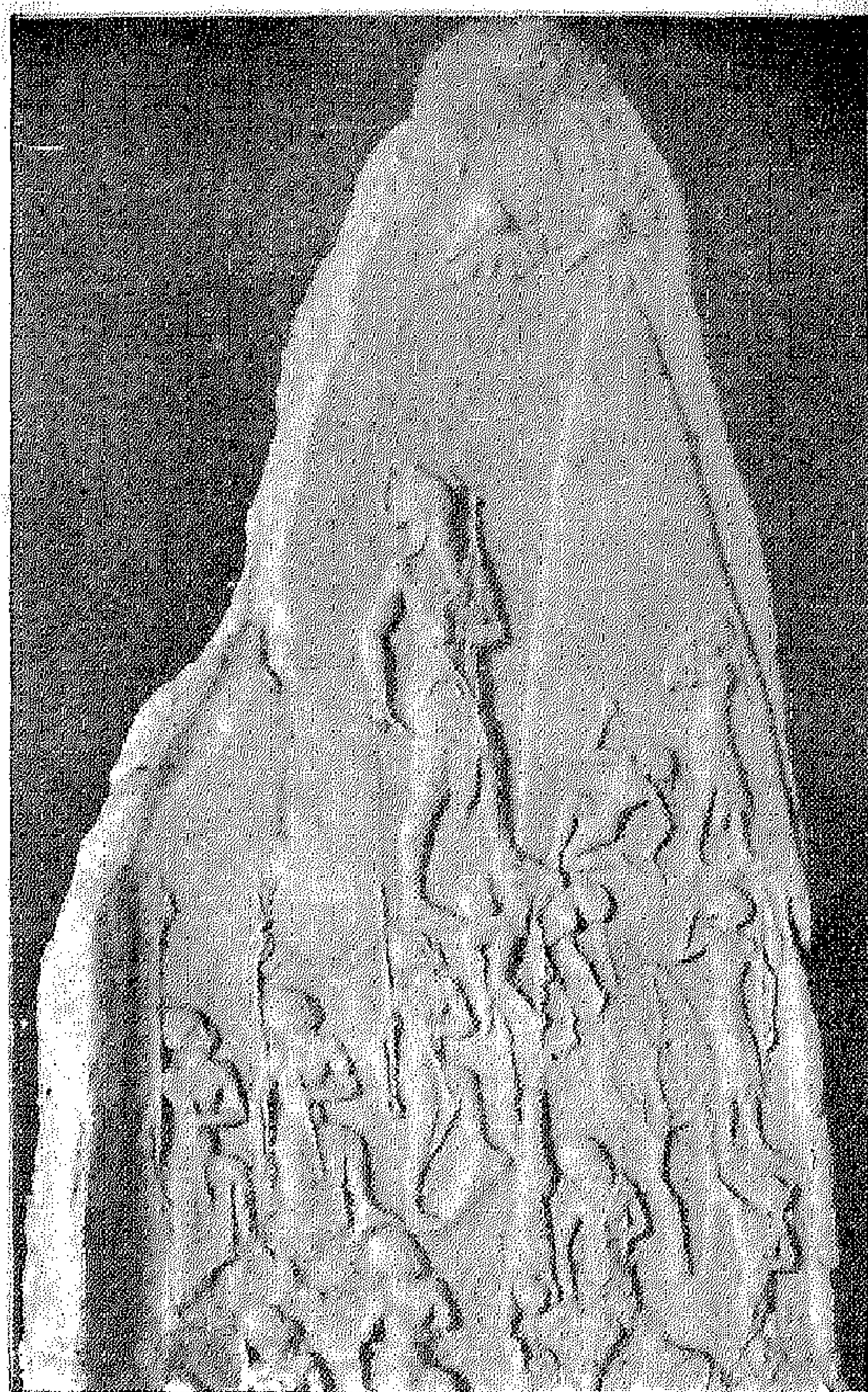
■ – تمثال ابي هيل٠ (شكل – ٧)

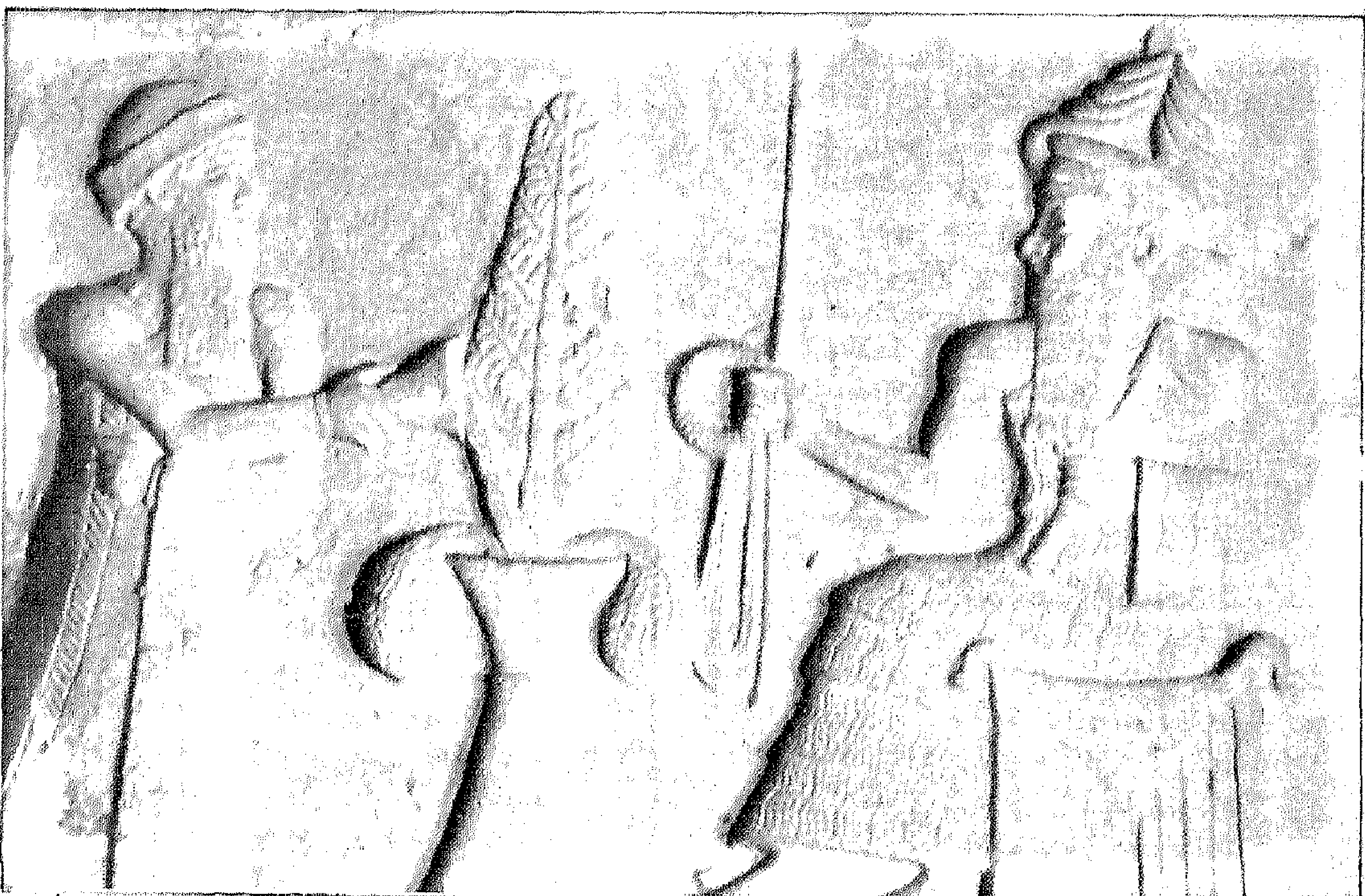
زمن الاسرة الاكدية٠ يظهر هذا جليا في النصب الذي اقامه حمورابي ودون عليه شريعته الشهيرة، يظهر الملك وهو يتناول القوانين من اله الشمس بمظهر القوة والجبروت

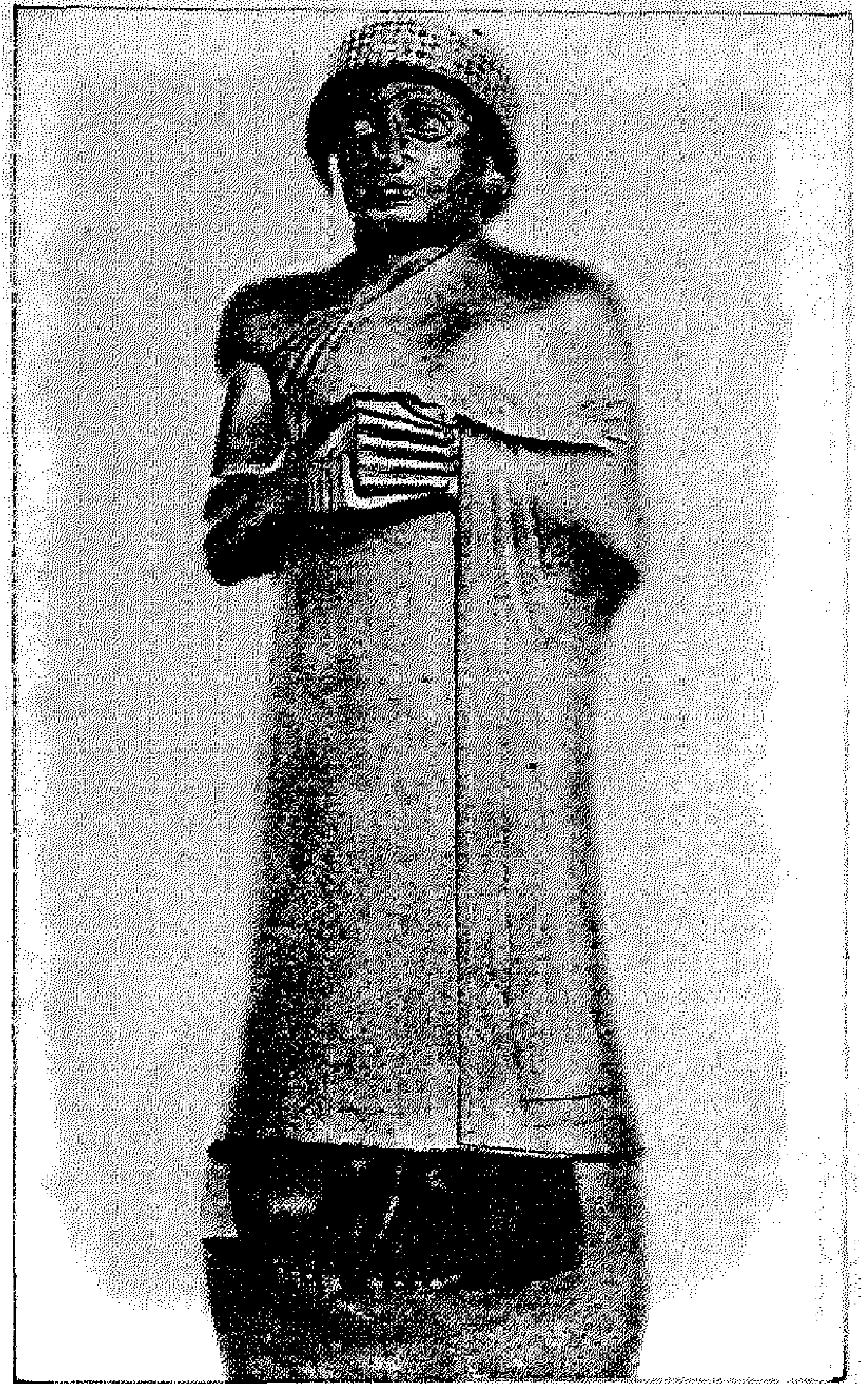
تطور الفن الاشوري

في بادىء الامر عندما تأسست الدولة الاشورية في شمال العراق سارع الفنانون الاشوريون في خطى جيرانهم من العموريين وبقوا على هذا النمط مدة طويلة من الزمن٠ ولكن في عهد توكولتي انيورتا الاول تطور الفن الاشوري وتبلور كما نشاهد في مذبح منحوت يعود الى هذا العهد٠ نقش هذا المذبح بنقش يمثل طقوسا دينية ويظهر فيه البون الشاسع بين الآله والبشر يظهر هذا جليا ايضا على النصب المدعو بالمسلة المكسورة٠ اقام هذا النصب احد خلفاء الملك تفلات فلصر الاول ويظهر فيه ايضا الفرق الكبير بين الآله والبشر٠ واستعمل الاشوريون الجدرانيات ودرج تصوير ونحت الشجرة المقدسة والاسد المجنح٠









وابتداء من القرن التاسع اخذ الاشوريون يضعون امام قصورهم ثورين يدعيان لمسو لوقاية القصر من الشر.

واغلب النحت الاشوري كان نحتا نافرا وقلما صنعوا التماثيل المنفردة. لكن من اهم هذه التماثيل تمثال الملك اشور ناصربال. وكثر استعمال مشاهد الحروب والفتوحات عند الفنانين الاشوريين والهجوم على المدن المحصنة مثل محاصرة مدينة لاخيش. واشهر ما خلده الاشوريون القصور التي اقاموها في نمرود وخورسباد ونينوى. ففي مدينة نمرود اقام الملك اشور ناصربال قصرا كبيرا بني من اللبن ولكن جدرانه غشيت بالحجارة الضخمة من الخارج وطليت من الداخل بالكلس وازدانت بالصور المتعددة الالوان.

واستعمل الاشوريون الاقواس والعقود كما اقتبسوا في بناء قصورهم الطريقة السورية او الفينيقية المعروفة ببيت هيلاني. كما أنهم نقلوا عن السومريين بناء الزاقورات في اغلب الاحيان كانوا ينقلون هذه عن الزاقورات البابلية والسومرية التي كان يصعد الى اعلاها بواسطة الدرج ولكن في زاقورة اقيمت في خورسباد استعاضوا عن الدرج بطريقة منحدرة تصعد تدريجيا الى اعلى الزاقورة وفي عهد الاسرة الكلدانية



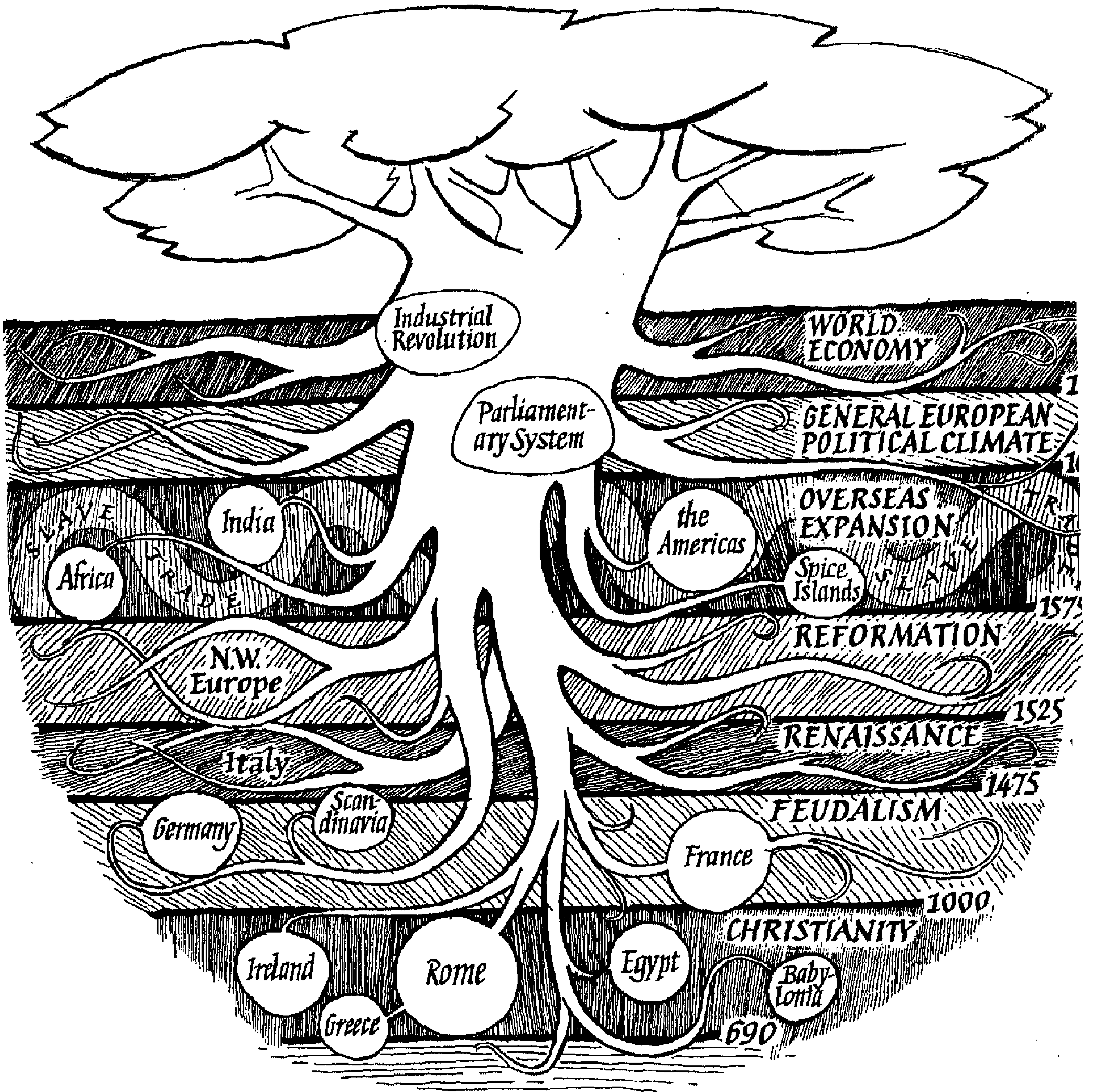
ازدهر البناء في زمن الملك نبوخذنصر الثاني الذي زين عاصمته مدينة بابل بالابنية الرائعة ولكن اغلب هذه الابنية اندثرت وطمست معالمها. انما الحفريات التي اقيمت في بابل كشفت عن بوابة اشتار المزودة بالابراج الضخمة والمزخرفة بالثيران والاسود والحيوانات الميثولوجية بالطوب المزجج على ارضية زرقاء. كما عثر علماء الاثار على جنائن بابل المعلقة والتي كانت تقوم فوق عقود تتدلى منها الاشجار والازهار. واقام حفيد نبوخذنصر الملك بابونايدوس زاقورة في مدينة اور. اقيمت هذه الزاقورة على سبع طبقات. والمظنون ان كل طبقة من هذه الطبقات كان لها لون مختلف كما يصفها المؤرخ هيرودوت الذي زار المدينة في القرن الخامس.

وعدا الاثار العديدة التي ذكرناها ففي العراق مجموعة كبيرة من العاجيات القيمة معروضة في المتحف الوطني في بغداد. ومن بين هذه العاجيات تلك المحفورة التي وجدت في نمرود. فهذه نهبها الملك اشور ناصربال الثاني من بعض المدن السورية التي احتلها وزين فيها قصره في نمرود. والاغلب ان هذه العاجيات من صنع فينيقي واهمها رأس امرأة باسمة تذكرنا بالموناليزا الشهيرة والثانية اسد يفترس زنجيا في حقل من زهور اللوتس. ■

نظرة سريعة

على الحضارة الانغلو ـ ساكسونية ... وبريطانيا

د. سيد نوفل



■ جدور الحضاره الانكلو ـ سكسونية
(من كتاب دراسة في التاريخ لارنولد توينبي ـ ص ٤٠)

لم يكن لبريطانيا، ولم يكن لما يسمى بالحضارة الانغلوسكسونية، شأن مذكور في تاريخ الحضارات البشرية العريقة.....فحين كانت الحضارات المصرية واليونانية والاشورية والبابلية، وغيرها من الصينية والهندية والسبئية والمعينية ترفع في العالم القديم الوية النظام والعلم والتقدم كان اهل الجزيرة البريطانية يحيون حياة بدائية، يسكنون الكهوف ويعيشون على صيد الحيوان، ويستخدمون الوسائل الاولى للحياة البشرية..وكان النازحون الى بريطانيا هم المغلوبون على امرهم من سكان اوروبا، الذين فروا للنجاة بانفسهم من الجماعات الاوروبية الاقوى..

أما التقدم البريطاني أو الحضارة الانغلوسكسونية، فانها لا تعود الى أبعد من العصر الحديث بعد كشف العالم الجديد الامريكي واستخدام طريق رأس الرجاء الصالح في الملاحة العالمية، والتفوق البريطاني في الصراع البحري مع أسبانيا والبرتغال، وهو تفوق أكدته هزيمة أساطيل الدولتين الفازيتين على أيدي الاسطول البريطاني، الذي أنزل بها أشد الضربات والخسائر وردها عن الشواطىء البريطانية مغلوبة مدحورة...ومكن التفوق البحري بريطانيا من غزو العالم بعد ذلك وتوفير وسائل التقدم الحضاري لها، حتى استطاعت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين ان تصبح القوة الاولى في العالم، وأن تفاخر بأن الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها التي تبسط سلطانها على خمس العالم وثلث سكانه...

بريطانيا والغزو الانغلوسكسوني

وبريطانيا، هو الاسم القديم لما سمي من بعد انكلترا وويلز واسكوتلندة، وقد يشمل الجزر البريطانية كلها...ويروي التاريخ القديم أن أهل بريطانيا ظلوا في عزلة بدائية حتى العصر الحجري الحديث. وذلك حين هاجرت، في عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد، جماعات من الشمال الغربي لاوربا الى الجزر البريطانية، ونقلت الى أهلها الكثير من أسباب التقدم لذلك الزمان. وشملت هذه الاسباب شؤون الزراعة ورعي الماشية والادوات الحجرية والاواني الفخارية...كما شملت المعتقدات الدينية. وقد ساعد هؤلاء المهاجرون أهل بريطانيا على الاستغلال البدائي للمعادن المتوفرة في غربي بريطانيا وأيرلندة، وعلى تنشيط حياتهم بالتجارة مع الاوروبيين.

وفي العصر الحديدي، عام أربعمائة قبل الميلاد، غزت الجزر البريطانية جماعات أوروبية أوفر حظا من الحضارة فزادت امكاناتهم الزراعية والتجارية.

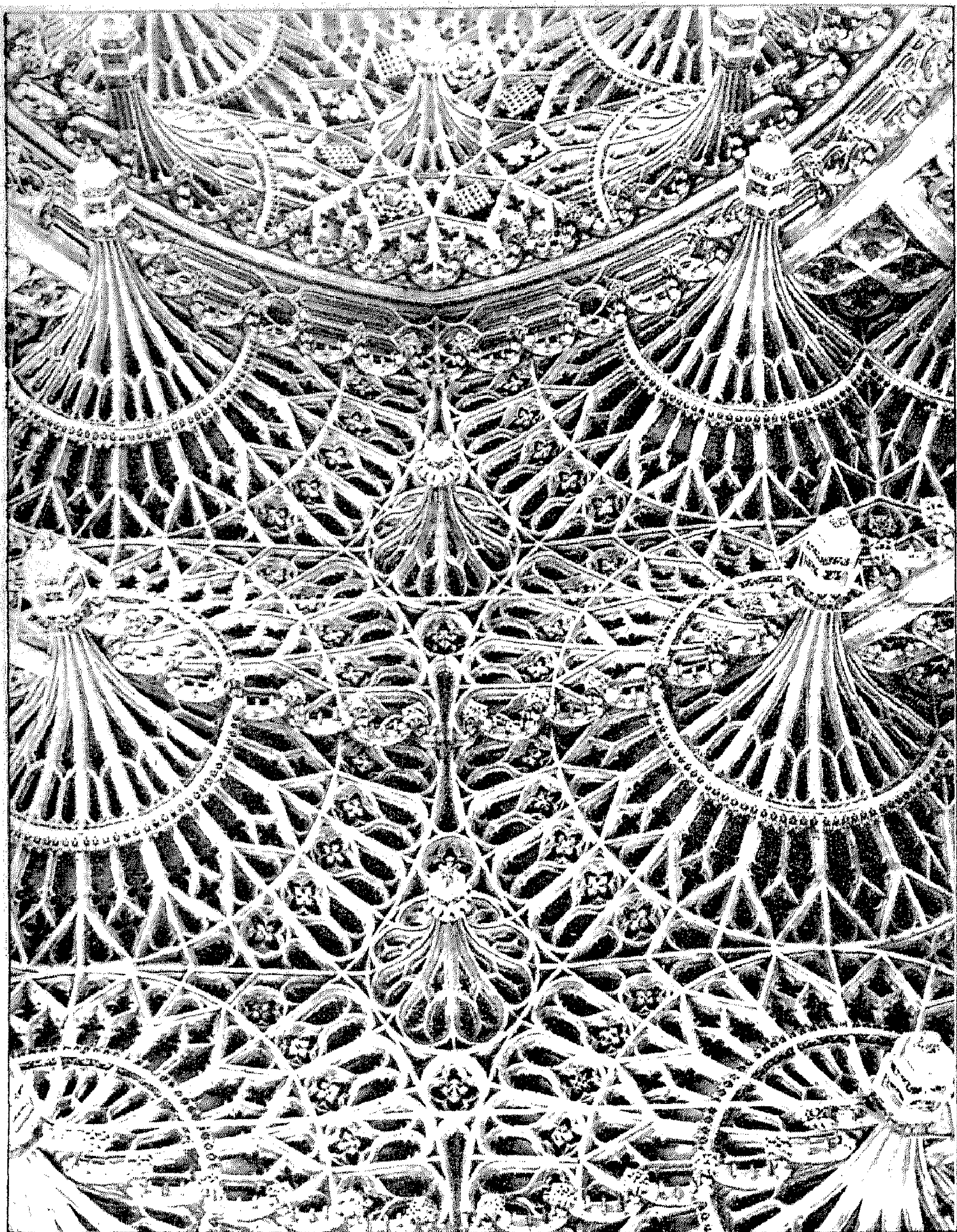
وفي العصر الروماني ازداد نمو التجارة البريطانية، واستخدم البريطانيون العملات الذهبية ثم الفضية فالبرونزية، ونمت علاقاتهم بمنطقة البحر الابيض المتوسط..

ومن بعد ذلك تعرضت بريطانيا لغزوات القراصنة السكسونيين، حين كانت القرصنة من أعمال البطولة. وقد جاء اليها هؤلاء القراصنة، وهم من أصل جرماني، عبر بحر الشمال من المنطقة التي تعرف اليوم بالدانمارك...ولم يلقوا مقاومة في غزواتهم، وانما اخلى البريطانيون شرقي البلاد متراجعين الى غربيها...وكان هؤلاء الغزاة وثنيين فانكروا العمارة الرومانية والقانون الروماني، واخذوا يقطعون الغابات، ويزرعون أراضيها ويقيمون قراهم بينها.

وفي عام ستمائة ميلادية انتهى العهد الروماني لبريطانيا وسميت بلاد الأنفل Angleland ثم عدل الاسم الى England أما الفرنسيون فقد احتفظوا بأصل الكلمة وأطلقوا عليها انكلترة

وفي عام سبعة وتسعين وخمسمائة قدم الى بريطانيا راهب أيطالي، مبعوثا من البابا غريغوري الاول، مع طائفة من الرهبان لنشر المسيحية في بريطانيا...ولقي الرهبان نجاحا فائقا في مهمتهم، وانتشرت المسيحية في بريطانيا انتشارا سريعا...والى هذا التاريخ يرجع الكثير من المؤرخين الانغلوسكسونية..ذلك بأن الرهبان المسيحيين لم يحملوا الى بريطانيا المسيحية وحدها، وانما حملوا اليها مقومات الحضارة ودعائمها في العمارة والقانون والفلسفة واللغة اللاتينية.

وبدأت بذلك حضارة جديدة تنمو في البلاد...واستطاع الملك الفريد ملك السكسونيين أن يرد عن بريطانيا،من بعد،الغزاة الاسكندنافيين القادمين من الدانمارك والنرويج..وسجل اسمه بذلك في سجل الابطال المنتصرين لاوطانهم لكن عظمته الخالدة في أنه مهد لبداية النثر الادبي الانكليزي والتخلص من سيادةاللغة اللاتينية على الادب البريطاني..وذلك بأنه ترجم الكتب اللاتينية الى اللغة الانغلوسكسونية، وانشأ المدارس، وحاول تأصيل الفكر الانكليزي بكتابة السجل التاريخي الانغلوسكسوني...



■ كنيسة هنري السابع في (ويستمنستر ابي) بنيت ما بين ١٥٠٣ و ١٥١٩

حضارة العصور الوسطى

وفي أواخر الستينات من القرن الحادي عشر الميلادي، نجح الغزو النورماندي لبريطانيا، وتولى وليم النورماندي ملك انكلترا...وهكذا بدأت الروابط الفرنسية البريطانية، وهي روابط تقلبت بين الصداقة والعداء من بعد ذلك مع تقلب الليالي والايام.

ومع أن النورمانديين أدخلوا نظام الاقطاع الى بريطانيا، وانتزعوا الاراضي من السكسون ليمنحوها الى أتباع الملك من الغزاة الجدد فقد طوروا التنظيم الاداري والكنسي والاجتماعي في الجزر البريطانية، وسنوا قوانين واضحة الحقوق والواجبات في شؤون الادارة والكنيسة وأفراد المجتمع، كما أبقوا على القوانين التي تكفل الحريات الاساسية للانسان. وبهذا لم يستطع الاقطاع أن يقضي على كرامة الانسان، واستطاع مناخ الحرية أن يتهيأ ليبلغ من بعد ذلك اقصى المدى في الاكتمال...

وأدى تفوق النورمانديين في شؤون العمارة والهندسة الى تشييد الكثير من الكاتدرائيات التي تعد من أجمل المباني في العالم... ولا يزال برج لندن وكاتدرائية كانتربري يشهدان بالتفوق النورماندي في العمارة والهندسة... ولا يزال العهد الاعظم، أو الماجناكارتا، يعبر عن التقدم الديمقراطي الحر للنورمانديين، ويعتبر المقدمة لوثيقة الاستقلال الامريكي، ولمبادىء الثورة الفرنسية... وفي هذا العهد ظهر "شوسر"، رائد الشعر الانكليزي الحديث، في النصف الاول للقرن الخامس عشر، ومهد لظهور شكسبير العظيم من بعده في النصف الثاني للقرن السادس عشر...

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبعد اكتشاف أمريكا وحركات الهجرة الكبرى العالمية اليها، والملاحة العالمية عن طريق رأس الرجاء الصالح، واحتلال بريطانيا مكانا وسطا في العالم بعد أن كانت تعتبر أحد اطرافه في هذين القرنين ظهرت التغيرات الكبرى في الحضارة الانغلوسكسونية...وكانت بريطانيا مسرحا للتطورات الجديدة في الدين والسياسة والاجتماع والثقافة... وتولى رجال من الطبقة الوسطى شؤون الادارة والحكم، وظهرت فيها بداية الاكتشافات العلمية التي مهدت لقانون الجاذبية على يدي نيوتن، ولاختراع الميكروسكوب والتلسكوب... كما شيدت آيات الفن المعماري التي لا تزال تأخذ بالابصار والعقول لكن ذلك العصر لم يخل من بذر شرور نمت من بعد، حتى تفاقمت في هذا الزمان. فقد كانت الملكة اليزابيت الاولى، وغيرها من حكام بريطانيا يعاملون الايرلنديين معاملة الامريكيين للهنود الحمر، وينهبون ثرواتهم ويبدلونهم بالرخاء والغنى عسرا وفقرا...وقد أدى ذلك الى كراهية الايرلنديين للانكليز، وهي كراهية نمتها عوامل الاختلاف المذهبي الديني بين الكاثوليك والبروتستانت...حتى أخذت طابع الحرب الاهلية في هذه الايام...

لكن عصر الملكة اليزابيت الاولى شهد انتصارا تاريخيا كانت له اثاره القوية في بناء مستقبل بريطانيا الدولي، وسلطانها العالمي، وحضارتها الرائدة.

ففي حومة الصراع الدولي، أعلن "فيليب" ملك أسبانيا الحرب على بريطانيا..وتحرك أسطوله البحري الضخم، "الارمادا"، نحو الجزر البريطانية حتى بلغها في تموز عام ثمانية وثمانين وخمسمائة وألف.

وأستطاعت السفن البريطانية الصغيرة السريعة، بما تحمله من مدافع بعيدة المدى فوق سطحها وفي باطنها، وأعداد قليلة من المحاربين المهرة فوق كل منها، واستطاع التقدم العسكري البريطاني أن يدمر الاسطول الاسباني، وأن يرد ما بقي منه على أعقابه مهزوما متداعيا.

وكانت هذه المعركة نقطة تحول في الحضارة البريطانية...فقد هزمت "الارمادا" على يد البحرية التجارية، وبأيدي التجار الذين حصنوا سفنهم لمواجهة أعمال القرصنة، وتأمين ما يصيدون ويستوردون من البضائع والمنتجات...ولهذا وقف هؤلاء التجار الاحرار يؤازرهم الشعب، وقد زاد ثقة بنفسه، في وجه محاولات الطغيان، وادعاءات الحق الالهي التي حاول جيمس الاول وشارل الثاني النكوص اليها...وانتصرت الحرية الشعبية على مطامع الاستبداد الفردي.

وصحب هذا النصر العسكري السياسي نصر أدبي لعله كان من دعائم الاول وبواعثه...ذلك هو ظهور "شكسبير" الخالد على الزمان، وما ملأ به الافكار وقوى من الارادات والعزائم...وكانت آراؤه، في مواجهة الازمات والتغلب على المصاعب، ذات اثر كبير في تنمية الحرية الفردية، وفي اثارة معاني البطولة والمغامرة والانتاج والتفوق..

قمة الحضارة الانغلوسكسونية

وبلغت الحضارة البريطانية قمتها في القرن التاسع عشر...وظهر التفوق على أتمه في ميدان الثورة الصناعية التي مكنت بريطانيا من تحقيق أهدافها في الداخل وسيطرتها الاستعمارية العالمية...

ففي بريطانيا أخترعت الآلة البخارية والآت الغزل الحديثة، وأنوال النسيج الآلية، وتطورت

وسائل صهر الحديد، كما تقدمت وسائل المواصلات من انشاء الطرق وبناء الجسور ومد السكك الحديدية وحفر القنوات...

واذا تم لغيرهم اختراع تفوقوا في الاستفادة منه. وفي ذلك تقول الامريكية "ماي لمبرتون بيكر" في كتابها: "انكلترا: شعباً وحكومة":

"وعندما اخترع "روبرت فولتون" الامريكي السفينة البخارية تنبه الملاحون الانكليز الى أهميتها، ولم ينقض وقت طويل حتى كانت ثلاثة أرباع السفن التي تجوب البحار سفنا بريطانية، وذلك فضلا عن أن تسعة أعشار السفن البخارية في العالم كانت بريطانية أيضا. ففي يوم وليلة تقريبا ظهرت بين الانكليز موهبة في الاعمال الميكانيكية استطاعوا بواسطتها أن يتوصلوا الى تطبيقات عملية مفيدة لاية فكرة جديدة.

"قامت المصانع في انكلترا بالمئات والآلاف، في الشمال كما في الجنوب، ونشأت مدن جديدة، وأبحرت السفن الى اقاصي الارض تحمل المنتجات التي كتب عليها (صناعة بريطانية) لتعود محملة بالمواد الغذائية التي لم تعد حقول انكلترا الخصبة تنتج كفاية البلاد منها. وهكذا أصبحت بريطانيا - تلك الجزيرة الصغيرة - اعظم مراكز العالم الصناعية. وأتاحت لها أسبقيتها في هذا الميدان أن تصبح أغنى بلاد العالم".

كما تقول في المقدرة البريطانية على مواجهة الازمات وتخطيها، وأن كان للاستغلال الاستعماري الفضل في هذا:

ومن الازمات التي واجهتها البلاد في ذلك القرن تلك الازمة التي حلت بصناعة القطن في لانكشير في اثناء الحرب الاهلية الامريكية اذ اضطرت معظم المصانع الى التوقف عن العمل لانقطاع ورود القطن الخام الذي كانوا يقومون بغزله. وقد أمكن في النهاية انتاج بعض القطن في مصر، ولكن بعد أن كانت الفاقة قد شملت عددا كبيرا من الاسر التي كانت تعتمد على مصانع القطن. ومع ذلك، فرغم هذه المشكلات المحلية، ورغم انتشار البطالة من حين لآخر، فأن مستوى المعيشة ظل مضطردا في ارتفاعه طيلة القرن التاسع عشر.

والواقع أن بريطانيا لم تكن تنتج الا قدرا ضئيلا من استهلاكاتها الوطنية ومن أسباب الترف والبذخ في حياة أبنائها... فقد كانت تستورد من مستعمراتها المترامية في أرجاء العالم... كانت تستورد من كندا وسائر الامريكتين، ومن أستراليا والهند وجنوبي افريقية، وسائر القارة السوداء من الجنوب حتى اقصى الشمال في مصر، ومن جزر الهند الغربية والملايو وسائر القارة الاسيوية، ومن البلاد الاوروبية... وكانت سيطرتها الاستعمارية تمكنها من الاستيراد في كثير من الاحوال بأرخص الاثمان أو بما يشبه المجان...

انكماش بريطانيا الحضاري

وفي القرن العشرين واجهت بريطانيا التحول من الدولة الغربية الاولى، عالية الكلمة في المجال الدولي والحضاري الى دولة من الدرجة الثالثة... وتنازلت عن مقوماتها المستقلة ودورها القيادي لتصبح دولة أوروبية من الدرجة الثانية تسبقها في المجال الحضاري المانيا الغربية وفرنسا... وانضمت بعد لاي وجهد الى مجموعة الدول الاوروبية الغربية التسع تلتزم بخططها السياسية والاقتصادية، بعد أن ظلت حليفا أو تابعا لامريكا منذ الحرب العالمية الثانية...

واذا تحدثنا عن الانكماش الحضاري لبريطانيا في هذا العهد، يجب أن نذكر مقومات الحضارة المعاصرة من التفوق الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي، والقوة العسكرية بأسلحتها المتطورة الشاملة التدمير... أما المعاني الفكرية والفلسفية فقد أصبحت في متناول الجميع، بعد ان اصبح الانسان في أي جانب من الارض مواطنا عالميا..

وكانت أسباب الانكماش الحضاري البريطاني ما حل ببريطانيا في الحربين العالميتين الاولى والثانية... لقد كانت الحرب العالمية الثانية أول حرب في المواقع ينزل دمارها بالجزر البريطانية، وتتعرض مباشرة لقصف المدافع المغيرة وقنابل الطائرات الفتاكة... ولم يسبق في تاريخ بريطانيا أن تعرضت لمثل هذه الحرب، وأن ظلت أرضها وبقي ماؤها بمعزل عن الحرب حتى اليوم...

وفي الحرب العالمية الاولى أرهقت بريطانيا، وفقدت ثلاثة أرباع المليون من أبنائها البالغ عددهم ستة وثلاثون مليونا ونصف المليون... ولهذا دخلت الحرب العالمية الثانية بشعب كثرته من الشيوخ والاطفال، وبذكريات أليمة عن الحرب الاولى، وبميزانية مثقلة بالاعباء بعد اضطرار بريطانيا لاقراض الكثير من الدول لتؤازرها في الحرب الاولى ثم اضطرارها آخر الامر الى الاقتراض من الولايات المتحدة الاميركية لمواجهة المطالب التي تزداد الحاحا على الخزانة البريطانية الخاوية.

وتعرضت بريطانيا لغارات المانية جوية لم يخطر مثلها هولا ببال الانسان من قبل... وامتد بعضها ثمانية وخمسين يوما كاملة.

وظل الشعب يقاوم وظلت دائرة الحلفاء تتسع ودائرة الاعداء تضيق، حتى خرجت بريطانيا منتصرة من الحرب العالمية الثانية رسميا لتتخلى عن قيادة المعسكر الغربي للولايات المتحدة الامريكية ولتفقد مستعمراتها، ولتسعى للتعاون مع الدول التي تحررت من الاستعمار البريطاني، ولتذوق شيئا من مرارة الآلام التي جرعت شعوب الارض الكثير من كؤوسها...

لكنها لا تزال تحتفظ بمقوماتها الحضارية، وبدورها الثالث في المجتمع الدولي...

العقد الفريد لابن عبد ربه

د. الطاهر احمد مكي

كانت الحملة الاسلامية في شبه جزيرة ايبريا، المدخل في الجنوبي الغربي لاوروبا اروع عمل حربي عرفه تاريخ العصور الوسطى. ففي خلال سنوات سبع تم فتح شبه الجزيرة، وقدر للحضارة العربية، بعد نصر يبدو كأنه اسطورة ان تستقر فيها وتزدهر. وان يصبح لها بعد قليل طابعها المميز على الرغم من اصولها المشرقية.. وان تصبح قرطبة عاصمة الدول الجديدة مركز الثقافة في اوروبا، وبؤرة التحضر، فكانت مدينة مرصوفة الطرق، مضاءة الشوارع، تزخر بالحمامات العامة، في الوقت الذيكانت فيه جامعة اكسفورد - مثلا - ترى في الاستحمام عادة وثنية ينبغي الابتعاد عنها.

وكانت لها احدى وعشرون ضاحية ولها سبعون داراً للكتب، ويتجاوز سكانها المليون عدداً، عامرة بالمدارس والمساجد، واليها الرحلة في رواية الشعر، ومنها كان علماء الاندلس، واليها يقصد علماء المشرق، ممن يرومون الشهرة، او يبغون الثروة، او يريدون ان يضيفوا الى علمهم جديداً.

وكان المجتمع الاندلسي بعامة، والقرطبي بخاصة، حضرياً مترفاً، بلغ فيه الذوق العام قدراً عالياً من الرقة وتذوق الفنون الجميلة، يطرب للموسيقى، ويهتز للانشاد الجميل، والغناء الحلو، وتأسره الطبيعة بجمالها، وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية، والجنان الخضرة، والبحيرات المتصلة، والانوار المنتشرة، في عصر الحصون والاسوار والقصور المظلمة.

ولقد وصفتها بحق راهبة المانية شاعرة، من القرن العاشر الميلادي في قصيدة لها، بأنها: "جوهرة العالم المتألقة، نافقة بماهجها، مختالة بثقافتها، فاضت بينابيع المعرفة السبعة، وطبق اسمها الافاق، ابد الدهر، بما احرزت من نصر متواصل".

في قرطبة هذه ولد ابن عبد ربه، ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠م، وبها عاش طول حياته، وفيها توفي عام ٣٢٨هـ - ٩٤٠م.

★★

يذكر المؤرخون في التعريف بنسبه انه: "ابو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حيدر بن سالم القرطبي". ولا نعرف شيئاً كثيراً عن اسرته او طفولته، ولكن يمكن ان نتصور انه كعامة الاطفال على ايامه ذهب الى المدرسة الابتدائية، وكان التعليم في قرطبة دائماً ومجانياً، فحفظ سوراً من القرآن. وقصائد من الشعر، ودرس قليلا من النحو، وشيئاً من اللغة، وبعضاً من شعائر الدين، وتعلم جانباً من الرياضة، والكتابة والقراءة، وكان ذلك هو منهج التعليم في المرحلة الابتدائية بمدارس الاندلس. على ما يذكر ابن خلدون.

فاذا تجاوز سن الطفولة الى مرحلة الشباب، درس الشائع في عصره من ادب وتاريخ ولغة، وفقه وتفسير وحديث، على أجلة العلماء في المدينة، فكان من اساتذته: محمد بن وضاح، وبقي بن مخلد، ومحمد بن الحارث الخشني. وعن تحصيله يقول ابن خلكان: "كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس".

وقد انتمى الى بلاط الامير محمد بن عبد الرحمن الداخل شاباً فتياً، ولازمه طوال مدة امارته (٨٥٢ - ٨٨٦م)، وترك هذا فيه ابلغ الاثر. لقد كان الامير واقعاً تحت تأثير اعظم شخصيتين في قرطبة في ذلك الوقت يحيى بن يحيى الفقيه، وزرياب المغني، فجاء ابن عبد ربه موزع القلب بين هذين الامرين، كان فقيها دارساً، وبهذا اللقب عرف تكريماً له على طريقة عصره، وكان صاحب لهو يطرب ويشرب ويعشق. واذا كان مؤرخو عصره قد مروا بالجانب الثاني من حياته سراعاً، ورعاً منهم

او اجلالا له، فقد اعترف هو بأنه يحب سماع الموسيقى والاغاني، على طريقة اهل المدينة، وانه يشرب النبيذ جرياً على مذهب اهل العراق.

وقد حار المتأخرون من علماء المشرق والمغرب في امره، ازاء المتناقض من خبره، فبينما يمدحه مواطنه صاحب كتاب "بغية الملتمس" بأنه: "كانت له ديانة وصيانة"، ويقول عنه ياقوت الحموي في "ارشاد الاريب": وكانت لابي عمرو بالعلم جلالة"، نجد فيما وصلنا من شعره، ومن الملامح العامة "لعقده"، انه عب من المباهج الحسية لعصره، وشارك فيما كان يجري حوله من شرب ولهو وطرب.

روايتان غير متناقضتين

ولا تناقض بين الروايتين فيما ارى، فاحداهما تصفه شاباً مقبلا على الحياة اخذا من مباهجها بقدر واسع، والاخرى تتحدث عنه شيخاً مدبراً عن الدنيا، زاهداً فيها، يحاول ان يتزود لاخرته باوفى نصيب، ولقد عمد في اخريات ايامه الى اشعاره في الغزل والشراب فمحصها، ونقضها بمثيلها في المواعظ والزهد، وسماها "الممحصات وجعلها على اعاريض تنك وقوافيها.

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الامير محمد ابنه المنذر، ثم أخاه عبد الله من بعد، وعبد الرحمن الناصر اخيراً، وكان معهم جميعاً شاعر البلاط ونديمه، وقال في غزوات الناصر وانتصاراته شعراً كثيراً، وخصه بأرجوزة ذكر فيها كل سنة من مغازيه على حدة، ولكن ليس في شعره او "عقده" ما يدل على انه شخصياً كان يشارك في الحرب، او يسهم فيها بنصيب، مقاتلا او مدافعاً، او مقوياً لعزائم الجنود.



كان ابن عبد ربه كاتباً وشاعراً ووشاحاً.

وفي مجمل الكتابة لا نعرف له نثراً وصلنا، يمكن ان نستدل به على مكانته في هذا الفن غير مقدمات لابواب "عقده"، وهي تمتاز بوضوح العبارة، ودقة الاسلوب، وازدواج الجملة، والخلو من الغريب والبعد عن التكلف والتعقيد.

وتنسب اليه المصادر الاندلسية انه كان وشاحاً، ويذهب بعضها الى انه مبتدع فن التوشيح، والاحتمال الاول ممكن والثاني بعيد، ذلك ان الموشحات ابتدعت في ايامه، وعلى يد زميل له شاعر واعمى في بلاط الامير عبد الرحمن، هو مقدم ابن معافى القبري، فمن المرجح أن ابن عبد ربه سابقه منافسة، وواكبه اعجاباً، ولكن موشحات الاثنين ضاعت كلها، ربما لانها كأي عمل رائد في خطواته الاولى، لم تبلغ الغاية تجويداً واتقاناً، فنسيها الناس مع روائع الموشحات التي اغرقت الاندلس بعد ذلك بمائة عام.

أما شعره فكان موضع اعجاب القدامى وتقديرهم، قال عنه الفتح بن خاقان في "مطمح الانفس: "انه حجة الادب، وان له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الاحسان وسهاه".

وروى ياقوت في "معجم الادباء" ان ابا الوليد ابن عسال لقي المتنبي في مسجد عمرو بن العاص، وان المتنبي قال له: "انشدني لمليح الاندلس، يعني ابن عبد ربه، فانشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول انيقاً
ورشاً بتقطيع القلوب رفيقاً
ما ان رميت ولا سمعت بمثله
دراً يعود من الحياء عقيقاً
واذا نظرت الى محاسن وجهه
ابصرت وجهك في سناه غريقاً
يا من تقطع خصره من رقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقاً

فاستعاده المتنبي، ثم صادق بيديه وقال: "يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا".

وقد ذكر ابن خلكان في "وفيات الاعيان": أن له ديوان شعر جيد"، وذكر الحميدي في كتابه "البغية": انه كان في نيف وعشرين جزءاً. وقد ضاع ديوانه، ولم يصلنا من شعره الا ما اورده في "العقد" وما رواه له الثعالبي في "يتيمة الدهر"، وهو قدر يكفي للحكم على شاعريته واراها في مستوى معظم شعراء الاندلس، محققة، ذات عرض بارع، ووقع موسيقى حلو، وخيال جيد، وبساطة جملة، لا ترتفع به الى مستوى الشاعر الفحل، كما لا تهبط به حيث الشعر ساقط، والشعراء اراذل.

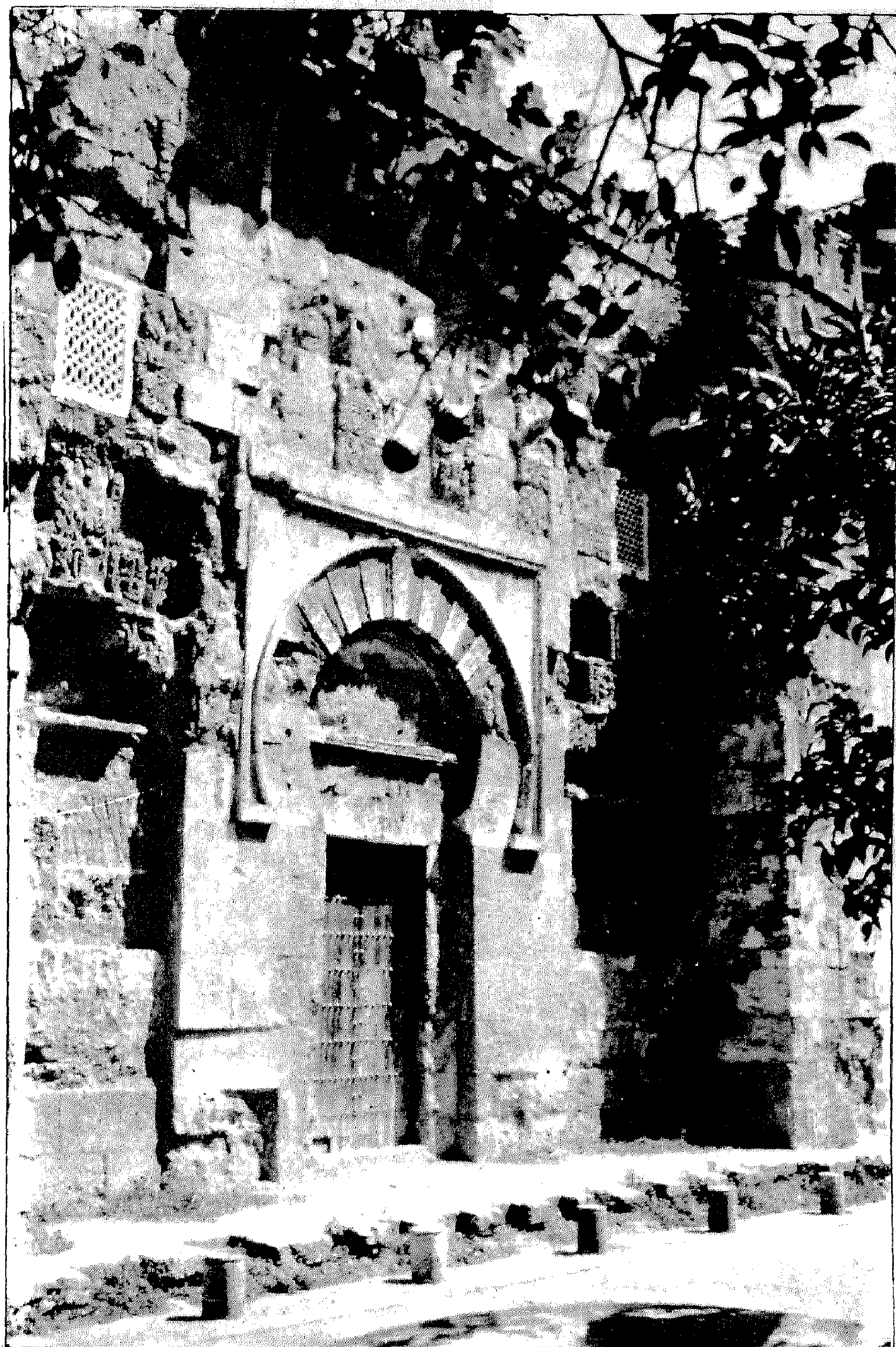
وله ارجوزة تاريخية، فيما شهد من حكم الناصر واحداثه، واذا كان النقاد العرب، ومفهومهم للشعر يقف عند الجانب الغنائي منه، يرونها نظماً لا اهمية له، فان المستشرقين الاسبان يرونها، وغيرها من مثيلاتها الاصل الذي احتذاه شعر الملاحم الاسباني فيما بعد.

"العقد الفريد"

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه "العقد الفريد"، وليس له بين أيدينا كتاب آخر، وان كان حاجي خليفة في فهرسه: "كشف الظنون" ذكر ان له مؤلفاً ثانياً اسمه: "اللباب في معرفة العلم والادب"، ولم ترد اليه اية اشارة اخرى في مصدر اخر، ولم يعثر له على اثر. ومن هنا يظن ان "اللباب في معرفة العلم والاداب" ليس الا جزءاً من "العقد" نفسه، اورده المؤلف تحت عنوان "الياقوته في العلم الادب".

بقي لنا اذن من تراث الاديب الاندلسي كتاب "العقد" وحده، وليس ذلك بالشيء القليل فهو يمثل الان في حياتنا الثقافية والادبية المرتبة التي تلي كتاب "الاغاني".

وقد درج الناس على تسميته بالعقد الفريد دون شك يراودهم في ان زيادة لحقت اسمه، او تحويراً اصابه، الى ان كتب المستشرق الالماني بروكلمان



□ المدخل الشرقي للجامع الكبير ـ قرطبة ـ اسبانيا من كتاب روائع الآسلام ـ ويلفريد بلنت ـ (ص-٣٩).

مادة "ابن عبد ربه" في دائرة المعارف الاسلامية، فاوضح ان كلمة الفريد "اضافها المتأخرون"، دون ان يستطرد الى ذكر ما يساند رأيه، وان يكن من الواضح الان ان العالم الالماني قرر ذلك اعتماداً على ان جميع المصادر الاولية، لا يرى فيها "العقد" منعوتاً بالفريد، وكان الوحيد الذي اورده منعوتاً هو الابشيهي في كتابه "المستطرف في كل فن مستظرف"، ومع ذلك فان من الصعب الجزم بأن هذه الكلمة اضيفت فيما بعد، واصعب منه تحديد الزمن الذي اضيفت فيه، وتعدد من اهملها وتفرد من اوردها، لا يقوم وحده دليلا كافياً على نفي او اثبات، وبخاصة ان كلمة "الفريد" توجد في كل المخطوطات التي بين ايدينا.

وقد قسم صاحب العقد كتابه الى خمسة وعشرين كتاباً، اي فصلا او باباً، في خمسة وعشرين فنا، ثم تصور عقده مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة، اثنتا عشرة في جانب واثنتا عشرة اخرى في جانب، وجعل للعقد واسطة، لكنه لم يسم الا الاثنتي عشرة الاولى، فلؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة، ومرجانة وياقوتة، وجوهرة وزمردة، ودرة ويتيمة، وعسجدة ومجنبة واما الاثنتا عشرة التي في الجانب الآخر فهي نفسها التي في الجانب الاول مكررة.

وشملت هذه الكتب نظم الحكم، تحت اسم السلطان، والحروب ومدار امرها الاجواد والاصفاد، والوفود، ومخاطبة الملوك، والعلم والادب، والامثال، والمواعظ والزهد، والتعازي والمراثي، والنسب وفضائل العرب، وكلام الاعراب، والاجوبة، والهدايا والفكاهات والملح، والطعام والشراب، وطبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، والمتنبئون والممرودون والبخلاء والطفيليون، والنساء وصفاتهن، وعلم الالحان واختلاف الناس فيه، واعاريض الشعر وعلل القوافي، وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، وأيام العرب ووقائعهم، واخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة، والخلفاء وايامهم، والتوقيعات والفصل واخبار الكتبة، والخطب.



دائرة معارف

من استيعاب مادة العقد يبدو ان مؤلفه كان يهدف الى وضع دائرة معارف صغيرة، تفي بمطالب الاديب على النحو الذي كان يطلب منه في ذلك العصر، من الالمام بطرف من كل علم، فهو يعرض لكل ضروب المعرفة في عصره، على النحو الذي ازدهرت عليه في المشرق، على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبة واخرين.

وكان "عيون الاخبار" لابن قتيبة من اوضح المصادر المشرقية اثراً في العقد الفريد، فقد كان الكتاب رائجاً في الغرب الاسلامي، وتميز مؤلفه بين معاصريه، ومن سبقهم، بتنظيم مؤلفاته، وتسلسل افكاره، يسوق الباب ثم يتبعه بما هو قريب اليه او مناسب له وهو المنهج نفسه الذي سلكه ابن عبد ربه في العقد، بل اخذ ابن عبد ربه جانباً كبيراً من مادة "عيون الاخبار" ونقلها الى كتابه. ويعترف بذلك احياناً، ويسكت احياناً اخرى.

كما افاد مما حكاه ابو عبيدة في "النقائض" و"أيام العرب" ومن الجاحظ في "البيان التبيين"، فنقل عنه فصولا في العتاب واستنجاز الوعد، والاعتذار وكتابة الرسائل. واخذ عن "الكامل" للمبرد الكثير من اخبار الخوارج، وعن الطبري من كتابه "تاريخ الامم والملوك"، وعن ابن سلام الجمحي من كتابه "طبقات فحول الشعراء"، واخرين كثيرين.

واورد كثيراً من الايات القرآنية والاحاديث، واخذ عن التوراة والانجيل وتمثل بكثير من الحكم الفارسية والهندية، واقتبس من ارسطو، وهي معارف توجد متناثرة بكثرة في المصادر المشرقية التي افاد منها.

لكن ابن عبد ربه لم يقف عند المصادر المشرقية وحدها، وانما عرض لتاريخ الاندلس حتى زمنه، وخص عبد الرحمن الناصر بأرجوزة اورد فيها مآثره، ولكن حظ الاندلس اذا قيس بما خص الشرق العربي قليل، وهي ملاحظة لم تغب عن الاقدمين انفسهم. فقد رووا ان الصاحب بن عباد حين قرأ "العقد" قال: "هذه بضاعتنا ردت الينا".

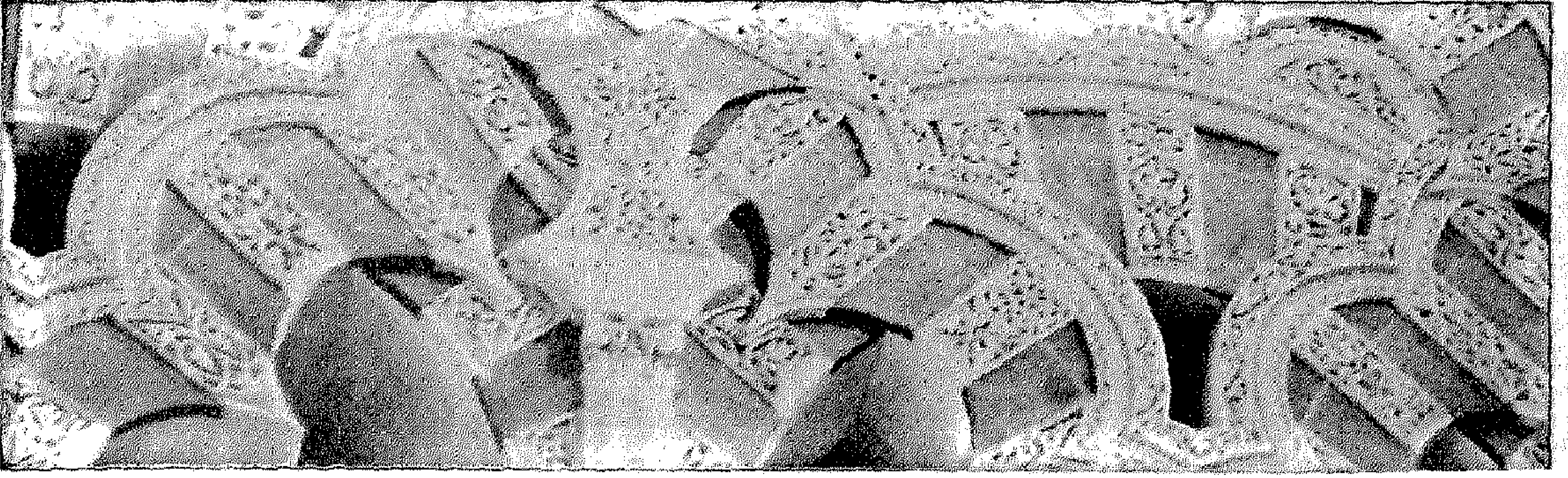
وقد اورد ابن عبد ربه منهجه في تأليف الكتاب واضحاً في مقدمته فهو:

يختار، ويحسن الاختيار، وينتقي جواهره من خير ما في الادب، ومن جوامع الكلم، وان له: "تأليف الاخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والادباء، واختيار الكلام أصعب من تأليفه".

وانه نخل نظائر الكلام، واشكال المعاني، وجواهر الحكم، وضروب الادب، ونوادر الامثال، ثم قرن كل جنس منها الى جنسه، فجعله بابا على حدة، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب.

وانه تخير من جملة الاخبار، وفنون الاثار، اشرفها جوهراً، واظهرها رونقاً، والطفها معنى، واجزلها لفظاً، واحسنها ديباجة، واكثرها طلاوة وحلاوة.

وانه حذف الاسانيد من اكثر الاخبار، طالباً للاستخفاف والايجاز، وهرباً من التثقيل والتطويل، لانها اخبار وحكم ونوادر، لا ينفعها الاسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها.



[illegible] عام ١٩٦٢.

وانه نظر في بعض الكتب الموضوعة فوجدها غير متصرفة في فنون الاخبار، ولا جامعة لجمل الاثار. فجعل العقد شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة، وتدور على السنة الملوك والسوقة، وحلى كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الاخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرن بها غرائب من شعره، ليعلم الناظر في كتابه ان للمغرب على قاصيته، ولبلده على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور.

★★

يعد العقد واحداً من المصادر الهامة لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، فهو يضم بين صفحاته مادة وافرة من الاخبار والقصص والوثائق التي تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربي.

اخبار ووثائق

فكتاب السلطان - مثلا - يعطي صورة واضحة عن سياسة عمر، رقابته لعماله، والرسائل المتبادلة بينه وبينهم فيما يتصل بالثراء الفاحش الذي اصابوه فجأة، بعد ان تولوا الولاية، في هذا القطر او ذاك، من الامبراطورية الاسلامية الشاسعة، وفي كتاب الحرب حديث طويل عن فرسان العرب في جاهليتها واسلامها، وانفرد بأخبار ليست فيما وصلنا من المصادر الاخرى، كمشاورة المهدي لاهل بيته ووزرائه فيما يتصل بحرب خراسان. وأخبار زياد والحجاج والطالبيين تحتوي حقائق يعز العثور عليها في مكان آخر.

وقد سلمت اخبار "العقد"، نسبياً، من التشويه والتحريف والبتر، ومن هنا يمكن الاعتماد عليه في المقابلة بين النصوص المختلفة عند تحقيق ونشر المصادر التي اخذ عنها، او التي نقلت من رواة استند اليهم، وهو ما فعلته دار الكتب المصرية عندما حققت "عيون الاخبار"، لابن قتيبة، فقد الحقت به زيادات كثيرة نقلتها عن "العقد" وصححت عنه كثيراً من الاخطاء التي وجدتها في مخطوطات "عيون الاخبار" عند مقابلة نصوصها بما اورده العقد عنها.

وقد نقل عن "العقد" كثيرون جاءوا بعده، وافادوا من مادته الوفيرة، مثل: الابشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف"، واعترف بذلك في مقدمة كتابه، وابن خلدون في تاريخه، والقلقشندي في كتابه "صبح الاعشى" والبغدادي" في خزانة الادب" وغيرهم.

وعلى الرغم من المكانة التي يحتلها "العقد" في التراث العربي، كان حظه من الترجمة الى اللغات معدوماً، فلا نعرف له ترجمة الى اية لغة اجنبية، شرقية او غربية وان كان من المعروف ان مستشرقاً فرنسياً نقل منه الى الفرنسية كثيراً من النصوص التي تتصل بعرب الجاهلية، ونشرها في باريس اعوام ١٨٣٦ - ١٨٣٨.

كذلك اعتمد المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا على الكتاب الاول منه، والخاص بالسلطان، في بحثه عن: "اصول القضاء في ارغون" والذي استهدف فيه بيان تأثير النظم السياسية والقضائية والادارية لمسلمي الاندلس في مثيلاتها بممالك الشمال الاسبانية المسيحية.

★★

وقد اختصر "العقد" قديماً كل من:

الاول: ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الوادي اشي القيسي، المتوفي عام ٥٧٠هـ = ١١٧٤م وهو اندلسي من وادي اش، مدينة جميلة، تقع في مقاطعة غرناطة باسبانيا الان.

والثاني: جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي الشهير بابن منظور، صاحب معجم "لسان العرب" المتوفي عام ٧١١هـ = ١٣١١م.

واختصر حديثاً مرتين:

الاولى عندما عمدت لجنة من اساتذة دار العلوم في مصر الى اختصاره، استجابة لرغبة وزارة المعارف اذ ذاك، فاختارت بعض كتبه، وانتقت من هذه بعض اخبارها، وسمته "مختار العقد" ونشر عام ١٩١٢. والثانية تمت من عشرة اعوام عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته في سلسلة كانت تشرف على اصدارها. ■

قاموس اقتصادي

خطة

يقصد بالخطة التنظيم الذي يوضع خلال فترة معلومة من أجل تحقيق اهداف معينة . وحتى يتسنى للخطة القومية ان تحقق اهدافها ، يرى المعنيون بالامر أن يتبع النهج التالي :

اولا – يطلب الى الهيئات والمنظمات الانتاجية ان تقدم مقترحاتها بشأن ما تريد وما تستطيع انتاجه في فترة معينة ، وان تحدد تقديرها لما يحتاج اليه التنفيذ من خدمات ومعدات وعمل وغير ذلك . وعلى أساس هذه المقترحات والتقديرات يمكن اعداد المشروع الابتدائي للخطة .

ثانياً – تقوم هيئة (او لجنة) التخطيط العليا بدراسة هذه المقترحات والتوفيق بينها ، على أن تراعى امراً آخر هو تقرير نسبة ما يخصص من موارد البلد الانتاجية (خلال المدة المقررة) لكن من ادوات الانتاج وسلع الاستهلاك وهكذا يصبح لديها مشروع متناسق الاجزاء . ولابد لها من النظر الى مسائل الدفاع ، ورفع مستوى الحياة الثقافية (معاهد التعليم ، الصحف ، الكتب الخ) . وتحسين المستوى الصحي باعداد الاطباء والمستشفيات

ثالثاً – يرسل المشروع المؤقت الى الادارات الحكومية المركزية والمحلية والى الهيئات الانتاجية والمشروعات والمؤسسات المختلفة ، لدراسة كل ناحية من الاجزاء الخاصة بها ، وابداء ما يعني لها من ملاحظات ومقترحات .

رابعاً – ترفع هذه الملاحظات الى الهيئة العليا التي تعمل على ازالة اي نوع من التناقض فاذا تم ذلك عرض المشروع المتكامل على الجهات المختصة لتصدر القانون الخاص به ..

وينبغي عند اعداد الخطة ان تراعى بمنتهى الدقة مجموعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، نذكر منها :

١ – حركة السكان من حيث معدل الزيادة او النقص ، وذلك لتقدير طاقة المجتمع الانتاجية وكمية السلع الاستهلاكية ومستوى الاجور والميزانية

٢ – التركيب الاجتماعي للسكان ..

٣ – مقدار الدخل الاهلي والنسبة التي ينبغي ان يقسم بها بين انتاج سلع الاستهلاك وعمل ادوات الانتاج .

٤ – معدل الزيادة في الانتاج في عام بالنسبة الى العام الذي قبله

٥ – مسائل التجارة الخارجية واصدار النقد وموازنة الميزانية والضرائب ، وتحديد مقدار الاجور بطريقة توفق بين مصالح الاقتصاد القومي العامة ومصالح العاملين ..

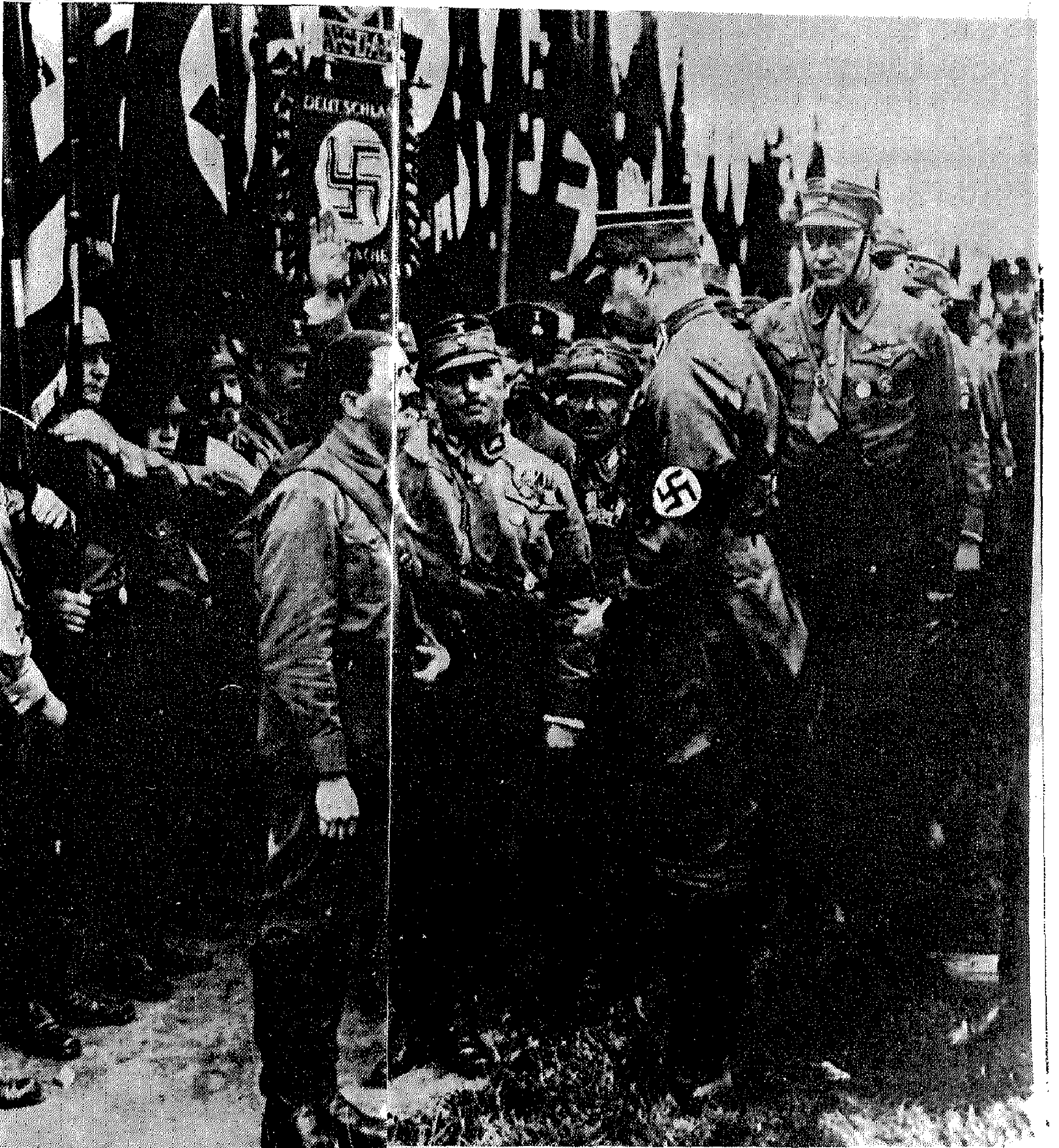
٦ – مقتضيات الدفاع الوطني من جميع نواحيه المادية والبشرية والفنية .

٧ – تهيئة الخدمات الثقافية والاجتماعية المختلفة

لَيْلة الأمواسِ الطّويْلة...

سَاعَة تحكّمت بمَصْير العَالَم!

عصام نعمان



☐ هتلر محاطا بفرقة من "القمصان البنية" ويبدو روهم في الوسط رافعا يده بالتحية النازية!

■ الثاني من آب (اغسطس) تاريخ بارز في حياة المانيا النازية، انه اليوم الذي توفي فيه، لثلاثين سنة خلت، الرئيس العجوز الماريشال هندنبرغ الذي كان يشكل العقبة الاخيرة في طريق استبداد هتلر المطلق. وبموته وحد الديكتاتور النازي منصبي الرئاسة والمستشارية (رئاسة الوزراء) في شخصه، فأصبحت ارادته قانونا وكلمته دستورا واهدافه مطامح للرايخ الثالث برمته.

على ان ذلك اليوم التاريخي ليس الحدث الاعظم في صعود هتلر الدامي الى قمة السلطة، اذ سبقته سلسلة من الاحداث بلغت ذروتها المفجعة في الثلاثين من حزيران (يونيه) ١٩٣٤. عندما نفذ هتلر، بلا رحمة، أضخم عملية تصفية في تاريخ حكمه المرعب، ذهب ضحيتها اكثر من خمسة آلاف شخص. انها الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" التي وطد فيها هتلر، وحده، نظامه النازي وكرس نفسه حاكما بأمره والها معبودا في طول المانيا وعرضها.

كيف تبدأ القصة...

لعلها تبدأ في الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ عندما زين المستشار الاسبق فرانز فون بابن والجنرال فون بلومبرغ، وزير الحرب الالماني، للرئيس هندنبرغ ان تسليم المستشارية لادولف هتلر (ونيابة المستشارية لفون بابن نفسه) هو الحل الامثل لانهاء جو الانقسامات الدامية والاضطرابات الواسعة التي كانت تعصف بالمانيا في مطلع عام ١٩٣٣.

وفي الواقع لم يكن الرئيس هندنبرغ معجبا بهتلر ابدا. اوليس هو القائل بعد مقابلته له عام ١٩٣٣: "اهذا الرجل يصبح مستشارا؟!... في وسعي ان اعينه مديرا للبريد. ليلصق الطوابع التي تحمل رسمي بلسانه". ومع ذلك فقد قبل بتكليفه بالمنصب نظرا لما كان لفون بابن من دالة عليه. اما فون بابن فكانت غايته من وراء ذلك واضحة: لماذا لا نهدىء هتلر بإخفاء مسؤوليات الحكم واعبائه عليه؟

ومع ان اعضاء القيادة العليا للجيش - وهم رمز عظمة المانيا العسكرية وكل ما بقي لها من رصيد بعد الحرب - كانوا منقسمين على انفسهم، فقد شاركوا فون بابن الاعتقاد بان مجيء هتلر الى الحكم مع اثنين من رفاقه فقط سيمكنهم من تحقيق هدفين مرة واحدة: الاول ان يركبوا المد الشعبي الهتلري. والثاني ان يعملوا على تقليم اظافر القادة النازيين اثناء مشاركتهم السلطة... بل ان بعضهم كان يمني النفس، الى جانب هذا كله، باعادة الملكية الى ربوع المانيا.

حساب الحقل.. وحساب البيدر

وطبيعي ان هتلر لم يكن غبياً ليصبح اداة في ايديهم بل كان يعتقد، على العكس من ذلك، انه



هتلر مع الرئيس هندنبرغ

من القوة بحيث يتمكن من استغلالهم للوصول الى مآربه. وجاءته - لحظة السعيد - فرصة سانحة في اواخر شباط ١٩٣٣ اذ احرق الريخيستاغ (البرلمان) بظروف مشبوهة فبادر فورا، ووسط ذهول الجميع، الى استغلال الحادث الى اقصى ما يمكن، فحل الحزب الشيوعي وطارد اعضاءه، وصادر الحريات العامة، وضيق على كافة خصومه السياسيين، حتى اذا جاءت الانتخابات، في مطلع اذار (مارس) وكان قد اعد لها العدة، فاز حزبه بـ ٢٨٨ مقعداً واقترع الى جانبه ١٧،٣٠٠،٠٠٠ ناخب. ومرة اخرى رأى من الافضل ان يضرب الحديد وهو حام فطلب من الريخيستاغ سلطات استثنائية سرعان ما حاز عليها باكثرية ٤٤١ صوتا مقابل ٩٤، والطريف انه ما ان اعلنت النتيجة حتى التفت الى مقاعد النواب الاشتراكيين وقال بلهجة دراماتيكية: "والان لم اعد بحاجة اليكم"!.

وفي خلال عام واحد كان الفوهرر قد قطع اشواطا بعيدة في تثبيت سلطته بعد ان اخمد كل معارضة، وحل كافة الاحزاب باستثناء الحزب النازي طبعا، وقبض على ناصية الاجهزة البوليسية ووضعها تحت قيادته مباشرة ممهدا لذلك بتعيين ساعده الايمن غورنغ وزيرا لداخلية بروسيا، وبربط كافة الاجهزة البوليسية في الولايات الاخرى بزعيم الحرس النازي الاسود هنريك هملر.

جيش الصاعقة... بالمرصاد

على ان وصول هتلر الى السلطة لم ينجه من خلافات حادة مع الذين عاونوه وحملوه على اكتافهم. وكان هؤلاء فئتان من الخصوم: الفئة الاولى تتمثل في قيادة الجيش العليا التي كانت على كرهها لهتلر وتخوفها من طموحه الشره - تماشيه على مضض لانه الوحيد، في نظرها، القادر على انهاء الاضطرابات التي مزقت البلاد، وعلى

توفير جو صالح لتحقيق حلم العسكريين الاغلى ــ اعادة تسليح المانيا وبناء جبروتها العسكري العظيم ·

وكان جيش الصاعقة او فرق القمصان البنية بزعامة الهر روهم يمثل الفئة الثانية من الخصوم · انهم عناصر نازية متطرفة وعميقة في تعلقها بالثورة الاجتماعية، قادتها تطورات الاحداث الى التعاطف مع شلة الهر غريغود شتراسر (من قدامى اعضاء الحزب) الذين خافوا بعد وصول هتلر الى قمة السلطة، ان تجتذبه الفئات الحالية الحاكمة، والقيادة العليـا للجيـش، والطبقـة الرأسماليـة المتحكمة، الامر الذي يعرض "الثورة الاجتماعية المستمرة" الى اخطار جمة·

روهم يثير مخاوف الفوهرر

وفي ربيع عام ١٩٣٤ كان قلق هتلر الشديد من خصومه المتجمعين في جيش الصاعقة قد اخذ منه كل مأخذ· وكيف لا يخاف وقد اضحى جيش الصاعقة الان ــ بعد اندماج العديد من المنظمات في صفوفه ــ ثلاثة ملايين من المجندين والمدربين الذين، وان كانوا يمحضونه الولاء المطلق، الا انهم ليسوا تحت اشرافه على كل حال· وزاد في قلق هتلر ان روهم ما كان ليخشى تهديدات هتلر المتواصلة الموجهة "الى كل من يجرؤ على رفع رأسه ضد سلطة الدولة"، اذ انه اصدر في ١٨ نيسان (ابريل) على الرغم من تحذيره من خطورة هذا السلوك التحدي التالي:

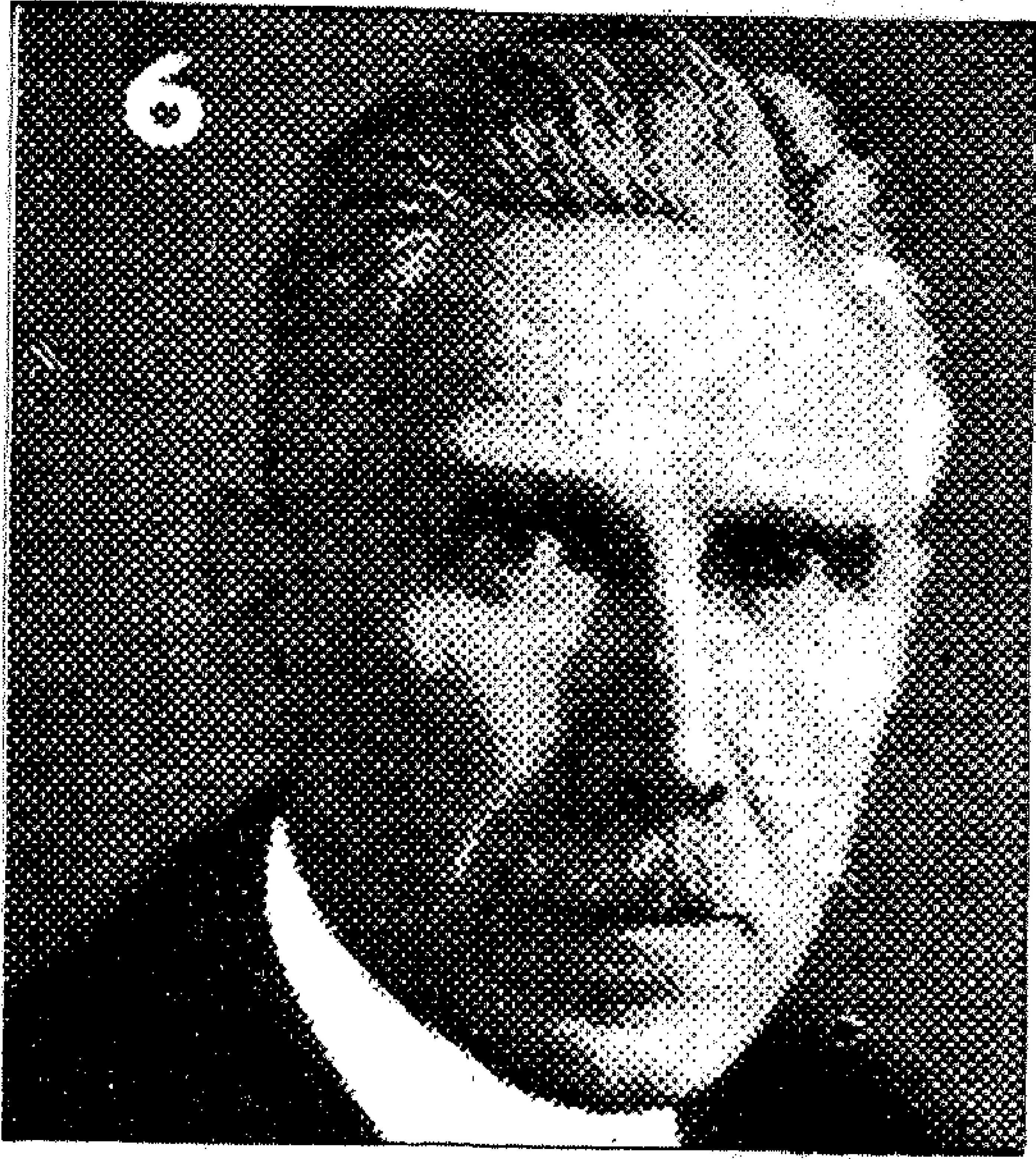
"ان الثورة التي قمنا بها ليست مجرد ثورة وطنية بل ثورة وطنية اشتراكية، وعلينا ان نؤكد بصورة خاصة كلمة اشتراكية· والحاجز الوحيد الذي يقف في طريق الرجعية ممثل في فرقنا الهجومية التي هي التجسيد المطلق للفكرة الثورية···"

ولعل روهم نسي ان يختم مقاله هذا بعبارة "هايل هتلر" "المألوفة··فكان ان اخذ هتلر علما بذلك!

لماذا لم يقنع هتلر بمفهوم الثورة الاجتماعية المستمرة؟ لان الثورة الاجتماعية كما يفهمها روهم وفرقه البنية كانت تعني امتصاص القيادة العليا للجيش والسيطرة على الدولة من خلال ما يسمى بالتعبئة الشعبية الدائمة···وهي عملية طويلة ودقيقة لا تسمح للفوهرر ان يستغل، وبسرعة، خبرة القيادة العليا لتسليح المانيا من اجل تحقيق حلمه الغالي الذي تضمنه كتاب "كفاحي" وهو بسط سيطرة الرايخ الثالث على كافة اصقاع اوروبا·

مطامع روهم ومخاوف القيادة العليا

وفي هذه الاثناء كانت القيادة العليا تراقب بحذر وخوف شديدين اتجاه روهم المناهض لكيانها



ـ فون ـ بن ·

الخاص ولكرامتها العسكرية الشامخة ولدورها التاريخي في اعادة تسليح المانيا· وهي ما كانت لترضى باعلان هتلر لوحدة الحزب والدولة لولا وعده لها بان ذلك يستتبع عمليا انهاء المنافسة بينها وبين قيادة جيش الصاعقة بدمج هذا الاخير بالجيش النظامي لكي تصبح كافة القوات المسلحة تحت أمرتها· ولما غدت مشكلة دمج فرق القمصان البنية شغل البلاد الشاغل في منتصف الربيع حتى أخذ روهم ــ وقد عزت عليه التضحية بجيشه ــ يضع العراقيل في طريق الدمج الكامل في الوقت الذي اصبح فيه الجنرال بلومبرغ، وزير الحرب، دائم التذمر من نشاط القمصان البنية وحماقاتهم·

هتلر والخيار الصعب

عند هذه النقطة بالذات كان على الفوهرر ان يختار بين القيادة العليا التي تكرهه وتماشيه وبين قادة جيش الصاعقة الذين مكنوه بأرهابهم الواسع من ان يصل الى قمة السلطة· انه لخيار صعب، ومع ذلك فقد كان بامكان هتلر ان يفكر في الامر مليا ليأتي قراره ناجحا وحاسما· وفي الواقع فانه ليستشعر خطورة انتصار روهم على القيادة العليا· ان ذلك يعني شيئا واحدا: وصول روهم الى حلمه القديم باستلام مقاليد وزارة الحرب للسيطرة على القيادة العليا، وبالتالي على الجيش النظامي الجديد والضخم الذي سيزداد عدده بدمج جنود الصاعقة· وعندما وصل تفكير هتلر الى هذه النقطة ادرك ان ما من قوة تمنع روهم، عندئذ، من ان ينقض علىالحكم لتنكسـف الـى الابـد شمـس الفوهرر·

ولم يكن روهم ليدرك من ناحية اخرى وجه الخطورة في ان يكون هتلر قد اعتمد عليه في يوم من الايام، وانه قد يصبح تحت رحمته مرة اخرى اذا قيض لروهم الانتصار على القيادة العليا. ومما زاد في سوء حظه انه لم يكن مستسلما لهتلر شأن بقية الزعماء النازيين، بل لقد حاول استمالته الى صفه وعندما اخفق لم يضرب بارائه الخاصة عرض الحائط بل اخذ يبحث عن حلفاء جدد. لقد عارض نزوع هتلر الشره نحو الطغيان الكامل، وهاجم تدمير النقابات العمالية، وتعاطف لنفس السبب مع غريغور شتراسر الذي كان هتلر قد حقد عليه بسبب عدم شجبه لنشاط الجنرال فون شليخر - عدوه اللدود ومنافسه الاقوى على المستشارية.

وفوق هذا وذاك كان روهم يقوم ببعض التصرفات التي تعكس استقلاله الذاتي وطموحه القتال، كان يستضيف مثلا السفير الايطالي عدة مرات، أو يجتمع بالسفير الفرنسي، او يصرح بأن جيش الصاعقة لا يشكل خرقا لمعاهدة فرساي.

روهم: هتلر حمار!

في وسط هذا الجو المكهرب اخذت شائعات "خيانة الفوهرر" لقضية الثورة الاجتماعية تعم بعض اوساط الحزب النازي. وقد نسب الى روهم قوله في سياق حديث له ان هتلر حمار وأن جيش الصاعقة سيتجاهل أوامره. ورغم ان هذا القول ظل يفتقر الى اثبات صحيح فقد كان ثمة قائد من قادة جيش الصاعقة اسمه فكتور لوتر يكن لروهم حقدا عظيما، تبرع بنقل الحديث الى هتلر الذي طلب اليه ان يتريث حتى تنضج الظروف!

واذا كان من حادث بارز ميز هذه الفترة - وقد أصبحنا الان في مطلع شهر حزيران (يونيه) - فهو المقابلة العاصفة التي اجراها هتلر مع روهم ودامت خمس ساعات متواصلة، من اجل الوصول الى تسوية. وفيها تأكد هتلر ان ثمة هوة شاسعة تفصله عن روهم وأن لا سبيل الى اقناع هذا الاخير مع انه تظاهر في نهاية المقابلة "بالاقتناع". ومرة اخرى أخذ هتلر علما بذلك!

فون بابن يتحرك...

في غمرة الصراع الخفي بين هتلر والقيادة العليا من جهة، وروهم وجيش الصاعقة من جهة اخرى برزت جبهة ثالثة من القوميين المحافظين والمستقلين، اخذت تلتقط انفاسها وتمسح عن أجهزتها اثار الذهول التي خلفتها ضربات هتلر المحكمة لخصومه السياسيين والارهاب الواسع الذي نشره جيش الصاعقة في شتى الميادين. وقد رأى هؤلاء الناس في شخصية نائب المستشار فون بابن ومكانته العالمية خير واجهة لهم في مقاومتهم للنظام الجديد. وكان ثمة اثنان منهم - الاول كاتب بروتستانتي يدعى "ادغار يونغ" والثاني كاثوليكي يدعى "هوبرت فون بوس" - يعاونان فون بابن في مكتبه. وحدث ان دعي فون بابن لالقاء خطاب في جامعة ماربورغ في ١٧ حزيران (يونيه) فلم يتوان "يونغ" عن استغلال الفرصة، وهي جد مؤاتية، اذ قام باعداد الخطاب - القنبلة الذي القاه فون بابن وسط ذهول الجميع. ماذا قال فون بابن؟

لقد حرص، في سياق كلمته، على امتداح هتلر اكثر من مرة، ولكنه حمل على تقييد حرية الصحافة واشاد بدورها الكبير في حقلي الاعلام والنقد والبناء، ثم لاحظ ان البلد تكاد ان تمزقه ثورة اجتماعية مستمرة الامر الذي يستدعي الاسراع في اسناد رئاسة الدولة الى شخص يعلو على المعارك السياسية لان ديكتاتورية الحزب الواحد ليست في نظره سوى فترة انتقالية تجد تبريرها فقط عندما يتوقف عليها استقرار النظام الجديد وختم خطابه بملاحظة قاسية:

يجب الا نعزل انفسنا عن بقية دول اوروبا... يجب الا نحبس انفسنا داخل قوقعتنا الفكرية. واذا كنا نتململ من غلاة النازيين فلأننا نفكر باولئك الذين يتطلعون، وهم بلا جذور، الى حرمان المفكرين والباحثين من نعمة الوجود لكونهم ليسوا اعضاء في الحزب. فلنحذر اذن من تنفير المفكرين في امتنا. وليسكت اولئك الذين يأخذون على المفكرين افتقارهم للحيوية. ان الخلط بين الحيوية والبربرية لا يعني الا الانحناء للعنف باخطر اشكاله..

انه ليصعب، في الواقع، تأكيد ما اذا كان فون بابن قد فهم الخطاب الذي اعده له "يونغ"، ولكنه قرأه على اي حال. اما الحضور فكادوا الا يصدقوا آذانهم. ومع ان غوبلز وزير الدعاية سارع الى حظر نشره وتوزيعه على صحف المانيا فقد تمكنت جريدة "فرانكفورتر زايتونغ" ان تنشر نصه الحرفي. كما ان جريدة "جرمانيا" الكاثوليكية تمكنت هي الاخرى من نشر نصه الحرفي وتوزيع اعداد منه. وسرعان ما تناقلته الالسن والشائعات الى كافة اطراف المانيا. وما ان ظهر فون بابن في ٢٤ حزيران (يونيه) في حفلة للسباق في هاملولاغ حتى التفت الجماهير من حوله واخذت تهتف له وتحييه.

لقد كان الهدف منوراء هذا الخطاب، بالنسبة ليونغ وفون بوس، تشجيع الاتجاه المعتدل في القيادة العليا - وهي للان اقوى قوة في المانيا - للوقوف في صف العاملين لاعادة الملكية الى البلاد. بيد ان قلة من الرجال، حازمة وصارمة، كانت تهيء، في نفس الوقت شيئا مغايرا، وقد اقنعها فون بابن والانباء المتواترة عن صحة الرئيس هندنبرغ ان عليها الان ان تكون في سباق مع الزمن.



□ روهم وغوبلز

اما فون بابن فقد هاج وماج لمصادرة خطابه وشفع غضبته بتقديم استقالته من نيابة المستشارية، ولكن سرعان ما تمكن هتلر من استرضائه واقناعه بانه ما دام قد رتب له موعدا لزيارة العجوز هندنبرغ فلماذا لا يذهبان سوية لمقابلته؟ وكان لهتلر ما اراد اذ اصطحب فون بابن الى نيوديك (مقر هندنبرغ) ولكنه استطاع تضليله هناك وحال بينه وبين مقابلة الرئيس في الوقت الذي كان هو يجتمع اليه ويحمله على الموافقة على الكثير من اعماله ومشاريعه.

على ان الفائدة الاساسية التي حصل عليها هتلر من ذلك الاجتماع، هي بلا شك، تأكده من أن هندنبرغ - وقد غدا الان في السابعة والثمانين - قد أنتهى وان عليه ان يضرب حوله ستارا من العزلة ليمنع عنه مقابلات الخصوم بانتظار اللحظة الحاسمة. ومنذ ذلك الحين اصبح يقال لفون بابن وغيره كلما حاولوا مقابلته ان صحته لا تسمح له بالقيام بأي نشاط.

صفقة الحياة والموت

قلنا ان صراع القيادة العليا مع روهم حول دمج جيش الصاعقة بالجيش النظامي قد وضعت هتلر امام الخيار الصعب...فمن اختار الفوهرر؟

لقد اقنعته مقابلة روهم الاخيرة في مطلع حزيران (يونيه) ان التفاهم مستحيل مع ذلك النازي المتصلب والطموح. فكان لا بد للفوهرر من أن يختار اهون الشرين - القيادة العليا.

وفي الواقع فقد بدا للمراقبين ان هتلر وبلومبرغ - ابرز قادة القيادة العليا ووزير الحرب.. قد عقدا صفقة فيما بينهما منذ زمن بعيد لعله يعود الى نيسان (ابريل) الماضي عندما اجتمعا على البارجة "دوتشلاند". وكانت الصفقة تنطوي على ما يلي: ان يخلف هتلر هندنبرغ في الرئاسة مقابل ان توضع سلفا كافة التشكيلات العسكرية في المانيا - وخصوصا جيش الصاعقة - تحت امرة القيادة العليا.

هذا هو مضمون صفقة الحياة والموت بين الرجلين..فمتى توضع موضع التنفيذ؟

فرصة العمر

كان هتلر قد قرر، بموافقة روهم البريئة، منح افراد جيش الصاعقة عطلتهم السنوية، ومقدارها شهر واحد، ابتداء من اول حزيران (يونيه).. اذن: ها هي ذي فرصة العمر تلوح في الافق، فهل هنالك، بعد، مجال للتلكؤ؟

وسارع هتلر الى اتخاذ الاجراءات الاخيرة الكفيلة بتحطيم قادة جيش الصاعقة، وكان مما يساعده على تنفيذ نواياه الجهنمية وجود صديقه هملر، منذ نيسان (ابريل) الماضي، في رئاسة الغستابو (البوليس السري الحكومي) واشراف هنريك هايدريخ - الذي خلف غورنغ في رئاسة غستابو برلين - على البوليس السري الحزبي. وهكذا اصبحت كافة التقارير والاخباريات التي تذهب الى هتلر والقيادة العليا تمر تحت رقابة هملر وهايدريخ. ومن الان فصاعدا اصبح روهم موضوع رقابة شديدة اخذت شخصيته بنتيجتها تتخذ طابعاً شريراً ومتآمراً في كافة التقارير المرفوعة الى اعلى.

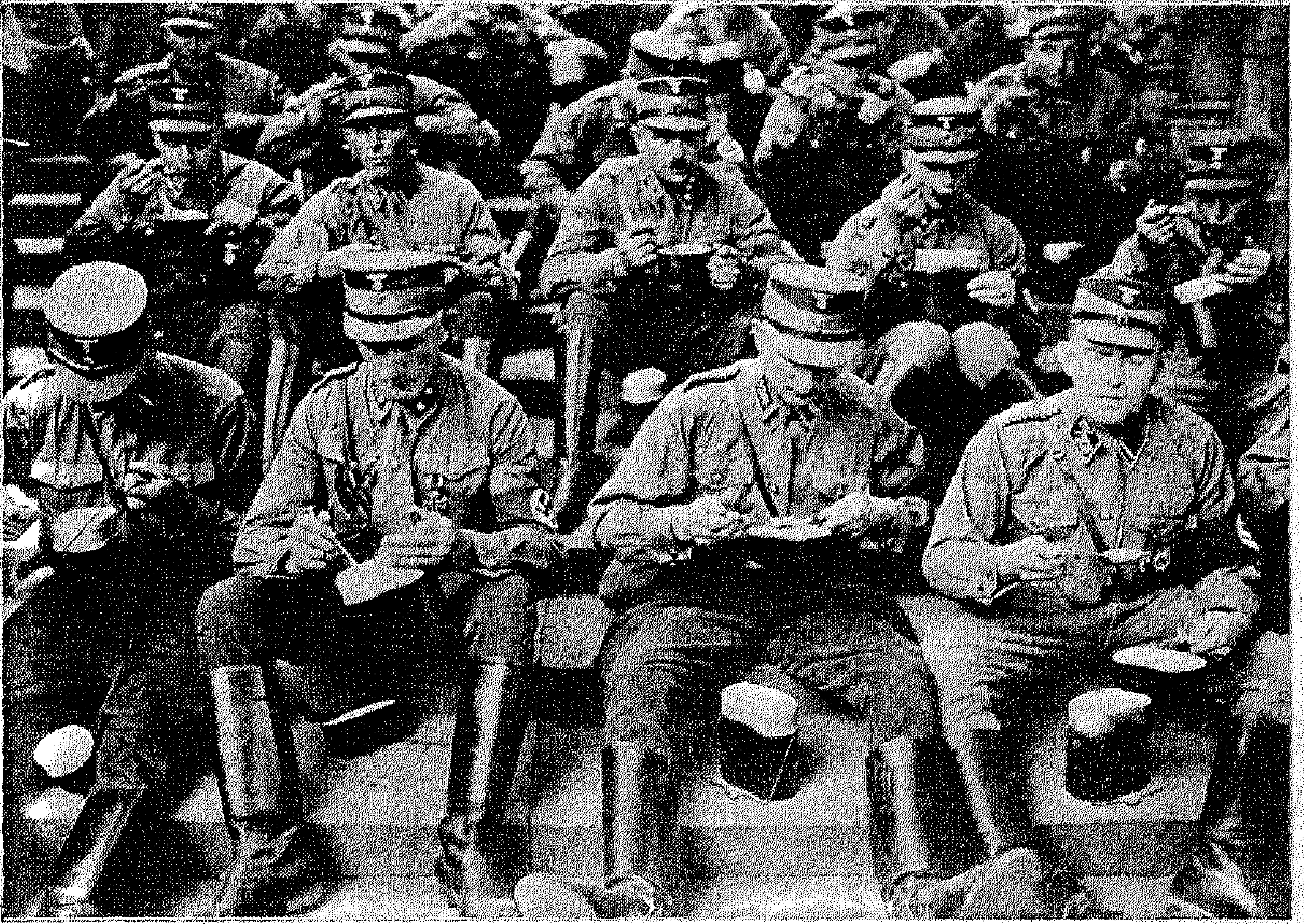
وكثرت في هذه الاونة لقاءات الجنرال رايخينو وقائد الغستابو الجديد وفكتور لوتز القائد الصاعقي الحاقد على روهم. ورايخينو هذا مسؤول عن التعبئة العامة للجيش وهو المحرك الضمني للجنرال بلومبرغ، فضلا عن كونه اشد المتحمسين للفوهرر بين اعضاء القيادة العليا.

هل كان روهم يشعر بما يخطط له في الخفاء؟ وهل كان جيش الصاعقة يعد، بالمقابل، حركة مضادة؟

صحيح ان العديد من جنود الصاعقة تفوهوا بكلام قاس، وليس اقلهم في هذا المجال روهم نفسه. ومع ذلك فان دليلا واحداً لم يعثر عليه يثبت اعتزام روهم القيام بانقلاب على الفوهرر.

وفي ٢٧ حزيران (يونيه) تقدم الهر "سب دايتريخ"، رئيس حرس هتلر الخاص، من القيادة العليا بطلب المساعدة في توفير السلاح اللازم لعملية خاصة سينفذها الفوهرر مبرزا في الوقت نفسه لائحة، زعم انها من وضع جيش الصاعقة، تتضمن اسماء اشخاص يعتزم جنود الصاعقة اغتيالهم وعلى رأسهم الجنرال فريتشه والجنرال باك الذي كان يستمع بنفسه الى معلومات دايتريخ. على انه في نفس الوقت او بعده بقليل تمكن الهر هاينز، قائد جيش الصاعقة في سيليزيا، من اقناع الجنرال فون كلايست، قائد الجيش النظامي في المنطقة، بان ما من حركة انقلابية يعدها جيش الصاعقة على الاطلاق، بل على العكس فان معلوماته تؤكد له بان القيادة العليا هي التي تتهيأ لضرب جيش الصاعقة. وللتو سافر فون كلايست الى برلين - وقد اصبحنا الان في ٢٩ حزيران (يونيه) - ليقدم تقريرا عن الامر الى الجنرال فريتشه والجنرال باك مضمنا اياه ما قد اصبح حقيقة واقعة وهو ان قوة ثالثة - اي الحرس النازي بقيادة هملر - يحاول الايقاع بين القيادة العليا وجيش الصاعقة.

استدعت القيادة العليا الجنرال رايخينو على الفور وعرضت عليه المعلومات الجديدة فكان ان استفاق هذا الاخير على الحقيقة...والتفت الى فون كلايست وقال له: "انت على حق، ولكن بعد فوات الاوان!!".



□ القمصان السمر (البنية)

هتلر يقرر ساعة الصفر

وفي تلك الليلة بالذات كان هتلر قد بدأ بتنفيذ قراره الرهيب: تصفية كافة الذين يعادونه ويستفزونه!

ولعدم اثارة الانتباه كان الفوهرر قد سافر عشية ٢٨ حزيران (يونيه) الى منطقة الراين بحجة زيارة احد المشاريع الصناعية. ومن هناك اتصل بروهم هاتفيا وطلب اليه، بكل براعة، ان يدعو قادة جيش الصاعقة الى مؤتمر يحضره هتلر بنفسه على ان يعقد في "وييسي" بالقرب من ميونيخ حيث كان روهم ينتجع الراحة منذ ٧ حزيران (يونيه). ويبدو ان روهم لم يفطن الى ان هذا المؤتمر ـ الفخ يجمع معظم مساعديه وفي مكان بعيد نسبيا ويضعهم دفعة واحدة تحت رحمة هتلر.

كانت هذه الخديعة الاولى. اما الخديعة الثانية فقد تولى امرها هايدريخ، رئيس غستابو برلين، الذي قام بوسائله الخاصة ـ مستغلا جو الترقب والشائعات المتواترة عن تحركات القيادة العليا ـ بالايعاز الى بعض قادة جيش الصاعقة بتنظيم تظاهرات واجتماعات خطابية في ميونيخ الامر الذي لا اعتراض عليه من قبلهم طالما انه يدعم قضيتهم ـ قضية الثورة الاجتماعية المستمرة.

وفي الساعة الرابعة من صباح الثلاثين من حزيران (يونيه) وصل هتلر بطريق الجو الى ميونيخ. وبينما كان يقود سيارته في المدينة تعاظم غيظه لمرأى بقايا جنود الصاعقة يجوبون الشوارع بعد انتهاء مسيرتهم الشعبية، الامر الذي عزز "شكوكه" بان روهم يوشك ان يسدد له الضربة القاضية.

اتجه هتلر اولا الى مبنى وزارة الداخلية حيث اعتقل بنفسه وعلى الفور اثنين من قادة جيش الصاعقة. ثم هرع الى وييسي ومعه غوبلز، وزير الدعاية، حيث كان بانتظاره قائد حرسه الخاص "سب دايتريخ" ورجاله الذين تولت القيادة العليا ـ قبل اكتشافها لحقيقة الامر ـ توفير وسائل نقلهم الى هناك ومعهم بعض افراد الحرس النازي في معسكر "داخو" المجاور. وفي تمام الساعة السابعة



روهم

الا ربعا اقتحم هتلر ورجاله مدخل "شاليه" روهم، ثم مضى الفوهرر وحيدا ودون سلاح ــ وقد اضحى نمرا كاسرا ــ يصعد السلم ويقتحم على روهم غرفة نومه فكان ان اذهلته المفاجأة ولم يستطع ان يبدي ايــة مقاومــة فاعتقـل مــع معظـم اركــان حربــه الشخصيين دون حادث.

وعاد الركب الصغير مع الاسرى الى ميونيخ ليفاجأ في طريق الاياب برتل من السيارات الكبيرة تقل عددا من جنود الصاعقة في طريقهم الى وييسي لتأدية تحية الصباح لروهم بمناسبة المؤتمر الذي كان من المقرر عقده هناك ظهر ذلك اليوم. فما كان من هتلر الا ان ترجل واستدعي الضابط المسؤول وأمره ـ بقوة وسلطة وجرأة متناهية ـ ان يعود برجاله الى بيوتهم، فاطاع الجنود الامر فورا.

ولو تأخر هتلر ساعة واحدة او لو بكر هؤلاء الجنود ساعة واحدة لتغير تاريخ هتلر والمانيا والعالم.

أودع روهم وأركان حربه سجن ميونخ حيث لفظ هتلر خطابا ناريا صاعقا هشم فيه روهم وادانه بالشذوذ الجنسي وبسائر الموبقات البشرية. ثم بدأت المذبحة بعد الظهر واستمرت الى المساء في فترات متعاقبة. وقد جرى استبدال الفرق التي تطلق النار اكثر من مرة بغيرها، من جراء الاجهاد العقلي الذي اصاب الجنود. اما روهم فقد طلب اليه ان يقتل نفسه بيده ولما رفض دخل عليه اثنان من زعماء بلدة داخو المجاورة وقال له احدهما ويدعى آيك: "ان الرجال البارزين الذين يعرضون رقابهم للخطر يجـب ان يعدمــوا بــأيــدي رجــال بارزين"..واصلي روهم فورا بوابل من العيارات النارية.

ولما اطمأن هتلر الى استتاب "الامن" طار الى برلين بعد ظهر اليوم نفسه.

مذبحة اخرى في برلين

وفي غضون ذلك كان غورنغ قد تلقى من ميونخ اشارة البدء بالعمل من غوبلز فبادر فورا الى احتجاز فون بابن في منزله وباشر مذبحته الواسعة. وقد اتسع نطاق الاغتيالات هنا فشمل اكثر من صفوف جيش الصاعقة اذ قتل فون شليخر وزوجته بينما كان يقرأ في منزله، وأعدم غريغور شتراسر ومساعدي فون بابن ينغ وفون بوس وغيرهما من الرجال المقربين اليه. ولكن فون بابن نفسه لم يصب بسؤ لسبب لا يزال مجهولا. وفي غضون الاربع والعشرين ساعة القادمة اختفى العديد من الرجال الذين لا علاقة لهم "بمؤامرة" روهم، قدر عددهم بخمسة الآف شخص.

وفي مساء اليوم التالي (الاول من تموز يوليو) توقف اطلاق الرصاص ليظهر هتلر على شرفة المستشارية في برلين ليتلقى هتاف الجماهير التي خيل اليها انه كان ضحية مؤامرة.

وفي تلك اللحظات بدا الفوهرر وكأن نشوة النصر تكاد ان تطـفــر مــن وجــهــه.. كــيــف لا وقـــد حفظ في تلك الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" وحدة نظامه وقضى على كافة الذين اعتبرهم اعداء ومنافسين.

ولكن هل ينسى الفوهرر اولئك الذين مكنوه من رقاب اعدائه؟

ابدا...فها هو ذا هملـر المرعــب يدعــوهــم جميعا، وقد اربى عددهم على المائتين، الى احتفال مغلق في برلين شكرهم في اثنائه على جهودهم الجلي للفوهرر العظيم وأهدى كل واحد منهم خنجرا طويلا حفر عليه اسم هملر. ثم اقسموا جميعا، وتحت طائلة الموت، ان يدفنوا في قلوبهم والى الابد اسرار ليلة الامواس الطويلة.

وفي الثاني من آب (اغسطس) مات الرئيس العجوز الخرف هندنبرغ ليصبح هتلر رئيس الرايخ الثالث والسيد الاوحد في طول المانيا وعرضها. ■

المراجع

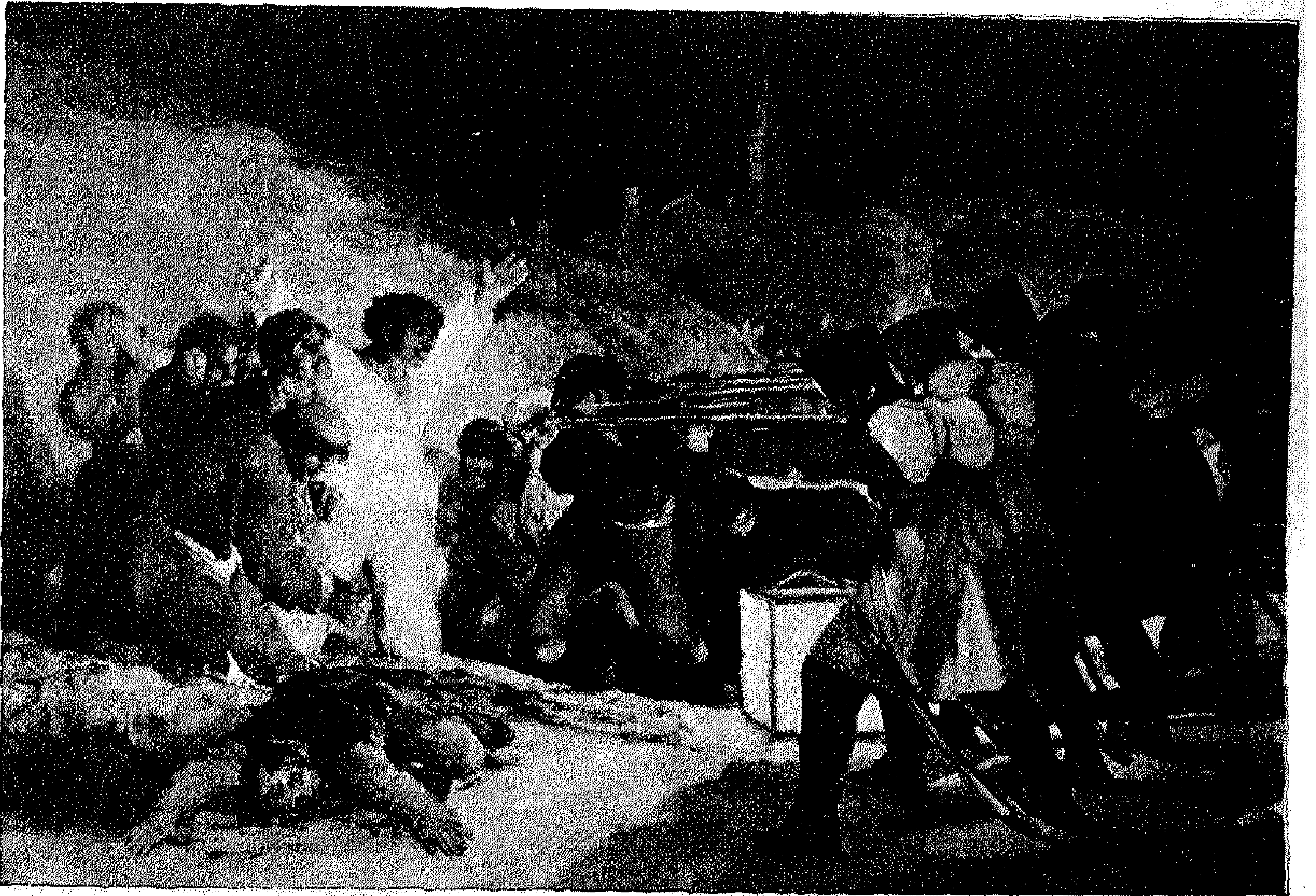
□ مذكرات ونستون تشرشل
□ مذكرات فون بابن
□ مقال لاليزابيت وسكمان في مجلة History Today

الفنان غويا

الوطني الصاخب

دوغلاس هالت

ترجمة : مركز الدراسات



☐ عملية الاعدام في ٣ ايار ١٨٠٨. رسم معبر للانتفاضة الشعبية ضد القوات الفرنسية التابعة لمورا. (متحف البرادو - مدريد).

"نحن مجانين، ليس كأفراد بل على المستوى القومي. نحقق في ذبح انسان وجرائم القتل المعزولة. ولكن ماذا عن الحرب وجريمة ذبح شعوب بكاملها؟".

■ هكذا كتب سنيكا، رجل الدولة والفيلسوف الروماني الذي ولد في قرطبة، في جنوب اسبانيا، واكثر كتاب القرن الاول بعد الميلاد حساسية. وبعد ثمانية عشر قرناً اتخذت ملاحظاته قوة تنبئية خلال الحرب الضروس التي اثارتها غزوة نابوليون لاسبانيا سنة ١٨٠٨، وفي مرة ثانية خلال المأساة المدمرة التي سببتها الحرب الاهلية سنة ١٩٣٦ ـ ٣٩.

كان سنيكا يعرف شعبه جيداً. ولكن لم يكن هناك من اسباني استطاع ان يصور خصائص وانفعالات مواطنيه بقوة نابضة بالحياة وبنفاذ مثل فرنسيسكو غويا، رسام البلاط ومسجل اكثر اعماق الانسان ظلمة. يقال ان خادمه سأله مرة لماذا يرسم الاعمال البربرية التي يقترفها الانسان فأجابه غويا: "لكي اخبر الناس ابداً بانهم لا ينبغي ان يكونوا برابرة".

في ما يتعلق بشباب غويا والسنوات التي شكلته انساناً، هنالك بعض الحقائق التي لا تقبل الجدل. لقد ملأ هذا الفراغ مؤلفون خياليون وكتاب الشاشة السينمائية في هوليوود، يروون عن حفلات مصارعة الثيران والتقاتل في الحانات ومحاولات الاغواء، كمنطلقات رئيسية ـ من جميع النواحي ـ وبالتالي ارتقاء الى قبة الفاتيكان خلال السنوات التي بددها في ايطاليا. فلقد صورت الاساطير غويا ثائراً منذ طفولته، يغتاظ للقيود التي وضعها عليه مجتمع غير متفهم ونسيب له صارم غارق في تقاليد نيو ـ كلاسيكية لا يمكن تصورها. ان رواية الشاشة تظهر غويا رافضاً كل سلطة ومندفعاً بقوة متفردة، يبلغ اوج تحديه البغيض بينما يرسم على ضوء الفانوس جثث الضحايا الابطال في "دوس دي مايو". ومن حسن التوقع، ان دوقة "البا" جلست امامه كنموذج للسيدة العارية "ماخا دي سنودا" وهكذا ملئت سنوات غويا الغاربة بذكريات الماضي العزيزة والعاطفية. فالحقائق تظل بكل اسف اكثر بعداً: ولكن ما تفقده من رومانيكيتها الشائعة بين الناس تعوضه بالثقة البسيكولوجية.

غويا الريفي

ولد "فرنسيسكو غويا أي لوسيانتس" في قرية صغيرة في الاراغون بالقرب من سرقسطة سنة ١٧٤٦. تدرب على يد والده الذي يعمل كصائغ محلي، وعلى يد عدة فنانين يرسمون على الطراز الباروكي وهو الاسلوب الشائع في تلك الايام. وكان الحج الى ايطاليا للدراسة ما زال يعتبر شرطاً لابد منه، ومع ذلك فيجب ان تكون زيارة غويا قد جاءت مع نشر رائعة "ونكلمان" في ١٧٦٤ التي اعادت تقييم الفن اليوناني واحيت الروح الكلاسيكية من جديد، والاكثر بداهة كانت اضطرابات "اسكويلاش" في مدريد التي شاهدها غويا في آذار ١٧٦٦. ومع ان الاضطرابات كانت موجهة ضد اشكال الازياء الاجنبية وانتشار الوزراء الايطاليين في البلاط، فقد كانت كذلك تأكيداً للتقاليد الاسبانية.

ولابد أن هذا الشاب الريفي الذي شاهدمدريد للمرة الاولى ان يكون قد ارتبك وابتهج للتيارات المعارضة من سياسية وفنية التي كانت شائعة في العاصمة في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر.

لم تكن رسوم غويا في بدايتها عادية فحسب، فقد كانت تنم عن جوانب ساخرة ومتعددة تتكيف مع اي اسلوب، او رغبة، علمانياً كان او اكليركيا. وهكذا اتسمت سنواته الاولى: باختيار ينسجم مع ما يعطيه من امثلة غير بارعة من الزخرفة الكنسية المفرطة في التعقيد فضلا عن مواضيع معالجة بالطريقة الكلاسيكية، هذه المقدرة على العمل في وقت واحد في مواضيع متضاربة وعلى نطاق واسع من الاساليب بقيت صفة مميزة عند غويا طوال حياته. في هذه الحقبة كان يبدو غير مكترث للقضايا السياسية والاجتماعية في تلك الايام، بل يوجه جهوده لكي يصبح الرسام الرسمي للبلاط. وكان زواجه سنة ١٧٧٣ من خوسيا بايو شقيقة احد الفنانين الطليعيين في مدرسة "مانغس" للرسم الكلاسيكي الحديث خطوة مفيدة لتحقيق غايته. ففرانسيسكو بايو، ذلك الرجل الصارم، المتعكر المزاج، علم مع ذلك نسيبه تقنيات جديدة، وبالرغم من المشاحنات الشخصية العديدة، فقد ساعد ذلك غويا على التقدم في مهنته.

وكانت اولى النتائج تلك المناظر الريفية التي رسمها غويا في اولى لوحاته وتحولت بعد ذلك الى تصاميم للجدرانيات الملكية، والاشكال النموذجية الاسبانية كانت تلك التي تمثل "الماخا والماخو" والمتعجرفين بالالبسة الانيقة ذات الاسلوب المحبب الى الطبقة الفقيرة والاريستقراطية على السواء. ومع انها اخاذة اكثر مما هي مبتكرة فقد اشارت الرسوم "التصاميم" من البداية الى ما سوف يحدث في ما بعد. وقد قالت انطونيا فلانتين حرفياً: "ان غويا في رسومه "التصاميم" كان كالشاعر العظيم الذي يخطط بالنثر التافه عناصر قصائد ينظمها في ما بعد لتصبح خالدة".

والتقدم المفاجيء الذي حصل في سيرته هو تكليفه برسم صورة بالالوان للكونت فلوريدا بلانكا، رئيس وزراء شارل الثالث. وقد كان الكونت مثل غويا، من اصل متواضع، ليبرالياً حراً ومعادياً لكل من يعيق التقدم وانتشار المعرفة. والفرق بين الاثنين هو ان غويا، وقد اصبح في



ـ الكونت فلوري دا بلانكا (١٧٢٨ - ١٨٠٨) كان وزيرا بارزاً للملك شارل الثالث، ويبدو غويا الى اليسار.

السابعة والثلاثين من عمره لم يكن قد اشتهر بعد، بينما فلوريدا بلانكا - كما يظهر بوضوح من صورته الرسمية - كان ينعم بمركز رفيع. ويسيطر رئيس الوزراء على اللوحة تماماً، وتلتف حوله شارات الشرف والوظيفة: وجه متغطرس يحدق بتركيز في وجه الناظر اليه، متجاهلا تماماً امين سره الوجل في الخلف والفنان الذي يقف باحترام يعرض لوحة على انظاره.

مصور اشخاص

لا تعد اللوحة من الروائع - انها فعلا تفاهة نيوكلاسيكية - انما كانت الرائدة والمبشرة بصعود غويا والاعتراف به كمصور اشخاص. ومع الشهرة اتته الثروة وكذلك درجة من الاستقلال الفني اتاح له بدوره اساليب جديدة للتعبير الفني.

وقد تم لغويا الآن الانخراط في المجتمع الاريستقراطي وكذلك في عالم الادب، وبالرغم من ان الكثيرين من انبل العائلات الاسبانية يدركون نسبهم ومركزهم الاجتماعي الا انهم تشربوا روحاً ديموقراطية مما جعلهم يتقبلون بسرور صحبة الماخو (المتأنفين)، ومصارعي الثيران، والكتاب والفنانين. وغويا الذي دخل الاربعينات من عمره باشر سلسلة رسوم للافراد والعائلات، تشمل رسوم العائلة الثرية اوسونا، وابن الملك دون لويس وشقيق الملك. لقد دخلت ماريا تيريزا، حفيدة الملك البالغة من العمر سنتين، على الفنان وهو يرسم لوحة جامعة. وبعد سبعة عشر عاماً، تماماً، قام غويا برسم صورة لها كزوجة مانويل غودوي، الرجل المفضل في البلاد والحاكم الحقيقي لاسبانيا، يكشف فيها شقاء الزواج الخالي من الحب.

لم يكن يبدو هناك من تلميح الى مأساة مستقبلية في هذه الاعمال المبكرة، ولكن نزوع غويا الى النوعية المختلفة، وهو انعكاس لموقفه الشخصي تجاه موضوعه، عرف بسرعة وكثر التعليق على الموضوع، فصورة شارل الثالث بملابس الصيد تظهر عاطفة كبيرة وتفهماً لصاحب الجلالة الملكية، بينما الكونت كاباروس، والد مدام تاليان، قد رسم بوضع متوتر يفوق الخيال.

في ٢١ ايلول ١٧٨٩ بدأت احتفالات الايام الثلاثة الرسمية بمناسبة اعتلاء شارل الرابع وماريا لويزا كملكين جديدين عرش اسبانيا. وكان قد تم اقتحام الباستيل واحتلاله، ولكن ذلك كان عالماً آخر. وبالرغم من ان غويا كان ساخطاً لتعهداته بانجاز رسوم تصاميم الجدرانيات للبلاط، فقد كانت المهمات والطلبات تنصب عليه من الاغنياء وكذلك من الممثلين واصدقائه الشخصيين. وخلال هذه المرحلة التي تبدو في الظاهر مرضية فقد كان هنالك صخب داخلي يتجمع في اعماق الفنان يوازي كثيراً الاكتئاب الذهني الذي يعانيه السياسيون التقدميون والكتاب كجوفلانوس صديق غويا. وبالرغم من مواظبته على اعتماد الاساليب التقليدية، فقد اخذ غويا اكثر فأكثر يتحبيذ لمسات الفرشاة القصيرة والقوية، حتى استعمال الخرق والاسفنج لوضع التلوين. واخذ يعمل باسرع ما يمكن حتى يلتقط الانطباع الاول ويحوله الى لوحة. والخلفيات اصبحت مظلمة خالية من التفاصيل غير الضرورية. وظهر على نحو واضح تأثير كل من رامبرانت وفيلاسكيز في استعمال طريقة توزيع الضوء والظل في الصورة للحصول على تأثير نفسي اكبر.

شلل وصمم جزئي

وفي ١٧٩٢، تلك السنة المشؤومة التي تسلم فيها جودوي زمام الحكم من فلوريدا بلانكا، اصاب غويا مرض شديد اثناء زيارته للاندلس وبدأ في احد الاوقات تخوف من ان يفقد بصره، وحتى

حياته،فكانت النتيجة شللا وصمماً جزئيين مما عوض الفنان رؤيا باطنية قوية، وما لبثت ان قامت الحرب بين اسبانيا وفرنسا الثورية، واخذت اسبانيا تفقد استقرارها، فضلا عن علاقة الملكة الفاضحة بغودوي والتي هزت ايمان الشعب التقليدي بحكامه. وقد رأى غويا المجتمع على جميع المستويات وكأنه مختبىء وراء قناع ليخفي طبيعته المنحطة. فلم يعد مهماً ان تكون مواضيعه رسميين من الحكم او قرويين يحتفلون بانتهاء موسم عيدالمرفع (الكارنفال)فالجميع اصابهم الخبل، وكذلك كل حشد من الناس الذين يتجمعون اما لمشاهدة موكب ضاربي السياط، او مصارعة الثيران، او نزلاء مصح الامراض العقلية.وسرعان ما يتحد المشاهدون والضحايا بهذيان شامل. هذه السلسلة من التسليات الشعبية سمحت لغويا ان يغزو ويتفحص عالم الهستيريا الجماهيرية، والخرافات والجهل، وهو موضوع يمكنه الرجوع اليه بصورة اقوى.

تعرفخلال احدايام عام١٧٩٥ الى دوق ودوقة البا. وكانت ثروة الاخيرة تضاهي ان لم نقل تزيد عن ثروة العائلة المالكة.وكان العداء المشترك بين الملكة والدوقة موضوع فضيحة مستمراً ساعد على وضع الحوادث المشؤومة في باريس بعيدة عن الاضواء. وبعد وفاة الدوق في ١٧٩٦ امضى غويا عدة اشهر في ممتلكات البا في سانلوكار بالقرب من قادش، لمؤاساة الارملة التي نفتها ماريا لويز من مدريد وكانت تحقد عليها. ومع ان اللوحتين اللتين رسمتا بالحجم الطبيعي للدوقة، تلك المرأة القوية الارادة، هما مما يثير الاعجاب فنياً، الا ان فيهما شيئاً من الانقباض وتنقصهما الحيوية.

كان عمر غويا الآن قد تجاوز الخمسين، وهو ذلك الريفي الصلب، القوي البنية، الذي لا يزال قليل الثقافة. وكانت الدوقة التي تصغره بعشرين سنة تقريباً، تتوق الى رفيق اكثر اناقة ومفعماً بالحيوية. من هنا انتهت تلك العلاقة وعاد الفنان الى مدريد والى افكاره الكئيبة.

مشروعان مختلفان

وكما هي الحال في اغلب ايام حياته، بدأ غويا الآن يعمل في مشروعين يختلفان تماماً الواحد عن الآخر. ففي ١٧٩٨ كلف بتزيين كنيسة سان انطونيو دي لا فلوريدا الجديدة بمشاهد تصور معجزة قام بها هذا القديس. ولم تكن الاشكال العامة تنم عن حيوية وروعة وانما يبدو ذلك بخاصة في حشد من الاشخاص، كل يمثل بحد ذاته معجزة فنية.

وبعد عدة سنوات من وفاة غويا في فرنسا اعيد جثمانه الى مدريد ودفن امام مذبح الكنيسة التي بث فيها حياة جديدة، تقريباً كما اعاد سان



الدوقة البا - ١٧٩٧ - الجمعية الاسبانية الامريكية

انطونيو الحياة الى الرجل الذي مات.

في الوقت ذاته تقريباً بدأ غويا سلسلة محفورات تحمل عنواناً عاماً هو Caprichos - "اهواء فنية" - يفترض ان تكون سلسلة بريئة لرسوم غريبة يقصد منها ان تمثل مرآة المجتمع. لم يتقبل احد هذا العمل الساذج وعلى الاقل معاصروه. فكانت الثمانون قطعة من هذه "الاهواء الفنية" سلسلة متعاقبة من الهجاء والسخرية تؤكدها تعليقات الفنان اللاذعة التي ترافق كل مشهد. فهي بغرابتها وهلوستها صورة خالصة عن مرض اسبانيا الاجتماعي والسياسي. ومع ان غودوي اغرق عن غير قصد بلاده بالحرب ضد فرنسا الثورية فقد تمكن من التمتع باللقب الوهمي: "امير السلام". وقد فاخر مرة بقوله: "ان اسمي يعني Goda Soy اي انا القوطي" وعلى هذا فان سلسلة نسبة ترجع الى القوطيين. وقد رسم غويا صورة حمار يدرس باهتمام سلالته بالطريقة نفسها، حتى ان دوقة البا لم تنج من اذاه نظراً للطريقة الوقحة التي صرفت بها الفنان. انما مثل هذه المؤشرات الشخصية هي عرضة لموضوع "الاهواء الفنية"



□ فرنسيسكو غويا: رسم للفنان بريشته حوالي عام ١٧٧٥ (المتحف البلدي ـ ساراغوسا).

الرئيسي الذي يمثل شبح الجنون المخيف بكل اشكاله، اذ يظهر في احدى المحفورات رجل ـ لعله غويا نفسه ـ يتهالك يائساً على طاولة تنقض عليه مخلوقات ليلية بطريقة بشعة. وقد كتب الفنان تحتها هذه العبارة: "نوم لعقل يولد الوحوش المخيفة".

وهكذا فان القرن الثامن عشر الذي يفخر بأنه عصر النور قد مات، وان عصراً من الرعب اللاعقلاني، كما تخططه "الاهواء الفنية" اصبح على الابواب.

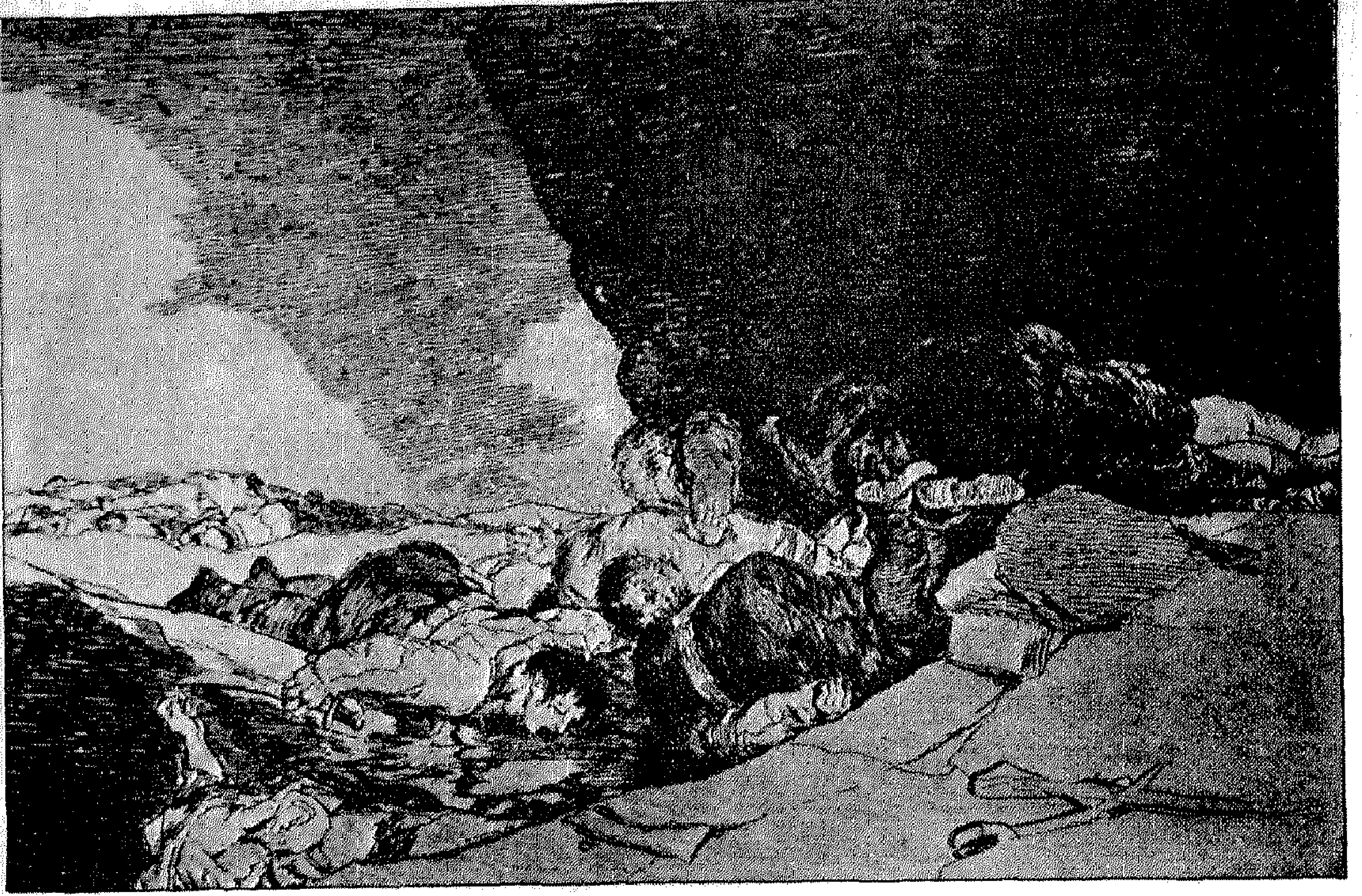
ولاء غويا

ومهما كانت مشاعر غويا الشخصية فانه في سلوكه العام اظهر تصرفاً مميزاً. وباستسلامه ظاهراً الى مراهنات غودوي ـ الذي تعلم حتى مبادىء لغة الاشارة التي يتحدث بها مع الفنان الاصم ـ فقد رسم غويا زوجة هذا المقرب من البلاط وبعد ذلك بوقت قصير رسم "امير السلام" نفسه بملابسه المبهرجة. ان زوجة غودوي، وهي ابنة عم الملك، والان الكونتس تشنشون، قد فقدت كل ملامح براءة الطفولة التي التقطها غويا قبل سبعة عشر عاماً. وفي رائعةاخرى تحليلية استطاع غويا ان يرسم نفسيتها وهي تحمل طفل زوجها القاسي. ويبدو فيها غودوي بمظاهر الابتذال في وضع غير عسكري وبهيكله الضخم مضجعاً على كرسي منقوش وفي خلفية متنافرة.

لعل غويا اخطأ في ولائه غير الواضح طوال حياته. ولكن صوته الباطني الفني كان ينطق بصدق اخلاصه. وليس ادل على ذلك من اللوحة الاخاذة لعائلة شارل الرابع التي رسمها عام ١٨٠٠. والواقع ان احداً من الفنانين لم يصف قبلا الانحطاط الشامل للاجيال القادمة بضربة ريشة ارشق من ريشته البارعة. اما وقد اصبح الان في الخمسينات من عمره فقد امتلك غويا اخيراً الثقة بفعل عبقريته القادرة.

ولم يحل تعيينه كرسام اول للبلاط سنة ١٧٩٩ دون اخماد مقته المتنامي للجنس البشري وانكفائه الى عالمه الداخلي. وسرعان ما سجن صديقه جوفلانوس لاوهى التهم، وسنة ١٨٠٢ ماتت دوقة البا بصورة غامضة، ولم يكن لها من العمر سوى ٤٠ سنة.

وفي الواقع فان غويا قد تقاعد بعض الشيء بينما هو في اوج عطائه وشهرته الفنية. فلم يعد



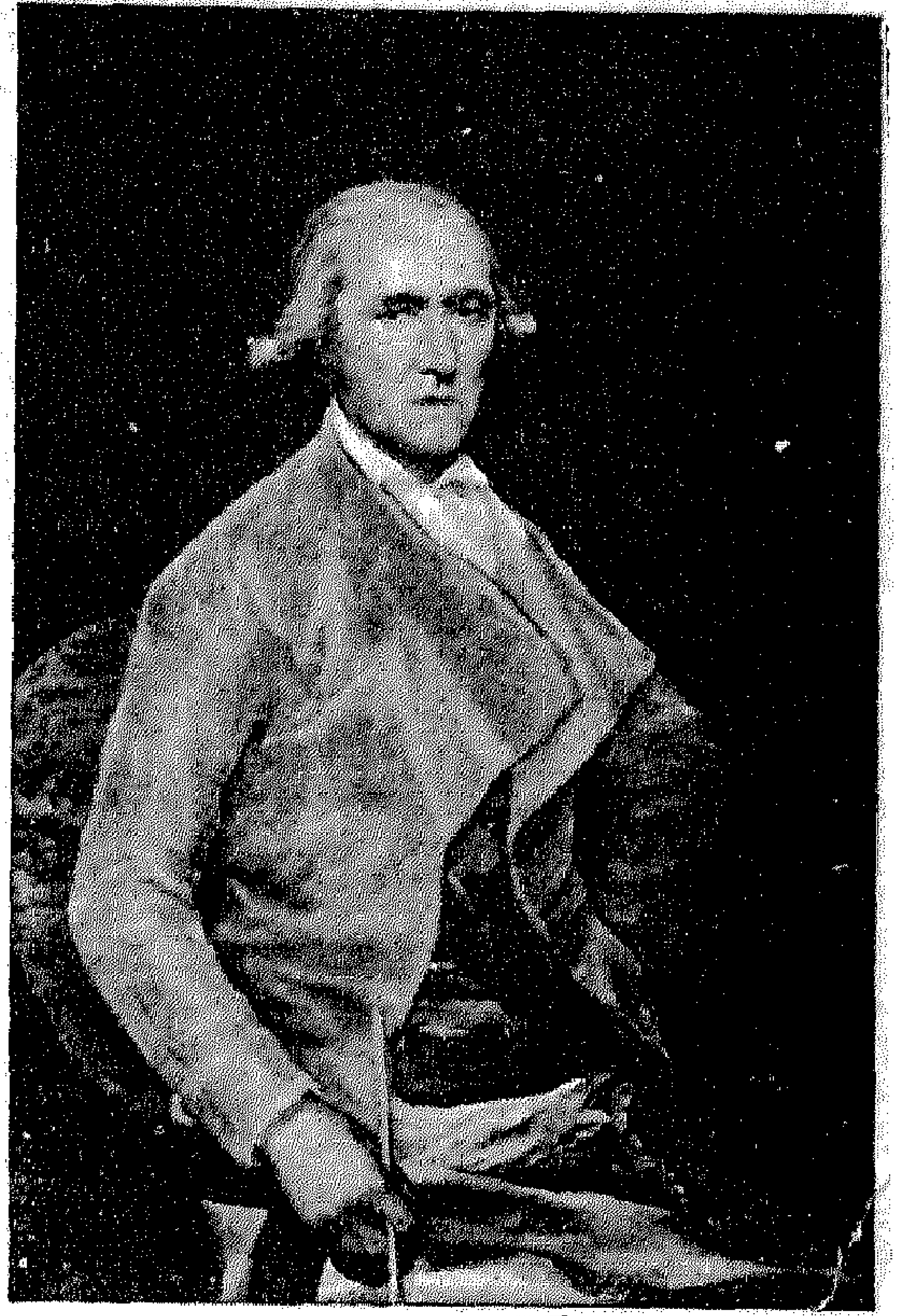
□ مآسي الحروب، رسمت ايام حملة نابليون بونابرت لاسبانيا. (الجمعية الملكية للفنون الجميلة).

ثمة من صور لشخصيات البلاط، ومن الصعب تحديد تاريخ لوحات هذه الحقبة القاحلة بدقة لانها تختلف من حيث الاسلوب والالهام. والوحيدة كانت الغزوة النابوليونية وما تبعها من ازمة وطنية سنة ١٨٠٨، هي التي ايقظت عبقرية غويا الراقدة في سن الثانية والستين. وقد اضيف آنئذ الى رؤياه الذاتية كرهه للحرب والدمار المنتشر.

فالحالة التي وجد غويا نفسه واقعاً فيها كانت نموذجاً يمثل الكثيرين من الاحرار الاسبان. وبالرغم من انه اغتبط لتنازل شارل الرابع وماريا لويزا، وابتهج لسقوط غودوي (الذي وجد في حوزته كلتا اللوحتين للسيدة الشهيرة)، فالمذبحة وما تبعها من انتقام غير ضروري بعد الثورة الشعبية في الثاني من ايار حولت الحماس المبتدىء للافكار الفرنسية الى نفور عميق منها، وبالرغم من ان هناك اساساً واهياً للقول بأن غويا قام بدراسات دقيقة للضحايا التي سقطت، فمما لا شك فيه ان وحشية تلك الساعات انطبعت في اعماق ذهنه. وعندما قام بعد ست سنوات برسم لوحتيه الزيتيتين الخالدتين فان تفاصيل هذه الحوادث الاليمة لم تكن قد تخلت عن تأثيرها عليه.

وبعد هزيمة الفرنسيين غير المتوقعة في "بايلن" والمقاومة البطولية لسرقسطه المحاصرة تحت امرة خوسيه بالافوكس، عاد غويا الى موطنه في تلك المقاطعة وتوجه منها لزيارة المدينة. وقد تأثر غويا للدمار المرعب الذي حصل خلال المراحل الاولى من الحرب ولبطولة الجنود الاسبان وكذلك المواطنين العاديين. ومحفورته لاوغستينا سرغوزا وهي تطلق المدفع بعدموت طاقمها اكتسبت قوة رمزية.

حادثتان متزامنتان كان لهما تأثير في موقف غويا. الاولى كانت قيادة نابوليون الشخصية للحرب وتثبيت اخيه جوزف على عرش اسبانيا الخالي. وخلافاً للرأي الاسباني، كان جوزيف من الاحرار المستنيرين، تواقاً حقاً للقيام باصلاحات كالغاء محاكم التفتيش والحقوق الاقطاعية. ومخططاته الطموحة لتحسين مدريد، ودعمه للفنون، جعلت هذا الملك الدمث الاخلاق شعبياً حقاً بين اولئك القلائل الذين تقربوا منه. ومع ان غويا لم يرسم لوحة رسمية "للملك الدخيل" فقد نسخ صورة لجوزيف عن مطبوعة وعرضها بشكل ظاهر في "رمزية لمدينة مدريد". هذه اللوحة خضعت لتغييرات متتابعة في السنوات التي تلت عكست مساوىء الحرب. وفي ما بعد في القرن



[illegible] ١٧٩٦
(متحف البرادو ـ مدريد).

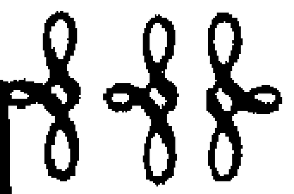
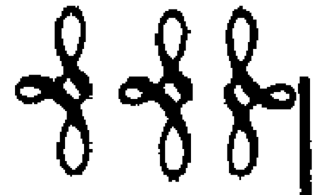
التاسع عشر ازيلت التغييرات التي رسمت فوق صورة جوزيف واستبدلت بلفيفات كتب عليها "دوس دي مايو". واهم من ذلك: فقد رسم غويا عدداً من الاعيان الفرنسيين خلال احتلال مدريد، بما في ذلك الجنرال نيقولا غوي وبضعة من الاسبان المتفرنسين. وبصفته رسام البلاط فقد اوكل الى غويا مهمة المساعدة على اختيار خمسين عملا من الاعمال الفنية الاسبانية لتزيين متحف نابوليون في باريس.

اما الحادثة الثانية فكانت نتيجة للاولى. اذ ان هزيمة نابوليون لعدة جيوش اسبانية قد بلورت المقاومة وحولتها الى حرب عصابات شاملة انهكت قوات الاحتلال بهجماتها المتكررة. وما نجم من فظائع قام بها الطرفان ـ غالباً من النوع السادي اشتملت على التمثيل بالجثث ـ غيرت تماماً طبيعة الحرب بأكملها. فامتلأت نفس غويا اشمئزازاً لهذه المذبحة المفرطة وذلك التدهور الانساني، وبادر الى رسم النهب والدمار بشكل دائم. والقوى المكبوتة التي لفتت الانظار سابقاً في "الاهواء الفنية" تفشت الآن في الارض، وظهر تخطيطها في المحفورات التي تشمل "نكبات الحرب" وتكشف الهول الكامل للحرب الشاملة. ان المشاهد الواقعية للاغتصاب والفظائع الاخرى التي قام بها المدنيون بعضهم ضد البعض هي اتهام بليغ للحروب في جميع الازمان.

والكرب الذي عاناه غويا كان باطنياً: في الواقع لم تعرف "النكبات" الا بعد وفاته بفترة من الزمن. فبدلا من توزيع الاثم على هذا الجانب او ذاك لاسباب وطنية فقط، فقد ادرك غويا ان الجريمة الحقيقية هي الحرب نفسها. لقد بقي اثناء القتال في مدريد يرسم اصدقاءه وافراد عائلته وكذلك الافراد العسكريين الذين كانوا يمرون عرضاً. وفي احدى نزهاته القليلة خارج العاصمة رسم دوق اوف ولنغتون في "البادي توميس" مباشرة بعد معركة ارابيليس (سلامنكا) سنة ١٨١٢، في جلسة قيل انه جرى فيها شيء من تبادل الهجمات بين قائد وفنان. واللوحة التي تمثل ولنغتون على متن جواد والتي رسمت في ما بعد لا تثير الاعجاب، حتى ان اللوحة الشهيرة التي تمثله في البزة الرسمية تفتقر الى التعمق الفني. ولا يقال الشيء نفسه عن اللوحة ذات الحجم الطبيعي لفرديناند السابع لدى عودته من المنفى الفرنسي. انها تمثل بعض ما اختزن من كراهية الملك الجديد وحقده على كل لمسة ريشة. وهي خلاصة وافية لكل الشر الذي واجهه به اولئك الاحرار والوطنيون الذين كانوا قد حرروا اسبانيا من الفرنسيين.

يبقى ان غويا غادر الحياة تاركاً للناس ومضة من الامل ان "نكبات الحرب" ذلك العرض للكراهية والرعب، ينتهي بسمة مميزة متفائلة توجب الدهشة "الحقيقة والصواب" عادا الى الحياة بتفجر من نور متألق. وكما كان في حياته الخاصة، فان غويا يروي لنا أن الشدائد هي تحد يجب التفوق عليه، ولعل هذا هو الجواب على كل ذلك. ■

■ عن مجلة History Today
آب اوغسطس ١٩٧٣

جون روكفلر

اسطوره حقيقية جعلته أغنى أغنياء العالم..

آلان ديكو

ترجمة : مركز الدراسات والابحاث في "تاريخ العرب والعالم"

جون د. روكفلر، اغنى اغنياء الولايات المتحدة الاميركية والعالم في القرن التاسع عشر، يعتبر نموذجاً للانسان الناجح في الدول الغربية الرأسمالية. تحدث وكتب عنه الكثيرون ولكن لم يستطع ان يبرز شخصيته الحقيقية بكل عريها الا الكاتب الفرنسي "ألان ديكو" (١) الذي ربط بحق بين طموح روكفلر الى النفوذ والسيطرة وبين الفترة الذهبية للرأسمالية الاميركية في بدء انطلاقها وازدهارها.

لا يسرد ديكو في مقالته مجمل السيرة العامرة والفاضحة لجون د. روكفلر، وانما يشدد على هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في العالم والتي لن تتكرر اطلاقا في عصر الاحتكارات والتكتلات الاقتصادية الضخمة: ظاهرة تكديس اكبر ثروة مالية في عالمنا المعاصر بين ايدي انسان فرد انطلق من الصفر ووصل الى ذروة النجاح المادي باستخدام اساليب شتى لا علاقة لها اطلاقا بالاخلاق العامة. من هنا يؤكد ديكو على هدفه من خلال هذا البحث وهو الاجابة عن السؤال التالي: هل عرف هذا الملياردير السعادة؟ والجواب يصدمنا عند كل منعطف في حياة جون د. روكفلر.

(١) راجع مقالته في مجلة "ايستوريا" الفرنسية عدد تشرين الثاني ١٩٧٨، ص ٣٠ ــ ٤٥.

■ في الثامن من تموز ١٨٣٩، وفي قرية صغيرة من منطقة "ريتشفورد" شمال شرقي الولايات المتحدة الاميركية، ولد جون دافيدسون روكفلر.

كان والده، وليام الملقب بـ"بيغ بيل"، من اكبر دجالي عصره واكثرهم دهاء وعربدة. بطاقته الشخصية التي صادق عليها هو من غير استشارة اية سلطة رسمية في المقاطعة، كانت تتضمن الكلمات الآتية: "دكتور في الطب. اختصاصي في امراض السرطان والسل والروماتيزم وامراض الجلد". زبائنه: الصيادون والمغامرون على اختلاف مشاربهم والهنود الحمر. علاجه السحري الذي كان "يشفي" كل هذه الامراض: مياه طبيعية مع قليل من السكر محفوظة في اناء.

... وعلى الاقل فانه كان يبيع مرضاه بعض الامل.

معظم الاموال التي يجنيها كان يخسرها في القمار، وعند ذلك كان يعود مرة اخرى الى "مهنته" الطبية.

كان يزور زوجته واولاده في ختام كل جولة من جولاته الاستشفائية وقبل ان يرتاد الخمارات. فيدخل الى منزله المتواضع مبتسما فرحاً بجعبته المليئة بالدولارات. وكان جون الصغير لا يراه الا في هذه الحالة الميسورة، ومن هنا انطبعت في ذهن الفتى البريء صورة زاهرة عن والده.

لكن المال الحرام لا يدوم. وتقع المصيبة: ففي يوم من ايام تموز ١٨٤٩، وكان جون في العاشرة من عمره، تبلغت عائلة آل روكفلر قرار المحكمة بمصادرة كل املاك الاب وبيعها في المزاد العلني. ويكشف المؤرخ الاميركي "آلاين" عن حيثيات قرار الاتهام التي تقول ما يأتي: "... بسبب تعرضه في شكل عنيف وغادر للسيدة×...، واختطافها رغما عنها واغتصابها مما يشكل تجاوزا للقوانين العامة وانتهاكا لكرامة شعب دولة نيويورك" (٢)

من يومها اصبح روكفلر الاب مطاردا لا يأتي الى المنزل الا خلسة وتحت جنح الظلام ليلتقي مع افراد عائلته (زوجته واولاده الستة)، وما يلبث ان ينطلق هاربا كالطريدة، عند بزوغ الفجر. واصبح انسانا غريبا تروى حوله الروايات وتنسج القصص والاقاويل والاشاعات الى درجة ان احدا لم يعرف كيف واين مات.

جون وحياة التقشف

اذن، بدأ جون الصغير ومنذ العاشرة من عمره حياة تقشف تختلف تمام الاختلاف عن حياة "البذخ" التي عرفها في الصغر من دون ان يعيها. واخذ منذ ذلك الحين يقدّر قيمة المال حق قدره. ذات يوم اهداه احد الاقارب ديكين حبشيين. فما كان من جون الصغير الا ان رباهما فتكاثرا، ثم عرض كل ما لديه للبيع في اعياد نهاية السنة وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره، فحصل بالمقابل على الخمسين دولارا الاولى في حياته من تعبه وجهده.

بعد فترة وجيزة عمل عند احد المزارعين لمدة ثلاثة ايام في جمع البطاطا مقابل ٣ دولارات. لكن العمل كان مرهقا للغاية وهو لم يعتد بذل كل هذه الطاقة مقابل ٣ دولارات فقط. فكيف يزيد امواله القليلة بسرعة ومن غير جهد جسدي مرهق؟

وجد جون الصغير الحل صدفة بفضل جرأته: فقد عرض على احد المزارعين المعوزين الخمسين دولارا مقابل فائدة قدرها ٣ دولارات ونصف الدولار. وبعد اشهر قليلة استعاد المبلغ بكامله مع الفائدة. وهكذا اكتشف قانون الرأسمالية المقدس على طريقته الخاصة بما كان يناسب عمره، عندما قال: "فهمت منذ ذلك الوقت انه من الغباء العمل من اجل جمع الاموال. يجب ان تعمل الاموال هي لاغنائك".

لذلك كان من الطبيعي ان يدخله اهله، فور انتهائه من المدرسة الابتدائية، الى مدرسة التجارة في كليفيلاند حيث برع في الحساب في شكل قل نظيره في تاريخ المدرسة. صحيح انه كان ينفر من كل ما له علاقة بالادب والتاريخ والفنون والعلوم، الا ان ميله الشديد للارقام كان يعوض بعضا من تقدير الاساتذة له.

فور تخرجه من مدرسة التجارة، وكان في السادسة عشرة من عمره، بدأ بالبحث عن عمل ما اي عمل. وكان في كل مرة يصطدم بالرفض: "لا عمل لك عندنا يا صغيري". هذا هو الجواب الذي كان يتلقاه. ويعود في المساء الى البيت خائبا.

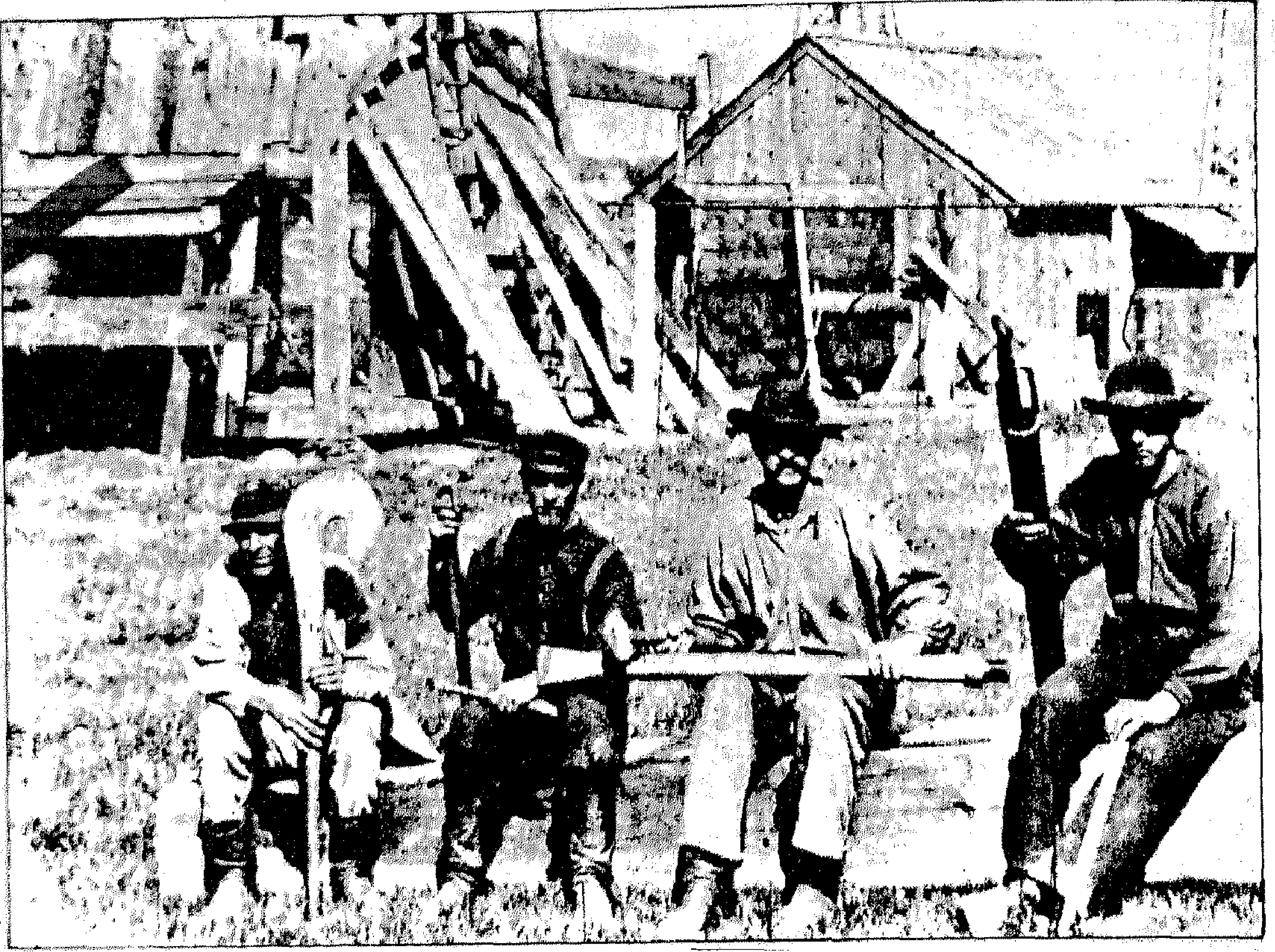
ذات يوم قال له احد الذين توجه اليهم، وكان مساعد مدير شركة "هويت اند تيوتيل" للنقليات: "اصبح الوقت ظهرا. اترك لي مجال الغداء، سنتحدث في الموضوع في ما بعد". وانتظر جون الصغير على باب المبنى من الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الثانية بعد الظهر. ولدى عودته استغرب رب العمل وجوده وسأله: "هل ما زلت واقفا هنا منذ الثانية عشرة ظهرا؟" اجاب جون: "نعم. قلت لي ان اترك لك مجالا للغداء فانتظرتك. لم اكن اعرف انك ستغيب طويلا لانني انا شخصيا اتغدى خلال ربع ساعة فقط".

وهكذا ببراءته كسب جون الصغير الجولة الاولى: عمل فترة قصيرة كمساعد محاسب في شكل تجريبي، ولما أبدى نشاطاً ملحوظا تمّ تثبيته في وظيفته. كان ذلك يوم ٢٦ ايلول ١٨٥٥. هذا اليوم التاريخي الذي كسب فيه جون د. روكفلر نصف دولار اصبح من الايام التي ظل يحتفل بها سنويا طوال حياته.

تقاليد صارمة

واخذت شخصية جون تنضج وتتكامل. وهذا لم يمنعه ابدا من التمسك الصارم بتقاليد عائلة آل

(٢) كثيرون من الصهاينة الاميركيين شككوا في صحة هذا الاتهام الا ان ر. كورو، مؤرخ سيرة جون د. روكفلر، ذكر في كتابه "روكفلر ملك النفط" (منشورات بايو، باريس ١٩٣٤) انه لدى مراجعته للسجلات القضائية الرسمية لتلك الفترة فوجئ باكتشاف ان الصفحة المطلوبة مفقودة.



البداية.. عندما اكتشف البترول عام ١٨٥٩!

روكفلر، ومنها اقتطاع جزء من مدخوله للاعمال الخيرية والمثابرة على تأدية الفرائض الدينية بانتظام وخصوصا تسجيل يومياته وارباحه ومصاريفه في مفكرة صغيرة خاصة بالعائلة.

كل شيء كان يشير من خلال يومياته المدونة هذه الى اصراره على ان يظهر بمظهر رجل الاعمال الناجح: كان انيقا لا يبخل في اقتناء افضل الملابس، يستمع جيدا الى محاوريه، يتكلم قليلا وبتركيز شديد، وقليلا ما كان يبتسم، يبدو انه قرأ بامعان ما كتبه كازانوفا (١٧٢٥ - ١٧٩٨) في مذكراته:

"على الانسان الذي يبحث عن الثروة ان يكون مرنا في تصرفاته، حذقا في معاملته مع الغير، متحفظا في احاديثه، ذا شخصية نافذة، متواضعا احيانا، صادقا مع شيء من الخبث، دائما يبدو وكأنه يفهم اقل مما يفهم في الواقع، صبورا، ومحافظا على اناقته...".

لم تكن تنقصه الا زوجة مخلصة، وأول من وقعت عينه عليها كانت الخادمة، ولكن عندما طلبها من والدتها، التي كانت مزارعة في القرية المجاورة، رفضت الطلب رفضا قاطعا بحجة ان ابنتها لا يمكن ان تتزوج من "شاب لا مستقبل له".

وتابع جون عمله الروتيني في الشركة محاولا تخطي هذا الفشل الاول في حياته، وبعد ٣ سنوات طالب المدير بزيادة في الراتب، فرفض الطلب، فما كان منه الا ان قدم استقالته.

ولكن لم يبق طويلا بلا عمل اذ التقى ذات يوم بشاب انكليزي اسمه كلارك، كان هذا اللقاء بحق لقاء عمل بين رجلي اعمال طموحين: جون كان يدخر حوالي ٩٠٠ دولار وكلارك ٢٠٠٠ دولار، فعرض الاول على الثاني انشاء شركة للنقليات مثل شركة "هويت اند تيوتيل"، ربما تحديا للذين رفضوا تقديره حق قدره.

وهكذا تأسست في كليفلاند شركة "روكفلر اند كلارك" مدعومة بخبرة جون الشاب في مجال النقل والمواصلات.

وتشاء الصدف ان تنشب في هذه الفترة بالذات الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ - ١٨٦٥). كان الحدث نقطة تحول في حياة آل روكفلر: من جهة اندفع احد اشقاء جون، وهو فرانك الى المشاركة في الحرب على رغم معارضة جون الشديدة له، ومن جهة ثانية استفادت شركة "روكفلر اند كلارك" من الازمة لزيادة اعمالها التجارية وتوسيعها. فقضى شقيقه نحبه في هذه الحرب في الوقت الذي كان جون يكدس الدولارات.

جون: الفا دولار

عند انتهاء الحرب كانت اعمال الشركة في اوج ازدهارها، لذلك كـان لا بـد مـن التـوسـع فـي الاستثمارات لتلبية الحاجات المتزايدة. من اين يحصل على المال اللازم؟ خطرت له فكرة الاقتراض بعدما اعياه البحث عن وسيلة اخرى. فذهب الى اكبر مصرفي في كليفيلاند يومها، ترومان هاندي، وطلب منه الفي دولار. ودهش جون لسرعة موافقة هاندي على الطلب. لم يكن يعرف مدى شهرته في المدينة ومدى تقدير رجال المال له ولشركته. أخذ المبلغ وانطلق الى المنزل مهللا: "اصبحت اساوي الفي دولار، اساوي الفي دولار...".

وعلى رغم ان بحثه عن المجد والثروة كان يتم من غير تصنع الا ان الانتقادات القاسية بدأت تنتشر في المدينة، خصوصا تلك المتعلقة بثروته التي جمعها خلال الحرب. كثيرون من اعدائه المهنيين والحاسدين عموما ركبوا الموجة ضد جون الشاب بهدف تحطيمه وهو بعد فيبداية انطلاقـه.

ولكي يقطع دابر هذه المحاولات رضخ لمصلحة الضرائب في المدينة ودفع ١٧ ألف دولار عن ارباحه السابقة. وكان هذا المبلغ الضخم يومها يشير الى ثروته الكبيرة.

لم يكن يسانده في هذه الفترات العصيبة الا القليلون جدا من غير آل روكفلر، من بينهم لورا سيليستيا سبيلتمان، زميلته في الابتدائية ورفيقة دربه الى الكنيسة صباح كل يوم احد. لذلك كان من الطبيعي ان تصبح لورا زوجته.

فتم زواجهما في العام ١٨٦٤ وكان جون يناهز الخامسة والعشرين من عمره. ونجح زواجهما (مع اطفالهما الخمسة) مدى الحياة، اي طوال ٦٥ عاما. وكلمة "نجاح" هنـا نعنـي انهمالـم يخـدع احدهما الآخر مطلقا.

والآن، وبعدما استقر في منزل مستقل، تابع ملاحقته للمجد والثروة في كل زاوية من زوايا القارة الجديدة.

كان جون قد سمع منذ العام ١٨٦٢ عن مادة جديدة اسمها "روك اويل" (زيت الحجر) في مقاطعة بنسيلفانيا. لم يكترث للامر في البدء، الا ان هذه المادة التي سميت في ما بعد بـ"النفط" اخذت تستعمل في مجالات عديدة (كدواء لبعض الامراض، ثم كمادة للانارة...). فقرّر زيارة منطقة "الذهب الاسود" بنفسه ليستطلع الامر عن كثب.

ماذا وجد؟

صعق لهذه الحركة الهائلة من العمال الذين يقومون بحفر الابار هنا وهناك وهنالك وللتجار الذي يضاربون باسعار الاراضي التي يحتمل ان توجد في جوفها كميات من النفط وللهامشيين من الناس الذين يفرّخون في كل موقع تشتم فيه رائحة الدولارات.

لم تعجبه كل هذه الفوضى وكل هذه الاستثمارات التي يضيع معظمها من غير مردود سريع. والشيء الوحيد الذي جعل من هذه الزيارة زيارة ناجحة بالنسبة اليه كان اكتشافه على الطبيعة ان لا قيمـة فعلية للتنقيب عن النفط بل كل الاهمية للنفط بحد ذاته ولتكرير النفط في شكل خاص. لماذا؟ لان حسه الرأسمالي اظهر له بحق ان التنقيب عن النفط يتطلب مخاطرة بينما تكريره لا يؤدي الى اية خسارة نظرا الى انه يوجد دائما من يريد بيع نفطه الخام.

ويبدو ان القدر كان يريد مكافأته على جرأته، اذ عندما طرح جون افكاره هذه على شقيقه الكبير اندروز الذي كان يصنع الشموع، فاجأه هذا الاخير باكتشافه طريقة جديدة لتكرير النفط تعطي نوعية افضل من تلك الموجودة في الاسواق.

لكن شريك جون، كلارك، لم يستوعب تماما هذه العملية الاستثمارية الناجحة سلفا، فتركه.

وهكذا تأسست شركة تكرير النفط الجديدة من ٣ اشخاص: جون وشقيقه اندروز وهنري فلاغلر. وهذا الاخير دعم المشروع بالاموال الاضافية اللازمة التي استقرضها من عمه الذي كان يقوم بتقطير الكحول.

ولع بالتوفير

وكلما كان العمل يتقدم والدولارات تتكدس، كلما زاد ولع جون بالتوفير. كان يقتصد في كل شيء الى درجة انه اخذ يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في اعمال الشركة الادارية منها والفنية: كان احيانا يوبخ مدير التوزيع بسبب نقصان عدد من سدادات البراميل داخل المخزن...

بعد اشهر قليلة تمّ بناء مصفاة نفط ثانية في كليفيلاند تابعة لروكفلر، وهذا شجعه على افتتاح مكتب تجاري في قلب نيويورك للتصدير نحو اوروبا.

لقد اصبحت لروكفلر ثلاث مؤسسات، فلماذا لا يدمجها في شركة واحدة؟

وهكذا تأسست في ١٠ حزيران ١٨٧٠ اولى الشركات الاميركية العالمية للنفط "ستاندرد اويل اوف اوهايو "برأسمال مليون دولار.

لم يكترث احد يومها لهذه العملية الاندماجية مع انها كانت بداية انطلاق الرأسمالية نحو مرحلتها الاحتكارية. كانت في الواقع ثورة في التاريخ الاقتصادي العالمي. ربما كان ما يلفت انتباه الناس حينئذ ازدياد تمسك جون بالتوفير الى درجة البخل، رغم تدفق الدولارات عليه: فذات يوم كان يركب القطار والى جانبه سيدة من معارفه يتحدث اليها. وعندما مرّ الجابي دفع جون دولارا، فما كان من الجابي الا ان حسم ثمن تذكرتين. فتجهم وجه جون واحتد قائلا: "ينقص بعض البنسات". اجابه الجابي مرتبكا: "لكن.. سيدي... اعتقدت انكم ستدفعون ثمن مكانين". عندها قال جون بهدوء: "لا تحاول ابدا ان تتصوّر أموراً طائشة".

ولكن... كيف كانت الصفقة المقبلة، اذ لا بد ان تكون أية صفقة مقدمة لصفقات اخرى؟ بكلمة واحدة: السيطرة على كل شركات تكرير النفط الاخرى في كليفيلاند وعددها في تلك الفترة كان ٢٦ مصفاة.

وللوصول الى هذا الهدف بذل جون كل عبقريته الرأسمالية الفذة والتي يمكن ايجازها بالآتي:

- اولا - الاتصال بأصحاب المصافي الصغيرة وعرض مبالغ عليهم تفوق بكثير ارباحهم السنوية. هذا ما حصل لاحدهم مثلا مقابل ٤٧٠٠ دولارا.

- ثانيا - شن حرب استنزاف اقتصادية وتجارية ضد المصافي الكبرى من خلال عقد الاتفاق السري الشهير مع شركات السكة الحديدية التي تنقل النفط. يتلخص هذا الاتفاق بتخفيض ٥٠ في المئة من اجور النقل لشركته مقابل زيادة ٥٠ في المئة على اجور النقل للشركات الاخرى والادهى من ذلك ان روكفلر استطاع الحصول ايضا على نسبة معينة من ارباح شركات النقل الاضافية. وهكذا كان اصحاب المصافي، الذين لم يقدروا تحمل الزيادة الهائلة، لقمة سائغة امام جبروت روكفلر. فماذا كانت النتيجة؟

خلال خمس سنوات (١٨٧٢ - ١٨٧٧) ازدادت طاقة تكرير شركة روكفلر من ٤ في المئة الى ٩٥ في المئة من حاجات السوق العالمية للنفط. وتبقى الـ٥ في المئة الاخرى.

- ثالثا - بالنسبة الى "المتمردين" الاخرين، كان روكفلر يمهلهم وقتا اضافيا لـ"اعادة التفكير" في الامر. وفي الوقت المناسب كان يخفض الاسعار مما يهدد بافلاسهم. لكن البعض استمر في صموده. فجاءه الرد قاسيا: بكل بساطة، وبقدرة قادر، يتوقف المنتجون عن تزويدهم بالنفط الخام او يمتنع الزبون الاجنبي عن شراء النفط المكرر. وفي الحالتين تكون الكارثة حتمية في حال عدم الرضوخ لروكفلر.

- رابعا - من بين الـ٢٦ مصفاة الموجودة حينئذ في كليفيلاند لم تبق الا اثنتان خارج كارتيل روكفلر. واستنادا الى قوانين السوق الرأسمالية كان الامر يعني شواذا لا يمكن ان يستمر. وبالفعل لم يستمر.

المصفاة الاولى انفجرت في احد الايام والسبب: خطأ من المهندس الفني المشرف عليها. وحاول عبثا صاحب المصفاة مقاضاة روكفلر بعدما ثبتت علاقته بالمهندس، الا ان الامر انتهى وطوى النسيان الماضي. المهم انه بقي على قيد الحياة.

اما المصفاة الثانية فصاحبتها كانت احدى الارامل التي تعيل اطفالها بعدما استشهد زوجها في الحرب الاهلية. وعندما علمت بمخططات روكفلر ذهبت لزيارته وتوسلت اليه ان يتركها وشأنها واستحلفته بشقيقه الشهيد الذي قضى هو ايضا في هذه الحرب. فتأثر كثيرا للدموع. وكعادته في مثل هذه المواقف الانسانية الحساسة وعدها روكفلر خيرا. وفي صباح اليوم التالي طردت الارملة من مصفاتها.



□ روكفلر العجوز قبل سنين من وفاته.

واخيرا استقر الوضع واصبح جون د. روكفلر ملك النفط غير المتوج. فنقل مقر شركته الاحتكارية الى نيويورك (في شارع برودواي) كما نقل اليها عائلته (في الشارع ٥٤ رقم ٤).

منذ ذلك الحين بدأت العقبات تعترض مسيرته، هذه العقبات التي كان يجد دائما سبل تخطيها باقل الخسائر الممكنة. واهم العقبات ثلاث:

– العقبة الاولى كانت في افتضاح امر اتفاقه السري غير المشروع مع شركات السكة الحديدية، وتنطلق الصحف في نيويورك في حربها الاعلامية والنفسية ضد روكفلر ويتحرك الشارع وتكثر التجمعات التي تسخر من لا اخلاقية جون. كما يهدد المنتجون بوقف امداد مصافي الشركة بالنفط الخام. وتكبر المسألة الى درجة احالتها على القضاء. لكن يبقى السؤال: من الذي كشف سر الاتفاق؟

ولا يطول انتظار الجواب لان الشخص المذكور، ويدعى "ارخبولد"، يكشف الامر بنفسه لجون مساوما على بعض الاسهم في الشركة، فيوافق روكفلر على الابتزاز.

مرة اخرى، وبقدرة قادر، تتوقف الحملات الصحفية وينتشر الخبر السعيد: الغى روكفلر اتفاقه السري مع شركات النقل! ورغم ذلك بقي الاتفاق كما كان في السابق.

– العقبة الثانية كانت في القانون الاميركي المناهض للاحتكارات ("شيرمان أكت" للعام ١٨٩٠). ومن جديد تقوم القيامة ضد جون روكفلر ويساق الى المحاكم ولجان التحقيق البرلمانية. ودائما كان يجد من يدافع عنه ويقدم الحجج القانونية والاجتهادات المختلفة. الا ان الاهم من كل ذلك كره الناس المتعاظم له. اصبح روكفلر رجلا مكروها حتى من الكنيسة التي كان يتبرع لصندوقها الخيري بملايين الدولارات، اذ ان الكهنة رفضوا في نهاية الامر هذا "المال الحرام".

ولم يكترث ملك النفط لكل هذه الحملات. لم يكن يأبه الا لحسه الرأسمالي الذي بشره بازدهار اعماله اكثر فاكثر عندما شاهد اولى السيارات في شوارع نيويورك. فطن فورا لاهمية هذا الحدث: نفطه سيشكل وقودا لا غنى عنه للسيارات الحديثة هذه.

– ... وكانت العقبة الثالثة هي القاضية: ففي غمرة مشاريعه واحلامه في المزيد من اطنان الدولارات، اضطر لاتخاذ قراره الذي هزّ السوق العالمية والاقتصاد العالمي: الاعتزال. كان ذلك في العام ١٨٩٥ وعمره لم يتجاوز الـ٥٦ عاما. والسبب: مرض خطير جعله اشبه بالهيكل العظمي خلال اشهر قليلة.

هكذا تشاء الصدف.

ويخلفه في رئاسة امبراطوريته عدوه الذي اصبح في ما بعد شريكه: ارخبولد.

وعلى رغم ذلك لم يرحمه المجتمع الاميركي الحاقد عليه حتى في عزلته ومرضه. فترفع الدعاوى ضده للتستر على ملكيته لاحتكار نفطي في صورة مخالفة لقانون ١٨٩٠. ويرضخ ملك النفط اخيرا لحكم القضاء، وانما ليس من غير مقاومة، اذ نجح في اقرار تصفية احتكاره تدريجيا وليس دفعة واحدة. يعطيه هذا الامر وقتا كافيا لتصريف ثروته في شكل او في آخر.

هل ارتاح جون د. روكفلر اخيرا؟ كلا.

حاول في عزلته ان يتسلى بأسهم شركات السكة الحديدة ومناجم الحديد. وسرعان ما تحولت هذه الاسهم الى ذهب، اذ ربح صدفة بضع مئات من الملايين من الدولارات نتيجة تحول لصالحه في البورصة. كل ذلك لم يعد يعني له شيئا. فقرر التخلي عن كل ما له علاقة بالمال والاهتمام فقط بالغولف.

بين سنوات ١٩٠٠و١٩٣٠ لم يهتم الا بالغولف صيفا وخريفا وشتاء وربيعا. اصبح احد اشهر لاعبي الغولف في الولايات المتحدة الاميركية. كان سعيدا بمهارته الجديدة كسعادته عندما أسس اول امبراطورية للنفط في العالم. لكن سعادته الوهمية هذه كانت تخفي وراءها الخوف. خوفه من الاغتيال لانه كان يشعر في قرارة نفسه انه اكثر الرجال المكروهين في العالم.

ذات يوم، وعلى غير عادة، زاره كاهن اسمه "غيتس" جاء يطلب ٦٠٠ ألف دولار لمشاريع الجامعة الملحقة بالكنيسة المجاورة.

لبى جون فورا الطلب علهيستعيد شيئاً من عطف المجتمع عليه. لكن الكاهن لم يمهله لحظة واحدة للتفكير وفاجأه بالقول: "جون. حان الوقت لكتابة وصيتك. لا بد ان تفكر في مستقبل اولادك واحفادك..." . مرة ثانية خلال اقل من دقيقتين رضخ روكفلر للطلب. كيف؟ لماذا؟ المهم انه رضخ.

ولسخرية القدر ان "يتخصص" ابنه البكر في الاهتمام بتوزيع ثروة والده وذلك من خلال مؤسسة روكفلر الخيرية التي اصبح يديرها الكاهن غيتس نفسه.

... لم تنته اسطورة جون روكفلر عند هذا الحد. فالقدر قسا عليه مرة اخرى واخيرة. ففي عيد ميلاده الـ٩٧ قال لافراد عائلته الذين التفوا حوله بشفقة: "اراهنكم انني سأعمر حتى المئة".

وللمرة الاولى فشل جون في رهانه عندما فاجأه الموت-يوم ٢٣ ايار ١٩٣٧، وكأنه يريد ان يقول لملك النفط: "كفى مراهنة". ■

البروج الفلكية

تاريخها .. وأضواء عليها

إعداد : منى تنير

تعتبر البروج الفلكية من المسائل القليلة التي فرضت نفسها على قطاع كبير من الناس، وهي تلعب دورا مميزا في الحياة اليومية (الاجتماعية والمهنية) لجهة التأثير المباشر وغير المباشر على نفسية الافراد وتصرفاتهم.

وبغض النظر عن الطابع العلمي او الاسطوري لهذه المسألة، فمما لا شك فيه، في عصر الفضاء الكوني الذي نشهد اليوم اشعاعات بزوغه الاولى، ان للنجوم والكواكب وكافة المظاهر الفلكية الاخرى تأثيرا معينا على التكوين البيولوجي للانسان.

اوائل علماء التنجيم الفلكي اعتقدوا ان السماء تسكنها حيوانات وآلهة وابطال. لذا فان اليونانيين القدماء، كأساتذتهم البابليين والكلدانيين، اطلقوا على البروج اسماء آلهتهم وابطالهم وصوروها على شاكلة الحيوانات في اساطيرهم. اما العلماء المسلمون والعرب فانهم - لاسباب لا مجال لدراستها هنا - اهتموا بعلم الفلك عموما اكثر من اهتمامهم بمسألة التنجيم الفلكي.

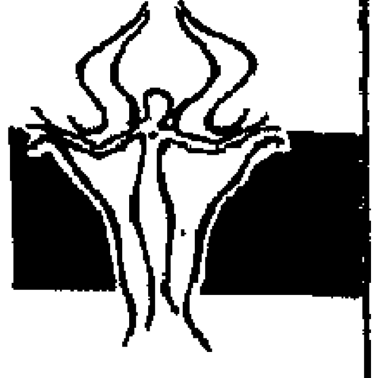
لكن القلائل الذين اهتموا بالتنجيم الفلكي ابدعوا فيه: نذكر منهم العالم عبد الرحمن الصوفي الرازي في كتابه "صور الكواكب الثابتة" الذي ضمنه صورا ورسوما، معظمها على شكل حيوانات، لنحو ١٤٢٠ نجما وكوكبا واعطاها اسماء ما زالت متداولة الى يومنا، مثل الحوت والعقرب والعذراء..كما نذكر ابا الريحاني البيروني في كتابه "التفهيم لاوائل صناعة التنجيم" الذي يعتبر من امهات المراجع في هذا الموضوع بالنسبة الى الشرق والغرب معاً.

ومن بين العلماء الذين يبدو انهم لم يحظوا باجماع الباحثين والمؤرخين حول دورهم الخلاق في هذا المجال، نشير الى "ابي معشر" البلخي مولدا والبغدادي اقامة. اهم مصنف له هو "كتاب المدخل الى علم احكام النجوم".

وفي هذا السياق لا بد من التنويه بالاكتشاف المهم المتعلق بصورة دائرة البروج التي وجدت حوالي الاعوام (٧١١ - ٧١٥م)، في مبنى اثري اموي يعرف باسم "قصير عمرو".

ومما لا شك فيه اليوم ان علم التنجيم الفلكي الاوروبي في القرون الوسطى لم يكن ليتطور وينتقل الى مرحلة نوعية جديدة لولا المساهمات الخلاقة للعلماء المسلمين والعرب الذين استفادوا هم ايضا من انجازات من سبقوهم ليطوروا ويعقلنوا الاسس الاولية لعلم التنجيم الفلكي الجديد.

وهكذا فان مسألة التنجيم الفلكي هي في الواقع جزء من التاريخ العام للحضارات البشرية. ولكل اسم من اسماء البروج الـ ١٢ المعروفة حاليا (١) قصة طريفة يمتزج فيها الخيال بالواقع



الحلقة الاولى : برج الدلو ٢١ ك٢ - ١٩ شباط

يرمز الى برج الدلو بتعبير "حامل الماء"، ذلك ان علماء التنجيم الفلكي يربطون دائما بين هذا البرج والماء، ربما بسبب ان الشمس تمر فيه خلال ايام شهر شباط الممطرة. ويذكر ان الفراعنة رمزوا الى هذا البرج برمز جزيرة "الاليفنتين" المصرية المقابلة لاسوان.

استطاع عالم الفلك الفرنسي "لوفيريي" (١٨١١ - ١٨٧٧) اكتشاف احد الكواكب في المجموعة الشمسية في العام ١٨٤٦ داخل "الحدود الفلكية" لبرج الدلو. فسمى الكوكب باسم "نبتون"، وهو اله البحر والملاحة عند الرومان الاقدمين.

واستنادا الى ابحاث العلماء فان برج الدلو له تأثير مباشر على انحاء محددة من الجسم البشري هي: الكاحل وعضل الساق خصوصا.

ان مواليد هذا البرج لطيفو المعشر واجتماعيون، شعارهم "الاخوة بين البشر مع الحرية الشخصية". من هنا يتميز هؤلاء بطبعهم المعقد بسبب صعوبة التوفيق بين الحرية الشخصية للفرد والعدل لجموع البشر. وهم يميلون للانضمام الى الجمعيات التي تعمل على تحقيق اهداف انسانية، فينشرون داخلها العديد من الافكار مما يسمح لهم مبدئيا بفتح حوار واتصال مستمرين مع الاخرين.

لكن بما انهم مستقلون في تصرفاتهم ويثقون في انفسهم ثقة كبيرة، فان الحوار معهم صعب للغاية لان كل ما يطرحونه بالنسبة اليهم صحيح. وبالتالي كثيرا ما يهملون الرأي الآخر ويكابرون في مواقفهم. اما في حال اختيارهم لصديق ما فانهم يكنون له كل الاخلاص والمودة.

وعلى رغم كل هذه التناقضات فهم يتحلون بروح الابداع وبعد النظر والعقلانية والذكاء.

من بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الدلو نذكر:

- الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون
- العالم البريطاني شارلز داروين
- الكاتب البريطاني شارلز ديكينز
- الممثلة الفرنسية جين مورو
- العالم الايطالي غاليليو
- الرئيس الاميركي الاسبق ابراهام لينكولن
- الكاتب البريطاني سومرست موم
- العالم الاميركي توماس اديسون
- الممثلة البريطانية فانيسا ردغريف
- الرئيس الاميركي الاسبق فرانكلين روزفلت
- الممثلة الاميركية كيم نوفاك.



ـ رسم برج الدلو على لوحة خشبية.

(١) سنتطرق في حينه الى النظرية الجديدة للعالم الفلكي جان رينياك الذي اثبت وجود البرج الثالث عشر، وهو برج الافعى، لمواليد ما بين ٢٣ تشرين الاول و ٩ تشرين الثاني. وهذا البرج يقع بين كوكبي العقرب والقوس.



تـاريخ

الصين مهد الشطرنج أم الهند؟

الامبراطور ياو اخترعه لتعليم ابنه فنون الحرب ام اخترعه هانسنك لالهاء جنوده؟

يكتبها محمد مراد بكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

الصين واليابان

■ الشطرنج الصيني مؤلف من ٦٤ خانة كلها من لون واحد، في نصف الرقعة خط عريض يدعى "هو" يقسم ساحة المعركة (اي الرقعة) الى شطرين في كل قسم ٣٢ خانة، القطع في كل قسم لها لون مختلف عن الاخر، عادة احمر واسود. توضع هذه القطع على زوايا الخانات وليس في نصفها كما تصف احجار الشطرنج العصري الدولي اليوم، وهكذا وعلى الرغم من وجود ثماني خانات فمن الممكن وضع تسع قطع في كل خط.

لتربح جولة يجب وضع قائد الاعداء (اي الشاه) ويدعى في الصين (سيانغ) في وضع مات، واليك وضع القطع في بدء الجولة.

في الصف الاول

عربة الحرب ـ الحصان ـ الفيل ـ الملازم ـ الجنرال ـ الملازم ـ الفيل ـ الحصان ـ عربة الحرب ـ

الحرب الحرب

في الصف الثاني

مدفع مدفع

جندي ـ جندي ـ جندي ـ جندي ـ جندي ـ جندي

وكذلك في القسم المقابل.

المدفع يشبه الحصان في شطرنجنا اليوم، يستطيع القفز فوق القطع ولكن عليه كي يستطيع اسر قطعة عدوة ان يكون منفصلا عنها بقطعة من قطعه او من قطع خصمه والا فانه لا يستطيع ذلك.

الشاه والمدافع والعربات لا تستطيع قطع النهر اي الخط الفاصل، الجنود لا يتقدمون اكثر من خانة واحدة في كل مرة ويأسرون يمينا او شمالا ولا يحق لهم التقهقر.

لعبة الشطرنج تدعى في الصينية "كي" واللاعبون كيتزي Ki-Tsze وهناك انواع كثيرة منها لعبة تدعى واي كي Weï-ki وقد وضعت كما يقول المؤرخون الصينيون سنة ٢٢٢٠ قبل الميلاد.

في الموسوعة اليابانية الكبيرة الكتاب السابع عشر الصفحة الاولى، جاء ما يأتي: اخترع الامبراطور ياو YAO, هذه اللعبة التي دعيت واي كي Weï-ki لتساعده على تعليم ابنه فنون الحرب. ويقول مؤرخون اخرون ان الامبراطور شون CHUN هو الذي اخترع هذه اللعبة لنفس الهدف.

ادخال لعبة الشطرنج الى اليابان يعود الى "كي ـ بي ـ كو ki-bi-ko هذه الشخصية التاريخية الشهيرة ويقال انها من المع شخصيات التاريخ القديم لنيبون Nippon. ولد سنة ٦٩٤ وتابع دراسته في الصين في سن الثالثة والعشرين ولدى عودته الى وطنه سنة ٧٣٣ ادخل معه كثيرا من العلوم والفنون الصينية وخصوصا الحروف المعروفة باسم كاتاكانا Kata-Kana ولعبة الشطرنج.

وتقول الموسوعة اليابانية، ان لعبة الشطرنج دخلت اليابان بواسطة كي ـ بي ـ ساما Ki-Bi Sama بعد ان عاش في الصين مدة عشرين عاما، ولما عاد الى القصر في نيبون في السنة السابعة من التقويم الامبراطوري (٧٣٥ ميلادية) اتى معه بهذه اللعبة وكان ذلك في عهد الامبراطور HIOUEN-T SOUNG في الصين، وعهد الامبراطور SZI-MOU في اليابان.

في الصين، كانوا يعلمون البنات لعبة الشطرنج في سن مبكرة بنفس العناية التي كانوا يعلمونهن بها الغناء والرقص.

بعد مرور ٣٧٩ عاماً على كونفوشيوس، ارسل هونغ كوشو Hung-Cochu ملك كيان غان Kian-Guan حملة عسكرية بقيادة هانسنك HANSING لفتح بلاد شنسي Shensi. وبعد حملة موفقة اوصلته الى ابواب المدينة دهم الجند فصل الشتاء القارص، وطال الحصار ولم يكن الجند معتادين على مثل هذا البرد، فاستبد بهم الحنين للعودة الى زوجاتهم واولادهم وطالبوا بالحاح بالعودة الى وطنهم. ولم يكن هانسنك محاربا عاديا، بل قائدا ذا ذكاء حاد، فاخذ يعمل جهده



ـي مخطوطة صينية قديمة يبدو فيها الامبراطور "يو-تاي"

لأيجاد مخرج من هذه الازمة، واذا به يخترع بعد تفكير عميق لعبة الشطرنج، ليسلي جنوده اولا وليلهيهم عما هم فيه، وليتمي فيهم روح الحرب والقتال ثانية، ذلك ان اللعبة التي وضعها تشبه المعارك الحقيقية وتدار وفقا لمبادىء الحرب وفنونها. ونجح القائد في مبتغاه، فقد احب الجند اللعبة، وأنستهم المعارك الصغيرة هذه على الرقعة ما هم فيه. وما ان انقضى فصل الشتاء، ودخل الربيع حتى استطاع القائد الذكي ان يضيف الى مملكة كيان غان بلاد شنسي الغنية بمواردها الطبيعية.

وبعودته الى بلاده مع الملك الاسير شوباينان Choupaynen اطلق لقب امبراطور على اول ملك لليابان وكان في ذلك الوقت يدعى Hung-cochu ومن فرط حزنه على مملكته انهى شوباينان حياته بالانتحار.

في Haî-Piène (الموسوعة الصينية) وتدعى بالابجدية الكبرى في الصين، وضع امام كلمة Siangh-ki : اختراع الشطرنج يعود الى اصل هندي، دخلت الصين في عهد الامبراطور "يو - تاي" yau-ty حوالي سنة ٥٣٧ ميلادية.

الشطرنج الصيني لا يقل جمالا وغنى في خططه عن الشطرنج المعروف اليوم. ويقول المؤرخون انه قد يكون اكثرتعقيداالوزيراو الملكة غير موجودين في الشطرنج الصيني، ونجد مكانهماوزيرين او ملازمين او اولاد الملك. في الخط الافقي الثالث وامام الفرسان يوضع ملازمان (تشبها بالرتب العسكرية) وهاتان القطعتان مهمتان كثيرا وتتحركان بطريقة خاصة، في خط مستقيم وفي زاوية قائمة، (قد تشبه تحركات الحصان اليوم) تضعان الشاه في وضع (كش) وتأسران بطريقة مختلفة.

في التاسع عشر من اب ١٩٧٨ اثناء المباريات الاخيرةلبطولة العالم التي جرت في الفيليبين بين اناتولي كاربوف وفكتور كورتشنوي، نشرت احدى الصحف في هونغ كونغ المقال التالي:

يتابع كورتشنوي وكاربوف في باغيو سيتي في الفيليبين لعبهما حول شكل من اشكال لعبة الشطرنج التي وجدت منبعها في اسيا والتي يدعي الغرب ابوتها خطأ.

صحيح ان الشطرنج الدولي الحالي لا يلعبه الا قليلون من الانتليجانسيا في اسيا ولكن الاغلبية من اهالي الصين وهونغ كونغ وسنغابور وغيرهم من بلاد اسيا يعرفون تمام المعرفة قواعد اللعبة الصينية Hsiang-chi وبمعنى اخر شطرنج الفيلة كما تعني الكلمة هذه في اللغة الصينية. هذه اللعبة اخترعت كما يقول بعض المؤرخين ما بين ١٢٢ و٢٥٥ قبل الميلاد، واخذتها ونسيتها الصين مدة طويلة الى ان اعادها اليها رهبان بوذيون، ثم اتجهت اللعبة نحو فارس فالبلاد العربية ومن ثم الى اوروبا. ويقول مؤرخون اخرون ان لعبة Hsiang-chi اتت من الهند الى الصين كفرع من فروع الشطرنج التي وضعها غورو صصه (وقصته معروفة سنعود اليها في عدد لاحق).

هذه اللعبة الصينية عدلت في كثير من بلاد اسيا، الا في الفيتنام حيث لا تزال تحافظ على صورتها الاولى. في كوريا واليابان احدثت فيها بعض التغييرات والاقتباسات واصبح اسمها في

اليابان (غو) Go وهي لعبة شبيهة بالستراتيجية العسكرية وكلها شبيهة بالشطرنج اليوم.

ال Hsiang-chi وال Go كل منهما مؤلف من ٦٤ خانة و٣٢ قطعة وهدفهما اسر الملك او الشاه، وهناك بعض التشابه او المعادلات بين القطع الصينية وقطع الشطرنج اليوم، الملك او الشاه موجود في اللعبتين، ولكن لا توجد ملكة (اي وزير) في اللعبة الصينية. البيدق يصبح جنديا في اللعبة الصينية، الرخ يسمى عربة، الفرس هو هو ويدعى حصانا، الفيل فيل حقيقي، وتحوي اللعبة الصينية على جنرال ووزراء ومدافع.

نقل الاحجار تقريبا متشابه في كليهما، ولكن القطع الصينية تتحرك على الخطوط وليس على الخانات، وهناك كما ذكرنا آنفا، خط ابيض يفصل المعسكرين ويقصد بهذا الخط النهر الذي يفصل بين المقاطعتين، وهذا ما يعطي بعض النور او التفسير على اصل اللعبة الصينية Hsiang-chi

وفقا لهذه النظرية، وضعت لعبة الشطرنج تشبها بعوامل الطبيعة وتكوين الكواكب من قبل امبراطور في عهد السلالة الحاكمة Six Dynasties ما بين ٤٢٠ - ٥٨٩م، وقطعها تشبه الكواكب. وكان للحظ نصيب في اللعب اذ كانت القطع توضع على الرقع او تتحرك مثل لعبة الزهر، وهكذا مع الزمن اصبحت اللعبة الصينية تلعب في مباريات عامة، اما اسمها فقد يكون راجعا الى ان احد القطع هو فيل ومعناه بالصينية Hsiang وتعني ايضا صورة ويقصد بها الشبه بين هذه اللعبة وبين حركة الكواكب.

بقيت اللعبة الصينية مدة طويلة تسلية الحكام والوزراء في الصين، ثم عممت لفحص درجة الذكاء عند بعض النافذين، اذ كان على رجال السياسة ان يتقنوها جيدا قبل ان يطمعوا باي نجاح في مناصبهم. اما اليوم فقد اصبحت تسلية الشعب باكمله يلعبونها في كل مكان وعلى الارصفة في الشوارع وخصوصا في هونغ كونغ، واصبحت لعبة تمارس في الاعياد الوطنية على رقع كبيرة جدا.

ويحكي تاريخ الصين قصصا كثيرة عن جنرالات ومحاربين مشهورين كانوا يصرون على اكمال جولتهم او نقل حجرهم قبل الالتفات الى عدوهم المباغت او الذي يطوقهم او يضيق الخناق عليهم واحيانا حتى لو كانوا في احرج الازمات.

احجار اللعبة الصينية ذات النوعية الممتازة كانت تصنع قديما وفقا للتقاليد من العاج او من الجاد وكان سعرها خياليا. اما الاحجار الشعبية فكانت تصنع من الخشب (تختلف نوعيته وفقا للمبلغ الذي يدفعه الشاري) وهي بهذا الشكل انتشرت بين الشعوب في اسيا.

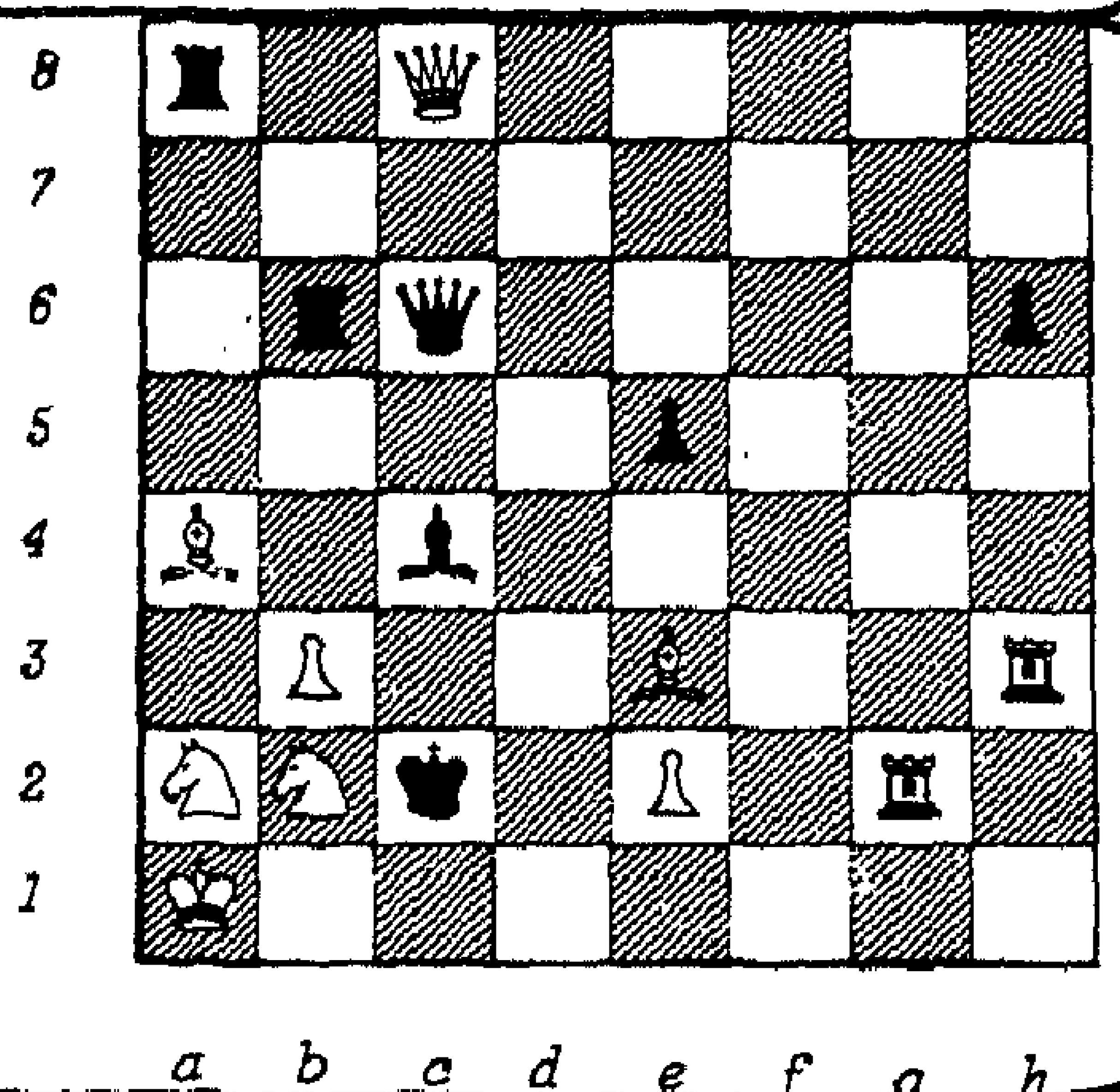
نموذج جديد ظهر اخيرا وهو مصنوع من البلاستيك اما الاشكال الفنية فقد استعيض عنها ببعض الرموز التي يتعرف عليها اللاعبون بسرعة.

وعلى هذا الشكل قد تنتشر اللعبة الصينية هذه Hsiang-Chi اليوم في العالم كما انتشرت منذ الاف السنين في غرب الصين.

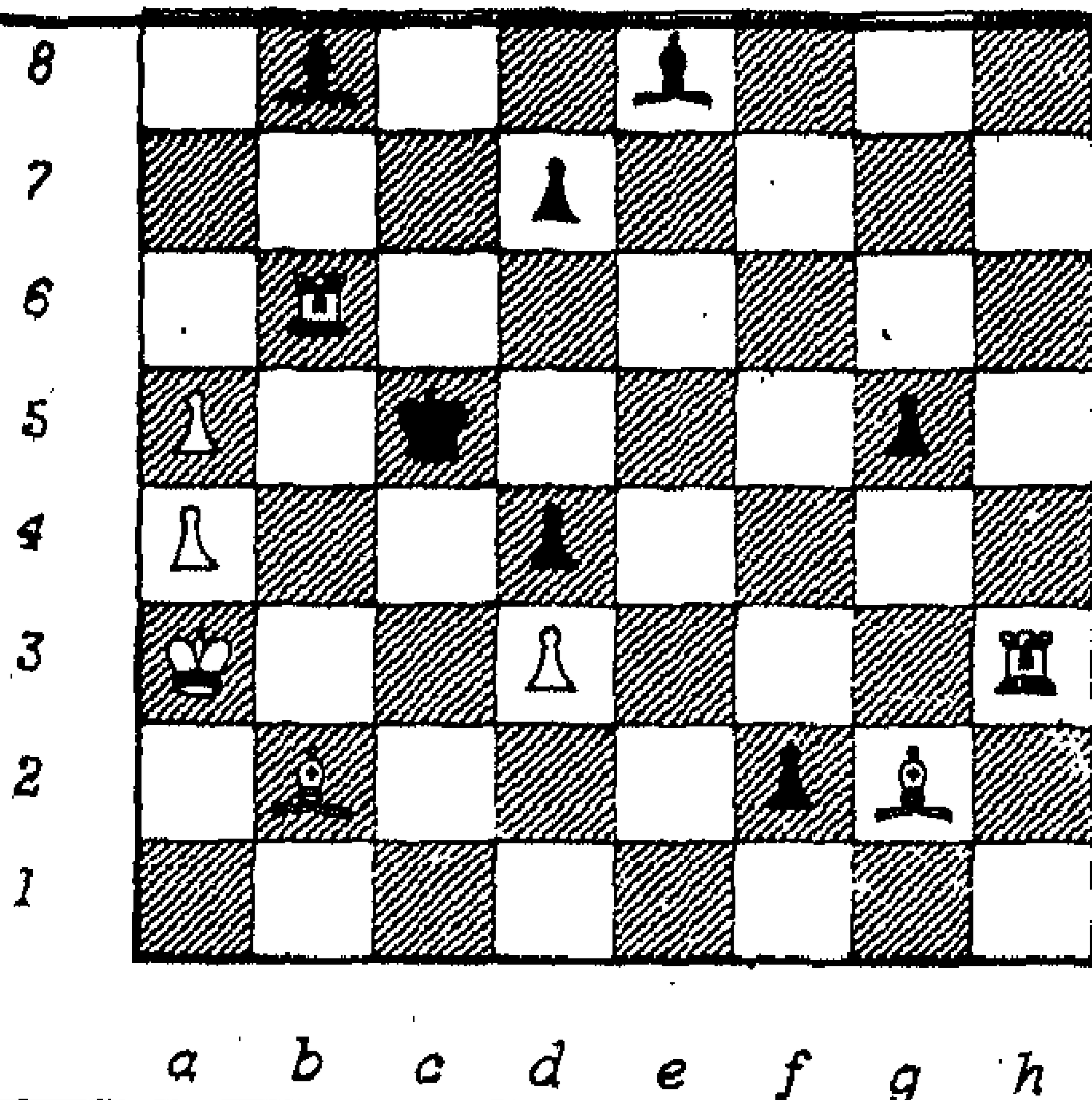
من هذه التناقضات يتبين لنا ان اصل الشطرنج لا يزال مجهولا وان يكن محصورا بين الهند والصين ونظنه من الهند وسنعود الى ذلك في عدد مقبل ان شاء الله. ■

مسابقة الشطرنج

المسألة رقم ٧
مات بنقلتين



المسألة رقم ٨
مات بثلاث نقلات



حل المسابقة الشهرية رقم ٢

المسألة رقم ٣: المفتاح 1-Cç6

المسألة رقم ٤: المفتاح 1-h6

الفائزون:

وصلتنا رسائل عديدة منها بكل اسف ما لا يحمل اسم صاحب الحل ان على المغلف أو على الرسالة، انما لم يرسل الحل الصحيح سوى اثنان فقط هما: السيد م، كامل سعيد - حمص - ص،ب، ١٩٦ والسيد سليمان الرمضان من جامعة حلب، وبنتيجة القرعة فاز الاول بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية، والثاني فاز بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك سنة وسترسل لهما جائزتاهما قريبا وقد حجبنا الجائزة الثالثة هذا الشهر على ان تكون من نصيب فائزين أربعةفي العدد المقبل،

على ان هناك كثيرين حلوا مسالة واحدة ولم يوفقوا في الثانية ونرجو لهم حظا سعيدا في المرة المقبلة،

ملاحظة للقراء:

ان فوز اثنين هذه المرة ومن سوريا فيه الجواب المباشر للذين يظنون ان المسابقة وضعت فقط للبنانيين وان تأخر البريد يمنع بصورة ما اشتراك من هم خارج لبنان، واحبان انسوه باننا استلمنا عدة رسائل من الخليج وخصوصا من الامارات العربية ولكن الحل لم يكن صحيحا، لذا فليطمئن الاصدقاء الى اننا ناخذ بعين الاعتبار تاخر البريد ولا نبدأ بالقرعة الا قبل ايام قليلة من بدء طبع هذه الزاوية،

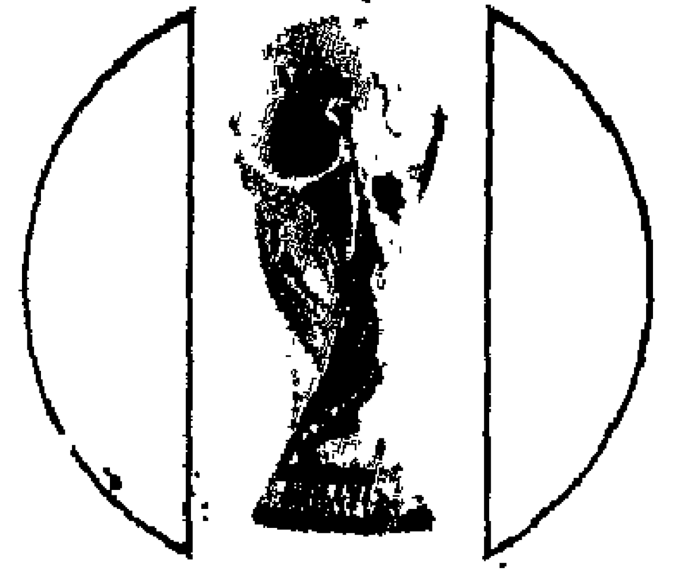
اما تقديمصفحاتاكثرعن الشطرنج فقد حاولنا بهذا العدد ارضاء القراء، ولكن احيانا تضطرنا كثرة المواد الاخرى للاختصار،

على كل نشكر للقراء عواطفهم وتشجيعهم لهذه الزاوية،

مسابقة الشطرنج

■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص،ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج، يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال،

قسيمة الشطرنج رقم ٤	
	الاسم : -----------------
	المهنة : -----------------
	العنوان : -----------------



كأس العالم لكرة القدم

كيف نظمت عام ١٩٣٠ أول دورة عالمية للكرة ؟

رفيق علم الدين



الكأس المذهبة للبطولة العالمية الاولى لكرة القدم

شغل الصحافي العالمي جان ايكينازي خلال عشرين سنة متتالية منصب مدير الشؤون الرياضية في جريدة "فرانس سوار" الفرنسية، وحاز على الجائزة الكبرى من الاكاديمية الرياضية، وهو في كتابه "ارجنتين ٧٨". (منشورات دوميسين، باريس ١٩٧٨) يروي التاريخ المنسى للبطولات العالمية وكأس العالم لكرة القدم ابتداء من البطولة العالمية الاولى التي جرت في الاورغواي (١٩٣٠) وحتى دورة الارجنتين الاخيرة (١٩٧٨)، كما يكشف عن جوانب جديدة من تاريخ اكثر الالعاب الرياضية شعبية في العالم المعاصر، هذه اللعبة التي تجسد انتصار الخيال المبدع لكونها تجمع في آن معا بين التنسيق الجماعي المنظم والمبادرات الفردية الجريئة. ـ

وقد جاء في كتابه عن تنظيم اول دورة عالمية في كرة القدم في عام ١٩٣٠. ما يأتي:

الاوروغواي تحقق
حلم جول ريميه

عندما طرح جول ريميه، رئيس الاتحاد الفرنسي لكرة القدم ومؤسس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) فكرة تنظيم مباريات عالمية لكرة القدم، لم يلق حماس الدوائر الرسمية بسبب صعوبة التنفيذ. ومع ذلك كان هاجسه في كل لقاء صغير او كبير، رسمي او غير رسمي، ان يطرح هذه الفكرة على اوسع نطاق ممكن. وجاء العام ١٩٢٩ ليشهد اول انهيار اقتصادي رأسمالي بعد الحرب العالمية الاولى. فنشط ريميه وسط اليأس العارم والاحباط لدى ملايين البشر ليعيد الحماسة والبسمة الى وجوه الناس. ولم تمض شهور قليلة الا وكانت دولة صغيرة في اميركا الجنوبية قد حققت حلم مؤسس الفيفا، هذه الهيئة الدولية التي تضم اليوم اعضاء رسميين يفوق عددهم عدد اعضاء الامم المتحدة نفسها.

والسؤال الذي لم يطرحه الكثيرون حينها هو: لماذا اختيرت الاوروغواي بالذات؟

الاسباب عديدة واهمها المشاكل الاقتصادية والمالية التي كانت تواجهها الدول الاوروبية والولايات المتحدة نفسها. ومع ذلك لم يكن اختيار هذا البلد الصغير اختيارا عشوائيا اذ ان فريقه الوطني كان قد ربح مرتين في الالعاب الاولمبية لكرة القدم التي جرت في باريس (١٩٢٤) وفي امستردام (١٩٢٨).

وبفضل كرة القدم دخلت الاوروغواي التاريخ الرياضي قبل غيرها من الدول.

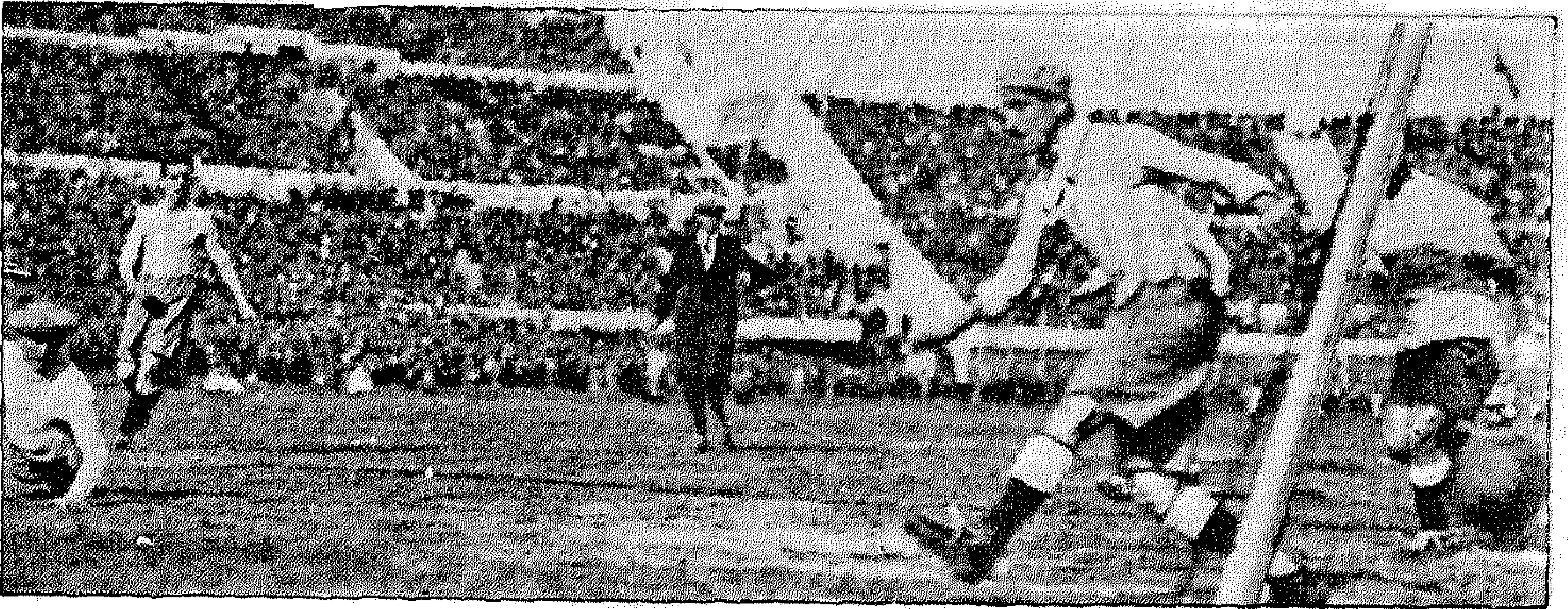
لم تشارك في هذه البطولة العالمية الاولى من نوعها الا ٤ فرق اوروبية من الدرجة الثانية (بلجيكا، فرنسا، رومانيا ويوغوسلافيا) و ٩ فرق اميركية (الاوروغواي، الارجنتين، بوليفيا، البرازيل، تشيلي، الولايات المتحدة، المكسيك، الباراغواي والبيرو). اما فرق الدرجة الاولى الاوروبية يومها (النمسا، هنغاريا، ايطاليا، تشيكوسلوفاكيا وبريطانيا) فانها لم تساهم في البطولة ربما بسبب عدم اقتناعها بجدواها.

وهكذا في صيف ١٩٣٠ جرت المباريات على ملاعب "سينتناريو" في مونتيفيديو.

بعد التصفيات المتتالية وصلت الاوروغواي الى المرحلة النهائية من دون صعوبة تذكر، تقابلها الارجنتين التي خاضت مباريات صعبة خصوصا مع الفريق الفرنسي (١ ـ ٠).



لقطة من مباراة الاوروغواي ـ الارجنتين يظهر فيها الحكم متكئا على خشبة المرمى.



■ الهدف الاول لصالح الاوروغواي •

وفي ٣٠ تموز بدأت مباراة البطولة الفاصلة بين الدولتين الاميركيتين الشقيقتين، تماما مثلما كان عليه الوضع في المباراة الاولمبية لكرة القدم في امستردام قبل ذلك بسنتين •

في الشوط الاول ربحت الاوروغواي (٢ ـ ١) وعززت انتصارها في الشوط الثاني (٤ ـ ٢) مؤكدة بذلك ان لقبها الذي كسبته في باريس وامستردام استحقته عن جدارة • واصبح يوم الثلاثين من تموز عيدا وطنيا لاول بلد حاز على كأس جول ريميه الذهبية لكرة القدم •

ماذا عن مستوى المباراة؟

ان من كان له حظ مشاهدة هذه المباراة، استمتع بالاخلاقية الرفيعة التي تحلى بها الفرقاء وبالنوعية العالمية للتكتيكات التي اعتمدت، علما بأن التدريب يومها لم يكن يتم في شكل مبرمج ومنظم • فكان المدرب يتكل على عفوية اللعب الجماعي وعلى المبادرات الفردية لبعض نجوم الفرق الى درجة انه، في حال اعادة عرض هذه المباراة حاليا، لا بد وان ترتسم ابتسامة خبيثة على وجه المشاهد العادي •

ومن الامور الطريفة التي كاد المرء ان ينساها مع مرور الزمن، اللباس الرسمي للحكم (وكان يومها البلجيكي جون لانجونوس دانفير) وهو "السموكن" الكامل مع ربطة العنق والقبعة الرياضية ـ الكشفية • وهذا ان دل على شيء فعلى مدى احترام اللجنة الدولية لاكثر الالعاب الرياضية رواجا على المستويين الرسمي والشعبي، والفضل كل الفضل يعود لجول ريميه •

المسابقة



■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو حارس المرمى الذي يحمل الكرة؟ •



● سباحة اوسترالية ولدت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٦٠ بطلة العالم في السباحة في عام ١٩٧١ حين ضربت كل الارقام القياسية في السباحة الحرة من ١٠٠ متر الى ٨٠٠ متر٠ ونجحت في قطع مسافة ٤:٩٨٠ كلم في الساعة٠

مدربها هو فوربس كارليل٠

قال عنها البطل الاوسترالي الكبير مودي روز "انها اول سباحة اعرفها ذات اعصاب كاملة الاتزان"٠



● لاعب بريطاني عالمي في كرة القدم ولد في كانون الاول ١٩٣٨ في شيفيلد٠ وهو افضل حارس مرمى منذ "ياشين"٠

كسب مع فريقه بطولة العالم في ١٩٦٦٠

استبدل بالحارس بونيتي بسبب حادث تسمم مفاجىء في معدتـه٠ وهـذا مـا ادى الى خسارة فريقه امام المانيا الغربية٠

اشترك بـ ٥٨ مباراة دولية٠



■ رياضي ومدرب جزائري ولد في الاول من كانون الثاني ١٩٢١ في "تل تلغ"٠ من اشهر العدائين في زمانه٠

بدأ حياته الرياضية منذ ١٩٤٠٠

كسب البطولة ٣١ مرة٠ عهده الذهبي كان بين اعوام ١٩٤٦و١٩٥٦ حيث جاء الثاني بعد البطل التشيكي الشهير اميل زاتوبك٠

ربح اربع مرات بطولة "سباق الدول" في اعوام ١٩٤٩، ١٩٥٢، ١٩٥٤و١٩٥٦٠

قسيمة مسابقة الرياضة ٤	الاسم : ----------------- المهنة : ----------------- العنوان : -----------------



للطلاب فقط...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذى تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

● مقاطعتان على الحدود الفرنسية الالمانية ضمتا إلى فرنسا عام ١٧٦٦ ولكن بسمارك انتزعهما منها عام ١٨٧١ الأمر الذي ترك مرارة شديدة في نفوس الفرنسيين. استعادتهما فرنسا في اعقاب الحرب العالمية الاولى وهما بحوزتها الآن. تبلغ مساحتهما نحو ١٤٥٧٧ ميلا مربعاً، وسكانهما نحو مليونين ونصف المليون. فهل عرفتهما؟

اية معركة ؟

● في فترة من فترات الحرب الثانية باغتت طائرات الاسطول البحري الياباني وحدات الاسطول البحري الأميركي الراسية في مكان ما في المحيط الهادي، وتمكنت بذلك نحو ١٠٥ طائرات يابانية من تعطيل نحو نصف السفن البحرية الاميركية الكبيرة عن العمل بالاضافة الى ثلاثة طرادات وثلاث مدمرات وبعض القطع الأخرى.

أما الطائرات الاميركية فقد دُمر معظمها وهي على أرض المطار وبلغ عدد القتلى الاميركيين ٢٣٢٠ رجلا وعدد الجرحى يقارب ١٣٠٠ جريح والمفقودين حوالي الألف.

وعلى الرغم مما اصيب به الاميركيون، فان الضربة لم تكن كافية لشل حركتهم واستطاعوا بالتالي استعادة نشاطهم وخوض غمار الحرب العالمية بكامل قوتهم وطاقتهم الانتاجية. فأين وقعت هذه المعركة ومتى؟.

من هـو ؟

● مؤرخ وعالم اجتماع، ولد في عام ١٣٣٢م وتوفي عام ١٤٠٦م، اقامت اسرته في تونس حيث تعلم، انتقل إلى مصر حيث اتصل بسلطانها برقوق، حج إلى مكة عام ١٣٨٧م، ورافق جيش المماليك الذي صد زحف تيمورلنك، ألف كتابه الشهير "العبر وديوان المبتدأ والخبر..." يعتبر رائداً لعلم الاجتماع واول من وضع القواعد العلمية للبحث التاريخي بابتكاره المنهج التاريخي وهو يقول أن الوقائع التاريخية يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول.

سبق عصره ومفكري العرب والغرب وأثر فيما بعد بأوغست كونت وهربرت سبنسر، في عام ١٩٥٠ الف عميد جامعةالسوربون اطروحته عنه، وكذلك فعل طه حسين عام ١٩٣٠.

ماهي ؟

● اقدم الفرق الاسلامية، ظهرت عام ٦٥٧م، واشتهرت بشدة تعصبها وتقيدها الدقيق التام بأحكام القرآن الكريم، ولقد انبثقت من خلال الصراع بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان.

افراد هذه الفرقة كانوا اول الأمر من اشد اعوان علي الا ان قبولهبالتحكيم قد ساءهم فصمموا على قتله.

لا تزال بقايا بعض الفصائل القليلة والمعتدلة من هذه الفرقة موجودة حتى الآن في جنوب الجزائر وتونس وعمان وزنجبار، فما هو اسم هذه الفرقة ؟.

الجوائز هي:

- الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها
- الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة
- الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

اجوبة مسابقة العدد الثاني

١ ـ اتحاد كونفدرالي ٢ ـ جنديس فرانس ٣ ـ سايكس ـ بيكو ٤ ـ معركة اتوال ٥ ـ ابن سيناء ٦ ـ سجموند فرويد

الفائزون

- الفائز الاول: محمد البسام ـ الجامعة اللبنانية ـ خمسون ليرة لبنانية ـ بيروت
- الفائز الثاني: جورج شاهين ـ الجامعة الاميركية ـ اشتراك سنة ـ بيروت
- الفائز الثاني: محمد حسين ـ الجامعة العربية ـ اشتراك نصف سنة ـ بيروت.

قسيمة للطلاب فقط رقم ٤	الاسم: --------------- المهنة: --------------- العنوان: ---------------



تاريخ حركة الطوابع البريدية في العراق

اعداد: ميشال اسطفان الاخصائي في الطوابع

العراق يشمل البلاد التي كان يطلق عليها الغربيون اسم MESOPOTAMIA (تدمر)، وكانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية، من ١٥٣٤ الى ١٦٢٣ ومن ١٦٣٨ الى ١٧٠٤ ومن ١٨٣١ الى ١٩١٧، وحكمها الصفويون من ١٦٢٣ الى ١٦٣٨ والباشوات المماليك من ١٧٠٤ الى ١٨٣١.

واثناء الحرب العالمية الاولى، احتلت القوات البريطانية ـ الهندية البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ لتحمي انابيب البترول من الفرس، ثم بعد معارك عنيفة دخلت بغداد في ١١آذار١٩١٧، وبذلك كان بدء الاحتلال البريطاني.

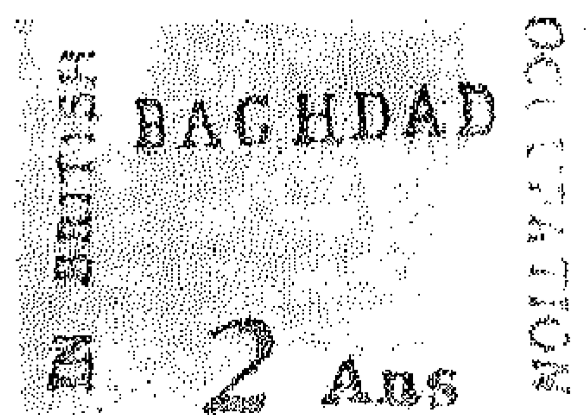
وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠، بناء على توصية المجلس الاعلى للحلفاء اسندت عصبة الامم الى المملكة المتحدة (بريطانيا العظمى) الانتداب على البلاد، فنصبت الامير فيصل الاول الذي اخرج من سوريا، ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١، حيث بقي حتى ٨ ايلول سنة ١٩٣٣ حين خلفه الملك غازي ثم الملك فيصل الثاني في ٤نيسان سنة ١٩٣٩. وفي ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ اجتاحت الثورة البلاد واطاحت بالعائلة المالكة وحاشيتها كما هو معروف واصبح العراق جمهورية.

والطوابع العثمانية كانت منتشرة في بلاد الشرق باختام خاصة لكل بلد، وهكذا كانت الحال في العراق ايضاً، الى ان دخلت قوات الاحتلال سنة ١٩١٧ فاصدرت اول مجموعة اتخذتها من الطوابع العثمانية الموجودة بعد ان وشحتها بالانكليزية: BAGHDAD In Brith occupation (بغداد ـ احتلال بريطاني). (صورة ١). وهذا الاصدار خصص لبغداد.

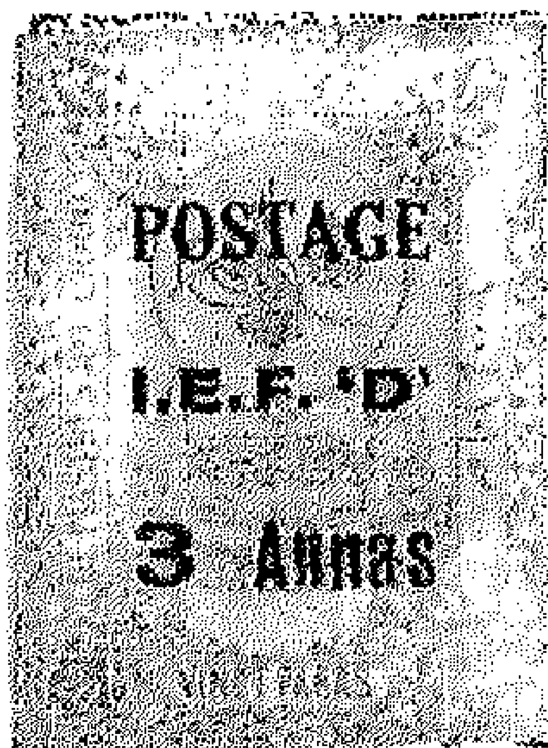
طوابع هذه المجموعة خمسة وعشرون اخذت كيفما تيسر مما تخلف من الطوابع العثمانية، واقتصر توشيحها على فئات ثلاث فحسب، هي ١/٢ آنة و١آنةو٢آنة. فكان من الطبيعي ان يختلف عدد طوابع كل من هذه الفئات عن عدد طوابع الفئة الاخرى، وهي بمجملها ضئيلة جداً مما جعل ثمنها اليوم يزيد عن عشرة الاف ليرة لبنانية. كما ظهرت بعدئذ بعض الفئات المزورة من هذه المجموعة مما حمل الهواة على الحذر في شرائها واقتنائها الا مرفقة بشهادة خبير موثوق. اما في الموصل فقد وشحت سلطات الاحتلال عندما دخلتها في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨، ستة انواع من الطوابع العثمانية المالية التي وجدتها وهي من فئة ١/٢ آنة، ١، ١/٢ ٢، ٣، ٤، ٨ آنة، والتوشيح هو بالانكليزية ايضاً: (Postage I.E.F."D".) (بريد. قوات استطلاعية هندية "د"). (صورة ٢) وقد خصصت هذه المجموعة للموصل. وفي كانون اول ١٩٢٥ الحقت عصبة الامم ولاية الموصل بالعراق.

اما المجموعة الاولى الخاصة بالعراق بمجملها، بعد المجموعات الموشحة المذكورة آنفاً، فقد صدرت في اول ايلول ١٩١٨ مؤلفة من ١٤ طابعاً من الطوابع العثمانية الموشحة بالانكليزية ايضاً:

IRAQ In Brith occupation.



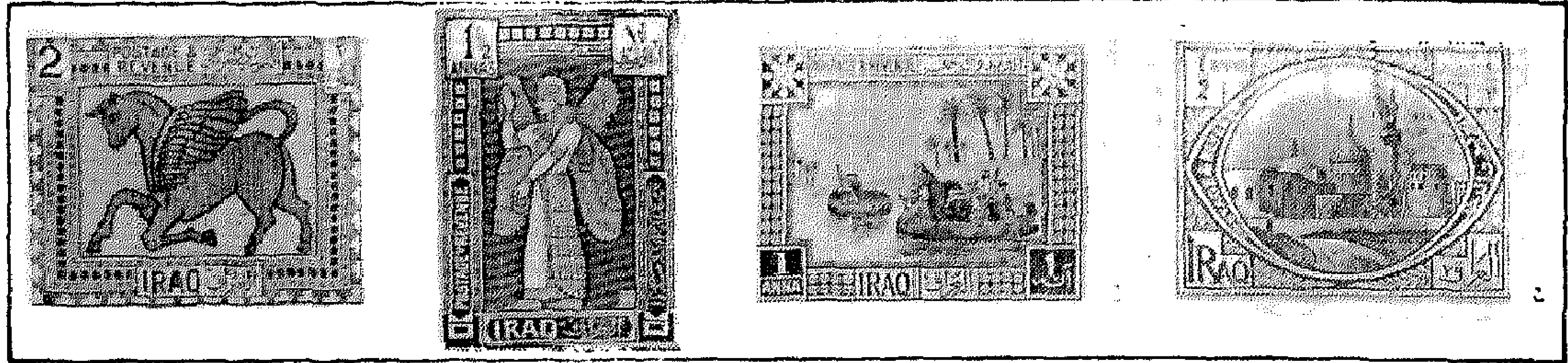
١



٢



٣



(العراق ـ احتلال بريطاني)، بفئات ١/٤ آنة الى ١٠ روبيات. (صورة ٣). وفي شهر ايار سنة ١٩٢٣ صدرت اول مجموعة طبعت خصيصاً لتعكس صوراً حقيقية عن البلاد وكانت مؤلفة من ١٣ طابعاً وتحمل ثماني صور مختلفة، (صورة ٤،٥،٦،٧،٨،٩،١٠، ١١). منها اثرية ومنها رمزية بفئات من ١/٢ آنة الى ١٠ روبيات. ثم تلاها طابع واحد سنة ١٩٢٧ يحمل صورة الملك فيصل الاول فئة روبية وحدة. (صورة ١٢). ثم عقبت ذلك مجموعات متوالية كانت كلها تحمل صورة الملك الحاكم.

المكاتب الاجنبية

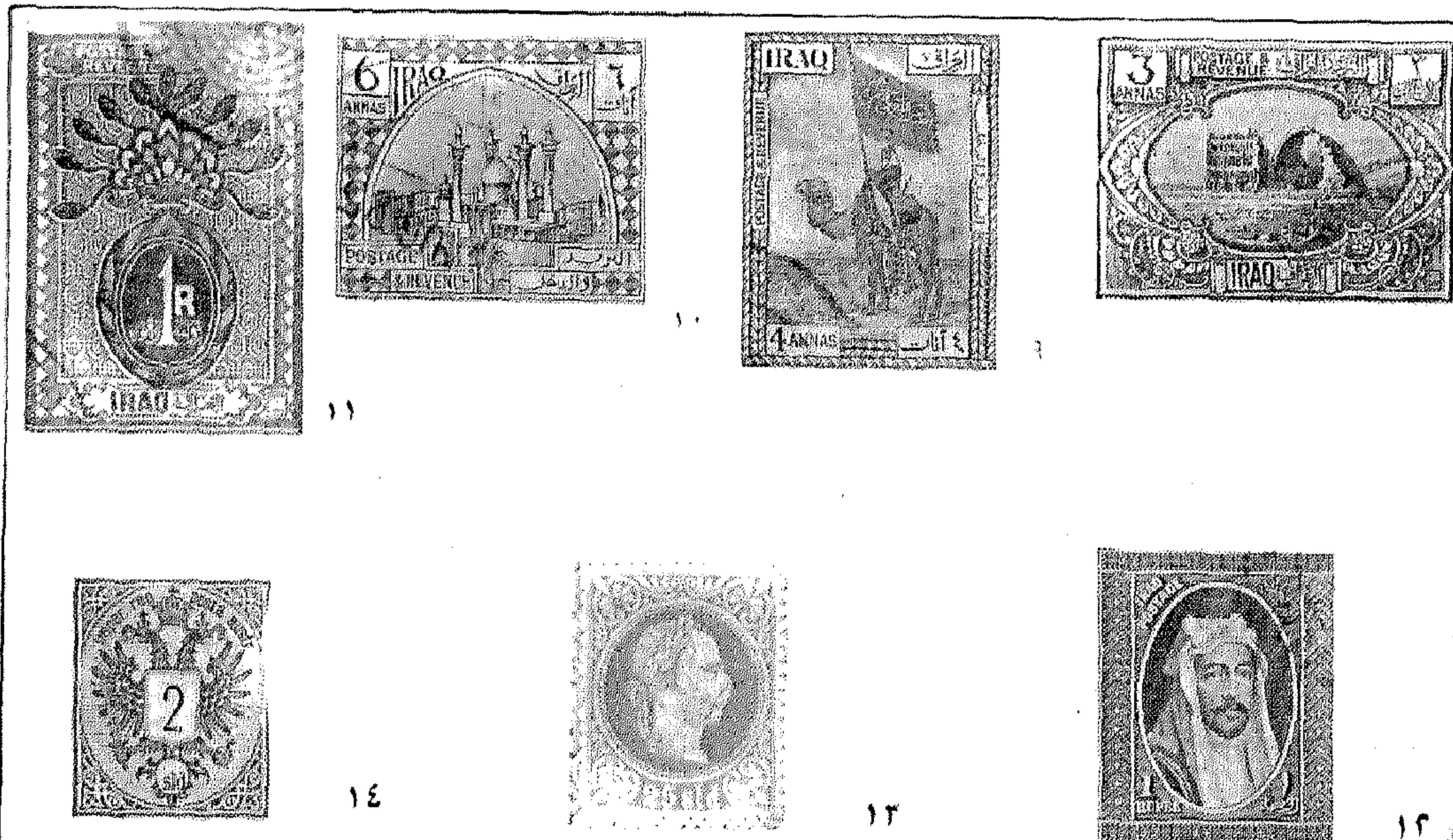
في الشرق

في الاعداد السابقة تحدثنا عن المكاتب الفرنسية والمكاتب الروسية. والآن نقدم نبذة عن تاريخ المكاتب النمساوية.

Lombardo Venette (لومباردو فينيته)، ولاية نمساوية اصدرت اول مجموعة لها سنة ١٨٥٠، ثم خمس مجموعات لاحقة اخذ منها المكتب النمساوي مجموعتي سنة ١٨٦٣ و١٨٦٤ المؤلفة كل منهما من خمسة طوابع فئة ٢و٣و٥و١٠و١٥ سولدي (العملة النمساوية)، واستعملها في مكاتبه في الشرق واوروبا في اكثر من سبعين بلداً. وكان خاتم البلد الذي استعمل فيه الطابع هو الدليل عليه.

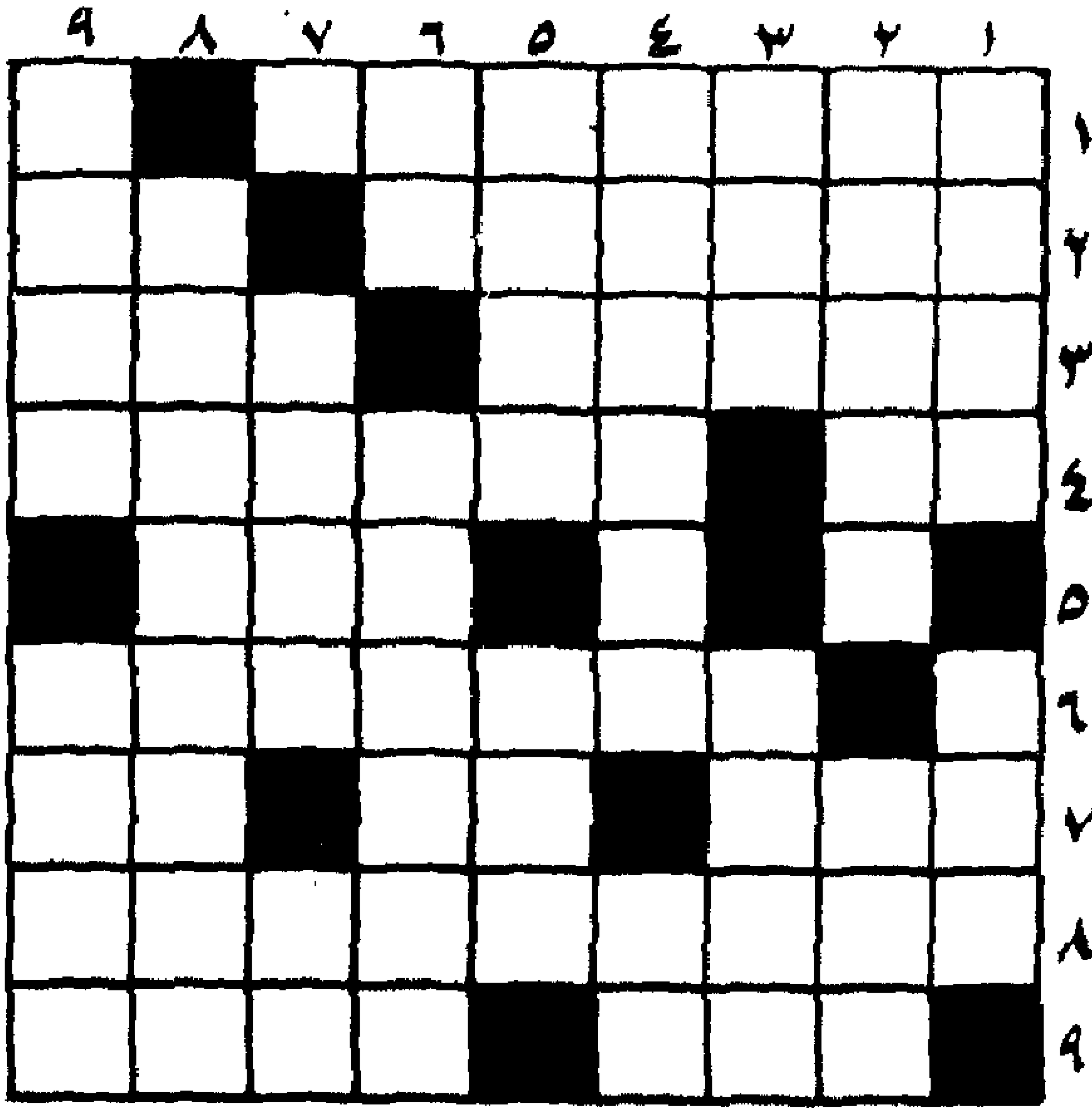
ومن سنة ١٨٦٧ الى ١٨٨٨ اصدر المكتب مجموعتين تحمل الاولى صورة القيصر فرانس جوزف والثانية صورة النسرين التوأمين رمزاً للنمساء (صورة ١٣و١٤)، وكانت بالسولدي كذلك.

ومن اصدارات النمسا لسنة ١٨٨٨ و١٨٩٠ و١٨٩١ و١٩٠٠ وشحت المكاتب ٢٤ طابعاً بالبارة والقرش. اما المجموعات الاخيرة للمكتب فكانت ثلاثة مؤلفة من ١٥ طابعاً بفئات تتدرج من ١٠ باره الى ٢٠ قرشاً ولا تحمل اي توشيح وبالمناسبة نذكر انه كانت هناك مجموعتان ايضاً صدرت الاولى سنة ١٩٠١ موشحة من ١٠ بارة الى ٥ قروش ومؤلفة من خمسة طوابع والثانية سنة ١٩٠٨ مؤلفة من ٩ طوابع من ١/٤ قرش الى ٣٠ قرشاً، وكانت هذه المجموعات للاجور المستحقة اي للمراسلات الواردة الناقصة الاجرة؟ وهو الطابع الذي نطلق عليه اسم Taxe (اجور مستحقة).



مسابقة الشهر

العدد الرابع



افقياً:

١ ـ شاعر مخضرم لقب بشاعر المرتدين ٢ ـ طيور من الجوارح • نجيع (معكوسة) ٣ ـ ضد "على بعض" • من الطيور ويعرف بالكركي ٤ ـ ضمير مجرور بحرف جر • اشتهر باسفاره البحرية ٥ ـ جدها في فتية ٦ ـ قصر بناه النعمان اللخمي ((معكوسة) • ٧ ـ خلاف صبي • حرف تعجب وزجر • لعب بالكجة ٨ ـ فنان مصري ٩ ـ مدينة مابين النهرين دمرت وانقاضها على شاطىء الفرات • مستشرق بريطاني يدعى جورج •••• درس العربية واهتم بالاسلاميات وترجم القرآن •

عمودياً:

١ ـ يضرب به المثل بالطمع • مطلع احدى المعلقات "قفا••••" ٢ ـ من الاشهر (معكوسة • ظهر (معكوسة) ٣ ـ حرف هجائي • مؤسس دولة تركمانية حكمت دياربكر وماردين وحلب (معكوسة) ٤ ـ كاتب ومفكر مصري • حرف استفهام مجرور (معكوسة) ٥ ـ يبني مبعثرة • قائد لقب بثعلب الصحراء ٦ ـ حرف نصب • وحيدة مبعثرة • ٧ ـ واحة احتلها النبي وفرض الاتاوة على سكانها اليهود ثم اجلاهم عنها عمر (معكوسة) • لمس ٨ ـ فوضتا اليهم (معكوسة) ٩ ـ حواجز ـ صفة غالبة للصقر •

مسابقة الطوابع

ترسل الحلول الى ادارة المجلة • ويكتب على الظرف: "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال •

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها •

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية قيمتها لا تقل عن خمسين ليرة لبنانية •

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

● تحية خاصة للمهندس نزار عرنوق من طرطوس ـ سوريا الذي اخطأ بكلمة واحدة هي "عمى" بدلا من عماء • عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة •

حل مسابقة العدد الثالث

افقياً:	عمودياً:
١ ـ حبيب السعد	١ ـ حباحب
٢ ـ فؤاد شهاب	٢ ـ خاب • عش
٣ ـ اخ • آه • أن •	٣ ـ هي • يم • رأس
٤ ـ مر • من	٤ ـ بشارة خوري
٥ ـ بقية • دباس •	٥ ـ اده • فلك
٦ ـ كميل	٦ ـ لا • مسك • حر
٧ ـ معروف • يسجب	٧ ـ سو • سليمان •
٨ ـ شارل حلو	٨ ـ عفا • بيجو •
٩ ـ سركيس	٩ ـ بلدان •

الفائزون في مسابقة العدد الثاني

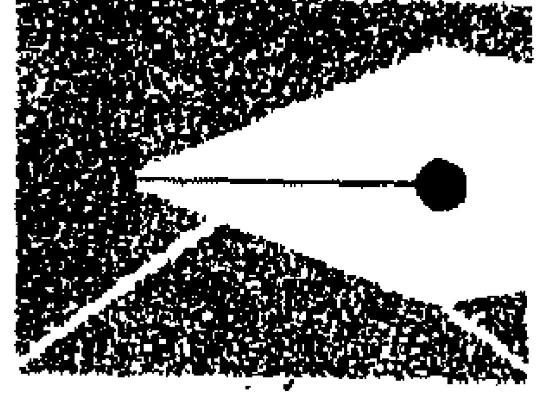
■ الفائز الاول: اسامه جواد رضا ـ صور لبنان خمسون ليرة لبنانية

■ الفائز الثاني: محمد احمد صالح ـ ثانوية رأس النبع الرسمية ـ بيروت مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة لبنانية

■ الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم" نزيه حسين رمضان ـ رياق ـ حوش حالا

قسيمة الطوابع رقم ٤	الاسم : ---------------- المهنة : ---------------- العنوان : ----------------

بريد القراء



الوطن العربي اصبح بحاجة الى مجلة متخصصة في التاريخ العربي

■ اتمنى لمجلتكم (تاريخ العرب والعالم) النجاح والاستمرار، وان تتحقق الأهداف التي وضعتموها نصب اعينكم..

رغم انني لم اقرأ المجلة القراءة الجدية التي تمكنني من الحكم او بالأحرى ابداء الرأي... لان الحكم لا زال مبكراً جداً... اعجبت بهذا الجهد الواعي والجاد، في جعل احد فروع العلم (التاريخ) في متناول ايدي القراء... وان الوطن العربي اصبح بحاجة الى مثل هذه المجلة المتخصصة في التاريخ.

اقترح ان تحوى المجلة على مواضيع، لا اقول متخصصة بالاقتصاد... بل ان تلم بدراسة التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي.. وتاريخ علم الاقتصاد.. وتاريخ علماء ومفكري الاقتصاد... الخ... في الوطن العربي والعالم

وهكذا في بقية العلوم البحتة، والعلوم الانسانية.. وبهذا الشكل تستطيع المجلة ان تدخل الى كل مكتبة وكل بيت.. لانها ستكون مرجعاً لكل شأن من شؤون الحياة .

اتمنى لكم التوفيق والنجاح

جامعة دمشق كلية الاقتصاد دمشق — ج.ع.س

الاسلوب العلمي الصارم والمنهج السليم هو الطريق السليم للنجاح

■ منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعاً للكتابة اليكم معبراً عن تقديري لهذا الجهد الكبير في تخصيص المجلة بكاملها لموضوع طالما تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير، ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع في مواضيع العدد يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمثل هذا المشروع الصعب في تحقيقه والاصعب في تأمين استمراريته، ارجو ان تعتبروني احد المستعدين للمساهمة في تحرير بعض مواد المجلة في المستقبل.

محمد سليم

راس النبع ـ بيروت ـ لبنان.

مجلة تاريخية جديدة تأخذ مكاناً من غير ضجيج اعلامي...

■ فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها من غير اي ضجيج اعلام مسبق، وعندما تصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون، فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في التاريخ لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها بحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية.

احمد محمد رضوان

حلب ـ سوريا

—— اجوبة سريعة ——

● الأخ صبري سامي صبري ـ بغداد ـ العراق.

☐ المسابقة الرياضية مؤلفة من اثنـي عشر سؤالا، لقد اجبت على سؤال واحد فقط، نشكر لك عواطفك الطيبة

● **الأخ بشار منافنجي، دمشق - سوريا**

☐ رسالتك وصلت متأخرة جداً. عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة

● **الأخ ايليا خو شابا بولص - الموصل - العراق**

☐ رسالتك وصلت متأخرة جداً. عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة.

● **الأخ غسان الحسامي - طرابلس - لبنان**

☐ حولت رسالتكم للاستاذ ميشال اسطفان للاجابة عليها.

● **الأخ كامل سيد - حمص - سوريا - ص.ب ١٩٦**

☐ تأخر وصول العدد الاول كان بسبب ظروف قاهرة خارجة عن ارادة الجميع. الاعداد القادمة ستكون في الاسواق العربية في الاسبوع الاول من كل شهر بأذن الله. الاستاذ محمد سكر سيحاول تحقيق رغباتكم في الاعداد المقبلة. نشكر لك مبادرتك

● **الأخ رولان بنكلي - دمشق - سوريا**

☐ نشكر لك مشاعرك الطيبة، ونأمل ان يجد القارىء العربي دائماً كل مفيد وجديد في مجلة "تاريخ العرب والعالم". بالنسبة الى المسابقة الطلابية فلقد وصلت رسالتك متأخرة شهراً على الاقل، نتمنى لك التوفيق في المرة القادمة.

اراء في التاريخ

■ **دخل اعرابي بلداً في يوم جمعة، فقيل له: ادخل الحمام واغتسل وتطهر، فدخل حماماً فزلقت رجله ووقع فشج رأسه وسال دمه فأنشد يقول:**

وقالوا تطهر انه يوم جمعة ... فرحت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجتين بمفرقي ... بفلسين يا خسران ما كان متجري
وما تحسن الاعراب في السوق مشياً ... فكيف بأرض من رخام ومرمر

★ ★ ★

■ **مر أشعب بقوم يأكلون، فقال: ماذا تأكلون، فأجابوه: سم الموت فقال لهم، لا حياة لي بعدكم. وجلس يأكل معهم.**

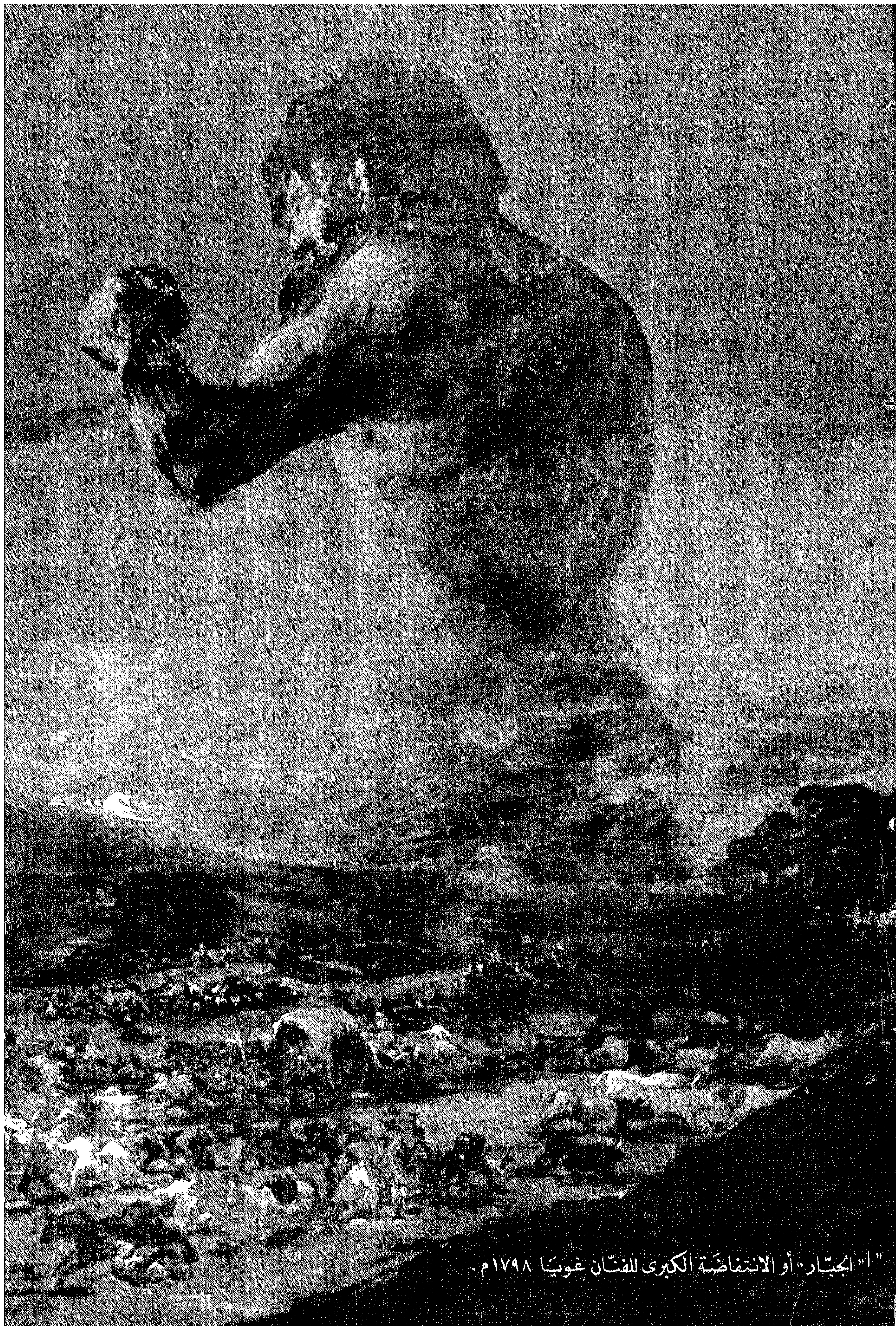
★ ★ ★

■ **قال غلادستون في اواخر أيامه ان امرأتي اكثر السيدات ثباتاً على كلامها فما من مرة سألتها عن عمرها الا" قالت انه ثلاثون.**

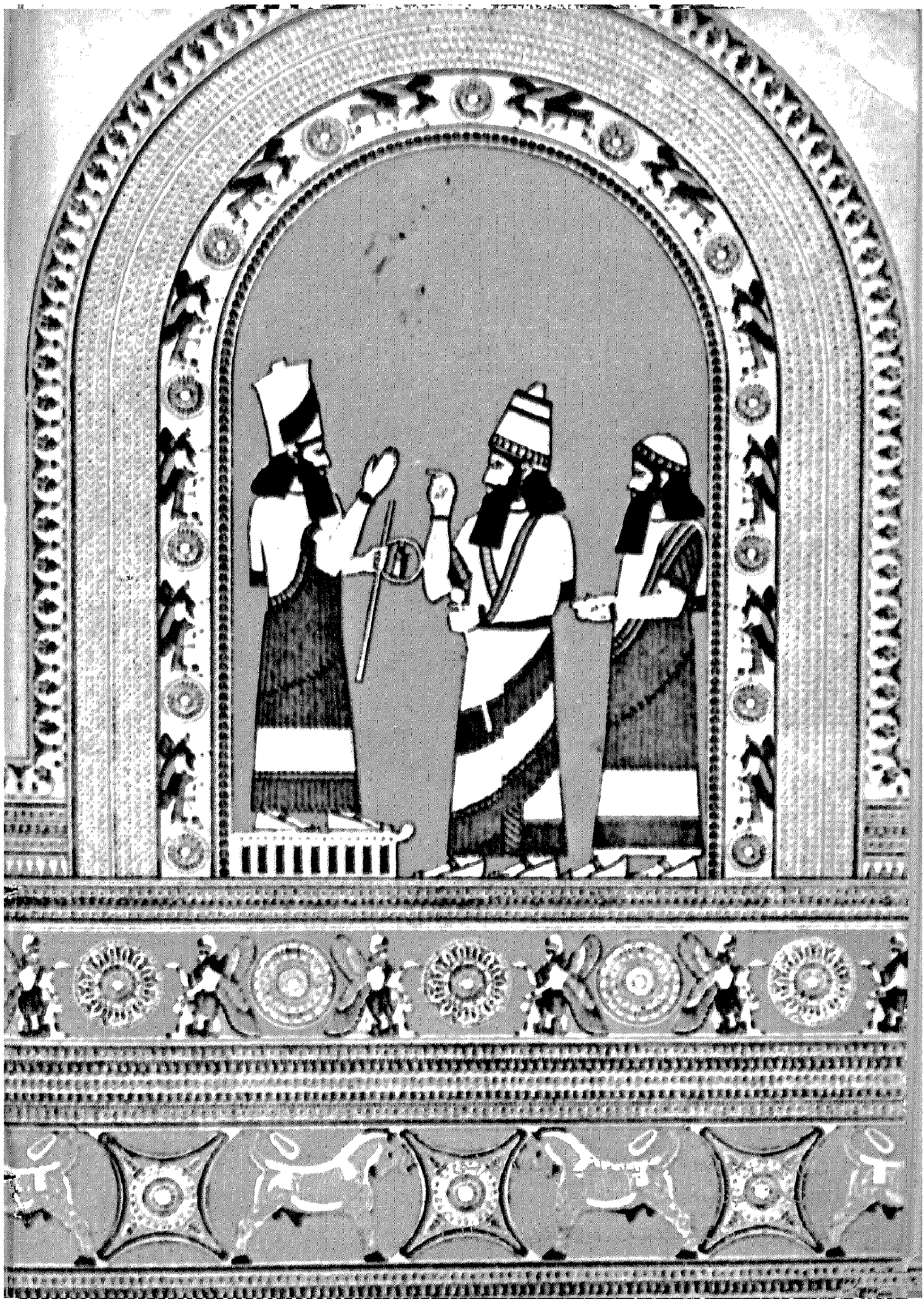
★ ★ ★

■ **كان الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يخرج للصيد ايام الشتاء دون ان يلبس قفازاً، ورآه مرة فلاحان فتعجب احدهما لذلك، فبادره الآخر بالقول: لا تعجب، فانه لا يحتاج للبس القفازات لأنه يضع يديه في جيوبنا دائماً.**

★ ★ ★



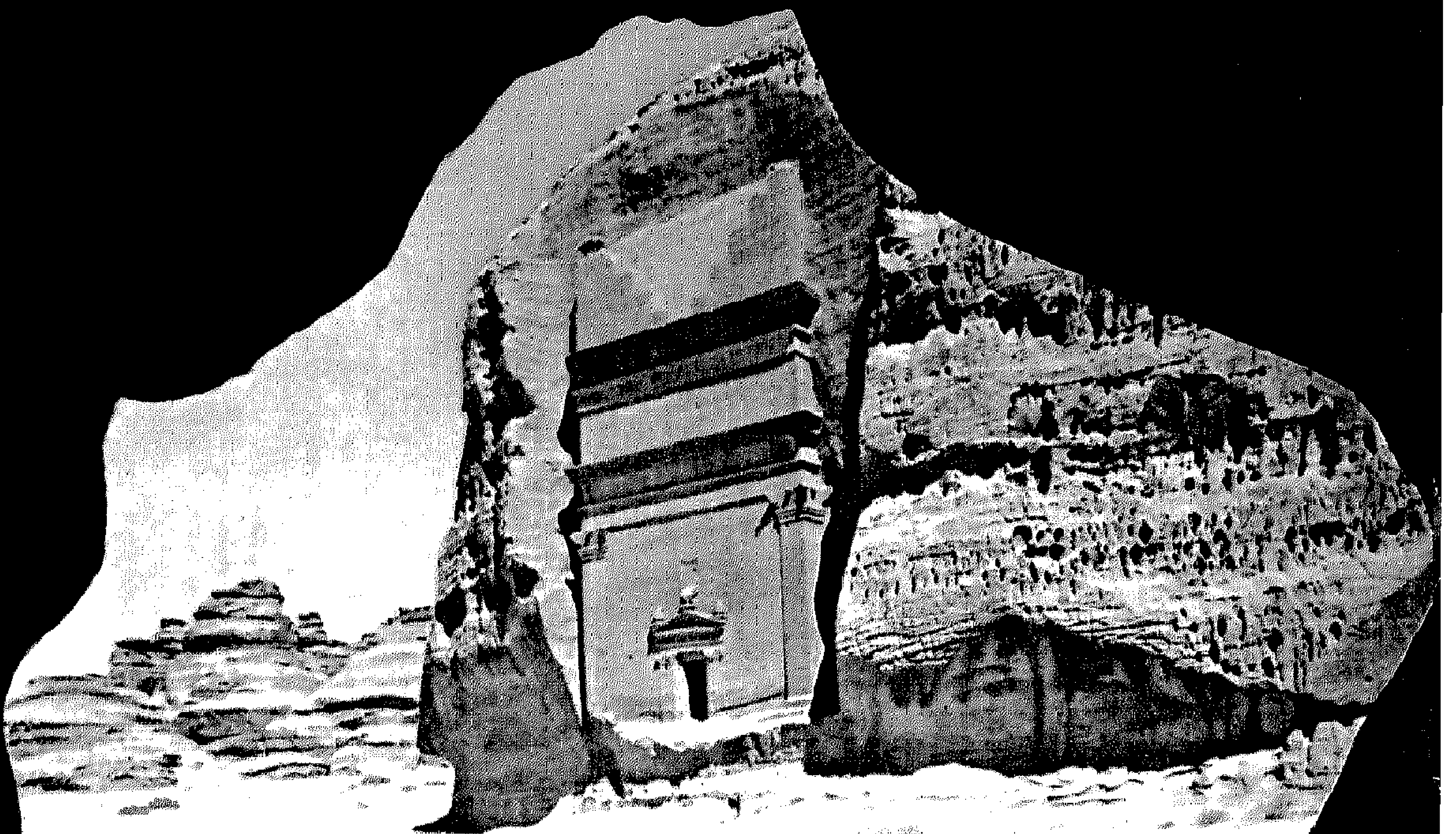
"١" الجبّار" أو الانتفاضة الكبرى للفنّان غويا ١٧٩٨م.

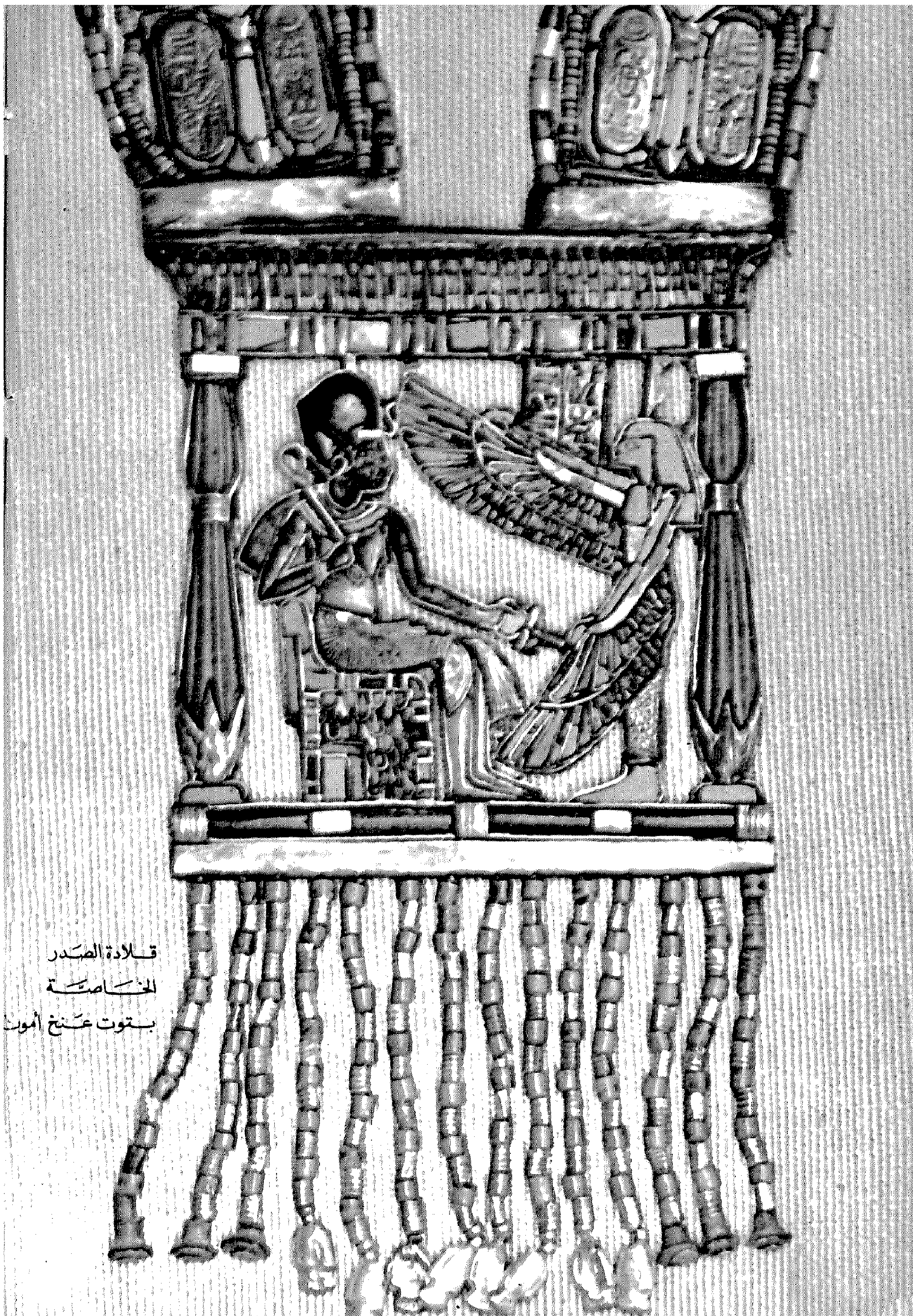


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الخامس - آذار «مارس» ١٩٧٩ - الموافق ربيع الثاني ١٣٩٩





قلادة الصدر
الخاصة
بتوت عنخ أمون

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الخامس
آذار (مارس) ١٩٧٩
ربيع الثاني ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 5 March 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة . ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب . مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم . تراعي في الألقاب الصفات العلمية فقط .



مدائن صالح
في
جنوب الجزيرة العربية
«صورة الغلاف»
راجع موضوع د. نقولا زيادة
ص ٢١

■ المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت .

■ المواد الواردة إلى المجلة لا تردّ إذا لم تنشر .

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن اراء المجلة .

الاديبة التركية خالدة أديب
(من كتاب مذكرات خالدة أديب – لندن ١٩٢٦)



انطباعات الاديبة التركية خالدة اديب في لبنان وسوريا وفلسطين ١٩١٦-١٩١٧

د. احسان عباس

لا ريب في أن الكثيرين من الأحياء يعرفون شيئاً كثيراً عن دقائق الحياة أثناء تلك الحقبة التي تتحدَّثُ عنها خالدة أديب . في دمشق والجبل وبيروت : كانت الحرب الكبرى (الأولى) قد بدأت . وكان جمال باشا قد علّق المشانق للقوميين العرب . وكانت مذابح الأكراد والأرمن قد ملأت البلاد السورية بالمهاجرين والمشردين والأيتام . وشبح المجاعة المرعب أخذ يجوب الشوارع ...

■ في تلك الغمرة أخذ جمال باشا يفكر في «تحديث» التعليم في سورية . وجعله على مستوى لائق ينافس ما كانت تتمتع به المدارس الفرنسية . التي أغلقها جمال باشا نفسه . من مستوى . فأرسل فالح رفقي بك برسالة إلى خالدة أديب يسألها فيها ان كانت تستطيع أن تقدّم العون في هذا السبيل إما بقدومها هي نفسها وإما بارسالها مدرّساتٍ يبدأن العمل هناك . لم يلبث جمال باشا ان شفع رسالته الأولى بأخرى أكثر تحديداً يطلب فيها إلى خالدة ان تجيء إلى سورية لدراسة الأوضاع ووضع خطة لانشاء مدارس كبيرة في دمشق وبيروت ولبنان . كان ذلك في صيف ١٩١٦ . ووجدت خالدة . التي لم تكن قد تجاوزت حدود الأناضول يومئذ . أنها فرصة سانحة للتعرف إلى بلاد لم ترها من قبل . فقبلت بالمهمة . وهي تظن انها سترسم الخطة التعليمية اللازمة . وتترك لغيرها تنفيذها . وكان

همها بعد أن وصلت صوفر – حيث مصيف جمال باشا وعائلته – أن تستشير بعض العارفين وتستنير بآرائهم حول التعليم، ثم توجهت إلى مدينة بيروت، حيث وضعت مخططاً للمدارس التي يمكن إنشاؤها، وعادت إلى دمشق، وقامت برحلة في الصحراء، وزارت القدس، وكانت هذه الزيارة الأولى «سياحيّة الطابع» في أكثرها، كما تتحدّث عنها في «مذكراتها».

انطباعات أولية عن بيروت

«كان الفقراء من السكان يبدون هزيلي الأجسام سيئي التغذية. غير أن نساء الطبقات الغنية كنَّ يطفن في عرباتهن أرجاء المدينة وهنَّ في أبهى حللهن وقد وضعن أصباغهن بدقة وإحكام. لم تكن المجاعة حينئذ قد بلغت ذروتها ولكن كانت نذرها قد بدأت، وكان رخاء الأثرياء يؤذي العيون.

زرنا جميع المدارس واذا شئنا الدقة قلنا ان لبنان وبيروت تملؤهما الأديرة الفرنسية والمدارس الدينية وغيرها من المؤسسات. كان أفق التعليم محدوداً، يتخذ في الأكثر دعاوة سياسية للفرنسيين. غير ان كل شيء كان يدرس بكلّ جهد وعناية وراء تلك الأسوار الديرية الحافلة بالأسرار.

أقمنا في فندق بسّول إزاء الميناء، وفيه أخذنا نعمل ونستقبل زائرينا، كما جعلنا من الفندق مركزنا الرئيسي – وهذا أتاح لي التعرف على (الكولونيل) فؤاد بك رئيس الأركان – وفي غضون اسبوعين تمّ اعداد التقرير.

وكان فحوى التقرير في كلمات. «لا بد من أن تتوحد الجهود في بيروت ولبنان ودمشق فتنشأ

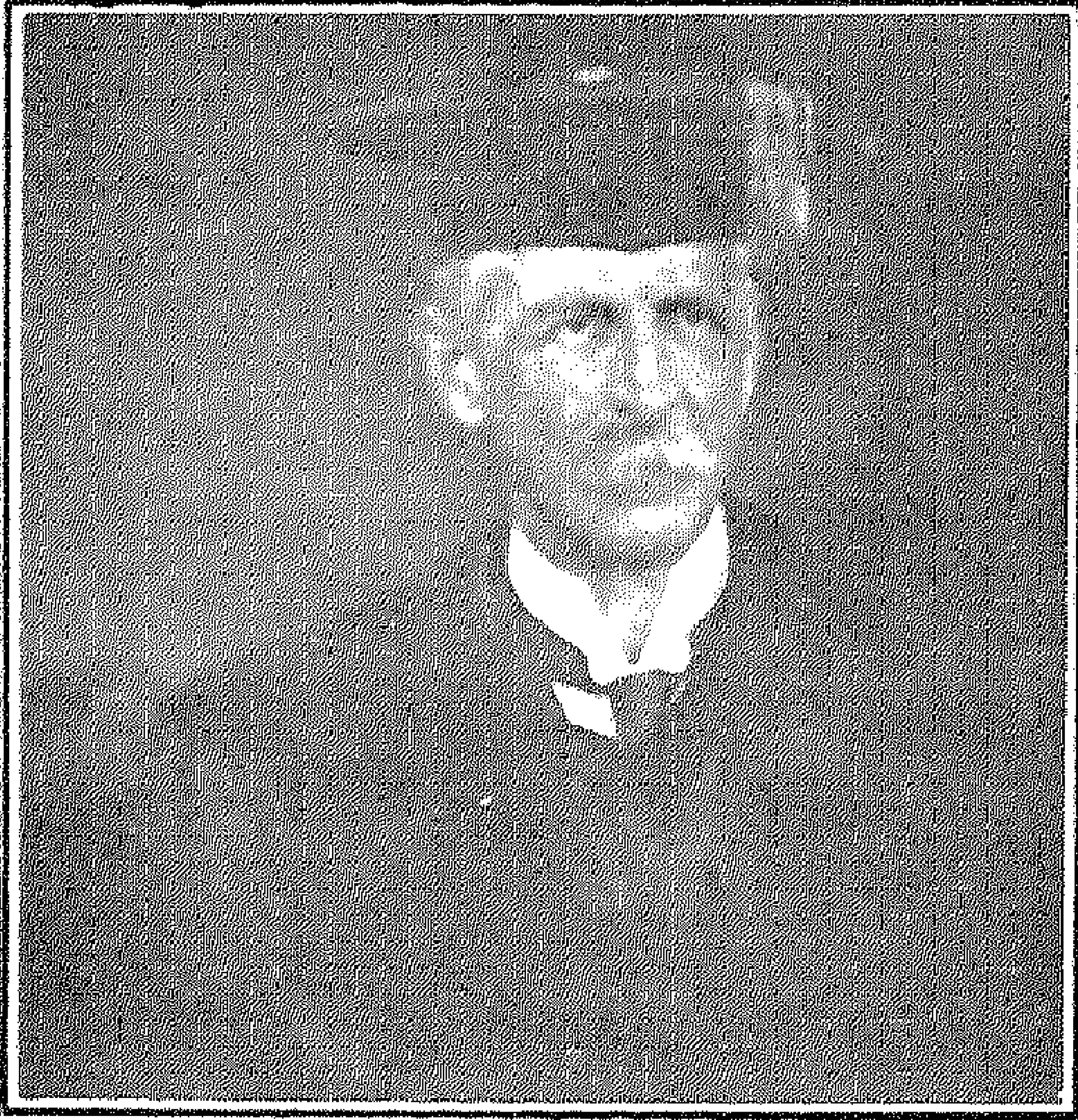
مدرسة نظامية وكلية على أن تكون بيروت مركزاً للمدرسة النظامية. وستكون في كلّ من الولايات الثلاث مدرسة أولية نموذجية ذات ستة صفوف تعد الطلاب للكلية والمدرسة النظامية وستكون اللغات التي تعلم فيها هي التركية والعربية والفرنسية».

قصة الشهداء

«كان يعجبني في فؤاد بك نزاهته التي لا تتزعزع وكرهه للفساد. ولكن كان يقال عنه إنه ضعيف في السياسة. وانه شديد الطموح. طلبت اليه أن يخبرني عن اجراءات محكمة عاليه. وكان أهم ما أود معرفته هو: هل كان القوميون العرب يعملون لمجرد تغيير الحكم أو لنيل الاستقلال. فأسمعني وجهة نظر جمال باشا والحكومة دون وجهة نظره، لأني أعتقد انه هو نفسه كان أيضاً ضدّ الاعدام السياسي؛ قال: ان تحقيق النجاح هو غايتنا القصوى وانه لو لم تستعمل الحكومة شيئاً من الارهاب الجزئي لاضطر الجيش التركي أن يغادر سورية في الأشهر الأولى من الحملة. وحين تحدث عن القوميين العرب قال إنه يعتقد أن بعضهم كانوا وطنيين مخلصين. وقد حدثني عن موت أحدهم حديثاً لن أنساه، فقال: «جئت إلى بيروت يوم تنفيذ الحكم بالاعدام، وكان ذلك أمام السراي، حيث نصبت سلسلة من المشانق. وكان قد تمّ اعدام بعضهم. وكان فيهم واحد يتمشى بين المحكومين؛ كان ضابط احتياط يلبس قلبقاً. كان هادئاً وكأنما هو فوق مستوى الخوف من الموت. جلس على أحد المقاعد وظلّ يدخّن حتى حان دوره. اختار مشنقته، وأدار الأنشوطة حول عنقه وقال: ولدت عربياً وعملت من أجل العرب وها أنا أموت في سبيل العرب». تألمت لمقتل مثل هذا العربي العظيم حتى انني لم أسأل عن اسمه. غير ان السوريين يعرفونه ولا بدّ. لقد استولى عليّ خياله على نحو غريب. فكنت كلما مررت من أمام السراي أتوقف لحظة وألقي عليه تحية احترام. وكثيراً ما كنت أجلس – بعد عام – على شرفة دير الناصرة وأقول له في نفسي: إنني سأبذل كل ما في وسعي من جهد من أجل أطفال العرب أثناء اقامتي في سورية».



جمال باشا



هوارد بلس من كتاب «لكي تكون لهم حياة»

حفلة غنائية في دمشق

«في آخر ليلة قبل أن نغادر دمشق أقامت السيدات أمسية موسيقية على الطراز العربي. وكأنما كانت الحلوى والفواكهة اللذيذة ورقص النساء العربيات وغناؤهن أموراً لا تنتهي. وكانت المغنيات والراقصات يلبسن ثياباً أوروبية ضيقة... وعندما كاد الحفل ينتهي حدث هرج كثير. وقالت ربة البيت: «إنها آتية! إنها آتية! وأخيراً نجح تدبيري» قلت متسائلة: من هي؟ قالت هادية المطربة العربية الكبيرة؛ من أجلها يخرّب الرجال بيوتهم. هي حليلة موظف متقاعد أثرى باستغلال ظروف الحرب، لا يسمح لها أن تغني علناً ولكنه سمح لها هذه المرة تفضلاً إذ يعلم ان لا رجال هنالك».

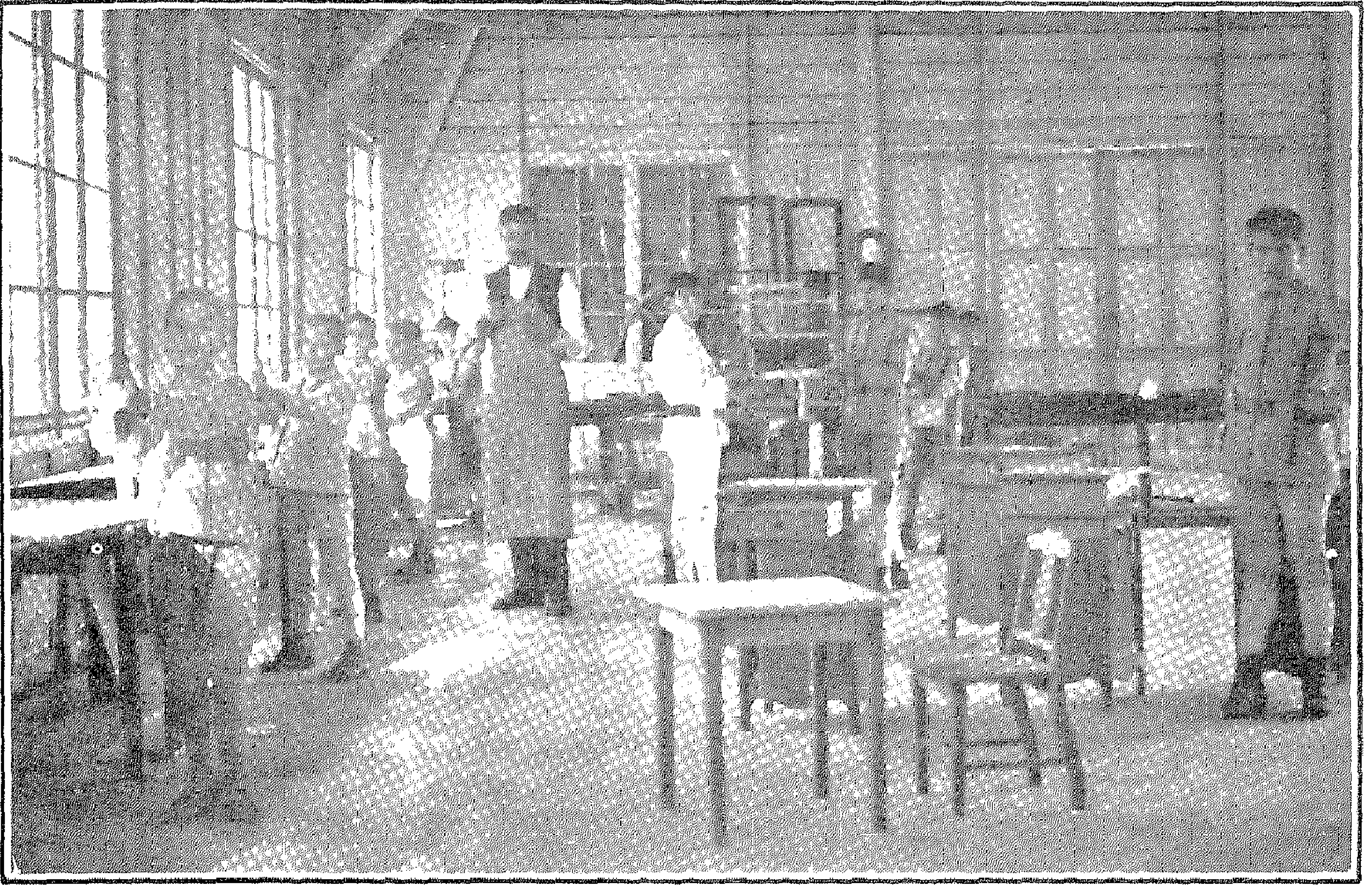
وجاءت... جاءت سافرة ترتدي ثياباً أوروبية. وكان لجسمها النحيل تلك القوة والحياة التي لا تستطيع أن يخفيها أي قدر من الملابس الأوروبية وانعدام الاصباغ، وكانت تتمتع بذلك المَيَد العربي النموذجي في خطراتها.

جلست السيدات من حولها وقدّمْنَ لها الفواكهة: المشمش والعنب اللذيذين، من تلك الأنواع التي لا يحصل عليها المرء الا في دمشق. وكانت هادية ذات ابتسامة غريبة وعينين صافيتين ورأس صغير وشعر قد سُرِّحَ ببساطة وجمع في عقدةٍ عند العنق. وعلى نحو ما بدت أكثر أصالة بل أكثر نزاهةً من بعض السيدات اللواتي أثقلن أنفسهن بالجواهر والأصباغ. وبذلن جهدهن في تجميل أنفسهن محاولاتٍ الاحتفاظَ بأزواجهن. أما هادية فقد كانت «تدير» رؤوس كل الرجال الذين تلقاهم دون أن تبذل أي جهد من ذلك القبيل. كانت يداها الكبيرتان وأناملها الطويلة تتلاعب بالثروات، وتجعلها تنحدر عند أطرافها المستدقة عفواً دون عناء.

وبعد كثير من الالحاح والتحضيض. وذلك ما كانت تعده أمراً طبيعياً. أخذتْ تغني الأغنية البدوية:

إن كنتُ في الجيش أدعى قائد العلم
فانني في هواكم صاحب الألم
يا من تملكتم قلبي فكان لكم
عبداً وكنتُ لهذا العبد كالخدم

قوة الفن تتجاوز حدود البيئة. في ذلك الزيّ البسيط الذي يحاكي الأزياء الأوروبية، في



صف لتعليم مهنة النجارة في عينطورة

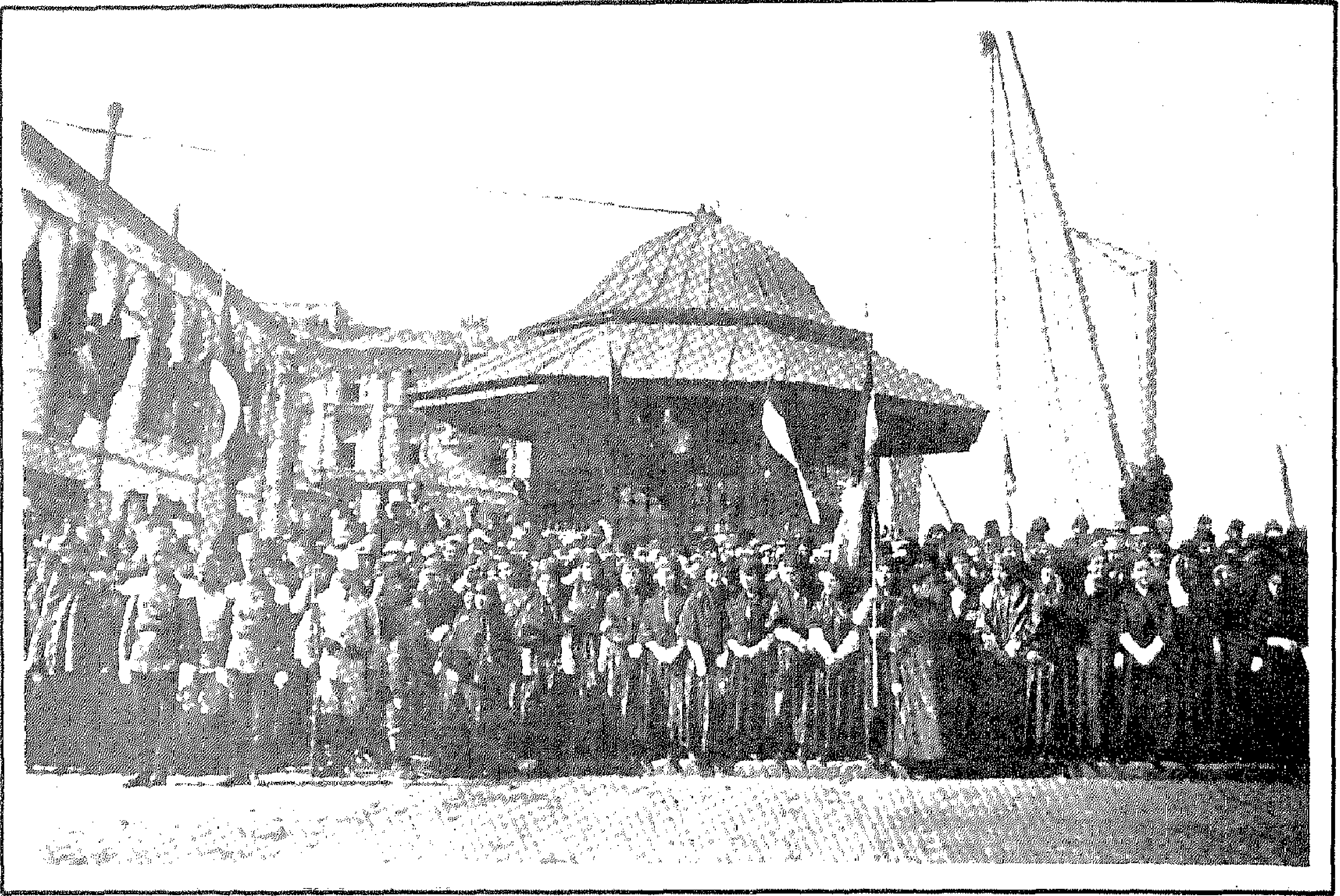
تلك الملابس الأوروبية الرخيصة السيئة التفصيل ، أدّتْ هادية الأغنيةَ بروحِ العربية الحقِّ وعاطفتها ، كانت «المرنانية» في صوتها ذات درجة خفيفة لكنها صافية عميقة قوية تستطيع أن تستولي على النغمات العربية العاطفية حين تلفظ «يا ظالم» التي توجه إلى المحبوبة في الأغنية. وحين انتهت من أغنيتها أدركتُ مع الأخريات أننا كنا مأخوذات بجمال صوتها ، وتنفسنا الصعداء كما يفعل المرء إثرَ توترٍ أو إجهاد عاطفي.

لم تكن في ما يلوح للعين امرأةً جميلة ولكن كان لها «حضور» مشبوب لا تجد له تعليلاً. كانت تتنفسه. كانت تبثُّهُ من حولها على نحو يكاد يسوّغ ضعف الرجال وحماقتهم».

دار الأيتام في عينطورة

[قبل العودة إلى استانبول] «تحدثت ونحن في العربة إلى جمال باشا ، وكان حديثاً كاشفاً. قلت له : لقد كنتَ للأرمن نعم المعين ، قدر ما تسمح به هذه الأيام العصبية ، فكيف ترضى أن يُسَمَّي أطفال الأرمن بأسماء إسلامية؟ ذلك يبدو وكأنّ الأرمن يتحولون إلى مسلمين ، يوماً ما سيثار التاريخ من ذلك في أشخاص الجيل التركي القادم».

فأجابني برزانة قائلاً : «أنت مثالية ، وككل المثاليين تفتقرين إلى استشعار الواقع. هل تعتقدين أنني أنفع قومي إذا حولت بضعَ مئات من أولاد الأرمن وبناتهم إلى الاسلام؟ لقد رأيتِ أنت دورَ الأيتام الأرمنية في دمشق يديرها أرمن ولم يعد في تلك الدور مكان ، وليس هناك أموال لفتح دور جديدة. وهذه الدار [في عينطورة] اسلامية ، وهي وقف على أيتام المسلمين وأنا أرسل اليها كل طفل مشرد يأتي سورية من تلك المناطق التي حدثت فيها المأساة ، فهي اليوم مليئة بالأكراد والأتراك. واذا سمعتُ بأطفال تائهين يكادون يموتون جوعاً أرسلتهم إلى عينطورة : عليّ أن ابقيهم على قيد الحياة. كيف؟ ذلك ما لا أعبأ به. كل



النساء التركيات في القرنين الثامن والتاسع عشر

ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أتحمل رؤيتهم يموتون في الشوارع».

قلت له: «ومن بعد»؟

قال: «تعنين من بعد الحرب؟ بعد الحرب سيعودون كلٌّ إلى قومه. وأرجو الا يكون فيهم من لا يستطيع أن يعرف إلى أي شعب ينتمي».

قلت: «لن يكون لي بهذه الدار أدنى صلة».

فهز رأسه قائلا: «بل سيكون لك. انك حين ترينهم في بؤس وشقاء فانك ستذهبين اليهم دون أن تقفي كثيراً عند أسمائهم وأديانهم. انك تتحدثين وكأني آتي عملاً غير انساني. أنا آخذ الخبز من أفواه أيتام المسلمين الذين كان يمكن أن أنفق الأموال عليهم لو لم أقم برعاية هذا العدد الكبير من أطفال الأرمن».

عاد جمال باشا فأرسل إلى خالدة يسألها ان تعود إلى سورية لتشرف على تنظيم المدارس، ومن ضمنها مدرسة عينطورة التي كان عدد طلابها قد ارتفع إلى ثمانمائة. فقبلت بالاشراف على التنظيم ورفضت أن تكون مسؤولة عن دار الأيتام، ووعدت أن تجد رجلاً كفؤاً يدير تلك الدار على أن تقوم هي بدور المفتش فيها. وكانت الخطة تقضي بأن تقام في بيروت كلية ومدرسة نظامية وان تفتح في لبنان ودمشق مدرستان أوليتان داخليتان تحوي كل منهما ستة صفوف على النظام الحديث. واختارت لهذه المدارس عدداً من طالباتها القدامى اللواتي تخرّجن في مدارس الأوقاف (باستانبول) وهكذا سافرت إلى سورية مع خمسين امرأة وبضعة رجال حوالي أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦.

إنشاء المدارس النظامية

«وصلنا بيروت مساء والمطر ينهمر. فأخذ مدير عينطورة الكتبة والمحاسبين (وهم من الرجال) إلى الفندق. وذهبت مع المدرّسات الخمسين إلى

مدرسة البنات الأولية التي كانت تديرها أختي. وأخذ حكام بيروت ودمشق ولبنان يعاونون في إنجاز الخطة. وكان ذلك يعني بالنسبة لنا ست عشرة ساعة من العمل في اليوم، ولكن قبل نهاية كانون الثاني (يناير) ١٩١٧، كانت كل المدارس قد فتحت ووصل الطلاب وبدأ العمل فيها جميعاً.

وبدأت المدرسة النظامية والكلية التي كانت مشتركة بين الولايات الثلاث في دير الناصرة: بناية طويلة ذات ثلاثة جوانب تحتضن باحة عالية، تطلّ على مزارع البرتقال والموز وعلى نخلات طويلات في الباحات الدنيا وعلى الزرقة البديعة المديدة في مياه المتوسط. وكانت البناية من قبل تحتوي مدرسة دينية للبنات السوريات تديرها راهبات، كن هنالك حين وصلنا. ذهبت في صباح اليوم التالي إلى المدرسة، وكانت الغرف تبيّض وتنظف وتعدّ. فاستقبلتني رئيسة الراهبات وجالت معي في أرجاء المكان.

كان جمال باشا قد أعدّ للراهبات ديراً في القدس، وكان على رئيستهن الأخت فريج والثلاث اللواتي تحت ادارتها ان يرحلن. ولكني حين جلست اليها في غرفة الاستراحة البسيطة وجاءت راهبة تقدم لنا القهوة فكرت بتدبير أكفل به الاحتفاظ بالراهبات إلى جانبي... وفي خلال نصف ساعة توصلنا إلى تفاهم كامل. فقد رضيت الأخت فريج أن تبقى وأن تقوم بكل أعمال التدبير المنزلي... ولا أزال أذكر المحبة ونبرة الاخلاص في صوتها وهي تقول لي: «سنصلّي من أجل روحك يا بنيّتي» ولا ريب في انهن كن يتذكرني في صلواتهن اليومية في كنيستهن العجيبة».

...كانت امتحانات الدخول عملاً نشيطاً مثيراً فقد تقدم الينا ١٧٥ طلباً لملء عشرين مقعداً خالياً في الصفوف العليا. وكان أكثر المتقدمات بطلباتهن واللواتي ملأن المدرسة يأتين من لبنان وبيروت بالذات. أما طالبات دمشق فمن حسن الحظ ان معهد دمشق هو الذي كان يختارهن ويرسلهن الينا. وكان لبنان يرسل الينا بنات مسيحيات، وبيروت ترسل مسلمات ومسيحيات، بينما كانت الطالبات من دمشق جميعاً مسلمات. وحين ترجم الجسر أفندي المفتش العربي للتعليم العام أسئلة الامتحان إلى العربية ابتسم وقال لي: «لو كنت عربية لاتهمت بالقومية العربية ولقدمت إلى محكمة عاليه». أجل. بما أني كنت قومية مخلصة فقد كنت أرى ان من حق كل امرئ أن يعرف لغة بلده وثقافتها. والحق ان البنات وأكثرهن جئن من مدارس فرنسية لم يكن يعرفن شيئاً عن البلاد التي يعشن فيها، وكن يحتقرن لغتهن ويرينها في مستوى دون الفرنسية. ولهذا فان المدارس التي افتتحناها أخذت تعليم العربية مأخذ الجدّ الخالص.

... وسرعان ما افتتحنا صفوفاً لتدريس الخياطة واللغات وخاصة الفرنسية والتركية، وقد كانت قاعات الانتظار تكتظ بالنساء العربيات اللواتي كن حريصات على الانتظام في تلك الصفوف».

«دوماني» والزيّ الموّحد

«في هذه الأثناء جاء لمقابلتي رجل يدعى دوماني، أحضر معه نماذج من قماش محلي الصنع قابل للغسل والتنظيف بدا لي انه يصلح تمام الصلاحية ليتخذ زياً للطالبات. كان لديه معمل نسيج يفيد فيه من فضلات الحرير بسورية. وقدّم لنا القماش بسعر متهاود جداً مشترطاً أن يدفع له نصف ثمنه قمحاً. فوضعه الوالي عزمي بك تحت رعايته وزوّد جميع مدارسنا بذلك القماش العجيب من معمله. ولما عرفت تاريخ حياته من الأخت فريج أحسست بما يتجاوز السرور من أني عرّفته إلى عزمي بك: كان أبوه أغنى رجل في سورية، قد بدد كل ثروته في القمار، ومات وعليه دين ثقيل، فباع دوماني كل ما قدر عليه من ممتلكات، وسدد الديون وبدأ يشتغل عاملاً

بسيطاً. انه وأمه، تلك المرأة النبيلة من كل وجه، من بين أولئك الذين أكنُّ لهم عميق الاحترام».

تحسّن الأوضاع في عينطورة

«في الوقت نفسه لم أكن راضية عن مجرى الأمور في عينطورة. حقاً انني عيَّنْتُ لها مديراً ومساعدين في أول أسبوع من كانون الثاني (يناير) ولكن المكان كان من القذارة والبؤس على درجة لا تصدق. فقد كان ما يزيد عن خمسمائة طالب من بين الثمانمائة، مرضى، ولم يكن هناك أي نظام، وكانت هيئة المستخدمين تتألف من بضع نسوة طيّبات لكن تعوزهن الكفاية وبضعة رجال وستة عساكر يفترض فيهم أن يقوموا ببعض الأعمال. ولهذا أبدى النساء والرجال غاية الفرح حين رأوا ان هيئة جديدة كبيرة قد وصلت. كان كل طفل وكل سرير وكل جزء في الأثاث تعلوه الحشرات الطفيلية، وكان معظم الأطفال مصابين بمرض في الفم. بل إن الأطفال انفسهم بدوا في مظهرهم وتصرفاتهم مثل الوحوش البرية، وقد صدمت الموظفين الجدد الرائحة والقذارة والضجيج ومناظر التعاسة. وطلب المدير الجديد (لطفي بك) على التوّ مراجل وألقى فيها كل ما يمكن غَلْيُهُ، وأخذ في تعقيم الأثاث والمكان كله لأن التيفوس كان في أسوأ الأمراض الوبائية السائدة في سورية. ووصل طبيب جديد (اسمه لطفي أيضاً) من الجبهة وعمل الأعاجيب لانشاء مستشفى مقبول ولتحسين الأوضاع الصحية، فأبيدت الحشرات، وأزيلت الأوساخ والقاذورات، ولكن بدا لي في زياراتي الاسبوعية للمدرسة ان التحسن كان بطيئاً أو معدوماً.

وقد أخذ وهن العزيمة يستولي على المدير، إذ أرعبه التردّي الخلقي الذي كان يعانيه الطلاب، فقد كان بينهم قلة من الكبار الأصحاء يسيطرون على المكان كله. وقد أخبرني أنهم يأخذون خبز الصغار ويبيعونه في القرية، ويقامرون بكلّ سبيل ويأتون أموراً أخرى لا يمكن التحدث عنها. فتحدثت إلى أولئك الطلاب (الكبار) والى المعلمين ومكثت بعض الوقت أرقب الأمور وأخيراً قررت أن آتي إلى المدرسة بنفسي وأبدأ فيها العمل، ذلك ان مدرسة دير الناصرة كانت قد بدأت في جميع فروعها بداية حسنة، وكانت في أيد أمينة. ولهذا كان في استطاعتي أن أغيب عنها بعض الوقت.

ولما بلغ وهن العزيمة حدّه الأقصى لدى المدير قرّر مبارحة المدرسة مع عدد من معلميها، وقبل الدكتور لطفي (الطبيب) ان يكون مديراً للمدرسة، وكان تعييناً ذا بركة على تلك المؤسسة، فأبرقتُ إلى المركز بدمشق وأعلمتهم بما تمّ من تغيير وشرعت في العمل.

بدأت عملي بالذهاب إلى غرفة الطعام لأرى تلك المحنة الفظيعة التي تسمى تغذية الأطفال والتي روَّعت المدير السابق وهيئة التدريس. كانت غرفة الطعام تتألف من ثلاث قاعات كبيرة واسعة جداً. تفضي إحداها إلى الأخرى. وقد احتشد فيها ٤٥٠ طالباً لتناول وجباتهم، ومعظمهم يبدون وكأن المصحة أَليقُ بهم. ويقف على الباب جنديان ومع كل منهما كيس مملوء بالخبز يوزعانه على الأطفال لدى دخولهم، بينما تحاول المشرفة مقبولة خانم مع بعض الاساتذة سكب الحساء لهم.

وقبل أن يتكامل عدد الأطفال في القاعة بدأ ضجيج صاخب وعراك. ذلك منظر يجدرُ بطلاب علم الانثروبولوجيا رؤيته لأنه يصور الصراع الرهيب من أجل البقاء بين أحطِّ أنواع «الحيوانات». كان الأولاد الأقوياء يخطفون الخبز من الضعفاء، وهؤلاء بدورهم يناضلون ليحتفظوا به لأنفسهم. كان عراكاً شرساً ترى فيه جميع الأطفال يتصارعون ويتشاجرون ويبكون ويصرخون. حاول محاسب المدرسة وهو رجل قوي أن يعيد النظام بعصاه فلم يفلح، وكان بعض الأطفال ما يزالون مطروحين أرضاً، والمشرفة قد

جرحت والدم يسيل من يديها وعنقها . ويبدو ان هذا أسوأ ما كانوا يستطيعون عمله . ولهذا سررتُ أن أرى الأمر يبلغ حده . وان كان يملأ المرء أسىً لا قبل له بالتعبير عنه وهو يرى سرعة انهيار الطبيعة الانسانية في ظروف البؤس والتعاسة » .

« كانت خطتي أن أبدأ تواً فأجعل الأولاد يحيكون ويعملون في النجارة ويصنعون الأحذية أي أن ألقي بهذه الكتلة الضخمة من الطلاب الكبار في حومة العمل وأن أجعلهم يحققون الاكتفاء الذاتيّ إلى حدّ ما . وفي الليلة الأولى . وبعد أن عملت حتى الثانية عشرة في مكتبي – وكان يقع في الطابق الأول – تجوّلت بهدوء في أرجاء المدرسة . كانت الدهاليز مليئة بالأولاد الكبار يضحكون ويتحدثون مع الجنود العرب الذين يفترض فيهم القيامُ بالحراسة . وكانت غرف النوم في حالة زريّة ، يتكدس فيها الكبار والصغار معاً . وعدت في الثانية إلى غرفتي وأضفت ملاحظات أخرى لما أنوي أن أقوم به .

كانت إحدى النساء الاستانبوليات اللواتي قررن البقاء تحسن الخياطة . واستدعيت عدة نساء من القرية ، بدأن مع البنات الكبيرات يحضرن الملابس والفراش للصغار . طلبت من الادارة أن ترسل نجاراً ماهراً وصانع أحذية ومديراً ينظم فرقة نحاسية واحضرت اثنين من مهرة النساجين وبضعة أنوالٍ بسيطة للبدء بنسج الأغزال في قماش . فوصل « المعلّمون » في خلال ثلاثة أيام واختاروا الأولاد الكبار الذين لا بدَّ منهم في تسيير العمل وبدأوا يعملون بنشاط بالغ . والفضل في سرعة إرساء قواعد النظام يعود لحدٍّ كبير إلى هؤلاء الأولاد الكبار وهم الذين كانوا في البداية متدهورين يصعب التعامل معهم . وقد كانت لي معهم أحاديث جدية . ومن خلال الاتصال الشخصي اخترت أيضاً كل من أريده لأغراض أخرى عدا النسيج والنجارة .

وعند نهاية الأسبوع كانت غرف نوم الصغار قد أعدت بفرشها الجديد ، وكانت ملابسهم وجانب كبير من أحذيتهم قد أعدت كذلك . وقد خصصت لكل عشرة أطفال صغار (من ذكور وإناث دون السابعة) مشرفة (أَبْلَة) أي « أختاً » من بين البنات الكبار ترعاهم وتعينهم في اللبس والاغتسال والذهاب إلى الصفوف ... وأول يوم سار فيه كل عشرة إلى حمام مع المشرفة كان يوماً لا ينسى ، فلما استحم أول عشرة وارتدوا ملابسهم التي كان يحلو النظر اليها ، جلسوا على « بنك » في قاعة الاستحمام ومالوا برؤوسهم بعضهم إلى بعض ، وناموا ، وعلى وجوههم سمات سعادة لم أكن أظنها تتأتى لهم . وحين خرج كل عشرة مع مرافقتهم مهندمين مسرحين نظيفين ، فان المدرسة كلها التي نزلت لترقب هذا التغير وقفت تشهدهم وهم يمّرون وقد تملكها شيء يشبه الرهبة . في تلك الليلة ذهبتُ ثلاث مرات إلى حجر النوم لأرقبَ الصغار وهم نائمون .

وعند ختام شهرين كان كل الطلاب قد اتخذوا ملابسَ جديدة ، وأحذية جديدة وكلها من صنعهم ، وأصبحت حجرات نومهم نظيفة مرتبة . وقد صنع النجارون الشبان ثلاثمائة سرير خشبي وكانوا آخذين في صنع « اسكملات » ... وكان برنامج التعليم المقسم إلى خمسة صفوف يطبق بكليته . وكان للأولاد أيضاً مشرفون ، فلكل خمسة وعشرين منهم « شاويش » وتلك مرتبة تشريف ، ولقد سرّوا باعتبارهم زملاء عمل مع الاساتذة ولهذا كان كل « شاويش » يحاول أن يبقي جماعته في أحسن تدريب . ان بركة العمل والنظافة والاهتمام بالألعاب والموسيقى جعلتهم في حالة مزاجية أحسن ، حتى لقد أصبح الانسجام العام بين الطلاب مدهشاً . تذكرت الأيام الأولى حين كان الطلاب الأرمن والأكراد يكادون يمزقون حلوق بعضهم بعضاً يومياً ، وشعرت بالامتنان لهذا التغير السريع . ثمة طالبان كرديان أصبحا خير نساجين هذان نفساهما هما اللذان جاءاني في خلال

الاسبوع الأول من مقامي بعينطورة ورأساهما ملفوفان بالضمادات. وقالا بلسانٍ واحد:

– نريد اذناً لنذهب إلى دمشق.

– من أجل ماذا؟

– نريد أن نقتل الأرمن.

– ولِمَ؟

– لأن الأرمن قتلوا آباءنا وهم يضربوننا يومياً.

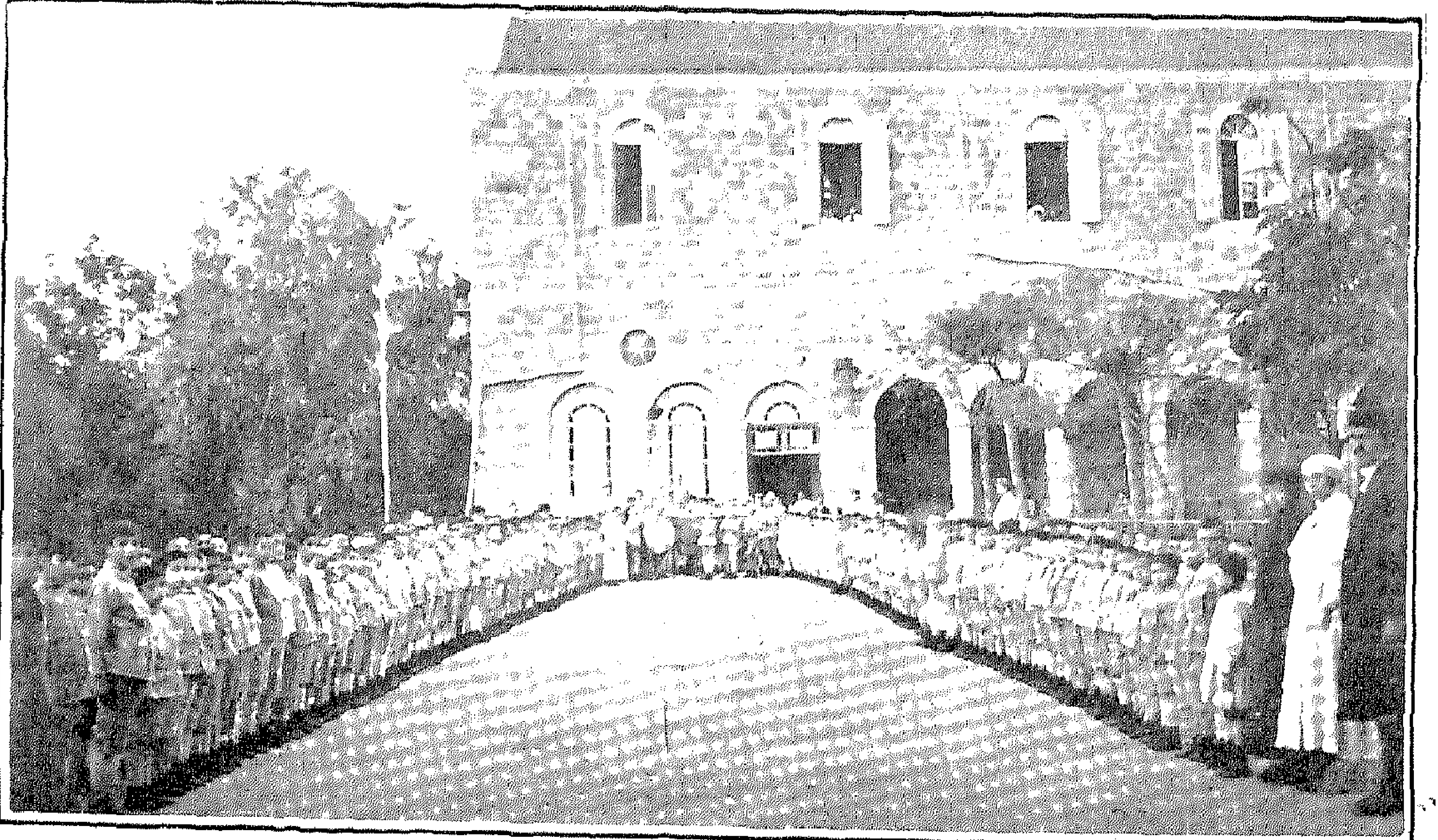
– ولكن ليس هؤلاء الأولاد هم الذين قتلوا آباءكم. ثم ان آباءهم هم أيضاً قتلهم ناس آخرون. لكن اخبراني كيف أصبتما بهذه الجروح في رأسيكما؟

أرسلتهما إلى المستشفى وقلت لهما عليكما أن تؤجلا الذهاب إلى دمشق بعض الوقت، ومما أحببته فيهما أنهما رغم ما كان يملأ صدريهما من كراهية للأرمن. أبيا أن يذكرا أسماء من جرحوهما. هذان الولدان أصبحا هما الذين ينسجان كلَّ ملابس رفاقهما. يذهبان ويجيئان في وداعة الحمل».

لم أكن آمل في أن أسمع الضحك في عينطورة. كان جلّ ما أسعى اليه أن أقلل من الدموع ومن المرضى. ومع ذلك رأيت أرجلاً قوية ووجوهاً تطفح بالحيوية. وكثيراً ما كنت أسمع ضحكاً وأصوات حبور. ان روح المودة النسبية والصحة الجيدة كانتا باعثتين على الاحساس بالابتهاج والتفاؤل بعد شهرين من العمل المضني. ولم أتبين أنه مضنٍ حقاً إلا حين نظرت في مرآتي ذات صباح فرأيتها مغشّاةً بسحابة رمادية ووقعت على الأرض وأنا أحسّ أن الموت سيخطفني قبل أن أبدأ كل ما أريد تحقيقه في تلك المؤسسة على الوجه الصحيح... وقال لي الطبيب إنها حالة من «الأنيميا» الدماغية. لزمت الفراش بها اسبوعاً قبل أن أسافر. للتفتيش على مدرستنا بدمشق...».

من صور المجاعة

«كنت التقط لمحات من حياة الناس المتعددة الجوانب بسورية: كان هناك الأغنياء بلبنان وبيروت من الأسر المسيحية العريقة: صورة تقليدية عربية للدنيا الباريسية. فالملابس وآداب



أولاد الطائفة الارمنية كانوا موسيقيين جيدين

السلوك والطرائق العامة كلها واردات فرنسية. ومن الغريب في الأمر – مع ذلك – انه كان ما يزال لديهم شيء أصيل يحاولون جهد الطاقة اخفاءه. وهناك أبناء العائلات الاسلامية والدرزية العريقة، الذين حاولوا جاهدين أن يحافظوا باعتزاز على طريقتهم وشخصيتهم. وكان هناك ثراء فاحش بسبب الحرب، كله قائم على الاتجار بالقمح. أما بين الجماهير فكانت المجاعة بأبشع صورها آتية على نحو كاسح سريع. وكنت ترى في شوارع بيروت الغنية أناساً في اسمال. ووجوههم قد اعتصرها الجوع. ومشردين هائمين من رجال ونساء. وأطفالاً مستوحدين ذوي أرجل مرتعشة نحيلة كالقصب. ووجوه متغضنة كوجوه المعمرين. وعيون غائرة تنفث سخرية مريرة لا واعية. وشعر قد خفّ أو سقط جملة. وما يزال في ذاكرتي منظر طريق تمتد إلى ما لا نهاية أرى فيه هذه الأشكال الصغيرة المغمورة تمضي قدماً. وفيها صورة درجات رخامية غنية أمام منازل فخمة حيث يرتمي أحد تلك الرؤوس البائسة الصغيرة على ذراع عظمّي ناحل في استسلام مطلق وتوق إلى الموت. وأول مرة سمعت الصيحة ترددت أصداؤها وترددت في رأسي وقلبي. كان ذلك بعد حفلة موسيقية في الكلية الأميركية ذهبت اليها مع عدد من المدرسات وأسلمت نفسي إلى نعيم الموسيقى. وكنت أسوق عربتي عائدة خلال شوارع بيروت إلى دير الناصرة حين سمعت: «جوعان»، كانت صرخة وحيدة نافذة ملحّة تشق الفضاء كالمدية. ومنذ ذلك الحين سمعت لفظة «جوعان» كثيراً. مع مرور الأيام أصبحت الأصوات الجشاء اللائبة التي ترسلها النساء، والنغمات الرزينة العميقة التي يطلقها الرجال في ألم لا لون له ولا وهج. وحلوق الصغار الواهنة التي تكاد لا تجد فيها بقية رمق – أصبح كل أولئك يرسلون تلك الصرخة في نغمة فريدة حادة كشفرة السيف تشق شغاف القلوب

وفي السنة التالية (١٩١٧) ازداد البؤس ولكن رافقه روح أكثر استعداداً لتقديم المعونة: ففتح الوالي عزمي بك داراً للأيتام ضمت سبعمائة طفل عربي، جمعوا كلهم من طرق بيروت ولبنان، وافتتح علي منيف بك مطابخ عديدة لتقديم الحساء للمشردين واليتامى الهائمين. وزاد من عدد تلك المطابخ خليفته اسماعيل حقي بك الذي كان يحبه أهل لبنان كثيراً لادارته المتحررة المتسامحة. كذلك قام الأميركيون بنصيب كبير. فهناك دار الأيتام كان ينفق عليها المستر دودج، ختن (زوج ابنة) المستر بلس. ان حياة التضحية بالذات التي عاشتها عائلة دودج في بيروت خلال السنوات التي مكثتها هنالك لأمرٌ يعتز به المرء حقاً. وكان هناك تعاطف وانسجام متناميان بين المؤسسات الحكومية والاميركية. وأنا بخاصة أشعر بجميل الدكتور بلس لمودته المشجعة ومعونته في إيجاد معلمين للغة العربية. وعن طريقه أيضاً حصلت على معلمة ممتازة للتربية البدنية – شابة أميركية تدعى الآنسة فيشر كان انضمامها إلى الهيئة التعليمية بمدرستنا كسباً لا يستهان به.

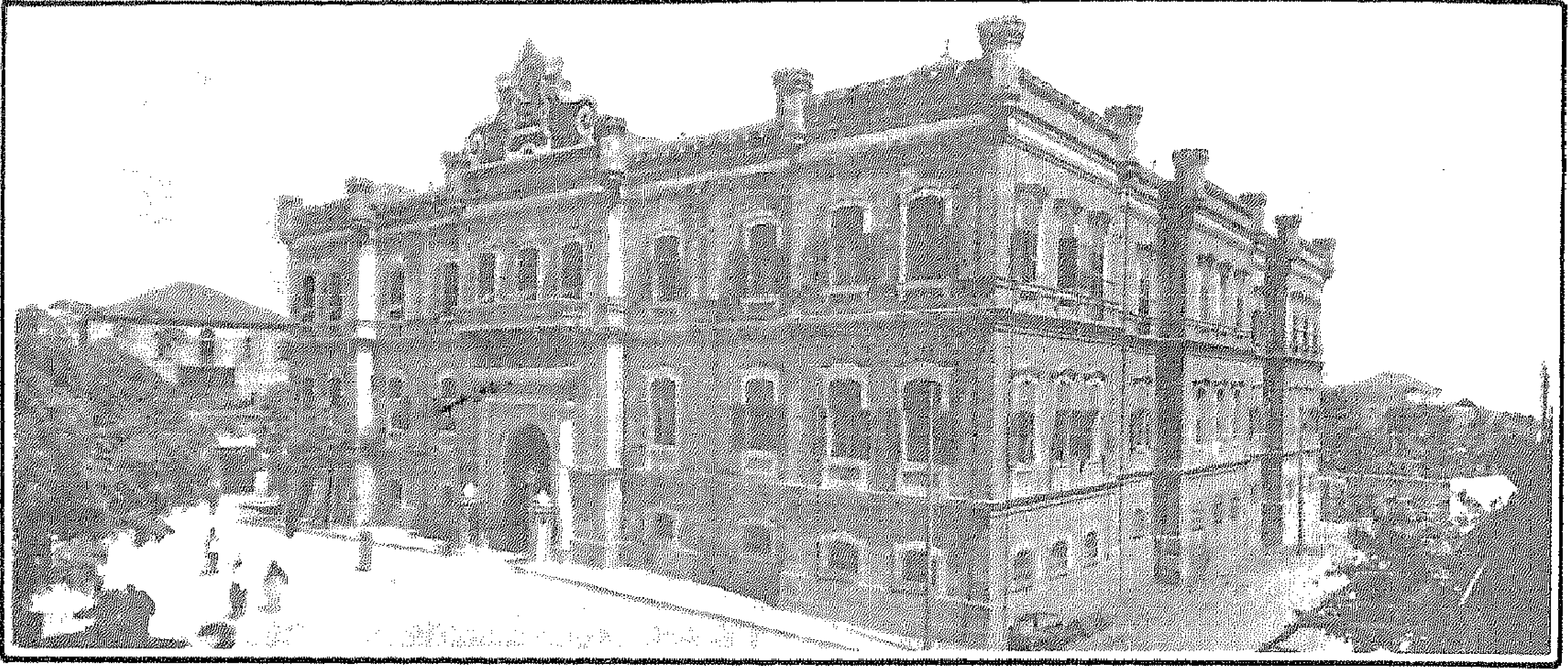
كذلك كانت السيدات الغنيات الأنيقات في بيروت ولبنان نشيطات في السنة الثانية فقد افتتحن «ورشة» جميلة للتطريز والملابس النسوية الداخلية وقمن بادارتها بقدرة فائقة. واستخدمن عدداً كبيراً من الأيتام الصغار.

وديع صبرا

كثيراً ما تحدث إليّ السوريون، وخاصة المثقفون فيهم، عن موسيقار عظيم منهم إسمه وديع صبرا. كنت سمعت باسم وديع صبرا أول مرة سنة ١٩٠٨ وأنه ملحن أغنية قومية نظمها توفيق فكرت ومطلعها:

شـــعب من الشـــجـــعــان
نحن بـــــني عثمان

وقد رددها حوالي ثمانين ألف رجل وطالب



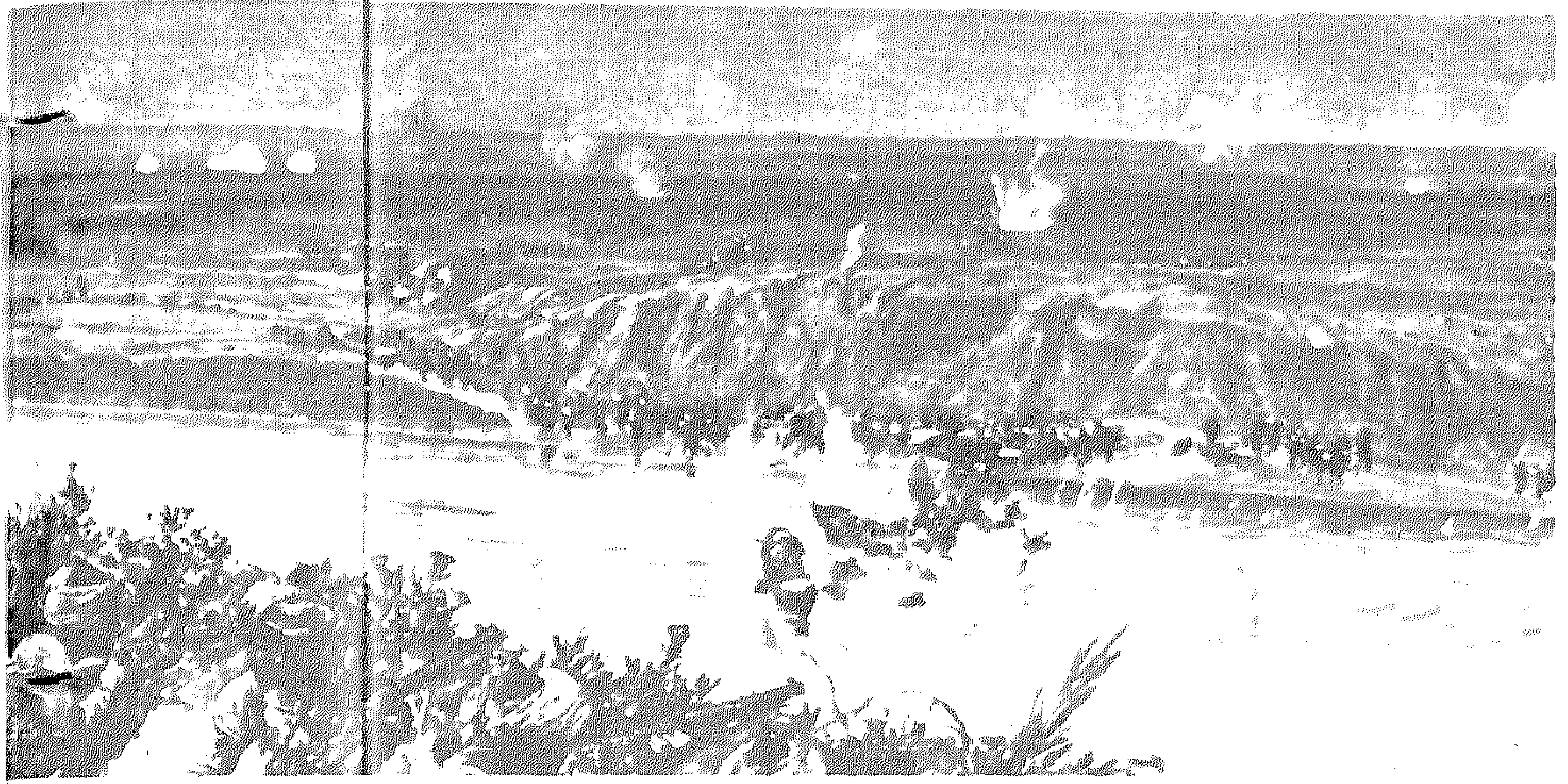
السراي القديم في بيروت الذي بني عام ١٨٨٣ – ١٨٨٤

في حديقة تقسيم ، وكان صبرا يومئذ يقود الأوركسترا . في تلك الأيام لم يكن البغض العرقيّ في تركيا قد ابتدأ ، وفي سنة ١٩١٥ اقترن اسم وديع صبرا بمؤامرة في بيروت لصالح الفرنسيين فنفي إلى أرضروم . وقد كتبت إلى جمال باشا أسأله ان يأذن لنا بتعيين وديع صبرا رئيساً للدائرة الموسيقية التي كنا نزمع أن نجعلها نموذجية في سورية . ولم يمض وقتٌ طويل حتى كان صبرا رأس الدروس الموسيقية .

... استأذن وديع صبرا أن يجعل من « رعاة كنعان » مسرحية موسيقية وبعد أن رتب نصّ الأوبرا بمعاونتي شرع في العمل . فأتمّ انجاز الفصل الأول في سورية منظماً أوركسترا من خمسة وعشرين بينهم أهم الموسيقيين الهواة والمحترفين في بيروت ، وكان علي ضومط عازف البيان السوري الذي كسر سنه الأمامية ليصبح شبيهاً ببيتهوفن أن يصاحب الأوركسترا . وبدأ صبرا يعد العدّة ليقدم تلك المسرحية... وكان أن قدّمها في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩١٧ .

الأطفال في العالم كله ممثلون بارعون . ولكن الأطفال العرب يبذّون من عداهم جميعاً في أمور معينة ، فهم يندمجون في التمثيل كأنما يتحوّل لديهم إلى حقيقة ، واذا كانت ثمة رواية ذات عاطفة درامية أو مأساة أو وتر بطولي رومانسي فاعهد بها إلى الأطفال العرب ، وستجدهم في معظم الحالات يؤدونها إلى حدّ الكمال... أولئك الأطفال الحفاة في عباءاتهم الفضفاضة ذات الألوان الحمر والزرق والبرتقالية اللامعة حسبوا أنفسهم حقاً في الصحراء ، يحسون بالحسد القاتل في نفوس إخوة يوسف تجاه أخيهم وهم يتآمرون على بيعه أو قتله . وفي المشهد الأخير عندما غنوا تلك النغمة التي تعرفها سورية كلها « لنقتله ، لنقتله » أحسستُ حقاً بالقلق على حياة الطفلة التي كانت تمثل دور يوسف . ذلك ان التشجنات القاسية على وجوههم السامية . وأيديهم القاتلة وهي تعبث حول يوسف بخفةٍ كالبرق . ويوسف المسكين يعدو محاولاً أن ينجو . برعب حقيقي لا يستطيع أن يعبر عنه – كل ذلك زلزل القاعة ، حتى لقد سرت عدوى الأداء التمثيلي إلى المشاهدين... واستعادت بيروت المسرحية ثلاث عشرة مرة » .

[في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩١٧ بدأ الانحسار . وكانت خالدة المنهمكة في عملها لا تتصوّر أن سورية قد تقع في يد « الأعداء » . وهكذا كانت لحظات البناء الثقافي ، كأنها حلم بدده كابوس الهزيمة أو شبحها المنتظر . كانت تجربة تشبه « صحوة الموت » . ان التاريخ صارم جداً ، إنه لا يسمح للمرء أن يقول : ماذا لو تمَّتْ قبل سنوات ، وترسخت منها الجذور !] . ■



عملية عبور القوات التركية لقناة السويس

قضية الحدود بين فلسطين ومصر

واثرها في جذور الصراع العربي ـ الصهيوني

د. خيرية قاسمية

جامعة دمشق / معهد البحوث والدراسات العربية

تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد مؤخراً في دمشق (راجع العدد ٣ من تاريخ العرب والعالم» كانون الثاني ١٩٧٩) اعد مركز الدراسات والابحاث في المجلة صورة ملخصة من ثلاثة من البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تُنشر متتالية في المجلة ابتداء من هذا العدد.

وفي هذا المجال تودّ المجلة ان تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر. كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة دمشق في سبيل انجاح هذا المؤتمر. وتتمنى ان تستمر الجهود في جميع انحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية اوضح لتاريخهم وثقة اكبر بأن هذا التاريخ يكوّن ركيزة اصيلة لا نطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليماً ثابت البنيان.

د. خيرية قاسمية: جامعة دمشق. معهد البحوث والدراسات العربية.



■ تعود قضية الحدود بين مصر وفلسطين. او على الأصح بين الولايات التركية في بلاد الشام والأراضي المصرية في سيناء. في العصر الحديث. الى عهد محمد علي حين أجبرته القوى الدولية على التراجع عن بلاد الشام وتقررت حدود مصر في معاهدة لندن ١٨٤٠ وأبلغت الى محمد علي بفرمان التولية ١٨٤١ من السلطان محمود الثاني حيث ثبته على ولاية مصر بالحدود المرسومة على الخريطة الملحقة بالفرمان. ولا يعرف بالضبط ما هي الحدود المرسومة على تلك الخريطة. اذ لم يوقف لها على أثر لا في مصر ولا في الأستانة. ولكن المعروف أن شبه جزيرة سيناء كانت كلها ملحقة بولاية مصر من نقطة تبدأ شرقي العريش وتمتد على شكل خط مستقيم نحو الجنوب الشرقي لتضم بعض النقاط المحصنة في بلاد الحجاز على الساحل الشرقي من البحر الأحمر كقلعة العقبة وضبة والمويلح والوجه.

وبسبب وجود سيناء والمناطق الواقعة على طرفيها على طريق الهند فقد اكتسبت أهمية دولية. وكانت حملة نابليون الى مصر بداية الصراع الدولي الحديث في هذه المنطقة. وهو في حلمه بمسيرة عبر آسيه نحو الهند لبناء امبراطورية شرقية وضرب المصالح البريطانية وجه نداء يدعو فيه اليهود في آسيا وأفريقيا « للالتفاف حول رايته من أجل اعادة مملكة القدس القديمة» ولم يكن ذلك الا لأن توطين اليهود في فلسطين قد أصبح يلعب دورا كبيراً في أمور السياسة الدولية العملية حتى قبل أن توجد الحركة الصهيونية السياسية.

وقد تلاشى المشروع بمعارك عكا وأبي قير. الا أن بريطانيا تحققت من أهمية هذه المنطقة بالنسبة لامبراطوريتها الشرقية. فسعت بشتى الوسائل لا بعاد أي نفوذ آخر عن تلك المنطقة بحجة حماية الطريق الذي تسلكه مصالحها الى الهند. وهذا مادفعها الى مساندة الدولة العثمانية حين أحسّت بخطر جديد على مصالحها في الشرق مع ظهور قوة محمد علي.

فمع تأزم المسألة الشرقية الناجمة عن توسع محمد علي أرسل بالمرستون تعليماته الى سفيره في الاستانة ١١/ أغسطس/آب ١٨٤٠ — يوم نزول القوات البريطانية بيروت — « أنه لو عاد اليهود (الى فلسطين) بموافقة السلطان سيكون ذلك كبحا لأية مشاريع خطرة في المستقبل من محمد علي أو خلفائه». ولذلك ليس من الغريب بعد عودة فلسطين الى السلطان أن يشير قريب بالمرستون لورد شافستبرى في مذكرة (سبتمبر ١٨٤٠) الى أن « توطين اليهود بضمان من الدول الأربع هو جزءمن تسوية القضية السورية يحمل السلم والازدهار لكل البلاد التي تقع بين الفرات والبحر المتوسط». وأجمعت مشاريع بريطانية أخرى على أن التوطين اليهودي ضروري من أجل تحكم بريطانية في الشرق وكحل عملي للمسألة الشرقية. أهمها ما اقترحه الكولونيل تشرشل في الستينات لتوطين اليهود في فلسطين لأن فلسطين هي جغرافيا وتاريخيا ضرورة محتمة لمصر وكلاهما يجب أن يرتبطا ببريطانيا.

و قد لعب صندوق الاكتشاف الفلسطيني Palestine Exploration Fund الذي

أنشئ عام ١٨٦٥ في بريطانيا دوراً كبيراً في تأكيد هذه الصلة العملية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومع أنه انطلق من فكرة دينية بهدف دراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة، الا أن حقول نشاطاته قد تعدت المسألة الدينية العلمية، كما أن أعماله قد شجعت بطريقة غير مباشرة عملية الاستيطان اليهودي لأنها قدمت صورة مفصلة عن فلسطين بكل جوانبها الجغرافية والأثرية والاقتصادية. ثم ان معظم الذين قاموا بالبعثات والاكتشافات وتولوا عمليات الحفر والمسح ووضع الخرائط كانوا ضباطاً في وزارة الحربية البريطانية من سلاح الهندسة الملكية بالذات، بالاضافة إلى رجال الآثار والمستشرقين والعاملين في دوائر المخابرات البريطانية.

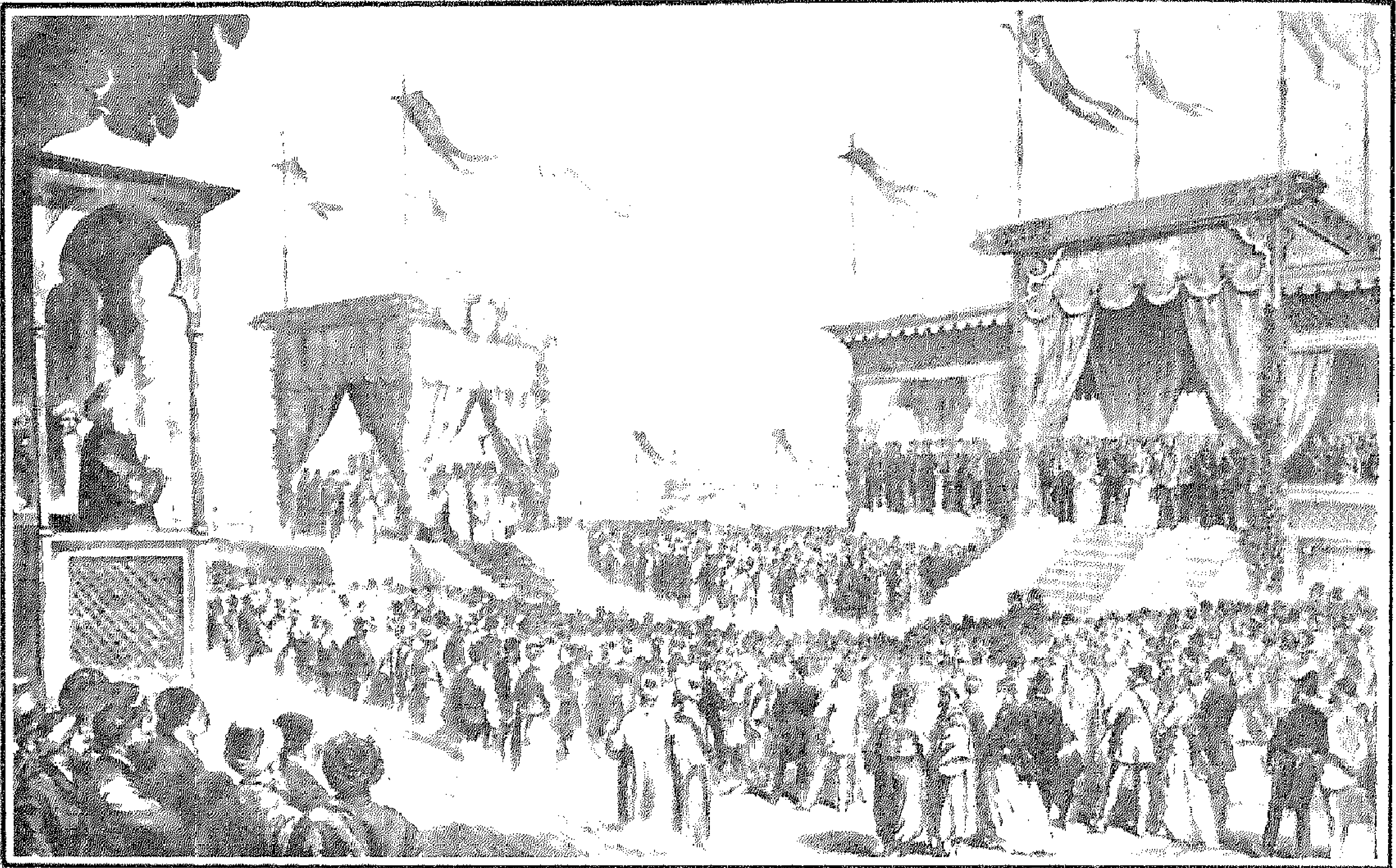
«دزرائيلي» و «اوليفنت» يساهمان...

وبعد شق قناة السويس ١٨٦٩ ازدادت أهمية المنطقة التي تقع شرق القناة. وشهدت السبعينات فترة نشطة من الاهتمام بفلسطين لما تولى دزرائيلي رئاسة الحكومة البريطانية، فإنه دعم جهود بريطاني آخر من الذين شاركوه عطفه على اليهود والدور الذي يمكن ان تلعبه بريطانيا في سياسة الشرق عن طريقهم، وذلك هو لورنس اوليفنت (١٨٢٨ - ١٨٨٨) الذي كان صحفيا وعضو برلمان قام برحلات الى الشرق بعد توقيع معاهدة برلين ١٨٧٨ ورأى أن مشكلة الشرق ستتركز في المستقبل في تلك المنطقة التي تحرس طريق المتوسط نحو المحيط الهندي بسبب خطر تهديد روسيا بالتقدم نحو البحر الاحمر عن طريق العقبة مما يخول لها الاشراف السياسي على كل الشرق. فوضع مشروعا يضمن حل المشكلة وينمي موارد الامبراطورية العثمانية بانشاء شركة لاستيطـــان المناطق الغنية وغير المأهولة في الدولة العثمانية. وأوصلته نتائج تحرياته الى أن مكان الاستيطان هو الجانب الشرقي للاردن في النهاية العلوية للبحر الميت (أرض جلعاد) التي أثبتت تحريات صندوق الاكتشافات الفلسطيني انه يتمتع بامكانات كبيرة وأن الشعب الذي سيدعى لاستيطان هذا المكان هو الشعب اليهودي من أوروبا الشرقية. ولكن مفاوضات أوليفنت الدبلوماسية في الاستانة فشلت ورفضت السلطات ادخال عنصر جديد في المسألة الشرقية بفتح ولاياتها الآسيوية، وخاصة هذا البلد المقدس، للهجرة اليهودية الجماعية.

زاد تعقيد الموقف نتيجة احتلال بريطانيا لمصر ١٨٨٢. فقد أعطاها ذلك اهتماماً اكثر بفلسطين وزاد قلقها في الحصول على دولة صديقة على جانبي الطريق نحو الهند. هذا القلق هو الذي أدى الى اهتمام متعاطف مع الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية الى فلسطين في أوائل الثمانينات وتشجيع جمعيات احياء صهيون (Chibbatt Zion)، في توجهها الى فلسطين وانشاء المستوطنات اليهودية الاولى بين ١٨٨٢ - ١٨٨٤.

هجرة «فريدمان» تثير المشكلة

وكانت العقبات التي وضعتها السلطات العثمانية في وجه الاستيطان في فلسطين هي التي أدت بالسلطات البريطانية في مصر الى العطف على مشروع فردي لاستيطان يهودي في منطقة تشرف عليها بريطانيا قرب فلسطين. يرتبط هذا المشروع بأسم بول فريدمان الذي عرفته جريدة المؤيد في ٩ شباط/فبراير ١٨٩٢ «انه يهودي ألماني عقد العزيمة على تشييد مملكة اسرائيلية في الاراضي المقدسة.. ووجد من ثروته وثروة كثير من أفراد بني اسرائيل عضدا قوّى فيه الأمل.. وخاصة بعد ما حل بقومه وبني مذهبه في الروسية..» وقد وصل فريدمان مصر ١٨٩٠ وقابل بعض المسؤولين. وعلى رأسهم السير افلين بارلنج (لورد كرومرفيما بعد). وفاتحهم في موضوع الاستيطان اليهودي في بقعة على السواحل الشرقية لخليج العقبة (المعروفة بأرض مدين)، ودلت عودته بعد سنتين على أنه لم يمانع



إفتتاح قناة السويس

في ما طلب. وكان قد اشترى يختاً بخارياً أسماه (اسرائيل) حمل عليه ذخائر ومدافع وعددا من العلماء والمهندسين والكيماويين والجغرافيين وثلاثين عائلة من اليهود المهاجرين.

وقصد فريدمان جزيرة العرب قرب جهة الطور عند مكان يسمى (شرما) ونصب لجماعته الخيام في واد قرب مدين التي أراد أن يتخذها عاصمة مملكته الجديدة، وأخذ يتفقد المنطقة لشراء أرض ولقي صعوبات من الاهالي وتمكن من شراء أرض جهة المويلح مع أن قوانين الدولة العثمانية لا تبيح بيع أرض للأجانب في شبه جزيرة العرب. فاشتكى وفد من الاهالي الى السلطات المحتلة في مصر دون فائدة. فلجأوا الى والي الحجاز العثماني الذي أمر الجند العثمانيين باحتلال قلعة المويلح وما جاورها على اعتبار أنها من أملاك الدولة العثمانية ولما تقابلوا مع فريدمان وجماعته في جهة ضبه ذكر للقائد العثماني انه «استعمرها برخصة من الحكومة المصرية وله الحق أن يمنعه من الاقامة بها وأنه مستعد للحرب».

وأرسلت وزارة الحربية المصرية عدداً من الجنود المصريين الى ضبه والتقت بالقوة العثمانية وكاد يحدث خلاف في منطقة الحدود الفاصلة بين مصر والدولة العثمانية. التي لم تكن قد حددت تحديداً قاطعا منذ فرمان التولية الذي اصدره السلطان محمد الثاني الى محمد علي ١٨٤١ وبدأت الاتصالات بين مصر والاستانة ولندن لحل المشكلة. وقد أثار مشروع فريدمان الشكوك في ذهن السلطان بأن اليهود المتوطنين خارج حدود السلطنة سوف يستخدمون هذا المكان كنقطة انطلاق نحو فلسطين وانشاء دولة يهودية.

وقد جرت المباحثات بين المندوب العثماني في مصر والمسؤولين لاخراج الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه على البحر الاحمر وضمها الى ولاية الحجاز. لكن لم يتوصل الى اتفاق. حتى وردت أنباء من الاستانة بأن فرمان تولية الخديوي عباس يختلف عن الفرمان الذي صدر بتولية والده توفيق اذ يخرج شبه جزيرة سيناء كلها عن حدود مصر ويلحقها بولاية الحجاز. وأعلم سفير بريطانيا في

الاستانة دولته بفحوى الفرمان وأثار معتمد بريطانيا في مصر السير افلين بارنج (لورد كرومر فيما بعد) اعتراضات بحجة أنه «لا يجوز تغيير شيء في الفرامانات التي تحكم بعلاقات الباب العالي ومصر بلا مصادقة حكومة جلالة الملك»

وقد تقرر نتيجة الضغط البريطاني أن لا يحصل تغيير في الفرمان بحيث يخول الخديوي «الخديوية المصرية المحدودة القديمة.. مع الأراضي المنضمة اليها..». أما الأراضي التي تقع بين العقبة والوجه فقد ضمّت الى ولاية الحجاز نظراً لأنها لم تعد في طريق المحمل الشريف المصري. وقيد الفرمان صلاحيات الخديوي فيما يتعلق بالامتيازات التي أعطيت لمصر والتي هي جزء من حقوق الدولة العثمانية. «فلا يجوز لأي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية للغير مطلقا». وأصبح معروفا أن الحد الفاصل بين سيناء والولايات العثمانية هو «خط يمتد من نقطة شرقي العريش يتجه جنوباً بشرق حتى ينتهي الى قلعة العقبة على خليج العقبة فما وقع غربي هذا الخط تكون ادارته منوطة بالخديوية المصرية. وظل كرومر يعتبر مسألة الحدود بين مصر والولايات العثمانية في فلسطين قضية معلقة.

مشروع هرتزل الاستيطاني...

وكان الاهتمام البريطاني بحركة الاستيطان اليهودي قد دخل في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر مرحلة هامة وفعالة وذلك بعد ظهور صهيونية جديدة في أواخر القرن التاسع عشر في غرب اوروبا. وقد فكرت الصهيونية الجديدة بأساليب سياسية للحصول على فلسطين بدلا من الاستيطان البطيء. واقترنت باسم هرتزل بكتابه (دراسة اليهود) وبالمنظمة الصهيونية التي نشأت بعد المؤتمر الصهيوني الاول في بال عام ١٨٩٧

ورغم ذلك فان القيود العثمانية كانت تعوق الحل الصهيوني للمشكلة اليهودية. ويبدو أن



الخديوي عباس باشا حلمي

هرتزل قد يئس من تغيير وجهة نظر السلطان وتبين المصاعب التي تقف في طريق برنامج بال وفكر لو ان اليهود استطاعوا الحصول على حقوق يهودية في أي مكان في العالم. فان هذا يحملهم الى منتصف الطريق نحو فلسطين. وتطلع هرتزل نحو بريطانيا لدعم مشاريعه وهو في هذا كان يتحول الى بلد قد أعد الرأى العام فيه مسبقا.

وكان هرتزل فكر–بعد استبعاد مشروع قبرص–في مكان يقع في منتصف الطريق يسميه فلسطين المصرية أو بمعنى آخر الجانب المصري من الحدود التركية المصرية في جزيرة سيناء. وما كان في ذهنه هو منطقة العريش بالذات. وتركت حجج هرتزل انطباعاً عميقا في نفس تشمبرلن وزير المستعمرات ولم يعارض مبدئيا فكرة اقامة مستعمرة يهودية مستقلة في الجانب الجنوبي الشرقي من المتوسط. ورفع هرتزل مذكرة بمقترحاته الى لانسدون وزير الخارجية البريطانية في ٢٤/تشرين اول/اكتوبر ١٩٠٢ لحل المسألة اليهودية في شرق اوروبا والرغبة بايجاد مكان لتهجير اليهود الى المناطق الخالية من السكان في جنوب شرقي المتوسط (العريش وسيناء) والتي تقع تحت نفوذ بريطانيا. وسيكون لها مقابل ذلك «ولاء عشرة ملايين يهودي



اللورد كتشنر

يعطون من أجل عظمتها وسيطرتها على الصعيدين السياسي والاقتصادي». وكان قبول لانسدون للمشروع مشروطا بموافقة كرومر.

وبعد هذه الموافقة المبدئية على المشروع دارت مراسلات ومحادثات بين هرتزل ومبعوثيهمن جهة وبين كرومر والحكومة المصرية من جهة أخرى وكانت وزارة الخارجية البريطانية الوسيط في هذه المفاوضات.

وانتقل هرتزل بعد ذلك الى تفاصيل المشروع: ستمنح الحكومة المصرية الامتياز المطلوب وعلى أساسه يقترح انشاء مستوطنة وشركة استيطان يسميها «الشركة الشرقية اليهودية» برأسمال تقريبي/٥/ملايين استرليني تتولى عملية الاستيطان. وقبل البدء بالاستيطان الفعلي تأتي هيئة من المختصين الفنيين والمهندسين الزراعيين لاعــداد المنطقة (من بناء طرق وموانئ.. الخ) ثم تبدأ الهجرة ببطء وبشكل منظم ودقيق لاختيــار دعامة صحيحة من (الطلائع). وسيتم الاستيطان طبقا لأحدث أساليب العلم والتجربة. ولن تقتصر الهجرة على يهود اوروبا الشرقية الباحثين عن العمل فقط. بل سيعمد أصحاب رؤوس الاموال الى اقامة مشاريع في أرض هم على ثقة من التمتع بثمار عملهم فيها. ومن الضروري كخطوة تمهيدية لارسال اللجنة للحصول على موافقة حكومة جلالته والحكومة المصرية بمستشاريها الانجليز على الخطة العامة. وعند الحصول على امتياز أولي سيباشر بالعمل فوراً.

وكان كرومر يتعاطف تماماً مع الاقتراح وفي رسالته الجوابية الى وزارة الخارجية في ٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٠٢ لم يجد أي اعتراض سياسي لاقامة هذه المستعمرة ولكنه أراد تقديم بعض الايضاحات حول ظروف معينة تحيط بالمشروع رأى أن يتم التفاهم عليها مسبقاً حتى لا يصاب المشروع بالفشل.

وفي رسالة هرتزل الى لاندسون في ٦ كانون ثاني/يناير ١٩٠٣ رحب بكل التوضيحات التي عرضها كرومر وانهى رسالته الى لا نسدون بثقته بأن «حكمة الحكومة المصرية بالمشاركة مع جهودنا الخاصة» ستتوصل الى ابتكار صيغة للميثاق الذي سيضمن للمستوطنين عدم تعرضهم من جديد لخطر الاضطهاد او التشرد بعد ان يكونوا قد حولوا بعرق جبينهم منطقة هي في تقدير كرومر الآن. ليست افضل من صحراء.

وقد شرعت لجنة الخبراء تحرياتها في ١١ شباط/فبراير ١٩٠٣ بدءاً من القنطرة وانتهت في آذار/مارس في السويس ورفعت إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٦ آذار/مارس تقريراً مفصلاً باللغتين الفرنسية والانجليزية.

ومع أن كرومر منذ البداية تعاطف مع الاقتراح. الا انه بيّن في رسالته الى لا نسدون في ١٤ ايار/مايو ١٩٠٣ انه منذ البداية واجه قدراً كبيراً من المعارضة وانه بذل جهداً كبيراً كي يحظى هرتزل واعوانه بأذن صاغية لدى المسؤولين في مصر ولا يرجع كرومر المعارضة المصرية الى حقد معاد لليهود بل الى ان المسؤولين المصريين وكذلك جميع المسؤولين البريطانيين في مصر. ليست لديهم ثقة

بامكانية نجاح المشروع لذا هم لا يرغبون الالتزام بمشروع محكوم عليه بالفشل . وقد يثير هذا المشروع برأي كرومر حملة من الانتقاد ضد الحكومة المصرية « حين يثبت ان الاموال قد بددت هدراً » وقد أورد كرومر حججاً اخرى تقدم بها الوزراء المصريون في معارضتهم للمشروع اذ ان آلية الحكم في هذا البلد بالغة التعقيد . ويصعب التكهن بالنتائج .. لو نفذت خطط هرتزل فمن المحتمل ان تزداد التعقيدات الحالية اذا سمح باستطيان مجتمع (له صفة عالمية) في سيناء باهداف سياسية معلنة . وهذا على الاقل لا يتفق مع مصالح السلطان صاحب السيادة في مصر .

وقد بعثت وزارة الخارجية البريطانية اعتذارها الى هرتزل في ١ حزيران/يونيو ١٩٠٣ بسبب رفض الحكومة المصرية النظر بمشروع مستوطنة يهودية في سيناء ■



اللورد كرومر

القسم الثاني في العدد القادم



كلما بريت قلمي براني .

ميخائيل نعيمه

لو رميت نفسك من الطائرة

يروى أن ترومان رئيس الجمهورية الأميركية سابقاً وصديق اسرائيل الحميم . كان يستقل طائرته الخاصة وبرفقته مستشاره الخاص . فقال ترومان للمستشار : ألا تعتقد أني أسعد عشرة أميركيين لو رميت من الطائرة عشرة دولارات . فقال المستشار : لو أنك رميت ألف دولار لكان السعداء ألف أميركي

وهنا التفت قائد الطائرة وهو جمهوري بعكس ترومان الديمقراطي . وقال لترومان : لو أنك حريص على سعادة الشعب الأميركي كله لرميت نفسك من الطائرة .

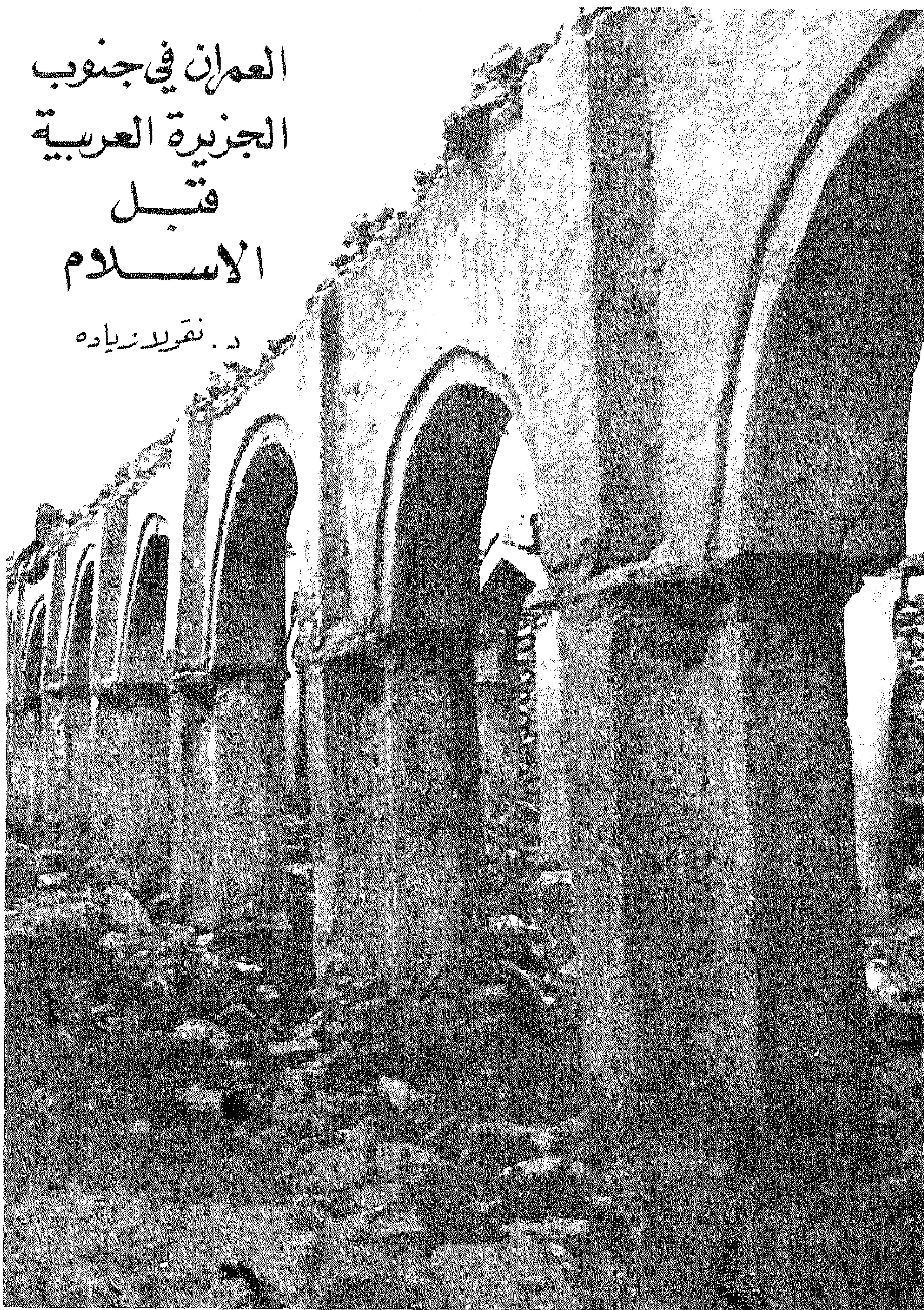
يجب أن نتذكر دائماً أننا تحت ثيابنا عرايا .

برنارد شو



العمران في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام

د. نقولا زيادة



اطلال مبنى المسجد في قرية بني خالد في جزيرة جنا من كتاب «مدخل الى الآثار في المملكة العربية السعودية» - وزارة التربية- قسم الآثار والمتاحف ١٩٧٥

■ في القصص القرآني وفي التاريخ وفي الأساطير العربية الجاهلية وفي طيات الأخبار المتعلقة بالأنساب وفي الشعر الجاهلي إشارة إلى سد مأرب. كل هذه جعلت هذا السد شيئاً معروفاً بالنسبة إلى سكان الجزيرة. كما أنه ذاع خبره وانتشر تاريخياً في أخبار الأولين واسطورياً في كل مكان.

فقد جاء في محكم الكتاب الكريم ذكر قصة مأرب وفيها: وأرسلنا عليهم سيل العرم. وقد نقل ياقوت في معجم البلدان أن العرم هو المسنّاة التي كانت قد أحكمت لتكون حاجزاً بين ضياع القوم وحدائقهم وبين السيل. ففجرت العرم فأرة. ليكون أظهر في الأعجوبة.

وفي شعر الأعشى:

في ذاك للمؤتسي أسوة
ومأرب عفّى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير
إذا ما نأى ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع وأغنامها
على سعة ماؤهم ان قسم
وطار القيول وقيلاتها
بيَهْماء فيها سراب يطم
فكانوا بذلكم حقبة
فمَال بهم جارف منهزم
فصاروا أيادي ما يقدرون
منه على شرب ماء فطم

وشعر الأعشى ليس الوحيد الذي يشير إلى مأرب وسيل العرم. ولكننا نكتفي بهذا القدر للتمثيل فقط.

وقد ظل العالم الخارجي الحديث لا يعرف عن مأرب وسدها شيئاً دقيقاً حتى القرن الماضي. فقد تمكن ثلاثة زوار أوروبيين من الوصول إلى مأرب بين سنتي ١٨٤٣ و١٨٩٤. وفي سنة ١٩٤٧ قام الدكتور أحمد فخري بدراسة وافية للمنطقة ونشر نتيجة أبحاثه في القاهرة سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢. إلا أن الحفر والتنقيب الأثري المعتمد فيها على الرفش والمعول وآلة المسح والمعرفة الفنية لم تعرفها منطقة سد مأرب إلا في أواخر سنة ١٩٥١ وأوائل سنة ١٩٥٢.

على أن أعمال الحفر في هذه الفترة القصيرة لم تقتصر على سد مأرب وما إليه، بل شملت وادي بيحان وهو جزء من المنطقة التي قامت فيها مملكة قتبان التي كانت عاصمتها «تمنع» وهي المعروفة اليوم باسم حجر كحلان. وفي هذا المقال نود أن نتحدث عن الري والزراعة في وادي بيحان. لا عن منطقة مأرب:

فهذه كثر الحديث عنها ولكن تلك بعد حديثة عهد بالكتابة عنها.

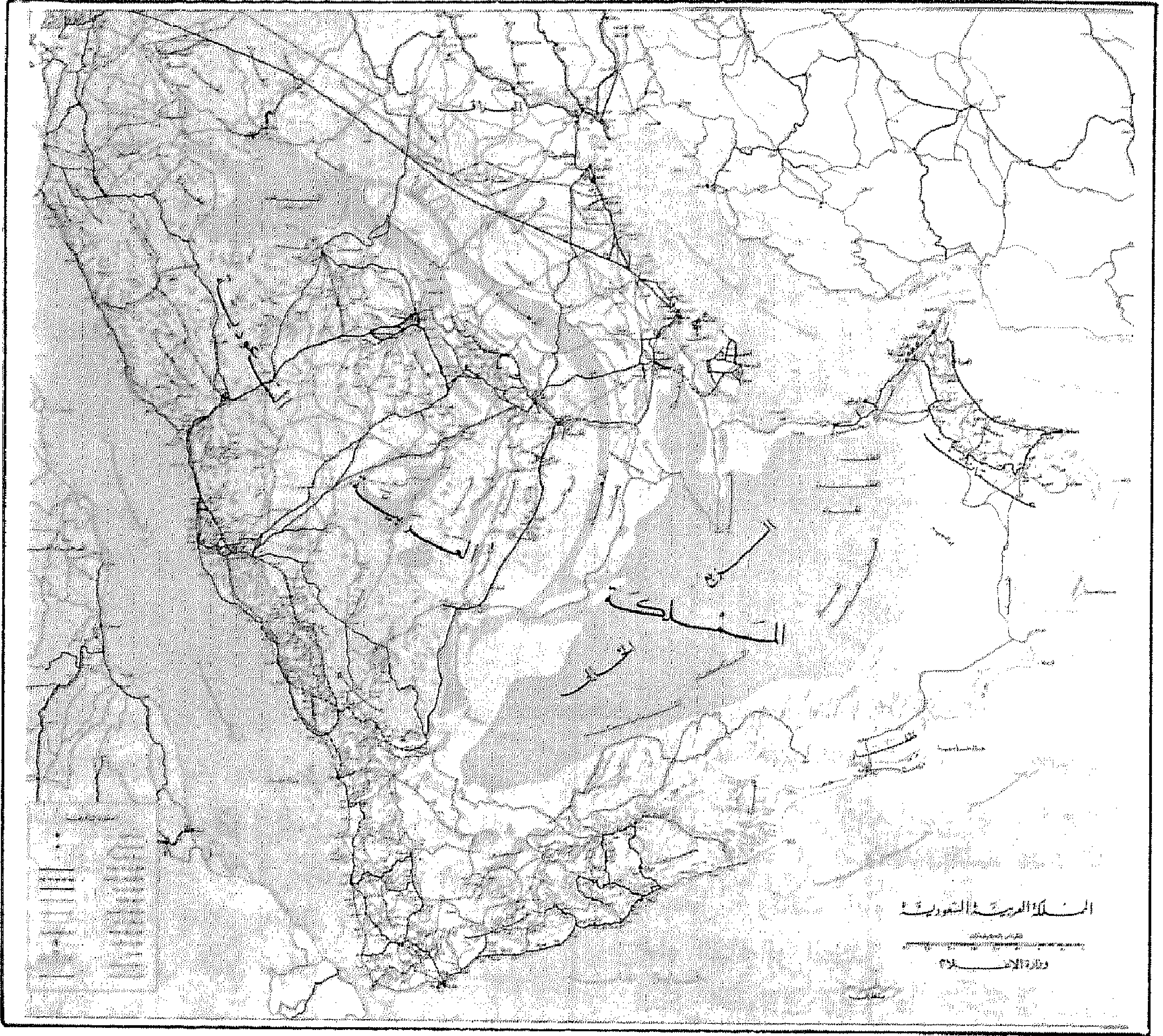
على أننا قبل الإنتقال إلى الحديث نفسه. نود أن نضع بين يدي القارئ خلاصة تاريخية للدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية في العصور السابقة للإسلام.

والمتعارف عليه أن خمس دول قامت في تلك الرقعة من الجزيرة التي يمكن وضعها على الشكل التالي:

١) دولة معين التي قامت في منطقة الجوف، وكانت عاصمتها قرناو (وهي خربة معين اليوم). ومن مدنها المشهورة يثيل (براقش اليوم) وكانت لها شهرة دينية. ودولة معين دامت من حول القرن الثامن ق. م. إلى حول سنة ١١٥ ق. م.

٢) دولة سبأ التي تمركزت حول سبأ أولاً ثم اتسع سلطانها بحيث شمل جنوب الجزيرة بأجمعه تقريباً. وكانت عاصمة الدولة سرواح أولاً لكن مأرب صار إليها الأمر والنهي منذ حول سنة ٦١٠ ق. م. وقد استمرت هذه الدولة من القرن الثامن ق.م. إلى حول سنة ١١٥ق.م.

٣) دولة قتبان وكانت تقع إلى الشرق من



خريطة للمملكة العربية السعودية . من كتاب « هذه بلادنا » وزارة الاعلام السعودية –

منطقة عدن والغرب من حضر موت . وكانت العاصمة « تمنع » (حجر كحلان اليوم) . ويبدو أن دولة قتبان قامت معاصرة للدولتين السابقتين إلا أنها أصبحت مملكة حول سنة ٤٠٠ ق.م . وقد بلغت ذروة المجد في القرن الأول ق.م . ونعرف أنها سكت نقداً ذهبياً حول سنة ٥٠ ق.م . وقد انتهى أمر هذه الدولة في أيام المسيح .

٤) دولة حضر موت التي قامت في الوادي المعروف بهذا الإسم ثم اتسعت نحو الساحل في مهرا وضمت ظفار . كانت العاصمة شبوة . وعمرت هذه الدولة في منتصف القرن الخامس ق.م . إلى القرن الأول ق.م . ولعل دولة حضر موت هي التي قضت على قتبان .

٥) دولة حمير (الأولى ١١٥ ق.م . والثانية ٣٠٠ ق.م .) كانت عاصمتها ظفار في اليمن ولم تلبث أن ضمت سبأ ومعين . فكانت أوسع دول الجنوب نفوذاً . ولما تهدم سد مأرب . في أواسط القرن السادس للميلاد . كان ذلك إيذاناً بانتهاء السلطة الحميرية .

زراعة مزدهرة على مياه السيول

مع أن دولة قتبان كانت واسعة . فقد كانت المراكز الرئيسية للحياة فيها في وادي بيحان ووادي حريب . وهذان الواديان يتجهان إلى الشمال نحو الصحراء بدءاً من الكتلة الجبلية المتمركزة في جنوب الجزيرة . ويبدو من كثرة آثار الري ومصانع الماء في تلك المناطق أن قتبان كانت من المناطق

الزراعية المتقدمة في جنوب الجزيرة.

إن السفوح الشمالية للجبال الممتدة في جنوب جزيرة العرب تواجه الصحراء الواسعة الواقعة إلى الشمال. ومناخها هو مناخ شبه صحراوي. إلا أن الرياح الموسمية التي تهب على الساحل الجنوبي للجزيرة ستة شهور في السنة، في اتجاه واحد، ثم تغير إتجاهها للشهور الستة التالية من السنة -هذه الرياح تحمل معها أمطاراً إلى الأودية في أوقات تبدل اتجاهها أي في فترة نيسان- أيار (ابريل- مايو) وفترة تشرين الأول- كانون الأول (أكتوبر-ديسمبر). وقد لا تسقط الأمطار سنوات متعددة متتالية. ولكنها متى جاءت إلى وادي بيحان مثلاً فانها تكوّن فيضاناً خاطفاً بحيث أنها تملأ وادي بيحان الذي يبلغ طوله نحو ٦٥ كيلومتراً، كما أنها تملأ عدوات الأودية المتصلة به. ومثل هذا النوع من المطر والفيضان هو المعروف «بالسيل». ومن هنا كان الري الذي اعتمد عليه في تلك الجهات هو ري السيل، وهذا يختلف بطبيعة الحال عن الري الفيضاني النهري الذي عرفته مصر في تاريخها الطويل. وهذا الحديث الذي نسوقه اليوم إلى القراء مبني، مبدئياً، على التقارير والشروح التي وضعتها البعثة الأميركية التي حفرت هناك سنتي ١٩٥٠ و١٩٥١ والتي ظهرت تقاريرها تباعاً إعتباراً من سنة ١٩٥٧.

وهذه السيول التي كانت تنحدر من المرتفعات الى المناطق المنخفضة من الاودية، كانت تحمل معها الطمي او الغرين الذي كان يستقر في المنخفضات ويرفع من مستوى تلك الاماكن، ولكن كان يتبع ذلك ان الأودية الجانبية كان يصل اليها الماء الى نقاط اعلى بسبب ارتفاع المجرى العام للسيل. واذا اخذنا بعين الاعتبار ان اعمال الري والزراعة في وادي بيحان توقفت منذ نحو ١٥٠٠ سنة، فيمكن ان يتصور المرء ما قامت به عوامل النحت والتعرية في ذلك الطمي من حيث حفر مجار خاصة بالمياه المتحدرة دون ضابط قط.

والطمي كان القوم يفيدون منه لاقامة سد تتجمع المياه خلفه. ولم يقم القوم ابنية حجرية الا حيث وجدوا ان عوامل النحت والتعرية كانت تأكل جوانب الاودية وعدواتها.

ومما كشفت عنه البعثة الاثرية في وادي بيحان القناة التي بنيت في حجر بن حميد، والتي يبلغ طولها ١٢٠٠ من الامتار. وقد اقيمت عليها هواويس (احواض) لتوزيع المياه على جانبيها، اي على الأراضي المنخفضة عنها. وقد استعمل في بناء هذه القناة وغيرها جدران من الحجارة الضخمة في اول الامر، فلما اتقن القوم الصناعة اصبحت الحجارة اصغر حجماً لأن فن البناء عندهم تحسن.

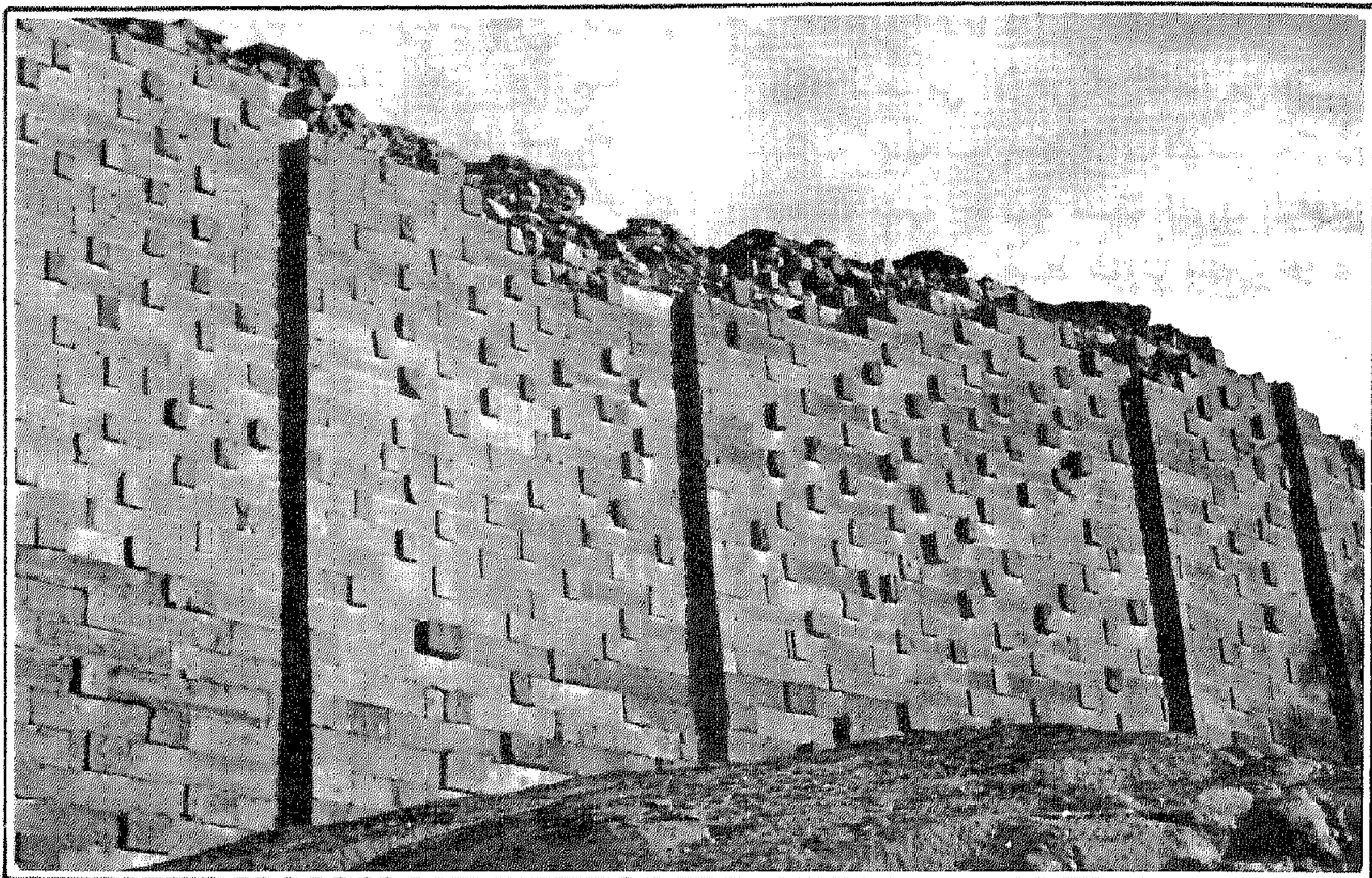
وقد اظهر التصوير الجوي ان الحقول التي كانت تستفيد من الري في وادي بيحان مثلاً، كانت منتظمة في اشكالها ويغلب عليها الشكل المستطيل، وكانت محاورها الطويلة تتعامد على اتجاه القناة او المصدر الرئيسي للمياه، بحيث تتمكن الحقول ان تحصل على حاجتها من مياه الري بدون ضياع.

وقد اتضح نتيجة للدراسات المختلفة انه كان ثمة عدد كبير من مناطق الطمي. فقد عددت البعثة المذكورة في تقاريرها المختلفة احد عشر موضعاً في وادي بيحان فقط.

انحسار الزراعة.. والحضارة

في الحقول كان المزارعون يزرعون الحبوب التي كانت تغذي القوم، ولعل احد الاسباب التي من اجلها ظلت دولة سبأ مدة اطول، وظلت العناية بسد مأرب بعد زوال وسائل الري الاخرى، هو ان الحبوب التي كانت تنمو في منطقة مأرب كانت تسد حاجة كبيرة للسكان بعد ان اهمل الآخرون الري والزراعة.

ويبدو ان وادي بيحان كانت تزرع فيه



بقايا سد مأرب

اشجار المر التي كانت عصارتها تنقل الى الشمال مع البخور والطيوب عبر الجزيرة الى غزة والبتراء ومصر ودمشق.

وقد مر بنا ان دولة قتبان انتهى امرها دولة مستقلة حول ايام المسيح. ومع ان تمنع قد احترق جزء كبير منها نتيجة لهجوم عليها، ومع ان المهاجمين كانوا من حضرموت، فان قتبان ظلت لها زراعتها وريها وهي تابعة للدولة الجديدة.

لكن الملاحظ ان الزراعة والري في وادي بيحان اخذا بالتأخر تدريجياً منذ القرن الاول الميلادي. والباحثون يرجحون ان السبب كان خارجياً. فقد مر بنا في مقال سابق ان مناطق جنوب الجزيرة كانت تعتمد على التجارة — البخور والمر والطيوب وغير ذلك — في ثروتها وقوتها. وكانت التجارة هذه حكراً على الاقوام المقيمة هناك.

الا انه منذ القرن الاول الميلادي اخذت التجارة هذه تنتقل عن طريق البحر الاحمر. تاركة قتبان وجيرانها، وكان التجار الان اليونان والرومان. فلما فقدت تلك الاماكن مصادر الثروة الرئيسية اخذت بالتأخر شيئاً فشيئاً حتى انتهى امرها واصبحت خبراً للتاريخ وزادا للاسطورة وعبرة للبشر.

والسؤال الذي يسأل الان: هل كان اهتداء القوم الى وسائل الري — سدوداً وقنياً وهواويس (احواضا) صغيرة — شيئاً نشأ هناك ام انه نقل من الخارج؟

المناطق التي عرفت الري والتي كان لأجزاء مختلفة من الجزيرة العربية اتصال بها هي: وادي النيل وبلاد ما بين النهرين وحوض السند. ولكن الري في هذه ري نهري يعتمد على ماء مستمر او منتظم الوصول، له مواسم معروفة معينة. اما الري الذي تحدثنا عنه فري السيول. وهو موسمي بمعنى انه يأتي في وقت خاص في السنة.

ومن هنا فالذي يقول به المشتغلون بهذا الموضوع هو ان انظمة الري المعروفة في جنوب جزيرة العرب هي محلية في أصلها وتطورها. ولعلها

بدأت بملاحظة الارتباط بين ازدياد المنتوج وبين الطمي المتراكم في الاودية. فاهتم القوم بهذا الطمي بأن أقاموا منه سداً بسيطاً. أما السير نحو إتقان السد واقامة البناء الحجري لذلك، على نحو ما هو قائم في سد مأرب، فامر كان مرتبطاً بالتقدم الصناعي والفني في المنطقة. والواقع ان فن البناء كان متقدماً هناك، فكأن القضية كانت نقل المهارة من نوع من البناء الى نوع آخر.

بعض المدن القديمة

يقول المرحوم الدكتور جواد علي في مفتتح الجزء الثامن من كتابه الكبير «تاريخ العرب قبل الاسلام» عن المجتمع العربي الجاهلي ما يلي:

«المجتمع العربي»: بدو وحضر. أهل وبر وأهل مدر، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال وعرب الجنوب وعرب جميع انحاء جزيرة العرب الأخرى.

وحياة الحضر على الأرض يزرعونها ويعيشون منها، او على التجارة او على الحرف الاخرى كالحرف اليدوية، ومن طبيعة هذه الحرف الاستقرار والاستيطان في ارض تكون وطناً ثابتاً للانسان... اما اهل الوبر، فهم رحل، يتنقلون طلباً للماء والكلأ والامتيار، ولذلك فموطنهم متنقل قلق غير مستقر.

ولما كانت طبيعة الجفاف هي الغالبة على جزيرة العرب، كان لهذه الطبيعة اثرها في حياة الناس. فغلبت البداوة على الاستقرار، واثرت في النظم والاراء السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية وفي سائر نواحي الحياة الاخرى. لقد حالت دون قيام المجتمعات الكبيرة القائمة على الاستقرار والاستيطان واستغلال الارض، وجعلت من الصعب قيام الدول الكبيرة في هذه البلاد، وتكوين حكومات تقوم على احترام حقوق جميع ابناء الحكومة دون نظر الى البيوتات والعشائر والقبائل والرئاسات.

«وفي الاماكن التي توافرت فيها المياه، المياه النابعة من الأرض او الهاطلة من السماء، نشأت مجتمعات مستقرة، وظهرت حكومات وهيآت مدنية حاكمة منسقة لشؤون المواطنين، استعانت بالكتابة لضبط شؤونها وللتعبير عما يجول في خواطرها. بقي بعضها، ومنها استخرجنا معارفنا بهم، وتاريخنا لأولئك الماضين.

«ومن هنا قامت الحكومات في الجزيرة العربية الجنوبية الغربية بوجه خاص... وهي حكومات كبيرة اذا قيست الى الحكومات التي قامت في الانحاء الاخرى من جزيرة العرب وكان لها عمر طويل بالقياس الى اعمار الحكومات الاخرى، التي لم تعمر طويلاً.

«ومعارفنا بحال هذه المالك العربية الجنوبية حسنة بعض الحسن بالقياس الى معارفنا بالامارات العربية التي تكونت في اماكن اخرى من جزيرة العرب، وذلك بفضل النصوص والكتابات الجاهلية التي وصلت منها الينا، على حين ان الامارات والمشيخات التي تكونت في مواضع اخرى كانت شحيحة علينا غاية في الشح، فلم تعطنا نصوصاً تمكننا الاستفادة منها في تكوين رأى واضح في تلك الامارات والمشيخات. فاقتصر حديثنا عليها على ما ورد في الاخبار والروايات، وكلها بالنقل والرواية، لا بالكتابة والوثائق المدونة المكتوبة بخطوط ابناء تلك الاجيال.

«ولما كان مناخ العربية الجنوبية اكثرملاءمة وصلاحا للزراعة، ازدهرت منذ الالف الثاني قبل الميلاد حضارة راقية فيها، قامت على اساس الزراعة والتجارة. وآثار السدود التي استخدمها الانسان قبل الميلاد وبعده الى أيام الاسلام. والمدن المحصنة، والمعابد المشيدة وآثار القنوات والمزارع القديمة: كل اولئك شاهد على وجود مجتمع متحضر، نظم حياته تنظيماً يلائم المحيط الذي عاش فيه. وقد انشأ له حضارة زاهية في تلك الارضين».

هناك بضعة امور تلفت النظر في هذا النص المقتبس وهي :

اولا - ان المجتمعات الكبيرة المنظمة ظهرت في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة لان الأرض كانت خصبة معطاء، والسماء وهابة. فانشئت هناك مدن كبيرة، وشيدت فيها القصور الضخمة والهياكل الكبيرة، وازدهرت صناعات وفنون.

ثانياً - ثمة مناطق في الجزيرة، ولو انها كانت على درجة كبيرة من الجفاف، قامت فيها مدن حول الواحات الغزيرة المياه لان الأرض هناك كانت تفيد من تلك المياه. والمدينة المنورة مثل على ذلك.

ثالثاً - قد تكون اماكن شحيحة المياه لكن وقوعها على طريق تجاري هام ادى الى قيام مدن هامة هناك اصبحت اسواقاً كبيرة. ومثلنا على ذلك مكة المكرمة.

رابعاً - ان الاماكن التي قامت فيها مجتمعات مستقرة كانت لها كتابة استخدمتها في النقوش. وهذه النقوش كانت، لما اهتدى الباحثون اليها، مصدراً رئيسياً للمادة التاريخية (اللغوية) التي وضعها هؤلاء الباحثون بين ايدينا.

خامساً - ان المناطق الاخرى كانت شحيحة في النصوص والنقوش. فضلاً عن ان اعمال التنقيب الاثري حديثة العهد فيها - مثل شرق الجزيرة.

سادساً - يلفت المؤلف نظرنا الى اعتماد الباحثين على «ما ورد في الاخبار والروايات» في تفسير تاريخ تلك المناطق. ونود هنا ان نقول ان هذه الاخبار والروايات كانت، في احيان كثيرة، مزيجاً من الاساطير بحيث ان فصل الصحيح من الغث ليس امراً سهلاً، ان لم يكن امراً مستحيلاً.

على اننا، مع ذلك، نجد ان الجزيرة العربية عرفت، في العصور القديمة عدداً كبيراً من المدن. بعضها استمر حتى بعد ظهور الاسلام، والبعض الاخر منها لا يزال موجوداً الى الان. ولسنا نقصد ان نتحدث على هذه المدن بأجمعها في هذا المقال، ولكننا نود ان نتحدث على هذه المدن بوجه عام، آملين ان نعود الى تفصيل اخبار البعض من هذه المدن في المستقبل.

المدن التجارية شمال غرب الجزيرة

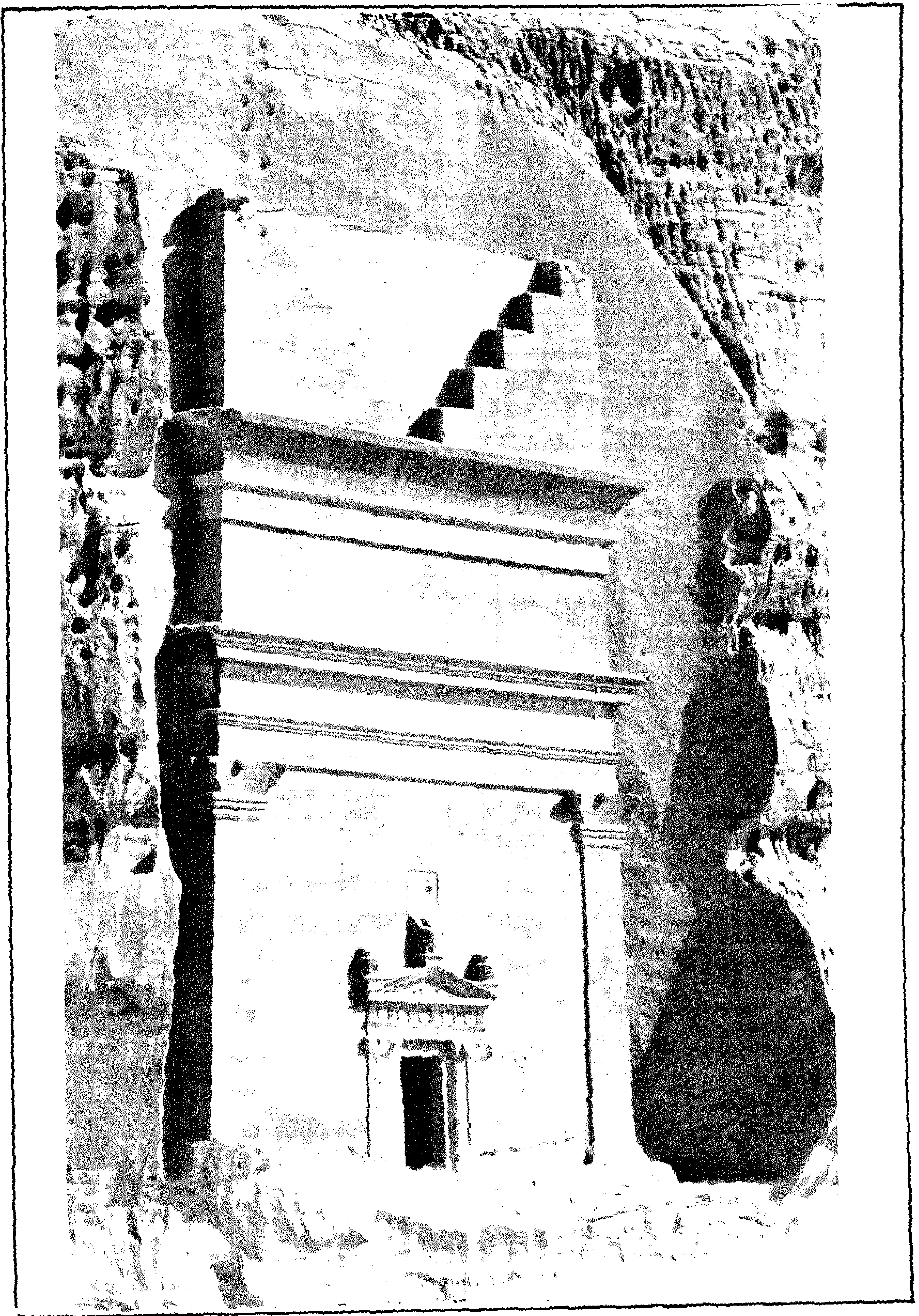
ونحن اذا اخذنا المنطقة الشمالية الغربية والوسطى من الجزيرة، وجدنا عدداً من المدن يعود تاريخ انشائها الى عصور ما قبل التاريخ. ولكنها كانت ذات قيمة تجارية خاصة في الفترة الواقعة بين القرن العاشر قبل الميلاد والعصور الاسلامية الاولى. ويعود ذلك اصلاً الى انها كانت على الطريق التجاري الرئيسي الذي كان يصل بين الشام (حيث كان يتفرع عند البتراء الى مصر) وبين اليمن عن طريق الحجاز.

وقد اصبح من المتعارف عليه عند الباحثين ان اهم هذه المدن هي :

- آرام او إرم التي ورد ذكرها في الكتابات القديمة والتي نستدل منها على ان العرب كانوا يقطنون فيها في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد كانت اهميتها اصلاً انها على طريق البخور بين البتراء شمالاً ومدن الجنوب. وبعد الاسلام اصبحت مركزاً على طريق الحج :

٢ - القرية التي تقع على نحو سبعين كيلومتراً شمال غربي تبوك. وقد بلغت عصرها الذهبي ايام ازدهار دولة الانباط.

٣ - تيماء وهي، فيما نعلم، اقدم مدينة في تلك الرقعة من الجزيرة. وقد ورد ذكرها في نقوش اشورية ترجع الى سنة٧٣٢ ق.م. وقد كانت تيماء على طريق البخور الموصل الى الخليج العربي (وذلك بعد ان دخل الجمل الى تلك الجهات فغير اتجاه الطرق لانه يستطيع الصبر على العطش اكثر من الحيوان الذي سبقه وهو الحمار). وقد كان



منظر تفصيلي لواجهة ضريح مرتفع في «قصر البنت»

لتيماء سور عرضه حول المترين وارتفاعه نحو ثلاثة امتار . ويبدو ان ابنيتها تأثرت بالفن الآرامي في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد . وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان فقال عليها :

« تيماء » : بالفتح والمد : بليد في أطراف الشام ، بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق ، والابلق الفرد حصن السموأل بن عادياء مشرف عليها . وقال ابن الازهري : المتيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء لأنها يضل فيها ، قال ابن الاعرابي : ارض واسعة ، وقال الأصمعي : التيماء الأرض التي لا ماء فيها ولا نحو ذلك . ولما بلغ اهل تيماء في سنة تسع وطء النبي صلى الله عليه وسلم ، وادي القرى ، أرسلوا اليه وصالحوه على الجزية وأقاموا ببلادهم وارضهم بأيديهم

٤ - الحجر (او مداين صالح) الواقعة الى الجنوب الغربي من تيماء التي كانت بالاضافة الى البتراء اهم مدينة في دولة الانباط . اما بناؤها فيعود ، على ما يرجحه الباحثون ، الى المعينيين ايام كانت تجارتهم تمتد طرقها واسواقها الى تلك المناطق .

٥ - وثمة العلا التي كانت ايضاً على الطريق التجاري الهام . مما حمل التجار ، والحجاج فيما بعد ، على اتخاذها نقطة استراحة لتجمع الماء بغزارة في الواحة المحيطة بها .

٦ - حري بنا ان نذكر ان شواطيء البحر الاحمر كانت فيها موانيء هامة يتخذها التجار مراكز لمتاجرهم ينقلونها من المراكز المذكورة آنفا اليها تمهيداً لحملها عبر البحر الى مصر . فهناك « ايلة » على رأس خليج العقبة وهناك ميناء « لويكة كومي » التي كانت تقع جنوبي ايلة . وقد ظلت هذه ميناء مستعملاً الى حول القرن الثالث للميلاد ، ثم انتزعت ايلة منها تجارتها ومكانتها . اما في العصور الاسلامية فقد قامت « ينبع » على مقربة منها ، وحصلت على شيء من مكانتها .

فاذا انتقلنا الى المنطقة الشرقية من الجزيرة . وجدنا انفسنا امام عدد اقل من المدن . ولكن السؤال الحري بأن يطرح هو : هل كانت تلك المناطق اقل مدنا في الواقع ، ام اننا لا نزال نجهل الكثير عن تلك المناطق ؟ ولنأخذ على سبيل المثال كندة . فقد عرف التاريخ الادبي ملوكاً لكندة لعل آخرهم الشاعر المشهور امرؤ القيس . ولكننا لم نقف بعد على آثار مدن هناك . او على الاقل لم نتأكد من ذلك بعد . واذن فالقضية الاساسية هي ان معرفتنا قليلة ومع ذلك فقد عرف التاريخ مدنا شهيرة كان لها ادوار هامة في التجارة وما الى ذلك .

ولنذكر على سبيل المثال

١ - « الابله » ، الواقعة على شمال الخليج العربي ، التي وصفها مؤلف كتاب دليل البحر الاحمر على انها سوق من الاسواق التجارية الهامة . وكانت تصدر الى اليمن اللؤلؤ والتمر والبلح والذهب وقد سماها أبو لوغوس . اما الابله فهو الاسم العربي الاسلامي للمكان (د. جواد) . وقد وصفها الطبري المؤرخ بأنها كانت فرج الهند .

٢ - « جرها » الواقعة على ساحل الاحساء . وقد كان اهلها « من انشط الناس في التجارة ، يتاجرون في البحر والبر ، ويتاجرون مع الهند وسواحل ايران الجنوبية ، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية وارض العراق . وكانوا قوماً اصحاب تجارة مسالمين لا يرغبون في الحروب » (د. جواد) . ومن المرجح ان « جرها » (او الجرعاء ؟) كانت تقوم مكان العقير اليوم . ذلك هو الرأي القائم الان . ولكن استمراره او تبديله متوقف على ما يظهره الرفش والمعول والعالم الأثري في المستقبل .

٣ - وهناك جبلة وهجر والقطيف ومسقط وعمان والبحرين (الجزيرة) . وهجر هي الاحساء

(الحسا) اليوم. وقد ورد ذكرها في النقوش الآجرية التي وجدت في بلاد بين النهرين. اما عمان فكانت مركز تصدير الفضة والنحاس. وكانت التاج تقع على الطريق التجاري بين مكة والحيرة.

والكثير من هذه المدن ورد ذكرها عند الجغرافيين العرب. فقد جاء في كتاب احسن التقاسيم للمقدسي عن بعض المدن الشرقية قوله «أمج صغيرة بها خمسة حصون اثنان حجر وثلاثة مدر والجامع على متن الطريق، وخليص متصلة بها، وبها بركة وقناة وتمور وخضر ومزارع. السوارقية كثيرة الحصون بها بساتين ومزارع كثيرة ومواشي. الفرع والسيرة حصنان بكل واحد جامع. جبلة كبيرة بها متاجر عليها حصن منيع يقال له المهد الجامع خارجه. مهايع نظير جبلة على اودية ساية. حاذة مدينة مليحة للبكريين بها عدة من الحصون وجامع كبير».

وقال ياقوت الحموي (في معجم البلدان) عن القطيف ما يلي:

«القطيف»: بفتح اوله، وكسر ثانية. فعيل من القطف وهي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها واعظم مدنها وكان قديماً اسما لكورة هناك غلب عليها الان اسم هذه المدينة، وقال الحفصي: القطيف قرية لجذيمة عبد القيس، وقال عمرو بن اسوى العبدي:

وتركن عنتر لا يقاتل
أهل القطيف قتال خيل تنفع

الحديث عن المدن الواقعة في المناطق الجنوبية من الجزيرة حديث طويل، وقد عرضنا لبعض هذه المدن في مقالات سابقة لمناسبة الحديث عن بلاد البخور والزراعة والري. والذي نود ان نفعله الان هو ان نجمل بعض خصائص المدن الجنوبية. آملين ان نفصل الحديث عن بعضها على الاقل في المستقبل.

اولاً- يغلب على المدن التي بنيت في الجنوب ان تكون مربعة او مستطيلة شكلاً، وزواياها شبه قائمة ان لم تكن قائمة تماماً. هذا هو الذي وجده الرحالة والبحاثة في مأرب وغربون (حضرموت) وشبوه وحريب ويليط (خربية سعود) وقرناو (معين).

ثانياً- ثمة مدن بيضية الشكل اشهرها حاز وبيحان.

ثالثاً- يغلب على المدن ان تكون في أودية على ما نعرف عن الجوف ومأرب وحريب وثمناء- كحلان.

رابعاً- تقوم مدينة شبام على هضبة. وهناك بعض المدن بنيت على تلال صناعية لتجنب خطر الفيضان مثل يطل (براقش) وقرناو (معين).

وحرى بالذكر ان اليمن بشكل خاص بلاد غنية بالحجارة الصالحة للبناء ففيها الحجر الناري والرملي والغرانيت والمرمر (الالبستر). ومن هنا فقد كانت الابنية، الدينية وغيرها، يمكن زخرفتها كما ان بقاياها لا تزال قائمة الى الان. وها نحن اولاء ننقل وصفاً لبراقش (يطل) ومعين (قرناو) عن الدكتور احمد فخري (من كتابه اليمن ماضيها وحاضرها). قال المؤلف:

«ومدينة براقش من أهم الخرائب القديمة في بلاد معين وما زالت بعض معابدها مطمورة تحت الثرى لا يظهر منها الا القليل ولكن سورها هو اكثر اسوار المدن القديمة في اليمن احتفاظاً بشكله. وبراقش خالية الان من سكانها ولكنها في العصور الوسطى كان فيها جامع للصلاة وبقايا بعض المنازل التي شيدت فوق المباني القديمة».

«وزرت خرائب مدينة معين، ولا تبعد اكثر من ركوب ساعة واحدة من مدينة الحزم، وخرائبها هي ومدينة براقش اهم ما بقي من المدن المعينية في بلاد الجوف.»

«وهناك المدينة القديمة وحولها الاسوار وفي داخلها كثير من بقايا المعابد، وعلى بوابتها وعلى اسوارها كثير من النقوش. وفي خارج اسوار معين وعلى مسافة قريبة منها يوجد معبد آخر ربما كان لأحد الآلهة الشهيرة وهو الاله عشتر». ■



اسمها الأصلي ماري آن غروشلتز. وقد ولدت في مدينة ستراسبورغ الفرنسية. سنة ١٧٦١ ميلادية ومات أبوها وكان عمرها شهرين.

• قضت مدام تيسو أيام طفولتها في مدينة (برن) في سويسرا حيث كفلها خالها الدكتور كورت يوس. وكان هذا الطبيب فناناً يهوى عمل التماثيل من الشمع فاستهوت صناعة التماثيل الطفلة الصغيرة.

• انتقل خالها إلى باريس قبيل قيام الثورة الفرنسية وافتتح معرضاً لتماثيله وكانت ماري آن قد برعت في صناعة التماثيل براعة فاقت بها خالها وأستاذها ما جعله يطلق على متحفه اسم معرض ماري آن وكورت يوس.

• ذاعت شهرة هذا العرض فدعاها ملك فرنسا لويس السادس عشر وزوجته الملكة ماري أنطوانيت إلى الإقامة في القصر لعمل مختلف التماثيل للملك وزوجته وأفراد الحاشية.

• اندلعت نيران الثورة الفرنسية وأعدم الملك وماري أنطوانيت على المقصلة وقبض الثوار على مثالة القصر وعذبوها وحلقوا شعر رأسها ثم ألقوها في السجن لتقديمها للمحاكمة في اليوم التالي.

• كانت محاكمة ماري آن أغرب محاكمة تجري لفنان أو فنانة. فقد أنكر روبسبير الزعيم الثوري أنها مثالة وطلب منها تقديم الدليل على ذلك. واقترح يهودي اسمه دافيد ابراهام كان من أعضاء المحكمة أن يكون اختبارها بعمل تمثالين لرأس كل من لويس السادس عشر وماري انطوانيت.. واستحضروا الرأسين وما زالت الدماء الجافة عالقة بهما.. واضطرت المثالة المسكينة إلى عمل التمثالين من الشمع. وكانا من الدقة لدرجة أن بعض أعضاء المحكمة حسبها الرأسين نفسيهما اللذين أطاحت بهما المقصلة فأخفى وجهه بيديه.

• وعلى الرغم من ذلك أبقاها روبسبير في السجن حتى سنة ١٧٩٤. ودارت الأيام دورتها وأخرجوها من السجن لكي تصنع تمثالاً لرأس روبسبير نفسه بعد أن أعدم على المقصلة وتجرع الكأس التي سقاها للآخرين.

• تزوجت سنة ١٧٩٥ من فنان خامل الذكر اسمه فرنسوا تيسّو. فاشتهرت بلقبه الذي حملته بعد زواجها، ورزقت منه بولدين ثم سافرت إلى بريطانيا ولبثت هناك حتى ماتت في سنة ١٨٥٠ وهي في التاسعة والثمانين من عمرها.

• حافظ ابنها فرنسيس على تراثها الفني، وهو التراث الذي تعتز به فرنسا الآن اعتزازاً كبيراً، إذ أن تماثيلها هي أصدق سجل لشخصيات الثورة الفرنسية.

اتفاقية الهدنة
اللبنانية - «الاسرائيلية»

(٢٣ آذار - مارس ١٩٤٩)

الاتفاقية اغفلت ذكر الطرفين تفاديًا للاعتراف بالكيان الصهيوني

العقيد الدكتور ياسين سويد

في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٧ أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة قرارها رقم ١٨١ (٢) القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية. وهو القرار الذي رفضته الدول العربية مجتمعة وأعدّت العدّة لمقاومة تنفيذه بقوة السلاح. وتنفيذاً لهذا القرار وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر الرابع عشر من أيار (مايو) عام ١٩٤٨ وفي متحف الفن الحديث في تل ابيب حيث كان المجلس القومي اليهودي يعقد جلسته التاريخية. أعلن بن غوريون قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين اعتباراً من الساعة الصفر من يوم ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ وهي الساعة التي حدّدها البريطانيون لانهاء انتدابهم على فلسطين وجلائهم عنها. وفي هذا الوقت المحدّد لولادة الدولة اليهودية. أي في منتصف ليل ١٤ - ١٥ أيار (مايو) نفسه. زحفت الجيوش العربية تجاه فلسطين مخترقة حدودها من كل جانب ومعلنة الحرب على الدولة الوليدة.

إلاّ أن القتال لم يستمر سوى أقل من شهر (١٥ أيار «مايو» - ١١ حزيران «يونيو»). إذ تدخّل مجلس الأمن الدولي وفرض على المتحاربين هدنة قبلها العرب رغم انها لم تكن لمصلحتهم. بل كانت لمصلحة اليهود الذين استغلوها لاعادة تنظيم صفوفهم واستعادة قواهم التي زعزعتها الفترة الأولى من الحرب. وذلك باستقدام كميات كبيرة من الذخائر والأسلحة بما في ذلك المصفحات والدبابات والمدافع والطائرات. ثم نشب القتال من جديد بين الجيوش العربية واليهود الذين نقضوا الهدنة فور ان أنسوا لديهم القدرة على استئناف القتال. غير عابئين بأوامر المنظمة العالمية. واستمر القتال عشرة أيام فقط (٨-١٨ تموز- يوليو-) تمكن اليهود خلالها من تحقيق انتصارات والحصول على مكاسب على حساب الجزء المخصص لانشاء الدولة العربية على أرض فلسطين وفقاً لقرار التقسم المشار اليه.

وقد تمكن مجلس الامن من فرض الهدنة من جديد على المتحاربين بعد ان استولى اليهود على «ثلاثة أضعاف المناطق التي كسبها العرب خلال الشهر الأول من القتال». (حسب رأي كيرك KRIK في كتابه:

The Middle East: 1945-1950

واستمرت الهدنة الثانية من ١٨ تموز (يوليو) الى ١٨ ايلول (سبتمبر) حين نقضها اليهود مستأنفين القتال هذه المرة بقوات عجز العرب جميعاً عن الوقوف في وجهها. وسواء كان هذا العجز ناتجاً عن ضعف حقيقي في جيوشهم أم عن تواطؤ بعضهم مع الدول الكبرى صاحبة القرار في انشاء الدولة اليهودية. فقد كان الهجوم الكبير الذي شنه اليهود على القطاع العربي من فلسطين في منتصف تشرين الاول (اوكتوبر) عام ١٩٤٨ فرصة لهم لا تعوض لكي يوسعوا رقعة دولتهم فيضموا اليها مناطق النقب والجليل والعقبة والمثلث الصغير (طولكرم– نابلس– جنين) وبعض قرى لبنان الجنوبي (ومن هذه القرى: بليدا وميس الجبل ومركبا ومحيبيب وكفركلا والقنطرة وعديسة والطيبة وتل النحاس ورب الثلاثين والجنان والحولة التي قتل منها وحدها في هذا الهجوم اكثر من تسعين نسمة). وان يجبروا الجيوش العربية بالتتابع. على ان تنكفىء تحت ضغط التواطوء العربي الرسمي والدولي.

جيش لبناني وليد

وكان لبنان قد دخل هذه الحرب وهو يملك جيشاً حديث التكوين بلغ عديده زهاء خمسة آلاف جندي. وهو الجيش الذي كان قد آل اليه في الاول من آب (أغسطس) عام ١٩٤٥ بعد نيله الاستقلال وانسحاب الجيوش الفرنسية من أراضيه (مضافا اليه بعض الوحدات التي انشئت خلال الاعوام الثلاثة من بدء الاستقلال) وكان هذا الجيش الصغير منظماً على الشكل التالي:



٢٣ آذار (مارس). رأس الناقورة: المقدم جوزف حرب (الى اليمين) والعقيد توفيق سالم (لم يظهر وجهه) يوقعان على إتفاقية الهدنة وخلفها مجموعة من المراقبين الدوليين.

- ٤ كتائب مشاة (تقدر الكتيبة بنحو ٥٠٠ عسكري)
- بطارية مدفعية ميدان ١٠٥ ملم.
- بطارية مدفعية مضادة للطائرات ٧٥ ملم.
- كتيبة مصفحات (تسع مصفحات)
- كتيبة دبابات (تسع دبابات)
- سرية اطفاء
- سرية المقر العام
- سرية خيالة
- سرية هندسة واشارة
- سرية نقل.
- فوج من المجاهدين

انشيء (فوج المجاهدين) في بدء القتال وسلمت قيادته الى النقيب اللبناني محمد زغيب الذي استشهد في معركة المالكية. الا انه لم يشترك من هذا الجيش في القتال سوى ثلاثة آلاف فقط، بينما ظل الباقي منه، وهو الفان، داخل الأراضي اللبنانية للمحافظة على الامن في البلاد وحماية مؤسساتها ومرافقها الحيوية، وقد خصص لهذا الجيش، وفقا لخطة القيادة العربية الموحدة في ذلك الحين، القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية، محور المالكية – الجليل الشرقي، والقطاع الغربي من تلك الجبهة، محور الناقورة – نهاريا، فتمركزت قواته في قطاع عيترون – بليدا – بنت جبيل، وفي الناقورة بأتجاه نهاريا، وقامت ببعض العمليات الحربية الصغيرة. الا ان اهم معركة خاضها الجيش اللبناني في هذه الحرب هي معركة المالكية التي جرت بتاريخ ٥–٦ حزيران (يونيو) ١٩٤٨، والتي انتهت بانتصاره واسترداد المالكية من اليهود (اشترك في هذه المعركة من الجيش اللبناني، كتيبة المشاة الثالثة بقيادة المقدم جميل الحسامي، فصيلة مدفعية ٧٥ ملم، سرية مدرعات، ومفرزة هندسة) الا أن المالكية لم تبق بيد العرب بعد ان تسلمها جيش الانقاذ من الجيش اللبناني ثم فقدها بعد معركة خاسرة مع العدو. وقد التزم لبنان، خلال الحرب بالهدنتين الاولى والثانية، كما التزم، بعدها، بالهدنة الدائمة الاخيرة، ولا يزال.

الهدنة الثالثة.. والنهائية

فكيف تم التوصل الى عقد هذه الهدنة الدائمة (الثالثة والاخيرة) بين العرب واليهود؟ في السادس عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٤٨، صدر عن مجلس الامن قرار رقم ٦٢ يدعو الدول المتحاربة في فلسطين الى اقرار هدنة دائمة بينها في جميع انحاء فلسطين وهذا نصه:

«ان مجلس الامن، اذ يعيد تأكيد قراراته السابقة بشأن اقامة وتنفيذ الهدنة في فلسطين. ويشير بصورة خاصة الى قراره رقم ٥٤ (١٩٤٨) الصادر في ١٥ تموز–يوليو– (١٩٤٨) الذي قرر ان الوضع في فلسطين يشكل تهديداً للسلام ضمن معنى المادة ٣٩ من ميثاق الامم المتحدة، ويحيط علماً بأن الجمعية العامة تواصل النظر في مستقبل الحكم في فلسطين تلبية لطلب مجلس الامن بموجب قراره رقم ٤٤ (١٩٤٨) الصادر في ١ نيسان– ابريل– (١٩٤٨) ودون اجحاف بأعمال الوسيط بالوكالة بالنسبة لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٦١ (١٩٤٨) الصادر في ٤ تشرين الثاني– نوفمبر– (١٩٤٨) (يطلب هذا القرار من كل مصر «واسرائيل» سحب قواتهما إلى الحدود التي كانا يحتلانها في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨. وقد أذعنت مصر لهذا القرار ونفذته. أما الدولة الصهيونية فلم تذعن ولم تنفذ)،

١ – يقرر أنه لأجل إزالة التهديد للسلام في فلسطين ولتسهيل الانتقال من الهدنة الحاضرة الى السلام الدائم في فلسطين ستقام هدنة في جميع قطاعات فلسطين.

٢ – يدعو جميع الاطراف ذوي العلاقة المباشرة في النزاع في فلسطين. كتدبير موقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق. الى السعي للاتفاق



اللفتنانت كولونيل مردخاي ماكليف (الى اليمين) يوقع على إتفاقية الهدنة باسم حكومة «اسرائيل». والى اليسار الجنرال رايلي قائد القوات الدولية التي أشرفت على التوقيع. وظهر خلفهما النقيب منير حمدان الذي أصبح فيما بعد مفتشاً عاماً في وزارة الدفاع اللبنانية برتبة عميد.

حالا عن طريق المفاوضات التي تجري اما مباشرة او بواسطة الوسيط بالوكالة لأقامة هدنة دائمة فورية تشمل:

أ - رسم خطوط هدنة دائمة لا يجوز لقوات الاطراف المعنية المسلحة تخطيها.

ب - القيام بما يلزم من سحب وتخفيض لقواتها المسلحة لتأمين المحافظة على الهدنة الدائمة في أثناء الانتقال إلى السلام الدائم في فلسطين، واستناداً إلى ما ورد في القرارين المذكورين اعلاه (القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان- ابريل- ١٩٤٨، الذي يدعو الجمعية العامة الى عقد دورة استثنائية للبحث مجدداً في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين، والقرار رقم ٦٢ تاريخ ١٦/١١/ ١٩٤٨ الذي يؤكد هذه الدعوة من جديد في معرض قراره لهدنة دائمة في فلسطين)، التأمت الجمعية العامة بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ واصدرت قراراً رقم ١٩٤

٣- انشأت بموجبه «لجنة توفيق» تابعة للامم المتحدة مهمتها القيام بدور الوسيط في فلسطين وتنفيذ توجيهات الجمعية العامة ومجلس الأمن بهذا الصدد. بما في ذلك تسهيل عودة اللاّجئين الفلسطينيين الى ديارهم. واتخاذ التدابير اللازمة «بغية معاونة الحكومات والسلطات المعنية لاحراز تسوية نهائية لجميع المسائل المعلقة». بين الاطراف المتنازعة. فقد كانت صلاحيات هذه اللجنة تتلخص إذن بثلاث: التوسط، والتوفيق، وتنفيذ قرار العودة. وقد باشرت هذه اللجنة مهامّها في لوزان في سويسرا (اعتباراً من ١٧/١/١٩٤٩) حيث وصلت وفود كل من سوريا ولبنان ومصر وشرقي الاردن والعدو. واستمرت هذه المحادثات قرابة ثمانية اشهر (من ١٧/١/٤٩ لغاية ١٥/٩/١٩٤٩).

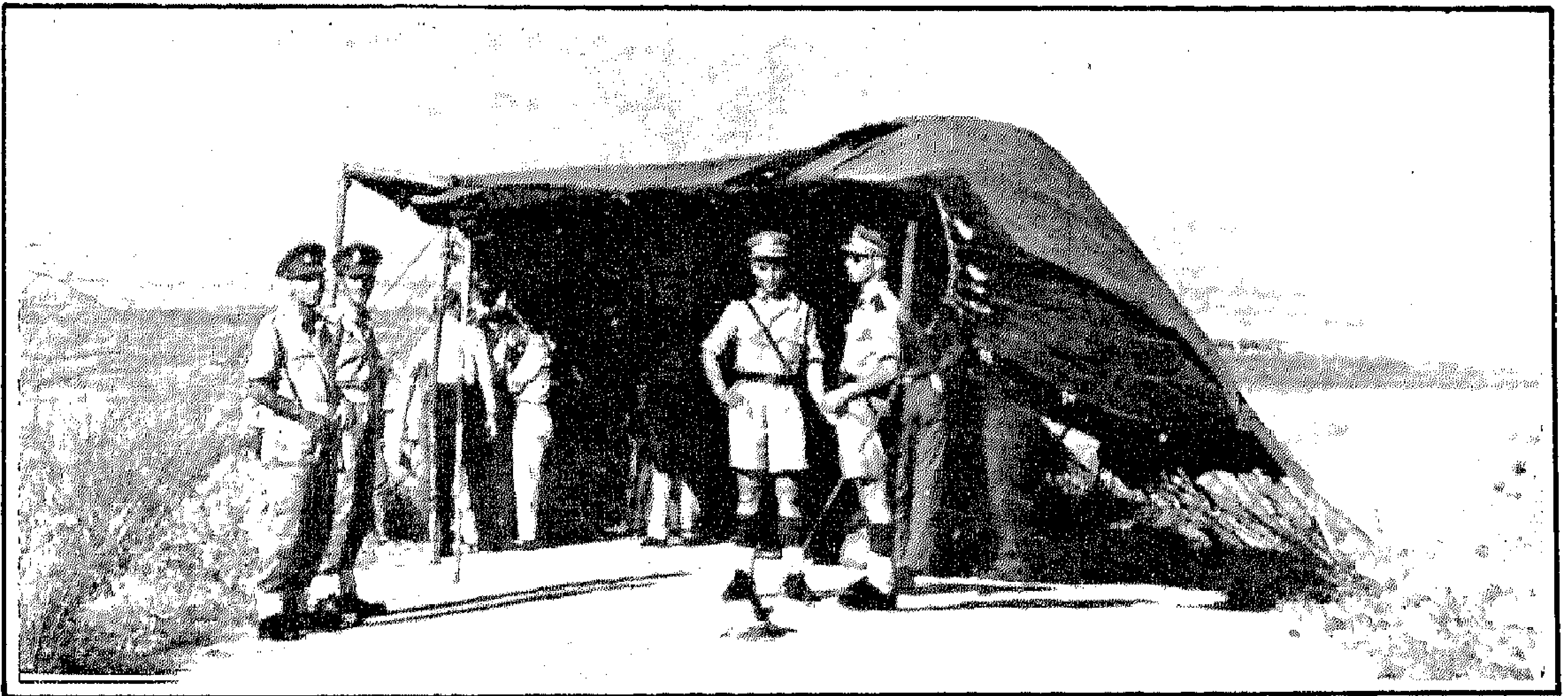
الدول العربية واحدة بعد الاخرى

الا ان المفاوضات بين الدول العربية والعدو

الصهيوني كانت قد بدأت قبل ذلك بستة اشهر تقريباً ، بدأها الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت في جزيرة رودس في حزيران (يونيو) من العام ١٩٤٨ ، واشترك فيها من عرب فلسطين المحاميان أحمد الشقيري وهنري كتن. الا أن هذه المفاوضات تعثرت مما حمل الوسيط الدولي على مغادرة الجزيرة الى نيويورك للتباحث مع مسؤولي الأمم المتحدة فيما يجب عمله ، ثم جمدت ريثما يعود الوسيط الدولي من رحلته. وانتقل برنادوت من نيويورك الى أرض المعركة في فلسطين متابعا مهمته للتوسط بين العرب واليهود فيها ، وكان الرجل على جانب كبير من النزاهة والحياد والتجرد ، فاذا بمنظمة «شتيرن» الصهيونية الارهابية تغتاله في الحي اليهودي في القدس بتاريخ ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ وذلك لأنه في اليوم السابق لاغتياله (١٦ ايلول - سبتمبر -) بعث الى المستر تريغفلي الأمين العام لهيئة الامم المتحدة باقتراحات لحل القضية الفلسطينية اعتبرها اليهود غير متفقة مع مطامعهم. فكلفت المنظمة الدولية ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في فلسطين الدكتور رالف بانش اتمام المهمة . فأشرف هذا على استئناف المفاوضات بين الوفدين المصري والصهيوني ، ثم بين الوفود العربية والوفد العدو. ولم يمض زمن طويل على بدء هذه المفاوضات حتى كانت وفود الدول العربية المفاوضة ، تنجرّ الواحد منها بعد الآخر ، الى طاولة مشتركة لتوقيع الهدنة المنشودة ، فتوقع مصر تلك الاتفاقية في رودس بتاريخ ٢٤ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ، ويليها لبنان فيوقعها في رأس الناقورة بتاريخ ٢٣ آذار (مارس) من العام نفسه ، ثم الاردن فيوقعها في رودس بتاريخ ٣ نيسان (ابريل) ، واخيراً سوريا التي وقعتها في التل رقم ٢٣٢ بالقرب من مهانايم على الحدود السورية الفلسطينية بتاريخ ٢٠ تموز (يوليو).

ولم تدع باقي الدول العربية الى توقيع مثل هذه الاتفاقية باعتبار ان ليس لديها حدود مشتركة مع فلسطين وبالتالي لم تشترك مع العرب في حربهم ضد العدو باستثناء العراق الذي رفض توقيع اتفاقية الهدنة وأوكل أمر ذلك الى المملكة الاردنية الهاشمية.

وكان لبنان البلد الثاني بعد مصر ، الذي وقع اتفاقية الهدنة وقد تم ذلك بعد مفاوضات بين الفريقين استمرت أكثر من شهرين من ١٩ كانون الثاني (يناير) حتى ٢٣ آذار (مارس) ١٩٤٩ حسب رواية الأستاذ عارف العارف (بينما يذكر الفريق أول صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي في هذه الفترة انه تلقى بتاريخ ٢٨



خيمة الهدنة على طريق طبريا - الشام - من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والترايتان - لندن ١٩٥٨ -

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ اتصالاً هاتفياً من الزعيم رئيس اركان الجيش السوري يومذاك ينبئه فيه ان مفاوضات تجري بين اللبنانيين واليهود في الناقورة لعقد هدنة بينهما، وانه اكد له ذلك في اتصال هاتفي آخر في ٣٠ من الشهر نفسه. وقد جرت هذه المفاوضات في اجتماعات متتالية بين المتفاوضين، مرة في رأس الناقورة (الناقورة الانكليزية) في الجانب المحتل من الحدود، واخرى في الناقورة الفرنسية، في الجانب اللبناني من الحدود الجنوبية للبنان. وقد اشترك في المفاوضات عن الجانب اللبناني ثلاثة من ضباط الجيش هم: العقيد توفيق سالم والمقدم جوزف حرب والنقيب منير حمدان بالاضافة الى المستشار القانوني للوفد الاستاذ محمد علي حماده، واشترك فيها عن الجانب الصهيوني كل من الكولونيل مردخاي ماكليف ونيوشواع بيلمان وشبطاي روزين، ووقعها عن الجانب اللبناني العقيد توفيق سالم، كما وقعها عن العدو أعضاء الوفد الصهيوني الثلاثة. والطريف في الأمر أن العقيد توفيق سالم رئيس الوفد اللبناني قد وقّع على هذه الاتفاقية في المكان المخصص لوفد العدو، كما وقّع الوفد الصهيوني في المكان المخصص لوفد لبنان (انظر صورة الصفحة الأخيرة من الاتفاقية).

بنود الأتفاقية اللبنانية «الاسرائيلية»

وتتضمن الاتفاقية المعقودة بين لبنان والعدو ثماني مواد وملحقا خاصا بتعريف القوات الدفاعية على جانبي الحدود، وتجدر الاشارة الى ان الطرفين يعترفان بأن الاعتبارات العسكرية وحدها هي التي أملت أحكام هذه الاتفاقية (المادة الثانية – الفقرة ٢). ويتعهد طرفا الاتفاق (في المادة الاولى) بعدم اللجوء الى القوة العسكرية لتسوية القضية الفلسطينية كما يتعهدان بأن يحترم كل واحد أمن الآخر وحريته ويقرّان بضرورة قيام هدنة دائمة بينهما «كمرحلة ضرورية في سبيل تسوية النزاع المسلح وإعادة السلم الى فلسطين». ويؤكدان (في المادة الثانية) الاعتراف بمبدأ عدم جواز تحقيق أي امتياز عسكري او سياسي من جراء هذه الهدنة كما يدركان بأن هذا الاتفاق يجب ان لا يمس حقوق ومطالب أي من الفريقين أو مواقفه في التسوية السلمية والنهائية للمسألة الفلسطينية، ويتعهد كل طرف (المادة الثالثة) بعدم القيام وعدم السماح بأي عمل من الاعمال الحربية أو شبه الحربية ضد الطرف الآخر، ويعترف الطرفان (المادة الرابعة) بخطوط ثابتة للهدنة بينهما يجب أن لا تتعداها القوات المسلحة لكل منهما، وتحدد (المادة الخامسة) خطوط الهدنة هذه «بالحدود الدولية بين لبنان وفلسطين»، كما يتعهد كل منهما بتقليص قواته على جانبي هذا الخط الى قوات «دفاعية» في خلال فترة عشرة أيام من توقيع الاتفاقية، وتوجب (المادة السادسة) على طرفي الاتفاق تبادل اسرى الحرب فيما بينهما وتحدد شروط عملية التبادل هذه، وتنشىء (المادة السابعة) لجنة مشتركة للهدنة باشراف مندوب عن مراقبي هيئة الأمم المتحدة. كما تحدد شروط اجتماع هذه اللجنة وصلاحياتها ومسؤولياتها وكيفية اتخاذ القرارات فيها.

اما (المادة الثامنة) والاخيرة فتحدد شروط العمل بهذا الاتفاق وكيفية تطبيقه، كما تتيح لأي من الفريقين إمكان إعادة النظر باحكام الاتفاق او وقف تنفيذ اي من هذه الاحكام، في اي وقت كان ضمن شروط محددة (ماعدا المادتين ١و٣).

وينتهي الإتفاق بعبارة «وقع في رأس الناقورة في ٢٣ آذار مارس عام ١٩٤٩ بحضور الممثل الشخصي لوسيط الأمم المتحدة الخاص في فلسطين بالوكالة، ورئيس أركان هيئة الرقابة على الهدنة التابعة للأمم المتحدة»، ويلي ذلك التواقيع. واستناداً إلى إتفاق الهدنة هذا (المادة الخامسة) سحب العدو قواته من القرى اللبنانية التي كان قد احتلها خلال الهجوم الذي شنه على جنوبي لبنان في ١٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٤٨.

5. This Agreement is signed in quintuplicate, of which one copy shall be retained by each Party, two copies communicated to the Secretary-General of the United Nations for transmission to the Security Council and to the United Nations Conciliation Commission on Palestine, and one copy to the Acting Mediator on Palestine.

DONE at Ras En Naqoura on the twenty-third of March nineteen forty-nine, in the presence of the Personal Deputy of the United Nations Acting Mediator on Palestine and the United Nations Chief of Staff of the Truce Supervision Organization.

FOR AND ON BEHALF OF THE GOVERNMENT OF ISRAEL	FOR AND ON BEHALF OF THE GOVERNMENT OF THE LEBANON
Signed:	Signed:

صورة الصفحة الأخيرة من إتفاقية الهدنة (النص الإنكليزي) ويبدو إلى اليسار توقيع العقيد توفيق سالم. نيابة عن الحكومة «الإسرائلية» ! وإلى اليمين توقيع اليهود باسم الحكومة اللبنانية ! خطأ لم يعرف من المسؤول عنه. ويعتقد أن الفريقين سبق لهما أن وقعا على النسخة الفرنسية. وظنا أن ترتيب التوقيعات مماثل في النسخة الإنكليزية.

أما الملحق الخاص بقوات الدفاع فيحدد القوات الدفاعية اللبنانية بكتيبتين وسريتين من مشاة الجيش النظامي اللبناني، وبطارية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وسرية واحدة مؤلفة من ١٢ سيارة خفيفة مصفحة ومسلحة بمدافع رشاشة، و٦ دبابات خفيفة ومسلحة بمدافع خفيفة، ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي. أما قوات «الدفاع» العدوة فتحدد بكتيبة مشاة واحدة وسرية مساندة واحدة وستة مدافع هاون وستة مدافع رشاشة وسرية إستطلاع واحدة وست عربات مصفحة وست سيارات جيب مصفحة وبطارية مدفعية ميدان واحدة مؤلفة من ٤ مدافع وفصيلة هندسة ميدانية ووحدات خدمة للتموين والمعدات ولا يتجاوز عديد هذه الوحدات جميعها ١٥٠٠ ضابط وجندي.

كما يفرض هذا الملحق على كل من الطرفين أن لا ترابط أية قوات عسكرية إضافية غير القوات الدفاعية الوارد ذكرها ضمن خطوط محددة كما يلي :

على الجاني اللبناني : في أية نقطة إلى الجنوب من الخط العام، القاسمية،—النبطية التحتا—حاصبيا.

على الجانب الآخر : في أية نقطة إلى الشمال من الخط العام، نهارياً —ترشيحا—الجش—ماروس.

تفادياً للإعتراف «بإسرائيل»

ومما يجدر ذكره أن أياً من إتفاقات الهدنة الموقعة بين الأطراف العربية والعدو، لم يذكر بوضوح إسمي الفريقين المعنيين بها، ويذكر الأستاذ عارف العارف، نقلاً عن الدكتور حليم أبو عزالدين رئيس الدائرة السياسية في وزارة الخارجية اللبنانية عام ١٩٥١ أن أسماء الفرقاء قد أهملت من الإتفاقية عمداً وذلك «بإصرار من لبنان الذي لم يشأ أن يعترف «بإسرائيل»، لذا، استهلت كل من هذه الإتفاقيات بالنص التالي: «إن الفريقين في هذه الإتفاقية، تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الخ».

ويصف الأستاذ محمد علي حمادة المستشار القانوني للوفد اللبناني إلى المفاوضات، الجو الذي ساد حفلة توقيع الإتفاقية في الناقورة، كما يلي: «....وصل الوفد اللبناني قبيل الساعة التاسعة، ثم أقبل ممثلو الأمم المتحدة برئاسة الجنرال رايلي. من على الشرفة، كانت الانظار متجهة صوب الأرض المحتلة، وأعضاء الوفد «الإسرائيلي» وهم يصعدون برفق وحذر المسلك الوعر والوحيد الرابط بين الموقعين العسكريين على الحدود (يقصد الناقورة الإنكليزية والناقورة الفرنسية)، يتقدم الوفد «الإسرائيلي» خبير يمسك بكاشفة الغام لأن الجيشين زرعا الألغام في منطقة تقارب مساحتها كيلومتراً مربعاً.

«دخل ماكليف يتبعه بيلمان وروزين، وابتسامة خفرة ترتسم على شفاههم، فاستقبلهم كبير المراقبين الدوليين. أما اللبنانيون فقد وقفوا في جمود ينم عما كان يتفاعل في نفوسهم من مشاعر الألم والأسى، إقتصرت التحية المتبادلة على إيماءة خاطفة بادرها ماكليف بإتجاه العقيد سالم، ثم تقابل الوفدان حول طاولة مستطيلة جلس على رأسها الجنرال رايلي الذي بدأ فوراً تلاوة مشروع إتفاق الهدنة نصاً كاملاً، ثم أخذ بعد ذلك يقرؤها بنداً بنداً. لقد أراد لبنان أن يدخل في الإتفاق مادة صريحة يضمنها إعترافاً لا لبس فيه بحدوده السياسية، واحتدم الجدل حول هذه النقطة مما أطال الجلسات عدة أيام...».

الأمنية الصهيونية التي لم يحققها العدو

وفي الذكرى السنوية الأولى للتوقيع على إتفاقية الهدنة تلقى كل من العقيد توفيق سالم ومحمد علي حماده، كتاباً من شبطاي روزين يعرب فيه «عن سعادته بما تحقق في إجتماعات الناقورة، ويرجو إقتراب اليوم الذي تتحقق فيه أمنيته في زيارة لبنان الجميل بمصايفه ومشاتيه». ولا عجب إذا انتاب الوفد اللبناني في هذه الإجتماعات «الألم والأسى»، إذ يذكر الصحافي عادل مالك الذي أورد هذا الوصف في كتابه (من رودس إلى جنيف) أن رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني حينذاك، ورئيس الوفد اللبناني إلى إجتماع للدول العربية تم في عمان، قبيل الموافقة على المفاوضات مع العدو، كان أول الرافضين لعقد هدنة مع العدو، وأنه أرغم على القبول بها بعد أن كان رد بعض العرب على موقفه الرافض للهدنة: حاربوا وحدكم.

كما أكد رغبة لبنان في عدم القبول بالهدنة وسعيه لاستئناف القتال، مذكرة سرية نشرها الأستاذ عارف العارف (في كتابه النكبة ج ٣) وهي موجهة من رئيس الوزراء اللبناني رياض الصلح نفسه إلى مزاحم الباجحي رئيس وزراء العراق آنذاك، يشرح له فيها مقابلة جرت بينه (أي رياض الصلح) وبين الملك عبد الله ملك الأردن في عمان، ويخلص فيها إلى القول إن الأردن عازم على الخروج نهائياً من ساحة القتال، وان الجيش العراقي القوي كفيل بسد الثغرة التي سيتركها إنسحاب الجيش الأردني من المعركة. ويؤكد رياض الصلح في هذه المذكرة أنه «لم أقبل وقف القتال إلا بعد غيري» وأنه «لا مناص من القتال» كما أنه «لا بد من توحيد القيادة».

وقد كان هناك خلاف بين العرب واليهود على تفسير إتفاقات الهدنة هذه، إذ اعتبر اليهود أن



أعضاء الوفد المصري لحظة وصوله إلى رودس من كتاب «العشر سنين الأول» تأليف والتر ايتان – لندن ١٩٥٨ –

هذه الإتفاقات تنهي حالة الحرب القائمة بينهم وبين الدول العربية الموقعة عليها، بينما كان التفسير العربي والدولي،بالتالي، لهذه الإتفاقات. يناقض تماماً التفسير الصهيوني لها. وقد فسر قرار الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ هذه الإتفاقات بأنها «تدبير موقت إضافي بموجب المادة ٤٠ من الميثاق»، مرهون بإعادة نظر الجمعية العامة «في مسألة مستقبل الحكم في فلسطين» (قرار رقم ٦٢ تاريخ ٤٨/١١/١٦ معطوفاً على القرار رقم ٤٤ تاريخ ١ نيسان –إبريل– ١٩٤٨). كما فسر السيد محمود رياض (الأمين العام لجامعة الدول العربية. واحد أعضاء الوفد المصري في مفاوضات رودس) في حديث مع الصحافي اللبناني عادل مالك. هذه الإتفاقات بأنها ترتكز، من جانب الدول العربية، على نقطتين أساسيتين، أولاهما الإصرار على أن لا تمس هذه الإتفاقات بحقوق الدول العربية عامة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني خاصة، وثانيهما إعتبار هذه الإتفاقات موقتة وعسكرية، أساسها وقف إطلاق النار فقط، دون أي طابع سياسي. يؤكد ذلك ما سبق وأوردناه في المادة الثانية من الإتفاقية (فقرة ٢).

وقد تغلب في النهاية التفسير العربي والدولي لهذه الإتفاقات. نظرياً وبالممارسة. ولكن لمصلحة العدو طبعاً. خاصة وأنه لم يحترم هذه الإتفاقات في أية مرحلة من مراحل العمل بها ومنذ توقيعها حتى اليوم.

أما فيما يختص بلبنان، فقد حاول العدو مراراً التملص من هذه الإتفاقية خاصة بعد أن بدأت المقاومة الفلسطينية تزاول نشاطها الثوري داخل الأرض المحتلة إنطلاقاً من الحدود اللبنانية – الفلسطينية وبعد حرب حزيران يونيو عام ١٩٦٧، وتحديداً في ٤ آب (أغسطس) من العام نفسه حين أعلن وزير خارجية العدو رسمياً الغاء إتفاقية الهدنة المعقودة مع لبنان. إلا أن لبنان أصر مراراً، بلسان وزير خارجيته تارة، وبلسان مندوبه لدى الأمم المتحدة تارة أخرى، على التلمسك بهذه الإتفاقية، رغم تنكر الكيان الصهيوني لها، ولا يزال حتى اليوم، مصراً على اعتبارها قائمة بينه وبين العدو.

المراجع

«النكبة»، لعارف العارف، ج ١ – ٥.

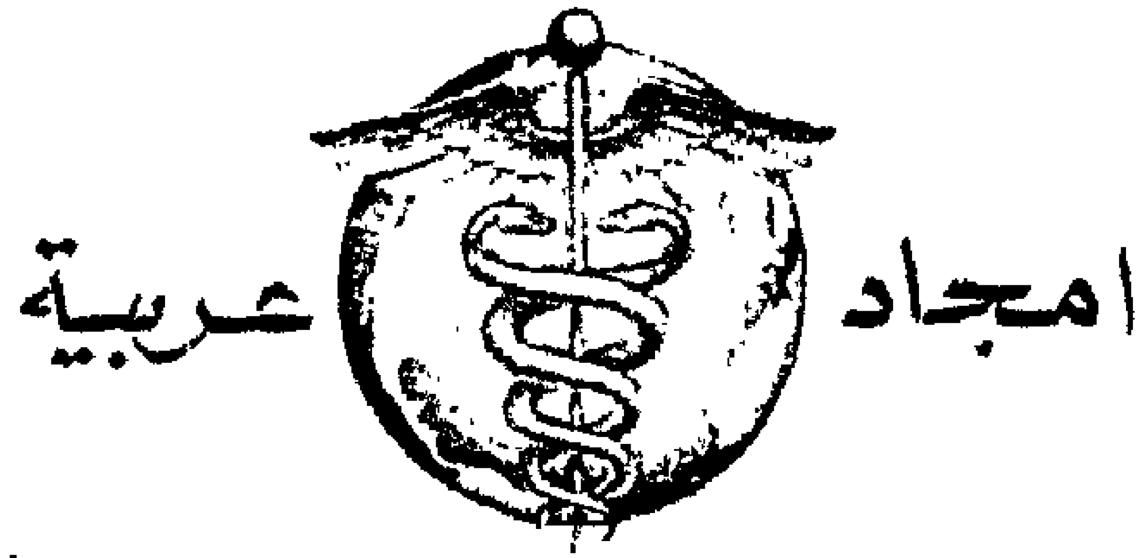
«القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني»، لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية – بيروت.

نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، لعام ١٩٧٢

«قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين» ١٩٤٧ – ١٩٧٢ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت

«من رودس إلى جنيف»، لعادل مالك.

«محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية» لصالح صائب الجبوري. ■



الطب العربي من ١٠٠٠ سنة

٩٠٠ طبيب خاص في بغداد ولا طبيب واحد في مرض الراين

عفاف الرشيدي الخضر

اذا أردنا أن نلقي أضواء على مستوى مستشفيات العرب منذ ألف سنة وما كان يقابلها من مستشفيات في أوروبا، فانه يمكن الاعتماد على ما جاء في وصف المؤرخين لاعادة رسم الصورة على الشكل التالي:

«رسالة» من مريض في مستشفى المنصوري لأبيه

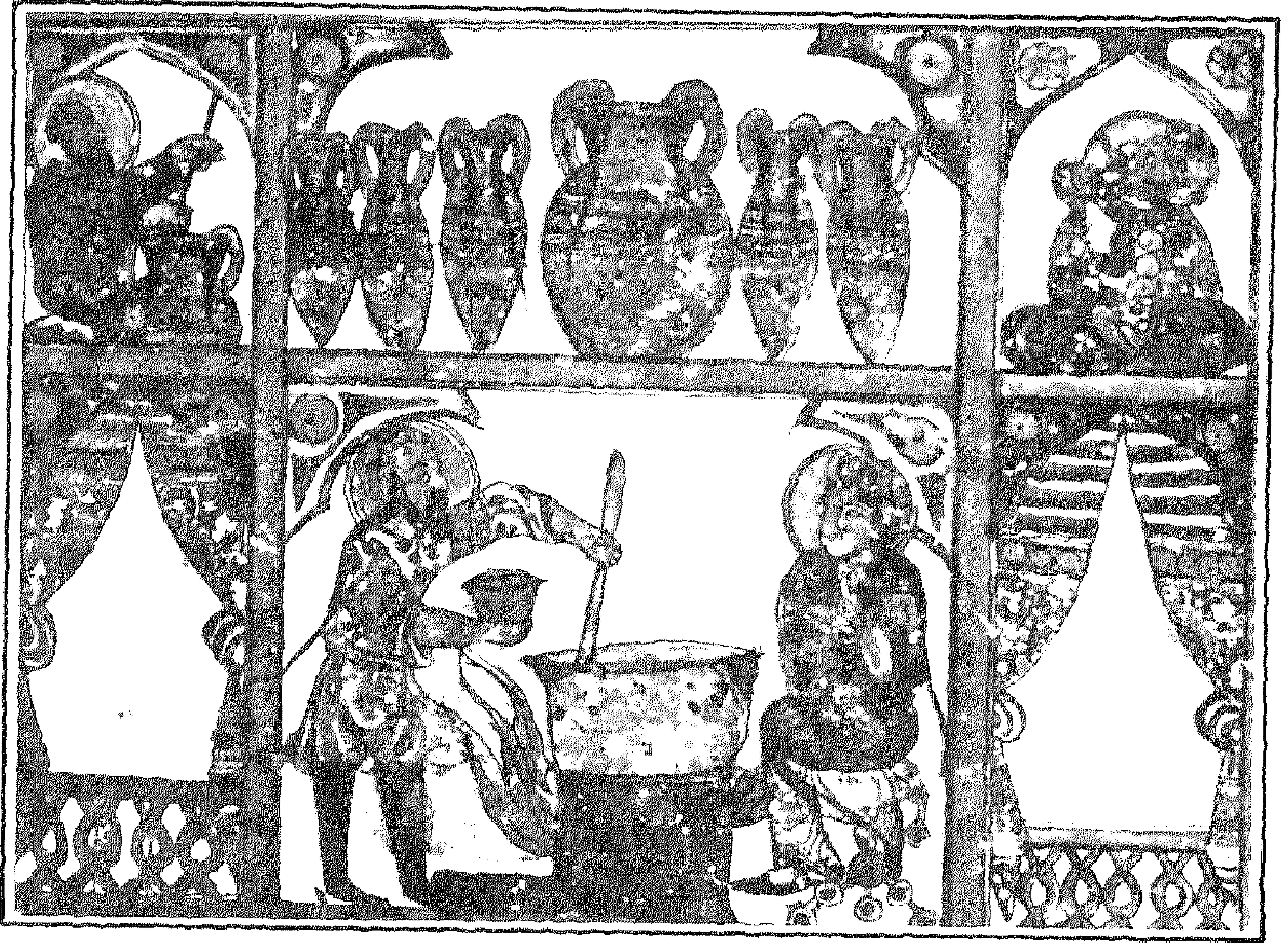
والدي العزيز:

■ انك تسأل اذا كنت تحضر لي نقوداً عند زيارتك. والواقع أنني عندما أغادر المستشفى ستصرف لي ادارته كسوة جديدة وتسلمني خمس قطع ذهبية انفق منها عقب خروجي، حتى لا أضطر إلى العمل وأنا في حاجة إلى الراحة فترة النقاهة. فأنت يا والدي لست بحاجة إلى بيع ماشية من مواشيك، ولا بحاجة لتستدين. والشيء الوحيد الذي أطلبه منك سرعة المبادرة، وإذا أردت زيارتي حيث أقيم، فأنا الآن في قاعة ذوي العاهات إلى جانب حجرة العمليات. والوصول اليها سهل يسير. عندما تدخل من الباب الرئيسي للمستشفى اتجه إلى القاعة الخارجية جهة الجنوب وهي المصحة الشعبية التي نقلت اليها عقب سقوطي وهناك يكشف على المريض مساعدو الأطباء وبرفقتهم الطلبة. أما المريض الذي لا يحتاج إلى علاج داخلي في المستشفى فيحصل على كشف بالدواء الذي يحتاج اليه، ويتناوله من صيدلية المستشفى. وبعد الكشف عليّ، كتب اسمي في سجل المستشفى وعرضت على كبير الأطباء، وقد حملني ممرض إلى قسم الرجال بعد أن أدخلني الحمام والبسني ملابس نظيفة للمرضى.

وعلى يسارك تجد المكتبة والقاعة الكبرى للمحاضرات حيث يدرس كبير الأطباء، الطلاب. أما الطريق في جهة اليسار من فناء المستشفى فيؤدي إلى قسم النساء. لذلك يجب عليك أن تلتزم دائماً ناحية اليمين ماراً بقسم الأمراض الباطنية، وقسم الجراحة. وعندما تسمع موسيقى أو غناء في قاعة من القاعات فانظر إلى داخلها فقد أكون في القاعة النهارية للاستجمام والترويح عن النفس. حيث نجد كتباً وموسيقى للتسلية.

زارني صباح اليوم كبير الأطباء، ومعه مساعدوه والممرضون. وكشف وشرح لي – بعد أن أملى على طبيب القسم شيئاً لم أفهمه – انني قد أغادر السرير غداً وأترك المستشفى. والواقع يا والدي انني لا أريد مغادرته، فكل شيء هنا في غاية النظافة والجمال: الأسرة وثيرة واغطيتها من

عفاف الرشيدي الخضر: مدرسة علم الاجتماع في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية.



— من كتاب «الحشائش وخواص العقاقير» (مكتبة أيا صوفيا. استنبول)

القماش الدمشقي الأبيض وعليها أخرى هشة ناعمة كالقطيفة. وفي كل غرفة ماء جار وفيها تدفئة تستخدم شتاء.

أما وجبة الطعام فغالباً ما تتكون من الطيور أو شواء الضأن لأولئك الذين تحتمل صحتهم مثل هذا. ان جاري قد تمارض نحو اسبوع طلباً للبقاء في المستشفى ليتمتع بلحم صدر الفراخ. إلا أن كبير الأطباء تبينه وأخرجه من المستشفى بعد أن تأكدت له جودة صحته. فقد أكل رغيفاً وفرخة كاملة...

الحالة التي يصورها الخطاب الموجه من ابن مريض الى أبيه تستطيع أن ننسبها إلى القرن العشرين الذي كثيراً ما نشيد به. والواقع ان هذه الرسالة تصور مستشفى من المستشفيات الكثيرة التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء العالم الاسلامي قبل ألف عام من الهملايا إلى البرناس. في هذا الوقت كانت أوروبا تعيش في جحيم القرون الوسطى، اذ كان الجهل يلف العقول بغشاوة يندى لها جبين الانسانية خجلاً. وهاكم صورة عن حالة المستشفيات في أوروبا في منتصف القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

مستشفى أوتيل دييه في باريس

فمن أوائل المستشفيات الأوروبية حسب قول شاهد عيان، ومن أحسنها ذلك المستشفى المعروف في باريس باسم «أوتيل دييه»، أي فندق الله. وهذا المستشفى كما تصفه المراجع رصفت أرضه بالطوب المغطى بالقش حيث يزدحم المرضى.. أقدام هؤلاء إلى جانب رؤوس أولئك، والأطفال إلى جانب الشيوخ والنساء بجوار الرجال.. وأصحاب الأمراض المعدية مع غيرهم جنباً إلى جنب. كما نجد نساء قد جاءهن المخاض وأطفالاً



– من كتاب «دعوة الأطباء» (١٢٧٣م). أبو أيوب الكحال يغلبه النعاس (مكتبة الأمبروزيانا)

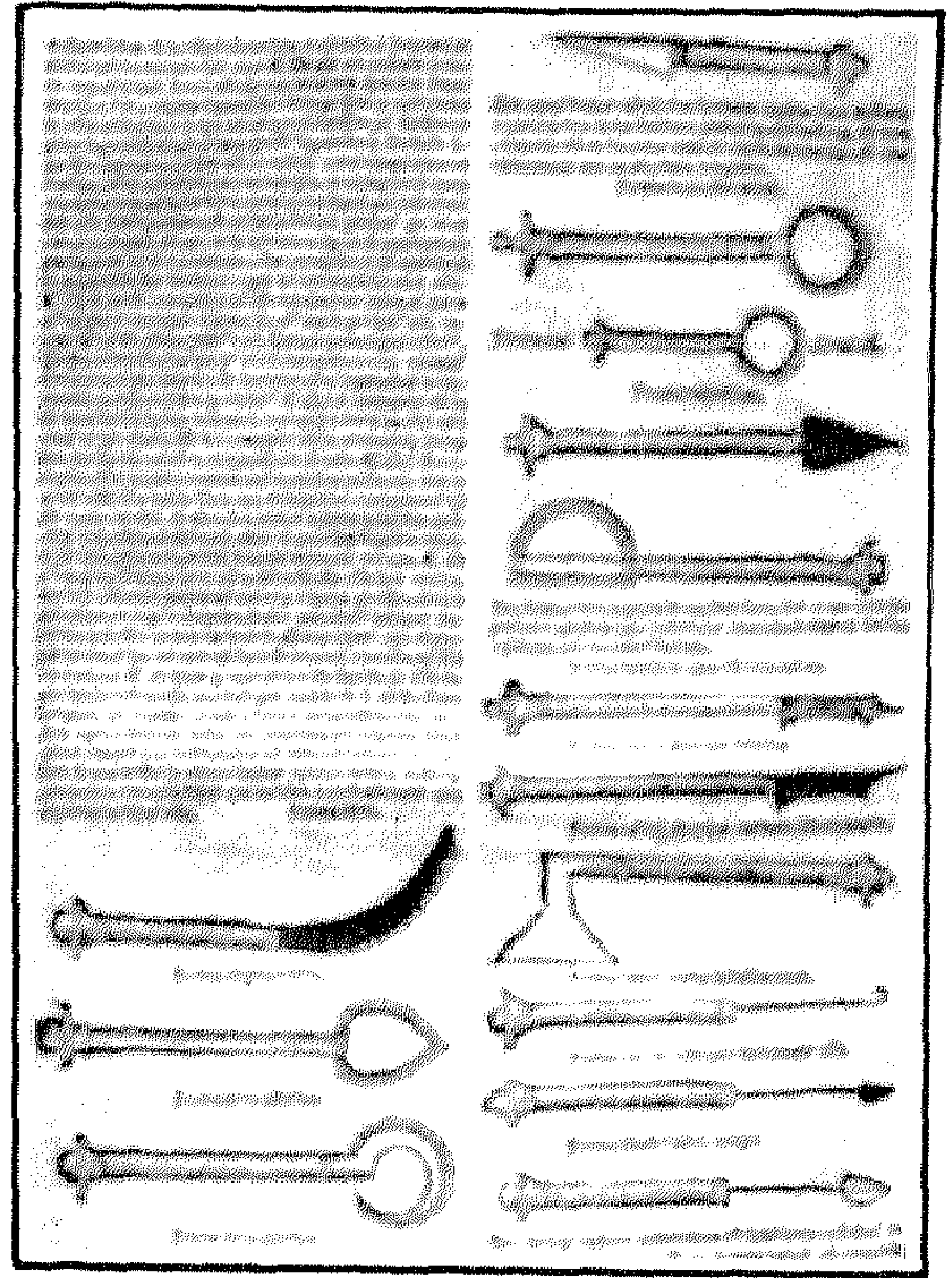
من المغص يتلوون، ومصابين بالحمى يهذون ومرضي بالسل يسعلون، وآخرين بالأمراض الجلدية ينهشون. ولا تسل عن قذارة المستشفى وكثرة الهوام والحشرات وشكوى المرضى مما اضطر القائمين على المستشفى إلى فتح أبوابه ليلاً نهاراً ليتسني لذوي المرضى زيارتهم وإطعامهم، هذا الطعام الذي أودى بحياة كثير من المرضى، وذلك لغياب الأشراف الطبي السليم..

أما تهوية المستشفى فقد كانت من الرداءة مما اضطر الممرضين وغيرهم إلى وضع اسفنجة مبللة بالخل على أفواههم. أما جثث الموتى فقد كانت تظل في أماكنها أياماً حتى تنقل.

أشهر المستشفيات في العالم الاسلامي

حتى منتصف القرن العاشر، نجد في قرطبة مثلاً خمسين مستشفى، أما بغداد، فقد فاقت غيرها، واشتهرت بمستشفياتها منذ عهد هارون الرشيد. مواقعها قد أحسن اختيارها صحياً، وزودت جميع غرفها ومحال الغسل فيها بالمياه الجارية المأخوذة من مياه نهر دجلة. وعندما شرع السلطان عضد الدولة في بناء مستشفى جديد كلف الطبيب المشهور الرازي باختيار أنسب مكان وأصحه. فأمر الرازي غلمانه بأن تعلق في كل ناحية من بغداد شقة لحم، واعتبر الموضع المنشود هو الذي لم يفسد فيه اللحم.

وفي القاهرة حول صلاح الدين قصراً من قصوره إلى مستشفي. وبني داراً للشفاء أو مارستان وهو مستشفى كبير معروف باسم المنصوري. وقد وعد ببنائه متى اعتلى عرش الحكم وقد وفى بوعده. وصرف عليه مالاً كثيراً حتى جاء أحدث وأكمل مستشفى على سطح الكرة الأرضية في ذلك العصر. وفي دمشق، المستشفى النوري، اسمه نور



مقالة الزهراوي كما ترجمها بيترا أرجيلانا عام ١٥٣١ حول الأدوات الطبية والجراحية عند العرب

الدين زنكي (١١٤٦ - ١١٧٤) وقد شيده من فدية من أحد ملوك الافرنج كان قد سجنه. وليس السلاطين والخلفاء هم الذين شيدوا المستشفيات فحسب بل كذلك الأطباء مثل سنّان بن ثابت وثابت بن سنّان وحفيد الفلكي ثابت بن قرة. فقد أسسوا أيضاً المصحات ودور الاسعاف المتنقلة. وكذلك مستشفيات للأسرى. وفي عام ٩٢٣ م أسس الوزير ابن الفرات في بغداد من ماله الخاص مستشفى لموظفيه حيث يعالجون مجاناً سواء أكانوا أغنياء أم فقراء ولا يدفعون شيئاً نظير اقامتهم في المستشفى. وحتى العلاج كان يصرف لهم مجاناً. وعلاوة على ذلك يتناول المرضى الملابس والنقود للانفاق على الخصوصيات لمدة شهر بعد ترك المستشفى.

فمن أين كان يدفع جميع هذا؟

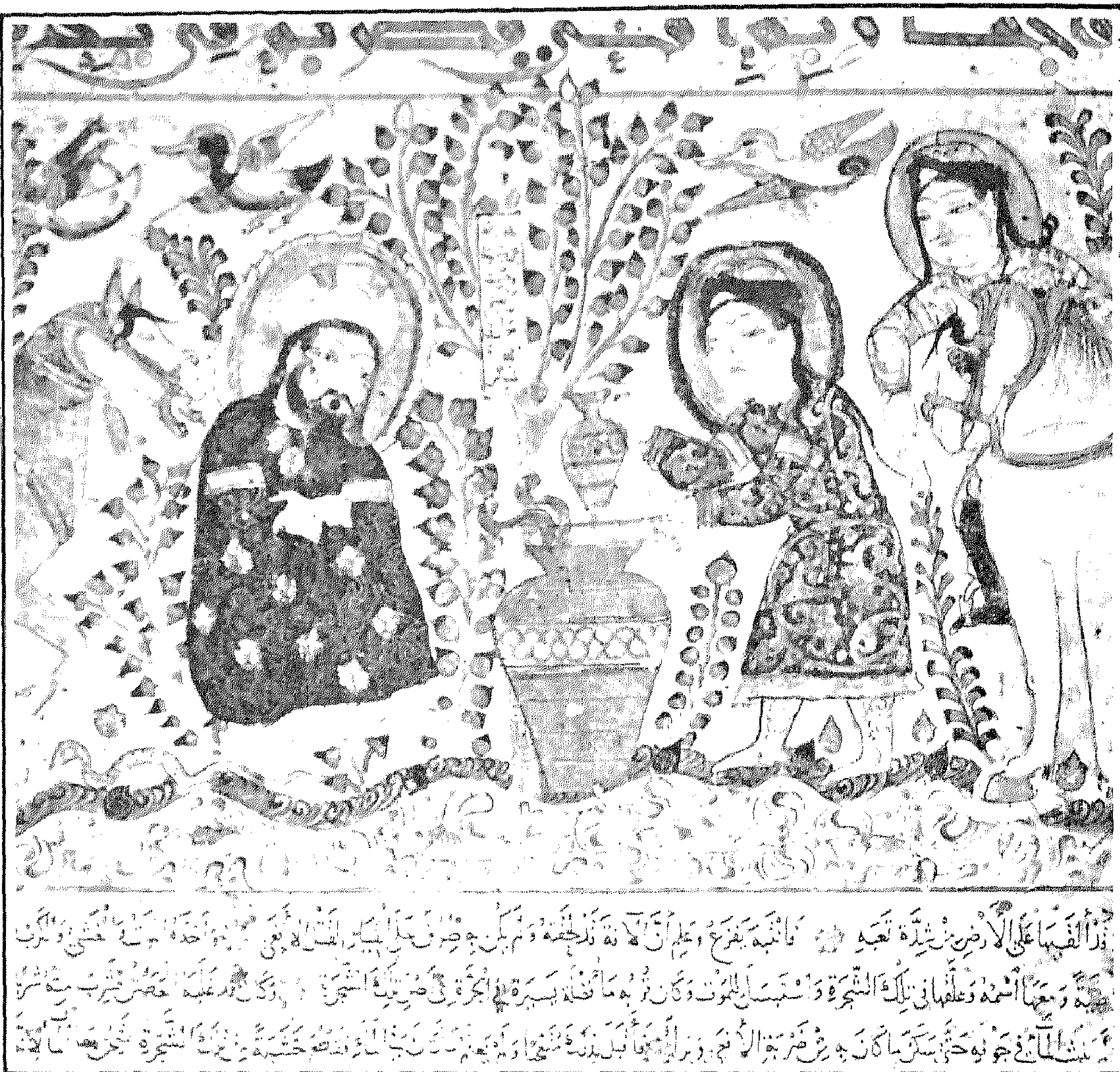
مستشفى المنصوري مثلاً كان يحتاج إلى مليون درهم سنوياً يؤخذ من ايرادات املاك الدولة. وادارة الاملاك كانت في يد اناس مشهود لهم بالأمانة والكفاية، ومع ذلك كانوا تحت مراقبة الدولة. وادارة المستشفى غالباً ما تكون بيد أمير. والسلطان يحرص على معرفة ما يجرى في المستشفى عن طريق التفتيش أو الاستجواب.

المستشفيات العربية : مدارس عالية للطب

في المستشفيات العربية، كان الطبيب يطبق النظري بالعملي. ويحدثنا ابن أبي أصيبعة في «طبقاته» ان الطلبة في دمشق كانوا يرافقون الاستاذ عند زيارته للمرضي فيدرسون عملياً مختلف الحالات ويسمعون المناقشة بين رئيس الأطباء وزميل له مشهور، فالفائدة من الزيارة مزدوجة: الدرس أولاً ونظام المستشفي ثانياً. مثل هذا النظام لم يعرفه العالم من قبل، اللهم الآ في العصر الحديث. ولحرص الدولة العربية على المصلحة العامة لم تكن تسمح لطبيب بمزاولة عمله إلا بعد أن يؤدي امتحاناً نظرياً وعملياً وتمنحه الدولة اجازة. وهذا النظام كان متبعاً أيضاً في الاندلس. ومع هذا يبقى الطبيب دائماً تحت رقابة الدولة.

ويذكر المؤرخون ان تاريخ تشريع الحصول على مثل هذه الشهادة يرجع إلى عام ٩٣١ م. وذلك في عهد المقتدر اذ علم ان طبيباً بغدادياً ارتكب خطأً نتج عنه موت المريض، فأمر باجراء امتحان لكل طبيب يزاول مهنة الطب، عدا الاطباء الذين يعملون في مستشفيات الدولة. فتألف عند ذلك مجلس الأطباء وعيّن سنّان بن ثابت رئيساً له. والجدير بالذكر ان عدد الأطباء في بغداد الذين يعملون خارج المستشفيات الحكومية آنذاك بلغ نحو ٩٠٠ طبيب.. في الوقت الذي لم يكن فيه يوجد طبيب واحد في حوض نهر الراين.

وكانت مجالس الأطباء تعقد في المستشفى لدراسة الحالات النادرة والمعقدة وذلك لتجنب الوقوع في الأخطاء ولصحة تشخيص المرض والعلاج، وأكبر المستشارين سناً من بين الأطباء يرئس المجلس وأصغرهم سناً يسجل المحضر.



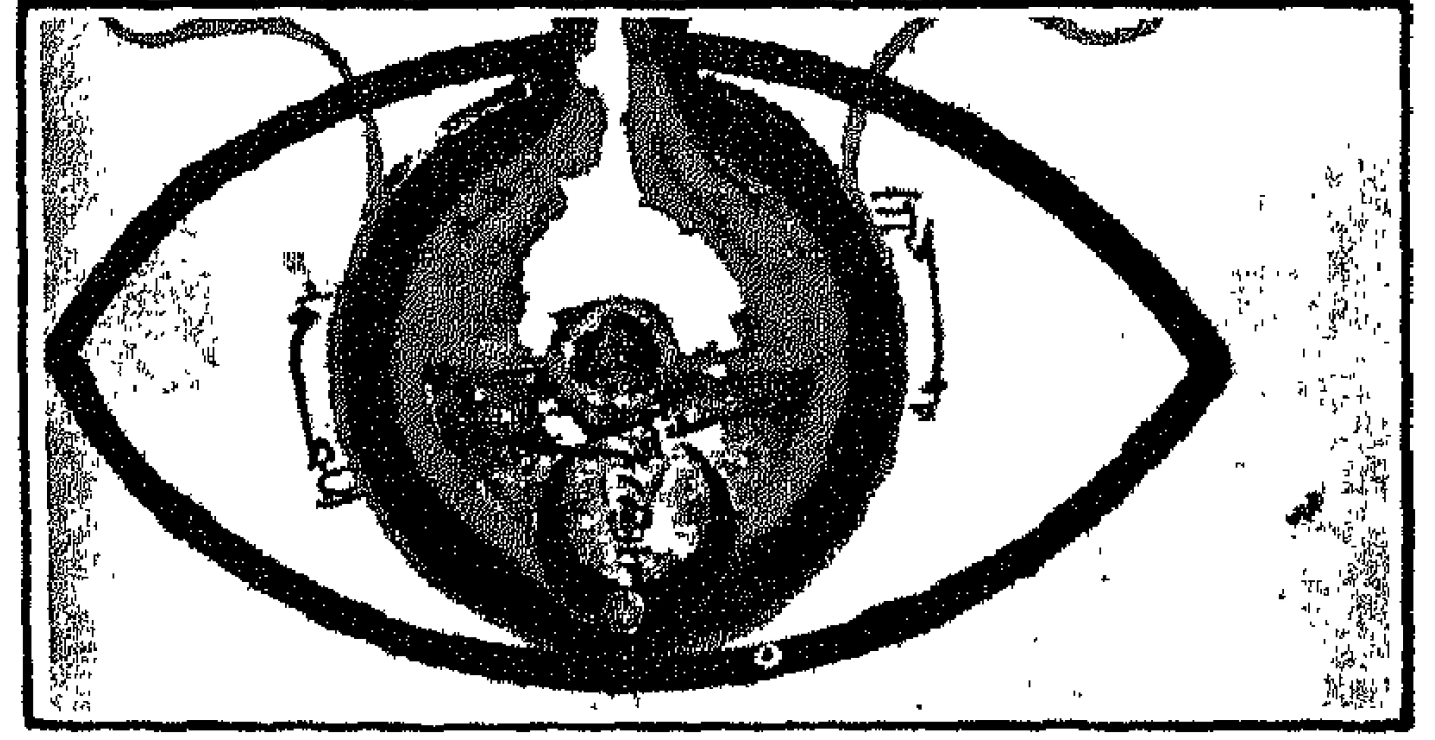
من كتاب «الترياق» لسمي جالينوس (١١٩٩م) - دار الكتب القومية. باريس.

في قسم الجراحة في احدى المستشفيات الاسلامية:

في طليعة جراحي المسلمين أبو القاسم الزهراوي. إذ كانت تعاليمه ومعلوماته ووسائله وآلاته أساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة. فلقد توصل جرّاحو العرب في صدر العصور العباسيّة إلى إجراء عمليات بطرق فنية وعلمية في غاية الدقة والنجاح سبقوا فيها بعض جراحي العصر الحديث.

ويبدو أن أبا القاسم الزهراوي كان أول من ربط الشريان لوقف النزف بخيوط من الحرير وأول من خاط الأعضاء بخيوط مصنوعة من الامعاء وأوتار العود. كما أوصى بجعل الطرفين الاسفلين أعلى من الرأس حين اجراء العملية الجراحية للبطن فسبق بذلك العالم تران دي لانبورغ الذي اخترع الوصفة حاملة اسمه.

وعند اجراء العمليات الجراحية الكبرى يساعد الطبيب زميله كما هو الحال اليوم. فيقوم أحد الأطباء بعملية التخدير وذلك بواسطة قطعة من الاسفنج مبللة بالحشيش أو زهرة البسلة ومن ثم يضعها أمام أنف المريض. وثالث يجري العملية



رسم تخطيطي لتركيب العين في احدى رسائل الطبيب العربي الشهير حنين بن اسحق.

بكل عناية ودقة وحذر عندما يستعمل المبضع. فالجرح يجب أن لا يكون كبيراً جداً ولا عميقاً جداً. أما المساعد فعليه أن يحجز الجلد بجرافة صغيرة دقيقة. وبعد التأكد من أخذ التدابير الضرورية يسرع الجراح بالعملية، وها هو يعمل بخفة ومهارة ليخلص الخراج من النسيج المحيط به وهو يعرف، ان عليه الانتباه إلى عدم اتلاف وعاء أو فصل عصب. فاذا أصاب عرقاً عليه أن يربطه بعناية حتى لا يغمر الدم موضع العملية فيعوق اجراءها وعليه أن يتحسس الخراج بيده ثم يعمل على استئصاله وجميع البقايا ثم يعيد الجلد إلى موضعه ويقوم بعملية الخياطة بأعصاب قطة. هكذا كان يعلّم علي بن العباس.

ويذهب علي بن العباس إلى أبعد من ذلك فيقرر ان الطب لا يفيد في حالة السرطان فهو يطالب الجراح بانتزاعه من العضو المصاب. وعلى الجراح أن يزيل كل ما حول السرطان حتى لا يبقى له جذور في الجسم. لذلك تجب العناية الكاملة عند اجراء مثل هذه العملية.

صيدلية المارستان:

لو تسنى لنا التطلع إلى رفوف الصيدلية العربية في المارستان لشاهدنا قوارير العقاقير وقد كتب عليها اسماؤها الطبية. ولعرفنا مدى اطلاع العرب الواسع في هذا المضمار. كانت مهنة الصيدلة فناً منظماً فلا يحق لصيدلي ممارستها إلا اذا حمل ترخيصاً رسمياً بالممارسة. أو اذا كان اسمه مدرجاً في جدول الصيادلة.

ولا شك في انهم كانوا يستوردون العقاقير النباتية الهندية، وكذلك العقاقير الأوروبية التي هي من أصل نباتي أو حيواني من البلاد المتوافرة فيها. ولم يجدوا في ذلك صعوبة، اللهم إلا صعوبة المواصلات لاتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية في ذلك الحين...

لقد عرفوا خصائص مواد كثيرة واهميتها في المعالجة كالقرفة، جوز الطيب، والصندل، والكافور وجوز القيء، والحنظل، والتمر الهندي والمسك وخانق الذئب والسنامكة. كما كانت مركبات الزئبق والافيون معروفة قبل اشتغالهم بالصيدلة. وقد اهتدى ابن سينا إلى طريقة تغليف بعض الأدوية – خاصة تلك التي تؤخذ بطريقة البلع – وذلك للتخفيف من طعم الدواء على المريض فيريحه من طعمها الكريه. وتمكننا مشاهدة بعض القوارير الخاصة في المارستان وقد حملت اسماء لبعض المخدرات لازالة الألم أو تخفيفه كالافيون والحشيش والزؤان وست الحسن. وهناك الترياق المقاوم للسموم.

وأخيراً، لا بد هنا من ذكر الصفات الخلقية التي كان يتمتع بها الطبيب العربي في اثناء ممارسته لعمله الانساني في المستشفى. تلك الصفات التي جعلت من الطبيب العربي عالمياً بلا منازع. وجعلت منه مثلاً وقدوة لأطباء أوروبا فيما بعد. كان بعيداً عن التعصب والتحيز. يلتزم بسرية المهنة، ولا يميز بين جنس وجنس وكان يسعى للبحث العلمي والتطور. وتحقيق المنهج العلمي السليم في مجالات العلوم الطبية وذلك من أجل خدمة الانسان كانسان لا حباً في جاه ولا طمعاً في مال

وبعد. فما هذه السطور إلاّ من بحر العلوم عند العرب. أردت بها أن أبين الأبجدية العربية في التفوق الفكري الذي سبقنا الغرب إلى تبيانه وقراءته مفيداً منه. معجباً به. مقراً بفضله ■

قاموس اقتصادي



التضخم المالي

إذا ارتفعت الأسعار نتيجة لزيادة كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . تدهورت قيمة النقود وساد التضخم . فالتضخم يظهر كلما زادت وسائل الشراء لدى الأفراد دون أن تزيد كمية السلع بالنسبة نفسها .. وثمة نظريات كثيرة في تفسير التضخم . أبسطها وأكثرها رواجاً . النظرية الكمية التي تعزو التضخم إلى زيادة في كمية النقود بالنسبة إلى كمية السلع والخدمات . وهذا هو جوهر التضخم . أما الاقتصادي « كينز » ، فيرد كل محاولة تضخم الى ارتفاع نفقات الانتاج والأسعار دون أن تصحبه زيادة في حجم الانتاج .

ويدعو «كينز» إلى ما يدعوه بالتضخم الجزئي . وفيه تصطحب زيادة كمية النقود . زيادة في نفقات انتاج الوحدة وزيادة في حجم الانتاج في الوقت نفسه . مثل هذا التضخم الجزئي ليس تضخما بالمعنى الصحيح فهو تشجيع للصناعة . ويقع غالباً في فترات الانتعاش ..

ويرى الاقتصاديون ان التضخم يؤدي إلى نتائج غير مرضية . فهو يضر بالانتاج . ويشجع على المضاربة . ويحفز على الضياع الاقتصادي . ولا يشجع على الارتفاع بمستوى الكفاية . ولا على الادخار . ومن ثم ينقص من الاستثمار ويؤخر النمو . ويهبط بمستوى المعيشة . ويسلب المال من بعض الأفراد ويتيح مكاسب فورية لغيرهم .

غير ان بعض الاقتصاديين يرى ان الضرر الذي يحدثه التضخم مبالغ فيه . ويقول مثلاً . أن الولايات المتحدة مرت بتجربة تضخم يرقى الى مضاعفة مستوى أسعار السلع . ومع ذلك فخلال تلك الفترة وتمتد بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٦٠ حدثت التنمية الاقتصادية بخطى سريعة .

وهنا يلاحظ أن الدول التي تتعرض للتضخم لا تقف أمامه ساكنة وانما تتخذ من التدابير ما تراه كفيلاً بالحد منه . ومنعه من التطور الى أبعاد خطيرة . وثمة وسائل وأسباب منوعة تعمل على مكافحة التضخم :

١ – فيلاحظ ان الانتاجية تعوق التضخم . اذ عندما يزداد الناتج لكل رجل – ساعة تنقص نفقة الوحدة من العمل في عمليات الانتاج (ما لم تزد معدلات الأجور بالنسبة نفسها . عندما تبقى نفقة الوحدة من العمل على ما هي عليه دون تغيير) .

٢ – امتصاص القوة الشرائية . أي ابعاد الدخول الزائدة عن أسواق الاستهلاك واجبار الأفراد على الادخار ومنعهم من انفاق مدخراتهم ومن وسائل ذلك الضرائب وتوظيف المدخرات في سندات الدولة . إلا انه يجب أن تكون للدولة رقابة كافية على مجموع الانتاج والتداول والتوزيع والاستهلاك .

٣ – من أهم الخطوات التي ينبغي اتخاذها للتقليل من ميل النمو الاقتصادي إلى رفع مستوى الأسعار . تعاون الموظفين جميعهم . بغض النظر عن مراتبهم . في مختلف المشروعات . وبصورة فعالة . على خفض النسبة بين نفقات الأجور والمرتبات وبين المبيعات . وكذلك ينبغي استئصال بعض العوامل التي تساعد على التضخم مثل العمل . واستبعاد الأعمال غير الضرورية أو غير النافعة في استخدام أيد عاملة لا ضرورة لها أو التي تبذل القليل في المشروعات والمنشآت .

تاريخ المجوهرات (١)

الحلي كانت أحرازًا لرد الشرور
فن فرعوني وآشوري ورثه اليونان والرومان

متى سمعان بوري



الحلي في القرن السادس عشر: إيزابيلا كلارا أوجينيا، كما رسمها الفنان سانشيز كويللو سنة ١٥٧٠

■ أول من استعمل الحلي والمجوهرات هم قدماء المصريين وكانوا يتمتعون بحذاقة ومهارة في هذا المضمار لم يستطع أن يجاريها أي من شعوب العالم. واستطاعوا أن يصنعوا أشكالاً متعددة من الحلي تتمتع بالجمال والدقة في العمل. حتى أن صناعة الحلي والمجوهرات في أيامنا هذه أخذت وتأخذ الكثير من هذه الأشكال والرسومات وأصبحت من الأشكال التي تلق رواجاً خصوصاً بين من يبحثون عن الأشياء القديمة من طبقة القادرين على تنويع حلاهم ومجوهراتهم. أما تاريخ بدء المصريين بهذه الصناعة فهو القرن العشرين قبل الميلاد. وكانت النساء يتحلين بنماذج مختلفة من الحلي بعضها يضعنها في الرقبة وبعضها في المعصم وفي الأصابع وعلى الرأس. حتى الأوراك كن يطوقنها بأشكال من الحلي. أما المعادن التي كانت تستعمل في ذلك العهد فهي الذهب والفضة فقط. وكانوا يضيفون إليها بعض الأحجار التي كانت معروفة في ذلك الحين كالفيروز وحجر الدم واللابيس والكارنت والكريستال الصخري والزجاج الملون وكانوا يفضلون تعدد الألوان في الحلية فيستعملون أحجاراً من جميع الألوان في قطعة واحدة. وفي بعض الأحيان كانوا يخلطون الذهب الصافي ببعض المواد كي يصبح لونه أحمر أرجوانياً، ويصيغون من الذهب حبيبات صغيرة كحبة الحمص وغيرها من الأشكال ثم يثقبونها من الجانبين ويدخلون فيها خيطاً أو ما شابه حتى تصبح قلادة يضعونها في الرقبة ويلبسونها متباهين بها.

وكان المصريون يصنعون هذه الحلي بما كان يتيسر لديهم من أدوات بدائية تأخذ منهم الوقت الطويل لإنجازها. وكانوا يضيفون إلى حبيبات الذهب الأحجار الملونة لكي تضفي عليها بريقاً وجمالاً. أما الخواتم فكانوا يضعون في وسطها حجر الجعران وهو يشبه الجيز ولونه أخضر وهو موجود إلى الآن في مصر. وفي الفترة ما بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد درجت عادة وضع الأقراط في الأذنين. فكانوا يثقبون الأذن ويدخلون القرط فيها كما تفعل النساء في عصرنا هذا. ثم بدأوا استعمال الصدف والعظام الحيوانية مع الذهب ومع الفضة. كذلك أدخل النحاس في

متى سمعان بوري: من أقدم خبراء المجوهرات في الشرق الأوسط عضو نقابة الصاغة اشترك في جميع المعارض الدولية



رسم زيتي لكراناخ (١٥٣٠)، تبدو فيه زوجة الفنان وعلى جيدها سلاسل ثقيلة كانت دارجة في تلك الحقبة في أوروبا

صناعة الحلي ولكن ممزوجاً ببعض الذهب. وصاروا يعملون أشكالاً من الحلي تشبه الخضراوات وأوراق الشجر وغيرها.

الحجارة الكريمة

أما في القرن الثاني قبل الميلاد فقد بدأ يطغي الطابع الأشوري على صناعة الحلي وذلك باستعمال الحفر والنقش وعمل أشكال جديدة يطغى عليها الطابع الشرقي. أما الحلي الفينيقية فكانت خليطاً من جميع الأشكال أي أنهم أخذوا ما راق لهم ممن سبقهم وصاروا يشابكون الأشكال بعضها بالبعض ويطورون في الصناعة قدر ما يستطيعون. أما الأغريق فقد أدخلوا شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل على صناعة المجوهرات وهو الـFiligree أي التخريم أو الدانتيل. وكان هذا في القرن الخامس قبل الميلاد.

وكانت جهودهم منصبة على أشكال متطورة مستوحاة من شكل الإنسان والحيوان. وكلها أو معظمها من الذهب ولم يكونوا يستعملون الأحجار أبداً وذلك طيلة قرنين كاملين حتى جاء القرن الثالث قبل الميلاد فأدخلوا صناعة المينا الملونة. وهي مزيج من الألوان منها الأزرق والأسود والأبيض والأخضر وغيره مما نستعمله اليوم في كثير من أنواع الحلي كالخواتم وبيوت المصاحف وغيرها. وعند ظهور الإسكندر الكبير بدأت الأحجار الكريمة ترد إلى بلاد الاغريق من الشرق وخصوصاً أحجار العقيق متنوعة الألوان التي توجد في بلاد اليمن وما جاورها، وكذلك في الهند. وكان الاغريق مولعين بصنع التيجان المكللة بالضفائر والزهور والتي كانت تمنح كجوائز شرف للمتفوقين في الحروب والمعارك. كما أنها كانت تستعمل في الطقوس الدينية. وقد برعوا في صناعة الأقراط والعقود وكانوا أول من حفر صوراً ونقوشاً على أحجار العقيق وغيرها. ومنها ما وجد ويوجد في الحفريات الأثرية في مدينة صور. كما أنهم بدأوا يحفرون على الذهب والفضة نقوشاً جميلة. أما صياغة الحفر على الصدف فهذه كانت من عمل الرومان الذين تابعوا في القرن الثاني ق.م. طريقة الإغريق ولكنهم طوروها وحسنوها وأضافوا الأحجار الكريمة مرتفعة الثمن إلى الحلي وأحياناً



دار للصياغة في القرن السادس عشر في أوروبا

كانوا يضعون أحجاراً مقلدة. وكان الطابع الشرقي لا يزال هو الغالب على صناعة الحلي. وفي هذه الفترة إقتحم الفن السوري مع المصري الميدان بتطوير جديد وشكل جديد وذلك بإضافة رؤوس الثعابين والتماسيح وباستعمال اللؤلؤ والزفير. كما أنهم اخترعوا البروشات والدبابيس للصدر والقلادات المصنوعة على أشكال الطيور والأسماك وغيرها من الحيوانات وفي العصور الوسطى ظهرت الحلي البريطانية التي تابعت هي بدورها الطريقة والنهج الروماني. ولكن بميل ظاهر إلى الطابع الشرقي البحت. وبدأت صناعة المينا تحتل مركز الصدارة في الحلي. وبدأ التنافس بين أقطار البحر المتوسط وآسيا وشمال أفريقيا على أشده وذلك في القرن الخامس بعد الميلاد حتى القرن السابع. وشهدت هذه الحقبة إزدهاراً كبيراً في تجارة الحلي والمجوهرات نتيجة هذا التنافس في التطوير والإبداع.

من الشرق إلى الغرب

وبعد القرن السابع إنحسرت صناعة المينا في الشرق ولكنها انتقلت إلى الغرب حيث استقرت بصورة خاصة في ايرلندة وفي اسكوتلاندة، حيث راجت صناعة القلائد المدلى منها القطع البرونزية والتي كان يلبسها الملوك والأمراء وكبار قادة الجيوش كرمز للقوة والعظمة ورفعة المكانة. ثم سرت عادة تقديم وإهداء الحلي والمجوهرات للكنائس أيضاً للنذور وطلباً لشفاعة القديسين. وراجت صناعة الحفر على الخواتم واستعمالها كأختام بدلاً من التوقيع. ومن هنا جاءت كلمة خاتم من الختم. في القرن الرابع عشر أصبحت الأحجار الكريمة في متناول الجميع شرقاً وغرباً نظراً للتبادل التجاري الذي كان قائماً بين إيطاليا والشرق. وبدأت تظهر أشكال جديدة ومتطورة من الحلي والمجوهرات على إختلاف أنواعها. وكان التنافس بين النساء على التحلي بأجمل الحلي وأغلاها، وكل على قدر طاقته، كما هو عندنا في هذه الأيام. وكانت المرأة تقاس بعد جمالها بقيمة ما تقتنيه من مجوهرات. وراجت أشكال القلوب المصنوعة من



53 Long headdress of a queen of Tuthmosis III, from Thebes

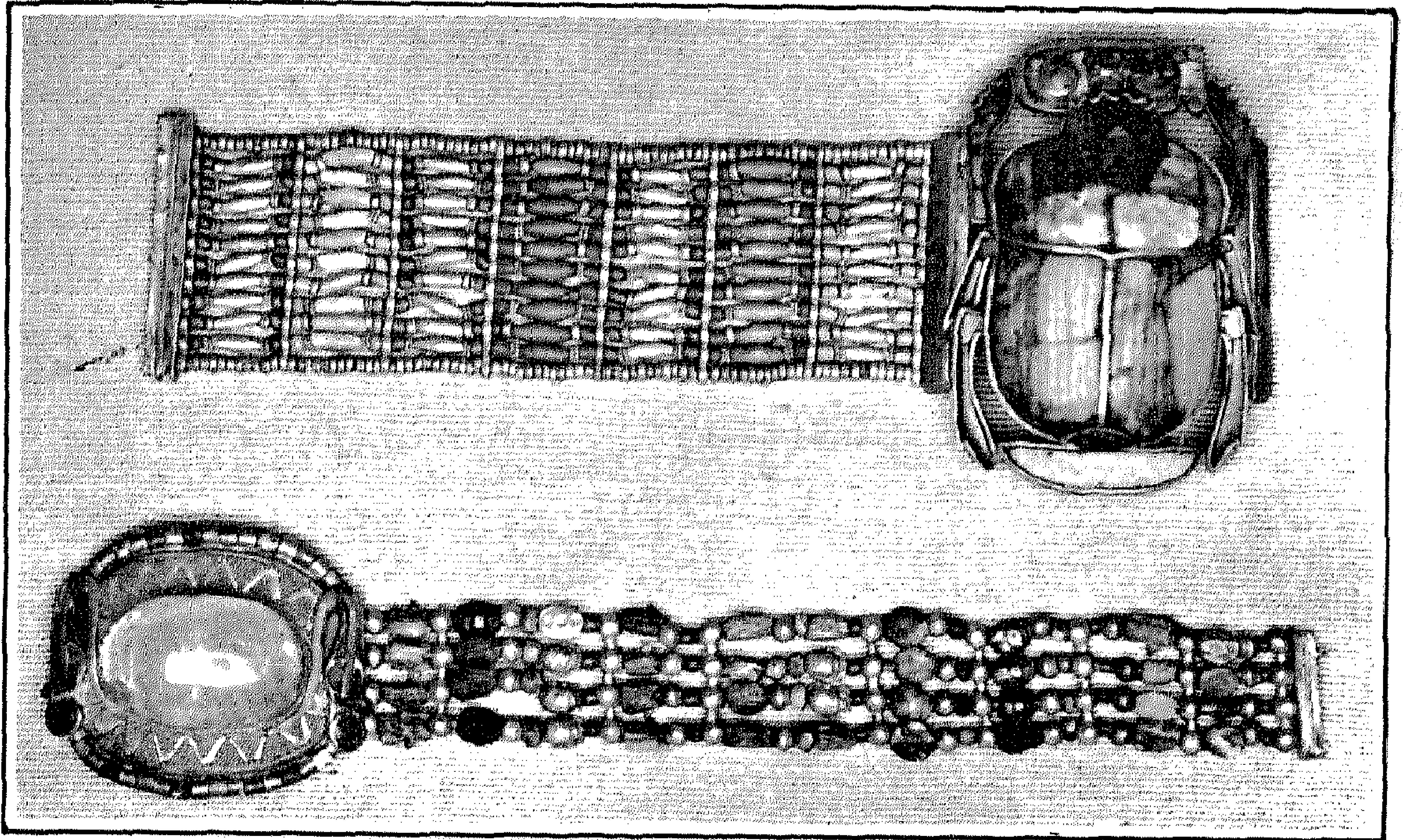
من مجوهرات ملكة طيبة الفرعونية

الذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة والتي كان يهديها العشاق والخطاب والمحبون لمن يختارون. وعندما تم في القرن الخامس عشر إكتشاف الكثير من الأحجار الكريمة التي لم تكن قد اكتشفت بعد، ارتفعت أسعار الحلي نظراً لاحتوائها على عدد كبير من هذه الأحجار الكريمة المكتشفة حديثاً.

فن مصري

ومما لا شك منه أن قدماء المصريين هم رواد صناعة الحلي والمجوهرات منذ فجر التاريخ.

وشهدت صناعة الحلي في مصر الفرعونية عصراً ذهبياً ونماذج وأشكالاً من الحلي المتعددة التي كان يستعملها الرجل كما تستعملها المرأة. وكان الرجل يتحلى بالقلادات والأساور وحتى الأقراط. في ذلك الوقت كانت الحلي تعني لهم أشياء كثيرة ومهمة فكانوا يعتقدون أنها تقيم من المصائب والحسد ويعتبرونها كحرز تدرأ عن لابسها الأخطار والنكبات والمستقبل السيئ. وكانوا يصنعون الحلي خاصة على صورة الحيوانات كالتماسيح والأفاعي والعقارب. وكانوا يضعونها في الأماكن المعرضة



سواران من أساور توت عنخ آمون، من مدينة طيبة.

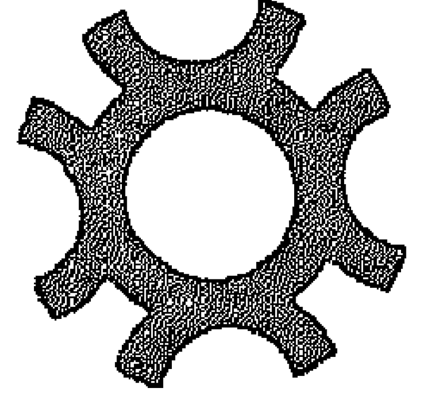
للخطر في الجسم كالرقبة والمعصم والخصر. وكانت تحتوي على الفيروز وحجر اللابيس. وقد توصلوا إلى اكتشاف كميات من الذهب في بعض المناطق ساعدتهم على تنويع حلاهم. كما أنهم كانوا يتخذون الحلي من مخالب الحيوانات المفترسة وغيرها من المخلوقات الكاسرة وقرون وأنياب الحيوانات البرية. إن الكتابة على الفن الفرعوني لصناعة الحلي والمجوهرات إذا أردنا إيفاءه حقه، تحتاج إلى مجلدات، لأن هذه الصناعة كانت في تطور مستمر خلال الأزمنة الفرعونية. وهي لا زالت إلى يومنا هذا من المصادر والمراجع الأساسية التي ينهل منها مصممو الحلي في عصرنا هذا. وإذا ما دققنا النظر إلى الحلي المستعملة في أيامنا هذه والمعروضة في أشهر محال الحلي والمجوهرات في العالم للاحظنا البصمات الفرعونية ظاهرة على كثير من الأشكال والتصاميم، مع بعض التغييرات التي تلائم العصر وإضافة بعض الأحجار الكريمة التي لم تكن مكتشفة ومعروفة في ذلك الوقت. ولو أخذنا بعين الإعتبار وجود الكهرباء والآلات الحديثة المتطورة في عصرنا هذا وقارنّا كل ذلك بالأدوات التي كان يستعملها الصاغة وصانعو الحلي في أيام الفراعنة لوجدنا كم كان هؤلاء على درجة من المهارة والذوق الرفيع. ■



جواب في محله

سئلت زوجة اينشتاين: هل تفهمين النظرية النسبية التي ابتكرها زوجك؟ فترددت قليلاً وهي تبتسم ثم قالت: أنا أفهم ما هو أهم منها وهو اينشتاين نفسه.





انفجار لبنان
عام ١٩٧٥ - ١٩٧٩

الجزء الثاني والأخير

حذرت منه بعثة ايرفد قبل ١٩ عامًا

الأب جوزيف لوبريه

قدمت مجلة «تاريخ العرب والعالم» للقارئ العربي في العدد الماضي. الحلقة الأولى وتقدم في هذا العدد منها، الحلقة الثانية والأخيرة. من وثيقة مهمة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي. وهذه الوثيقة هي محاضرة ألقاها الأب جوزيف لوبريه. رئيس بعثة «ايرفيد» الفرنسية الى لبنان في ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) من العام ١٩٦٠. وقد ألقى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور أركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب.

وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية. لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الأسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً.

وقد أدرك الرئيس شهاب أن عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مطردة في حجم الناتج القومي. وانما هنالك بعد اجتماعي يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخيل والانتاج. كما أيقن ان تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تفرز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي إلى خلق حالة عدم استقرار في البلاد. اذا تركت دون معالجة جذرية. ولعل في بعض حوادث لبنان الأخيرة. وما أفرزته سياسياً واجتماعياً تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل.

ونظراً لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي. فقد عمدت ادارة تحرير المجلة إلى نشر الأجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك في سياق المحاضرة. أو في المعنى الذي هدف اليه الأب لوبريه.

والمحاضرة بعنوان «لبنان يواجه قضية تنميته». وهذا الجزء الثاني والأخير منها:

١ الامكانات الزراعية

١ – تحسين أساليب الزراعة :

■ إن في الإمكان إدخال التحسين على أساليب الزراعة بسرعة – فأهل لبنان قوم أذكياء – شرط أن يكون هناك عدد كاف من ذوي الدربة ليقوموا على أمر الزراعة. إن انتشار الدربة والمعرفة أمر ضروري يمكننا من الإنتقال إلى زراعة أكثر كثافة، لا من حيث الكمية فحسب، بل من حيث الجودة أيضاً. كذلك هو أمر ضروري للتوصل إلى إستعمال أفضل للتربة حسب إستعداداتها الطبيعية، وإلى استعمال أفضل الأسمدة، ثم التوصل إلى أساليب زراعة أفضل بصورة عامة. فلبنان أبعد ما يكون عن استثمار الأرض على الوجه الأمثل. ومن المؤكد أن الإمكانات في هذا المجال كبيرة جداً، ولكنها تتطلب إتخاذ عدد من التدابير المدروسة للمدى الطويل.

المشكلة الجوهرية للمياه :

من الواضح أن الإستفادة من الماء تجري بطريقة فيها كثير من الخلل، فالثروة المائية مبعثرة هنا وهناك دون ترتيب أو نظام. وينبغي لنا أن نتفحص مشكلة الماء هذه عن قرب.

الزراعات المرتفعة ربحاً :

في الواقع يتبين من قائمة المستوردات أن هناك تبايناً بين إنتاجكم الزراعي وبين حاجات السكان، لأنكم تضطرون إلى أن تجلبوا هذه المحصولات من الخارج بأسعار مرتفعة. وسوف يتضمن التقرير على كل حال عدداً كبيراً من التفاصيل المأخوذة من البعثات السابقة. واني لأرى في هذه القاعة رجلاً عمل هنا سنوات في إدارة بعثة زراعية. لقد شددت البعثات السابقة على ضرورات الزراعة كل التشديد. وقد لا يكون الأمر من السهولة بهذه الدرجة، غير أنه إذا لم تتخذ التدابير اللازمة في الوقت المناسب، فسوف تستمر الأراضي في الإنحطاط، وتستمر المناطق الريفية لذلك في خسارة سكانها، ويستمر النزوح إلى بيروت في التسارع، وتصبح مشكلة الإختلال بين الإقتصادين الإثنين على جانب عظيم من الخطورة. وعلينا لذلك أن نوجه السياسة الإقتصادية هذه الوجهه الأساسية.

٢ – الإمكانات الصناعية والحرفية والسياحية

أ – إنعاش الحرف الصناعية بتحسينها :

كان من أثر هذا النزوح إلى بيروت حصول إنحطاط في الصناعات اليدوية في المناطق. وبما انه يمكن الحصول في بيروت على كل شيء، فإنه لم تعد هناك ضرورة أو مبرر لوجود صاحب الحرفة الصغير في المناطق المحلية. ثم أنه نتيجة لغزو المنتجات المستوردة للسوق لم يعد للمواد القديمة التي كان يصنعها أصحاب الحرف من محل في هذه السوق. والحياة الريفية لا تقتصر على وجود عدد من المزارعين، بل إنها تتطلب عدداً من الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة يتمم بعضها البعض الآخر حتى يمكن أن توجد حقاً بيئة جماعية تسمح بالإزدهار الإنساني. وإن لدى العمال (في لبنان) قسطاً عظيماً من المهارة اليدوية. ثم ان تكيفهم مع الأنواع العادية من العمل يتم بسرعة لا متناهية.

ب – تنظيم السياحة على نحو أفضل :

عندما يتصل الأمر ببلد من أجمل بلدان العالم وعندما نرى المرافق السياحية في هذا البلد – ومرافق السياحة هي شيء مختلف تماماً عن مرافق الإصطياف – ندرك أن عليكم في هذا المجال أن تحققوا وثبة عظيمة ومهمة إلى الأمام. ومن ذلك إيجاد شبكات للطرق، والمرافق اللازمة من الفنادق وتأسيس مكاتب للسياحة، والدعاية في جميع أوساط المغتربين اللبنانيين المنتشرين في-



— التجمع الحضاري للوحدة الوطنية . داخل الخيام

مختلف أنحاء العالم لاجتذاب السواح إلى القدوم لمشاهدة لبنان .

ج — الصناعات التي ينبغي إيجادها :

على ان الصناعة —ونعني بها هنا الصناعة بمفهومها الصحيح— قد اجتازت المرحلة الصعبة الأولى فهي بعد أن كانت غير موجودة من قبل أخذت بالإنطلاق ، ثم أصبح لها الآن كيان قائم . لقد إجتازت الصناعة فترة التجربة والإختبار فهناك مؤسسات صناعية نشيطة . وهناك جو في تم إيجاده بفضل الجامعات التي تعد الفنيين وبفضل أولئك الذين بعثوا للتدريب في الخارج . غير أن لبنان الصناعي مقبل الآن على مرحلة جديدة . فكيف ينبغي أن يتجه؟ يستطيع المرء إبتداءً بالصناعات الموجودة أن ينظر ما هي الصناعات المتقدمة وما هي الصناعات المتأخرة . ومن ثم أن يدرك ما هي الصناعات المتكاملة والمتوازية التي يمكن ارساؤها على أسس إقتصادية مربحة . وانه ليتبين من قوائم المنتجات الصناعية المستوردة أن في الإمكان إنشاء بعض الصناعات، المتوسطة في لبنان .

هذا ويجب عليكم طبعاً أن تعتنوا بجودة منتجاتكم وأسعارها إذا ما أردتم الوصول إلى الأسواق الخارجية . وكثيراً ما يقال أن لبنان هو سويسرا الصغيرة . والواقع أن هناك بعض التماثل بينهما . ولكن سويسرا لم تتوصل إلى ما توصلت إليه من مستواها الإقتصادي الرفيع إلا بفضل الإجادة التي توصل إليها العمال السويسريون بعد قرون من ممارسة الصناعة التي تحتاج إلى دقة عظيمة . وبالنظر إلى مكانكم من سائر العالم فان سعيكم وراء الجودة في الإنتاج ووراء صنع منتجات تحتاج إلى مهارة متزايدة يمكن أن يفتح لكم مجالاً كبيراً في



– لا وطن ولا استقلال إلا بالوحدة الوطنية

السوق العالمي الواسع . ولكم في ذلك ميزة كبيرة هي مرافقكم التجارية والشبكة التي تتألف من علاقاتكم التجارية المنتشرة في جميع أرجاء العالم .

د – المنطقة الحرة :

وهناك عامل آخر على جانب كبير من الأهمية . هو نجاح منطقتكم الحرة التي يمكن إذا وسعت أن تساعد على توسيع صناعتكم . بل إن في وسعنا أن نتصور إمكان قيام صناعات أجنبية في هذه المنطقة الحرة مما يساعد إلى حد كبير على تدعيم المحيط الفني وهو الشرط اللازم للتوسع الصناعي .

هـ – تنشيط الصناعة في المناطق :

يجب الا يقتصر تفكيرنا على النمو الصناعي في بيروت . بل يجب أن يمتد تفكيرنا الى الإقلاع من المركزية . وأن نتجه بصورة خاصة إلى القصبات المحلية في المناطق

اما أن تركزوا كل شئ في بيروت فانكم تزيدون بذلك من هول هذه المدينة التي تضم ما يقرب من ثلث سكان البلاد والتي سوف تضم بعد سنوات معدودة نصف هؤلاء السكان .

٣ – إمكانات قطاع الخدمات

إن قطاع الخدمات هش إلى حد بعيد ومسألة الخدمات مسألة أخرى لا تقل معرفتكم بها عن معرفتي فقد درستها كلياتكم للإقتصاد السياسي كما درسها مجلسكم للتصميم . إن من أوجه التناقض في لبنان التجاري الذي بلغ العجز فيه ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية . وهو عجز يتوصل لبنان إلى تداركه عن طريق الإيرادات غير المنظورة التي تأتيه من السياحة والنقل والتأمين ومن أرباح الإستثمارات ومن الرسوم المفروضة على مرور البترول . ومن مصاريف المنظمات العالمية . ومن تجارة الترانزيت . ومن غيرها من العمليات الدولية . وتتضافر هذه العوامل كلها على تخفيض هذا العجز إلى حد كبير . على ان ميزان الحسابات الجارية يظل على ذلك في عجز . وانما يتوصل لبنان إلى ميزان ايجابي للمدفوعات في نهاية الأمر عن طريق ما يرسله المغتربون وعما يأتيه من الأموال على سبيل المساعدات الثقافية والخبرية . ثم من

الرصيد الناتج من حركة إنتقال رؤوس الأموال لا سيما من المناطق البترولية ، وهو رصيد إيجابي في معظمه . ومن الواضح أنه ليس في العالم كله بلد له مثل هذا البنيان الإقتصادي . فأوضاعكم تمثل حالة فريدة في نوعها . وإنه لمن دواعي الإعجاب أن تحققوا مثل هذا النجاح ، غير أننا إذا جئنا نتفحص البنود غير المنظورة وانتقال رؤوس الأموال بالتفصيل ، أخذتنا من ذلك رعدة . فهذه الأشياء كلها معرضة للخطر ، بعضها عرضة لخطر عظيم وبعضها عرضة لخطر بسيط ، ولكنها جميعها على كل حال عرضة للخطر . فهذا النجاح العظيم الذي أحرزه لبنان نجاح هش سهل الإنكسار مما يستدعي منا التأمل والتفكير.

إن في ترك لبنان يتمادى في نشوته وهو يندفع في قطاع الخدمات متناسياً إستغلال موارده الطبيعية وتأسيس الصناعة فيه ، خطراً أعظم مما تسمح الحكمة لبلد ما بأن يتعرض له . ان هناك إمكانات كبيرة في قطاع الخدمات يعود الفضل فيها إلى العبقرية الخاصة التي يتميز بها اللبنانيون في الأعمال التجارية على الصعيد الدولي وإلى الشبكة العالمية التي يملكونها . ولكن هذه الشبكة غير مكتملة البناء .

وخلاصة القول أنكم تقفون في مركز الصدارة في هذا العالم . غير أنه إذا انخفضت بعض هذه الخدمات ، فسوف تصبحون بسرعة بلداً آخذاً بالتدهور بحيث لا يمكنه على الإطلاق أن يقيم أود سكانه . وهذا يدعونا إلى أن ننظر في الإطار الذي ينبغي إيجاده للتنمية في بلدكم .

(ج) إطار التنمية :

أود أن أنوه فقط ببعض الإتجاهات الرئيسية التي يجب إتباعها . إن المرء يجب أن يبدأ بما «يعرف» . إذ ليس في الإمكان تحقيق التنمية بدون حصول المعرفة . وليس في الإمكان أن نضمن نمواً كذلك الذي لا بد منه لبلادكم إذا لم تكن لدينا هذه المعرفة .

١ـ دراسة الموارد المائية :

ومن الدراسات التي تفرض نفسها علينا بصورة عاجلة . دراسة الطريقة المثلى للإستفادة من المياه . إن من الضروري بمكان أن يتم توزيع مواردكم المائية التي هي ملك الأمة جميعها بحيث يمكن إعطاء الأراضي قيمتها الكاملة . أي الإنتفاع منها إلى أقصى الحدود القانوني . مما يسمح بإعطاء هذه المياه قيمتها والإفادة منها على نحو ينسجم مع حكم العقل بحيث لا يتمادى أحد في إساءة استعمالها . فهناك من الناس من يبدد من الماء أربعة أو خمسة أضعاف ما يحتاج إليه فيتلف بذلك محاصيله ولا يجني منها إلا القليل .

٢ — التنقيب عن الموارد المعدنية :

التنقيب عن موارد البلاد المعدنية أمر هو الآخر على جانب كبير من الأهمية . وفي لبنان مصادر عدة للخامات المعدنية . فإذا توفرت فعلاً موارد معدنية غنية . وإذا أمكن لطبقات الأرض الجوفية أن تؤمن المواد الأولية للصناعة فان في هذا ما يؤدي بداهة إلى إجراء تغيير في التطور الصناعي . لذلك فانه من الواجب إجراء التنقيب المشار إليه وإن ارتفعت تكاليفه . إذ ان هناك منظمات للإحصاء وللمعونة الدولية الثنائية يمكن الإستفادة من استعدادها لمساعدة مشاريع كهذه . ويجب القيام بهذه الدراسات الإقتصادية اللازمة بمنتهى السرعة لتحديد الخطوط الرئيسية لهذه التنمية . فهناك إجماع عالمي في هذه الأيام على ضرورة الدراسات الإحصائية . إذ انه عندما يراد توجيه إقتصاد معين فان الأمر يتطلب توفر المعلومات المتعلقة بالإحصاءات البشرية والإقتصادية . لذلك فتنظيم جهاز إحصائي يقوم بهذه المهام ويتمكن من تحديد السرعة الإنمائية بشيء من الدقة لهو من الأمور التي تؤثر في مجرى التنمية بأجمعه .



آخ يا بلدنا !

ويجب إلّا يكتفي بجمع هذه المعلومات الإحصائية بل يجب أن يتمكن هذا الجهاز الإحصائي من تفسيرها. إذن يجب إنشاء مصلحة أو جهاز يمكن له أن يتوصل إلى التقديرات الإنمائية المستقبلة. هذه جميعاً أمور يجب أن نجد لها المكان المناسب في المخطط الإنمائي العام في أقرب وقت ممكن

٣ – التخطيط اللازم :

لا يمكن للتنمية ان تتحقق اذا لم يتوفر لها التخطيط. فالتنمية بدون خطة معرضة لعراقيل وعقبات تؤدي الى هدر الجهود ويقف عائقاً في سبيل بلوغ الأهداف المرجوة. لذلك فأنه لمن اهم الامور ان يتوافر لوزارة التصميم العام الجهاز اللازم والميزانية الكافية.

وهنالك عمليات عدّة تقع ضمن اختصاص الدولة. فمن الامور الطبيعية ان تضع الدولة الاساس الذي يقوم عليه البنيان أو الهيكل العام. وقد تحدث فخامة الرئيس الينا البارحة عن القرى الستمائة في لبنان التي لا تزال بلا طرقات. فالطرقات ليست مهمة فقط بالنسبة للسياحة بل لأنها تعين على الاستفادة المجدية من المناطق الجبلية. فأسس البناء، كالهيكل الاساسي الذي تقوم عليه المواصلات والهيكل الاساسي الذي يقوم عليه توليد الطاقة، تقع في اختصاص الدولة.

وهذه الاوجه من الاستثمار الحكومي لا تكون عادة استثمارات مربحة من حيث مردود رأس المال المستخدم، وانما هي مربحة اذا اعتبرنا فائدتها على الصعيد العام. وعلى الدولة ان تساهم بقسط اوفر من الجهد لمساعدة الصناعة وذلك مثلاً عن طريق تخصيص مناطق معينة لبناء المصانع. في طرابلس مثلاً يمكن تخصيص منطقة من هذا النوع لاجتلاب الراغبين في الانشاءات من اللبنانيين أو الاجانب. وسأطرق بعد برهة وجيزة الى المشكلات التي ينطوي عليها هذا الامر من حيث القروض الطويلة الاجل. وتجب الاشارة هنا الى ان التصميم لا يقتصر على تحديد التدابير الواجب اتخاذها من قبل الدولة، بل يتعدى ذلك الى توجيه المجهود الفردي الذي كثيراً ما يتصف بقصر النظر وكثيراً ما يلقي بنفسه في المخاطرات. فاذا ما أخفق هذا المجهود كان ذلك سبباً لا في هدر الموارد بالنسبة لمشروع معين فحسب، وانما في ابطاء حركة النمو والتطور العامين. والتصميم ضروري ايضاً لتحديد اوجه النشاط المجدية وتقسيمها بحسب أولويتها بما يتناسب مع الاحتياجات والامكانات العامة.. كذلك لا يقتصر التصميم على تحديد ما على الدولة ان تبذله من مجهود مباشر، بل انه يساعد ايضاً على توجيه الجهد الخاص في السبيل السوي تفادياً لمضاعفة الاغلاط او تكرير

ما اقترف منها في مشاريعكم الانمائية منذ عشر سنوات أو خمس عشرة سنة ، علماً بأنها اغلاط فادحة الثمن.

وبيروت مثلاً ، مدينة ستتكلف الأموال الطائلة لان نموها لا يستند الى مخطط . لذلك فهو اليوم مصيبة من المصائب.

واذ لم يوجد هذا التنسيق ، كانت حصيلة ما يبذل في جميع المجالات من الجهود التي لا يتمم بعضها بعضاً ، الاستمرار في انتاج لا يرتفع الى مستوى الجودة المطلوب ، وبقاء الاسعار كثيرة الارتفاع والصعوبات في التصدير ، وبالتالي استحالة زيادة الموازنة المعدة للاستثمار في المستقبل وكذلك استحالة تحقيق الشروط اللازمة لتنمية متدرجة ومستمرة.

٤ – التعاون بين الوزارات في سبيل التنمية.

وتحقيق هذا الامر يتطلب اقامة بنيان او هيكل للتنمية ، ولكن ذلك لا يمكن له ان يتأتى حالاً او تلقائياً بل يجب ان يكون الجهازان الحكومي والاداري بأجمعهما مهيأين للتنمية. فالتنمية مهمة تشترك فيها جميع الوزارات . الا ان الوزارات الفنية وكذلك وزارتي التربية والصحة معنيتان بالامر بشكل مباشر ، ويجب ان يجري البحث عن الاصوال الواجب اتباعها للحصول على تعاون وثيق بين السلطات العليا جميعها وكذلك بين هذه السلطات والوزارات والادارات التي تهتم بأمور التنمية.

٥ – الجهاز الاداري الاقليمي.

لا يكفي وجود جهاز ومخطط حكوميين بل يجب ايضاً ان يوجد جهاز اداري اقليمي ومحلي ، لأن التنمية حين تعتمد على جهاز إداري متدرج عمودياً تدرجاً تاماً ، وحين يكون لدى كل وزارة موظفون من اسمى الرتب الى اقلها دون ان يكون هنالك تنسيق انمائي على مستوى الناحية أو القضاء ، فانه من البديهي ان تكون التنمية في هذه الحال قاصرة. لذلك فانه من الضروري ان يوجد في كل محافظة موظفون مختصون بامور الانماء لكي لا تتبعثر الجهود ولكي تتحقق المخططات الانمائية بأقل كلفة وأقصر مهلة . كل هذه الامور تتطلب التنسيق او هي بكلمة اخرى تتطلب. بالاضافة الى النظام العمودي المتدرج المتبع حالياً. ان يصار الى تنظيم اداري افقي يسمح بالبت في الامور وبالدراسة وبالتنفيذ وهي جميعاً شروط اساسية للنجاح. وهذا مما يؤدي بالاصلاح الاداري الذي يدرس حالياً الى تأمين المكان اللائق للناحية التي تقوم على وجود المجموعات الادارية المتكاملة. واقول «متكاملة» لأن جميع الفنيين الذين يعملون في مختلف الوزارات سواء منها الاشغال العامة او الاصلاح الريفي او الزراعة او الصحة. او في مجالات التعليم الفني او الاحصاء وغيرها مما يفوتني ذكره. كل هؤلاء الناس. اذ يعملون سوياً في منطقة يعرفونها جيداً. يساهمون سوياً في اعداد المخطط الانمائي الاقليمي وفي تحقيقه. ولكم ان تتصوروا ما يضيفه هذا الترتيب من حيوية على الاقتصاد.

وبناء على ما تقدم يمكن لكم أن تهيئوا تنظيماً انمائياً. فالعامل البشري متوافر ولكنه يحتاج الى ان يهيأ للانماء. وهذا امر يمكن تحقيقه بسرعة. ونادراً ما تستطيع دولة لا تزال في مراحل التطور ان تجد الشكل الذي يجب ان يصاغ عليه التنظيم الاداري الحكومي الذي يتجاوب مع متطلبات الانماء. اما هنا فان النخبة اللبنانية. والاحصائيين اللبنانيين. والوسط الفني الموجود حالياً. كل هذه تمكنكم من تحقيق نهج مبتكر يصح ان يكون مثلاً يحتذى للانماء في بلاد اخرى.

٦ – تجهيز افضل لقصبات الاقاليم ومراكز الاقضية.

اذا اريد للتنمية ان تنجح فانه من الواجب ان يصار الى تعميمها. لذلك فان على الحكومة

والادارات المركزية والمؤسسات الجامعية في بيروت ان تعمد الى ايجاد الاموال اللازمة لهذا التعميم على شكل مخطط متدرج يؤمن تجهيز مراكز الدرجة الثانية والدرجة الثالثة في البلاد بوسائل التنمية. والمراكز الثانوية هي عواصم المحافظات كطرابلس وصيدا وزحله. اما المراكز الثالثة فتتشكل في معظمها من مراكز الاقضية.

ولا يكفي ان يصار الى تخطيط المدن الكبيرة فقط بل يجب ان تتناول العناية مجموع رقعة الدولة والمراكز التي تأتي في المرتبة الثالثة والا استمر السكان في النزوح الى العاصمة. فتنعدم عند ذلك مظاهر الحياة المحلية اذ تكون العاصمة قد اجتذبت اليها كل شيء.

٧ - تنظيم القروض متوسطة وطويلة الاجل.

يجب ان يصار الى تنظيم القروض. هنالك عدة حلول لهذه المشكلة المهمة. فيمكن مثلاً انشاء مصرف للتنمية واحد. او على النقيض من ذلك ايجاد عدة صناديق لأنواع معينة من القروض. الا ان انشاء مصرف للتنمية يعمل حسب الاساليب المصرفية يمتاز بحسنات عديدة من الناحية الادارية اذا ما قورن بصناديق القروض الصغيرة التي قد تكون اصلح منه في بيئات معينة. فيجب ان يجري الخيار بين هذه وذلك حسب الظروف. اما القروض طويلة الأجل فلا وجود لها حالياً. في حين انها هي التي تصنع الانماء

٨ - زيادة الايرادات المالية:

من البديهي ان يكون في متناول الدولة من الايرادات ما يمكنها من تحقيق التنظيمات اللازمة. واذا لم يكن هنالك من داع لا جراء تعديلات كبيرة في نظام الضرائب. فأن تحسين وسائل جباية ضرائب الدخل تؤمن للدولة دخلا يبلغ في الاغلب ثلاثة اضعاف المبلغ الذي تستوفيه حالياً. ويمكن تخصيص جزء من زيادة ثمن الاراضي الناتج عن التداولات العقارية للمشاريع العامة التي ساهمت في ارتفاع اثمان الاراضي الزراعية واراضي البناء.

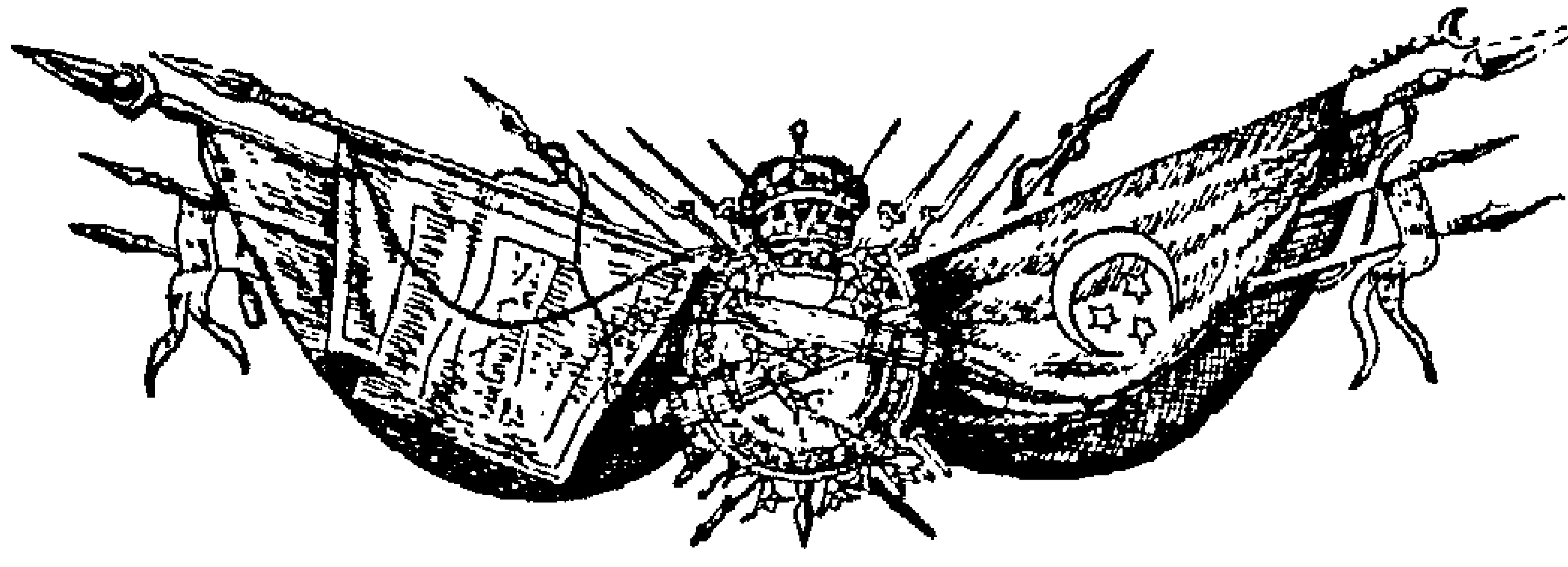
وسوف يكون من شأن اصلاح النظام المالي ان يؤدي بالتدريج الى اعادة النظر بصورة شاملة- فيما يتعلق بالنشاط وبتغيير البنيان الاقتصادي والبنيان الاجتماعي.

نجاح مخطط كبير

ان لبنان إذ يواجه هذه المستلزمات ، ولا سيما التجارب مع زيادة عدد سكانه والتخفيف من الفروق في مستوى المعيشة بين طبقات الشعب ، وموازنة العوامل الايجابية والعوامل السلبية في مجالات التنمية ، فانه يخوض غمار مغامرة كبيرة ، لذلك يجب أن يكون للبنان مخطط كبير ، كما يجب على لبنان أن يضمن لنفسه النجاح وإلاّ يتعرض لخطر الاخفاق.

النخبة والجهد الواعي المتحمس من الشعب. فالاقتصاد الذي يعتمد بهذا المقدار على الخدمات هو اقتصاد هش ضعيف. ولسنا ندري كيف يكون تطور العالم في المستقبل. اذ ان كل يوم يحمل الينا من الانباء ما يؤكد ان كل شيء يمكن له ان يتغير بسرعة لذلك فأن تكييف الاقتصاد مع انواع جديدة من الخدمات امر قد يكتب له النجاح.

وقد يتردى لبنان في ازمات حادة من جراء طبيعة تركيبه الاقتصادي. اذ انه اقتصاد يرتكز على الخارج اكثر مما هو اقتصاد يرتكز على الداخل. فالحذر اذن واجب. وتنفيذ ما توحي به الدراسات من انشاء جهاز للتخطيط واسع الصلاحيات واجراء اصلاح اداري يصل بهذا الجهاز الى القرية، امر ضروري. ومن البديهي ان الحياة يجب ان تنفخ في هذا جميعه. وهذه احدى المهمات التي يجب على الشبان ان يكونوا على استعداد للقيام باعبائها. ولديكم في هذه البلاد شبان يطمحون الى المساهمة في هذا الجهد الكبير الذي لا غنى للبنان عن بذلة لتحسين أحوال جموع الشعوب. ■



معاهدة كوتاهية (١٨٣٣)

اول دولة للوحدة العربية منذ هزيمة الصليبيين

سعيد كريديه

معاهدة كوتاهية ١٨٣٣

■ رأى محمد علي باشا والي مصر عندما تمكن من حكمها ، ان السبيل الوحيد للمحافظة على ممتلكاته هو أن يوسع حكمه إلى البلاد العربية : مصر والسودان وشبه الجزيرة العربية وسوريا والعراق ، وأن يجعل زمام الأمر بيده . وإذا ما تحقق حلمه فإن سلطته على مصر ستضمن له موارد وفيرة من المال والرجال .

وعلى هذا الأساس فإن محمد علي بعد أن قضى على الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، أخذ ينظم شؤونها وعيّن الموالين في الوظائف واسترضى الأشراف وزعماء القبائل . ثم احتل الموانئ اليمنية كالحديدة بعد أن تم له فتح السودان .

كانت سوريا في نظر محمد علي ، كما كانت في نظر جميع حكام مصر منذ أيام الفراعنة ، أكثر بلاد الشرق أهمية لمصر ، وذلك لما بين البلدين من تكامل طبيعي واقتصادي ، وتعود أهمية سوريا (أي سوريا الطبيعية) لدى محمد علي إلى العوامل التاليـة :

١ – حدود سوريا الشمالية تقف عند جبال طوروس ، وهي تشكل حاجزاً طبيعياً يحمي مصر من أي هجوم عثماني محتمل .

٢ – يعتبر فتح سوريا جزءاً من مشروع محمد علي ، وهو تأسيس دولة حديثة قوية تضاهي الامبراطورية العثمانية .

٣ – لأرض سوريا أهمية اقتصادية كبيرة ، ففيها الأخشاب والزيتون والحرير والجلود والمعادن والأنهار وهذه الخيرات تكمل ما هو موجود في مصر وتساعد على تقوية الجيش وتنمية ميزانيته .

إن ما ذكر عن أهمية سوريا يعتبر من العوامل الرئيسية التي دفعت محمد علي لفتحها ، لذلك كان محمد علي يغتنم المناسبات لبسط نفوذه عليها . فطالب بولاية سوريا أثناء محاربته للوهابين أعداء العثمانيين بحجة أنه في حاجة إلى مدد منها لمعاونته في القتال . وأخذ يتودد لزعماء المنطقة كالأمير بشير الشهابي وعبد الله باشا والي عكا . ولما كلفه السلطان بالقضاء على ثورة اليونان أمل محمد علي بالولاية على سوريا كمكافأة من السلطان على صنيعه الطيب . ولكن الباب العالي رفض منحه

إياها. وأخيراً وجد محمد علي عذراً لبدء الفتح أثر النزاع بينه وبين عبد الله باشا والي عكا الذي كانت له مطامع هو الآخر في بلاد الشام إذ ساعد المصريين الهاربين من الجندية ومن دفع الضرائب وامتنع عن تسديد ما عليه من ديون لمحمد علي ورفض إرسال الأخشاب اللازمة لأسطول مصر، وساعد التجار على تهريب البضائع إلى مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء.

وفي خريف عام ١٨٣١ أرسل محمد علي قواته البرية والبحرية بقيادة ابنه ابراهيم، فاستولى على غزة ويافا وحاصر عكا، وفتح القدس وطرابلس وبيروت. ثم سقطت عكا بعد حصار شديد دام ستة أشهر، واتجه إلى دمشق التي كانت في ثورة على الوالي العثماني، فدخلها دون مقاومة ثم هزم القوات التركية عند بحيرة حمص، واستولى على حماه وحلب وهزم جيشاً عثمانياً آخر عند ممر بيلان قرب الاسكندرونة جنوب آسيا الصغرى.

ظن السلطان العثماني محمود الثاني أول الأمر ان معركة محمد علي ما هي إلا نزاع بسيط كما يحدث مراراً. فلم يهتم بها كثيراً في بادىء الأمر. لكن الحقيقة اتضحت عندما تابع ابراهيم بن محمد علي زحفه إلى دمشق واستولى على بيروت وطرابلس، فاعتبر الباب العالي السلطان، هذه الأعمال تحدياً له فأصدر موسوماً بعزل محمد علي وأرسل جيوشه لمحاربته.

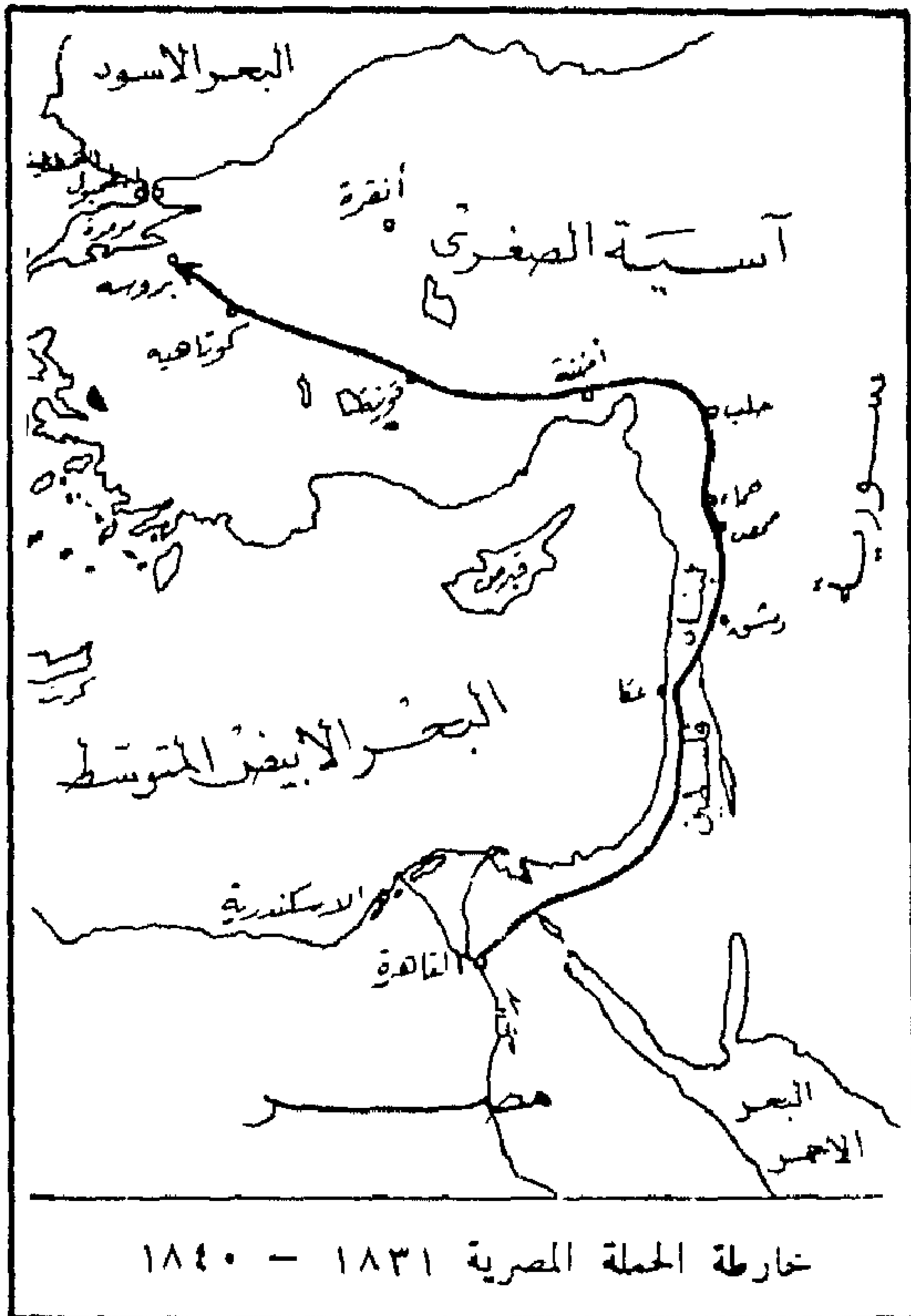
وقد أعلن الأمير بشير الشهابي الثاني والأعيان والزعماء انضمامهم إلى ابراهيم واستقبله السكان في معظم المدن استقبالاً حافلاً وفتحت له المدن أبوابها. وكان إبراهيم يعلن أن جيوشه لن تقف إلا عند الفاصل بين المتكلمين بالتركية والناطقين بلغة الضاد. وقال أنه ينوي احياء القومية العربية واسناد المناصب إلى العرب في الادارة والجيش. وانه يريد أن يجعل منهم شعباً مستقلاً. وكان يذكر هذه الأشياء بمنشورات يوزعها بين الجنود والسكان ويذكرهم بعظمة الأمة العربية وماضيها المجيد وحضارتها الرفيعة.

عندما وصل إبراهيم إلى حدود الأناضول بعد معركة بيلان، عرض محمد علي على السلطان إعطاءه حكومة سوريا ومصر، فلما رفض الباب العالي هذا العرض دخل إبراهيم آسيا الصغرى واحتل أضنه، ألى أن وصل إلى قونية في قلب الأناضول، حيث انتصر انتصاراً رائعاً على الجيش العثماني الكبير وأصبحت الطريق إلى استانبول مفتوحةً أمامه.

أذهلت هذه الانتصارات السريعة المتكررة دول الغرب عامة، وبخاصة:

١ - فرنسا التي أيدت صديقها محمد علي واعتقدت ان اتساع نفوذه هو بالتالي اتساع لنفوذها.

٢ - بريطانيا التي لم ترغب بنشوء دولة قوية فتية صديقة لفرنسا تسيطر على أهم الطرق الموصلة إلى



خارطة الحملة المصرية ١٨٣١ - ١٨٤٠

الهند وتحد من أطماعها في تلك المناطق.

٣ - روسيا التي قلقت من هذا التوسع وخافت من امتداده إلى بقية أراضي الدولة العثمانية فيؤدي ذلك إلى قيام دولة قوية على انقاض الرجل المريض (أو الامبراطورية العثمانية) فتحول دون تحقيق أطماع روسيا القيصرية في السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل.

وقد كانت هذه الدول آنذاك مشغولة بثورات ومشاكل في أوروبا فاكتفت أولاً بنصح محمد علي بأن يوقف القتال. الا ان هذه الدول عادت وعزمت على التدخل جدياً عندما رأت السلطان محمود الثاني سلطان الامبراطورية العثمانية، بعد معركة قونية يقبل مساعدة روسيا العسكرية التي تستجيب لطلبه وترسل أسطولها إلى البوسفور، ويسمح بنزول القوات الروسية في استانبول. لهذا ضغطت كل من فرنسا وبريطانيا على السلطان لإرضاء محمد علي وطرد الروس من بلاده، وفي نفس الوقت أجبرتا محمد علي على عقد الصلح. وتمت المفاوضات بين السلطان ومحمد علي باتفاقية كوتاهية (نسبةً لمدينة كوتاهية التي وقعت فيها عام ١٨٣٣).

مضمون هذه الاتفاقية:

١ - إعتراف السلطان العثماني محمود الثاني لمحمد علي باشا بسلطته على:

(أ) مصر

(ب) سوريا الطبيعية (أي ما يسمى اليوم بسوريا ولبنان وفلسطين والأردن).

(ج) منطقة أضنه جنوب آسيا الصغرى.

(د) جزيرة كريت أو كريد.

٢ - ولي إبراهيم على الحجاز.

٣ - تعهد محمد علي بأن يدفع للسلطان عن سوريا الأموال التي كان يدفعها له الولاة العثمانيون سابقاً أي ما يعادل ١٥٠٠٠٠ جنيه استرليني.

وقد كافأ محمد علي الأمير بشير، باعطائه مزيداً من الاستقلال الذاتي في جبل لبنان.

وهكذا نرى أن دولة عربية قوية قد تشكلت وامتدت من أضنه شمالاً إلى أقصى مصر وأطراف شبه الجزيرة العربية جنوباً ومن الخليج العربي شرقاً إلى حدود ليبيا غرباً. ويمكن القول أنها أول محاولة لتحقيق وحدة عربية حديثة وآخر انتصار عربي. إذ بعدها بدأ الأعاجم باحراز انتصار تلو انتصار تمكنوا من بسط سيطرتهم على كل الوطن العربي.

كما أوجدت هذه المعاهدة أول وحدة بين مصر وسوريا تحت قيادة عربية موحدة منذ جلاء الصليبيين.

والواقع أن ابراهيم باشا كان أكثر ايماناً وحماسة من أبيه للوحدة العربية. فقد نشأ في محيط عربي وتكلم بلسان عربي على خلاف أبيه الألباني الأصل، ونهل من الثقافة العربية، ودرس التاريخ العربي. وظهر لديه ميل قوي لهذه الأمة. واعتقد ابراهيم بأن الدولة التي يرنو اليها والده تزداد قوة وثباتاً إذا قامت في الأصل على بعث امة العرب بعثاً قومياً. ■

المراجع:

كريزي. إدوارد: «تاريخ الأتراك العثمانيين».
هولت. پ. م.: «مصر والهلال الخصيب ١٥١٦ - ١٩٢٢».
حتي. فيليب: «اليقظة العربية».
عرجحاني. يحي: «الشرق الأوسط في الماضي والحاضر».
الخاني. علاء الدين: «تاريخ العرب الحديث والمعاصر».

نحو تاريخ بدون تزييف ...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قراء «تاريخ العرب والعالم» مسألة البت نهائياً فيما اذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض . أم متعاوناً مع الأجنبي . كما يقول البعض الآخر . وبعد الرد الذي كتبه «لتاريخ العرب والعالم» الاستاذ محي الدين قدورة (العدد الـ ٤) . والذي تبنى فيه مدرس التاريخ . وجهة النظر الثانية . ها هو المحامي عصام العريضي . يرد على الرد . مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين . وفاتحاً في الوقت ذاته على صفحات المجلة . معركة يرجى منها أن تسهم في جلاء جانب من الحقيقة . حقيقة هذا السياسي الذي حكم لبنان فترات متقطعة طوال خمس وأربعين سنة .

فخر الدين المعني الثاني

اختلف المؤرخون فيه ... واتفق الشعب

رد المحامي عصام العريضي

تاريخ الأبطال الوطنيين الذين غيّروا مجرى التاريخ ليس أثراً تخلّف عن أصحابه ليدركهُ الفناء فيتبع على حد قول أبي الطيب .

ولأن التاريخ لا يُكتب بالطبشور . وبالتالي لا يموت . كان من الطبيعي أن تستمرّ حياة هؤلاء الأبطال خالدة في شعوبهم أو تنبعث فيهم شعلة هدي ونار ثورة اذا ما ناخ عليهم ليل جهل وتخلّف .

والأمير فخر الدين الثاني هو أحد هؤلاء الأبطال التاريخيين وفي طليعتهم . إلاّ انني اذا كنت قد وضعت الأمير في مقامه اللائق . مستبقاً الأدلّة التي سأعرضها في هذا البحث . فانني لن أنطلق في ردّي على الموضوع الذي تطرحه مجلة «تاريخ العرب والعالم» إلاّ من موضوعيّة علميّة بحتة .

■ رأيي أن هناك ثغرة كبيرة في تاريخ هذا الرجل الكبير يجب أن تُسدَّ حتى تظهر صورته الوطنية والقومية والاجتماعية مجلوة على حقيقتها.

وهذه الثغرة تكمن في الشبهات الحائمة حول علاقاته الخارجية أي حول سياسته الخارجية مع دول غربية كتوسكانه والفاتيكان بصورة خاصة.

ولم أقع الاّ على النادر من المصادر التاريخية التي حاولت أن تدفع القليل من هذه الشبهات. وكانت محاولات غير وافية. أما سائر المصادر فمنها ما استقى من غيره معتمداً النقل دون التدقيق ومنها ما وقف حائراً أمام سياسة الأمير الخارجية فتجاوزها وقفز فوقها إماً قصوراً أو هرباً من هذا الموضوع الشائك ومنها ما طلاها بلون ميوله ورغائبه فجاء الطلاء أبيض حيناً وحيناً آخر أسود.

بيد أن بعض المصادر لجأت إلى الوثائق كأسانيد في كتابة تاريخ الأمير كالأب بولس قرألي. الذي أعلن في مقدمة مؤلفه «فخر الدين المعني الثاني» (١٩٣٧). انه وقف على الوثائق في خزائن توسكانا (وثائق أل مديتشي) وفي خزائن الفاتيكان خلال حكمي البابا بولس الخامس ثم البابا أوربانوس الثامن.

الاّ أن هذه الوثائق بالذات. على قيمتها. ما جاءت الاّ لتعكس رغبة المؤلف في إبراز الأمير وكانّه متعامل مع توسكانة واسبانيا والفاتيكان يتواطأ معها لاستعادة الأراضي المقدسة من أيدي العثمانيين. والحقيقة أننا عدنا ودققنا في هذه الوثائق فوجدناها لاتدين الأمير مطلقاً ولكنها. على العكس. تدفع عنه كل شبهة وترفع جبينه ناصعاً. هذا مع العلم أن لنا رأياً لايلتزم «بعقدة التعامل مع الأجنبي» سنعرضه في سياق هذا البحث.

ومن هنا لم أجد غرابة في معاناة السيد سامي الشامي (النبطية) الذي اختار منبر «تاريخ العرب والعالم» ليزيل شكّه في الأمير المعني. هذا الشك الذي تسرّب إلى نفسه بعد قراءته كتاب الشيخ علي



فخر الدين المعني الثاني. في إحدى صوره القليلة. ويشاهد وهو يدخن غليونا. ويحفر عصا خشبية.

الزين «للبحث عن تاريخنا في لبنان» كذلك لم أجد غرابة في ردّ الاستاذ محي الدين قدورة الذي التزم برأي الشيخ الزين بعد أن عاد وتمعّن في قراءة كتابه. لكن ما استغربته من السيد الشامي طلب محاكمة الأمير (الشوفي) فوراً او دون درس «قضيته». وأنا واثق من أنه بعد أن يطلع على مناقشة الوثائق التي تبرّئ ساحة الأمير– كما سيأتي في بحثنا– فسيطلب محاكمة المؤرخين وكتبة التاريخ لثبوت مسؤوليتهم. تجاه الأجيال الجديدة في تشويه صورة الأمير. هذا التشويه. الذي أقل ما يقال فيه إنه ناجم عن التسرّع وعدم التمحيص وعن انتفاء الموضوعية التي يتطلبها علم كعلم التاريخ. هذا إن لم نقل ان التشويه المذكور مصدره خلفيات طائفية ترسّبت في أذهان لم يستطع العلم أن يجلو صدأها.

أولاً: في مناقشة الوثائق

بما أن الشيخ علي الزين استند في كتابه

المذكور الى رسالة «محفوظة» من الأمير فخر الدين إلى البابا

وبما أن السيد محي الدين قدورة قد أيّد بدوره هذا المستند ثم ارتكزبدوره الى معاهدة ١٦٠٨.

لذا نرى لزاماً علينا مناقشة هذين المستندين منوّهين بأن المجال قصير في هذا البحث التعرض لسائر الوثائق وعسى أن نوفق إلى اصدارها مجتمعة في كتاب بعنوان «سياسةفخر الدين الخارجية».

١ – في الرسالة «المحفوظة» الى البابا :

من العودةالى النص الوارد في كتاب الشيخ علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان) وفي الصفحتين ٢٣٨و ٢٣٩، جاء ما حرفيته : «ومما يشعرنا بملاءمة الظروف» لمحاولات فخر الدين ما تضمنته رسالة (**محفوظة**) منه الى البابا يحثه فيها على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة ويؤكد له فيها أن الوقت مناسب لأن الفوضى ضاربة أطنابها في البلاد العثمانية والضعف باد عليها. وعرض فيها الأمير على البابا أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة (انتهى النص).

ومن مراجعة النص الوارد في كتاب الأب بولس قرألي (فخر الدين المعني الثاني) وتحت عنوانأوربانوس الثامن ص ١٤٣ جاء ما حرفيته : «وفي السنة ١٦٢٤ كتب فخر الدين الى البابا المذكور (والكلام الآتي يضعه الآب قرألي بين مزدوجين) «**حاثاً إياه على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة فالوقت مناسب لأن الفوضى ضاربة اطنابها في الامبراطورية العثمانية والضعف باد عليها. وعاهده أن يضع تحت تصرفه جيشه البّري.. وعرض الأمير أن يذهب بنفسه الى روميه ليتولى تنظيم هذه الحملة المجيدة**» (هنا يقفل المزدوجان) واستكتب بهذا المعنى البطريرك الماروني وأبا صافي الخازن حاكم جبّة بشري، (انتهى نص قرألي)

ومن المقارنة بين النصين يتّضح مايلي :

أ – في نص الشيخ الزين ماهو مأخوذ بحرفيته عن نص الأب قرألي. وهذا يعني أن نص الشيخ مأخوذ من نص الأب.

ب – الكلام الموضوع بين مزدوجين في نص الأب قرألي لا يتبين أنه مأخوذ من نص رسالة لفخر الدين الى البابا وذلك كما يتبين من صياغة النص بصورة الغائب وليس بصورة المخاطب كما هي العادة في الرسائل (مثلاً : حاثاً إياه.. وعرض الأمير أن يذهب..)

ج – والذي يبعث على العجب أن الشيخ الزين اكتفى بما اقتطفه من النص الوارد في الصفحة ١٤٣ من كتاب الأب قرألي ولم ينتقل الى باب«عرض الوثائق» في المؤلف نفسه ليدقق في صحة هذا النص المقتطف وذلك في ضوء ما توضحه الوثائق المعروضة. أما عزوف الشيخ الزين عن هذا التدقيق الواجب على المؤرخ فلست ارى تفسيراً له الآغاية منطوية أو قصوراً في التحقيق واليكم ما ورد في كتاب الأب قرألي نفسه (ص ٢٧٠) في «باب عرض الوثائق» وتحت عنوان «سفارة الخوري يوحنا الحصروني» !

فر الخوري المذكور (الحصروني) في الخامس والعشرين من تشرين الأول (اوكتوبر) سنة ١٦٢٤ وقابل الأمير فخر الدين مقابلة سّرية فسلمه (الأمير) كتاباً بهذا التاريخ الى البابا أوربانوس الثامن يحثه فيه على السعي وراء مشروع الحملة على الأراضي المقدسة. وحمل الخوري يوحنا معه كتابين آخرين وجهها الى الحبر الأعظم البطريرك مخلوف أبي صافي الخازن حاكم جبة بشري تأييداً لطلب الأمير (انتهى النص)

نفهم من هذا النص ان الخوري الحصروني حمل ثلاث رسائل الى الحبر الأعظم واحده منها للأمير فخر الدين

الاّ أنه لدى اطلاعنا على عرض هذه الرسائل – الوثائق **لا نجد أثراً لرسالة فخر الدين المزعومة**.



معركة عنجر. اهم معارك فخر الدين. وقد انتصر فيها على أعدائه الذين سيرتهم الدولة العثمانية لتأديبه.

نجد فقط نص رسالة أبي صافي الخازن (ص ٢٧١). ونجد نصاً ثانياً لجواب البابا اوربانوس الثامن على رسالة البطريرك (ص ٢٧١ — ٢٧٢).

وعندما يصل الأب قرألي الى رسالة الأمير (وهنا بيت القصيد) يقول تحت عنوان «جواب البابا أوربانوس للأمير» ص (٢٧٣) ما حرفيته:

«تعبنا كثيراً في التفتيش على نص كتاب الأمير الى أوربانوس الثامن فلم نعثر عليه»

فالرسالة اذن **غير موجودة باعتراف الأب** قرألي وهو الذي فتح خزائن الفاتيكان ليطلع على الوثائق. ويقول إنه لم يعثر عليها.

فكيف يجيز الشيخ الزين لنفسه أن يقول أنْ الرسالة من فخر الدين الى البابا «**محفوظة**» كما ورد عنده ما حرفيته: «ما تضمنته رسالة محفوظة منه الى البابا» فإذا كان الأب قرألي يعترف بأنها غير موجودة فكيف يجوز للشيخ الزين الذي استند إليه أن يزعم أنها محفوظة! أهذه منهجية المؤرخ المدقق؟ أيحق له أن يورد واقعة لم تحدث أصلاً؟ أليست هذه من مغالطات المؤرخين الذين ينقلون كيفما اتفق؟

د — والطريف أن الأب قرألي يقول انه استدل على رسالة الأمير من جواب البابا اوربانوس الثامن فيضع مقتطفات من هذا الجواب لا يتبين فيها أي ذكر للأمير فخر الدين. بل هي موجهة الى «حفيد قائد الصليبيين» «**غودفروا** دو بويون»! ويستنتج الأب قرألي أن حفيد قائد الصليبيين هذا هو الأمير فخر الدين. أليس طريفاً حقاً، ومضحكاً في آن معاً، أن يكون الأمير فخر الدين الثاني، الذي يعترف الأب قرألي بدرزيته (وكذلك البابا بولس الخامس بنفسه كما سيأتي بيانه) حفيداً لقائد الصليبيين غودفروا دوبويون. أليس مثل هذا التشويه للتاريخ كان وراء الخرافات المتعدّدة ومنها أن الدروز هم من بقايا الصليبيين؟

هـ — وقبل أن نقفل باب مناقشة الرسالة المزعومة أودّ أَنْ أذكّر بأن الأمير فخر الدين كان سنة ١٦٢٤ (وهو تاريخ الرسالة المذكورة) قد بلغ أوج عزّه وأصبح أمير عربستان بفرمان من الدولة العثمانية. وامتدت سيطرته من انطاكية إلى غزّه فكانت القدس على حدوده وتحت تأثير نفوذه. فما هي حاجته في ذلك الحين الى البابا ليكتب اليه لمساعدته على الاستيلاء عليها؟ ألأنّه كان عاجزاً عن ذلك؟ أم لأنّه كان يريد مكافأة الدولة العثمانية التي كانت قد اقرته على «عربستان» فيغضبها بلجوئه الى التآمر عليها مع البابا؟ واذا كان قد استولى على القدس فهل من أجل أن يقدّمها غنيمة باردة للبابا؟ ألهذا الحد كان ينتهي طموح الأمير فخر الدين؟

و – وقبل الانتهاء من علاقة فخر الدين بالفاتيكان تحدثت بعض المصادر التاريخية على معاهدة «اخرى» بين الأمير والبابا سنة ١٩٣٣. ولدى التدقيق في هذه المعاهدة تبين أنها مجرد تقرير رفعه المطران جرجس الماروني رئيس اساقفة نيقوسيا الى البابا أوربانوس الثامن بشأن فتح مملكة قبرص ومدينة القدس. ومن الغريب أن بعض المؤرخين (ومنهم عيسى اسكندر المعلوف) قد أطلق على هذا لتقرير اسم معاهدة فيقول: «هذه صورة معاهدة الأمير فخر الدين مع البابا أوربانوس الثامن» وهي **التقرير الموجز** الذي رفعه سيادة المطران جرجس مارون الماروني رئيس أساقفة نيقوسيا الى قداسة البابا (ص ٢٧٦)

بعد هذا ألا يرى القارىء وجه الشبه بين الرسالة «المحفوظة» – والمعاهدة – التقرير؟

اذا كان من حق سفير أي دولة أن يقدم التقرير المناسب لدولته فهل يمكن أن يسمى مثل هذا التقرير معاهدة في علم القانون الدولي العام!

٢ – في معاهدة ١٦٠٨

شدّد السيد محي الدين قدّورة في جوابه على معاهدة ١٦٠٨. ومما قاله: «هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دولة أوروبا ضد الدولة العثمانية استمرّت نيرانها متأججة فترة امتدت منذ عقد المحالفة المعنية – التوسكانية ١٦٠٨ الى عام ١٦٥٣ (المقصود ١٦٣٥) حين اعدم فخر الدين في الآستانة بسبب استمراره في الأتصال بدول أوروبا الآنفة الذكر» وعلى هذا أجدني مضطراً أن انوّه بالحقائق التالية:

أ – ليس هنالك من معاهدة تسمى معاهدة ١٦٠٨ وإن كانت المصادر قد تناقلتها ومنها لمؤرخين كبار وقعوا في هذا الخطأ دون أن يدققوا. فحتى الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان يذكر هذه المعاهدة (ص ٤٥٦) ثم ينسب المصدر في الحاشية الى الأب بولس قرألي. ومن العودة الى المصدر المنسوب اليه نفاجأ، أول ما نفاجأ تحت عنوان معاهدة ١٦٠٨، وفي الحاشية بالذات: بما حرفيته «**لا تاريخ لنص هذه المعاهدة ولما** كانت المعاهدة مع جانبولاد باشا قد وقعت في ٣ تشرين الثاني ١٦٠٧ ومضت بضعة أشهر بينها وبين هذه فنرجح أنها جرت في ربيع ١٦٠٨ (انتهى النص)

ب – وقصة ما يسمى بهذه المعاهدة أن غراندوق توسكانا أرسل بعثة برئاسة السفير هيوبوليت ليونسي وذلك على أثر هزيمة علي باشا جانبولاد امام الدولة العثمانية. وعقدت هذه البعثة اجتماعاً مع الأمير فخر الدين يتبينّ من خلاصته أن الغاية الأساسية كانت دعوة الأمير الى التوسط للافراج عن ثلاثة أسرى توسكانيين ويقول الأب قرألي أن فخر الدين قد أملى شروطه على البعثة المذكورة لتنقلها الى غراندوق توسكانا. واليكم ما يقوله بالحرف عن مصير هذه المعاهدة: «ولما وصلت البعثة الى توسكانا قدّم الترجمان للغراندوق **خلاف هذا التقرير** شكوى على السفير اتهمه فيها بافشاء سرّ المحالفة في كل الثغور»

ج – من جهة اخرى يقول الأب قرألي في كتابه الأنف الذكر (ص ٢٦٨) ما حرفيته: ويتذكر القرّاء أن آخر وثيقة توسكانية عائدة الى إقامة الأمير في ايطاليا تحمل تاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٦١٥، اليوم الذي، وصل فيه الى مسّينافأمامنا بين هاتين الوثيقتين ثغرة تسع سنوات لا يعقل أن ينقطع الأمير خلالها عن مكاتبة البلاط التوسكاني أن لم يكن من باب المجاملة فمن باب المصلحة. وبين السنتين ١٦٢٤ و١٦٢٩ تنفرج ثغرة أخرى توقعنا في الحيرة نفسها: فأكبر الظن أن هناك نقصاً فيالاسانيدلأن المؤرخ مارتي الذي قبلها قبلنا بقرن ونصف قرن لم يملأ هاتين الثغرتين الاّ بتخيلات خارجة من دماغه مما يدل على نقص حقيقي. انتهى النص.

بعد هذا نقول للسيد قدّورة إن معاهدة ١٦٠٨ هي مزعومة ولا تاريخ صحيحاً لها وهي مجرّد تقرير لم يتسلمه صاحب العلاقة نفسه أي

الغراندوق. ثم أن هذه المعاهدة المزعومة لم تستمر حتى سنة ١٦٣٥ فالمصادر تقرّ بأن هناك «ثغرتين» الأولى تمتد تسع سنوات (من ١٦١٥ الى ١٦٢٤) والثانية خمس سنوات (من ١٦٢٤ الى ١٦٢٩) فكيف كانت «نيران هذه الاتصالات متأججة من سنة ١٦٠٨ حتى ١٦٣٥» كما جاء في رد السيد قدورة.

ثانياً:
في طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين

بعد هذا العرض المقتضب للرسالة المنسوبة أو المزعومة للأمير فخر الدين الى البابا وبعد التعرّض لمعاهدة ١٦٠٨ المزعومة أيضاً. لا بد لنا من أن نلقي ضوءاً على طبيعة العلاقات الدولية للأمير فخر الدين مراعين الظروف الداخلية والدولية التي كانت تحيق بدولته الناشئة. من البديهي أن دولة كالتي بناها الأمير بسيفه حيناً وحنكته ودهائه حيناً آخر لا يمكن أن تكتب لها الحياة اذا لم تجد متنفساً لها. فهي اذن بحاجة الى ان تقيم علاقات طبيعية مع غيرها من الدول - علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية وغيرها واذا عدنا الى الأوضاع التي عاشها الأمير فخر الدين لوجدنا أن سياسته الداخلية قد أملت عليه سياسته الخارجية: فهو من جهة حارب الاقطاعات الصغيرة ووحدها في دولة هي أقرب ما تكون الى الهلال الخصيب فاضطر لذلك الى أن يجابه الدولة العثمانية ويقف في وجهها في عصر كانت فيه الدول الأوروبية تخشى صولتها. ولم تكن مجابهته عسكرية دوماً فكثيراً ما كان يلجأ الى الحيلة والدهاء فيأخذ بالكلام ما لا يضطر الى أخذه بالسيف. ولا ننس أن عداء قديماً قد استحكم بين الأمير والدولة العثمانية التي قتلت والده قرقماس غدراً وبهتاناً وفتكت بالألوف من عشيرته الدرزية بينهم ستمائة شهيد من العقال غدر بهم ابراهيم باشا والي مصر دفعة واحدة في عين صوفر. فمن الطبيعي أن لا يكون ولاؤه للدولة العثمانية. كما أنه لن يكون لدولة أجنبية أخرى. وإذا كان قد اتجه إلى إقامة علاقات مع بعض الدول الغربية ومنها الفاتيكان فلأنه كان مقبولاً لديها نتيجة لتسامحه الديني مع المسيحيين وخاصة الموارنة منهم الذين خلصهم من جور يوسف باشا سيفا بأن قضى على نفوذه قضاءً مبرماً والذين أعطاهم حقوق المواطنية كاملة بعد أن كانوا يعتبرون من أهل الذمة في نظر الدولة العثمانية.

وبالفعل فقد أقام علاقات حميمة مع الفاتيكان وتوسكانا. وهذا من حقه كما كان من حق الدولة العثمانية أن يكون لها حلفاء في الدول الأوروبية كفرنسا وإنكلترا وهولندا والبندقية.

إلاّ أن هذه العلاقات العادية جداً لا يمكن أن نصفها بالعمالة لأنها تعامل دولي بين دولة وأخرى والمعروف أن التعامل غير العمالة. ولو كان الأمر غير ذلك لجاز لنا أن نتهم اليوم كبريات الدول بالعمالة لمجرد إقامتها علاقات ديبلوماسية بينها وبين دولة من معسكر آخر كما هي حال الصين اليوم مع أميركا. وبعد الم يقض فخرالدين خمس سنوات في منفاه في إيطاليا دون أن تقدّم له أية دولة. لا توسكانا ولا الفاتيكان، أية مساعدة سوى أن غراندوق توسكانا توسط له الصدر الأعظم للعفو عنه. أليس في عفو السلطات عنه دليلاً على براءته من العمالة لا سيما وأن الوسيط للعفو دولة كتوسكانة. وهنا نسأل أين مصير المعاهدات، ومنها معاهدة ١٦٠٨، لماذا لم تنفَّذ والأمير ينتظر على أحر من الجمر ويُمنع من العودة إلى بلاده. ناهيك بأن هذه الدول التي أقام فخرالدين معها علاقات ديبلوماسية لم تكن لتغامر بوجودها وأمنها ومصالحها تجاه الدولة العثمانية القوية والتي لها حلفاء من الدول الغربية الأخرى يشدّون إزرها.

ولا بدّ لنا في هذا المجال من أن نذكر ما كان يتمتع به الأمير فخرالدين من قوة ومكانة رفيعة لدى الدول الغربية الصديقة ومنها توسكانا. مما يدل على أنه لم يكن يفاوض من موقع ضعف.

وهاكم رسالة بعث بها غراندوق توسكانا في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٦٠٧ إلى الأمير وهذا نصّها.

«أيها السيد الكلي الشرف.

وفّق الله سموك – أملي منك أنك ما زلت تذكر الرغبة الشديدة التي أبديتها سابقاً لأفوز بصداقتك. تأكد أني ما زلت راغباً فيها ومقدراً إياها حق قدرها لبسالتك وشرف نفسك. ولما كنت قد أوعزت إلى حامل هذه الرسالة أن يقبل يديك بدلاً مني وأن يؤكد لك محبتي أرجوك أن تقبله في حضرتك وتصغي إليه بارتياح وثق بكلامه كأنه صادر مني. فأوصيك به خيراً واقدم لك نفسي للقيام بكل ما يمكنني من أن أخدمك به.

ليفورنو في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٦٠٧.

خادم سعادتكم المحب»

المرجع: يوسف مزهر تاريخ لبنان العام ج أ ص ٢٧٦.

بعد هذه الرسالة ألا يستغرب القارئ قيمة فخرالدين لدى حلفائه حتى أن غراندوق توسكانة قد أوعز لموفده أن يقبّل يدي الأمير عنه؟

وهناك رسالة شهيرة من البابا بولس الخامس نفسه إلى الأمير فخرالدين ومؤرخة في ١٦ كانون الثاني ١٦٠٩ نقتطف منها ما يلي:

«الى فخرالدين أمير الدروز ونيقوميدية وفلسطين وفينيقية.

سلام أيها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الإلهية:

عرفنا الأخ المحترم سركيس رئيس أساقفة دمشق الماروني الذي أمّ روميه لزيارة ضريحي الرسولين القديسين عطفَك على أولادنا المسيحيين وخاصة الموارنة. فبتنا مدينين لك كثيراً لأن ما تفعله نحو أولادنا تفعله نحونا...الخ».

أليس في رسالة الحبر الأعظم ما يؤكد المكانة التي كان يحتلها فخرالدين في علاقاته الخارجية. ألا يبرز ذلك في هذه اللهجة السامية التي يخاطب بها البابا الأمير المعنيّ العظيم معترفاً بفضله وبتسامحه الديني في عصر كانت فيه هذه الفضيلة نادرة. وبيننا اليوم وبين فخرالدين ثلاثة قرون ونصف القرن وبيننا وبين فضيلة التسامح الديني «بيد دونها بيد».

(ثالثاً: ماذا وراء تشويه صورة الأمير).

إختلف المؤرخون على فخرالدين. والناس ما اختلفوا يوماً إلاّ على رجل عظيم. إلاّ أنه بعد ما تقدم من بحث يُثبت تشويه التاريخ وتزويره، نجد أنه من الحيف أن يرمى مثل هذه البطل بفرّية. من ترى يبقى لنا من أبطال التاريخ سالماً إذا شوهنا فخرالدين؟ هذا الثائر الكبير على الإقطاع وعلى الإستعمار العثماني قبل ثلاثة قرون من سقوطه. هذا البطل القومي الوحدوي الذي ما زال قدوة يحتذى سواء في أوضاعنا الداخلية في لبنان أو في التيارات القومية التي تحتضن لبنان. هذا المصلح الإجتماعي الذي حقق أسمى مبدأ نتوق اليوم إلى تحقيقه ألا وهو التسامح الديني والإقلاع عن الطائفية والعصبيات الدينية التي تمعن فينا تمزيقاً.

ومن المؤسف أن يكون بعض المؤرخين وكتبة التاريخ قد أخذوا على هذا الرجل الكبير تساهله الديني فتناولوه من هذه الزاوية بالذات. ومن المؤسف أن يكون قد قصد «تبنّيه» دينياً بنسج الحكايات المختلفة عنه كاعتناقه النصرانية وهو في أواخر حياته وفي حالة المرض كما تزعم الرواية. أو اعتباره حفيداً صليبياً لغودفروا دو بويّون وهو حفيد الأمير معن الذي نزل الشوف مع عشيرته في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد لمحاربة الصليبيين، بعد أن نازل ملك الفرنجة بلوديون بالقرب من انطاكيا. وهذه الروايات تقرب كثيراً من تلك التي تعتبر الدروز من بقايا الصليبيين لأنها من نسج واحد أليس هذا تشويهاً لتاريخنا وإساءة لكرامتنا القومية. فإما أن نصدق الخرافات المشوّهة وإما أن

نعتبر فخر الدين بطلاً قومياً لا متعاملاً مع الدول الغربية لبعث صليبية جديدة. والمعنيون لم يبرزوا في التاريخ إلاّ عندما قاوموا الفتوحات الصليبية فشكلوا حلفاً مقدساً مع العائلات الدرزية العريقة كالارسلانية والبحترية التنوخية وآل نكد وآل تلحوق. هذا الحلف الذي شد أزره الشهابيون عندما قدموا إلى وادي التيم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

يبقى لي أن أقول كلمة أخيرة وهي أن فخر الدين لم يعدم في الآستانة لتعامله مع الدول الغربية كما ذكر في ردّه. إن الآستانة قضت على فخر الدين لتقضي على طموحاته التوسعية التي كانت تهدّد الدولة العثمانية بالتفكك. وقد ذكرت بعض المصادر ومنها المحبي أنه لم «يبق أمام فخر الدين سوى دعوى السلطنة». إن طموح فخر الدين، وربما للوصول إلى عرش السلطنة، هو الذي قضى عليه وقد دافع عن نفسه أمام السلطان مراد فأقنعه وعفا عنه. لكن خصومه في الداخل أوعزوا إلى ابن أخيه يونس ليثير القلاقل ضد الدولة العثمانية. مما أثار حفيظة السلطان فأمر بإعدامه في يوم مشؤوم هو الثالث عشر من نيسان (ابريل) سنة ١٦٣٥.

لنكتب عن فخر الدين ولكن من منطلق وطني وليس من خلفيات طائفية. لأن في ذلك إساءة للرجل الكبير الذي عرف كيف يذيب الطائفية في نفسه ليقتدي بها شعبه. فهو الدرزي إبن بعقلين الذي يكسب ود الفاتيكان لتساهله مع المسيحيين، وهو الدرزي الذي كان يمارس الشعائر الإسلامية حتى في إيطاليا نفسها. فقد ذكر الدكتور حتي في مؤلفه تاريخ لبنان أنّه بنى جامعاً في نابولي واستقدم مؤذناً له للصلاة وهو الذي حلف بحق «زمزم والنبي المختار» ليبني دير القمر من حجر عكار وما زال جامعه في الدير قائماً إلى اليوم. وهو القيسي الذي أذاب العصبية القيسية اليمنيّة بتقربه من اليمنيين وإقامة علاقات القرابة والمصاهرة. فجمع الحزبيين المتناحرين تحت لوائه الذي ضم اللونين الأبيض والأحمر الأول شعار اليمني والثاني شعار القيسي.

والخلاصة أن فخر الدين لم يكن مؤسس دولة بضم أشلائها المتنافرة فحسب، بل كان باني عمارة شعب بأسره لا تتحكم بمصيره طائفية أو إقطاعية او عرقية. ولم يكن مرتهناً في علاقاته السياسية الداخلية والخارجية. وإذا كان قد أجمع عليه شعبه قديماً وحديثاً فليس من العدل أن يختلف فيه المؤرخون حتى لا تتشوه صورته الوطنية الصافية وحتى لا يتناول التشويه حاضرنا في لبنان وماضينا معاً.

١ - الخوري بولس قرألي «فخر الدين المعني الثاني» أمير لبنان. إدارته وسياسته. ١٥٩٠ - ١٦٣٥ (حريصا. مطبعة القديس بولس. ١٩٣٧. الأجزاء الثلاثة).

٢ - أحمد بن محمد الخالدي الصفدي «لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني» (منشورات الجامعة اللبنانية. بيروت ١٩٦٩. رستم البستاني).

٣ - الدكتور فيليب حتي «تاريخ لبنان» منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة الدكتور أنيس فريحة. مراجعة الدكتور نقولا زيادة. دار الثقافة. بيروت. الطبعة الثانية آذار ١٩٧٢.

٤ - عيسى اسكندر المعلوف «تاريخ فخر الدين المعني الثاني» (جونية. مطبعة الرسالة اللبنانية. ١٩٣٤).

٥ - عزيز الأحدب. عميد ركن. «فخر الدين إن حكى» دار الكتاب اللبناني.

٦ - عزيز الأحدب. عميد ركن. «فخر الدين مؤسس لبنان الحديث» (دار الكتاب اللبناني).

٧ - دكتور عبد العزيز نوّار: «دراسات في تاريخ لبنان الحديث». جامعة بيروت العربية. كلية الآداب. قسم التاريخ والجغرافيا. السنة الرابعة.

٨ - «مجلة فخر الدين» وما يضاف بعد؟ إعداد المجلس الدرزي للبحوث والانماء. جريدة «النهار» ١٩٧٧/١٠/٣٠

٩ - ردّ محمد العريضي على الدكتور كمال الصليبي. جريدة «الزمان» العدد ٤٦٩٨ تاريخ ٨ آب ١٩٦٦

الجغرافية عند أصحاب الحضارات القديمة

وجيه عضاضة

ولدت الجغرافيا كفرع من شجرة المعرفة الإنسانية في أرض الحضارات القديمة. وأخذت على مر الزمن تنمو وتتطور حتى اكتملت اليوم علماً ثابت الأصول قوي الأركان.

في المرحلة الأولى من هذه الدراسة نقسم المعرفة الجغرافية إلى ثلاثة أقسام :

أ : آراء ومعتقدات تتصل بشكل الأرض ومركزها من الكون.

ب : معلومات عن العالم المعمور.

ج : معرفة بعمليات حساب الزمن وقياس الأرض والمحاولات الأولى لرسم الخرائط.

وهذا عرض للمعرفة الجغرافية وفقاً للتقسيم المشار إليه عند المصريين والسوريين والبابليين والفينيقيين والصينيين.

فيما يتعلق بالخلق تقول نظرية المصريين القدماء بأن الأرض والسماء قد نشآ في المحيط الأزلي الذي يعتبر بداية لكل خلق. فمن ذلك المحيط أن إله الشمس الذي كانوا يعرفونه باسم « أمون – رع » وُلد من زهرة « لوتس » كانت نامية على سطح المحيط، باعتبار أن الماء هو أساس كل شيء وأصل كل خلق. ثم ارتفع بارزاً من المحيط وقام بخلق إله الهواء « شو ». ثم جعله يقوم بفصل اخته « نوت » (السماء) عن أخيه « كب » الأرض)..

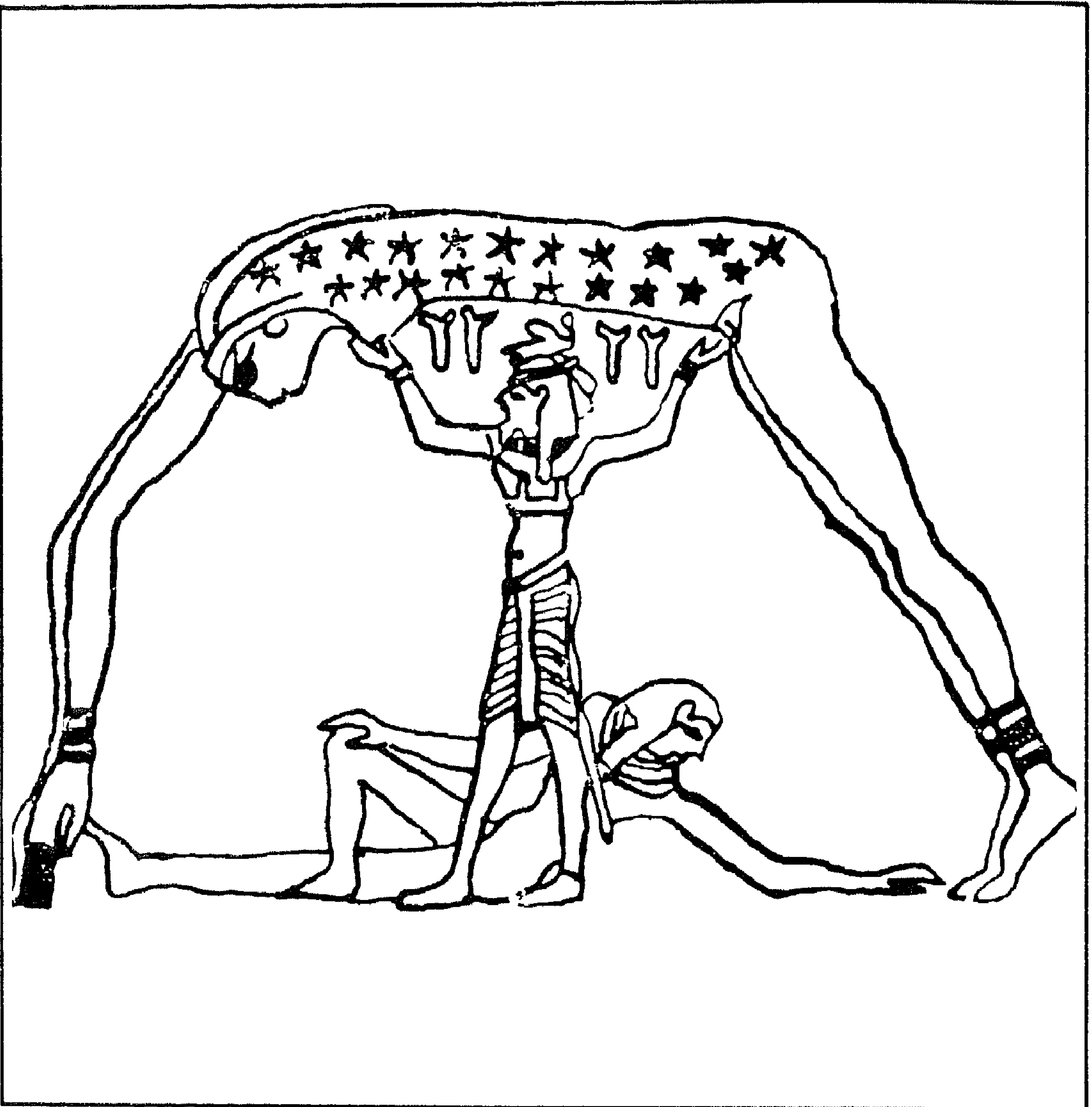
وجيه عضاضة : مدرس مادة الاجتماعيات في المدارس التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية.

لقد صور المصريون القدماء تلك الصورة الأسطورية بشكل يبين طريقة فصل السماء عن الأرض.

وصوروا إلهة السماء « نوت » تحيط بالسماء حاملة نفسها على يديها وقدميها. كما يجعل إله الأرض « كب » ممدداً على الأرض أما الإله « شو » فيقف في الوسط بعد أن رفع « نوت » على يديه. واعتقد المصريون القدماء كذلك بأن الإله « شو » ربما كانت تساعده في حمل السماء أعمدة أو جبال عند الأفق.

لقد تصور المصريون القدماء الكون على هيئة صندوق شكله متوسط بين البيضي والمستطيل. وأطول أبعاده يمتد بين الشمال والجنوب وأقصر أبعاده بين الشرق والغرب. وتكون الأرض (ومصر في وسطها) القاعدة المنبسطة أو المقعرة قليلاً لهذا الصندوق، بينما تكون سلاسل من الجبال جوانب الصندوق وأركانه وتكون السماء غطاءه. كذلك اعتقدوا بوجود نهر سماوي عظيم يجري على إرتفاع قريب من مستوى السلاسل الجبلية المحيطة. هذا النهر يجري حول الأرض باستمرار. وما النيل إلا فرع من هذا النهر السماوي يأخذ منه عند شلال عظيم يقع قريباً من ثنيته الجنوبية. ولهذا فأن الجنوب كان عند المصريين أهم جهة أصلية. وقد حددوا على أساسها بقية الجهات.

وقد تصوروا الشمس والقمر والكواكب آلهة تحملها قوارب تتحرك على ماء النهر السماوي



عقيدة قدماء المصريين في خلق العالم

بسرعات مختلفة. وعندما يكون القارب متجهاً من الشرق إلى الغرب ماراً بالجنوب يكون النهار. ويحتجب الضوء ويكون النهار عندما ينحدر القارب في رحلته من الغرب إلى الشرق ماراً بالقمة الشمالية. أما كسوف الشمس فقد فُسِّرَ بأن إله الشمس كان أحياناً يدخل في معركة مع ثعبان عظيم في النهر السماوي مما كان يمنع ضوءه من الوصول إلى الأرض. وكان تغير أوجه القمر في رأيهم يرجع إلى أن هذا الإله كان يموت ويولد من جديد ١٢ مرة في السنة. فعندما يصبح بدراً في منتصف كل شهر تنقض عليه خنزيرة لتنزعه من صفحة السماء وتلقي به في النهر السماوي هناك؛ ينطفئ نوره ويختفي عدة أيام. كذلك كانت الكواكب آلهة تحملها قوارب تسبح في مياه النهر السماوي ولكن تختلف في إتجاهاتها وسرعاتها. أما النجوم فهي في ظنهم مصابيح تتدلى من قبة السماء الحديدية بواسطة حبال حديدية أيضاً.

أما عن إهتمام البابليين بخلق الكون فتحكي الأساطير أنه قبل معرفة السماء والأرض كان يوجد البحر والمحيط. وفي أسطورة بابلية أخرى نجد

اعتقاداً آخر مفاده أن الإله قهر تيامات الممثلة للقوة أو السلطة الأقدم للكون، قبل تكوينه او ما يسمى «باهيولي». فَلِقَ هذا الإله إلى فلقتين كما تفلق صدفة السمكة. فكانت الفلقتان هما الأرض والسماء.

أما فيما يختص بالأرض فقد كانت معتقدات البابليين غير ناضجة:

فتقول أساطيرهم أن الأرض قفة[1] مقلوبة طافية على الأوقيانوس بمعنى انها تشبه قبة محدَّبةً ضخمةً أو جبلاً هائلاً بارزاً من العمق الأزلي. كما أن آلهتهم تسكن فوق الجبل بل وتستقر الأرواح بعد مفارقة الأبدان في عالم سفلي خاص.

واعتقد البابليون كذلك بأن الأرض تتكون من سبع طبقات وبأن الشمس تختفي ليلاً خلف جبل في شمال الأرض.

ماذا عن معرفة القدماء بالعالم المعمور؟

كانت معرفة القدماء بالعالم المعمور تزداد بالغزوات الحربية وبنشاط التجارة وبالرغبة في الرحلة وكشف المجهول والتعرف على الشعوب الأخرى. هذه المعرفة كانت محدودة نسبياً تتخللها الأساطير والخيالات. وسبب ذلك هو ضعف وسائل التنقل والحركة وانعزال الحضارات. فقد عرف المصريون القدماء جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا عن طريق الغزوات والتجارة. كما هدفت رحلاتهم إلى سواحل البحر الأحمر للوصول إلى «الأرض المقدسة» بونت أي بلاد الهند. حيث يشرق إله الشمس.

أشهر الرحلات هذه تلك الرحلة التي أرسلتها الملكة حتشبسوت عام ١٥٠٠ ق.م.. وكانت مكونة من خمس سفن.

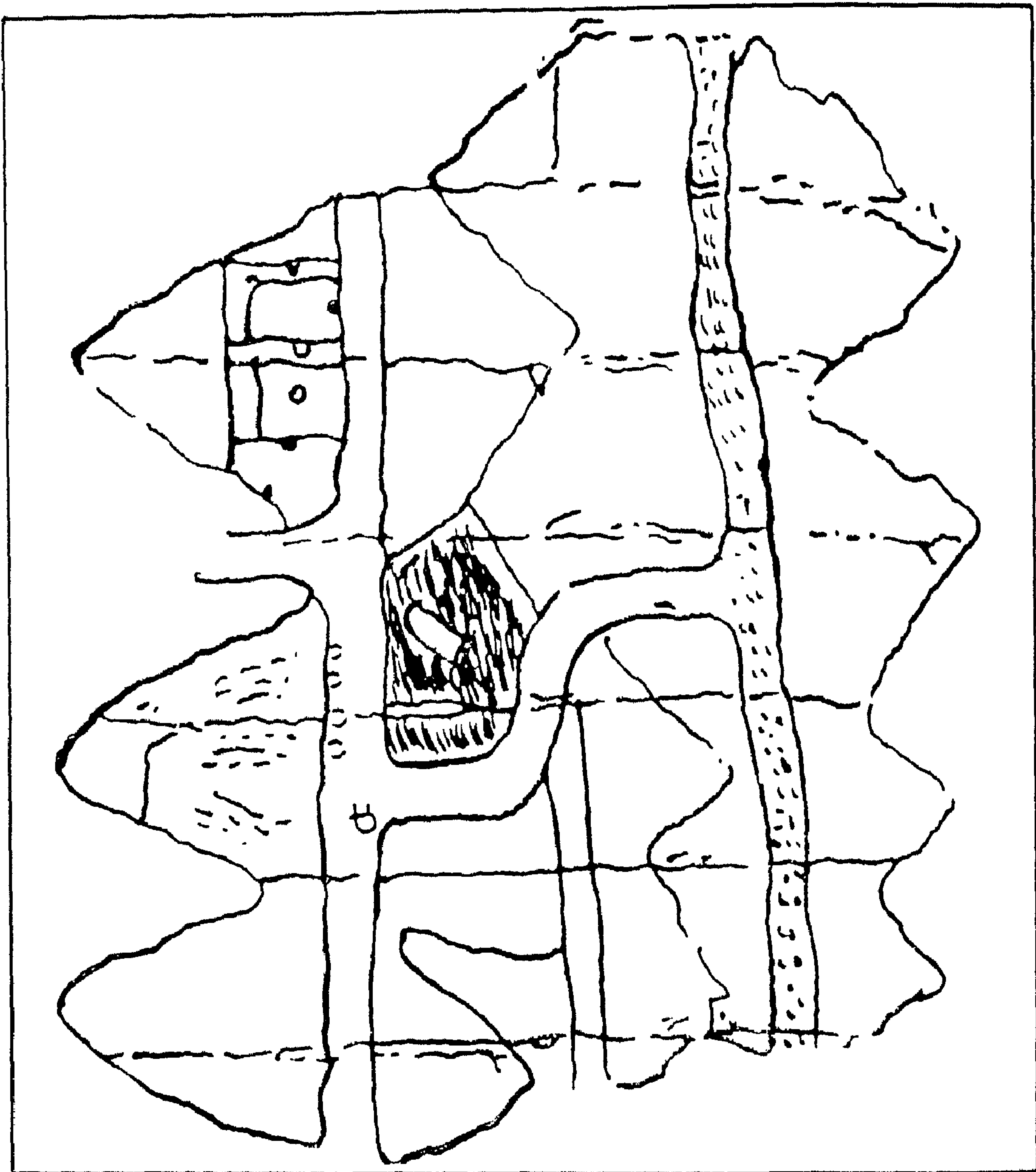
وكان هدف هذه الرحلة هو جلب شجر البخور لكي تزين الملكة المصرية معبدها الجميل. تحدوها الرغبة في أن تجعل للإله «آمون» بونت أخرى في حديقة المعبد. وعادت السفن محملة بعجائب بونت التي لم تجلب لأحد من الملوك السابقين. فمن ذلك، البخور والتوابل والأخشاب الثمينة والعاج والعبيد والببغاوات...

كما توغل المصريون القدماء جنوباً عن طريق نهر النيل ودرب الأربعين إلى السودان. فتجمعت لديهم معلومات عن بعض الشعوب الأفريقية. وتحكي الأساطير أن هنالك أقواماً من الناس ذوي صفات غاية في الغرابة: فمنهم من لا لسان له أوليست له قصبة أنف. ومنهم من له وجوه شبيهة بوجوه الكلاب، ومجموعة أخرى لكل فرد فيها عين واحدة في الصدر وليست في الرأس. كما امتدت غرائب قصصهم إلى عالم الحيوان أيضاً. فذكر مثلاً عن وجود حمير لها قرون. ووحوش ضارية ذات خطر شديد كالثعابين مثلاً.

ولقد وجه البابليون أهتماماً خاصاً إلى التعرف على بلاد فارس وبلاد حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي والجزيرة العربية ومصر. وذلك عن طريق التجارة والفتوحات ولذلك فقد اهتموا كثيراً بعلم الفلك لإرتباطه المباشر بالملاحة البحرية. كما بنوا لهذه الغاية سفناً أبحروا بها على طول سواحل البلدان المذكورة.

إحتفظ الفينيقيون لأنفسهم بأسرار الطرق التجارية والمعارف الجغرافية حرصاً على مصادر بضائعهم ومنابع ثرواتهم ورخائهم. وكان الفينيقيون يفضلون الموت على أن يبوحوا بأي من أسرار تلك الطرق التجارية في البحار. ومما يدون بصدد ذلك ان إحدى السفن الفينيقية تعقبتها ذات مرة سفينة رومانية. فما كان من السفينة الفينيقية إلا ان جنحت إلى أقرب ساحل وتوقفت تماماً عن الرحلة، إلى أن يئست السفينة الرومانية وابتعدت عنها.

وليس بغريب أن يكون الفينيقيون هم الذين ابتكروا القصص المخيفة عن أخطار ركوب البحر ليخلوا لهم المجال ويحتكروا التجارة البحرية وحدهم.



خريطة مصرية قديمة تبين الطرق الى مناجم الذهب

وقام الفينيقيون بتأسيس عدة مستعمرات لهم في حوض البحر المتوسط . فكان لهم مستعمرات في قبرص وصقلية وسردينية وكريت وغيرها . وكانت أعظم محطاتهم التجارية قرطاجة التي أسسوها عام ٨٠٠ ق.م . وتقع مكان مدينة تونس الحالية في شمال أفريقيا . أما عن الرحلات الفينيقية في المحيط الأطلسي والتي اجتازت فيها السفن الفينيقية أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) . فقد كشف الفينيقيون سواحل أفريقيا الغربية وبنوا عليها محطاتهم التجارية . وكان الفينيقيون أول الشعوب التي اكتشفت هذه السواحل . وكانت قد ظلت مدة طويلة مجهولة تماماً . وقد تعرفوا على شعوبها القديمة كعناصر البربر في وادي دراع . وكذلك رأوا في شمال نهر أورور قطعاناً من الفيلة الوحشية . بينما

هاجمتهم في السنغال شعوب بدائية تشبه إنسان العصر الحجري الحديث في ملبسه وسلاحه.

وقد تعرّف الفينيقيون على تجار بلاد البحر البلطي وتبادلوا معهم الكهرمان. كما كان لهم علاقات إقتصادية بأهل إقليم كورنوال.

أما عن إهتمام الصينيين بالرحلات البحرية فيعود إلى تشجيع الملاحين العرب الذين كانت لهم خبرة واسعة بركوب البحر. فقد ورد في كتاب المسعودي أن أقدم رحلة صينية ترجع إلى النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. وقد عبرت نهر الفرات عند الحيرة. فضلاً عن الحوليات الصينية التي إجتازت البحر من كانتون إلى الفرات كذلك قام الصينيون برحلات من سيلان (سريلانكا) إلى ساحل مالاباز وعبروا أيضاً كامبي حتى وصلوا إلى ديو. وكان لهم إهتمام خاص بجزيرة سيلان لاعتناقها البوذية.

وكان أول ما اهتم به الصينيون الكشف عن معالم العالم الآسيوي وقلب آسيا وبعض أقاليمها الواقعة إلى الشرق من جبال زاجروس.

حساب الزمن والمساحات

أما عن الجانب الثالث من المعرفة الجغرافية وهو المتعلق بحساب الزمن والمسافة والتفكير في عمل الخرائط. فقد راقب قدماء المصريين ما في السماء من نجوم وحددوا مواقعها ورصدوا تحركاتها وقسموا السنة إلى ٣٦٥ يوماً وربع اليوم. وقسموا السنة إلى إثني عشر شهراً. وكانوا يقيسون الأرض الزراعية لتحديد الضرائب بواسطة حبل طوله مائة ذراع. كذلك توصل المصريون إلى حساب مساحة الشكل المربع والمثلث وتقدير حجم الشكل الهرمي.

أما الخرائط التي تركوها فهي توضح الطرق ومناجم الذهب في الصحراء الشرقية وتعود هذه الخرائط إلى الأسرة التاسعة عشر (١١٠٠ ق.م.) وتوجد الآن محفوظة بمتحف تورينو ومرسومة على ورق البردى.

وبرع البابليون في علم الأرصاد الفلكية. رغم الادوات البسيطة التي استعملوها لهذا الغرض. فقد استخدموا المزولة[٢] الشمسية.

كما عرفوا بعض النجوم القريبة من الشمس: عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. ووضعوا تقويماً قمرياً. وقسموا الشهر القمري بين ٢٩و ٣٠ يوماً. وقاموا بتسجيل ظاهرة الخسوف والكسوف.

إن أقدم الخرائط البابلية المحفوظة. موجودة حالياً في جامعة هارفارد الأميركية. وهي المعروفة باسم لوحة جاسور نظراً لأنها اكتشفت في مدينة جاسور. الواقعة شمالي بابل. ويرجع تاريخها الى عام ٢٥٠٠ ق. م. وهذه الخريطة عبارة عن لوحة من الطين بعداها ٧ سم و ٩ سم تقريباً. عليها أحد الأنهار تحيط به رموز من الجانبين.

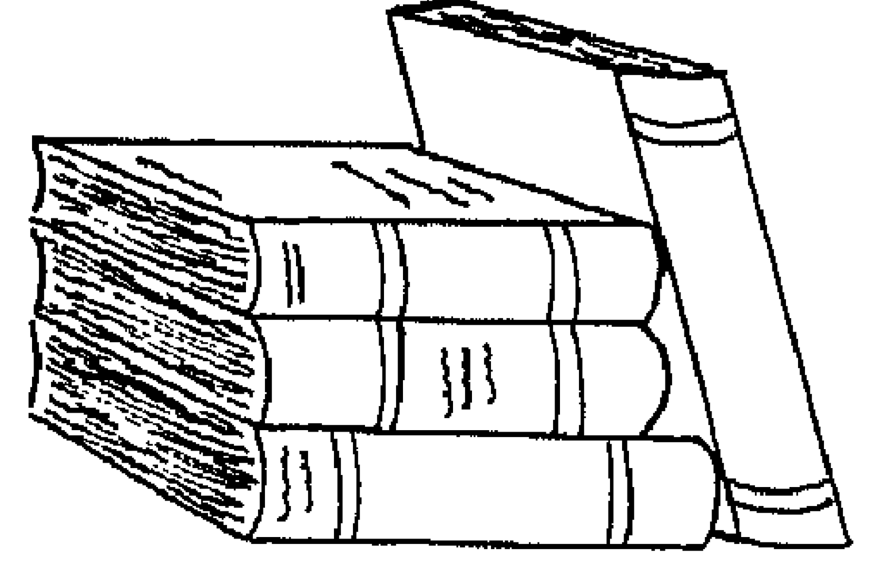
أما أهم الخرائط البابلية التي أثارت الأنتباه والدهشة بشكل استثنائي. نظراً لأنها تكاد تكون إحدى العجائب والغرائب. فهي خريطة للعالم. وهي تعتبر تغييراً كبيراً في مفهومهم للعالم. وتعود تقريباً الى القرن السادس قبل الميلاد. وهذه الخريطة تصور العالم على شكل قرص مستدير يحيط به البحر من جميع الجهات.

أما عن اهتمام الفينيقيين بالنجوم فقد استخدموها للسفر ومعرفة طريقهم في البحر ليلاً. وكذلك الصينيون. فالتقويم الفلكي معروف عندهم منذ زمن طويل. أما الخرائط فقد اهتموا بها بعض الشيء وان كانت لا تستند الى اسس علمية. لكنها كانت ضرورية لقياس الأرض الزراعية وتحديد الضريبة ومصادر المياه. وكانت تبين المناطق المرتفعة عن المناطق المنخفضة. كما تبين الاتجاهات والانحناءات.

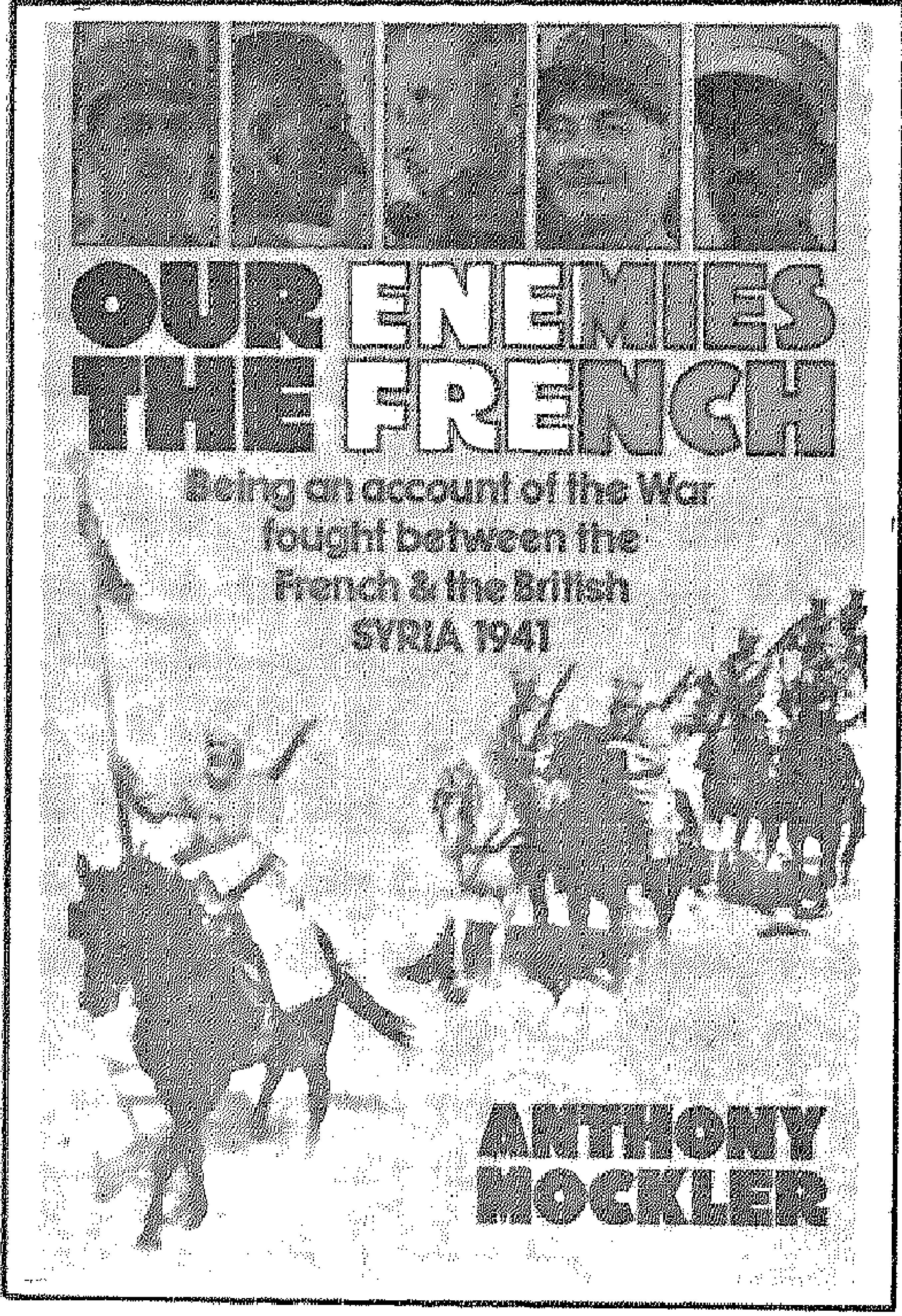
---

(١) «القفة» قارب مستدير الشكل كان يصنع من نبات الحلفا والبردى ثم يطلى بالقار وكان هذا النوع من القوارب يستعمل في بلاد ما بين النهرين منذ أقدم العصور.

٢ - قضيب بنظام خاص يقيس بالظل زاوية الشمس.



عرض كتاب



أعداؤنا الفرنسيّون

تقرير عن الحرب بين الفرنسيين والانكليز في سوريا

تأليف : انتوني موكلر
عرض : عايده نعمان

■ يعرف المؤلف كتابه في المقدمة بقوله انه مجرد تاريخ عسكري لحرب وقعت من أجل السيطرة على سوريا في عام ١٩٤١ وانه لا يختلف عن غيره من كتب التاريخ العسكري بكل ما تتميز به من تفاصيل. سوى ان المتحاربين كانوا في شك دائم انهم لا يحاربون عدوهم الحقيقي. يستثني من ذلك فوزي القاوقجي ورجاله الذين كانوا يدركون انه لا بد لهم من محاربة الانكليز ويدركون أيضاً لماذا يحاربونهم.

ينطلق المؤلف من قناعات اساسية كما يذكر وهي انه رغم شدّة التداخل والتشابك في أحداث الشرق الادنى حينذاك هناك ثوابت لا يمكن تجاهلها وهي :

أولاً : ان الامة العربية وحدت فعلاً كوحدة سياسية وثقافية. وما كان يحل في جزء منها كان يؤثر في الجزء الآخر.

ثانياً : في المنطقة حينذاك كانت هناك ثلاث قوى وهي تركيا وفرنسا وانكلترا. وكانت هذه القوى على وفاق تام على اقتسام مغانم المنطقة بحيث لم يكن للالمان أو لأية فئة ثورية عربية من حظ في إحداث أي تغيير يذكر.

ثالثاً : مهما صغرت أو كبرت التناقضات بين القوى الثلاث المذكورة كانت مجمعة بل مصممة على منع المانيا أو حليفتها ايطاليا من تعكير التوازن الحاصل في الدول العربية.

في الرابع عشر من حزيران ١٩٤٠. وبينما كان الماريشال بيتان يعلن هزيمة فرنسا واستسلامها كان السفير البولوني في أنقره يسر في أذن السفير البريطاني : «لماذا لا تتحرك قواتكم وتحتل سوريا؟» ولم يكن اقتراح السفير البولوني مجرّد مصادفة إذ في حمص كانت هناك قوة بولونية من أربعة آلاف رجل ممن افلتوا من مذابح الالمان في بولونيا لتسعة أشهر خلت. هذه القوة لم يكن ليثير

عايده سليمان نعمان. نالت ب.ع. أدب عربي من كلية بيروت للبنات. وماجستير علم المكتبات من جامعة مينيسوتا. الولايات المتحدة الأميركية. درست علم المكتبات في كل من الجامعة اللبنانية. كلية الاعلام والتوثيق. وكلية بيروت الجامعية حاليا. رئيسة قسم الاعارة في مكتبة يافث. الجامعة الأميركية في بيروت.

حماستها أكثر من دعم أي تحرك انكليزي يبعد شبح المانيا عن الشرق. أما الانكليز فكانوا يتساءلون إذا ما كانت هزيمة فرنسا ستعني حكماً سقوط مناطق نفوذها تباعاً بيد الالمان. بل كانوا يتساءلون أكثر من ذلك: لماذا لا تسقط هذه المناطق تحت نفوذهم هم، وخاصة تلك المتاخمة لمناطق وجودهم. بل من أحق منهم في وراثة حلفاء الأمس وخاصة في سوريا ولبنان وجيشهم على بعد أميال في فلسطين أو بعض مناطق العراق؟.

سوريا أصبحت فجأة في الواجهة وكأنها امتداد لخطوط النار في أوروبا. الصراع حولها ليس فقط بين الانكليز والفرنسيين ولكن بين الفرنسيين أنفسهم بما يشبه الحرب الاهلية ولكن فقط في صفوف الجيش. من بيروت كان الجنرال دانتز المفوض السامي الفرنسي وممثل حكومة فيشي يحاول ما استطاع تثبيت سيطرته على سوريا لدعم حكومة فيشي بينما اعتبر الجنرال ديغول ان محالفة الانكليز في حرب ضد قوات فيشي في الشرق الاوسط هو جزء من قتاله ضد المانيا. لذلك أرسل بكاترو الى الشرق لينظم الحملة وليشق ما استطاع القوات الفرنسية التي كانت ما تزال تدين لدانتز أو لحكومة فيشي.

في هذا الوقت كان راديو برلين يغدق الوعود على العرب «إذا نجح المحور في الحرب فسوف تنشأ أمة عربية حرّة يكون لبنان وفلسطين جزئين منها ولن يكون هناك وطن لليهود. ولم تكن هذه الدعوة لتذهب هباء إذ كتب الحاج أمين الحسيني إلى هتلر في عام ١٩٤١ يقول:

«يا صاحب السعادة،

ان بريطانية ذلك العدو الظالم والخبيث، العدو الحقيقي لتحرر العرب. لا تكل عن صنع الاغلال لاستعباد الشعب العربي واذلاله».

وختم رسالته بتمني النصر السريع لهتلر ولجيوش المحور! يقول المؤلف ان هذه المشاعر لم تكم وقفاً على الحاج أمين الحسيني في تلك الفترة وانما كانت مشاعر معظم العرب التواقين الى الحرية وغير القادرين على التعبير عنها.

في حين راجت شائعات ان الالمان سيتوجهون الى الشرق. أبرق الجنرال دانتز الى حكومة فيشي يقول: «انني الآن في مواجهة تهديد ديغولي-انكليزي. وما لم أظهر انني ادافع عن فرنسا ولست بصدد دعم أو عداء للالمان. ما لم اظهر بهذا المظهر فسيكون مصيرنا الانهيار».

ولكن كانت ردّة فعل ديغول برقية أرسل بها إلى الجنرال كاترو يقول ان السرعة وحدها تقرر مدى نجاح أو فشل الحملة الى دمشق. يجب أن تزحف توا الى دمشق. حتى ولو بلواء واحد. ان ما يستتبعه ذلك من الوقع النفسي سيضمن النتائج.

وبالفعل بدأ الفرنسيون الاحرار زحفهم على سوريا ولبنان وكذلك الانكليز الذين لم يكن ليعيق تقدمهم نحو تدمر إلاّ الهجمات الخاطفة الآتية في جنح الظلام من الصحراء بقيادة فوزي القاوقجي الذي كان الانكليز يجدّون في البحث عنه لاعتقاله اينما وجد.

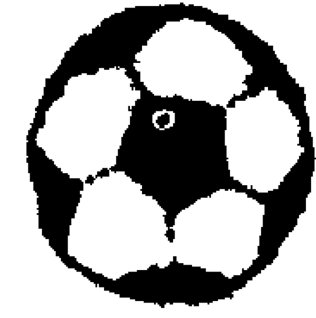
كانت الحرب حينذاك تبدو وكأنها حرب الجميع إلاّ أهل المنطقة بالذات. كان الانكليز يحاربون بفرق من كل لون وجنس من جميع مستعمراتهم. وكان هناك السنغاليون والشركس وقوات فرنسية. من شمال افريقيا. وكان الانكليز يحاربون بالاوستراليين وبفرق من الهند والبنجاب وغيرها. حتى ان أحد الضباط الفرنسيين صرخ بزميل انكليزي بعد إحدى المعارك «ان هنودكم حقاً رائعون».

اللبنانيون والسوريون كانوا يرقبون عن بعد. لم تكن الحرب لتعنيهم. الانكليز يحاولون توسيع سلطتهم لتشمل الهلال الخصيب الفرنسيون بحربهم هنا يوفرون على انفسهم حرباً أهلية غير ممكنة بوجود الالمان المنتصرين. كان الأهالي فقط يودون انتهاء الحرب وعودة السلم بصرف النظر عن النتائج. إذ حين ضرب الانكليز قصر الصنوبر مقر القيادة الفرنسية أرسل دانتز الى فيشي يقول: «لقد هدم مقرّي. كذلك ضربت بيروت بالمدفعية دون سبب سوى إثارة المواطنين ضدي. انهم على كل حال يدعونني بالجزار ويجدون مقاومتي ضرباً من السخرية».

لم تكن الحرب حرب اللبنانيين ولا السوريين. لم تكن من أجل سوريا أو لبنان، إذ حين انجلت عن انتصار الانكليز والديغوليين، دفنت جثث ثمانمائة فرنسي قتلوا في معارك بعضهم مع البعض، دفنت كلها معاً في مقبرة الفرنسيين في دمشق وكتب فوقها جميعاً «ماتوا من أجل فرنسا».

المرجع

''Our ennemies the French''
by Antony Mockler, London
Leo Cooper, 1974



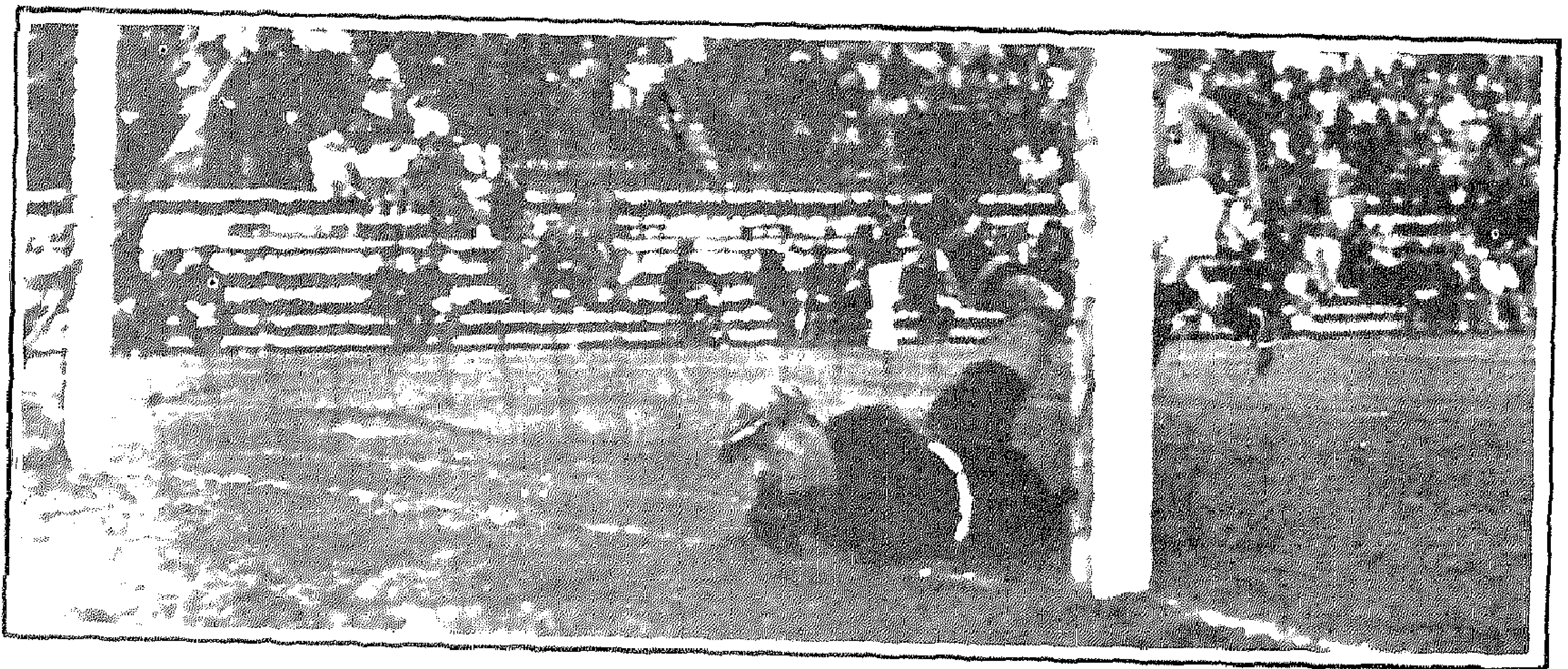
ايطاليا رعت بطولة ١٩٣٤ التي انتصر فيها... موسوليني

رفيق علم الدين

جرت بطولة كأس العالم الثانية لكرة القدم في روما في العام ١٩٣٤ بتشجيع شخصي من موسوليني الذي امر بتجهيز المنشآت الرياضية لاستقبال فرق العالم في الادوار النهائية من البطولة. كان «الدوتشي» يريد استغلال هذه المناسبة الرياضية الدولية– تماماً كما سيفعل رفيق دربه هتلر بالنسبة الى الالعاب الاولمبية في العام ١٩٣٦– في محاولة لفك عزلة بلاده المتزايدة وسط طبول الحرب التي كانت تسمع أصداؤها في انحاء عديدة من اوروبا، خصوصاً بعد استلام هتلر السلطة في المانيا في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣.

تميزت البطولة الثانية لكرة القدم بطابعها الاوروبي ان لجهة مستوى الفرق الوطنية المشاركة او لجهة عددها: فمن اصل ١٦ دولة اشتركت في البطولة كان هناك ٤ دول غير اوروبية: اميركا والبرازيل والارجنتين ومصر. وكانت الفرق الاوروبية بلا منازع من اقوى المنتخبات الدولية يومها، نذكر خصوصاً فريق النمسا الذي كان المرشح للفوز لكنه فشل.

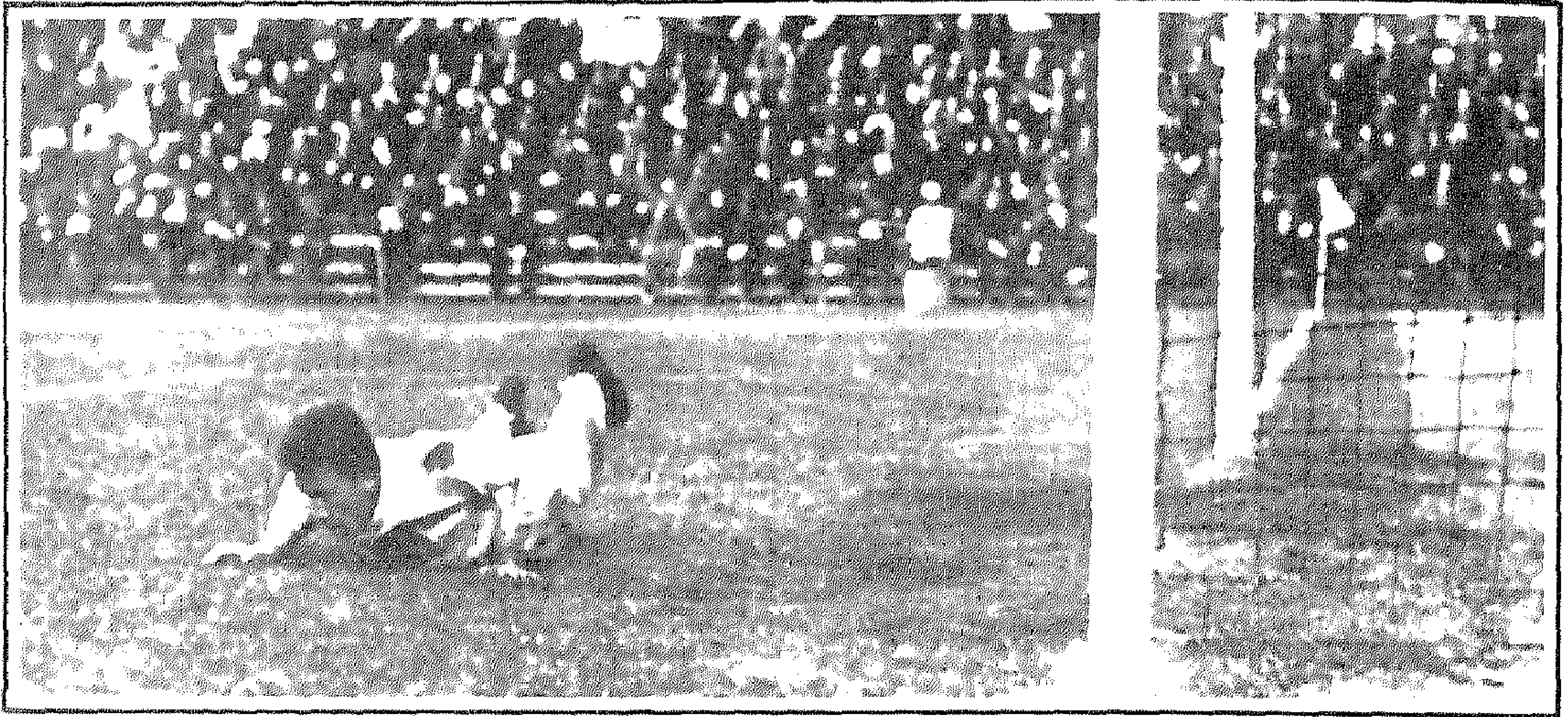
في الدور نصف النهائي تنافست تشيكوسلوفاكيا مع المانيا، وايطاليا مع النمسا. وكانت هذه الفرق الاربع. تشكل حينها اقوى المنتخبات الاوروبية. وكما رجحت التقديرات فان المانيا هزمت النمسا (٣–٢)، ووصل فريقا تشيكوسلوفاكيا وايطاليا الى الدور النهائي للبطولة، والانظار تتجه كلها نحو الفريق التشيكوسلوفاكي الذي هزم المانيا (٣–١) بينما ايطاليا لم تحرز النصر على النمسا الا بهدف يتيم.



– حارس المرمى الايطالي (وكابتن الفريق أيضاً) كومبي. يعجز عن صدّ كرة من اللاعب التشيكي بوتش. وهكذا يتم تسجيل أول أهداف المباراة. فيطير صواب الجمهور الايطالي.



– ربحت ايطاليا كأس العالم في روما. رد فعل اللاعبين الايطاليين الأول كان الهجوم على استاذهم فيتوريو بوتزو لحمله على الأكتاف. هذا المهندس القديم الذي أنهى حياته العملية صحافياً. استطاع أن ينقل عدوى الحماسة والتفاني إلى لاعبيه. وأبرزهم مونزيليو الظهير الأيمن وبرتوليني لاعب الوسط الأيسر. ومونتي قلب الهجوم (من اليسار إلى اليمين). مونتي كان قد لعب قبل أربع سنوات في المركز ذاته. ولكن ضمن فريق الأرجنتين في نهائي كأس العالم في مونتيفيديو.



— بلانيكا . حارس مرمى تشيكوسلوفاكيا (وكابتن الفريق أيضاً هو الآخر) لحظة تسجيل أحد هدفي المباراة التاريخية . وقد سجّل لايطاليا أورسي وشيافو.

في العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٤ بدأت الساعة عدّها العكسي بين الفريق التشيكوسلوفاكي هادئ الأعصاب والواثق من نفسه . والفريق الايطالي المضطرب والذي كان يشعر بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه وهو الذي يلعب على ملعبه ولا يمثل ايطاليا فقط ولكن خصوصاً « الدوتشي » .

خلال الشوط الاول من المباراة تعادل الفريقان. لكن الايطاليين شعروا بأنهم هم الخاسرون . فازدادت شراستهم في الشوط الثاني الى درجة ان موسوليني اضطر للتدخل شخصياً بواسطة مبعوث خاص لدعوتهم الى التخفيف من خشونتهم ذلك هو افضل سبيل للفوز بكرامة .

في الدقيقة ٦٩ من المباراة سجلت تشيكوسلوفاكيا الهدف الأول . فالتهب الملعب بمشاهديه ال ٥٥ الفاً وكادت الروح الفاشية النائمة في لا وعي الايطاليين يومها ان تستيقظ لولا هدف التعادل الذي سجلته ايطاليا بعد دقائق قليلة . ولم تسجل إيطاليا هدف الفوز الا بعد تمديد المباراة ، اي في الدقيقة ٩٥ .

المفاجأة لم تكن في فوز ايطاليا فحسب بقدر ما كانت ايضاً في كيفية هزيمة تشيكوسلوفاكيا ، إذ تساءل المراقبون يومها كيف استطاع الفريق المهزوم ان يبقى محافظاً على هدوئه ورباطة جأشه امام خشونة الايطاليين غير المعهودة .

المهم النتيجة : فايطاليا ربحت وزعيمها الفاشي ربح أيضاً على طريقته الخاصة . وبقي في الظل الرابح الأكبر وهو «عراب» الفريق الايطالي : المهندس سابقاً والصحافي لاحقاً فيتوريو بوتزو . وليس صدفة . كما لاحظ الآف المشاهدين ، ان يلتف اللاعبون الايطاليون حول عرابهم ويحملوه على الاكتاف فور انتهاء المباراة . فهو كان حاضراً معهم بتوجيهاته وبنصائحه في كل دقيقة من دقائق المباراة . وخصوصاً خلال الشوط الثاني حين كانت اعصاب اللاعبين الايطاليين مشدودة الى أقصى مداها . اما العراب الكبير . موسوليني . فكانت له حساباته الخاصة : اذ بعد ايام قليلة من البطولة (١٤-١٥ حزيران-يونيو-) سيستقبل هتلر للتخطيط سوية من أجل اشعال الحرب مستثمرا افضل استثمار استضافته لبطولة كأس العالم لكرة القدم . أكثر الالعاب الرياضية دعوة للوفاق بين الدول والشعوب

البروج الفلكية

برج الحوت

٢٠ شباط (فبراير) - ٢١ آذار (مارس)

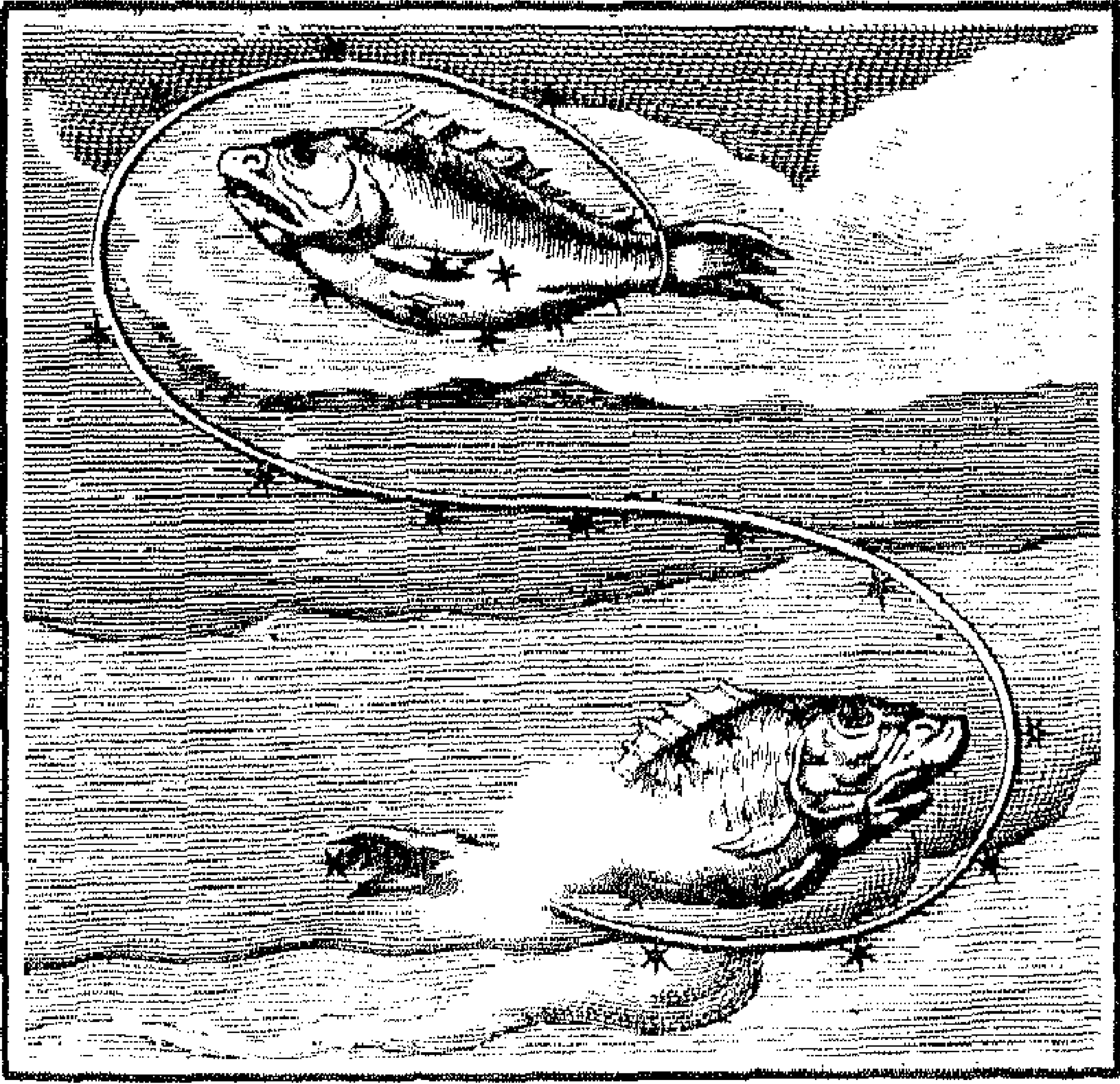
منى التنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس . فان فيها مقداراً من العلم . كانت للعلماء العرب حصة فيه . أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحاني البيروني .

ولقد كان « لعلم التنجيم » بداية وتطور . حتى وصل الينا . وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ . وفي ما يلي تاريخ برج الحوت :

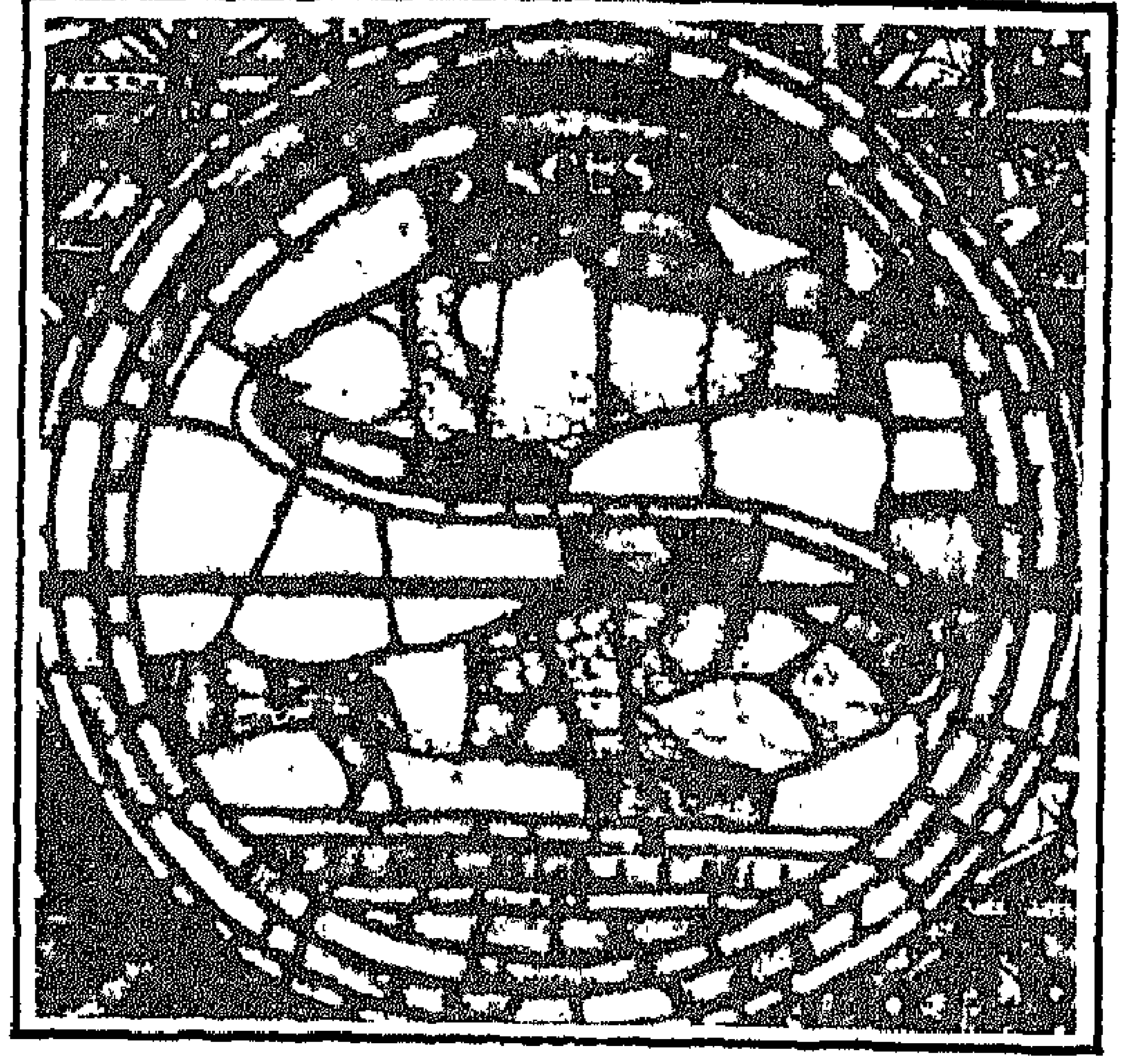
يرمز الى برج الحوت بصورة « السمكتين » وذلك استنادا الى اسطورة يونانية قديمة تفيد ان فينوس ، ألهة الحب ، وكوبيدون ، إله الحب ، تحولا الى سمكتين هربتا من الاعاصير المدمرة . فأخذتها مينيرفا ، آلهة الحكمة ، الى السماء تخليداً لهروبها . ومنذ القدم اتفق البابليون واليونانيون والسوريون والفرس على وصف هذا البرج ببرج السمكتين . اما الفراعنة فانهم رمزوا اليه برمز بلدة « اسنا » . استنادا الى ابحاث العلماء فان برج الحوت له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي القدم .

يمتاز مواليد هذا البرج بحس مرهف وبطبع رقيق . وهم يخضعون بسهولة لتأثير الغير . انهم دائما قلقون يعتريهم الخوف من شيء مجهول الى درجة انهم يندمجون مع الغير فيفقدون شخصيتهم المميزة ويظهرون وكأن لا رأي لهم . انهم يهربون دائماً من



رسم لبرج الحوت نقلاً عن الاسطورة اليونانية .

مشاكلهم الخاصة ويجدون لذة في الانزواء عن المجتمع. وهذا ما يدفع البعض الى اعتبارهم



صورة لبرج الحوت على زجاج ملون في احدى الكنائس.

جبناء. ان حياتهم الخاصة تشبه الى حد كبير حياة السمك. ومع ذلك يمكنهم ان يعيشوا حياة هانئة راغدة بلا هموم وبلا صعوبات مادية تذكر. اذا ما انساقوا الى حسهم المرهف ووجّهوه وجهة بنّاءة. انهم عاطفيون أكثر من كونهم عقلانيين لذلك فهم رومانطيقيون مخلصون ويعرفون كيف يكون العشق الحقيقي.

بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحوت نذكر: - الموسيقار البولوني فريدريك شوبان- العالم الالماني البيرت اينشتاين- الكاتب الفرنسي فيكتور هوغو- الرئيس الاميركي- جيمس ماديسون- الفنان الايطالي مايكل انجلو- الرسام الفرنسي اوغست رونوار- الكاتب الاميركي جون شتاينك- الممثلة الاميركية اليزابيت تايلور- اول رئيس اميركي جورج واشنطن.





خسر الملك فيليب كل جولاته فهرب منافسه خوفاً!

يكتبها محمد مراد شكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

مصر:

يقول ابن عزة في قصيدته العبرية عن الشطرنج: ان موسى عليه السلام هو الذي اخترع الشطرنج في بلاط الفراعنة. وهو قول لم يتطرق اليه أحد من المؤرخين لذلك نذكره بكل تحفظ لأننا لم نلق له أي مؤيد فيما قرأنا من كتب حول هذا الموضوع.

لقد كان للمصريين لعبة مليئة بالخطط، تبدو قديمة جداً ومنتشرة بين الشعب المصري القديم وترى واضحة في الرسوم الهيروغلوفية القديمة مع صورة اسرتاسن الأول OSORTASEN Premier وفي جناح رمسيس Ramses — Meiamoun في مدينة حبو (Habou) هذه اللوحة تمثل فرعون يلعب هذه اللعبة مع احدى زوجاته.

هذه الصورة مأخوذة دائماً من الجانب دون أن يظهر عمق الصورة. ويصعب على المشاهد رؤية الرقعة، شكلها وعدد خاناتها. هذه الرقعة المصرية، كما ترى في متحف اللوفر، تشبه علبة طولها ٢٨ سنتمتراً تقريباً وعرضها ٧ سنتميترات، منحوتة من الجهتين ولها خانات تشبه خانات الشطرنج. سطح العلبة مقطع إلى ثلاثين خانة أما السطح المقابل فليس فيه سوى ١٢ خانة تشكل مربعاً في إحدى الزوايا حيث القِطر يضيف خانات ثمانية أخرى. للعلبة هذه جارور صغير يحوي قطعاً مختلفة بألوان مختلفة تشبه قليلا البيزوس (Pessos) وما يدعى بـ (Latruncules).

هذا الوصف كتبه السيد (Prisse d'Avesne) في مقاله عن مجموعة القطع القديمة المصرية في القاهرة والمنشور في مجلة (Archeologique) لصاحبها (Leleux) سنة ١٨٤٦ م.

يرى الكاتب ان اللعبة هذه تشبه الداما وقد تكون فرعاً منها، وقطعها تشبه قطع الداما الملعوبة كثيراً في الشرق.

ويضيف عالم الآثار هذا، ان الداما المصرية هذه تختلف قليلاً عما هو معروف في أوروبا (في ذلك الحين) وهي تعتبر نموذجاً لألعاب شبيهة عند اليونانيين وعند الرومان.

وقد نشر السيد (Doazan) في باريس سنة ١٨٦٠ تحت عنوان حلم: لدينا في متاحفنا علب الشطرنج من خشب ومن فخار، وبيادق من



فيليب الثاني : خسر الجولات فهرب الرابح . (لاروس)

زجاج ملون ، من عظم أو من عاج ، قسم منها يمثل العبيد الافريقيين والاسيويين ، وقسم منها يمثل أشكالاً أخرى يظهر انها اخترعت أخيراً وكلها تعود إلى ثلاثة آلاف وأربعمائة عام. احدى هذه العلب تعود إلى ابنة تحوتمس الأول التي كانت تدعى HA-T-ASOU والتي حكمت بعد وفاة والدها .

اسبانيا — البرتغال

الشطرنج — مجلة ظهرت في برشلونة لأول مرة سنة ١٨٦٢ ، وهي شهرية تحوى ١٦ إلى ٢٠ صفحة .

وأشهر الشطرنجيين القدامى هم :

بلانكو اسفار (Blasco Isfar)

لاعب شهير في القرن السادس عشر كان يلعب استدباراً (أي دون النظر الى الرقعة) .

دون كارلوس ، لاعب مشهور سافر إلى البرتغال والى ايطاليا وهولندا وفرنسا ، وكان يربح في كل مكان حل به . في باريس تعرف على آنسة تدعى مينيت (Minette) كانت تخسر باستمرار ضد قسيس يلاعبها الشطرنج ، فأخذها ودربها وعلمها كيف يمكن الربح مع هذا القسيس . وهكذا وحتى لا يعرفها القسيس تخفت يوماً تحت قناع وذهبت تتحدى القسيس الذي قبل التحدي . دون أن يحاول اكتشاف المتحدي . وما لبث القسيس ان خسر بسرعة ولأول مرة بهذا الشكل ، فانسحب إلى الدير بعد أن ساءته هذه الخسارة وأثرت في معنوياته . ولما طالت غيبته حوالي ستة أشهر ذهبت مينيت اليه لتعلمه ان المتحدي لم يكن أحداً سواها .

لوسانا (Lucena) ، كاتب اسباني (لم يذكر اسمه الأول) حوالى ١٤٩٥ كتب في الشطرنج ٨٧ صفحة يعلّم فيها فنون الشطرنج ناشراً ١٥٠ وضعاً مختلفاً يشرح فيها كيفية متابعة اللعبة لربح الجولة .

ويقول وولكر ان داميانو أخذ من هذا الكتاب ١٢٠ نهاية جولة . هذا الكتاب لم يترجم ولكنه يحوي نهايات جولات جميلة مع قليل من الملح (بضم الميم وفتح اللام) فهو يقول مثلاً :

اذا لعبت مساء على ضوء قنديل واحد . ضعه من جهة يدك اليسرى لأن ذلك لن يزعج نظرك ، في النهار ، ضع خصمك بمواجهة النور فذلك سيعطيك أفضلية الخ ...

وهذا كان أول كتاب نرى سير القطع فيه يشبه سير القطع اليوم مما يدل على ان تعديل سير الوزير والفيل قد تما في اسبانيا . ولا يوجد اليوم من هذا الكتاب سوى ثلاث نسخ ، واحدة في المكتبة العامة في باريس وثانية في المتحف البريطاني والثالثة في المكتبة الملكية في بروكسل . اسم الكتاب طويل ننشره كما وردنا :

Arte breve, e introduccion muy necessario para saber jugar al axedres, can ciento y cincuenta juegos de partido etc...

فيليب الثاني المتوفي سنة ١٥٩٨ كان من كبار هواة الشطرنج ، وفي عهده برز ليوناردودي كوتري ، بوي دي سيراكوس ، دون سالفيو وغيرهم من مشاهير اللاعبين .

Amelot de la Houssaie في كتابه رجل القصر l'Homme de cour المنشور سنة ١٦٩٠ يروي في الصفحة السابعة القصة التالية :

أحد الأشراف الاسبان ، بعد أن لعب طويلاً الشطرنج مع الملك فيليب الثاني ، لاحظ غضب الملك لخسارته (أي الملك) للجولات كافة فما كان بعد ان وصل إلى منزله الا ان قال لعائلته يظهر انه لم يعد لدينا ما نعمله هنا ، هيا نرحل فالملك غاضب علينا لخسارته معي الدائمة في الشطرنج .

روي لوبيز Roy Lopez اللاعب المشهور الذي وضع الجولة الاسبانية المعروفة جيداً باسمه اليوم ، ألّف كتابه الأول سنة ١٥٦١ ، وكان كتاباً قيّماً ترجم إلى الفرنسية في حينه ، وطريقته في اللعب عدلت فيما بعد من قبل بعض الجهابذة في اللعب ولكنها كما اسلفنا لا تزال تعرف باسمه .

يقول روي لوبيز ان مخترع الشطرنج هو بالاميد ، وهو قول لا يستند إلى اسس صحيحة . فالكتب التي وقعت بين أيدينا ان بالاميد هذا أوجد لعبة أخرى ظنها البعض شطرنج . بالاميد هذا هو قائد يوناني اخترع لعبة تتألف من خمس قطع لا تشبه الشطرنج في شيء ولعلها اللعبة اليونانية الشعبية (Petteia) التي ذكرها هومير في الأوديسة .

وهناك كتاب آخر كتبه فيسان (Vicent) سنة ١٤٩٥ يشرح فيه كاتبه كيفية لعب الشطرنج في مائة جولة مختلفة .

داميانو سنة ١٥١٠ (كاتب شهير) ألّف كتاباً من ٦٤ صفحة تحوي ثلاثمائة صورة لقس يلعب الشطرنج مع راهب وقد توجت كل الصفحات بصورة رقعة الشطرنج .

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في العام نفسه وكذلك الثالثة ، أما الرابعة فصدرت سنة ١٥١٢ والخامسة سنة ١٥١٨ ثم تتابعت الطبعات لغاية سنة ١٨٤٩ وفي اللغات كافة ولم نعثر على أثر لطبعة أخرى بعد هذا التاريخ . .

داميانو هو أول مؤلف حاول تسهيل دراسة هذه اللعبة ، استق ، كما اسلفنا ، كثيراً من جولاته من لوسانا (Lucena) . هذا الكتاب هو أقدم كتاب نشر في البرتغال وهو مهم جداً رجع اليه فيما بعد كثير من الكتاب والمؤلفين في الشطرنج مثل غريكو (Greco) كما ترجمه إلى الفرنسية أيضاً كلود كروجيه سنة ١٥٦٠ .

الكتاب يحتوي على عشرة أبواب ، قانون اللعبة ، ملاحظات عامة ، افتتاحيات مختلفة ، نخبة من المسائل وباب خاص في كيفية اللعب استدبارا (أي دون رؤية الرقعة) .

الرموز : نعيد ذكرها بناء على طلب القراء :

D يقصد به الوزير (Dame) باللغة الفرنسية ، أو (Queen) باللغة الانكليزية .

R يقصد به الشاه (Roi) باللغة الفرنسية ، أو (King) باللغة الانكليزية .

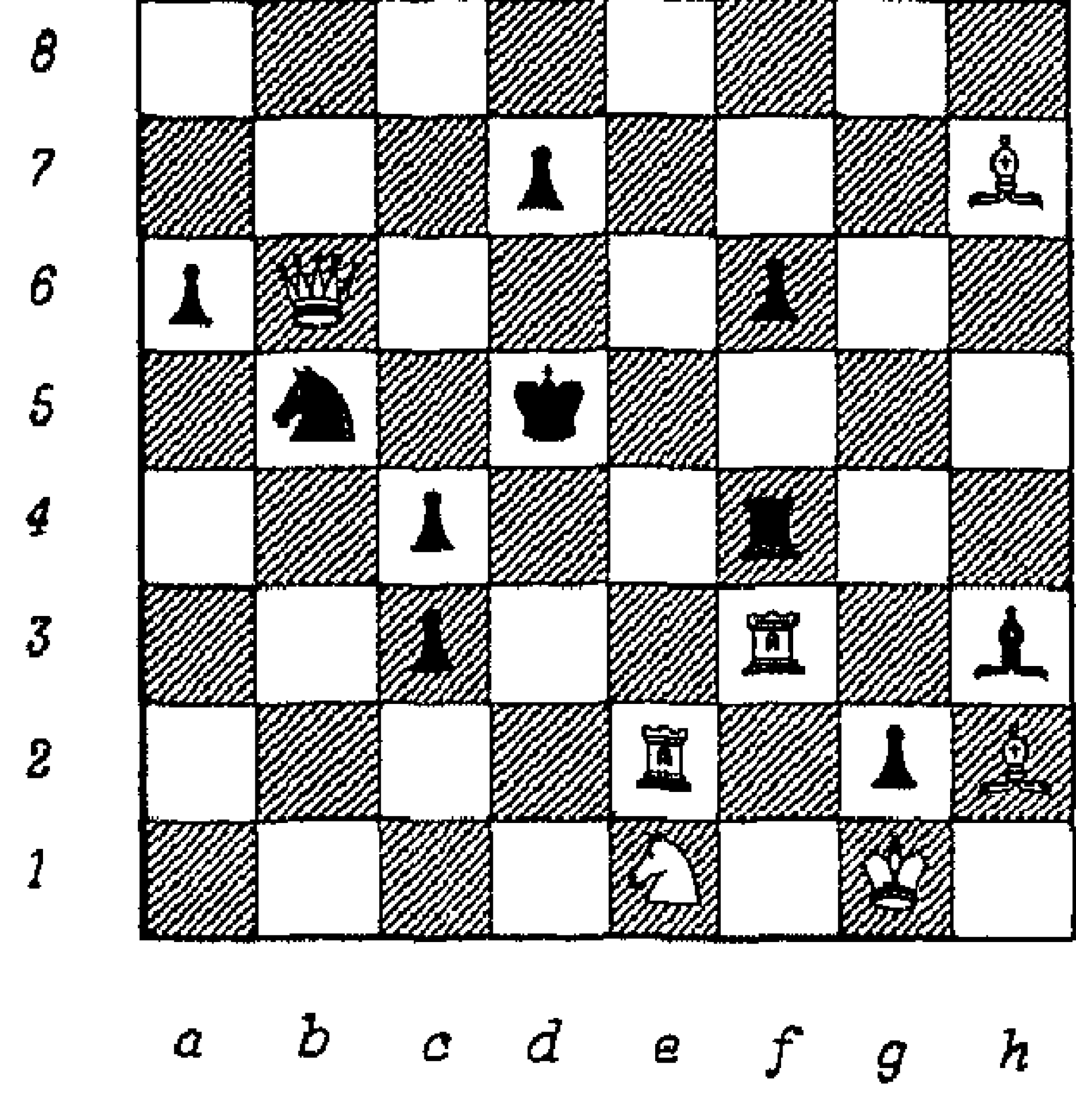
T يقصد به الحصان (Cavalier) باللغة الفرنسية ، أو (Knight) باللغة الانكليزية .

C يقصد به الرخ (Tour) باللغة الفرنسية ، أو (.Rook) باللغة الانكليزية .

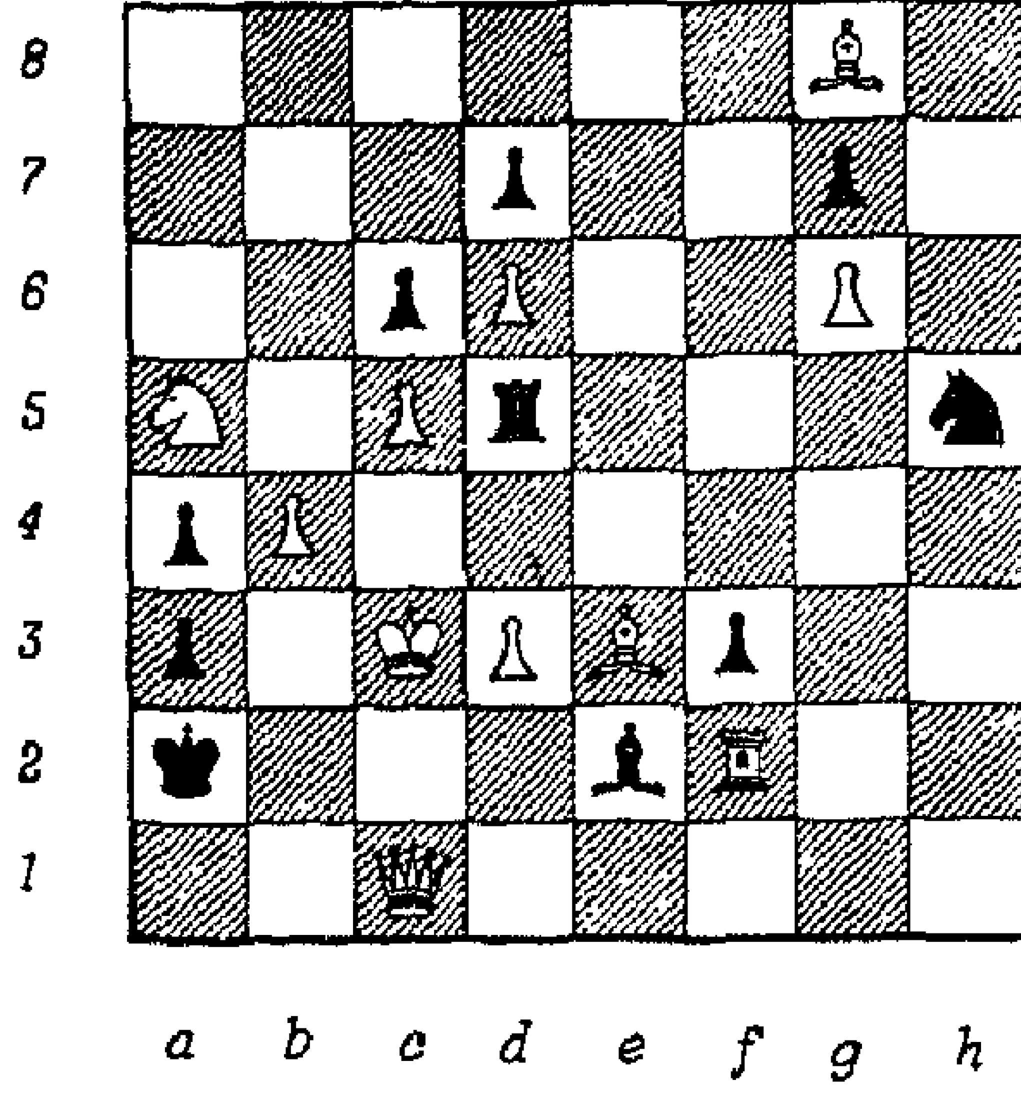


المسابقة رقم ٥

(مات بنقلتين)



مات بثلاث نقلات



■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص٠ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج ٠ يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال ٠

حل المسابقة رقم ٣

المسألة رقم ٥ : المفتاح : 1- DX d 7

المسألة رقم ٦ : المفتاح : 1- DÇ5

وهذه هي الامكانات المنتظرة :

1. DÇ5 CXÇ2
2. DXÇ 2 —

1. ..... RC 1
2. DC 3

1. ..... Ra 2
2. Da 3 .....
3. DX a 1 mat (CXC)

الفائزون :

الأجوبة التي وصلتنا عديدة ومن دول عربية عديدة لا سيما من الدوحة قطر ورغم انتظارنا الى اليوم الذي أرسلنا بهذه الصفحة إلى المطبعة فان أحداً لم يعط الحل الصحيح الكامل للمسألتين سوى السيدين نبيل أسود من بيروت و م. كامل سعيد من حمص. وبنتيجة القرعة فاز السيد نبيل أسود بالجائزة الأولى وقدرها مائة ليرة لبنانية. وفاز بالجائزة الثانية السيد م. كامل سعيد من حمص بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك مجاني سنوي في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

للطلاب  فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

من هو؟

فلكي وعالم بولوني من أصل الماني (١٤٧٣ - ١٥٤٣) تعلم الطب وعلم الدين في خراكوف وتولى منصباً دينياً في فراونبرغ. ثم قام بتدريس الرياضيات والفلك في روما. هو الذي اكتشف أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وأن الأرض مجرد تابع للشمس وليست المركز كما كان معتقداً من قبل.

أصدر كتاباً عن دوران الأفلاك سنة ١٥٣٠ ظل ممنوعاً من النشر حتى سنة ١٥٤٣ حين تم طبعه في نورنبرغ ثم حرّم توزيعه حتى سنة ١٧٥٨ وذلك لموقف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من مادة الكتاب العلمية.

ماهي؟

قرية صغيرة في فلسطين جرت فيها في ٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ مجزرة رهيبة قامت بها العصابات الارهابية الصهيونية وأسفرت عن ذبح ٢٥٠ عربياً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ العزل من السلاح. ويعتبر المسؤولون عن هذه المجزرة انه كان لا بد منها لترويع السكان الفلسطينيين ودفعهم إلى ترك بيوتهم. وقد أكدت تقارير الأمم المتحدة هذه الواقعة واعترفت اسرائيل نفسها بها بالرغم من أنها تميل إلى تقليل عدد ضحاياها واظهارها بأنها من عمل مجموعة إرهابية ودون أن تذكر أن هذه المجموعة الإرهابية قد انضمت فيما بعد إلى الجيش الإسرائيلي ذاته.

ماهو؟

موقع استراتيجي مصري يقوم على الطرف الجنوبي من شبه جزيرة سيناء ويسيطر على المدخل الغربي والرئيسي لخليج العقبة . تقابله جزيرة تيران التي تفصلها عنه حوالي أربعة أميال . احتلته اسرائيل ابان العدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) وانسحبت منه في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٧ بعد تدمير المنشآت المصرية العسكرية وتمركزت فيه قوات الطوارئ الدولية حتى ٢١ أيار (مايو) ١٩٦٧ . استولت عليه قوات المظليين الاسرائيلية في حرب حزيران ١٩٦٧ وأقامت فيه منشآت سياحية وعسكرية بقصد الاحتفاظ به والاستمرار في احتلاله .

ماهي؟

اسم مشترك لمعركتين كبيرتين وهامتين حدثتا أثناء الحرب العالمية الأولى . يرجع اسم المعركتين إلى نهر طويل (يبلغ طوله ٥٢٠كم) ينبع من هضبة لانجري غرباً ماراً بشالون وايبرين وشاتور تري ليتصل مع نهر السين .

حدثت المعركة الأولى بين ٦ - ٩ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٤ حيث بدا أن تقدم القوات الالمانية نحو باريس مؤكد . إلا أن الامبراطور الالماني فلهلم الثاني أوقف القتال لأسباب غير معروفة وما زالت موضع نقاش .

أما المعركة الثانية فقد وقعت في تموز (يوليو) سنة ١٩١٨ .

الجوائز هي :

الجائزة الأولى : مائة ليرة لبنانية أو ما يعادلها .

الجائزة الثانية : اشتراك سنة في المجلة .

الجائزة الثالثة : اشتراك نصف سنة في المجلة .

أجوبة مسابقة العدد الثالث :

١ - دولة المرابطين . ٢ - المناضل الفلسطيني محمد يوسف النجار (أبو يوسف) . ٣ - جمهورية سان مارينو
٤ - البيروني .

الفائزون :

- الفائز الأول : ناصر الحاج علي - صور - لبنان - خمسون ليرة لبنانية .
- الفائز الثاني : سالم حميد عمير - مدرسة جابر بن زيد الثانوية . ص.ب . ٣٥١٠ روى - سلطنة عمان اشتراك سنة في المجلة .
- الفائز الثالث : سمر لبابيدي - الجامعة اللبنانية - بيروت - لبنان . اشتراك نصف سنة في المجلة .

تاريخ الطوابع

طوابع سورية من السلطنة الى فيصل الاول

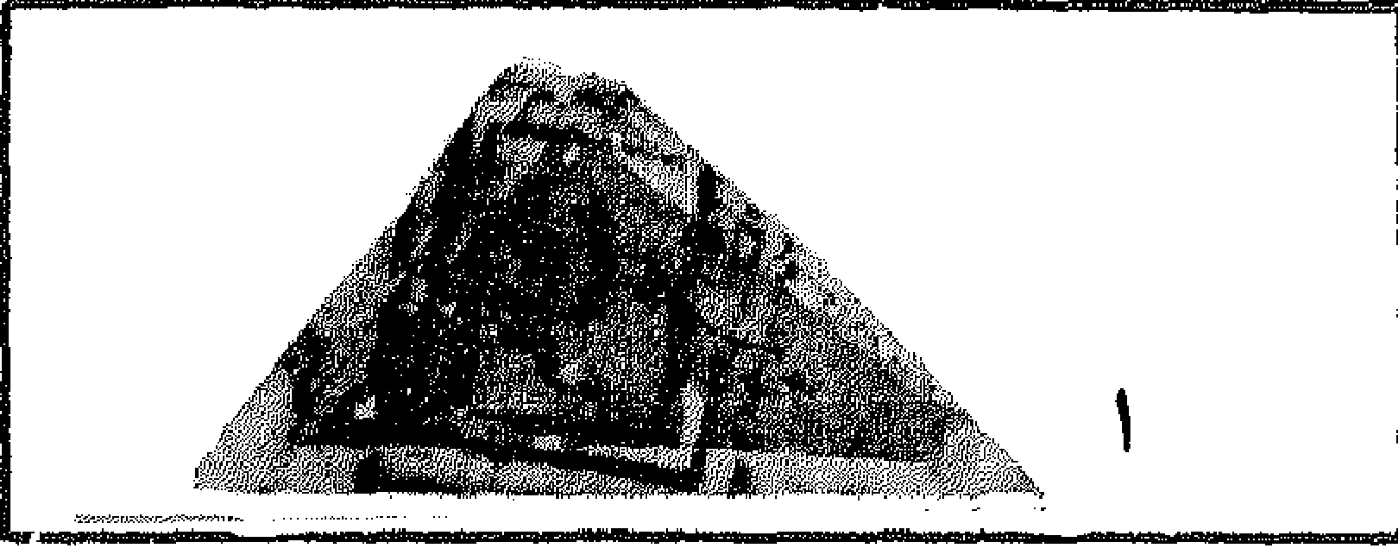
ميشال اسطفان

بدأ تخليص البريد في سورية في عهد السلطنة العثمانية التي حكمت البلاد من سنة ١٥١٦ إلى ١٨٣٢ ثم حكمها السلطان محمد علي الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠، والعثمانيون ثانيةً من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨.

كان البريد في سورية خلال العهود السابقة لظهور أول مجموعة تركية سنة ١٨٦٣ يخلص بالوسائل المتبعة قديماً، لكن منذ صدرت الجموعة التركية المشار إليها ووضعت للإستعمال في سورية وكانت تعطل بأختام مربعة في بادئ الأمر (صورة ١) ثم بأختام مختلفة تحمل إسم المصدر والتاريخ. (صورة ٢).

إنتشرت هذه الطوابع التركية في سورية كانتشارها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية (الأوروبية) - التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة؛ وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ تاريخ دخول جيوش الحلفاء؛ فتوقف إستعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان.

عندما دخل الجيش البريطاني فلسطين ثم الأردن فسورية وضع في التداول إبتداء من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً (صورة ٣)، كتب عليها «خالص الأجرة» و«بالإنكليزية»
"E.E.F. Postage Paid"



(قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة). هذه المجموعة هي الأولى التي استعملت في فلسطين منذ ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩١٨، وهي الأولى في مجموعة الطوابع الفلسطينية. ومع دخول قوات الحلفاء سورية من الجنوب كان الأمير فيصل الإبن الأكبر للشريف حسين بن علي ملك الحجاز قد دخل في أول تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩١٨ سورية من الشرق مع قوات عسكرية عربية، ثم أعلنها مملكة في ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠.

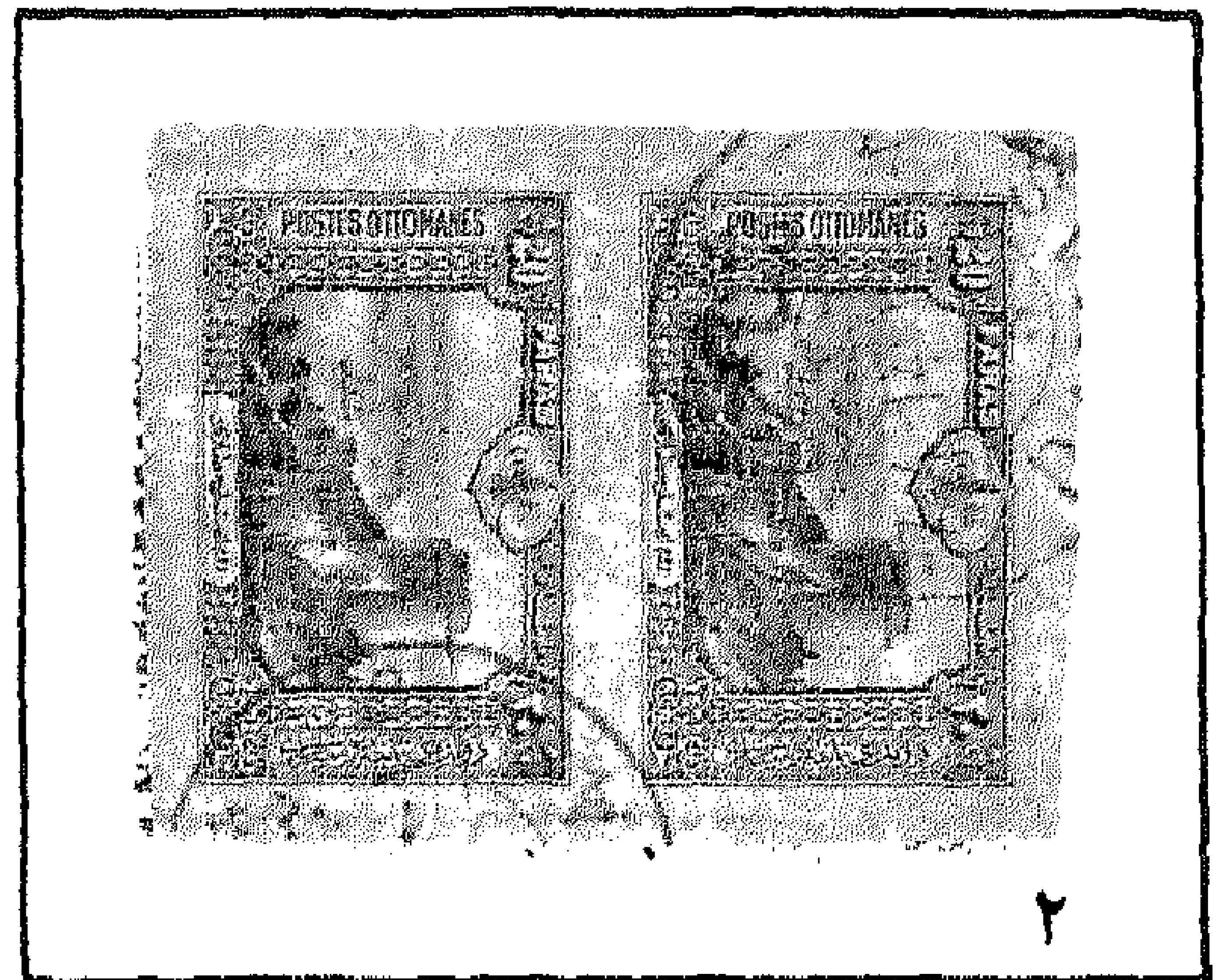
وفي ٨ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩١٨ كان الجيش الفرنسي قد إحتل بيروت والساحل السوري فصارت البلاد مقسومة إلى ثلاث مقاطعات:

أ - المقاطعة الغربية الممتدة ساحلياً من الإسكندرونة شمالاً فاللاذقية فلبنان، بإدارة قائد الجيش الفرنسي.

ب - المقاطعة الشرقية التي تشمل الجزء الداخلي من سورية والأردن، بإدارة الملك فيصل الذي أسس فيها مملكة سورية العربية.

ج - المقاطعة الجنوبية فلسطين، بإدارة قائد

الجيش البريطاني. وخلال سنة ١٩٢٠ أصدرت حكومة الملك فيصل ٩٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة، وذلك بأن استولت على الطوابع التركية المتبقية وكانت من إصدارات سنة ١٩٠٩ – ١٩١٩ ووشحت باليد ٨٥ طابعاً مختلفاً بخاتم نحاسي يحمل إسم «الحكومة العربية» (صورة ٤) ثم ٧ طوابع بخاتم آخر مثلث يحمل إسم «الحكومة السورية العربية» (صورة ٥). وبعد ذلك أصدرت مجموعة مؤلفة من ٨ طوابع بريدية توشح منها طابع واحد لذكرى الإستقلال وطابع واحد أجور مستحقة (صورة ٦) طبعت كلها محلياً وصُمِّغَت بالفرشاة يدوياً وبصورة بدائية.



٢

وبجانب هذه الطوابع كانت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O قد أخذت طريقها إلى الإستعمال بدءاً ببيروت في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ ثم في سورية، ثم تلتها الطوابع الموشحة O.M.F وهي ما شرحنا عنه مفصلاً في العدد الأول في هذه المجلة.

وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٩ انسحب الجيش البريطاني من حلب وفي ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٢٠ دخلت القوات الفرنسية حلب ثم دخلت دمشق في ٢٤ منه بعد معركة ميسلون المشهورة التي أودت بحكومة الملك فيصل.

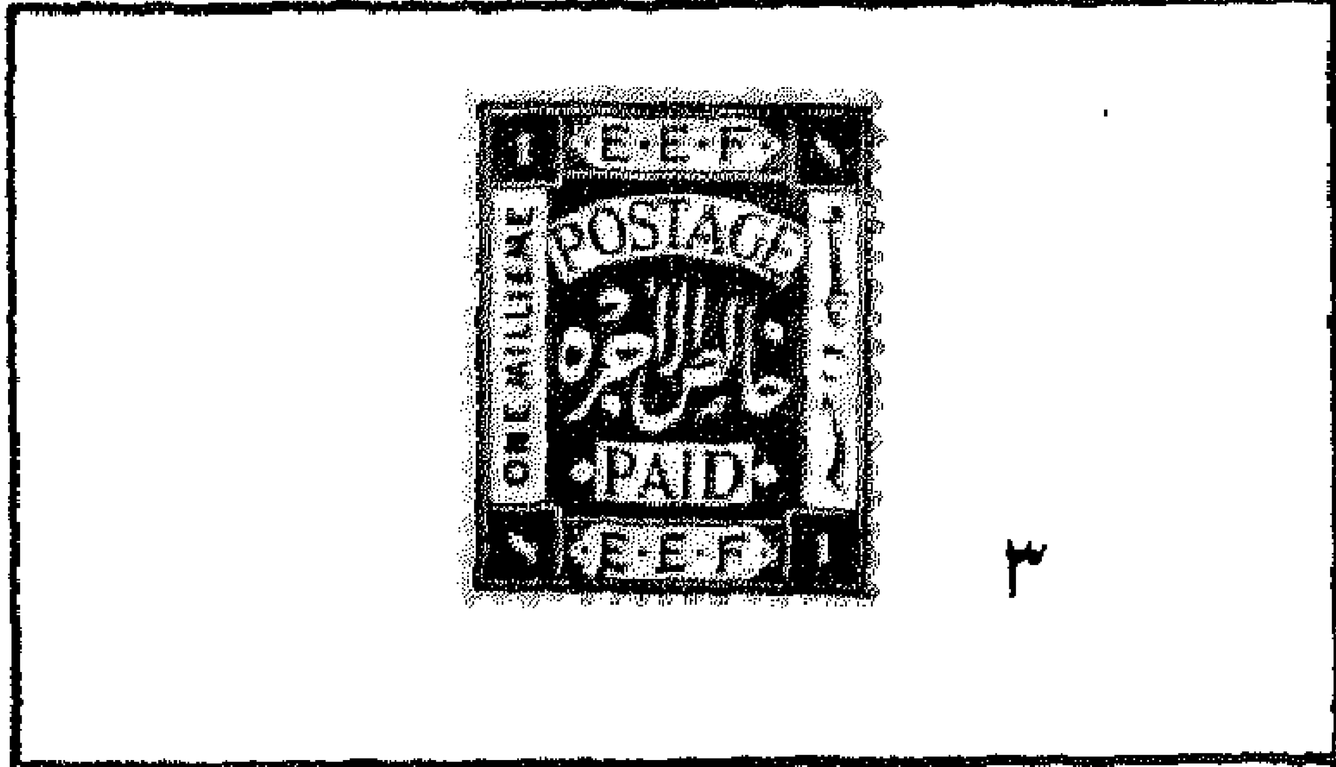
وفي ٣١ آب (أغسطس) سنة ١٩٢١ أعلن قيام لبنان الكبير وقسمت سورية إلى أربع ولايات:

أ – ولاية دمشق – تشمل سناجق حماه وحمص، ودمشق.

ب – ولاية حلب – تشمل دير الزور واسكندرونة وحلب.

ج – ولاية العلويين بعاصمتها اللاذقية.

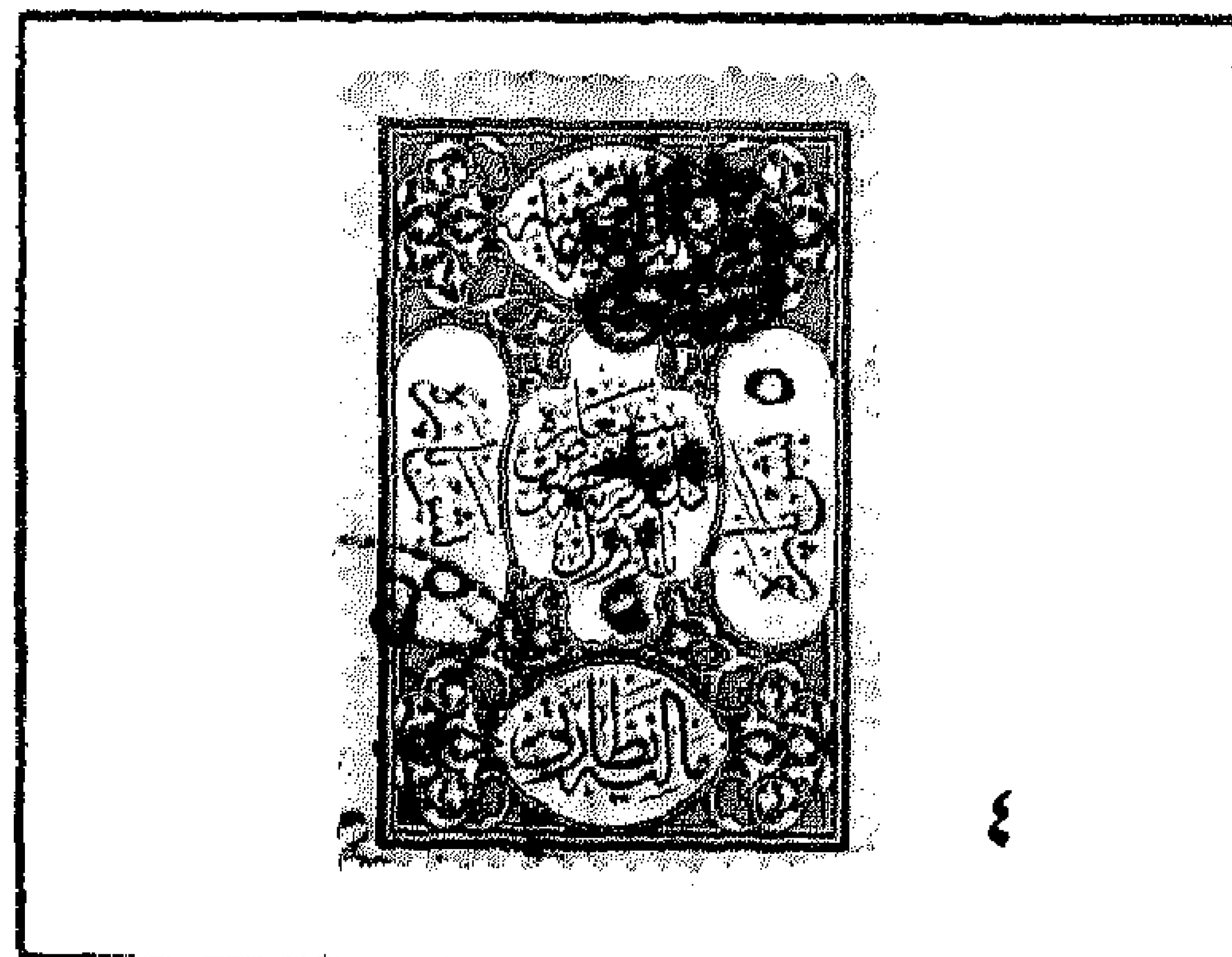
د – ولاية جبل الدروز التي كانت مرتبطة بحكومة دمشق إدارياً.



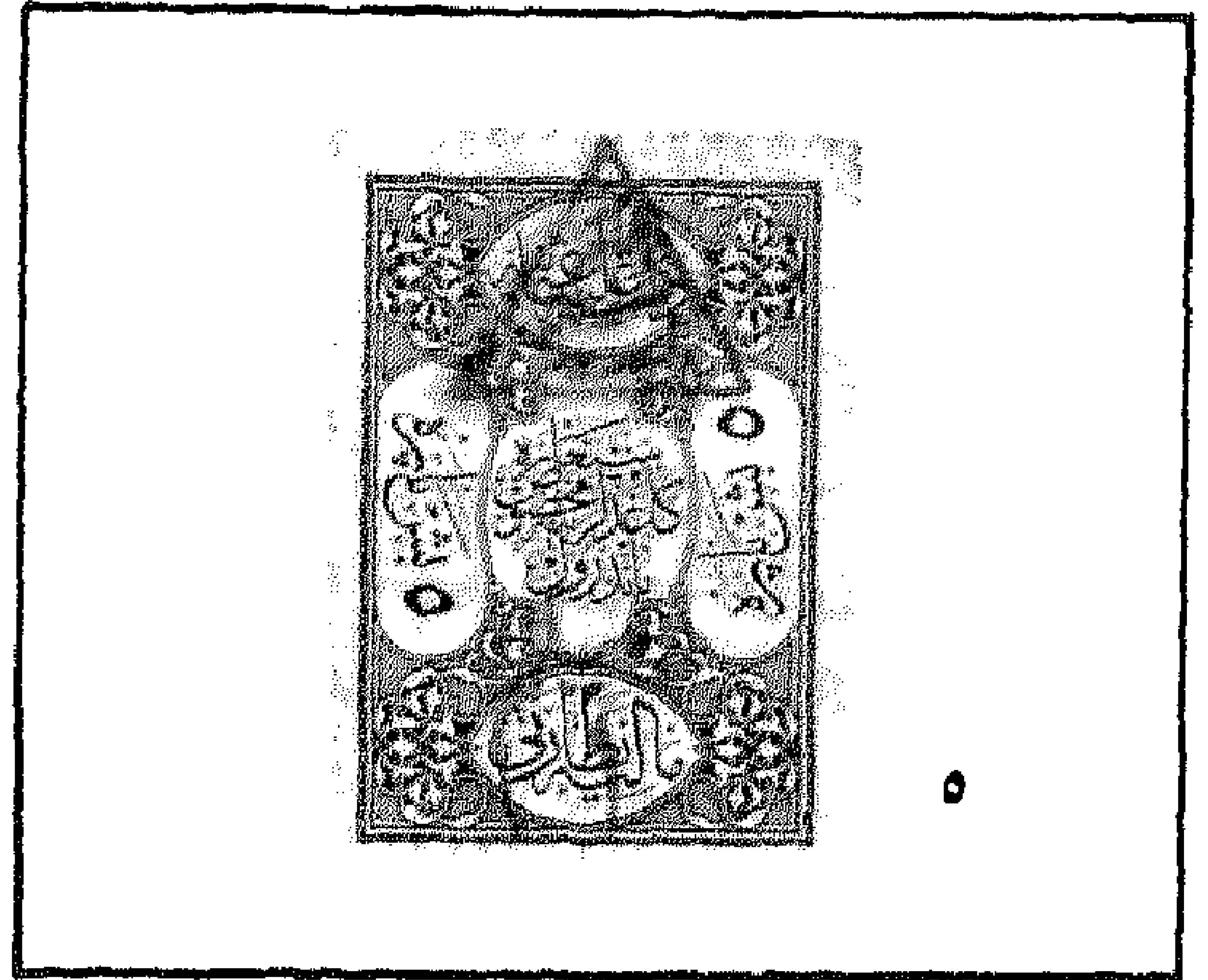
٣

وفي ٥ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٢٣ تمَّ إنتداب فرنسا على سورية ولبنان وسلخ سنجق الإسكندرونة من سورية ثم إعلان إستقلاله بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٣٨ ثم وضعه تحت نفوذ تركيا التي أعطته إسم «هاتاي» ثم ألحقته بها نهائياً بتاريخ ٣٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٩ على أثر إستفتاء شعبي ثارت حوله كثير من الشبهات.

لبث الإنتداب الفرنسي قائماً على سورية حتى ٢٧ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٤١ يوم أعلنت إستقلالها ثم أجلت قواتها عن البلاد بتاريخ ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٦.

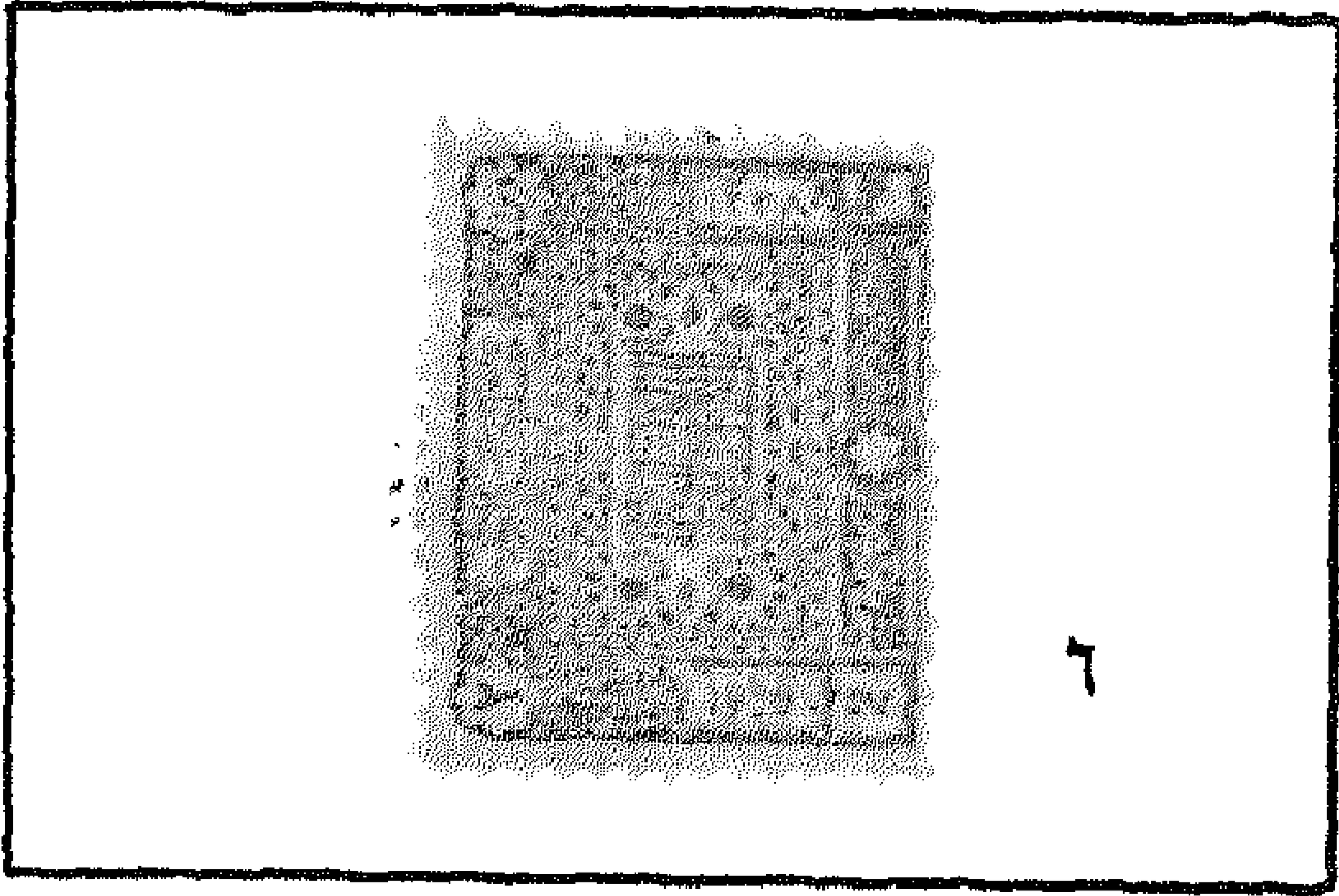

٤

أما تاريخ الطوابع خلال هذه الفترة فقد رافق الأحداث السياسية فدخل الطابع الموشح E.E.F الذي أشرنا إليه مع دخول الجيش البريطاني، ثم ظهرت الطوابع الفرنسية الموشحة T.E.O. (Territoires Ennemis Occupés) أي أراضي أعداء محتلة. ثم طوابع الملك فيصل التي ما لبث أن ألغيت بسقوط حكومة المملكة السورية العربية.


٥

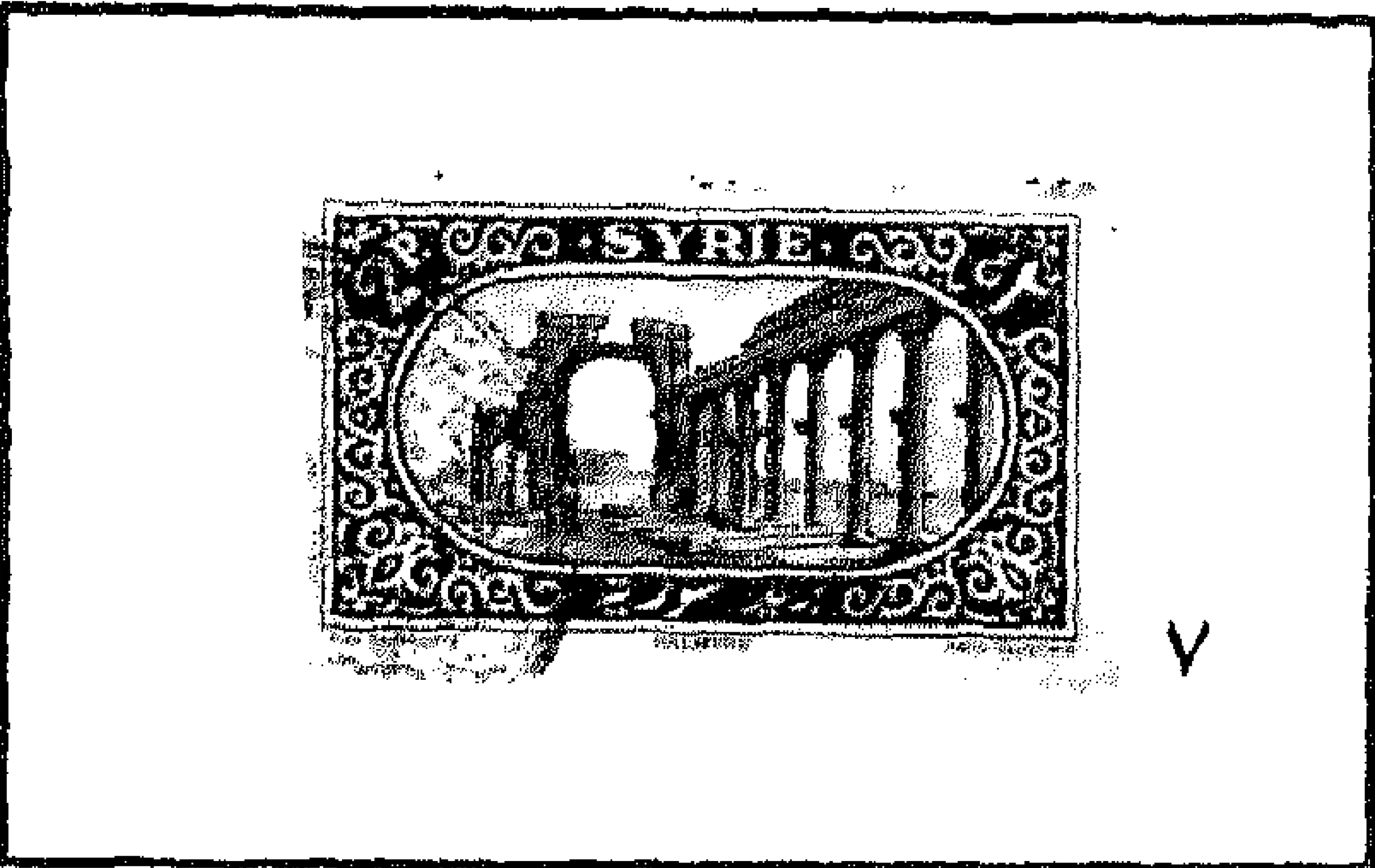
طوابع الإنتداب:

ولكن طوابع الإنتداب الفرنسي بقيت قيد الإستعمال وبعد المجموعات الموشحة «T.E.O» و O.M.F المذكورة آنفاً، صدرت مجموعتان أخريان موشحتان على الطوابع الفرنسية، الأولى موشحة « Syrie » صدرت في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ والثانية موشحة «سوريا Syrie صدرت في شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٤. وفي أول آذار (مارس) سنة ١٩٢٥ صدرت أول مجموعة مصورة عليها مناظر البلاد مؤلفة من ١٣ طابعاً بريدياً وخمسة طوابع أجور مستحقة تميَّز من المجموعة الثانية المصورة التي صدرت في شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٠ بكلمة « Syrie » باللغة الفرنسية، فوق كلمة « بريد سورية » (صورة نموذج واحد ٧). بعكس الأخيرة التي ظهرت فيها كلمة « سورية » بأعلى كل


٦

طابع، وعددها ٢٤ طابعاً بريدياً وطابعان أجور مستحقة. (صورة نموذج واحد ٨).

والجدير بالذكر أن مجموعات مختلفة مهمة صدرت في سورية تحمل توشيحات عدة! منها: « زهرة حلب » و« العلويين » و« سنجق الإسكندرونة » باللغة الفرنسية فقط، و« اللاذقية » و« عين تاب » توشحت O.M.F. Syrie على طوابع تركية فقط. و« جزيرة ارواد » باللغة الفرنسية فقط. وقد نشرح عنها جميعاً ومفصلاً في اعداد لاحقة لضيق المكان هذه المرة



٧

المكاتب الأجنبية.

مكاتب البريد البريطاني في البلاد الأجنبية كانت في مراكش والشرق الأدنى ومدغشقر والصين.

مكتب مراكش إفتتح أعماله من سنة ١٨٩٨ إلى نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٧ واستعمل ٣٨٢ طابعاً مختلفاً توشحت تباعاً « Morocco Agencies » و « Tangier » على طوابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك

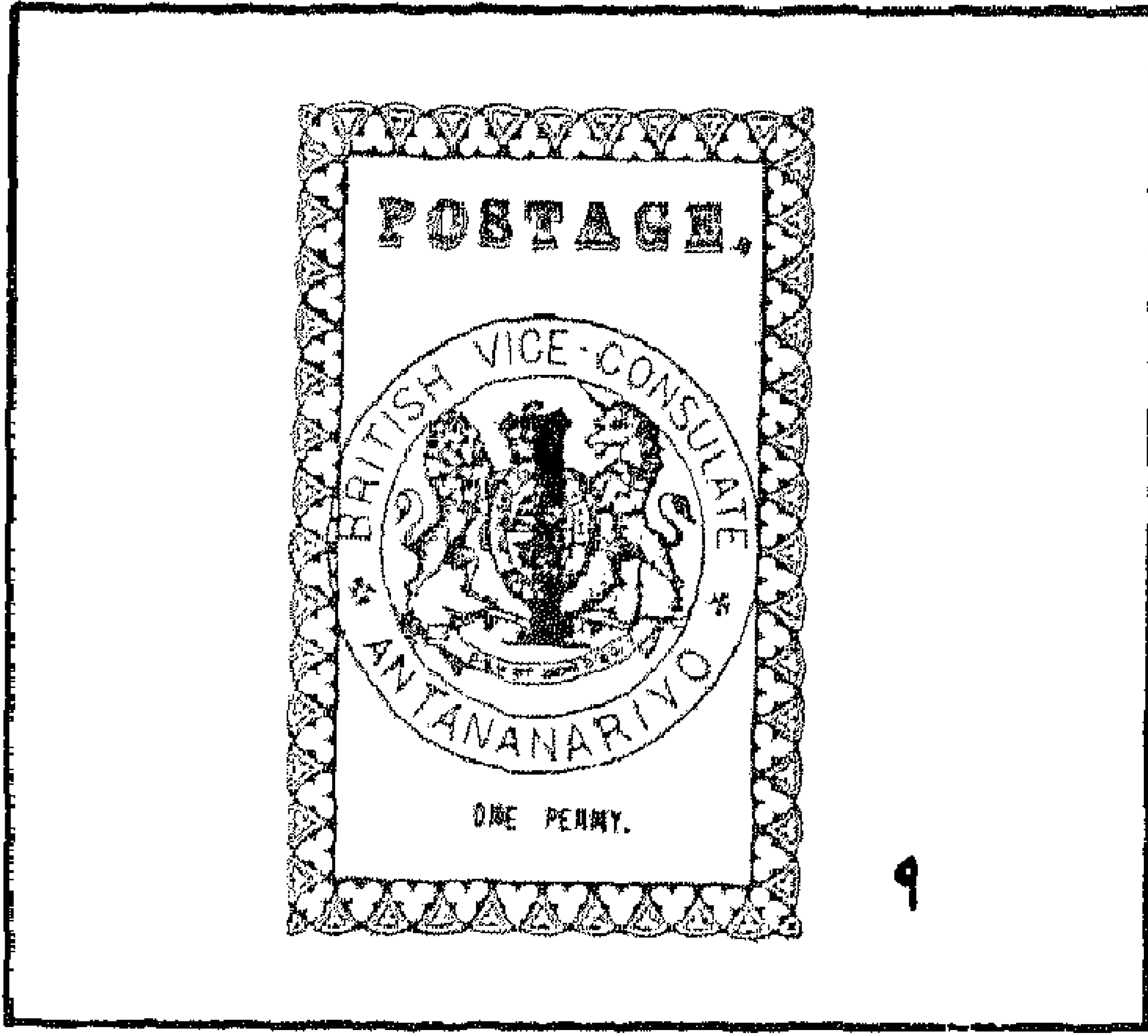
جورج الخامس والملك ادوار الثامن والملك جورج الخامس ثانية والملكة أليزابيت ، واستعملت في الجزءين المحتلين من قبل فرنسا واسبانيا وبعملتها السانتيموس والبزيطة والسنتيم والفرنك . مكتب



٨

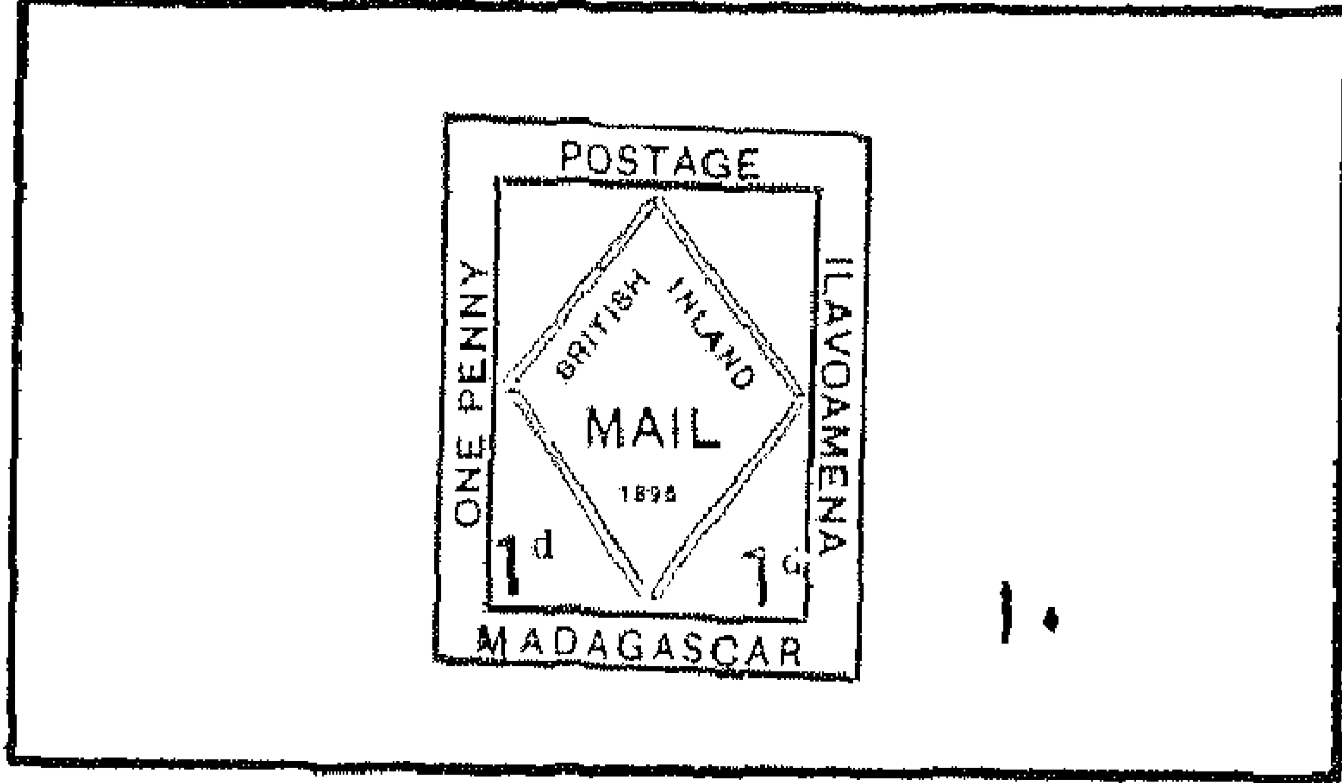
الشرق الأدنى افتتح أعماله من أول نيسان (ابريل) ١٨٨٥ إلى أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستعمل ٧٤ طابعاً توشحت « Levant » على طوابع الملكة فكتوريا والملك أدوار السابع والملك جورج الخامس استعملت في استنبول وأزمير وبيروت. وهناك ٨ طوابع توشحت على طوابع الملك جورج الخامس وصدرت في أواخر شباط (فبراير) سنة ١٩١٦ لتستعمل في سالونيك فقط.

مكتب مدغشقر افتتح أعماله بطوابع قنصلية من آذار (مارس) سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٧ وكان عددها ٤٩ طابعاً (صورة نموذج رقم ٩) ثم صدرت مجموعتان من ١٣ طابعاً للبريد الداخلي (صورة نموذج واحد ١٠) وعملت من كانون



٩

الثاني (يناير) إلى آخر أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٩٥ تاريخ دخول القوات الفرنسية مدينة أنتنريف (تناناريف).



١٠

مكتب الصين إفتتح أعماله من سنة ١٩١٧ إلى أول تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٣٠ بطوابع الملك جورج الخامس واستعمل ٢٧ طابعاً بعد أن وشحها بالإنكليزية « China ».

حركة البيع والشراء :

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء . وقد درسنا أحسن الوسائل العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
			■						١
					■				٢
									٣
		■							٤
	■			■		■	■		٥
			■	■					٦
■	■								٧
						■		■	٨
■								■	٩

أفقياً –.

١ – منطقة في شمال المملكة العربية السعودية. أقل ثقلاً (معكوسة).

٢ – رماح طوال (معكوسة). لائمة وعاذلة (معكوسة).

٣ – ملكة مصرية قديمة (معكوسة).

٤ – أعلى جبال في العالم. جوهر.

٥ – ملكي. ٦ – عبرات. أسفل كل شيءٍ – منخفض. ٧ – زعيم ديني يمثل دوراً سياسياً كبيراً حالياً (معكوسة). ٨ – فقيه في الفلسفة والدين المسيحي.

٩ – مرض الحنين إلى الوطن.

عمودياً –

١ – منطقة في الكويت. ٢ – مبعوث (معكوسة). أنغّم (معكوسة) ٣ – راوغ. نعم بالأجنبية. ٤ – الكثير عطاءً (معكوسة). ٥ – يقطع (معكوسة). أخفق. ٦ – واحد من اللاويين اليهود (معكوسة). ٧ – يحيط (معكوسة). ضدّ حواضر أو حوادي (معكوسة). ٨ – ملك عربي. متشابهان. ٩ – موضع في مصر مشهور بأثاره.

حل مسابقة العدد الرابع

أفقياً :	عاموديا :
١ – الخطيئة :	١ – أشعب. نبك
٢ – شواهين. دم	٢ – أيلول. بان
٣ – علا حب. رهو	٣ – حاء. ارتق
٤ – لي. سندباد	٤ – طه حسين. بم
٥ –تية	٥ – يبني. رومل
٦ – الخورنق	٦ – ان. وحيدة
٧ – بنت. وي. كج	٧ – خيبر. مس
٨ – كارم محمود	٨ – أو كلتاهم.
٩ – بابل. سال	٩ – سدود. أجدل.

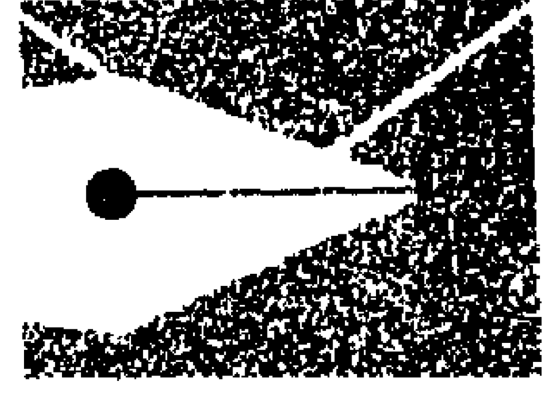
الفائزون في مسابقة العدد الثالث

الفائز الأول : مهاب التنير – بريد الحمراء – بيروت. ٥٠ ل.ل.

الفائز الثاني : سامي الشامي – الجامعة اللبنانية – صيدا. اشتراك سنة في المجلة.

الفائز الثالث : أمل الشمعة – دمشق – أبو رمانة. اشتراك نصف سنة في المجلة.

اجابات صحيحة ولكن الحظ لم يحالف أصحابها : نزيه رمضان – رياق – حوش حالا – البقاع. لبنان. محمد أمين الأيوبي – مكتب بريد طرابلس. جوزيف وجورج حداد – جل الديب. لبنان. عسى أن يحالفكم الحظ في المرة القادمة.



بريد القراء

* تعليقاً على بحث «العرب والمردة» للدكتور احسان عباس (العدد الثالث من «تاريخ العرب والعالم») وردتنا رسالة من القارئ ميخايل الهاشم، سرجبال، لبنان، يقول فيها:

إيبيرية الوارد ذكرها في البحث، هي ليست الاندلس. بل اقليم يقع وراء جبل القوقاز، أو القفقاس، بين أرمينية وتركيا وروسيا، يرتقي تاريخُه المعروف إلى ما قبل الميلاد ببضعة قرون. وقد اتفق المؤرخون على ان هذا الاقليم قد دخلَ تحت سلطة الاسكندر ذي القرنين، وشارك في الحروب ضد الفرس. وبعد تقسيم الشرق على قواد الاسكندر، بقيت ايبيرية على سياستها، فخالفت الدولة السلوقية السورية، ثم الرومانَ، ثم البيزنطيين من بعدهم، في حروبهم ضد الفرس. أما العرب فقد فتحوها على عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وذلك عام ٧٣٢م. وبقوا فيها حتى القرن التاسع. وفي القرن العاشر، سيطر عليها الدَّيْلَم وبنو بوَيْه (والديلم اقليمٌ يجاور ايبيرية شرقاً، ويُعرف سكانُه بالاسم نفسه ومنهم بنو بويه). وبعدهم دخلها الأتراك العثمانيون، حتى القرن ١٨، إذ دخلت تحت حماية قيصر الروس.

وبسبب هذه المجموعة من الشعوب التي توالت على ايبيرية، فقد كان الاسم الرسمي (الذي يستعمله المؤرخون) مختلفاً عن تسمية الشعوب المختلفة. فالسكان يسمّون انفسَهم «قرطفيلي». واسم «إيبيرية» (Iberie) أطلقه اليونان وتبنّاه الرومان. ومع الفرس صار الاسم كورجستان، نسبة إلى نهر «كورا» (Kour). أما العرب فسمّوا الاقليم بلاد الكَرْج والكُرْج والروس سمّوه غروزيا وسماه الغربيون جيورجيا.

وطوال هذه العصور، كانت مدينتُهم الكبرى والأولى هي «تبليسّي» (Tbilissi)، أو «تفليس» (Tiflis)، وتجمع فيها السكان المحليون – وهم آريّون – مع اليونان والأرمن والترك، فصارت لغتُهم بسبب هذا الاختلاط، مجموعة لهجاتٍ تكاد تكون لغاتٍ قائمةً بذاتها.

أما تاريخُ آدابهم ففقير، لم يَرِدْ فيه سوى بعضُ الكتّاب والشعراء والمترجمين، أكثرهم من رجال الدين المسيحي، وجُلُّ تآليفهم تتعلّق بالدين.

وفي بعض المكتبات العالمية مجموعةٌ قيمة من المخطوطات باللغة الكرجية «حسب تسمية العرب» وهذه المخطوطات هي بأكثرها ترجمات لبعض الكتب اليونانية – الهيلينية على وجه الدقة – هذه الكتب القيّمة التي فُقِدتْ نصوصُها – اليونانية – وما عاد بالامكان معرفتها إلا بفضل هذه الترجمات.

في ايامنا هذه، تقع «إيبيرية» ضمن حدود الاتحاد السوفياتي. أما الفاظ كورجستان، الكرج وجورجيا فهي على علاقة أكيدة، وأنا أرجّحُ أنها مشتقة من لفظة «يورغوس» اليونانية، ومعناها «الزارع» و «الفلاح».

---

* «تاريخ العرب والعالم» ترحب بالقارئ مخايل الهاشم وبمساهماته. فالقيمة للموضوع، ونرحب بأي تعليق أو بحث قيّم، صالح للنشر.

---

* ومن الطالب محمد يوسف شتال (أولى تاريخ، جامعة بيروت العربية) جاءنا الخطاب التالي:

وأخيراً صدرت مجلة متخصصة في شؤون التاريخ العربي والعالمي. التي انتظرناها بشغف كبير، لا سيما وانها المجلة الوحيدة تقريباً بين المجلات الثقافية التي تعطي للتاريخ أهميته، ولهذا سدت المجلة فراغاً عانت منه الثقافة في لبنان.

– ان معرفة تاريخنا خصوصاً في هذه المرحلة الحرجة، يتطلب مجهوداً كبيراً ومساهمة جبارة، وأعتقد بأن هذه المجلة قادرة على اختراق الصعاب، والسير دائماً نحو الامام.

– فتحية إلى كل العاملين في هذه المجلة الغراء

* جوزيف وجورج حداد من جل الديب، لبنان، كتبا يقولان:

لكم سررنا لدى قراءة الاعداد الأولى..خاصة وان المجلة ابتعدت عن الأساليب التقليدية في كتابة الاحداث التاريخية، وانتقلت إلى الاسلوب العلمي المقرون بالشروحات والصور المعبرة. لذلك نقدر لكم جهودكم المبذولة في سبيل إخراج هذه المجلة على هذا الوجه. ونشكر جميع الذين ساهموا في إبراز المجلة راجين من الله دوامها وتقدمها من الحسن إلى الأحسن.

وقد سرنا أن نشترك في مسابقة الكلمات المتقاطعة.

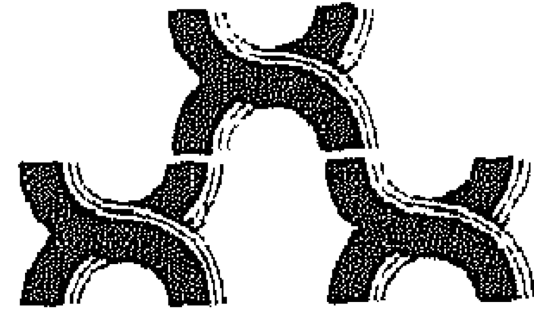
* ومن غسان وهبة، طرابلس، لبنان، جاءنا:

تحية إلى كل العاملين في مجلة «تاريخ العرب والعالم»، لنشرهم الثقافة بين أيدي طلابنا في البلدان العربية. تحية لجهودهم الخيّرة لمصلحة هذا الوطن.

عندما قرأت أول عدد للمجلة شدّني اليها استيعابها كل المواضيع وجميع الهوايات واسعدني بها أكثر وجود هوايتي فيها وهي «الطوابع».

واني أطلب منكم لو تضعوا في مجلتنا موضوعاً يتعلق بعالم التصوير، بفن التصوير، لأن التصوير عالم ثانٍ كبير جميل جداً، ويا حبذا لو أرى هذا الموضوع في عددنا القادم.

* المجلة ترحب بك صديقاً وتعدك بموضوع عن تاريخ التصوير، دون الالتزام بزمن معين. ونشكر لك اهتمامك.

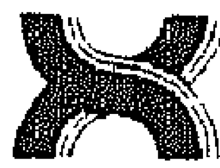


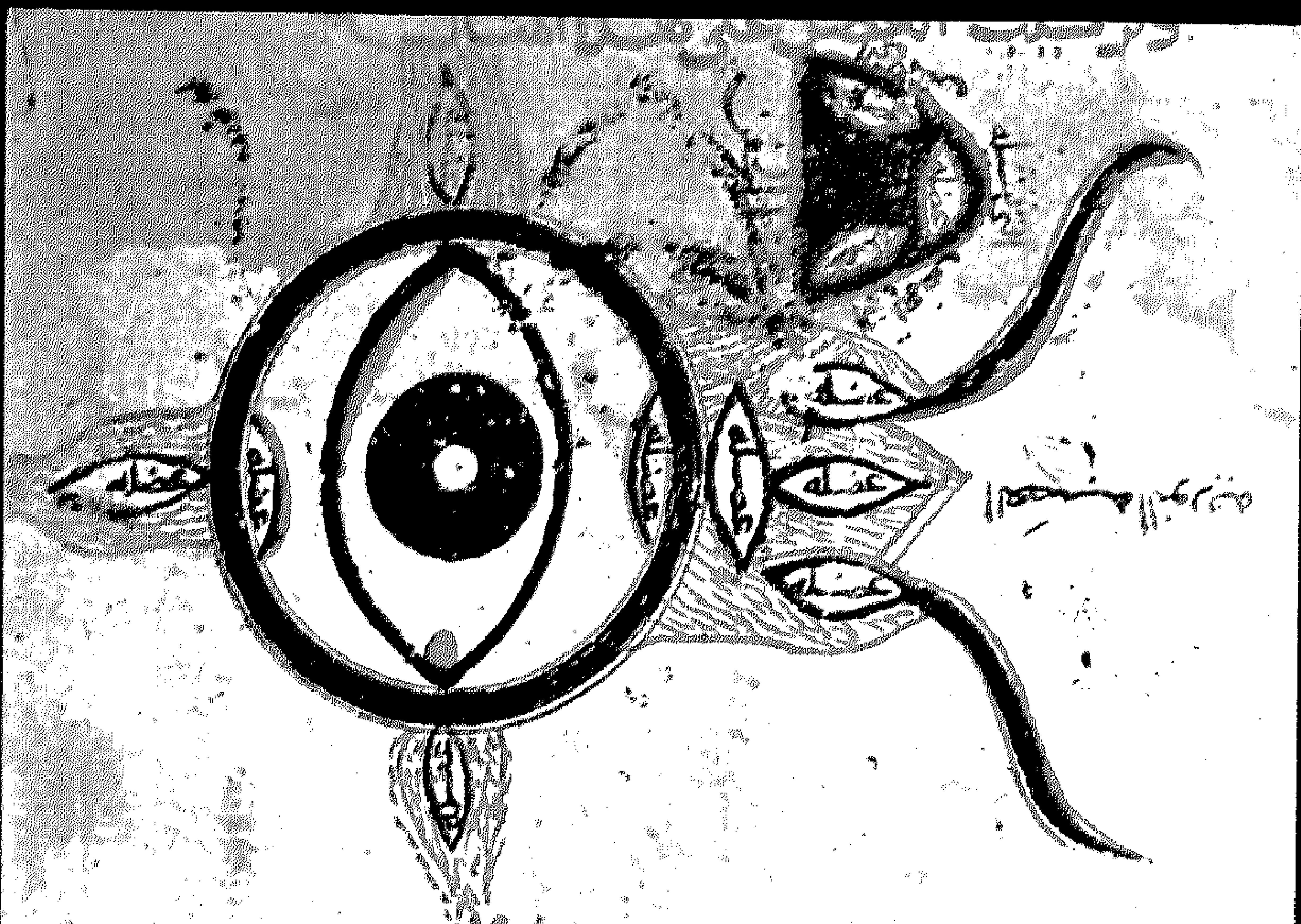
تصحيح

في عناوين غلاف العدد الرابع من «تاريخ العرب والعالم»، ظهر ما يفيد ان في العدد «أسرار اتفاقية سايكس بيكو». فيما خلا العدد من هذا الموضوع. والواقع ان هذا الموضوع استبدل به موضوع «الشيخ المناضل حسن سلامة»، في آخر لحظة، بسبب الحادثة التي أودت بحياة المرحوم أبو حسن سلامة. وكان الغلاف قد طبع، فاقتضى الاعتذار.

كذلك وقع خطأ في تنفيذ شبكة الكلمات المتقاطعة. فبدلاً من وضع المربع الأسود في ٩ أفقي - ٥ عمودي. كان المفترض ان يكون المربع الأسود في ٩ أفقي - ٦ عمودي. فالمعذرة.







المقالة الثانية في طبيعة الدماغ ومنافعه قد يجب على من اراد
معرفة طبيعة العين ان يكون بطبيعة الدماغ عالما اذ كان مبداها منه
ومنشاها لما يرجع اليه وانما يعرف الانسان طبيعة الشي اما بحده واما
بخاصته التي هو مخصوص بها فلذلك قد يجب علينا ان نعلم ما حد الدماغ
وما الشي الذي هو مخصوص به فنقول ان كل عضو من الاعضا له حدين خاصتين
احدهما من عنصره اعني من طبيعته والاخر من نوعه اعني من فعله ومنفعته
وللدماغ ايضا خاص بخاصتين اي بحدين احدهما كما ذكرنا من طبيعته وهو
ان نقول ان الدماغ عضوا باردا ابرد اعضا البدن وارطبها والحد الاخر
من فعله والحاجة اليه وهو ان نقول ان الدماغ ابتدي الحس والحركة
الارادية والسياسة وكلي الحدين يخصان الدماغ دون غيره من الاعضا
اما الحد الاول وهو ان الدماغ ابرد اعضا البدن وارطبها فانه لا نجد
شيا من الاعضا مع الدماغ لانه ليس في البدن عضو ارطب من الدماغ
ولا ابرد منه وذلك لما انا ذاكره لك بعد ايضاح فعل الدماغ واما
الحد الثاني القايل ان الدماغ ابتدي الحس والحركة الارادية

تشريح العين ، عن الطبيب العربي حنين بن اسحاق العبادي
القرن التاسع م. (دار الكتب - القاهرة)



أسطرلاب عربي توليدو - اسبانيا - عام ١٠٦٨ للعالم ابراهيم سعيد الساحلي

العدد السادس - نيسان ... الموافق جمادى الأولى

- القسام في تاريخ فلسطين
- قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠-١٩١٧
- العرب هم روّاد دراسة عالم الأفلاك

- الساحل الشرقي للجزيرة العربيّة
- الميثاق الوطني ميثاق مكتوب
- تاريخ الجوهرات: الذهب والأحجار الكريمة
- لا تحاكموا على فخ الدّين قبل أن تحاكموه



بسمارك
رائد الوحدة الالما

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد السادس
نيسان (ابريل) ١٩٧٩
جماد الأولى ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع الساداات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

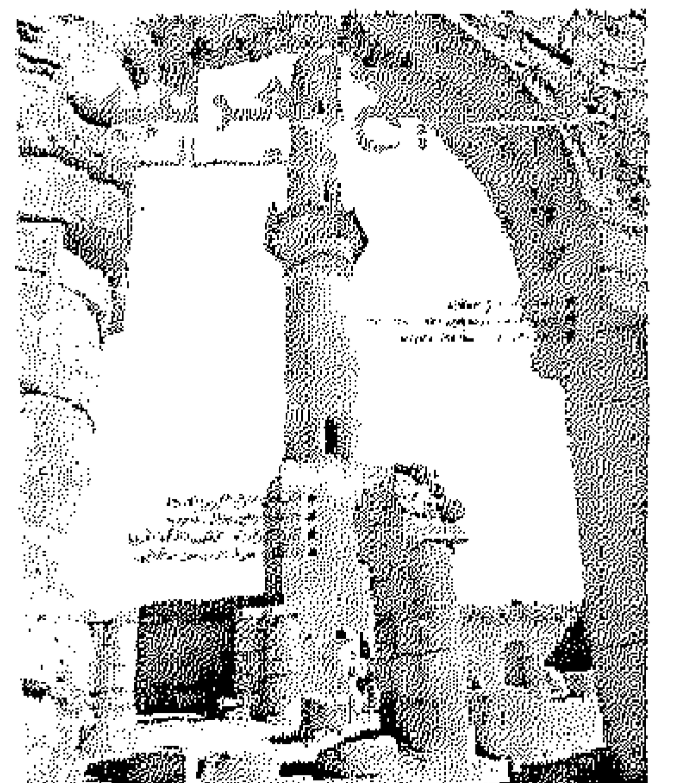
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 6 April, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتّاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

في هذا العدد



جامع سوق الخميس
أقدم جوامع الخليج العربي
راجع مقالة د. نقولا زيادة ص ٥٣

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

القسّام في تاريخ فلسطين

أول ثورة مسلّحة جابهت القوّات البريطانيّة

د. بيان نويهض الحوت

– حين أعلنت ثورة القسام عن نفسها في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥، وذلك عبر المجابهة المسلحة بينها وبين القوات البريطانية في احراش يعبد، كانت المجموعة القسامية تلك هي المجموعة العربية المجاهدة الأولى التي تتحدى الرصاص البريطاني بالرصاص العربي، أي انه حتى ثورة القسام لم تكن المجابهة المسلحة مع القوات المنتدبة واردة في القاموس السياسي للحركة الوطنية الفلسطينية، بل على العكس من ذلك، كانت القيادة السياسية الفلسطينية لا تزال تؤمن بمنهج الحوار السياسي مع الانتداب البريطاني على أمل الوصول إلى أمانيها القومية أو بعضها على الأقل.

القيمة السياسية الرئيسية لثورة القسام اذن هي في كونها قد اختطت نهجاً سياسياً جديداً قائماً على اعتبار السلطة الانتدابية سلطة محتلة وعدوة، لا سلطة حليفة من الممكن التفاهم معها. والوسيلة الوحيدة للتخلص منها هي الثورة المسلحة التي تأكل الأخضر واليابس. وتتلخص المبادئ القسامية في الشعار الذي انضوى تحته القساميون: «هذا جهاد، نصر أو استشهاد».

الوضع السياسي العام

■ عندما دخل الجيش البريطاني مدينة القدس (١٩١٧/١٢/٩) دخل بصفته جيشاً حليفاً للعرب، ولم يكن عرب فلسطين آنذاك يعلمون شيئاً عن ان حلفاءهم هؤلاء قد تخلوا عن كل عهودهم للقضية العربية وللشريف حسين بتوقيعهم سراً على اتفاقية سايكس–بيكو، وكذلك بمنحهم سراً وعد بلفور.

وبمرور السنوات الأولى من الحكم العسكري فالانتداب البريطاني، وبانتهاء الدولة العربية في دمشق وهي لم تتجاوز بعد عامها الاول كي يحل الانتداب الفرنسي مكانها وتنفذ خريطة سايكس بيكو، أدرك العرب في المنطقة كلها (سوريا–لبنان–العراق–الاردن وفلسطين) ماهية المؤامرة البريطانية–الفرنسية ضدهم. وبالنسبة الى فلسطين بالذات كانت المؤامرة مزدوجة، فهي بريطانية وصهيونية في آن واحد. وهكذا اضحى اهل فلسطين إزاء اخطار انتداب بريطاني قائم وشبح احتلال صهيوني قادم.

وفي صك الانتداب وكذلك في الدستور برز

– دكتورة بيان نويهض الحوت: استاذة في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية. مارست الصحافة في «دار الصياد» وصحف ومجلات أخرى. حازت على دكتوراه دولة من الجامعة اللبنانية على رسالتها: القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧–١٩٤٨).

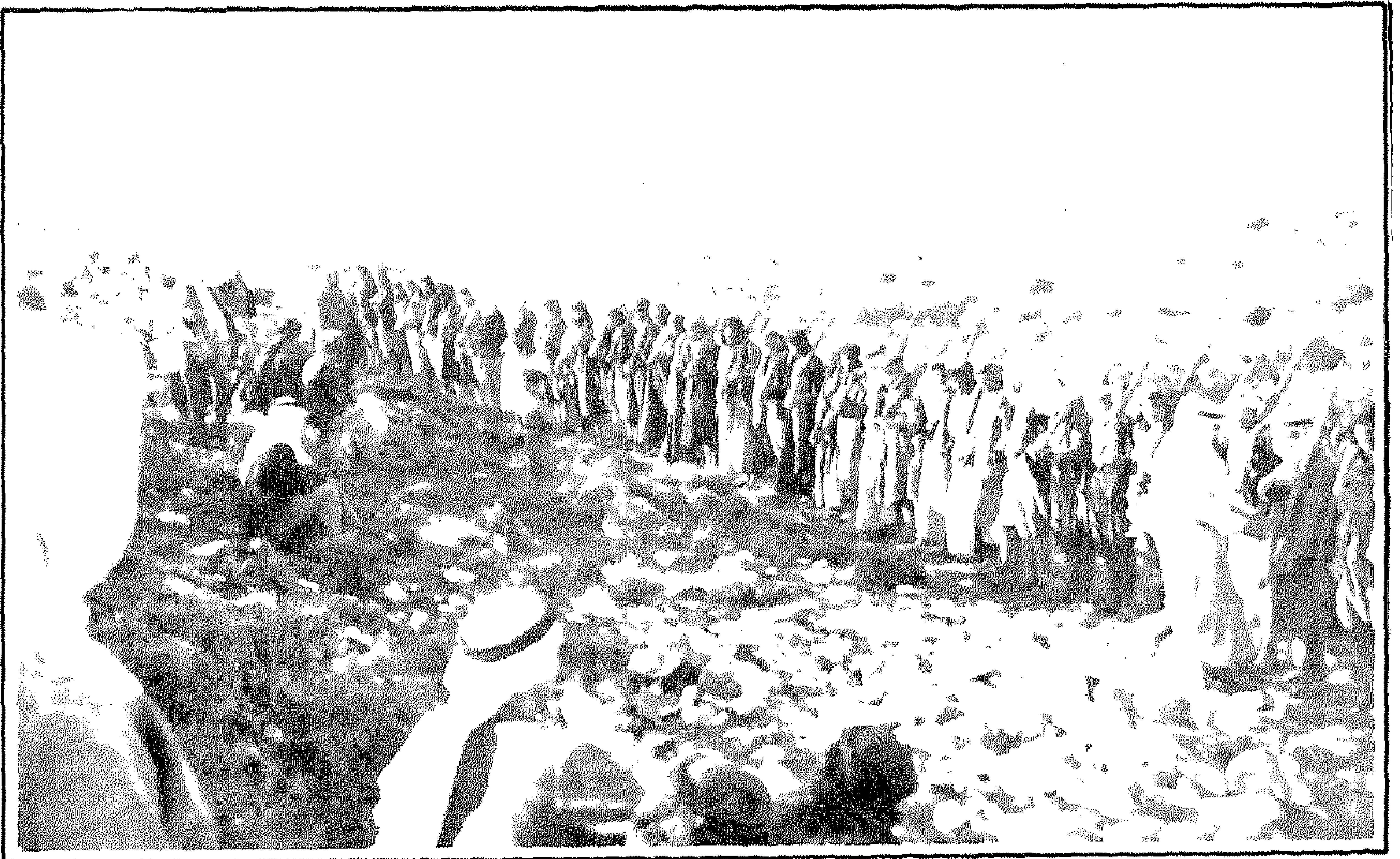
وعد بلفور، والمندوبون السامون أعلنوا مرات ومرات انهم جاءوا لترسيخ وعد بلفور. وكان الموقف الرسمي والمعلن للحكومة البريطانية ان اي تفاهم مع العرب، لا يتم ولن يتم الا من خلال وعد بلفور.

ان الترجمة السياسية الواقعية لهذا الموقف هو حرمان العرب من انشاء مؤسسات دستورية كمجلس تمثيلي او حكم وطني، مع الرفض المتواصل لجميع المذكرات السياسية التي طالب بها العرب في وقف الهجرة وبيع الأراضي.

اول فريق سياسي أدرك ضرورة المجابهة مع السلطة الانتدابية كان حزب الاستقلال العربي الذي تأسس ١٩٣٢، وقد كان من ابرز اهدافه نشر التوعية بين الجماهير بتوجيه العداء ضد الانكليز باعتبارهم أساس الداء. ومن خلال العديد من المهرجانات والاجتماعات السياسية العامة التي دعا اليها الحزب في مختلف المدن الفلسطينية وعبر المذكرات السياسية التي كان فيها يخاطب الجماهير تمكن من ترسيخ فكرة العداء ضد الانتداب. ويعتبر الاستقلاليون ان ثورة القسام قد وصلت ذروتها في الجو الوطني المشحون الذي كانوا قد هيأوا له بالتوعية السياسية العامة.

اذن، فالدعوة الفكرية ضد الانكليز لحزب الاستقلال، والقرار بحتمية الكفاح المسلح ضدهم للشيخ عز الدين القسام وعصبته، فماذا كان موقف القيادة السياسية من هذا كله؟

منذ بداية عهد الانتداب وحتى استشهاد القسام كانت الحركة الوطنية قد عاشت مرحلة القيادة السياسية الأولى فقط، وهي القيادة التي تمثلت في اللجان الوطنية المتعاقبة من ١٩٢٠ الى ١٩٣٤، وقد ترأس هذه اللجان كلها الشيخ موسى كاظم الحسيني، وهو شيخ وقور معتدل السياسة ومحترم لدى جميع الفئات السياسية. ان اقصى ما وصلت اليه اللجنة التنفيذية الاخيرة من اعلان سخطها على السياسة البريطانية كان دعوتها الى التظاهر ضد تلك السياسة (١٩٣٣)، وكان الرد البريطاني عنيفاً بالتعرض الى تظاهرتي القدس ويافا بالعنف وباعتقال عدد كبير من قادة التظاهرتين، وهذا ما دعا اللجنة التنفيذية الى العودة عن سياسة التظاهر الى اعتدالها السابق. وبسبب المرض والشيخوخة اعتكف موسى كاظم الحسيني في منزله، ولما توفي في العام التالي (١٩٣٤)، انحلت اللجنة التنفيذية تدريجياً، ولم ينتخب من بعده اي رئيس جديد.



— القائد القسامي ابو ابراهيم الكبير وبعض المجاهدين

وفي مرحلة السنوات ما بين ١٩٣٤ و١٩٣٦، تولى مهمة القيادة بحكم الامر الواقع الائتلاف الحزبي، وقد استمر هذا الوضع حتى قيام الاضراب الشهير وانبثاق اللجنة العربية العليا.

توقع الكثيرون من الحاج امين الحسيني ان يترأس الحركة الوطنية علناً بعد وفاة الشيخ موسى كاظم، الا انه لم يفعل، وتحليل ذلك يعود الى ان الحاج امين مفتي القدس كان يشغل منصب رئاسة المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى منذ سنة ١٩٢٢، وهو منصب ديني رسمي آثر الاكتفاء به مع ممارسته للزعامة السياسية الفعلية في اثناء رئاسة موسى كاظم للجان التنفيذية وبعدها. وهذا بالاضافة الى ان الحاج امين لم يكن مؤمناً حتى تلك المرحلة بامكان المجابهة المسلحة ضد الانكليز في ثورة شاملة، وهو عندما تزعم الثورة بصفته رئيساً للجنة العربية العليا (١٩٣٦/٤/٢٥)، فعل ذلك بناء على الحاح القيادات الحزبية وتعطش الجماهير قائدة الاضراب الحقيقية الى قيادة رسمية عليا لها. وقد دفع المفتي فيما بعد ثمناً لهذه القيادة العلنية، وهو قرار السلطة بحل القيادة السياسية وعزله عن رئاسة المجلس الاسلامي.

يتضح من هذا العرض الموجز للوضع السياسي القائم حين الاعلان عن ثورة القسام (١٩٣٥/١١/٢٠) ان البلاد كانت خالية من قيادة سياسية عليا موحدة، وخالية ايضاً من أي تنظيم مدرب ومسلح ومستعد للجهاد، ما خلا التنظيم القسامي.

عصبة القسام السرية

ولد عزالدين القسام في سوريا سنة ١٨٧١.

ودرس في الازهر الشريف وكان من تلاميذ الشيخ محمد عبده. لما عاد الى بلده عمل مدرساً في جامع السلطان ابراهيم، ولما قامت الثورة ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٠، شارك القسام مع المجاهد الشيخ صالح العلي في ثورة العلويين. حاولت السلطة العسكرية الفرنسية شراءه بتوليته على القضاء، ولكنه رفض ذلك وكان جزاؤه الحكم عليه بالاعدام من قبل الديوان العرفي.

وصل القسّام الى مدينة حيفا في ١٩٢٢/٢/٥. ووصل معه من رفاق الجهاد الشيخ محمد الحنفي والشيخ علي الحاج عبيد. عمل في حيفا واعظا دينيا ومرشدا ورئيساً لجمعية الشبان المسلمين فيها، واشتهر في حيفا وما حولها من منطقة الشمال بصفته إماماً وخطيباً بارعاً، الا أن اسمه لم يشتهر في فلسطين كلها إلا غداة استشهاده. فقد أصبح إسم القسام ما بين ليلة وضحاها رمزاً للجهاد.

إن تاريخ تأسيس عصبة القسام السرية بالتحديد لم يعرف بعد، ولكن من المعروف انه منذ قدومه الى حيفا ابتدأ يعمل في الاعداد النفسي للثورة، وقد تعاون معه في هذه المرحلة عدد من المؤمنين بالعروبة والجهاد، ومنهم الشيخ كامل القصاب من سوريا وهاني أبو مصلح من لبنان.

اتضح فيما بعد ان القسام قد اتبع السرية المطلقة ستاراً لكل اعماله وتحركاته مستفيداً من الوعظ والتدريس في اكتشاف العناصر الصالحة من تلاميذه، وكان معظم هؤلاء من فلاحي القرى وعمال حيفا، فكان يجذبهم تحت لواء التعاليم الدينية العامة ومنها الدعوة الى الجهاد.

الجديد في القاعدة القسامية ان القسام لم يعرف عنه اهتمامه فقط بالصالحين او الطيبين من الطبقة الكادحة، بل تجاوز هؤلاء الى المنحرفين منها. كان يؤمن ان جرأة المنحرف او السارق او القاتل من الممكن ان تتحول الى شجاعة والى ثورة حقيقية في نفسه اذا آمن بالله ايماناً صحيحاً وآمن بالجهاد في سبيل الله. فمن عناصره البارزة حسين الباير الذي اعترف في شهادة رسمية بأن مهنته السابقة كانت السرقة. ومن الذين أصبح يعتمد عليهم من أبناء الطبقة الكادحة ابو درة بائع الكاز على الطنبر، والغلاييني الذي كان عمله لحم التنك والحديد. وهو الذي اصبحت مهمته النضالية بحكم مهنته صنع القنابل البدائية.

اعتقد القسام بأنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا عن طريق الجهاد الاسلامي. وقد وضع وفقا لمبادئه الدينية والقومية الأسس العامة لثورة مسلحة وشاملة ضد السلطة الانتدابية. كان لا يقبل في صفوفه الا من كان مستعداً لأن يموت في سبيل بلاده، بالاضافة الى شرطين اساسيين. اولهما ان يقتني العضو سلاحه على حسابه. وثانيهما ان يتبرع بشيء من ماله قدر المستطاع.

السؤال الرئيسي الذي يطرح نفسه: لماذا اعلن القسام عن ثورته او حركته السرية وهي لم تكن قد

تخطت مرحلة الاعداد بعد؟ لقد وصف البعض قراره هذا بأنه قرار خاطىء سابق لأوانه، وقال آخرون بأنه قرار انتحاري لا ثوري. وقد اجابني عن هذا السؤال واحد من رفاقه المؤمنين البسطاء هو حسن شيلاق حين قال ببساطة: «خاف ان يعتقل فخرج الى الجبل». ويلتقي هذا الجواب مع رأي مجاهد قسامي آخر هو ابراهيم الشيخ خليل، فقد كتب يقول:

«... في عام ١٩٣٥ رأى القائد بأن المستعمر يراقب تحركات القساميين مراقبة دقيقة وكان القائد يتحسس بأن المستعمر سيعتقل النخبة الصالحة من إخوانه ويفشل جميع مخططات الثورة قبل ان تظهر للمواطنين، وكان رأيه الخروج الى الجبال والطواف بالقرى وحث المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للثورة...» (شؤون فلسطينية، ١٩٧٢/٣/٧، ص: ٢٦٧)

عمليات القساميين

القيادة العليا في العصبة لم تكن للقسام وحده، بل كانت قيادة جماعية تتألف من اثني عشر عضواً، ويشار اليهم باسم اعضاء الجمعية. وكان هؤلاء يتخذون جميع القرارات العليا بما فيها اغتيال الجواسيس والخونة، الا ان هذه القرارات الاخيرة كان لا بد لها من ان ترفع الى عالم ديني كي تصدر عنه، وذلك لأسباب دينية.

في بداية تكوينها تألفت خلايا الجهاد على نمط حلقات الأرقم ابن ابي الارقم، أي من خمسة اشخاص على الاكثر من بينهم نقيب مسؤول عن القيادة والتوجيه. وقد وصلت العصبة السرية الى خمس وحدات منظمة مختلفة المهمات.

الوحدة الأولى لشراء السلاح، والثانية للتدريب العسكري، والثالثة للاستخبارات ومراقبة خطط الانكليز واليهود السرية، والرابعة للدعوة المستمرة الى الجهاد الديني، والخامسة للاتصالات السياسية.

ولم تكن عملية المجابهة المسلحة في يعبد العملية الفعلية الاولى للقساميين، فهي الخامسة عدداً، إذ سبقتها أربع عمليات سرية أقضت مضاجع الانكليز والصهاينة. والأولى من هذه العمليات هي الشهيرة بعملية «نحلال» في مرج ابن عامر، فقد القى القساميون قنبلة في ليلة (١٩٣٢/١٢/٢٢) على منزل يوسف يعقوبي، فأصيب صاحب المنزل وابنه داود بجراح أدت الى وفاتهما فيما بعد. وقد ثار اليهود لهذه الحادثة وحولوا جنازة اليعقوبي الى تظاهرة سياسية قادها الدكتور آرلوزوروف رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، وأعلنت الحكومة عن مبلغ خمسمائة جنيه مكافأة لمن يرشد الى مقترفي جريمة «نحلال»، ولكن عبثاً.



– المجاهد القسامي أبو خالد

وبعد ان قام القساميون بثلاث عمليات اخرى مماثلة ازدادت شكوك السلطة بالقسام ورفاقه. فقرر القسام في خريف ١٩٣٥ الاعتصام بالجبال والاعلان عن ثورته. وقد رافقه عشرة من رفاقه المجاهدين.

البوليس كان قد أعد عدة هائلة لمجابهة ذلك النفر من المؤمنين المسلحين. فقد أحاط منذ الفجر بأحراش يعبد (قضاء جنين). ووضعت القيادة البوليس العربي في الخطوط الأمامية الثلاثة قبل البوليس الانكليزي. وبينما الفريقان يتأهبان صاح أحد أفراد البوليس العربي طالباً الاستسلام فرد عليه القسام صائحاً: «اننا لن نستسلم. ان هذا جهاد في سبيل الله والوطن».

كانت المعركة قصيرة. إذ دامت ساعتين فقط. استعمل خلالها الانكليز الطائرات لاكتشاف

موقع الثوار، وكان الرصاص يصم الآذان بلا انقطاع. وحين انتهائها أسفرت المعركة عن استشهاد القسام وثلاثة من المجاهدين. كما ألقى البوليس القبض على أربعة منهم. وروت جريدة الجامعة الاسلامية ان الشهيد القسام قد وجد بعد المعركة مجندلا بملابسه الدينية ومعه مصحف شريف وأربعة عشر جنيهاً ومسدس كبير.

القساميون في الثورة الكبرى

لم تنته ثورة القسام بل ابتدات باستشهاده، فقد استمر رفاقه من بعده يعملون. وقد قاموا بعمليات عديدة لم يعرف عنها في حينها أنها من عملياتهم بسبب السرية، إلا أنهم فيما بعد اعترفوا بها او اعترف بها التاريخ.

أهم حدث في البلاد بعد استشهاد القسام كان الاضراب الكبير الذي انفجر شعبياً وعفوياً في ١٩٣٦/٤/٢٠، والذي انبثقت معه اللجنة القومية في نابلس داعية سائر المدن والقرى الى تأليف لجان مماثلة، وقد لبت الهيئات الشعبية والمواطنون النداء الصادر عن نابلس فتألفت اللجان في أكثر من عشرين مدينة وقرية، وانساقت الزعامات السياسية والاحزاب كذلك الى الاضراب الطويل كما انساقت الجماهير، والسؤال الآن، ما هي حقيقة دور القساميين في احداث اضراب الاشهر الستة، وما رافقها من ثورة عارمة.

سبق الاضراب الطويل مسلسل دموي سريع ابتدأ ليلة الخامس عشر من نيسان (ابريل) فقد هاجم ثلاثة من العرب قافلة يهودية من السيارات على الطريق العام في قضاء نابلس، وأدى هذا الهجوم الى مقتل يهوديين وإصابة ثالث. وقد عرف فيما بعد ان المهاجمين الثلاثة كانوا من القساميين وبقيادة الشيخ فرحان السعدي. واستنتاجاً من طبيعة الاحداث الجارية آنذاك وهي تتلخص في موافقة زعماء الاحزاب السياسية على مبدأ التفاوض من جديد مع الحكومة البريطانية، واختلافهم فيما بينهم على عضوية الوفد المفاوض والذاهب الى لندن، نعتقد ان اقدام الشيخ فرحان السعدي على الاصطدام مع اليهود كان هدفه تحدي أسلوب التفاوض السياسي مع السلطة المستعمرة الحاكمة.

نجح القساميون في ذلك، اذ ادى انتقام اليهود في اليوم التالي من تلك الحادثة الى اصطدامات أدت بدورها الى لجوء المندوب السامي الى تطبيق قانون الطوارئ وفرض نظام منع التجول على مدينتي يافا وتل ابيب منذ مساء ١٩ نيسان (ابريل). وصحت يافا صباح اليوم التالي على إضراب شامل وعلى اشتباكات مسلحة، وقد تحول هذا الاضراب المحلي الى إضراب عام ومفتوح في فلسطين كلها طوال ستة اشهر، وذلك اثر نداءات ثلاثة صدرت عن نابلس ويافا والقدس تدعو الشعب الى المشاركة، وكانت النتيجة بالنسبة الى المفاوضات المتوقعة ان اعلن زعماء الاحزاب قرارهم بتأجيل سفر الوفد الى لندن.

ومرت فترة من الركود الظاهر بعد انتهاء الاضراب زارت في خلالها اللجنة الملكية فلسطين ثم اصدرت تقريرها في (١٩٣٧/٧/٧). وهو التقرير الشهير الذي احتوى على مشروع التقسيم كفكرة، وكاطار عام دليلاً على امكان تنفيذه عملياً في المستقبل. وقد هب العرب يعترضون على التقسيم في تصريحاتهم ومؤتمراتهم.

وانفجر الوضع العام من جديد، وذلك في (١٩٣٧/٩/٢٦) عندما اقدم «مجهولون» على قتل اندروز حاكم الجليل ومرافقه في مدينة الناصرة. وكان هذا الحدث كافياً لشن حملة من الارهاب ما رأت البلاد مثلها من قبل. لقد اعلنت الحكومة حل اللجنة العربية العليا واللجان القومية، كما اعلنت حلها للمجلس الشرعي الاسلامي الأعلى وعزل المفتي من رئاسته للمجلس، وذلك بعد أربعة ايام من مقتل اندروز.

وفي اليوم نفسه (١٩٣٧/٩/٣٠) اصدرت الحكومة أوامرها باعتقال اعضاء اللجنة العربية العليا، كما شرعت في اعتقال العشرات من المواطنين، ولكنها لم تتمكن من اعتقال المفتي بسبب وجوده في بيته ضمن أسوار الحرم الشريف، فشددت الحراسة حول الحرم، الا انه قد تمكن بعد ذلك من الافلات والتسلل سراً الى لبنان (١٩٣٧/١٠/١٣). ومن هناك عاد من جديد الى قيادة الثورة من الخارج.

من البديهي ان تبحث الحكومة ليل نهار عن قاتلي اندروز، هؤلاء «المجهولين». وقد وجهت كل شكوكها نحو القساميين، والسبب ان اندروز حاكم الجليل كان بدوره اكثر من تعقب خطاهم في الشمال



– فريق من المجاهدين بثياب الميدان

بحكم منصبه، وقد حققت الحكومة مناها عندما تمكنت من القاء القبض على خليفة القسام الشيخ فرحان السعدي مع ثلاثة من رفاقه.

وحين القاء القبض عليه، كانت الحكومة تعلم ما لهذا الشيخ الوقور من ماض نضالي، فالسعدي قد ألف في ثورة ١٩٢٩ عصبة من المجاهدين في قضاء جنين. وقد قبضت عليه السلطة في تلك السنة وألقت به في سجن عكا ثم سجن نور شمس ثلاثة اعوام. ولما خرج من السجن انتقل الى حيفا حيث اتصل بالقسام وانضم الى عصبته، ثم أصبح الرأس الاول في العصبة بعد استشهاد القسام.

كان هذا كله مدعاة الى السرعة الفائقة في محاكمة الشيخ فرحان السعدي محاكمة صورية في ثلاث ساعات. لا أكثر. وجهت اليه في خلالها تهمة قتل اندروز. ثم صدر عليه الحكم بالأعدام. ونفذ الحكم فعلاً بهذا الشيخ الصائم في شهر رمضان المبارك. وذلك في (١٩٣٧/١١/٢٢).

وقد أدى إعدام السعدي الى بعث الحماسة الجماهيرية الثورية من جديد. ومن الغريب أن تشتهر حادثة إعدام السعدي. ذلك الشيخ المجاهد المسن، الى حد طغى على دوره الكبير كمحرك وباعث من بواعث الثورة، ومن الذين يشيرون الى دوره الكبير رفيقه القسامي صبحي ياسين، فقد لقبه «بالمجاهد الصادق» وقال بأنه «خليفة الشهيد القسام وأول من اطلق رصاصة في سنة ١٩٣٦».

وكان دور القساميين وسواهم من الثوار كبيراً في بداية المرحلة الثانية من الثورة، فقد أخذوا يعملون في المنطقة الشمالية وجبل الخليل مجموعات متعددة، وذلك حتى تمكنت القيادة السياسية العليا من استرداد نشاطها في الخارج من جديد. ففي تلك الاثناء كان رئيس اللجنة العربية العليا (المنحلة نظريا) قد وصل سراً الى لبنان وأعاد تنظيم اللجنة بمن وجد من الاعضاء. كما أنه تمكن من إنشاء اللجنة المركزية للجهاد في دمشق كحلقة وصل بينه وبين قادة الفصائل في الداخل. والمسؤول عن هذه اللجنة المؤرخ محمد عزة دروزة يشير الى القساميين في تلك المرحلة بكثير من التقدير والاعجاب. كذلك يشير اليهم صبحي ياسين، ومن القادة القساميين في الثورة خليل العيسى (أبو ابراهيم الكبير) وتوفيق الابراهيم (أبو ابراهيم الصغير) وسليمان عبد القادر (ابو علي).

وكانت ثورة ١٩٣٧–١٩٣٩ ثورة عامة شاملة

شاركت فيها كل الفئات، شاركت المدينة وشاركت القرية، وكانت أكبر بكثير من ان تنسب الى رئيس فرد او زعيم فرد، او ثائر فرد. وبالاضافة الى القساميين كان هناك عدد كبير من القادة الكبار ابرزهم القائد عبد الرحيم الحاج محمد، وقد لقب بالقائد العام (أبو كمال)، وهناك عارف عبد الرزاق (ابو فيصل) وحسن سلامة (ابو علي) وعبد القادر الحسيني وسواهم.

وفي الحرب المأساة ١٩٤٧، شارك القساميون كأفراد وجماعات، الا أن دورهم لم يكن مميزاً في القيـــادات العسكريـــة المحليـــة لأن القيادة العسكرية توزعتها عملياً مجموعتان: جيش الانقاذ بقيادة القائد فوزي القاوقجي، وقوات الجهاد المقدس بقيادة القائد عبد القادر الحسيني. وبمعنى آخر ما عادت القيادة عبارة عن مجموعة من قادة المناطق والفصائل كما كانت في الثورة الكبرى، الا ان بطولات القساميين في الحرب الأخير ما قبل النكبة تثبت صدق ما يقوله القساميون من أن تنظيمهم استمر تنظيماً سرياً وعاملاً حتى ١٩٤٨.

أضواء على ثورة القسام

الثورة هي الهدف

القسام ما كان محبا للزعامة او الرئاسة، وما كان متهافتاً على شهرة او مجد، كان ثائراً حقيقياً، وسيرة حياته تشهد بذلك.

آمن القسام بالثورة، آمن بالجهاد المسلح وسيلة وحيدة ممكنة للنصر، وآمن بالسرية المطلقة سراً للنجاح، فهو حتى تنظيمه لم يطلق عليه إسماً محدداً إمعاناً في السرية، واما الاسماء المتعددة من «القساميين» «وعصبة القسام» «وجماعة القسام»، فكلها اسماء انتشرت واطلقت بعد استشهاد القسام.

وما كان رفاق القسام بأقل منه حرصاً على انتشار الثورة، وقد عرفنا دور الشيخ فرحان السعدي في بداية الاضراب، ومن ثم في انطلاقة الثورة من جديد، فالقساميون اذن ما سقطت من يدهم الشعلة، لقد عملوا باستمرار وتواصل عنصراً رئيسياً من عناصر الثورة.

والذين يعرفون القسام يشهدون بأن هذا الرجل ما كان من همومه ابداً ان تنسب اليه ثورة، أو الثورة. كان من همومه -ان لم يكن همه الأوحد- أن تنتشر الثورة.

وحدة النضال العربي

ان انبعاث ثورة القسام السوري أصلاً على أرض فلسطين يضيء صفحة خالدة من صفحات وحدة النضال العربي ضد الاستعمار. ودليلاً على هذه الوحدة، وفي المأتم الضخم الذي شيع فيه القسام وصحبه في مدينة حيفا، أقدم صديقه رشيد الحاج ابراهيم على لف النعوش الثلاثة بالأعلام العربية رمزاً للهدف الكبير وراء استشهادهم، فكان العلم العراقي للشهيد القسام، والعلم السعودي للشهيد سعيد عطية أحمد المصري، والعلم اليماني للشهيد يوسف عبد الله الزيباوي.

ابتعاد القسّام عن الحزبيات المحلية.

اعتقد القسام بأن الاحزاب السياسية عبث ما لم تقم على الايمان الصحيح، وهو لم ينضم يوماً الى حزب ما، وهذا مع ضرورة الاشارة الى ان صداقته الوطيدة مع رشيد الحاج ابراهيم أحد مؤسسي حزب الاستقلال ورجاله الكبار، جعلت بعض المؤرخين ينسبونه خطأً الى حزب الاستقلال.

وفـي الـوقت نفسه، وبالتأكيد، لم ينتسب القسام يوما الى الحزب العربي الفلسطيني، وهو حزب الحركة الوطنية المؤيد لسياسة المفتي. والغريب فعلاً ان يدّعي أميل الغوري، وهو أحد أعضاء الحزب العربي ان القسام كان من اعضاء الحزب العربي بقوله حول استشهاد القسام: «ودعا الحزب العربي الفلسطيني (وكان القسام من اعضائه وأحد ممثلي منطقة حيفا في لجنته التنفيذية) دعا الشعب الى الاضراب العام واعلان الحداد على الشهيد» (فلسطين عبر ستين عاماً، ج: ٢، ص: ٣٨).

لو ذكر ادعاء انتساب القسام الى الحزب العربي، وادعاء دعوة الحزب الى اضراب عام اثر إستشهاده في مصدر آخر سوى مصدر الغوري، لكان الرد بالتفصيل وبالأدلة وبالبراهين ضرورة، وأما بسبب صدور هذه الأقوال عن إميل الغوري بالذات وهو الذي ينضح كتابه بالمغالطات والاخطاء. فنحن سوف نكتفي بالرد على ذلك بما قاله جمال الحسيني

الزمن.... يسمع القسام وصحبه هذا فيثورون عليه ويخرجون... يخرجون عمن؟ يخرجون عن أعشاش فيها قطع من اللحم كأفراخ العصافير ينتظر كل منها معيله ليسقط في منقاره ما يسد به جوعه ويروي عطشه.... فيندفع القسام وصحبه من تلك الأعشاش لتثبيت المبدأ وإحقاق الحق واعلاء شأن الايمان، ونحن إذ نرى منهم ذلك لا يسعنا إلا ان نشعر بتبكيت الضمير واحمرار الوجوه فندعو الله أن ينير قلوبنا بهذا الأيمان» (جريدة الجامعة العربية العدد ١٧٢٥، ١٩٣٦/١/٧).

علاقة القسّام بالمفتي .

كان القسام واعظاً دينياً في حيفا، وهذه المهمة هي في أساسها مرتبطة بالمجلس الشرعي الأسلامي الأعلى، وبتعيين من مجلس الحاج امين الحسيني. ويتضح من هذا، العلاقة الدينية والعملية بين الرجلين. وأما عن علاقة العمل السري أو علاقة الجهاد فعلى الرغم من محاولات البعض اثبات علاقة ما من هذا النوع، الا أنه لا يوجد أية حقائق ثابتة حول ذلك. وهذا في الوقت الذي ينفي فيه المنطق العام وجود أية علاقة بينهما بشأن التنظيم السري أو بشأن عزم القسام على إعلان الجهاد. اذ أخفى القسام هذا الخبر حتى عن أقرب الأصدقاء اليه، فلماذا يخبر المفتي إذن أو حتى يستشيره، والمفتي كان واضحاً جداً في سياسته العامة في تلك المرحلة، وهي سياسة «اللاتوريط» التي أعلن عنها في مؤتمر يافا الشهير (١٩٣٣/٣/٢٦)، وهي السياسة نفسها التي كان مستمراً عليها، وما تحول عنها تحول الزعيم السياسي القدير إلا بعد الاضراب الكبير.

وأما عن علاقة المفتي بالقساميين، فالواضح والأكيد أن العلاقة بين الفريقين في أحداث الثورة وما تلاها كانت متينة وصلبة وقائمة على الثقة المتبادلة لقد استوعب المفتي جميع القساميين في صفوف الجهاد والثورة محترماً تنظيمهم الخاص السري، وهم بدورهم تعاونوا معه ومع اللجنة المركزية للجهاد تعاوناً صادقاً شعاره الجهاد في سبيل الله. ■



— الشيخ الشهيد عز الدين القسام

نفسه رئيس الحزب العربي.

جمال الحسيني ما ادعى يوماً من الأيام بأن القسام كان من اعضاء حزبه، وقد سألته حول ذلك في إحدى المقابلات فنفى نفياً قاطعاً، وأبدى عجبه من السؤال. ونفى ذلك ايضاً كامل الدجاني أحد اركان الحزب العربي.

ونقتطف هنا فقرة من خطاب رئيس الحزب العربي إثر استشهاد القسام، وفيها ينتقد جمال الحسيني موقف السياسيين من أمثاله نقداً ذاتياً:

«ثورة القسام كانت ثورة علينا جميعاً، شباناً وشيوخاً وكهولاً، اذ يقول كل واحد منا في قلبي إيمان وفي نفسي اخلاص وعزيمة ولكني مثقل وورائي عائلة كبيرة أخاف ان خرجت ان يتخطفهم الذل والعار والموت وليس لدي ما يدفع عنهم عوادي

المراجع

(أ) الوثائق :

– زعيتر، أكرم. أوراق اكرم زعيتر، محفوظة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(ب) المقابلات :

– الحسيني، جمال. البرزة : ١٩٧٣.
– الدجاني، كامل. بيروت : ١٩٧٣.
– دروزة، محمد عزة. دمشق : ١٩٧٤.
– زعيتر، أكرم. بيروت : ١٩٧٤.
– شبلاق، حسن. بيروت : ١٩٧٣.

(جـ) الكتب والمقالات :

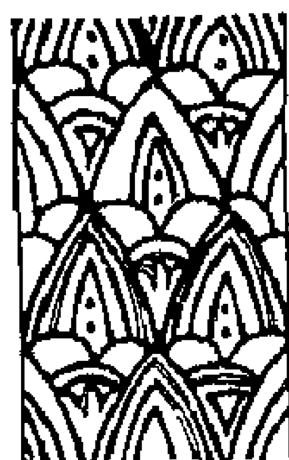
– الحوت، بيان نويهض. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧–١٩٤٨. يصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٩.
– دروزة، محمد عزة. حول الحركة العربية الحديثة. ج : ٣. صيدا : المكتبة العصرية، ١٩٥٠.
– الزركلي، خير الدين. الاعلام. الطبعة الثالثة. ج : ٧. بيروت : لا. ن.، ١٩٦٩.
– الشيخ خليل، ابراهيم. «رسالة من مجاهد قديم : ذكريات عن القسام»، مجلة شؤون فلسطينية، ١٩٧٢/٣/٧.
– غنيم، عادل حسن. «ثورة الشيخ عز الدين القسام» مجلة شؤون فلسطينية، ١٩٦١/٨/١٦.
– نويهض، عجاج. «الشيخ عز الدين القسام»، جريدة الأنوار، العدد ٦٠٩، ١٩٦١/٨/١٦.
– ياسين، صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦–١٩٣٩. لا.ب.، دار الهنا للطباعة، ١٩٥٩.

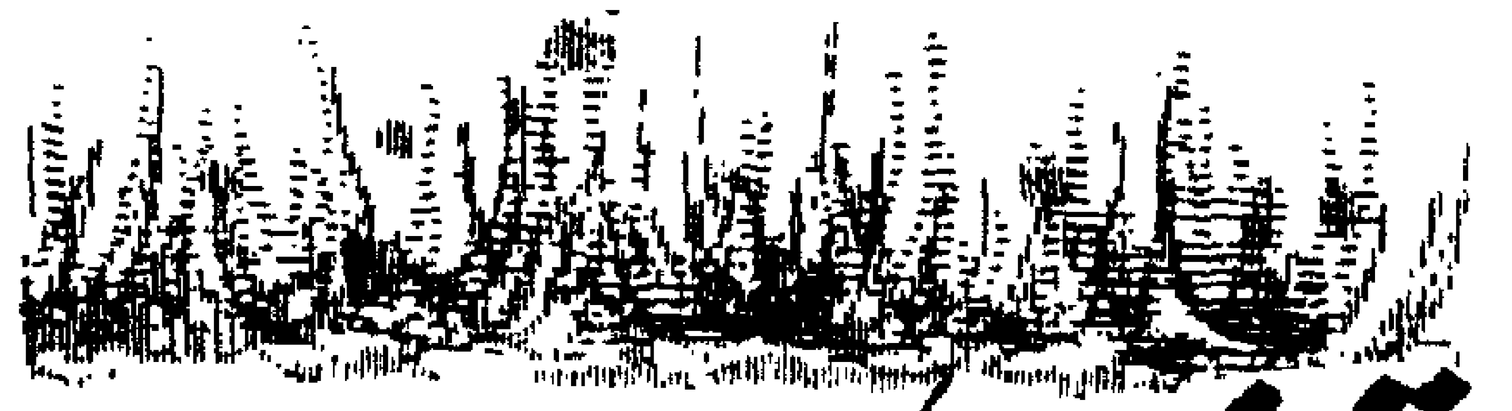
(د) الدوريات :

– جريدة الجامعة الاسلامية. يافا، ١٩٣٥.
– جريدة الجامعة العربية. القدس، ١٩٣٥.
– جريدة فلسطين. يافا، ١٩٣٥.

(هـ) الصور :

– المكتبة العامة في مركز الابحاث : منظمة التحرير الفلسطينية. بيروت.

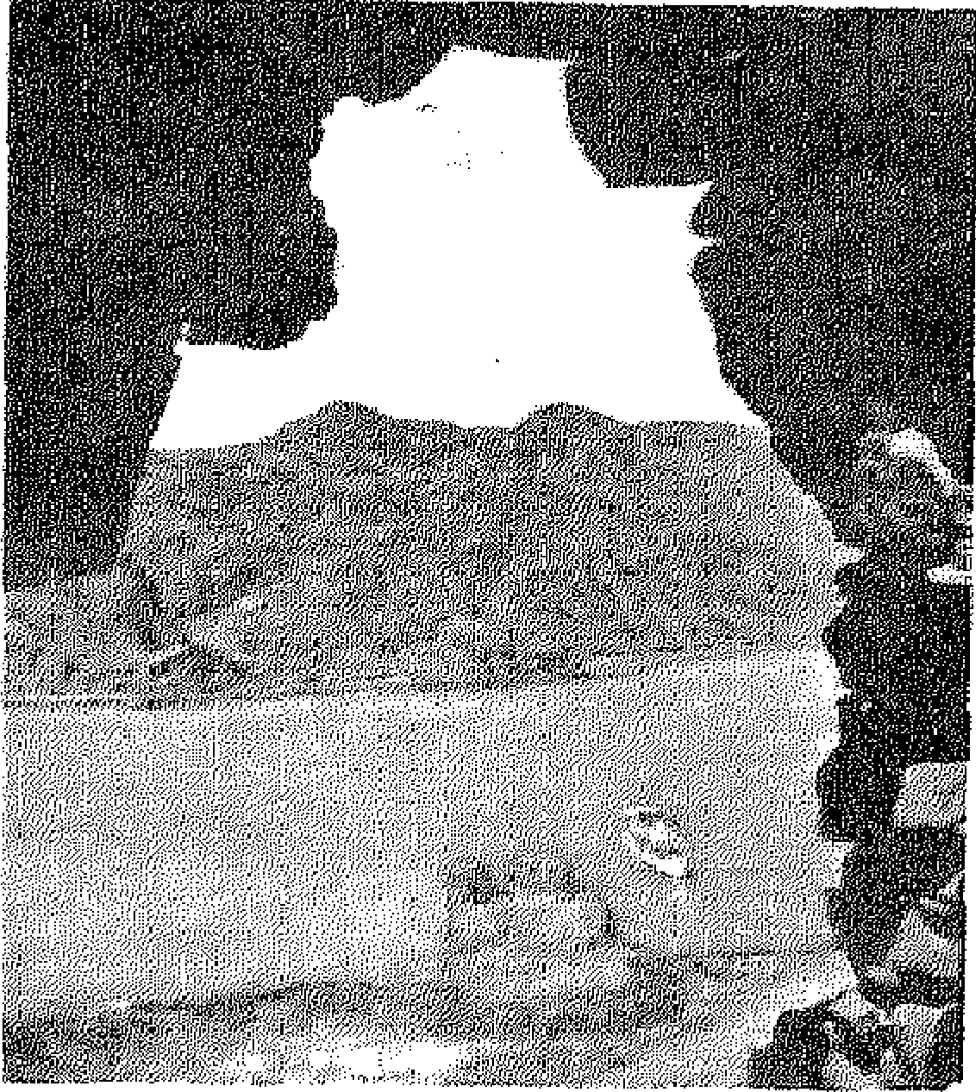




قضية الحدود بين فلسطين ومصر ١٨٤٠ - ١٩١٧

الجزء الثاني

د. خيرية قاسمية



خليج العقبة من قلعة جزيرة المرجان

اهتمام بريطانيا العملي بالحدود

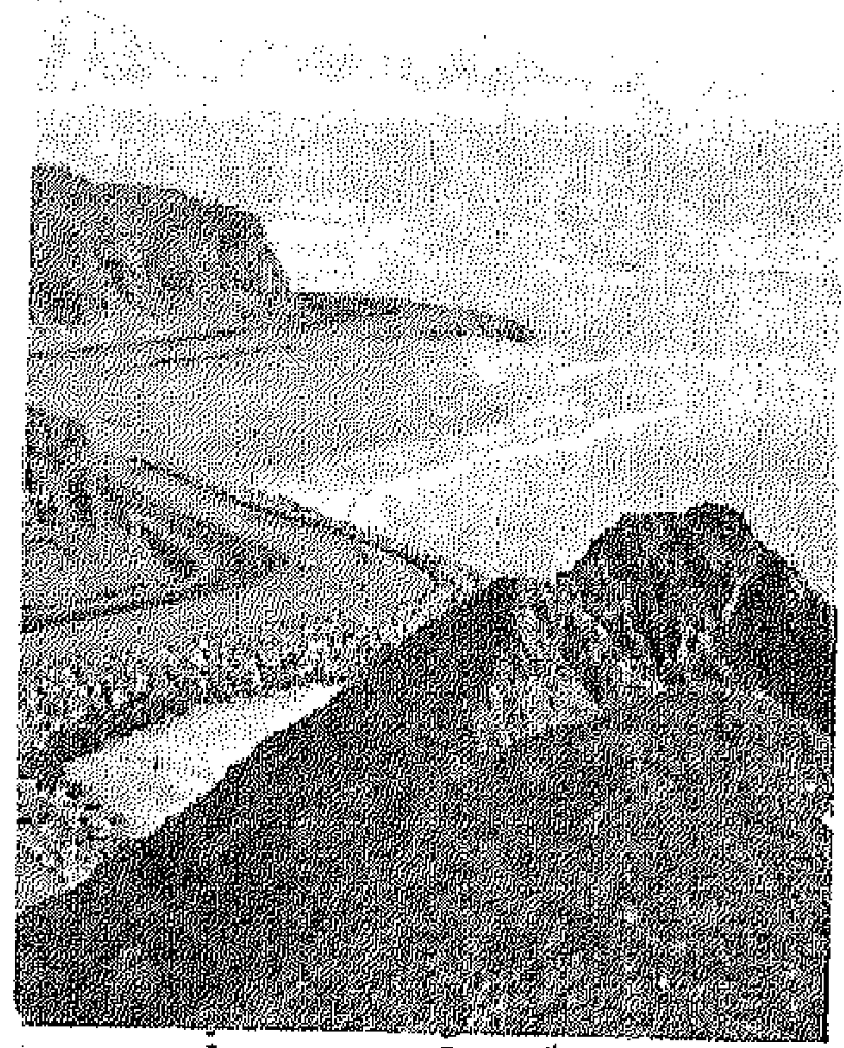
■ فشلت مفاوضات العريش في تقديم نتائج محسوسة ولكن الحكومة البريطانية – ظلت تنظر الى الحركة الصهيونية كعامل هام في سياستها في الشرق الأدنى يمكن أن يحسب حسابها، واتخذ كرومر خطوات معينة لتقوية مركز بريطانيا هناك فعيّن الكولونيل براملي مفتشاً لسيناء عام ١٩٠٥.

فشرع هذا في اجراء اصلاح اداري هناك وارسل بعد ذلك قوات مصرية لاحتلال مراكز معينة داخل سيناء بما فيها طابه على الشاطئ الغربي لخليج العقبة ولكن وجدت قوات تركية قد احتلتها مسبقاً في ١٧ شباط/فبراير ١٩٠٦ وجرت مفاوضات بين الحكومة المصرية والاستانة وتمسكت الحكومة العثمانية . الى ان حدود سيناء يجب ان تمتد من رفح الى السويس ومن السويس الى العقبة واصرت الحكومة المصرية على ان تكون برقية ٨نيسان/ابريل ١٨٩٢ اساساً لاي تسوية. بينما اصرت الاستانة على ان تفسير البرقية هو مسألة تهم فقط الحكومة العثمانية.

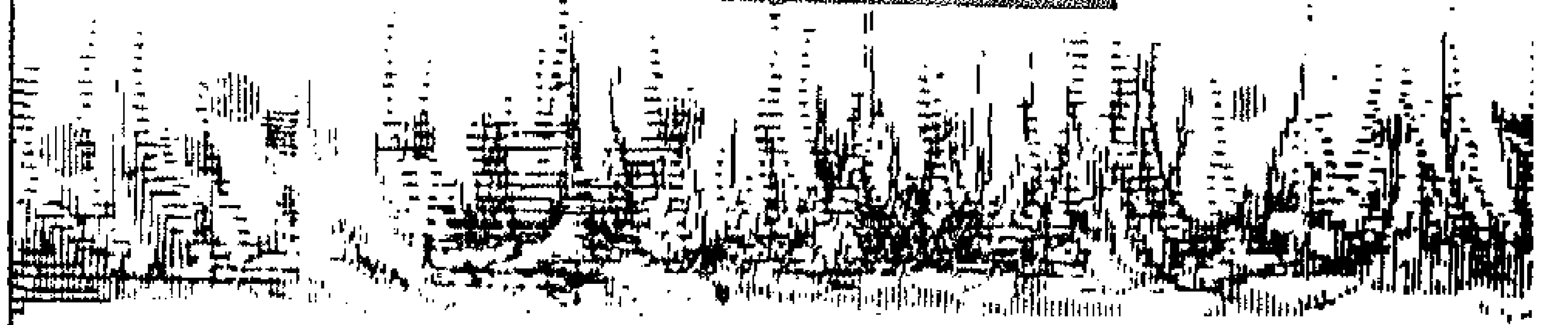
ولجأت السلطات في مصر الى القيام باستعدادات وتحركات عسكرية في منطقة الحدود وعلى السواحل، قابلتها الحكومة العثمانية بامداد النقط الحربية على الحدود بقوات جديدة. واخترقت قوة عسكرية منطقة رفح وازالت عمودي الحدود من مكانهما.

وبلغت قضية الخلاف مرحلة خطرة فاوعزت الحكومة البريطانية الى سفيرها في الاستانة رفع انذار الى الباب العالي في ايار/مايو ١٩٠٦ باجابة مطالب حكومته خلال عشرة ايام وتتلخص باحتلال طابه وعودة الجنود العثمانيين من رفح إلى حدودهم واعادة عمودي الحدود الى مكانهما، ودل الانذار ان بريطانية مصممة على استخدام القوة اذا لم تجب الى مطالبها، وايد سفير فرنسا وروسيا في الاستانة السفير البريطاني كما اعلنت المانيا عدم تعضيدها للدولة العثمانية في هذه المشكلة.

وعرضت القضية برمتها على لجنة الدفاع عن الامبراطورية وهي جهاز استشاري بريطاني. ولم تكن المشكلة امتلاك طابه بالذات كما دلت



الطريق من قمة الشيخ الى ايلة



مناقشات لجنة الدفاع في الامبراطورية ، بل ان يصبح خليج العقبة «بحرة مغلقة» يتحكّم بها الاتراك ويزيد احتمالات هجوم تركي على الحدود ، بحثت اللجنة في أساليب الضغط العسكري أو البحري الذي يمكن ان يطبق على الدولة العثمانية في حالة رفض الجلاء عن المنطقة المصرية ، وكان من بينها قطع طريق الامدادات التركية عن اليمن الذي قد يؤدي الى نشوب ثورة في الحجاز أو سورية .

وقبل ان ينقضي اجل البلاغ ببضع ساعات اصدرت الدولة العثمانية اوامرها برجوع جنودها عن طابه وعن كل النقط المحدودة من الاملاك المصرية . واتفق الباب العالي وبريطانية على تحديد التخوم الفاصلة بين سيناء والولايات العثمانية بواسطة لجنة مشتركة من الطرفين ووقعت إتفاقية حدود سيناء في أول تشرين أول ١٩٠٦ ، وتبدأ من رفح على ساحل المتوسط وتمتد جنوباً بشرق الى نقطة تبعد ثلاثة أميال عن قلعة العقبة غرباً على محاذاة ساحل خليج العقبة .

* * *

تكتيك شراء الأراضي العربية

وعاد التفكير ثانية بإحياء المشروع الذي عرض على هرتزل لإنشاء مستوطنة يهودية في الجزء الشمالي من جزيرة سيناء قرب الحدود التركية . في المنطقة التي كانت مثار نزاع متواصل بين السلطات العثمانية والحكومة المصرية . وفي حين كان مشروع هرتزل قد تم الأعداد له والإشراف عليه عن طريق وزارة الخارجية البريطانية والسلطات البريطانية في مصر يبدو أن المحاولات المتأخرة التي تولتها شركات استيطان يهودية لم يؤخذ بها رأي وزارة الخارجية قبل الشروع بها . وإن كان نائب القنصل البريطاني في غزة كنزفيتش A. Knesevich قد عمل وكيلاً لعمليات الشراء باسم شركات الإستيطان اليهودية وكانت السلطات البريطانية في مصر – كذلك الهيئات القنصلية في القدس – على علم بهذه التحركات منذ أن بدأ التفكير فيها ١٩٠٨ وأصبحت موضوع مراسلات عديدة ومعقدة بين القدس والآستانة والقاهرة ولندن .

ويبدو أن المعتمدية البريطانيّة في القاهرة قد أبلغت كذلك السفارة البريطانية في الآستانة بالموضوع ، وطلبت إتخاذ الإجراءات لمنع نشاط كنزفيتش حتى لا يبدو أنه يتمتع بموافقة حكومة جلالته ، لذلك قام لوثر السفير البريطاني في الآستانة بإبلاغ القنصل البريطاني في القدس (ساتو) Satow في برقية في ١٦ نيسان /إبريل ١٩١١ بتفاصيل القضية التي يعتبرانها تؤثر على العلاقات مع السلطات العثمانية من جهة ومع العرب المصريين وان المشروع غير مرغوب الإستمرار فيه . ومن المحتمل أن يعطي انطباعاً كاذباً بان المشروع يتمتع بدعم حكومة جلالته .

وظلت المراسلات مستمرة منذ عام ١٩٠٨ حتى بداية ١٩١١ إلى إن تم توقيع عقد بين كنزفيتش وستة أشخاص يمثلون الشركة . وبموجبه يشتري الأول أرضاً مساحتها ٥٠٠٠٠ دونم في رفح على مسافة كيلو متر من عمود الحدود العسكري وقد تم حتى تاريخ إرسال ساتو التقرير شراء ١٠٠٠٠ دونم ولم يتم شراء أرض لمصلحة هذه



حسين بن علي

الشركة في الجانب التركي من الحدود. وقد برر كنزفيتش عمله بأنه نوع من عمل تجاري وانه لم يستخدم صفته القنصلية للتأثير على بيع الأراضي إذ أنها قد تمت في الجانب المصري حيث لا موكز رسمي له. ولكن معرفته الشخصية بالمواطنين قد أفادت مفاوضاته وباعتقاده أنه نظراً لان معظم اليهود المهتمين بإنشاء المستوطنة المقترحة كانوا من التبعية البريطانية فهو إنما يدعم المصالح البريطانية...

وقد رأت وزارة الخارجية البريطانية أن تستطلع رأي السلطات في مصر فبعثت نسخة من التقرير إلى تشيتام (وكيل المعتمد البريطاني) وفي رسالة الأخير إلى غراي في ١٧ حزيران/ يونيو ١٩١١ أوضح الموقف في مصر من عمليات الشراء مبيناً قبل كل شيء الصفة العامة لجزيرة سيناء التي يسكنها فقط عرب رحل لا يخضعون تماماً للنظم الإدارية المصرية، بل إلى حد بعيد طبقاً للعادات القبلية ويديرها موظفون إنجليز يتبعون وزارة الحربية المصرية، وهذا الوضع يبدو مرضياً إلى حد كبير في الوقت الحاضر، إلا أن هجرة يهود روسيا أو غيرهم مهما كانت أعدادهم سيثير بلا شك مشاكل قد تكون مؤسفة جدا، وبالإضافة إلى هذه الإعتبارات هناك صعوبة حصول المستوطنين اليهود على أرض لها حقوق ملكية واضحة لأن هذه الحقوق في سيناء تعتمد على العرف ويصعب بالتالي تحديدها ومع أن الحكومة المصرية هي التي لها حق الملكية إلا أنها قد منحت السكان هناك حقوقاً عرفية للرعي والزراعة ولا ترى الحكومة المصرية أي داع لوضع حق ملكيتها موضع التنفيذ في الوضع الحاضر، أي طالما أن الأرض يشغلها عرب منحوا حق إستخدامها لعدة أجيال ولا يتبع ذلك أن تبقي الحكومة المصرية حقوقها معلقة لو جرت محاولة لإنشاء مستوطنة أجنبية، وهي ليست على استعداد في الوقت الحاضر للتخلي عن هذه الحقوق نظراً لما قد يثار من قضايا صعبة ومعقدة.

ويكشف تشيتام في رسالته أن محاولة شراء أراضي لاستيطان مهاجرين يهود في المنطقة المجاورة لرفح قد جرت قبل عام ١٩١١ ولم يبلغ عنها في حينها، وتمت الصفقات الأولى منذ النصف الأول لعام ١٩١٠، رغم تحذير السلطات المصرية للوكلاء الذين تولوا المفاوضات من الأخطار التي قد يتعرض لها موكلوهم بسبب عدم ضمان حقوق الملكية.

وقد أشار تشيتام في رسالته بأنه كانت هناك منظمة أخرى للإستيطان اليهودي باسم المنظمة العامة للإستيطان اليهودي يتولاها عدد من اليهود الألمان برئاسة الفرد نوسيج Nossig كانت تفكر في نفس المنطقة ضمن مشروع واسع يشمل الشرق كله.

ويبدو أن كنزفيتش ظل يلح على طلب إجازة تفتيشية للتوجه إلى الحدود المصرية لأمر يتعلق بعمليات شراء الأرض، وعاد مكريغور في رسالته إلى السفارة البريطانية في الآستانة ١ آب/

أغسطس ١٩١٢ يجدد الطلب مؤكداً أن كنزفيتش ما زال يعمل على شراء أرض استيطان يهودية وهو أمر يثير حيرة القنصلية في القدس بشأن الموقف الواجب إتخاذه حيال هذه الصفقات.

وأبلغت قنصلية القدس كنزفيتش بصورة شخصية أن البيع لا يزال مستمراً بطريقة سرية. وحذرته بضرورة التيقظ، وامتنعت السفارة البريطانية في الآستانة عن إعطاء الإذن لكنزفيتش بمغادرة المنطقة من أجل قضية شراء الأراضي (التي

دعاها كتشنر عملية غير شرعية) ما لم تتأكد السفارة مسبقاً أن هدف كنزفيتش هو وضع حد نهائي لعملية الشراء.

وأبلغت وزارة الخارجية بالتطورات الأخيرة في ١٤ آب/ أغسطس ١٩١٢ في رسالة بعث بها مارلنغ مستفسراً عن رد القاهرة فيما يتعلق بالتعويض على كنزفيتش نظراً لحسن نيته ولذلك بعث لورد غراي وزير الخارجية في ٢٦ آب/ أغسطس ١٩١٢ إلى مصر لحث السلطات البريطانية فيها على إرسال رد على رسالته ١٨ أيلول/ ستمبر ١٩١١ ويعترض فيها على تقييم لورد كتشنر لتصرف كنزفيتش.

بريطانيا تستغل ضعف تركيا في فلسطين.

واتفقت آراء الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية مع رأي كتشنر، وتقرر ضرورة سحب ما ورد في رسالة وزير الخارجية –١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ بعدم لوم كنزفيتش والتعويض عليه لأنه فعلاً لا يستحق أي تعويض وأبلغت الأطراف المعنية بآراء وزارة الخارجية حول هذا الأمر.

لقد كانت الدوافع الرئيسية التي تكمن وراء اعتراض السلطات في مصر على حصول كنزفيتش وشركائه لأراضي من أجل أغراض الإستيطان قرب الحدود المصرية التركية، إنما خشية أن يؤثر ذلك على علاقات الحكومة البريطانية مع السلطات العثمانية من جهة ومع القوى المحلية في مصر من جهة أخرى. ولم تمنع هذه الحقائق منظمات الإستيطان اليهودية عن إتباع أساليب جديدة لإتمام عمليات الشراء.

وكان الهدف النهائي للمعاملات الجارية كما يرى مكريغور، هو نقل الأرض المذكورة إلى مؤسسة الإستيطان اليهودي المعروفة بإسم «شركة تطوير الأراضي الإنجلوفلسطينية» Anglo-Palestine Development Company ودخول (مس بالمير) شريكاً كان يضمن للشركة بالإضافة إلى المساعدة المالية. حماية القنصلية البريطانية في قضية نقل حقوق الملكية. وكانت النية أن تؤسس الشركة وتسجل في القاهرة. على أن يقام لها فرع في القدس تحت الحماية البريطانية. ولكن ما هو مؤكد أن فكرة إنشاء مستوطنة على الجانب المصري من الحدود قد تُخلي عنها واقتصرت محاولات الشراء على الجانب التركي من الحدود. ولم يكن الموقف البريطاني من عمليات الشراء يعني توقف الإهتمام بالمصالح البريطانية على الحدود التركية المصرية. فقد أثيرت مجدداً مسألة الدفاع عن الحدود الشرقية لمصر نتيجة لتغير الأوضاع في الدولة العثمانية بعد تراجعها كقوة عسكرية إثر الحرب الطرابلسية ١٩١١ وحروب البلقان ١٩١٢/١٩١٣. واستبعدت السلطات العسكرية في إنجلترا احتمال قيام الدولة العثمانية بعمليات هجومية ضد مصر عبر شبه جزيرة سيناء ولم يوافق كتشنر– المعتمد البريطاني في مصر. على أنقاص القوة العسكرية في مصر. إذ برأيه أن عودة القوات المنهزمة الممتلئة بالعداء المرير للأوروبيين بعد إنتهاء الحرب البلقانية سيكون مصدر قلق للسلطات في مصر.

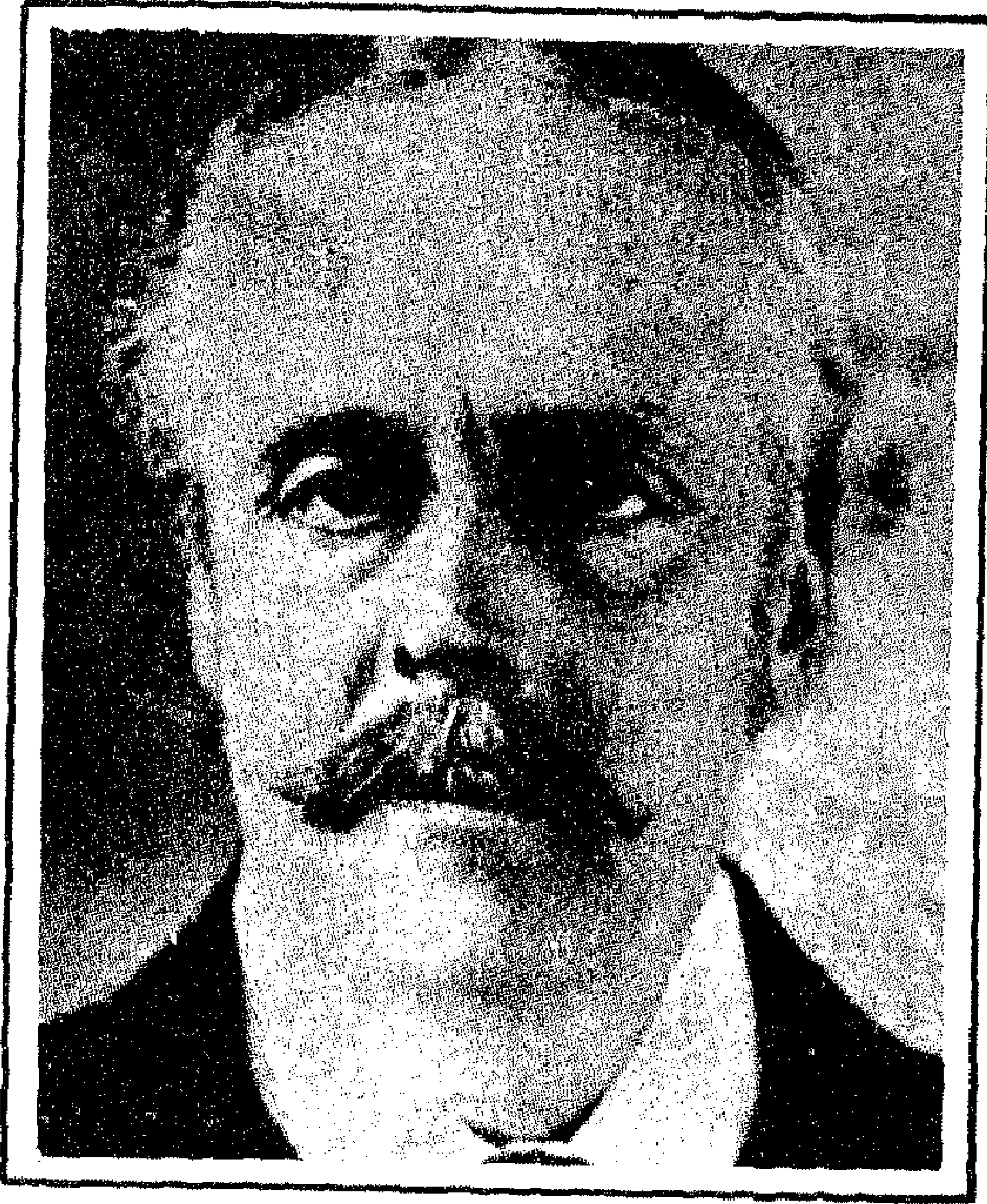
ويفسر هذا زيادة الإهتمام البريطاني بما كان يحدث في فلسطين نتيجة للهزائم التركية. وسعت الأجهزة البريطانية إلى ترويج الدعاية القائلة بأن

أحسن بديل للحكم العثماني في هذا الجزء من العالم هو امتداد الحدود المصرية إلى حدودها القديمة في عكا . وكان هذا الرأي ينتشر قبلاً بين اليهود إلا أن الدعاية البريطانية حاولت نشره بين سائر الأوساط . ولعب نائب القنصل البريطاني في غزة لوجوده قرب الحدود المصرية التركية ولعلاقاته الوثيقة بالأهالي ، دوراً كبيراً بنقل أخبار منطقته ومنطقة بئر سبع ورغبة القبائل البدوية هناك في الإلتحاق بمصر .

فلسطين بين مصالح فرنسا وإنكلترا .

ونظراً لأن فرنسا كانت قبل الحرب العالمية الأولى تعتبر صاحبة الإدعاء الأول في سورية وأنها البديل الوحيد للحكم العثماني في سوريا ، فقد بدأت الصحافة الفرنسية توجه اتهامها بوجود تآمر بريطاني على سوريا لإحتلالها وأن مصر مصدر هذا التآمر وأنكر كتشنر في رسالته إلى غراي في ٨ كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ هذا الإتهام مع تأكيده على وجود شعور موالٍ لبريطانيا في سوريا. وأعلن بوانكاريه Poincaré رئيس وزارة فرنسا أمام البرلمان الفرنسي في كانون أول/ ديسمبر ١٩١٢ موقف بريطانية في نفي تهمة التآمر على سورية . ورأت الصحف الفرنسية بأن ذلك إعتراف من بريطانيا بالمصالح الفرنسية .

وهكذا فإن دوائر الخارجية البريطانية قد قبلت قبل الحرب العالمية الأولى بالرأي القائل بأن سورية هي منطقة نفوذ سياسي فرنسي ، إلا أن السؤال الوحيد الباقي والذي يهم المصالح البريطانية الحيوية هو أين يرسم الحد الجنوبي (لسورية الفرنسية) في المستقبل؟ أو بعبارة أخرى ما هو مصير الجزء الجنوبي من الشاطئ الذي يحمل الإسم التاريخي لفلسطين؟ واكتسب الرأي القائل بأنه في حالة تجـزؤ الأمبراطورية العثمانية يجب بذل الجهد لفصل سورية الجنوبية حتى ميناءي حيفا وعكا وتشكيل كيان منفصل تحت النفوذ البريطاني ، اكتسب هذا الرأي تأييداً في دوائر



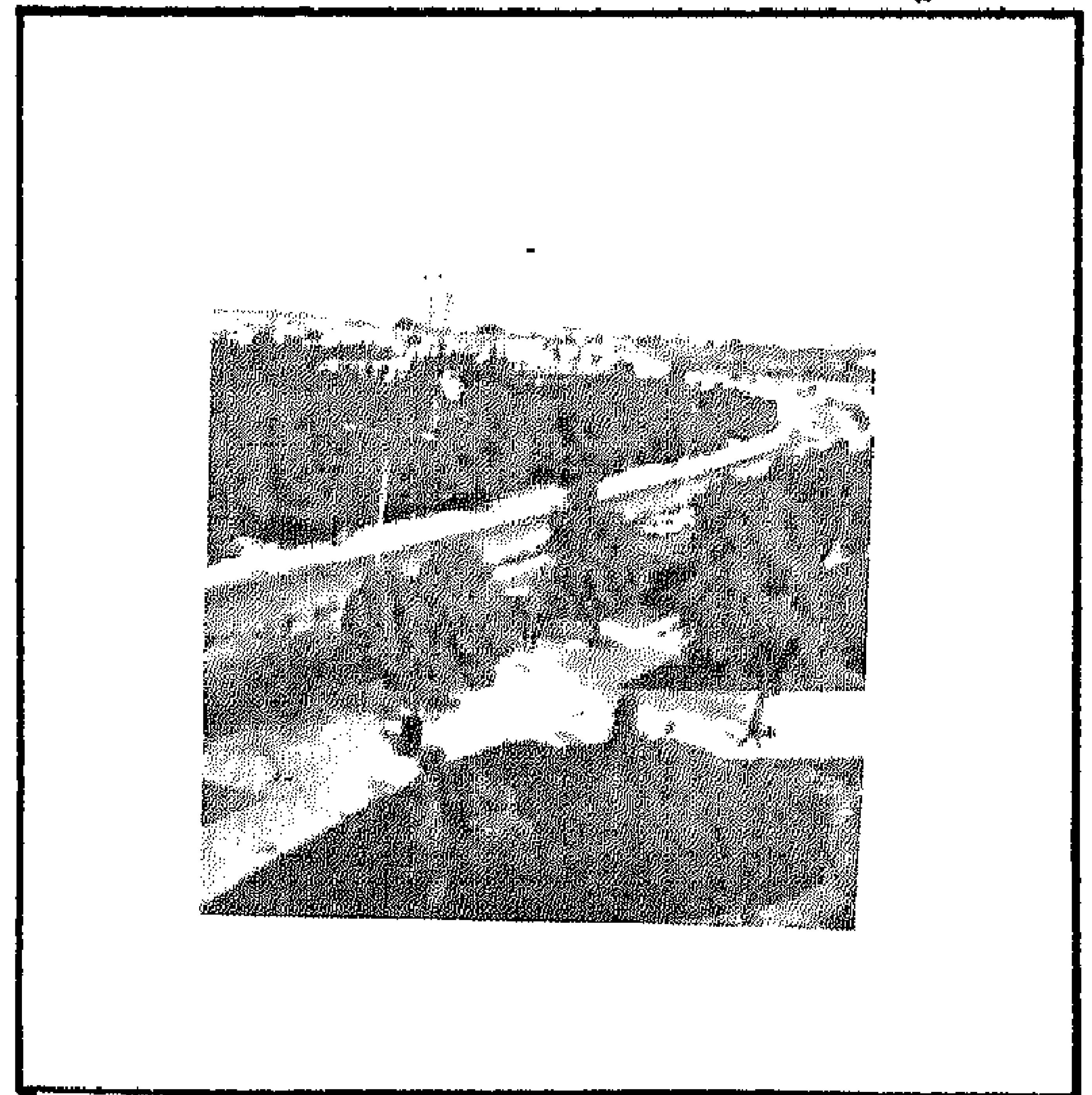
بلفور

معينة في مصر وإنجلترا ، ومن المعروف أنه قد رسخت في ذهن لورد كتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) منذ أيلول/ سبتمبر ١٩١١ وحتى اندلاع الحرب هذه الفكرة وعمل على نشرها في الدوائر الرسمية قبل الحرب .

وتمكنت البعثة من مسح صحراء سيناء في المثلث بين بئر السبع والعقبة – وادي عربة وعدلت نتائج تحرياتها إلى حد كبير الفكرة السائدة بأن نقص المياه ومصاعب النقل تمنع أي هجوم خطير من فلسطين ، كما أن المعلومات التي قدمتها البعثة عن الصفات الطبيعية ووصف الأماكن ومواقع المياه مع الصور التوضيحية والمخططات كانت ذات قيمة كبرى بعد نشوب الحرب حين توجهت الأنظار إلى شمال سيناء . ولم ينشر (صندوق الاكتشاف الفلسطيني) هذه الدراسة والخرائط التوضيحية الملحقة بها في حينه بناء على طلب وزارة الحربية التي رأت «أنه من غير المرغوب أن تصل إلى عدو يمكن أن يجعل هذا البلد قاعدة للهجوم على مصر» . ونشر البحث تحت عنوان (صحراء التيه) بعد احتلال القدس ١٩١٧ .

ولما تفجرت الحرب وانضمت تركيا إلى دول الوسط لم تكن بريطانيا على استعداد لاحتلال الجزء الجنوبي من فلسطين والدفاع عن مصر من جهة حدودها الشرقية ، فتخلت لفترة عن الجزء الأكبر من سيناء للقوات التركية وقنعت بصد الهجمات عن القناة ، وفي الأيام الأولى من شباط/ فبراير ١٩١٥ تقدم جيش تركي قوامه/٢٠٠٠٠/ مقاتل نحو منطقة القناة وهاجم عدة مواقع وأمكن رده بسهولة ، ولكن مجئ الجيش التركي كان درساً موضوعياً للإستراتيجية البريطانية بالنسبة للخطر الذي يهدد مصر والقناة من عدو يحتل فلسطين.

لقد تحققت بريطانيا بعد كل هذه الإعتبارات ونتيجة للمراحل الأولى للحرب أهمية فلسطين الإستراتيجية ، والخطر على مصر والقناة من عدو يحتل مصر ، وان الضرورة العسكرية تحتم مد حدود سيناء ، ومن أجل تنفيذ خطة سياسية عسكرية لحصول بريطانيا على فلسطين ، بحيث يكون لها الإشراف المنفرد عليها ، أخذت تتحرك ببطء ، فأخرجت فلسطين أولاً من دائرة نفوذ فرنسا وفي اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ وافقت بريطانيا على وضع فلسطين تحت الإشراف الدولي – عدا خليج عكا وحيفا – تمهيداً لنقلها إلى منطقة النفوذ البريطاني .



جانب من مدينة بئر السبع عاصمة النقب الشمالي

ولما قامت القوات التركية بهجوم غير ناجح صيف عام ١٩١٦ على القناة رفضت القوات البريطانية أن يشاركها في احتلال فلسطين قوات أخرى من الحلفاء بما فيهم قوات الثورة العربية ، في وقت سمحت فيه لفيلق يهودي بالإلتحاق بالحملة البريطانية . كما تعاونت مع شبكة تجسس صهيوني .

ولأن فلسطين الآن وكما كانت دوماً مفتاح مصر . ولذلك فإن مشكلة الدفاع عن مصر . والتي تدعى (بكعب أخيل) الأمبراطورية البريطانية البحرية ، ذات مكانة فريدة في النظام الإستعماري الأمبريالي البريطاني .

ولقد وصل هذا التقليد الطويل للإهتمام والعطف البريطاني على الصهيونية ذروته بتصريح بلفور ونقلت منشورات المنظمة الصهيونية بعد صدور تصريح بلفور رأى الصحافة البريطانية . فذكرت ايفننغ ستاندرد Evening standard « أن المصالح البريطانية كانت قد أوضحت دوماً أن لا بد من قيام دولة حاجزة بين مصر وبين حكومة تركية معادية ، ويظهر أن الصهيونية قدمت هذا الحل » .

ومع أن الأمبراطورية العثمانية قد زالت من الوجود بعد الحرب ، وهزمت ألمانيا كقوة أوروبية كبرى ، وساهم العرب كشركاء في نصر الحلفاء . وزال التهديد الألماني التركي لمصر من الشرق . ظلت بريطانيا تدعم الوجود الصهيوني في مؤتمر السلام . وكانت فلسطين من حصتها كدولة منتدبة واشترط صك الإنتداب تنفيذ تصريح بلفور . لم يكن ذلك إلا لوجود خطر واحد يهدد المصالح البريطانية التي تحوم حول قناة السويس الطريق البحرية التي تؤدي إلى الهند ، عبر عنه كاتب عربي في عام ١٩١٩ بقوله : «فان حسب سياسيو إنكلترا ان امكانية اتحاد الامم الناطقة بالضاد الساكنة لشرقي القناة سيهدد سلامتها فانهم برأي كاتب هذه السطور يؤسسون ولاية يهودية لتفصل بين العالم العربي وتحمي القناة» ■

نحو تاريخ بدون تزييف...

بعد الرسالة التي أثار فيها أحد قرّاء «تاريخ العرب والعالم» مسألة البت نهائياً فيما إذا كان الأمير فخر الدين المعني الثاني بطلاً وطنياً كما يقول البعض، أم متعاوناً مع الأجنبي، كما يقول البعض الآخر. وبعد الرد الذي كتبه «لتاريخ العرب والعالم» الاستاذ محي الدين قدورة (العدد ٤) والذي تبنى فيه مدرس التاريخ وجهة النظر الثانية. وبعد ان ردّ أيضاً المحامي الاستاذ عصام العريضي على الرد مبرئاً ساحة الأمير فخر الدين (العدد ٥)... ها هو العقيد الدكتور ياسين سويد يدلي بدلوه، عارضاً وجهة نظره.

لا تحكموا على فخر الدين قبل أن تحاكموه

ع. د. ياسين سويد

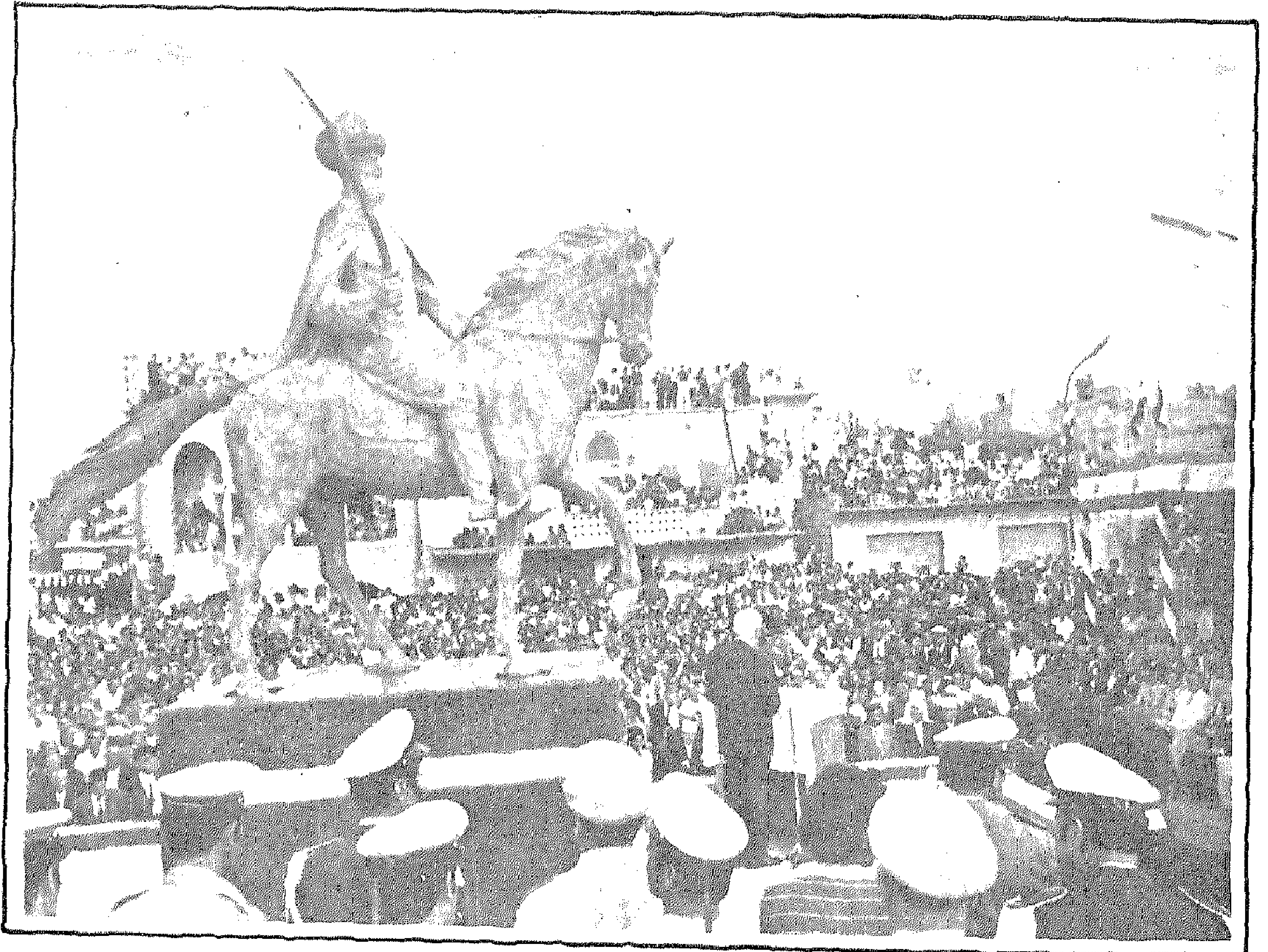
قرأت رسالة السيد سامي الشامي (النبطية) وما ورد فيها من شكوك حول سيرة الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير، كما قرأت رد الاستاذ محي الدين قدورة على هذه الرسالة. وبصفتي واحداً من الذين سعوا وراء الحقيقة في هذا المضمار سنوات طويلة (أربع سنوات من التحضير لرسالة الدكتوراه في التاريخ العسكري للمقاطعات اللبنانية في العهد المعني، وخاصة عهد فخر الدين)، رأيت من واجبي أن أسهم في هذا الحوار المفيد لعل ذلك ينير بعض الجوانب المظلمة في تاريخ هذا الأمير العربي.

بادىء بدء، يجدر بي أن ألفت انتباه المتحاورين إلى أنه لا يجوز أن نحكم على فخر الدين قبل أن نحاكمه. كما يجب ان لا تنطلق محاكمتنا له من الادانة بل من الظن، فالمتهم يظل، في القانون، ظنيناً، إلى ان تثبت براءته أو يدان.

وهكذا أراني مضطراً الآن لأن أوضح بعض الحقائق التي تمكنت من التوصل اليها (والاقتناع بها) من خلال بحثي في سيرة هذا الأمير.

أولاً : فيما يختص بتعامل الأمير فخر الدين مع الغرب ، وخاصة توسكانه :

■ استقى السيد الشامي المقاطع التي أوردها في رسالتـه الى تـاريـخ العرب والعـالم (عدد ٤ ص ٣٦) من كتاب للمؤرخ الشيخ علي الزين (للبحث عن تاريخنا في لبنان، ص ٢٣٩ و ٢٤٢)، واذا عدنا إلى كتاب الشيخ علي الزين نراه بدوره يرجع في ذلك الى كتاب للأب بولس قرأ لي (فخر الدين ودولة توسكانة طبعة ١٩٣٨ ، جـ ٢ : ١٤٤) وبعودة إلى كتاب الأب بولس قرألي المذكور نجد ان هذا الأخير يقع في مغالطات لا أول لها ولا آخر، دون أن يسند رواياته إلى أي سند وثائقي ، معتمداً في سرده على بساطة القارئ وسذاجته . اذ يذكر الأب قرألي ان فخر الدين «عاد إلى الوطن في أواخر أيلول (سبتمبر) عام ١٦١٨ وتمكن من توحيد لبنان (أي لبنان؟) والتبسط في سوريا شمالاً وفلسطين جنوباً... وفي سنة ١٦٢٤ كتب (أي فخر الدين) رأساً الى البابا أوربانوس الثامن حاثاً اياه على السعي للاستيلاء على الأراضي المقدسة الخ... فاهتم اوربانوس للأمر وأوفد عام ١٦٢٥ الأب توما بن نافار ليفاتح به بلاط توسكانه ، غير ان التنافس بين اسرتي بربريني ومديتشي اسرتي البابا وتوسكانة ، شل المشروع» (ص ١٤٣ – ١٤٤). ان مثل هذا القول غير المستند إلى الوثائق التاريخية الصحيحة الدامغة والحجج والبراهين التي لا يرقى اليها الشك . ان هو في نظرنا الا



– احتفالات لبنان بذكرى الأمير فخر الدين المعني.

افتئات على الأمير المعني وتجريح لطموحه السياسي، فما لا شك فيه ان فخر الدين كان يطمح إلى اقامة حكم ذاتي لامارته في نطاق السيادة العثمانية، وكان حاكماً اقطاعياً يرغب في توسيع امارته على حساب المقاطعات المجاورة له، وكان ذلك ممكناً في كل حين بالنظر إلى اتساع رقعة الامبراطورية العثمانية من جهة، وإهمال السلطنة للمقاطعات البعيدة عن مركز القيادة والادارة في الاستانة من جهة أخرى، بحيث انه لم يكن يهمها من تلك المقاطعات إلا الحصول على الضرائب (والجند عند الضرورة). ولكن الذي يظل موضع شك وريبة هو تلك الرواية التي أوردها الأب قرألي وتناقلها بعده، وعنه، الكثير من المؤرخين اللبنانيين دون تحقيق أو إثبات، والتي تفيد أن فخر الدين كان يسعى لأن يعيد مملكة أورشليم الصليبية، وقد ثبت بالدليل القاطع عدم صحة هذه الرواية، أثبته الخالدي الصفدي مؤرخ الأمير ومعاصره، والذي رافقه في هجرته إلى توسكانة منذ عام ١٦١٣ وحتى عودته إلى بلاده عام ١٦١٨، عندما روى، في احداث العام ١٦١٥، ما يلي، وبالحرف:

«...كان عند الأمير يسير – أي أسير – معتوق للشيخ ناصر المذكور وكان رجل متصوف بقا يصلي في الأمير جماعة في رمضان واحمد صبايا في بيروت بقا يؤذن... وكان عند الأمير ذلك اليسير والشيخ ناصر الدين من صفد فجاء اليسير الى الشيخ وقال له: فيه رجل مراده يجتمع فيك في جنينة الدوكا – أي الدوق – فقال له جايز فراح قدامه الأسير وراح معه فلما وصل إلى الجنينة قعد يتفرج إلاّ والدوكا باشه نابل – نابولي – طالع لعنده واتآخذ منه – أي فوجىء به – الشيخ ناصر فطيب خاطره وقال له مرادنا نرسل معك كلام إلى الأمير فدخل معه إلى مشلح الحمام وقال له: أنت من أين وكم لك سنة في خدمة الأمير؟ فقال له: أنا من صيدا ولي في خدمة الأمير من صغري. فشال له الدوكا مكتوب وقال له: هذا جاء من سلطان اسبانيا مضمونه انكان الأمير فخر الدين يدخل في ديننا نعطيه حكم على قدر ما كان عاطيه سلطان المسلمين في بلاده وأزيد وانكان ما يرضى بذلك ان أراد يقعد وان اراد يروح إلى بلاده فقال له: نعرض الكلام على الأمير ونجيب لك الجواب فجاء الشيخ ناصر الدين احكا للأمير ذلك فقال له: روح رد الجواب على الدوكا وتشكر من سلطان أسبانيا ومنه وقول له الأمير قال ما جينا إلى هذه البلاد لا كرامة دين ولا كرامة حكم ولا حكومة، بل لما جاء علينا عسكر ثقيل جينا، احتمينا عندكم واحميتوا رأسه وراعيتوه ولكم بذلك الفضل والجميل والمنة. ان أردتم هو قاعد عندكم على حاله وان أرسلتموه إلى بلاده فهو المراد لأن له أهل وتوابع وبلاد».

(الخالدي الصفدي، تاريخ فخر الدين، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت عام ١٩٦٩ تحقيق رستم والبستاني. ص ٢٣٥ – ٢٣٦).

أهملوه وخافوا معرفته بأسرارهم

لقد كان جواب الامير اذن على هذه العروض الاسبانية والتوسكانية هو الرفض القاطع وذلك في وقت كان الامير فيه أحوج الناس الى المساندة المادية والمعنوية، اذ ذكر الخالدى انه، في ذلك الحين، كانت توسكانة قد اهملت فخر الدين اهمالا كليا



– رسم خيالي للحاج كيوان، مدبّر الأمير فخر الدين المعني الثاني.

(ربما بعد ان يئست من تعاطفه مع مشاريعها ومشاريع اسبانيا التوسعيّة) حتى أنه اضطر، خلال إقامته بتوسكانة الى أن يبيع حلى زوجته خاصكية – وقد كانت معه – لكي يعيش، قال الخالدي في ذلك: «... وما عادوا داروا بالهم منه مثل عادتهم، ولا عادوا أعطوا العلوفة – اي المصروف – المعتادة، وبقا الامير يبيع صيغة وحوائج ويخرج – اي يصرف – على نفسه وعياله الذي معه، وبقي على هذه الحال مدة في نابل – نابولي –» (الخالدى – م.ن.ص ٢٣٥).

ومما يؤكد رفض الأمير لمشاريع الغرب التوسعية على حساب سيادة أرضه وقومه هو أن سلطات توسكانة حاولت منعه من مغادرة البلاد في العام ١٦١٨ خشية ان ينقل إلى السلطنة اسرار دوقيتهم، قال الخالدي في ذلك: «... وما بقوا – أي الأمير وعياله – متعوقين إلاّ على ورقة الاجازة لأن العادة عندهم – أي عند التوسكانيين – ان ما يقلع مركب ألاّ بورقة اجازة وبقا الأمير يطلب الورقة من الدوكا وهو يطاول – أي يماطل – فكأن أحداً قال له ما هو مليح أن يتوجه ابن معن إلى بلاده لأنه اتطلع – أي أطلع – على بلاد النصارى وأحوالهم. فبقي الدوكا يطاول في ورقة الاجازة ثمانية أيام والاعيال والأولاد والأسباب في المركب».

ويتابع الخالدي فيقول إن الأمير، بعد هذه المماطلة، قرر أن يفجر المركب بمن فيه، بالبارود، ثم قصد إلى الدوق ليأخذ منه قراره النهائي بالسماح له بمغادرة البلاد أم البقاء فيها. وقال – أي الأمير – إلى الدوكا نحن ما نزلنا إلى المركب الأعيال والأسباب، إلا بأجازتك ورضاك، ولهم ثمان أيام في هذا الشوب وعليهم صيام رمضان، مرادنا منك ورقة الاجازة في السفر، فقالت له امرأته – أي الدوقة –: ما دامك أعطيته قول واقرار في التوجه إلى بلاده أعطيه ورقة الاجازة. وخليهم يتوجهوا الآن أعياله وأولاده وصاروا في المركب. فقال جايز حتى يجي إلى عندي عشية حتى أكتب له ورقة الاجازة...».

وفي المساء استدعى الدوق الأمير فخر الدين وأخذ يحقق معه لفترة طويلة كي يتأكد منه أنه لن يذهب – أي الأمير – إلى «اسلامبول» – ولن يفشي بأسرار الغرب إلى الدولة العثمانية، ثم سمح له بعد ذلك بالسفر (الخالدي م. ن ص ٢٣٧ – ٢٣٨). هذا بالاضافة إلى ما أورده الأب قرألي نفسه، نقلا عن بعض الوقائع المديتشية. من أقوال في الأمير في أثناء اقامته بتوسكانة تثبت عدم انصياعه لمساعي الغرب. فقد ذكر أن الأميرال «انجرامي» قال عن الأمير: «لما كان

الأمير متوحشاً فهو لا يقصد من طلباته المختلفة سوى تكبيد الغراندوق النفقات بلا طائل . وقال عنه الوزير «انرمباردي» : «جميع المبالغ التي تنفق في سبيل الأمير مطروحة في البحر» . وقال «جويدي» أمين سر الغراندوق : «الوقت والمال ضائعان في سبيل الأمير» (قرألي م . ن . ج ٢ : ٢٤) .

وهكذا نرى أن ما أورده الأب قرألي من وثائق تدين فخر الدين في هذا المجال ولا تشرفه . إن هي إلا وثائق تحتاج إلى كثير من التأكيدات والأثبات . وهذا لا شك ينفي كل قول بأن فخر الدين كان «على استعداد لتقديم الدعم اللازم لأية حملة تقوم بها الدول الأوروبية لاسترجاع بيت المقدس» وانه كان «يقوم بتحريض أوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول إلى الأهداف المشتركة» حسبما ورد في رد الاستاذ قدورة (تاريخ العرب والعالم العدد نفسه ص ٣٧) . ومما يجدر ذكره ان المعاهدة المشار اليها في رد الاستاذ قدورة والتي عرضتها توسكانة على فخر الدين عام ١٦٠٨ (بعد سقوط علي باشا جنبلاط والي حلب) ، لم تقترن بموافقة الأمير الذي استقبلها بشيء من الفتور ، «كأنها لم ترق له» حسب قول الأب قرألي نفسه ، وكأنما رفض الأميرالقبول بها مما اضطر السفير ليونشيني إلى ان يؤكد له «ان رغبة الامراء المسيحيين في استرجاع الأراضي المقدسة غير ناجمة عن طمع في التوسع ، بل جل مراميهم ان يسهلوا على الحجاج المسيحيين زيارة الأماكن المقدسة» كما أكد له أن رغبة الدوق أن يراه – أي الأمير – يوماً «ملكاً على سورية ، كاسراً شوكة الامبراطورية العثمانية» ، (قرألي م . ن . جـ٢: ٢٧٣) .

ورغم كل ذلك ، فان المعاهدة لم تر النور بعد أن رفض الأمير القبول بها ، محتفظاً رغم ذلك ، بقدر من الصداقة بينه وبين توسكانة ، وأكبر دليل على رفضه لها أنه لم يتلق أية مساعدة في حربه مع جيوش والي الشام عام ١٦١٣ ، مما اضطره إلى الفرار من بلاده واللجوء إلى توسكانة طيلة خمس سنوات (١٦١٣ – ١٦١٨) كما قدمنا . كما انه لم يتلق أية مساعدة من حلفائه الغربيين في حربه الأخيرة والمصيرية مع العثمانيين عام ١٦٣٣ .



– الأميرة خاصكية.. رافقت الأمير إلى توسكانا.

وأفضل تحليل لهذه المسألة علاقة الأمير بالغرب، وتوسكانة خاصة. نجده عند المؤرخ الايطالي. جيوفاني ماريتي إذ تمكن هذا المؤرخ من البحث والتنقيب بالمحفوظات التوسكانية المتعلقة بفخر الدين ودقق في وثائقها قبل الأب قرألي «بقرن ونصف القرن» فوضع بعد ذلك كتابه المسمى «تاريخ فخر الدين أمير الدروز»

Istoria Di Faccradino Grand Emir Dei Druz;

وطبعه في ليفورنو عام ١٧٨٧ (طبع كتاب الأب قرألي عام ١٩٣٨)، وهو، وان كان قد عبأ بعض الثغرات «بتخيلات خارجة من دماغه» حسب قول الأب قرألي نفسه، فأنه قد أعطى حكماً فيه الكثير من المعقول والمنطق. قال ماريتي: «كان قوزما الثاني ميالاً إلى العظمة، فاغتنم فرصة وجود فخر الدين في توسكانة وأخذ يناقشه في الطريقة لانجاح مشروع مساندة الأمير في سوريا لتوسيع فتوحاته وتأمين استقلاله عن الباب العالي، وبما أن قوات الغراندوق لم تكن كافية لمثل هذا المشروع، فإن البابا وملك اسبانيا قد يكونان العون للأمير وباستطاعة الغراندوق الاستفادة منهما لتحقيق أهدافه... وبوشر الاتصال بالبابا لحمله على مساندة فخر الدين، وهو أمير من ديانة غير مسيحية... وكان قوزما الثاني يسعى وراء مصالحه الخاصة... فلم يخش استعمال الديانة كوسيلة لذلك، فوصف فخر الدين بأنه مضطهد من الأتراك وأنه حامي المسيحية في سوريا وأنه اذا سانده الأمراء المسيحيون بالسفن والسلاح فسوف يجعلهم أسياداً لمرافئه البحرية ويعطي المسيحيين حراسة قلاعه مبيناً هكذا عزمه على عدم الثقة بالأتراك... وكان فخر الدين يؤكد أنه، بمعاونة مسيحيي المنطقة وتجنيد رجال يقودهم زعماء أكفاء، يمكنه استرجاع القدس. وانه قد حان استرجاعها، وعلى البابا وملك اسبانيا عدم تفويت هذه الفرصة. هذا ما قاله «بيكنا» إلى «غويتشارديني» سفير قوزما الثاني. غراندوق توسكانة في روما. واعلم «بيكنا» «غويتشارديني» ان الغراندوق أرسل سفينة حربية مسلحة إلى سوريا لاستطلاع أحوال البلاد، والأمل كبير بأن يعتنق فخر الدين وشعبه الديانة المسيحية ويقدموا الطاعة للكرسي الرسولي، مظهراً أن الله سيستخدم هذا الرجل لعظمة الكنيسة واسترجاع القبر المقدس». ويتابع ماريتي: «وكان «بيكنا» رجلاً فطناً، اذ كان متأكداً من البداية ان الدين لن يربح أي شيء، وأن فخر الدين سيبقى على دينه. وان القدس سوف تبقى تحت حكم الاتراك.. وكانت كل أفكار هذا الوزير، بالرغم من أنها مكتسبة بالغيرة الدينية، تهدف إلى استخدام البابا وملك اسبانيا لمصالح عائلة مديتشي. لأنه ليس من صالح البابا ولا من صالح ملك اسبانيا ان يكون لها منشآت في تلك المناطق». (ماريتي المصدر نفسه، ص ٩٨ - ١٠٣. نسخة ايطالية).

ويتابع ماريتي في مكان آخر «في المعاهدات التي وقعت عام ١٦٠٧ مع جنبلاط رئيس الثوار في سوريا والمعاهدات التالية مع فخر الدين عام ١٦٠٨. كان يؤتى دائماً على ذكر فتح القدس... وعام ١٦١٣. عندما قدم فخر الدين إلى توسكانة. شاعت من

جديد آمال احتلال القدس، ولم تكن هذه الفكرة سوى اشاعة شعبية تتوغل في ذهن الأمير جيوفاني مديتشي وبعض المهووسين، ولم يشأ البلاط إظهار استنكاره لأمل لا أساس له» (م.ن،ص ١٢٦ و ١٢٨) ويرى ماريتي أن سياسة قوزما الثاني ووزرائه في إرضاء فخر الدين لم تكن سوى «وسيلة للوصول إلى مصالحهم للتجارة مع سوريا» وان فكرة احتلال بيت المقدس لم تكن سوى «وسيلة لاقناع بلاط روما لتأييد غايات توسكانة السياسية والاقتصادية، وتهدئة شعور الجهال الذين ربما يرون ان المبالغ التي تصرف لارضاء أمير تختلف ديانته عن ديانتهم ليست إلا تبذيراً»، ويختم ماريتي رأيه هذا بقوله: «بعد هذا التوضيح، سنكف عن الكلام عن هذا الموضوع الذي خلقه خيال العامة وتداوله من يجهل أمور مجلس الوزراء والذي لم يكذبه هذا المجلس لغايات سياسية» (م. ن. ص ١٢٨ – ١٢٩)

ربما كان الأمير قد توسل، لتحقيق طموحه السياسي، كل الوسائل، السلمية منها ككسب الصداقات إما بالمال أو بالمصاهرة، والقتالية، كإرغام حكام المقاطعات المجاورة على محالفته خوفاً من بطشه، ودرءاً لخطره، وقد نجح إلى حد ما في هذا المجال. الا انه لم يتمكن من التوفيق بين طموحه السياسي وكسب ثقة الباب العالي، مما دفعه إلى البحث عن تحالفات قوية خارج حدود بلاد الشام، فمد يده إلى دول أوروبا التي دفعته بعيداً في هذه الطريق، وورطته، دون أن تسعفه عند الضرورة، وفي اللحظات المصيرية. وربما كان مرد ذلك أيضاً عدم الثقة بين الحليفين. فلم يكن الأمير مطمئناً كل الاطمئنان إلى نوايا هذه الدول (توسكانة، واسبانيا، والكرسي الرسولي) كما لم تكن هذه الدول مطمئنة إلى ان بوسع الأمير، أو بوده، أن يخدم مصالحها في بلاد الشرق، فوقع بينهما الانفصال الكبير عندما وضع تحالفهما، جدياً، على المحك.

وربما كان الأمير قد أغدق الوعود المغرية للدول الأوروبية «الصديقة» فوعد بلاط توسكانة بتسهيلات في «المقاطعات والمدن والمرافئ البحرية والتجارة» ووعد الكرسي الرسولي بتسهيلات تفوق الحد للمسيحيين في بلاده، إلا أن جميع هذه الوعود لم تجد نفعاً ساعة الحسم بينه وبين الدولة العثمانية، فحاول ان يستحث غراندوق توسكانة وسواه من حلفائه الأوروبيين، ويستنهض هممهم لنجدته، فلم يلق من أحد منهم أذناً صاغية، حتى ان حلفاءه في الداخل تخلوا عنه، ولم يبق منهم إلى جانبه سوى أقاربه الشهابيين، حكام وادي التيم، الذين لاقوا معه المصير نفسه، ولكن الأسرة الشهابية جنت ثمار هذا التحالف، فيما بعد، بأن ورثت الاسرة المعنية في حكم إمارة الشوف.

والتفسير الوحيد الذي تقودنا اليه قناعاتنا، بصرف النظر عن التفسيرات الهامشية الأخرى كانشغال توسكانة بالطاعون أو بحرب البيمونت، أو عدم رغبتها في التصدي للدولة العثمانية دفاعاً عن الأمير، أو كقرار البابا أوربانوس الثامن بان الظروف «تحول دون جمع جيوش قوية للتدخل وراء البحار»، هو ان كلاً من الحليفين، الأوروبي والمعني،

لم يكن مؤمناً بهذا التحالف ومطمئناً اليه، فلا الأمير كان مستعداً للتخلي عن سيادته على بلاده، أو تحرير الأرض المقدسة بقصد تسليمها للدول الأوروبية، كما لم يكن مستعداً للتخلي عن دينه، كما ظهر لنا من تصرفه في أثناء اقامته بتوسكانة، ولا الدول الأوروبية كانت مستعدة لأن تتورط في حرب صعبة، وربما غير متكافئة ضد الدولة العثمانية وفي عقر دارها، إكراماً للأمير.

وهكذا، وفي العام ١٦٣٣، وأمام الحملة العثمانية على بلاد الأمير، انهارت كل تحالفاته، المشرقية منها والأوروبية، فانفض الحلفاء الأقربون عنه، وأدار له الحلفاء الأوروبيون ظهرهم، فسقط الأمير، وسقطت معه كل آماله وطموحاته.

* * *

ثانياً: فيما يختص بوقعة عنجر:

لا شك في أن ما ذكره الشيخ علي الزين في كتابه عن وقعة عنجر (ص ٢٤٥) فيه الكثير من المنطق، فهو اذ يتساءل اذا كان انتصار فخر الدين في عنجر انتصاراً جدياً غير مبني على الخيانة والمكر يورد، في معرض حديثه عن هذه المعركة، مبررات لشكه وبعض المظاهر التي تدله على التآمر والخيانة في صفوف جيش والي الشام، منها غضب الوالي على كورد حمزة بعد اكتشافه لدوره في المعركة كعميل للأمير وقيام فخر الدين بقتل الحاج كيوان بعد المعركة بأيام لسبب تافه جداً وبعد أن افتضح دوره أيضاً، ولم يعد بامكانه التستر عليه، ومنها أن هجوم



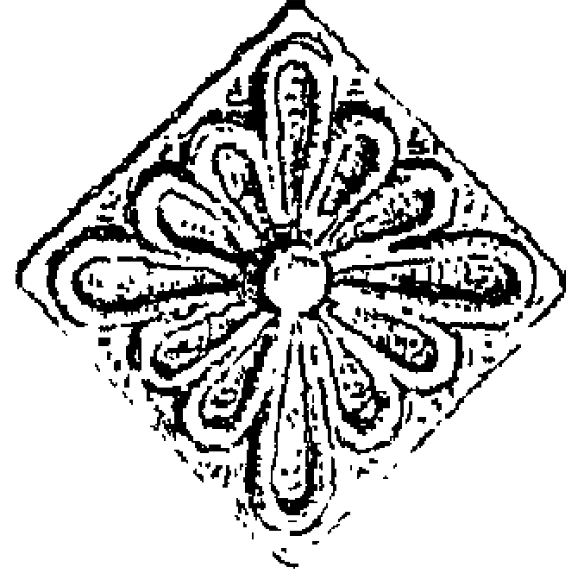
– الأمير فخر الدين يدخّن الغليون في توسكانا.

الأمير تركز على اللواء الذي كان يقوده الوالي بنفسه والذي انهار بسرعة مما يدل على أن هناك اتفاقاً مستتراً بين قادة هذا اللواء وجماعة الأمير، الخ... (م. ن، ص ٢٤٦ – ٢٥٣) ان مظاهر الشك هذه وان تركت الكثير من التساؤل الرصين حول جدية هذه المعركة، خاصة اذا تبينا الفارق الكبير في العدد بين الجيشين (٥ آلاف مقابل ١٢ ألفاً) واذا تذكرنا الدور الذي قام به فخر الدين المعني الأول (جد الأمير فخر الدين المعني الثاني) في مرج دابق عام ١٥١٦ (تآمره على السلطان قانصو الغوري وانحيازه للسلطان العثماني) واذا تذكرنا عملية الرشوة التي أجراها الأمير وحليفه علي باشا جنبلاط والي حلب لباشوات الجيش الشامي في معركة عراد عام ١٦٠٦ والتي ذكرها المحبي بكل وضوح (المحبي، خلاصة الاثر جـ١: ١٣٧) نقول: ان مظاهر الشك

هذه ، وان اثرت إلى حد كبير في قناعاتنا ، تظل غير ملزمة لنا للأخذ بها ، طالما أن أحداً من المؤرخين لم يكتشف من قبل ما يؤكدها كما اكتشف المؤرخون الأولون سابقاتها وتحدثوا عن المؤامرات التي جرت في معركتي مرج دابق وعراد.

يبقى علينا ان نختم هذه المحاولة في التحليل بما يلي :

انه لمن المفيد جداً ، بل ومن الممتع حقاً ، وفي ظروف كالتي نحن فيها ، ان يحال فخر الدين إلى محكمة عدل تقرر مصيره بين الرجال من تاريخنا ، ففي ذلك احياء لتراثنا وتطهير لتاريخنا من الشوائب التي لحقت به تبعاً لمختلف النزوات والعواطف ، وما أكثرها ، كما فيه خروج من الجو الخانق المتأزم والمتوتر الذي نعيشه وانعتاق من مآسي الحرب التي عشناها وما نزال ، ولعل هذه المحاكمة تكون منطلقاً لمحاكمات «تاريخية» أخرى يعاد النظر من خلالها ، في كثير من «الحقائق التاريخية» وتكون سبباً لفتح الكثير من الملفات وتعديل لكثير من المفاهيم.



عينا ويلسون !

— كتب أحد الصحفيين الانجليز يصف هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا السابق : «ان الدارس لشخصية هذا الرجل ، أشبه ما يكون بباحث في صفات سمك القرش ، ففي رأس ويلسون العينان الباردتان الزرقاوان نفسهما ، اللتان تنطقان بالمكر والدهاء».

وتوقع المراقبون السياسيون أن يثور رئيس الوزراء على هذا التشبيه الذي سبق أن نشرته احدى الصحف البريطانية الواسعة الانتشار.

وانقضت بضعة أيام قبل أن تنشر صحيفة أخرى خطاباً مفتوحاً من رئيس الوزراء للصحفي.. قال ويلسون : «اقترح أن تعود مرة أخرى إلى المدرسة لدراسة خصائص سمك القرش. فالثابت ان لون عيني هذه السمكة الكبيرة ليس أزرق كما تدعي».





* كانت من ربات الفصاحة والبلاغة، وكان لها رأي راجح وشخصية قوية وكانت زوجة للحجاج بن يوسف.

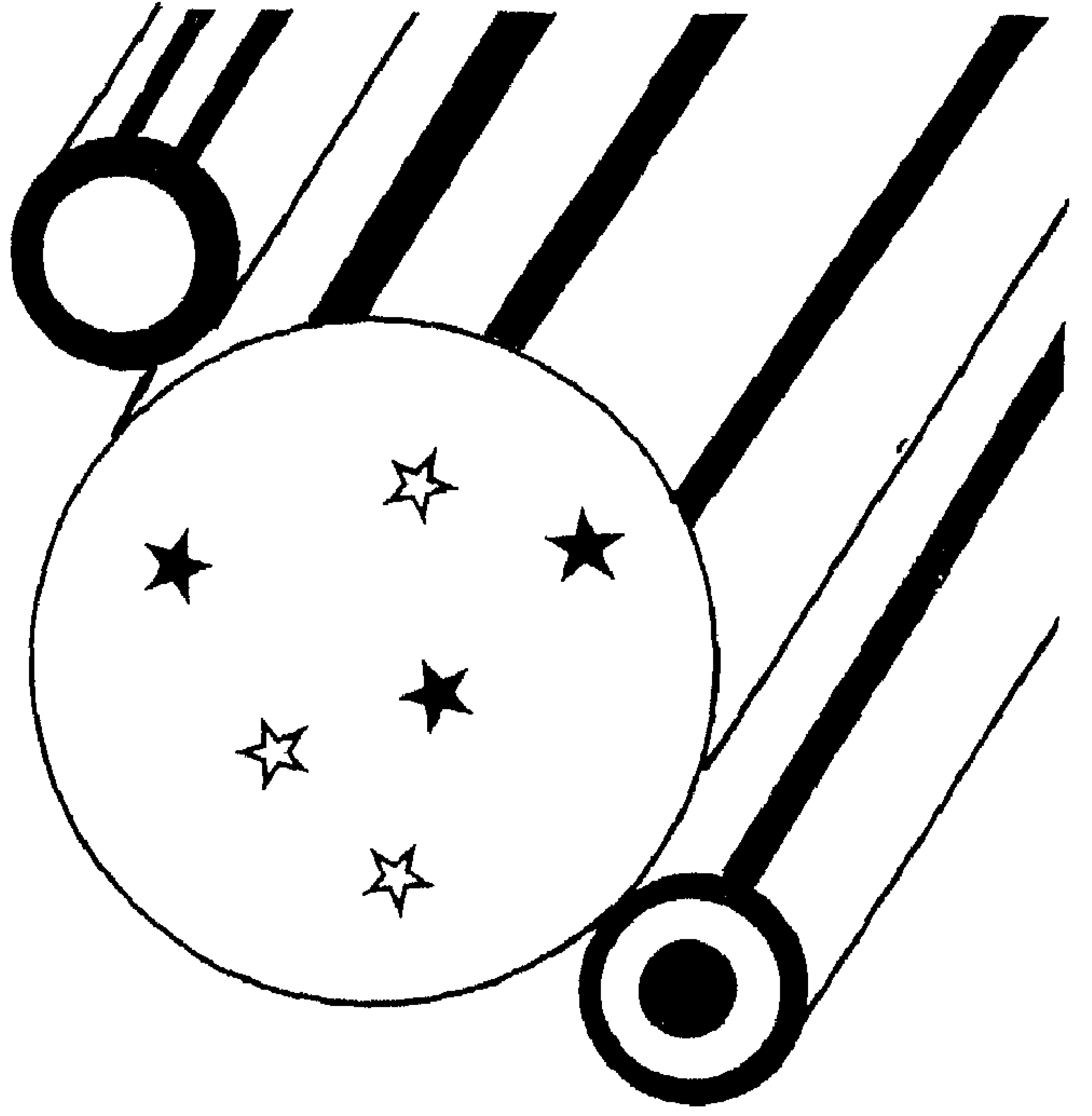
* لم يمنعها زواجها من حاكم له سطوته من أن تعمل بيدها، وقد زارها (زياد بن عبد القرشي) فوجدها تصنع ثوباً لها على مغزل فسألها: «أتغزلين وأنت امرأة أمير؟» فقالت له: إن العمل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أطولكن طاقة أعظمكن أجراً».

* كانت على الرغم من قوة شخصيتها تؤمن بوجوب طاعة الزوجة لزوجها ومن أقوالها المأثورة: «المطيع محبوب، فالطاعة مقرونة بالمحبة والعاصي ممقوت فالمعصية مقرونة بالبغض».

* أمر عمر بن عبد العزيز بحبس أخيها فذهبت إليه هند وقالت له وهو بين حاشيته: «يا أمير المؤمنين علام حبست أخي»؟ فقال لها عمر: «تخوّفت أن يشق عصا المسلمين» فقالت له: «هل العقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟» فخجل عمر وأخلى سبيله.

* قال الأصفهاني في كتاب «الأغاني» إنها كانت تسبح بمسبحة من اللؤلؤ وهي جالسة بين الفقراء فإذا فرغت من تسبيحها قطعت خيط المسبحة وألقت اللؤلؤ على الفقراء ليتقاسموه.

العرب روّاد علم الفلك



د. نقولا شاهين

● عندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في هذه الأيام، من تطورات في حياة مجتمعنا، لا نتمكن من التعامي عن النقص الذي يحصل في حياتنا الثقافية، بينما تكثر المنشورات من كتب وصحف ومجلات، بدون أن يكون هناك ما هو جدير بالذكر في حقل تراثنا العلمي. ذلك التراث الذي كان ولا يزال معجزة للعالم فيما مضى. ولا يزال علماء الغرب ينقّبون في المخطوطات التي تركها العرب والتي كانت أساساً لما نراه اليوم في حقول العلم المختلفة. أما ان العرب هم روّاد عالم الافلاك فهو أمر أثبته تاريخ العلم.

فمن البداوة إلى السيطرة على الشرق والغرب كان شأن العرب من منتصف القرن الثاني للهجرة (القرن الثامن الميلادي). وذلك في احياء العلوم على اختلاف أنواعها ومنها الرياضيّة والفلكية، وامتد ذلك إلى القرن السادس عشر الميلادي. وتم بذلك نهوض أقطار أوروبا من غباوتها وعبوديتها للأوهام، وتولد من ذلك ثورة علمية نشهد آثارها في الفتوحات العلمية الحديثة.

(*) استاذ في العلوم، معلم في الجامعة الأميركية في بيروت مدة ثلاثين عاماً، مدير سابق لمرصد الجامعة المذكورة، مثل لبنان في مؤتمر الدقائق الذرية الذي رعته الأونيسكو في الجامعة السورية في دمشق سنة ١٩٥٦. تخرج على يديه طائفة من العلماء البارزين. وهو لا يزال يكتب إلى الآن، علماً بأنه مولود في بلدة بشمزين في الكورة (لبنان) سنة ١٨٩٧.

■ لقد اعترف الغرب بفضل العرب هذا، وقدروا الدراسات العربية واركانها، فوضعوا على خريطة حديثة للقمر عام ١٩٧١ أسماء كبار العلماء الفلكيين والرياضيين العرب: نصير الدين الطوسي، وابو الحسين السوقي، وابن عزرا، وجابر، وارزاخل، والمأمون، وابو الفدا والتباني والفرغاني، والخازن، واولوغ بيك (لاعتماده على الفلكيين العرب في ازياجه الشهيرة).

ولا بد لنا من الرجوع الى الدافع الكبير نحو هذا التفوق والاندفاع في سبيل العلم. الا وهو القرآن الكريم. ومن الثابت ان القرآن الكريم هو كتاب عقائد وعبادات واخلاق ومعاملات، وتفقيه وتشريع، وهو بجوار ذلك كتاب علم ومعرفة على أساس انه كتاب يدعو الى العلوم فيقول: «وقل ربي زدني علما». «وما اوتيتم من العلم الا قليلا». «وانما يخشى الله من عباده العلماء» والمراد هنا بالعلماء انما هم العلماء المؤمنون الناظرون في ملكوت السموات والارض، الذين يستنبطون ويتعرفون الى اسرار الطبيعة وحقائق الاشياء وسنة الكون التي تتحدث عن قدرة الله وابداعه في خلق الانسان والحيوان والنبات وكل ما دب على الارض. «ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» أي ان الله جل جلاله يسبغ نعم التكريم على هؤلاء العلماء الخاشعين المؤمنين. وهناك آيات كثيرة تشير الى أهمية طلب العلم والسعي وراء المزيد منه. ولا بد هنا من الاشارة الى ما توصّل اليه العلماء في علم الذرة، واكدوا أن الشمس تمدّنا بالطاقة منذ ٥٠٠٠ مليون سنة، وذلك بفضل كونها مرجلاً نووياً، يتحوّل فيه ٤,٧٠٠,٠٠٠ طن من المادة الى طاقة كل ثانية.

كذلك تجدر الاشارة الى ان العالم حسن كامل الصبّاح من النبطية هو اول من حقّق تحويل الطاقة الشمسية الى كهربائية عن طريق خلايا من مواد معينة. وقد أصبح هذا أمرا معمولاً به في المركبات الفضائية.

الخلفاء يقومون باحياء العلوم

على ضوء ما تقدّم نرى انه في القرن الثاني للهجرة الموافق الثامن الميلادي، شرع عبد الله بن محمد علي بن عبد الله العباسي ابو جعفر المنصور الخليفة الثاني العباسي باحياء العلوم الرياضية والفلكية، باستخدام علماء مترجمين ترجموا كتبا يونانية وسريانية وهندية الى العربية واقتدى به خلفاؤه، لا سيما هرون الرشيد وابنه المأمون، ومن ثم اخذ علم الهيئة اي الفلك يتقدم بين العرب وسائر الطوائف الشرقية.

وفي عام ٨٢٣ ميلادي انتصر الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣) على الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني، فوضع في شروط معاهدة السلام ما يأتي: على الامبراطور البيزنطي ان يجهز المأمون بالمخطوطات اليونانية أو ان يسمح له ان يعمل نسخا عنها. فقام عدد من العلماء السوريين بترجمة هذه المخطوطات أولا الى السريانية ومن ثم الى العربية. ويقال إن المأمون شارك في بعض هذه الترجمات وقد ترجم المجسطي لبطليموس الى العربية في عام ٨٢٩ ميلادي، وتوجد هذه المخطوطة اليوم في مكتبة جامعة لايدن في لندن.

وقد فاق المأمون الجميع بغيرته على العلوم واهلها. ومن جملة أعماله أنه أمر بني موسى بن شاكر وهم ثلاثة أخوة، أن يقوموا بقياس دورة كرة الارض التي كان الاقدمون قد اقدموا على قياسها فوجدوا انها ٢٤ ألف ميل. فعمل الثلاثة الاخوة على الطريقة التي



– الفلكيون العرب كما تخيلهم أبناء الغرب ، في كتاب ظهر في البندقية (ايطاليا) في القرن السادس عشر. ويبدو في الصورة بعض ما كان يستعمله الفلكيون العرب من أجهزة للرصد.

ذكرها الاقدمون للتأكد من ذلك ، وخرجوا الى صحراء سنجار وكانت في غاية الاستواء واجروا التجربة (لا مجال لذكرها) ، فوجدوا ان ذلك كان موافقا لما جاء في الكتب القديمة. وطلب المأمون التحقيق من ذلك في موضع آخر فسيرهم الى أرض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان. وفي أيامهم قيس ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء ، فكان ٢٣ْ و٣٥ ، وهذا قريب جدا لما هو معروف اليوم ، أي ٢٣ْ و٢٧.

أما ميل دائرة البروج فهو المسؤول عن الفصول المختلفة على مدار السنة ، والذي يجعل الاقسام المختلفة من الارض تتعرّض لحرارة الشمس بصورة متفاوته من يوم الى آخر ، ومن هنا كان اختلاف الليل والنهار على طول السنة ، فيكون اقصر نهار في ٢٢ كانون الاول (ديسمبر) واطول نهار في ٢٢ حزيران (يونيو) كما هو معروف ويتساوى الليل والنهار في ٢١ آذار (مارس) و٢٣ ايلول (سبتمبر).

الفلكيون العرب يقتحمون عالم النجوم

ولما كان الناس على دين ملوكهم ، نجد أنه في ذلك العصر عاش التياني الحاسب المنجم المشهور ، وهو صاحب الزيج الصابي وله الأرصاد ، المتقنة. فاثبت الكواكب الثابتة في زيجة لسنة ٢٩٩ هجرية. ومن أعماله البارزة الزيج الذي تقدم ذكره ، وكتاب معرفة مطالع البروج ، وأصلح قيمة مبادرة الاعتدالين ، وقيمة ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء. وهو اول من استخدم الجيوب والاوتار في قياس المثلثات والزوايا علاوة على هذا توصّل الى معرفة انتقال نقطة الرأس ونقطة الذنب ، وهذه الحقيقة يعبر عنها بان الخط الموصل بين نقطة الرأس والذنب له حركة سنوية من الغرب الى الشرق ويدور

دورانا كاملا في ١١١،١٤٩ سنة.

أما مبادرة الاعتدالين فإنها ناتجة عن دوران قطب خط الاستواء حول قطب دائرة البروج في نحو ٢٥٨١٧ سنة. لذلك لم يكن نجم القطب في قديم الزمان في المركز نفسه الذي هو فيه اليوم، إذ انه ينتقل من الشرق نحو الغرب دورة كاملة كل ٢٥٨١٧ سنة. لذلك فان أسماء البروج اليوم لا توافق الصور المسماة بتلك الاسماء بل انتقلت الى غربي صورها بمعدل نحو ٥٠ ثانية وعشري الثانية في السنة وهذا يثبت لنا عدم صحة معرفة الحظ بالتنجيم الشيء الذي يؤمن به كثيرون وعلى الاخص من يجمع ثروة من وراء ذلك. «كذب المنجمون ولو صدقوا».

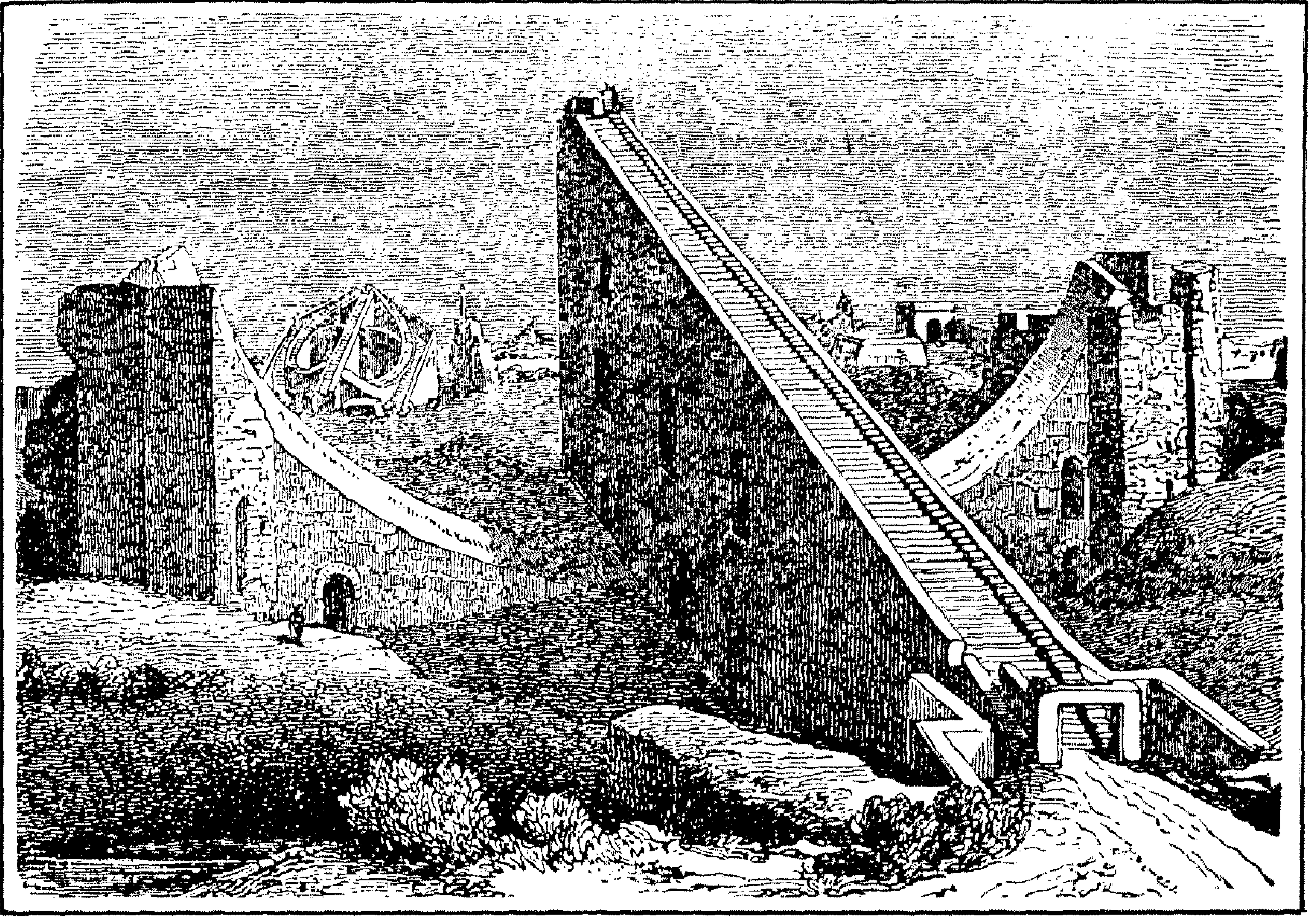
ومن مشاهير علماء الفلك في ذلك العصر أيضاً ابو الوفا البوزجاني، ويقال انه اكتشف احدى المعادلات الضرورية لتقويم مواقع القمر، كما انه صنع زيجا سماه الزيج الشامل. ولم يظهر فضل هذا الفلكي العظيم الا في القرن الماضي، حينما عثر المستشرق الافرنسي «سيديو» على مخطوطات اثبتت ان بعض الاكتشافات الفلكية التي نسبها المؤرخون الى علماء القرن السادس عشر قد سبق واكتشفها البوزجاني قبلهم بستة قرون. وقال غوستاف لبون ان آلات الرصد التي اعتمد عليها البوزجاني، كانت على جانب عظيم من الدقة، فانه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما، وذلك ما لا يسهل على الفلكيين في يومنا هذا.

ويعتقد العلامة المستشرق «نلينو» ان اعظم المبتكرين الضالعين في علم الفلك بين علماء العرب، هو ابو الريحان البيروني، وله كتاب نفيس جامع شامل ودقيق المباحث. وقد ذهب الى القول انه يمكن ايضاح وتوليد حركة الاجرام السماوية الظاهرة اذا فرضنا ان الأرض تدور على محورها دورة كاملة من الغرب الى الشرق كل نحو ٢٤ ساعة، اي عكس حركة النجوم الظاهرة من الشرق الى الغرب، وهو من مواليد احدى ضواحي عاصمة الدولة الخوارزمية وتعرف باسمها الجديد «البيروني» تخليدا لذكراه.

ومن المشاهير ايضاً أبو الحسن علي ابن ابي سعيد بن يونس الذي عاصر «الحاكم» سادس الخلفاء الفاطميين، وهو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس. وقد الفه في المرصد الذي شيده الخلفاء الفاطميون في جبل المقطم، وهو الذي اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ورصد كسوف الشمس وخسوف القمر واثبت عنهما تزايد حركة القمر، وحسب ميل دائرة البروج، فجاء حسابه اقرب ما عرف الى ان اكتشفت آلات الرصد الحديثة.

وفي الاندلس بدأت النهضة العلمية الفلكية في منتصف القرن العاشر للميلاد. وانتشرت من دور العلم والجامعات العربية أنوار العلوم على اختلافها. ومن اشهر الذين اشتغلوا بعلم الفلك والطبيعيات في الاندلس. ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازن الاندلسي، وقد عاش في أواخر القرن الحادي عشر واوائل الثاني عشر، والف مؤلفات شهيرة في قواعد النور بآلات الرصد.

وقد اثبت المدققون ان الخازن هذا هو مكتشف قانون انكسار اشعة الضوء عند انتقالها من وسط الى آخر. وهذا الامر يبدو عندما نضع عصا في الماء فتظهر ملتوية. وكان قد نسب ذلك الى عالم اوروبي قبل معرفة الحقيقة. وقد قال الخازن ان الضوء يتألف من حبيبات أي انه ذري التركيب، وقد اثبت نيوتن ذلك بعد نحو ٥ قرون. وقد ورد في موسوعة اميركية ان الخازن هو مكتشف آلة



– أحد المراصد العربية القديمة.

التصوير ذات الثقب وكان يستعملها لمشاهدة كسوف الشمس.

وقد عاش الفيلسوف المشهور ابن رشد في القرن الثالث عشر، وكانت له مكانة عالية في الفلسفة والعلوم الرياضية والفلكية، وهو اول من شاهد كلف الشمس وكتب عنها. تمكن أيضاً بواسطة الحساب الفلكي ان يعيّن وقت عبور الكوكب عطارد على قرص الشمس، فرصده وشاهد بقعة سوداء على قرصها في الوقت المعين، الامر الذي لا يتصدى له في وقتنا الحاضر سوى الراسخين في الرياضيات الفلكية.

في القرن الثاني عشر بني في مدينة اشبيليه في الاندلس، برج جميل البناء شامخ، لرصد الاجرام السماوية تحت اشراف جابر الرياضي. ولما ترك العرب تلك البلاد، حوّل البابويون ذلك البرج قبة للاجراس، وهو باق الى يومنا هذا، يشهد بفضل بانيه وبمقدرته الفلكية.

وفي عام ١٢٥٨ ميلادية سقطت بغداد في أيدي هولاكوخان، حفيد الفاتح جنكيز خان. كان هولاكو قبل هذا قد قرب اليه كمستشار سياسي، الفلكي محمد بن حسن الطوسي الملقب بنصير الدين، فبنى مرصدا في المراغه بالقسم الشمالي الغربي من بلاد فارس، وعهد بادارته الى محمد المذكور. وانشأ في

ذلك المرصد خزانة كبيرة فسيحة الارجاء، ملأها بالكتب التي نهبت من الشام وبغداد والجزيرة، فتجمع فيها أكثر من اربعمائة ألف مجلد. كان يعمل في ذلك المرصد عدد كبير من فلكيي العرب، يستعينون بآلات تفوق باتقانها وحجمها ما كان معروفا في اوروبا في ايام كوبرنيكوس. وألف الطوسي كتبا هامة في الرياضيات والفلك، اشهرها كتاب الاصول لأقليدس والزيج الخاني. ولم يكن هذا الزيج سوى نسخة منقّحة لجداول فلكية، قوامها الجداول التي نظمها ابن يونس وقد عرفت بالزيج الحاكمي. وللطوسي مؤلف في الكرة والاسطرلاب، وتسطيح الكرة والمطالع، ومؤلفات اخرى.

بعد ذلك بنحو قرنين، أي في عام ١٤٢٠، بنى السلطان اولغ بيك حفيد تيمورلنك، مرصدا فخما في سمرقند (من أعمال تركستان السوفياتية حاليا) دعا اليه اشهر علماء الفلك وترأس الرصد بنفسه سنين طويلة. وعكف على تنقيح جداول الذين سبقوه، وأصلحها على ضوء نتائج الأرصاد الدقيقة التي أجراها بالتعاون مع غيره من الفلكيين. وقد طبعت هذه الجداول في مدينة اكسفورد عام ١٦٦٥ وهي باقية الى يومنا هذا.

كان على فلكيي العرب ان يصنعوا آلات جديدة دقيقة، تساعدهم في ارصادهم، نذكر منها الساعة الرملية والللثة والحلقة والاعتدالية وذات الحلق اللينة وذات الشعبتين وذات الجيب وربع الدائرة والاسطرلاب. وقد عرف الاسطرلاب عند الاقدمين، لكن العرب توسعوا في صنعه واتقنوه فكان بمثابة جهاز لرصد الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة، كما هي الحال في المرقب اليوم. ولا تزال صناعة الاسطرلاب قائمة في ايران، حيث يوجد لا اقل من عشرة اشخاص يعملون في حفر هذا الجهاز على صفائح من النحاس. وقد بيع في اوائل آذار (مارس) ١٩٦٢ بالمزاد العلني، اسطرلاب اشترته ادارة متحف العلوم في جامعة اكسفورد في انكلترا، بقيمة ٣٦٠٠ جنيه استرليني، وهو من مخلفات الحضارة العربية القديمة، كما يشير الى مهارة وحذق العمال في صنع الادوات العلمية في تلك العهود. وتحوى المتاحف العلمية عددا من كرات سموية تحمل اسماء عربية للنجوم والابراج منها كرة في متحف درسن في المانيا حروفها كوفية.

نستخلص من الدراسات التي قام بها المستشرقون وغيرهم، ان للعرب فضلا كبيرا في نقل ما كتب في علم الفلك لدى الشعوب القديمة، وتنقيحها وتوحيدها وجعلها علما واحدا تاما قائما بنفسه، وطبعه بطابع الثقافة العربية. كما انهم زادوا وابتكروا امورا كثيرة هامة. فهم اول من اكتشف حركة الشمس في الاوج، وعينوا مبادرة الاعتدالين بدقة فائقة. واكتشفوا النقص المتواصل في انحراف سمت الشمس، والاضطرابات التي تحدث للقمر وهو في عرضه الاقصى. علاوة على هذا بينوا اضطرابات السيارات في أفلاكها، وساروا شوطا طويلاً في حساب الاختلاف الثالث في حركة القمر. وشاهدوا الكلف على سطح الشمس، وحسبوا بالضبط عبور عطارد على سطحها واصلحوا قيمة مبادرة الاعتدالين ومقدار ميل دائرة البروج على دائرة خط الاستواء، وما يحدث فيها من نقص تدريجي بطيء. ومن أرصاد دقيقة عينوا طول السنة الاعتيادية والسنة النجمية، وقاسوا مباشرة طول درجة من خط المهاجرة بطريقة علمية. وانشأوا عدة مراصد على غاية الاتقان، وصححوا جداول حركات القمر. وعرفوا



– الاسطرلاب ، أهم أدوات علم الفلك في القديم .

استدارة الارض وقال بعضهم بدوران الارض على محورها ، وامتازوا على من سبقهم فجعلوا علم الفلك استقرائيا عمليا ، وحسنوا آلات الرصد القديمة وزادوا عليها ، وعرفوا الساعات الدقاقة ذات الرقاص .

وفي اوائل القرن الثالث عشر تأسست عدة جامعات في اوروبا . حيث عكف المترجمون على نقل الكتب العربية الى اللغات الاوروبية . منها جامعة نابولي في أيام فريدريك الثاني (عام ١٢٢٤) ، وجامعة طليطلة وغيرها . ترجموا الازياج العربية في علم الفلك وبنوا عليها ازياجا جديدة . وفي عام ١٢٥٢ نشر وطبع الزيج الذي اشرف عليه الفونس العاشر وكان ذلك يوم تسلمه الحكم . لم يأتوا بجديد في علم الفلك . بل جربوا ان يعمموا ما حمل اليهم من معلومات . وبقي علم الفلك كما تركه العرب ، الى ان اكتشف غليليو المرقب عام ١٦١٠ . فبدأ عهد جديد .

ولا تزال اسماء النجوم التي ترجع الى أصل عربي ، كذلك بعض العبارات الفلكية ، برهانا ساطعا على الطابع العربي في علم الفلك . مثل النسر الواقع . النسر الطائر ، Al-trir الشعرى ، Sirrur الغول ، Al-gol نظير ، Nader ، سمت Zenith وغيرها وتعد بالمئات . ولا بد من الاشارة الى ان علماء الغرب عامة . قد اهتموا بالتفتيش عن تراث العرب في علم الفلك وغيره من العلوم ، وارجعوا الى فلكي العرب قسطا كبيرا مما كان قد نسب الى غيرهم . بقي علينا نحن العرب ان نفتش عن ذلك التراث ونحميه من الضياع في زوايا الركود والاهمال . ■

موجز لمحاضرة القيت في المركز الثقافي الاسلامي في بيروت .

الميثاق الوطني اللبناني ١٩٤٣

ميثاق مكتوب!

حسان حلاق

— تعتبر قضية الميثاق الوطني الذي انبثق عام ١٩٤٣ قضية هامة وشائكة لا سيما وانها أصبحت تثار عند حدوث أية أزمة لبنانية سواء في عهد الرئيس بشارة الخوري ١٩٤٣ — ١٩٥٢، أو العهود التي تلته، (عهد الرؤساء كميل شمعون، فؤاد شهاب، شارل حلو وسليمان فرنجية) ولا تزال قضية الميثاق تثار حتى اليوم في عهد الرئيس الياس سركيس. بل يكاد يكون الميثاق حديثاً يومياً لبعض الزعامات اللبنانية. وحرصاً منا على المساهمة في حل هذه القضية، كان لا بد من إلقاء الضوء على خفايا ومظاهر الميثاق، وقد درسنا هذا الموضوع دراسة وافية بل من وجهة نظر جديدة لم يتطرق إليها أي باحث من قبل.

— حسان حلاق: محاضر في قسم التاريخ، كلية الآداب — جامعة بيروت العربية.

من مؤلفاته في التاريخ المعاصر:

موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ — ١٩٠٩.
الاتجاهات السياسية — الطائفية في لبنان ١٩١٨ — ١٩٤٣.
العلاقات الأوروبية — العثمانية.

من مؤلفاته في التاريخ العربي والاسلامي:

تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
الادارة المحلية الاسلامية.

■ في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ وبعد اعلان نتائج انتخاب الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية، كان لا بد من تكليف رياض الصلح بتشكيل الوزارة الأولى، لأن وجوده في الحكم يدعم موقف بشارة الخوري السياسي لبنانياً وعربياً. وقد أكد بشارة الخوري في مذكراته هذه الحقيقة بقوله: «وكنت قد صممت في نفسي على أن أوليها رجلاً له مكانته في لبنان ولدى الدول العربية، ووهبه الله ذكاء نيراً واقداماً نادراً، عنيت به رياض الصلح».[1] وكانت سياسة بشارة الخوري منذ البداية تقوم على ان لبنان مهما كانت له «صبغة نصرانية» فهو بلاد اسلامية أيضاً. وعدد المسلمين فيه يوازي عدد النصارى. وانه يجب أن يكون للمسلمين حساب كبير، وعلى الزعيم السياسي المسيحي ان يذكر هذه الحقيقة لنفسه وللمسلمين أيضاً[2].

هذا واثر انتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية اعتلى المنبر وألقى خطاباً مكتوباً ركز فيه على تعاون لبنان مع البلاد العربية وخروجه من عزلته، وهو «الذي يجب أن يظل للبلدان العربية المحيطة به جاراً أميناً وأخاً صادقاً تربطه بها روابط تعاون يسوده الود والاخلاص...» ولم يشر في خطابه إلى توزيع الرئاسات الثلاث طائفياً. وفيما يختص بما عرف باسم «الميثاق الوطني» يذكر لنا يوسف يزبك – أحد المؤرخين اللبنانيين – ان حواراً تم بين بشارة الخوري ورياض الصلح في اجتماع حصل قبل ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣. ومما قاله بشارة الخوري لرياض الصلح:

«أنا أعلم أنك تجاهد في صفوف القوميين العرب منذ حوالي ثلاثين عاماً بغية إقامة دولة عربية كبيرة وأعلم أيضاً انك تؤمن بلبنان ورسالته العربية. وانك مقتنع بأنه بوسع لبنان أن يكون أمة عربية مستقلة حيث يجد المسيحيون كل الضمانات التي يصبون اليها. واعلم انه بوسعك وصحبك ان تساعدنا على كتابة صفحة جديدة من تاريخنا تنسينا الماضي الذي بناه الأجنبي وأيده وحده. ما رأيك باتفاق حول الخطوط الكبرى التي تؤلب اللبنانيين جميعاً حولها وتشجع النهضة العربية التي ترغب في نجاحها»؟

فأجاب رياض الصلح:

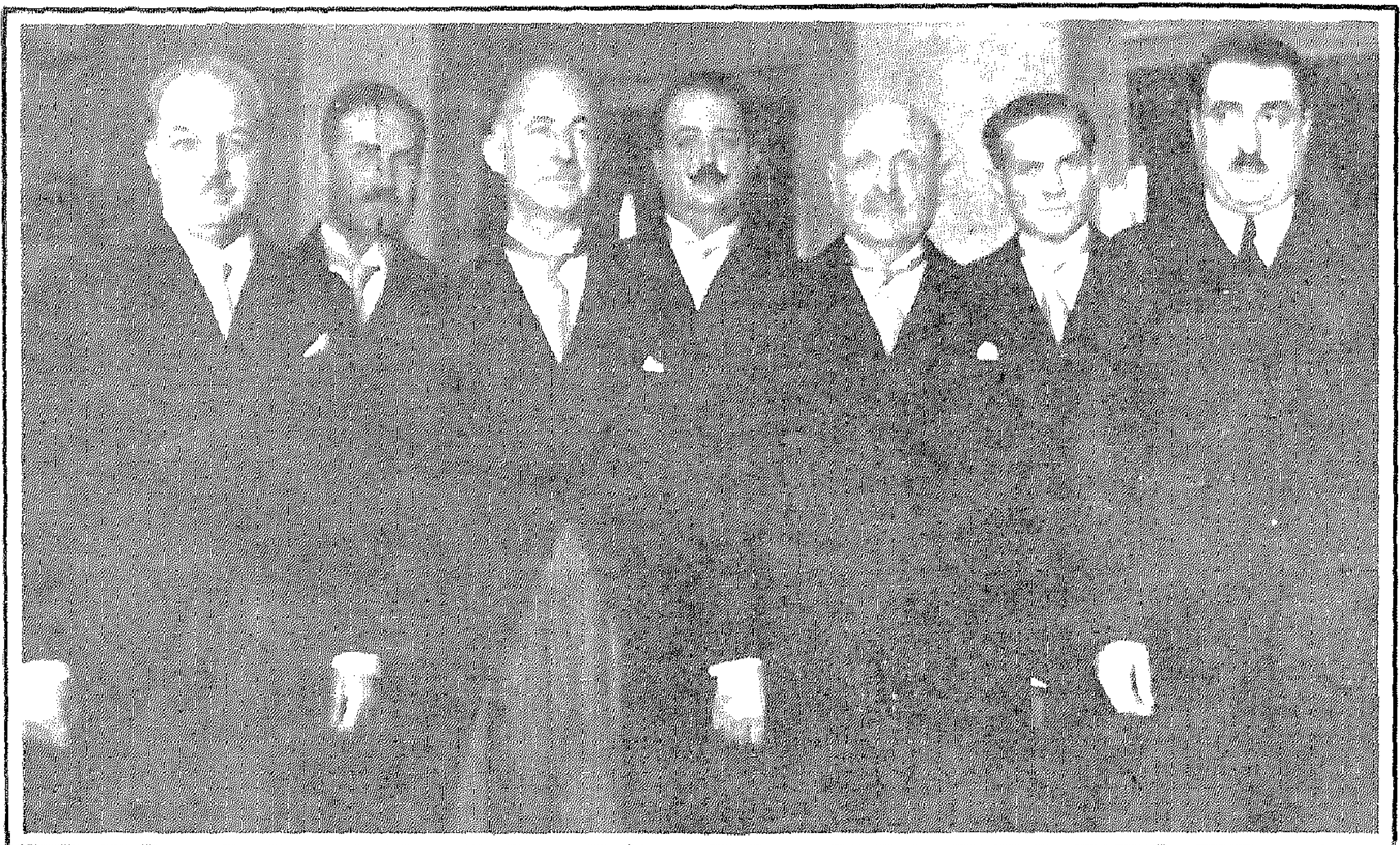
«ان ماضي يبرهن ان ما فعلته في سبيل القضية العربية فعلته أيضاً في مصلحة لبنان. وتعلم أيضاً ان بعضاً من «اخواني السلبيين» انتقدوا مواقفي واتهموني بأني أصبحت لبنانياً. وكنت اجيبهم ان من يناضل من أجل حرية لبنان يناضل أيضاً من أجل حرية العالم العربي كله، ومن يناضل من أجل القضية العربية يناضل من أجل القضية اللبنانية. وفي خطبة لي صرحت فيما صرحت بأنني أفضل أن أعيش مستقلاً استقلالاً تاماً في قرية كفر ذبيان – احدى قرى كسروان – على أن أعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بمعاهدات يحكمها مستشارون أجانب. وأنا لم أبدل سياستي، واني مسرور بأن أسمع من فم زعيم مسيحي كبير، انه بوسع لبنان أن يكون أمة عربية وها إني ماد لك يدي ومستعد لأن أصغي إليك..».

قال بشارة الخوري:

«أتعتقد أن جميع اخواننا المسلمين يتبنون اتفاقنا؟ أتعتقد انهم سيقبلون بلبنان كوطن نهائي لهم وليس كمرحلة؟ أتعتقد ان أملهم الأكبر لن يكون سوريا أو العرب»؟

فأجاب رياض الصلح:

«... اني كفيل ليس فقط بالحصول على قبول المسلمين بل أيضاً باقناع الزعماء



– من اليمين : صبري حمادة ، كميل شمعون ، بشارة الخوري ، مجيد ارسلان ، رئيس الوزراء السوري سعد الله الجابري (الذي جاء مهنئاً بعد انتهاء الاعتقال في راشيا) ، عادل عسيران ورياض الصلح : سورية ولبنان بلدان.

السوريين والعرب بالاعتراف باستقلال لبنان وضمان حدوده الحالية..»[٣].

والحقيقة انه لا يوجد اثبات أو دعم وثائقي يؤكد كل ما ذكره يوسف يزبك وذلك للأسباب التالية:

١ – ان يوسف يزبك نشر هذا الحوار في آب (أغسطس) عام ١٩٥٨، أبّان حركة ١٩٥٨، وذلك لاعطاء صيغة ١٩٤٣ صفة قانونية بقبول بشارة الخوري ورياض الصلح بها.

٢ – ان يوسف يزبك نشر هذا الحوار، ورياض الصلح كان قد توفي.

٣ – ان بشارة الخوري نفسه لم يشر في مذكراته «حقائق لبنانية» التي نشرها عامي ١٩٦٠ – ١٩٦١ إلى هذا الشكل من الحوار بينه وبين رياض الصلح.

أما فيما يختص بمضمون الميثاق الوطني، فان بشارة الخوري يؤكده نفسه بقوله: «وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة: استقلال لبنان التام الناجز دون الالتجاء إلى حماية من الغرب ولا إلى وحدة أو اتحاد مع الشرق»[٤] وهذا تأكيد من رئيس الجمهورية واحد ركني الميثاق الوطني، على أن الميثاق ليس توزع الرئاسات الثلاث طائفياً، وانما اتفاق على امتزاج النزعات السياسية اللبنانية. كما يلاحظ من دراسة خطب بشارة الخوري، انه لم يشر فيها ضمن احاديثه عن الميثاق، سوى إلى انه اتفاق على استقلال لبنان ووحدة شعبه وعدم انعزاله عن البلدان العربية.

والحقيقة ان بشارة الخوري لم يشر مطلقاً إلى توزع الرئاسات الثلاث على أساس طائفي. كما ان رياض الصلح لم يشر مطلقاً في بيانه الوزاري المكتوب إلى هذا الموضوع. بل على العكس فقد تضمن بيانه الوزاري برنامجاً بالغاء الطائفية والقضاء على مساوئها «فان هذه



– المفتي محمد خالد عندما زاره رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وحبيب أبو شهلا في عيد المولد النبوي الشريف كان حديث الميثاق خامسهم.

القاعدة تفيد التقدم الوطني من جهة وسمعة لبنان من جهة أخرى، فضلاً عن انها [الطائفية] تسمم روح العلاقات بين الجماعات الروحية المتعددة التي يتألف منها الشعب اللبناني.. ان الساعة التي يمكن فيها الغاء الطائفية هي ساعة يقظة وطنية شاملة مباركة في تاريخ لبنان...».

ويؤكد جمهرة المؤرخين والسياسيين اللبنانيين ان الميثاق الوطني انما هو استقي من خطاب بشارة الخوري في ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣. ومن البيان الوزاري الذي ألقاه رياض الصلح في ٧ تشرين الأول (اكتوبر). وطالما ان الخطاب والبيان لم يفصحا عن توزيع الرئاسات الثلاث طائفياً. وطالما ان الخطاب والبيان مكتوبان. فان الميثاق يعتبر مكتوباً. اما فيما يختص بتوزيع الرئاسات الثلاث. فقد تم الاتفاق بين بشارة الخوري ورياض الصلح في جلسة خاصة ان يكون توزيعها طائفياً بشكل مؤقت. ثم يتبع ذلك تعديلات بل والعمل على إلغاء الطائفية. كما جاء في البيان الوزاري. كما تم الاتفاق على أن تكون الرئاسة الأولى مداورة بين المسيحيين والمسلمين، ولا مانع لدى المسلمين من أن يتبوأ الموارنة الرئاسة فترة تسمح لهم بالاطمئنان قد تمتد فترتين أي لمدة ١٢ عاماً، وهي حقبة كافية للتأكد من ان لبنان سيبقى مستقلاً ولن يلتحق بأي اتحاد عربي، بل انها فترة كافية لالغاء الطائفية. ولذا رأينا ان رياض الصلح لم يمانع مطلقاً في دعم بشارة الخوري لتجديد رئاسته مرة ثانية. والجدير بالذكر ان الرئيس عبد الله اليافي تقدم باقتراح في ٦ تشرين الأول (أكتوبر) – أي قبل يوم واحد من جلسة الثقة – إلى المجلس النيابي طالب فيه بإلغاء الطائفية من لبنان ومن مواد الدستور اللبناني(٦). والواقع ان بشارة الخوري نفسه أكد ان صيغة الميثاق الوطني هي تسوية مؤقتة ريثما «نجد صيغة تعايش وتفاهم ووئام أفضل».

ويذكر الدكتور باسم الجسر في صدد الحديث عن الميثاق الوطني، انه طالما لا يوجد نص مكتوب بين أيدينا نعتمده، فما علينا إلا



– الرئيس وقرينته في زيارة الديمان، وبدا بين بشارة الخوري والبطريرك عريضة، مارون كنعان.

أن نلجأ إلى ثلاثة أنواع من المراجع: خطب الشيخ بشارة الخوري وخطب رياض الصلح، وشهادات السياسيين والمسؤولين، وثالثاً، المقالات والدراسات التي وضعها سياسيون ومفكرون ...[٧].

ومن هنا لا بد لي من أن أؤكد خلافاً لكل ما قيل وكتب، ان الميثاق الوطني هو ميثاق مكتوب، وليس ميثاقاً شفهياً، ذلك انه طالما استقيت بنوده من خطاب بشارة الخوري وبيان رياض الصلح، وهما خطابان مكتوبان، فاننا لا نستطيع الا ان نؤكد ان الميثاق مكتوب. لأن القول بأنه غير مكتوب يؤدي إلى نسج الكثير من الأباطيل حوله والادعاءات التي لا أساس لها من الصحة، كأن يقال: هكذا أراد بشارة الخوري يومذاك، أو هكذا قال رياض الصلح،... بينما يؤكد بشارة الخوري انه تم تحديد جوهر الميثاق: في خطاب قسم اليمين الدستورية، وفي بيان حكومة رياض الصلح الأولى، وفي خطب ألقاها في مناسبات عديدة.

والحقيقة ان الرئيس بشارة الخوري أكد عام ١٩٤٤ مجدداً مضمون الميثاق. فقد قال: «هذا الميثاق... هو: استقلال صحيح، وسيادة قومية، ومحافظة على دستور البلاد، لا انتقاص فيها ولا هوادة، ومودة خالصة، وتعاون وثيق بين الأقطار العربية ولبنان لمصلحة الجميع وعلى قدم المساواة وبروح العدل والانصاف»[٨] ثم يعود ليؤكد عام ١٩٤٦ وللمرة الأولى «التوقيع» على الميثاق الوطني الذي يتضمن الاستقلال اللبناني «الذي يحترمه جيراننا العرب الذين وضعنا يدنا بيدهم مختارين. ومع المحافظة على سيادتنا واستقلالنا».

ويورد الشيخ بشارة الخوري أهداف الميثاق فيذكر أنها:

١ – استقلال تام وناجز عن الدول العربية، كل الدول العربية.

٢ – استقلال تام وناجز عن الدول الشرقية، كل الدول الشرقية.



– الجنرال سبيرز، وبدأ حوله من اليمين صبري حمادة وبشارة الخوري ورياض الصلح، رؤساء المجلس النيابي والجمهورية والحكومة آنذاك

٣ – لا وصاية ولا حماية ولا امتياز ولا مركز ممتازاً لمصلحة أي من الدول.

٤ – التعاون إلى أقصى حدود مع الدول العربية الشقيقة.

٥ – الصداقة مع كل الدول الأجنبية التي تعترف باستقلالنا الكامل وتحترمه.

ويضاف إلى ذلك قول رياض الصلح بأن «لبنان بلد مستقل ذو وجه عربي».

وأخيراً لا يسعني الا أن أؤكد، بل من الأهمية ان أذكر. انه لو كان هناك اتفاق سياسي نهائي حول تكريس طائفية الرئاسات الثلاث لكان أولى بالرئيس بشارة الخوري أن يذكر ذلك ولو مرة واحدة في خطبه خلال ٩ أعوام (١٩٤٣–١٩٥٢) من حكمه، بل أكثر من ذلك، ما كان تردد لحظة واحدة في ذكرها في مذكراته: «حقائق لبنانية»، وخاصة وانه نشرها عامي ١٩٦٠ – ١٩٦١، يوم كان رياض الصلح غائباً عن المسرح السياسي، ويوم كان اللبنانيون مستعدين لأن يصدقوا ما يقوله لهم واحد من أركان الميثاق الوطني. ■

مصادر البحث

١ – بشارة الخوري: حقائق لبنانية. جـ٢، ص ١٧.
٢ – تذكارات اسكندر الرياشي: قبل وبعد ١٩١٨–١٩٤١، ص ٢٢٦.
٣ – يوسف يزبك: من مقال نشره في مجلة Magazine، بيروت، ١٤ آب (أغسطس) ١٩٥٨.
٤ – بشارة الخوري. المصدر السابق. جـ٢ ص ٢١.
٥ – انظر: د. نقولا زيادة: مجموعة وثائق دبلوماسية وسياسية، لبنان ١٩٤١، ص ٩١–٩٢.
٦ – النهار. ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣، العدد ٢٧٧٢.
٧ – د. باسم الجسر: ميثاق ١٩٤٣. لماذا كان. وهل سقط؟، ص ١٣٢.
٨ – بشارة الخوري. المصدر السابق. جـ٢. ص ٢٩٠.

الجغرافيا عند العرب
في القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد

وجيه عضاضة

■ ان التراث الجغرافي الذي تركه العرب في العصور الوسطى يدعو الى الفخر ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نكشف عن كل ما كان في المكتبة الجغرافية العربية من مؤلفات ولا حتّى عمّا وصلنا منها وهو قليل إذا ما قُورن بالذي ضاع.

لذلك فسيكون الحديث عن المكتبة الجغرافية العربية غير شامل بالضرورة. ونظراً لتعدّد الجغرافيين والمؤرخين والفلكيين العرب في تلك الحقبة من الزمن ونظراً الى إمتدادها الطويل من مطلع القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) حتى القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد)، فسوف تكون ابحاثنا في كل عدد مقتصرة على عصر واحد فقط، وذلك تسهيلاً للقارئ العربي كي يأخذ فكرةً واضحةً وشاملةً عما يجمعه كل عصر من مؤلفات عربية قيمة. وقبل الحديث عن الموضوع المشار اليه لا بد في مستهل بحثنا أن نأخذ فكرةً تاريخية عن تطور المعرفة الجغرافية في ديار العرب.

تطوّرت المعرفة الجغرافية عند العرب منذ العصر الجاهلي فالعرب عرفوا الكثير عن مناطقهم آنذاك وأعطونا موسوعة تشمل طبيعة بلادهم ونباتاتها وحيواناتها ومسالكها ومواقع الماء فيها الى جانب معتقداتهم الدينية الخاصة في الخُلق والخَليقة والعالم مستندين في معلوماتهم الى ما جاء في التوارة، وما تسرَّب اليهم من آراء الاغريق والرومان والفرس والهنود في الجغرافية والفلك.

هذه المعرفة سببها الاهتمام بالتجارة البرّية والبحرية التي كان العرب يمارسونها بكثرة: فسفنهم كانت تنتقل بين سواحل الجزيرة العربية والهند، وقوافلهم كانت تربط مكّة ويثرب باليمنين وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام.

هذه المعرفة كانت ولا شك لاتستند الى أُسُس علمية، بل كانت معرفة بدائية غير مُدَّونة. وقد ظلَّت فترة طويلة على حالها الى أن ظهر الدين الاسلامي وحوّل شبه جزيرة العرب الى منبر للعلم والجهاد، فبدأت رقعة الدولة العربية تتّسع لتشمل تخوم الصين ووادي السند شرقاً الى الاندلس وجبال البرانس[1] غرباً.

وكان لقيام بغداد سنة ٧٦٢ ميلادية وانتقال مركز الخلافة العباسية من دمشق اليها، الأثر العظيم في قيام عملية الترجمة من اليونانية الى العربية على يد جماعة من اليهود والمسيحيين النساطرة. فترجموا مؤلفات أرسطو وأفلاطون وبطليموس وغيرهم الى العربية وإستفاد العرب منها قليلاً. الا ان الفائدة الكبرى تمثلت في علم الفلك ورصد النجوم. ويرجع سبب ذلك الى جهل العرب باللغات الاجنبية في ذلك الوقت وعندما بدأ القرن الثالث للهجرة وبتولي المأمون الخلافة، إنطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب إنطلاقة سريعة ورائعة وبرعاية المأمون نفسه الذي شجع أهل العلم على إعادة ترجمة ما قدّمه الاغريق والرومان من مؤلَّفات. ولهذه الغاية أنشأ المأمون

مرصدين مُزودين بالاجهزة والكتب اللازمة، أحدهما في بغداد والآخر في دمشق. وقد ذكر المسعودي في مؤلفاته أن رجال المأمون إستطاعوا الحصول على خريطة للعالم مُسجَّل عليها خطوط الطول ودوائر العرض والموقع الفلكي لكل مكان معروف على سطح الأرض. وقد أمر المأمون برسم مُصور ملون يوضح أقاليم العالم المختلفة وبروج السماء. ويقول المسعودي أنه رأى هذه الخريطة في الكتب وقد ظهرت عليها القبة السماوية وما بها من نجوم والماء واليابس والمعمور واللامعمور، والأقاليم وما بها من مدن وما يسكنها من شعوب.

وهكذا استفاد العرب بدافع الدين وبتشجيع من المأمون من المؤلفات التي سبقت عهدهم وقد أضافوا اليها آراءهم واجتهاداتهم الشخصية بما يتّفق مع الإسلام. وهكذا إنطلقت المعرفة الجغرافية عند العرب حتى شملت موضوعات وأقاليم لم يعرفها لا الاغريق ولا الرومان الا إسماً.

وربما يتساءل المرء عن الاسباب التي أدَّت الى ازدهار المعرفة الجغرافية عند العرب بعد إعتناقهم الاسلام. ولعل أبرز هذه العوامل هي:

أولاً. زيارة مهبط الوحي، مما شجع على المعرفة الجغرافية لمعرفة أفضل الطرق للوصول الى مكة بعد أن كان الحجاج في الماضي يُعانون من صعوبات السفر.

ثانيا: الشعور الأخوي الاسلامي بين أنحاء الدولة الاسلامية لدى الرَّحالة وطالبي العلم والحج والتجارة، فكانوا يشعرون وكأنهم في بلادهم بلا تمييز ولا عنصريَّة، إذ لا فرق في الاسلام بين عربي وأعجمي الا بالتقوى.

ثالثا: مساهمة الدين الاسلامي في تطوير علم الفلك بصفة خاصة. فقد نصَّ الاسلام على خمس صلوات في اليوم في أوقات خاصة. فكان على الفلكيين العرب ان يُسجلوا المواقع الفلكية ويُراقبوا القمر ويَعُدوا الساعات الشمسية لتحديد أوقات الصلاة. فكانت ظروف الطقس اليومية تسهل عليهم ذلك العمل.

رابعا: إتساع حدود الدولة العربية مما شجع على معرفة طبيعة الاقاليم وشعوبها.

خامسا: إهتمام الخلفاء بمعرفة طبيعة ومسالك وممالك البلاد الواقعة بيد المسلمين.

سادساً: إهتمام قادة الجيوش العربية بجمع معلومات عن تضاريس البلاد الأجنبية قبل غزوها لتأثير ذلك في سير المعارك.

سابعاً وأخيراً: تشجيع الرسول (ص) التجار العرب للعمل داخل بلاد الاسلام وخارجها فشملت تجارتهم أنحاء مختلفة من بلاد الصين والبلغار واوروبا وبلاد الزنج. كل ذلك ساهم في حمل الأخبار عن تلك البلاد اما بالمناقلة او بالتدوين.

كل هذه الأسباب شجعت على الاهتمام بالمعرفة الجغرافية في مختلف أنحاء الدولة الاسلامية وخارجها، حتى أصبح هذا الاهتمام جزءاً لا يتجزأ من العمل الأداري لها. وهنا نجد أول إستقلال لما يَصُح ان يُسمَّى «الجغرافية الادارية او السياسية» للمنطقة.

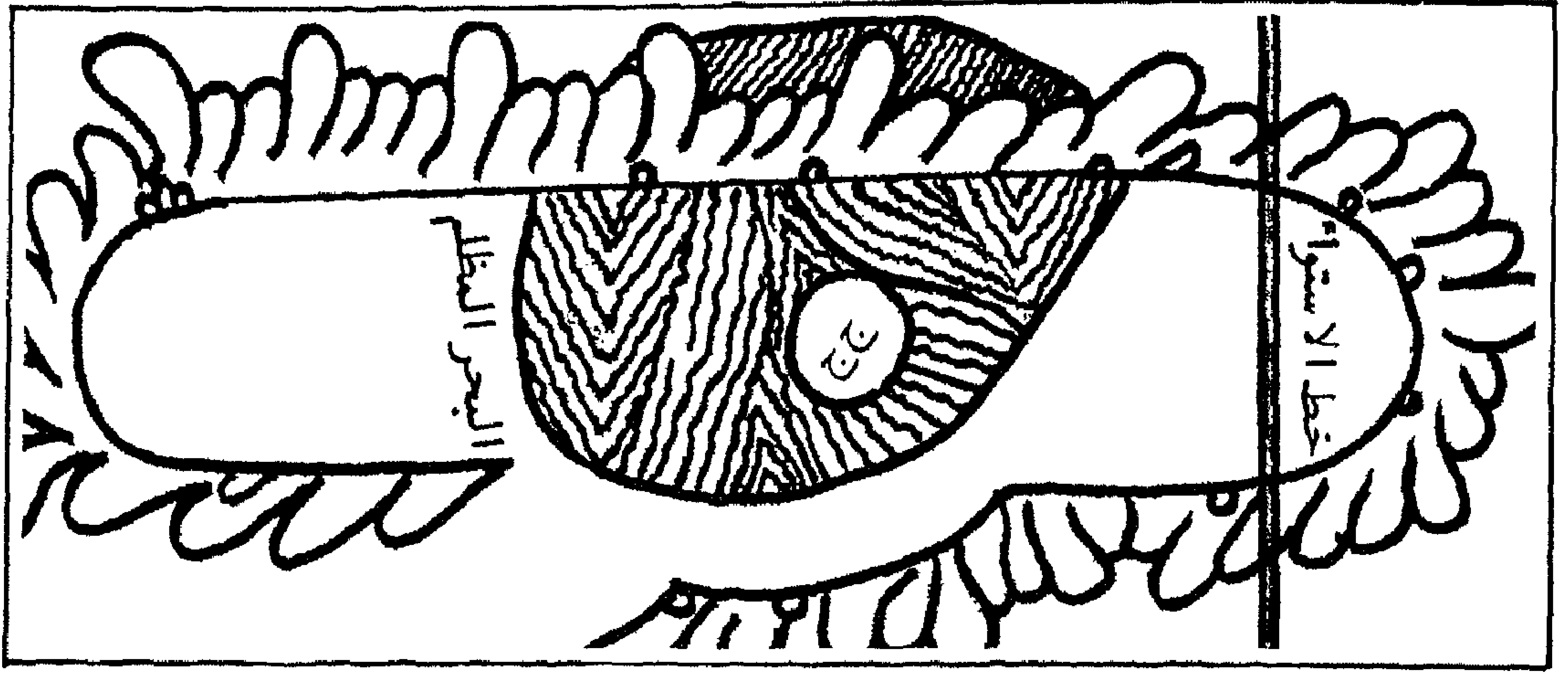
واذا ما تتبعنا تاريخ التأليف الجغرافي في اللغة العربية في أدواره الأولى لوجدنا ان مجموعة الجغرافيين الذين كتبوا في القرن الثالث للهجرة كانوا متأثرين الى درجة كبيرةٍ بالمعرفة اليونانية الرومانية. وإذا جاز لنا تسمية هذه المجموعة من الانتاج الجغرافي لسميناها: «الجغرافية اليونانية مترجمة او معرّبة».

يُمثِّل هذه المدرسة إبن خرداذبة والخوارزمي واليعقوبي وابن رشد وابن رسته وابن الفقيه. وقد اخترت في هذا البحث مؤلفات الاول والثاني. وسوف نبدأ بموسوعة إبن خرداذبة «المسالك والمالك».

يعتبر كتاب المسالك والمالك أول مصنف عربي كامل في الجغرافية الوصفية يقع تحت أيدينا. يتناول الكتاب معلومات تقليدية في الجغرافية الرياضية وصفة الارض وبُنية الخلق وقبلة أهل كل بلد وأعراض البربر وعجائب الدنيا والارض والبنيان والجبال بالاضافة الى المسالك في مختلف أنحاء الأرض التي كانت معروفة في ذلك الزمن. وهذه بعض مقتطفات من المواضيع المذكورة أعلاه.

١ — صفة الأرض وبنية الخلق:

«صفة الأرض انها مُدورة كتدوير الكرة موضوعة في جوف الفلك كالمُحة في جوف البيضة والنسيم حول الأرض هو جاذب لها



من جميع جوانبها الى الفلك. وبنية الخلق على الارض أن النسيم جاذب لما في ابدانهم من الخفة والارض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل، لأن الارض بمنزلة الحجر الذي يجتذب الحديد. والارض مقسومة بنصفين بينهما خط الاستواء وهو من المشرق الى المغرب. وهذا طول الارض وهو أكبر خط في كرة الأرض. كما ان منطقة البروج أكبر خط في الفلك. وعرض الأرض من القطب الجنوبي الذي يدور حوله سهيل حتى موضع خط الاستواء ثلثمائة وستون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ إثنا عشر ألف ذراع والذراع أربع وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها الى بعض يكون ذلك تسعة آلاف فرسخ. وبين خط الاستواء وكل واحد من القطبين تسعون درجة اسطرلابية واستدارتها عرضاً مثل ذلك. إلا أن المعمورة بعد خط الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر الكبير. فنحن على الربع الشمالي من الأرض والربع الجنوبي خراب لشدة الحرّ فيه، والنصف الذي تحتنا لا ساكن فيه، وكل ربع من الشمالي والجنوبي سبعة أقاليم. وقد ذكر بطليموس أن مدن الارض على عهده بلغت أربعة آلاف ومائتي مدينة».

٢ - قبلة أهل كل بلد:

«فقبلة أهل ارمينية وآذربيجان وبغداد والكوفة والبصرة وحلوان وأصبهان وطبرستان وخراسان وبلاد الخزر(٢) وكشمير الهند كلها الى حائط الكعبة الذي فيه بابها وهو من القطب الشمالي عن يساره الى وسط المشرق. أما التبت وبلاد الترك والصين فخلف وسط المشرق بثمانية أجزاء لقرب قبلتهم من الحجر الاسود. أما قبلة اهل اليمن فصلاتهم الى الركن اليماني ووجوههم الى وجوه أهل أرمينية إذا صلوا. وأما قبلة أهل المغرب ومصر والشام والجزيرة فصلاتهم الى الركن الشامي ووجوههم اذا صلوا الى وجوه أهل المنصورة اذا صلوا. فهذه قبل القوم والنحو الذي يُصلون اليه».

٣ - ملوك الارض في أول الزمان وممالكهم والقابهم:

«كان أفريذون قسَّم الارض بين بنيه الثلاثة: فملك سلم وهو شرم على المغرب. وملك طوش وهو طوج على المشرق. وملك ايران وهو إيرج على ايرانشهَر. أما عن ألقاب

ملوك الارض فنجد ملك العراق هو شاهنشاه. وملك الروم باسيل، وملوك التبت والترك والخزر كلهم خاقان».

٤ - أعراض البربر:

«كانت ديار البربر فلسطين وملكها جالوت. فلما قتله داوود جلت البربر الى المغرب حتى إنتهوا الى لوبيه ومراقيه[٣] فتفرقت هناك. فنزلت جماعات منها الجبال وأخرى المدن. فجماعة هوارة مثلا نزلت مدينة إياس وهي أطرابلس[٤] وكانت للروم فجلت الروم الى صقلية وهي جزيرة في البحر ثم انتشرت الى السوس الادنى خلف طنجة. ولما رجع الروم الى مدنهم بعد صلحهم مع البربر، كرهت البربر سكنى المدن فنزلت الجبال. أما المدن فعادت روميَّة واستمرت الى ان فتحها المسلمون».

٥ - عجائب الدنيا والارض:

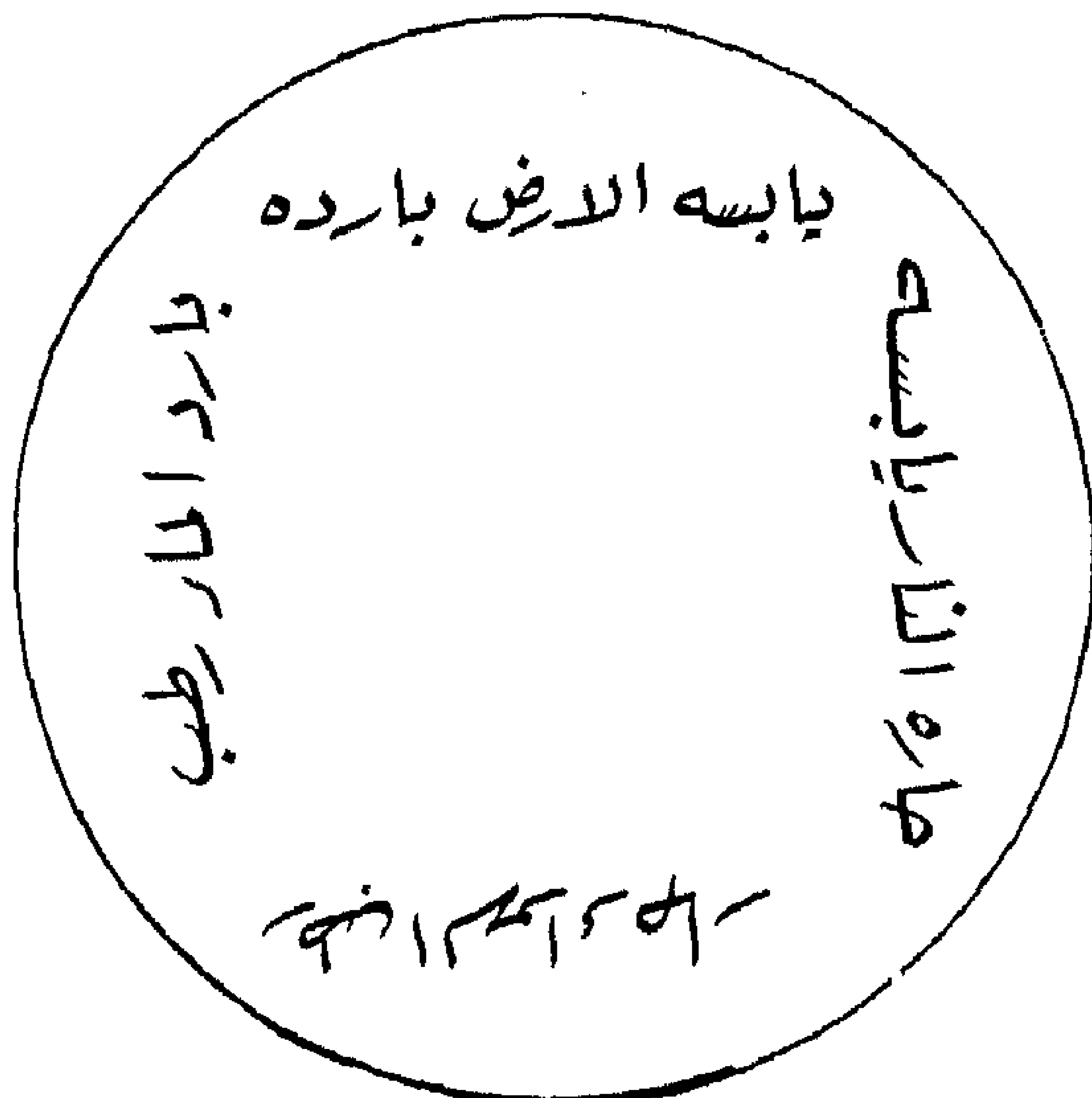
(أ) «مرآة معلقة بمنارة الاسكندرية كان رجل يجلس تحتها فيرى القسطنطينية وبينهما عرض البحر.

(ب) فرس من نحاس بأرض الاندلس قائلاً بكفيه كذا باسطاً يده أي ليس خلفي مسلك فلايطأ تلك الأرض أحد الا إبتلعته النمل.

(ج) منارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الاشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبوا في الحياض فإذا انقضت الاشهر الحرم إنقطع ذلك الماء.

(د) نار بصقلية، بالاندلس وبالهند، تشتعل في حجارة إن رغب أحد أن يحمل منها شعلة تتقد.

(هـ) بيتان وجدا بالاندلس، ففتح أحدهما وهو بيت الملوك فوجد فيه أربعة وعشرون تاجاً وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه، ووجد فيه أيضاً مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام. ووجد على البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً. كان كلما مرَّ ملك زاد عليه قفلاً ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لُذريق وهو آخر ملوكهم فقال لا بد لي من ان أعرف ما في هذا البيت وتوهَّم أن فيه مالاً وجوهرا، فاجتمعت الاساقفه والشمامسة[٥] فأعظموا ذلك عليه وسألوه ان يأخذ بما فعلت الملوك قبله فأبى الا أن يفتحه فقالوا انظر ما يخطر على بالك من مال تراه فيه فنحن نجمعه لك وندفعه اليك ولا تفتحه فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ونبالهم فدخلت العرب بلادهم في السنة نفسها التي فتح فيها ذلك الباب ووجد قتيبة بن مسلم بمدينة تدعى بيكند قدوراً عظاما يصعد اليها بسلالم.



هذه الدائرة التي تقع في البحر هي جزيرة الجوهر

وهذه دائرة صوَّرتها الحكماء على شكل الدنيا وأظهروا للعيان ان الله تعالى بلطف تدبيره جعل تمازج هذه الطبائع الأربع من أطرافها وحواشيها التي يشابه بعضها بعضا كامتزاج الحر بالحر والبرد بالبرد على ما في هذا الشكل حتى خلق منها هذا العالم مع ما بينها من التعادي والفرقة».

٦ – عجائب البنيان والجبال وإستحالة المياه :

(أ) «الهرمان بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع كلما ارتفع دق. وهما رخام ومرمر. والطول يساوي العرض وهو لكل منهما أربعمائة ذراع.

(ب) بناء رومية والاسكندرية يقال أنها بنيت في ثلثمائة سنة وان اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها نهاراً الا بخرق سوداء مخافةً على أبصارهم من شدة بياض حيطانها. ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج في البحر.

(ج) منف مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين باباً وجعل حيطان المدينة بالحديد، وفيها كانت الانهار التي تجري من تحت سريره.

(د) جبل باليمن ينبع من قبلته ماء فيسيل على جانبه وقبل أن يصل الى الارض يجمد. وواد بآذربيجان يجري ماؤه ثم يُستحجر فيصير صفائح صخر». هذه أبرز المقتطفات التي قدمها لنا ابن خرداذبة في كتابه المذكور.

الموسوعة الثانية للخوارزمي وهو كتاب «صورة الأرض». يعتبر الخوارزمي أول الجغرافيين العرب بل أول الفلكيين. ظهر في عصر المأمون وأشرف على مكتبة بغداد. لعل اشهر مؤلفاته هو كتاب «صورة الارض» أو رسم الربع المعمور. وصورة الأرض هي الترجمة العربية المعهودة في ذلك العصر.

وقد لاقى مصنف الخوارزمي هذا المصير نفسه الذي لاقته مصنفاته الاخرى. فهذا الكتاب يوجد في شكل ناقص. كما ان خرائطه التي كان يحويها مفقودة. فهو معروف لنا حتى الآن في نسخة واحدة فقط بمكتبة ستراسبورغ في فرنسا يرجع تاريخها الى حوالي ١٠٣٧ ميلادية اي الى ما بعد قرنين فقط من تاريخ الكتاب. ونظراً لغلبة الفلك والرياضة على الخوارزمي فقد وضع مصنفه هذا على هيئة جداول مع إضافات واسعة من ميدان الجغرافية العربية. اول ما يستدعي الانتباه هو تقسيم الخوارزمي للأقاليم السبعة حسب درجات العرض المختلفة وهو تقسيم يختلف عن كل التقاسيم الاخرى المعروفة لدى العرب. ويعتمد أساساً على حسابات العلماء اليونان فكل صفحة في مصنف الخوارزمي تشمل المدن الرئيسية موزعة على الأقاليم السبعة حسب بعدها عن خط الزوال[٦]. كما يتضمن مصنفه جداول بالجبال والبحار والجزر والانهار. ان الخوارزمي قد أبدى الكثير من الجرأة العلمية في تقسيمه الجديد للأقاليم كما أنه قد أظهر ايضاً الكثير من الاصالة والابتكار في خرائطه التي تختلف إختلافاً تاماً عن الخرائط المعروفة لدينا من العهود التالية. فتقوم اهميتها قبل كل شيء على انها تمثل اقدم ما وصل الى ايدينا من آثار الكارتوغرافيا العربية. ففي خريطته التي رسمها لنهر النيل يتضح ان مجراه كان معروفاً جيداً في ذلك الوقت. كما رسمت عليها حدود الاقاليم السبعة بوضوح.

ويقول أحد المستشرقين في تقييمه لكتاب الخوارزمي هذا «انه لا يوجد شعب أوروبي واحد يستطيع ان يفخر بمُصنَّف يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي يعتبر أقدم أثر في الجغرافية العربيـــة».

وراء جبل القمر
جبل القمر
البطيحة الثانية
البطيحة الاولى
خط الاستواء
البطيحة الصغيرة
بلاد النوبة
فزان
دنقله
علوه
الاقليم الاول
اسوان
قوص
اسنا
اخميم
الاقليم الثاني
اسيوط
الفسطاط
اشمون
جبل المقطم
الجيزة
الاقليم الثالث
الاسكندرية
دمياط

نهر النيل كما عرفه العرب في العصور الوسطى

صحيح أن تأثير هذا الكتاب كان محدوداً في أوروبا الوسيطة لكن تأثيره في العالم العربي كان هائلاً. فقد قلَّده كثير من الجغرافيين اللاحقين خاصة في تقسيمهم للأقاليم السبعة ومنابع النيل.

كنا قد أشرنا في مستهل بحثنا أن المدرسة العربية في القرن الثالث للميلاد قد تأثرت تأثراً كبيراً بالمدرستين اليونانية والرومانية غير أنها اصبحت ناضجة خالصة العروبة الى حد كبير إبتداءً من القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) بفضل علماء كبار كالاصطخري والمقدسي والمسعودي وغيرهم وظلِّ الفكر الجغرافي العربي بعد ذلك مزدهراً حوالي ثلاثمائة عام إنتهت بوفاة أبي الفدا عام ١٣٣٢ ميلادية - ٧٣٢ هجرية فبعده إختفى ما يمكن تسميته بالجغرافية العلمية. ■

هوامش :

(١) تفصل طبيعيا بين اسبانيا وفرنسا

(٢) قزوين

(٣) من مدن ليبيا القديمة وتقع في اقليم برقة

(٤) طرابلس الغرب اليوم

(٥) رتبة من رتب رجال الدين المسيحي

(٦) خط الطول الرئيسي او خط منتصف النهار وقد جعل الخط يمر بجزر السعادة اي الجزر الخالدات وتسمى اليوم جزر الكناري في المحيط الاطلسي.

مراجع البحث :

١ - عبد الفتاح محمد وهيبة - تطور الفكر الجغرافي ١٩٧٢ و ١٩٧٩.

٢ - الخوارزمي - صورة الأرض.

٣ - ابن خرداذبة - المسالك والممالك.



تـاريخ المجوهرات ٢

الذهب

٤٠٠٠ سنة من الصعود

ليرات انكليزية ذهب غير مصنوعة في انكلترا!



■ عند البدء بالكتابة عن عالم الذهب والاحجار الكريمة والمجوهرات علينا ان نوضح ان الموضوع يتناول من المعادن الذهب فقط ومن الاحجار تلك الكريمة منها – الكريمة حقا والثمينة، لانه يوجد من الاحجار ما يسمى نصف كريمة Semi Précieux كما انـه توجد معادن ثمينة اخرى كالبلاتين والفضة وغيرها وهذه سنفرد لها بحثا خاصاً آخر. ان هذه النفائس لها عالمها الخاص في جميع انحاء العالم فمنذ ان اكتشف الانسان هذه الأشياء في باطن الارض وعلى رؤوس الجبال وفي أعماق البحار وعلى شواطىء الانهار والاهتمام بها في تزايد مستمر والتهافت على اكتشافها واقتنائها في اشتداد على صعيد الأفراد والدول. وكل له أسبابه. فالنساء يعشقنها للزينة والرجال لزيادة ثرواتهم والدول لتغطية عملاتها وتوسيع نشاطاتها.

كـان الأنسان القديم قبل اكتشاف الذهب وقبل اختراع العملات الورقية اذا أراد ان يبيع حصانا أو خروفا ويشتري بدلا منه جملا أو حمارا فانه ينزل الى السوق ليفتش عن رجل معه جمل أو حمار ويريد ان يشتري به حصانا أو خروفا. فيقايضه او يبادله. فاذا كانت القيمة متساوية تكون قضية البيع والشراء قد حلت وانتهى الأمر. ولكن المشكلة كانت تظهر دائما عندما يعثر على مبتغاه دون ان يكون قادرا على العثور على من يأخذ ما لديه للمقايضة، أو عندما يكون سعر الجمل أكثر من سعر الخروف أو سعر الحمار اقل من سعر الحصان فكيف العمل؟ الانسان القديم كما هو معلوم كانت ممتلكاته المنقولة هي الحيوانات والدواجن. وغير المنقولة هي بيوت القش والكهوف. ولم تكن عنده أشياء يقايضها لكي يستقيم البيع والشراء. ابتدأوا بالاصداف والبلطات والتبغ والأرز والشاي والملح. فالحمار ثمنه خمسة أصداف والجمل بمائة بلطة والخروف بعشر كومات من التبغ والجدي بخمس كومات من الأرز وهلم جرا ولا زال بعض الهنود في أمريكا يستعملون العقود الصدفية كنوع من انواع العملة كما ان بعض القبائل في يومنا هذا تستعمل الجمال والابقار كمهر لبناتها فهذه مهرها عشرون جملا وتلك خمسون بقرة والاخرى أربعون نـاقة. ولكن عندما تم اكتشاف المعادن كالذهب والفضة والنحاس حلت المشكلة واصبحت هذه المعادن هي المعتمدة للبيع والشراء ولم يكونوا ليستعملونها قطعا متساوية بل بوزنها على طريقة بدائية. وموضوعنا اليوم هو عن الذهب.

ان هذا المعدن الاصفر اللماع مرغوب لدى الجميع كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً دولا وحكومات فقراء واغنياء وهو المقياس الذي يحدد مدى ثراء اي دولة من الدول. وثمة اجماع على اعتباره من اهم غطاءات العملات الورقية وضمانة لثقة الناس بهذه العملة أو تلك ولا ينافسه في عصرنا سوى البترول.

إن تاريخ اكتشاف الذهب قديم جداً، يرجع الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد، وان اكثر الـدول المنتجة له هي على التوالي جمهورية افريقيا الجنوبية، الاتحاد السوفياتي، كندا، الولايات المتحدة الاميركية. وقد أخذ حديثا يستعمل في بعض الصناعات كطب الاسنان وطلاء القصور والمعابد وفي الادوات الالكترونية والاحجار الصناعية والعربات الفضائية والاعمال الكهربائية، وصناعة الملاعق والسكاكين والشوك وغيرها من الادوات المنزلية (وهي طبعا تصنع لطبقة كبار الأثرياء في



ضارب نقود يعمل داخل محترفه في القرن الخامس عشر في بوهيميا

العالم». والذهب عند اكتشافه واستخراجه يكون كحبيبات الرمل الصغيرة المجبولة ببعض ما علق بها من بعض المواد الغريبة. ويجري تذويبه على حرارة عالية وتنظيفه من الشوائب لكي يصبح ذهباً صافياً مائة في المائة أي ما يسمونه عيار ٢٤ أو عيار ١٠٠٠ في الاصطلاح الدولي. والذهب ليِّن بالنسبة لغيره من المعادن، لذا تجري إضافة بعض المعادن الأخرى إليه كالنحاس والفضة لكي يصبح قاسياً ويسهل تصنيعه. ومن هنا جاءت تسمية عيار ٢٢ وعيار ٢١ و ١٨ وعيار ١٤.. فالعيار ٢٢ يعني أن الذهب في الحلية يشكل نسبة ٢٢ من ٢٤. والعيار ٢١ يعني ٢١ من ٢٤ وهلم جرا.

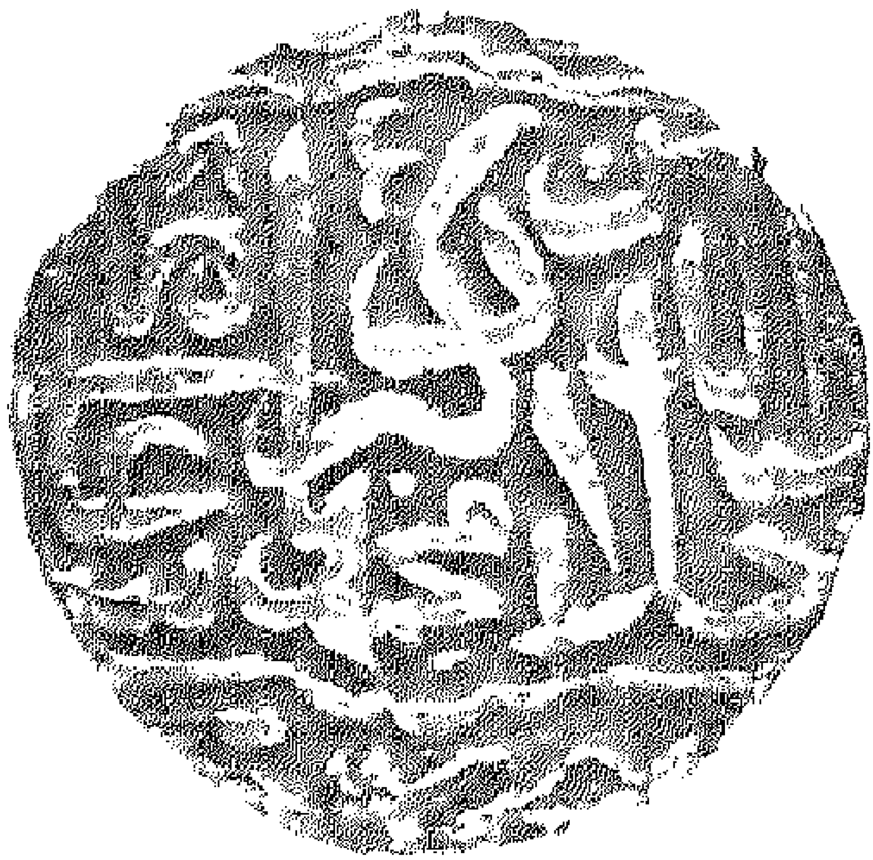
والبعض يعتقد ان عيار ٢٢ مثلا أو عيار ٢١ أفضل. وهذا صحيح من حيث كمية الذهب الصافي الموجود في الحلية ولكن المشتري يدفع دائما ثمن الغرام الواحد طبقا لعياره أي طبقا لكمية الذهب الصافي الموجود في الحلية. وبمعنى آخر فمن يشتري خاتما وزنه ١٨ غراما عيار ٢١ كمن اشترى خاتما وزنه ٢١ غراما عيار ١٨. وفي البلاد العربية الذهب المصنوع اكثره عيار ١٨ وبعضه عيار ٢١ وعيار ٢٢ والقليل منه عيار ١٤ اما في اوروبا وخصوصا في بريطانيا فانهم يستعملون عيار ١٤ وعيار ٩ وقليلا ما يستعملون عيار ١٨.

ان معظم الدول منذ القدم قد صكت عملات ذهبية تحمل على أحد وجهيها رسم ملكها أو رئيس دولتها أو اسمه وعلى الوجه الآخر تاريخ الصك مع بعض النقوش وان اندر العملات الذهبية المصكوكة هي الرومانية والبيزنطية والعربية التي هي من عهد الرسول (ص) ومن العهد الأموي والعباسي ولا يزال هواة جمع العملات النادرة يتهافتون على شرائها ويدفعون فيها المبالغ الطائلة وهم كهواة

جمع طوابع البريد لهم جمعياتهم الخاصة ونشرات سنوية تصدر في اوروبا واميركا وقد بلغ من ندرة بعض القطع ان تضاعف ثمنها خمسين ضعفا أو اكثر. وان سعر المصكوكة يحدد حسب قانون العرض والطلب كما انه ظهرت في السنوات العشرين الاخيرة جماعة من مقلدي هذه العملات استطاعوا تقليدها فلا يعرفها الا من كان من الخبراء. فقد استطاع المقلدون ان يصنعوها بالوزن نفسه والشكل والنقوش التي عليها حتى الذهب نفسه ولكن خطأ بسيطا لابد وان يحصل في حرف من الحروف أو نقطة من النقط أو في أبعاد بعض الحروف عن بعضها أو أي شيء آخر، يكتشفه مجهر الخبير بعد فحص دقيق. والقطع القديمة المطلوبة هي الرومانية والبيزنطية والعربية القديمة الكوفية والروسية القيصرية وقطعة المخمسة العثمانية الرشادية (أي خمس ليرات في قطعة واحدة) والاصلية من هذه الاخيرة تساوي خمسة أضعاف سعرها الذهبي. ان معظم ما يباع اليوم في الاسواق التجارية من عملات ذهبية متنوعة هي حتما مصنوعة من الذهب ووزنها كوزن الأصلية تماما ولكنها ليست اصلية بمعنى ان الجنيه الانكليزي الذهب ليس بالضرورة مصكوكا في انكلترا والمكسيكي ليس مصكوكا في المكسيك وهلم جرا. انما من المفيد معرفة ان هذه القطع تباع بسعر الذهب الذي تحتويه وباضافة نسبة مئوية لا تتجاوز خمسة في المئة.

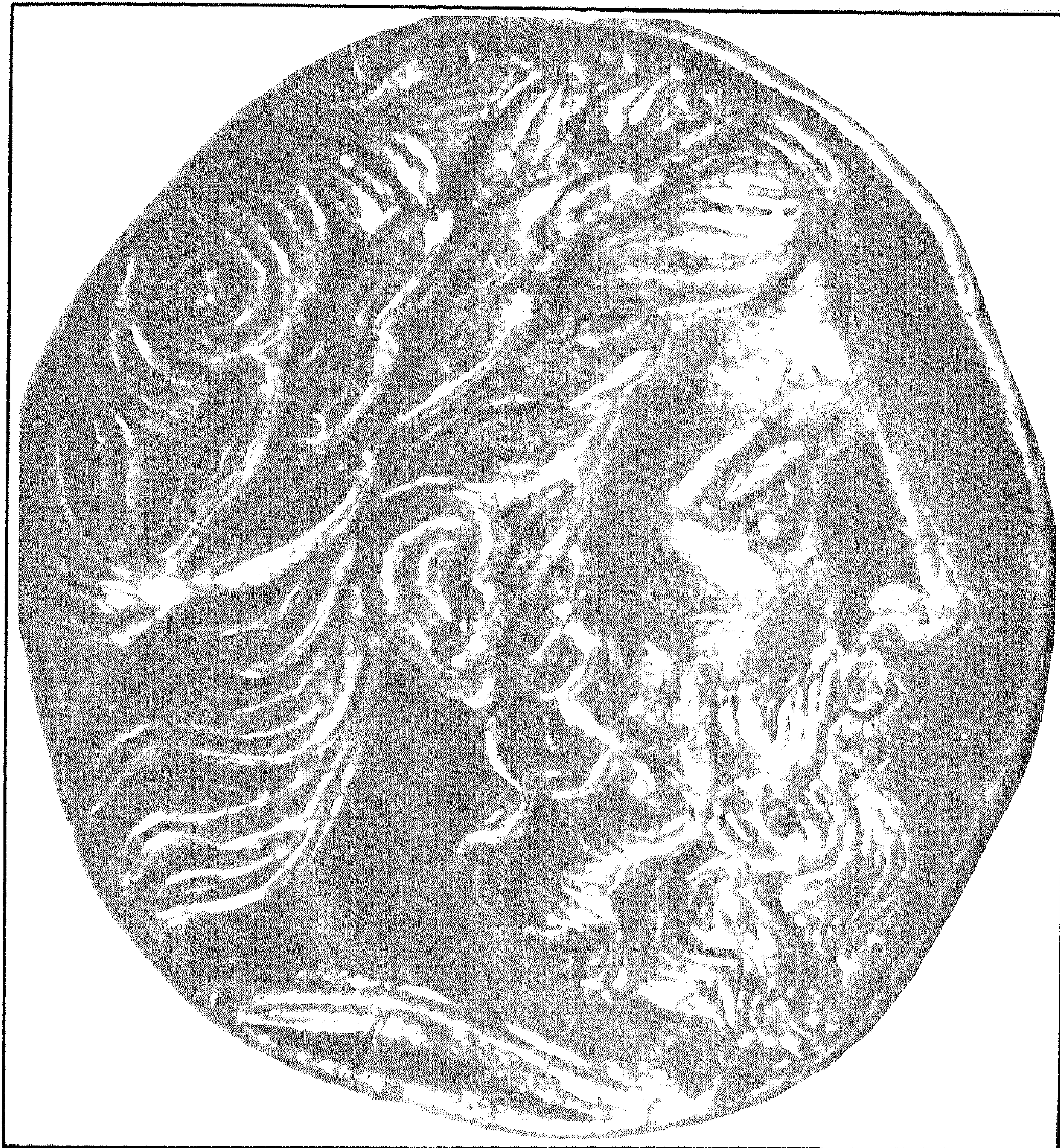
ولكن بعض المقلدين يتلاعبون بوزن القطعة وعيارها. فمنهم من ينقص من وزنها الحقيقي ومنهم من ينقص في عيارها أي بدلا من ان يكون العيار ٢٢ أو ٢١ يصنعونها من عيار ١٨ ولكن الخبير يعرفها بعد فحصها

ووزنها وقد اعتمدت الدول عند صك عملاتها الذهبية عيارات مختلفة. فالجنيه الانكليزي الاصلي عياره ٢٢ والعثماني ٢٢ أيضاً اما الاميركي والافرنسي والمكسيكي فهو ٩٠٠/١٠٠٠ أي عيار ٢١,٦. والنمساوي عيار ٩٩٩ أي عيار ٢٤ تقريبا كذلك فان بعض المصكوكات العثمانية الذهبية الرقيقة هي من عيار ٢٣. ان الذهب الصافي يباع هذه الايام في شكل سبائك. كل سبيكة وزنها ١٠٠٠ غرام وفي سبائك اخرى تزن الواحدة منها خمس غرامات ومنها ١٠ غرامات ومنها أونص واحد والاونص وزنه حوالي ٣١,١٠ غراماً



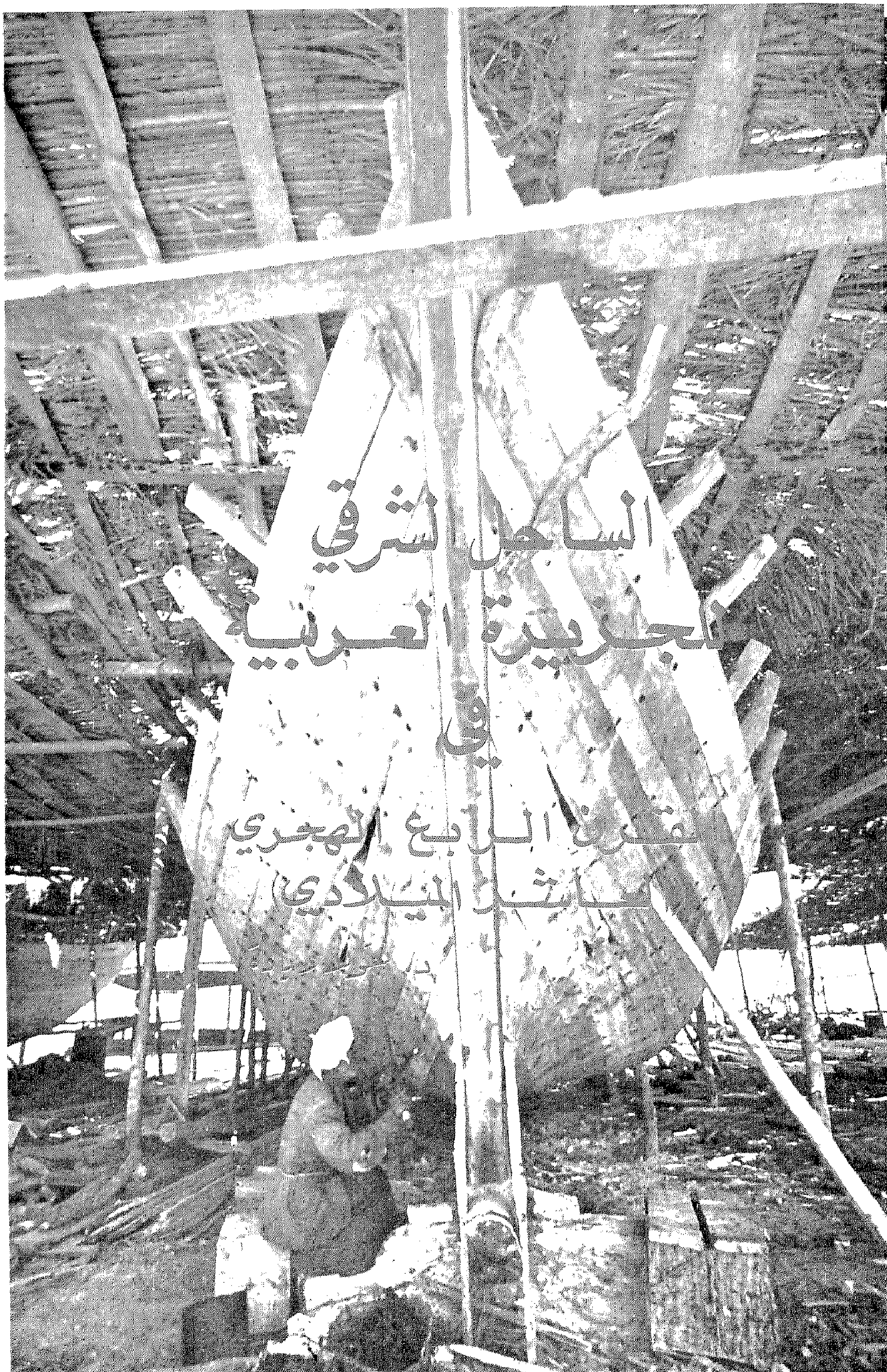


درهم فضي عربي: لا اله إلا الله (القرن الرابع الهجري)



– الملك فيليب المقدوني، في قطعة ٤ دراخمات فضية

واسعار الذهب تخضع لقانون العرض والطلب العالمي. وله بورصات في أكثر عواصم العالم وأهمها بورصة نيويورك ولندن وباريس. وقد ارتفع سعر الذهب منذ العام ١٩٦٥ الى اليوم ثمانية إلى عشرة أضعاف فقد كان سعر كيلو الذهب الصافي بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ ليرة فاصبح اليوم ٢٥٠٠٠ ليرة وهذا طبعا يعود الى عدة عوامل منها انخفاض القوة الشرائية للعملات الورقية أو ما يسمى بالتضخم المالي ثم ازدياد الثروات. ■



الساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

■ المقصود من هذا البحث المقتضب هو جمع المادة التي خلّفها لنا الجغرافيون العرب الذين وضعوا مؤلفاتهم في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بحيث تتكون منها صورة لما كان عليه الساحل الشرقي للجزيرة العربية في ذلك القرن. على اننا قد رجعنا إلى بعض الذين كتبوا قبل ذلك لنكون على بيّنة مما خلّفه الأولون ونقله المتأخرون. ومن هنا كانت عودتنا إلى كتاب صورة الأرض الذي استخرجه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي من كتاب جغرافيا الذي ألّفه بطليموس (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٦)، والى كتاب عجائب الاقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، الذي وضعه سهراب (طبعة مزيك، فينا، ١٩٢٧). والكتابان، من الازياج، أي كتب الجداول الفلكية التي تعين خطوط الطول والعرض للأماكن. وقد عاش الخوارزمي في القرن الثالث (التاسع). أما سهراب فقد كان من أهل النصف الأول من القرن الرابع (العاشر).

وبعد الافادة من هذين الكتابين انتقلنا إلى أربعة من الجغرافيين الكتّاب الذين وضعوا كتباً هي أقرب إلى أن يكون واحدها دليلاً شبه رسمي للطرق والمسالك والدروب مع الاشارة الى ما يرتفع في بعض البلاد من المكوس والأتاوات. وهذه الكتب هي: (١) كتاب البلدان لليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ (طبعة ليدن، ١٨٩٢). (٢) المسالك والممالك لابن خرداذبة المتوفى في حدود ٣٠٠ هـ (أوائل القرن العاشر) (والكتاب منشور في ليدن، ١٨٨٩). (٣) كتاب الاعلاق النفسية تصنيف ابن رسته (طبعة ليدن، ١٨٩١). (٤) نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (طبعة ليدن، ١٨٨٩). والمؤلفان الأخيران من أهل القرن الرابع (العاشر).

ويأتي بعد ذلك الجغرافيون البلدانيون الذين وصفوا العالم الاسلامي بخاصة (وبعض اجزاء أخرى من العالم بعامة). والذين أفدنا منهم، هم (١) الاصطخري صاحب المسالك والممالك وقد اعتمدنا طبعة محمد جابر عبد العال الحيني (القاهرة، ١٣٨١/١٩٦١). (٢) ابن حوقل الذين وضع كتاب صورة الأرض (طبعة ليدن، ١٩٣٦ – تصوير أوفست بيروت لاتا). (٣) ابن الفقيه الهمذاني مؤلف مختصر كتاب البلدان (ليدن، ١٨٨٥). (٤) المسعودي صاحب مروج الذهب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٤). وأخيراً (٥) المقدسي الذي ألف كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، ١٩٠٦). ولا يتسع المقام للتحدث عن هؤلاء الجغرافيين، لذلك نكتفي بالاشارة اليهم هنا، ونضيف انهم جميعهم من رجال القرن الرابع (العاشر).

وقد رأينا انه من المناسب ان نلحق هذا البحث بما كتبه الشريف الادريسي. عن الساحل الشرقي للجزيرة اتماماً للفائدة. ونقلنا ذلك عن الطبعة الجديدة التي يقوم بنشرها معهد الدراسات الشرقية بجامعة نابولي (ليدن، ١٩٧١ – ...).

ومما تجدر الاشارة اليه هو ان المادة التي تجمعت لنا من هذه المصادر قليلة، ولكن الهدف كان ضم بعضها إلى بعضها الآخر.

وثمة أمور حرية بأن يضعها الباحث

نصب عينيه. منها ان المنطقة كانت فيها أجزاء فقيرة ومن ثم فلم يعن بها الرحالون أو الجغرافيون بالنسبة إلى العصر الذي نتحدث عنه. ومنها ان الاشارات إلى الأماكن لم تكن دوماً دقيقة. ومنها ان المناطق بالذات قد اختلفت تسميتها اليوم عما كانت عليه. ففي القرن الرابع (العاشر)، وحتى في أزمنة لاحقة لذلك، كانت البحرين تعني المنطقة الساحلية المقابلة لدولة البحرين اليوم؛ أي المنطقة المعروفة بالاحساء حالياً. وحتى في ذلك نجد أكثر من تحديد واحد للمنطقة أو أكثر من تسمية واحدة. ولنذكر على سبيل المثال الاحساء نفسها. فعند سهراب الاحساء هي مدينة البحرين وعند ابن خرداذبة فان قرى البحرين تشمل الخط والقطيف والآرة. وابن حوقل يجعل هجر والاحساء والقطيف والعقير وبيشة والخرج وأوال من مدن البحرين.

٢ — الساحل الشرقي للجزيرة العربية

الكتب الازياج تتحدث عن العالم المعروف أو المسكون على انه مقسم إلى أقاليم سبعة، موازية لخط الاستواء. ومن ثم فان الخوارزمي وسهراب، مثلاً، يذكران المدن الواقعة على الساحل الشرقي للجزيرة العربية إما على انها في الاقليم الأول (مدينة ظفار والبحرين وعمان) أو في الاقليم الثاني (هجر واغلة — ولعلها أوال) أو في الاقليم الثالث (البحرين على البحر). ومثل هذا ينطبق على ابن خرداذبة وابن رسته.

والجغرافيون الكتّاب يصفون الساحل نفسه بطريقة عامة. فيذكرون أسماء المدن والقرى الواقعة عليه من عمان إلى البصرة أو من البصرة إلى عمان. إلا ان ابن الفقيه يعدد أماكن أكثر مما يعددها المؤلفان الآخران.

ولعل خير ما يمكن أن يفعل لتوضيح هذا الأمر، ولو توضيحاً محدوداً، هو ان نورد الأماكن التي يعددها الجغرافيون المختلفون، الكتّاب منهم والبلدانيون، ونقارن بينها. ومن حسن الحظ ان بعض هؤلاء المؤلفين يذكرون المسافات، إما مراحل أو فراسخ أو أياماً، بين نقطة وأخرى.

فابن خرداذبة يورد الطريق على النحو التالي: من البصرة إلى عبادان ثم إلى الحدوثة ثم إلى عرفجا ثم إلى الزابوقة ثم إلى المقرّ ثم إلى عصى ثم الى المعرّس ثم إلى خُلَيْجة ثم إلى حسّان ثم إلى القرى ثم إلى مسيلحة ثم إلى حَمَض ثم الى ساحل هجر ثم إلى العقير ثم إلى قطر ثم إلى السبخة ثم إلى عمان وهي صحار ودبا.

وقدامة يقول ان المنازل من عمان إلى البصرة (فهو يبدأ من الجنوب) السبخة، وهي بين عمان والبحرين، قطر العقير ساحل هجر حمض مسلحة القرنتين حسّان خليجة المعرس عصى المقر الزابوقة عرفجا الحدوثة عبادان.

وينقل ابن الفقيه عن أبي عبيدة ان بين هجر، مدينة البحرين، وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الابل وهي الخط والقطيف والآرة وهجر والبينونة والزارة وجواثا والسابور ودارين والغابة وقصبة هجر الصفا والمشقر والشبعان (والمسجد الجامع في المشقر) وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له العين ومن قرى البحرين الحوس والكثيب الأكبر والكثيب الأصغر وأرض نوح وذو النار والمالحة والدرائب والبدى والخرصان والسهلة والحوجر والوجير والطربال والمنسلخ والموزي والمطلع والشط والقرحاء والرميلة والهجرة والرجراجة والعرجة.

وقد أورد ثلاثة من مؤلفينا ذكر الطريق البحري من البصرة (أو عبادان) إلى عمان. فابن خرداذبة يقول من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخاً ثم إلى الخشبات فرسخان. ومن الخشبات في شط العرب إلى مدينة البحرين سبعون فرسخاً ومنها إلى الدردور (مضيق هرمز) مائة وخمسون فرسخاً ثم إلى عمان خمسون فرسخاً ثم إلى الشحر مائتا فرسخ ومن الشحر إلى عدن مائة فرسخ. والاصطخري يقول إنه من عبادان إلى البحرين نحو خمس عشرة مرحلة، ومن البحرين إلى عمان نحو شهر، ومن عمان إلى أرض مهرة نحو من شهر وإلى حضرموت من مهرة نحو شهر. ونلاحظ ان ابن خرداذبة استعمل الفراسخ أما الاصطخري فقد جمع بين المراحل والأيام. ولعلّ الاصطخري لما أشار إلى الطريق البري بين عبادان والبحرين استعمل المرحلة لذلك. على أننا لا نستطيع أن نجزم بذلك،

ولكن اذا تذكرنا ما قاله ابن حوقل عن الاتصال في الساحل الشرقي مِلْنا إلى ترجيح الاحتمال بأن الاصطخري قصد الطريق البري. فقد جاء عند ابن حوقل «وكذلك ما بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم. وأما بين البحرين وعبادان فغير مسلوك كان إلى هذه الغاية. وقد سُلِكَ وهو قفر والطريق منها على البحر. ومن البصرة إلى البحرين على الجادة احدى عشرة مرحلة». واستشهد ابن حوقل بان سليمان بن الحسن أتى على هذا الطريق متزوداً الماء من البحرين إلى البصرة ولا ماء فيه. ويضيف ابن حوقل ان الطريق «على الساحل نحو ثماني عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر إلا انه مخوف». فيما يجعل الاصطخري الطريق البري (؟) خمس عشرة مرحلة.

ولنلحظ، بالاضافة إلى ما ذكرنا، ان الطريق الذي رسمه قدامه، من حيث محطاته ومنازله، هو الطريق نفسه الذي نجده عند ابن خرداذبة، والفرق الوحيد بين المؤلفين هو الاتجاه. وقد ذكر ابن الفقيه السابور بين المنازل على طريق هجر والبصرة. والذي نرجحه ان المقصود هو سابون.

٣ – الكور والنواحي على الساحل الشرقي

في الفصل الذي عقده الخوارزمي في زيجه عن المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان يقول «بلاد العربية العامرة وهي بلاد اليمن واليمامة والبحرين وعمان». فهو يعتبر البحرين وعمان من البلاد العامرة في الجزيرة العربية. والواقع هو ان هذين القطرين كان لها مشاركة في التجارة البحرية منذ أقدم أزمنة التاريخ.

ويخص الاصطخري بلاد مهرة وعمان بشيء من العناية فيقول عن الأولى: «واما بلاد مهرة فان قصبتها تسمى الشِحر وهي بلاد قفرة... وليس ببلادهم نخيل ولا زرع. وإنما أموالهم الابل. وبها نجب من الابل تفضل في السير على سائر النجب. واللبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك. وديارهم مفترشة، وبلادهم بواد نائية». اما عن عمان فيقول: «وعمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرمية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك. وقصبتها صُحار وهي على البحر. وبها متاجر البحر وقصد المراكب. وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على شاطئ البحر... مدينة أكثر عماراً ومالاً من صُحار. وبها (أي عمان) مدن كثيرة



● مدينة الخور.. اليوم.

وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلاثمائة فرسخ.... وعمان بلاد حارة جداً، وبلغني ان بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج رقيق، ولم أر أحداً شاهد ذلك إلا بالابلاغ».

وابن الفقيه يرى ما قاله ابن القرية للحجاج لما سأله عن الأقاليم فقال عن عمان «حرها شديد وصيدها عتيد» وأما عن البحرين فقد قال ان جبالها كثيرة.

وابن خرداذبة يقول إن من يسكن البحرين يعظم طحاله ويستشهد على ذلك ببيت من الشعر:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله
ويُحْسَد بما في بطنه وهو جائع

ويذكر ان الشِحر هي بلاد الكندر وهو على ما يبدو من الاشجار الصمغيّة التي تدر اللبان. ويروي أيضاً بيتاً من الشعر:

اذهب إلى الشحر ودع عمانا
إلاّ تجد تمراً تجد لباناً

وعندما يحاول الدارس للساحل الشرقي للجزيرة العربية ان يتعرف إلى المدن هناك تقابله صعوبة رئيسية وهي الخلاف بين المؤلفين فيما يتعلق بالمناطق بالذات أولاً. ثم فيما يتعلق بمعنى كل من المدينة أو القرية ثانيا. فالتفريق ليس دائماً واضحاً. فابن حوقل يعدد مدن البحرين فيذكر القطيف وهجر والاحساء والعقير وبيشه والخرج وأوال. ويأتي المقدسي فيقول عن هجر ان قصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء والعقير. ولا شك في أن في العبارتين تناقضاً من حيث المنطقة والمدن.

ونودّ هنا أن نشير إلى ان المقدسي، بين معاصريه من الجغرافيين. أكثرهم دقة في التعبير المحدد. فهو يضع بين يدي قارئه تحديداً

لما يفهمه هو من الأمر. فقد جعل المصر «كل بلد حله السلطان الاعظم وجمعت اليه الدواوين وقلّدت منه الأعمال وأضيف اليه مدن الأقاليم مثل دمشق والقيروان وشيراز». ويعود فيحدد تعابيره ثانية فيقول «وربما كان للمصر أو للقصبة نواح لها مدن مثل طخارستان لبلخ، والبطائح لواسط، والزاب لافريقية». ويخلص إلى القول بأن أقاليم مملكة الاسلام أربعة عشر: ستة عربية وثمانية عجمية. ويضيف «ولا بد لكل أقليم من كور، ثم لكل كورة من قصبة، ثم لكل قصبة من مدن. ثم ينتقل المقدسي إلى تعيين الكور المختلفة فيذكر، بالنسبة إلى الساحل الشرقي من الجزيرة العربية، كورتين هما: عمان وقصبتها صُحار ومدنها نزوة والسر وضنك وحفيت ودبا وسلوت وجلفار وسمد ولسيا وملح. وأما هجر، وتسمى البحرين، فقصبتها الاحساء ومدنها سابون والزرقاء وأوال والفقير. وفي المنطقة ناحيتان هما اليمامة وهي تتبع هجر، والثانية مهرة ومدينتها الشحر.

٤ — ملاحظات اقتصادية

يحدثنا ابن خرداذبة عن التجار الراذانية وهم جماعة من التجار «يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلبية. وانهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً. يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف... ثم يمضون (بحراً) إلى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك... وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي (البحر المتوسط) فيخرجون بانطاكية ويسيرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ثم يركبون في دجلة إلى الابلة ومن الأُبلَّة إلى عمان والسند والهند والصين. كل ذلك متصل بعضه ببعض». والذي يهمنا هنا هو أن عمان كانت على طريق التجار الراذانية.

ومما يدل على ثراء منطقتي البحرين وعمان ما كان يرتفع منهما من الأموال. فارتفاع البحرين، مع اليمامة، لسنة ٢٣٧ هـ كان من العين خمس مائة ألف وعشرة آلاف دينار، ومقاطعة عمان كان ارتفاعها من العين ثلثمائة ألف دينار. ولا شك ان ذلك يعود إلى التجارة التي كانت تمر بهما، فضلاً عن الثروات الطبيعية.

ويقول ابن حوقل عن مهرة «وبلاد مهرة فقصبتها تسمى الشِحر، وهي بلاد قفرة.... وليس بها نخل ولا زرع، وانما أموالهم الابل والمعز، والابل والدواب تعلف السمك الصغار المعروف بالوَرْقَ. وهم... لا يعرفون الخبز ولا يأكلونه، وأكلهم السموك والألبان والتمور. ولهم نجب من الابل تفضل في السير وحسن الرياضة على جميع النجب. واللبان الذي يستعمل بالآفاق من هناك، وديارهم مفترشة به، وبلادهم بواد نائية... وطول مهرة أربع مائة فرسخ».

ويتحدث ابن حوقل عن البحرين فيقول «أما البحرين ومدنها وهي هجر والاحساء والقطيف وبيشة والخرج وأوال، وهي جزيرة كان لأبي سعيد الحسن بن بهرام ولولده سليمان بها الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة بهم، والى وقتنا هذا هي لمخلفيهما ونسلهما ... وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب موسومة من الكلف إلى ما يصل اليهم

من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة، بعد اقطاع ما بالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل». وهنا نرى ثروة منطقة البحرين (الاحساء اليوم) الزراعية وأهمية جزيرة أوال (البحرين اليوم) كمركز تجاري.

وثمة تجارات أو غلات خاصة بالساحل الشرقي للجزيرة العربية حرية بالاهتمام. فاليعقوبي يقول عن العنبر «العنبر أنواع وأصناف مختلفة ومعادنه متباينة... فأجود أنواعه وأرفعه وأفضله وأحسنه لوناً وأصفاه جوهراً وأغلاه قيمة العنبر الشِحري، وهو ما قذفه بحر الهند إلى ساحل الشِحر... وبعد العنبر الشِحري العنبر الزنجي... وعنبر يؤتى به من الهند يسمى الكرك بالوس... يأتون به إلى قرب عمان يشتريه منهم أصحاب المراكب». ويعدد ابن الفقيه منتوجات مناطق معينة ويخص عمان بالقني .

والمسعودي كان، بالاضافة إلى أنه مؤرخ وجغرافي، رحالة كثير السفر والتنقل. وقد زودنا بمعلومات عن الخليج العربي وخليج عمان والبلاد الواقعة حولها والمدن المهمة في هذه البلاد. وها نحن أولاء ننقل عنه ما يعنينا. فقد وصف بحر الهند أو الحبشي (وهو الذي نسميه اليوم المحيط الهندي) وذكر الخلجان والبحار المتفرعة منه وهي الخليج البربري، وقال إن أهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج. وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الأزد. ويقطع هذا البحر السيرافيون. وذكر المسعودي انه قطع هذا البحر من صُحار، قصبة بلاد عمان، مع جماعة من نواخذة السيرافيين إلى جزيرة قنبلو سنة ٣٠٤ هـ.

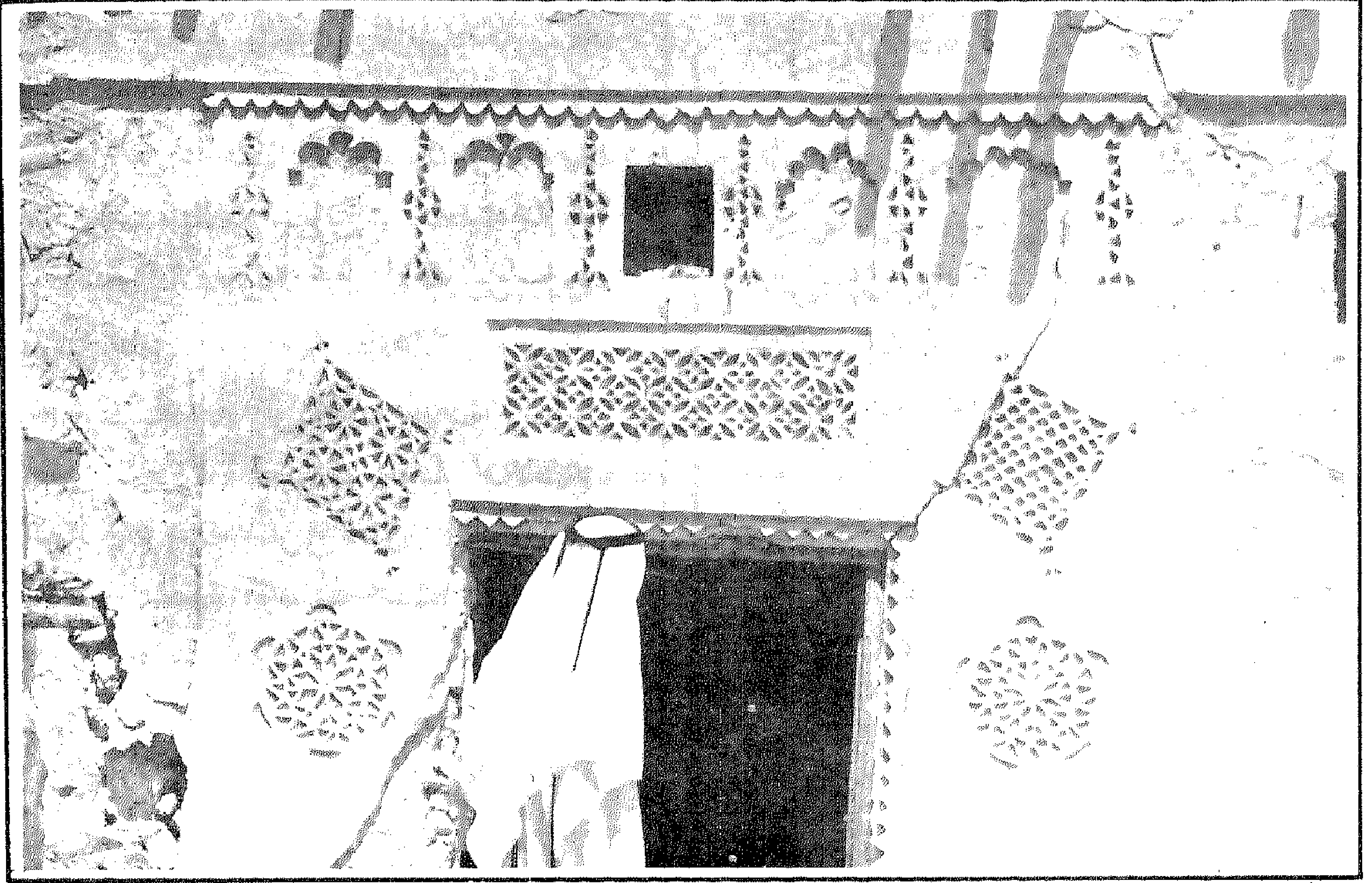
والخليج الآخر الذي يتفرع من بحر الهند هو البحر (الخليج) الذي تقع بلاد فارس شرقيه وساحل الجزيرة غربيه، والذي ينتهي إلى بلاد الأُبُلّة والخشبات وعبادان. ويقابل ساحل فارس ومكران على الساحل العربي بلاد البحرين وجزائر قطر وشط بني جذيمة وبلاد عمان وأرض مهرة إلى رأس الجمجمة إلى أرض الشحر. وفي هذا البحر مغاص للؤلؤ في خارك وأوال. وهذه الجزيرة فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب. وفضلاً عن اللؤلؤ الموجود في هذا البحر فهناك النحاس في بلاد عمان.

ويضيف المسعودي ان هذا البحر يُركَبُ في سائر السنة من عمان إلى سيراف، وهو مئة وستون فرسخاً، ومن سيراف إلى البصرة، وهو مئة وأربعون فرسخاً.

والمقدسي كان دقيقاً في كتابته إلى درجة كبيرة. ولذلك فان ما عنده من معلومات واخبار حرية باهتمامنا.

فهو يقول عن الشِحر انها مدينة على البحر، معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان وعدن ثم إلى البصرة واطراف اليمن. وثم أشجار الكندر وهي اشجار صمغية.

ويتحدث عن صحار فيقول «هي قصبة عمان ليس على بحر الصين (بحر العرب) اليوم بلد اجل منه. عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وثمار وفواكه وخيرات.... أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر. دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة. والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق. ولهم آبار عذيبية وقناة حلوة. وهم في سعة



– أحد المنازل العربية القديمة في قطر

من كل شيء. دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن... المصلى وسط النخيل، ومسجد صُحار على نصف فرسخ... قد بُنيَ أحسنَ بناء وهواؤه أطيب هواء من القصبة. ومحراب الجامع بلولب (أو مكوكب) يدور تراه مرة أصفر وكرة أخضر وحيناً أحمر».

وقد وصف المقدسي الاحساء فقال عنها «انها قصبة هجر وتسمّى البحرين كبيرة كثيرة النخيل عامرة آهلة معدن الحرّ والقحط على مرحلة من البحر» ويقول أيضاً: «اللؤلؤ في هذا الاقليم بحدود هجر يغاص عليه في البحر بازاء أوال وجزيرة خارك».

ويجمل المقدسي أمر التجارات في ديار العرب، عن عمان يقول «إلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسمسم والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقندر والاسكندروس والصبر والحديــــد والرصاص والخيزران والخضار والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك».

٥ – تجارة الخليج العربي في القرن الرابع (العاشر)

في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) كان الخليج العربي من مناطق التجارة العالمية الهامة. وكانت الموانئ الواقعة على شواطئه تنعم بالكثير من الخيرات. والموانئ الرئيسية على الخليج العربي وخليج عمان كانت سيراف وعمان والابلة (ميناء البصرة)، وكانت سيراف الميناء الذي تمر به متاجر فارس. فهي الفرضة العظيمة لفارس، وهي مدينة عظيمة ليس بها سوى الأبنية شي.... وليس بها ماء يجمد ولا زرع ولا ضرع. وهي أغنى بلاد فارس... وقد

أعطى ملاحوها من ذلك حظاً جزيلاً حتى أن أحدهم يبلغ ملكه اربعة آلاف الف دينار وكانت أبنيتها ذات الطبقات العديدة تصنع من خشب الساج الثمين والآجر. وكانت تشترى الدار الواحدة بفوق المئة ألف درهم.

والابلة وعبادان والبصرة كانت نقط الانطلاق لتجارة الخليج في شماله. ويرق الماء في بعض الجهات هناك حتى يخاف على السفن الكبار ان سلكته ان تجلس على الأرض إلا في وقت المد. وبهذا الموضع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل لِيُهْتَدى به ويُعْلَم به المدخل إلى دجلة.

وهكذا فقد كانت الرحلة إلى بحار الهند والصين أو إلى شرق أفريقية تبدأ من الابلة في منطقة البصرة وتجتاز عبادان بارشاد الناظور الساكن في الخشبات. مفيدة من المد وأوقاته. وفي سيراف كانت تجتمع السفن أيضاً. وقد تحمل المتاجر في صغار السفن من البصرة إلى سيراف، حيث توضع في السفن الكبار. فاذا انحدرت السفن في الخليج كان عليها أن تتجنب المتلصصة. ولذلك كثيراً ما كانت السفن تحمل النفاطين والمقاتلين. وكانت أكثر السفن تعرج على صُحار أو مسقط لتحمل بضائع جديدة وتتزود بالماء. وبعض السفن كان يتبع الطريق الآخر محاذياً شواطئ فارس ثم شواطئ مكران فشواطئ السند. وكانت السفن تتجه من عمان إلى شرق أفريقية. ولعلّ أقصى ما وصلته في تلك الجهات جزيرة مدغشقر ■

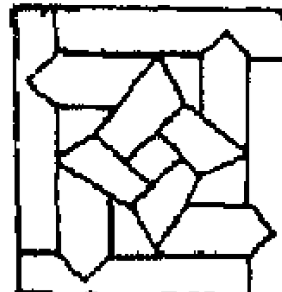
هذه خلاصة لما رسمه الجغرافيون القدامى للساحل الشرقي للجزيرة العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)

الحب.... هل هو حفرة؟

– لافونتين الشاعر الفرنسي الكبير (١٦٢١ – ١٦٩٥) ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم. قال يوماً يصف الحب: «خطأ هذا الذي يقال في وصف الحب بأنه حفرة يقع فيها المحب... ما أكثر ما قرأت هذا التعبير الغريب في وصف المحبين، عندما يشيرون إليهم بقولهم: «لقد وقعوا في الحب».. أي انهم كانوا يسيرون بثقة وطمأنينة على الطريق الذي استوى أمامهم، ثم إذا بهم فجأة يصادفون بئراً يقعون فيها دون أن يشعروا بوجودها أو بما حدث لهم؟

إن هذا اسخف وصف في الحب.. فهذه العاطفة النبيلة التي تربط بين قلبي الرجل والمرأة لا يمكن أن تكون حفرة أو بئراً. ان الحب بذرة صغيرة يلقى بها في الأرض وهي لكي تنمو وتكبر. وتثمر لا بد لها من وقت. فلم أر بذرة تتحول إلى شجرة بين يوم وليلة.

...أما الحفر والآبار التي يقع فيها المحبون. فنادراً ما نجدهم يخرجون منها. واذا خرجوا وجدناهم قد ضلّوا طريقهم في الحياة».



تاريخ لبنان من عام ١٩١٤ الى عام ١٩٢٠



محي الدين قدورة

■ كان جبل لبنان يحكم منذ عام ١٨٦١ حسب النظام الاساسي الذي وضع له آنذاك بحيث تحول الى متصرفية مستقلة بشؤونها الداخلية، وظل على هذا الحال حتى عام ١٩١٤ عندما قام جمال باشا وزير الحربية العثماني بقيادة الفيلق الرابع المتوجه الى سوريه وفلسطين ليشن هجوماً عسكرياً على قناة السويس لإخراج الانجليز من مصر فيما بعد.

وقد تذرع جمال باشا بالضرورات الحربية فأرسل في تشرين الثاني عام ١٩١٤ عدة آلاف من الجنود الاتراك الى جبل لبنان معتدياً بذلك على استقلاله الداخلي وناقضاً نصوص نظامه الاساسي الذي يتضمن بنوداً عديدة منها: ان يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي من رعايا الدولة العثمانية يعاونه مجلس ادارة من اثني عشر عضواً يمثلون طوائف الجبل. وما لبث جمال باشا ان جمع السلطة الحقيقية بيديه فأصبح المتصرف وجميع الموظفين في المتصرفية طوع بنانه. كما أنشأ الديوان العرفي في عاليه وعمل كذلك على الغاء امتيازات رجال الدين وجعلهم يخضعون لاحكام الدولة العثمانية المتعارف عليها في المناطق الاخرى.

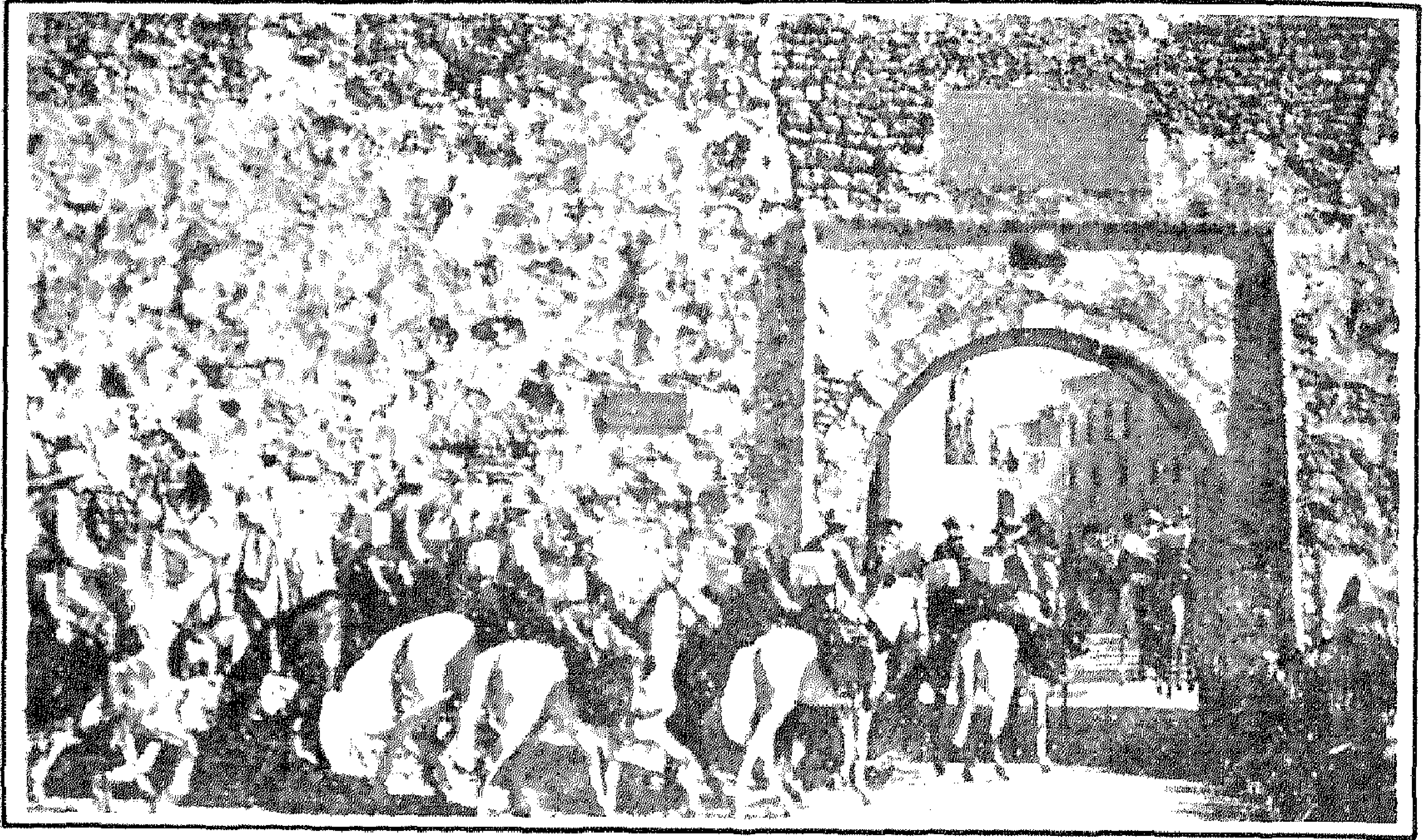
وفي عام ١٩١٥ قامت الدولة العثمانية باقالة المتصرف اوهانس باشا قبل انتهاء مدته وعينت بدلاً منه علي منيف بك فارتكبت بذلك عدة مخالفات لروح البروتوكول ونصه وذلك لأن البروتوكول نص على ان يكون المتصرف مسيحياً وان يحظى بموافقة الدول الاوروبية الخمس التي اشتركت في وضع البروتوكول وهي: فرنسا، بريطانيا، النمسا، روسيا وبروسيا.

ولم يكتف العثمانيون بذلك بل لقد قاموا بالغاء الاستقلال وجعلوا المتصرفية ولاية عثمانية. وقد أدت هذه الاجراءات الى زيادة نقمة سكان الجبل على الاتراك. ليس هذا فحسب بل ان النقمة عمت بلاد العرب عندما بدأت حكومة الاتحاد والترقي تعمل على تنفيذ سياسة تتريك العناصر غير التركية وهي سياسة جابهها العرب بمختلف الوسائل.

المقاومة الوطنية والقومية:

لقد قاوم اللبنانيون كسائر العرب سياسة العثمانيين التي كانت تسعى الى تتريكهم تمهيداً لقتل الروح القومية فيهم. مما دفع الشباب المثقف العربي واللبناني الى تشكيل جمعيات سرية في مختلف المناطق. دعت الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي. وكانت بعض هذه الجمعيات تستتر أحياناً بأهداف علمية أو دينية. لتنجو بنفسها من ملاحقة العثمانيين

(*) محي الدين قدورة. ماجستير في التاريخ. استاذ الاجتماعيات في ثانوية عمر بن الخطاب – بيروت.



شرذمة بريطانية كانت أول من دخل دمشق.

ومراقبتهم. ومن أشهر تلك الجمعيات: القحطانية والعربية الفتاة ولجنة الاصلاح، وحزب اللامركزية الادارية العثماني، وجمعية العهد. وقد كان اعضاء هذه الجمعيات من حيث اهدافهم ينقسمون الى قسمين:

- قسم يطالب بالاستقلال الذاتي ضمن الرابطة العثمانية وتمثله اكثرية اسلامية.

- وقسم آخر يريد الاستقلال الكامل والانفصال التام عن العثمانيين وتمثله اكثرية مسيحية.

اما السلطة العثمانية فكانت تكره الفريقين على السواء وتعمل على ملاحقتهم. لكن بعد وقوع الحرب الاولى أخذ الاتراك يبثون عيونهم للتحري عن نشاط الوطنيين والقاء القبض عليهم أو التضييق على تحركاتهم، وخنق الحريات بأنواعها كافة.

ازدياد تدهور العلاقات العربية العثمانية:

بعد فشل حملة السويس الاولى التي قادها جمال باشا. عزا سبب ذلك الى فرار اللبنانيين والسوريين - شباب المشرق العربي - من الجندية، والى انصراف الوطنيين عن التعاون معه. لذلك اتهم جمال باشا أحرار البلاد بالخيانة واحالهم على الديوان العرفي الذي اصدر احكام الاعدام على عدد كبير منهم.

وقد ذكرت بعض المصادر ان العديد من الذين اعدموا عرفت اسماؤهم من خلال لوائح كانت مخبأة في جدران القنصلية الفرنسية. وقد أفضى احد موظفيها بهذا السر للسلطة التركية التي داهمت المكان وحصلت على مضبطة موقعة من أربعين شخصاً يطلبون فيها حماية فرنسا ومعونتها في سبيل حصول البلاد على استقلالها. بالاضافة الى ذلك فإن رسائل عديدة وصلت من المغتربين الى ذويهم يعلنون فيها عن عدائهم لالمانية وتركية ويخبرونهم عن تطوعهم في صفوف الحلفاء وقد وقعت في أيدي السلطات التركية. فقامت بالقاء القبض على مستلميها.

الاتصالات العربية البريطانية :

خلال تلك الفترة الحرجة تم الاتصال بين افراد من الأسرة الهاشمية في الحجاز وبعض المسؤولين الإنجليز. ومن هؤلاء اللورد كتشنر معتمد بريطانية في مصر، وهنري مكماهون مندوب بريطانية السامي في مصر والسودان. وجرت اتصالات ومراسلات بين الفريقين كان أشهرها تلك المعروفة بمراسلات الحسين - مكماهون التي تبودلت في سنتي ١٩١٥ - ١٩١٦. ولقد اشتملت رسائل شريف الحجاز على مطالب العرب المتمثلة بوحدة شبه الجزيرة العربية بعد تحريرها من الاتراك وتتويج الحسين ملكاً عليها.

اما رسائل مكماهون فقد اغدقت الوعود للشريف حسين معلنة موافقتها مع بعض التحفظات التي ستبحث فيما بعد، أي بعد تحرير المنطقة.

الثورة العربية الكبرى :

بعد اخفاق الحملة العسكرية الثانية التي قام بها جمال باشا على السويس في مطلع عام ١٩١٦ ازداد حقده على الوطنيين العرب. وحملهم نتائج فشله. ثم أمر بالتشدد في ملاحقة الوطنيين المعارضين للسياسة التركية. ووقع العديد من أبرز رجالات العرب في أيدي السلطات التركية التي احالتهم على المحكمة العرفية في عاليه. وعندما علم الشريف حسين بذلك اجرى اتصالاته العديدة بالسلطان والصدر الاعظم. كما قام الأمير فيصل بالاتصال بجمال باشا طالباً منه الرأفة بالمتهمين.

لكن القائد التركي لم يأبه لهذه النداءات فنصب في ١٩١٦/٥/٦ المشانق للعديد من الوطنيين في دمشق - ساحة المرجة - وبيروت - ساحة البرج - آملاً في القضاء على روح المقاومة في نفوس المعارضين العرب.

نتيجة لهذه الاعدامات فجرت الاسرة الهاشمية الثورة في بلاد الحجاز ضد الأتراك في اوائل حزيران عام ١٩١٦ فبدأت مواقع القوات التركية تتساقط بأيدي الثوار العرب واحدة بعد أخرى.

وبعد قتال عنيف امتد في أنحاء شبه الجزيرة العربية وشاركت فيه القوات العربية بقيادة الامير فيصل القوى الحليفة، استطاعت تلك القوى دخول دمشق جنباً الى جنب، ثم تابع الحلفاء تقدمهم فدخلوا مدن سورية الطبيعية[1] الساحلية والداخلية بمساعدة القوى العربية.

بعد هزيمة تركية، وقعت معاهدة مودرس مع الحلفاء بتاريخ ١٩١٨/١٠/٣٠ وخرجت من الحرب فاقدة أملاكها ومكانتها، بحيث تحولت الى دولة ثانوية فيما بعد.

ولقد اعترف بعض رجالات الحلفاء بفضل العرب في احراز الحلفاء للنصر على الاتراك. وعبر عن ذلك لويد جورج في مذكراته اذ قال: «ان العرب قد لعبوا دوراً لا غنى عنه في الاطاحة بتركية».

الوضع الاقتصادي في جبل لبنان خلال الحرب :

بعد دخول تركية الحرب في تشرين الاول (اوكتوبر) عام ١٩١٤ فرضت اساطيل الحلفاء حصاراً بحرياً على طول سواحل الدولة العثمانية ومنها الساحل السوري اللبناني، مما أدى الى تدهور الوضع الاقتصادي. فتوقفت بذلك أعمال التصدير والاستيراد وانحطت الحركة التجارية وفرغت الأسواق المحلية من السلع الاجنبية. فارتفعت الاسعار كثيراً وصعب على الفقراء ومتوسطي الحال تأمين حاجاتهم الفردية منها، كما انقطع وصول أموال المغتربين الى ذويهم فساءت احوالهم. كما

نتج عن ذلك كله المجاعة التي انتشرت في كل الانحاء. فمات الآلاف من السكان وتفشت الامراض على انواعها وبخاصة السل والجرب والتيفوئيد واخيراً الطاعون الذي فتك بالعديد من الأهلين. وفي ربيع عام ١٩١٥ اجتاحت جحافل الجراد أرض سورية ولبنان ثم ما لبثت ان فتكت بالاخضر واليابس فزاد هذا الوضع الطين بلة. فتضاعفت أزمة التموين وانتشر الفقر والجوع والمرض والجريمة وتسببت الازمة في وفاة الآلاف المؤلفة من المواطنين.

الوضع في البلاد السورية بعد رحيل الاتراك:

بعد هزيمة الاتراك وانسحابهم دخلت القوات العربية دمشق وتألفت حكومة مؤقتة في عاصمة الامويين برئاسة الامير سعيد الجزائري. وفي الفاتح من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ ارسل الجزائري برقية الى المدن السورية اعلن فيها تأسيس «الحكومة العربية الهاشمية». وبعد ذلك مباشرة اقام الامير فيصل في بيروت حكومة عربية مؤقتة برئاسة عمر الداعوق رئيس بلديتها.

ثم قامت حكومة دمشق بارسال القائد شكري باشا الايوبي من دمشق الى لبنان ليكون حاكماً عاماً على لبنان مقره بيروت، وعين كذلك جميل الالشي رئيس اركان حرب للأيوبي الذي عين بدوره حبيب باشا السعد حاكماً على جبل لبنان، فأقسم يمين الولاء والطاعة للشريف حسين ولحكومة الامير فيصل العربية. كما رفرف العلم الحجازي فوق مقر الحكومة في بعبدا.

بعد تلك الاحداث التي جرت في البلاد السورية سارعت فرنسا الى احتلال مناطق سورية الوسطى — أي لبنان — منفذة بذلك معاهدة سايكس — بيكو.

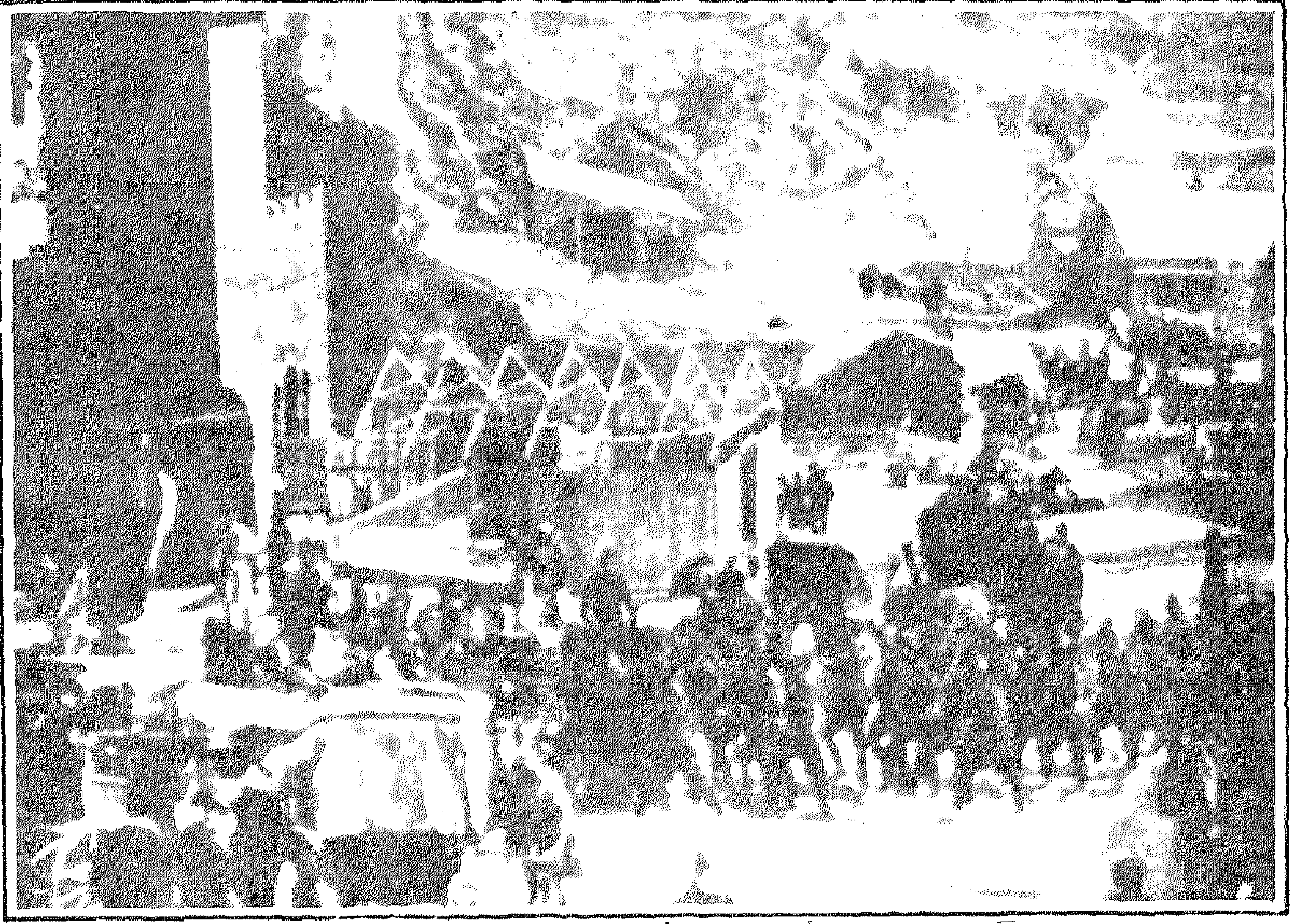
وهكذا سقط الساحل اللبناني والمناطق الداخلية بايدي الفرنسيين والانجليز وجعل لبنان تابعاً لجيش الشرق.

وما كادالفرنسيون يدخلون بيروت حتى اعترضوا على رفع العلم العربي. ويؤكد ألدينغتون أن اللني — القائد الاعلى في المنطقة — طلب من فيصل انزال العلم العربي عن سراي بيروت لأن بقاءه يعتبر استفزازاً لفرنسا. وكادت تحدث مصادمات بين العرب والحلفاء بسبب هذه الاجراءات لولا تدخل الامير فيصل وتسهيله للامور بحيث تسلم الكولونيل دي بيا باب الحكم واشرف على ادارة المنطقة المحتلة.

تقسيم الحلفاء للمنطقة:

في ١٩١٨/١٠/٢٢ اعلن الجنرال اللني ان البلاد المحتلة ستحكم بموجب اتفاقية سايكس — بيكو. وهذا الاتفاق كان قد عقد بين بريطانيا وفرنسا في أيار (مايو) سنة ١٩١٦. وقد اتفق الفريقان على اقتسام البلاد التي سيربحها الحلفاء من الدولة العثمانية. فكان نصيب فرنسا لبنان مع سورية الشمالية وبسبب ذلك نجد أنه ما ان انتهى انسحاب الاتراك من بر الشام حتى طالب الفرنسيون بتنفيذ بنود اتفاقية سايكس — بيكو وألحوا على ان يعهد اليهم في إدارة الساحل اللبناني والمناطق الاخرى التي منحوها بموجب الاتفاقية آنفة الذكر.

وقد وافق الانجليز على طلب الفرنسيين ووقعوا معهم على اتفاق يقضي بأن تجمع السلطة العليا السياسية والعسكرية في يد المارشال اللني على ان يعين هذا الاخير مندوباً سامياً فرنسياً يطلق عليه اسم مستشار سياسي خاص لادارة شؤون المنطقة الغربية، بالاتفاق مع القائد الاعلى ويحق لهذا المستشار وبمقتضى



– الاتراك ينسحبون من القدس بعد أن حكموها أربعة قرون (١٥١٧–١٩١٧).

هذا الاتفاق انشاء ادارة خاصة في الشقة الساحلية وتعيين الموظفين اللازمين بعد ان يرفع اسماءهم الى القيادة العليا، ويكونون مسؤولين أمامها.

وقد اسندت وظيفة المستشار الى المسيو «جورج بيكو» المندوب السامي الفرنسي في الشرق وقد عين هذا الأخير المسيو كولوندر معاوناً له.

بعد عقد ذلك الاتفاق بين بريطانيا وفرنسا قامت القيادة العليا للدولتين الحليفتين بتقسيم المشرق العربي الى عدة اقسام ومناطق. وظهر ان بريطانيا قد بدأت تخل بوعودها للعرب – منذ دخول قواتها لمدينة دمشق بمصاحبة القوات العربية المتحالفة معها – حين اصدر الجنرال بولز بلاغاً «يتعلق بادارة اراضي العدو المحتلة أخيراً» وقد قسم البلاد كما جاء في اتفاقية سايكس – بيكو وذلك على النحو التالي:

١–فلسطين– أي المنطقة الجنوبية من البلاد السورية – ادارتها بريطانية وعين الجنرال بولز حاكماً عليها.

٢ – السواحل من لبنان حتى الاسكندرونه – أي المنطقة الغربية – ادارتها فرنسية على رأسها بيكو.

٣ – سورية الداخلية – المنطقة الشرقية الممتدة من حلب الى دمشق – ادارتها عربية وعلى رأسها فيصل.

موقف اللبنانيين من بلاغ الجنرال بولز:

بعد تقسيم البلاد السورية الى ثلاثة مناطق من قبل القيادة العليا (الانجلو فرنسية)، دعيت تلك المناطق باسم حكومات الجيش «لأراضي العدو المحتلة»، مما دفع مجلس ادارة جبل لبنان إلى استنكار هذه التسمية

التي اطلقت على منطقة الجبل ورفع مضبطة الى المراجع العسكريـة العليا احتج فيها بشدة على ادخال جبل لبنان ضمن أراضي العدو المحتلة، وأظهر ان الجبل كان حليفاً وليس عدواً للحلفاء. فتجاوبت القيادة العليا للحلفاء مع ما جاء في المضبطة.

بعد بلاغ بولز اتخذ الحلفاء اجراءات لتثبيت سيطرتهم في البلاد السورية. فقامت احتجاجات عديدة متفاوتة الشدة. وانقسم سكان المنطقة الغربية من البلاد السورية الى قسمين تميز كل منهما بموقفه الخاص المغاير لموقف الآخر.

اما الموقف الاول: فهو موقف سكان الجبل ومعظمهم من المسيحيين الذين اصروا على الاستقلال عن أية دولة مجاورة أو بعيدة على ان تضم الى الجبل الاقضية التي سلخت عنه عند انشاءالمتصرفية عام ١٨٦١.

أما الثاني فهو لسكان المدن وبخاصة بيروت وطرابلس وصيداء وصور وبعلبك. وكانت مطالبهم تتضمن الاستقلال عن أي حكم اجنبي مع الارتبـــاط بالحكم الفيصلي القائم في مدينة دمشق. وقد عبر كل فريق من اللبنانيين عن موقفه بمختلف الوسائل. ولما كان مصير الاراضي التي تحتلها قوات الحلفاء مطروحاً على بساط البحث في مؤتمر الصلح في باريس، فقد نشط كل فريق لايصال رأيه إلى اعضاء المؤتمر. وهكذا قامت عدة وفود من لبنان تنقل رأي الفريق الأول – سكان الجبل – كما كان الامير فيصل يعبر عن رأي الفريق الثاني الذي يعتبر رأي الاكثرية الساحقة لسكان سورية الطبيعية.

وكانت الاجراءات التي اتخذها اللنبي عبارة عن خطوات أولية للشروع في تنفيذ معاهدة سايكس – بيكو مما أثار مشاعر الشعب في البلاد السورية فسارعت وزارة الخارجية البريطانية لأعادة الثقة الى العرب المتشككين في سياسة الحلفاء في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨، باصدار بلاغ رسمي جاء فيه: «ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وبريطانيا العظمى في الشرق تلك الحرب التي أثارتها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالاً طويلة تحت مظالم الترك تحريراً تاماً نهائياً، واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الوطنيين لها اختياراً حراً».

لجنة كنغ كراين، احدى نتائج مؤتمر باريس:

بعد هذه التطورات دعي الامير فيصل الى باريس لتمثيل والده الحسين في مؤتمر الصلح الذي عقد هناك في ١٩١٩/٢/١٨.

وبعد أن قام الامير فيصل بعرض قضية العرب على مؤتمر الصلح في باريس، اتخذ هـــذا المؤتمر بتـــأثير الرئيس الاميركي ولسن – الذي أبى فكرة الدول المتحالفة الرامية الى اقتسام المسالب – قراراً بارسال لجنة تحقيق دولية مهمتها زيارة الشرق الاوسط والتعرف على حالة الرأي العام وعلى الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمنطقة وتكوين رأي حول تقسيم المنطقة وتوزيع الانتدابات فيها. أما بالنسبة لجبل لبنان فإن مجلس ادارته شكل وفداً برئاسة داوود عمون حمل معه المطالب العديدة التي اتفق عليها سابقاً كي تعرض على المؤتمرين في فرساي. ومن هذه المطالب:

١ – الموافقة على استقلال لبنان التام واسترجاع حدوده التاريخية.

٢ – طلب مساعـدة فرنسا وضمانتها لتحقيق ذلك.

وبسبب فشل الوفد الأول في تحقيق الاهداف المرجوة من وراء زيـارته تشكل وفد

ثانٍ برئاسة البطريرك الماروني الياس الحويك الذي وصل باريس في آب (اغسطس) عام ١٩١٨، حيث باشر اتصالاته مع المسؤولين الفرنسيين وعلى رأسهم كليمنصو. وفي ١٩١٩/١٠/٢٥ تقدم البطريرك الى مؤتمر الصلح بالمطالب السابقة نفسها مضيفاً إليها جعل فرنسا منتدبة على البلاد. ومن ثم عاد الوفد الى بيروت بعد أن حمل رئيسه جواباً مكتوباً من المسيو كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسي[٢]

خلال تلك الفترة وصلت لجنة كنغ - كراين الاميركية إلى البلاد السورية فقضت اثنين واربعين يوماً في زيارة اربعين مدينة واستمعت الى وفود الف وخمسمائة وعشرين قرية وتلقت حوالي ألف وثمانمائة عريضة.

وقد وضعت اللجنة توصياتها في ١٩١٩/٨/٢٨ في تقرير طويل[٣] رفع الى المندوبين الاميركيين في باريس في ثلاثة اجزاء الاول تضمن شرحاً لعمل اللجنة وتقريراً عن الاوضاع السائدة. والثاني تضمن توصيات عامة حول تسوية المسألة التركية. اما الثالث فقد تضمن تقريراً سرياً بالنسبة لمؤتمر السلم. ولم يستخدمه المندوبون الاميركيون في باريس بل وضع في ملفات وزارة الخارجية الاميركية في واشنطن حتى عام ١٩٢٢ حين نشر بعد ان فقد أي تأثير له في تسوية القضايا التي عالجها.

اتفاق لويد جورج - كليمنصو في ١٩١٩/٩/١٥

وبسبب اشتداد المخاوف الفرنسية من قيام المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح بتنفيذ ما جاء في تقرير لجنة كنغ - كراين، سافر المسيو كليمنصو الى لندن ليجتمع الى زميله البريطاني لويد جورج. فاتفقا على تغيير اتفاق سايكس - بيكو، بحيث اصبحت فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا، وسورية وحصة من بترول الموصل لفرنسا. أما فيما يتعلق بتحديد بعض الحدود، فقد رفض كليمنصو المطالب المتعلقة بتوسيع حدود فلسطين الشمالية لأن ذلك يعطي مصالح لليهود والانجليز، وأصر كذلك على تنفيذ الاتفاق فوراً.

بعد التوصل إلى هذا الاتفاق بُدئ تنفيذه، فانسحبت القوات باتجاه المناطق التي اتفق عليها بحيث حقق الفرنسيون والانجليز أهدافهم في السيطرة والتوسع. وضمن الاتفاق المزايا والامور التالية:

١ - عدم مطالبة الفرنسيين للانجليز بأدخال ولاية الموصل ضمن الحدود السورية

٢ - عدم التنازع بين الدولتين في تقرير مصير فلسطين أي ان تكون تابعة لبريطانيا

٣ - عدم التنازع كذلك في وضع العراق تحت الهيمنة البريطانية

٤ - الاتفاق بين الدولتين على ابقاء مقاطعة شرق الاردن تحت الاحتلال الانجليزي.

مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠/٤/٢٥:

وعندما اجتمع المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) عام ١٩٢٠ قرر وضع المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والحدود الفارسية تحت حكم الانتداب، وان تقسم سورية إلى أجزاء ثلاثة منفصلة هي: فلسطين ولبنان وما تبقى من سورية، وأن توضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي. أما العراق وفلسطين فقد وضعا تحت الانتداب الانجليزي.

وهكذا جاءت مقررات سان ريمو حسب

رغبة الدول التي فتحت هذه البلاد. أما عصبة الامم فلم تكن سوى الموزع لتلك الانتدابات على الحليفتين بريطانيا وفرنسا.

وقد أقر لويد جورج نفسه بأن نظام الانتداب كان بديلاً للاستعمار القديم. وبعد

صدور هذه المقررات حدث انفجار عنيف في المشرق العربي فقامت التظاهرات الشعبية الصاخبة المطالبة برفضها والوقوف في وجه مريديها.

خلال هذه الاجواء شكل مجلس الادارة لجبل لبنان وفداً ثالثاً برئاسة المطران عبد الله الخوري ليذهب إلى باريس لمعرفة مصير المطالب التي رفعها الوفدان الاول والثاني، لكن السلطة المنتدبة الفرنسية اعتقلت اعضاء الوفد ما عدا رئيسه الذي استطاع الوصول الى باريس حيث اتصل بوزير خارجية فرنسا، وحمل منه رسالة جوابية مطمئنة تضمنت عزم فرنسا على جعل لبنان بلداً مستقلاً في ظل الانتداب الفرنسي وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد على ايدي الجنرال غورو المفوض السامي الفرنسي. ■

الهوامش

(١) سورية الطبيعية أي سورية الحالية زائد لبنان وفلسطين والاردن.

(٢) راجع الملحق رقم (١٠) في كتاب «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان»، لزين نور الدين، دار النهار للنشر، بيروت -١٩٧٧.

(٣) راجع الملحق رقم (٧) في المرجع نفسه.

المراجع

١ - زين نور الدين زين، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان.

٢ - أميل خوري وعادل اسماعيل: السياسة الدولية في الشرق الأوسط.

٣ - جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس.

٤ - د. زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث.

٥ - ريتشارد الدنغتون، لورانس في البلاد العربية، ترجمة محمود عزت موسى.

٦ - أمين الريحاني، فيصل الأول.

٧ - فيليب نايتلي وكولن سمبسون: المخفي من حياة لورانس، ترجمة لاوند والعابد.

٨ - أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى جـ٢.

٩ - يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام جـ٢.

١٠ - محمد جميل بيهم: سورية ولبنان.

١١ - وجيه علم الدين: العهود المتعلقة بالوطن العربي.

١٢ - خيرية قاسم: الحكومة العربية في دمشق.

١٣ - جورج كيرك: مختص تاريخ الشرق الأوسط (مترجم).

١٤ - لويد جورج: المذكرات.

١٥ - مصطفى الشهابي: القومية العربية.

جنوب لبنان

تحت الاحتلال الصليبي

● إن الدراسات العربية حول تاريخ الفرنج في بلاد الشام، وفي لبنان بصورة خاصة هي قليلة، اذا لم نقل أنها معدومة، بالرغم من أن فترة وجود الفرنج (التسمية هي للمؤرخين المسلمين القدامى) في بلادنا التي دامت منذ نهاية القرن الحادي عشر للميلاد حتى أواخر القرن الثالث عشر، قد حفلت بالأحداث التي تركت آثارها المهمة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مجمل بلاد الشام، وفي لبنان على وجه الخصوص.

إن من بين الوقائع المهمة التي لا يزال يجهلها الكثير من المؤرخين العرب هو ما ارتبط منها بالنشاط الاستيطاني والاقتصادي للفرنج في منطقة جبل عامل، وفي إمارة صور بالذات، ومنها تلك المعاهدة التي عقدت في عام ١١٢٤ بين الفرنج وجمهورية البندقية وفيها نالت المدينة الإيطالية الساعية لإقامة مستعمرات تجارية لها في بلاد الشام، امتيازات اقتصادية ومالية واستيطانية في مدينة صور وجوارها من القرى، أي في مجمل إمارة صور.

في القرنين الثاني والثالث عشر

محمد حسن حجازي

● محمد حسن حجازي: ماجستير تاريخ.

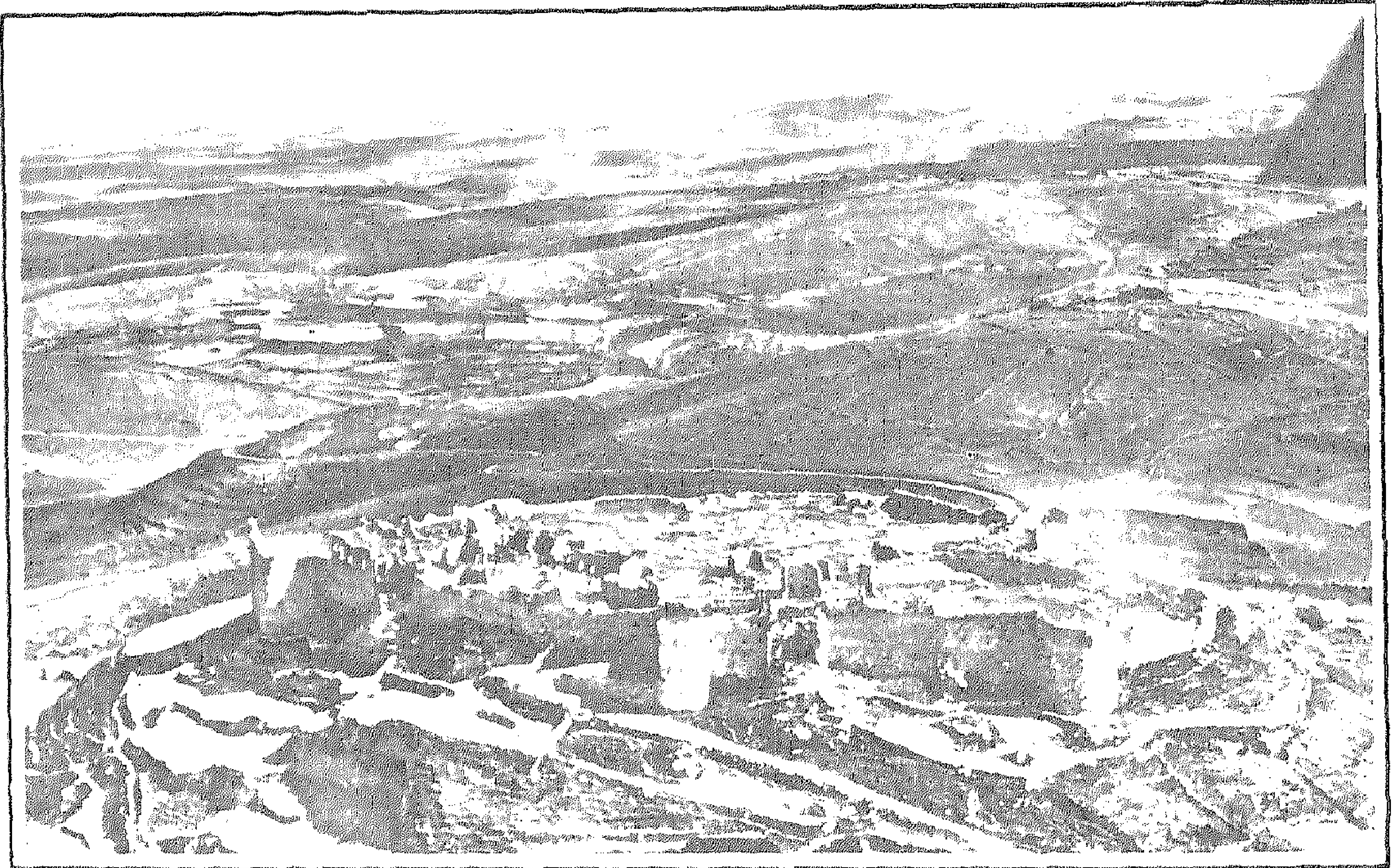
● ولتوضيح الصورة نذكر انه بعد أن احتل الفرنج المنطقة الساحلية من بلاد الشام والمنطقة الداخلية المقابلة لها. قاموا بتأسيس عدة إمارات وبارونيات يهمنا منها في هذا المقال في القسم الجنوبي من لبنان (جبل عامل) ثلاث هي: إمارة طورون (تبنين)، وبارونية ساجيت (صيدا) وإمارة صور.

وجعل الفرنج لكل من إمارتي صيدا وتبنين سلالة حاكمة مستقلة ذاتياً[1] وكانت هذه الامارات جزءاً من مملكة بيت المقدس (المملكة اللاتينية) وترتبط بعرشها عن طريق الالتزامات التي يفرضها عليها النظام الفيودالي (الاقطاعي) الذي كان معمولاً به في بلاد الغرب ونقله معهم الفرنج إلى بلاد الشام. وقد ظلت إمارتا صيدا وتبنين تحكمها سلالتان حاكمتان حتى النصف الأخير من القرن الثالث عشر.

إلاّ أن إمارة صور، لم يكن الحال فيها كحال الامارتين السابقتين. فبعد أن غصبها الفرنج من المسلمين واحتلوها عام ١١٢٤، الحقت مباشرة بالأراضي الملكية أي التابعة لملك بيت المقدس نظراً لغناها ولأهمية مرفأها بالنسبة للمملكة. وقد ظلت إمارة صور خاضعة مباشرة للملك حتى بُعيد معركة حطين (١١٨٧ م) حين استولى عليها المركيز كونراد دو مونفرّا وقام يدافع عنها أمام هجمات المسلمين بقيادة صلاح الدين الايوبي، وبعد أن نجح في صد الهجوم الاسلامي عنها قام بتأسيس سلالة حاكمة فيها. وقد خلفت أسرته في حكم الامارة أسرة ثانية هي دو مونفور. وقد اشتهر منها الأمير فيليب دو مونفور وابنه الأمير جان[2].

إمتيازات للبنادقة لقاء مساعدتهم في إحتلال صور ١١٢٤:

كان الفرنج منذ السنوات الأولى لبدء حملاتهم عام ١٠٩٦ قد إستطاعوا تثبيت أقدامهم في منطقة الساحل الشامي إبتداء من الإسكندرونة شمالاً حتى يافا وغزة جنوباً. ولا شك أن الخلافات السلجوقية - الفاطمية قد لعبت دوراً مهماً في تسهيل الغزو الفرنجي



- قلعة طورون (تبنين)، بناها هيوغ فالكنبرغ عام ١١٠٥ بهدف السيطرة على المناطق المشرفة على مدينة صور.

لبلاد الشام. فحتى عام ١١٢٤ لم يكن خارج سيطرة الفرنج المباشرة على الساحل إلاّ مرفآن ضخمان هما: صور وعسقلان.

أما صور المدينة المنيعة والمحصنة، فقد حاول الفرنج مرات عديدة إحتلالها ولكنهم كانوا في كل مرة يتراجعون عنها خائبين بسبب دعم الأسطول الفاطمي البحري لها. وكان على الفرنج أن ينتظروا مساعدة من الأساطيل البحرية الإيطالية القادمة إلى بلاد الشام ليتمكنوا منها.

وفي عام ١١٢٤ سنحت الفرصة الذهبية للفرنج بمجيءُ أحد الأساطيل الضخمة التابعة للبندقية بقيادة الأميرال دومينيكو ميشيل إلى قرب السواحل الشامية، فطلب منه الملك بودوان الثاني، ملك بيت المقدس (١١١٨ - ١١٣١م) المساعدة في إحتلال صور، فوافق البنادقة بعد أن إشترطوا على الفرنج شروطاً تجلت في المعاهدة الشهيرة عام ١١٢٤ والتي نال فيها البنادقة إمتيازات ضخمة في إمارة صور.

إشترط البنادقة على الفرنج أن يأخذوا ثلث مدينة صور عند سقوطها وثلث القرى والمزارع المحيطة بالمدينة. وقضت الإتفاقية بأن هذا الثلث «يملكه البنادقة ولهم فيه الحرية الكاملة والسيادة (ما عدا سيادة الملك)، وتكون ملكيتهم إلى الأبد ودون قيد ولهم فيها حق الإرث».

ونال البنادقة بموجب المعاهدة إمتيازاً يقضي بإعطائهم ٣٠٠ دينار صوري سنوياً يمنح لهم من صندوق المالية الملكي في صور.

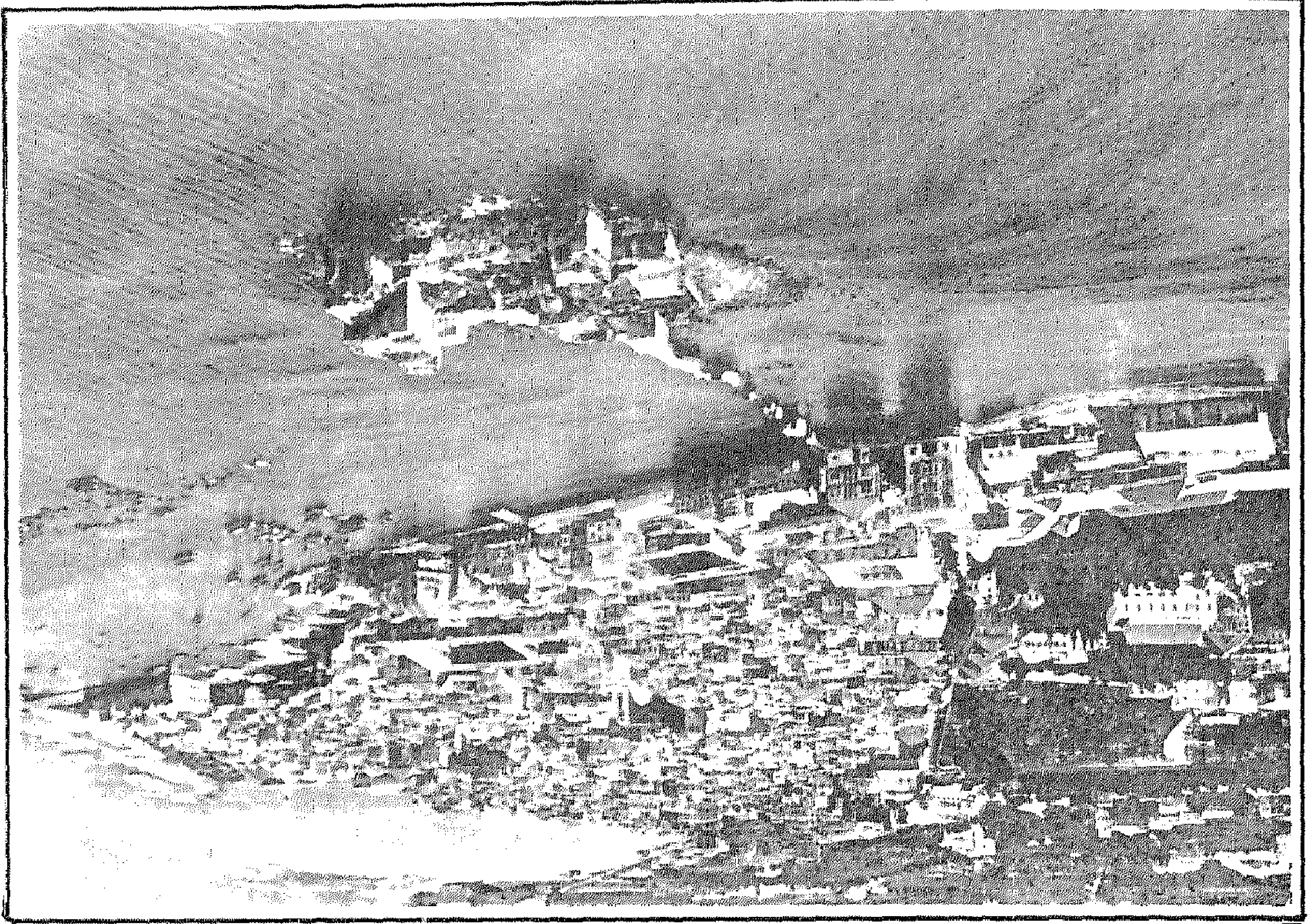
وبموجب المعاهدة أيضاً، حصل البنادقة على إمتيازات أخرى في إمارة صور. فكانت لهم حرية جمركية مطلقة. وأعفي التجار البنادقة من أي رسم دخول أو خروج من المملكة. «والمواطنون البنادقة يجب أن يتمتعوا في المملكة بالحرية التجارية كما لو كانوا في البندقية نفسها». وكانت الحالة الوحيدة التي يدفع فيها البنادقة رسوماً للملك هي عند نقلهم الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة بواسطة سفنهم فيقدمون للخزينة الرسم العادي حسب العرف المتبع للحجيج وهي ثلث قيمة النقل. ومن ناحية ثانية ألزم البنادقة الفرنج بعدم رفع الرسوم الجمركية المعمول بها على الشعوب والأمم التي تتعامل تجارياً مع البندقية.

دويلة البنادقة في إمارة صور:

بعد هذه المعاهدة، صار للبنادقة «دويلتهم» في صور، فهم يملكون ثلث المدينة، وثلث القرى والمزارع المجاورة لها، وبهذه الطريقة تملّك البنادقة أجزاء كاملة أو بعض أجزاء من واحد وخمسين قرية من قرى صور[٣].

أما القسم التابع من المدينة «فموقعه بين المرفأ وحائط السور». وكان للبنادقة في دويلتهم مطلق الحرية في التصرف، وكان على رأسها حاكم بندقي لقبه القنصل وأحياناً الوكيل. وكانت له صلاحيات قضائية إذ يفصل في الخصومات القائمة بين البنادقة أو بين البنادقة والفرنج المقيمين في الثلثين الباقيين من المدينة. ومن مهماته أيضاً أنه كان يجبي الأموال العامة التي كانت تصرف على صيانة الأبنية التي تملكها البندقية، وكان له راتب شهري إضافة إلى تقديمات أخرى كثيرة.

أما تعيين حاكم «الدويلة» أو المستعمرة البندقية فيتم من قبل «المجلس الكبير» المؤلف من كبار أغنياء البنادقة الموجودين في بلاد الشام. وقد ذكرت الوثائق أن وكيل البنادقة في صور عام ١٢٤٤ كان اسمه مارسيل جورج، وقد وضع في نهاية ولايته تقريراً عن



– قلعة صيدا الصليبية ، وهي من المراكز الهامة في الدفاع عن بارونية ساجيت (صيدا)

الحالة التي ترك فيها المستعمرات التي عهد بها إليه ، وكان يقيم أحياناً في صور وأحياناً في عكا.

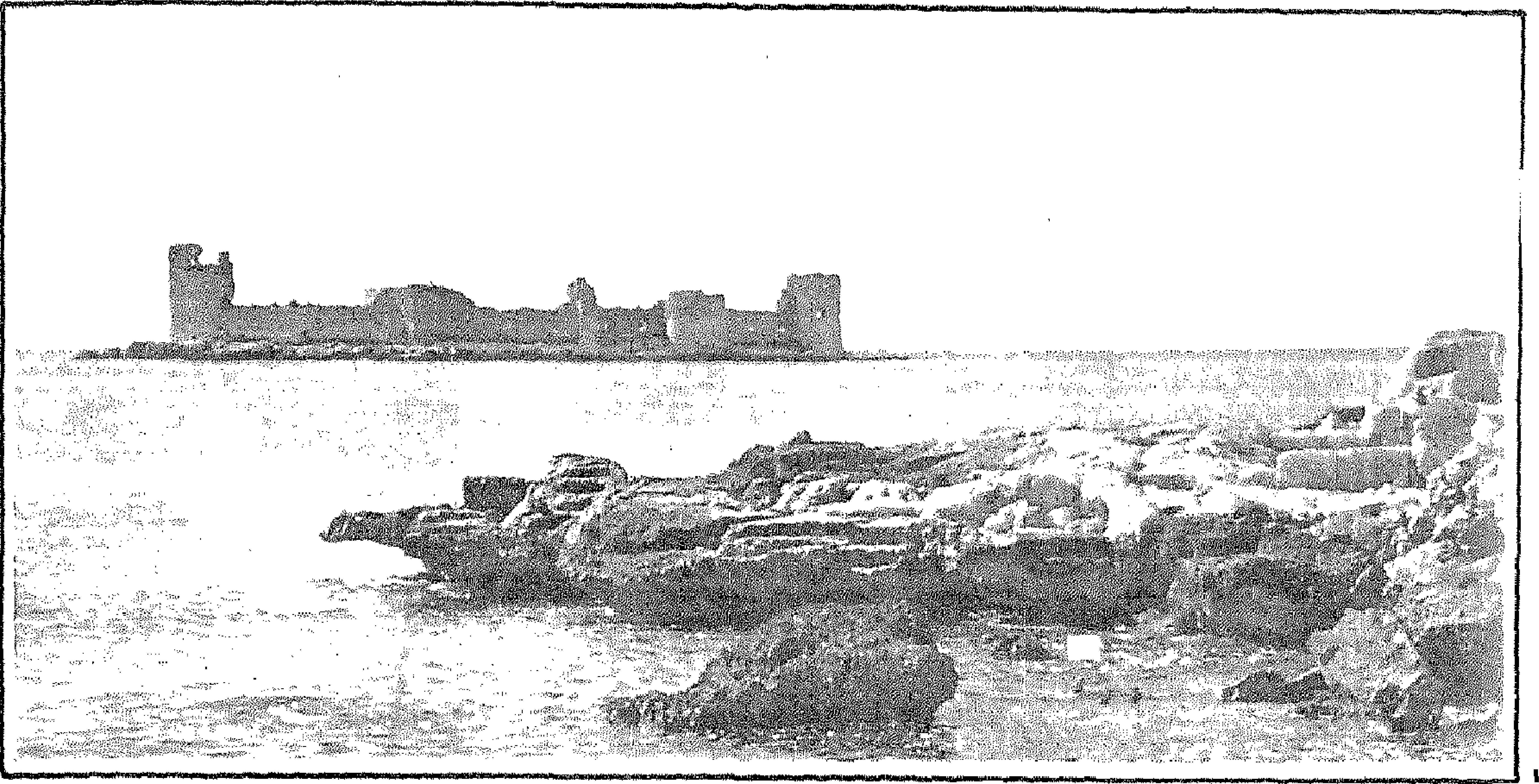
وهناك وثيقة تعود للعام ١٢٤٤ ، فيها تعداد لعددٍ كبير من القرى والأراضي الواقعة في جوار صور أو في داخل المدينة نفسها والتي تعود للبنادقة منها مثلاً ، برج كبير ، وثلاث كنائس ، واحدة للقديس مرقص وثانية للقديس يعقوب وثالثة للقديس نقولا . إضافة إلى مستودعات وحمامات وبيوت ومتاجر. وقد ذكرت هذه في الوثيقة على أساس انها تعود لكومبونة البندقية في صور.

وأقام البنادقة في مستعمرتهم تلك محاكمهم المدنية وشرطتهم الخاصة. وقد أنشأ البنادقة في صورأوّل مصنع لضرب النقود الفرنجية والتي كانت تحمل رموزاً مسيحية وأحرفاً عربية. وهي النقود الذهبية التي عرفت باسم الدينار الصوري وهوتقليد للدينار الفاطمي.

نهاية الإمتيازات البندقية في صور :

ظل البنادقة يتمتعون بامتيازاتهم التجارية والإستيطانية في إمارة صور مدة طويلة من الزمن كان فيها وجودهم عاملاً من عوامل النشاط الإقتصادي وعنصراً مهماً من عناصر الإزدهار في إمارة صور. باعتبار أن البنادقة هم تجار وبحارة بالدرجة الأولى.

ولكن في عام ١٢٥٦ وضع أمير صور فيليب دومونفور حداً للإمتيازات البندقية في صور. فقد إندلعت حرب أهلية طاحنة بين المستعمرات الإيطالية في بلاد الشام عرفت باسم حرب القديس سابا. وقد بدأت في عكا بين مستعمرة جنوى ومستعمرة البندقية



فيها وما لبث أوارها أن امتد إلى كل الممتلكات الفرنجية في بلاد الشام وخاصة إمارة صور حيث للبنادقة وجود قوي ومهيمن. فأضحت المياه الصورية مسرحاً لمعارك بحرية كانت طاحنة بين أساطيل المستعمرات الإيطالية وفور إندلاع الحرب قام أمير صور فيليب دومونفور بمصادرة أملاك البندقية في إمارته والغاء الإمتيازات البندقية فيها ذلك أنه وقف في الحرب إلى جانب جنوى ضد البندقية. وظل البنادقة يناضلون ضد أمير صور من أجل إستعادة ممتلكاتهم وامتيازاتهم حتى هدأت حرب القديس سابا بين المستعمرات وعادت العلاقات تتحسن من جديد بين البنادقة وأمير صور عام ١٢٧٧ عندها أصدر قراراً بإعادة العمل بمعاهدة عام ١١٢٤ مع البنادقة فعاد هؤلاء يمارسون نشاطهم من جديد.

بعد هذا التاريخ، لم تدم دويلة البنادقة كثيراً في صور، شأنها في ذلك شأن الوجود الصليبي بكامله في بلاد الشام، إذ لم تمض سنوات عديدة حتى قام الأشرف خليل، السلطان المملوكي باحتلال إمارة صور وكل الامارات الصليبية المتبقية في حوزتهم عام ١٢٩١، وطرد الفرنج والمستعمرات التجارية نهائياً من بلاد الشام.

إمتيـــــازات البيزانيين في صور (Les pisans).

لم يتوافر لدينا الكثير من المعلومات حول وضع أهل بيزا في بلاد الشام وجبل عامل. وقد يكون لهم إمتيازات كثيرة كتلك التي حصل عليها البنادقة في مدن الفرنج العديدة ولا سيّما أن البيزانيين كانوا يملكون قوة بحرية مماثلة لقوة البنادقة؛ إلاّ أن ما توافر من معلومات يذكر أن إزدهار إمارة صور الإقتصادي في فترة حكم الفرنج قد جذب البيزانيين إليها، فسعوا إلى إقامة مستعمرات تجارية لهم في المدينة كما سعوا إلى الإستيطان فيها. وقد سهل لهم الملك بودوان الثاني هذا الأمر، فمنحهم في صور خمسة بيوت. ثم ما بين عامي ١١٥٦ - ١١٨٧م. أخذت حصتهم

في المدينة تكبر إما بواسطة الشراء أو بواسطة أعطيات أخرى، فضمت ممتلكاتهم المزيد من البيوت والأراضي الصالحة للسكن، وسوقاً، وكنيسة في قلب المدينة، إضافة إلى بساتين وطواحين في ضواحيها.

وقد حصل البيزانيون على إمتياز وضع مراقبين لهم في مرافئ وأسواق صور وعكا ويافا، مهمتهم السهر على ألاّ يتعرّض أي من مواطنيهم لإستغلال أو لسوء.

(المرجع Civilisations: Peuples et mondes

هوامش:

١ - للمزيد من المعلومات راجع: جبل عامل في العهد الصليبي، اعداد محمد حسن حجازي، رسالة اعدت لنيل شهادة الكفاءة في التاريخ، كلية التربية، حزيران (يونيو) ١٩٧٨، بيروت.

٢ - راجع الرسالة المذكورة سابقاً: الفصل الثامن من القسم الأول: امارات جبل عامل الثلاث.

٣ - الرسالة المذكورة سابقاً، فصل القرى التابعة للبندقية في امارة صور.



من الذي سيسعى إلى السم؟

- وقف لويس جورج رئيس الوزراء البريطاني في الحرب العالمية الأولى يخطب في جمع حاشد، وإذا بسيدة قبيحة تقف وتقاطعه قائلة: «لو كنت زوجي لدسست لك السم. فرد عليها قائلاً: سيدتي لو كنت أنا زوجك لشربت ذلك بسرعة».

أقرب الطرق إلى... المال

- لما نصب معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيداً لولاية العهد أقعده في قبة حمراء. فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجل ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال:

- «يا أمير المؤمنين، إنك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها». وكان الاحنف بن قيس المكنى بأبي بحر جالساً، فقال معاوية للرجل:

- جزاك الله عن الطاعة خيراً، فأمر له بألف درهم. ولما خرج الأحنف لقيه الرجل فقال: يا أبا بحر. اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه. ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والاقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلاّ بما سمحت.

تقاليد شعبية: كذبة اول نيسان .. الاصول والوقائع

فكتور سحاب



● المصادر التي تتعاطى تاريخ الفولكلور والمعتقدات الشعبية، تختلف في تحديد الاصل الاول للعادة الشعبية المنتشرة على نطاق واسع في العالم «كذبة اول نيسان» (ابريل)

على ان التفسير الأقرب الى القبول لدى جمهرة المؤرخين إجمالاً، هو ان «كذبة اول نيسان» هي تقليد هندي الأصل. فالهنود يحتفلون بعيد «الهولي» الذي ينتهي في الواحد والثلاثين من آذار (مارس) فيقومون في هذا اليوم بتبادل الخدع ذاتها المعهودة في أول نيسان ويرسل بعضهم البعض في مهمات الى اشخاص وهميين، أو اشخاص غائبين عن بيوتهم، فيضحك الجميع عند اكتشاف الخدعة.

ويقول ر. تشامبرز في كتابه «كتاب الأيام» (١) إنه يكون هذا التقليد منتشراً هذا الانتشار الواسع في العالم، ومع هذا التقارب في تاريخ يومي الاحتفال (الواحد يلي الآخر مباشرة) يتأكد ان هذه العادة قديمة جداً عند الجنس البشري.

غير ان ليوبولد واغنر يعارض في كتابه «عادات وتقاليد وشعائر»[٢] هذه النظرية. نافياً ان يكون أصل عادة الكذب الأبيض في أول نيسان هندياً. وهو يقول ان البحث عن أصل العادة أشغل رؤوس العديد من المؤرخين عبثاً. ويضيف ان العقبة الكبرى التي شوشت على الباحثين دراساتهم في هذا الصدد هي عيد «الهولي» الهندي فقد فاتهم أن الرومان احتفلوا في الفترة ذاتها من السنة بعيد زحل، فيما احتفلت شعوب أوروبا طوال القرون الوسطى بعيد المجانين، وكانت شعوب العصور القديمة تحتفل في هذه الفترة من السنة أيضاً بعيد اعتدال الليل والنهار، الذي كان الفرح خلاله يعم بسبب انتصار الشمس، بعد شتاء كان فيه الرجحان لليل.

ويؤكد واغنر ان تقليد أول نيسان لم ينقل عن عيد «الهولي» الهندي، وان الأصل الحقيقي للتقليد يعود الى سنة ١٥٦٤ الميلادية، حين اعتمدت فرنسا أول كانون الثاني (يناير) رأساً للسنة الميلادية، بدلا من ٢٥ آذار (مارس). فالفرنسيون لم يتخلوا عن أي من العادات الرومانية القديمة التي كانت تقضي بتبادل الهدايا والزيارات في السنة الجديدة.

ولكن ما علاقة هذا بالاول من نيسان؟ يقول واغنر إنه في ذلك العصر الذي كانت فيه سطوة الكنيسة قوية في أوروبا لم يكن من

(٠) مجاز في التاريخ. صحافي.

المعقول ان تجري احتفالات ضاحكة في الخامس والعشرين من آذار (مارس) الذي كان كثيراً ما يصادف أسبوع الآلام، أو حتى في بعض الأحيان الجمعة العظيمة، وهي جميعاً أيام حزن في الطقوس المسيحية. لذلك ارتئي ان يؤجل تبادل الزيارات والهدايا أسبوعا، أي الى الاول من نيسان.

فلما اعتمدت الروزنامة المعدلة أصبحت العادة ان يتبادل الناس الزيارات والهدايا في رأس السنة الجديدة اي الاول من كانون الثاني (يناير). لكن البعض رأى أن يخدع اولئك الناس الذين كانوا ينسون تغيير الروزنامة. فجعل يهديهم الهدايا الزائفة.

واذا كان المؤرخون يختلفون في أيها أصل التقليد، فانهم لايختلفون في حصر اكثر الاصول جدية بين الهند وفرنسا، واستبعاد الاصول الممكنة الاخرى. فتشامبرز يقول[٣] ان كتابات القرن الماضي في انجلترا تتضمن اشارات عديدة الى هذا التقليد، في حين ان مثل هذه الاشارات لا وجود لها قبل ذلك، وقد بدا قدامى المؤرخين الانجليز عاجزين عن تحديد أصل العادة وتاريخ بدء اعتمادها في بلادهم.

أما الكنيسة الكاثوليكية فكانت تحتفل في الثاني عشر من نيسان بيوم الحمار، كما كانت العادة تقضي بالقيام بمداعبات مازحة عديدة في فترة الميلاد. لكن كذبة نيسان لا تنطبق على هذين التاريخين. وثمة من يعتقد أن بدء السنة كان يجري الاحتفال به طوال اسبوع يختتم في أول نيسان ومن هنا أصل التقليد. وفي هذا التقاء مع انصار «النظرية الفرنسية».

ويصل بعض المصادر الى رد هذا التقليد الى التوارة. في قاموس الفولكلور والميثولوجيا والخرافات[٤] ان منهم من يعتبر المهمة الفاشلة التي قامت بها الحمامة التي أرسلها نوح من فلكه لاستكشاف اليابسة، هي أصل التقليد، ومنهم من يرده الى عيد روماني، او الى اضطراب الطقس في هذه الحقبة من السنة واحتمال المفاجآت في هذا الشأن، لكن هذه جميعها نظريات لا تحظى بتأييد واسع. في حين ان ستيفنسون يرجح[٥] ان تكون «النظرية الفرنسية» هي الصحيحة.

ليست كذبة وحسب

ما الذي يحدث بالضبط في هذا اليوم؟ الواقع ان الكذبات المقبولة يجب ان تتخذ طابعاً معيناً. وثمة من يضع تحديداً للعبة. فتشامبرز[٦] مثلاً يقول: في هذا اليوم يصبح شاغل عدد كبير من الناس، بخاصة صغار السن، ممارسة عمليات خداع بريئة في حق جيرانهم غير المرتابين، فتسمى الضحية في فرنسا سمكة نيسان أو تسمى في انجلترا أبله نيسان ويحدد تشامبرز ملامح اللعبة اكثر في مكان آخر[٧] إذ يقول ان الهدف الأهم هو مغافلة شخص أو ايهامه بشيء بسيط قابل للحصول لكنه غير صحيح، بحيث يفرض عليه ان يقف مواقف لا معقولة وسط جمع ضاحك من الناس. ويضيف قوله إنه حتى تنجح اللعبة، يجب التحلي بدرجة عالية من برودة الاعصاب والتظاهر بالجدية، كما لا بد من بعض البراعة في معرفة الوجهة التي يكون الضحية ميالاً الى التحرك فيها أكثر من غيرها، وفقاً لميوله ومعتقداته. ويلاحظ ان معظم هذه الالعاب يجري في الصباح. اذ يكون عدد كبير من الناس لم يتنبه الى اليوم بعد، أو لم تنبههم اليه كذبة ما.

ويحذر تشامبرز من ان اختيار هذا اليوم



– «أنظر ما علق بسترتك»... ويلتفت الرجل فيضحك الأولاد

لعقد زواج أو اطلاق مشروع ما ، انما يدفع الناس الى عدم التصديق. وقد لا يحضر من يفترض حضوره في مثل هذه المناسبات.

لكن الزواج او المشاريع التجارية او غيرها ، هي من جوانب الحياة التي قد يمكن التحكم بتاريخ حدوثها فتؤجل ، أما الوضع فليس في الامكان تغيير تاريخه ، وليس لتحذير تشامبرز فيه أثر. أنا أعرف مثلاً رجلاً من أقاربي ، رزق ثلاث بنات في السنوات الاولى من زواجه. وحملت زوجته للمرة الرابعة ، ووضعت في أول نيسان صبياً. غير ان أحدا لم يصدقه حين بشرنا بالخبر ، بخاصة لاشتهاره بالمزاح ، أكان ذلك في أول نيسان أم في الأيام الثلاثمائة والاربعة والستين الباقية من السنة. وقد احتاج الى كفاءة عالية في الاقناع ومجهود كبير قبل ان ينتهي الجمع الى تصديقه.

وتتراوح كذبات أول نيسان المعهودة في قرى العالم ، بين وضع الملح في وعاء السكر والتفرج على النتيجة ، وبين دس فئران من المطاط في ثياب الضحية. ومنهم من يلجأ الى عملية استغفال حقيقية ، كذلك الأخ الذي يرسل أخاه الأصغر الى ساحة المدينة ليشاهد التمثال الذي سينزل عن قاعدته في ساعة معينة ، أو أولئك الفتيات اللواتي يكلفن شاباً بالذهاب الى مكتبة بعيدة لشراء كتاب يروي «قصة حياة جدة سيدتنا حواء» ، أو الى صيدلية القرية المجاورة ليشتري درهماً من «حليب اليمام» أو «طوقاً من الزيت». ومنهم من ينبه المارة الى ما هو معلق على ظهر سترتهم ، فيستدير الضحية وقد يخلع السترة ، وسط الضحكات. أو قد يتلقى شاب ما وريقة من الفتاة التي يحبها (من جانب واحد) تدعوه الى موافاتها في بيتها في وقت معين ، فيكتشف أن الوريقة مزورة ، ويكون نصيبه تأنيباً وتعنيفاً ، في الوقت الذي كان يمني النفس فيه بلقاء طال انتظاره.

كذبات دخلت التاريخ

الا ان كذبات أول نيسان ليست كلها من هذا المعيار. فبعضها دخل التاريخ ، ففي فرنسا ، البلد الذي قد يكون نشأ فيه هذا التقليد يروى ان فرانسوا دوق لورين وزوجته استطاعا الفرار من السجن في نانت بفضل هذا التقليد. في يوم أول نيسان ، تنكرا بثوب فلاحين وحمل هو حوضاً على كتفه ، فيما حملت هي سلة نفايات. وخرجا تسلّلاً في الصباح ، عبر بوابات المدينة. وصدف ان امرأة تعرفت عليهما ، فركضت الى الحرس لاخطارهم. غير ان هؤلاء استقبلوها بالضحك ، وأكدوا لها ان تلك ليست سوى كذبة نيسان. فلما وصلت القصة الى حاكم المدينة ، تحقق من الأمر ، لكنه أيقن اخيراً ان الاوان قد فات وان كذبة نيسان انقذت الدوق وزوجته.

وفي فرنسا ايضاً دخلت كذبة أول نيسان

الحاكم. فقد روي ان امرأة سرقت ساعة ثمينة من بيت صديق في أول نيسان. ولما سيقت الى المحكمة انكرت فعلتها. وأمر القاضي بارسال مجموعة من الجنود لتفتيش منزلها: ثمّا احضروا الساعة معهم، ضحكت المرأة وابلغت القاضي أنها كذبة نيسان، وانها نجحت في استغفال الجنود ليذهبوا الى بيتها.

ومن أشهر كذبات أول نيسان، انه في آذار (مارس) ١٨٦٠، تلقى عدد كبير من الناس في لندن بطاقة بريدية على أعلاها خاتم هو عبارة عن رسم مقلوب لقطعة الستة بنسات، مما يضفي طابعاً يبدو رسمياً، على البطاقة، وتحت الخاتم الكتابة التالية:

«برج لندن – الرجاء قبول حامل هذه البطاقة مع صديقه في الاحتفال السنوي لمناسبة غسل الأسود البيض، يوم الأحد، اول نيسان، ١٩٦٠. الدخول فقط من البوابة البيضاء. يرجى من المدعوين بالحاح عدم توزيع البقشيش على النظار او مساعديهم»، ويقال ان اللعبة نجحت نجاحاً كبيراً. فقد شوهد في ذلك اليوم عدد كبير من العربات تدور حول برج لندن للعثور على البوابة البيضاء، التي لا وجود لها.

السمكة والأبله

وانجلترا على ما يقول المؤرخون لم تتعرف على هذا التقليد الا في القرن الثامن عشر. واذا كانوا هناك يطلقون على الضحية اسم «أبله نيسان» فليس من داع لشرح هذه التسمية. وهي على كل حال مماثلة للتسمية المعتمدة في اسكوتلندا. أما في فرنسا فيقال للضحية انه «سمكة نيسان» بالنظر الى كونه مثل السمكة، سمح للآخرين بأن يصطادوه. واسبانيا تحتفل أيضاً ببلهاء نيسان. وهذا اليوم يتمتع بشعبية واسعة ايضاً في ايطاليا والبرتغال والسويد. ولا تكتفي المانيا والنروج بيوم اول نيسان، بل تمارس عادات مماثلة في آخر نيسان أيضاً.

أما في المكسيك فان الكذب الابيض مباح في يوم ٢٨ كانون الأول (ديسمبر). لكن الكذب فيه يتركز على استعادة اشياء. والعادة تقضي بأن يفقد صاحب الشيء حقه في استعادته إذا ما غفل عن اليوم، وأعار شيئاً لطالبه. وبدلاً من إعادة المعار، يتلقى صاحبه علبة حلوى وقصيدة تذكره بأنه استغفل في ذلك اليوم.

الهوامش

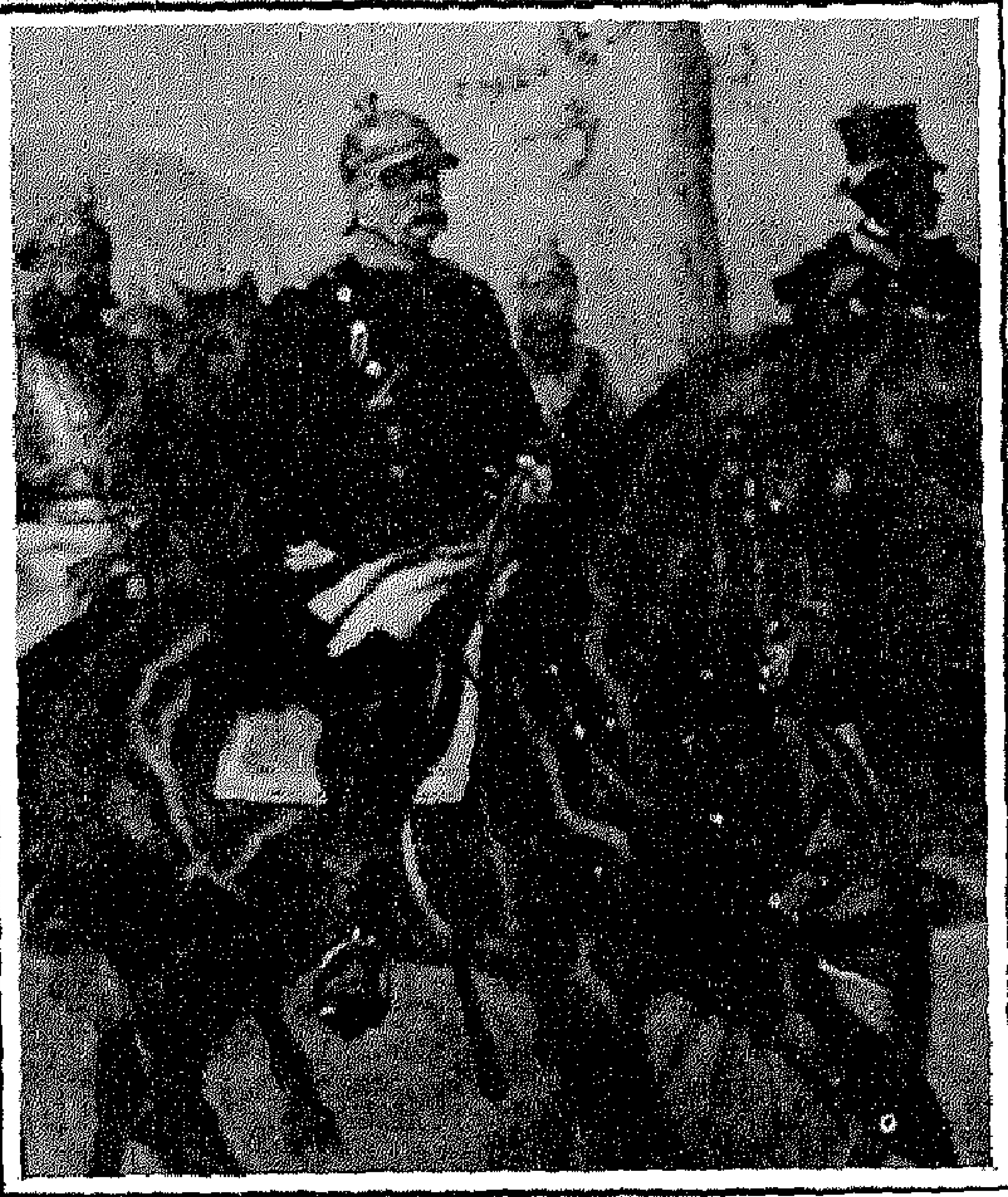
(1) R. Chambers: "the book of days", p.462.
(2) Leopold Wagner: "Manners, customs and observances", p.255.
(٣) راجع الحاشية الأولى.
(4) Funk and Wagnalls company. Newyork,: "The Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend, Vol.1, p.36-37.
(5) Mary E Hazeltine,: "Anniversaries and Holidays", p.59.
(٦) حاشية رقم واحد. المصدر نفسه ص ٤٦٠
(٧) حاشية رقم واحد. المصدر نفسه ص ٤٦١.



كتاب العدد

بسمارك رائد الوحدة الالمانية

عايدة سليمان نعمان



في الثاني من نيسان ابريل ١٨١٥ ظهر في احدى صحف برلين الاعلان التالي : «اتشرف بأن اعلم الاصدقاء ان زوجتي قد وضعت ابنا نهار الامس واني اعذرهم من مشقة تقديم التهاني لنا» غير ان الاعلان لم يذكر ان اسم الصبي هو «اوتو فون بسمارك».

كتاب الان بالمر عن بسمارك يقول عنه كاتبه في المقدمة انه ليس دراسة فقط عن الرجل الذي صنع الوحدة الالمانية ووجه السياسة العالمية بشكل او آخر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولكن هو ايضاً دراسة تفصيلية تعنى بأبراز وجه الانسان المظلل بوجه السياسي البارز. ليس هذا بالعمل السهل اذ ان افراداً كبسمارك، ودون إرادةٍ منهم يتحولون الى مؤسسة قائمة بذاتها فتصبح مميزاتها الانسانية باهتة الملامح. ولكن المؤلف يستعين بالكثير من التفاصيل وخاصة بالكثير من الوسائل والاحاديث الخاصة التي نقلت عن بسمارك.

لم يكن في طفولة بسمارك ولا في شبابه المستهتر ما يستشف منه عن مستقبل سياسي وعسكري تاريخي : ميل واضح للاسراف، كبرياء متعجرفة وشديدة الالتصاق والمباهاة بالانتماء الى طبقة الملاكين الكبار. وحتى في بداية دوره السياسي يبدو بوضوح انتماء بسمارك الى اليمين المحافظ وتخوفه الدائم من طغيان الافكار الليبرالية فيبرز هذا الميل المتحفظ والمحافظ في خطبته الاولى في مجلس الولايات في ٦ حزيران (يونيو) ١٨٤٧ اذ وصف فيها بأنه «من الخطباء القلائل الذين قتلوا وجهة نظر الحكومة والملك بشكل خاص» ولكن الملك لم يكن ليعترف ببسمارك وليقربه اليه قبل وقت طويل من هذا التاريخ. حين كلف الملك فريدريك وليم الكونت براندنبرغ بتشكيل حكومة جديدة ساد الشعور بأن بسمارك سيكون عضواً فيها. غير ان الملك بالذات استبعد الامر واصفاً بسمارك بأنه : «رجعي أحمر.. تفوح منه رائحة الدم.. سنحتاج اليه في المستقبل».

لم تكن الوحدة الالمانية مثار جدل بالنسبة لبسمارك : «وحدة المانيا هي مطلب كل من يتكلم بالالمانية. غير اننا جميعاً نسعى لتمكن النسر البروسي من أن يمد جناحيه على كل المانيا» لذا قيل ان توحيد المانيا ليس سوى خدعة استعملها لتتحكم بروسيا بباقي الولايات الالمانية. وهاجمه الليبراليون سنة ١٨٤٨ واصفين خطبه وأفكاره «بوضوح المشاعر الرجعية فيها» حتى انه خشي ان يفقد مقعده في اللندتاغ لشدة الحملة المعادية له.

لم يساور البروسيين ادنى شك في ان مجيء بسمارك كرئيس للحكومة في ايلول (سبتمبر) ١٨٦٢ هو اقتراب من الحلول العسكرية لمشاكل المانيا. هو نفسه لم يترك للشك مكاناً. ففي خطبته المشهورة في البرلمان والتي طبعت سنوات حكمه. قال «ان بروسيا يجب ان تجمع قواها وتحتفظ بها لليوم المناسب الذي طالما تأجل هباء. ان الاسئلة الكبرى لا اجوبة لها في الخطب الرنانة ولا في صناديق الاقتراع... وانما

بالحديد والدم» وما إن ذاعت خطبته تلك حتى تساءل الملك اذا ما كان اخطأ في تعيينه واذا ما اخطأ في عدم الاصغاء ولو مرّة لزوجته وابنه اللذين لم يخفيا معارضتهما الشديدة وعداءهما لبسمارك.

تسلم بسمارك للحكم ولد العديد من المواقف والمشاعر المتضاربة. الليبراليون البروسيون قابلوا تعيينه بالكثير من البرود ولا شيء من الحماسة بسبب تقييمهم السابق له:

«محافظ واقطاعي» المحافظون بدورهم كانوا شديدي الحذر لأنه «كثير الدهاء». المتدينون علقوا بقولهم: «ليته يدرك ان وصايا الرب تطبق ايضاً في الحياة السياسية والدبلوماسية». هذا في الداخل، أما في الخارج فقد كان الروس في غبطة، والفرنسيون ساورهم الشك في المستقبل، والانكليز في موقف عدائي واضح.

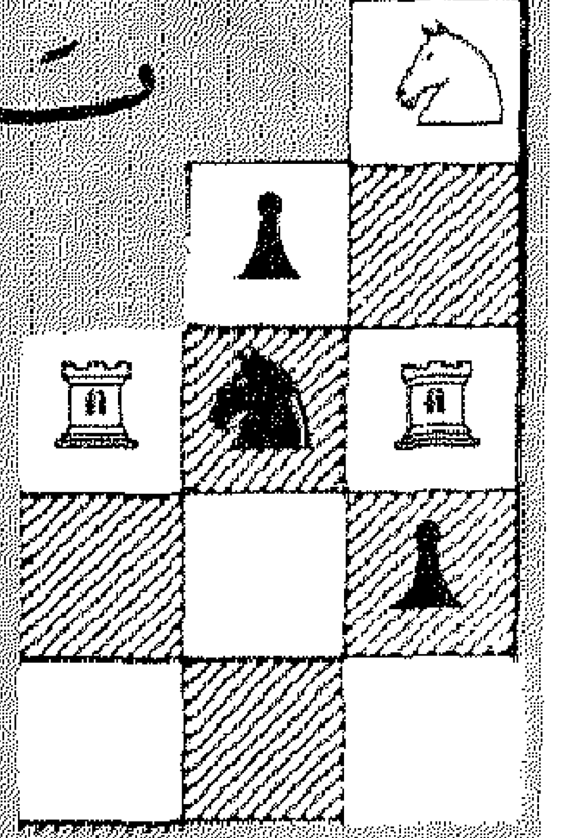
في قراءة تفصيلية لاحقة للدور التاريخي لبسمارك يبدو واضحاً ان الفرقاء المذكورين آنفاً لم يكونوا على خطأ في مشاعرهم. فلتوحيد المانيا – هدفه الاول والاخير– إقتنص بسمارك الكثير من فرص التفكك والضعف لدى جيرانه فاقتضم المقاطعات الالمانية واحدة تلو اخرى. حتى ان الدول الاوروبية باتت تتساءل إذا ما كانت شهية هذا البروسي ستتوقف عند حدٍ.

لنعد الى شخصية بسمارك الذي يصر الكاتب على القاء الاضواء المتلاحقة عليها. شخصية شديدة التناقض: كثير العجرفة والقسوة، لا يرحم أعداءه، وفي احيان اخرى يتساءل بحزن امام زائريه: «لا شك انني سببت الكثير من الاحزان لعدد وافر من الناس. لولاي لما وقعت حروب ثلاث ولما قتل ثمانون الفاً من الشبان ولما رأيت كل هذا العدد من الثكالى والارامل» صحته كثيرة التقلب، وكذلك نفسيته، تبرحه آلام رجله ومعدته فيقعد أياما عن الحركة. وأمام اول تحدٍ يهب للعمل كذئب شرس يزهد في السلطة احيانا ويراوغ بدهاء للإحتفاظ بها. يمنح القضايا القومية كل صحته وجهده وأعصابه وبكل انانية يحاول جهده ترتيب وضع سياسي يمكن ابنه المدمن من تولي الحكم أو أية سلطة بعده.

في حياته الخاصة يستدعي الانتباه علاقته بزوجته جوهانّا. لم يكن زوجا عطوفاً ومحباً بالمعنى التقليدي ولكن خيطاً صلباً من المودة والصراحة كان يربطهما. ما يثير العجب انه كان يطلعها على كل اسرار حياته السياسية وبكل تفاصيلها. كتب لها يوماً: «ان الاكاذيب التي يختلقها الديمقراطيون عني لا تصدق... أمس التقيت فلاحاً من شونهاوزن اخبرني ان مجرد ذكر اسمي يبعث الخوف والقشعريرة لدى الفلاحين. وانت تعلمين مدى طيبة قلبي» وحين زار «فرنبخ» في النمسا كتب الى جوهانّا ايضاً: «أمضيت الاربعاء والخميس بصحبة العجوز «فرنبخ» لقد كان بالغ اللطف معي واحاديثه لا تنتهي عن السياسة والكروم والأدب والغابات. أصغيت اليها جميعاً. وكنت استحثه للمزيد .... كما ترين لقد كان حديثاً من طرف واحد». وحتى في سنوات زواجه الاولى حين وقع في حب الحسناء كاترين اورلوف الروسية وحين كان يمضي اجازته بقربها في منتجع اسباني كان يكتب الى زوجته مخبراً اياها بتفاصيل سعادته ومرح الايام التي يمضيها. وهناك امرأة اخرى كان لها التأثير الاكبر عليه وهي شقيقته ميلواني. ولكن يبقى لجوهانّا الدّالة الكبرى اذ كتب احد التقارير للملكة فكتوريا عنها يقول: «ان السيدة جوهانّا فون بسمارك ليست ذات جمال... ولكن تأثيرها في أفراد عائلتها لا يقاوم».

تاريخ بسمارك تاريخ دولة بل تاريخ قارّة. ولكن الرجل بالذات بدأ أفوله بموت فريدريك الاكبر وحين تبوّأ حفيده فيلهلم الثاني العرش قال لاخصّائه «سوف امنح هذا العجوز ستة اشهر ليلتقط انفاسه... بعدها سوف أحكم بنفسي». وبالفعل أمضى بسمارك السنوات الأخيرة في مزرعته بعد ان اضطر للاستقالة. وحين مات بسمارك عام ١٨٩٠ لم تمت معه البسماركية، اذ ان الان بالمر وغيره ممن سبقوه في الكتابة عن بسمارك رأوا في طموحات المانيا العسكرية في النصف الاول من القرن العشرين مجرد تطور طبيعي لطموح ذلك السياسي الداهية وتكملة لها.

PALMER, ALAN, "BISMARK", LONDON. WEIDENFELD AND NICOLSON, 1976



شارلمان

دهم زوجته مع المستشار فحكم عليه بالانتصار او... الموت

محمد مراد بكر

فرنسا:

■ أقدم إشارة الى الشطرنج في تاريخ فرنسا ترجع الى عهد بيبان PÉPIN والد شارلمان Charlemagne ويعود ذلك الى سنة ٧٦٤م أي السنة الثانية عشرة من عهده، اثناء احتفال قدم فيه هدية الى الابرشية وكانت تحوى كمية من الاحجار الثمينة، ومن الذهب ولعبة شطرنج، ولم يكن الشطرنج معروفا وقتذاك في اوفيرني Auvergne

ويقول الدكتور دونكان فوربس ان الفنون لم تكن متقدمة، لذا لم يكن الصناعيون من المهرة بحيث يستطيعون صنع شطرنج من الكريستال وبهذه الدقة، لذلك يضيف الدكتور دونكان ان الشطرنج هذا لا بد وان يكون هدية آتية من الشرق الى الملك بيبان سنة ٧٥٧م، ويظن أنها هدية كونستانتين كوبرونيم Constantin-Copronyme حاكم القسطنطينية (استمبول حاليا) وكانت ضمن الهدايا الثمينة التي ارسلها ومن ضمنها الأرغن وهو الأول الذي عرفته فرنسا.

ويقول مؤرخو الشطرنج، انه تم في عهد شارلمان (شارل الاول ملك فرنسا ولد سنة ٧٤٢م، امبراطور الغرب سنة ٨٠٠م، توفي سنة ٨١٤م) إدخال الشطرنج الى فرنسا. وقد أولع به الجميع، وكان على كل نبيل ان يعرف الشطرنج ليدخل البلاط. وكان الامبراطور، كما يقول مؤرخو عهده، مولعا به جداً (راجع قصص الطاولة المستديرة).

وجاء في قصص الراهب دي سان دنيس التي كتبها ـــــــــ ج. دوبليه J. Doublet ص ٣٤٢ و١٢١٣ ان ابرشية سان دنيس تحتفظ في ابرشيتها بعدد من قطع الشطرنج أهداها لها شارلمان. القطع والرقع من العاج عليها بعض الكتابات العربية وهي هدية من الشرق (من هرون الرشيد) ومن المؤسف ان هذه القطع قد ضاع معظمها ولم يبق إلا قطعة واحدة محفوظة في احد المتاحف في بريطانيا. وتذكر هذه الهدية مخطوطة قديمة محفوظة في المكتبة الملكية، وإنها اصلا كانت مؤلفة من ١٦ قطعة متنوعة من العاج دعيت قديما شطرنج شارلمان، وهي هدية من الخليفة هرون الرشيد الى هذا الامبراطور، كتب على قطعة منها بالعربية،

صنع يوسف النقالي من قبيلة البهايلي. وقد ضاعت كل القطع وبقيت هذه القطعة التي وضعت مع خمس عشرة اخرى صنعت فيما بعد وهي حتما ليست لنفس الشطرنج، ويظهر انها بيزنطية تعود الى القرن الحادي عشر بينما القطعة الاولى صنعت في آسيا في القرن الثاني للهجرة الموافق القرن التاسع الميلادي، وهي تمثل فيلا يحمل على ظهره قلعة وعلى سطح القلعة ملك هندي جالس على الطريقة العربية (متربعا) يحمل على رأسه تاجا محلى بالجواهر وعقدا واسورة. وعلى جوانب سطح القلعة يقف ثمانية محاربين (حراس الملك) السيف بيدهم والترس في ذراعهم، وعلى رأس الفيل فارس يقوده، وفي الهواء رجل قذفه الفيل بينما يحمل خرطوم الفيل حصانا مع فارسه. وعلى القاعدة التي تحمل الفيل أربعة فرسان محاربين يحملون السيوف والبلطات وكلهم متوجون. وعلى القاعدة كتابة عربية بالخط الكوفي أكلها الزمن فصعبت قراءتها.

ويروى عن شارل الثالث ملك فرنسا، انه منع في سنة ١٤٨٥ المساجين عن لعب الزهر، وسمح فقط للمساجين من طبقة معينة الموقوفين لأسباب بسيطة مدنية بلعب طاولة الزهر والشطرنج.

كما يروى فيرار سنة ١٥٠٠، ان الامير شارلو ابن شارلمان كسر رأس بودوان Baudoin إبن اوجيه Ogier بقطعة من الشطرنج، فسبب حربا بين الطرفين دامت سبع سنين. وتفصيل القصة، أن بودوان كان يبذل جهده لارضاء شارلو، وكان الامير الصغير يحب الشطرنج ولا يحسنه وكان بودوان الشاب يربح الجولات باستمرار، وفي أحد الأيام خسر شارلو جولتين متتابعتين وظن في الجولة الثالثة أنه بعد أسر قطعة يستطيع أن يميت شاه خصمه، ولكن القطعة التي أعطاها بودوان لم تكن الا فخا نصبه للأمير فخسر الجولة ويظهر أنه ظهرت دون انتباه على وجه بودوان ضحكة مستترة أغضبت الأمير، فاستشاط غيظا وقام الى الرقعة الثقيلة يحملها (وكانت مصنوعة من الذهب)، ويضرب بها على رأس بودوان الذي وقع قتيلاً لتوه في الغرفة بعد أن شج راسه، وجزع شارلو أمام جريمته. وخوفا من غضب اوجيه والد بودوان، ذهب يحتمي بقصر أبيه شارلمان. وتتطور الأمور، وتبدأ حرب بين الطرفين دامت سبع سنين.

القصائد

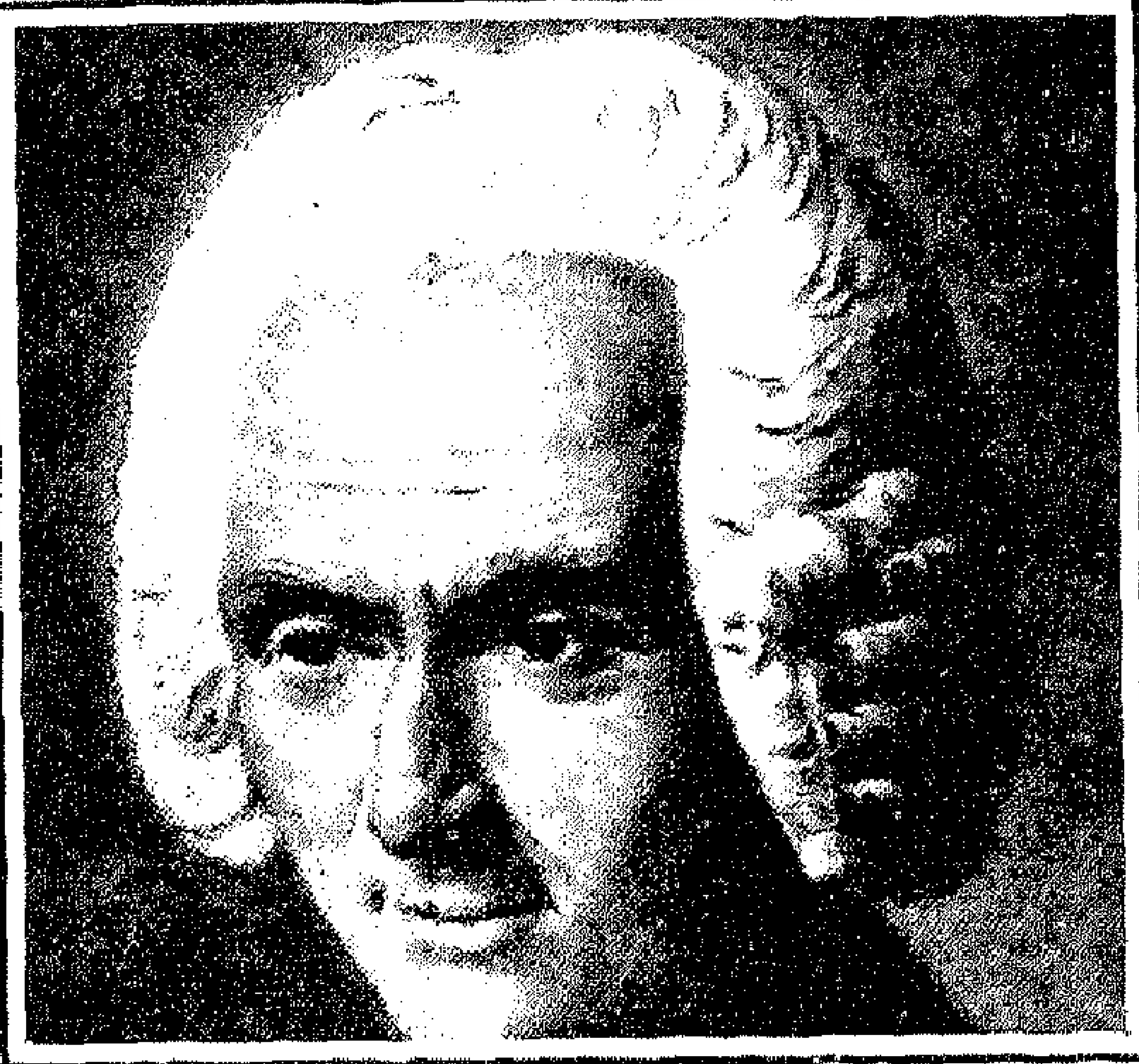
الشعر الفرنسي القديم مليء بالقصائد التي تذكر الشطرنج اما مباشرة واما ضمن قصص قديمة، ولعل أجملها قصة فلور وبلانش فلور وهي قصيدة شهيرة تعود الى القرن الثاني عشر مستوحاة من القصص اليونانية والشرقية، فيها الكثير من الفروسية والعادات الشرقية، ويصعب تحديد وقائع هذه القصة التي يرويها الشاعر، ولكنها على ما يظهر ترجع الى زمن البابليين مع بعض التغيير وتفصيل القصة ما يلي:

طفلان ولدا في يوم واحد، احدهما صبي يدعى فلور أو فلوار، وهو ابن ملك. وطفلة تدعى بلانش فلور وهي ابنة اميرة مسيحية اذلها الاسر فاستعبدت. وقع فلور صريع حب بلانش فلور. فخاف ابوه من عواقب هذا الحب، فقام بابعاد الصبية وذلك ببيعها الى بعض التجار الغرباء. ولكن الحب كان قد استبد بفلور فلم يعد يطيق فراقا حتى هزل جسمه، مما دعا الوالد للبحث عن الصبية بلانش فلور. وقاده البحث الى بابل حيث علم الولد أن حبيبته مسجونة في السودان في قلعة لا يستطيع أحد أن يصل اليها دون

التعرض لخسارة حياته. ولكن فلور استطاع بواسطة الشطرنج ان يصل الى حارس القلعة، وبعد مغامرات متعددة استطاع الحصول على حبيبته بلانش فلور.

وهناك رواة كثيرون لهذه القصة، ولكن اقدم هذه النصوص كتب بالفرنسية ويعود الى أوائل القرن الثاني عشر، وقد اعيدت كتابة هذه القصة سنة ١٨٤٤ في برلين. وقد نالت القصة هذه شهرة كبيرة في المانيا واسبانيا في القرنين الثاني والثالث عشر وقد أعاد كتابتها بالفرنسية جاك فانسان سنة ١٥١٢ وظهرت القصيدة مرة اخرى سنة ١٥٥٤ في ليون، ثم سنة ١٥٧٠ و ١٥٧١، ثم في سنة ١٥٩٧ في روان واخيراً سنة ١٨٥٩ في باريس وقد ترجمت الى الايطالية.

قصة اخرى شبيهة بقصة يوسف وامرأة فرعون هي قصة كاران دي مونغلان ابن الدوق ايمرى الذي تنازل عن القابه ليلتحق بشارلمان الذي اعجب بلياقته واناقته والحقه بالقصر ثم ما لبث ان اصبح مستشاره وكاتم أسراره. ويظهر أن الامبراطورة هامت به دون علمه، فقد قامت يوما بدخول منزل كاران لتبثه عواطفها. وهنا تتكرر قصة يوسف، فقد دخل في تلك اللحظة شارلمان ليرى امرأته في هذه الحالة التعيسة بأم عينه، ولم تخف الأمبراطورة حبها للشاب عن الامبراطور بل ركعت على قدميه ليسمح لها بوصاله، وبالطبع لم يستجب الامبراطور لنداء ورجاء زوجته وقرر الانتقام من كاران. وعلم اصدقاء الأخير بما يضمره الامبراطور فحذروه، وهكذا قرر الابتعاد عن القصر، ولكن غيابه لم يطل اكثر من ثلاثة أيام بعد تدخل المصلحين. فالذنب ليس ذنبه وبناء على طلب الامبراطور ذهب للقصر فافهمه الامبراطور أنه لن يصفح عنه الا إذا غلبه بالشطرنج. واستطاع كاران



جان جاك روسو

ان يهزم الامبراطور الذي لم يغفر له فحسب بل قربه أكثر اليه.

هذه القصيدة وضعت نثراً في القرن الخامس عشر وقامت مجلة البلاميد (تخصصت بالشطرنج) بتحليلها سنة ١٨٣٦.

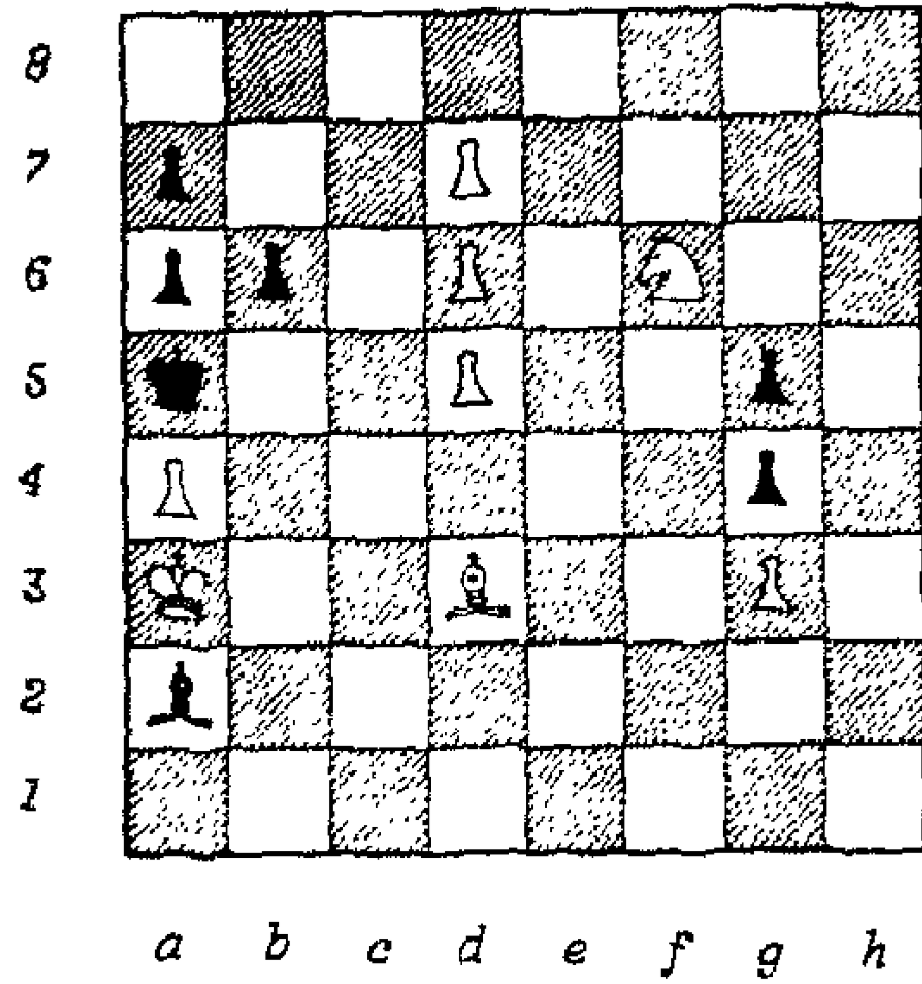
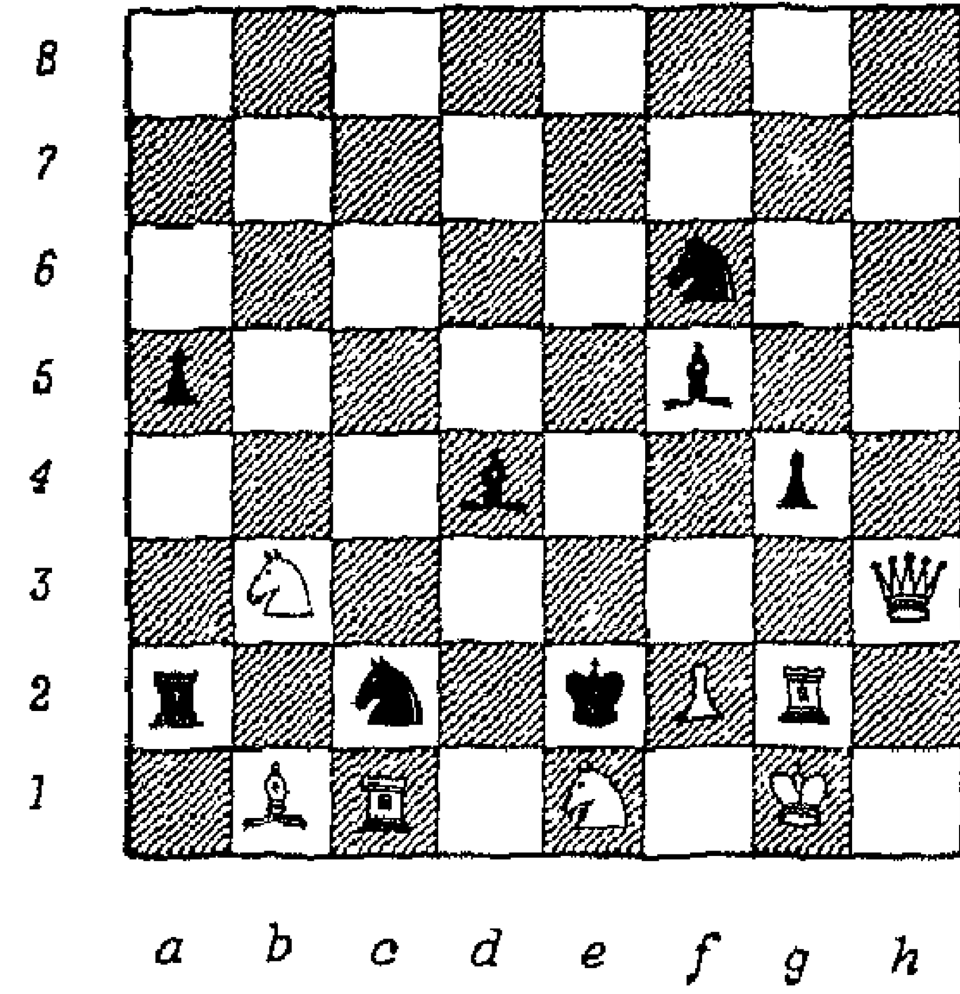
أما الكتب التي شرحت عن الشطرنج وتعمقت به في القرن السادس والسابع والثامن عشر فأكثر من ان تحصى ولعل أعمقها ما كتبه فيليدور وفيليب ستاما وغيرهما.

النوادي

في نصف القرن الثامن عشر، أسس فرانسوا بروكوب وهو صقلي المولد مقهى أصبح بعد تأسيسه مكان التقاء للاعبي الشطرنج، وفي هذا المقهى بالذات ولد اول ناد للشطرنج في فرنسا وكان مؤسسوه، بيرون، جان جاك روسو، ديدرو وفيليدور، وكان فولتير من رواد هذا النادي. وقد التف حول المؤسسين في هذا النادي أغلب محترفي الأدب، ولما كثر عددهم، تركوا هذا المقهى الى مقهى الريجانس و هو الأشهر في تاريخ الشطرنج الفرنسي زواره كبار مثل ميرابو، دانتون، روبسبيير، باريز وغيرهم ثم تفرق اللاعبون ...

الجزء الثاني في العدد المقبل

المسابقة رقم ٦

المسألة رقم ١٢	المسألة رقم ١١
	
مات بثلاث نقلات	مات بنقلتين

حل المسابقة رقم ٤

المسألة رقم ٧ : المفتاح : 1 — Fx h6

المسألة رقم ٨ : المفتاح : (١) 1 — Th — h6 d6
2 — Tb4
xxxxxxx

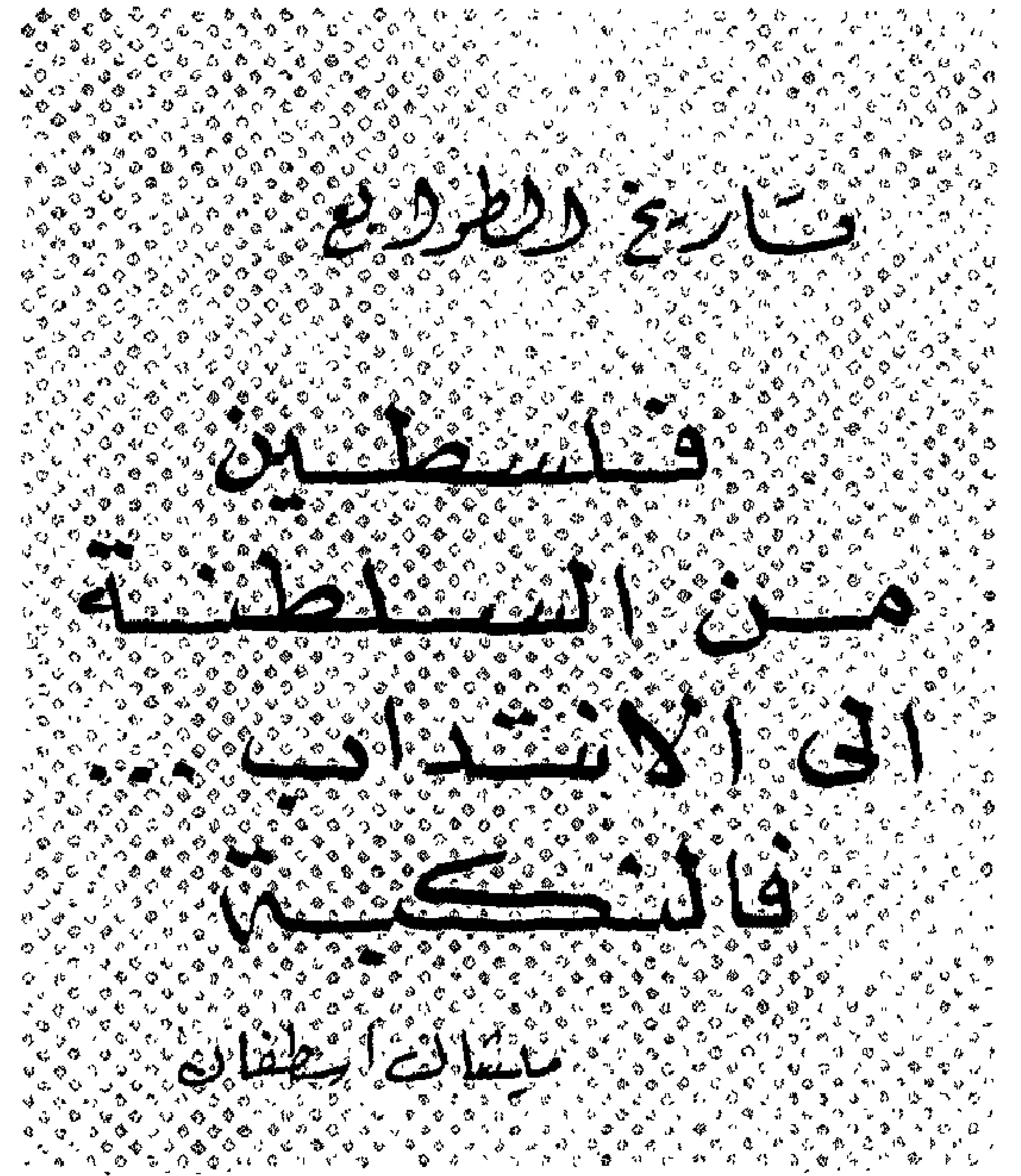
أو (٢) 1 — d5
2 — Ra2
xxxxxxx

أو (٣) 1 — Fg6
2 — TxF

الحلول التي أتتنا عديدة جداً ولكن أغلبها حل للمسألة الثامنة فقط . أما المسألة السابعة فيظهر أنها صعبت على الجميع باستثناء السيد سليم اللادقي – ص ب ٢٥٥١ من بيروت الذي فاز بالجائزة الأولى وحجبت بقية الجوائز لهذا الأسبوع لعدم وصول حل صحيح بأكمله . فتهانينا للسيد سليم اللادقي .

مسابقة الشطرنج

يرسل الحل الصحيح مع القسيمة إلى إدارة المجلة ص ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف « مسابقة الشطرنج » . يجب أن يصل الحل قبل نهاية كل شهر وفي حال التأخر يعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للإرسال .



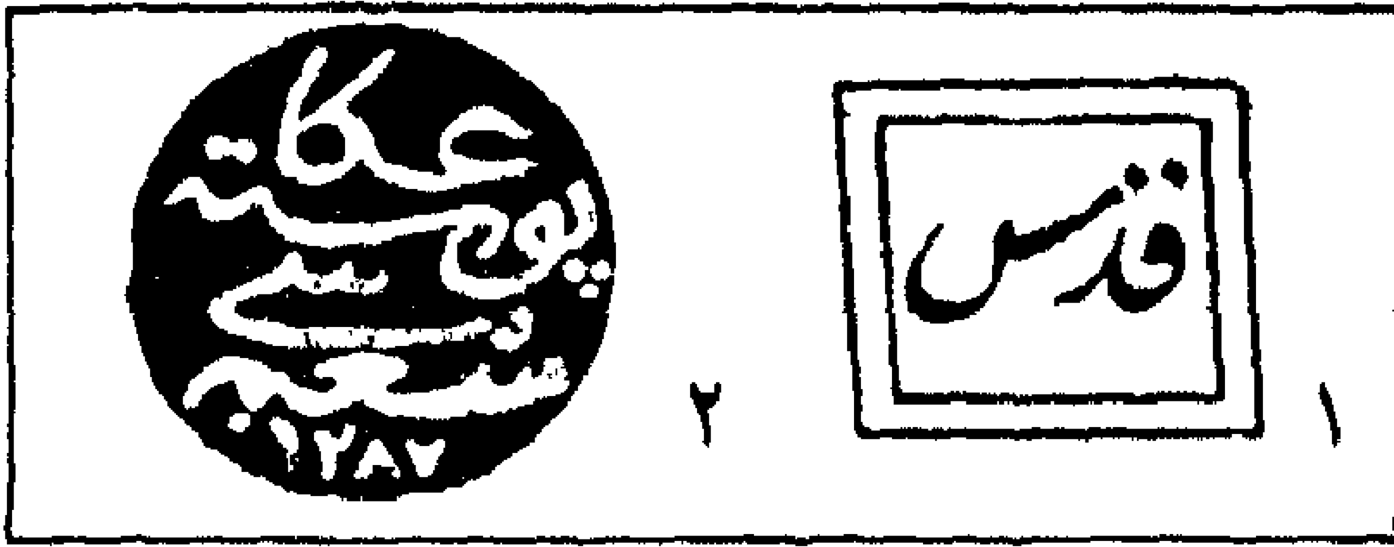
■ قبل أن نذكر تاريخ الطوابع البريدية في فلسطين، لا بد لنا من أن نذكر ولو بإختصار تاريخ هذا البلد العريق بتراثه وأمجاده.

فلسطين على طول ساحلها على شاطئ المتوسط كانت لستة قرون ونيف، وحتى سنة ٦٣٤ ميلادية (أو ١٣ هجرية)، الأراضي المقدسة لليهود والمسيحيين. وكانت مسرحاً لجميع أحداث الكتب المقدسة في العهدين القديم والجديد بدءاً من موسى النبي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القديس يوسف في القرن الأول للميلاد. وفي بيت لحم، أي في فلسطين كان مولد السيد المسيح الحدث الأعظم الذي أصبح منطلقاً للتاريخ تُحدَّد بالنسبة إليه الأحداث السابقة أو اللاحقة للميلاد.

إحتل الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا فلسطين سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وبعد وفاته حكم خلفاؤه البلاد وهم بطليموس حاكم مصر وَسلوُقس وذلك من سنة ١٦٨ إلى ١٤١ قبل الميلاد يوم ثار اليهود بقيادة يهوذا المكابي وإخوانه، وحرروا القدس وأعادوا تأسيس أرض يهوذا، يرأسها ملوك كَهَنَة.

وسنة ٦٣ قبل الميلاد ألحق الملك بومبايوس فلسطين بروما، وبنهاية مدة الولاية سنة ٤٠ ق.م. عَيَّن مجلس النواب الروماني هيرودس ملكاً على يهوذا. وفي سنة ٤٤ م. عادت فلسطين إلى الحكم الروماني المباشر.

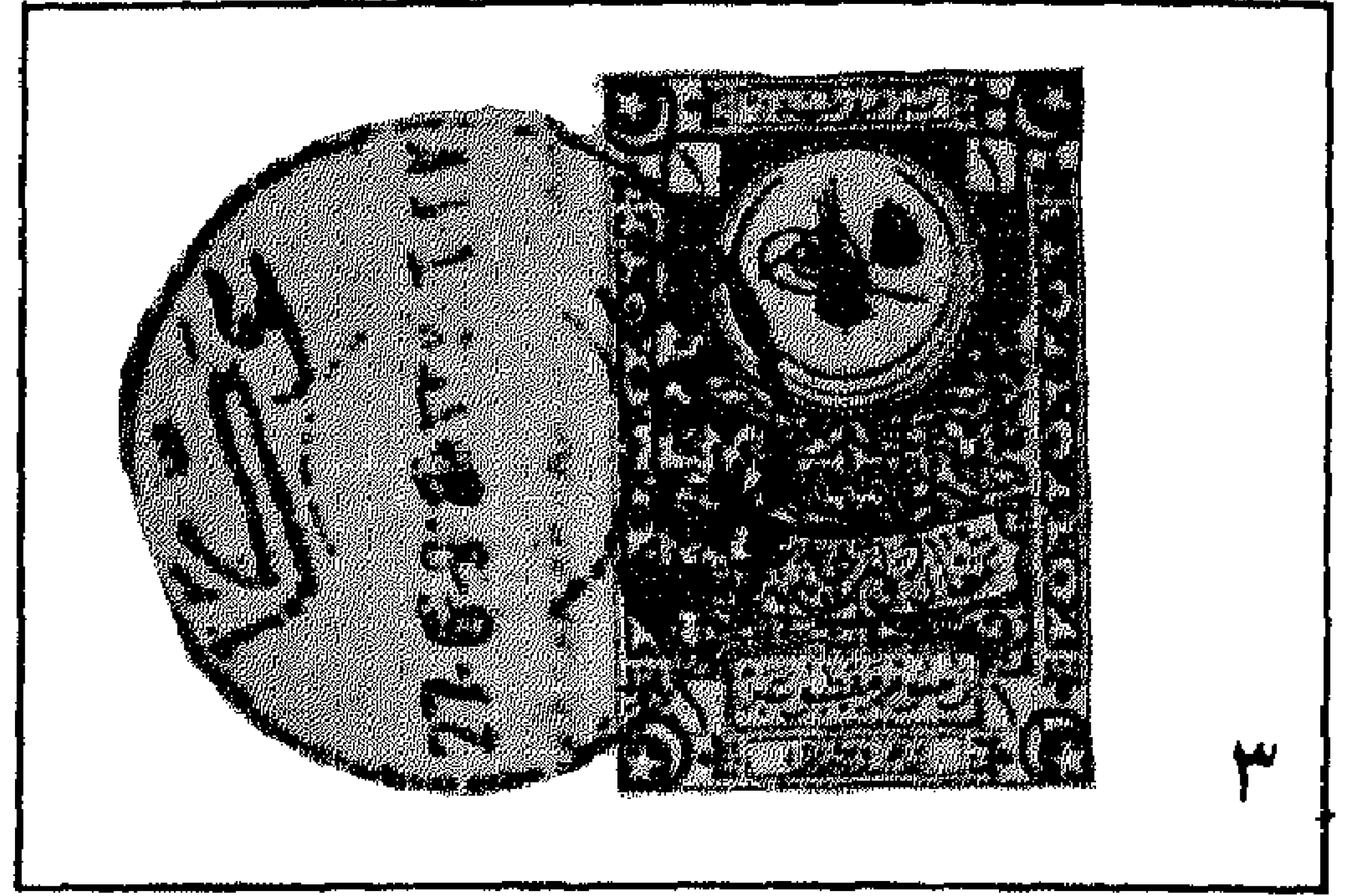
وأثناء ثورة اليهود الكبرى سنة ٦٦ م التي توسعت فانقلبت إلى حرب مريرة إستولى تيطوس على القدس سنة ٧٠ فهدم هيكل سليمان وتشتت اليهود تشتّتهم العظيم وانتشروا في أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأدنى، وسُمي هذا التشتت «دياسبورا» ثم تمادى بعدئذ حيث إنتشر اليهود في جميع أنحاء المعمورة.



عندما انشقت الأمبراطورية الرومانية سنة ٣٩٥، أصبحت فلسطين جزءاً من الأمبراطورية الرومانية الشرقية، أي الأمبراطورية البيزنطية؛ وفي سنة ٦١١ بعد فترة طويلة من السلام غزا الفرس فلسطين فهدموا كنيسة القيامة في القدس لأول مرة. لكن البيزنطيين ما لبثوا أن إستعادوا فلسطين سنة ٦٢٨، فاذا بالجيوش العربية بقيادة عمر ابن الخطاب تُخرج فلسطين من سلطة هيراكليوس سنة ٦٣٦ وتمنحها السلام النسبي لفترة من الزمن.

كانت القرون الأربعة التي تلت مشحونة بالخلافات بين زعماء المسلمين وقادة الرأي فيهم، فضعفت هيبتهم وذهبت ريحهم وطمع فيهم المتربصون للإستيلاء على السلطة، فغزا السلجوقيون الأتراك البلاد واستولوا على فلسطين.

كما أن الافرنج لم يكونوا أقل طمعاً من غيرهم في الإستيلاء على الشرق وخصوصاً


٣

فلسطين، فنظموا حملاتهم المتكررة التي عرفت بالحروب الصليبية والتي لم يصل منها إلى فلسطين غير الحملتين الأولى والسادسة.

إستولى الصليبيون على القدس بقيادة غودفروا دي بُوِّن في سنة ١٠٩٩، وأسست مملكة القدس برئاسة ملوك فرنسيين؛ وبعد نحو من قرن على أثر معارك طاحنة مع الصليبيين، حرر صلاح الدين الأيوبي القدس من سنة ١١٨٧ حتى سنة ١٢١٧، إلى أن أبرمت المعاهدة بين الأمبراطور فريدريك الثاني وسلطان مصر، على إقامة دولة القدس المسيحية التي دامت من سنة ١٢٢٩ إلى سنة ١٢٣٩، لكن قتالاً تجدد بعدئذٍ فكانت سلطة الصليبيين بين مدٍّ وجزر على طول الساحلِ الفلسطيني حتى عكا في الشمال، وأخيراً تقلَّص ظلّهم تماماً سنة ١٢٩١.

دخلت فلسطين تحت حكم المماليك سلاطين مصر من سنة ١٢٦٠ إلى ١٥١٦ عندما إحتلتها القوات التركية التي بقيت فيها نحواً من ٤٠٠ سنة. ومع أن سليمان القانوني أعاد بناء أسوار القدس سنة ١٥٣٧، فإن فلسطين لم تكن في سعةٍ وازدهار حتى سنة ١٨٤٠، يوم شددت الحكومة العثمانية يدها عليها عقب أزمة إقتصادية مُضنية وحركات تململ ثورية قامت بين أفراد الشعب. عندئذٍ بدأت أوروبا وأمريكا تظهران إهتماماً متزايداً بالأراضي المقدسة وقامت هناك مؤسسات دينية كاثوليكية وأرثوذكسية، وتوافر لزيارة القدس وبيت لحم والناصرة وفرة من الزوار والسيَّاح؛ كما أن مستوطنات صهيونية زراعية بدأت تنشأ في بعض المناطق. وفي سنة ١٨٩٦ أصدر تيودور هرتسيل الصحفي النمساوي اليهودي نشرة يقترح فيها تأسيس ولاية يهودية في فلسطين. ثم في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٤ أعلنت تركيا الحرب بتحريض من ألمانيا على بريطانيا التي تمسكت بمصر، ودخلت سيناء متغلبة على الجيش التركي. وفي شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ أخذت مركزاً لها في غزة. وفي ٣١ تشرين الأول سنة ١٩١٧ إحتدمت المعارك بين الفريقين. وفي ٩ كانون الأول (ديسمبر) إستولت بريطانيا على القدس.

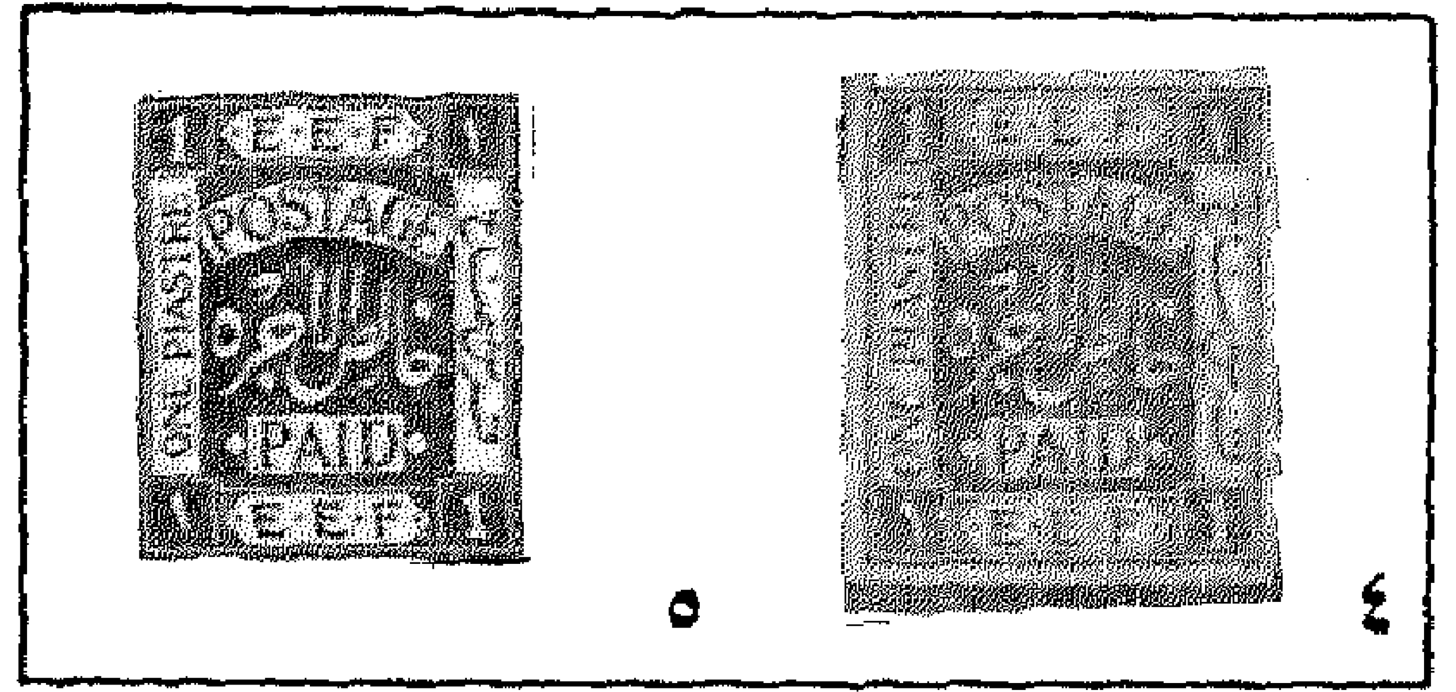
وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ كان السير أ. ج. بلفور البريطاني (أصبح لورداً فيما بعد)، قد صرح بأن الحكومة البريطانية توافق على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

تاريخ الطوابع —

حكم العثمانيون فلسطين من سنة ١٥١٦ إلى ١٧٥٠، فظاهر العمر من سنة ١٧٥٠ إلى ١٧٧٥، فالعثمانيون من سنة ١٧٧٥ إلى ١٨٣٢، فمحمد على الكبير وأسرته من سنة ١٨٣٢ إلى ١٨٤٠، فالعثمانيون من سنة ١٨٤٠ إلى ١٩١٨.

كان البريد في عهد السلطنة العثمانية، وقبل ظهور الطوابع العثمانية سنة ١٨٦٣ يخلّص بدون طوابع بل بأختام نحاسية مختلفة تحمل إسم البلد باللغة التركية (صورة رقم ١)؛ ثم بأختام مربعة وبيضاوية (صورة رقم ٢) وبعدها بأختام مستديرة أو مسدسة مختلفة تحمل إسم المصدر والتاريخ (صورة رقم ٣).

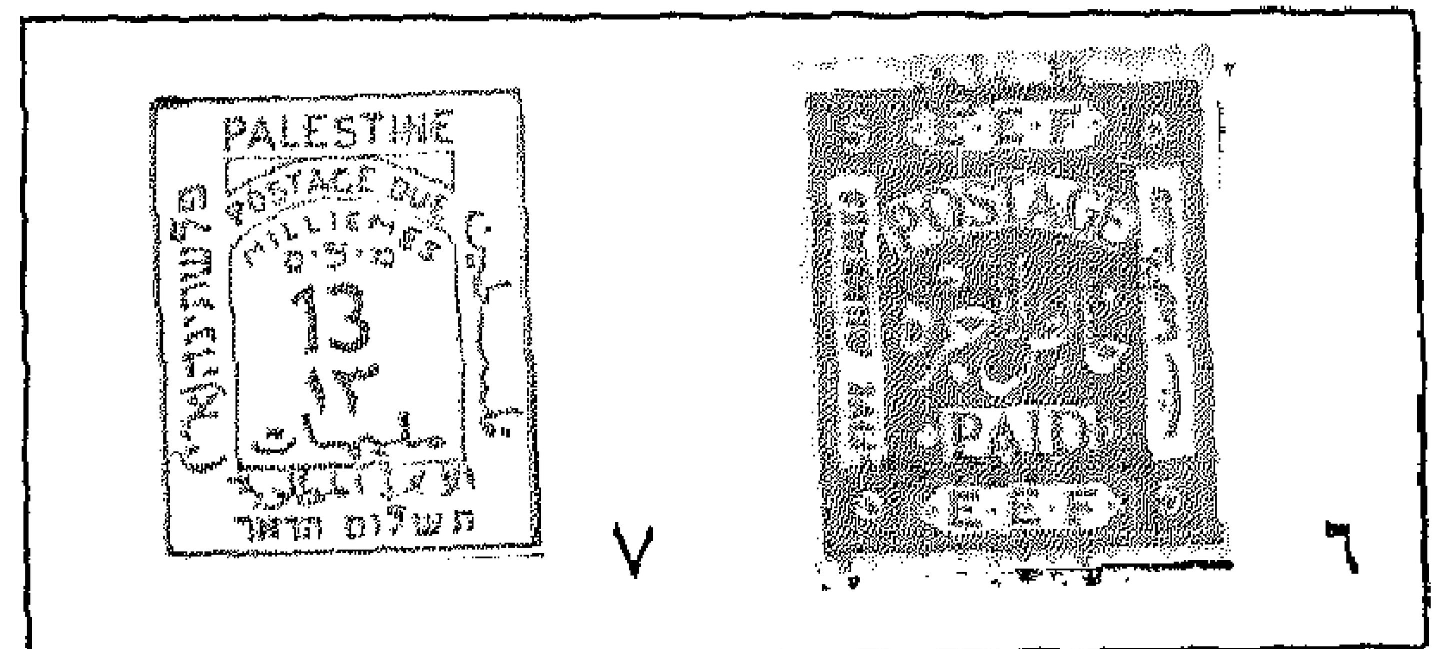
إنتشرت هذه الطوابع التركية في فلسطين شأنها في جميع الأراضي المشمولة بحماية الدولة العثمانية إلى جانب طوابع المكاتب الأجنبية التي أشرنا إليها في أعداد سابقة من هذه المجلة. وذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة



٥ ٤

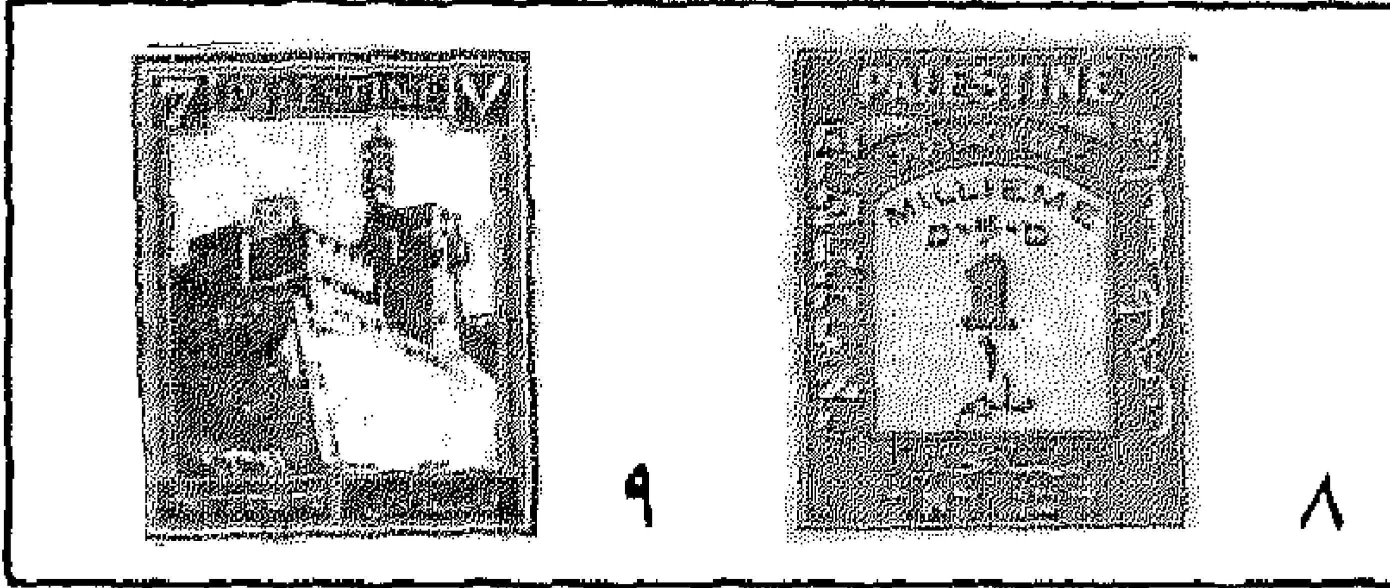
١٩١٨ تاريخ دخول القوات الإستطلاعية المصرية التابعة لجيوش الحلفاء التي إحتلت في شهر آذار (مارس) سنة ١٩١٧ جنوب فلسطين، ثم القدس بتاريخ ٩ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩١٧ وأنهت إحتلال جميع أراضيها خلال سنة ١٩١٨؛ فتوقف إستعمال الطابع العثماني أولاً ثم طوابع المكاتب الأجنبية التي أقفلت سنة ١٩٢٣ على أثر معاهدة لوزان.

وبتاريخ ١٠ شباط (فبراير) سنة ١٩١٨ أصدرت السلطات العسكرية البريطانية ١٥ طابعاً للتخليص على البريد، منها طابعان فئة قرش واحد وطابع موشح ٥ مليم على قرش واحد. طبع على ورق غير مصمّغ. وطابعان آخران من الفئات نفسها ولكن بألوان مختلفة وعلى ورق مصمّغ، طُبعت بمطابع دائرة المساحة المصرية في الجيزة بمصر، وكتب عليها «خـــــالص الأجرة» و« E.E.F. POSTAGE PAID » (قوات إستطلاعية مصرية أجور البريد مدفوعة) (صورة رقم ٤)، وكانت فئة ٥ مليم للتخليص الداخلي وفئة القرش الواحد للخارجي. ثم أصدرت مجموعة مؤلفة من ١١ طابعاً من فئة مليم واحد إلى ٢٠ قرشاً (صورة رقم ٥) كلها مخرّمة طبعت بمطابع بريطانية في لندن وكانت لإستعمال السكان المدنيين في



٧ ٦

أراضي العدو المحتلة، بما في ذلك أجزاءٍ كبيرة من بلاد آسيا الصغرى، مثل سورية وكيليكية والأردن وشمال مصر. وبقيت هذه الطوابع قيد الإستعمال حتى أول أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٠، تاريخ تسليم البلاد للأدارة البريطانية المدنية، التي أصدرت أول مجموعة من ١١ طابعاً موشحاً بكلمة فلسطين بثلاث لغات، العربية والإنكليزية والعبرية. (صورة رقم ٦) تلت هذه المجموعة خمس مجموعات بريدية مؤلفة من ٤٨ طابعاً ومجموعة واحدة أجور مستحقة من خمسة طوابع (صورة رقم ٧). والجدير بالذكر أن جميع هذه المجموعات الخمس كانت كلها متشابهة من حيث المظهر وكلها توشحت باللغات الثلاث، ولكن في



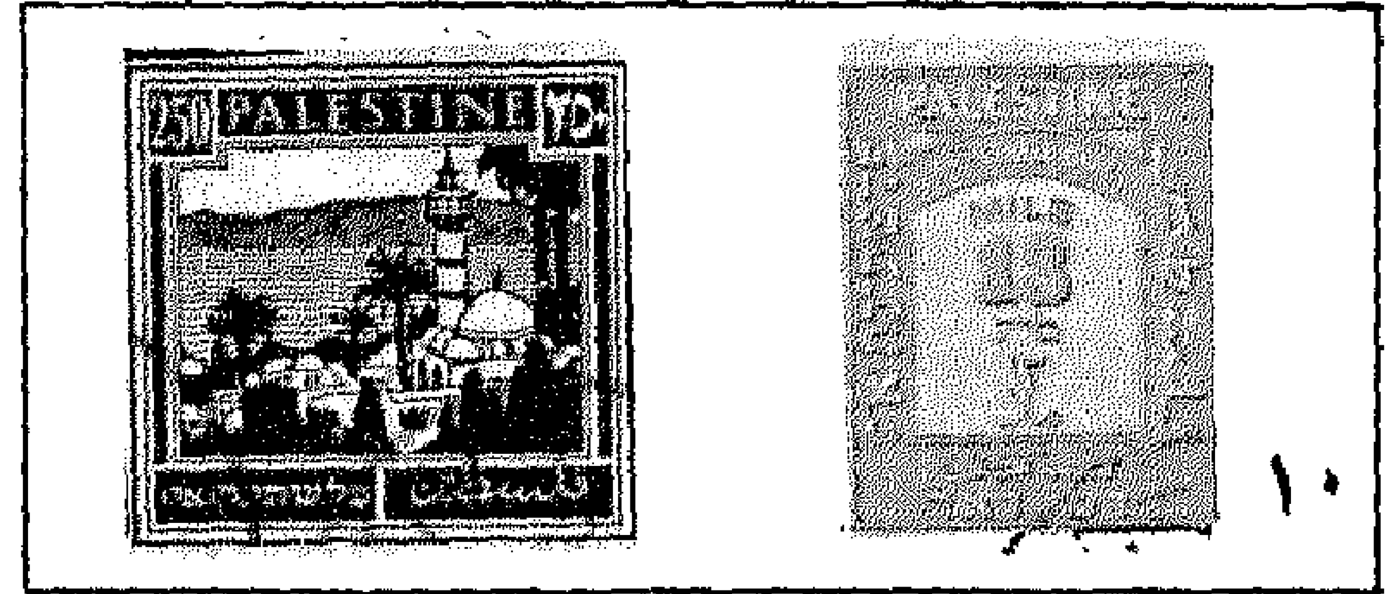
٩ ٨

كل مرة كانت الأحرف تتغيّر، وكذلك دور الطباعة بحيث أن التوشيح الذي جرى للمجموعات الأولى والثانية والثالثة كان محلياً، أما المجموعتان الرابعة والخامسة فقد جرى توشيحها في دارتين مختلفتين للطباعة في لندن.

وبموجب معاهدة لوزان لسنة ١٩٢٣ المعروفة، تخلت تركيا عن فلسطين وأصبح إنتداب بريطانيا العظمى على البلاد المعطى من قبل عصبة الأمم سنة ١٩٢٠ ساري المفعول إبتداءً من ٢٩ أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ واستمر حتى ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨.

أما الطوابع التي صدرت في عهد الإنتداب الرسمي فكانت الأولى في أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤ وهي مجموعة أجور مستحقة مؤلفة من ستة طوابع (صورة رقم ٨) ثم في أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ صدرت المجموعة الأولى التي تظهر مناظر دينية (صورة رقم ٩) مؤلفة من ١٤

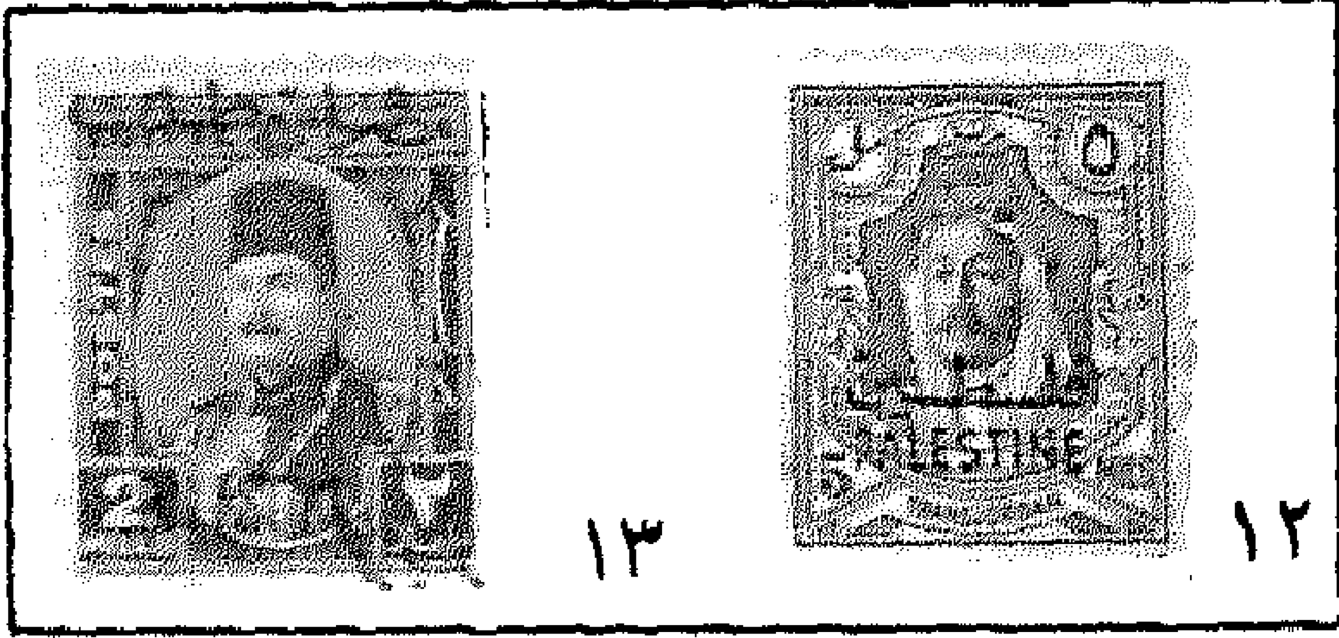
طابعاً بريدياً من ٢ مل إلى ٢٠٠ مل. وفي أول شباط (فبراير) سنة ١٩٢٨ صدرت مجموعة أجور مستحقة من ٩ طوابع (صورة رقم ١٠) ثم ثماني فئات أخرى تكمل المجموعة المصورة الآنفة الذكر، صدرت إبتداء من أول حزيران (يونيو) سنة ١٩٣٢ والى ١٩٤٤ وبفئات كبيرة منها ٢٥٠ و٥٠٠ مل وجنيه واحد (صورة رقم ١١). وفي ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ إنتهى إنتداب بريطانيا على البلاد وانسحبت تاركةً في الإستعمال الطوابع المتبقية في دوائر البريد المختلفة في جميع أنحاء البلاد، إلى أن صدرت الطوابع الأردنية في الشهر الأخير من السنة نفسها كما سنذكره لاحقاً.



إغتنم اليهود إنسحاب بريطانيا وأعلنوا حكومة إسرائيل، وفي اليوم التالي إجتازت القوات الأردنية (فرقة الزنار الأحمر) نهر الأردن ودخلت فلسطين، وقبل إعلان الهدنة في ٣ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٩، تمكنت هذه القوات من السيطرة على القدس القديمة وشمالاً على جنين وطولكرم وقلقيلية واللطرون، وجنوباً على بيت لحم والخليل والضواحي.

وفي ٢ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٨، وشحت الأردن الطوابع التي تحمل صورة الملك عبد الله بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٢). وفي ٢٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٠ توحدت فلسطين مع الأردن وأصبحت الطوابع الأردنية تستعمل في كلا الضفتين. وبعد حرب سنة ١٩٦٧ المشؤومة إنسحب الأردن من الأراضي الفلسطينية.

والجدير بالذكر أن الجيوش المصرية



دخلت الساحل الجنوبي لفلسطين في ١٥ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ ودخلت غزة بعد إنسحاب بريطانيا ووصلت عن طريق بئر السبع إلى الخليل وبيت لحم أيضاً، ومكثت هناك فترة محدودة.

وفي ١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨ وشحت مصر بكلمة «فلسطين» بالعربية والإنكليزية (صورة رقم ١٣). الطوابع التي كان معمولاً بها حينئذٍ في مصر، التي تحمل صورة الملك فاروق، ثم أخذت تصدر الطوابع التذكارية المختلفة على غرار مصر تماماً. مع إضافة كلمة «فلسطين» باللغتين، وذلك حتى ١ أيار (مايو) سنة ١٩٦٧. وكثيراً ما نشاهد اليوم غلافاتٍ تحمل الطوابع المصرية الأولى الموشحة «فلسطين»، مختومة في بيت لحم بتاريخ ١١ حزيران (يونيو) سنة ١٩٤٨.

وفي ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ سيطرت إسرائيل على جميع تلك المناطق.

حركة البيع والشراء

هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع وللراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الأسس العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

أسئلة القراء

نرحب بجميع الأسئلة من القراء وهواة جمع الطوابع البريدية وسننشر في هذا المكان ما هو مهم ومفيد منها. أرسل إقتراحاتك وملاحظاتك إلى مجلة «تاريخ العرب والعالم» قسم الطوابع — ص.ب. (٥٩٠٥) بيروت لبنان ■

مسابقة الشهر

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
		■							١
			■	■					٢
		■						■	٣
		■					■		٤
						■			٥
		■			■				٦
		■					■		٧
■			■	■					٨
■					■				٩

أفقياً –

١ – بلد عربي مغتصب. إسم موصول

٢ – إبن عمري ملك على إسرائيل ٢٢ سنة ومات سنة ٨٩٧ ق.م. ذوب المعادن المصهورة.

٣ – بيتنا. قرع. ٤ – جمع ما يقابل النهار. للتفسير. ٥ – فكَّ. ألا بعد وهو الجزء الثاني من إسم إحدى القبلتين (معكوسة). ٦ – ضد نهار. جواب متشابهان.

٧ – صحراء محتلة (معكوسة). سيّدة بالعامية. ٨ – مدينة في فلسطين. علم مؤنث. ٩ – ضد بُعد (معكوسة). مدينة في فلسطين (معكوسة).

عمودياً

١ – نوطة موسيقية. مهد السيد المسيح (معكوسة). ٢ – قبر. ملكي. مقياس أرضي. ٣ – استفهم. خائط خياطة أولية. ٤ – مدينة في فلسطين. ضمير متصل (معكوسة). ٥ – لقب السيد المسيح. ٦ – مدينة مقدسة. ٧ – بحر (معكوسة). ٨ – صفة لبيت لحم. ٩ – إسم كنيسة مشهورة.

حل مسابقة العدد الخامس

أفقياً:

١ – الخبر. أخف. ٢ – أسل. لاحية. ٣ – كليوباترا ٤ – حملايا. در. ٥ – لي. ٦ – دموع. درك. ٧ – الخميني ٨ – لاهوتي. ٩ – الاباية.

عمودياً:

١ – الأحمدي. ٢ – مرسل. ارنمّ. ٣ – خاتل. وي. ٤ – المعطاء. ٥ – يبتر. خاب. ٦ – لاوي. أهل. ٧ – يحف. بوادي. ٨ – خالد. ةة. ٩ – الكرنك.

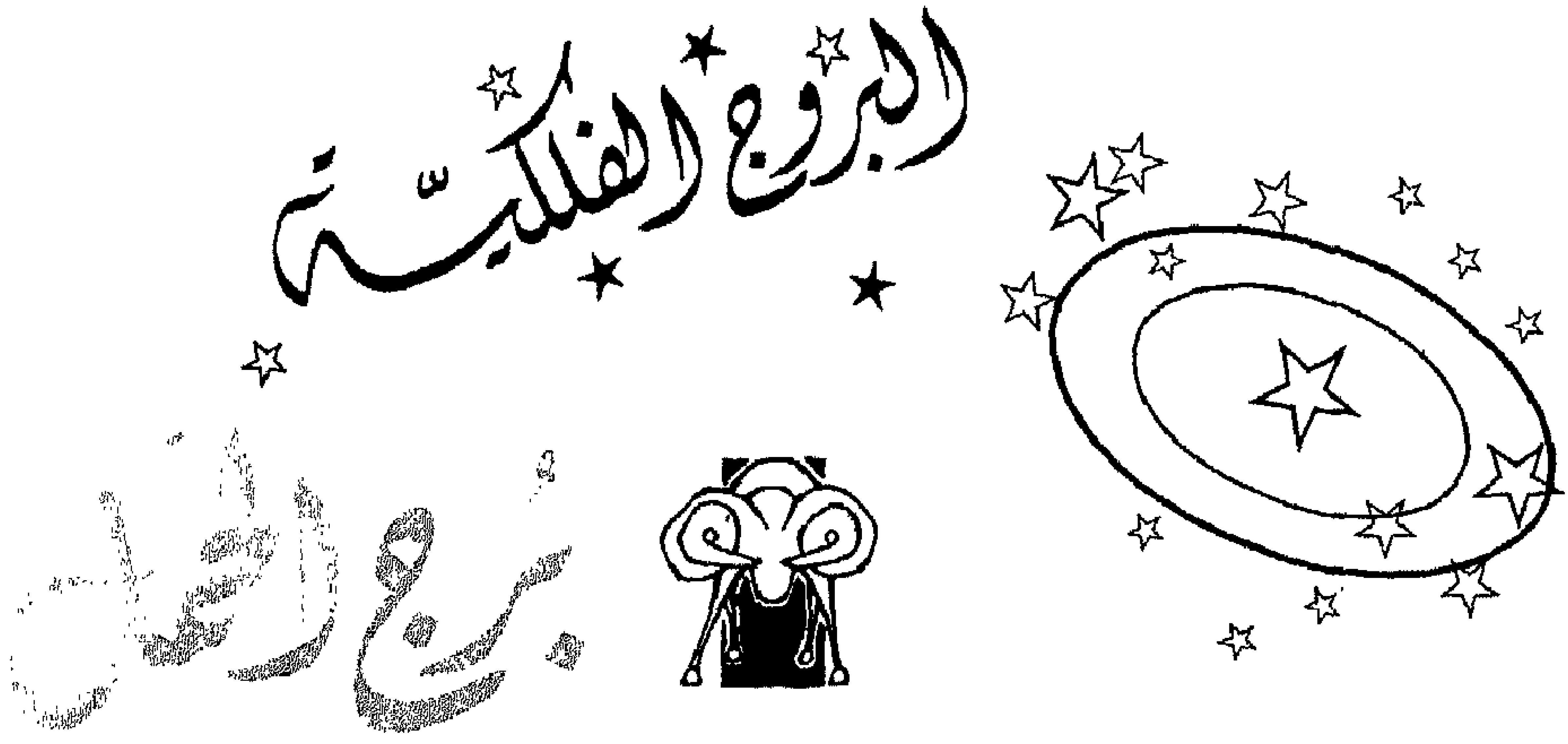
الفائزون في مسابقة العدد الرابع

الفائز الأول: نزار كحيلان – عمان – الأردن مائة ليرة لبنانية

* الفائز الثاني: محمد عبد الساتر – بعلبك – لبنان إشتراك سنة في المجلة

* الفائز الثالث: المهندس نزار عرنوق – طرطوس سوريا – ص.ب (٢٠٠). إشتراك نصف سنة في المجلة

ملاحظة: وردتنا عشرات الأجوبة الصحيحة. ومما يلفت النظر أن جميع الفائزين قد إنتبهوا للخطأ الوارد في الصف الأفقي رقم ٩. وبنتيجة القرعة فاز ثلاثة منهم بالجوائز الثلاثة الأولى. نتمنى للجميع حظاً سعيداً في المرة القادمة.

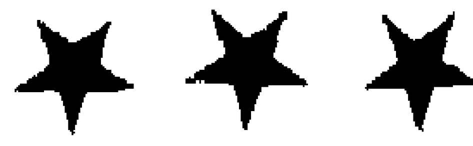


٢٢ آذار (مارس) الى ٢٠ نيسان (ابريل)

منى تنير

بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقدارا من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، امثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وابي الريحاني البيروني.

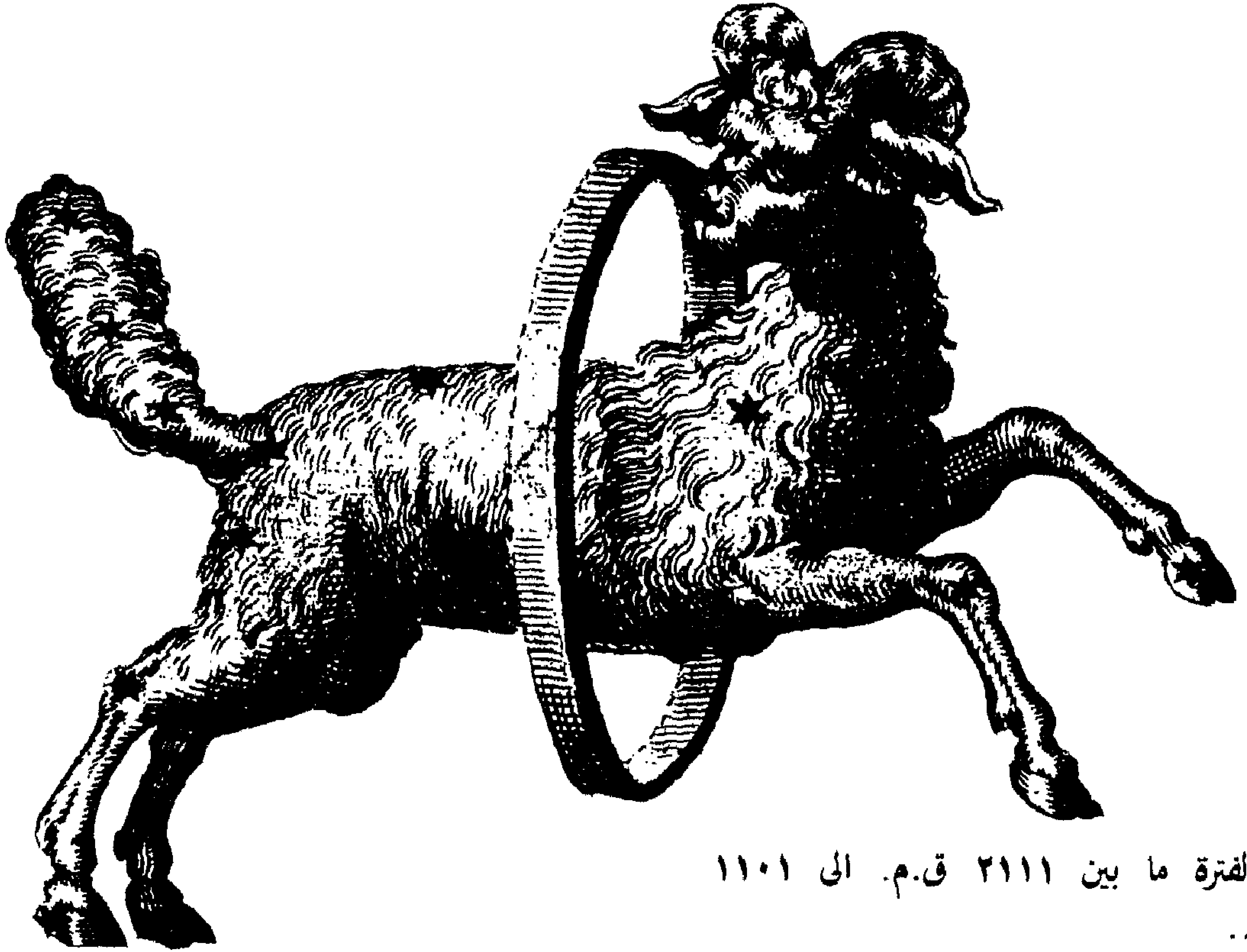
ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل الينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج الحمل:



■ يرمز عادة الى برج الحمل بصورة «الكبش»، وذلك للدلالة على اهم الصفات الغريزية التي تميز هذا الحيوان عن غيره. من هنا فأن مواليد هذا البرج يمتازون عموماً بالحيوية والنشاط مما يدفعهم للعمل بلا خوف او تردد. إنهم يستندون الى فطنتهم ويتحملون مسؤولية ما يقومون به من أعمال. لذلك فان لهم كل الصفات التي تؤهلهم للقيادة. ان شجاعتهم تحثهم على اكتشاف اشياء جديدة. وهم بالتالي مضطرون لاتخاذ القرارات بسرعة، من غير أن يعني ذلك ان هذه القرارات، على اهميتها، هي بالضرورة منطقية وتناسب الظرف الخاص بها.

ومن التقاليد التي أصبحت بمثابة قاعدة متبعة اليوم ان يرمز الى هذا البرج بصورة كبش يقفز من وسط دائرة الشمس، وهي اشارة الى بداية الربيع. لهذا السبب اتفق علماء التنجيم الفلكي على بدء تعداد البروج الـ ١٢ انطلاقاً من برج الحمل بالذات. ولاعجب ان توافق اطلالة هذا البرج بشائر الربيع الاولى، حينما تبدأ الطبيعة دورتها الجديدة.

ويختلف المؤرخون حول الأسباب التي دفعت قدامى المصريين الى اعتماد رمز برج الحمل كرمز لبلدة «طيبة»، المدينة المقدسة التي تبعد حوالي ٧٠٠ كلم جنوبي القاهرة. ربما كان سبب ذلك ان أوج ازدهار هذه المدينة تمّ في فترة اتسعت فيها حدود الامبراطورية الفرعونية الى اقصى حد لها، اي



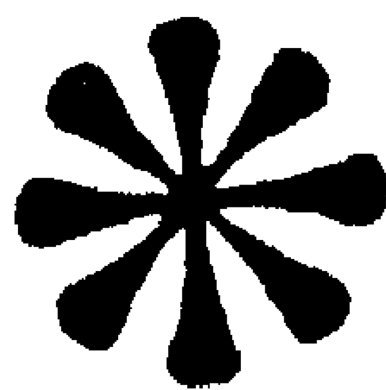
في الفترة ما بين ٢١١١ ق.م. الى ١١٠١ ق.م..

واستناداً الى ابحاث العلماء فان برج الحمل له تأثير مباشر في الرأس، وهذا ما يفسر طبيعة الصفات التي يتحلى بها مواليد هذا البرج عموماً.



من الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الحمل نذكر: السياسي والقائد العسكري البروسي بيسمارك، موحد المانيا - شارلي شابلن - الممثلة جولي كريستي - توماس جيفرسون، رئيس الولايات المتحدة الاميركية بين عامي ١٨٠١و١٨٠٩ - الزعيم السوفياتي الراحل نيكيتا خروشوف - الرسام الهولندي فان غوغ - الكاتب الاميركي تينيسي وليامز - الممثل مارلون براندو - الممثلة دوريس داي - كازانوفا - الجنرال الاميركي باتون، أحد قادة الحرب العالمية الثانية - الفيلسوف الالماني فيلهلم رايخ - عمر الشريف ■





للطلاب فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ما هو؟

صلح أنهى حرب الوراثة الإسبانية. تألف الصلح من عدة معاهدات وقعت سنة ١٧١٣ وأكملته معاهدتا راشتان وبادن سنة ١٧١٤ بين فرنسا والنمسا. وكان أهم أحكام هذه المعاهدات الإعتراف بفيليب الخامس ملكاً على اسبانيا ونقل ملكية الأراضي المنخفضة النمساوية أو البلجيك، وميلانو ونابولي وسردينيا إلى النمسا، وجبل طارق ومينورقة إلى بريطانيا، وصقلية إلى مملكة سافوا. واعترفت فرنسا بحق أسرة هانوفر في إعتلاء العرش الإنجليزي. وتخلى فيليب الخامس عن حق وراثة عرش فرنسا وظفرت إنكلترا بشروط مفيدة لتعزيز تجارتها.

ماهي؟

دولة برلمانية مستقلة عضو في الكمنولث البريطاني وتتكون من مجموعة جزر في جنوب المحيط الهادئ تبلغ مساحتها ٧,٧٠٧ أميال مربعة عدد سكانها يقارب ٥٢٧٠٠٠ نسمة يتكلمون الإنكليزية والهندية بالإضافة إلى لغة الدولة الأصلية وهم يتوزعون بين المسيحية والهندوكية. أصبحت هذه الدولة أحد ممتلكات التاج البريطاني عام ١٨٧٤ وخلال الحرب العالمية الثانية كانت تضم قاعدة عسكرية بحرية وجوية هامة. ونالت البلاد إستقلالها في ١٠ تشرين الأول (أوكتوبر) عام ١٩٧٠.

من هو؟

مهندس وصناعي عربي ولد عام ١٦٨٠ وتوفي عام ١٧٤٨ . كان حموي المولد من أصل حلبي من أسرة إمتهنت الصياغة والحفر والنقش والتصوير . اتقن مهنة أهله بالإضافة إلى سبك الفولاذ وصنع الساعات المائية والميكانيكية . أنشأ مع أخيه مطبعة في حلب ثم أنشأ واحدة أخرى لنفسه في دير يوحنا سنة ١٧٣٣ . إبتدأ عمله فيها بطبع كتاب إسمه ميزان الزمان. أهم ما ميز مطبعته أن معظم ما كان فيها من آلات وحروف ومسابك ومصفات ومحابر ومكابس للنقوش والزخارف ، سواء من الخشب أو النحاس أو الرصاص ، كانت من تصميمه وصناعته هو. ترك عدداً من الكتب المتنوعة الإتجاه منها محاولات في اللاهوت ، والأصول المنطقية والمواعظ . توفي في دير مار يوحنا ولا تزال مطبعته محفوظة في دير الصائغ .

من هو ؟

رياضي وفلكي إغريقي ولد عام ٦٤٠ ق.م وتوفي عام ٥٤٦ ق.م. إشتغل في مطلع شبابه بالتجارة . ثم تحول عنها إلى دراسة الرياضيات والفلك . واشتهر بالحكمة حتى صار واحداً من حكماء الإغريق السبعة . ويذهب بعض المشتغلين في تاريخ العلم إلى إعتباره أول عالم ظهر في اليونان. فلقد حدد موعد كسوف الشمس يوم الثامن والعشرين من أيار (مايو) سنة ٥٨٥ ق.م. وقد حدث ذلك كما توقعه ، فكان ذلك أول توقع علمي محسوب لحدوث كسوف ثبت تدوينه في التاريخ . ويعود الفضل إلى هذا العالم في إكتشافه الكهربائية الساكنة أو الإستاتيكية وقد تمكن من حساب إرتفاع الهرم بقياس طول ظله ووضع عدداً من النظريات المتعلقة بالمثلث المتساوي الأضلاع ، وحول تقاطع الخطوط ، والزاوية في شبه الدائرة وغيرها .

الفائزون في مسابقة العدد الرابع

* الفائز الأول : حسن محمد أبو نعسه – الجامعة اللبنانية – كلية الأداب – قسم اللغة الإنكليزية : مائة ليرة لبنانية .
* الفائز الثاني : مازن غانم – دمشق – شارع الفردوس – ثانوية إبن خلدون : إشتراك سنة في المجلة .
* الفائز الثالث : محمد أحمد صالح. ثانوية رأس النبع الرسمية : إشتراك نصف سنة في المجلة .

فائزون ولكن الحظ لم يحالفهم في القرعة :

- حسين علي زعرور : الشياح – ثانوية حارة حريك الرسمية .
- محمد عاطف بيلون : ثانوية الغبيري الرسمية الثالثة .
- سلمان عبد الوهاب العريض – مدرسة المنامة الثانوية الصناعية البحرين – الخليج العربي .
- طارق محمد حسن جابر – الرياض .
- بسام بعلبكي : الجامعة اللبنانية
- أسامة جواد رضا : جامعة بيروت العربية
- سمر سكر : معهد العلوم الإجتماعية .
- محمد عماد دمج : المدرسة البطريركية .

بريد القراء

السيد جورج يوسف طعمة ،

لقد سررنا غاية السرور. بتجاوبكم مع «تاريخ العرب والعالم». وثق أننا نعتبر ملاحظاتك سنداً لنا في سبيل تحسين أداء المجلة في خدمة قرائها.

◄ ملاحظاتك جميعها في محلها ولا شك.

الملاحظة الأولى تتعلق «بليوبولد هوهن زولارن». والجملة يجب أن تقول إنه «ترشح لعرش إسبانيا بعد ثورة إسبانيا عام ١٨٦٨، وهو من الأسرة التي حملت التـــاج الأمبراطوري في ألمانيا بين العام ١٧٠١ والعام ١٩١٨». والواضح أن الجملة المعترضة كان يجب أن يتغير موقعها.

أما عن وضوح الجملة المتعلقة «ببرقية أمز» فهي مسألة تخص الكاتب إلى حد كبير. وفي هذا الشأن، فان أسرة تحرير المجلة تظل محدودة الصلاحية في التبديل والتعديل.

والملاحظة الثالثة تتعلق بعدد سكان اليهود في القدس القديمة والجديدة. فثمـــة خطأ مطبعي، ويجدر القول أن عدد سكان القدس «الجديدة» (لا القديمة) من اليهود في ذلك الحين نحو مائة ألف نسمة. فنعتذر عن هذه الأخطاء، ونؤكد مرة أخرى أنه لولا إهتمامك ودقتك لما جاءت هذه الملاحظات المفيدة.

أما عن «المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام»، فإن المؤتمرات عن التاريخ هي من إختصاص المجلة أيضاً. وهذا لا يعني أننا لن نهتم بأبحاث المؤتمر. وسنبدأ بنشر بعض الأبحاث المختارة التي قدمت في المؤتمر، إبتداء من العدد الخامس.

ولكم خالص الشكر

* ومن الخبر، في المملكة العربية السعودية كتب الأخ طاهر حسين أحمد المريسي:

«انني من محبي مجلتكم العربية والتي تعتني بأخبار الأمة العربية خاصة والعالم أجمع. وقد نالت إعجاب الكثيرين لما فيها من مواضيع شيقة ومسلية في نفس الوقت. كما أني وباسم أصدقائي الذين يتابعون المجلة نتقدم إلى كل العاملين وإلى كل من ساهم في إخراج هذه المجلة إلى حيز الوجود بحلتها الجديدة والجميلة بجزيل الشكر والتقدير».

◄ نشكر لك عواطفك الطيبة.

* وكتب لنا السيد عبد القادر محمود الحصان، وهو طالب أردني يدرس في أسطنبول، رسالة قال فيها:

أشكر لكم جزيل الشكر مساهمتكم الحقة في المجلة، واني لأشكر لكم جهودكم لاخراج هذه المجلة العزيزة إلى حيز الوجود. إنني اتابع مجلتكم الغالية واحرص على كل عدد من أعدادها. وعلى أن يصل إلي دوماً، لأنها حقاً مجلة كل عربي مثقف حيثما كان على وجه الأرض.

◄ ونحن نرد التحية بمثلها ونأمل في مواصلة الفوز برضى القراء.

* السيد حسن محمد أبو نعسه، وهو مجاز في التاريخ. ويتابع الدراسة الآن في

قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، كتب يقترح تخصيص صفحة في المجلة لزاوية بعنوان «في سبيل موسوعة تاريخية»، تحتوي على أهم أحداث العالم أو أهم المعارك أو المعاهدات. كما طالب بموضوع في كل عدد عن واحدة من أهم معارك العالم. وأضاف، إن مدى فرحته وتعلقه بالمجلة لا يصدقان.

نشكر لك عاطفتك، ونتمنى لك ولنا التوفيق. أما فيما يتعلق باقتراحك الأول، فاننا نقترح على القراء موسوعة غير مختصرة في الواقع، مكونة من موضوعات المجلة. فإذا لاحظت، اننا نحرص في المجلة على أن تكون الموضوعات في كل شهر متخصصة: فموضوع للحضارات القديمة، وموضوع أو أكثر عن تاريخ لبنان، وموضوع عن تاريخ النضال الفلسطيني، وموضوع عن التجسس، الى آخره. وسنبدأ في أقرب فرصة ممكنة سلسلة في موضوع معارك عربية تاريخية. ولا بأس أن تضاف الى هذه فيما بعد معارك عالمية. وأما المعاهدات فلها موضوع في كل عدد، كما لاحظت بلا شك. واننا نرحب بمقترحاتك ونسعى الى تنفيذها قدر المستطاع، لكن الأهم فيها هي أنها ترشدنا إلى رغبات القراء الأعزاء فلك الشكر تكراراً.

* للأخ ابراهيم خليل – الرياض – ص.ب ٢٥٧٩. حولنا رسالتك للعقيد الدكتور ياسين سويد للإجابة عليها. شكراً لإهتمامكم.

◄ رسائل كثيرة وردتنا في شأن الشطرنج اقترح بعضها تنظيم «مباراة أو دورة بالشطرنج بالمراسلة، فيسمح لكل هواة لبنان الإشتراك بها».

* والواقع أن هذا الإقتراح أحيل على الأستاذ محمد سكر للدرس. وطموحنا في الواقع أن نصل إلى كل الهواة العرب في لبنان وغيره.

كذلك طلب منا عدد من القراء أن نفرد مكاناً للكوبونات بحيث لا يؤدي قطعها إلى إفساد المجلة لمن يريد حفظها «لأن كل ما في المجلة جيد وبعضها يلحقه التشويه بسبب تمزيق الكوبونات».

الاقتراح أخذ طريقه إلى التنفيذ فوراً.

الى القراء الأعزاء

نظراً لكثرة الرسائل، وهذا شيء يغبطنا جداً، يرجو المسؤول عن «بريد القراء» أن يكتب القراء الأعزاء الذين يودون مراسلتنا أو الاشتراك في أية مسابقة، أن يكتبوا اسماءهم على الرسالة ذاتها، وليس على المغلف فقط، فذلك يسهل علينا كثيراً ويجنبنا مغبة إختلاط الأسماء إذا ما اختلطت المغلفات.

* القارئ ميشال شعنين، محلة مار مخايل، بيروت، أشاد بالمجلة وقال «انها تسد فراغاً كبيراً في الحقل الصحافي والثقافي معاً ليس في لبنان فحسب بل في كافة البلاد العربية.

ولفت الإنتباه إلى أن الشخصين اللذين ظهرا في الصورة (ص ٦٢ العدد الرابع) في موضوع ليلة الأمواس الطويلة، هما روم وهيملر، وليسا روم وغوبلز كما ورد.

* «جل من لا يخطئ» يا سيد شعنين، كما قلت، وكل الشكر لهذه الملاحظة، ولاهتمامك.



كوكبة الرامي على ما يرى في الكرة



بُرج القَوس كما وصفه الإمام الصّوفي


نقود ذهبية وفضية
سكها السلطان
محمد الثاني العثماني